مختصر تفسير الطبري

قال الشيخ السعد:
لعله بصنيعه هذا يكون
من أحسن من اختصر هذا الكتاب

تأليف

إسلام بن منصور بن عبد الحميد

قدم له فضيلة الشيخ المحدث العلامة

عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد السعد

طبعة مزيدة ومنقحة

المجلد الأول

التراث الذهبي
دمشق

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

مختصر تفسير الطبري

مختصر تفسير الطبري

قال الشيخ السعد:

لعله بصنيعه هذا يكون
من أحسن من اختصر هذا الكتاب

تأليف

إسلام بن منصور بن عبد الحميد

قدم له فضيلة الشيخ المحدث العلامة

عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد السعد

طبعة مزيدة ومنقحة

المجلد الأول

التراث الذهبي
الرياض

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

مختصر

تفسير الطبري

(١)

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

الكويت، حولي ، شارع المثنى، مجمع البدري
ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦ فاكس: ٢٢٦١٢٠٠٤
فرع حولي: شارع المثنى: ٢٢٦١٥٠٤٦ ، فرع المباركية: ٢٢٤٩٠٦٠٤
فرع الفحيحيل: ٢٥٤٥٦٠٦٩ ، فرع المصاحف: ٢٢٦٢٩٠٧٨
ص. ب: ١٠٧٥ الرمز البريدي ٣٢٠١١ الكويت
المملكة العربية السعودية ـ الرياض: ٠٥٥٧٧٦٥١٣٨
الساخن: ت: ٩٤٤٠٥٥٥٩
E - mail: z.zahby74@yahoo.com
imamzahby

بين يدي مقدمة سماحة الشيخ
المحدث العلامة/ عبد الله السعد

الحمد لله، وبعد..

فلقد بذل فضيلة الشيخ حفظه الله جهدًا كبيرًا في كتابة هذه المقدمة، وقد أولاها بالعناية، حتىٰ أنَّه قدَّمها علىٰ أعمال كثيرة مهمة..

ولقد أولاني بمزيد رعاية، وعناية، وسماحة، لم أجدها عند أحد غيره، مع علو شأنه وقدره وعلمه..

ولا أظن أنني أوفيه حقَّه وقدره مهما بذلتُ له من معاني الشكر..

إلا أنني أشكر الله ﷻ وحده أن وفقني له..

وأسأله سبحانه أن يديم صحبتنا، ومحبتنا، واللقاء علىٰ طاعته..

اللهم آمين.

مقدمة سماحة الشيخ المحدث العلامة
عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد السعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله..

القائل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

وقائل: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون: ٦٨].

وقائل: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

وقائل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

وأصلي وأسلم على عبده المصطفى ونبيه المجتبى...

القائل فيما أخرجه الشيخان(١): من طريق مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَوْلَىٰ بَنِي زُهْرَةَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**اقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي شَهْرٍ**» قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً حَتَّىٰ قَالَ: «**فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَىٰ ذَلِكَ**». وهذا لفظ البخاري.

وفي صحيح البخاري(٢): من طريق مُغِيرَةَ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه... الحديثَ، وفيه قال ﷺ: «**وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً...**».اهـ

قال أبو عبدالله البخاري بعد هذا الحديث: (وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فِي ثَلَاثٍ وَفِي خَمْسٍ وَأَكْثَرُهُمْ عَلَىٰ سَبْعٍ). اهـ

والحِكْمَةُ فِي هَذَا النَّهْيِ..

حَتَّىٰ يَتَدَبَّرَ القارئُ القرآنَ، وَيَفْهَمَ مَعَانِيَهُ..

كما في جامع الترمذي(٣)، والنسائي في الكبرى(٤)، وابن ماجه(٥): من طريق شُعْبَةَ، عَنْ

(١) [خ/ ٥٠٥٤]، [م/ ١١٥٩].
(٢) [٥٠٥٢].
(٣) [٢٩٤٩].
(٤) [٨٠١٣].
(٥) [١٣٤٧].

قَتَادَةَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، عَنْ عَبدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَمْ يَفْقَهْ مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلاثٍ**». قال أبو عيسى: (**هذا حديثٌ حسنٌ صَحِيحٌ**).

وأخرجه أيضًا أبو داود[1]: من طريق همام وسعيد عن قتادة به.

ولهذا بَوَّبَ البخاريُّ فَقَالَ: (**بَابُ التَّرْتِيلِ فِي القِرَاءَةِ، وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾** [المزمل: ٤]، **وَقَوْلِهِ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾** [الإسراء: ١٠٦]، **وَمَا يُكْرَهُ أَنْ يُهَذَّ كَهَذِّ الشِّعْرِ، ﴿يُفْرَقُ﴾** [الدخان: ٤]: **يُفَصَّلُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾** [الإسراء: ١٠٦]: **فَصَّلْنَاهُ**).

ثم روىٰ[2]: من طريق وَاصِلٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: (**غَدَوْنَا عَلَىٰ عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ رَجُلٌ: قَرَأْتُ المُفَصَّلَ البَارِحَةَ، فَقَالَ: هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ، إِنَّا قَدْ سَمِعْنَا القِرَاءَةَ..**).

وأخرج البيهقي في الشعب[3]: عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: (**إِنِّي سَرِيعُ الْقُرْآنِ، إِنِّي أَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي ثَلاثٍ، قَالَ: لأَنْ أَقْرَأَ الْبَقَرَةَ فِي لَيْلَةٍ أَتَدَبَّرُهَا، وَأُرَتِّلُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ من أَنْ أَقْرَأَهُ كَمَا تَقْرَأُ**)..

وفي رواية أخرىٰ في الشعب[4]: (**إِنِّي أُهَذْرِمُ الْقُرْآنَ هَذْرَمَةً...**).

وأخرج ابن المبارك في الزهد[5]، وعبدالرزاق[6]، وأبو عبيد في فضائل القرآن[7]، واللفظ له: عَنْ عُبَيْدٍ الْمُكْتِبِ، قَالَ: قُلْتُ لِمُجَاهِدٍ: رَجُلٌ قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، وَرَجُلٌ قَرَأَ الْبَقَرَةَ؛ قِيَامُهُمَا وَاحِدٌ، وَرُكُوعُهُمَا وَاحِدٌ، وَسُجُودُهُمَا وَاحِدٌ، وَجُلُوسُهُمَا وَاحِدٌ، أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: (**الَّذِي قَرَأَ الْبَقَرَةَ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾** [الإسراء: ١٠٦]).

قلت: وهذه صفة قراءة رسول الله ﷺ ومنه أخذ ذلك الصحابة رضي الله عنهم ومن أتىٰ من بعدهم..

كما أخرجه مسلم في صحيحه[8]: من طريق صِلَةَ بْنِ زُفَرَ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: (**صَلَّيْتُ مَعَ**

---

(١) [١٣٩٠، ١٣٩٤].
(٢) [٥٠٤٣].
(٣) [١٨٨٢].
(٤) [١٩٧١].
(٥) [١٢٨٥].
(٦) [٤١٨٨].
(٧) [٢٠٢].
(٨) [٧٧٢].

النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِئَةِ، ثُمَّ مَضَىٰ، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَىٰ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ....» الحديث.

وبهذا أمره ربهُ عَزَّوَجَلَّ فقال: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ١٠٦﴾ [الإسراء: ١٠٦].

قال ابن جرير الطبري[1]: (لِتَقْرَأَهُ عَلَىٰ النَّاسِ عَلَىٰ تُؤَدَةٍ، فَتُرَتِّلَهُ، وَتُبَيِّنَهُ، وَلَا تَعْجَلْ فِي تِلَاوَتِهِ، فَلَا يُفْهَمْ عَنْكَ).اهـ

ويؤكد هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ بعد ذلك: ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ١٠٦﴾، أي شيئًا فشيئًا، لأنه لو نزل مرة واحدة لصعب فهمه عليهم.

وكما أُمر بترتيله عليهم أمر بتفسيره لهم:

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ [النحل: ٤٤].

(فَالدِّينُ الَّذِي اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ اجْتِمَاعًا ظَاهِرًا مَعْلُومًا هُوَ مَنْقُولٌ عَنْ نَبِيِّهِمْ نَقْلًا مُتَوَاتِرًا، نَقَلُوا الْقُرْآنَ وَنَقَلُوا سُنَّتَهُ، وَسُنَّتُهُ مُفَسِّرَةٌ لِلْقُرْآنِ مُبَيِّنَةٌ لَهُ كَمَا قَالَ - تَعَالَىٰ - لَهُ: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ [النحل: ٤٤]، فَبَيَّنَ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَفْظَهُ وَمَعْنَاهُ، فَصَارَ مَعَانِي الْقُرْآنِ الَّتِي اتَّفَقَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ اتِّفَاقًا ظَاهِرًا مِمَّا تَوَارَثَتْهُ الْأُمَّةُ عَنْ نَبِيِّهَا، كَمَا تَوَارَثَتْ عَنْهُ أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ، فَلَمْ يَكُنْ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - فِيمَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ شَيْءٌ مُحَرَّفٌ مُبَدَّلٌ مِنَ الْمَعَانِي، فَكَيْفَ بِأَلْفَاظِ تِلْكَ الْمَعَانِي؟!

فَإِنَّ نَقْلَهَا وَالِاتِّفَاقَ عَلَيْهَا أَظْهَرُ مِنْهُ فِي الْأَلْفَاظِ، فَكَانَ الدِّينُ الظَّاهِرُ لِلْمُسْلِمِينَ الَّذِي اتَّفَقُوا عَلَيْهِ مِمَّا نَقَلُوهُ عَنْ نَبِيِّهِمْ، لَفْظَهُ وَمَعْنَاهُ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ تَحْرِيفٌ وَلَا تَبْدِيلٌ، لَا لِلَّفْظِ وَلَا لِلْمَعْنَىٰ، بِخِلَافِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَإِنَّ مِنْ أَلْفَاظِهَا مَا بَدَّلَ مَعَانِيَهُ وَأَحْكَامَهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ أَوْ مَجْمُوعُهُمَا، تَبْدِيلًا ظَاهِرًا مَشْهُورًا فِي عَامَّتِهِمْ)[2].

قلت: وهذا ظاهر، ومع ذلك فقد اعترض بعض أهل العلم، فقال: إن الأحاديث التي نقلت في التفسير قليلة.

---

(١) [١٧/ ١٧٥].

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح [٣/ ١٧].

والجواب عن ذلك: أن الآية المتقدمة نصٌّ في المسألة، فلا شك أن الرسول ﷺ بيَّنَ للأمَّةِ مَعَانِيَ الآيَاتِ وَفَسَّرَهَا لَهُمْ، فَمَثَلًا الإسلامُ والإيمانُ والإحسانُ، وهي كثيرةُ الدورانِ فِي القرآنِ الكريمِ، بَيَّنَ المقصودَ مِنْهَا كما في حديث جبريل قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١).

وهكذا الصلاةُ: فبيَّنَ ﷺ شُروطَهَا وفَرائضَهَا وسُنَنَها، وكيفيةَ أقامَتِها.

ومِثْلُهَا: الزَّكاةُ، والصِّيامُ، والحَجُّ، وغيرُ ذِلِكَ..

فسنَّتُه، وسَيرَتُه مُفَسِّرَةٌ لِهَذَا القرآنِ.

ولما سُئِلَتْ عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن خُلِقِه، فَقَالتْ: (**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ**)(٢).

ولذا قال ابن مسعود فيما رواه ابن جرير الطبري(٣): من طريق الأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: (**كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّىٰ يُعْرَفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ**). وإسناده جيد.

وأخرج أحمد(٤): من طريق عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: (**حَدَّثنا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلاَ يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الأُخْرَىٰ، حَتَّىٰ يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ**).وإسناده جيد.

ولذا قَالَ أبو حامِدٍ الغَزالي: (والتفصيل في مقدار القراءة، أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل، فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الأسبوع، وإن كان من السالكين

---

(١) صحيح مسلم [٨].

(٢) مسند أحمد [٢٥٢٤٠].

(٣) [١/ ٨٠].

(٤) [٢٣٨٧٨].

بأعمال القلب وضروب الفكر، أو من المشتغلين بنشر العلم، فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع علىٰ مرة، وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن، فقد يكتفي في الشهر بمرة لكثرة حاجته إلىٰ كثرة الترديد والتأمل)(١).

وقال أبو العباس ابن تيمية في مقدمة التفسير: (وَحَاجَةُ الْأُمَّةِ مَاسَّةٌ إِلَىٰ فَهْمِ الْقُرْآنِ)(٢).

وقال محمد بن علي الموزعي المعروف بابن الخطيب في تيسير البيان(٣): (واعلموا أن الله تَعَالىٰ أَوْجَبَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ بَيَانَ مَا أَنْزَلَ عَلَيهِ، وَجَعَلَ بَيَانَ ذَلِكَ إِليهِ وخصَّه بِهَذا المنصبِ الشريفِ... قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤]، ثم اعلموا أن بيانه لأمته من ثلاثة أوجه، فوجهان متفق عليهما وفي الثالث اختلاف عندهم: الأول: ما نص اللهُ جل جلاله عليه وأحكم فَرْضَه وبَيَّنَه بأوضح بيانٍ، ثم بيَّنَه النَّبِيُّ ﷺ، إما بقولٍ أو فعلٍ، كما بيَّنَه اللهُ، الثاني: ما نصَّ اللهُ تعالىٰ عليه جُمْلةً، وَأَحْكَمَ فَرْضَهُ، وَجَعَلَ إِلىٰ نَبِيِّهِ ﷺ بَيَانَ تِلْكَ الجُمْلَةِ، فَبَيَّنَ مَوَاقِيْتَهَا وَأَحْوَالَهَا وَفَرَائِضَهَا وَآدَابَهَا وَمُقَدِّمَاتِهَا وَلَوَاحِقَهَا، وَبَيَّنَ عَمَّنْ تَجِبْ، وَعَمَّنْ تَسْقُطْ، وَكَيْفَ يَأْتِي بِهَا العَبْدُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ الأَحْوَالِ، الثالث: ما سنَّ رسول الله ﷺ مما لم يَرِدْ فِيْهِ كِتَابٌ، فَهَذَا المُخْتَلَفُ فِيْهِ، فَمِنْهُم مَنْ قَالَ: جَعَلَ اللهُ لَهُ ذَلِكَ لِمَا خَصَّهُ مِنْ وُجُوْبِ طَاعَتِهِ وَتَوفيقِهِ لِمَا يَرضَاه، وعِصمَتِه عن الخطأ أنْ يَسِنَّ فيما لم يَرِدْ فِيه كِتَابٌ، وَإليهِ مَيْلُ الإمامِ الشافعي، ومنهم من قال لم يَسِنَّ سُنةً قط إِلَّا وَلَها أَصْلٌ فِي كِتَابِ اللهِ).اهـ

ولا يخفىٰ أهمية تدبر القران ومعرفة تفسيره ومعانيه، في اعتقاد ما دلَّ عليه والعمل بأحكامه، وفي زيادة إيمان العبد وقوة يقينه، والتحقق بظهور إعجازه له.

ولذا كم من شخصٍ لا يعرف لغة القران -لكونه أعجمي- عندما قرأ معاني القران بلغتِهِ قادهُ هذا إلىٰ الإسلام والإيمان.

وأخرج ابن جرير في تفسيره(٤): من طريق أبي مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، قَالَ: **(اسْتَعْمَلَ عَلِيٌّ ابْنَ عَبَّاسٍ عَلَىٰ الْحَجِّ، قَالَ: فَخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَةً، لَوْ سَمِعَهَا التُّرْكُ وَالرُّومُ**

(١) إحياء علوم الدين [٢/ ٣٥].
(٢) [مجموع الفتاوىٰ/ ١٣/ ٣٣٠].
(٣) [١/ ١١].
(٤) [١/ ٨١].

لَأَسْلَمُوا، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ النُّورِ، فَجَعَلَ يُفَسِّرُهَا).اهـ

وجاء عند الحاكم من نفس الطريق بلفظ(١): (خَطَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَهُوَ عَلَىٰ الْمَوْسِمِ، فَافْتَتَحَ سُورَةَ النُّورِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَيُفَسِّرُ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: مَا رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ كَلَامَ رَجُلٍ مِثْلَهُ، لَوْ سَمِعَتْهُ فَارِسُ وَالرُّومُ لَأَسْلَمَتْ).اهـ

وأخرجه أيضًا أبو عبيد في فضائل القرآن(٢)، وابن جرير(٣)، واللفظ له: من طريق الأعمش، عن أبي وائل شقيق بن سلمة، قال: (قرأ ابنُ عباسٍ سورة البقرة، فجعل يُفسِّرها، فقال رجل: لو سمعتْ هذا الديلمُ لأسلمتْ)(٤).

ولذا قال ابن جرير، في ما رواه أبو بكر محمد بن مجاهد، قال: سمعت أبا جعفر يقول: (إني أعجب ممن قرأ القرآن، ولم يعلم تأويله كيف يلتذ بقراءته؟)(٥).

فصلٌ في حُكْمِ تَدَبُّرِ القُرآنِ العَظِيمِ

تَبَيَّنَ مِمَّا تَقَدَّمَ، وَمَا سَوْفَ يَأْتِي، أَنَّ تَدَبُّرَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ فَرْضٌ عَلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ مِنْ حَيْثُ الجُمْلَةِ..

وأمَّا من حيث التفصيل -أي: جميع القرآن- فهو فرض كفاية علىٰ الأمة..

والدليل علىٰ ذلك -غيرُ ما تقدَّمَ-: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذَمَّ مَنْ لَمْ يَتَدَبَّرَ كِتَابَه، وأنَّ المُتَصِفِيْنَ بِذَلِكَ هَم الكفَّارُ والمُنَافِقُون.

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالىٰ: (باب وجوب تعلم القرآن وتفهمه واستماعه والتغليظ علىٰ من ترك ذلك.. وقول الله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾.. وقال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنعام: ٢٢].. وقوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤] الآية.. عَنْ أَبِي

(١) [٣/ ٦١٨/ ٦٢٩٠].
(٢) [٢٥٠].
(٣) [١/ ٨١].
(٤) صححه ابن حجر في الفتح (٧/ ١٠٠)، وينظر: المعرفة والتاريخ (١/ ٤٩٥).
(٥) معجم الأدباء (٢/ ٢٤٥٣).

مُوسَىٰ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَىٰ وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَىٰ، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» أخرجاه[(١)].. عَنْ ابْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رسولَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرِ اللهُ لَكُمْ، وَيْلٌ لأَقْمَاعِ الْقَوْلِ، وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ» رواه أحمد[(٢)].. باب الخوف علىٰ من لم يفهم القرآن أن يكون من المنافقين.. وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ﴾ [محمد: ١٦] الآية.. وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الآية.. عَنْ أَسْمَاءَ، أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا، مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، يُؤْتَىٰ أَحَدُكُمْ، فَيُقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، أَوِ الْمُوقِنُ - لا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ، فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا، فَيُقَالُ: نَمْ صالحًا، قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُؤْمِنًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ، أَوِ الْمُرْتَابُ، فَيَقُولُ: لا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ: شَيْئًا، فَقُلْتُهُ»أخرجاه[(٣)].. وفي حديث البراء في الصحيح: «أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَقولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ»[(٤)].)[(٥)]. اهـ

---

(١) البخاري (٧٩)، مسلم (٢٢٨٢).

(٢) مسند أحمد (٦٣٦٤).

(٣) البخاري (٨٦)، مسلم (٥٨٤).

(٤) مسند أحمد (١٨٥٣٤)، سنن أبي داود (٤٧٥٣)، التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٧٥)،و الإيمان لابن منده (١٠٦٤)، المستدرك (١٠٧) كلهم من حديث الأعمش، عن منهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب.اهـ

قال البيهقي في الشعب (٣٩٥): هذا حديث صحيح الإسناد.

وقال ابن منده في الإيمان (٢/ ٩٦٥): «هذا إسناد متصل مشهور، رواه جماعة، عن البراء، وكذلك رواه عِدَّةٌ، عن الأعمش، وعن المنهال بن عمرو، والمنهال أخرج عنه البخاري ما تفرد به، وزاذان أخرج عنه مسلم، وهو ثابت علىٰ رسم الجماعة. وروي هذا الحديث عن جابر، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأنس بن مالك، وعائشة».

وأصل حديث البراء افي صحيح البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١) من طريق شعبة، عن علقمة ابن مرثد، عن سعد بن عبيدة، عن البراء بن عازب.

(٥) فضائل القرآن ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١/ ٧٧٣).

قلت: الأدلةُ التي أوردها -رحمه الله تعالىٰ- ظاهِرَةٌ علىٰ ما بوَّب عليه، ولذا يجب علىٰ كل مكلف أقلُّ ما يتدبر سورة الفاتحة، وهذا ما عنيتُه بقولي أنه فرض علىٰ كلِّ مكلَّفٍ في الجملة.

لذا قال أبو محمد بن حزم: (تدبر القرآن فرض)(١).

وقال أبو عبدالله القرطبي في الجامع(٢): (دل قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمد: ٢٤]، علىٰ وجوب التدبر في القرآن).اهـ

وقال الشنقيطي في هذه الآية وغيرها(٣): (وهذه الآيات المذكورة تدل علىٰ أن تدبر القرآن وتفهمه وتعلمه والعمل به، أمر لا بد منه للمسلمين)(٤).

ومن الأدلة علىٰ ذلك غير ما تقدم أن قراءتها فرض في كل صلاة كما في الصحيحين(٥): من حديث الزُّهْرِيِّ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ**».

وفي حديث الْعَلاَءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَلَّىٰ صَلاَةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ، فَهِيَ خِدَاجٌ ثَلاَثًا غَيْرُ تَمَامٍ**»(٦).

وهذه الأحاديث كما دلت علىٰ وجوب قراءتها ففيها أيضًا دليل علىٰ وجوب تدبرها؛ لأنَّ القرآنَ إنما أُنزِلَ ليُتَدَّبر، ويُعْلَم فيُعْمَل بِهِ.

والقراءة بلا تدبر ولا فهم للمعنىٰ لا يحصل منها المقصودُ والمرادُ.

قال الإمام بن تيمية: (وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [محمد: ٢٤]، وَقَالَ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وَتَدَبُّرُ الْكَلَامِ بِدُونِ فَهْمِ مَعَانِيهِ لَا يُمْكِنُ، وَكَذَلِكَ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ٢]، وَعَقْلُ الْكَلَامِ مُتَضَمِّنٌ لِفَهْمِهِ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ كَلَامٍ فَالْمَقْصُودُ مِنْهُ

---

(١) رسائله (٣/ ١٩٨).
(٢) (٥/ ٢٩٠).
(٣) (٧/ ٤٥٨).
(٤) انظر بيان أن ترك التدبر من هجر القرآن: الفوائد لابن القيم (٨٢)، تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٨).
(٥) (خ٧٢٣) (م٣٩٤).
(٦) أخرجه مسلم (٣٩٥).

فَهْمُ مَعَانِيهِ دُونَ مُجَرَّدِ أَلْفَاظِهِ، فَالْقُرْآنُ أَوْلَىٰ بِذَلِكَ، وَأَيْضًا فَالْعَادَةُ تَمْنَعُ أَنْ يَقْرَأَ قَوْمٌ كِتَابًا فِي فَنٍّ مِنْ الْعِلْمِ كَالطِّبِّ وَالْحِسَابِ وَلَا يستشرحوه، فَكَيْفَ بِكَلَامِ اللهِ الَّذِي هُوَ عِصْمَتُهُمْ وَبِهِ نَجَاتُهُمْ وَسَعَادَتُهُمْ وَقِيَامُ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ)[١].

فَلا بدَّ علىٰ المُصَلِّي أَنْ يَعْقِلَ وَيَفْهَمَ:

معنىٰ اللهِ، وَأَنَّهُ هو المألُوه، أي: المعبود..

ومعنىٰ رب العالمين، أي: الذي خلقهم من العدم ورباهم بالنعم..

وأنه هو الرحمن الرحيم الذين وسعت رحمته كل شيء..

وهو مالك يوم الدين، وهو يوم الحساب للخلق أجمعين علىٰ ما عملوه، إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًا فشرٌ علىٰ من فعله..

وأنه هو المختص بالعبادة والاستعانة وحده لا شريك له..

وأن علىٰ العبد أن يسأل ربه الهداية إلىٰ صراطه المستقيم الذي تقدم ذكره، وهو ما كان عليه المنعم عليهم من النبيين وعلىٰ رأسهم نبينا محمد ﷺ، وسائر عباد الله الصالحين، المباين لصراط المغضوب عليهم من اليهود والنصارىٰ وسائر الكافرين.

فَصْلٌ فِي كَيْفِيَّةِ القِرَاءَةِ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ

القُرَّاءُ فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ يَخْتَلِفُوْنَ كُلٌّ بِحَسِبِ مَقْصِدِهِ:

١- فإما أن يقصد قراءة تفسير القران كاملًا

٢- وإما أن يقرأ تفسير بعض الآيات والسور.

٣- وإما يريد معرفة لفظة وردت، أو حكمٍ من الأحكام، أو موضوع من الموضوعات التي ذُكِرَت في القرآن كمعرفة قصة من القصص الواردة في الكتاب العزيز كقصة ابراهيم ويوسف عليهما السلام، وغيرهم.

أما الأولىٰ: فهي الطريقة المثلىٰ لفهم الكتاب العزيز، وذلك بقراءة تفسيره من أوله إلىٰ

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٣٣٩).

آخره؛ لأن القران بعضه يفسر بعضًا، فما أُجمل في مكان بُيِّنَ في مكان آخر، وما اختُصِرَ في موضع بُسِطَ في موضع آخر..

كما قال تعالىٰ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [سورة القيامة: ١٧-١٩]، فالحالة الأولىٰ: جمعه في صدره، والثانية: تلاوته، والثالثة: تفسيره وإيضاح معناه.

قال ابن عباس وعطية العوفي في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٩] (**تبيين حلاله وحرامه**)، وكذا قال قتادة(١).

ولذا ألف بعض أهل العلم تفسيرًا واعتمد فيه علىٰ تفسير الآيات بعضها للبعض الآخر، وسماه: (**إيضاح القران بالقران**).

وأما الثانية: وهي عندما يراد معرفة تفسير آية بعينها أو آيات أو سورة من السور، ولا شكَّ في فائدة ذلك، ولكنَّها ليست مثل الأولىٰ أو الحالة التالية.

الحالة الثالثة: وهي أخص من الأولىٰ وأعم من الثانية فمن أراد معرف معنىٰ ما ورد في كتاب الله فالأولىٰ به أن يتتبعه في جميع القرآن حتىٰ يتضح له جميع معانيه ومراد الله فيه، ويتضح هذا أكثر..

عندما يريد مثلًا معرفة مقصود الله عَزَّوَجَلَّ من إقامة الصلاة وكيفية ذلك، ومن المعلوم أنه لم يأتِ في القران الأمر بأدائها وإنما الأمر بإقامتها فسوف تجد:

أولًا: الأمر بأدائها في قوله تعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢]..

ثانيًا: أداؤها في وقتها كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: ١٠٣]..

ويسبق ذلك التطهر لها، في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨ / ٢٧٩).

﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ [المائدة: ٧].

واستقبال القبلة في قوله تعالىٰ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وأخذ الزينة لها في قوله تعالىٰ: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

ثالثًا: ذم الله عز وجل المنافقين الذين يستعجلون في صلاتهم ولا يطمئنون فيها ولا يفعلونها إلا مراءاة للناس..

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢]، وهذا فيه دليل علىٰ أن من إقامتها الإتيان بأركانها وواجباتها وتكميل ذلك بمستحباتها..

ولذا قال تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٤، ٥]..

قال أبو العالية: (لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها)[1]..

وقال أبو العالية أيضًا: (هو الذي إذا سجد قال برأسه هكذا وهكذا ملتفتًا)[2]..

وقال القرطبي في الجامع[3]: (ويدل علىٰ هذا قوله تعالىٰ: ﴿۞ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ [مريم: ٥٩].. وَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مُخَيْمِرَةَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: هِيَ إِضَاعَةُ أَوْقَاتِهَا، وَعَدَمُ الْقِيَامِ بِحُقُوقِهَا، وَهُوَ الصَّحِيحُ، وَأَنَّهَا إِذَا صُلِّيَتْ مُخَلًّىٰ بِهَا لا تَصِحُّ وَلا تُجْزِئُ، لِقَوْلِهِ ﷺ لِلرَّجُلِ الَّذِي صَلَّىٰ وَجَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ» خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ)[4].

رابعًا: وهذا يؤدي إلىٰ الخشوع فيها، ولذا مدح الله عز وجل المؤمنين المتصفين بذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ [سورة المؤمنون: ١-٢] الآية، وهذا من القنوت الذي جاء في قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٩﴾ [الزمر: ٩].

---

(١) الكشف والبيان (٣٠/ ٣٣٦).

(٢) الكشف والبيان (٣٠/ ٣٣٦)، وجاء في غيره كالجامع للقرطبي (٢٠/ ٢١١)، والبحر المحيط (٨/ ٥١٨)، منسوبًا لإبراهيم النخعي.

(٣) [٢٠/ ١٩٤].

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (١١ / ١١٢).

قال الإمام ابن تيمية: (وَقَدْ تَنَازَعَ النَّاسُ هَلْ الْأَفْضَلُ طُولُ الْقِيَامِ؟ أَمْ كَثْرَةُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ؟ أَوْ كِلَاهُمَا سَوَاءٌ؟ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ: أَصَحُّهَا أَنَّ كِلَيْهِمَا سَوَاءٌ فَإِنَّ الْقِيَامَ اخْتَصَّ بِالْقِرَاءَةِ وَهِيَ أَفْضَلُ مِنْ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالسُّجُودُ نَفْسُهُ أَفْضَلُ مِنْ الْقِيَامِ فَيَنْبَغِي أَنَّهُ إذَا طَوَّلَ الْقِيَامَ أَنْ يُطِيلَ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ وَهَذَا هُوَ طُولُ الْقُنُوتِ الَّذِي أَجَابَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا قِيلَ لَهُ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «طُولُ الْقُنُوتِ» فَإِنَّ الْقُنُوتَ هُوَ إدَامَةُ الْعِبَادَةِ سَوَاءٌ كَانَ فِي حَالِ الْقِيَامِ أَوْ الرُّكُوعِ أَوْ السُّجُودِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ [الزمر: ٩]، فَسَمَّاهُ قَانِتًا فِي حَالِ سُجُودِهِ كَمَا سَمَّاهُ قَانِتًا فِي حَالِ قِيَامِهِ)(١).اهـ.

خامسًا: والأمر بها جماعة كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢] الآية، وهذا في حال الحرب فكيف في حال السلم، ولذا ذكر الله عز وجل بعد ذلك الأمر بإقامة الصلاة، فقال: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: ١٠٣].

سادسًا: الإخلاص فيها وترك مراءاة الخلق كما تقدَّم في قوله تعالىٰ في سورة النساء: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢] الآية، وكما في سورة الماعون: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ٦، ٧].

سابعًا: مع المداومة علىٰ ذلك كله والمحافظة عليه قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ٢٣]، قال صاحب الكشاف: (فإن قلت: كيف قال: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ٢٣] ثم علىٰ صلاتهم يحافظون؟)(٢).اهـ.

قلت: معنىٰ دوامهم عليها أن يواظبوا علىٰ أدائها لا يخلون بها، ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل، كما روي عن النبي ﷺ: «أفضلَ العملِ أَدْوَمُه وَإِنْ قَلَّ»، وقول عائشة: (كانَ عَمَلُهُ دِيمَةً).. ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا أركانها ويكملوها بسنتها وآدابها، ويحفظوها من الإحباط باقتراف المآثم، فالدوام يرجع إلىٰ أنفس الصلوات والمحافظة إلىٰ أحوالها.

---

(١) الفتاوىٰ الكبرىٰ (٢/ ١٢٠)، وينظر: مجموع الفتاوىٰ (٢٣/ ٦٩).

(٢) [٤/ ٦١٢].

وإذا ضممت إلىٰ هذا ما جاء في السنة النبوية من تفصيل شروطها وأركانها وواجباتها وسننها وكيفية أدائها، وصفة ذلك كما جاء وصف الصلاة عن رسول الله ﷺ، تبيَّنَ لكَ هذا أكثر.

وأما كتب التفسير التي ينبغي الرجوع إليها لفهم القرآن العظيم

فأولاها بالعناية: الكتب التي تفسر القرآن بالقرآن والسنة النبوية ثم بما جاء عن الصحابة والتابعين.

قال أبو العباس ابن تيمية: (**والتفاسير المأثورة عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين مثل: تفسير محمد بن جرير الطبري، وتفسير عبدالرحمن بن إبراهيم المعروف بدحيم، وتفسير عبدالرحمن بن أبي حاتم، وتفسير أبي بكر بن المنذر، وتفسير أبي بكر عبدالعزيز، وتفسير أبي الشيخ الأصبهاني، وتفسير أبي بكر بن مردويه، وما قبل هؤلاء التفاسير مثل تفسير أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم وبقي بن مخلد وغيرهم، ومن قبلهم مثل تفسير عبد بن حميد وتفسير سنيد وتفسير عبدالرازق ووكيع بن الجراح فيها من هذا الباب الموافق لقول المثبتين ما لا يكاد يحصىٰ، وكذلك الكتب المصنَّفة في السنة التي فيها آثار النبي ﷺ والصحابة التابعين**)[1]..

قلت: وهذا متعين؛ لأنه لا يخفىٰ أن عددًا من المفسرين ينقلون تأويلات أهل الابتداع، وتحرف معاني الآيات، ومن ذلك تأويل آيات الصفات، وغير ذلك.

ثانيًا: إنَّ بعض كتب التفسير فيها توسع كبير واستطراد واسع وهذا قد يصد القارئ عن تفهم وتدبر بعض الآيات، وقد قيل عن بعض كتب التفسير: فيها كل شيء إلا التفسير.

قال أبو حيان في البحر المحيط[2]: (**وَهَكَذَا جَرَتْ عَادَتُنَا: أَنَّ كُلَّ قَاعِدَةٍ فِي عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ يُرْجَعُ فِي تَقْرِيرِهَا إِلَىٰ ذَلِكَ الْعِلْمِ، وَنَأْخُذُهَا فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ مُسَلَّمَةً مِنْ ذَلِكَ الْعِلْمِ، وَلَا نُطَوِّلُ بِذِكْرِ ذَلِكَ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ، فَنَخْرُجَ عَنْ طَرِيقَةِ التَّفْسِيرِ، كَمَا فَعَلَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بن عمر الرَّازِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ خَطِيبِ الرَّيِّ، فَإِنَّهُ جَمَعَ فِي كِتَابِهِ فِي التَّفْسِيرِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً طَوِيلَةً، لَا**

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢ / ٢١).

(٢) [١/ ٥٤٧].

حَاجَةَ بِهَا فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ. وَلِذَلِكَ حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْمُتَطَرِّفِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ قَالَ: فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا التَّفْسِيرَ. وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي الْخُطْبَةِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ عِلْمُ التَّفْسِيرِ. فَمَنْ زَادَ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَهُوَ فُضُولٌ فِي هَذَا الْعِلْمِ، وَنَظِيرُ مَا ذَكَرَهُ الرَّازِيُّ وَغَيْرُهُ، أَنَّ النَّحْوِيَّ مَثَلًا يَكُونُ قَدْ شَرَعَ فِي وَضْعِ كِتَابٍ فِي النَّحْوِ، فَشَرَعَ يَتَكَلَّمُ فِي الْأَلِفِ الْمُنْقَلِبَةِ، فَذَكَرَ أَنَّ الْأَلِفَ فِي اللهِ، أَهِيَ مُنْقَلِبَةٌ مِنْ يَاءٍ أَوْ وَاوٍ؟ ثُمَّ اسْتَطْرَدَ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ الْكَلَامِ فِي اللهِ تَعَالَىٰ، فِيمَا يَجِبُ لَهُ وَيَجُوزُ عَلَيْهِ وَيَسْتَحِيلُ، ثُمَّ اسْتَطْرَدَ إِلَىٰ جَوَازِ إِرْسَالِ الرُّسُلِ مِنْهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ النَّاسِ، ثُمَّ اسْتَطْرَدَ إِلَىٰ أَوْصَافِ الرَّسُولِ ﷺ، ثُمَّ اسْتَطْرَدَ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ إِعْجَازِ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ وَصِدْقِ مَا تَضَمَّنَهُ، ثُمَّ اسْتَطْرَدَ إِلَىٰ أَنَّ مِنْ مَضْمُونِهِ الْبَعْثَ وَالْجَزَاءَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، ثُمَّ الْمُثَابُونَ فِي الْجَنَّةِ لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهُمْ، وَالْمُعَاقَبُونَ فِي النَّارِ لَا يَنْقَطِعُ عَذَابُهُمْ. فَبَيْنَا هُوَ فِي عِلْمِهِ يَبْحَثُ فِي الْأَلِفِ الْمُنْقَلِبَةِ، إِذَا هُوَ يَتَكَلَّمُ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَمَنْ هَذَا سَبِيلُهُ فِي الْعِلْمِ، فَهُوَ مِنَ التَّخْلِيطِ وَالتَّخْبِيطِ فِي أَقْصَىٰ الدَّرَجَةِ، وَكَانَ أُسْتَاذُنَا الْعَلَّامَةُ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ إبراهيم بْنِ الزُّبَيْرِ الثَّقَفِيُّ، قَدَّسَ اللهُ تُرْبَتَهُ، يَقُولُ مَا مَعْنَاهُ: مَتَىٰ رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِلُ مِنْ فَنٍّ إِلَىٰ فَنٍّ فِي الْبَحْثِ أَوِ التَّصْنِيفِ، فَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ، إِمَّا لِقُصُورِ عِلْمِهِ بِذَلِكَ الْفَنِّ، أَوْ لِتَخْلِيطِ ذِهْنِهِ وَعَدَمِ إِدْرَاكِهِ، حَيْثُ يَظُنُّ أَنَّ الْمُتَغَايِرَاتِ مُتَمَاثِلَاتٌ، وَإِنَّمَا أَمْعَنْتُ الْكَلَامَ فِي هَذَا الْفَصْلِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ مَنْ يَقِفُ عَلَيْهِ، وَلِئَلَّا يَعْتَقِدَ أَنَّا لَمْ نَطَّلِعْ عَلَىٰ مَا أَوْدَعَهُ النَّاسُ فِي كُتُبِهِمْ فِي التَّفْسِيرِ، بَلْ إِنَّمَا تَرَكْنَا ذَلِكَ عَمْدًا، وَاقْتَصَرْنَا عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِعِلْمِ التَّفْسِيرِ).اهـ..

قلت: ولذا قد تستفيد من الكتب المختصرة في التفسير وغيره أكثر من الكتب المطولة، وذلك لأنك تقف علىٰ معنىٰ الآية مباشرة بلا تطويل فتستفيد معناها أكثر من بعض المطولات التي تشتت القارئ.. كما أن الأولىٰ تجنب الكتب المختصرة جدًا والتي تقتصر علىٰ معاني الكلمات فقط، كتفسير الجلالين.. نعم، لاشك أنه مفيد ولكن فائدته محدودة.

ثالثًا: يستحسن أن يراجع أكثر من تفسير خاصة إذا كان من أهل العلم لأن هذا يساعده علىٰ تدبر الآيات وفهمها لأن كتب التفسير بعضها يكمل بعضا خاصة المنقولة عن السلف.

وقد كان الإمام ابن تيمية يرجع إلىٰ كثير من كتب التفسير في المسألة، قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَقَدْ طَالَعْت التَّفَاسِيرَ الْمَنْقُولَةَ عَنْ الصَّحَابَةِ وَمَا رَوَوْهُ مِنْ الْحَدِيثِ وَوَقَفْت مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ الْكُتُبِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ تَفْسِيرٍ)[١].اهـ..

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٣٩٤).

قلت: وخاصة الكتب التي تعتني باستنباط الفوائد والأحكام من الآيات.

رابعًا: وإذا جمع إلىٰ هذا تدبره للآيات بنفسه ومحاولة معرفة ما دلت عليه مع ما تقدم فإن هذا مفيد جدًّا خاصة إذا تدارسه مع غيره..

كما جاء في الحديث الصحيح «.. **وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ....**» الحديث[(١)]..

ولا يخفىٰ أن كتب التفسير لا تذكر كل شيء وكتاب الله عَزَّوَجَلَّ كنز لا ينضب..

ولذا ذكر ابن القيم أن في سورة يوسف ألف فائدة، حيث قال في الداء والدواء[(٢)]: (**وَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنَ الْعِبَرِ وَالْفَوَائِدِ وَالْحِكَمِ مَا يَزِيدُ عَلَىٰ الْأَلْفِ فَائِدَةٍ، لَعَلَّنَا إِنْ وَفَّقَ اللهُ أَنْ نُفْرِدَهَا فِي مُصَنَّفٍ مُسْتَقِلٍّ**). اهـ

وقد ذكر أهل العلم في التفسير كثير من هذه الفوائد ومما لم يذكر، فيما أعلم:

أن في سجود يعقوب بن إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو نبي كريم ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ دليل علىٰ علو مكانته..

خاصة أن هذا السجود هو لابنه، فيعقوب هو الوالد، والأصل أن التعظيم يكون من الابن للوالد، فلما كان من الوالد للولد فهذا دليل آخر علىٰ مكانة هذا الولد..

هذا مع سجود باقي إخوته، خاصة إذا قيل بنبوتهم[(٣)]..

هذا مع ما جرىٰ عليه من الابتلاء العظيم..

وإذا ضُمَّ هذا مع ما جاء في السنة النبوية، وأعني: حديثَ أبي هريرةَ الَّذِي خَرَّجَهُ البخاري[(٤)]، ومسلم[(٥)]، من طريق: عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ «**أَكْرَمُهُمْ أَتْقَاهُمْ**» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «**فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللهِ**» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «**فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِي**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**فَخِيَارُكُمْ فِي**

---

(١) مسلم (٢٦٩٩) من طريق الاعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة ابه.

(٢) [١/ ٤٨٧].

(٣) وهذا قول ضعيف.

(٤) (٣٣٧٤)

(٥) (٢٣٧٨)

الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا».. وفي رواية عبدة، عن عبيد الله: «**أي الناس أكرم**»..

ووجه الاستدلال من الحديث: قوله ﷺ: إنَّ يوسف هو أكرم الناس، وهو مقابل قوله ﷺ جوابًا لسؤالهم عن أكرم الناس، فقال: اتقاهم، فعندما قالوا: ليس عن هذا نسألك، فظن ﷺ أنهم يريدون أن يُعَيِّنَ لهم شَخْصًا، فقال: يوسف، وهذا كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣]، فظاهر هذا النص أن يوسف عليه السلام أفضل الناس، ويخص من هذا أولي العزم بالإجماع..

قال ابن حجر: (**وَإِنَّمَا أَطْلَقَ عَلَىٰ يُوسُفَ أَكْرَمَ النَّاسِ؛ لِكَوْنِهِ رَابِعَ نَبِيٍّ فِي نَسَقٍ، وَلَمْ يَقَعْ ذَلِكَ لِغَيْرِهِ، فَإِنَّهُ اجْتَمَعَ لَهُ الشَّرَفُ فِي نَسَبِهِ مِنْ وَجْهَيْنِ**)(١).. وقال أيضًا في الفتح(٢): (**وَمَعْنَىٰ قَوْلُهُ أَكْرَمُ النَّاسِ أَيْ مِنْ جِهَةِ النَّسَبِ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ مُطْلَقًا**)..

قلت: وهذا فيه نظر، وذلك أن الرسول ﷺ ظن أنهم يسألون عن أفضل الناس، فقال أتقاهم، ثم لما قالوا ليس عن هذا نسألك، ظن أنهم يريدون التعيين والتسمية، فقال: يوسف، ثم لما علم أنهم يريدون شرف النسب بين لهم، فقال: خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام، فجوابه الأول لم يكن عن شرف النسب.

والقول بهذا متوقف علىٰ النَّصِّ عليه من قِبَلِ أهل العلم، وإلا يتوقف فيه، والله تعالىٰ أعلم.

ومن تدبر القرآن أيضًا يعلم أن إسماعيل أفضل من إسحاق عليهما السلام، والدليل علىٰ ذلك:

أن الله تعالىٰ لم يذكر إسماعيل وإسحاق إلا وبدأ بإسماعيل أولًا، كما قال تعالىٰ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِىۖ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٣]..

وقال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦]..

---

(١) فتح الباري (٦/ ٥٢٨).

(٢) (٨/ ٣٦١)

وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة: ١٤٠]..

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤]..

وقال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: ١٦٣]..

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: ٣٩]..

وذلك أن طريقة القرآن لا تقدم الشخص إلا لأمر، إما لكونه الأفضل وإما لكونه أقدم زمنا وهذا في الغالب..

ولذا ما ذُكِرَ موسىٰ وهارونُ ﷺ إلا وقدَّم موسىٰ ﷺ، إلا ما جَاءَ في سورةِ طه قال تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة طه: ٦٥-٧٠]، وهذا من أجل تناسق أواخر الآيات، كما في قوله ﴿ألقىٰ، تسعىٰ، الأعلىٰ، أتىٰ، موسىٰ﴾..

وأما ما أخرج الترمذي في جامعه(١)، قال: حَدَّثَنَا خَلاَّدُ بْنُ أَسْلَمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصْعَبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيُّ، عَنْ أَبِي عَمَّارٍ، عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ، إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»**. قَالَ أبو عيسىٰ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.اهـ..

---

(١) [٣٦٠٥].

قلت: وأنا أذهب إلىٰ ما ذهب إليه أبو عيسىٰ من صحة هذا الحديث، إلا لفظة: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ، إِسْمَاعِيلَ»، فإن هذه الزيادة تفرد بها محمد بن مصعب، وهو منكر الحديث، ولكن يكتب حديثه، وذلك أنه أُتي من سوء حفظه، وعدم ضبطه، وكان من أهل الصلاح والخير..

وقد جاء هذا الحديث من طرق، وليس فيه هذه اللفظة فأخرجه مسلم(1)، من طريق: الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ أَبِي عَمَّارٍ شَدَّادٍ، أَنَّهُ سَمِعَ وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»..

ورواه أبو المغيرة، وبشر بن بكر، ومحمد بن بشر التنيسي، ومحمد بن كثير، ويزيد بن يوسف -وهو متروك- جميعهم عن الأوزاعي عنه به بهذا اللفظ..

فتبين أن هذه الزيادة منكرة، ولم يُتابع عليها محمد بن مصعب.

ومن ذلك: ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ④﴾ [التحريم: ٤].

فيلاحظ أن الله تعالىٰ بعد أن ذكر ذاته المقدسة ابتدأ بجبريل ﷺ، ثم صالح المؤمنين وهم الصحابة ﷺ، ثم ذكر بعد ذلك الملائكة ﷺ، وتقديم جبريل علىٰ غيره يدل علىٰ علو مكانته، وأنه أفضل ممن ذُكِرَ بَعْدَه، ويؤيد هذا أن الله ﷻ ذكر صالح المؤمنين بينه وبين الملائكة ولم يعطف الملائكة علىٰ جبريل والأصل أن يذكروا معه كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النبأ: ٣٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤].

فتبين مما تقدم تميزه ومكانته علىٰ غيره..

ويؤيد هذا ما جاء في غير ما موضع من كتاب الله المبين، منها قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

ولا يخفىٰ أن جبريل ﷺ هو أمينه علىٰ وحيه ورسوله بينه سبحانه وبين أنبيائه من خلقه وهو كبير ملائكته..

---

(١) [٥٨].

كما أخرج أبو داود[(١)]، وابن خزيمة في التوحيد[(٢)]، وابن حبان[(٣)]، وغيرهم من طريق: أَبِي مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ مُسْلِمٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَىٰ الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» قَالَ: «فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الْحَقَّ، فَيَقُولُونَ: الْحَقَّ، الْحَقَّ».

وقد رجح الدارقطني والخطيب البغدادي وقفه[(٤)]، وهو ظاهر صنيع البخاري حيث علقه مجزومًا به - قبل حديث [٧٤٨١] - عن ابن مسعود رضي الله عنه من قوله، لكن له حكم الرفع.

وفي هذا الخبر رجوع الملائكة إلىٰ جبريل عليه السلام في هذا الأمر العظيم.

وقد جاء النص علىٰ هذا صراحة في خبر آخر، ولكنه لا يصح.

أخرجه ابن أبي عاصم[(٥)]، وابن نصر في تعظيم قدر الصلاة[(٦)]، وابن جرير[(٧)]، وابن خزيمة[(٨)]، وغيرهم، كلهم من طريق: نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ، حَدَّثنا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي زَكَرِيَّا، عَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ، عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُوحِيَ بِأَمْرٍ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، فَإِذَا تَكَلَّمَ أَخَذَتِ السَّمَاوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ مِنْ خَوْفِ اللهِ عز وجل، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ، صُعِقُوا وَخَرُّوا سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، فَيَنْتَهِي بِهِ جِبْرِيلُ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ قَالَ أَهْلُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: قَالَ الْحَقَّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، قَالَ: فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ بِهِمْ جِبْرِيلُ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»[(٩)].

---

(١) [٤٧٣٨].

(٢) [١/ ٣٥٠].

(٣) [٣٧].

(٤) العلل (٨٥٢)، تاريخ بغداد (١١/ ٣٩٢). وينظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٤٣٤)، وفتح الباري تحت حديث (٧٤٨١).

(٥) [٥١٥].

(٦) [٢١٦].

(٧) [٢٠/ ٣٩٧].

(٨) [١/ ٣٤٨].

(٩) قال أبو زرعة الدمشقي بعد أن رواه: عرضت هذا الحديث علىٰ دحيم فقال: لا أصل له. =

ومن المعلوم مكانة الرسل وعلو منزلتهم، وجبريل أحدهم كما تقدم، والأدلة علىٰ ذلك كثيرة من الكتاب والسنة.

وكما أن هذه الآية فيها تقديم صالح المؤمنين علىٰ بقية الملائكة، ففيها دليل لمن يقول بتفضيل صالح المؤمنين علىٰ الملائكة والخلاف في هذه المسألة معلوم.

تنبيه:

بعض الناس يقول عن رسول الله ﷺ بأنه أفضل الخلق، والذي ثبت في السنة قوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم...**» أخرجه مسلم[١]، من طريق أبي عمار، قال: حدثني عبدالله بن فروخ، حدثني أبو هريرة ا فذكره، فرسول الله ﷺ لاشك أنه أفضل البشر، وأما كونه أفضل الخلق فهذا لم يأتِ النص عليه، والله تعالىٰ أعلم.

والله عَزَّوَجَلَّ عندما يذكر في كتابه العظيم (إسماعيل) و(إسحاق) في آية واحدة، فإنه يبدأ بذكر إسماعيل أولًا، وقد استُفيد من هذا أمران:

الأول: أن إسماعيل هو الأكبر، ويدل علىٰ ذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ غالبًا يذكر قصة نوح بعد آدم، وأنه عندما يذكر أولي العزم يبدأ بنوح، وذلك لتقدمه عليهم من حيث الزمان، ولذا فإن القول المجزوم به أن إدريس بعد نوح، وليس العكس، حتىٰ قيل أن إدريس من آباء نوح، كما ذهب إلىٰ هذا جمع من أهل العلم، وهو قول أهل الكتاب، والصواب خلاف ذلك لبضعة عشر دليل ذكرتها في غير هذا الموضع[٢].

وأيضًا فإنه سبحانه عندما يذكر هودًا يذكر بعده صالح، ولا يقدم صالحًا عليه، وذلك لتقدمه زمنًا، ويعقوب يُذكر بعد إسحاق، ولهذا نظائر، ويؤكد ذلك ما في سورة الصافات في قوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ١٠١﴾ [سورة الصافات: ١٠٠-١٠١] إلىٰ أن قال: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ١٠٣

= ينظر: تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ١٦١).

وعد المزي في التهذيب (٩/ ١٥٢) رواية رجاء بن حيوة، عن النَّواس إنما هي من وجهٍ ضعيف.

ونص المعلمي علىٰ أنه منكر سندًا، لا متنًا.

ينظر: التنكيل ترجمة (٢٥٨) حديث رقم (٣).

(١) [٢٢٧٨].

(٢) انظر: رسالة الأدلة الصائبة علىٰ تقدم نوح علىٰ إدريس.

وَنَادَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [سورة الصافات: ١٠٣-١١٣]، **والشاهد من هذا**: أن الله عَزَّوَجَلَّ بعد أن ذكر قصة الذبح قال سبحانه: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ فدل هذا على أن الذي تقدم ذكره ليس بإسحاق، فيكون هو إسماعيل[(١)].

الثاني: أن إسماعيل أفضل من إسحاق، ويدل على هذا أنه سبحانه لم يذكر موسى وهارون إلا ويقدم موسى، وذلك لأنه هو الأفضل، إلا في موضع واحد في القرآن، مع أن هارون أكبر سنًّا من موسى عَلَيْهِمَالسَّلَامُ.

أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره[(٢)]، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾، قال: (**كان هارون أكبر من موسى، ولكن إنما وهب له نبوته**).

وقال في موضع آخر[(٣)]: حدثنا علي بن الحسين، ثنا محمد بن عيسى، ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبدالله بن أبي نجيح، عن مجاهد قال: (**لقد ذكر لي أنه كان ليأمر بالقصب فيشق حتى يجعل أمثال الشفار، ثم يصف بعضه إلى بعض، ثم يؤتى بحبالى من بني إسرائيل، فيوقفن عليه، فيجز أقدامهن، حتى إن المرأة منهن لتمصع بولدها فيقع بين رجليها، فتظل تطؤه وتتقي به حد القصب عن رجليها لما بلغ من جهدها، حتى أسرف في ذلك وكاد يفنيهم، فقيل له: أفنيت الناس وقطعت النسل، وإنما هو خولك وعمالك فتأمر بأن يقتل الغلمان عامًا، ويستحيوا عامًا فولد هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ في السنة التي يستحي فيها الغلمان، وولد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في السنة التي فيها يذبحون وكان هارون أكبر منه بسنة**).اهـ

---

(١) ينظر: الزهد لابن أبي عاصم (٣٩١)، تفسير ابن جرير (٢١/ ٨٦)، أخبار مكة (٥/ ١٣٦)، الذخيرة (٤/ ١٦٠)، مجموع الفتاوي (٤/ ٣٣١)، منهاج السنة (٥/ ٣٥٣)، الرد على المنطقيين (٥١٧)، مختصر الفتاوى المصرية (٥٢٣)، فتاوى السبكي (١٠٢)، زاد المعاد (١/ ٧١)، إغاثة اللهفان (٢/ ٣٥٤)، تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢)، فتح الباري (٢/ ٣٧٨)، الفروع (٦/ ٢٨٨)، الإنصاف (١٠/ ٤١٠)، كتاب الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح وهو كتاب قيم، وقد استوفى أدلة القول الراجح.

(٢) [١٤٢٠٦].

(٣) [١٦٦٧٤].

وقال ابن جرير[١]: حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن داود، عن عكرمة، قال: قال ابن عباس: قوله ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ۝٥٣﴾ [مريم: ٥٣] قال: (**كان هارون أكبر من موسىٰ، ولكن أراد وهب له نبوَّته**)[٢].

ومن أمثلة تدبر القرآن أيضًا ما يتعلق بذي القرنين، هل هو نبي أو رجل صالح؟

علىٰ قولين لأهل العلم، وظاهر القرآن العظيم يدل علىٰ أنه نبي، وذلك في موضعين:

الموضع الأول: قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ [الكهف: ٨٦] إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۝٨٨﴾ [الكهف: ٨٨].

وجه الاستدلال في الآية من جهتين:

الجهة الأولى: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ وهذا وحي، لأن الله عَزَّوَجَلَّ أوحىٰ إليه، فقال له: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ.....﴾، ولا يخفىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ إذا أوحىٰ إلىٰ شخص فهذا دليل علىٰ نبوته، ويؤيد هذا أن الله عَزَّوَجَلَّ قد خيره بتعذيب هؤلاء أو بتركهم، وظاهر هذا أنه قد أوحي إليه بشرع، والشرع لا يكون إلا للنبي أو الرسول.

الجهة الثانية: ظاهر التخيير أنه شرع.

الموضع الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧]، إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ۝٩٨﴾ [الكهف: ٩٨].

وجه الدلالة: أنَّ ذي القرنين أخبر عن شيء يقع في المستقبل، وهو أن من خلف هذا السد لا يستطيعون علىٰ الخروج منه بنقبه حتىٰ يأتي الموعد الذي حدده الله تعالىٰ، وهذا الأمر الغيبي لا يكون إلا بوحي؛ لأنه لم يقل مثلًا: (**أرجو أن لا يستطيعوا نقبه**)، أو (**لعل**)، وإنما جزم ببقاء هذا السد حتىٰ يأتي موعود الله.

الموضع الثالث: ما أعطاه الله تعالىٰ من القدرات، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ۝٨٤﴾ [الكهف: ٨٤]، ثم لم يقتصر علىٰ هذا الأمر فقط بالنسبة لذي القرنين، بل يضاف إلىٰ ذلك إقدار الله تعالىٰ له علىٰ بناء هذا السد العظيم، وتسليط الله له علىٰ من كان في شرق الأرض وغربها بدعوتهم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ..

---

(١) [١١/٢١١ ١٨].

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١١/١٩٣)، وغيره.

وقد يقول قائل: إن بلقيس أوتيت من كل شيء، ولم يقل أحد أنها نبيه!، فأقول وبالله التوفيق: إن الله تعالىٰ قال عن بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ﴾ [النمل: ٢٣] بصيغة المبني للمجهول، بخلاف ذي القرنين، فإن الله أسند هذا لنفسه، والله أعلم.

وقد قال القرطبي في تفسيره(١): (قوله تعالىٰ: ﴿قُلْنَا يَذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ﴾ [الكهف: ٨٦] قال القشيري أبو نصر: إن كان نبيًا فهو وحي، وإن لم يكن نبيًا فهو إلهام من الله تعالىٰ).

قلت: والصواب أنه وحي لأن هذا هو نص القرآن، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْنَا﴾، ثم من المعلوم أنه لا يجوز للإنسان أن يقتل بمجرد إلهام، لأنه ما الذي يدريه لعل هذا أن يكون إلهامًا من الشيطان!.

ثم قال أبو عبدالله القرطبي: (﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ [الكهف: ٨٦]، قال إبراهيم ابن السري: خيره بين هذين كما خير محمدًا ﷺ فقال: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ٤٢]، ونحوه.. وقال أبو إسحاق الزجاج: المعنىٰ أن الله تعالىٰ خيره بين هذين الحكمين.. قال النحاس: وردّ علي بن سليمان عليه قوله، لأنه لم يصح أن ذا القرنين نبي فيخاطب بهذا، فكيف يقول لربه عز وجل: ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف: ٨٧]؟، وكيف يقول: ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ [الكهف: ٨٧] فيخاطب بالنون؟ قال: التقدير، قلنا يا محمد قالوا يا ذا القرنين).اهـ

قلت: وهذا تأويل وخروج عن ظاهر النص فلا يلتفت إليه.

قال القرطبي: (أما قوله: ﴿قُلْنَا يَذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ﴾ [الكهف: ٨٦] فيجوز أن يكون الله عز وجل خاطبه علىٰ لسان نبي في وقته، ويجوز أن يكون قال له هذا كما قال لنبيه: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]).

قلت: والثاني هو الصحيح كما تقدم؛ لأن نص القرآن هو أنه خاطبه مباشرة، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْنَا﴾.

وقد يقول قائل: هناك من أوحىٰ الله عز وجل إليهم ومع ذلك فهم ليسوا بأنبياء، بل إن هناك من نزل عليهم جبريل وهم ليسوا بأنبياء، فما الجواب عن هذا؟

فأقول وبالله تعالىٰ التوفيق: أما الأول فالمقصود به أم موسىٰ عليه السلام، وذلك بقوله تعالىٰ:

---

(١) [١١/ ٥٢].

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص: ٧]، فالجواب عن ذلك أنه قد نُقل الإجماع على أن الأنبياء لا يكونون إلا رجالًا كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾ [يوسف: ١٠٩]، ولم يخالف في ذلك إلا قلة، كأبي محمد ابن حزم، وقد أخطأ(١).

ثانيًا: أن هذا الوحي لأم موسىٰ إنما هو في أمر خاص، وذلك في إلقاء موسىٰ ﷺ في اليم، بخلاف ما حصل لذي القرنين فهو في أمر عام، وبهذا يجاب أيضًا عن الذي حصل لمريم، فإن جبريل إنما نزل عليها لأمر يختص بها، وبالله التوفيق.

---

(١) حيث ذهب أبو بكر التجيبي القبري - جد الباجي - وأبو محمد ابن حزم و أبو العباس وأبو عبدالله القرطبيان إلىٰ وقوع النبوة في جنس النساء، ولم يختلفوا في نبوة مريم، ومنهم من حصرهن في ست: حواء، وسارة، وهاجر، وأم موسىٰ، وآسية، ومريم، ومنهم من أخرج سارة وهاجر.

وهذا قول ضعيف، وقد ذكر النووي في الأذكار (١١٩) عن أبي المعالي الجويني أنَّه نقل الإجماع علىٰ أنَّ مريم ليست نبية.

وبعضهم نسبه إلىٰ أبي الحسن الأشعري، ولا أظنه يثبت عنه، إذ قال أبو العباس ابن تيمية في الصفدية (١/ ١٩٨): (وقد حكىٰ الإجماع علىٰ انه لم يكن في النساء نبية غير واحد كالقاضي أبي بكر بن الطيب والقاضي أبي يعلىٰ وأبي المعالي الجويني وخلاف ابن حزم شاذ مسبوق بالإجماع فإن دعواه أن أم موسىٰ كانت نبية هي ومريم قول لا يعرف عن أحد من السلف والأئمة).

وذكر تلميذه العماد ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٥٩): «والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبيًّا إلا من الرِّجال قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يُوسُفَ: ١٠٩]. وقد حكىٰ الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله الإجماع علىٰ ذلك».

وقال أيضًا (٤/ ٤٢٣): (الذي عليه أئمة أهل السنة والجماعة، وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي ابن إسماعيل الأشعري عنهم: أنه ليس في النساء نبيةٌ، وإنما فيهن صدِّيقاتٌ).

وجاء في تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٣٤٢)، والتفسير البسيط (٢/ ٦٣٨) عن الحسن البصري: (لم يبعث الله من نبيا من أهل البادية).

ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٩٣)، الوجيز للواحدي (١/ ٥٦٢)، النكت والعيون (٣/ ٨٨)، المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم (٦/ ٣١٥)، الفصل في الملل والنحل (٥/ ١٢)، المحرر الوجيز (١/ ٤٣٤)، الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٨٢)، مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٣٩٥)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٣٩٧)، أنوار التنزيل (٢/ ١٦)، البحر المحيط (٢/ ٤٥٦)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٥٨)، فتح الباري (٦/ ٤٤٦)، اللباب في علوم الكتاب (٥/ ٢١٤)، إرشاد العقل السليم (٢/ ٣٥)، لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٦٦)، فيض القدير (٢/ ٥٣)، فتح القدير (٣/ ٨٢)، التحرير والتنوير (١٧/ ١٣٧).

فَصْلٌ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ الَّتِي يُسْتَعَانُ بِهَا عَلى تَدَّبُرِ القُرْآنِ الكَرِيْمِ

من أحسن كتب التفسير التي تعين على ذلك تفسير محمد بن جرير الطبري.

قال الإمام أبو العباس ابن تيمية: (**وَأَمَّا التَّفَاسِيرُ الَّتِي فِي أَيْدِي النَّاسِ فَأَصَحُّهَا تَفْسِيرُ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطبري، فَإِنَّهُ يَذْكُرُ مَقَالاتِ السَّلَفِ بِالأَسَانِيدِ الثَّابِتَةِ، وَلَيْسَ فِيهِ بِدْعَةٌ، وَلا يَنْقُلُ عَنْ الْمُتَّهَمِينَ كَمُقَاتِلِ بْنِ بَكِيرٍ وَالْكَلْبِيِّ**)[(١)].

وهذا الذي ذكره يكاد يكون محل اتفاق بين أهل العلم إلا ما جاء عن أبي محمد بن حزم فقد قدَّم تفسير بقي بن مخلد على ابن جرير، فقال: (**وَفِي تَفْسِير الْقُرْآن كتاب أبي عبد الرَّحْمَن بَقِي بن مخلد فَهُوَ الْكتاب الَّذِي اقْطَعْ قطعا لَا اسْتثْنِي فِيهِ أَنه لم يؤلف فِي الْإِسْلَام تَفْسِير مثله وَلَا تَفْسِير مُحَمَّد بن جرير الطَّبَرِيّ وَلَا غَيره**)[(٢)].

قلتُ: قد قال هذا أيضًا في تقديم مسند بقي على غيره، فقال: (**وَمِنْهَا فِي الحَدِيث مُصَنفه الْكَبِير الَّذِي رتبه على أسماء الصَّحَابَة رَضِي الله تَعَالَىٰ عَنْهُم، فَرُوِيَ فِيهِ ألف وثلثمائة صَاحب ونيف، ثمَّ رتب حَدِيث كل صَاحب على أسماء الْفِقْه وأبواب الْأَحْكَام فَهُوَ مُصَنف ومسند، وَمَا أعْلَمُ هَذِه الرُّتْبَة لأحد قبله مَعَ ثقته وَضَبطه وإتقانه واحتفاله فِي الحَدِيث وجودة شُيُوخه، فَإِنَّهُ روى عَن مِائَتي رجل وأربعة وَثَمَانِينَ رجلا لَيْسَ فيهم عشرَة ضعفاء وسائرهم أعلام مشاهير**)[(٣)].

وقال هذا أيضًا في تقديم مصنف بقي على غيره، فقال: (**وَمِنْهَا مُصَنفه فِي فضل الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ وَمن دونهم الَّذِي أربى فِيهِ على مُصَنف أبي بكر بن أبي شيبَة ومصنف عبد الرَّزَّاق بن همام ومصنف سعيد بن مَنْصُور وَغَيرهَا وانتظم علما عَظِيما لم يَقع فِي شَيْء من هَذِه فَصَارَت تآليف هَذَا الامام الْفَاضِل قَوَاعِد الْإِسْلَام لَا نَظِير لَهَا وَكَانَ متخيرا لَا يُقَلِّدُ أحدًا**)[(٤)].

قلت: وهذا فيه نظر، أما ما يتعلق بمسند بقي فقد قال ابن كثير في البداية والنهاية[(٥)]: (**وَقَدْ فَضَّلَهُ ابْنُ حَزْمٍ عَلَىٰ مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَعِنْدِي فِي ذَلِكَ نَظَرٌ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ مُسْنَدَ أَحْمَدَ أَجْوَدُ**

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٨٤).

(٢) فضائل الأندلس وأهلها (١/ ١٢).

(٣) فضائل الأندلس وأهلها (١/ ١٣).

(٤) فضائل الأندلس وأهلها (١/ ١٣).

(٥) [١٤/ ٦٢١].

مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ هُوَ بِبِلَادِهِمْ، وَلَا وَقَعَ لَهُمْ رِوَايَتُهُ، وَلَوِ اطَّلَعَ عَلَيْهِ وَوَقَفَ عَلَىٰ مَا فِيهِ لِمَا فَضَّلَ عَلَيْهِ مُسْنَدًا مِنَ الْمُسْنَدَاتِ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَقِيٌّ قَدْ سَمِعَ مِنْ أَحْمَدَ جَمِيعَ الْمُسْنَدِ، وَزَادَ عَلَيْهِ، كَمَا قَدْ يَسَّرَ اللهُ مِنَ الزِّيَادَاتِ الَّتِي أَلْحَقْنَاهَا بِمُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ).اهـ

قلت: وأنا أذهب إلىٰ هذا وقد تكلمت بشيء من التفصيل علىٰ ذلك في مقدمة الأربعين الثلاثية من المسند[١].

قال أبو الحسن ابن عساكر: (**فكان أكبر الكتب التي جمعت فيه مما وقع إلينا وأعلاها سندًا إلىٰ مصنفه مما حصل لدينا مسند أبي عبدالله أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللهُ...)[٢].

وأما تقديمه لمصنفه في فضائل الصحابة علىٰ مصنف أبي بكر بن أبي شيبة، ومصنف عبدالرزاق بن همام، ومصنف سعيد بن منصور، فهذا فيه نظر أيضًا، وإن لم أقف علىٰ كتاب بقي.

والدليل علىٰ ذلك أن أبا محمد بن حزم لم يعتمد في كتابه المحلىٰ ولا غيره -علىٰ ما وصل إلينا- علىٰ كتب بقي، وإنما في الغالب يعتمد علىٰ كتاب البخاري ومسلم والنسائي، ومثله أبو عمر بن عبد البر، فأين كتب بقي التي أربت علىٰ غيرها؟.

وما قيل هنا: يقال أيضًا في تقديمه تفسير بقي علىٰ تفسير ابن جرير، ولولا أن ابن حزم ذكره - أي تفسير بقي - لما عُلم أصلًا أن بقي له تفسير، وذلك لعدم النقل عنه، واستفادة الأمة منه، وعلىٰ رأسهم ابن حزم..

والذي يظهر والله أعلم أن تفسير ابن جرير يقدَّم عليه، ولعل ابن حزم يقصد بالتقديم قوة أسانيده وأنها راجحة علىٰ أسانيد ابن جرير وهذا ممكن، ولكن تبقىٰ هذه جزئية، فالخصائص التي تميز بها تفسير ابن جرير كثيرة، والله تعالىٰ أعلم.

وبناء علىٰ ما تقدم يحسن الرجوع إلىٰ هذا التفسير في تدبر كلام الله، ومعرفة معانيه، ولكن هناك بعض العوائق التي قد تُصعب الرجوع إليه، منها كبر حجمه[٣].

---

(١) مقدمة الأربعين الثلاثية (٦٣).

(٢) ترتيب أسماء الصحابة الذين أخرج حديثهم أحمد في المسند [٢٩].

(٣) مع أن المصنف قد اختصره، حيث أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلىٰ وقتنا؟، قالوا: كم قدره؟، فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنىٰ الأعمار قبل تمامه! فقال: إنا لله! ماتت الهمم، فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ولما أن أراد أن يملي التفسير قال لهم نحوًا من ذلك، ثم أملاه علىٰ نحو من قدر التاريخ. ينظر: سير أعلام النبلاء [١٢/ ٢٧٤].

ومنها ما ذكره الأستاذ محمود شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة تحقيقه[1]، بقوله: (كان يستوقفني في القراءةِ، كثرةُ الفُصُول في عبارته، وتباعُد أطراف الجُمَل، فلا يسلم لي المعنىٰ حتىٰ أعيد قراءة الفقرة منه مرتين أو ثلاثًا، وكان سبب ذلك أنّنا أَلِفنَا نهجًا من العبارة غيرَ الذي انتهج أبو جعفر، ولكن تبيَّن لي أيضًا أن قليلًا من الترقيم في الكتابِ خليقٌ أن يجعَل عبارته أبينَ، فلما فعلتُ ذلك في أنحاءٍ متفرقة من نسختي، وعدتُ بعدُ إلىٰ قراءتِها، وجدتُها قد ذهب عنها ما كنت أجد من المشقَّة).اهـ

قلت: وهذا ما جعل جمعًا من أهل العلم في القديم والحديث إلىٰ محاولة اختصار هذا التفسير لتقريبه للناس..

ومنهم الابن: إسلام بن منصور بن عبد الحميد، فقام باختصاره وذلك بتجريد التفسير من كل ما فيه سوىٰ كلام ابن جرير، وضم بعضه إلىٰ البعض الآخر، مع المحافظة علىٰ عبارته ولفظه.

ولعله بصنيعهِ هذا يكون من أحسن من اختصر هذا الكتاب فجزاه الله خيرًا وبارك فيه ونفع به الإسلام والمسلمين.

وأخيرًا: فإني أشكر..

الدكتور: فَيْحَان بْن نايف البُصَيِّص، والشيخ: مُضْحِي بن عبيد الشَّمْرِي..

فقد أمليت عليهما كتابةَ هذه المقدمة.. وبالله التوفيق.

أملاه:

عبد الله بن عبد الرحمن السعد

١٠/ ٤/ ١٤٣٧هـ

---

(١) [١/ ١١].

مقدّمةُ المؤلِّف (المُختَصِر)

الحمدُ للهِ القائلُ في كتابِهِ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٧٨]..

وصلِّ اللهمَّ وسلِّم علىٰ نبيِّنا محمدٍ، القائلِ: «**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ**»، وجاءَ من طُرُقٍ ضَعيفةٍ «**واختُصِر لي الحديثُ اختصارًا**»..

يعني: أنَّ اللهَ ﷻ جَمَعَ له المعانيَ الكثيرةَ فِي الألفاظِ القليلةِ..

وهذا فِي الوحْيَيْنِ علىٰ السَّواءِ، القرآنِ والسُّنَّةِ..

وَمِنْ هُنَا اجْتَهَد العُلماءُ في بَيانِ هذهِ المعاني والفوائدِ التي يَدُلُّ عليها نَصُّ الوَحيين..

وقد كَثُرَتْ هذه المعاني كثرةً عظيمةً موزعةً بين العلوم الشرعية، أُصُوْلِهَا وَفُرُوعِهَا..

مِنْ معانٍ عقديةٍ وفقهيةٍ، إلىٰ معانٍ أُصوليةٍ ولُغويةٍ، إلىٰ غيرِ ذلكَ من المعاني في مختلَفِ العُلُومِ الشَّرعيَّةِ..

إلَّا أنَّ طالبَ العِلمِ المُنتهي، بل والمبتدي، بل والمسلمُ، لا يَسَعْهُ إلا أنْ يعلمَ أصولَ هذهِ المعاني..

أعني الحدَّ الأدنىٰ الذي ينبغي أنْ يقفَ عليه كلُّ مُسْلِمٍ من معاني الوحيين..

إلا أنَّ هذا الحدَّ الأدنىٰ المتعلِّقَ بمعاني القرآنِ قد غَرَقَ في بِحَارِ علومِ القرآنِ وكتبِ التفسيرِ المختلِفَةِ..

وَمِن هُنَا كانتِ الحَاجَةُ إلىٰ الغَوصِ في هِذِه الكتبِ لِإتْيانِ مَا لَا يَسْتَغْنِي عَنْ مَعْرِفَتِهِ كلُّ مُسْلِمٍ مِنْ مَعَانٍ لا يسعُ المُكَلَّف أَنْ يَجْهَلَهَا..

وقدْ اجتهَدَ العلماءُ في مختلَفِ عصورِ الإسلامِ إلىٰ وقتِنا هذا في تَحقيقِ هذهِ الغايَةِ..

إلا أنَّ الحَاجَةَ لا تزالُ ملحةٌ رَغْمَ كَثْرَةِ التَّجارِبِ في هذا المَجَالِ..

وحتىٰ يتضحَ مَدَىٰ هَذِهِ الحاجةُ فَلابُدَّ مِنْ بَيَانِ مفهومِ الاختصارِ، وأسبابِه، وأنواعِه، وشروطِه، وفوائدِه، وعيوبِه، وآثارِه..

ثمَّ بيانِ فائدةِ اختصارِ تفسير الطبري والحاجةِ الماسَّةِ لِذَلِكَ..

ثم بيانِ فائدةِ مختصرات الطبري الذي بين أيدينا، وخاصةً هذا المختَصَر، وَمَا الَّذي يُمَيِّزه عَن هَذِهِ المختصراتِ، والمنهجِ الَّذي سلكتُه فِيهِ..

ولتحقيقِ بعضِ هذِه المقاصِدِ وغيرِها اطَّلعتُ علىٰ كِتابين مِن أنفسِ ما كُتِبَ في هَذَا المَوضوعِ وهُمَا:

(**الاختصارُ في التَّفسيرِ**)، للشيخ علي بن سعيد بن محمد العَمري.

و(**التفاسير المختصرة**)، للدكتور محمد بن راشد بن محمد البَرَكَة.

وبعد الاطِّلاع عليهِمَا استخلصْتُ مِنْهُمَا بعضَ المسائلِ جَمَعْتُهَا إِلىٰ غَيرِهَا مما يتعلَّقُ بمقدِّمةِ هذا الكِتَابِ..

وقبل بيان هذه المسائل أود أن أنبه علىٰ أمر هام..

إن هذا الكتاب (**مختصر تفسير الطبري**) هو عملي الثالث في خدمتي لـ(**تفسير الطبري**)، وهي بحسب تاريخ التأليف:

- **الأول**: تخريج آثار تفسير الطبري كاملة، مع الحكم عليها صحةً وضعفًا، وقد نشرته دار الحديث بالقاهرة، في ١٢ مجلد.

- **الثاني**: هذا المختصر، ويقع في ثلاثة مجلدات، وفيها خلاصة التفسير.

- **الثالث**: (نوادر وفوائد من تفسير الطبري) في مجلد صغير، وفيه فوائد نادرة من التفسير، أفردتها في مصنف مرتبة علىٰ الأبواب.

وهذه الكتب الثلاثة، هي عبارة عن تدرج لقراءة تفسير الطبري، علىٰ عكس تاريخ التأليف..

فيُبدأ أولًا بـ (**نوادر الفوائد**)، ثم بـ (**المختصر**)، ثم بـ (**التفسير الأصل**).

والآن..إلىٰ مسائل هذه المقدمة..

الأولى: ترجمة مختصرة للإمام الطبري

لقد ترجمت للإمام ترجمة مطولة في مقدمتي ضمن خدمتي لتفسيره نشرة دار الحديث..

والآن يتناسب ذكر ترجمة مختصرة لهذا المختصَر، اختصرتها من سير أعلام النبلاء، ولمن أراد المزيد فليرجع إلىٰ الأصل.

هو مُحَمَّدُ بنُ جَرِيْرِ بنِ يَزِيْدَ بنِ كَثِيْرِ الطَّبَرِيُّ..

الإِمَامُ، العَلَمُ، المجتهدُ، عَالِمُ العَصر، أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ البَدِيْعَة، مِنْ أَهْلِ آمُل طَبَرِسْتَان..

مَوْلِدُه: سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِيْنَ وَمائَتَيْنِ (٢٢٤هـ)..

وَطَلَبَ العِلْمَ بَعْد الأَرْبَعِيْنَ وَمائَتَيْنِ(٢٤٠هـ) وَأَكْثَرَ التَّرحَال، وَلقِي نُبَلاَءَ الرِّجَال، وَكَانَ مِنْ أَفرَاد الدَّهْر عِلْمًا، وَذكَاءً، وَكَثْرَةَ تَصَانِيْف، قلَّ أَنْ تَرَىٰ العُيُونُ مثلَه، وَاستقرَّ فِي أَوَاخِرِ أَمره بِبَغْدَادَ، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ أَئِمَّةِ الاجْتِهَاد...

كتبَ بِمِصْرَ، وَرَجَعَ إِلَىٰ بَغْدَادَ، وَصَنَّفَ تَصَانِيْف حسنَةً تَدُلُّ عَلَىٰ سَعَة عِلْمِهِ..

وَقَالَ الخَطِيْبُ: مُحَمَّدُ بنُ جَرِيْرِ بنِ يَزِيْدَ بنِ كَثِيْرِ بنِ غَالِب: كَانَ أَحَدُ أَئِمَّةِ العُلَمَاء، يُحكم بِقَوله، وَيُرجع إِلَىٰ رأيِهِ لِمَعْرِفَتِهِ وَفَضْله، وَكَانَ قَدْ جَمَعَ مِنَ الْعُلُوم مَا لَمْ يُشَارِكْهُ فِيْهِ أَحد مِنْ أَهْلِ عَصْره، فكَانَ حَافِظًا لكتَاب الله، عَارِفًا بِالقِرَاءات، بَصِيْرًا بِالمَعَانِي، فَقِيْهًا فِي أَحْكَام القُرْآن، عَالِمًا بِالسُّنَنِ وَطُرُقِهَا، صَحيحِهَا وَسَقِيمِهَا، وَنَاسِخِهَا وَمَنْسوخِهَا، عَارِفًا بِأَقوَال الصَّحَابَة وَالتَّابِعِيْنَ، عَارِفًا بِأَيَّام النَّاس وَأَخْبَارهم، وَلَهُ الكِتَابُ المَشْهُوْرُ فِي (**أَخْبَار الأُمَم وَتَارِيْخهم**) وَلَهُ كِتَاب (**التَّفْسِيْر**) لَمْ يصَنّف مثلُه، وَكِتَاب سَمَّاهُ (**تَهْذِيْب الآثَار**) لَمْ أَرَ سِوَاهُ فِي مَعْنَاهُ، لَكِن لَمْ يُتِمَّه، وَلَهُ فِي أُصُوْل الفِقْه وَفُرُوْعِهِ كتبٌ كَثِيْرَةٌ مِنْ أَقَاويل الفُقَهَاء، وَتَفَرَّدَ بِمَسَائِلَ حُفِظَت عَنْهُ..

قُلْتُ -يعني: الذهبي-: كَانَ ثِقَةً، صَادِقًا، حَافِظًا، رَأْسًا فِي التَّفْسِيْر، إِمَامًا فِي الفِقْه، وَالإِجْمَاع وَالاخْتِلاَف، عَلاَّمَةً فِي التَّارِيْخ وَأَيَّام النَّاس، عَارِفًا بِالقِرَاءات وَبَاللُّغَة، وَغَيْر ذَلِكَ..

قَرَأَ القُرْآنَ بِبَيْرُوْت عَلَىٰ العَبَّاسِ بنِ الوَلِيْدِ..

وَالتمسَ مِنْهُ الوَزِيْرُ أَنْ يعملَ لَهُ كِتَابًا فِي الفِقْه، فَأَلَّف لَهُ كِتَاب (**الخَفِيْف**) فَوجَّه إِلَيْهِ بِأَلفِ دِيْنَار، فَرَدَّهَا.

وَأَسْنَدَ الخَطِيْبُ عن أَبِي العَبَّاسِ البَكْرِيِّ قَالَ: جَمعتِ الرِّحلَةُ بَيْنَ ابْنِ جَرِيْرٍ، وَابْن خُزَيْمَةَ، وَمُحَمَّدِ بنِ نَصْرٍ المَرْوَزِيّ، وَمُحَمَّدِ بنِ هَارُوْنَ الرُّوِيَانِي بِمِصْرَ، فَأَرملُوا وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُم مَا يَقُوتُهُم، وَأَضَرَّ بِهِم الْجُوعِ، فَاجْتَمَعُوا لَيْلَةً فِي مَنْزِلٍ كَانُوا يَأْوونَ إِلَيْهِ، فَاتَّفَقَ رأْيُهُم عَلَىٰ أَنْ يَسْتَهِمُوا وَيضربُوا القُرْعَة، فَمَنْ خَرجتْ عَلَيْهِ القُرعَةُ سَأَلَ لأَصْحَابِهِ الطَّعَام، فَخَرَجت القرعَة عَلَىٰ ابْنِ خُزَيْمَة، فَقَالَ لأَصْحَابِهِ: أَمْهِلونِي حَتَّىٰ أُصَلِّي صَلاَةَ الخِيرَة. قَالَ: فَاندفعَ فِي الصَّلاَةِ، فَإِذَا هُم بِالشُّموعِ وَخَصِيٍّ مِنْ قِبَلِ وَالِي مِصْر يَدَقُّ البَاب، فَفَتَحُوا، فَقَالَ: أَيُّكُم مُحَمَّدُ بنُ نَصْرٍ؟ فَقِيْلَ: هُوَ ذَا. فَأَخْرَجَ صرَّةً فِيهَا خَمْسُوْنَ دِيْنَارًا، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَيُّكُم مُحَمَّدُ بنُ جَرِيْرٍ؟ فَأَعطَاهُ خَمْسِيْنَ دِيْنَارًا، وَكَذَلِكَ للرُّويَانِي، وَابْن خُزَيْمَةَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الأَمِيْرَ كَانَ قَائِلًا بِالأَمس، فَرَأَىٰ فِي المَنَام أَنَّ المَحَامِدَ جِيَاعٌ قَدْ طَوَوْا كَشْحَهُم، فَأَنفذَ إِلَيْكُم هَذِهِ الصُّرَر، وَأَقسمَ عَلَيْكُم: إِذَا نفدَتْ، فَابْعَثُوا إِلَيَّ أَحَدَكُم.

قَالَ الخَطِيْبُ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بنَ عبيدِ اللهِ اللُّغَوِيَّ يَحْكِي: أَنَّ مُحَمَّدَ بنَ جَرِيْر مكثَ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً يَكْتُبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا أَرْبَعِيْنَ وَرقَة.

قَالَ الخَطِيْبُ: وَبلغَنِي عَنْ أَبِي حَامِد أَحْمَدَ بنِ أَبِي طَاهِرٍ الإِسْفَرَايِينِيُّ الفَقِيْه أَنَّهُ، قَالَ: لَوْ سَافرَ رَجُلٌ إِلَىٰ الصِّينِ حَتَّىٰ يحصِّلَ تَفْسِيْرَ مُحَمَّدِ بنِ جَرِيْرٍ لَمْ يَكُنْ كَثِيْرًا.

قَالَ الحَاكِمُ: سَمِعْتُ حُسَيْنَك بنَ عَلِيٍّ يَقُوْلُ: أَوَّل مَا سَأَلَنِي ابْنُ خُزَيْمَةَ فَقَالَ لِي: كتبتَ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ جَرِيْرِ الطَّبَرِيّ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: وَلِمَ؟ قُلْتُ: لأَنَّه كَانَ لاَ يَظهر، وَكَانَتِ الحَنَابِلَةُ تمنعُ مِنَ الدُّخول عَلَيْهِ، قَالَ: بِئس مَا فَعَلْتَ، ليتَكَ لمْ تكْتُبْ عَنْ كُلِّ مَنْ كتبتَ عَنْهُم، وَسَمِعْتَ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ.

قَالَ الحَاكِمُ: وَسَمِعْتُ أَبَا بَكْرِ بنَ بَالُويه يَقُوْلُ: قَالَ لِي: أَبُو بَكْرِ بنُ خُزَيْمَة: بَلَغَنِي أَنَّك كتبتَ التَّفْسِيْرَ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ جَرِيْرٍ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ، كتبتُه عَنْهُ إِملاَءً. قَالَ: كُلَّه؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فِي أَي سَنَة؟ قُلْتُ: مِنْ سَنَةِ ثَلاَثٍ وَثَمَانِيْنَ إِلَىٰ سَنَةِ تِسْعِيْنَ وَماَئَتَيْنِ. قَالَ: فَاسْتَعَارَهُ مِنِّي أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ رَدَّهُ بَعْد سِنِيْنَ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ نظرتُ فِيْهِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَىٰ آخِره، وَمَا أَعْلَمُ عَلَىٰ أَديمِ الأَرْضِ أَعْلَمَ مِنْ مُحَمَّدِ بنِ جَرِيْرٍ، وَلَقَدْ ظَلَمَتْهُ الحَنَابِلَة.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الفَرْغَانِي: تَمَّ مِنْ كُتُبِ مُحَمَّدِ بنِ جَرِيْرٍ كِتَاب (التَّفْسِيْر) الَّذِي لَوِ ادَّعَىٰ

عَالِمٌ أَنْ يصَنِّف مِنْهُ عَشْرَة كُتُبْ، كُلُّ كِتَابٍ مِنْهَا يَحْتوِي عَلَىٰ عِلْمٍ مفرَد مستقصَىً لفعل. وَتَمَّ مِنْ كُتُبِهِ كِتَاب (**التَّارِيْخ**) إِلَىٰ عصره، وَتمَّ أَيْضًا كِتَاب (**تَارِيْخ الرِّجَال**) مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ، وَإِلَىٰ شُيُوْخه الَّذِيْنَ لَقِيَهُم، وَتمَّ لَهُ كِتَاب (**لطيف القَوْل فِي أَحْكَام شرَائِع الإِسْلاَم**) وَهُوَ مَذْهَبُهُ الَّذِي اختَاره، وَجَوَّدَهُ، وَاحتجَّ لَهُ، وَهُوَ ثَلاَثَةٌ وَثَمَانُوْنَ كِتَابًا، وَتَمَّ لَهُ كِتَاب (**القرَاءات وَالتنزِيْل وَالعدد**)، وَتمَّ لَهُ كِتَاب (**اخْتِلاَف عُلَمَاء الأمصَار**)، وَتم لَهُ كِتَاب (**الخَفِيْف فِي أَحْكَام شرَائِع الإِسْلاَم**) وَهُوَ مُخْتَصَر لطيف، وَتمَّ لَهُ كِتَاب (**التبصير**) وَهُوَ رِسَالَةٌ إِلَىٰ أَهْل طَبَرِسْتَان، يشرحُ فِيْهَا مَا تقلَّده مِنْ أُصُوْل الدِّيْنِ، وَابتدأ بِتَصْنِيف كِتَاب (**تَهْذِيْب الآثَار**) وَهُوَ مِنْ عجَائِب كتبه، ابْتِدَاء بِمَا أَسنده الصِّدِّيْق مِمَّا صَحَّ عِنْدَهُ سَنَدُهُ، وَتكلَّم عَلَىٰ كُلِّ حَدِيْثٍ مِنْهُ بِعِلَلِهِ وَطُرُقه، ثُمَّ فِقْهه، وَاخْتِلاَف العُلَمَاء وَحججهُم، وَمَا فِيْهِ مِنَ المَعَانِي وَالغَرِيب، وَالرَّدّ عَلَىٰ المُلْحِدين، فَتَمَّ مِنْهُ مسندُ العشرَةِ وَأَهْل البَيْت وَالموَالِي، وَبَعْض (**مُسْند ابْن عَبَّاسٍ**)، فَمَاتَ قَبْلَ تَمَامِه.

وَكَانَ مِمَّنْ لاَ تَأْخُذُه فِي اللهِ لومَةُ لاَئِم مَعَ عَظِيْم مَا يلحَقُه مِنَ الأَذَىٰ وَالشَّنَاعَات، مِنْ جَاهِلٍ، وَحَاسد، وَمُلحد، فَأَمَّا أَهْلُ الدِّين وَالعِلْم، فغيرُ منكرِينَ علمَه، وَزهدَه فِي الدُّنْيَا، وَرفضَهُ لَهَا، وَقنَاعته رَحِمَهُ اللَّهُ بِمَا كَانَ يردُ عَلَيْهِ مِنْ حصَّةٍ مِنْ ضَيعَةٍ خلَّفهَا لَهُ أَبُوْهُ بطَبَرِسْتَان يَسِيْرَة.

وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: اسْتخرتُ اللهَ وَسأَلتهُ العُوْنَ عَلَىٰ مَا نويتُهُ مِنْ تصنيفِ التَّفْسِيْر قَبْلَ أَنْ أَعْمَلَهُ ثَلاَث سِنِيْنَ، فَأَعَانَنِي.

قَالَ أَحْمَدُ بنُ كَامِلٍ القَاضِي: أَرْبَعَةٌ كُنْتُ أُحِبُّ بَقَاءهُم: أَبُو جَعْفَرِ بنُ جَرِيْرٍ، وَالبَرْبَرِي، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ بنُ أَبِي خَيْثَمَةَ، وَالمَعْمَرِيّ، فَمَا رَأَيْتُ أَفهَمَ مِنْهُم وَلاَ أَحْفَظ.

قَالَ الفَرْغَانِي: وَحَدَّثَنِي هَارُوْنُ بنُ عَبْدِ العَزِيْز: قَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيّ: أَظهرتُ مَذْهَبَ الشَّافِعِيِ، وَاقتديتُ بِهِ بِبَغْدَادَ عشرَ سِنِيْنَ، وَتلقَّاهُ مِنِّي ابْنُ بَشَّار الأَحْوَل أُسْتَاذ ابْنِ سُرَيْج. قَالَ هَارُوْنُ: فَلَمَّا اتَّسَعَ علمُه أَدَّاهُ اجْتِهَادُه وَبحثُه إِلَىٰ مَا اختَارَهُ فِي كُتُبِهِ.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الفَرْغَانِي: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ الدِّيْنَوَرِيّ، قَالَ: لَمَّا كَانَ وَقتُ صَلاَة الظُّهر مَنْ يَوْم الاثْنَيْنِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيْهِ - فِي آخِره - ابْنُ جَرِيْرٍ طلبَ مَاءً لِيُجَدِّدَ وُضوءهُ، فَقِيْلَ لَهُ: تُؤخِّر الظُّهر تجمع بينهَا وَبَيْنَ العَصْر. فَأَبَىٰ وَصَلَّىٰ الظُّهر مفردَة، وَالعصرَ فِي وَقتهَا أَتمَّ صَلاَة وَأَحسَنَهَا. وحضرَ وَقتَ مَوْته جَمَاعَةٌ مِنْهُم: أَبُو بَكْرِ بنُ كَامِلٍ فَقِيْلَ لَهُ قَبْلَ خُرُوْج روحه: يَا أَبَا

جَعْفَر! أَنْتَ الحجَّة فِيْمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الله فِيْمَا نَدِينُ بِهِ، فَهَلْ مِنْ شَيْءٍ توصينَا بِهِ مِنْ أَمر دِيْنِنَا، وَبيِّنَةٍ لَنَا نَرْجُو بِهَا السَّلاَمَةَ فِي مَعَادِنَا؟ فَقَالَ: الَّذِي أَدينُ اللهَ بِهِ وَأُوصِيكُم هُوَ مَا ثَبَّتُّ فِي كُتُبِي، فَاعمَلُوا بِهِ وَعَلَيْهِ. وَكَلاَمًا هَذَا مَعْنَاهُ، وَأَكْثَرَ مِنَ التشهّد وَذِكْرَ الله ﷻ وَمسحَ يَدَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، وَغَمَّضَ بصَرَهُ بِيَدِهِ، وَبَسَطَهَا وَقَدْ فَارقَتْ روحُهُ الدُّنْيَا.

قَالَ أَحْمَدُ بنُ كَامِلٍ: تُوُفِّيَ ابْنُ جَرِيْرٍ عَشِيَّةَ الأَحَدِ لِيَوْمَيْنِ بَقِيَا مِنْ شَوَّال سَنَةَ عَشْرٍ وَثَلاَثِ مائَةٍ، وَدُفِنَ فِي دَارِهِ بِرَحْبَةِ يَعْقُوْب - يَعْنِي: بِبَغْدَادَ -. وَلَمْ يُغَيِّر شَيْبَه، وَكَانَ السَّوَادُ فِيْهِ كَثِيْرًا، وَكَانَ أَسمر إِلَىٰ الأُدْمَةِ، أَعْيَنَ، نَحِيْفَ الجِسْمِ، طَوِيْلًا، فَصِيْحًا، وَشَيَّعَهُ مَنْ لاَ يُحْصِيْهُم إِلاَّ اللهُ تَعَالَىٰ، وَصُلِّيَ عَلَىٰ قَبْره عِدَّة شهورٍ ليلًا وَنهَارًا إِلَىٰ أَنْ قَالَ: وَرثَاهُ خلقٌ مِنَ الأدباء وَأَهْل الدِّين.

وَهَذَا (تَفْسِيْرُ) هَذَا الإِمَام مشحونٌ فِي آيَات الصِّفَاتِ بِأَقوَالِ السَّلَفِ عَلَىٰ الإِثْبَات لَهَا، لاَ عَلَىٰ النَّفِي وَالتَّأْوِيْل، وَأَنَّهَا لاَ تُشْبِهُ صِفَاتِ المَخْلُوْقينَ أَبَدًا.

الثانية: الغاية من التأليف

لقد ذكرَ ابنُ حزمٍ ومِن بَعدِهِ ابنُ خُلدون سبعَ غاياتٍ ومقاصدَ للتأليفِ، كانَ مِنْهَا الاختصارُ لشيءٍ طويلٍ دونَ أنْ يخلَّ بشيءٍ مِنْ معانِيهِ..

وَسَأقتصِرُ بِذِكْرِ كلامِ الأوّلِ دونَ كلامِ الثَّاني؛ لإجمالِه مع تحقيق الغرضِ منه، وأنَّ الثاني قد فصَّل وبيَّن ما أجملَه الأوَّلُ..

إلَّا أنَّني سآتي بكلامِ الثاني في ما يَتعلَّقُ بالاختصارِ لأهميَّته في مَا يتعلَّق بموضُوعِنَا..

فقال: وَإنَّما ذكَرْنَا التَّأليفَ المستحقَّةِ للذِّكرِ، والَّتِي تَدْخُلُ تَحْتَ الأقسامِ السَّبعةِ التي لا يُؤَلِّفُ عاقلٌ إلَّا في أحدِهَا، وهي:

إما شيء لم يُسبق إليه يَخترعه..

أو شيء ناقصٌ يُتمِّه..

أو شيء مُسْتَغْلِقٌ يَشْرَحُهُ..

أو شيءٌ طويلٌ يختَصِرُه دونَ أنْ يُخِلَّ بشيءٍ من مَعَانِيه..

أو شيء متفرق يجمعه..

أو شيء مختلِطٌ يرتبه..

أو شيء أخطأ فيه مؤلفه يصلحه(١). اهـ

وقال ابنُ خلدون مفصِّلًا غرضَ التأليفِ من أجلِ الاختصار:

إنَّ الناس حصروا مقاصدَ التأليف التي ينبغي اعتمادُها وإلغاءُ ما سواها، فعدُّوها سبعةً:...

وسابعها: أن يكون الشيء من التآليف التي هي أمهاتٌ للفنون مطوَّلًا مسهبًا فيُقصَدُ بالتأليفِ تلخيصُ ذلك بالاختصارِ والإيجازِ وحذفِ المتكَرِر إن وقع، مع الحذَرِ من حذفِ الضروري؛ لِئَلا يخل بمقصد المؤلِّف الأوَّل(٢). اهـ

ومن ذلك نعلم:

بأنَّ الاختصارَ هو نوعٌ من أنواعِ التأليفِ السَّبعةِ، وغايةٌ من غاياتِه، وأنَّ المختَصِرَ مؤلِّفٌ، وأنَّ الاختصارَ له تعريفٌ وضوابطٌ وشروطٌ.

الثالثة: تعريفُ الاختصارِ والمرادُ به

الاختصار: هو ما قلَّ لفظه وكثر معناه.. أو هو تجريد اللفظ اليسير من اللفظ الكثير مع بقاء المعنىٰ(٣).

والتفسير المختصَر: هو بيان معاني القرآن الكريم بعبارة وجيزة، وألفاظ قليلة.

ومن ذلك نعلم بأنَّ الاختصارَ لابدَّ فيه من شيئين:

الأول: هو تقليل الألفاظ، أو المباحث، والمسائل.

الثاني: مراعاة المعنىٰ الأساسي واستيفاؤه عند الاختصار.

وهاذين الأمرين ينبغي أن يكونا أمام عين المختصِر لأي كتاب، وهو ما اجتهدت فيه أثناء عملي في هذا المؤلَّف..

(١) [رسائل ابن حزم ٢/ ١٨٦-المؤسسة العربية].

(٢) مقدمة ابن خلدون (٣٤١).

(٣) انظر: حاشية الروض المربع (١/ ٤٥)، وحاشية إعانة الطالبين (١/ ٢٣)، والمغني لابن قدامة (١/ ٤).

وقد اشْتُهِرَ أحدُ المختصراتِ لتفسير الطبري في وقت من الأوقات، نبَّه العلماءُ علىٰ أنَّ فيه خللٌ كبيرٌ، لا يخرج هذا الخلل عن عدم تحقيق هاذين الشرطين، بالإضافة إلىٰ تحريف النص إلىٰ غير ما أراده المصنف، وغير ذلك مما سيأتي الحديث عنه أكثر إن شاء الله تعالىٰ.

الرابعة: الفرق بين الاختصار والتلخيص

يأتي التلخيص بمعنىٰ الاختصار، بل إنَّه لا يكاد يوجد في مصنفات المتأخرين إلا بهذا المعنىٰ، مع ملاحظة قلة استخدامهم التعبير بالتلخيص، حيث أن أكثر ما يستعملون هو مصطلح الاختصار..

ومثال ذلك في كتب السابقين: (**تلخيص صحيح مسلم**)، لأحمد بن عمر القرطبي، صحاب (**المفهم في شرح صحيح مسلم**).

وقد أتي في كتب السابقين بمعنىٰ آخر وهو الشرح والبيان والبسط، وقد جمع بين المعنيين الحافظ ابن حجر في (**التلخيص الحبير**)، حيث أنه مختصر من كتاب (**البدر المنير**) لشيخه ابن الملقن، حيث اختصره في ثلث حجمه، ومع ذلك فهو قد حوىٰ أيضًا شرحًا وتفصيلًا وفوائد كثيرة.

إلا أنَّ الأشهر والأكثر علىٰ أن التلخيص بمعنىٰ الاختصار.

الخامسة: الفرق بين الاختصار والتهذيب

أصل التهذيب هو تنقية كل شيء وإصلاحه وتخليصه من الشوائب أو الزوائد، وهو بهذا المعنىٰ اللغوي يتفق مع معنىٰ الاختصار..

إلا أنَّ المشهور من فعل السابقين أنهم يريدون به مع ذلك شرح بعض المواضع، وتغيير ما يلزم تغييره، بل والزيادة علىٰ الأصل، وهو بهذا المعنىٰ يتفق مع التلخيص، فكأنهم استعاضوا عن كلمة التلخيص بالتهذيب، ومثال ذلك (**تهذيب الكمال**) للحافظ المزي، وهو يزيد عن الأصل بأكثر من الضعف، مع تغيير طريقة ترتيب الكتاب، ثم جاء الحافظ ابن حجر فألف (**تهذيب**

التهذيب) اختصر فيه كتاب المزي بحذف نحو ثلثيه، وأضاف إليه إضافاتٍ وتنقيحاتٍ.

ومن هذه الكتب التي اعتنت بتفسير الطبري، وصرح صاحبها بأنها تهذيبًا وليس اختصارًا، هو كتاب (**تفسير الطبري تقريب وتهذيب**) للدكتور صلاح الخالدي، وسيأتي الكلام عليه.

أما كتابنا (**مختصر تفسير الطبري**) فهو ليس بتهذيب، بل هو اختصار بالمعنىٰ المتقدم للاختصار دون زيادة أو نقص، وسيأتي بيان منهجي فيه إن شاء الله.

السادسة: الفرق بين الاختصار وتفسير كلمات القرآن

تفسير كلمات القرآن، وإن كانَ جزءًا من تفسيره، إلا أنَّ فيه نقصًا؛ لِأنه لا يشمل بيان ما يحتاج إلىٰ بيان، من تراكيبه وجمله..

وتفسير القرآن -وإن كان مختصرًا- لابد أن يشمل علىٰ بيان معاني الألفاظ والتراكيب..

وعليه: فإن هذا النوع من المؤلفات لا ينطبق عليها معنىٰ التفاسير المختصرة، وربما كانت أكثر شبهًا بكتب (**غريب القرآن**)..

ومن هذه الكتب التي تُحسب علىٰ أنها مختصرٌ لتفسير الطبري، (**مختصر من تفسير الإمام الطبري**) لمحمد بن صمادح التجيبي (**ت٤١٩هـ**)، وهو أقرب إلىٰ بيان بعض المفردات وغريب القرآن عن كونه مختصرًا لتفسير الطبري، وسيأتي الكلام عنه بالتفصيل إن شاء الله.

السابعة: الفرق بين الاختصار والانتقاء

الانتقاء هو اختيار أجود مادة الكتاب، وذلك من أغراض الاختصار، ولذلك فإني وجدت بعض السابقين يجعلونهما بمعنىٰ واحد..

ومن أمثلة هؤلاء الإمام الذهبي في كتاب (**المنتقىٰ من منهاج الاعتدال**) وهو انتقاء من كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية (**منهاج السنة**)، يقول الذهبي: فَهَذِهِ فَوَائِد ونفائس اخترتها من كتاب منهاج الاعتدال فِي نقض كَلَام أهل الرَّفْض والاعتزال تأليف شَيخنَا الإِمَام الْعَالم أبي

الْعَبَّاس أَحْمد بن تَيْمِية رَحِمَه الله تَعَالَىٰ[1]. اهـ

وقد اجتهدتُ بالسير علىٰ منهج في هذا الاختصار يجعله منتقىٰ، أسأل الله أن أكون قد وُفِقْتُ لذلك..

الثامنة: صور الاختصار وأشكاله

صور الاختصار في التفسير علىٰ نوعين:

الأول: التفاسير المختصرة من غيرها، بأن يعمد العالم أو المؤلف إلىٰ كتاب مطوَّل في فن من الفنون، فيقوم باختصاره بأن يحذف المكرر منه، أو ما يرىٰ أنه لا فائدة منه كبيرة، ويقلل مادته، وقد يُصلِح ما يرىٰ أنه يتعين إصلاحه وتغييره، وهذا هو الغالب من صور الاختصار في كتب التفسير، وهذا المختصر الذي بين أيدينا من ذلك.

الثاني: التفاسير المختصرة ابتداءً، وقد يكون الاختصار لا علاقة له بكتاب آخر، وإنما ألفه مصنفه ابتداءً، وهذا الشكل من أشكال الاختصار يختلف باختلاف الهدف من تصنيفه، ومن أمثلة هذا النوع كتاب الوجيز للواحدي، وتفسير الجلالين، والمنتخب..

بل ويدخل في ذلك كتاب تفسير الطبري نفسه، أصل هذا المختصر الذي بين أيدينا، فقد عمد مصنفه إلىٰ وضعه مختصرًا مما هو عنده من الآثار والأسانيد، مقتصرًا علىٰ بعضها، ومع ذلك وقع في هذا الحجم الكبير..

فقد قال الطبري لأَصْحَابِهِ: هَلْ تَنْشَطُوْنَ لتَارِيْخِ العَالَمْ مِنْ آدم إِلَىٰ وَقْتِنَا؟ قَالُوا: كم قدرُه؟ فَذكر نَحْو ثَلاَثِيْنَ أَلفِ وَرقَة، فَقَالُوا: هَذَا مِمَّا تَفْنَىٰ الأَعْمَارُ قَبْل تمَامِه! فَقَالَ: إِنَّا للهِ! مَاتَتِ الهِمَم. فَاختصرَ ذَلِكَ فِي نَحْوِ ثَلاَثَةِ آلاَفِ وَرقَة، وَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يُمْلِي التَّفْسِيْرَ قَالَ لَهُم نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ أَملاَهُ عَلَىٰ نَحْوِ مِنْ قدر (التَّارِيْخ)[2]. اهـ

ومثل هذا الاختصار الذي فعله الطبري، فعله البخاري، ومسلم وغيرهم، ومع ذلك فقد جاء من بعدهم واختصروا صحيح البخاري، ومسلم، وغيرهما..

---

(١) المنتقىٰ من منهاج الاعتدال (١٧).

(٢) سير أعلام النبلاء(١٤/ ٢٧).

وهذا فيه رد علىٰ من أنكر فكرة اختصار تفسير الطبري، لأنه أصلًا وضعه علىٰ الاختصار..

ويرد علىٰ هذا الزعم أيضًا بما قاله أَبُو مُحَمَّدٍ الفَرْغَانِي: تَمَّ مِنْ كُتُبِ مُحَمَّدِ بنِ جَرِيْرٍ كِتَابُ (التَّفْسِيْرِ) الَّذِي لَوِ ادَّعَىٰ عَالِمٌ أَنْ يصَنِّف مِنْهُ عَشْرَة كُتُبْ، كُلُّ كِتَابٍ مِنْهَا يَحْتوِي عَلَىٰ عِلْمٍ مُفْرَدٍ مستقصَىً لفعل[1].اهـ

التاسعة: أقوال العلماء في الاختصار بين المجيز، والمانع، والراجح في ذلك

اختلف آراءُ العلماء والمصنفين في الاختصار بين مؤيد ورافض..

فذهب الأكثرون إلىٰ جواز الاختصار..

ويظهر ذلك في كثرة المختصرات المصنفة في شتىٰ العلوم والمعارف علىٰ مر العصور، بل إن بعض مشاهير المصنفين له ولع كبير بالاختصار:

كابن منظور صاحب (**لسان العرب**) فقد ذُكر في ترجمته أن الكتب التي علقها بخطه من مختصراته خمسمائة مجلد، فلا يُعرف كتاب مطوّل في الأدب وغيره إلا وقد اختصره[2].

ومن المكثرين من ذلك في هذا الباب الإمام الحافظ الذهبي، حيث اختصر أكثر من خمسين كتابًا معظمها من الكتب المهمة المشهورة[3].

وقد تقدم معنا قول ابن حزم وابن خلدون، اللَّذَين تحدثا عن مقاصد التأليف التي لا يؤلف عاقل إلا فيها، عَدُّوا الاختصار أحد هذه المقاصد، مع اشتراطهم ألا يخل بمقصد المؤلف الأول..

ولا شك أن هذا القول لا يدعو أبدًا إلىٰ ترك ابتداء التأليف، بل هو مقصد من المقاصد كما تقدم.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٣).
(٢) الدرر الكامنة (٤/ ٢٦٣).
(٣) سير أعلام النبلا (١/ ٤٦).

أما المانعون من الاختصار:

فإن بعضهم يرىٰ أن الاختصار هو اعتداء علىٰ الكتاب الأصلي وتشويه لجماله، وَكَأَنَّ المختَصِر سيذهب إلىٰ كل نسخة من الكتاب الأصل، فيختصرها في نفسها وفي نفس أوراقها، ثم يمزق باقي الكتاب، أو يحرقها، كما فعل عثمان ﷺ في المصاحف، وجمعَ الناسَ علىٰ مصحف واحد، فاندثرت تلك المصاحف، ولم يبق إلا مصحف عثمان ﷺ وعن الصحابة أجمعين، وممن يرىٰ ذلك الجاحظ، وياقوت الحموي.

وبعض المانعين للاختصار يعتبر الاختصار دليلًا علىٰ جمود الفكر والتخلف وانعدام الإبداع، فحينما عجز هؤلاء المختصرون عن التجديد والابتكار والاستنباط توجهوا إلىٰ كتب من سبقهم، وأخذوا يختصرونها، وكأن المختصر ليس له ما كتبه ابتداءً، أو أن الاختصار ليس مقصدًا من مقاصد التأليف لدىٰ العقلاء كما تقدَّم من كلام ابن حزم، وابن خلدون..

وبعض المانعين وجَّهُوا انتقادهم إلىٰ ظاهرة المتون، كاختصار المطولات، ثم جاء من بعدهم فوضع علىٰ المتون الحواشي، ثم يأتي من يشرح الحواشي، وهذا كله بسبب استغلاق المتن علىٰ المبتدئين، وهذا ليس له علاقة بموضوع اختصار التفسير، فليس لي حاجة لمناقشته هنا، إلا أني أقول: إن بعض هؤلاء استدل بكلام ابن خلدون في ذم المختصرات، وهو نفسه الذي جعل المختصرات مقصدًا وغايةً من غايات التأليف، وإنما قصد ابن خلدون بذم المختصرات كثرتها بحيث يكون إليها المنتهىٰ، والانصراف عن تفاصيل المسائل، والاستغناء بالمختصرات عنها، وكذلك يقصد ما فيها من استغلاق يشغل طالب العلم بتتبع ألفاظها وغرائبها العويصة فتتزاحم المعاني عليه..

ويذهب بعض الباحثين إلىٰ منع الاختصار الذي انتشر في العصر الحديث، ولا يشمل ذلك المختصرات القديمة التي قام بها علماء أحسنوا في الاختصار، وأنه لا يوجد في المعاصرين من يملك المؤهلات التي كان يتمتع بها هؤلاء، ومثل هؤلاء الباحثين المانعين كمثل من منع الاجتهاد بسبب فوضىٰ الفتوىٰ، فبدلًا من أن يضبط شروط المفتي منعه من الاجتهاد، فضيَّق الواسع من أجل الفوضىٰ المتسعة لأهل هذا الزمان..

والأولىٰ بالصواب هو أن الاختصار مشروع بشروط وضوابط.

العاشرة: شروط الاختصار وضوابطه

هذه الشروط والضوابط لابد منها؛ كي تتحقق السلامة من الخلل قدر الإمكان، وكلما تحققت تلك الشروط والضوابط كان الاختصار أقرب إلىٰ الاتقان والجودة، وكان القبول من حظه ونصيبة..

وأهم هذه الشروط والضوابط(١):

١- الإخلاص، ومما احتسبتُه في هذا المختصر أن أُذيب هذا الحاجز الذي بين طلبة العلم وبين هذا التفسير الموسوعي الضخم، فيفتح الله بسببه كنوز هذا الكتاب، فيكون لي أجرهم يوم القيامة.

٢- الأمانة العلمية، فلا ينسب قولًا لغير قائله، ولا يُحرِّف كلامَ المصنف أو يُقوِّله ما لم يقله، ولا يحمل النص ما لا يحتمل، وأن ينسب الكتاب الأصل إلىٰ مصنفه.

٣- الكفاءة في المختصِر، فيعرض عملَه علىٰ أهل العلم لينصحوه ويقوموه، حتىٰ يكون أهلًا لذلك.

٤- حسن اختيار الكتاب الذي سوف يختصره، فيقصد إلىٰ الكتب المهمة التي تعظم الفائدة باختصارها، فليس كل كتاب جدير بالاختصار.

٥- أن يحدد المختصِر ضوابط عمله وطريقته في الاختصار، ويوضح ذلك في مقدمة كتابة، حتىٰ يمكن الحكم علىٰ عمله وتقييمه، وقد أفردت مسألة خاصة في هذه المقدمة لبيان منهجي في هذا المختصر.

٦- الإلمام بمسائل الكتاب الأصل وأفكاره الأساسية، وطريقة مؤلفه، ومنهجه، وأذكر هنا أنني كنتُ أقرأ تفسير الآية الواحدة أكثر من عشرين مرة أحيانًا قبل أن أختصره، وهذا بعد أن جردتُ قراءة الكتابَ كلَّه قبل ذلكَ أثناء تخريجي له.

٧- حذف الانحرافات الموجودة في الكتاب الأصل أو التنبيه عليها إن وجدت.

٨- إيضاح المشكل وإزالة الإبهام إن وُجِد.

٩- عدم تغيير ترتيب الكتاب المختصَر وسياقة دون حاجة لذلك.

---

(١) انظرها في مجلة البحوث الإسلامية/ قواعد الاختصار المنهجي عدد (٥٩)، (ص٣٧٦).

١٠- الاجتهاد في تكميل النقص الذي قد يكون موجودًا في أصل الكتاب، مع الإشارة إلىٰ ذلك التكميل والزيادة.

١١- البعد عن تنقص مصنف الكتاب المختصَر، أو الاستخفاف به أو بمنهجه الذي سلكه في تصنيف كتابه.

١٢- الحذر من المبالغة في الاختصار، حتىٰ لا يقود ذلك إلىٰ الغموض وعدم فهم المقصود، ونفور الناس من ذلك المختصَر.

الحادية عشر: أسباب الاختصار

هناك أسباب عامة ذات طابع شمولي يصح اعتبار كثير من المختصرات داخل ضمن دائرتها، وهناك أساب خاصة تتعلق بكل مختصر بذاته..

أما الأسباب العامة للاختصار:

١-ميل أكثر النفوس إلىٰ الإيجاز والاختصار.

٢-اختلاف العصور وما يناسب كل عصر.

وأما الأسباب الخاصة بكتاب تفسير الطبري:

١- طول الكتاب جدًا؛ لأنه موسوعة في علوم القرآن، ومعاني القرآن وبيانها ما هو إلا جزء من هذه الموسوعة، تحتاج إلىٰ استخراج، ولذلك قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الفَرْغَانِي: تَمَّ مِنْ كُتُبِ مُحَمَّدِ بنِ جَرِيْرٍ كِتَاب (التَّفْسِيْر) الَّذِي لَوِ ادَّعَىٰ عَالِمٌ أَنْ يصَنِّفَ مِنْهُ عَشْرَة كُتُبْ، كُلُّ كِتَابٍ مِنْهَا يَحْتوِي عَلَىٰ عِلْمٍ مفرَد مستقصَىً لفعل[1].

٢- لقد اشتمل تفسير الطبري علىٰ عدد ضخم من الآثار الصحيحة والضعيفة والمكررة، ولم يميِّز بين ذلك كله، ولقد منَّ الله عليَّ بتخريج كل آثاره في طبعة دار الحديث بالقاهرة، والتي بلغت (٣٨٤٩٩) أثرًا، وحكمتُ عليها صحةً وضعفًا، وكان ذلك تمهيدًا لهذا الاختصار بحسب المنهج الذي سيأتي ذكره.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٣).

٣- اشتمل تفسير الطبري علىٰ خلاف أهل التأويل، واللغة، والقراءات، وغيرها من علوم القرآن، مما أثقله علىٰ كثير من طلبة العلم، وانصرافهم عنه، فضلًا عن غيرهم من المسلمين، مما تسبب في حرمانهم من كنوز هذا التفسير، فاحتيج إلىٰ عرضه بدون خلاف بحسب منهجية علمية سيأتي ذكرها.

٤- أردتُ أن يكون هناك مدخل لقراءة تفسير الطبري الأصل، فجاء هذا المختصَر من موسوعة تفسير الطبري وبألفاظه السهلة، يستطيع عوام الناس فهمَه، فيذوب بقراءته الحاجزُ الذي بينهم وبينه.

٥- النقص والنقد الشديد الذي اعترىٰ مختصرات تفسير الطبري علىٰ قلتها، كما سيأتي الحديثُ عنها.

الثانية عشر: أنواع الاختصار

الاختصار من المطولات علىٰ ثلاثة أنواع:

الأول: اختصارٌ يجمعه المؤلف من عدة كتب، يقوم المصنف بالأخذ عن كل واحد في الجانب الذي أحسن فيه، ومثال ذلك تفسير البيضاوي.

الثاني: اختصار كتاب معين، وهو علىٰ ضربين:

١- أن يضيف المختصِر بعض المسائل والفوائد.

٢- ألا يتجاوز الكتاب المختصِر الأصلَ إلىٰ غيره، فلا يضيف شيئًا من غير هذا الكتاب، وهذا ما فعلته هنا؛ فإن الهدف من هذا الاختصار هو استخراج فوائد تفسير الطبري، وفيها الكفاية.

الثالث: ما يكون من باب الانتقاء والاختيار لمسائل معينة من كتاب، فيفردها بالتصنيف، مثال ذلك (**مختصر ابن صمادح التجيبي**) من تفسير الطبري، حيث اقتصر علىٰ معاني بعض الألفاظ الغريبة، وَسيأتي الحديث عنه إن شاء الله.

الثالثة عشر: أصناف المختصرين

فقد يكون المختصِر هو المؤلف نفسه، كما هو حال المهدوي الذي اختصر كتابه في التفسير (**التفصيل الجامع لعلوم التنزيل**) وسماه (**التحصيل من التفصيل**)، ومن أشهر الكتب في هذا الباب (**الدر المنثور**)، فقد اختصره السيوطي من كتابه الضخم (**ترجمان القرآن**)، وهذا النوع من المختصرات هو أفضل الأنواع وأجودها؛ لأن المؤلف هو أعلم بمقاصده، وبمواطن القوة والضعف فيه.

وقد يكون تلميذ المؤلف، أو أحد معاصريه، وهو في المرتبة التالية للذي قبله من حيث الإتقان، والجودة ومقاربة الأصل، مثال ذلك (**مدار التنزيل وحقائق التأويل**) للإمام النسفي، اختصره من تفسير معاصره الإمام البيضاوي، ومن تفسير الزمخشري، وكذلك (**الدر اللقيط**) لتاج الدين أحمد بن عبد القادر الحنفي، اختصره من كتاب (**البحر المحيط**) لشيخه أبي حيان الأندلسي.

وقد يكون المختصِر متأخرًا عن زمن المؤلف، مقاربًا لزمنه، مثال ذلك: تفسير هود بن محكم الهواري، اختصره من تفسير يحيىٰ بن سلام، وكذلك تفسير الإمام البغوي، اختصره من تفسير الإمام الثعالبي.

وقد يكون المختصِرُ متأخرًا عن زمن المؤلف كثيرًا، كحالي في هذا التفسير، وحال أغلب المختصرات في هذا العصر، وهي في المجموع أقلها جودة، بل أكثرها ليس بجيد، بل يُحذَّر منه، وما ذلك إلا أثر من آثار انحراف هذا الأمة، واعتلالها، وغيبوبتها التي طالت، واسأل الله أن يكون هذا المختصر لحظة من لحظات إفاقة هذه الأمة من غيبوبتها.

الرابعة عشر: فوائد الاختصار

لا شك أن للاختصار فوائدَ كثيرةً، إذا أُحْسِنَتْ عمليَّةُ الاختصار، وتوفَّرت الشروط والضوابط في القائم بالاختصار، وفي الكتاب المختصَر..

ومن الفوائد التي يمكن إيرادُها لاختصار تفسير الطبري غيرِ ما تقدَّم ما يلي:

١- **الإبقاءُ علىٰ الأهم،** نعم كل ما في تفسير الطبري مهم، ولكن **كان للطبري هدف وغاية من هذا السِفْر العظيم،** حاولت أن أتتبعه وأزيلَ ما يُخفيه وسطَ باقي العلوم في هذه الموسوعة،

وكان هدف الطبري وغايته في هذا الكتاب هو بيان المعاني لهذا القرآن وتفسيره، دون باقي علوم القرآن، وأنه ما أدخل باقي هذه العلوم إلا لخدمة هذا الهدف، وهذا يظهر جليًّا في تسمية الكتاب (**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**)، ولقد عبَّر الإمام الطبري عن هذا الهدف في أكثر من موطن..

فقال: **الَّذِي قَصَدْنَا لَهُ فِي كِتَابِنَا هَذَا، الْبَيَانُ عَنْ وجُوهِ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ**، دُونَ وجُوهِ قِرَاءَتِهَا. اهـ

وقال: **وَإِنْ كَانَ قَصْدُنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ الْكَشْفَ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ**، لِمَا فِي اخْتِلَافِ وُجُوهِ إِعْرَابِ ذَلِكَ مِنَ اخْتِلَافِ وُجُوهِ تَأْوِيلِهِ، **فَاضْطَرَّتْنَا الْحَاجَةُ إِلَىٰ كَشْفِ وُجُوهِ إِعْرَابِهِ، لِتَنْكَشِفَ لِطَالِبِ تَأْوِيلِهِ وُجُوهُ تَأْوِيلِهِ** عَلَىٰ قَدْرِ اخْتِلَافِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي تَأْوِيلِهِ وَقِرَاءَتِهِ. اهـ

وقال: وَأَمَّا مَا يُلْزِمُ بِالْخَطَإِ قَائِلَهُ، فَقَدْ بَيَّنَّا الْقَوْلَ فِيهِ فِي كِتَابِنَا (**كِتَابٌ لَطِيفُ الْقَوْلِ فِي أَحْكَامِ الشَّرَائِعِ**) بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ ذِكْرِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَلَيْسَ هَذَا الْمَوْضِعُ مَوْضِعَ ذِكْرِهِ، **لِأَنَّ قَصْدَنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ الْإِبَانَةُ عَنْ تَأْوِيلِ التَّنْزِيلِ**، وَلَيْسَ فِي التَّنْزِيلِ لِلْخَطَإِ ذِكْرٌ فَنَذْكُرُ أَحْكَامَهُ. اهـ

وقال: وَلِأَهْلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ مَسَائِلُ فِيهَا تَلْبِيسٌ كَرِهْنَا ذِكْرَهَا وَإِطَالَةَ الْكِتَابِ بِهَا وَبِالْجَوَابِ عَنْهَا، **إِذْ لَمْ يَكُنْ قَصْدُنَا فِي كِتَابِنَا هَذَا قَصْدَ الْكَشْفِ عَنْ تَمْوِيهَاتِهِمْ، بَلْ قَصْدُنَا فِيهِ الْبَيَانُ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْفُرْقَانِ**. اهـ

وقال: وَلَيْسَ هَذَا الْمَوْضِعُ مِنْ مَوَاضِعِ الْإِكْثَارِ فِي هَذَا الْمَعْنَىٰ عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَ الْمِيزَانَ الَّذِي وَصَفْنَا صِفَتَهُ، **إِذْ كَانَ قَصْدُنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ الْبَيَانَ عَنْ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ دُونَ غَيْرِهِ**، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَرَنَّا إِلَىٰ مَا ذَكَرْنَا نَظَائِرَهُ، وَفِي الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ ذَلِكَ كِفَايَةٌ لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ. اهـ

٢- حَذْفُ كلِّ الآثارِ الضَّعِيفَةِ، والمكررة، والأقوال المرجوحة التي أنكرها الطبري رحمه الله تعالىٰ.

٣- سبكُ عبارة الطبري كما هي مع جمل وكلمات الآيات، بطريقة السرد، مما يسهل وييسر علىٰ القارئ الفهم، ويقرب له المعنىٰ، إن شاء الله.

٤- ذكر بعض الآثار الصحيحة غير المكررة منسوبة إلىٰ صاحبها، ولم أحتج إلىٰ تخريجها، فقد خرجتها في الأصل.

٥- تصغير حجم الكتاب وتقليله، فقد وقع هذا المختصر في ثلاثة مجلدات فقط، والأصل يقع في إحدىٰ عشر مجلدًا، غير مجلد للفهارس، يعني: أن هذا المختصر وقع في ربع الكتاب الأصل.

٦- المساعدة علىٰ نشر الكنوز التي في تفسير الطبري.

٧- أن يكون هذا المختصَر مستوىٰ من مستويات التدرج في قراءة كتب التفسير، وخآصة تفسير الطبري نفسه.

٨- هذا المختصَر هو حفظٌ لأصل الكتاب، وليس هدرًا له، فمن قرئه فإنما يقرأ جزءًا من الكتاب الأصل، بل هو أهم جزء في الكتاب الأصل.

الخامسة عشر: عيوب الاختصار وسلبياته

الاختصار للكتب كما أنَّ له فوائد، كذلك له عيوب وسلبيات، حاولت قدر الوسع تجنبها في هذا المختصَر..

فالاختصار قد يؤدي إلىٰ تغييب الكتاب الأصل، وقد حاولت تجنب ذلك بخدمة الكتاب الأصل، فضلًا أنني علىٰ يقين بأنَّ هذا المختصَر لن يطفيء شمس الكتاب الأصل، بل أرجو من الله تعالىٰ أن يكون سببًا في انتشاره أكثر مما هو عليه الآن.

كذلك الاختصار في الآثار والأسانيد، قد يؤدي إلىٰ دخول المعلول في الصحيح، لأنه صحيح عند المختصِر، وقد يكونُ ضَعيفًا عند غيره، وقد حاولت تجنبَ ذلك بأنني تشددت جدًا في اختيار الآثار التي أذكرها بعد أن درستُها في الكتاب الأصل، وبهذا أكون قد قللتُ الاختلاف جدًا الذي قد يقع بيني وبين غيري.

السادسة عشر: آثار الاختصار، ومنهجي في هذا المختصَر

يختلف الأثر التفسيري للاختصار بحسب طريقة المختصِر ومنهجه، وقد كان لمنهجي في هذا المختصَر أثرٌ كبير في مادة تفسير الطبري، ولذلك كان لابد من توضيح ذلك المنهج بشيء من التفصيل، وهذا ما قد حان أوانه، فأقول مستعينًا بالله في نقاط محدده:

المنهج العام في تأليف هذا المختصر:

كان المنهج العام في تأليف هذا المختصَر هو السرد، أو كما يسميه البعض طريقة تداخل الآيات في المعنىٰ، وهذه الطريقة وإن كانت تصلح لاختصار تفسير الطبري، وكذلك تفسير ابن كثير، فهي لا تصلح لغيره، كالقرطبي والرازي مثلًا؛ وذلك لأنها لا تكون إلا مع بيان المعاني والألفاظ باختصار، ولا تصلح لسرد الأحكام والفوائد الكثيرة، كما هي طبيعة تفسير القرطبي والرازي..

وطريقة السرد طريقة سهلة يسيرة جدًا، انتفعت بها أثناء قراءتي لكثير من الكتب التي سَلَكَتْهَا، سواء كانت كتب في شرح المتون الفقهية، كالروض المربع علىٰ زاد المستقنع، أو شرح المتون الحديثية، كالقسطلاني في شرحه لصحيح البخاري، أو في التفسير، كالطبري نفسه رَحِمَهُ اللَّهُ..

فطريقة السرد هي نفس الطريقة التي سلكها الطبري نفسه في جُلِّ تفسيره، حينما يورد كلامَه الذي يبين به المعنىٰ قبل أن يسند الآثار التي تدل عليه، أو عباراته التي يرجح بها الخلاف الذي يحكيه عن أهل التأويل، أو علماء اللغة، أو القراءات...

فإنني علىٰ منهج الطبري نفسه سرت، بل طريقته ساعدتني كثيرًا، وكانت طريقة الطبري ملهمة لي لوضع هذا المنهج في الاختصار..

إلا أنني أعدت سبك ذلك بطريقة تسهل علىٰ قراء اليوم، وكان ذلك من خلال تنسيق الفقرات أكثر، وترتيب العبارات، ووضع الجمل من الآيات قبل معناها المراد، دون تغيير كلام الطبري نهائيًا..

ولا شك أنَّني أحيانًا أحتاج إلىٰ تغيير علامة الإعراب من «**ياء ونون**» أو «**واو ونون**» أو غير ذلك مما يقتضي سبك العبارة..

وفي كثير من الأحيان قد لا تنسبك عبارة التفسير تمامًا مع جملة القرآن المفسَّرة، ومن ثمَّ قد لا تنسبك إطلاقًا من جهة الإعراب مع الجملة القرآنية المفسَّرة، وهذا لا أعلمه شرطًا في طريقة السرد هذه، ولا أعلم أحدًا التزمَ بِها، بل لو أراد أحدٌ أن يفعل ذلك لأعجزه، ولن يستطيع؛ فإن تفسير كلام الله ليس جزءًا من كلام الله الموحىٰ به حتىٰ يكون كلا منهما منسبكًا مع الآخر تمامًا بتمام من جهة الإعراب والمعنىٰ.. وكذلك كل متن مع شرحه..

ثم جعلت فاصلة النقطتين هذه (..) في نهاية تفسير كل جملة، وجعلت كل جملة في فقرة بمفردها، فإذا انتهت الآية كانت الفاصلة المنقوطة(.)..

فإن كان هناك من فوائد زائدة علىٰ المعنىٰ، جعلتُ قبلها كذلك فاصلة النقطتين هكذا (..).

ولا أحكي ذكر خلاف في المعنىٰ إلا ما كان فيه فائدة توثيق ما رجحه الطبري وصوَّبه؛ فبالضد تتبين الأشياء..

وكذلك فإن طريقة الطبري في ذكر أدلة ما ذهب إليه ورجحه طريقة فذة ممتعة، وهي مع ذلك سهلة، فلا ينبغي أن أحرم نفسي وإخواني منها في هذا المختصر..

ولا أحكي كذلك ذكر الخلاف في المعنىٰ إن كان هذا الخلاف في معني الآية مما جعله الطبري تحتمله الآية مع ترجيح غيره عليه..

أو كانت هذا المعاني مما احتملها الطبري كلَّها، وجعلها أقوالًا تعود كلها إلىٰ المعنىٰ اللغوي، وهي غير متعارضة، بل تتداخل كلها في أصل المعنىٰ اللغوي عند العرب.

وإن أشار الطبري إلىٰ أنَّ المعنىٰ قد تقدم من قبل ولم يذكره:

حذفت هذه الإشارة غالبا، واعتمدت علىٰ أن القاريء لن يصل إلىٰ هذا الموطن المتأخر إلا وقد قرأ هذا الموطن المتقدم المشار إليه، وعرف المعنىٰ لهذه الكلمة المكررة، ثم إنني لم أرد أن أثقل الكتاب بأي هامش نهائيًا..

ومع ذلك فإني أنبه القارئ هنا، أن الطبري لم يترك كلمة واحده في كتاب الله إلا وقد بيَّن معناها، فإن طريقة الطبري ليست الطريقة الإجمالية في التفسير، بل هي الطريقة التفصيلية، وهذا هو الغالب، والنادر لا حكم له، فإذا وجد القارئ في هذا المختصر آيةً لم تدخل تحت هذا العموم، فإما أن يكون من النادر الذي تركه الطبري، وإما أن يكون مما أشار إليه الطبري أنه تقدم وأنا حذفت إشارته، وليس لهما ثالث..

وبإمكان القاريء أن يعود لما تقدم بسهولة، إذا كانت الكلمة قد تقدمت من قبل في القرآن قبل الموضع المتأخِر، وهذا يعرفه كثير من الناس..

وأما إن كان القارئ لم يبلغ هذه المنزلة، فأسأله أن يسامحني علىٰ هذا التقصير الذي اقتضاه منهجي في الاختصار ألا يكون هناك أيُّ هامش نهائيًا أشغل به القارئ وهو يستمتع بقراءة هذا المختصر، ولا شك أنه ما من منهج أو طريقة يخترعها البشر مهما كانت حسنة، إلا

ولابد أن يعتريها بعض القصور، وكلما ذهب الإنسان ليصلحه فلابد أن يكون علىٰ حساب تقصير في شيء غيره، فلا يجد إلا أن يسلِّم ببعض التقصير الذي لابد منه علىٰ قلته، في مقابل الأحسن الذي لابد منه علىٰ كثرته، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا..

ثم إن عليك أخي الحبيب أن تقرأ الكتاب أكثر من مرة، ويكون لك ورد فيه دائمًا حتىٰ تستقر المعاني القرآنية في قلبك، وحين ذلك لن تعاني من هذه المسألة..

وهي علىٰ العموم نادرة جدًا كما تقدَّم، فلا عليك.

الفوائد العقدية:

لقد تعددت الفوائد في هذا التفسير، فهو كما سبق موسوعة، إلا أن الفوائد العقدية في هذا التفسير كانت بارزة، فما تجد آية إلا ويُبرز الطبري ما فيها مما ينبغي أن يعتقده المكلَّف، فهو تفسير عقدي من الدرجة الأولىٰ، وقد جمعت بعضها في كتاب (نوادر الفوائد من تفسير الطبري). وأنصح بقراءته قبل قراءة هذا المختصر.

وأنبه هنا أنني ما تركت فائدةً واحدةً من هذه الفوائد العقدية إلا وقد حرصت أن أذكرها في موطنها المشار إليه، دون أي تغير -كالعادة - في عبارة الطبري، فإن عبارته رَحِمَهُ ٱللَّهُ مختصرة، وواضحة، وقوية، ومفهومة، ولا تحتمل التأويل، وهذه الخصائص والميزات في كل عباراته، وليست في هذه الفوائد العقدية فقط، ولكن عندما اختلطت هذه الميزات بخصائص مسائل العقيدة التي تتسم كذلك بالوضوح والقوة وسهولة الفهم، لا يجد الإنسان نفسه إلا مشدوهًا مِمَّا يقرأ.

الشواهد القرآنية:

اجتهدت ألا أترك شاهدًا واحدًا استدل به الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ معنىٰ أراده وقرره إلا ذكرته، ويدخل في ذلك الاستدلال بسياق الآيات.

القراءات:

أما القراءات: فإن رجَّح الطبري ما يوافق رواية حفص فَبِها وَنِعْمَتْ..

وإن رجَّح غيرَ قراءةِ حفصٍ عليها:

- ذكرتُ كلامَه مع إشارة إلىٰ ذلك من كلامِه أيضًا دون أيِّ تدخل مني، إلا ما كان من ترتيبٍ وتنسيقٍ وسبكِ الجُمَلِ والعِباراتِ، بما يتوافقُ مع مقصدِ المصنِّف رحمه الله تعالىٰ..

- أو أنني لم أشر إلىٰ كلامه مطلقًا -وهذا نادرٌ جدًا- إذا كان يتعلق بالأعلام، وما شابهها، بما لا يترتب عليه أيُّ خلافٍ في المعنىٰ أو الحُكْم بحسب كلام الطبري طبعًا، ومثال الأوَّل (ياجوج وماجوج) بدون همز، ومثال الثاني قوله (وأرجلِكم) [المائدة: ٦].

فإن لم يكن ترجيح بينهما، وكانت كلتا القراءتين صحيحتان عنده بأيهما قرأ القاريء فصواب:

- فإما أن أكتفي بقراءة حفص مع الإشارة لغيرها، وذلك إن لم يشر الطبري لفائدة فيها.
- وقد لا أذكر وجه الخلاف أصلًا ؛ لأن الطبري نفسه جعلهما متطابقتين في المعنىٰ.
- أو أذكرهما كما ذكرهما الطبري وكما وجههما، مع سلوك نفس المنهج العام للاختصار، بما لا يخل بمقصد المصنف في تفسيره، وخآصة إذا كانت لكلا القراءتين معنىٰ خاص فيه فائدة لا يتعارض مع ما دلت عليه الأخرىٰ، وهذا المسلك الأخير هو الغالب.

الآثار:

قصدتُ منها الصحيحَ دون الضعيف، معتمدًا علىٰ دراستي السابقة في تخريجي لكل آثار تفسير الطبري، ونشرته دار الحديث بالقاهرة في أحد عشر مجلدًا، مع آخر للفهارس.

ثم قصدتُ مِن الصحيحِ ما يُفَصِّلُ كلامَ الطبري ويوضِّحه ويُبَيِّنه، دون ما يكون لفظُه بنحوه أو بِمثله من لفظ الطبري..

ثم اخترت مِن ذلكَ بعضَه إنْ كانَ مكررًا..

ثم حذفتُ سَنَدَه كلَّه إلا رأْسَه وصاحبَه..

ثم أدخلتُه في سَبِيْكَةِ المُخْتَصَر..

ويَدْخُلُ فِي هِذِه الآثَارِ المختارةِ مَا اكْتَفَىٰ بِها الطَّبَري عَلىٰ بَيانِ المَعْنىٰ دَوْنَ تَعْلِيقٍ مِنْه رَحِمَهُ اللهُ، وَقَدْ يَكُوْنُ في هذا الأخيرِ مَا ضَعُفَ سَنَدُهَ، إِلَّا أَنَّهُ هُوَ قولُ الطبري نفسُه وَلَكِن سَاقَه بِسَنَدِه عَن غَيْرِه.

المسائل النحوية واللغوية:

ذكرت منه كلَّ ما يُفِيدُ المعنىٰ وضوحًا، ونادرًا ما أحذف شيئًا من ذلك، بعد تعديل ما يلزم التعديل بحسب منهج الاختصار العام.

الاستدلالات بالشواهد الشعرية:

حذفت ذلك كله، ولم أذكر منه شيئًا؛ فهي الأدلة علىٰ المعاني، فاكتفيت بالمقصود وهو المعنىٰ دون أدلته من هذه الشواهد الشعرية المفيدة، ولم أجد الشواهد الشعرية تتناسب مع هذا المختصَر بوجه من الوجوه.

الأحكام الفقهية:

سلكت فيها ما سلكته في ذكر المختلَف فيه من المعاني، وزدتُ فيه أحيانًا حكاية من ذهب إلىٰ مذهب الطبري مما ذكره الطبري نفسُه، وصحَّ سَندُه، أو حكاه عن أصحاب المذاهب الأربعة وعن غيرهم بدون إسناد.

آثار أسباب النزول:

سلكت فيها المسلك الذي ذكرته في الآثار، إلا أنني جعلتها بطريقة سرد المعنىٰ لا بطريقة ذكر الأثر، وهذا ما كان يفعله الطبري نفسُه في بعض الأحيان، فجعلتُ ذلك في المختصر فِي كلِّ الأحيان.

المفردات وبيان الغريب:

جعلت ذلك جزءًا من المعنىٰ، ودمجته فيه إن كان فيه زيادة علىٰ ما ذكره الطبري، وإلا فالطبري يذكر المفردات متداخله في المعنىٰ، فإن كان في ذكر المفردات زيادة بيان وإيضاح ذكرته وسبكته في المعنىٰ، وإلا فلا.

ضبط النص:

لقد بذلت جهدي في ضبط النص بالحركات، حتىٰ يتيسر لكل قاريء أن يقرأ الكتاب قراءة صحيحة، والله وحده يعلم قدر الجهد المبذول في ضبط هذا المختصر، ومع ذلك فلابد من الخطأ في العمل البشري، ومن أجله جعل الله النصح والتناصح، وإني استنصح إخواني أن يراسلوني من خلال قنوات الاتصال المذكورة في آخر هذه المقدمة، بخصوص أي ملاحظة تتعلق بهذا الكتاب، من أجل إصلاحها في الطبعات القادمة، بإذن الله ﷻ.

السابعة عشر: جهود العلماء في اختصار تفسير الطبري

نظرًا لضخامة هذا التفسير، واتساع مباحثه، وتنوع معلوماته -مع مكانته وإمامة مؤلفه- فقد رغب بعض أهل العلم في تقريب هذا السِّفر الضخم، فعمد إلىٰ اختصاره وتهذيبه، مع أنَّ ابن جريرٍ نفسه قد ألفه مختصَرًا كما تقدَّمت الإشارة إلىٰ ذلك..

وقد ذكر ابن النديم (ت٣٨٠ هـ)[١] -وهو من أقدم المصنفين في رصد حركة التأليف- عن تفسير الطبري بأنه اختصره جماعه، ولكنه لم يذكر منهم سوىٰ ابن الإخشيد، الآتي ذكره.

بل قد تمنىٰ العالم المتفنن جلال الدين السيوطي أن يقوم باختصاره، حيث قال: قد منَّ الله عليَّ بإدامة مطالعته والاستفادة منه، وأرجو أن أصرف العناية إلىٰ اختصاره وتهذيبه، ليسهل علىٰ كلِّ أحدٍ تناوله، إن شاء الله تعالىٰ[٢].اهـ

لكن يبدو أن أمنيته هذه لم تتحقق، والعلم عند الله تعالىٰ.

أما من قام باختصار تفسير الطبري - قَبْلِي- فعلًا فهم أحد عشر وهي:

مختصرات أربعة مطبوعة متداولة، ومختصران مخطوطان، والخمسة الباقية في حكم المفقود..

أما المخطوطان فهما:

١- تحبير التحرير في اختصار تفسير الإمام ابن جرير، لمحمد بن إسحاق بن الزبير بن محمد الأنصاري الخزرجي المدني التنبكتي، وهو سلفي العقيدة، مالكي المذهب (ت١٣٦٣هـ)، وقدر ذكر الزركلي عن مختصره هذا بأنه هيء للطبع[٣].

٢- مختصر تفسير الطبري، لخالد بن عبد الرحمن العك، وهو معدود ضمن آثار المؤلف، وفي آخر كتابه (**أصول التفسير وقواعده**)، وكتب أمامه: (**قيد الطبع**)[٤]، وقد افاد الدكتور صلاح الخالدي في مقدمة تهذيبه لتفسير الطبري بأنه لم يطبع حتىٰ الآن[٥].

---

(١) انظر (الفهرست/ ٤٩٢).

(٢) طبقات المفسرين (٩٦).

(٣) انظر الإعلام للزركلي (٦/ ١٧٨/ ١٧٩).

(٤) (ص٤٨٩).

(٥) تفسير الطبري تقريب وتهذيب: (١/ ١٠).

أما المختصرات الخمسة التي في حكم المفقود فهي:

١- اختصار تفسير الطبري: لأحمد بن علي بن بيغجور، المعروف بابي بكر ابن الإخشيد، وهو من رؤساء المعتزلة وزهادهم (ت٣٢٦)(١)، وبناء علىٰ ذلك يكون هو أول من اختصر تفسير الطبري.

٢- اختصار تفسير القرآن للطبري: لابي بكر أحمد بن عبد الله بن أيوب الأموي الذهبي القرطبي، من علماء القرن الرابع، ذكره ابن بشكوال في ترجمته، ووصفه بالحسن(٢).

٣- اختصار تفسير القرآن للطبري: لابي عبد الله محمد بن أحمد بن مطرِّف الطَّرفي الكناني (ت٤٥٤هـ)(٣).

٤- مختصر تفسير الطبري: لابي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله المرِّي، المعروف بابن اللجالش (ت٤٩٠هـ)(٤)، وقد اعتمد عليه الثعالبي في نقل كلام الطبري، كما صرح بذلك في مقدمة تفسيره، ووصفه بأنه اعتنىٰ بتهذيبه(٥).

٥- مختصر تفسير الطبري: لعلاء الدين ابي المحاسن علىٰ بن عثمان بن محاسن الدمشقي الشافعي (ت٧٣٩هـ)(٦).

أما المختصرات الأربعة المطبوعة فهو موضوع المسألة التي بعدها.

الثامنة عشر: التعريف بمختصرات الطبري المطبوعة ومؤلفيها

سيكون الكلام عليها وفقًا للترتيب الزمني، وهي كالتالي:

١ - مختصر تفسير الإمام الطبري: لمحمد بن صمادح التجيبي (ت٤١٩هـ).

وقد اعتنىٰ فيه ببيان بعض ألفاظ الغريب، فهو أقرب إلىٰ كتب الغريب، ولذلك فإنه

---

(١) الفهرست لابن النديم (٣٦٨).

(٢) الصلة لابن بشكوال (١/ ٢٤).

(٣) معجم البلدان لياقوت الحموي (٦/ ٢٥٨)، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين (٦/ ٢٢).

(٤) انظر الصلة لابن بشكوال (٢/ ٥٦٣)، وعجم المؤلفين لكحالة (٤/ ٧٧)، ومعجم المفسرين لعادل نويهض (٢/ ٤٧٦)، وجامع الشروح والحواشي للحبشي (٣/ ٦١٤).

(٥) الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (١/ ١١٨).

(٦) انظر الوافي بالوفيات (٢١/ ٣٠٧).

مطبوع علىٰ هامش المصحف، وقد ذُكِرَ ضمن مخطوطات غريب القرآن في «**معجم الدراسات القرآنية**»، وقال هو نفسه في مقدمته: إني قصدت بما جمعته في هذا الكتاب من تفسير غريب القرآن وتأويله، غلىٰ الاقتصار علىٰ الاختصار، وتفسير اللفظة الجارية علىٰ ألسنة الناس كافة، ولا المتعارفة بين أكثرهم، وتجاوزت المستعملة الفاشية التي لا تكاد يجهلها إلا من لم يؤت حظًا من علم، ولا شيئًا من معرفة.اهـ..

أما كون اسمه (**مختصر تفسير الإمام الطبري**) فليس من وضعه، وليس هناك ما يدل علىٰ أنه سماه في مقدمته بهذا.

وبهذا يتضح أنَّه بعيد عن موضوع مختصرات تفسير الطبري وإن دخل فيها باسم أُطلِق عليه ليس من وضع مؤلفه.

٢- **مختصر تفسير الطبري: لمحمد بن علي الصابوني، وصالح أحمد رضا..**

صدر الكتاب عن دار القرآن الكريم ببيروت عام (١٤٠٣هـ) في مجلدين اثنين، وجعل نص الآيات في أعلىٰ الصفحات، والتفسير في الأسفل، وذكر الصابوني في خاتمة الكتاب أنه تم الفراغ منه في: ٢٤/ ربيع الأول/ ١٤٠٢هـ..

وقد وجهت له ولغيره من مؤلفات الصابوني في التفسير انتقادات عديدة، منهجية وتفصيلية، وكُتبت عليها بعض الردود، من قبل عدد من العلماء وطلبة العلم، أوصلها الشيخ الفقيه المحدث العلامة بكر أبو زيد في رسالة له بعنوان (**التحذير من مختصرات محمد علىٰ الصابوني في التفسير**) إلىٰ (٢٢) ردًا، وأكثر هذه الردود تخص كتابه (**صفوة التفاسير**)، وبعضها علىٰ مختصريه للطبري، وابن كثير..

وقد صنف الشيخ بكر أبو زيد الأخطاء التي فيها، وكُتبت تلك الردود لإيضاحها والرد عليها، ثلاثة أصناف:

الأول: الإخلال بالأمانة العلمية.

الثاني: مسّه عقيدة التوحيد بما ينابذها.

الثالث: جهالاته بالسنة النبوية.

وها هنا حقيقة هامة نبه عليها الشيخ بكر أبو زيد، وهي قوله: وبناء علىٰ ما تقدَّم صدر التعميم المذكور بمصادرة (**صفوة التفاسير**)، كما أوقف توزيع المختصرين. اهـ

وهذه الردود وإن كان بعضها محل نقاش، وكتب الصابوني نفسه ردًا علىٰ بعضها..

فلا ينبغي أن نبخس الرجل حقه، وأن ننكر كلَّ الجهد الذي بذله، ولكن يجب الانتباه لتلك الملحوظات والأخطاء، خصوصًا ما يتعلق بالعقيدة.

٣- تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن: هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه الدكتور بشار عواد، وعصام فارس الحرستاني.

وقد صدر في سبعة مجلدات عن مؤسسة الرسالة ببيروت سنة (١٤١٥هـ- ١٩٩٤م) ولا أعرف له سوىٰ هذه الطبعة.. ولم يعد الكتاب الآن موجودًا يباع، فكانت هذه هي الطبعة الوحيدة الأولىٰ والأخيرة للكتاب.

وقد أشار الدكتور بشار في مقدمته إلىٰ الجهد المبذول فيه جزاه الله خيرا علىٰ ما قدَّم وخدم به هذا الكتاب..

إلا أنَّ هناك وقفات مهمة لابد من الوقوف عندها من خلال كلامه في مقدمة الكتاب واسمه الذي سماه به، وكذلك من خلال الاطلاع علىٰ الكتاب نفسه، ومدىٰ مطابقته لِما ذُكِر في المقدمة..

قال حفظه الله في تسميته للكتاب:

تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه...اهـ

فهو يصرح حفظه الله بأن عمله (**تهذيب**) وليس اختصارًا، وقد تقدَّم معنىٰ الفرق بينهما..

وعند التدقيق في الكتاب نجد أنه لم يغير لفظ الطبري في ما انتقاه منه إلا نادرًا في ما يقتضي طبيعة هذا النوع من التأليف، فهو من حيث التطبيق اختصارٌ وليس تهذيبًا.

قال حفظه الله في بيان منهجه العام في اختصاره:

ثم أنبهني بعض أصدقائي من محبي العلم إلىٰ الفائدة العظيمة من تقديم تفسير الطبري وحده مما ورد في جامع البيان دون الآراء والأحاديث والأشعار والقراءات التي استدل بها مخالفوه أو استدل بها هو نفسه في الرد عليهم أو تقوية رأيه. اهـ

فهو يريد -حفظه الله- فصل كلام الطبري عن كلام غيره، ثم أطلق عليه اسم (**تفسير الطبري**)، مع عدم النظر إلىٰ غرض ومقصد الطبري نفسه من تفسيره.. والصواب أن كل ما

كتبه الطبري هو تفسير الطبري سواء كان كلامه هو أو نقله عن غيره أو أسنده، وعندما ننظر إلىٰ تطبيق ذلك عمليًا في مختصر الدكتور بشار، نجد أنَّه ذكر كلام الطبري بغض النظر عن فائدة ذلك وخدمته لغرض الكتاب الذي هو مقصد الطبري نفسه، وكأن الهدف من هذا المختصر هو فصل كلام الطبري عن الأدوات والوسائل التي خدمت هذا الكلام، بعيدًا عن غرض المصنف في تأليف الكتاب الذي تقدَّم ذكره، ولم أجد الإشارة إليه من كلام الدكتور بشار في مقدمته ولا في ثنايا الكتاب.

كذلك يشير الدكتور بشار حفظه الله إلىٰ أنَّ من منهجه العام في هذا المختصر حذف كلِّ الآراء والأحاديث والأشعار والقراءات التي أستدل بها الطبري نفسه أو استدل بها مخالفوه..

وبالنظر عمليًا إلىٰ تطبيق ذلك في كتابه، وجدتُ أنه يذكر رأي الطبري وغيره دون ذكر الأدلة، لأنه اعتبر ذلك من كلام الطبري، والأدلة ليست من كلامه، وكان الأولىٰ بالاختصار المناسب لغرض الطبري في تأليفه لهذا الكتاب، هو الاقتصار علىٰ ما رجحه الطبري فقط، مع ذكر شيء من دليله عليه، وشيء من الرد علىٰ مخالفه، فبالضد تتبيَّن الأشياء، ولكن هذا الخلل نشأ عن عدم الانتباه لغرض الطبري في التفسير، وإن فكرة مختصر الدكتور بشار قائمة علىٰ اعتبار أن كل ما نقله الطبري عن غيره ليس من تفسيره، وأن تفسيره هو ما قاله بنفسه، وفصل ذلك عن غرض ومقصد الطبري من التفسير.

كذلك لم يتعرض الدكتور بشار إلىٰ منهجه في ما يكون من اختلاف التنوع في هذا التفسير، وهو كثير، وبالاطلاع علىٰ الكتاب وجدته لا يفرق بين ما ذكره الطبري من اختلاف التنوع أو اختلاف التضاد في المعاني والقراءات واللغة وغيرها، وأنه يذكر ذلك كلَّه بدون أي اختصار طالما أنه من كلام الطبري.

قال الدكتور بشار حفظه الله في بيان سبب إقباله علىٰ هذا المختصر:

وقد شجعني علىٰ المضي في هذا العمل ما رأيته من صنيع بعض من اختصر الكتاب وهذبه في إبقائه علىٰ الآراء المختلفة والاقتصار علىٰ اختصار الاسانيد وبعض الاشعار، أو اختصاره اختصارًا مجحفًا أخرجه عن قصده. اهـ

فهو يبين أنَّ سبب اختصاره لتفسير الطبري عدم إيفاء المختصرين له من قبل وخروجهم عن مقصود الكتاب..

ولكنه لم يذكر المقصود من الكتاب، وكيف سيحققه في هذا المختصر، كما أنه لم يذكر شيئًا من المختصرين لهذا الكتاب قبله غير هذا.

قال حفظه الله في بيان شيء من التفصيل أكثر في منهجه:

من هنا أزمعت علىٰ تقديم (**تفسير الطبري**) وحده بعيدًا عن الآراء والاستشهادات الكثيرة المتباينة في التفسير، وعُنيت بهذا الأمر عناية شديدة بحيث يأتي الكتاب لطيفًا في حجمه، مستوعبًا لجميع ما توصل إليه المؤلف من تأويل. اهـ

وهنا يصر حفظه الله ويؤكد علىٰ اعتبار أن كل ما نقله الطبري ليس من كلامه، وأنَّ عمله في هذه الاختصار هو فصل كلام الطبري بعيدًا عن أي شيء آخر.

اعتبر كذلك أنَّ كلَّ ما سيذكره الطبري من الآراء متباينة، أو علىٰ الأقل لم يذكر ما الذي سيفعله في الآراء المتنوعة الكثيرة التي ترجع إلىٰ قولٍ واحد، وهذا -والله أعلم- مبني علىٰ الخطأ الأول المشار إليه من قبل، وهو الفكرة التي قامت عليها هذا المختصر، البعيدة من غاية ومقصد الطبري في مصنَّفِهِ.

ثم وصف حجم الكتاب بأنه لطيف، مع كونه في سبع مجلدات، وأصل تفسير الكتاب كما في طبعة دار الحديث التي خدمتُها أحد عشر مجلدًا بدون مجلد الفهارس، مع أنه كما ذكر في مقدمته اقتصر علىٰ كلام الطبري فقط، ولكنَّ كلام الطبري نفسه بحسب مصطلح الدكتور بشار يحتاج لاختصار.

ثم قال حفظه الله مبينًا منهجه في تعامله مع ما لم يرجحه الطبري فقال:

لذلك حذفت التفاسير التي نقلها ولم يرضها وتوصل إلىٰ ما يخالفها، واسقطت معظم ما استشهد به هو أو مخالفوه من الشواهد الشعرية واللغوية.. اهـ

فلم يبين حفظه الله منهج هذا الحذف، ولكن بالنظر في الكتاب وجدت بأنه لا يحذف شيئًا من ذلك طالما أنَّه من كلام الطبري، ويحذف كل ما دون ذلك طالما أنه ليس من كلام الطبري مباشرة ولكنه نقله أو أسنده، يعني أنه يذكر الأقوال الأخرىٰ كلَّها التي خالفها الطبري وجعلها مرجوحة، ولكنه حذف أدلتهم، وأدلة الطبري التي اعتمد عليها في الترجيح.

كذلك لم يبين متىٰ سُيبقي علىٰ الشواهد الشعرية، ومتىٰ سيحذفها، فلم يبين منهجه في هذا الانتقاء..

إلا أنه بالنظر في الكتاب وجدته سلك منهجًا تنازليًا، كلَّما اقترب من نهاية الكتاب قلَّت الشواهد والتعليقات، حتىٰ كأنها انعدمت في نهاية الكتاب.

وقال حفظه الله مبيِّنًا منهجه في ما يتعلق بالأحاديث والآثار:

وأهملت معظم ما استند إليه من الأحاديث والآثار إذ أن في كلامه الذي ارتضاه خلاصة لها، إلا في القليل النادر الصحيح منها، وإلا فإن الغالب علىٰ ما ساقه من الأسانيد عدم الارتقاء إلىٰ مراتب الصحة القاطعة. اهـ

وتتلخص هذه الفقرة في:

- إهماله لمعظم الاثار استغناءً بكلام الطبري في خلاصتها، ولم يذكر ما الذي سيفعله في الآثار التي استغنىٰ بها الطبري عن الكلام، وبالنظر إلىٰ المختصر وجدت أنه لم يشر إلىٰ ذلك، ويحذف الأثر.

- استثنىٰ من عدم حذف الآثار القليل النادر الصحيح منها، ولم يبين المستثنىٰ منه، ولم يوضحه، ولم يبين منهجه في ذكرها، فلا أدري هل معناه أنه سيذكر كلَّ الصحيح، أم سيذكر بعضه، وبالنظر إلىٰ المختصر وجدته يذكر بعضه نادرًا ويقتصر في ذلك علىٰ المرفوع دون غيره.

- قرر حفظه الله أن الآثار الصحيحة في كتاب الطبري نادرة جدًا، وأتىٰ بعبارة لم أفهم معناها، وهي (**عدم ارتقائها إلىٰ مراتب الصحة القاطعة**)، فلا أدري ما الذي يعنيه بقوله (**الصحة القاطعة**)، فهل يعني بذلك الصحيح بيقين، وأراد أن يخرج بذلك الآحاد؟ أم أراد بذلك ما لا نستطيع أن نحكم بصحته قطعًا؟ فلعل الثاني هو الأقرب..

أما اعتبار أنَّ الآثار الصحيحة في الطبري نادرة، فهو قول لا شك في أنه غير صائب، فقد بلغت مجموع آثار الطبري كلها (٣٨٤٩٩) بحسب طبعة دار الحديث التي خدمتُ تفسيرَ الطبري الأصل من خلالها، كان عدد الآثار الضعيفة (١٧٤٨٥)، وكان عدد الآثار الصحيحة (٢١٠١٤)، وهذا مع أنني ضعفت آثار ابن عباس من طرق صححها غيري وهي كثيرة، وضعفت آثار السدي لأنها من طريق أسباط، وهي كثيرة أيضًا، وضعفت آثار ابن إسحاق التي ليست في ابن هشام أو في سيرته هو؛ لأنها من طريق ابن حميد شيخ الطبري، وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية صريح في أن تفسير الطبري هو أصح التفاسير، فكيف يكون الصحيح فيه نادرًا؟!

ثم نقل اتِّبَاعه للعلامة المحقق الجليل الاستاذ محمود شاكر في ما توصَّل إليه اجتهاده في سبب إيراد الطبري للأسانيد الواهية فقال:

إنَّ استدلال الطبري بالآثار الواهية التي يرويها بأسانيدها لا يراد بها إلا تحقيق معنىٰ لفظ أو بيان سياق عبارة.. من أجل هذا الاستدلال لم يبال بما في الإسناد من وهن لا يرتضيه، فهو لم يسقها لتكون ميهمنة علىٰ تفسير آيا لتزيل. اهـ

وتتلخص هذه الفقرة في:

- أن العلامة المحقق محمود شاكر اجتهد في بيان سبب ذكر الإمام الطبري للآثار الضعيفة في التفسير، وإسناد هذا للمحقق محمود شاكر صحيح بلا شك، وهو موجود بنصه في مقدمته علىٰ التفسير، ولكن الدكتور بشار نقله بمعناه، فاخطأ في بعضه وأصاب في بعضه، كما سيأتي بيانه.

- ذَكَر الدكتور بشار أنَّه متَّبع للمحقق محمود شاكر أن سببَ إيراد الإمام الطبري الآثار الضعيفة هو أنَّه يستدل بها علىٰ تحقيق معنىٰ لفظ أو بيان سياق عبارة كاستدلال المستدل بالشعر..

وهذا يرد عليه أمور كثيرة، منها:

أنَّ الطبري لا يستدل بالآثار غير المرفوعة أصلًا، لا بصحيحها ولا بضعيفها؛ لأنَّ الحجة ليس في قول أحد غير الوحي بشقيه القرآن والسنة، ومنه نعلم خطأ قول المحقق محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مقدمته بنصه: **(أحببت أن أكشف عن طريقه الطبري في الاستدلال بهذه الروايات)**..

فإن قيل: فما الذي أراده الطبري من ذكر الآثار؟

أجيب: بأن الطبري يذكر الآثار غير المرفوعة وأكثرها صحيح -كما تقدَّم في الإحصاء الناتج عن دراسة لكل آثار الطبري- من أجل نسبة الأقوال لقائليها، ولذلك يقول: ذكر من قال بهذا القول، ثم يذكر الآثار، ولم يقل: ذكر أدلة من قال بهذا القول، فهذه الآثار ليست أدلة كالشعر، بل الشعر في ذاته دليل، أما الأثر الغير مرفوع فهو دليل علىٰ نسبة هذا القول لقائله فقط، ثم يبقىٰ بعد ذلك البحث في قول هذا القائل حجة أم لا؟ فإن كان هذا الأثر صحيحًا ينظر بعد ذلك لقائله، فإن كان قائله النبي ﷺ، نظر في الاستدلال به، وهو حجة في عمومه، لأنه وحي، ويبقىٰ الخلاف في الاستدلال به علىٰ الآية، هل يصح الاستدلال به أو لا يصح، وإن كان

هذا الأثر صحيحًا وليس هو من قول النبي ﷺ، فهو منسوب لقائله، حتىٰ وإن لم يكن حجة..

فإن قيل: فما فائدة تلك الآثار غير المرفوعة الدالة علىٰ نسبة الأقوال لقائليها إذا كانت ليست بحجة؟

قيل: هي ليست بحجة من وجه، وهي حجة من وجه آخر..

فهي حجة لكونها لا يجوز الخروج عن أقوال قائليها إلىٰ قول يخالفهم، فإن اختلفوا علىٰ قولين فلا يجوز إحداث ثالث يخالفهم، وإن اختلفوا علىٰ ثلاثة أقوال فلا يجوز إحداث قول رابع يخالفهم، وهكذا.. والطبري مهما ذكر من أقوال مسندة لقائليها فلا يخرج في ترجيحه عن أحدها، أو يرجحها جميعًا إن كانت ترجع لأصل واحد ويَعُدُّهَا من اختلاف التنوع..

وفي نفس الوقت هي ليست بحجة، يعني أنَّه ليس أحد القائلين المسند إليهم هذه الأقوال حجة علىٰ صاحبه، ولكن الحجة فيهم جميعًا، لأن اختلافهم إجماع، لا يجوز الخروج عن أقوالهم، لأنهم مع اختلافهم قد اجتمعوا علىٰ خلاف غيرهم..

وهذه المسألة محلها كتب الإجماع، ولكنني بيَّنت هنا ما أراه كافيًا في بيان المسألة، ومن أراد التفصيل والاستزادة فليرجع إلىٰ كتاب الإجماع في التفسير لعمار بن محمد الجماعي، وكتاب آخر بنفس العنوان للدكتور محمد بن عبد العزيز الخضيري.

- ذكر الدكتور بشار نقلًا عن المحقق الشيخ محمود شاكر: أن الطبري لم يبال بما في الإسناد من وهن.. وهذا النقل بالمعنىٰ لم أجد له ما يستدل به علىٰ نسبته للشيخ المحقق رَحِمَهُ اللَّهُ..

وكلمة **(لم يبال بما في الإسناد)** يرد عليها ما تقدَّم من توضيح بأنَّ أكثر الآثار في الطبري صحيحة، وإن كان الضعيف فيه أيضًا كثير، وأنَّ كلَّ أثر في الطبري سواء كان صحيحًا أو ضعيفًا له أهميته في نسبة القول لقائله الذي هو حجة بوجه وغير حجة بوجه كما تقدَّم، فكيف يقال علىٰ الطبري أنَّه **(لم يبال بما في الإسناد من وهن)**؟!

والمتدبر المتطلع علىٰ تفسير الطبري جيدًا يجد أن الطبري وإن كان لا يتكلم علىٰ رواية رواية في التفسير، إلا أنَّ أهل النقد يعرفون ذلك بسهولة وخاصة في زمنه، بالإضافة إلىٰ أنَّه قد يقف علىٰ بعض الروايات ويبين علَّتها وخاصة إذا كان الأثر مرفوعًا.

- تقريره بأن أسانيد الآثار الضعيفة الموجودة في تفسير الطبري ليست مهيمنه علىٰ آي

التنزيل الكريم.. والحقيقة أنه ليست الآثار الضعيفة ولا الصحيحة مهيمنه علىٰ الوحي بقسمية القرآن والسنة، ولم يقل أحدٌ بذلك من أهل العلم، وهذا الكلام ليس هذا محله أصلًا؛ لما تقدَّم.

ثم قال الدكتور بشار حفظه الله:

وهذا المنهج الذي انتهجته هو الذي حدا بي إلىٰ وسم هذا الاختصار بـ(**تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن**) ليكون دالا علىٰ اقتصاره علىٰ كلام الطبري وما ارتضاه من تأويل لكل آية.اهـ

ولكن الدكتور بشار في طريقة عرض التفسير وسرده في المختصر لم يسلك منهجًا واحدًا، فمره يعرض تفسير بعض آية، بعد أن يضعها أولًا بخط مميز، وأحيانًا يذكر آية واحدة، وأحيانًا كثيرة يذكر عدة آيات جملة واحدة، ثم يذكر تحتها التفسير إجمالا في جملة واحدة.

ثم قال الدكتور بشار في ما يتعلق بالقراءات:

وحذفنا الاستدلالات التي ساقها المؤلف لإثبات صحة قراءة عاصم... وفي الوقت نفسه أبقينا علىٰ القراءات التي رجحها الطبري علىٰ هذه القراءة وما استدل به من الاستدلالات العلمية النفيسة في إثبات رجحانها. اهـ

- يقرر هنا حفظه الله أنه حذف الاستدلالات التي ساقها المؤلف لإثبات صحة قراءة عاصم.
- يقرر كذلك أنه أبقىٰ علىٰ القراءات التي رجحها الطبري مع أدلته.

والحقيقة أن ثبوت قراءة عاصم أو غيرها من أصحاب القراءات لا تحتاج لإثبات أكثر من مجرد نسبتها إليهم بالأسانيد المعروفة لدىٰ القراء، وهذا لا يورده الطبري أصلًا في تفسيره حتىٰ يُحذف، بل الذي يورده أنَّ هذه القراءة قرأ بها فلان وفلان، وهذا لا يحتاج لدليل حتىٰ يورده، فلا أدري ما المقصود بحذف أدلة قراءة عاصم أو غيرها؟!

ولم يشر الدكتور حفظه الله ما الذي سيفعله عند ترجيح الطبري لغير رواية عاصم، أو عندما يساوي الطبري بين كل الروايات ويجعل كلَّ قارئ لأي من هذه القراءات مصيب..

وهذا الكلام الذي ذكره الدكتور كله يتعارض مع تقريره أولًا أنه سيحذف ما يتعلق بالقراءات..

إلا أنه بالرجوع إلىٰ المختصر وجدت نفس الأمر القائم علىٰ القاعدة الرئيسية في هذا المختصر وهو ذكر ما قاله الطبري بنفسه وحذف ما دون ذلك، وهذا جعله يذكر أشياء كثيرة متعلقة بالقراءات وتوجيهها تخرج بالمختصر عن مقصوده.

ثم ذكر الدكتور بشار قبل خاتمة المقدمة شيئا يتعلق بالناسخ والمنسوخ فقال:

ولأبي جعفر آراء سديدة في مسائل الناسخ والمنسوخ، إذ هو من الذين لا يرتضون القول بالنسخ إلا بدليل واضح بين... لذا رأينا من المفيد النافع الإبقاء علىٰ كثير مما أثبته ودلل عليه في هذا الشأن لما فيه من الفوائد والعوائد. اهـ

ولم يذكر كذلك منهجه في ذلك، وما الذي سيبقيه أو سيحذفه، ولكن يفهم منه أنَّه سيشير إلىٰ قول الطبري في أن هذه الآية منسوخه، مع أنَّ هذا يدخل ضمن كلام الطبري الذي نبه أنه سيقتصر عليه في مختصره، وبالرجوع إلىٰ تفسير الطبري الأصل، وبالنظر إلىٰ تفسير كثير من الآيات في مختصر الدكتور لم أجده أشار إلىٰ شيء من ذلك، وانظر علىٰ سبيل المثال تفسير الآية رقم (١٩٤) من سورة البقرة، فقد صرح هناك الطبري بأن قوله تعالىٰ ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ منسوخة، ولم أجد الدكتور أشار إلىٰ ذلك مطلقًا.

وأخيرًا أشار الدكتور إلىٰ عمل صاحبه في المختصر فقال:

وقد رأيت من المفيد لهذا الكتاب أن يشاركني في العمل به صديقي الفاضل الأستاذ عصام فارس الحرستاني.. اهـ

ولم يذكر ما الذي قام به هذا الأستاذ الفاضل في هذا المختصر.

وأخيرًا فإني أنبه علىٰ:

أنَّ الجهد المبذول في هذا المختصر في الوقت الذي كُتِب فيه جهدٌ مشكورٌ لا يُنكر.

٤- تفسير الطبري تقريب وتهذيب.

للدكتور صلاح بن عبد الفتاح الخالدي، وقد صدر عن دار القلم بدمشق سنة (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) في سبعة مجلدات ضخمة..

وهذا الكتاب قد صرح مؤلفه تصريحا واضحًا بأنه تهذيب، قرأ تفسير الطبري ثم عبر عن ذلك بأسلوبه هو..

فهو ليس محلًا للنقد هنا، لأنه ليس بمختصر لتفسير الطبري، بل هو كتاب جديد احتوىٰ علىٰ ما في تفسير الطبري، ولكن بصياغة جديدة بحسب ما فهمه المؤلف من كلام الطبري...

ومحل النقد لهذا هو النقد لفكرة التهذيب، وهذا ليس له علاقة بالمختصر.

والحاصل بعد هذا العرض:

أنَّ هذه الكتب الأربعة الأخيرة قد بَذَل صانعوها جهدًا يحمدون عليه، إلا أنَّ التقصير والجمود من طبيعة البشر، والتوفيق والهداية والرشاد إنما هو من الله وحده، وما أبريء نفسي.

التاسعة عشر: إسنادي المتصل للإمام الطبري.

لقد أجازني سماحة الشيخ المحدث عبد الله بن عبد الرحمن السعد -حفظه الله- بالإسناد المتصل إلىٰ الطبري، وكذلك الشيخ المحقق نظر الفاريابي، حفظهما الله..

وهذه صورة إجازة سماحة الشيخ المحدث عبد الله السعد، مختومة بختمه، وهي أعلىٰ من سند الشيخ نظر باثنين، ثم يتصل الإسنادان عند زين الدين، الراوي عن ابن حجر.

الإسناد [١]

إلى تفسير الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى

من طريق فضيلة الشيخ العلامة المحدث/ عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد السعد حفظه الله تعالى

يروي فضيلة شيخنا المحدث عبد الله بن عبد الرحمن السعد (تفسير الإمام أبي جعفر الطبري) رحمه الله تعالى إجازة عن المشايخ إسماعيل الأنصاري وحماد الأنصاري وعبد الله ابن عقيل وغيرهم ثلاثتهم، عن عبد الحق الهاشمي، عن أحمد بن عبد الله البغدادي، عن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

(ح) ويرويه شيخنا عبد الله السعد إجازة عن الشيخ: حمود التويجري، عن عبد الله العنقري، عن حمد بن فارس، عن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عن جده، عن عبد الله بن إبراهيم بن سيف، عن أبي المواهب الحنبلي، عن النجم الغزي، عن أبيه البدر الغزي عن زكريا الأنصاري، عن الحافظ ابن حجر قال: أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن عبد العزيز المهدوي عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي الحسن علي بن محمود ابن الصابوني وأبي القاسم عبد الرحمن بن مكي في آخرين قالوا أنبأنا أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي إجازة مشافهة أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم ابن الخطاب الرازي إذنا عن أبي الفضل محمد بن أحمد السعدي عن الخصيب بن عبد الله بن الخصيب سماعا عن أبي محمد عبد الله بن محمد الفرغاني أنبأنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري به.

(ح) وقال ابن حجر: وبه عن عبد الرحمن بن مكي عن أبي القاسم بن بشكوال أنبأنا عبد الرحمن بن محمد بن عتاب أنبأنا أبي أنبأنا أبو المطفر عبد الرحمن بن مروان القنازعي أنبأنا أبو الطيب أحمد بن سليمان الجريري أنبأنا الطبري به.

نص الإجازة

هذا وقد أجزتُ الشيخ: (إسلام) كاظم منصور بن عبد الحميد) بما (طلبه) خاصة، وكل ما تصح لي روايته إجازة عامة وبجميع مؤلفاتي، وأثباتي بشرطها المعتبر عند أهل الحديث والأثر، ولا أسمح لأحد أن يروي عني كتب أهل البدع، وأبرأ إلى الله من رواية كتبهم. وإني لأوصي نفسي والمجاز بتقوى الله في السر والعلن والتمسك بالكتاب والسنة الصحيحة بفهم سلف هذه الأمة. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجيز

عبد الله بن عبد الرحمن السعد

وكتبت بمدينة الرياض يوم ٢٢ / ٤ / ١٤٢٧

شهد على صحة الإجازة أحمد بن عبد الرزاق بن محمد آل إبراهيم العنقري
٢٢/٤/١٤٢٧هـ

---

(١) حرره أحمد بن عبد الرزاق آل إبراهيم العنقري وقال محرره: هذا يسمى وصل الإسناد إلى نقطة التلاقي مع راوي النسخة وليس يسمى إسناد النسخة كاملا. وقد يصل لنا الكتاب بالسماع الكامل إلى يومنا هذا كصحيح البخاري وغيره، وقد يكون لبعضه ووصله بالإجازة، والرواية قد تكون ممن سمع من راوي النسخة فنوصل الإسناد من خلاله عن راوي النسخة. وإذا لم يسمع فنوصل بإجازة راوي النسخة لتلامذته، وإذا لم نعثر على تلامذة راوي النسخة وصلنا الإسناد من طرق أخرى نلتقي مع المصنف. كما لا يخفى على أهل الحديث ممن اشتغل بذلك.

وإني أشكر الأخ الكريم الأستاذ: **أحمد بن إبراهيم العنقري**؛ فقد كان شاهدًا على هذه الإجازة، وغيرها من إجازات الشيخ عبد الله السعد لي، فجزاه الله خيرًا، وجعل ما يبذل من خدمة إخوانه في ميزان حسناته.

وهذا إسنادي من طريق الشيخ نظر حفظه الله

١- فإني أروي تفسير الطبري عن الشيخ محمد بن نظر الفاريابي إجازة مكتوبةً لي خاصة قال فيها:

٢- أرويه عن شيخي وأستاذي العلامة، مؤرخ اليمن وعلم من أعلامها فضيلة الشيخ القاضي إسماعيل بن عليّ الأكوع رَحِمَهُ اللهُ وأدخله في جنات الفردوس..

٣- عن شيخه ثابت بن سعد بهران اليمنيّ (ت١٤٠٠هـ).

٤- عن حسين بن عليّ العُمَريّ الصنعانيّ (ت١٣٦١هـ).

٥- عن إسماعيل بن محسن بن عبد الكريم اليمنيّ (ت١٣٠١هـ).

٦- عن محمّد بن عليّ بن محمّد الشَّوكانيّ (ت١٢٥٠هـ).

٧- عن عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر الكَوْكَبانيّ، اليمنيّ (ت١٢٠٧هـ).

٨- عن السيد سليمان بن يحيىٰ بن عُمَر الأهدل (ت١١٩٧هـ).

٩- عن محمد حياة بن إبراهيم السِّنديّ، المدنيّ (ت١١٦٣هـ).

١٠- عن جمال الدين عبد الله بن سالم البصريّ، المكيّ (ت١١٣٤هـ).

١١- عن محمّد بن علاء الدين صالح بن عليّ البابليّ، القاهريّ (ت١٠٧٧هـ).

١٢- عن سالم بن محمّد السّنهوريّ (ت١٠١٥هـ).

١٣- عن زين الدين زكريا بن محمّد الأنصاريّ القاهريّ (ت٩٢٦هـ).

١٤- عن شهاب الدين أحمد بن عليّ ابن حجر العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ).

١٥- عن أبي عليّ محمد بن أحمد ابن أبي الحسن عليّ بن عبد العزيز المَهْدَويّ الأصل، المعروف بابن المُطَرِّز البَزَّاز (ت٧٩٧هـ).

١٦- عن يونس بن إبراهيم بن عبد القويِّ، الكَنانيِّ، العَسقلانيِّ (ت٧٢٩هـ).

١٧- عن علم الدين أبي الحسن عليّ بن محمود بن أحمد بن عليّ المحموديّ، العراقي المعروف بابن الصابونيّ (ت٦٤٠هـ). وأبو القاسم عبد الرحمن بن مكيّ بن حمزة بن مُوَقَّا الأنصاريّ ابن علاّس (ت٥٩٩هـ) في آخرين: قالوا:

١٨- أنبأنا أبو طاهر عماد الدين أحمد بن محمّد بن أحمد السِّلفيُّ الأصبهانيُّ (ت٥٧٦هـ) إجازة مشافهةً.

١٩- أنبأنا أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد الرازيّ، ثمّ المصريّ، الشّروطيّ المُعدَّل، المعروف بابن الحطّاب (ت٥٢٥هـ) إذنًا.

٢٠- عن أبي الفضل محمّد بن أحمد بن عيسىٰ بن عبد الله بن بن عبد الوهاب السَّعديِّ، البغداديِّ (ت٤٤١هـ).

٢١- عن الْخَصِيب بن عبد الله بن محمّد بن الحُسَين بن الْخَصِيب أبي الحَسَن المصريِّ (ت٤١٠هـ) سَماعًا.

٢٢- عن أبي محمّد عبد الله بن محمّد الفَرْغَانيِّ.

٢٣-أنبأنا أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريُّ.

١٦- وبه: عن أبي القاسم عبد الرحمن بن مكيّ بن حمزة بن مُوَقَّا الأنصاريّ ابن علاّس (ت٥٩٩هـ).

١٧- عن أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مَسْعُود بن بَشْكُوّال (ت٥٧٨هـ).

١٨- أنبأنا أبي محمّد عبد الرحمن بن محمّد بن عتّاب بن مُحْسن القُرطبيُّ (ت٥٢٥هـ).

١٩- أنبأنا والدي محمّد بن عتَّاب بن مُحْسِن مولىٰ عبد الملك بن أبي عتَّاب الجُذَاميُّ، أبو عبد الله مفتي قُرطبة (ت٤٦٢هـ).

٢٠- أنبأنا أبو الْمُطَرِّف عبد الرحمن بن مَرْوان بن عبد الرحمن الأنصاريُّ، القُرطبيُّ، القَنَازِعيُّ (ت٤١٣هـ).

٢١- أنبأنا أبو الطَّيِّب أحمد بن سُليمان بن محمّد بن عَمْرو الجَرِيريُّ - نسبة إلىٰ مذهب ابن جرير الطَّبريِّ - ثمَّ الحَرِيريُّ - نسبة إلىٰ بيع الحَرِير، اجتمعت فيه النسبتان - (ت٣٥٢هـ).

٢٢- أنبأنا أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريُّ رَحِمَهُ اللهُ وأسكنه فسيح جناته، آمين.

العشرون: إهداء

إلىٰ كل الموحدين في زمن الغربة..

إلىٰ كل المجاهدين بأنفسهم وأموالهم في نصرة الإسلام ورفع رايته..

إلىٰ كل طلبة العلم المبتغين به وجه الله..

إلىٰ زوجتي الحبيبة العزيزة الغالية..

إليكم جميعًا أهدي هذا الكتاب

رسالتي لكل من وقف على هذا (المختصر)

أرجو كلَّ مَنْ وقف علىٰ نسخة من هذا (المختصر لتفسير الطبري)..

لا تقف بهذا الكتاب عندك..

اقرأه علىٰ كل من لك ولايةٌ عليه، بعد الصلوات الجهرية، أو حتىٰ بعد صلاة واحدة تختارها، وحبذا لو كانت صلاةَ الفجر..

اقرأ عليهم تفسير الآيات التي سمعوها في صلاتهم..

وإن كنت تستطيع أن تصل بنسخة أو أكثر لغيرك فافعل.

وأُبشر العلماءَ وطلبةَ العلم وغيرَهم من المسلمين ممن لم أستطع أن أصل إليهم بنسخة من هذا الكتاب قبل نشره أنني سأستقبل نصحهم لي بما يرونه يُصلح من شأن هذا الكتاب في الطبعات القادمة.

وأوصي بأن يُقرأ أولًا قبل هذا الكتاب كتابُ (**نوادر الفوائد من تفسير الطبري**)، فقد استخلصته من هذا (**المختصر**)، إلا أنه جَمَعَ نوادرَ الفوائد التي ذكرها الطبري في تفسيره مرتبةً، بحسب الموضوعات، ووضعت لها تراجم وعناوين من كلام الطبري نفسه، أو بتقريب عبارته أحيانًا، وهو كالمدخل أو التمهيد بين يدي هذا (**المختصر**)..

وليس شرطًا في قراءة (**المختصر**) أن تقرأ (**النوادر**)، إلا أن القارئ (**للنوادر**) قبل (**المختصر**) سيقف - إن شاء الله - علىٰ كنوز قد يغفل عنها أثناء قراءته (**للمختصر**)، كما أن القارئ (**للمختصر**) سيقف - إن شاء الله - علىٰ كنوز قد يغفل عنها أثناء قراءته في التفسير الأصلي.

أسأل الله أن ينفع بهذا (**المختصر**) و(**أصله**) و(**نوادر فوائده**) كلَّ المكلفين، وصلَّ اللهُ علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

كتبه

إسلام بن منصور بن عبد الحميد

حرره مساء الأحد ٢٧ ربيع ثانٍ ١٤٣٧ هـ - ٧/٢/٢٠١٦ م

ima101277@gmail.com

٠١٠٦١٥٠٥٣٢٩/ ٠٠٢

اختِصَارُ مُقَدِّمَةِ المؤَلِّفِ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي حَجَّتِ الأَلبَابَ بَدَائِعُ حِكَمِهِ، وَخَصَمَتِ العُقُولَ لَطَائِفُ حُجَجِهِ، وَقَطَعَتْ عُذْرَ المُلحِدِينَ عَجَائِبُ صُنْعِهِ، وَهَتَفَتْ فِي أَسْمَاعِ العَالَمِينَ أَلسُنُ أَدِلَّتِهِ، شَاهِدَةً أَنَّهُ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ..

الَّذِي لَا عِدْلَ لَهُ مُعَادِلٌ وَلَا مِثْلَ لَهُ مُمَاثِلٌ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ مُظَاهِرٌ، وَلَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَلَا كُفُوًا أَحَدٌ..

وَأَنَّهُ الجَبَّارُ الَّذِي خَضَعَتْ لِجَبَرُوتِهِ الجَبَابِرَةُ..

وَالعَزِيزُ الَّذِي ذَلَّتْ لِعِزَّتِهِ المُلُوكُ الأَعِزَّةُ، وَخَشَعَتْ لِمَهَابَةِ سَطْوَتِهِ ذَوُو المَهَابَةِ، وَأَذْعَنَ لَهُ جَمِيعُ الخَلقِ بِالطَّاعَةِ طَوْعًا وَكَرْهًا، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرَّعْد: ١٥]..

فَكُلُّ مَوْجُودٍ إِلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ دَاعٍ، وَكُلُّ مَحْسُوسٍ إِلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ هَادٍ، بِمَا وَسَمَهُمْ بِهِ مِنْ آثَارِ الصَّنْعَةِ، مِنْ نَقْصٍ وَزِيَادَةٍ، وَعَجْزٍ وَحَاجَةٍ، وَتَصَرُّفٍ فِي عَاهَاتٍ عَارِضَةٍ، وَمُقَارَنَةِ أَحْدَاثٍ لَازِمَةٍ، لِتَكُونَ لَهُ الحُجَّةُ البَالِغَةُ..

ثُمَّ أَرْدَفَ مَا شَهِدَتْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ أَدِلَّتُهُ، وَأَكَّدَ مَا اسْتَنَارَتْ فِي القُلُوبِ مِنْهُ بَهْجَتُهُ، بِرُسُلٍ ابْتَعَثَهُمْ إِلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ..

دُعَاةً إِلَىٰ مَا اتَّضَحَتْ لَدَيْهِمْ صِحَّتُهُ، وَثَبَتَتْ فِي العُقُولِ حُجَّتُهُ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النِّسَاءِ: ١٦٥]، وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو النُّهَىٰ وَالحِلمِ..

فَأَمَدَّهُمْ بِعَوْنِهِ، وَأَبَانَهُمْ مِنْ سَائِرِ خَلقِهِ، بِمَا دَلَّ بِهِ عَلَىٰ صِدْقِهِمْ مِنَ الأَدِلَّةِ، وَأَيَّدَهُمْ بِهِ مِنَ الحُجَجِ البَالِغَةِ، وَالآيِ المُعْجِزَةِ، لِئَلَّا يَقُولَ القَائِلُ مِنْهُمْ ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المُؤْمِنُونَ: ٣٣ - ٣٤]..

فَجَعَلَهُمْ سُفَرَاءَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلقِهِ، وَأُمَنَاءَهُ عَلَىٰ وَحْيِهِ، وَاخْتَصَّهُمْ بِفَضْلِهِ، وَاصْطَفَاهُمْ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ -فِيمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ مَوَاهِبِهِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَرَامَاتِهِ- مَرَاتِبَ مُخْتَلِفَةً، وَمَنَازِلَ مُفْتَرِقَةً..

وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ، مُتَفَاضِلَاتٍ مُتَبَايِنَاتٍ، فَكَرَّمَ بَعْضَهُمْ بِالتَّكْلِيمِ وَالنَّجْوَىٰ، وَأَيَّدَ بَعْضَهُمْ بِرُوحِ القُدُسِ، وَخَصَّهُ بِإِحْيَاءِ المَوْتَىٰ، وَإِبْرَاءِ أُولِي العَاهَةِ وَالعَمَىٰ..

وَفَضَّلَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ، مِنَ الدَّرَجَاتِ بِالعُلْيَا، وَمِنَ المَرَاتِبِ بِالعُظْمَىٰ، فَحَبَاهُ مِنْ أَقْسَامِ كَرَامَتِهِ بِالقِسْمِ الأَفْضَلِ وَخَصَّهُ مِنْ دَرَجَاتِ النُّبُوَّةِ بِالحَظِّ الأَجْزَلِ، وَمِنَ الأَتْبَاعِ وَالأَصْحَابِ بِالنَّصِيبِ الأَوْفَرِ..

وَابْتَعَثَهُ بِالدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالرِّسَالَةِ العَامَّةِ، وَحَاطَهُ وَحِيدًا، وَعَصَمَهُ فَرِيدًا، مِنْ كُلِّ جَبَّارٍ عَانِدٍ، وَكُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ..

حَتَّىٰ أَظْهَرَ بِهِ الدِّينَ، وَأَوْضَحَ بِهِ السَّبِيلَ، وَأَنْهَجَ بِهِ مَعَالِمَ الحَقِّ، وَمَحَقَ بِهِ مَنَارَ الشِّرْكِ، وَزَهَقَ بِهِ البَاطِلُ، وَاضْمَحَلَّ بِهِ الضَّلَالُ وَخُدَعُ الشَّيْطَانِ وَعِبَادَةُ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ، مُؤَيَّدًا بِدَلَالَةٍ عَلَىٰ الأَيَّامِ بَاقِيَةٍ، وَعَلَىٰ الدُّهُورِ وَالأَزْمَانِ ثَابِتَةٍ، وَعَلَىٰ مَرِّ الشُّهُورِ وَالسِّنِينَ دَائِمَةٍ، يَزْدَادُ ضِيَاؤُهَا عَلَىٰ كَرِّ الدُّهُورِ إِشْرَاقًا، وَعَلَىٰ مَرِّ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ ائْتِلَاقًا، خِصِّيصَىٰ مِنَ اللهِ لَهُ بِهَا دُونَ سَائِرِ رُسُلِهِ -الَّذِينَ قَهَرَتْهُمُ الجَبَابِرَةُ، وَاسْتَذَلَّتْهُمُ الأُمَمُ الفَاجِرَةُ، فَتَعَفَّتْ بَعْدَهُمْ مِنْهُمُ الآثَارُ، وَأَخْمَلَتْ ذِكْرَهُمُ اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ- وَدُونَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُرْسَلًا إِلَىٰ أُمَّةٍ دُونَ أُمَّةٍ، وَخَاصَّةٍ دُونَ عَامَّةٍ، وَجَمَاعَةٍ دُونَ كَافَّةٍ..

فَالحَمْدُ للهِ الَّذِي كَرَّمَنَا بِتَصْدِيقِهِ، وَشَرَّفَنَا بِاتِّبَاعِهِ، وَجَعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الإِقْرَارِ وَالإِيمَانِ بِهِ وَبِمَا دَعَا إِلَيْهِ وَجَاءَ بِهِ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، أَزْكَىٰ صَلَوَاتِهِ، وَأَفْضَلَ سَلَامِهِ، وَأَتَمَّ تَحِيَّاتِهِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ..

فَإِنَّ مِنْ جَسِيمِ مَا خَصَّ اللهُ بِهِ أُمَّةَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الفَضِيلَةِ، وَشَرَّفَهُمْ بِهِ عَلَىٰ سَائِرِ الأُمَمِ مِنَ المَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ، وَحَبَاهُمْ بِهِ مِنَ الكَرَامَةِ السَّنِيَّةِ، حِفْظَهُ مَا حَفِظَ عَلَيْهِمْ -جَلَّ ذِكْرُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ- مِنْ وَحْيِهِ وَتَنْزِيلِهِ..

الَّذِي جَعَلَهُ عَلَىٰ حَقِيقَةِ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ دَلَالَةً..

وَعَلَىٰ مَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ الكَرَامَةِ عَلَامَةً وَاضِحَةً، وَحُجَّةً بَالِغَةً..

أَبَانَهُ بِهِ مِنْ كُلِّ كَاذِبٍ وَمُفْتَرٍ..

وَفَصَلَ بِهِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ كُلِّ جَاحِدٍ وَمُلْحِدٍ..

وَفَرَّقَ بِهِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ كُلِّ كَافِرٍ وَمُشْرِكٍ..

الَّذِي لَوِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا، مِنْ جِنِّهَا وَإِنْسِهَا وَصَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ لَمْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا..

فَجَعَلَهُ لَهُمْ فِي دُجَىٰ الظُّلَمِ نُورًا سَاطِعًا، وَفِي سُدَفِ الشُّبَهِ شِهَابًا لَامِعًا وَفِي مَضَلَّةِ المَسَالِكِ دَلِيلًا هَادِيًا، وَإِلَىٰ سُبُلِ النَّجَاةِ وَالحَقِّ حَادِيًا، ﴿يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المَائِدَة: ١٦]..

حَرَسَهُ بِعَيْنٍ مِنْهُ لَا تَنَامُ، وَحَاطَهُ بِرُكْنٍ مِنْهُ لَا يُضَامُ، لَا تَهِي عَلَىٰ الأَيَّامِ دَعَائِمُهُ، وَلَا تَبِيدُ عَلَىٰ طُولِ الأَزْمَانِ مَعَالِمُهُ، وَلَا يَجُوزُ عَنْ قَصْدِ المَحَجَّةِ تَابِعُهُ وَلَا يَضِلُّ عَنْ سُبُلِ الهُدَىٰ مُصَاحِبُهُ..

مَنِ اتَّبَعَهُ فَازَ وَهُدِيَ، وَمَنْ حَادَ عَنْهُ ضَلَّ وَغَوَىٰ..

فَهُوَ مَوْئِلُهُمُ الَّذِي إِلَيْهِ عِنْدَ الِاخْتِلَافِ يَئِلُونَ، وَمَعْقِلُهُمُ الَّذِي إِلَيْهِ فِي النَّوَازِلِ يَعْقِلُونَ وَحِصْنُهُمُ الَّذِي بِهِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ يَتَحَصَّنُونَ، وَحِكْمَةُ رَبِّهِمُ الَّتِي إِلَيْهَا يَحْتَكِمُونَ، وَفَصْلُ قَضَائِهِ بَيْنَهُمُ الَّذِي إِلَيْهِ يَنْتَهُونَ، وَعَنِ الرِّضَىٰ بِهِ يَصْدُرُونَ، وَحَبْلُهُ الَّذِي بِالتَّمَسُّكِ بِهِ مِنَ الهَلَكَةِ يَعْتَصِمُونَ.

اللهُمَّ فَوَفِّقْنَا لِإِصَابَةِ صَوَابِ القَوْلِ فِي مُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، وَعَامِّهِ وَخَاصِّهِ، وَمُجْمَلِهِ وَمُفَسَّرِهِ، وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ، وَظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، وَتَأْوِيلِ آيِهِ وَتَفْسِيرِ مُشْكِلِهِ..

وَأَلْهِمْنَا التَّمَسُّكَ بِهِ وَالِاعْتِصَامَ بِمُحْكَمِهِ، وَالثَّبَاتَ عَلَىٰ التَّسْلِيمِ لِمُتَشَابِهِهِ..

وَأَوْزِعْنَا الشُّكْرَ عَلَىٰ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ حِفْظِهِ وَالعِلْمِ بِحُدُودِهِ. إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ قَرِيبُ الإِجَابَةِ..

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

اعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ، رَحِمَكُمُ اللهُ..

أَنَّ أَحَقَّ مَا صُرِفَتْ إِلَىٰ عِلْمِهِ العِنَايَةُ، وَبَلَغَتْ فِي مَعْرِفَتِهِ الغَايَةُ، مَا كَانَ للهِ فِي العِلْمِ بِهِ رِضًىٰ، وَلِلعَالِمِ بِهِ إِلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ هُدًىٰ..

وَأَنَّ أَجْمَعَ ذَلِكَ لِبَاغِيهِ كِتَابُ اللهِ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ، وَتَنْزِيلُهُ الَّذِي لَا مِرْيَةَ فِيهِ، الفَائِزُ بِجَزِيلِ الذُّخْرِ وَسَنِيِّ الأَجْرِ تَالِيهِ، الَّذِي لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ..

وَنَحْنُ -فِي شَرْحِ تَأْوِيلِهِ، وَبَيَانِ مَا فِيهِ مِنْ مَعَانِيهِ-..

مُنْشِئُونَ -إِنْ شَاءَ اللهُ ذَلِكَ- كِتَابًا مُسْتَوْعِبًا لِكُلِّ مَا بِالنَّاسِ إِلَيْهِ الحَاجَةُ مِنْ عِلْمِهِ جَامِعًا، وَمِنْ سَائِرِ الكُتُبِ غَيْرِهِ فِي ذَلِكَ كَافِيًا..

وَمُخْبِرُونَ فِي كُلِّ ذَلِكَ بِمَا انْتَهَىٰ إِلَيْنَا مِنَ اتِّفَاقِ الحُجَّةِ فِيمَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ مِنْهُ، وَاخْتِلَافِهَا فِيمَا اخْتَلَفَتْ فِيهِ مِنْهُ، وَمُبَيِّنُو عِلَلِ كُلِّ مَذْهَبٍ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ، وَمُوَضِّحُو الصَّحِيحِ لَدَيْنَا مِنْ ذَلِكَ، بِأَوْجَزِ مَا أَمْكَنَ مِنَ الإِيجَازِ فِي ذَلِكَ، وَأَخْصَرِ مَا أَمْكَنَ مِنَ الاخْتِصَارِ فِيهِ..

وَاللهَ نَسْأَلُ عَوْنَهُ وَتَوْفِيقَهُ لِمَا يُقَرِّبُ مِنْ مَحَابِّهِ، وَيُبْعِدُ مِنْ مَسَاخِطِهِ..

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ صَفْوَتِهِ مَنْ خَلقِهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

وَأَوَّلُ مَا نَبْدَأُ بِهِ مِنَ القِيلِ فِي ذَلِكَ:

الإِبَانَةُ عَنِ الأَسْبَابِ الَّتِي البِدَايَةُ بِهَا أَوْلَىٰ، وَتَقْدِيمُهَا قَبْلَ مَا عَدَاهَا أَحْرَىٰ..

وَذَلِكَ: البَيَانُ عَمَّا فِي آيِ القُرْآنِ مِنَ المَعَانِي، الَّتِي مِنْ قِبَلِهَا يَدْخُلُ اللَّبْسُ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يُعَانِ رِيَاضَةَ العُلُومِ العَرَبِيَّةِ، وَلَمْ تَسْتَحْكِمْ مَعْرِفَتُهُ بِتَصَارِيفِ وُجُوهِ مَنْطِقِ الأَلْسُنِ السَّلِيقِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ.

(القَوْلُ فِي البَيَانِ عَنِ اتِّفَاقِ مَعَانِي آيِ القُرْآنِ، وَمَعَانِي مَنْطِقِ مَنْ نَزَلَ بِلِسَانِهِ القُرْآنُ مِنْ وَجْهِ البَيَانِ، وَالدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللهِ -تَعَالَى ذِكْرُهُ- هُوَ الحِكْمَةُ البَالِغَةُ، مَعَ الإِبَانَةِ عَنْ فَضْلِ المَعْنَى الَّذِي بِهِ بَايَنَ القُرْآنُ سَائِرَ الكَلَامِ)

إِنَّ مَنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَجَسِيمِ مِنَّتِهِ عَلَىٰ خَلقِهِ، مَا مَنَحَهُمْ مِنْ فَضْلِ البَيَانِ:
الَّذِي بِهِ عَنْ ضَمَائِرِ صُدُورِهِمْ يُبِينُونَ..
وَبِهِ عَلَىٰ عَزَائِمِ نُفُوسِهِمْ يَدُلُّونَ..
فَذَلَّلَ بِهِ مِنْهُمُ الأَلْسُنَ..
وَسَهَّلَ بِهِ عَلَيْهِمُ المُسْتَصْعَبَ..
فَبِهِ إِيَّاهُ يُوَحِّدُونَ..
وَإِيَّاهُ بِهِ يُسَبِّحُونَ وَيُقَدِّسُونَ..
وَإِلَىٰ حَاجَاتِهِمْ بِهِ يَتَوَصَّلُونَ..
وَبِهِ بَيْنَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ..
فَيَتَعَارَفُونَ وَيَتَعَامَلُونَ.

ثُمَّ جَعَلَهُمْ -جَلَّ ذِكْرُهُ- فِيمَا مَنَحَهُمْ مِنْ ذَلِكَ طَبَقَاتٍ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ..

فَبَيْنَ خَطِيبٍ مُسْهِبٍ، وَذَلِقِ اللِّسَانِ مُهْذِبٍ، وَمُفْحَمٍ عَنْ نَفْسِهِ لَا يُبِينُ، وَعَيٍّ عَنْ ضَمِيرِ قَلبِهِ لَا يُعَبِّرُ..

وَجَعَلَ أَعْلَاهُمْ فِيهِ رُتْبَةً، وَأَرْفَعَهُمْ فِيهِ دَرَجَةً، أَبْلَغَهُمْ فِيمَا أَرَادَ بِهِ بَلَاغًا، وَأَبْيَنَهُمْ عَنْ نَفْسِهِ بِهِ بَيَانًا..

ثُمَّ عَرَّفَهُمْ فِي تَنْزِيلِهِ وَمُحكَمِ آيِ كِتَابِهِ فَضْلَ مَا حَبَاهُمْ بِهِ مِنَ البَيَانِ، عَلَىٰ مَنْ فَضَّلَهُمْ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ ذِي البَكَمِ وَالمُسْتَعْجِمِ اللِّسَانِ فَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ١٨﴾ [الزُّخرُف: ١٨]..

فَقَدْ وَضَحَ إِذًا لِذَوِي الأَفْهَامِ، وَتَبَيَّنَ لِأُولِي الأَلْبَابِ، أَنَّ فَضْلَ أَهْلِ البَيَانِ عَلَىٰ أَهْلِ البَكَمِ وَالمُسْتَعْجِمِ اللِّسَانِ، بِفَضْلِ اقْتِدَارِ هَذَا مِنْ نَفْسِهِ عَلَىٰ إِبَانَةِ مَا أَرَادَ إِبَانَتَهُ عَنْ نَفْسِهِ بِبَيَانِهِ، وَاسْتِعْجَامِ لِسَانِ هَذَا عَمَّا حَاوَلَ إِبَانَتَهُ بِلِسَانِهِ..

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ -وَكَانَ المَعْنَىٰ الَّذِي بِهِ بَايَنَ الفَاضِلُ المَفْضُولَ فِي ذَلِكَ، فَصَارَ بِهِ

فَاضِلًا وَالآخَرُ مَفْضُولًا، هُوَ مَا وَصَفْنَا مِنْ فَضْلِ إِبَانَةِ ذِي البَيَانِ، عَمَّا قَصَّرَ عَنْهُ المُسْتَعْجِمُ اللِّسَانِ، وَكَانَ ذَلِكَ مُخْتَلِفَ الأَقْدَارِ، مُتَفَاوِتَ الغَايَاتِ وَالنِّهَايَاتِ-..

فَلَا شَكَّ أَنَّ أَعْلَىٰ مَنَازِلِ البَيَانِ دَرَجَةً، وَأَسْنَىٰ مَرَاتِبِهِ مَرْتَبَةً، أَبْلَغُهُ فِي حَاجَةِ المُبِينِ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَبْيَنُهُ عَنْ مُرَادِ قَائِلِهِ، وَأَقْرَبُهُ مِنْ فَهْمِ سَامِعِهِ..

فَإِنْ تَجَاوَزَ ذَلِكَ المِقْدَارَ، وَارْتَفَعَ عَنْ وُسْعِ الأَنَامِ، وَعَجَزَ عَنْ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ جَمِيعُ العِبَادِ، كَانَ حُجَّةً وَعَلَمًا لِرُسُلِ الوَاحِدِ القَهَّارِ..

كَمَا كَانَ حُجَّةً وَعَلَمًا لَهَا إِحْيَاءُ المَوْتَىٰ وَإِبْرَاءُ الأَبْرَصِ وَذَوِي العَمَىٰ، بِارْتِفَاعِ ذَلِكَ عَنْ مَقَادِيرِ أَعْلَىٰ مَنَازِلِ طِبِّ المُتَطَبِّبِينَ وَأَرْفَعِ مَرَاتِبِ عِلَاجِ المُعَالِجِينَ، إِلَىٰ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ جَمِيعُ العَالَمِينَ..

وَكَالَّذِي كَانَ لَهَا حُجَّةً وَعَلَمًا قَطْعُ مَسَافَةِ شَهْرَيْنِ فِي اللَّيْلَةِ الوَاحِدَةِ، بِارْتِفَاعِ ذَلِكَ عَنْ وُسْعِ الأَنَامِ، وَتَعَذُّرِ مِثْلِهِ عَلَىٰ جَمِيعِ العِبَادِ، وَإِنْ كَانُوا عَلَىٰ قَطْعِ القَلِيلِ مِنَ المَسَافَةِ قَادِرِينَ، وَلِلْيَسِيرِ مِنْهُ فَاعِلِينَ..

فَإِذًا كَانَ مَا وَصَفْنَا مِنْ ذَلِكَ كَالَّذِي وَصَفْنَا..

فَبَيِّنَ أَنْ لَا بَيَانَ أَبْيَنُ، وَلَا حِكْمَةَ أَبْلَغُ، وَلَا مَنْطِقَ أَعْلَىٰ، وَلَا كَلَامَ أَشْرَفُ، مِنْ بَيَانٍ وَمَنْطِقٍ تَحَدَّىٰ بِهِ امْرُؤٌ قَوْمًا فِي زَمَانٍ هُمْ فِيهِ رُؤَسَاءُ صِنَاعَةِ الخُطَبِ وَالبَلَاغَةِ، وَقِيلِ الشِّعْرِ وَالفَصَاحَةِ، وَالسَّجْعِ وَالكِهَانَةِ، عَلَىٰ كُلِّ خَطِيبٍ مِنْهُمْ وَبَلِيغٍ، وَشَاعِرٍ مِنْهُمْ وَفَصِيحٍ، وَكُلِّ ذِي سَجْعٍ وَكِهَانَةٍ..

فَسَفَّهَ أَحْلَامَهُمْ، وَقَصَّرَ بِعُقُولِهِمْ وَتَبَرَّأَ مِنْ دِينِهِمْ، وَدَعَا جَمِيعَهُمْ إِلَىٰ اتِّبَاعِهِ وَالقَبُولِ مِنْهُ وَالتَّصْدِيقِ بِهِ، وَالإِقْرَارِ بِأَنَّهُ رَسُولٌ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ..

وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ دَلَالَتَهُ عَلَىٰ صِدْقِ مَقَالَتِهِ، وَحُجَّتَهُ عَلَىٰ حَقِيقَةِ نُبُوَّتِهِ، مَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنَ البَيَانِ، وَالحِكْمَةِ وَالفُرْقَانِ، بِلِسَانٍ مِثْلِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَمَنْطِقٍ مُوَافِقَةٍ مَعَانِيهِ مَعَانِيَ مَنْطِقِهِمْ..

ثُمَّ أَنْبَأَ جَمِيعَهُمْ أَنَّهُمْ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ بَعْضِهِ عَجَزَةٌ، وَمِنَ القُدْرَةِ عَلَيْهِ نَقَصَةٌ، فَأَقَرَّ جَمِيعُهُمْ بِالعَجْزِ، وَأَذْعَنُوا لَهُ بِالتَّصْدِيقِ، وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالنَّقْصِ..

إِلَّا مَنْ تَجَاهَلَ مِنْهُمْ وَتَعَامَىٰ، وَاسْتَكْبَرَ وَتَعَاشَىٰ، فَحَاوَلَ تَكَلُّفَ مَا قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ عَنْهُ عَاجِزٌ، وَرَامَ مَا قَدْ تَيَقَّنَ أَنَّهُ عَلَيْهِ غَيْرُ قَادِرٍ، فَأَبْدَىٰ مِنْ ضَعْفِ عَقْلِهِ مَا كَانَ مُسْتَتِرًا، وَمِنْ عِيِّ لِسَانِهِ مَا كَانَ مَصُونًا، فَأَتَىٰ بِمَا لَا يَعْجِزُ عَنْهُ الضَّعِيفُ الأَخْرَقُ، وَالجَاهِلُ الأَحْمَقُ، فَقَالَ: (وَالطَّاحِنَاتِ طَحْنًا، وَالعَاجِنَاتِ عَجْنًا، فَالخَابِزَاتِ خُبْزًا، وَالثَّارِدَاتِ ثَرْدًا، وَاللَّاقِمَاتِ لَقْمًا)! وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الحَمَاقَاتِ المُشْبِهَةِ دَعْوَاهُ الكَاذِبَةَ.

فَإِذْ كَانَ تَفَاضُلُ مَرَاتِبِ البَيَانِ، وَتَبَايُنُ مَنَازِلِ دَرَجَاتِ الكَلَامِ، بِمَا وَصَفْنَا قَبْلُ..

وَكَانَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، أَحْكَمَ الحُكَمَاءِ، وَأَحْلَمَ الحُلَمَاءِ..

كَانَ مَعْلُومًا أَنْ أَبْيَنَ البَيَانِ بَيَانُهُ، وَأَفْضَلَ الكَلَامِ كَلَامُهُ، وَأَنَّ قَدْرَ فَضْلِ بَيَانِهِ، جَلَّ ذِكْرُهُ، عَلَىٰ بَيَانِ جَمِيعِ خَلقِهِ، كَفَضْلِهِ عَلَىٰ جَمِيعِ عِبَادِهِ..

فَإِذْ كَانَ كَذَلِكَ، وَكَانَ غَيْرَ مُبِينٍ مِنَّا عَنْ نَفْسِهِ مَنْ خَاطَبَ غَيْرَهُ بِمَا لَا يَفْهَمُهُ عَنْهُ المُخَاطَبُ، **كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُخَاطِبَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَحَدًا مَنْ خَلقِهِ إِلَّا بِمَا يَفْهَمُهُ المُخَاطَبُ**، وَلَا يُرْسِلُ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ رَسُولًا بِرِسَالَةٍ إِلَّا بِلِسَانٍ وَبَيَانٍ يَفْهَمُهُ المُرْسَلُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ المُخَاطَبَ وَالمُرْسَلَ إِلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَفْهَمْ مَا خُوطِبَ بِهِ وَأُرْسِلَ بِهِ إِلَيْهِ، فَحَالُهُ قَبْلَ الخِطَابِ وَقَبْلَ مَجِيءِ الرِّسَالَةِ إِلَيْهِ وَبَعْدَهُ سَوَاءٌ، إِذْ لَمْ يُفِدْهُ الخِطَابُ وَالرِّسَالَةُ شَيْئًا كَانَ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ جَاهِلًا..

وَاللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ يَتَعَالَىٰ عَنْ أَنْ يُخَاطِبَ خِطَابًا أَوْ يُرْسِلَ رِسَالَةً لَا تُوجِبُ فَائِدَةً لِمَنْ خُوطِبَ أَوْ أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ فِينَا مِنْ فِعْلِ أَهْلِ النَّقْصِ وَالعَبَثِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ عَنْ ذَلِكَ مُتَعَالٍ، وَلِذَلِكَ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، وَقَالَ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: ٦٤]، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ بِهِ مُهْتَدِيًا، مَنْ كَانَ بِمَا يُهْدَىٰ إِلَيْهِ جَاهِلًا..

فَقَدْ تَبَيَّنَ إِذًا - بِمَا عَلَيْهِ دَلَلْنَا مِنَ الدَّلَالَةِ - أَنَّ كُلَّ رَسُولٍ للهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَرْسَلَهُ إِلَىٰ قَوْمٍ، فَإِنَّمَا أَرْسَلَهُ بِلِسَانِ مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ، وَكُلَّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيٍّ، وَرِسَالَةٍ أَرْسَلَهَا إِلَىٰ أُمَّةٍ، فَإِنَّمَا أَنْزَلَهُ بِلِسَانِ مَنْ أَنْزَلَهُ أَوْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ..

فَاتَّضَحَ بِمَا قُلْنَا وَوَصَفْنَا، أَنَّ كِتَابَ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، بِلِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَإِذْ كَانَ لِسَانُ مُحَمَّدٍ ﷺ عَرَبِيًّا، فَبَيِّنٌ أَنَّ القُرْآنَ عَرَبِيٌّ، وَبِذَلِكَ أَيْضًا نَطَقَ مُحْكَمُ تَنْزِيلِ رَبِّنَا، فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ٢]، وَقَالَ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]..

وَإِذْ كَانَتْ وَاضِحَةً صِحَّةُ مَا قُلْنَا - بِمَا عَلَيْهِ اسْتَشْهَدْنَا مِنَ الشَّوَاهِدِ، وَدَلَّلْنَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّلَائِلِ- فَالوَاجِبُ أَنْ تَكُونَ مَعَانِي كِتَابِ اللهِ المُنَزَّلِ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، لِمَعَانِي كَلَامِ العَرَبِ مُوَافِقَةً، وَظَاهِرُهُ لِظَاهِرِ كَلَامِهَا مُلَائِمًا، وَإِنْ بَايَنَهُ كِتَابُ اللهِ بِالفَضِيلَةِ الَّتِي فَضَلَ بِهَا سَائِرَ الكَلَامِ وَالبَيَانِ، بِمَا قَدْ تَقَدَّمَ وَصْفُنَاهُ..

فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَبَيِّنٌ -إِذْ كَانَ مَوْجُودًا فِي كَلَامِ العَرَبِ الإِيجَازُ وَالِاخْتِصَارُ،

وَالِاجْتِزَاءُ بِالإِخْفَاءِ مِنَ الإِظْهَارِ، وَبِالقِلَّةِ مِنَ الإِكْثَارِ فِي بَعْضِ الأَحْوَالِ، وَاسْتِعْمَالُ الإِطَالَةِ وَالإِكْثَارِ، وَالتَّرْدَادِ وَالتَّكْرَارِ، وَإِظْهَارُ المَعَانِي بِالأَسْمَاءِ دُونَ الكِنَايَةِ عَنْهَا، وَالإِسْرَارُ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ، وَالخَبَرُ عَنِ الخَاصِّ فِي المُرَادِ بِالعَامِّ الظَّاهِرِ، وَعَنِ العَامِّ فِي المُرَادِ بِالخَاصِّ الظَّاهِرِ، وَعَنِ الكِنَايَةِ وَالمُرَادُ مِنْهُ المُصَرَّحُ، وَعَنِ الصِّفَةِ وَالمُرَادُ المَوْصُوفُ، وَعَنِ المَوْصُوفِ وَالمُرَادُ الصِّفَةُ، وَتَقْدِيمُ مَا هُوَ فِي المَعْنَىٰ مُؤَخَّرٌ، وَتَأْخِيرُ مَا هُوَ فِي المَعْنَىٰ مُقَدَّمٌ، وَالِاكْتِفَاءُ بِبَعْضٍ مِنْ بَعْضٍ، وَبِمَا يَظْهَرُ عَمَّا يُحْذَفُ، وَإِظْهَارُ مَا حَظُّهُ الحَذْفُ- أَنْ يَكُونَ مَا فِي كِتَابِ اللهِ المُنَزَّلِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ، فِي كُلِّ ذَلِكَ لَهُ نَظِيرًا، وَلَهُ مِثْلًا وَشَبِيهًا..

وَنَحْنُ مُبَيِّنُو جَمِيعِ ذَلِكَ فِي أَمَاكِنِهِ، إِنْ شَاءَ اللهُ ذَلِكَ وَأَمَدَّ مِنْهُ بِعَوْنٍ وَقُوَّةٍ.

(القَوْلُ فِي الوُجُوهِ الَّتِي مِنْ قِبَلِهَا يُوصَلُ إِلَى مَعْرِفَةِ تَأْوِيلِ القُرْآنِ)

قَدْ قُلنَا فِي الدَّلَالَةِ عَلَىٰ أَنَّ القُرْآنَ كُلَّهُ عَرَبِيٌّ..

وَأَنَّهُ نَزَلَ بِأَلسُنِ بَعْضِ العَرَبِ دُونَ أَلسُنِ جَمِيعِهَا..

وَأَنَّ قِرَاءَةَ المُسْلِمِينَ اليَوْمَ -وَمَصَاحِفَهُمُ الَّتِي هِيَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ- بِبَعْضِ الأَلسُنِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا القُرْآنُ دُونَ جَمِيعِهَا..

وَقُلنَا -فِي البَيَانِ عَمَّا يَحْوِيهِ القُرْآنُ مِنَ النُّورِ وَالبُرْهَانِ، وَالحِكْمَةِ وَالتِّبْيَانِ الَّتِي أَوْدَعَهَا اللهُ إِيَّاهُ، مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَمُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَلَطَائِفِ حِكَمِهِ- مَا فِيهِ الكِفَايَةُ لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِهِ.

وَنَحْنُ قَائِلُونَ فِي البَيَانِ عَنْ وُجُوهِ مَطَالِبِ تَأْوِيلِهِ..

قَالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النَّحل: ٤٤]..

وَقَالَ أَيْضًا جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النَّحل: ٦٤]..

وَقَالَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آلِ عِمْرَان: ٧]..

فَقَدْ تَبَيَّنَ بِبَيَانِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ، أَنَّ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ القُرْآنِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ، مَا لَا يُوصَلُ إِلَىٰ عِلمِ تَأْوِيلِهِ إِلَّا بِبَيَانِ الرَّسُولِ ﷺ..

وَذَلِكَ تَأْوِيلُ جَمِيعِ مَا فِيهِ، مِنْ وُجُوهِ أَمْرِهِ -وَاجِبِهِ وَنَدْبِهِ وَإِرْشَادِهِ- وَصُنُوفِ نَهْيِهِ، وَوَظَائِفِ حُقُوقِهِ وَحُدُودِهِ، وَمَبَالِغِ فَرَائِضِهِ، وَمَقَادِيرِ اللَّازِمِ بَعْضَ خَلقِهِ لِبَعْضٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِ آيِهِ، الَّتِي لَمْ يُدْرَكْ عِلمُهَا إِلَّا بِبَيَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِأُمَّتِهِ..

وَهَذَا وَجْهٌ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ القَوْلُ فِيهِ، إِلَّا بِبَيَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُ تَأْوِيلَهُ بِنَصٍّ مِنْهُ عَلَيْهِ، أَوْ بِدَلَالَةٍ قَدْ نَصَبَهَا، دَالَّةٍ أُمَّتَهُ عَلَىٰ تَأْوِيلِهِ.

وَأَنَّ مِنْهُ مَا لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ..

وَذَلِكَ مَا فِيهِ مِنَ الخَبَرِ عَنْ آجَالٍ حَادِثَةٍ، وَأَوْقَاتٍ آتِيَةٍ، كَوَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَنُزُولِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَإِنَّ تِلكَ أَوْقَاتٌ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ حُدُودَهَا، وَلَا

يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنْ تَأْوِيلِهَا إِلَّا الخَبَرَ بِأَشْرَاطِهَا، لِاسْتِئْثَارِ اللهِ بِعِلْمِ ذَلِكَ عَلَىٰ خَلْقِهِ..

وَبِذَلِكَ أَنْزَلَ رَبُّنَا مُحْكَمَ كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ١٨٧﴾ [الأعراف: ١٨٧]..

وَكَانَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ إِذَا ذَكَرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ إِلَّا بِأَشْرَاطِهِ دُونَ تَحْدِيدِهِ بِوَقْتِهِ كَالَّذِي رَوَىٰ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ، إِذْ ذُكِرَ الدَّجَّالُ: «إِنْ يُخْرَجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ، وَإِنْ يَخْرُجْ بَعْدِي، فَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ»..

وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الأَخْبَارِ -الَّتِي يَطُولُ بِاسْتِيعَابِهَا الكِتَابُ- الدَّالَّةِ عَلَىٰ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمُ أَوْقَاتِ شَيْءٍ مِنْهُ بِمَقَادِيرِ السِّنِينَ وَالأَيَّامِ، وَأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا كَانَ عَرَّفَهُ مَجِيئَهُ بِأَشْرَاطِهِ، وَوَقَّتَهُ بِأَدِلَّتِهِ.

وَأَنَّ مِنْهُ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ كُلُّ ذِي عِلْمٍ بِاللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ القُرْآنُ..

وَذَلِكَ إِقَامَةُ إِعْرَابِهِ، وَمَعْرِفَةُ المُسَمَّيَاتِ بِأَسْمَائِهَا اللَّازِمَةِ غَيْرِ المُشْتَرَكِ فِيهَا، وَالمَوْصُوفَاتِ بِصِفَاتِهَا الخَاصَّةِ دُونَ مَا سِوَاهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجْهَلُهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ..

وَذَلِكَ كَسَامِعٍ مِنْهُمْ لَوْ سَمِعَ تَالِيًا يَتْلُو: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ١٢﴾ [البقرة: ١١- ١٢]، لَمْ يَجْهَل أَنَّ مَعْنَىٰ الإِفْسَادِ هُوَ مَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ مِمَّا هُوَ مَضَرَّةٌ، وَأَنَّ الإِصْلَاحَ هُوَ مَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ مِمَّا فِعْلُهُ مَنْفَعَةٌ، وَإِنْ جَهِلَ المَعَانِيَ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ إِفْسَادًا، وَالمَعَانِيَ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ إِصْلَاحًا..

فَالَّذِي يَعْلَمُهُ ذُو اللِّسَانِ -الَّذِي بِلِسَانِهِ نَزَلَ القُرْآنُ- مِنْ تَأْوِيلِ القُرْآنِ، هُوَ مَا وَصَفْتُ مِنْ مَعْرِفَةِ أَعْيَانِ المُسَمَّيَاتِ بِأَسْمَائِهَا اللَّازِمَةِ غَيْرِ المُشْتَرَكِ فِيهَا، وَالمَوْصُوفَاتِ بِصِفَاتِهَا الخَاصَّةِ، دُونَ الوَاجِبِ مِنْ أَحْكَامِهَا وَصِفَاتِهَا وَهَيْئَاتِهَا الَّتِي خَصَّ اللهُ بِعِلْمِهَا نَبِيَّهُ ﷺ، فَلَا يُدْرَكُ عِلْمُهُ إِلَّا بِبَيَانِهِ، دُونَ مَا اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ دُونَ خَلْقِهِ..

وَبِمِثْلِ مَا قُلْنَا مِنْ ذَلِكَ رُوِيَ الخَبَرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (**التَّفْسِيرُ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: وَجْهٌ تَعْرِفُهُ العَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا، وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ، وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ العُلَمَاءُ، وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ**)..

وَهَذَا الوَجْهُ الرَّابِعُ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، مِنْ أَنَّ أَحَدًا لَا يُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ، **مَعْنًىٰ غَيْرُ الإِبَانَةِ عَنْ وُجُوهِ مَطَالِبِ تَأْوِيلِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ عَنْ أَنَّ مِنْ تَأْوِيلِهِ مَا لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ الجَهْلُ بِهِ.**

(النَّهْيُ عَنْ القَوْلِ فِي تَأْوِيلِ القُرْآنِ بالرَّأْيِ)

مَا كَانَ مِنْ تَأْوِيلِ آيِ القُرْآنِ الَّذِي لَا يُدْرَكُ عِلمُهُ إِلَّا بِنَصِّ بَيَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَوْ بِنَصْبِهِ الدَّلَالَةَ عَلَيْهِ، فَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ القِيلُ فِيهِ بِرَأْيِهِ..

بَل القَائِلُ فِي ذَلِكَ بِرَأْيِهِ -وَإِنْ أَصَابَ الحَقَّ فِيهِ- فَمُخْطِئٌ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِهِ، بِقِيلِهِ فِيهِ بِرَأْيِهِ، لِأَنَّ إِصَابَتَهُ لَيْسَتْ إِصَابَةَ مُوقِنٍ أَنَّهُ مُحِقٌّ، وَإِنَّمَا هُوَ إِصَابَةُ خَارِصٍ وَظَانٍّ..

وَالقَائِلُ فِي دِينِ اللهِ بِالظَّنِّ، قَائِلٌ عَلَىٰ اللهِ مَا لَمْ يَعْلَمْ..

وَقَدْ حَرَّمَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، فَقَالَ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]..

فَالقَائِلُ فِي تَأْوِيلِ كِتَابِ اللهِ، الَّذِي لَا يُدْرَكُ عِلمُهُ إِلَّا بِبَيَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، الَّذِي جَعَلَ اللهُ إِلَيْهِ بَيَانَهُ، قَائِلٌ بِمَا لَا يَعْلَمُ وَإِنْ وَافَقَ قِيلُهُ ذَلِكَ فِي تَأْوِيلِهِ، مَا أَرَادَ اللهُ بِهِ مِنْ مَعْنَاهُ؛ لِأَنَّ القَائِلَ فِيهِ بِغَيْرِ عِلمٍ، قَائِلٌ عَلَىٰ اللهِ مَا لَا عِلمَ لَهُ بِهِ.

(ذِكْرُ الأَخْبَارِ الَّتِي رُوِيَتْ فِي الحَضِّ عَلَى العِلمِ بتفسِيرِ القُرْآنِ، وَمَنْ كَانَ يُفَسِّرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ)

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّىٰ يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ، وَالعَمَلَ بِهِنَّ).

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمنِ السُلَمِيُّ: (حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِئُونَنَا، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَقْرِئُونَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُخَلِّفُوهَا حَتَّىٰ يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنَ العَمَلِ، فَتَعَلَّمْنَا القُرْآنَ وَالعَمَلَ جَمِيعًا).

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مسعود: (وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا نَزَلَتْ آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَ نَزَلَتْ، وَأَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ مَكَانَ أَحَدٍ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللهِ مِنِّي تَنَالُهُ المَطَايَا لَأَتَيْتُهُ).

وَقَالَ شَقِيقُ بنُ سَلَمَة: (اسْتَعْمَلَ عَلِيٌّ ابْنَ عَبَّاسٍ عَلَىٰ الحَجِّ، فَخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَةً، لَوْ سَمِعَهَا التُّرْكُ وَالرُّومُ لَأَسْلَمُوا، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ النُّورِ، فَجَعَلَ يُفَسِّرُهَا).

وَقَال شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ: (قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ سُورَةَ البَقَرَةِ، فَجَعَلَ يُفَسِّرُهَا، فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ سَمِعَتْ هَذَا الدَّيْلَمُ لَأَسْلَمَتْ).

وَفِي حَثِّ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عِبَادَهُ عَلَىٰ الِاعْتِبَارِ بِمَا فِي آيِ القُرْآنِ مِنَ المَوَاعِظِ وَالبَيِّنَاتِ بِـ..

قَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩]..

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ٢٨﴾ [الزُّمَر: ٢٧-٢٨]..

وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ آيِ القُرْآنِ، الَّتِي أَمَرَ اللهُ عِبَادَهُ وَحَثَّهُمْ فِيهَا عَلَىٰ الِاعْتِبَارِ بِأَمْثَالِ آيِ القُرْآنِ، وَالِاتِّعَاظِ بِمَوَاعِظِهِ، مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ عَلَيْهِمْ مَعْرِفَةَ تَأْوِيلِ مَا لَمْ يُحْجَبْ عَنْهُمْ تَأْوِيلُهُ مِنْ آيِهِ؛ لِأَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ لَا يَفْهَمُ مَا يُقَالُ لَهُ وَلَا يَعْقِلُ تَأْوِيلَهُ: اعْتَبِرْ بِمَا لَا فَهْمَ لَكَ بِهِ وَلَا مَعْرِفَةَ مِنَ القِيلِ وَالبَيَانِ وَالكَلَامِ، إِلَّا عَلَىٰ مَعْنَىٰ الأَمْرِ بِأَنْ يَفْهَمَهُ وَيَفْقَهَهُ، ثُمَّ يَتَدَبَّرَهُ وَيَعْتَبِرَ بِهِ، فَأَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ، فَمُسْتَحِيلٌ أَمْرُهُ بِتَدَبُّرِهِ وَهُوَ بِمَعْنَاهُ جَاهِلٌ..

كَمَا مُحَالٌ أَنْ يُقَالَ لِبَعْضِ أَصْنَافِ الأُمَمِ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ كَلَامَ العَرَبِ وَلَا يَفْهَمُونَهُ، لَوْ أُنْشِدَ قَصِيدَةَ شِعْرٍ مِنْ أَشْعَارِ بَعْضِ العَرَبِ ذَاتَ أَمْثَالٍ وَمَوَاعِظَ وَحِكَمٍ: اعْتَبِرْ بِمَا فِيهَا مِنَ الأَمْثَالِ وَادَّكِرْ بِمَا فِيهَا مِنَ المَوَاعِظِ، إِلَّا بِمَعْنَىٰ الأَمْرِ لَهَا بِفَهْمِ كَلَامِ العَرَبِ وَمَعْرِفَتِهِ، ثُمَّ الِاعْتِبَارِ بِمَا

نَبَّهَهَا عَلَيْهِ مَا فِيهَا مِنَ الحِكَمِ، فَأَمَّا وَهِيَ جَاهِلَةٌ بِمَعَانِي مَا فِيهَا مِنَ الكَلَامِ وَالمَنْطِقِ، فَمُحَالٌ أَمْرُهَا بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مَعَانِي مَا حَوَتْهُ مِنَ الأَمْثَالِ وَالعِبَرِ، بَل سَوَاءٌ أَمْرُهَا بِذَلِكَ وَأَمْرُ بَعْضِ البَهَائِمِ بِهِ، إِلَّا بَعْدَ العِلمِ بِمَعَانِي المَنْطِقِ وَالبَيَانِ الَّذِي فِيهَا..

فَكَذَلِكَ مَا فِي آيِ كِتَابِ اللهِ مِنَ العِبَرِ وَالحِكَمِ وَالأَمْثَالِ وَالمَوَاعِظِ، لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: (اعْتَبِرْ بِهَا) إِلَّا لِمَنْ كَانَ بِمَعَانِي بَيَانِهِ عَالِمًا، وَبِكَلَامِ العَرَبِ عَارِفًا، وَإِلَّا بِمَعْنَىٰ الأَمْرِ -لِمَنْ كَانَ بِذَلِكَ مِنْهُ جَاهِلًا- أَنْ يَعْلَمَ مَعَانِيَ كَلَامِ العَرَبِ، ثُمَّ يَتَدَبَّرَهُ بَعْدُ، وَيَتَّعِظَ بِحِكَمِهِ وَصُنُوفِ عِبَرِهِ..

فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ أَمَرَ عِبَادَهُ بِتَدَبُّرِهِ وَحَثَّهُمْ عَلَىٰ الِاعْتِبَارِ بِأَمْثَالِهِ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْ بِذَلِكَ مَنْ كَانَ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ آيُهُ جَاهِلًا..

وَإِذْ لَمْ يَجُزْ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِذَلِكَ إِلَّا وَهُمْ بِمَا يَدُلُّهُمْ عَلَيْهِ عَالِمُونَ، صَحَّ أَنَّهُمْ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ يُحْجَبْ عَنْهُمْ عِلمُهُ مِنْ آيِهِ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلمِهِ مِنْهُ دُونَ خَلقِهِ -الَّذِي قَدْ قَدَّمْنَا صِفَتَهُ آنِفًا- عَارِفُونَ..

وَإِذْ صَحَّ ذَلِكَ فَسَدَ قَوْلُ مَنْ أَنْكَرَ تَفْسِيرَ المُفَسِّرِينَ -مِنْ كِتَابِ اللهِ وَتَنْزِيلِهِ- مَا لَمْ يَحْجُبْ عَنْ خَلقِهِ تَأْوِيلَهُ.

(ذِكْرُ بَعْضِ الأَخْبَارِ الَّتِي غَلِطَ فِي تَأْوِيلِهَا مُنْكِرُو القَوْلِ فِي تَأْوِيلِ القُرْآنِ)

فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: فَمَا أَنْتَ قَائِلٌ فِيمَا..

قَالَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: (لَقَدْ أَدْرَكْتُ فُقَهَاءَ المَدِينَةِ، وَإِنَّهُمْ لَيُغْلِظُونَ القَوْلَ فِي التَّفْسِيرِ، مِنْهُمْ: سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَالقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَسَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ، وَنَافِعٌ).

وَقَالَ يَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ: (سَمِعْتُ رَجُلًا يَسْأَلُ سَعِيدَ بْنَ المُسَيَّبِ عَنْ آيَةٍ مِنَ القُرْآنِ، فَقَالَ: لَا أَقُولُ فِي القُرْآنِ شَيْئًا).

وقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: سَمِعتُ اللَّيْثَ يُحَدِّثُ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ ابْنِ المُسَيَّبِ: (أَنَّهُ كَانَ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِي المَعْلُومِ مِنَ القُرْآنِ).

وَقَالَ ابْنُ سِيرِيْنٍ: سَأَلْتُ عُبَيْدَةَ السَّلمَانِيَّ عَنْ آيَةٍ، قَالَ: (عَلَيْكَ بِالسَّدَادِ، فَقَدْ ذَهَبَ الَّذِينَ عَلِمُوا فِيمَ أُنْزِلَ القُرْآنُ).

وَقَالَ ابْنُ سِيرِيْنٍ: سَأَلْتُ عُبَيْدَةَ عَنْ آيَةٍ مِنَ القُرْآنِ فَقَالَ: (ذَهَبَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْلَمُونَ فِيمَ أُنْزِلَ القُرْآنُ، اتَّقِ اللهَ وَعَلَيْكَ بِالسَّدَادِ).

وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الأَخْبَارِ؟

قِيلَ لَهُ:

الأَخْبَارُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا عَمَّنْ ذَكَرْنَاهَا عَنْهُ مِنَ التَّابِعِينَ، بِإِحْجَامِهِ عَنِ التَّأْوِيلِ، فَإِنَّ فِعْلَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، كَفِعْلِ مَنْ أَحْجَمَ مِنْهُمْ عَنِ الفُتْيَا فِي النَّوَازِلِ وَالحَوَادِثِ..

مَعَ إِقْرَارِهِ بِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيَّهُ إِلَيْهِ، إِلَّا بَعْدَ إِكْمَالِ الدِّينِ بِهِ لِعِبَادِهِ، وَعِلْمِهِ بِأَنَّ للهِ فِي كُلِّ نَازِلَةٍ وَحَادِثَةٍ حُكْمًا مَوْجُودًا بِنَصٍّ أَوْ دَلَالَةٍ..

فَلَمْ يَكُنْ إِحْجَامُهُ عَنِ القَوْلِ فِي ذَلِكَ إِحْجَامَ جَاحِدٍ أَنْ يَكُونَ للهِ فِيهِ حُكْمٌ مَوْجُودٌ بَيْنَ أَظْهُرِ عِبَادِهِ..

وَلَكِنْ إِحْجَامُ خَائِفٍ أَنْ لَا يَبْلُغَ فِي اجْتِهَادِهِ مَا كَلَّفَ اللهُ العُلَمَاءَ مِنْ عِبَادِهِ فِيهِ..

فَكَذَلِكَ مَعْنَى إِحْجَامِ مَنْ أَحْجَمَ عَنِ القِيلِ فِي تَأْوِيلِ القُرْآنِ وَتَفْسِيرِهِ مِنَ العُلَمَاءِ السَّلَفِ، **إِنَّمَا كَانَ إِحْجَامُهُ عَنْهُ حِذَارًا أَنْ لَا يَبْلُغَ أَدَاءَ مَا كُلِّفَ مِنْ إِصَابَةِ صَوَابِ القَوْلِ فِيهِ، لَا عَلَى أَنَّ تَأْوِيلَ ذَلِكَ مَحْجُوبٌ عَنْ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ، غَيْرُ مَوْجُودٍ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ.**

(ذِكْرُ الأَخْبَارِ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ فِيمَنْ كَانَ مِنْ قُدَمَاءِ المُفَسِّرِينَ مَحْمُودًا عِلْمُهُ بِالتَّفْسِيرِ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مَذْمُومًا عِلْمُهُ بِهِ)

قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ: (نِعْمَ تَرْجُمَانُ القُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ).

وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: (رَأَيْتُ مُجَاهِدًا يَسْأَلُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، وَمَعَهُ أَلْوَاحُهُ، فَيَقُولُ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: اكْتُبْ، حَتَّى سَأَلَهُ عَنِ التَّفْسِيرِ كُلِّهِ).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (عَرَضْتُ المُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، أُوقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهُ وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا).

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: (إِذَا جَاءَكَ التَّفْسِيرُ عَنْ مُجَاهِدٍ فَحَسْبُكَ بِهِ).

وَقَالَ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَيْسَرَةَ: (لَمْ يَلْقَ الضَّحَّاكُ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَإِنَّمَا لَقِيَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ بِالرَّيِّ، وَأَخَذَ عَنْهُ التَّفْسِيرَ).

وقَالَ زَكَرِيَّا: (كَانَ الشَّعْبِيُّ يَمُرُّ بِأَبِي صَالِحٍ بَاذَانَ، فَيَأْخُذُ بِأُذُنِهِ فَيَعْرُكُهَا وَيَقُولُ: تُفَسِّرُ القُرْآنَ وَأَنْتَ لَا تَقْرَأُ القُرْآنَ!).

قَدْ قُلْنَا فِيمَا مَضَى مِنْ كِتَابِنَا هَذَا فِي وُجُوهِ تَأْوِيلِ القُرْآنِ، وَأَنَّ تَأْوِيلَ جَمِيعِ القُرْآنِ عَلَى

أَوْجُهٍ ثَلَاثَةٍ:

أَحَدُهَا: لَا سَبِيلَ إِلَىٰ الوُصُولِ إِلَيْهِ، وَهُوَ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلمِهِ، وَحَجَبَ عِلمِهِ عَنْ جَمِيعِ خَلقِهِ، وَهُوَ أَوْقَاتُ مَا كَانَ مِنْ آجَالِ الأُمُورِ الحَادِثَةِ، الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ أَنَّهَا كَائِنَةٌ، مِثْلَ: وَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَوَقْتِ نُزُولِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، وَوَقْتِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ..

وَالوَجْهُ الثَّانِي: مَا خَصَّ اللهُ بِعِلمِ تَأْوِيلِهِ نَبِيَّهُ ﷺ دُونَ سَائِرِ أُمَّتِهِ، وَهُوَ مَا فِيهِ مِمَّا بِعِبَادِهِ إِلَىٰ عِلمِ تَأْوِيلِهِ الحَاجَةُ، فَلَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَىٰ عِلمِ ذَلِكَ إِلَّا بِبَيَانِ الرَّسُولِ ﷺ لَهُمْ تَأْوِيلَهُ..

وَالثَّالِثُ مِنْهَا: مَا كَانَ عِلمُهُ عِنْدَ أَهْلِ اللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ القُرْآنُ، وَذَلِكَ عِلمُ تَأْوِيلِ عَرَبِيَّتِهِ وَإِعْرَابِهِ، لَا يُوصَلُ إِلَىٰ عِلمِ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ قِبَلِهِمْ..

فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ..

فَأَحَقُّ المُفَسِّرِينَ بِإِصَابَةِ الحَقِّ فِي تَأْوِيلِ القُرْآنِ الَّذِي إِلَىٰ عِلمِ تَأْوِيلِهِ لِلعِبَادِ السَّبِيلُ:

أَوْضَحُهُمْ حُجَّةً فِيمَا تَأَوَّلَ وَفَسَّرَ، مِمَّا كَانَ تَأْوِيلُهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ دُونَ سَائِرِ أُمَّتِهِ مِنْ أَخْبَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ **الثَّابِتَةِ عَنْهُ، إِمَّا مِنْ جِهَةِ النَّقْلِ المُسْتَفِيضِ**، فِيمَا وُجِدَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ عَنْهُ النَّقْلُ المُسْتَفِيضُ، **وَإِمَّا مِنْ جِهَةِ نَقْلِ العُدُولِ الأَثْبَاتِ**، فِيمَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ عَنْهُ النَّقْلُ المُسْتَفِيضُ، **أَوْ مِنْ جِهَةِ الدَّلَالَةِ المَنْصُوبَةِ عَلَىٰ صِحَّتِهِ**..

وَأَصَحُّهُمْ بُرْهَانًا -فِيمَا تَرْجَمَ وَبَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ- مِمَّا كَانَ مُدْرَكًا عِلمُهُ مِنْ جِهَةِ اللِّسَانِ: **إِمَّا بِالشَّوَاهِدِ** مِنْ أَشْعَارِهِمُ السَّائِرَةِ، **وَإِمَّا مِنْ مَنْطِقِهِمْ** وَلُغَاتِهِمُ المُسْتَفِيضَةِ المَعْرُوفَةِ..

كَائِنًا مَنْ كَانَ ذَلِكَ المُتَأَوِّلُ وَالمُفَسِّرُ، بَعْدَ أَنْ لَا يَكُونَ خَارِجًا تَأْوِيلُهُ وَتَفْسِيرُهُ مَا تَأَوَّلَ وَفَسَّرَ مِنْ ذَلِكَ، عَنْ أَقْوَالِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالأَئِمَّةِ، **وَالخَلَفِ** مِنَ التَّابِعِينَ وَعُلَمَاءِ الأُمَّةِ.

(القَوْلُ فِي تَأْوِيلِ أَسْمَاءِ القُرْآنِ وَسُوَرِهِ وَآيِهِ)

إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ سَمَّىٰ تَنْزِيلَهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَسْمَاءً أَرْبَعَةً:

مِنْهُنَّ القُرْآنُ: فَقَالَ فِي تَسْمِيَتِهِ إِيَّاهُ بِذَلِكَ فِي تَنْزِيلِهِ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝٣﴾ [يُوسُف: ٣]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦﴾ [النَّمل: ٧٦]..

وَمِنْهُنَّ الفُرْقَانُ: قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي وَحْيِهِ إِلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ يُسَمِّيهِ بِذَلِكَ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفُرْقَان: ١].

وَمِنْهُنَّ الكِتَابُ: قَالَ تَبَارَكَ اسْمُهُ فِي تَسْمِيَتِهِ إِيَّاهُ بِهِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ [الكَهْف: ١]..

وَمِنْهُنَّ الذِّكْرُ: قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي تَسْمِيَتِهِ إِيَّاهُ بِهِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجْر: ٩].

وَلِكُلِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ الأَرْبَعَةِ فِي كَلَامِ العَرَبِ، مَعْنًىٰ وَوَجْهٌ غَيْرُ مَعْنَىٰ الآخَرِ وَوَجْهِهِ:

فَأَمَّا القُرْآنُ: فَإِنَّ المُفَسِّرِينَ اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ، وَالوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُهُ عَلَىٰ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، مِنَ التِّلَاوَةِ وَالقِرَاءَةِ، وَأَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا مِنْ قَوْلِ القَائِلِ: قَرَأْتُ، كَقَوْلِكَ الخُسْرَانُ، مِنْ خَسِرْتُ، والغُفْرَانُ، مِنْ غَفَرَ اللهُ لَكَ، والكُفْرَانُ، مِنْ كَفَرْتُكَ، وَالفُرْقَانُ، مِنْ فَرَّقَ اللهُ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ.

وَأَمَّا تَأْوِيلُ اسْمِهِ الَّذِي هُوَ فُرْقَانٌ: فَإِنَّ تَفْسِيرَ أَهْلِ التَّفْسِيرِ جَاءَ فِي ذَلِكَ بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ، هِيَ فِي المَعَانِي مُؤْتَلِفَةٌ.. فَقَالَ عِكْرِمَةُ: هُوَ النَّجَاةُ، وَكَذَلِكَ كَانَ السُّدِّيُّ يَتَأَوَّلُهُ.. وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: الفُرْقَانُ المَخْرَجُ، وَكَذَلِكَ كَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ فِي تَأْوِيلِهِ بِذَلِكَ.. وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] يَوْمٌ فَرَّقَ اللهُ فِيهِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ.. وَكُلُّ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ فِي مَعْنَىٰ الفُرْقَانِ -عَلَىٰ اخْتِلَافِ أَلْفَاظِهَا- مُتَقَارِبَاتُ المَعَانِي؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ جُعِلَ لَهُ مَخْرَجٌ مِنْ أَمْرٍ كَانَ فِيهِ.. فَقَدْ جُعِلَ لَهُ ذَلِكَ المَخْرَجُ مِنْهُ نَجَاةً.. وَكَذَلِكَ إِذَا نُجِّيَ مِنْهُ، فَقَدْ نُصِرَ عَلَىٰ مَنْ بَغَاهُ فِيهِ سُوءًا، وَفُرِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَاغِيهِ السُّوءَ.. فَجَمِيعُ مَا رَوَيْنَا -عَمَّنْ رُوِّينَا عَنْهُ- فِي مَعْنَىٰ الفُرْقَانِ، قَوْلٌ صَحِيحُ المَعَانِي، لِاتِّفَاقِ مَعَانِي أَلْفَاظِهِمْ فِي ذَلِكَ..

وَأَصْلُ الفُرْقَانِ -عِنْدَنَا- الفَرْقُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ وَالفَصْلُ بَيْنَهُمَا، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ بِقَضَاءٍ، وَاسْتِنْقَاذٍ، وَإِظْهَارِ حُجَّةٍ، وَنَصْرٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ المَعَانِي المُفَرِّقَةِ بَيْنَ المُحِقِّ وَالمُبْطِلِ، فَقَدْ تَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّ القُرْآنَ سُمِّيَ فُرْقَانًا لِفَصْلِهِ -بِحُجَجِهِ وَأَدِلَّتِهِ وَحُدُودِ فَرَائِضِهِ وَسَائِرِ مَعَانِي حُكْمِهِ- بَيْنَ المُحِقِّ وَالمُبْطِلِ، وَفُرْقَانُهُ بَيْنَهُمَا بِنَصْرِهِ المُحِقَّ، وَتَخْذِيلِهِ المُبْطِلَ، حُكْمًا وَقَضَاءً.

وَأَمَّا تَأْوِيلُ اسْمِهِ الَّذِي هُوَ كِتَابٌ: فَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِكَ كَتَبْتُ كِتَابًا، كَمَا تَقُولُ: قُمْتُ قِيَامًا، وَحَسَبْتُ الشَّيْءَ حِسَابًا، وَالكِتَابُ: هُوَ خَطُّ الكَاتِبِ حُرُوفَ المُعْجَمِ مَجْمُوعَةً وَمُفْتَرِقَةً، وَسُمِّيَ كِتَابًا، وَإِنَّمَا هُوَ مَكْتُوبٌ.

وَأَمَّا تَأْوِيلُ اسْمِهِ الَّذِي هُوَ ذِكْرٌ: فَإِنَّهُ مُحْتَمِلٌ مَعْنَيَيْنِ: **أَحَدُهُمَا:** أَنَّهُ ذِكْرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ،

ذَكَّرَ بِهِ عِبَادَهُ، فَعَرَّفَهُمْ فِيهِ حُدُودَهُ وَفَرَائِضَهُ، وَسَائِرَ مَا أَوْدَعَهُ مِنْ حِكَمِهِ.. وَالآخَرُ: أَنَّهُ ذِكْرٌ وَشَرَفٌ وَفَخْرٌ لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَ بِمَا فِيهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزُّخْرُف: ٤٤]، يَعْنِي بِهِ أَنَّهُ شَرَفٌ لَهُ وَلِقَوْمِهِ.

(أَسْمَاءُ سُوَرِ القُرْآنِ)

فَالسَّبْعُ الطُّوَلُ: البَقَرَةُ، وَآلُ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءُ، وَالمَائِدَةُ، وَالأَنْعَامُ، وَالأَعْرَافُ، وَيُونُسُ.. فِي قَوْلِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ.. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلٌ يَدُلُّ عَلَىٰ مُوَافَقَتِهِ قَوْلَ سَعِيدٍ هَذَا.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: مَا حَمَلَكُمْ عَلَىٰ أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَىٰ الأَنْفَالِ، وَهِيَ مِنَ المَثَانِي، وَإِلَىٰ بَرَاءَةٌ وَهِيَ مِنَ المِئِينَ، فَقَرَنْتُمْ بَيْنَهُمَا وَلَمْ تَكْتُبُوا سَطْرًا: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَوَضَعْتُمُوهُمَا فِي السَّبْعِ الطُّوَلِ؟ مَا حَمَلَكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ؟ قَالَ عُثْمَانُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ تُنَزَّلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ العَدَدِ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بِبَعْضِ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ فَيَقُولُ: ضَعُوا هَؤُلَاءِ الآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَكَانَتِ الأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ بِالمَدِينَةِ، وَكَانَتْ بَرَاءَةٌ مِنْ آخِرِ القُرْآنِ نُزُولًا، وَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا، فَقُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَرَنْتُ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَوَضَعْتُهُمَا فِي السَّبْعِ الطُّوَلِ).. فَهَذَا الخَبَرُ يُنْبِئُ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ، أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ الأَنْفَالَ وَبَرَاءَةٌ مِنَ السَّبْعِ الطُّوَلِ، وَيُصَرِّحُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرَىٰ ذَلِكَ مِنْهَا.. وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّوَرُ السَّبْعَ الطُّوَلَ، لِطُولِهَا عَلَىٰ سَائِرِ سُوَرِ القُرْآنِ..

وَأَمَّا المِئُونُ: فَهِيَ مَا كَانَ مِنْ سُوَرِ القُرْآنِ عَدَدُ آيِهِ مِائَةُ آيَةٍ، أَوْ تَزِيدُ عَلَيْهَا شَيْئًا أَوْ تَنْقُصُ مِنْهَا شَيْئًا يَسِيرًا..

وَأَمَّا المَثَانِي: فَإِنَّهَا مَا ثَنَّىٰ المِئِينَ فَتَلَاهَا، وَكَانَ المِئُونَ لَهَا أَوَائِلَ، وَكَانَ المَثَانِي لَهَا ثَوَانِيَ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ المَثَانِيَ سُمِّيَتْ مَثَانِيَ، لِتَثْنِيَةِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ فِيهَا الأَمْثَالَ وَالخَبَرَ وَالعِبَرَ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنُ عَبَّاسٍ.. وَرُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ مَثَانِيَ لِأَنَّهَا ثُنِّيَتْ فِيهَا الفَرَائِضُ وَالحُدُودُ.. وَقَدْ قَالَ جَمَاعَةٌ يَكْثُرُ تَعْدَادُهُمْ: القُرْآنُ كُلُّهُ مَثَانٍ.، وَقَالَ جَمَاعَةٌ أُخْرَىٰ: بَلِ المَثَانِي فَاتِحَةُ الكِتَابِ، لِأَنَّهَا تُثَنَّىٰ قِرَاءَتُهَا فِي كُلِّ صَلَاةٍ.. وَسَنَذْكُرُ أَسْمَاءَ قَائِلِي ذَلِكَ وَعِلَلَهُمْ، وَالصَّوَابَ مِنَ القَوْلِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ ذَلِكَ، إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَىٰ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ

سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧] إِنْ شَاءَ اللهُ ذَلِكَ..

وَبِمِثْلِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرِّوَايَةُ فِي أَسْمَاءِ سُوَرِ القُرْآنِ الَّتِي ذُكِرَتْ، جَاءَ شِعْرُ الشُّعَرَاءِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

حَلَفْتُ بِالسَّبْعِ اللَّوَاتِي طُوِّلَتْ ... وَبِمِئِينَ بَعْدَهَا قَدْ أُمْئِيَتْ

وَبِمَثَانٍ ثُنِّيَتْ فَكُرِّرَتْ ... وَبِالطَّوَاسِينِ الَّتِي قَدْ ثُلِّثَتْ

وَبِالحَوَامِيمِ اللَّوَاتِي سُبِّعَتْ ... وَبِالمُفَصَّلِ اللَّوَاتِي فُصِّلَتْ

وَهَذِهِ الأَبْيَاتُ تَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ التَّأْوِيلِ الَّذِي تَأَوَّلْنَاهُ فِي هَذِهِ الأَسْمَاءِ.

وَأَمَّا **المُفَصَّلُ**: فَإِنَّهَا سُمِّيَتْ مُفَصَّلًا لِكَثْرَةِ الفُصُولِ الَّتِي بَيْنَ سُوَرِهَا بِـ(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

(تُسَمَّى كُلُّ سُورَةٍ مِنْ سُوَرِ القُرْآنِ سُورَةً)

وَتُجْمَعُ سُوَرًا، عَلَىٰ تَقْدِيرِ خُطْبَةٍ وَخُطَبٍ، وَغُرْفَةٍ وَغُرَفٍ.

وَالسُّورَةُ، بِغَيْرِ هَمْزٍ: المَنْزِلَةُ مِنْ مَنَازِلِ الِارْتِفَاعِ، وَمِنْ ذَلِكَ سُوَرُ المَدِينَةِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ الحَائِطُ الَّذِي يَحْوِيهَا، لِارْتِفَاعِهِ عَلَىٰ مَا يَحْوِيهِ، غَيْرَ أَنَّ السُّورَةَ مِنْ سُوَرِ المَدِينَةِ لَمْ يُسْمَعْ فِي جَمْعِهَا (سُوَرٌ)، كَمَا سُمِعَ فِي جَمْعِ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ (سُوَرٌ).. وَقَدْ هَمَزَ بَعْضُهُمُ السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ، وَتَأْوِيلُهَا فِي لُغَةِ مَنْ هَمَزَهَا، القِطْعَةُ الَّتِي قَدْ أُفْضِلَتْ مِنَ القُرْآنِ عَمَّا سِوَاهَا وَأُبْقِيَتْ، وَذَلِكَ أَنَّ سُؤْرَ كُلِّ شَيْءٍ البَقِيَّةُ مِنْهُ تَبْقَىٰ بَعْدَ الَّذِي يُؤْخَذُ مِنْهُ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتِ الفَضْلَةُ مِنْ شَرَابِ الرَّجُلِ -يَشْرَبُهُ ثُمَّ يُفْضِلُهَا فَيُبْقِيهَا فِي الإِنَاءِ- سُؤْرًا.

(الآيَةُ مِنْ آيِ القُرْآنِ)

فَإِنَّهَا تَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ فِي كَلَامِ العَرَبِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ تَكُونَ سُمِّيَتْ آيَةً، لِأَنَّهَا عَلَامَةٌ يُعْرَفُ بِهَا تَمَامُ مَا قَبْلَهَا وَابْتِدَاؤُهَا، كَالآيَةِ الَّتِي تَكُونُ دَلَالَةً عَلَىٰ الشَّيْءِ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَيْهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ﴾ [المائدة: ١١٤] أَيْ عَلَامَةً مِنْكَ لِإِجَابَتِكَ دُعَاءَنَا وَإِعْطَائِكَ إِيَّانَا سُؤْلَنَا..

وَالآخَرُ مِنْهُمَا: **القِصَّةُ**.. فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الآيَاتِ: القِصَصُ، قِصَّةٌ تَتْلُو قِصَّةً، بِفُصُولٍ وَوُصُولٍ.

القَوْلُ فِي تَأْوِيلِ الاسْتِعَاذَةِ

﴿أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾

﴿أَعُوذُ بِاللهِ﴾ أَسْتَجِيرُ بِاللهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ.. وَالِاسْتِعَاذَةُ: الِاسْتِجَارَةُ..

﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ أَنْ يَضُرَّنِي فِي دِينِي، أَوْ يَصُدَّنِي عَنْ حَقٍّ يَلْزَمُنِي لِرَبِّي.. وَالشَّيْطَانُ فِي كَلَامِ العَرَبِ: كُلُّ مُتَمَرِّدٍ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالدَّوَابِّ وَكُلِّ شَيْءٍ؛ قَالَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، فَجَعَلَ مِنَ الإِنْسِ شَيَاطِينَ، مِثْلَ الَّذِي جَعَلَ مِنَ الجِنِّ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ المُتَمَرِّدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ شَيْطَانًا، لِمُفَارَقَةِ أَخْلَاقِهِ وَأَفْعَالِهِ أَخْلَاقَ سَائِرِ جِنْسِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَبُعْدِهِ مِنَ الخَيْرِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ أُخِذَ مِنْ قَوْلِ القَائِلِ: (شَطَنَتْ دَارِي مِنْ دَارِكَ) يُرِيدُ بِذَلِكَ: بَعُدَتْ..

﴿الرَّجِيمِ﴾ المَلْعُونِ المَشْتُومِ، وَكُلُّ مَشْتُومٍ بِقَوْلٍ رَدِيءٍ أَوْ سَبٍّ فَهُوَ مَرْجُومٌ، وَأَصْلُ الرَّجْمِ الرَّمْيُ، بِقَوْلٍ كَانَ أَوْ بِفِعْلٍ، وَمِنَ الرَّجْمِ بِالقَوْلِ قَوْلُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ لِإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مَرْيَمَ: ٤٦]، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قِيلَ لِلشَّيْطَانِ رَجِيمٌ، لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ طَرَدَهُ مِنْ سَمَاوَاتِهِ، وَرَجَمَهُ بِالشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ أَدَّبَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِتَعْلِيمِهِ تَقْدِيمَ ذِكْرِ أَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ أَمَامَ جَمِيعِ أَفْعَالِهِ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فِي وَصْفِهِ بِهَا قَبْلَ جَمِيعِ مُهِمَّاتِهِ، وَجَعَلَ مَا أَدَّبَهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ وَعَلَّمَهُ إِيَّاهُ، مِنْهُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ سُنَّةً يَسْتَنُّونَ بِهَا، وَسَبِيلًا يَتَّبِعُونَهُ عَلَيْهَا، فَبِهِ افْتِتَاحُ أَوَائِلِ مَنْطِقِهِمْ، وَصُدُورُ رَسَائِلِهِمْ وَكُتُبِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ..

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ اسْمَانِ مُشْتَقَّانِ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهُمَا مَعْنًىٰ لَا تُؤَدِّي الأُخْرَىٰ مِنْهُمَا عَنْهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ المَعْنَىٰ الَّذِي فِي تَسْمِيَةِ اللهِ بِالرَّحْمَنِ، دُونَ الَّذِي فِي تَسْمِيَتِهِ بِالرَّحِيمِ: هُوَ أَنَّهُ بِالتَّسْمِيَةِ بِالرَّحْمَنِ مَوْصُوفٌ بِعُمُومِ الرَّحْمَةِ جَمِيعَ خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ بِالتَّسْمِيَةِ بِالرَّحِيمِ مَوْصُوفٌ بِخُصُوصِ الرَّحْمَةِ بَعْضَ خَلْقِهِ.. فَرَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ رَحْمَنُ جَمِيعِ خَلْقِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَرَحِيمُ المُؤْمِنِينَ خَاصَّةً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.. فَإِذَا كَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ خَصَّ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا بِمَا لَطَفَ بِهِمْ مِنْ تَوْفِيقِهِ إِيَّاهُمْ لِطَاعَتِهِ، وَالإِيمَانِ بِهِ وَبِرُسُلِهِ، وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، مِمَّا خُذِلَ عَنْهُ مَنْ أَشْرَكَ بِهِ، وَكَفَرَ وَخَالَفَ مَا أَمَرَهُ بِهِ، وَرَكِبَ مَعَاصِيَهُ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ قَدْ جَعَلَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا أَعَدَّ فِي آجِلِ الآخِرَةِ فِي جَنَّاتِهِ مِنَ النَّعِيمِ المُقِيمِ وَالفَوْزِ المُبِينِ، لِمَنْ آمَنَ

بِهِ، وَصَدَّقَ رُسُلَهُ، وَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ، خَالِصًا، دُونَ مَنْ أَشْرَكَ وَكَفَرَ بِهِ، كَانَ بَيِّنًا أَنَّ اللهَ قَدْ خَصَّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ رَحْمَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، مَعَ مَا قَدْ عَمَّهُمْ بِهِ وَالْكُفَّارَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الإِفْضَالِ وَالإِحْسَانِ إِلَىٰ جَمِيعِهِمْ، فِي الْبَسْطِ فِي الرِّزْقِ، وَتَسْخِيرِ السَّحَابِ بِالْغَيْثِ، وَإِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنَ الأَرْضِ، وَصِحَّةِ الأَجْسَامِ وَالْعُقُولِ، وَسَائِرِ النِّعَمِ الَّتِي لَا تُحْصَىٰ، الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا الْمُؤْمِنُونَ وَالْكَافِرُونَ.. **فَأَمَّا الَّذِي عَمَّ جَمِيعَهُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ رَحْمَتِهِ فَكَانَ رَحْمَانًا لَهُمْ بِهِ**، فَمَا ذَكَرْنَا مَعَ نَظَائِرِهِ الَّتِي لَا سَبِيلَ إِلَىٰ إِحْصَائِهَا لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، و[النحل: ١٨].. **وَأَمَّا فِي الآخِرَةِ، فَالَّذِي عَمَّ جَمِيعَهُمْ بِهِ فِيهَا مِنْ رَحْمَتِهِ، فَكَانَ لَهُمْ رَحْمَانًا**، تَسْوِيَتُهُ بَيْنَ جَمِيعِهِمْ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي عَدْلِهِ وَقَضَائِهِ، فَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْهُمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا، وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ، فَذَلِكَ مَعْنَىٰ عُمُومِهِ فِي الآخِرَةِ جَمِيعَهُمْ بِرَحْمَتِهِ، الَّذِي كَانَ بِهِ رَحْمَانًا فِي الآخِرَةِ.. **وَأَمَّا مَا خَصَّ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا مِنْ رَحْمَتِهِ، الَّذِي كَانَ بِهِ رَحِيمًا لَهُمْ فِيهَا**، كَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣] فَمَا وَصَفْنَا مِنَ اللُّطْفِ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ، فَخَصَّهُمْ بِهِ، دُونَ مَنْ خَذَلَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ.. **وَأَمَّا مَا خَصَّهُمْ بِهِ فِي الآخِرَةِ، فَكَانَ بِهِ رَحِيمًا لَهُمْ دُونَ الْكَافِرِينَ**، فَمَا وَصَفْنَا آنِفًا مِمَّا أَعَدَّ لَهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ النَّعِيمِ، وَالْكَرَامَةِ الَّتِي تَقْصُرُ عَنْهَا الأَمَانِيُّ.

القَوْلُ فِي تَأْوِيلِ فَاتِحَةِ الكِتَابِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]

﴿الحَمْدُ للهِ﴾ الشُّكْرُ خَالِصًا للهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ دُونَ سَائِرِ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، وَدُونَ كُلِّ مَا بَرَأَ مِنْ خَلقِهِ، بِمَا أَنْعَمَ عَلَىٰ عِبَادِهِ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا العَدَدُ، وَلَا يُحِيطُ بِعَدَدِهَا غَيْرُهُ أَحَدٌ، فِي تَصْحِيحِ الآلَاتِ لِطَاعَتِهِ، وَتَمْكِينِ جَوَارِحِ أَجْسَامِ المُكَلَّفِينَ لِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، مَعَ مَا بَسَطَ لَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ مِنَ الرِّزْقِ، وَغَذَّاهُمْ بِهِ مِنْ نَعِيمِ العَيْشِ، مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مِنْهُمْ لِذَلِكَ عَلَيْهِ، وَمَعَ مَا نَبَّهَهُمْ عَلَيْهِ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ، مِنَ الأَسْبَابِ المُؤَدِّيَةِ إِلَىٰ دَوَامِ الخُلُودِ فِي دَارِ المُقَامِ فِي النَّعِيمِ المُقِيمِ، فَلِرَبِّنَا الحَمْدُ عَلَىٰ ذَلِكَ كُلِّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا.. فَحَمِدَ نَفْسَهُ جَلَّ ذِكْرُهُ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهَا بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ عَلَّمَ ذَلِكَ عِبَادَهُ، وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ تِلَاوَتَهُ، اخْتِبَارًا مِنْهُ لَهُمْ وَابْتِلَاءً، فَقَالَ لَهُمْ قُولُوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، وَقُولُوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، فَقَوْلُهُ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مِمَّا عَلَّمَهُمْ جَلَّ ذِكْرُهُ أَنْ يَقُولُوهُ وَيَدِينُوا لَهُ بِمَعْنَاهُ، وَذَلِكَ مَوْصُولٌ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، وَكَأَنَّهُ قَالَ: قُولُوا هَذَا وَهَذَا..

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ١] الرَّبُّ فِي كَلَامِ العَرَبِ مُنْصَرِفٌ عَلَىٰ مَعَانٍ: فَالسَّيِّدُ المُطَاعُ فِيهَا يُدْعَىٰ رَبًّا.. وَالرَّجُلُ المُصْلِحُ لِلشَّيْءِ يُدْعَىٰ رَبًّا، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ: إِنَّ فُلَانًا يَرُبُّ صَنِيعَتَهُ عِنْدَ فُلَانٍ؛ إِذَا كَانَ يُحَاوِلُ إِصْلَاحَهَا وَإِدَامَتَهَا.. وَالمَالِكُ لِلشَّيْءِ يُدْعَىٰ رَبَّهُ.. وَقَدْ يَتَصَرَّفُ أَيْضًا مَعْنَىٰ (الرَّبِّ) فِي وُجُوهٍ غَيْرِ ذَلِكَ، غَيْرَ أَنَّهَا تَعُودُ إِلَىٰ بَعْضِ هَذِهِ الوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ.. فَرَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ: السَّيِّدُ الَّذِي لَا شِبْهَ لَهُ، وَلَا مِثْلَ فِي سُؤْدُدِهِ، وَالمُصْلِحُ أَمْرَ خَلقِهِ بِمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَالمَالِكُ الَّذِي لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ.. وَالعَالَمُونَ جَمْعُ عَالَمٍ، وَالعَالَمُ: جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، كَالأَنَامِ وَالرَّهْطِ وَالجَيْشِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الأَسْمَاءِ الَّتِي هِيَ مَوْضُوعَاتٌ عَلَىٰ جِمَاعٍ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ.. وَالعَالَمُ اسْمٌ لِأَصْنَافِ الأُمَمِ، وَكُلُّ صِنْفٍ مِنْهَا عَالَمٌ، وَأَهْلُ كُلِّ قَرْنٍ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنْهَا عَالَمُ ذَلِكَ القَرْنِ وَذَلِكَ الزَّمَانِ، فَالإِنْسُ عَالَمٌ، وَكُلُّ أَهْلِ زَمَانٍ مِنْهُمْ عَالَمُ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَالجِنُّ عَالَمٌ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ أَجْنَاسِ الخَلقِ، كُلُّ جِنْسٍ مِنْهَا عَالَمُ زَمَانِهِ، وَلِذَلِكَ جُمِعَ فَقِيلَ: عَالَمُونَ، وَوَاحِدُهُ جَمْعٌ، لِكَوْنِ عَالَمِ كُلِّ زَمَانٍ مِنْ ذَلِكَ عَالَمَ ذَلِكَ الزَّمَانِ.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ٣]

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ٢] قَدْ مَضَىٰ البَيَانُ عَنْ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، فِي تَأْوِيلِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①﴾، فَأَغْنَىٰ ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا المَوْضِعِ.. وَلَمْ نَحْتَجْ إِلَىٰ الإِبَانَةِ عَنْ وَجْهِ تَكْرِيرِ ذَلِكَ فِي هَذَا المَوْضِعِ، إِذْ كُنَّا لا نَرَىٰ أَنَّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①﴾ مِنْ فَاتِحَةِ الكِتَابِ آيَةٌ.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④﴾ [الفاتحة: ٤]

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④﴾ [الفاتحة: ٤] القُرَّاءُ مُخْتَلِفُونَ فِي تِلَاوَةِ (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ).. فَبَعْضُهُمْ يَتْلُوهُ (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، وَبَعْضُهُمْ يَتْلُوهُ (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ).. وَلَا خِلَافَ بَيْنَ جَمِيعِ أَهْلِ المَعْرِفَةِ بِلُغَاتِ العَرَبِ، أَنَّ المَلِكَ مِنَ (المُلْكِ) مُشْتَقٌّ، وَأَنَّ المَالِكَ مِنَ (المِلْكِ) مَأْخُوذٌ.. فَتَأْوِيلُ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، أَنَّ للهِ المُلْكَ يَوْمَ الدِّينِ خَالِصًا دُونَ جَمِيعِ خَلْقِهِ، الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا مُلُوكًا جَبَابِرَةً يُنَازِعُونَهُ المُلْكَ، وَيُدَافِعُونَهُ الِانْفِرَادَ بِالكِبْرِيَاءِ وَالعَظَمَةِ وَالسُّلْطَانِ وَالجَبْرِيَّةِ، فَأَيْقَنُوا بِلِقَاءِ اللهِ يَوْمَ الدِّينِ أَنَّهُمُ الصَّغَرَةُ الأَذِلَّةُ، وَأَنَّ لَهُ - مِنْ دُونِهِمْ، وَدُونَ غَيْرِهِمْ - المُلْكَ وَالكِبْرِيَاءَ، وَالعِزَّةَ وَالبَهَاءَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ فِي تَنْزِيلِهِ: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ⑯﴾ [غافر: ١٦] فَأَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُ المُنْفَرِدُ يَوْمَئِذٍ بِالمُلْكِ دُونَ مُلُوكِ الدُّنْيَا، الَّذِينَ صَارُوا يَوْمَ الدِّينِ مِنْ مُلْكِهِمْ إِلَىٰ ذِلَّةٍ وَصَغَارٍ، وَمِنْ دُنْيَاهُمْ فِي المَعَادِ إِلَىٰ خَسَارٍ.. وَأَمَّا تَأْوِيلُ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④﴾، أَنَّهُ لا يَمْلِكُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ مَعَهُ حُكْمًا كَمِلْكِهِمْ فِي الدُّنْيَا، كما قَالَ تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ㊳﴾ [النَّبَإ: ٣٨] وَقَالَ تعالىٰ: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨]، وَقَالَ تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].. وَأَوْلَىٰ التَّأْوِيلَيْنِ بِالآيَةِ، وَأَصَحُّ القِرَاءَتَيْنِ فِي التِّلَاوَةِ عِنْدِي، التَّأْوِيلُ الأَوَّلُ، وَهِيَ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ (مَلِكِ) بِمَعْنَىٰ (المُلْكِ)؛ لِأَنَّ فِي الإِقْرَارِ لَهُ بِالِانْفِرَادِ بِالمُلْكِ، إِيجَابًا لِانْفِرَادِهِ بِالمِلْكِ، وَفَضِيلَةَ زِيَادَةِ المُلْكِ عَلَىٰ المَالِكِ، إِذْ كَانَ مَعْلُومًا أَنْ لا مَلِكَ إِلَّا وَهُوَ مَالِكٌ، وَقَدْ يَكُونُ المَالِكُ لَا مَلِكًا.. وقَدْ أَخْبَرَ عِبَادَهُ فِي الآيَةِ الَّتِي قَبْلَ قَوْلِهِ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أَنَّهُ مَالِكُ جَمِيعِ العَالَمِينَ وَسَيِّدُهُمْ، وَمُصْلِحُهُمْ، وَالنَّاظِرُ لَهُمْ، وَالرَّحِيمُ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، بِقَوْلِهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ③﴾، وَإِذْ كَانَ جَلَّ ذِكْرُهُ قَدْ أَنْبَأَهُمْ عَنْ مِلْكِهِ إِيَّاهُمْ كَذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فَأَوْلَىٰ الصِّفَاتِ مِنْ صِفَاتِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ أَنْ يَتْبَعَ ذَلِكَ مَا لَمْ يَحْوِهِ قَوْلُهُ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ③﴾، مَعَ قُرْبِ مَا بَيْنَ الآيَتَيْنِ مِنَ المُوَاصَلَةِ وَالمُجَاوَرَةِ، إِذْ كَانَتْ حِكْمَتُهُ الحِكْمَةَ الَّتِي لَا تُشْبِهُهَا حِكْمَةٌ، وَكَانَ فِي إِعَادَةِ وَصْفِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ بِأَنَّهُ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④﴾، إِعَادَةُ مَا قَدْ مَضَىٰ مِنْ وَصْفِهِ بِهِ فِي قَوْلِهِ (رَبِّ العَالَمِينَ)، مَعَ تَقَارُبِ الآيَتَيْنِ وَتَجَاوُزِ الصِّفَتَيْنِ، وَكَانَ فِي إِعَادَةِ ذَلِكَ تَكْرَارُ أَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ

بِمَعَانٍ مُتَفِقَةٍ، لا تُفِيدُ سَامِعَ مَا كُرِّرَ مِنْهُ فَائِدَةً بِهِ إِلَيْهَا حَاجَةٌ، وَالَّذِي لَمْ يَحْوِهِ مِنْ صِفَاتِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا قَبْلَ قَوْلِهِ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾، المَعْنَىٰ الَّذِي فِي قَوْلِهِ: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، وَهُوَ وَصْفُهُ بِأَنَّهُ المَلِكُ.. فَبَيِّنٌ إِذًا أَنَّ أَوْلَىٰ القِرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ، وَأَحَقُّ التَّأْوِيلَيْنِ بِالكِتَابِ، قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَهُ (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، بِمَعْنَىٰ إِخْلَاصِ المُلْكِ لَهُ يَوْمَ الدِّينِ، دُونَ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ الَّذِي بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ يَمْلِكُ الحُكْمَ بَيْنَهُمْ وَفَصْلَ القَضَاءِ، مُتَفَرِّدًا بِهِ دُونَ سَائِرِ خَلقِهِ.. وأما قِرَاءَةُ: (مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ) فَمَحْظُورَةٌ غَيْرُ جَائِزَةٍ، لِإِجْمَاعِ جَمِيعِ الحُجَّةِ مِنَ القُرَّاءِ وَعُلَمَاءِ الأُمَّةِ عَلَىٰ رَفْضِ القِرَاءَةِ بِهَا.. وَالدِّينُ فِي هَذَا المَوْضِعِ، بِتَأْوِيلِ الحِسَابِ وَالمُجَازَاةِ بِالأَعْمَالِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ٩﴾ - يَعْنِي: بالجَزَاءِ - ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠﴾ [الانفطار: ٩، ١٠] يُحْصُونَ مَا تَعْمَلُونَ مِنَ الأَعْمَالِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ٨٦﴾ [الواقعة: ٨٦]، يَعْنِي غَيْرَ مَجْزِيِّينَ بِأَعْمَالِكُمْ وَلَا مُحَاسَبِينَ.. وَلِلدِّينِ مَعَانٍ فِي كَلَامِ العَرَبِ، غَيْرُ مَعْنَىٰ الحِسَابِ وَالجَزَاءِ، سَنَذْكُرُهَا فِي أَمَاكِنِهَا إِنْ شَاءَ اللهُ.. وَبِمَا قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ جَاءَتِ الآثَارُ عَنِ السَّلَفِ مِنَ المُفَسِّرِينَ، قال قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾: (يَوْمَ يَدِينُ اللهُ العِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ).

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: ٥]

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ لَكَ اللهُمَّ نَخْشَعُ وَنَذِلُّ وَنَسْتَكِينُ، إِقْرَارًا لَكَ يَا رَبَّنَا بِالرُّبُوبِيَّةِ لَا لِغَيْرِكَ.. وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا البَيَانَ عَنْ تَأْوِيلِهِ بِأَنَّهُ بِمَعْنَىٰ نَخْشَعُ وَنَذِلُّ وَنَسْتَكِينُ، دُونَ البَيَانِ عَنْهُ بِأَنَّهُ بِمَعْنَىٰ نَرْجُو وَنَخَافُ -وَإِنْ كَانَ الرَّجَاءُ وَالخَوْفُ لَا يَكُونَانِ إِلَّا مَعَ ذِلَّةٍ- لِأَنَّ العُبُودِيَّةَ، عِنْدَ جَمِيعِ العَرَبِ أَصِلُهَا الذِّلَّةُ، وَأَنَّهَا تُسَمَّىٰ الطَّرِيقَ المُذَلَّلَ الَّذِي قَدْ وَطِئَتْهُ الأَقْدَامُ، وَذَلَّلَتْهُ السَّابِلَةُ: مُعَبَّدًا، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلبَعِيرِ المُذَلَّلِ بِالرُّكُوبِ فِي الحَوَائِجِ: مُعَبَّدٌ، وَمِنْهُ سُمِّيَ العَبْدُ عَبْدًا لِذِلَّتِهِ لِمَوْلَاهُ، وَالشَّوَاهِدُ عَلَىٰ ذَلِكَ - مِنْ أَشْعَارِ العَرَبِ وَكَلَامِهَا - أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَىٰ، وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ كِفَايَةٌ لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ..

﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: ٥] وَإِيَّاكَ رَبَّنَا نَسْتَعِينُ عَلَىٰ عِبَادَتِنَا إِيَّاكَ، وَطَاعَتِنَا لَكَ، وَفِي أُمُورِنَا كُلِّهَا، لَا أَحَدًا سِوَاكَ؛ إِذْ كَانَ مَنْ يَكْفُرُ بِكَ يَسْتَعِينُ فِي أُمُورِهِ مَعْبُودَهُ الَّذِي يَعْبُدُهُ مِنَ الأَوْثَانِ دُونَكَ، وَنَحْنُ بِكَ نَسْتَعِينُ فِي جَمِيعِ أُمُورِنَا مُخْلِصِينَ لَكَ العِبَادَةَ.

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة:٦]

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة: ٦] وَفِّقْنَا لِلثَّبَاتِ عَلَىٰ مَا ارْتَضَيْتَهُ وَوَفَّقْتَ لَهُ مَنْ

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِكَ، مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَذَلِكَ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ؛ لِأَنَّ مَنْ وُفِّقَ لِمَا وُفِّقَ لَهُ مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ، فَقَدْ وُفِّقَ لِلإِسْلَامِ، وَتَصْدِيقِ الرُّسُلِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالكِتَابِ، وَالعَمَلِ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَالِانْزِجَارِ عَمَّا زَجَرَهُ عَنْهُ، وَاتِّبَاعِ مَنْهَجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْهَاجِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَكُلِّ عَبْدٍ للهِ صَالِحٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.. وَمَعْنَاهُ نَظِيرُ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾، فِي أَنَّهُ مَسْأَلَةُ العَبْدِ رَبَّهُ التَّوْفِيقَ لِلثَّبَاتِ عَلَى العَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَإِصَابَةِ الحَقِّ وَالصَّوَابِ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ وَنَهَاهُ عَنْهُ، فِيمَا يَسْتَقْبِلُ مِنْ عُمُرِهِ، دُونَ مَا قَدْ مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِ، وَتَقَضَّى فِيمَا سَلَفَ مِنْ عُمُرِهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾، مَسْأَلَةٌ مِنْهُ رَبَّهُ المَعُونَةَ عَلَى أَدَاءِ مَا قَدْ كَلَّفَهُ مِنْ طَاعَتِهِ، فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِهِ، فَكَانَ مَعْنَى الكَلَامِ: اللهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، مُخْلِصِينَ لَكَ العِبَادَةَ دُونَ مَا سِوَاكَ مِنَ الآلِهَةِ وَالأَوْثَانِ، فَأَعِنَّا عَلَى عِبَادَتِكَ، وَوَفِّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَنْبِيَائِكَ وَأَهْلِ طَاعَتِكَ، مِنَ السَّبِيلِ وَالمِنْهَاجِ.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٧]

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٧] إِبَانَةٌ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، أَيُّ الصِّرَاطِ هُوَ؟ إِذْ كَانَ كُلُّ طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الحَقِّ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، فَقِيلَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: اهْدِنَا يَا رَبَّنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، بِطَاعَتِكَ وَعِبَادَتِكَ، مِنْ مَلَائِكَتِكَ وَأَنْبِيَائِكَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.. وَذَلِكَ نَظِيرُ مَا قَالَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي تَنْزِيلِهِ: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ۝٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٦٨ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٩]، فَالَّذِي أُمِرَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ أَنْ يَسْأَلُوا رَبَّهُمْ مِنَ الهِدَايَةِ لِلطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، هِيَ الهِدَايَةُ لِلطَّرِيقِ الَّذِي وَصَفَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُ، وَذَلِكَ الطَّرِيقُ هُوَ طَرِيقُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ فِي تَنْزِيلِهِ، وَوَعَدَ مَنْ سَلَكَهُ فَاسْتَقَامَ فِيهِ طَائِعًا للهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، أَنْ يُورِدَهُ مَوَارِدَهُمْ، وَاللهُ لَا يُخْلِفُ المِيعَادَ.. قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: (﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ النَّبِيُّونَ).. وَقَالَ وَكِيعٌ: (﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ المُسْلِمِينَ).. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ: (﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ).. وَفِي هَذِهِ الآيَةِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّ طَاعَةَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَا يَنَالُهَا المُطِيعُونَ إِلَّا بِإِنْعَامِ اللهِ بِهَا عَلَيْهِمْ، وَتَوْفِيقِهِ إِيَّاهُمْ لَهَا، أَوَ لَا يَسْمَعُونَهُ يَقُولُ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، فَأَضَافَ كُلَّ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ اهْتِدَاءٍ وَطَاعَةٍ وَعِبَادَةٍ إِلَى أَنَّهُ إِنْعَامٌ مِنْهُ عَلَيْهِمْ؟!

﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧]

﴿غَيۡرِ﴾ القَرَأَةُ مُجْمِعَةٌ عَلَىٰ قِرَاءَةِ ﴿غَيۡرِ﴾ بِجَرِّ الرَّاءِ مِنْهَا، وَالخَفْضُ يَأْتِيهَا مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ ﴿غَيۡرِ﴾ صِفَةً لِـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وَنَعْتًا لَهُمْ فَتَخْفِضَهَا؛ إِذْ كَانَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ خَفْضًا، وَهِيَ لَهُمْ نَعْتٌ وَصِفَةٌ.. وَالوَجْهُ الآخَرُ مِنْ وَجْهَي الخَفْضِ فِيهَا: أَنْ يَكُونَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بِمَعْنَىٰ المَعْرِفَةِ المُؤَقَّتَةِ، وَإِذَا وُجِّهَ إِلَىٰ ذَلِكَ، كَانَتْ ﴿غَيۡرِ﴾ مَخْفُوضَةً بِنِيَّةِ تَكْرِيرِ ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ الَّذِي خُفِضَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ عَلَيْهَا، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، صِرَاطَ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ).. وَهَذَانِ التَّأْوِيلَانِ وَإِنِ اخْتَلَفَا بِاخْتِلَافِ مُعْرِبِيهِمَا، فَإِنَّهُمَا يَتَقَارَبُ مَعْنَاهُمَا، مِنْ أَجْلِ أَنَّ مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ فَهَدَاهُ لِدِينِهِ الحَقِّ، فَقَدْ سَلِمَ مَنْ غَضَبِ رَبِّهِ وَنَجَا مِنَ الضَّلَالِ فِي دِينِهِ..

﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ هُمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي تَنْزِيلِهِ فَقَالَ: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٦٠﴾ [المائدة: ٦٠]، فَأَعْلَمَنَا جَلَّ ذِكْرُهُ ثَمَّةَ مَا أَحَلَّ بِهِمْ مِنْ عُقُوبَتِهِ بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، ثُمَّ عَلَّمَنَا -مِنَّةً مِنْهُ عَلَيْنَا- وَجْهَ السَّبِيلِ إِلَىٰ النَّجَاةِ مِنْ أَنْ يَحِلَ بِنَا مِثْلُ الَّذِي حَلَّ بِهِمْ مِنَ المَثُلَاتِ، وَرَأْفَةً مِنْهُ بِنَا.. فَإِنْ قِيلَ: وَمَا الدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّهُمْ أُولَاءِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ وَذَكَرَ نَبَأَهُمْ فِي تَنْزِيلِهِ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ؟ قِيلَ: ما جَاءَ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «المَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ، اليَهُودُ».. وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ: أَنَّ رُجُلًا أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُحَاصِرٌ وَادِيَ القُرَىٰ، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تُحَاصِرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «هَؤُلَاءِ المَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ، اليَهُودُ».. وَاخْتُلِفَ فِي صِفَةِ الغَضَبِ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ مَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، إِحْلَالُ عُقُوبَتِهِ بِمَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ، إِمَّا فِي دُنْيَاهُ، وَإِمَّا فِي آخِرَتِهِ، كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٥﴾ [الزُّخْرُف: ٥٥]، وَكَمَا قَالَ: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ﴾ [المَائِدَة: ٦٠].. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ مَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ، ذَمٌّ مِنْهُ لَهُمْ وَلِأَفْعَالِهِمْ، وَشَتْمٌ لَهُمْ مِنْهُ بِالقَوْلِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الغَضَبُ مِنْهُ مَعْنًىٰ مَفْهُومٌ، كَالَّذِي يُعْرَفُ مِنْ مَعَانِي الغَضَبِ، غَيْرَ أَنَّهُ - وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ مِنْ جِهَةِ الإِثْبَاتِ - فَمُخَالِفٌ مَعْنَاهُ مِنْهُ مَعْنَىٰ مَا يَكُونُ مِنْ غَضَبِ الآدَمِيِّينَ الَّذِينَ يُزْعِجُهُمْ وَيُحَرِّكُهُمْ وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ وَيُؤْذِيهِمْ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَا تَحِلُّ ذَاتَهُ الآفَاتُ، وَلَكِنَّهُ لَهُ صِفَةٌ، كَمَا العِلْمُ لَهُ صِفَةٌ، وَالقُدْرَةُ لَهُ صِفَةٌ، عَلَىٰ مَا يُعْقَلُ مِنْ جِهَةِ الإِثْبَاتِ، وَإِنْ خَالَفَتْ مَعَانِي ذَلِكَ مَعَانِي عُلُومِ العِبَادِ، الَّتِي هِيَ مَعَارِفُ القُلُوبِ، وَقُوَاهُمُ الَّتِي

تُوجَدُ مَعَ وُجُودِ الأَفْعَالِ وَتُعْدَمُ مَعَ عَدَمِهَا..

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧] هُمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ فِي تَنْزِيلِهِ فَقَالَ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧﴾ [المائدة: ٧٧].. **فَإِنْ قَالَ: وَمَا بُرْهَانُكَ عَلَىٰ أَنَّهُمْ أُولاءِ؟** قِيلَ: قَوْلُهُ ﷺ: «**النَّصَارَىٰ هُمُ الضَّالُّونَ**».. وَرُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قوله ﴿وَلا الضَّالِّينَ﴾: (وَغَيْرِ طَرِيقِ النَّصَارَىٰ الَّذِينَ أَضَلَّهُمُ اللهُ بِفِرْيَتِهِمْ عَلَيْهِ، فَأَلْهِمْنَا دِينَكَ الحَقَّ، وَهُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، حَتَّىٰ لَا تَغْضَبَ عَلَيْنَا كَمَا غَضِبْتَ عَلَىٰ اليَهُودِ، وَلَا تُضِلَّنَا كَمَا أَضْلَلْتَ النَّصَارَىٰ فَتُعَذِّبَنَا بِمَا تُعَذِّبُهُمْ بِهِ، امْنَعْنَا مِنْ ذَلِكَ بِرِفْقِكَ وَرَحْمَتِكَ وَقُدْرَتِكَ).. **فَكُلُّ حَائِدٍ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَسَالِكٍ غَيْرَ المَنْهَجِ القَوِيمِ، فَضَالٌّ** عِنْدَ العَرَبِ، لِإِضْلَالِهِ وَجْهَ الطَّرِيقِ، فَلِذَلِكَ سَمَّىٰ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ النَّصَارَىٰ ضُلَّالًا لِخَطَئِهِمْ فِي الحَقِّ مَنْهَجَ السَّبِيلِ، وَأَخْذِهِمْ مِنَ الدِّينِ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ.. **فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ:** أَوَلَيْسَ ذَلِكَ أَيْضًا مِنْ صِفَةِ اليَهُودِ؟ قِيلَ: بَلَىٰ! فَإِنْ قَالَ: كَيْفَ خَصَّ النَّصَارَىٰ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، وَخَصَّ اليَهُودَ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ مِنْ أَنَّهُمْ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ؟ قِيلَ: **كِلَا الفَرِيقَيْنِ ضُلَّالٌ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، غَيْرَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَسَمَ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ مَنْ صِفَتِهِ لِعِبَادِهِ بِمَا يَعْرِفُونَهُ بِهِ**، إِذَا ذَكَرَهُ لَهُمْ أَوْ أَخْبَرَهُمْ عَنْهُ، وَلَمْ يُسَمِّ وَاحِدًا مِنَ **الفَرِيقَيْنِ إِلَّا بِمَا هُوَ لَهُ صِفَةٌ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ مِنْ صِفَاتِ الذَّمِّ زِيَادَاتٌ عَلَيْهِ**.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قَالَ العَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، قَالَ اللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، قَالَ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي. فَهَذَا لِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ إِلَىٰ أَنْ يَخْتِمَ السُّورَةَ، قَالَ: فَذَاكَ لَهُ».

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ فَاتِحَةِ الكِتَابِ

سُورَةُ الْبَقَرَةِ (٢) وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَثَمَانُونَ وَمِائَتَانِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا الْبَقَرَةُ

﴿الٓمٓ ۝١﴾ [البقرة: ١]

﴿الٓمٓ ۝١﴾ [البقرة: ١] جَعَلَهَا اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُه حُرُوفًا مُقَطَّعَةً، وَلَمْ يَصِل بَعْضَهَا بِبَعْضٍ فَيَجْعَلُهَا كَسَائِرِ الكَلَامِ المُتَّصِلِ الحُرُوفِ؛ لِأَنَّهُ عَزَّ ذِكْرُهُ أَرَادَ بِلَفْظِهِ الدَّلَالَةَ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَلَىٰ مَعَانٍ كَثِيرَةٍ، لَا عَلَىٰ مَعْنَىٰ وَاحِدٍ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَرْفٌ وَاحِدٌ شَامِلًا الدَّلَالَةَ عَلَىٰ مَعَانٍ كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ؟ قِيلَ: كَمَا جَازَ أَنْ تَكُونَ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَشْتَمِلُ عَلَىٰ مَعَانٍ كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، كَقَوْلِهِمْ لِلجَمَاعَةِ مِنَ النَّاسِ: أُمَّةٌ، وَلِلحِينِ مِنَ الزَّمَانِ: أُمَّةٌ، وَلِلرَّجُلِ المُتَعَبِّدِ المُطِيعِ للهِ: أُمَّةٌ، وَلِلدِّينِ وَالمِلَّةِ: أُمَّةٌ، وَكَقَوْلِهِمْ لِلجَزَاءِ وَالقِصَاصِ: دِينٌ، وَلِلسُّلطَانِ وَالطَّاعَةِ: دِينٌ، وَلِلتَّذَلُّلِ: دِينٌ، وَلِلحِسَابِ: دِينٌ، فِي أَشْبَاهٍ لِذَلِكَ كَثِيرَةٍ يَطُولُ الكِتَابُ بِإِحْصَائِهَا مِمَّا يَكُونُ مِنَ الكَلَامِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَىٰ مَعَانٍ كَثِيرَةٍ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿الٓمٓ ۝١﴾، و﴿الٓر﴾، و﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ حُرُوفِ المُعْجَمِ الَّتِي هِيَ فَوَاتِحُ أَوَائِلِ السُّوَرِ، كُلُّ حَرْفٍ مِنْهَا دَالٌّ عَلَىٰ مَعَانٍ شَتَّىٰ، شَامِلٌ جَمِيعُهَا مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَصِفَاتِهِ مَا قَالَهُ المُفَسِّرُونَ، كَمَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِهِم: (أَنَا اللهُ أَعْلَمُ)، وعَنْ بَعْضِهِم: (الأَلِفُ: مِفْتَاحُ اسْمِهِ اللهُ، وَاللَّامُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ لَطِيفٌ، وَالمِيمُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ مَجِيدٌ، وَالأَلِفُ آلَاءُ اللهِ، وَاللَّامُ لُطْفُهُ، وَالمِيمُ: مَجْدُهُ).. وَهُنَّ مَعَ ذَلِكَ فَوَاتِحُ السُّوَرِ، وَلَيْسَ كَوْنُ ذَلِكَ مِنْ حُرُوفِ أَسْمَاءِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَصِفَاتِهِ بِمَانِعِهَا أَنْ تَكُونَ لِلسُّوَرِ فَوَاتِحَ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدِ افْتَتَحَ كَثِيرًا مِنْ سُوَرِ القُرْآنِ بِالحَمْدِ لِنَفْسِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهَا، وَكَثِيرًا مِنْهَا بِتَمْجِيدِهَا وَتَعْظِيمِهَا، فَغَيْرُ مُسْتَحِيلٍ أَنْ يَبْتَدِئَ بَعْضَ ذَلِكَ بِالقَسَمِ بِهَا.. وَهُنَّ مِمَّا أَقْسَمَ بِهِنَّ، لِأَنَّ أَحَدَ مَعَانِيهِنَّ أَنَّهُنَّ مِنْ حُرُوفِ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَصِفَاتِهِ، وَلَا شَكَّ فِي صِحَّةِ مَعْنَىٰ القَسَمِ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.. وَهُنَّ لِلسُّوَرِ الَّتِي افْتُتِحَتْ بِهِنَّ شِعَارٌ وَأَسْمَاءٌ، فَذَلِكَ يَحْوِي مَعَانِيَ جَمِيعِ مَا وَصَفْنَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَل ابْتُدِئَتْ بِذَلِكَ أَوَائِلُ السُّوَرِ لِيَفْتَحَ لِاسْتِمَاعِهِ أَسْمَاعَ المُشْرِكِينَ -إِذْ تَوَاصَوْا بِالإِعْرَاضِ عَنِ القُرْآنِ- حَتَّىٰ إِذَا اسْتَمَعُوا لَهُ، تُلِيَ عَلَيْهِمُ المُؤَلَّفُ مِنْهُ.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢]

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُهُ وَبَيَّنْتُهُ لَكَ الكِتَابُ..

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لَا شَكَّ فِيهِ.. وَالهَاءُ الَّتِي فِي ﴿فِيهِ﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ الكِتَابِ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ الكِتَابِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ..

﴿هُدًى﴾ هُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ، كما قال الشعبي.. وَنُورٌ لِلْمُتَّقِينَ، كَمَا رُوِي عن ابن عباس.. وَالهُدَىٰ فِي هَذَا المَوْضِعِ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِكَ: (هَدَيْتُ فُلَانًا الطَّرِيقَ) إِذَا أَرْشَدْتَهُ إِلَيْهِ، وَدَلَلْتَهُ عَلَيْهِ، وَبَيَّنْتَهُ لَهُ.. **فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ**: أَوَ مَا كِتَابُ اللهِ نُورًا إِلَّا لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا رَشَادًا إِلَّا لِلْمُؤْمِنِينَ؟ **قِيلَ**: ذَلِكَ كَمَا وَصَفَهُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْ كَانَ نُورًا لِغَيْرِ المُتَّقِينَ، وَرَشَادًا لِغَيْرِ المُؤْمِنِينَ، لَمْ يَخْصُصِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ المُتَّقِينَ بِأَنَّهُ لَهُمْ هُدًى، بَل كَانَ يَعُمُّ بِهِ جَمِيعَ المُنْذَرِينَ، وَلَكِنَّهُ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، وَشِفَاءٌ لِمَا فِي صُدُورِ المُؤْمِنِينَ، وَوَقْرٌ فِي آذَانِ المُكَذِّبِينَ، وَعَمًى لِأَبْصَارِ الجَاحِدِينَ، وَحُجَّةٌ للهِ بَالِغَةٌ عَلَىٰ الكَافِرِينَ، فَالمُؤْمِنُ بِهِ مُهْتَدٍ، وَالكَافِرُ بِهِ مَحْجُوجٌ..

﴿لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢] اتَّقَوْا مَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ، وَأَدَّوْا مَا افْتُرِضَ عَلَيْهِمْ، وهو يروىٰ عن الحسن.. ورُوِيَ عن ابن عباس: (الَّذِينَ **يَحْذَرُونَ** مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ **عُقُوبَتَهُ**، فِي تَرْكِ مَا يَعْرِفُونَ مِنَ الهُدَىٰ، وَ**يَرْجُونَ** رَحْمَتَهُ بِالتَّصْدِيقِ بِمَا جَاءَ بِهِ).. وهُمُ المُؤْمِنُونَ، كَمَا رُوِي عن ابن مسعود.. وقال أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ: (سَأَلَنِي الأَعْمَشُ عَنِ ﴿المُتَّقِينَ﴾، فَأَجَبْتُهُ، فَقَالَ لِي: سَلْ عَنْهَا الكَلْبِيَّ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ الأَعْمَشِ، فَقَالَ: نَرَىٰ أَنَّهُ كَذَلِكَ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ).. ويُروىٰ عن قَتَادة: (هُمْ مَنْ نَعَتَهُمْ وَوَصَفَهُمْ فَأَثْبَتَ صِفَتَهُمْ، فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾).. ورُوِي عن ابن عباس: (المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ الشِّرْكَ بِي، وَيَعْمَلُونَ بِطَاعَتِي).. **وَأَوْلَىٰ التَّأْوِيلَاتِ** بِقَوْلِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾، تَأْوِيلُ مَنْ وَصَفَ القَوْمَ بِأَنَّهُمُ **الَّذِينَ اتَّقَوُا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي رُكُوبِ مَا نَهَاهُمْ عَنْ رُكُوبِهِ، فَتَجَنَّبُوا مَعَاصِيَهُ، وَاتَّقَوْهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ، فَأَطَاعُوهُ بِأَدَائِهَا**؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَصَفَهُمْ بِالتَّقْوَىٰ، فَلَمْ يَحْصُرْ تَقْوَاهُمْ إِيَّاهُ عَلَىٰ بَعْضٍ مَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ مِنْهُمْ دُونَ بَعْضٍ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَحْصُرَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ عَلَىٰ وَصْفِهِمْ بِشَيْءٍ مِنْ تَقْوَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ دُونَ شَيْءٍ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ القَوْمِ لَوْ كَانَ مَحْصُورًا عَلَىٰ خَاصٍّ مِنْ مَعَانِي التَّقْوَىٰ دُونَ العَامِّ مِنْهَا لَمْ يَدَعِ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَيَانَ ذَلِكَ لِعِبَادِهِ: إِمَّا فِي كِتَابِهِ، وَإِمَّا عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي العَقْلِ دَلِيلٌ عَلَىٰ اسْتِحَالَةِ وَصْفِهِمْ بِعُمُومِ التَّقْوَىٰ.. **فَقَدْ تَبَيَّنَ إِذًا بِذَلِكَ فَسَادُ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ تَأْوِيلَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ: الَّذِينَ اتَّقَوُا الشِّرْكَ وَبَرِئُوا مِنَ النِّفَاقِ**؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ كَذَلِكَ، وَهُوَ فَاسِقٌ غَيْرُ مُسْتَحِقٍّ أَنْ يَكُونَ مِنَ المُتَّقِينَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ - عِنْدَ قَائِلِ هَذَا القَوْلِ - **مَعْنَىٰ النِّفَاقِ: رُكُوبُ الفَوَاحِشِ الَّتِي**

حَرَّمَهَا اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَتَضْيِيعُ فَرَائِضِهِ الَّتِي فَرَضَهَا عَلَيْهِ، فَإِنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ العِلْمِ قَدْ كَانَتْ تُسَمِّي مَنْ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ مُنَافِقًا، فَيَكُونُ -وَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا فِي تَسْمِيَتِهِ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ بِهَذَا الِاسْمِ- مُصِيبًا تَأْوِيلَ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: ٣]

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ يُصَدِّقُونَ، كَمَا رُوِي عن ابن عباس، وابن مسعود.. ورُوي عن الرَّبيع: (يَخْشَوْنَ).. وقَالَ الزُّهْرِيُّ: (الإِيمَانُ العَمَلُ).. وَمَعْنَىٰ الإِيمَانِ عِنْدَ العَرَبِ: التَّصْدِيقُ، فَيُدْعَىٰ المُصَدِّقُ بِالشَّيْءِ قَوْلًا مُؤْمِنًا بِهِ، وَيُدْعَىٰ المُصَدِّقُ قَوْلَهُ بِفِعْلِهِ، مُؤْمِنًا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝١٧﴾ [يُوسُف: ١٧]، يَعْنِي: وَمَا أَنْتَ بِمُصَدِّقٍ لَنَا فِي قَوْلِنَا.. وَقَدْ تَدْخُلُ الخَشْيَةُ للهِ فِي مَعْنَىٰ الإِيمَانِ، الَّذِي هُوَ تَصْدِيقُ القَوْلِ بِالعَمَلِ.. وَالإِيمَانُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِلإِقْرَارِ بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَتَصْدِيقِ الإِقْرَارِ بِالفِعْلِ.. وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَالَّذِي هُوَ أَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الآيَةِ، وَأَشْبَهُ بِصِفَةِ القَوْمِ: أَنْ يَكُونُوا مَوْصُوفِينَ بِالتَّصْدِيقِ بِالغَيْبِ قَوْلًا وَاعْتِقَادًا وَعَمَلًا؛ إِذْ كَانَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يَحْصُرْهُمْ مِنْ مَعْنَىٰ الإِيمَانِ عَلَىٰ مَعْنًىٰ دُونَ مَعْنًىٰ، بَل أَجْمَلَ وَصْفَهُمْ بِهِ مِنْ غَيْرِ خُصُوصِ شَيْءٍ مِنْ مَعَانِيهِ أَخْرَجَهُ مِنْ صِفَتِهِمْ بِخَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ..

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ مَا غَابَ عَنِ العِبَادِ مِنْ أَمْرِ الجَنَّةِ وَأَمْرِ النَّارِ، وَمَا ذَكَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي القُرْآنِ، لَمْ يَكُنْ تَصْدِيقُهُمْ بِذَلِكَ – يَعْنِي: المُؤْمِنِينَ مِنَ العَرَبِ– مِنْ قِبَلِ أَصْلِ كِتَابٍ أَوْ عِلمٍ كَانَ عِنْدَهُمْ.. وَأَصْلُ الغَيْبِ: كُلُّ مَا غَابَ عَنْكَ مِنْ شَيْءٍ.. وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي أَعْيَانِ القَوْمِ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ مِنْ أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ فِيهِمْ، وَفِي نَعْتِهِمْ وَصِفَتِهِمُ الَّتِي وَصَفَهُمْ بِهَا، مِنْ إِيمَانِهِمْ بِالغَيْبِ، وَسَائِرِ المَعَانِي الَّتِي حَوَتْهَا الآيَتَانِ مِنْ صِفَاتِهِمْ غَيْرَهُ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُمْ مُؤْمِنُو العَرَبِ خَاصَّةً، دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ مُؤْمِنِي أَهْلِ الكِتَابِ، وَاسْتَدَلُّوا عَلَىٰ صِحَّةِ قَوْلِهِمْ ذَلِكَ وَحَقِيقَةِ تَأْوِيلِهِمْ، بِالآيَةِ الَّتِي تَتْلُو هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ، وَهُوَ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾، قَالُوا: فَلَمْ يَكُنْ لِلعَرَبِ كِتَابٌ قَبْلَ الكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، تَدِينُ بِتَصْدِيقِهِ وَالإِقْرَارِ وَالعَمَلِ بِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ الكِتَابُ لِأَهْلِ الكِتَابَيْنِ غَيْرِهَا، قَالُوا: فَلَمَّا قَصَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نَبَأَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِهِ - بَعْدَ اقْتِصَاصِهِ نَبَأَ المُؤْمِنِينَ بِالغَيْبِ– عَلِمْنَا أَنَّ كُلَّ صِنْفٍ مِنْهُمْ غَيْرُ الصِّنْفِ الآخَرِ، وَأَنَّ المُؤْمِنِينَ بِالغَيْبِ نَوْعٌ غَيْرُ النَّوْعِ المُصَدِّقِ بِالكِتَابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَحَدُهُمَا مُنَزَّلٌ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالآخَرُ مِنْهُمَا عَلَىٰ مَنْ قَبْلَ رَسُولِ اللهِ، قَالُوا: وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، صَحَّ مَا قُلنَا مِنْ أَنَّ تَأْوِيلَ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

بِٱلْغَيْبِ﴾، إِنَّمَا هُمُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا غَابَ عَنْهُمْ مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ وَالبَعْثِ، وَالتَّصْدِيقِ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَجَمِيعِ مَا كَانَتِ العَرَبُ لَا تَدِينُ بِهِ فِي جَاهِلِيَّتِهَا، مِمَّا أَوْجَبَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ الدَّيْنُونَةَ بِهِ - دُونَ غَيْرِهِمْ.. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ:** بَلْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَاتُ الأَرْبَعُ فِي مُؤْمِنِي أَهْلِ الكِتَابِ خَاصَّةً.. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ:** بَلِ الآيَاتُ الأَرْبَعُ مِنْ أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، أُنْزِلَتْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ بِوَصْفِ جَمِيعِ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ ذَلِكَ صِفَتُهُمْ مِنَ العَرَبِ وَالعَجَمِ، وَأَهْلِ الكِتَابَيْنِ وَسِوَاهُمْ، وهو قول مُجَاهِدٍ، ورُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ.. **وَأَوْلَى القَوْلَيْنِ عِنْدِي بِالصَّوَابِ، وَأَشْبَهُهُمَا بِتَأْوِيلِ الكِتَابِ، القَوْلُ الأَوَّلُ،** وَهُوَ: أَنَّ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِالإِيمَانِ بِالغَيْبِ، **وَبِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي الآيَتَيْنِ الأَوَّلَتَيْنِ،** غَيْرُ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ بِالإِيمَانِ بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَالَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ، لِمَا ذَكَرْتُ مِنَ العِلَلِ قَبْلُ لِمَنْ قَالَ ذَلِكَ.. **وَمِمَّا يَدُلُّ أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ عَلَىٰ صِحَّةِ هَذَا القَوْلِ،** أَنَّهُ جَنَّسَ -بَعْدَ وَصْفِ المُؤْمِنِينَ بِالصِّفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَصَفَ، وَبَعْدَ تَصْنِيفِهِ كُلَّ صِنْفٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ مَا صَنَّفَ الكُفَّارَ- جِنْسَيْنِ: فَجَعَلَ أَحَدَهُمَا مَطْبُوعًا عَلَىٰ قَلْبِهِ، مَخْتُومًا عَلَيْهِ، مَأْيُوسًا مِنْ إِيمَانِهِ، وَالآخَرَ مُنَافِقًا، يُرَائِي بِإِظْهَارِ الإِيمَانِ فِي الظَّاهِرِ، وَيَسْتَسِرُّ النِّفَاقَ فِي البَاطِنِ، فَصَيَّرَ الكُفَّارَ جِنْسَيْنِ، كَمَا صَيَّرَ المُؤْمِنِينَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ جِنْسَيْنِ، ثُمَّ عَرَّفَ عِبَادَهُ نَعْتَ كُلِّ صِنْفٍ مِنْهُمْ وَصِفَتَهُمْ، وَمَا أَعَدَّ لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ مِنْ ثَوَابٍ أَوْ عِقَابٍ، وَذَمَّ أَهْلَ الذَّمِّ مِنْهُمْ، وَشَكَرَ سَعْيَ أَهْلِ الطَّاعَةِ مِنْهُمْ..

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وَإِقَامَتُهَا: **أَدَاؤُهَا بِحُدُودِهَا وَفُرُوضِهَا وَالوَاجِبِ فِيهَا عَلَىٰ مَا فُرِضَتْ عَلَيْهِ،** كَمَا يُقَالُ: أَقَامَ القَوْمُ سُوقَهُمْ، إِذَا لَمْ يُعَطِّلُوهَا مِنَ البَيْعِ وَالشِّرَاءِ فِيهَا.. **وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَإِنَّهَا فِي كَلَامِ العَرَبِ الدُّعَاءُ..** وَأَرَىٰ أَنَّ **الصَّلَاةَ المَفْرُوضَةَ سُمِّيَتْ (صَلَاةً)،** لِأَنَّ المُصَلِّيَ مُتَعَرِّضٌ لِاسْتِنْجَاحِ طَلِبَتِهِ مِنْ ثَوَابِ اللهِ بِعَمَلِهِ، مَعَ مَا يَسْأَلُ رَبَّهُ مِنْ حَاجَاتِهِ، تَعَرُّضَ الدَّاعِي بِدُعَائِهِ رَبَّهُ اسْتِنْجَاحَ حَاجَاتِهِ وَسُؤْلَهُ..

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: ٣] **قَالَ بَعْضُهُمْ:** يُؤْتُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمُ احْتِسَابًا بِهَا، كَمَا رُوِيَ عن ابن عباس، ورُوِيَ عن الضَّحَّاكِ: (كَانَتِ النَّفَقَاتُ قُرُبَاتٌ يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ قَدْرِ مَيْسُورِهِمْ وَجُهْدِهِمْ، حَتَّىٰ نَزَلَتْ فَرَائِضُ الصَّدَقَاتِ، سَبْعُ آيَاتٍ فِي سُورَةِ بَرَاءَةَ، مِمَّا يَذْكُرُ فِيهِنَّ الصَّدَقَاتِ، هُنَّ المُثْبِتَاتُ النَّاسِخَاتُ).. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ:** هِيَ نَفَقَةُ الرَّجُلِ عَلَىٰ أَهْلِهِ، وَهَذَا قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ الزَّكَاةُ، كَمَا رُوِيَ عنِ ابن عباس، وابنِ مسعود.. **وَأَوْلَىٰ التَّأْوِيلَاتِ بِالآيَةِ وَأَحَقُّهَا بِصِفَةِ القَوْمِ:** أَنْ يَكُونُوا كَانُوا لِجَمِيعِ اللَّازِمِ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ مُؤَدِّينَ، زَكَاةً كَانَ ذَلِكَ أَوْ نَفَقَةَ مَنْ لَزِمَتْهُ نَفَقَتُهُ، مِنْ أَهْلٍ وَعِيَالٍ وَغَيْرِهِمْ، مِمَّنْ تَجِبُ عَلَيْهِمْ نَفَقَتُهُ بِالقَرَابَةِ وَالمِلْكِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللهَ

جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّ وَصَفَهُمْ إِذْ وَصَفَهُمْ بِالإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَهُمْ، فَمَدَحَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ صِفَتِهِمْ، فَكَانَ مَعْلُومًا -أَنَّهُ إِذْ لَمْ يَخْصُصْ مَدْحَهُمْ وَوَصْفَهُمْ بِنَوْعٍ مِنَ النَّفَقَاتِ المَحْمُودِ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا دُونَ نَوْعٍ بِخَبَرٍ وَلَا غَيْرِهِ- أَنَّهُمْ مَوْصُوفُونَ بِجَمِيعِ مَعَانِي النَّفَقَاتِ المَحْمُودِ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا مِنْ طِيبِ مَا رَزَقَهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَمْلَاكِهِمْ، وَذَلِكَ الحَلَالُ مِنْهُ الَّذِي لَمْ يَشُبْهُ حَرَامٌ.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④﴾ [البقرة: ٤]

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ يُصَدِّقُونَكَ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَمَا جَاءَ بِهِ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ المُرْسَلِينَ، لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَهُمْ، وَلَا يَجْحَدُونَ مَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، كَمَا رُوِي عن ابن عباس.. ورُوِيَ عنه وابن مسعود: (هَؤُلَاءِ المُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ)..

﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④﴾ [البقرة: ٤] أَمَّا الآخِرَةُ فَإِنَّهَا صِفَةٌ لِلدَّارِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ⑥④﴾ [العَنكبُوت: ٦٤]، وَإِنَّمَا وُصِفَتْ بِذَلِكَ لِمَصِيرِهَا آخِرَةً لِأُولَى كَانَتْ قَبْلَهَا، كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ: (أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، فَلَمْ تَشْكُرْ لِي الأُولَى وَلَا الآخِرَةَ)، وَإِنَّمَا صَارَتْ آخِرَةً لِلأُولَى، لِتَقَدُّمِ الأُولَى أَمَامَهَا، فَكَذَلِكَ الدَّارُ الآخِرَةُ، سُمِّيَتْ آخِرَةً لِتَقَدُّمِ الدَّارِ الأُولَى أَمَامَهَا، فَصَارَتِ التَّالِيَةُ لَهَا آخِرَةً، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ سُمِّيَتْ آخِرَةً لِتَأَخُّرِهَا عَنِ الخَلْقِ، كَمَا سُمِّيَتِ الدُّنْيَا (دُنْيَا) لِدُنُوِّهَا مِنَ الخَلْقِ.. وَأَمَّا الَّذِي وَصَفَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهِ المُؤْمِنِينَ -بِمَا أَنْزَلَ إِلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا أَنْزَلَ إِلَى مَنْ قَبْلَهُ مِنَ المُرْسَلِينَ- مِنْ إِيقَانِهِمْ بِهِ مِنْ أَمْرِ الآخِرَةِ، فَهُوَ إِيقَانُهُمْ بِمَا كَانَ المُشْرِكُونَ بِهِ جَاحِدِينَ، مِنَ البَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ وَالحِسَابِ وَالمِيزَانِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَعَدَّ اللهُ لِخَلْقِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، كَمَا رُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④﴾ أَيْ بِالبَعْثِ وَالقِيَامَةِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالحِسَابِ وَالمِيزَانِ، أَيْ: لَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا كَانَ قَبْلَكَ، وَيَكْفُرُونَ بِمَا جَاءَكَ مِنْ رَبِّكَ).. وَهَذَا التَّأْوِيلُ مِنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَدْ صَرَّحَ عَنْ أَنَّ السُّورَةَ مِنْ أَوَّلِهَا -وَإِنْ كَانَتِ الآيَاتُ الَّتِي فِي أَوَّلِهَا مِنْ نَعْتِ المُؤْمِنِينَ- تَعْرِيضٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِذَمِّ كُفَّارِ أَهْلِ الكِتَابِ، الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ بِمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِ مُصَدِّقُونَ، وَهُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ مُكَذِّبُونَ، وَلِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ التَّنْزِيلِ جَاحِدُونَ، وَيَدَّعُونَ مَعَ جُحُودِهِمْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ، وَأَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى، فَأَكْذَبَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَلِكَ مِنْ قِيلِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿الم ① ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ② الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ③ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④﴾، وَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِبَادَهُ: أَنَّ هَذَا الكِتَابَ هُدًى لِأَهْلِ

الإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، الْمُصَدِّقِينَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ رُسُلِهِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ خَاصَّةً، دُونَ مَنْ كَذَّبَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَادَّعَىٰ أَنَّهُ مُصَدِّقٌ بِمَنْ قَبْلَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الرُّسُلِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْكُتُبِ، ثُمَّ أَكَّدَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْعَرَبِ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْمُصَدِّقِينَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ بِقَوْلِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ **فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ الْهُدَىٰ وَالْفَلَاحِ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهِمْ**، وَأَنَّ غَيْرَهُمْ هُمْ أَهْلُ الضَّلَالِ وَالْخَسَارِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة: ٥]

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ **قَالَ بَعْضُهُمْ**: عَنَىٰ بِذَلِكَ أَهْلَ الصِّفَتَيْنِ الْمُتَقَدِّمَتَيْنِ، أَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ بِالْغَيْبِ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْمُؤْمِنِينَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِلَىٰ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ، وَإِيَّاهُمْ جَمِيعًا وَصَفَ بِأَنَّهُمْ عَلَىٰ هُدًىٰ مِنْهُ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، كَمَا رُوِيَ عن ابن عباس، وابن مسعود.. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: بَلْ عَنَىٰ بِذَلِكَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، وَهُمُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَبِمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ.. **وَقَالَ آخَرُونَ**: بَلْ عَنَىٰ بِذَلِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ مَنْ قَبْلَهُ، وَهُمْ مُؤْمِنُو أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَكَانُوا مُؤْمِنِينَ مِنْ قَبْلُ بِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْكُتُبِ.. **وَأَوْلَىٰ التَّأْوِيلَاتِ عِنْدِي بِقَوْلِهِ** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ مَا ذَكَرْتُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَنْ تَكُونَ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ **إِشَارَةً إِلَىٰ الْفَرِيقَيْنِ**، أَعْنِي: الْمُتَّقِينَ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، **وَتَكُونُ** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ **مَرْفُوعَةً بِالْعَائِدِ** مِنْ ذِكْرِهِمْ **فِي** قَوْلِهِ ﴿عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾، وَأَنْ تَكُونَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الثَّانِيَةُ مَعْطُوفَةً عَلَىٰ مَا قَبْلُ مِنَ الْكَلَامِ، عَلَىٰ مَا قَدْ بَيَّنَّاهُ.. **وَإِنَّمَا رَأَيْنَا أَنَّ ذَلِكَ أَوْلَىٰ التَّأْوِيلَاتِ بِالْآيَةِ؛ لِأَنَّ** اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَعَتَ الْفَرِيقَيْنِ بِنَعْتِهِمُ الْمَحْمُودِ، ثُمَّ أَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَكُنْ عَزَّوَجَلَّ لِيَخُصَّ أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ بِالثَّنَاءِ، مَعَ تَسَاوِيهِمَا فِيمَا اسْتَحَقَّا بِهِ الثَّنَاءَ مِنَ الصِّفَاتِ، **كَمَا غَيْرُ جَائِزٍ فِي** عَدْلِهِ أَنْ يَتَسَاوَيَا فِيمَا يَسْتَحِقَّانِ بِهِ الْجَزَاءَ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَيَخُصَّ أَحَدَهُمَا بِالْجَزَاءِ دُونَ الْآخَرِ، وَيَحْرِمُ الْآخَرَ جَزَاءَ عَمَلِهِ، فَكَذَلِكَ سَبِيلُ الثَّنَاءِ بِالْأَعْمَالِ، لِأَنَّ الثَّنَاءَ أَحَدُ أَقْسَامِ الْجَزَاءِ..

﴿عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ **عَلَىٰ نُورٍ** مِنْ رَبِّهِمْ **وَبُرْهَانٍ وَاسْتِقَامَةٍ وَسَدَادٍ، بِتَسْدِيدِ اللهِ إِيَّاهُمْ، وَتَوْفِيقِهِ لَهُمْ**، كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة: ٥] أَيْ: أُولَئِكَ هُمُ الْمُنْجِحُونَ الْمُدْرِكُونَ مَا طَلَبُوا عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ **بِأَعْمَالِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ** بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، مِنَ الْفَوْزِ بِالثَّوَابِ، وَالْخُلُودِ فِي الْجِنَانِ، وَالنَّجَاةِ مِمَّا أَعَدَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِأَعْدَائِهِ مِنَ الْعِقَابِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة: ٦]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّتَكَ مِنْ أَحْبَارِ يَهُودِ المَدِينَةِ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِهَا، وَكَتَمُوا بَيَانَ أَمْرِكَ لِلنَّاسِ بِأَنَّكَ رَسُولِي إِلَىٰ خَلْقِي، وَقَدْ أَخَذْتُ عَلَيْهِمُ العَهْدَ وَالمِيثَاقَ أَنْ لَا يَكْتُمُوا ذَلِكَ، وَأَنْ يُبَيِّنُوهُ لِلنَّاسِ، وَيُخْبِرُوهُمْ أَنَّهُمْ يَجِدُونَ صِفَتَكَ فِي كُتُبِهِمْ.. وَأَصْلُ الكُفْرِ عِنْدَ العَرَبِ: تَغْطِيَةُ الشَّيْءِ، وَلِذَلِكَ سَمَّوُا اللَّيْلَ (كَافِرًا)، لِتَغْطِيَةِ ظُلْمَتِهِ مَا لَبِسَتْهُ.. فَكَذَلِكَ الأَحْبَارُ مِنَ اليَهُودِ غَطَّوْا أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَكَتَمُوهُ النَّاسَ - مَعَ عِلْمِهِمْ بِنُبُوَّتِهِ، وَوُجُودِهِمْ صِفَتَهُ فِي كُتُبِهِمْ- فَقَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهِمْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩﴾ [البَقَرة: ١٥٩]، وَهُمُ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهِمْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾..

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ مُعْتَدِلٌ يَا مُحَمَّدٌ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ..

﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة: ٦] وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَىٰ الحَقِّ، وَلَا يُصَدِّقُونَ بِكَ وَبِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الأَحْبَارَ مِنْ يَهُودِ المَدِينَةِ جَحَدُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَسَتَرُوهُ عَنِ النَّاسِ، وَكَتَمُوا أَمْرَهُ، وَهُمْ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ..

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾ [البقرة: ٧]

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ﴾ أَصْلُ الخَتْمِ: الطَّبْعُ، وَالخَاتَمُ هُوَ الطَّابَعُ، يُقَالُ مِنْهُ: خَتَمْتُ الكِتَابَ، إِذَا طَبَعْتَهُ..

﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ﴾ فَإِنَّ قُلُوبَ العِبَادِ أَوْعِيَةٌ لِمَا أُودِعَتْ مِنَ العُلُومِ، وَظُرُوفٌ لِمَا جُعِلَ فِيهَا مِنَ المَعَارِفِ بِالأُمُورِ، فَمَعْنَىٰ الخَتْمِ عَلَيْهَا وَعَلَىٰ الأَسْمَاعِ -الَّتِي بِهَا تُدْرَكُ المَسْمُوعَاتُ، وَمِنْ قِبَلِهَا يُوصَلُ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ حَقَائِقِ الأَنْبَاءِ عَنِ المُغَيَّبَاتِ- نَظِيرُ مَعْنَىٰ الخَتْمِ عَلَىٰ سَائِرِ الأَوْعِيَةِ وَالظُّرُوفِ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: فَهَلْ لِذَلِكَ مِنْ صِفَةٍ تَصِفُهَا لَنَا فَنَفْهَمَهَا؟ أَهِيَ مِثْلُ الخَتْمِ الَّذِي يُعْرَفُ لِمَا ظَهَرَ لِلأَبْصَارِ، أَمْ هِيَ بِخِلَافِ ذَلِكَ؟ قِيلَ: الحَقُّ فِي ذَلِكَ عِنْدِي مَا صَحَّ بِنَظِيرِهِ الخَبَرُ، وَهُوَ قولُه ﷺ: «إِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صَقَلَتْ قَلْبَهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّىٰ تُغْلِقَ قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝١٤﴾ [المُطَفِّفِين: ١٤]».. فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ الذُّنُوبَ إِذَا تَتَابَعَتْ عَلَىٰ القُلُوبِ أَغْلَقَتْهَا، وَإِذَا أَغْلَقَتْهَا أَتَاهَا حِينَئِذٍ الخَتْمُ مِنْ قِبَلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَالطَّبْعُ، فَلَا يَكُونُ لِلإِيمَانِ إِلَيْهَا مَسْلَكٌ، وَلَا لِلكُفْرِ مِنْهَا مَخْلَصٌ، فَذَلِكَ هُوَ الطَّبْعُ، وَالخَتْمُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي

قَوْلِهِ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، نَظِيرُ الطَّبْعِ وَالخَتْمِ عَلَىٰ مَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ مِنَ الأَوْعِيَةِ وَالظُّرُوفِ، الَّتِي لَا يُوصَلُ إِلَىٰ مَا فِيهَا إِلَّا بِفَضِّ ذَلِكَ عَنْهَا ثُمَّ حَلِّهَا، فَكَذَلِكَ لَا يَصِلُ الإِيمَانُ إِلَىٰ قُلُوبِ مَنْ وَصَفَ اللهُ أَنَّهُ خَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، إِلَّا بَعْدَ فَضِّهِ خَاتَمَهُ وَحَلِّهِ رِبَاطَهُ عَنْهَا.. **وَهَذِهِ الآيَةُ مِنْ أَوْضَحِ الدَّلِيلِ عَلَىٰ فَسَادِ قَوْلِ المُنْكِرِينَ تَكْلِيفَ مَا لَا يُطَاقُ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللهِ**، لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ خَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِ صِنْفٍ مِنْ كُفَّارِ عِبَادِهِ وَأَسْمَاعِهِمْ، ثُمَّ لَمْ يُسْقِطِ التَّكْلِيفَ عَنْهُمْ، وَلَمْ يَضَعْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَرَائِضَهُ، وَلَمْ يَعْذِرْهُ فِي شَيْءٍ مِمَّا كَانَ مِنْهُ مِنْ خِلَافِ طَاعَتِهِ، بِسَبَبِ مَا فَعَلَ بِهِ مِنَ الخَتْمِ وَالطَّبْعِ عَلَىٰ قَلْبِهِ وَسَمْعِهِ، بَلْ أَخْبَرَ أَنَّ لِجَمِيعِهِمْ مِنْهُ عَذَابًا عَظِيمًا عَلَىٰ تَرْكِهِمْ طَاعَتَهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ حُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ، مَعَ حَتْمِهِ القَضَاءَ عَلَيْهِمْ مَعَ ذَلِكَ، بِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ..

﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ فَإِنَّ الخَتْمَ غَيْرُ مَوْصُوفَةٍ بِهِ العُيُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَلَا فِي خَبَرٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا مَوْجُودٌ فِي لُغَةِ أَحَدٍ مِنَ العَرَبِ، وَقَدْ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي سُورَةٍ أُخْرَىٰ: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣]، فَلَمْ يُدْخِلِ البَصَرَ فِي مَعْنَىٰ الخَتْمِ، وَذَلِكَ هُوَ المَعْرُوفُ فِي كَلَامِ العَرَبِ، فَلَمْ يَجُزْ لَنَا وَلَا لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ القِرَاءَةُ بِنَصْبِ (الغِشَاوَةِ)، لِمَا وَصَفْتُ مِنَ العِلَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ ذَكَرْتُ.. **وَالغِشَاوَةُ** فِي كَلَامِ العَرَبِ: **الغِطَاءُ**.. وَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِ مِنْ أَحْبَارِ اليَهُودِ، أَنَّهُ قَدْ خَتَمَ **عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَطَبَعَ عَلَيْهَا**، فَلَا يَعْقِلُونَ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَوْعِظَةً وَعَظَهُمْ بِهَا، فِيمَا آتَاهُمْ مِنْ عِلْمِ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ كُتُبِهِ، وَفِيمَا حَدَّدَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَوْحَاهُ وَأَنْزَلَهُ إِلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، **وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ** فَلَا يَسْمَعُونَ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيِّ اللهِ تَحْذِيرًا وَلَا تَذْكِيرًا وَلَا حُجَّةً أَقَامَهَا عَلَيْهِمْ بِنُبُوَّتِهِ، فَيَتَذَكَّرُوا وَيَحْذَرُوا عِقَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِصِدْقِهِ وَصِحَّةِ أَمْرِهِ، وَأَعْلَمَهُ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ **عَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً** عَنْ أَنْ يُبْصِرُوا سَبِيلَ الهُدَىٰ، فَيَعْلَمُوا قُبْحَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالرَّدَىٰ..

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ [البقرة: ٧] وَلَهُمْ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِكَ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة: ٨]

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ لَمَّا جَمَعَ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَمْرَهُ فِي دَارِ هِجْرَتِهِ، وَاسْتَقَرَّ بِهَا قَرَارُهُ، وَأَظْهَرَ اللهُ بِهَا كَلِمَتَهُ، وَفَشَا فِي دُورِ أَهْلِهَا الإِسْلَامُ، وَقَهَرَ بِهَا المُسْلِمُونَ مَنْ فِيهَا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ، وَذَلَّ بِهَا مَنْ فِيهَا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، **أَظْهَرَ أَحْبَارُ يَهُودِهَا** لِرَسُولِ اللهِ ﷺ الضَّغَائِنَ، وَأَبْدَوْا لَهُ العَدَاوَةَ وَالشَّنَآنَ، حَسَدًا وَبَغْيًا، **إِلَّا نَفَرًا مِنْهُمْ هَدَاهُمُ اللهُ لِلإِسْلَامِ** فَأَسْلَمُوا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ

﴿كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وَطَابَقَهُمْ سِرًّا عَلَىٰ مُعَادَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَبَغْيِهِمُ الغَوَائِلَ، قَوْمٌ مِنْ أَرَاهِطِ الأَنْصَارِ الَّذِينَ آوَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَنَصَرُوهُ، وَكَانُوا قَدْ عَسَوْا فِي شِرْكِهِمْ وَجَاهِلِيَّتِهِمْ، وَظَاهَرُوهُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكَ فِي خَفَاءٍ غَيْرِ جِهَارٍ، حِذَارَ القَتْلِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَالسِّبَاءِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَرُكُونًا إِلَىٰ اليَهُودِ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ وَسُوءِ البَصِيرَةِ بِالإِسْلَامِ، فَكَانُوا إِذَا لَقُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَهْلَ الإِيمَانِ بِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ قَالُوا لَهُمْ - حِذَارًا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ -: إِنَّا مُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِالبَعْثِ، وَأَعْطَوْهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ كَلِمَةَ الحَقِّ، لِيَدْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ حُكْمَ اللهِ فِيمَنِ اعْتَقَدَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الشِّرْكِ، لَوْ أَظْهَرُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا هُمْ مُعْتَقِدُوهُ مِنْ شِرْكِهِمْ، وَإِذَا لَقُوا إِخْوَانَهُمْ مِنَ اليَهُودِ وَأَهْلِ الشِّرْكِ وَالتَّكْذِيبِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، فَخَلَوْا بِهِمْ قَالُوا: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝﴾، فَإِيَّاهُمْ عَنَىٰ جَلَّ ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝﴾، يَعْنِي بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ خَبَرًا عَنْهُمْ: آمَنَّا بِاللهِ -: وَصَدَّقْنَا بِاللهِ.. فقد أَجْمَعَ جَمِيعُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَىٰ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ، وَأَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ صِفَتُهُمْ، قَالَ مُجَاهِدٌ: (هَذِهِ الآيَةُ إِلَىٰ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، فِي نَعْتِ المُنَافِقِينَ)..

﴿وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يَعْنِي: بِالبَعْثِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ يَوْمُ القِيَامَةِ (اليَوْمَ الآخِرَ)، لِأَنَّهُ آخِرُ يَوْمٍ، لَا يَوْمَ بَعْدَهُ سِوَاهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ لَا يَكُونُ بَعْدَهُ يَوْمٌ، وَلَا انْقِطَاعَ لِلآخِرَةِ وَلَا فَنَاءَ، وَلَا زَوَالَ؟ قِيلَ: إِنَ اليَوْمَ عِنْدَ العَرَبِ إِنَّمَا سُمِّيَ يَوْمًا بِلَيْلَتِهِ الَّتِي قَبْلَهُ، فَإِذَا لَمْ يَتَقَدَّمِ النَّهَارَ لَيْلٌ لَمْ يُسَمَّ يَوْمًا، فَيَوْمُ القِيَامَةِ يَوْمٌ لَا لَيْلَ بَعْدَهُ، سِوَىٰ اللَّيْلَةِ الَّتِي قَامَتْ فِي صَبِيحَتِهَا القِيَامَةُ، فَذَلِكَ اليَوْمُ هُوَ آخِرُ الأَيَّامِ، وَلِذَلِكَ سَمَّاهُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ (اليَوْمَ الآخِرَ)، وَنَعَتَهُ بِالعَقِيمِ، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ يَوْمٌ عَقِيمٌ، لِأَنَّهُ لَا لَيْلَ بَعْدَهُ..

﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [البقرة: ٨] يَعْنِي: بِمُصَدِّقِينَ فِيمَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ بِهِ مُصَدِّقُونَ.. وَنَفْيُهُ عَنْهُمْ جَلَّ ذِكْرُهُ اسْمَ الإِيمَانِ، وَقَدْ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ قَالُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ: آمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ تَكْذِيبٌ لَهُمْ فِيمَا أَخْبَرُوا عَنِ اعْتِقَادِهِمْ مِنَ الإِيمَانِ وَالإِقْرَارِ بِالبَعْثِ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّ الَّذِي يُبْدُونَهُ لَهُ بِأَفْوَاهِهِمْ خِلَافُ مَا فِي ضَمَائِرِ قُلُوبِهِمْ، وَضِدُّ مَا فِي عَزَائِمِ نُفُوسِهِمْ.. وَفِي هَذِهِ الآيَةِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَىٰ بُطُولِ مَا زَعَمَتْهُ الجَهْمِيَّةُ: مِنْ أَنَّ الإِيمَانَ هُوَ التَّصْدِيقُ بِالقَوْلِ، دُونَ سَائِرِ المَعَانِي غَيْرِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ، أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، ثُمَّ نَفَىٰ عَنْهُمْ أَنْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ، إِذْ كَانَ اعْتِقَادُهُمْ غَيْرَ مُصَدِّقٍ قِيلَهُمْ ذَلِكَ.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾ [البقرة: ٩]

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَخِدَاعُ الْمُنَافِقِ رَبَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، إِظْهَارُهُ بِلِسَانِهِ مِنَ الْقَوْلِ وَالتَّصْدِيقِ، خِلَافَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مِنَ الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ، لِيَدْرَأَ عَنْ نَفْسِهِ بِمَا أَظْهَرَ بِلِسَانِهِ حُكْمَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ -اللَّازِمَ مَنْ كَانَ بِمِثْلِ حَالِهِ مِنَ التَّكْذِيبِ، لَوْ لَمْ يُظْهِرْ بِلِسَانِهِ مَا أَظْهَرَ مِنَ التَّصْدِيقِ وَالإِقْرَارِ- مِنَ الْقَتْلِ وَالسِّبَاءِ، فَذَلِكَ خِدَاعُهُ رَبَّهُ وَأَهْلَ الإِيمَانِ بِاللهِ.. **وَهَذِهِ الآيَةُ مِنْ أَوْضَحِ الدَّلِيلِ عَلَىٰ تَكْذِيبِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الزَّاعِمِينَ: أَنَّ اللهَ لا يُعَذِّبُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا مَنْ كَفَرَ بِهِ عِنَادًا**، بَعْدَ عِلْمِهِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَبَعْدَ تَقَرُّرِ صِحَّةِ مَا عَانَدَ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ، وَالإِقْرَارِ بِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ عِنْدَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ أَخْبَرَ عَنِ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ مِنَ النِّفَاقِ، وَخِدَاعِهِمْ إِيَّاهُ وَالْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أَنَّهُمْ مُبْطِلُونَ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ البَاطِلِ مُقِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ بِخِدَاعِهِمْ -الَّذِي يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ بِهِ يُخَادِعُونَ رَبَّهُمْ وَأَهْلَ الإِيمَانِ بِهِ- مَخْدُوعُونَ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا بِتَكْذِيبِهِمْ بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ مِنْ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِ، وَاعْتِقَادِ الكُفْرِ بِهِ، وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ، وَهُمْ عَلَىٰ الكُفْرِ مُصِرُّونَ..

﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ **إِنْ قَالَ قَائِلٌ**: أَوَ لَيْسَ الْمُنَافِقُونَ قَدْ خَدَعُوا الْمُؤْمِنِينَ -بِمَا أَظْهَرُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ مِنْ قِيلِ الحَقِّ- عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ حَتَّىٰ سَلِمَتْ لَهُمْ دُنْيَاهُمْ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ كَانُوا مَخْدُوعِينَ فِي أَمْرِ آخِرَتِهِمْ؟ **قِيلَ: خَطَأٌ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُمْ خَدَعُوا الْمُؤْمِنِينَ**؛ لِأَنَّا إِذَا قُلْنَا ذَلِكَ، أَوْجَبْنَا لَهُمْ حَقِيقَةَ خُدْعَةٍ جَازَتْ لَهُمْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا أَنَّا لَوْ قُلْنَا: قَتَلَ فُلَانٌ فُلَانًا، أَوْجَبْنَا لَهُ حَقِيقَةَ قَتْلٍ كَانَ مِنْهُ لِفُلَانٍ، **وَلَكِنَّا نَقُولُ: خَادَعَ الْمُنَافِقُونَ رَبَّهُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ يَخْدَعُوهُمْ بَلْ خَدَعُوا أَنْفُسَهُمْ** -كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ- دُونَ غَيْرِهَا، نَظِيرَ مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ قَاتَلَ آخَرَ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ وَلَمْ يَقْتُلْ صَاحِبَهُ: قَاتَلَ فُلَانٌ فُلَانًا فَلَمْ يَقْتُلْ إِلَّا نَفْسَهُ، فَتُوجِبُ لَهُ مُقَاتَلَةَ صَاحِبِهِ، وَتَنْفِي عَنْهُ قَتْلَهُ صَاحِبَهُ، وَتُوجِبُ لَهُ قَتْلَ نَفْسِهِ، فَكَذَلِكَ تَقُولُ: **خَادَعَ الْمُنَافِقُ رَبَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَلَمْ يَخْدَعْ إِلَّا نَفْسَهُ**، فَتُثْبِتُ مِنْهُ مُخَادَعَةَ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَتَنْفِي عَنْهُ أَنْ يَكُونَ خَدَعَ غَيْرَ نَفْسِهِ؛ **لِأَنَّ الخَادِعَ هُوَ الَّذِي قَدْ صَحَّتِ الخَدِيعَةُ لَهُ، وَوَقَعَ مِنْهُ فِعْلُهَا**، فَالْمُنَافِقُونَ لَمْ يَخْدَعُوا غَيْرَ أَنْفُسِهِمْ؛ لِأَنَّ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ مَالٍ وَأَهْلٍ، فَلَمْ يَكُنِ الْمُسْلِمُونَ مَلَكُوهُ عَلَيْهِمْ، فِي حَالِ خِدَاعِهِمْ إِيَّاهُمْ عَنْهُ بِنِفَاقِهِمْ وَلَا قَبْلَهَا، فَيَسْتَنْقِذُوهُ بِخِدَاعِهِمْ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا دَافَعُوا عَنْهُ بِكَذِبِهِمْ وَإِظْهَارِهِمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ غَيْرَ الَّذِي فِي ضَمَائِرِهِمْ، وَيَحْكُمُ اللهُ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ فِي ظَاهِرِ أُمُورِهِمْ بِحُكْمِ مَا انْتَسَبُوا إِلَيْهِ مِنَ المِلَّةِ، وَاللهُ بِمَا يُخْفُونَ مِنْ أُمُورِهِمْ عَالِمٌ، **وَإِنَّمَا**

الخَادِعُ مَنْ خَتَلَ غَيْرَهُ عَنْ شَيْئِهِ، وَالمَخْدُوعُ غَيْرُ عَالِمٍ بِمَوْضِعِ خَدِيعَةِ خَادِعِهِ، فَأَمَّا وَالمُخَادَعُ عَارِفٌ بِخِدَاعِ صَاحِبِهِ إِيَّاهُ غَيْرُ لَاحِقِهِ مِنْ خِدَاعِهِ إِيَّاهُ مَكْرُوهٌ، بَل إِنَّمَا يَتَجَافَىٰ لِلظَّانِّ بِهِ أَنَّهُ لَهُ مُخَادِعٌ اسْتِدْرَاجًا، لِيَبْلُغَ غَايَةً يَتَكَامَلُ لَهُ عَلَيْهِ الحُجَّةُ لِلعُقُوبَةِ الَّتِي هُوَ بِهَا مُوقِعٌ عِنْدَ بُلُوغِهِ إِيَّاهَا، وَالمُسْتَدْرَجُ غَيْرُ عَالِمٍ بِحَالِ نَفْسِهِ عِنْدَ مُسْتَدْرِجِهِ، وَلَا عَارِفٍ بِاطِّلَاعِهِ عَلَىٰ ضَمِيرِهِ، وَأَنَّ إِمْهَالَ مُسْتَدْرِجِهِ إِيَّاهُ، تَرْكُهُ مُعَاقَبَتَهُ عَلَىٰ جُرْمِهِ لِيَبْلُغَ المُخَاتِلُ المُخَادِعُ مِنِ اسْتِحْقَاقِهِ عُقُوبَةَ مُسْتَدْرِجِهِ، بِكَثْرَةِ إِسَاءَتِهِ، وَطُولِ عِصْيَانِهِ إِيَّاهُ، وَكَثْرَةِ صَفْحِ المُسْتَدْرِجِ، وَطُولِ عَفْوِهِ عَنْهُ أَقْصَىٰ غَايَةٍ فَإِنَّمَا هُوَ خَادِعٌ نَفْسَهُ لَا شَكَّ، دُونَ مَنْ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ أَنَّهُ لَهُ مُخَادِعٌ، **وَلِذَلِكَ نَفَىٰ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنِ المُنَافِقِ أَنْ يَكُونَ خَدَعَ غَيْرَ نَفْسِهِ**، إِذْ كَانَتِ الصِّفَةُ الَّتِي وَصَفْنَا صِفَتَهُ..

﴿**وَمَا يَشْعُرُونَ** ۝٩﴾ [البقرة: ٩] وَمَا يَدْرُونَ.. فَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنِ المُنَافِقِينَ: **أَنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِأَنَّ اللهَ خَادِعُهُمْ، بِإِمْلَائِهِ لَهُمْ وَاسْتِدْرَاجِهِ إِيَّاهُمْ، الَّذِي هُوَ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِبْلَاغٌ إِلَيْهِمْ فِي الحُجَّةِ وَالمَعْذِرَةِ، وَمِنْهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ خَدِيعَةٌ**، وَلَهَا فِي الآجِلِ مَضَرَّةٌ.

﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ** ۝١٠﴾ [البقرة: ١٠]

﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**﴾ أَصْلُ المَرَضِ: السَّقَمُ، ثُمَّ يُقَالُ ذَلِكَ فِي الأَجْسَادِ وَالأَدْيَانِ.. فَأَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ فِي قُلُوبِ المُنَافِقِينَ مَرَضًا.. **وَإِنَّمَا عَنَىٰ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِخَبَرِهِ عَنْ مَرَضِ قُلُوبِهِمْ، الخَبَرَ عَنْ مَرَضِ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الِاعْتِقَادِ**، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ مَعْلُومًا بِالخَبَرِ عَنْ مَرَضِ القَلْبِ **أَنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهِ مَرَضُ مَا هُمْ مُعْتَقِدُوهُ** مِنَ الِاعْتِقَادِ اسْتَغْنَىٰ بِالخَبَرِ عَنِ القَلْبِ بِذَلِكَ وَالكِفَايَةِ عَنْ تَصْرِيحِ الخَبَرِ عَنْ ضَمَائِرِهِمْ وَاعْتِقَادَاتِهِمْ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: (يَا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِي)، يُرَادُ: يَا أَصْحَابَ خَيْلِ اللهِ ارْكَبُوا، وَالشَّوَاهِدُ عَلَىٰ ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصِيَهَا كِتَابٌ، وَفِيمَا ذَكَرْنَا كِفَايَةٌ لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِهِ، فَكَذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**﴾، إِنَّمَا يَعْنِي: **فِي اعْتِقَادِ قُلُوبِهِمُ الَّذِي يَعْتَقِدُونَهُ فِي الدِّينِ**، وَالتَّصْدِيقِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مَرَضٌ وَسُقْمٌ، فَاجْتَزَأَ بِدَلَالَةِ الخَبَرِ عَنْ قُلُوبِهِمْ عَلَىٰ مَعْنَاهُ، عَنْ تَصْرِيحِ الخَبَرِ عَنِ اعْتِقَادِهِمْ.. **وَالمَرَضُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ فِي اعْتِقَادِ قُلُوبِهِمُ الَّذِي وَصَفْنَاهُ: هُوَ شَكُّهُمْ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ** وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، **وَتَحَيُّرُهُمْ فِيهِ**، فَلَا هُمْ بِهِ مُوقِنُونَ إِيقَانَ إِيمَانٍ، وَلَا هُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ إِنْكَارَ إِشْرَاكٍ، وَلَكِنَّهُمْ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ ﷻ، **مُذَبْذَبُونَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ**، وَبِمِثْلِ الَّذِي قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، تَظَاهَرَ القَوْلُ فِي تَفْسِيرِهِ مِنَ المُفَسِّرِينَ..

﴿**فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ**﴾ قَدْ دَلَّلْنَا آنِفًا عَلَىٰ أَنَّ تَأْوِيلَ المَرَضِ الَّذِي وَصَفَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ فِي قُلُوبِ المُنَافِقِينَ، هُوَ الشَّكُّ فِي اعْتِقَادَاتِ قُلُوبِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ -فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ

رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَمْرِ نُبُوَّتِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ- مُقِيمُونَ، فَالمَرَضُ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُ زَادَهُمْ عَلَىٰ مَرَضِهِمْ، نَظِيرَ مَا كَانَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الشَّكِّ وَالحَيْرَةِ قَبْلَ الزِّيَادَةِ، فَزَادَهُمُ اللهُ بِمَا أَحْدَثَ مِنْ حُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ -الَّتِي لَمْ يَكُنْ فَرَضَهَا قَبْلَ الزِّيَادَةِ الَّتِي زَادَهَا المُنَافِقِينَ- مِنَ الشَّكِّ وَالحَيْرَةِ، إِذْ شَكُّوا وَارْتَابُوا فِي الَّذِي أَحْدَثَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ المَرَضِ وَالشَّكِّ الَّذِي كَانَ فِي قُلُوبِهِمْ فِي السَّالِفِ، مِنْ حُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ الَّتِي كَانَ فَرَضَهَا قَبْلَ ذَلِكَ، كَمَا زَادَ المُؤْمِنِينَ بِهِ إِلَىٰ إِيمَانِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ، بِالَّذِي أَحْدَثَ لَهُمْ مِنَ الفَرَائِضِ وَالحُدُودِ إِذْ آمَنُوا بِهِ، إِلَىٰ إِيمَانِهِمْ بِالسَّالِفِ مِنْ حُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ إِيمَانًا، كَالَّذِي قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي تَنْزِيلِهِ:﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التَّوْبَة: ١٢٤، ١٢٥]، فَالزِّيَادَةُ الَّتِي زِيدَهَا المُنَافِقُونَ مِنَ الرَّجَاسَةِ إِلَىٰ رَجَاسَتِهِمْ، هُوَ مَا وَصَفْنَا، وَالَّتِي زِيدَهَا المُؤْمِنُونَ إِلَىٰ إِيمَانِهِمْ، هُوَ مَا بَيَّنَّا، وَذَلِكَ هُوَ التَّأْوِيلُ المُجْمَعُ عَلَيْهِ..

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ وَالأَلِيمُ: هُوَ المُوجِعُ، وَمَعْنَاهُ: وَلَهُمْ عَذَابٌ مُؤْلِمٌ، بِصَرْفِ (مُؤْلِم) إِلَىٰ ﴿أَلِيمٌۢ﴾ كَمَا يُقَالُ: ضَرْبٌ وَجِيعٌ، بِمَعْنَىٰ مُوجِع، وَاللهُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، بِمَعْنَىٰ مُبْدِع.. وَإِنَّمَا الأَلِيمُ صِفَةٌ لِلعَذَابِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَهُمْ عَذَابٌ مُؤْلِمٌ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الأَلَمِ، و(الأَلَمُ) الوَجَعُ..

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ١٠] اللهَ وَرَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ آمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ، وَهُمْ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ كَذَبَةٌ، لِاسْتِسْرَارِهِمُ الشَّكَّ وَالمَرَضَ فِي اعْتِقَادَاتِ قُلُوبِهِمْ فِي أَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ.. فَوَعِيدُ اللهِ المُنَافِقِينَ فِي هَذِهِ الآيَةِ العَذَابَ الأَلِيمَ عَلَىٰ الكَذِبِ الجَامِعِ مَعْنَىٰ الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [المُنَافِقُون: ١- ٢]، وَالآيَةُ الأُخْرَىٰ فِي المُجَادَلَةِ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾﴾ [المُجَادَلَة: ١٦]، فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ المُنَافِقِينَ -بِقِيلِهِمْ مَا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، مَعَ اعْتِقَادِهِمْ فِيهِ مَا هُمْ مُعْتَقِدُونَ- كَاذِبُونَ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّ العَذَابَ المُهِينَ لَهُمْ، عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ كَذِبِهِمْ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ١١]

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ نَزَلَتْ فِي المُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ،

وَإِنْ كَانَ مَعْنِيًّا بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَ بِمِثْلِ صِفَتِهِمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بَعْدَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ صِفَةُ مَنْ كَانَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ -عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ- مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَأَنَّ هَذِهِ الآيَاتِ فِيهِمْ نَزَلَتْ.. وَالإِفْسَادُ فِي الأَرْضِ: الْعَمَلُ فِيهَا بِمَا نَهَىٰ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُ، وَتَضْيِيعُ مَا أَمَرَ اللهُ بِحِفْظِهِ، فَذَلِكَ جُمْلَةُ الإِفْسَادِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي كِتَابِهِ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ مَلَائِكَتِهِ: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البَقَرَة: ٣٠]، يَعْنُونَ بِذَلِكَ: أَتَجْعَلُ فِي الأَرْضِ مَنْ يَعْصِيكَ وَيُخَالِفُ أَمْرَكَ؟ فَكَذَلِكَ صِفَةُ أَهْلِ النِّفَاقِ: مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ بِمَعْصِيَتِهِمْ فِيهَا رَبَّهُمْ، وَرُكُوبِهِمْ فِيهَا مَا نَهَاهُمْ عَنْ رُكُوبِهِ، وَتَضْيِيعِهِمْ فَرَائِضَهُ، وَشَكِّهِمْ فِي دِينِ اللهِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ عَمَلًا إِلَّا بِالتَّصْدِيقِ بِهِ وَالإِيقَانِ بِحَقِيقَتِهِ، وَكَذِبِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ بِدَعْوَاهُمْ غَيْرَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ، وَبِمُظَاهَرَتِهِمْ أَهْلَ التَّكْذِيبِ بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ عَلَىٰ أَوْلِيَاءِ اللهِ، إِذَا وَجَدُوا إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلًا، فَذَلِكَ إِفْسَادُ الْمُنَافِقِينَ فِي أَرْضِ اللهِ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ مُصْلِحُونَ فِيهَا، فَلَمْ يُسْقِطِ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ عُقُوبَتَهُ، وَلَا خَفَّفَ عَنْهُمْ أَلِيمَ مَا أَعَدَّ مِنْ عِقَابِهِ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ بِحُسْبَانِهِمْ أَنَّهُمْ فِيمَا أَتَوْا مِنْ مَعَاصِي اللهِ مُصْلِحُونَ، بَلْ أَوْجَبَ لَهُمُ الدَّرْكَ الأَسْفَلَ مِنْ نَارِهِ، وَالأَلِيمَ مِنْ عَذَابِهِ، وَالْعَارَ الْعَاجِلَ بِسَبِّ اللهِ إِيَّاهُمْ وَشَتْمِهِ لَهُمْ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢﴾، وَذَلِكَ مِنْ حُكْمِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهِمْ، أَدَلُّ الدَّلِيلِ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِ تَعَالَىٰ قَوْلَ الْقَائِلِينَ: إِنْ عُقُوبَاتِ اللهِ لَا يَسْتَحِقُّهَا إِلَّا الْمُعَانِدُ رَبَّهُ فِيمَا لَزِمَهُ مِنْ حُقُوقِهِ وَفُرُوضِهِ، بَعْدَ عِلْمِهِ وَثُبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ بِمَعْرِفَتِهِ بِلُزُومِ ذَلِكَ إِيَّاهُ..

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١﴾ [البقرة: ١١] وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ كَالَّذِي قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فيما رُوي عنه: (قَالُوا: إِنَّمَا نُرِيدُ الإِصْلَاحَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ).. وَخَالَفَهُ فِي ذَلِكَ غَيْرُهُ كالذي رُوِي عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: (إِذَا رَكِبُوا مَعْصِيَةَ اللهِ فَقِيلَ لَهُمْ: لَا تَفْعَلُوا كَذَا وَكَذَا، قَالُوا: إِنَّمَا نَحْنُ عَلَىٰ الْهُدَىٰ مُصْلِحُونَ).. وَأَيُّ الأَمْرَيْنِ كَانَ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ، أَعْنِي فِي دَعْوَاهُمْ أَنَّهُمْ مُصْلِحُونَ، فَهُمْ لَا شَكَّ أَنَّهُمْ كَانُوا يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ فِيمَا أَتَوْا مِنْ ذَلِكَ مُصْلِحُونَ، فَسَوَاءٌ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالْمُسْلِمِينَ كَانَتْ دَعْوَاهُمُ الإِصْلَاحَ، أَوْ فِي أَدْيَانِهِمْ وَفِيمَا رَكِبُوا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَكَذِبِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا أَظْهَرُوا لَهُمْ مِنَ الْقَوْلِ وَهُمْ لِغَيْرِ مَا أَظْهَرُوا مُسْتَبْطِنُونَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي جَمِيعِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ مُحْسِنِينَ، وَهُمْ عِنْدَ اللهِ مُسِيئُونَ، وَلِأَمْرِ اللهِ مُخَالِفُونَ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ كَانَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ عَدَاوَةَ الْيَهُودِ وَحَرْبَهُمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَلْزَمَهُمُ التَّصْدِيقَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، كَالَّذِي أَلْزَمَ مِنْ ذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَانَ لِقَاؤُهُمُ الْيَهُودَ -عَلَىٰ وَجْهِ الْوِلَايَةِ مِنْهُمْ لَهُمْ- وَشَكُّهُمْ فِي نُبُوَّةِ

رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِيمَا جَاءَ بِهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ- أَعْظَمَ الفَسَادِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَهُمْ إِصْلَاحًا وَهُدًى فِي أَدْيَانِهِمْ أَوْ فِيمَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَاليَهُودِ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهِمْ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ دُونَ الَّذِينَ يَنْهَوْنَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الإِفْسَادِ فِي الأَرْضِ ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾ [البقرة: ١٢]

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ وَهَذَا القَوْلُ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ **تَكْذِيبٌ لِلْمُنَافِقِينَ فِي دَعْوَاهُمْ**؛ إِذَا أُمِرُوا بِطَاعَةِ اللهِ فِيمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، وَنُهُوا عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ فِيمَا نَهَاهُمُ اللهُ عَنْهُ، قَالُوا: **إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ لا مُفْسِدُونَ**، وَنَحْنُ عَلَىٰ رُشْدٍ وَهُدًى -فِيمَا أَنْكَرْتُمُوهُ عَلَيْنَا- دُونَكُمْ، لَا ضَالُّونَ، فَكَذَّبَهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي ذَلِكَ مِنْ قِيلِهِمْ فَقَالَ: أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ الْمُخَالِفُونَ أَمْرَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، الْمُتَعَدُّونَ حُدُودَهُ، الرَّاكِبُونَ مَعْصِيَتَهُ، التَّارِكُونَ فُرُوضَهُ، **لا الَّذِينَ يَأْمُرُونَهُمْ بِالقِسْطِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**، وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنْ مَعَاصِي اللهِ فِي أَرْضِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ..

﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾ [البقرة: ١٢] وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَلَا يَدْرُونَ أَنَّهُمْ كَذَلِكَ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣﴾ [البقرة: ١٣]

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ وَإِذَا قِيلَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ وَنَعَتَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾..

﴿ءَامِنُوا۟﴾ صَدِّقُوا بِمُحَمَّدٍ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ كَمَا صَدَّقَ بِهِ النَّاسُ، وَيَعْنِي بِـ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ وَنُبُوَّتِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.. وَإِنَّمَا أُدْخِلَتِ الأَلِفُ وَاللَّامُ فِي ﴿ٱلنَّاسُ﴾ وَهُمْ بَعْضُ النَّاسِ لَا جَمِيعُهُمْ؛ **لِأَنَّهُمْ كَانُوا مَعْرُوفِينَ** عِنْدَ الَّذِينَ خُوطِبُوا بِهَذِهِ الآيَةِ بِأَعْيَانِهِمْ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ الَّذِينَ تُعْرِفُونَهُمْ مَنْ أَهْلِ اليَقِينِ وَالتَّصْدِيقِ بِاللهِ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ، فَلِذَلِكَ أُدْخِلَتِ الأَلِفُ وَاللَّامُ فِيهِ، كَمَا أُدْخِلَتَا فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آلِ عِمْرَان: ١٧٣]؛ لِأَنَّهُ أُشِيرَ بِدُخُولِهَا إِلَىٰ نَاسٍ مَعْرُوفِينَ عِنْدَ مَنْ خُوطِبَ بِذَلِكَ..

﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ﴾ وَالسُّفَهَاءُ جَمْعُ سَفِيهٍ، كَمَا العُلَمَاءُ جَمْعُ عَلِيمٍ، وَالحُكَمَاءُ جَمْعُ حَكِيمٍ.. وَالسَّفِيهُ: **الجَاهِلُ، الضَّعِيفُ الرَّأْيِ، القَلِيلُ المَعْرِفَةِ بِمَوَاضِعِ المَنَافِعِ وَالمَضَارِّ**،

وَلِذَلِكَ سَمَّى اللهُ عَزَّوَجَلَّ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ سُفَهَاءَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النِّسَاء: ٥]، فَقَالَ عَامَّةُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: هُمُ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ، لِضَعْفِ آرَائِهِمْ، وَقِلَّةِ مَعْرِفَتِهِمْ بِمَوَاضِعِ المَصَالِحِ وَالمَضَارِّ الَّتِي تُصْرَفُ إِلَيْهَا الأَمْوَالُ.. **وَإِنَّمَا عَنَى المُنَافِقُونَ بِقِيلِهِمْ**: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ - إِذْ دُعُوا إِلَى التَّصْدِيقِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالإِقْرَارِ بِالبَعْثِ فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ - **أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ وَأَتْبَاعَهُ مِنَ المُؤْمِنِينَ المُصَدِّقِينَ بِهِ**، مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ وَاليَقِينِ، وَالتَّصْدِيقِ بِاللهِ، وَبِمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَفِي كِتَابِهِ، وَبِاليَوْمِ الآخِرِ، **فَقَالُوا إِجَابَةً لِقَائِلِ ذَلِكَ لَهُمْ**: **أَنُؤْمِنُ** كَمَا آمَنَ أَهْلُ الجَهْلِ، وَنُصَدِّقُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا صَدَّقَ بِهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا عُقُولَ لَهُمْ وَلَا أَفْهَامَ؟!.. **كَالَّذِي رُوِي عن** ابن عباس، وابن مسعود، والربيع بن أنس، وقاله عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ..

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى عَنِ المُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَقَدَّمَ نَعْتُهُ لَهُمْ، وَوَصْفُهُ إِيَّاهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ مِنَ الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ، **أَنَّهُمْ هُمُ الجُهَّالُ فِي أَدْيَانِهِمْ، الضُّعَفَاءُ الآرَاءِ فِي اعْتِقَادَاتِهِمْ وَاخْتِيَارَاتِهِمُ الَّتِي اخْتَارُوهَا لِأَنْفُسِهِمْ**، مِنَ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ فِي أَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ وَأَمْرِ نُبُوَّتِهِ، وَفِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَمْرِ البَعْثِ؛ لِإِسَاءَتِهِمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ بِمَا أَتَوْا مِنْ ذَلِكَ.. وَأَمَّا وَجْهُ دُخُولِ الأَلِفِ وَاللَّامِ فِي ﴿السُّفَهَاءِ﴾ فَشَبِيهٌ بِوَجْهِ دُخُولِهِمَا فِي ﴿النَّاسِ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾، وَقَدْ بَيَّنَّا العِلَّةَ فِي دُخُولِهِمَا هُنَالِكَ، وَالعِلَّةُ فِي دُخُولِهِمَا فِي ﴿السُّفَهَاءِ﴾ نَظِيرَتُهَا فِي دُخُولِهِمَا فِي ﴿النَّاسِ﴾ هُنَالِكَ، سَوَاءٌ..

﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣﴾ [البقرة: ١٣] **وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا يُحْسِنُونَ، وَذَلِكَ هُوَ عَيْنُ السَّفَهِ؛** لِأَنَّ السَّفِيهَ إِنَّمَا يُفْسِدُ مِنْ حَيْثُ يَرَى أَنَّهُ يُصْلِحُ، وَيُضَيِّعُ مِنْ حَيْثُ يَرَى أَنَّهُ يَحْفَظُ، **فَكَذَلِكَ المُنَافِقُ، يَعْصِي رَبَّهُ مِنْ حَيْثُ يَرَى أَنَّهُ يُطِيعُهُ، وَيَكْفُرُ بِهِ مِنْ حَيْثُ يَرَى أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِهِ، وَيُسِيءُ إِلَى نَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ يَحْسَبُ أَنَّهُ يُحْسِنُ إِلَيْهَا**، كَمَا وَصَفَهُمْ بِهِ رَبُّنَا جَلَّ ذِكْرُهُ، فَقَالَ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾، وَقَالَ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ دُونَ المُؤْمِنِينَ المُصَدِّقِينَ بِاللهِ وَبِكِتَابِهِ، وَبِرَسُولِهِ وَثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣﴾، وَكَذَلِكَ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَتَأَوَّلُ هَذِهِ الآيَةَ.. **وَالدَّلَالَةُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةُ** مِنْ خَطَأِ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ العُقُوبَةَ مِنَ اللهِ لَا يَسْتَحِقُّهَا إِلَّا المُعَانِدُ رَبَّهُ، بَعْدَ عِلْمِهِ بِصِحَّةِ مَا عَانَدَهُ فِيهِ **نَظِيرُ دَلَالَةِ الآيَاتِ الأُخَرِ الَّتِي قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا تَأْوِيلَهَا فِي قَوْلِهِ** ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾، وَنَظَائِرُ ذَلِكَ.

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤]

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ وَهَذِهِ الآيَةُ نَظِيرَةُ الآيَةِ الأُخْرَىٰ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهَا عَنِ المُنَافِقِينَ بِخِدَاعِهِمُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾، ثُمَّ أَكْذَبَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾، وَأَنَّهُمْ بِقِيلِهِمْ ذَلِكَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا.. وَكَذَلِكَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي هَذِهِ الآيَةِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ - لِلْمُؤْمِنِينَ المُصَدِّقِينَ بِاللهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ - بِأَلْسِنَتِهِمْ: ﴿ءَامَنَّا﴾ وَصَدَّقْنَا بِمُحَمَّدٍ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، خِدَاعًا عَنْ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَذَرَارِيهِمْ، وَدَرْءًا لَهُمْ عَنْهَا..

﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ﴾ وَأَنَّهُمْ إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ مَرَدَتِهِمْ وَأَهْلِ العُتُوِّ وَالشَّرِّ وَالخُبْثِ مِنْهُمْ وَمِنْ سَائِرِ أَهْلِ الشِّرْكِ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الكُفْرِ بِاللهِ وَبِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ، وَهُمْ شَيَاطِينُهُمْ.. كَالَّذِي رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ: (**أَمَّا شَيَاطِينُهُمْ، فَهُمْ رُءُوسُهُمْ فِي الكُفْرِ**).. وقال قَتَادَةُ: (**قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ﴾ أَيْ: رُؤَسَائِهِمْ فِي الشَّرِّ**).. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (**شَيَاطِينُهُمْ: أَصْحَابُهُمْ مِنَ المُنَافِقِينَ وَالمُشْرِكِينَ**).. ورُوِيَ عن ابْنِ جُرَيْجٍ: (**إِذَا أَصَابَ المُؤْمِنِينَ رَخَاءٌ قَالُوا: إِنَّا نَحْنُ مَعَكُمْ، إِنَّمَا نَحْنُ إِخْوَانُكُمْ، وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمُ اسْتَهْزَءُوا بِالمُؤْمِنِينَ**)..

﴿قَالُوٓا۟﴾ لَهُمْ..

﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أَيْ إِنَّا مَعَكُمْ عَلَىٰ دِينِكُمْ، وَظُهَرَاؤُكُمْ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَكُمْ فِيهِ، وَأَوْلِيَاؤُكُمْ دُونَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤] بِاللهِ وَبِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَأَصْحَابِهِ.. وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ جَمِيعًا -لَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ- عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾: إِنَّمَا نَحْنُ سَاخِرُونَ.. **فَمَعْنَىٰ الكَلَامِ إِذًا**: وَإِذَا انْصَرَفَ المُنَافِقُونَ خَالِينَ إِلَىٰ مَرَدَتِهِمْ مِنَ المُنَافِقِينَ وَالمُشْرِكِينَ قَالُوا: إِنَّا مَعَكُمْ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّكْذِيبِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَمُعَادَاتِهِ وَمُعَادَاةِ أَتْبَاعِهِ، **إِنَّمَا نَحْنُ سَاخِرُونَ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بِقِيلِنَا لَهُمْ إِذَا لَقِينَاهُمْ: آمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ**.. كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالرَّبِيعِ، وَقَالَهُ قَتَادَةُ.

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة: ١٥]

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ اخْتُلِفَ فِي صِفَةِ اسْتِهْزَاءِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ، الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُ فَاعِلُهُ بِالمُنَافِقِينَ، الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ:

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اسْتِهْزَاؤُهُ بِهِمْ، كَالَّذِي أَخْبَرَنَا تَبَارَكَ اسْمُهُ أَنَّهُ فَاعِلٌ بِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۝١٣ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الحَدِيد: ١٣، ١٤] الآيَةَ، وَكَالَّذِي أَخْبَرَنَا أَنَّهُ فَعَلَ بِالكُفَّارِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آلِ عِمْرَان: ١٧٨]، فَهَٰذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ اسْتِهْزَاءِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ وَسُخْرِيَتِهِ وَمَكْرِهِ وَخَدِيعَتِهِ لِلْمُنَافِقِينَ وَأَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ - عِنْدَ قَائِلِي هَٰذَا القَوْلِ، وَمُتَأَوِّلِي هَٰذَا التَّأْوِيلِ -..

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ اسْتِهْزَاؤُهُ بِهِمْ، تَوْبِيخُهُ إِيَّاهُمْ وَلَوْمُهُ لَهُمْ عَلَىٰ مَا رَكِبُوا مِنْ مَعَاصِي اللهِ وَالكُفْرِ بِهِ -كَمَا يُقَالُ: إِنَّ فُلَانًا لَيُهْزَأُ مِنْهُ مُنْذُ اليَوْمِ وَيُسْخَرُ مِنْهُ، يُرَادُ بِهِ تَوْبِيخُ النَّاسِ إِيَّاهُ وَلَوْمُهُمْ لَهُ- أَوْ إِهْلَاكُهُ إِيَّاهُمْ وَتَدْمِيرُهُ بِهِمْ، قَالُوا: فَكَذَلِكَ اسْتِهْزَاءُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِمَنِ اسْتَهْزَأَ بِهِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالكُفْرِ بِهِ، إِمَّا إِهْلَاكُهُ إِيَّاهُمْ وَتَدْمِيرُهُ بِهِمْ، وَإِمَّا إِمْلَاؤُهُ لَهُمْ لِيَأْخُذَهُمْ فِي حَالِ أَمْنِهِمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ بَغْتَةً، أَوْ تَوْبِيخُهُ لَهُمْ وَلَائِمَتُهُ إِيَّاهُمْ، قَالُوا: وَكَذَلِكَ مَعْنَىٰ المَكْرِ مِنْهُ وَالخَدِيعَةِ وَالسُّخْرِيَةِ..

وَقَالَ آخَرُونَ: قَوْلُهُ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النِّسَاء: ١٤٢] عَلَىٰ الجَوَابِ، كَقَوْلِ الرَّجُلِ لِمَنْ كَانَ يَخْدَعُهُ إِذَا ظَفِرَ بِهِ: (أَنَا الَّذِي خَدَعْتُكَ) وَلَمْ تَكُنْ مِنْهُ خَدِيعَةٌ، وَلَكِنْ قَالَ ذَلِكَ إِذْ صَارَ الأَمْرُ إِلَيْهِ، قَالُوا: وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾ [آلِ عِمْرَان: ٥٤]، و﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ عَلَىٰ الجَوَابِ، وَاللهُ لَا يَكُونُ مِنْهُ المَكْرُ وَلَا الهُزْءُ، وَالمَعْنَىٰ أَنَّ المَكْرَ وَالهُزْءَ حَاقَ بِهِمْ..

وَقَالَ آخَرُونَ: قَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النِّسَاء: ١٤٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التَّوْبَة: ٧٩]، ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التَّوْبَة: ٦٧]، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، إِخْبَارٌ مِنَ اللهِ أَنَّهُ مُجَازِيهِمْ جَزَاءَ الِاسْتِهْزَاءِ، وَمُعَاقِبُهُمْ عُقُوبَةَ الخِدَاعِ، فَأَخْرَجَ خَبَرَهُ عَنْ جَزَائِهِ إِيَّاهُمْ وَعِقَابِهِ لَهُمْ مَخْرَجَ خَبَرِهِ عَنْ فِعْلِهِمُ الَّذِي عَلَيْهِ اسْتَحَقُّوا العِقَابَ فِي اللَّفْظِ، وَإِنِ اخْتَلَفَ المَعْنَيَانِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشُّورَىٰ: ٤٠]، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الأُولَىٰ مِنْ صَاحِبِهَا سَيِّئَةٌ، إِذْ كَانَتْ مِنْهُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَعْصِيَةٌ، وَأَنِ الأُخْرَىٰ عَدْلٌ؛ لِأَنَّهَا مِنَ اللهِ جَزَاءٌ لِلعَاصِي عَلَىٰ المَعْصِيَةِ، فَهُمَا - وَإِنِ اتَّفَقَ لَفْظَاهُمَا - مُخْتَلِفَا المَعْنَىٰ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٤]، فَالعُدْوَانُ الأَوَّلُ ظُلْمٌ، وَالثَّانِي جَزَاءٌ لَا ظُلْمٌ، بَلْ هُوَ عَدْلٌ؛ لِأَنَّهُ عُقُوبَةٌ لِلظَّالِمِ عَلَىٰ ظُلْمِهِ، وَإِنْ وَافَقَ لَفْظُهُ لَفْظَ الأَوَّلِ، وَإِلَىٰ هَٰذَا المَعْنَىٰ وَجَّهُوا كُلَّ مَا فِي القُرْآنِ مِنْ نَظَائِرِ ذَلِكَ، مِمَّا هُوَ خَبَرٌ عَنْ مَكْرِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ بِقَوْمٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ..

وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ أَخْبَرَ عَنِ المُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ

مَرَدَتِهِمْ قَالُوا: إِنَّا مَعَكُمْ عَلَىٰ دِينِكُمْ فِي تَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَإِنَّمَا نَحْنُ بِمَا نُظْهِرُ لَهُمْ -مِنْ قَوْلِنَا لَهُمْ: صَدَّقْنَا بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا جَاءَ بِهِ- مُسْتَهْزِئُونَ، يَعْنُونَ: إِنَّا نُظْهِرُ لَهُمْ مَا هُوَ عِنْدَنَا بَاطِلٌ لَا حَقٌّ وَلَا هُدًى، قَالُوا: وَذَلِكَ هُوَ مَعْنًىٰ مِنْ مَعَانِي الِاسْتِهْزَاءِ، فَأَخْبَرَ اللهُ أَنَّهُ ﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ فَيُظْهِرُ لَهُمْ مِنْ أَحْكَامِهِ فِي الدُّنْيَا خِلَافَ الَّذِي لَهُمْ عِنْدَهُ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا أَظْهَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الدِّينِ مَا هُمْ عَلَىٰ خِلَافِهِ فِي سَرَائِرِهِمْ..

وَالصَّوَابُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ وَالتَّأْوِيلِ عِنْدَنَا: أَنَّ مَعْنَىٰ الِاسْتِهْزَاءِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: إِظْهَارُ الْمُسْتَهْزِئِ لِلْمُسْتَهْزَأِ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ مَا يُرْضِيهِ ظَاهِرًا، وَهُوَ بِذَلِكَ مِنْ قِيلِهِ وَفِعْلِهِ بِهِ مُورِثُهُ مَسَاءَةً بَاطِنًا، وَكَذَلِكَ مَعْنَىٰ الْخِدَاعِ وَالسُّخْرِيَةِ وَالْمَكْرِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَكَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ جَعَلَ لِأَهْلِ النِّفَاقِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَحْكَامِ بِمَا أَظْهَرُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ، مِنَ الْإِقْرَارِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، الْمُدْخِلِهِمْ فِي عِدَادِ مَنْ يَشْمَلُهُ اسْمُ الْإِسْلَامِ، وَإِنْ كَانُوا لِغَيْرِ ذَلِكَ مُسْتَبْطِنِينَ، أَحْكَامَ الْمُسْلِمِينَ الْمُصَدِّقِينَ إِقْرَارَهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ بِذَلِكَ بِضَمَائِرِ قُلُوبِهِمْ، وَصَحَائِحِ عَزَائِمِهِمْ، وَحَمِيدِ أَفْعَالِهِمُ الْمُحَقِّقَةِ لَهُمْ صِحَّةَ إِيمَانِهِمْ، مَعَ عِلْمِ اللهِ ﷻ بِكَذِبِهِمْ، وَاطِّلَاعِهِ عَلَىٰ خُبْثِ اعْتِقَادِهِمْ، وَشَكِّهِمْ فِيمَا ادَّعَوْا بِأَلْسِنَتِهِمْ أَنَّهُمْ بِهِ مُصَدِّقُونَ، حَتَّىٰ ظَنُّوا فِي الْآخِرَةِ إِذْ حُشِرُوا فِي عِدَادِ مَنْ كَانُوا فِي عِدَادِهِمْ فِي الدُّنْيَا، أَنَّهُمْ وَارِدُونَ مَوْرِدَهُمْ، وَدَاخِلُونَ مُدْخَلَهُمْ، وَاللهُ جَلَّ جَلَالُهُ، مَعَ إِظْهَارِهِ مَا قَدْ أَظْهَرَ لَهُمْ مِنَ الْأَحْكَامِ الْمُلْحِقَتِهِمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، إِلَىٰ حَالِ تَمْيِيزِهِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَوْلِيَائِهِ، وَتَفْرِيقِهِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ، مُعِدٌّ لَهُمْ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ وَنَكَالِ عَذَابِهِ، مَا أَعَدَّ مِنْهُ لِأَعْدَىٰ أَعْدَائِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ، حَتَّىٰ مَيَّزَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَوْلِيَائِهِ، فَأَلْحَقَهُمْ مِنْ طَبَقَاتِ جَحِيمِهِ بِالدَّرْكِ الْأَسْفَلِ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ بِهِمْ، وَإِنْ كَانَ جَزَاءً لَهُمْ عَلَىٰ أَفْعَالِهِمْ، وَعَدْلًا مَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ بِهِمْ لِاسْتِحْقَاقِهِمْ إِيَّاهُ مِنْهُ بِعِصْيَانِهِمْ لَهُ، كَانَ بِهِمْ بِمَا أَظْهَرَ لَهُمْ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَظْهَرَهَا لَهُمْ: مِنْ إِلْحَاقِهِ أَحْكَامَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِأَحْكَامِ أَوْلِيَائِهِ وَهُمْ لَهُ أَعْدَاءٌ، وَحَشْرِهِ إِيَّاهُمْ فِي الْآخِرَةِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَهُمْ بِهِ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ إِلَىٰ أَنْ مَيَّزَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ مُسْتَهْزِئًا، وَبِهِمْ سَاخِرًا، وَلَهُمْ خَادِعًا، وَبِهِمْ مَاكِرًا؛ إِذْ كَانَ مَعْنَىٰ الِاسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَةِ وَالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ مَا وَصَفْنَا قَبْلُ، دُونَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ فِي حَالٍ فِيهَا الْمُسْتَهْزِئُ بِصَاحِبِهِ لَهُ ظَالِمٌ، أَوْ عَلَيْهِ فِيهَا غَيْرُ عَادِلٍ، بَلْ ذَلِكَ مَعْنَاهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ إِذَا وُجِدَتِ الصِّفَاتُ الَّتِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا فِي مَعْنَىٰ الِاسْتِهْزَاءِ وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ نَظَائِرِهِ.. وَبِنَحْوِ مَا قُلْنَا فِيهِ رُوِيَ الْخَبَرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ..

وَأَمَّا الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ إِنَّمَا هُوَ عَلَىٰ وَجْهِ الْجَوَابِ،

وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ اللهِ اسْتِهْزَاءٌ وَلَا مَكْرٌ وَلَا خَدِيعَةٌ، فَنَافُونَ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مَا قَدْ أَثْبَتَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِنَفْسِهِ، وَأَوْجَبَهُ لَهَا، وَسَوَاءٌ قَالَ قَائِلٌ: لَمْ يَكُنْ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ اسْتِهْزَاءٌ وَلَا مَكْرٌ وَلَا خَدِيعَةٌ وَلَا سُخْرِيَةٌ بِمَنْ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَسْتَهْزِئُ وَيَسْخَرُ وَيَمْكُرُ بِهِ، أَوْ قَالَ: لَمْ يَخْسِفِ اللهُ بِمَنْ أَخْبَرَ أَنَّهُ خَسَفَ بِهِ مِنَ الأُمَمِ، وَلَمْ يُغْرِقْ مَنْ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَغْرَقَهُ مِنْهُمْ، وَيُقَالُ لِقَائِلِ ذَلِكَ: إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ مَكَرَ بِقَوْمٍ مَضَوْا قَبْلَنَا لَمْ نَرَهُمْ، وَأَخْبَرَ عَنْ آخَرِينَ أَنَّهُ خَسَفَ بِهِمْ، وَعَنْ آخَرِينَ أَنَّهُ أَغْرَقَهُمْ، فَصَدَّقْنَا اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِيمَا أَخْبَرَنَا بِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ نُفَرِّقْ بَيْنَ شَيْءٍ مِنْهُ، فَمَا بُرْهَانُكَ عَلَىٰ تَفْرِيقِكَ مَا فَرَّقْتَ بَيْنَهُ، بِزَعْمِكَ: أَنَّهُ قَدْ أَغْرَقَ وَخَسَفَ بِمَنْ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَغْرَقَ وَخَسَفَ بِهِ، وَلَمْ يَمْكُرْ بِمَنْ أَخْبَرَ أَنَّهُ قَدْ مَكَرَ بِهِ؟ ثُمَّ نَعْكِسُ الْقَوْلَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، فَلَنْ يَقُولَ فِي أَحَدِهِمَا شَيْئًا إِلَّا أُلْزِمَ فِي الآخَرِ مِثْلَهُ، فَإِنْ لَجَأَ إِلَىٰ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ الِاسْتِهْزَاءَ عَبَثٌ وَلَعِبٌ، وَذَلِكَ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مَنْفِيٌّ، قِيلَ لَهُ: إِنْ كَانَ الأَمْرُ عِنْدَكَ عَلَىٰ مَا وَصَفْتَ مِنْ مَعْنَىٰ الِاسْتِهْزَاءِ، أَفَلَسْتَ تَقُولُ: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ و﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾ و(مَكَرَ اللهُ بِهِمْ) وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ اللهِ عِنْدَكَ هَزْءٌ وَلَا سُخْرِيَةٌ؟ فَإِنْ قَالَ: (لَا) كَذَّبَ بِالْقُرْآنِ، وَخَرَجَ عَنْ مِلَّةِ الإِسْلَامِ، وَإِنْ قَالَ: (بَلَىٰ) قِيلَ لَهُ: أَفَتَقُولُ مِنَ الوَجْهِ الَّذِي قُلْتَ: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ و﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾ - (يَلْعَبُ اللهُ بِهِمْ) و(يَعْبَثُ) - وَلَا لَعِبَ مِنَ اللهِ وَلَا عَبَثَ؟ فَإِنْ قَالَ: (نَعَمْ)! وَصَفَ اللهَ بِمَا قَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ نَفْيِهِ عَنْهُ، وَعَلَىٰ تَخْطِئَةِ وَاصِفِهِ بِهِ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ مَا قَدْ قَامَتِ الحُجَّةُ مِنَ العُقُولِ عَلَىٰ ضَلَالِ مُضِيفِهِ إِلَيْهِ، وَإِنْ قَالَ: (لَا أَقُولُ): (يَلْعَبُ اللهُ بِهِمْ) وَلَا (يَعْبَثُ) وَقَدْ أَقُولُ ﴿يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ و(يَسْخَرُ مِنْهُمْ)، قِيلَ: فَقَدْ فَرَّقْتَ بَيْنَ مَعْنَىٰ اللَّعِبِ وَالعَبَثِ، وَالهَزْءِ وَالسُّخْرِيَةِ، وَالمَكْرِ وَالخَدِيعَةِ، وَمِنَ الوَجْهِ الَّذِي جَازَ قِيلُ هَذَا، وَلَمْ يَجُزْ قِيلُ هَذَا، افْتَرَقَ مَعْنَيَاهُمَا، فَعُلِمَ أَنَّ لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَعْنًىٰ غَيْرَ مَعْنَىٰ الآخَرِ.. وَلِلْكَلَامِ فِي هَذَا النَّوْعِ مَوْضِعٌ غَيْرُ هَذَا، كَرِهْنَا إِطَالَةَ الكِتَابِ بِاسْتِقْصَائِهِ، وَفِيمَا ذَكَرْنَا كِفَايَةٌ لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِهِ..

﴿وَيَمُدُّهُمۡ﴾ يَزِيدُهُمْ، عَلَىٰ وَجْهِ الإِمْلَاءِ وَالتَّرْكِ لَهُمْ فِي عُتُوِّهِمْ وَتَمَرُّدِهِمْ، كَمَا وَصَفَ رَبُّنَا أَنَّهُ فَعَلَ بِنُظَرَائِهِمْ فِي قَوْلِهِ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠﴾ [الأنعام: ١١٠]، يَعْنِي نَذَرُهُمْ وَنَتْرُكُهُمْ فِيهِ، وَنُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا إِلَىٰ إِثْمِهِمْ..

﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ الطُّغْيَانُ مِنْ قَوْلِكَ: (طَغَىٰ فُلَانٌ يَطْغَىٰ طُغْيَانًا) إِذَا تَجَاوَزَ فِي الأَمْرِ حَدَّهُ فَبَغَىٰ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧﴾ [العَلَق: ٦، ٧]، أَيْ يَتَجَاوَزُ حَدَّهُ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ ﴿وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾، أَنَّهُ يُمْلِي لَهُمْ، وَيَذَرُهُمْ يَبْغُونَ فِي ضَلَالِهِمْ وَكُفْرِهِمْ حَيَارَىٰ يَتَرَدَّدُونَ.. كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وابْنِ مَسْعُودٍ، والرَّبِيعِ، وَكَمَا قَالَ قَتَادَةُ، وابْنُ زَيْدٍ..

﴿يَعْمَهُونَ ١٥﴾ [البقرة: ١٥] وَالعَمَهُ نَفْسُهُ الضَّلَالُ، يُقَالُ مِنْهُ: عَمِهَ فُلَانٌ، إِذَا ضَلَّ.. و(العُمَّهُ) جَمْعُ عَامِهٍ، وَهُمُ الَّذِينَ يَضِلُّونَ فِيهِ فَيَتَحَيَّرُونَ، فَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ إِذًا: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ١٥﴾: فِي ضَلَالِهِمْ وَكُفْرِهِمُ الَّذِي قَدْ غَمَرَهُمْ دَنَسُهُ، وَعَلَاهُمْ رِجْسُهُ، يَتَرَدَّدُونَ حَيَارَىٰ ضُلَّالًا، لَا يَجِدُونَ إِلَىٰ المَخْرَجِ مِنْهُ سَبِيلًا؛ لِأَنَّ اللهَ قَدْ طَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَخَتَمَ عَلَيْهَا، فَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ عَنِ الهُدَىٰ وَأَغْشَاهَا، فَلَا يُبْصِرُونَ رُشْدًا وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا.. وَبِنَحْوِ مَا قُلْنَا فِي (العَمَهِ) جَاءَ تَأْوِيلُ المُتَأَوِّلِينَ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾ [البقرة: ١٦]

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ إِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ اشْتَرَىٰ هَؤُلَاءِ القَوْمُ الضَّلَالَةَ بِالهُدَىٰ، وَإِنَّمَا كَانُوا مُنَافِقِينَ لَمْ يَتَقَدَّمْ نِفَاقَهُمْ إِيمَانٌ فَيُقَالُ فِيهِمْ: بَاعُوا هُدَاهُمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ بِضَلَالَتِهِمْ حَتَّىٰ اسْتَبْدَلُوهَا مِنْهُ؟ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مَعْنَىٰ الشِّرَاءِ المَفْهُومِ: اعْتِيَاضُ شَيْءٍ بِبَذْلِ شَيْءٍ مَكَانَهُ عِوَضًا مِنْهُ، وَالمُنَافِقُونَ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، لَمْ يَكُونُوا قَطُّ عَلَىٰ هُدًى فَيَتْرُكُوهُ وَيَعْتَاضُوا مِنْهُ كُفْرًا وَنِفَاقًا؟ قِيلَ: قَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَرُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ: (أَخَذُوا الضَّلَالَةَ وَتَرَكُوا الهُدَىٰ)، وقال قَتَادَةُ: (اسْتَحَبُّوا الضَّلَالَةَ عَلَىٰ الهُدَىٰ)، وقَالَ مُجَاهِدٌ: (آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا).. فَكَأَنَّ الَّذِينَ قَالُوا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ: (أَخَذُوا الضَّلَالَةَ وَتَرَكُوا الهُدَىٰ) وَجَّهُوا مَعْنَىٰ الشِّرَاءِ إِلَىٰ أَنَّهُ أَخَذَ المُشْتَرَىٰ مَكَانَ الثَّمَنِ المُشْتَرَىٰ بِهِ، فَقَالُوا: كَذَلِكَ المُنَافِقُ وَالكَافِرُ، قَدْ أَخَذَا مَكَانَ الإِيمَانِ الكُفْرَ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُمَا شِرَاءً لِلْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ اللَّذَيْنِ أَخَذَاهُمَا بِتَرْكِهِمَا مَا تَرَكَا مِنَ الهُدَىٰ، وَكَانَ الهُدَىٰ الَّذِي تَرَكَاهُ هُوَ الثَّمَنُ الَّذِي جَعَلَاهُ عِوَضًا مِنَ الضَّلَالَةِ الَّتِي أَخَذَاهَا.. وَأَمَّا الَّذِينَ تَأَوَّلُوا أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾: (اسْتَحَبُّوا)، فَإِنَّهُمْ لَمَّا وَجَدُوا اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ وَصَفَ الكُفَّارَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، فَنَسَبَهُمْ إِلَىٰ اسْتِحْبَابِهِمُ الكُفْرَ عَلَىٰ الهُدَىٰ، فَقَالَ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [فُصِّلَت: ١٧]، صَرَفُوا قَوْلَهُ: ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ إِلَىٰ ذَلِكَ، وَقَالُوا: قَدْ تَدْخُلُ (البَاءُ) مَكَانَ (عَلَىٰ) و(عَلَىٰ) مَكَانَ (البَاءِ) كَمَا يُقَالُ: مَرَرْتُ بِفُلَانٍ، وَمَرَرْتُ عَلَىٰ فُلَانٍ، بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَكَقَوْلِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ [آلِ عِمْرَان: ٧٥]، أَيْ عَلَىٰ قِنْطَارٍ.. فَكَانَ تَأْوِيلُ الآيَةِ عَلَىٰ مَعْنَىٰ هَؤُلَاءِ: أُولَئِكَ الَّذِينَ اخْتَارُوا الضَّلَالَةَ عَلَىٰ الهُدَىٰ، وَأُرَاهُمْ وَجَّهُوا مَعْنَىٰ قَوْلِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾ إِلَىٰ مَعْنَىٰ اخْتَارُوا؛ لِأَنَّ العَرَبَ تَقُولُ: اشْتَرَيْتُ كَذَا عَلَىٰ كَذَا، وَاسْتَرَيْتُهُ - يَعْنُونَ اخْتَرْتُهُ عَلَيْهِ.. وَهَذَا، وَإِنْ كَانَ وَجْهًا مِنَ التَّأْوِيلِ، فَلَسْتُ لَهُ بِمُخْتَارٍ؛ لِأَنَّ اللهَ

جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ﴾، فَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ مَعْنَىٰ الشِّرَاءِ الَّذِي يَتَعَارَفُهُ النَّاسُ، مِنَ اسْتِبْدَالِ شَيْءٍ مَكَانَ شَيْءٍ، وَأَخْذِ عِوَضٍ عَلَىٰ عِوَضٍ.. وَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ القَوْمَ كَانُوا مُؤْمِنِينَ وَكَفَرُوا، فَإِنَّهُ لا مَئُونَةَ عَلَيْهِمْ، لَوْ كَانَ الأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفُوا بِهِ القَوْمَ؛ لِأَنَّ الأَمْرَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَقَدْ تَرَكُوا الإِيمَانَ، وَاسْتَبْدَلُوا بِهِ الكُفْرَ عِوَضًا مِنَ الهُدَىٰ، وَذَلِكَ هُوَ المَعْنَىٰ المَفْهُومُ مِنْ مَعَانِي الشِّرَاءِ وَالبَيْعِ، وَلَكِنَّ دَلَائِلَ أَوَّلِ الآيَاتِ فِي نُعُوتِهِمْ إِلَىٰ آخِرِهَا، دَالَّةٌ عَلَىٰ أَنَّ القَوْمَ لَمْ يَكُونُوا قَطُّ اسْتَضَاءُوا بِنُورِ الإِيمَانِ، وَلَا دَخَلُوا فِي مِلَّةِ الإِسْلَامِ، أَوَمَا تَسْمَعُ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنْ لَدُنِ ابْتَدَأَ فِي نَعْتِهِمْ، إِلَىٰ أَنْ أَتَىٰ عَلَىٰ صِفَتِهِمْ، إِنَّمَا وَصَفَهُمْ بِإِظْهَارِ الكَذِبِ بِأَلْسِنَتِهِمْ بِدَعْوَاهُمُ التَّصْدِيقَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، خِدَاعًا للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ، وَاسْتِهْزَاءً فِي نُفُوسِهِمْ بِالمُؤْمِنِينَ، وَهُمْ لِغَيْرِ مَا كَانُوا يُظْهِرُونَ مُسْتَبْطِنُونَ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾، ثُمَّ اقْتَصَّ قَصَصَهُمْ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾؟ فَأَيْنَ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ أَنَّهُمْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ فَكَفَرُوا؟ فَإِنَّ كَانَ قَائِلُ هَذِهِ المَقَالَةِ ظَنَّ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ هُوَ الدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ القَوْمَ قَدْ كَانُوا عَلَىٰ الإِيمَانِ فَانْتَقَلُوا عَنْهُ إِلَىٰ الكُفْرِ، فَلِذَلِكَ قِيلَ لَهُمْ ﴿ٱشْتَرَوُاْ﴾ فَإِنَّ ذَلِكَ تَأْوِيلٌ غَيْرُ مُسَلَّمٍ لَهُ؛ إِذْ كَانَ الاشْتِرَاءُ عِنْدَ مُخَالِفِيهِ قَدْ يَكُونُ أَخْذَ شَيْءٍ بِتَرْكِ آخَرَ غَيْرِهِ، وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَىٰ الاخْتِيَارِ، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ المَعَانِي، وَالكَلِمَةُ إِذَا احْتَمَلَتْ وُجُوهًا، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ صَرْفُ مَعْنَاهَا إِلَىٰ بَعْضِ وُجُوهِهَا دُونَ بَعْضٍ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا.. وَالَّذِي هُوَ أَوْلَىٰ عِنْدِي بِتَأْوِيلِ الآيَةِ، مَا رَوَيْنَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ: (أَخَذُوا الضَّلَالَةَ وَتَرَكُوا الهُدَىٰ)؛ وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ كَافِرٍ بِاللهِ فَإِنَّهُ مُسْتَبْدِلٌ بِالإِيمَانِ كُفْرًا، بِاكْتِسَابِهِ الكُفْرَ الَّذِي وُجِدَ مِنْهُ، بَدَلًا مِنَ الإِيمَانِ الَّذِي أُمِرَ بِهِ، أَوَمَا تَسْمَعُ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَقُولُ فِيمَنِ اكْتَسَبَ كُفْرًا بِهِ مَكَانَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١٠٨﴾ [البقرة: ١٠٨] وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَىٰ الشِّرَاءِ؛ لِأَنَّ كُلَّ مُشْتَرٍ شَيْئًا فَإِنَّمَا يَسْتَبْدِلُ مَكَانَ الَّذِي يُؤْخَذُ مِنْهُ مِنَ البَدَلِ آخَرَ بَدِيلًا مِنْهُ، فَكَذَلِكَ المُنَافِقُ وَالكَافِرُ، اسْتَبْدَلَا بِالهُدَىٰ الضَّلَالَةَ وَالنِّفَاقَ، فَأَضَلَّهُمَا اللهُ، وَسَلَبَهُمَا نُورَ الهُدَىٰ، فَتَرَكَ جَمِيعَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ..

﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ﴾ وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ أَنَّ المُنَافِقِينَ بِشِرَائِهِمُ الضَّلَالَةَ بِالهُدَىٰ خَسِرُوا وَلَمْ يَرْبَحُوا؛ لِأَنَّ الرَّابِحَ مِنَ التُّجَّارِ المُسْتَبْدِلُ مِنْ سِلعَتِهِ المَمْلُوكَةِ عَلَيْهِ بَدَلًا هُوَ أَنْفَسُ مِنْ سِلعَتِهِ المَمْلُوكَةِ أَوْ أَفْضَلُ مِنْ ثَمَنِهَا الَّذِي يَبْتَاعُهَا بِهِ، فَأَمَّا المُسْتَبْدِلُ مِنْ سِلعَتِهِ بَدَلًا دُونَهَا وَدُونَ الثَّمَنِ الَّذِي ابْتَاعَهَا بِهِ، فَهُوَ الخَاسِرُ فِي تِجَارَتِهِ لَا شَكَّ، فَكَذَلِكَ الكَافِرُ وَالمُنَافِقُ؛ لِأَنَّهُمَا اخْتَارَا الحَيْرَةَ

وَالعَمَىٰ عَلَىٰ الرَّشَادِ وَالهُدَىٰ، وَالخَوْفَ وَالرُّعْبَ عَلَىٰ الحِفْظِ وَالأَمْنِ، وَاسْتَبْدَلَا فِي العَاجِلِ بِالرَّشَادِ الحَيْرَةَ، وَبِالهُدَىٰ الضَّلَالَةَ، وَبِالحِفْظِ الخَوْفَ، وَبِالأَمْنِ الرُّعْبَ، مَعَ مَا قَدْ أَعَدَّ لَهُمَا فِي الآجِلِ مِنَ أَلِيمِ العِقَابِ وَشَدِيدِ العَذَابِ، فَخَابَا وَخَسِرَا، ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ كَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: (**قَدْ وَاللهِ رَأَيْتُمُوهُمْ خَرَجُوا مِنَ الهُدَىٰ إِلَىٰ الضَّلَالَةِ، وَمِنَ الجَمَاعَةِ إِلَىٰ الفُرْقَةِ، وَمِنَ الأَمْنِ إِلَىٰ الخَوْفِ، وَمِنَ السُّنَّةِ إِلَىٰ البِدْعَةِ**)..

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة: ١٦] مَا كَانُوا رُشَدَاءَ فِي اخْتِيَارِهِمُ الضَّلَالَةَ عَلَىٰ الهُدَىٰ، وَاسْتِبْدَالِهِمُ الكُفْرَ بِالإِيمَانِ، وَاشْتِرَائِهِمُ النِّفَاقَ بِالتَّصْدِيقِ وَالإِقْرَارِ.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة: ١٧]

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ مَثَلُ اسْتِضَاءَةِ هَؤُلَاءِ المُنَافِقِينَ فِي إِظْهَارِهِمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِأَلْسِنَتِهِمْ -مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، وَصَدَّقْنَا بِمُحَمَّدٍ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَهُمْ لِلْكُفْرِ مُسْتَبْطِنُونَ- فِيمَا اللهُ فَاعِلٌ بِهِمْ مِثْلَ اسْتِضَاءَةِ مُوقِدِ نَارٍ بِنَارِهِ..

﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ حَتَّىٰ إِذَا ارْتَفَقَ بِضِيَائِهَا، وَأَبْصَرَ مَا حَوْلَهُ مُسْتَضِيئًا بِنُورِهِ مِنَ الظُّلْمَةِ..

﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة: ١٧] خَمَدَتِ النَّارُ وَانْطَفَأَتْ، فَذَهَبَ نُورُهُ، وَعَادَ المُسْتَضِيءُ بِهِ فِي ظُلْمَةٍ وَحَيْرَةٍ، **فَكَذَلِكَ المُنَافِقُونَ**، ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ بَعْدَ **الضِّيَاءِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ فِي الدُّنْيَا بِمَا كَانُوا يُظْهِرُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مِنَ الإِقْرَارِ بِالإِسْلَامِ وَهُمْ لِغَيْرِهِ مُسْتَبْطِنُونَ كَمَا ذَهَبَ ضَوْءُ نَارِ هَذَا المُسْتَوْقِدِ**، بِانْطِفَاءِ نَارِهِ وَخُمُودِهَا، فَبَقِيَ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُ..

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: ١٨]

تأييس المُؤْمِنِينَ مِنَ تَوبَةِ المُنَافِقِيْنَ، كَمَا آيَسَهُم مِنْ تَوْبَةِ قَادَةِ كُفَّارِ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنِ المُنَافِقِينَ: أَنَّهُمْ بِاشْتِرَائِهِمُ الضَّلَالَةَ بِالهُدَىٰ لَمْ يَكُونُوا **لِلْهُدَىٰ وَالحَقِّ** مُهْتَدِينَ، بَلْ **هُمْ صُمٌّ عَنْهُمَا** فَلَا يَسْمَعُونَهُمَا، لِغَلَبَةِ خِذْلَانِ اللهِ عَلَيْهِمْ، **بُكْمٌ عَنِ القِيلِ بِهِمَا** فَلَا يَنْطِقُونَ بِهِمَا، وَالبُكْمُ: الخُرْسُ، وَهُوَ جِمَاعُ أَبْكَمَ، **عُمْيٌ عَنْ أَنْ يُبْصِرُوهُمَا فَيَعْقِلُوهُمَا**، لِأَنَّ اللهَ قَدْ طَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ بِنِفَاقِهِمْ فَلَا يَهْتَدُونَ.. وَبِمِثْلِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ عُلَمَاءُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (**﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ عَنِ الخَيْرِ**)، وعنه: (**﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾: لَا يَسْمَعُونَ الهُدَىٰ وَلَا يُبْصِرُونَهُ وَلَا يَعْقِلُونَهُ**)، وعنه وعن ابْنِ مَسْعُودٍ: (**﴿بُكْمٌ﴾ هُمُ الخُرْسُ**)، وقالَ

قَتَادَةُ: (صُمٌّ عَنِ الحَقِّ فَلَا يَسْمَعُونَهُ، عُمْيٌ عَنِ الحَقِّ فَلَا يُبْصِرُونَهُ، بُكْمٌ عَنِ الحَقِّ فَلَا يَنْطِقُونَ بِهِ)..

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾ [البقرة: ١٨] إِخْبَارٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ المُنَافِقِينَ الَّذِينَ نَعَتَهُمُ اللهُ بِاشْتِرَائِهِمُ الضَّلَالَةَ بِالهُدَىٰ، وَصَمَمِهِمْ عَنْ سَمَاعِ الخَيْرِ وَالحَقِّ، وَبَكَمِهِمْ عَنِ القِيلِ بِهِمَا، وَعَمَاهُمْ عَنْ إِبْصَارِهِمَا، أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ إِلَىٰ الإِقْلَاعِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ، وَلَا يَتُوبُونَ إِلَىٰ الإِنَابَةِ مِنْ نِفَاقِهِمْ، فَآيَسَ المُؤْمِنِينَ مِنَ أَنْ يُبْصِرَ هَؤُلَاءِ رُشْدًا، أَوْ يَقُولُوا حَقًّا، أَوْ يَسْمَعُوا دَاعِيًا إِلَىٰ الهُدَىٰ، أَوْ أَنْ يَذَّكَّرُوا فَيَتُوبُوا مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، كَمَا آيَسَ مِنْ تَوْبَةِ قَادَةِ كُفَّارِ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ وَأَحْبَارِهِمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُ قَدْ خَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَغَشَّىٰ عَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ.. وَبِمِثْلِ الَّذِي قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: قال قَتَادَةُ: (﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾ أَيْ: لَا يَتُوبُونَ وَلَا يَذَّكَّرُونَ)، ورُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ: (﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ إِلَىٰ الإِسْلَامِ).

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٩﴾ [البقرة: ١٩]

﴿أَوْ﴾ وَإِنْ كَانَتْ فِي بَعْضِ الكَلَامِ تَأْتِي بِمَعْنَىٰ الشَّكِّ، فَإِنَّهَا قَدْ تَأْتِي دَالَّةً عَلَىٰ مِثْلِ مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الوَاوُ، إِمَّا بِسَابِقٍ مِنَ الكَلَامِ قَبْلَهَا، وَإِمَّا بِمَا يَأْتِي بَعْدَهَا، فَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي قَوْلِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لمَّا كَانَ مَعْلُومًا أَنْ ﴿أَوْ﴾ دَالَّةٌ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي كَانَتْ تَدُلُّ عَلَيْهِ (الوَاوُ) لَوْ كَانَتْ مَكَانَهَا، كَانَ سَوَاءً نُطِقَ فِيهِ بِـ ﴿أَوْ﴾ أَوْ بِـ (الوَاوِ) وَكَذَلِكَ وَجْهُ حَذْفِ (المَثَلِ) مِنْ قَوْلِهِ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾، لمَّا كَانَ قَوْلُهُ: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ دَالًّا عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَاهُ: كَمَثَلِ صَيِّبٍ، حَذَفَ (المَثَلَ) وَاكْتَفَىٰ بِدَلَالَةِ مَا مَضَىٰ مِنَ الكَلَامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَاهُ: أَوْ كَمَثَلِ صَيِّبٍ، مِنْ إِعَادَةِ ذِكْرِ المَثَلِ؛ طَلَبَ الإِيجَازِ وَالِاخْتِصَارِ..

﴿كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ﴾ مَثَلُ اسْتِضَاءَةِ المُنَافِقِينَ بِضَوْءِ إِقْرَارِهِمْ بِالإِسْلَامِ مَعَ اسْتِسْرَارِهِمُ الكُفْرَ مَثَلُ إِضَاءَةِ مُوقِدِ نَارٍ بِضَوْءِ نَارِهِ، عَلَىٰ مَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنْ صِفَتِهِ، أَوْ كَمَثَلِ مَطَرٍ مُظْلِمٍ وَدْقُهُ، تَحَدَّرَ مِنَ السَّمَاءِ، تَحْمِلُهُ مُزْنَةٌ ظَلْمَاءُ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، وَذَلِكَ هُوَ الظُّلُمَاتُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهَا فِيهِ.. وَالصَّيِّبُ مِنْ قَوْلِكَ: صَابَ المَطَرُ يَصُوبُ صَوْبًا، إِذَا انْحَدَرَ وَنَزَلَ..

﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ كَمَثَلِ لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ يَحْدُوهَا رَعْدٌ، وَيَسْتَطِيرُ فِي حَافَّاتِهَا بَرْقٌ شَدِيدٌ لَمَعَانُهُ، كَثِيرٌ خَطَرَانُهُ، يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ، وَيَخْتَطِفُهَا مِنْ شِدَّةِ ضِيَائِهِ وَنُورِ شُعَاعِهِ، وَيَنْهَبِطُ مِنْهَا تَارَاتٍ صَوَاعِقُ، تَكَادُ تَدَعُ النُّفُوسَ مِنْ شِدَّةِ أَهْوَالِهَا زَوَاهِقَ.. فَالصَّيِّبُ مَثَلٌ لِظَاهِرِ مَا أَظْهَرَ المُنَافِقُونَ

بِأَلسِنَتِهِمْ مِنَ الإِقْرَارِ وَالتَّصْدِيقِ، **وَالظُّلُمَاتُ** الَّتِي هِيَ فِيهِ لِظُلُمَاتِ مَا هُمْ مُسْتَبْطِنُونَ مِنَ الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ وَمَرَضِ القُلُوبِ، **وَأَمَّا الرَّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ**، فَلِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الوَجَلِ مِنْ وَعِيدِ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ فِي آيِ كِتَابِهِ -إِمَّا فِي العَاجِلِ وَإِمَّا فِي الآجِلِ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ، مَعَ شَكِّهِمْ فِي ذَلِكَ: هَل هُوَ كَائِنٌ أَمْ غَيْرُ كَائِنٍ؟ وَهَل لَهُ حَقِيقَةٌ أَمْ ذَلِكَ كَذِبٌ وَبَاطِلٌ؟ - مَثَلٌ، فَهُمْ مِنْ وَجَلِهِمْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حَقًّا، يَتَّقُونَهُ بِالإِقْرَارِ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ بِأَلسِنَتِهِمْ، مَخَافَةً عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الهَلَاكِ وَنُزُولِ النَّقِمَاتِ، وَذَلِكَ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾..

﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ: يَتَّقُونَ وَعِيدَ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، بِمَا يُبْدُونَهُ بِأَلسِنَتِهِمْ مِنْ ظَاهِرِ الإِقْرَارِ، كَمَا يَتَّقِي الخَائِفُ أَصْوَاتَ الصَّوَاعِقِ بِتَغْطِيَةِ أُذُنَيْهِ وَتَصْيِيرِ أَصَابِعَهُ فِيهَا، حَذَرًا عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْهَا.. **وَإِنَّمَا جَعَلَ اللهُ إِدْخَالَهُمْ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مَثَلًا** لِاتِّقَائِهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالمُؤْمِنِينَ بِمَا ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ يَتَّقُونَهُمْ بِهِ، كَمَا يَتَّقِي سَامِعُ صَوْتِ الصَّاعِقَةِ بِإِدْخَالِ أَصَابِعِهِ فِي أُذُنَيْهِ، وَذَلِكَ مِنَ المَثَلِ نَظِيرُ تَمْثِيلِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا أَنْزَلَ فِيهِمْ مِنَ الوَعِيدِ فِي آيِ كِتَابِهِ بِأَصْوَاتِ الصَّوَاعِقِ، **وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ** ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ **جَعَلَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَثَلًا** لِخَوْفِهِمْ وَإِشْفَاقِهِمْ مِنْ حُلُولِ عَاجِلِ العِقَابِ المُهْلِكِهِمُ الَّذِي تُوُعِّدُوهُ بِسَاحَتِهِمْ كَمَا يَجْعَلُ سَامِعُ أَصْوَاتِ الصَّوَاعِقِ أَصَابِعَهُ فِي أُذُنَيْهِ، حَذَرَ العَطَبِ وَالمَوْتِ عَلَىٰ نَفْسِهِ، أَنْ تَزْهَقَ مِنْ شِدَّتِهَا.. **ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ المُنَافِقِينَ -الَّذِينَ نَعَتَهُمُ اللهُ النَّعْتَ الَّذِي ذَكَرَ- وَضَرَبَ لَهُمُ الأَمْثَالَ الَّتِي وَصَفَ، وَإِنِ اتَّقَوْا عِقَابَهُ**، وَأَشْفَقُوا عَذَابَهُ إِشْفَاقَ الجَاعِلِ فِي أُذُنَيْهِ أَصَابِعَهُ حَذَارِ حُلُولَ الوَعِيدِ الَّذِي تَوَعَّدَهُمْ بِهِ فِي آيِ كِتَابِهِ، **غَيْرُ مُنْجِيهِمْ ذَلِكَ مِنْ نُزُولِهِ بِعَقْوَتِهِمْ**، وَحُلُولِهِ بِسَاحَتِهِمْ، إِمَّا عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا آجِلًا فِي الآخِرَةِ، لِلَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ مَرَضِهَا، وَالشَّكِّ فِي اعْتِقَادِهَا، فَقَالَ..

﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ١٩﴾ [البقرة: ١٩] بِمَعْنَىٰ جَامِعُهُمْ، فَمُحِلٌّ بِهِمْ عُقُوبَتَهُ، وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَتَأَوَّلُ: (**جَامِعُهُمْ فِي جَهَنَّمَ**)، وَأَمَّا ابْنُ عَبَّاسٍ فَرُوِيَ عَنْهُ: (**اللهُ مُنْزِلٌ ذَلِكَ بِهِمْ مِنَ النِّقْمَةِ**).. **ثُمَّ عَادَ جَلَّ ذِكْرُهُ إِلَىٰ نَعْتِ إِقْرَارِ المُنَافِقِينَ بِأَلسِنَتِهِمْ، وَالخَبَرِ عَنْهُ وَعَنْهُمْ وَعَنْ نِفَاقِهِمْ، وَإِتْمَامِ المَثَلِ الَّذِي ابْتَدَأَ** ضَرْبَهُ لَهُمْ وَلِشَكِّهِمْ وَمَرَضِ قُلُوبِهِمْ، فَقَالَ..

> ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٢٠﴾ [البقرة: ٢٠]

﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ﴾ يَعْنِي بِالبَرْقِ الإِقْرَارَ الَّذِي أَظْهَرُوهُ بِأَلسِنَتِهِمْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، فَجَعَلَ البَرْقَ لَهُ مَثَلًا عَلَىٰ مَا قَدَّمْنَا صِفَتَهُ..

﴿يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ يَذْهَبُ بِهَا وَيَسْتَلِبُهَا وَيَلْتَمِعُهَا مِنْ شِدَّةِ ضِيَائِهِ وَنُورِ شُعَاعِهِ.. وَالخَطْفُ السَّلبُ، وَمِنْهُ الخَبَرُ الَّذِي رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ «نَهَى عَنِ الخَطْفَةِ»، يَعْنِي بِهَا النُّهْبَةَ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلخُطَّافِ الَّذِي يُخْرَجُ بِهِ الدَّلْوُ مِنَ البِئْرِ خُطَّافٌ، لِاخْتِطَافِهِ وَاسْتِلَابِهِ مَا عَلِقَ بِهِ.. **فَجَعَلَ ضَوْءَ البَرْقِ وَشِدَّةَ شُعَاعِ نُورِهِ، كَضَوْءِ إِقْرَارِهِمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ ﷺ** وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَشُعَاعِ نُورِهِ، مَثَلًا..

﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم﴾ يَعْنِي أَنَّ البَرْقَ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ، وَجَعَلَ البَرْقَ لِإِيمَانِهِمْ مَثَلًا، **وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ: أَنَّهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمُ الإِيمَانُ، وَإِضَاءَتُهُ لَهُمْ أَنْ يَرَوْا فِيهِ مَا يُعْجِبُهُمْ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُمْ**، مِنَ النُّصْرَةِ عَلَىٰ الأَعْدَاءِ، وَإِصَابَةِ الغَنَائِمِ فِي المُغَازِي، وَكَثْرَةِ الفُتُوحِ، وَمَنَافِعِهَا، وَالثَّرَاءِ فِي الأَمْوَالِ، وَالسَّلَامَةِ فِي الأَبْدَانِ وَالأَهْلِ وَالأَوْلَادِ، فَذَلِكَ إِضَاءَتُهُ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يُظْهِرُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا يُظْهِرُونَهُ مِنَ الإِقْرَارِ، ابْتِغَاءَ ذَلِكَ، وَمُدَافَعَةً عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَذَرَارِيهِمْ، وَهُمْ كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ [الحج: ١١]..

﴿مَّشَوْا فِيهِ﴾ مَشَوْا فِي ضَوْءِ البَرْقِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ مَثَلٌ لِإِقْرَارِهِمْ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا، **فَمَعْنَاهُ: كُلَّمَا رَأَوْا فِي الإِيمَانِ مَا يُعْجِبُهُمْ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُمْ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا، ثَبَتُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ**، كَمَا يَمْشِي السَّائِرُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَظُلْمَةِ الصَّيِّبِ الَّذِي وَصَفَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، إِذَا بَرَقَتْ فِيهَا بَارِقَةٌ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ فِيهَا..

﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ ذَهَبَ ضَوْءُ البَرْقِ عَلَىٰ السَّائِرِينَ فِي الصَّيِّبِ الَّذِي وَصَفَ جَلَّ ذِكْرُهُ، وَذَلِكَ لِلمُنَافِقِينَ مَثَلٌ، **وَمَعْنَىٰ إِظْلَامِ ذَلِكَ أَنَّ المُنَافِقِينَ كُلَّمَا لَمْ يَرَوْا فِي الإِسْلَامِ مَا يُعْجِبُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ** عِنْدَ ابْتِلَاءِ اللهِ مُؤْمِنِي عِبَادِهِ بِالضَّرَّاءِ، وَتَمْحِيصِهِ إِيَّاهُمْ بِالشَّدَائِدِ وَالبَلَاءِ، مِنْ إِخْفَاقِهِمْ فِي مَغْزَاهُمْ، وَإِنَالَةِ عَدُوِّهِمْ مِنْهُمْ، أَوْ إِدْبَارٍ مِنْ دُنْيَاهُمْ عَنْهُمْ، **أَقَامُوا عَلَىٰ نِفَاقِهِمْ**، وَثَبَتُوا عَلَىٰ ضَلَالَتِهِمْ، كَمَا قَامَ السَّائِرُ فِي الصَّيِّبِ الَّذِي وَصَفَ جَلَّ ذِكْرُهُ إِذَا أَظْلَمَ وَخَفَتَ ضَوْءُ البَرْقِ، فَحَارَ فِي طَرِيقِهِ، فَلَمْ يَعْرِفْ مَنْهَجَهُ..

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ **وَإِنَّمَا خَصَّ جَلَّ ذِكْرُهُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ** بِأَنَّهُ لَوْ شَاءَ أَذْهَبَهَا مِنَ المُنَافِقِينَ دُونَ سَائِرِ أَعْضَاءِ أَجْسَامِهِمْ؛ **لِلَّذِي جَرَىٰ مِنْ ذِكْرِهَا فِي الآيَتَيْنِ**، أَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ﴾، وَقَوْلَهُ: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾، فَجَرَىٰ ذِكْرُهَا فِي الآيَتَيْنِ عَلَىٰ وَجْهِ المَثَلِ، ثُمَّ عَقَّبَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذِكْرَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ لَوْ شَاءَ أَذْهَبَهُ مِنَ المُنَافِقِينَ **عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَىٰ نِفَاقِهِمْ وَكُفْرِهِمْ**، وَعِيدًا مِنَ اللهِ لَهُمْ، كَمَا تَوَعَّدَهُمْ فِي الآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ١٩﴾ وَاصِفًا بِذَلِكَ جَلَّ ذِكْرُهُ نَفْسَهُ أَنَّهُ المُقْتَدِرُ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ

جَمْعِهِمْ لِإِحْلَالِ سَخَطِهِ بِهِمْ، وَإِنْزَالِ نِقْمَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَمُحَذِّرَهُمْ بِذَلِكَ سَطْوَتَهُ، وَمُخَوِّفَهُمْ بِهِ عُقُوبَتَهُ، لِيَتَّقُوا بَأْسَهُ، وَيُسَارِعُوا إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ لِمَا تَرَكُوا مِنَ الحَقِّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ)..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾ [البقرة: ٢٠] وَإِنَّمَا وَصَفَ اللهُ نَفْسَهُ جَلَّ ذِكْرُهُ بِالقُدْرَةِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ فِي هَذَا المَوْضِعِ؛ لِأَنَّهُ حَذَّرَ المُنَافِقِينَ بَأْسَهُ وَسَطْوَتَهُ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ بِهِمْ مُحِيطٌ، وَعَلَىٰ إِذْهَابِ أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ قَدِيرٌ، ثُمَّ قَالَ: فَاتَّقُونِي أَيُّهَا المُنَافِقُونَ، وَاحْذَرُوا خِدَاعِي وَخِدَاعَ رَسُولِي وَأَهْلِ الإِيمَانِ بِي، لَا أُحِلَّ بِكُمْ نِقْمَتِي، فَإِنِّي عَلَىٰ ذَلِكَ وَعَلَىٰ غَيْرِهِ مِنَ الأَشْيَاءِ قَدِيرٌ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ فَأَمَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الفَرِيقَيْنِ اللَّذَيْنِ أَخْبَرَ اللهُ عَنْ أَحَدِهِمَا أَنَّهُ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرُوا أَمْ لَمْ يُنْذَرُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، لِطَبْعِهِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ، وَعَنِ الآخَرِ أَنَّهُ يُخَادِعُ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِمَا يُبْدِي بِلِسَانِهِ مِنْ قِيلِهِ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾، مَعَ اسْتِبْطَانِهِ خِلَافَ ذَلِكَ، وَمَرَضِ قَلْبِهِ وَشَكِّهِ فِي حَقِيقَةِ مَا يُبْدِي مِنْ ذَلِكَ، وَغَيْرَهِمِ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ المُكَلَّفِينَ، بِالِاسْتِكَانَةِ وَالخُضُوعِ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَإِفْرَادِ الرُّبُوبِيَّةِ لَهُ وَالعِبَادَةِ دُونَ الأَوْثَانِ وَالأَصْنَامِ وَالآلِهَةِ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ..

﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ هُوَ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ، وَخَالِقُ أَصْنَامِهِمْ وَأَوْثَانِهِمْ وَآلِهَتِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ جَلَّ ذِكْرُهُ: فَالَّذِي خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ آبَاءَكُمْ وَأَجْدَادَكُمْ وَسَائِرَ الخَلْقِ غَيْرَكُمْ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَىٰ ضُرِّكُمْ وَنَفْعِكُمْ، أَوْلَىٰ بِالطَّاعَةِ مِمَّنْ لَا يَقْدِرُ لَكُمْ عَلَىٰ نَفْعٍ وَلَا ضُرٍّ.. وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِيمَا رُوِيَ لَنَا عَنْهُ، يَقُولُ فِي ذَلِكَ نَظِيرَ مَا قُلْنَا فِيهِ، غَيْرَ أَنَّهُ ذُكِرَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي مَعْنَىٰ ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾: (وَحِّدُوا رَبَّكُمْ).. وَقَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ العِبَادَةِ: الخُضُوعُ للهِ بِالطَّاعَةِ، وَالتَّذَلُّلُ لَهُ بِالِاسْتِكَانَةِ.. وَالَّذِي أَرَادَ ابْنُ عَبَّاسٍ - إِنْ شَاءَ اللهُ - بِقَوْلِهِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ وَحِّدُوهُ، أَيْ أَفْرِدُوا الطَّاعَةَ وَالعِبَادَةَ لِرَبِّكُمْ دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ.. وَهَذِهِ الآيَةُ مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَىٰ فَسَادِ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ تَكْلِيفَ مَا لَا يُطَاقُ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللهِ غَيْرُ جَائِزٍ، إِلَّا بَعْدَ إِعْطَاءِ اللهِ المُكَلَّفَ المَعُونَةَ عَلَىٰ مَا كَلَّفَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ أَمَرَ مَنْ وَصَفْنَا، بِعِبَادَتِهِ وَالتَّوْبَةِ مِنْ كُفْرِهِ، بَعْدَ إِخْبَارِهِ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، وَأَنَّهُمْ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ لَا يَرْجِعُونَ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١] بِعِبَادَتِكُمْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ، وَطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، وَإِفْرَادِكُمْ لَهُ العِبَادَةَ لِتَتَّقُوا سَخَطَهُ وَغَضَبَهُ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُوا مِنَ المُتَّقِينَ الَّذِينَ رَضِيَ عَنْهُمْ رَبُّهُمْ، وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٢١﴾: (تُطِيعُونَ)،

وَالَّذِي أَظُنُّ أَنَّ مُجَاهِدًا أَرَادَ بِقَوْلِهِ هَذَا: لَعَلَّكُمْ أَنْ تَتَّقُوا رَبَّكُمْ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ، وَإِقْلَاعِكُمْ عَنْ ضَلَالَتِكُمْ.. **فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ**: فَكَيْفَ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾؟ أَوَ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ إِذَا هُمْ عَبَدُوهُ وَأَطَاعُوهُ، حَتَّىٰ قَالَ لَهُمْ: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ أَنْ تَتَّقُوا، فَأَخْرَجَ الخَبَرَ عَنْ عَاقِبَةِ عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ مَخْرَجَ الشَّكِّ؟ **قِيلَ لَهُ**: ذَلِكَ عَلَىٰ غَيْرِ المَعْنَىٰ الَّذِي تَوَهَّمْتَ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ ذَلِكَ: اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، **لِتَتَّقُوهُ بِطَاعَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَإِفْرَادِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالعِبَادَةِ**.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢]

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ مَرْدُودٌ عَلَىٰ ﴿ٱلَّذِى﴾ الأُولَىٰ فِي قَوْلِهِ ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ وَهُمَا جَمِيعًا مِنْ نَعْتِ ﴿رَبَّكُمُ﴾ فَكَأَنَّهُ قَالَ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ الخَالِقَكُمْ وَالخَالِقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، الجَاعِلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا، يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مِهَادًا مُوَطَّأً وَقَرَارًا يُسْتَقَرُّ عَلَيْهَا.. **يُذَكِّرُ رَبُّنَا** جَلَّ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ مِنْ قِيلِهِ عِبَادَهُ نِعَمَهُ عِنْدَهُمْ وَآلَاءَهُ لَدَيْهِمْ **لِيَذْكُرُوا أَيَادِيَهُ عِنْدَهُمْ**، فَيُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ، **تَعَطُّفًا مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ**، وَرَأْفَةً مِنْهُ بِهِمْ، وَرَحْمَةً لَهُمْ، **مِنْ غَيْرِ مَا حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَىٰ عِبَادَتِهِمْ**، وَلَكِنْ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ..

﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ وَإِنَّمَا ذَكَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ فِيمَا عَدَّدَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْهِمْ؛ **لِأَنَّ مِنْهُمَا أَقْوَاتَهُمْ وَأَرْزَاقَهُمْ وَمَعَايِشَهُمْ**، وَبِهِمَا قِوَامُ دُنْيَاهُمْ، فَأَعْلَمُهُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَهُمَا وَخَلَقَ جَمِيعَ مَا فِيهِمَا وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ، هُوَ المُسْتَحِقُّ عَلَيْهِمُ الطَّاعَةَ، وَالمُسْتَوْجِبُ مِنْهُمُ الشُّكْرَ وَالعِبَادَةَ، دُونَ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ، الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ..

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ يَعْنِي تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا، فَأَخْرَجَ بِذَلِكَ المَطَرِ مِمَّا أَنْبَتُوهُ فِي الأَرْضِ مِنْ زَرْعِهِمْ وَغَرْسِهِمْ ثَمَرَاتٍ رِزْقًا لَهُمْ، غِذَاءً وَأَقْوَاتًا، **فَنَبَّهَهُمْ بِذَلِكَ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَذَكَّرَهُمْ بِهِ آلَاءَهُ لَدَيْهِمْ**، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ، وَهُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُمْ وَيَكْفُلُهُمْ، **دُونَ مَنْ جَعَلُوهُ لَهُ نِدًّا وَعِدْلًا مِنَ الأَوْثَانِ وَالآلِهَةِ**، ثُمَّ زَجَرَهُمْ عَنْ أَنْ يَجْعَلُوا لَهُ نِدًّا، مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ ذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَهُمْ، وَأَنَّهُ لَا نِدَّ لَهُ وَلَا عِدْلَ، وَلَا لَهُمْ نَافِعٌ وَلَا ضَارٌّ وَلَا خَالِقٌ وَلَا رَازِقٌ سِوَاهُ..

﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ وَالأَنْدَادُ جَمْعُ نِدٍّ، وَالنِّدُّ: العِدْلُ وَالمِثْلُ، **فَنَهَاهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**، وَأَنْ يَعْبُدُوا غَيْرَهُ، أَوْ يَتَّخِذُوا لَهُ نِدًّا وَعِدْلًا فِي الطَّاعَةِ، **فَقَالَ: كَمَا لَا شَرِيكَ لِي فِي خَلْقِكُمْ وَفِي**

رِزْقِكُمُ الَّذِي أَرْزُقُكُمْ وَمِلكِي إِيَّاكُمْ وَنِعَمِي الَّتِي أَنْعَمْتُهَا عَلَيْكُمْ، فَكَذَلِكَ فَأَفْرِدُوا لِيَ الطَّاعَةَ، وَأَخْلِصُوا لِيَ العِبَادَةَ، وَلَا تَجْعَلُوا لِي شَرِيكًا وَنِدًّا مِنْ خَلقِي، فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ عَلَيْكُمْ فَمِنِّي..

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢] رُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (أَيْ لا تُشْرِكُوا بِاللهِ غَيْرَهُ مِنَ الأَنْدَادِ الَّتِي لا تَنْفَعُ وَلا تَضُرُّ، وَأَنْتُمْ تَعلَمُونَ أَنَّهُ لا رَبَّ لَكُمْ يَرْزُقُكُمْ غَيْرُهُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ الرَّسُولُ مِنْ تَوْحِيدِهِ هُوَ الحَقُّ لا شَكَّ فِيهِ)، وقال قَتَادَةُ: (أَيْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، ثُمَّ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا).. يَعْنِي بِذَلِكَ كُلَّ مُكَلَّفٍ عَالِمٍ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَأَنَّهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلقِهِ، يُشْرِكُ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ غَيْرَهُ، كَائِنًا مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ، عَرَبِيًّا كَانَ أَوْ أَعْجَمِيًّا، كَاتِبًا أَوْ أُمِّيًّا، وَإِنْ كَانَ الخِطَابُ لِكُفَّارِ أَهْلِ الكِتَابِ الَّذِينَ كَانُوا حَوَالَيْ دَارِ هِجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَهْلِ النِّفَاقِ مِنْهُمْ، وَمِمَّنْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ مِمَّنْ كَانَ مُشْرِكًا فَانْتَقَلَ إِلَىٰ النِّفَاقِ بِمَقْدَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣]

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ هَذَا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ احْتِجَاجٌ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ مُشْرِكِي قَوْمِهِ مِنَ العَرَبِ وَمُنَافِقِيهِمْ، وَكُفَّارِ أَهْلِ الكِتَابِ وَضُلَّالِهِمُ الَّذِينَ افْتَتَحَ بِقَصَصِهِمْ قَوْلَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾، وَإِيَّاهُمْ يُخَاطِبُ بِهَذِهِ الآيَاتِ، وَضُرَبَاءَهُمْ يَعْنِي بِهَا.. قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَإِنْ كُنْتُمْ أَيُّهَا المُشْرِكُونَ مِنَ العَرَبِ وَالكُفَّارُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابَيْنِ فِي شَكٍّ -وَهُوَ الرَّيْبُ- مِمَّا نَزَّلنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ النُّورِ وَالبُرْهَانِ وَآيَاتِ الفُرْقَانِ: أَنَّهُ مِنْ عِنْدِي، وَأَنِّي الَّذِي أَنْزَلتُهُ إِلَيْهِ، فَلَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ وَلَـمْ تُصَدِّقُوهُ فِيمَا يَقُولُ..

﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ فَأْتُوا بِحُجَّةٍ تَدْفَعُ حُجَّتَهُ؛ لِأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حُجَّةَ كُلِّ ذِي نُبُوَّةٍ عَلَىٰ صِدْقِهِ فِي دَعْوَاهُ النُّبُوَّةَ أَنْ يَأْتِيَ بِبُرْهَانٍ يَعْجِزُ عَنْ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ جَمِيعُ الخَلقِ، وَمِنْ حُجَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ صِدْقِهِ، وَبُرْهَانِهِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ نُبُوَّتِهِ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِي، عَجْزُ جَمِيعِكُمْ وَجَمِيعِ مَنْ تَسْتَعِينُونَ بِهِ مِنْ أَعْوَانِكُمْ وَأَنْصَارِكُمْ عَنْ أَنْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَإِذَا عَجَزْتُمْ عَنْ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ أَهْلُ البَرَاعَةِ فِي الفَصَاحَةِ وَالبَلَاغَةِ، فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ غَيْرَكُمْ عَمَّا عَجَزْتُمْ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ أَعْجَزُ، كَمَا كَانَ بُرْهَانُ مَنْ سَلَفَ مِنْ رُسُلِي وَأَنْبِيَائِي عَلَىٰ صِدْقِهِ، وَحُجَّتُهُ عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ مِنَ الآيَاتِ، مَا يَعْجِزُ عَنِ الإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ جَمِيعُ خَلقِي، فَيَتَقَرَّرُ حِينَئِذٍ عِنْدَكُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَتَقَوَّلْهُ وَلَمْ يَخْتَلِقْهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ مِنْهُ اخْتِلَاقًا وَتَقَوُّلًا لَمْ تَعْجِزُوا وَجَمِيعُ خَلقِي عَنِ الإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ؛ لِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ

لَمْ يَعْدُ أَنْ يَكُونَ بَشَرًا مِثْلَكُمْ، وَفِي مِثْلِ حَالِكُمْ فِي الجِسْمِ وَبَسْطَةِ الخَلقِ وَذَرَابَةِ اللِّسَانِ، فَيُمْكِنُ أَنْ يُظَنَّ بِهِ اقْتِدَارٌ عَلَىٰ مَا عَجَزْتُمْ عَنْهُ، أَوْ يُتَوَهَّمَ مِنْكُمْ عَجْزٌ عَمَّا اقْتَدَرَ عَلَيْهِ؟!.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّكَ ذَكَرْتَ أَنَّ اللهَ عَنَىٰ بِقَوْلِهِ ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ مِنْ مِثْلِ هَذَا القُرْآنِ، فَهَل لِلقُرْآنِ مِنْ مِثْلٍ فَيُقَالُ: ائْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ؟ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَعْنِ بِهِ: ائْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مَثْلِهِ فِي التَّأْلِيفِ وَالمَعَانِي الَّتِي بَايَنَ بِهَا سَائِرَ الكَلَامِ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ: ائْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فِي البَيَانِ، لِأَنَّ القُرْآنَ أَنْزَلَهُ اللهُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ، فَكَلَامُ العَرَبِ لَا شَكَّ لَهُ مِثْلٌ فِي مَعْنَىٰ العَرَبِيَّةِ، فَأَمَّا فِي المَعْنَىٰ الَّذِي بَايَنَ بِهِ القُرْآنُ سَائِرَ كَلَامِ المَخْلُوقِينَ، فَلَا مِثْلَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الوَجْهِ وَلَا نَظِيرَ وَلَا شَبِيهَ.. وَإِنَّمَا احْتَجَّ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِمْ لِنَبِيِّهِ ﷺ بِمَا احْتَجَّ بِهِ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ القُرْآنِ؛ إِذْ ظَهَرَ عَجْزُ القَوْمِ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فِي البَيَانِ، إِذْ كَانَ القُرْآنُ بَيَانًا مِثْلَ بَيَانِهِمْ، وَكَلَامًا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ أَنَّ مَا أَنْزَلْتُ عَلَىٰ عَبْدِي مِنَ القُرْآنِ مِنْ عِنْدِي، فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ كَلَامِكُمُ الَّذِي هُوَ مِثْلُهُ فِي العَرَبِيَّةِ، إِذْ كُنْتُمْ عَرَبًا، وَهُوَ بَيَانٌ نَظِيرُ بَيَانِكُمْ، وَكَلَامٌ شَبِيهُ كَلَامِكُمْ.. فَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ غَيْرِ اللِّسَانِ الَّذِي هُوَ نَظِيرُ اللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ القُرْآنُ، فَيَقْدِرُوا أَنْ يَقُولُوا: كَلَّفْتَنَا مَا لَوْ أَحْسَنَّاهُ أَتَيْنَا بِهِ، وَإِنَّا لَا نَقْدِرُ عَلَىٰ الإِتْيَانِ بِهِ لِأَنَّا لَسْنَا مِنْ أَهْلِ اللِّسَانِ الَّذِي كَلَّفْتَنَا الإِتْيَانَ بِهِ، فَلَيْسَ لَكَ عَلَيْنَا بِهَذَا حُجَّةٌ؛ لِأَنَّا وَإِنْ عَجَزْنَا عَنْ أَنْ نَأْتِيَ بِمِثْلِهِ مِنْ غَيْرِ أَلْسِنَتِنَا لِأَنَّا لَسْنَا مِنْ أَهْلِهِ، فَفِي النَّاسِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ لِسَانِنَا يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ مِنَ اللِّسَانِ الَّذِي كَلَّفْتَنَا الإِتْيَانَ بِهِ، وَلَكِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ لَهُمْ: ائْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، لِأَنَّ مِثْلَهُ مِنَ الأَلْسُنِ أَلْسُنُكُمْ، وَأَنْتُمْ -إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ اخْتَلَقَهُ وَافْتَرَاهُ- إِذَا اجْتَمَعْتُمْ وَتَظَاهَرْتُمْ عَلَىٰ الإِتْيَانِ بِمِثْلِ سُورَةٍ مِنْهُ مِنْ لِسَانِكُمْ وَبَيَانِكُمْ أَقْدَرُ عَلَىٰ اخْتِلَاقِهِ وَرَصْفِهِ وَتَأْلِيفِهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا أَقْدَرَ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَلَنْ تَعْجِزُوا -وَأَنْتُمْ جَمِيعٌ- عَمَّا قَدَرَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ وَحِيدٌ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ وَزَعْمِكُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَاهُ وَاخْتَلَقَهُ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِي..

﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ رُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يَعْنِي: أَعْوَانَكُمْ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ).. وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ لِمَنْ شَكَّ مِنَ الكُفَّارِ فِيمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَقَوْلُهُ ﴿وَٱدْعُواْ﴾ يَعْنِي: اسْتَنْصِرُوا وَاسْتَغِيثُوا.. وَأَمَّا الشُّهَدَاءُ فَإِنَّهَا جَمْعُ شَهِيدٍ، كَمَا الشُّرَكَاءُ جَمْعُ شَرِيكٍ، وَالخُطَبَاءُ جَمْعُ خَطِيبٍ، وَالشَّهِيدُ يُسَمَّىٰ بِهِ الشَّاهِدُ عَلَىٰ الشَّيْءِ لِغَيْرِهِ بِمَا يُحَقِّقُ دَعْوَاهُ، وَقَدْ يُسَمَّىٰ بِهِ المُشَاهِدُ لِلشَّيْءِ، كَمَا يُقَالُ: فُلَانٌ جَلِيسُ فُلَانٍ، يَعْنِي بِهِ: مُجَالِسَهُ، وَنَدِيمُهُ يَعْنِي بِهِ مُنَادِمَهُ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ: شَهِيدُهُ يَعْنِي بِهِ مُشَاهِدَهُ.. فَإِذَا كَانَتِ الشُّهَدَاءُ مُحْتَمِلَةً أَنْ

تَكُونَ جَمْعَ الشَّهِيدِ الَّذِي هُوَ مُنْصَرِفٌ لِلمَعْنَيَيْنِ اللَّذَيْنِ وَصَفْتُ، فَأَوْلَىٰ وَجْهَيْهِ بِتَأْوِيلِ الآيَةِ مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: وَاسْتَنْصِرُوا -عَلَىٰ أَنْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ- أَعْوَانَكُمْ وَشُهَدَاءَكُمْ، الَّذِينَ يُشَاهِدُونَكُمْ وَيُعَاوِنُونَكُمْ عَلَىٰ تَكْذِيبِكُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُظَاهِرُونَكُمْ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ وَنِفَاقِكُمْ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨] فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي هَذِهِ الآيَةِ، أَنَّ مِثْلَ القُرْآنِ لَا يَأْتِي بِهِ الجِنُّ وَالإِنْسُ، وَلَوْ تَظَاهَرُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الإِتْيَانِ بِهِ، وَتَحَدَّاهُمْ بِمَعْنَىٰ التَّوْبِيخِ لَهُمْ فِي سُورَةِ البَقَرَةِ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ: إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ فِي صِدْقِ مُحَمَّدٍ فِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي أَنَّهُ مِنْ عِنْدِي فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَلْيَسْتَنْصِرْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣] إِنْ كُنْتُمْ مُحِقِّينَ فِي جُحُودِكُمْ أَنَّ مَا جَاءَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ اخْتِلَاقٌ وَافْتِرَاءٌ، لِتَمْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ وَغَيْرَكُمْ، هَلْ تَقْدِرُونَ عَلَىٰ أَنْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، فَيَقْدِرَ مُحَمَّدٌ عَلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ بِجَمِيعِهِ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ اخْتِلَاقًا؟!

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾
[البقرة: ٢٤]

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ إِنْ لَمْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، فَقَدْ تَظَاهَرْتُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ عَلَيْهِ وَأَعْوَانُكُمْ، فَتَبَيَّنَ لَكُمْ بِامْتِحَانِكُمْ وَاخْتِبَارِكُمْ عَجْزُكُمْ وَعَجْزُ جَمِيعِ خَلْقِي عَنْهُ، وَعَلِمْتُمْ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِي، ثُمَّ أَقَمْتُمْ عَلَىٰ التَّكْذِيبِ بِهِ..

﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ لَنْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ أَبَدًا، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: (أَيْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ وَلَا تُطِيقُونَهُ)، ورُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ فَقَدْ بُيِّنَ لَكُمُ الحَقُّ)..

﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ فَاتَّقُوا أَنْ تَصْلَوُا النَّارَ بِتَكْذِيبِكُمْ رَسُولِي بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي أَنَّهُ مِنْ وَحْيِي وَتَنْزِيلِي، بَعْدَ تَبَيُّنِكُمْ أَنَّهُ كِتَابِي وَمِنْ عِنْدِي، وَقِيَامِ الحُجَّةِ عَلَيْكُمْ بِأَنَّهُ كَلَامِي وَوَحْيِي، بِعَجْزِكُمْ وَعَجْزِ جَمِيعِ خَلْقِي عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، ثُمَّ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ النَّارَ الَّتِي حَذَّرَهُمْ صِلِيَّهَا فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ النَّاسَ وَقُودُهَا، وَأَنَّ الحِجَارَةَ وَقُودُهَا، فَقَالَ..

﴿ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ يَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿وَقُودُهَا﴾ حَطَبَهَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ خُصَّتِ الحِجَارَةُ فَقُرِنَتْ بِالنَّاسِ، حَتَّىٰ جُعِلَتْ لِنَارِ جَهَنَّمَ حَطَبًا؟ قِيلَ: إِنَّهَا حِجَارَةُ الكِبْرِيتِ، وَهِيَ أَشَدُّ الحِجَارَةِ -فِيمَا بَلَغَنَا- حَرًّا إِذَا أُحْمِيَتْ، كَمَا قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: (هِيَ حِجَارَةٌ مِنْ

كِبْرِيتٍ، خَلَقَهَا اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، يُعِدُّهَا لِلْكَافِرِينَ)..

﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝٢٤﴾ [البقرة: ٢٤] قَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا، عَلَىٰ أَنَّ (الْكَافِرَ) فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ السَّاتِرُ شَيْئًا بِغِطَاءٍ، وَأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا سَمَّىٰ الْكَافِرَ كَافِرًا لِجُحُودِهِ آلَاءَهُ عِنْدَهُ، وَتَغْطِيَتِهِ نَعْمَاءَهُ قِبَلَهُ.. فَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ إِذًا: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝٢٤﴾ أُعِدَّتِ النَّارُ لِلْجَاحِدِينَ أَنَّ اللهَ رَبُّهُمُ الْمُتَوَحِّدُ بِخَلْقِهِمْ وَخَلْقِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، الَّذِي جَعَلَ لَهُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا، وَالسَّمَاءَ بِنَاءً، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَهُمْ، الْمُشْرِكِينَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ الأَنْدَادَ وَالآلِهَةَ، وَهُوَ الْمُتَفَرِّدُ لَهُمْ بِالإِنْشَاءِ، وَالْمُتَوَحِّدُ بِالأَقْوَاتِ وَالأَرْزَاقِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (أَيْ لِمَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ).

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٢٥﴾ [البقرة: ٢٥]

﴿وَبَشِّرِ﴾ يَعْنِي: أَخْبِرْهُمْ، وَالْبِشَارَةُ أَصْلُهَا الْخَبَرُ بِمَا يُسَرُّ بِهِ الْمُخْبَرُ، إِذَا كَانَ سَابِقًا بِهِ كُلَّ مُخْبِرٍ سِوَاهُ، وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِإِبْلَاغِ بِشَارَتِهِ خَلْقَهُ..

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِهِ، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ..

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وَصَدَّقُوا إِيمَانَهُمْ ذَلِكَ وَإِقْرَارَهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، بَشِّرْ مَنْ صَدَّقَكَ أَنَّكَ رَسُولِي، وَأَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالنُّورِ فَمِنْ عِنْدِي، وَحَقَّقَ تَصْدِيقَهُ ذَلِكَ قَوْلًا بِأَدَاءِ الصَّالِحِ مِنَ الأَعْمَالِ الَّتِي افْتَرَضْتُهَا عَلَيْهِ، وَأَوْجَبْتُهَا فِي كِتَابِي عَلَىٰ لِسَانِكَ عَلَيْهِ..

﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ أَنَّ لَهُ خَاصَّةً، دُونَ مَنْ كَذَّبَ بِكَ وَأَنْكَرَ مَا جِئْتَهُ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِي، وَعَانَدَكَ، وَدُونَ مَنْ أَظْهَرَ تَصْدِيقَكَ، وَأَقَرَّ أَنَّ مَا جِئْتَهُ بِهِ فَمِنْ عِنْدِي قَوْلًا وَجَحَدَهُ اعْتِقَادًا، وَلَمْ يُحَقِّقْهُ عَمَلًا، فَإِنَّ لِأُولَئِكَ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، مُعَدَّةً عِنْدِي..

﴿جَنَّاتٍ﴾ وَالْجَنَّاتُ: جَمْعُ جَنَّةٍ، وَالْجَنَّةُ الْبُسْتَانُ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ جَلَّ ذِكْرُهُ بِذِكْرِ الْجَنَّةِ: مَا فِي الْجَنَّةِ مِنْ أَشْجَارِهَا وَثِمَارِهَا وَغُرُوسِهَا، دُونَ أَرْضِهَا، وَلِذَلِكَ قَالَ عَزَّ ذِكْرُهُ..

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْخَبَرَ عَنْ مَاءِ أَنْهَارِهَا أَنَّهُ جَارٍ تَحْتَ أَشْجَارِهَا وَغُرُوسِهَا وَثِمَارِهَا، لَا أَنَّهُ جَارٍ تَحْتَ أَرْضِهَا، لِأَنَّ الْمَاءَ إِذَا كَانَ جَارِيًا تَحْتَ الأَرْضِ، فَلَا حَظَّ فِيهَا لِعُيُونٍ مِنْ فَوْقِهَا إِلَّا بِكَشْفِ السَّاتِرِ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ، عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي تُوصَفُ بِهِ

أَنْهَارُ الجَنَّةِ أَنَّهَا جَارِيَةٌ فِي غَيْرِ أَخَادِيدَ، كَمَا قَالَ مَسْرُوقٌ: (نَخْلُ الجَنَّةِ نَضِيدٌ مِنْ أَصْلِهَا إِلَىٰ فَرْعِهَا، وَثَمَرُهَا أَمْثَالُ القِلَالِ، كُلَّمَا نُزِعَتْ ثَمَرَةٌ عَادَتْ مَكَانَهَا أُخْرَىٰ، وَمَاؤُهَا يَجْرِي فِي غَيْرِ أُخْدُودٍ).. فَإِذَا كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ، فِي أَنَّ أَنْهَارَهَا جَارِيَةٌ فِي غَيْرِ أَخَادِيدَ، فَلَا شَكَّ أَنَّ الَّذِي أُرِيدَ بِالجَنَّاتِ أَشْجَارُ الجَنَّاتِ وَغُرُوسُهَا وَثِمَارُهَا دُونَ أَرْضِهَا؛ إِذْ كَانَتْ أَنْهَارُهَا تَجْرِي فَوْقَ أَرْضِهَا وَتَحْتَ غُرُوسِهَا وَأَشْجَارِهَا، عَلَىٰ مَا ذَكَرَهُ مَسْرُوقٌ، وَذَلِكَ أَوْلَىٰ بِصِفَةِ الجَنَّةِ مِنْ أَنْ تَكُونَ أَنْهَارُهَا جَارِيَةً تَحْتَ أَرْضِهَا.. وَإِنَّمَا رَغَّبَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهَذِهِ الآيَةِ عِبَادَهُ فِي الإِيمَانِ، وَحَضَّهُمْ عَلَىٰ عِبَادَتِهِ بِمَا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ أَعَدَّهُ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَالإِيمَانِ بِهِ عِنْدَهُ، كَمَا حَذَّرَهُمْ فِي الآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا بِمَا أَخْبَرَ مِنْ إِعْدَادِهِ مَا أَعَدَّ لِأَهْلِ الكُفْرِ بِهِ -الجَاعِلِينَ مَعَهُ الآلِهَةَ وَالأَنْدَادَ- مِنْ عِقَابِهِ عَنْ إِشْرَاكِ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالتَّعَرُّضِ لِعُقُوبَتِهِ بِرُكُوبِ مَعْصِيَتِهِ وَتَرْكِ طَاعَتِهِ..

﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا﴾ مِنَ الجَنَّاتِ، وَالهَاءُ رَاجِعَةٌ عَلَىٰ الجَنَّاتِ، وَإِنَّمَا المَعْنِيُّ أَشْجَارُهَا، فَكَأَنَّهُ قَالَ: كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْ أَشْجَارِ البَسَاتِينِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِلَّذِينِ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِهِ..

﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ مِنْ ثِمَارِهَا..

﴿رِّزْقًا قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلِ هَذَا فِي الدُّنْيَا، كما رُوي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وقاله قتادةُ، ومجاهدٌ، وابنُ زيد.. فَإِنْ سَأَلَنَا سَائِلٌ، فَقَالَ: وَكَيْفَ قَالَ القَوْمُ: هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ، وَالَّذِي رُزِقُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ عُدِمَ بِأَكْلِهِمْ إِيَّاهُ؟ وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ أَهْلُ الجَنَّةِ قَوْلًا لَا حَقِيقَةَ لَهُ؟ قِيلَ: إِنَّ الأَمْرَ عَلَىٰ غَيْرِ مَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: هَذَا مِنَ النَّوْعِ الَّذِي رُزِقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ هَذَا، مِنَ الثِّمَارِ وَالرِّزْقِ، كَالرَّجُلِ يَقُولُ لِآخَرَ: قَدْ أَعَدَّ لَكَ فُلَانٌ مِنَ الطَّعَامِ كَذَا وَكَذَا مِنْ أَلْوَانِ الطَّبِيخِ وَالشِّوَاءِ وَالحَلْوَىٰ، فَيَقُولُ المَقُولُ لَهُ ذَاكَ: هَذَا طَعَامِي فِي مَنْزِلِي، يَعْنِي بِذَلِكَ: أَنَّ النَّوْعَ الَّذِي ذَكَرَ لَهُ صَاحِبُهُ أَنَّهُ أَعَدَّهُ لَهُ مِنَ الطَّعَامِ هُوَ طَعَامُهُ، لَا أَنَّ أَعْيَانَ مَا أَخْبَرَهُ صَاحِبُهُ أَنَّهُ قَدْ أَعَدَّهُ لَهُ، هُوَ طَعَامُهُ، بَلْ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَجُوزُ لِسَامِعٍ سَمِعَهُ يَقُولُ ذَلِكَ، أَنْ يَتَوَهَّمَ أَنَّهُ أَرَادَهُ أَوْ قَصَدَهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ خِلَافُ مَخْرَجِ كَلَامِ المُتَكَلِّمِ، وَإِنَّمَا يُوَجَّهُ كَلَامُ كُلِّ مُتَكَلِّمٍ إِلَىٰ المَعْرُوفِ فِي النَّاسِ مِنْ مَخَارِجِهِ، دُونَ المَجْهُولِ مِنْ مَعَانِيهِ، فَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ إِذْ كَانَ مَا كَانُوا رُزِقُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ فَنِيَ وَعُدِمَ، فَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ عَنَوْا بِذَلِكَ: هَذَا مِنَ النَّوْعِ الَّذِي رُزِقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ، وَمِنْ جِنْسِهِ فِي السِّمَاتِ وَالأَلْوَانِ، عَلَىٰ مَا قَدْ بَيَّنَّا مِنَ القَوْلِ فِي ذَلِكَ فِي كِتَابِنَا هَذَا..

﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا﴾ الهَاءُ عَائِدَةٌ عَلَىٰ الرِّزْقِ، فَتَأْوِيلُهُ: وَأُتُوا بِالَّذِي رُزِقُوا مِنْ ثِمَارِهَا مُتَشَابِهًا.. قَالَ بَعْضُهُمْ: تَشَابُهُهُ أَنَّ كُلَّهُ خِيَارٌ لَا رَذْلَ فِيهِ، وهو قول الحسن، وقتادة.. وَقَالَ

بَعْضُهُمْ: تَشَابُهُهُ فِي اللَّوْنِ وَهُوَ مُخْتَلِفٌ فِي الطَّعْمِ، وهو يُروىٰ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، والربيع، وقاله مجاهد.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: تَشَابُهُهُ فِي اللَّوْنِ وَالطَّعْمِ، قاله مجاهد.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: تَشَابُهُهُ، تُشَابُهُ ثَمَرِ الجَنَّةِ وَثَمَرِ الدُّنْيَا فِي اللَّوْنِ، وَإِنِ اخْتَلَفَ طَعُومُهُمَا، وهو قول قتادة، ويُروىٰ عن عكرمة.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا يُشْبِهُ شَيْءٌ مِمَّا فِي الجَنَّةِ مَا فِي الدُّنْيَا، إِلَّا الأَسْمَاءَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (لا يُشْبِهُ شَيْءٌ مِمَّا فِي الجَنَّةِ مَا فِي الدُّنْيَا، إِلَّا الأَسْمَاءَ)، وَقَالَ: (لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الجَنَّةِ إِلَّا الأَسْمَاءُ)، وقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ: (يَعْرِفُونَ أَسْمَاءَهُ كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا، التُّفَّاحَ بِالتُّفَّاحِ وَالرُّمَّانَ بِالرُّمَّانِ، قَالُوا فِي الجَنَّةِ: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ يَعْرِفُونَهُ، وَلَيْسَ هُوَ مِثْلَهُ فِي الطَّعْمِ).. وَأَوْلَىٰ هَذِهِ التَّأْوِيلاتِ بِتَأْوِيلِ الآيَةِ، تَأْوِيلُ مَنْ قَالَ: وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا فِي اللَّوْنِ وَالمَنْظَرِ وَالطَّعْمُ مُخْتَلِفٌ، يَعْنِي بِذَلِكَ اشْتِبَاهَ ثَمَرِ الجَنَّةِ وَثَمَرِ الدُّنْيَا فِي المَنْظَرِ وَاللَّوْنِ، مُخْتَلِفًا فِي الطَّعْمِ وَالذَّوْقِ، لِمَا قَدَّمْنَا مِنَ العِلَّةِ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ: كُلَّمَا رُزِقُوا مِنَ الجِنَانِ مِنْ ثَمَرَةٍ مِنْ ثِمَارِهَا رِزْقًا قَالُوا: هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلِ هَذَا فِي الدُّنْيَا: فَأَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ، وَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ أُتُوا بِمَا أُتُوا بِهِ مِنْ ذَلِكَ فِي الجَنَّةِ مُتَشَابِهًا، يَعْنِي بِذَلِكَ تَشَابُهَ مَا أُتُوا بِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ، وَالَّذِي كَانُوا رُزِقُوهُ فِي الدُّنْيَا، فِي اللَّوْنِ وَالمَرْأَىٰ وَالمَنْظَرِ، وَإِنِ اخْتَلَفَا فِي الطَّعْمِ وَالذَّوْقِ فَتَبَايَنَا، فَلَمْ يَكُنْ لِشَيْءٍ مِمَّا فِي الجَنَّةِ مِنْ ذَلِكَ نَظِيرٌ فِي الدُّنْيَا.. وَكَانَ أَبُو مُوسَىٰ الأَشْعَرِيُّ يَقُولُ: (إِنَّ اللهَ لَمَّا أَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الجَنَّةِ زَوَّدَهُ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ، وَعَلَّمَهُ صَنْعَةَ كُلِّ شَيْءٍ، فَثِمَارُكُمْ هَذِهِ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ، غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ تَغَيَّرُ وَتِلْكَ لا تَغَيَّرُ)..

﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ وَالهَاءُ وَالمِيمُ اللَّتَانِ فِي ﴿وَلَهُمْ﴾ عَائِدَتَانِ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.. وَالهَاءُ وَالأَلِفُ اللَّتَانِ فِي ﴿فِيهَآ﴾ عَائِدَتَانِ عَلَىٰ الجَنَّاتِ.. وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ: وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ.. وَالأَزْوَاجُ جَمْعُ زَوْجٍ، وَهِيَ امْرَأَةُ الرَّجُلِ، يُقَالُ: فُلَانَةٌ زَوْجُ فُلَانٍ وَزَوْجَتُهُ.. وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ فَإِنَّ تَأْوِيلَهُ أَنَّهُنَّ طُهِّرْنَ مِنْ كُلِّ أَذًىٰ وَقَذًىٰ وَرِيبَةٍ، مِمَّا يَكُونُ فِي نِسَاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا، مِنَ الحَيْضِ وَالنِّفَاسِ وَالغَائِطِ وَالبَوْلِ وَالمُخَاطِ وَالبُصَاقِ وَالمَنِيِّ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الأَذَىٰ وَالأَدْنَاسِ وَالرِّيَبِ وَالمَكَارِهِ..

﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٥﴾ [البقرة: ٢٥] يَعْنِي تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي الجَنَّاتِ خَالِدُونَ.. وَالهَاءُ وَالمِيمُ مِنْ قَوْلِهِ ﴿وَهُمْ﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.. وَالهَاءُ وَالأَلِفُ فِي ﴿فِيهَا﴾ عَلَىٰ الجَنَّاتِ.. وَخُلُودُهُمْ فِيهَا دَوَامُ بَقَائِهِمْ فِيهَا عَلَىٰ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ فِيهَا مِنَ الحَبْرَةِ وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ.

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦]

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ بِمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ: (لَمَّا ضَرَبَ اللهُ هَذَيْنِ المَثَلَيْنِ لِلْمُنَافِقِينَ -يَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، وَقَوْلَهُ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآيَاتِ الثَّلَاثَ- قَالَ المُنَافِقُونَ: اللهُ أَعْلَىٰ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يَضْرِبَ هَذِهِ الأَمْثَالَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾).. وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: (هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِلدُّنْيَا، إِنَّ البَعُوضَةَ تَحْيَا مَا جَاعَتْ، فَإِذَا سَمِنَتْ مَاتَتْ، وَكَذَلِكَ مَثَلُ هَؤُلَاءِ القَوْمِ الَّذِينَ ضَرَبَ اللهُ لَهُمْ هَذَا المَثَلَ فِي القُرْآنِ: إِذَا امْتَلَأُوا مِنَ الدُّنْيَا رِيًّا أَخَذَهُمُ اللهُ عِنْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَلَا ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤]).. وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا قَالَ قتادة: (إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ أَنْ يَذْكُرَ مِنْهُ شَيْئًا مَا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ، إِنَّ اللهَ حِينَ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ الذُّبَابَ وَالعَنْكَبُوتَ قَالَ أَهْلُ الضَّلَالَةِ: مَا أَرَادَ اللهُ مِنْ ذِكْرِ هَذَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ﴾).. وَقَدْ ذَهَبَ كُلُّ قَائِلٍ مِمَّنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ فِي هَذِهِ الآيَةِ، وَفِي المَعْنَىٰ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ، مَذْهَبًا، غَيْرَ أَنَّ أَوْلَىٰ ذَلِكَ بِالصَّوَابِ وَأَشْبَهَهُ بِالحَقِّ، مَا ذَكَرْنَا مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ عِبَادَهُ أَنَّهُ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا، عُقَيْبَ أَمْثَالٍ قَدْ تَقَدَّمَتْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، ضَرَبَهَا لِلْمُنَافِقِينَ، دُونَ الأَمْثَالِ الَّتِي ضَرَبَهَا فِي سَائِرِ السُّوَرِ غَيْرِهَا، فَلِأَنْ يَكُونَ هَذَا القَوْلُ -عْنِي قَوْلَهُ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾- جَوَابًا لِنَكِيرِ الكُفَّارِ وَالمُنَافِقِينَ مَا ضُرِبَ لَهُمْ مِنَ الأَمْثَالِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، أَحَقُّ وَأَوْلَىٰ مِنْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ جَوَابًا لِنَكِيرِهِمْ مَا ضَرَبَ لَهُمْ مِنَ الأَمْثَالِ فِي غَيْرِهَا مِنَ السُّوَرِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّمَا أَوْجَبَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ جَوَابًا لِنَكِيرِهِمْ مَا ضَرَبَ مِنَ الأَمْثَالِ فِي سَائِرِ السُّوَرِ؛ لِأَنَّ الأَمْثَالَ الَّتِي ضَرَبَهَا اللهُ لَهُمْ وَلِآلِهَتِهِمْ فِي سَائِرِ السُّوَرِ أَمْثَالٌ مُوَافِقَةُ المَعْنَىٰ لِمَا أَخْبَرَ عَنْهُ: أَنَّهُ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَهُ مَثَلًا؛ إِذْ كَانَ بَعْضُهَا تَمْثِيلًا لِآلِهَتِهِمْ بِالعَنْكَبُوتِ، وَبَعْضُهَا تَشْبِيهًا لَهَا فِي الضَّعْفِ وَالمَهَانَةِ بِالذُّبَابِ، وَلَيْسَ ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ بِمَوْجُودٍ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، فَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا.. فَإِنَّ ذَلِكَ بِخِلَافِ مَا ظَنَّ؛ وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿۞

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ إِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ مِنْهُ جَلَّ ذِكْرُهُ أَنَّهُ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ فِي الحَقِّ مِنَ الأَمْثَالِ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا ابْتِلَاءً بِذَلِكَ عِبَادَهُ، وَاخْتِبَارًا مِنْهُ لَهُمْ، لِيُمَيِّزَ بِهِ أَهْلَ الإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِهِ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالكُفْرِ بِهِ، إِضْلَالًا مِنْهُ بِهِ لِقَوْمٍ، وَهِدَايَةً مِنْهُ بِهِ لِآخَرِينَ، كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾: (يَعْنِي الأَمْثَالَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، يُؤْمِنُ بِهَا المُؤْمِنُونَ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، وَيَهْدِيهِمُ اللهُ بِهَا وَيُضِلُّ بِهَا الفَاسِقِينَ، يَعْرِفُهُ المُؤْمِنُونَ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَعْرِفُهُ الفَاسِقُونَ فَيَكْفُرُونَ بِهِ)، لَا أَنَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ قَصَدَ الخَبَرَ عَنْ عَيْنِ البَعُوضَةِ أَنَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ ضَرْبِ المَثَلِ بِهَا، وَلَكِنَّ البَعُوضَةَ لَمَّا كَانَتْ أَضْعَفَ الخَلْقِ كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: (البَعُوضَةُ أَضْعَفُ مَا خَلَقَ اللهُ)، خَصَّهَا اللهُ بِالذِّكْرِ فِي القِلَّةِ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ أَقَلَّ الأَمْثَالِ فِي الحَقِّ وَأَحْقَرَهَا وَأَعْلَاهَا إِلَىٰ غَيْرِ نِهَايَةٍ فِي الِارْتِفَاعِ، جَوَابًا مِنْهُ جَلَّ ذِكْرُهُ لِمَنْ أَنْكَرَ مِنْ مُنَافِقِي خَلْقِهِ مَا ضَرَبَ لَهُمْ مِنَ المَثَلِ بِمُوقِدِ النَّارِ وَالصَّيِّبِ مِنَ السَّمَاءِ، عَلَىٰ مَا نَعَتَهُمَا بِهِ مِنْ نَعْتِهِمَا.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَأَيْنَ ذِكْرُ نَكِيرِ المُنَافِقِينَ الأَمْثَالَ الَّتِي وَصَفْتَ، الَّذِي هَذَا الخَبَرُ جَوَابُهُ، فَنَعْلَمَ أَنَّ القَوْلَ فِي ذَلِكَ مَا قُلْتَ؟ قِيلَ: الدَّلَالَةُ عَلَىٰ ذَلِكَ بَيِّنَةٌ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا﴾ وَإِنَّ القَوْمَ الَّذِينَ ضَرَبَ لَهُمُ الأَمْثَالَ فِي الآيَتَيْنِ المُقَدَّمَتَيْنِ -اللَّتَيْنِ مَثَّلَ مَا عَلَيْهِ المُنَافِقُونَ مُقِيمُونَ فِيهِمَا بِمُوقِدِ النَّارِ وَبِالصَّيِّبِ مِنَ السَّمَاءِ، عَلَىٰ مَا وَصَفَ مِنْ ذَلِكَ قَبْلَ قَوْلِهِ: ﴿* إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ - قَدْ أَنْكَرُوا المَثَلَ وَقَالُوا: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا﴾ فَأَوْضَحَ لَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ خَطَأَ قِيلِهِمْ ذَلِكَ، وَقَبَّحَ لَهُمْ مَا نَطَقُوا بِهِ، وَأَخْبَرَهُمْ بِحُكْمِهِمْ فِي قِيلِهِمْ مَا قَالُوا مِنْهُ، وَأَنَّهُ ضَلَالٌ وَفُسُوقٌ، وَأَنَّ الصَّوَابَ وَالهُدَىٰ مَا قَالَهُ المُؤْمِنُونَ دُونَ مَا قَالُوهُ..

﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ أَنْ يُبَيِّنَ وَيَصِفَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ﴾ [الرُّوم: ٢٨]، بِمَعْنَىٰ وَصْفٍ لَكُمْ، وَالمَثَلُ: الشَّبَهُ، يُقَالُ: هَذَا مَثَلُ هَذَا وَمِثْلُهُ، كَمَا يُقَالُ: شَبَهُهُ وَشِبْهُهُ، فَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﴿* إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ إِنَّ اللهَ لَا يَخْشَىٰ أَنْ يَصِفَ شَبَهًا لِمَا شَبَّهَ بِهِ..

﴿مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ﴾ مَا بِمَعْنَىٰ الَّذِي؛ لِأَنَّ مَعْنَىٰ الكَلَامِ: إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ الَّذِي هُوَ بَعُوضَةٌ فِي الصِّغَرِ وَالقِلَّةِ فَمَا فَوْقَهَا مَثَلًا.. أَوْ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ الكَلَامِ: إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَيْنَ بَعُوضَةٍ إِلَىٰ مَا فَوْقَهَا، ثُمَّ حَذَفَ ذِكْرَ (بَيْنَ) وَ(إِلَىٰ)؛ إِذْ كَانَ فِي نَصْبِ البَعُوضَةِ وَدُخُولِ الفَاءِ فِي (مَا) الثَّانِيَةِ، دَلَالَةٌ عَلَيْهِمَا.. وَأَمَّا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ ﴿فَمَا فَوْقَهَا ۚ﴾: فَمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا -عِنْدِي- لِمَا ذَكَرْنَا قَبْلُ مِنْ قَوْلِ قَتَادَةَ: أَنَّ البَعُوضَةَ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ، فَإِذْ كَانَتْ

أَضْعَفَ خَلقِ اللهِ فَهِيَ نِهَايَةٌ فِي القِلَّةِ وَالضَّعْفِ، وَإِذْ كَانَتْ كَذَلِكَ، فَلَا شَكَّ أَنَّ مَا فَوْقَ أَضْعَفِ الأَشْيَاءِ لَا يَكُونُ إِلَّا أَقْوَىٰ مِنْهُ، فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ المَعْنَىٰ -عَلَىٰ مَا قَالَ قتادةُ- فَمَا فَوْقَهَا فِي العِظَمِ وَالكِبَرِ؛ إِذْ كَانَتِ البَعُوضَةُ نِهَايَةً فِي الضَّعْفِ وَالقِلَّةِ.. وَقِيلَ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ فِي الصِّغَرِ وَالقِلَّةِ، كَمَا يُقَالُ فِي الرَّجُلِ يُذَكِّرُهُ الذَّاكِرُ فَيَصِفُهُ بِاللُّؤْمِ وَالشُّحِّ، فَيَقُولُ السَّامِعُ: نَعَمْ، وَفَوْقَ ذَاكَ، يَعْنِي فَوْقَ الَّذِي وَصَفَ فِي الشُّحِّ وَاللُّؤْمِ، وَهَذَا قَوْلٌ خِلَافُ تَأْوِيلِ أَهْلِ العِلمِ الَّذِينَ تُرْتَضَىٰ مَعْرِفَتُهُمْ بِتَأْوِيلِ القُرْآنِ.. فَقَدْ تَبَيَّنَ إِذًا، بِمَا وَصَفْنَا، أَنَّ مَعْنَىٰ الكَلَامِ: إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَصِفَ شَبَهًا لِمَا شَبَّهَ بِهِ الَّذِي هُوَ مَا بَيْنَ بَعُوضَةٍ إِلَىٰ مَا فَوْقَ البَعُوضَةِ..

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ فَيَعْرِفُونَ أَنَّ المَثَلَ الَّذِي ضَرَبَهُ اللهُ، لِمَا ضَرَبَهُ لَهُ مَثَلٌ، كَمَا رُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ: (يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا المَثَلَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، وَأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ وَمِنْ عِنْدِهِ)، وقالَ قَتَادَةُ: (يَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَلَامُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَّهُ الحَقُّ مِنَ اللهِ)..

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يَعْنِي الَّذِينَ جَحَدُوا آيَاتِ اللهِ، وَأَنْكَرُوا مَا عَرَفُوا، وَسَتَرُوا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ حَقٌّ، وَذَلِكَ صِفَةُ المُنَافِقِينَ، وَإِيَّاهُمْ عَنَىٰ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ -وَمَنْ كَانَ مِنْ نُظَرَائِهِمْ وَشُرَكَائِهِمْ مِنَ المُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ- بِهَذِهِ الآيَةِ..

﴿فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ كَمَا قَدْ ذَكَرْنَا قَبْلُ مِنَ الخَبَرِ الَّذِي رَوَيْنَاهُ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: (يُؤْمِنُ بِهَا المُؤْمِنُونَ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، وَيَهْدِيهِمُ اللهُ بِهَا، وَيَضِلُّ بِهَا الفَاسِقُونَ، يَعْرِفُهُ المُؤْمِنُونَ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَعْرِفُهُ الفَاسِقُونَ فَيَكْفُرُونَ بِهِ).. وَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ مَا الَّذِي أَرَادَ اللهُ بِهَذَا المَثَلِ مَثَلًا، فَـ (ذَا) الَّذِي مَعَ (مَا) فِي مَعْنَىٰ (الَّذِي) وَأَرَادَ صِلَتَهُ، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَىٰ المَثَلِ..

﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا﴾ يُضِلُّ اللهُ بِهِ كَثِيرًا مِنْ خَلقِهِ، وَالهَاءُ فِي ﴿بِهِۦ﴾ مِنْ ذِكْرِ المَثَلِ، وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُبْتَدَأٌ، وَمَعْنَىٰ الكَلَامِ: أَنَّ اللهَ يُضِلُّ بِالمَثَلِ الَّذِي يَضْرِبُهُ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالكُفْرِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ: (﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ يَعْنِي: المُنَافِقِينَ، ﴿وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا﴾ يَعْنِي: المُؤْمِنِينَ، فَيَزِيدُ هَؤُلَاءِ ضَلَالًا إِلَىٰ ضَلَالِهِمْ؛ لِتَكْذِيبِهِمْ بِمَا قَدْ عَلِمُوهُ حَقًّا يَقِينًا مِنَ المَثَلِ الَّذِي ضَرَبَهُ اللهُ لِمَا ضَرَبَهُ لَهُ، وَأَنَّهُ لِمَا ضَرَبَهُ لَهُ مُوَافِقٌ، فَذَلِكَ إِضْلَالُ اللهِ إِيَّاهُمْ بِهِ، ﴿وَيَهْدِي بِهِۦ﴾ يَعْنِي بِالمَثَلِ: كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ، فَيَزِيدُهُمْ هُدًىٰ إِلَىٰ هُدَاهُمْ وَإِيمَانًا إِلَىٰ إِيمَانِهِمْ؛ لِتَصْدِيقِهِمْ بِمَا قَدْ عَلِمُوهُ حَقًّا يَقِينًا

أَنَّهُ مُوَافِقٌ مَا ضَرَبَهُ اللهُ لَهُ مَثَلًا وَإِقْرَارِهِمْ بِهِ، وَذَلِكَ هِدَايَةٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ بِهِ).. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ ذَلِكَ خَبَرٌ عَنِ الْمُنَافِقِينَ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِمَثَلٍ لَا يَعْرِفُهُ كُلُّ أَحَدٍ، يَضِلُّ بِهِ هَذَا وَيَهْدِي بِهِ هَذَا، ثُمَّ اسْتُؤْنِفَ الكَلَامُ وَالخَبَرُ عَنِ اللهِ، فَقَالَ اللهُ: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦﴾، وَفِيمَا فِي سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ -مِنْ قَوْلِ اللهِ: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ﴾ - مَا يُنْبِئُ عَنْ أَنَّهُ فِي سُورَةِ البَقَرَةِ كَذَلِكَ مُبْتَدَأٌ، أَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ﴾..

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ [البقرة: ٢٦] وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ: (﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ هُمُ الْمُنَافِقُونَ)، وقَالَ قَتَادَةُ: (﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ فَسَقُوا فَأَضَلَّهُمُ اللهُ عَلَىٰ فِسْقِهِمْ)، ورُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ: (﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ هُمْ أَهْلُ النِّفَاقِ).. وَأَصْلُ الفِسْقِ فِي كَلَامِ العَرَبِ: الخُرُوجُ عَنِ الشَّيْءِ، يُقَالُ مِنْهُ: فَسَقَتِ الرُّطَبَةُ، إِذَا خَرَجَتْ مِنْ قِشْرِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ سُمِّيَتَ الفَأْرَةُ فُوَيْسِقَةً، لِخُرُوجِهَا عَنْ جُحْرِهَا، فَكَذَلِكَ المُنَافِقُ وَالكَافِرُ سُمِّيَا فَاسِقَيْنِ، لِخُرُوجِهِمَا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمَا، وَلِذَلِكَ قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي صِفَةِ إِبْلِيسَ: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]، يَعْنِي بِهِ خَرَجَ عَنْ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾: (أَيْ: بِمَا بَعُدُوا عَنْ أَمْرِي).. فَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الفَاسِقِينَ﴾ وَمَا يُضِلُّ اللهُ بِالمَثَلِ الَّذِي يَضْرِبُهُ لِأَهْلِ الضَّلَالِ وَالنِّفَاقِ، إِلَّا الخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ، وَالتَّارِكِينَ اتِّبَاعَ أَمْرِهِ، مِنْ أَهْلِ الكُفْرِ بِهِ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، وَأَهْلِ الضَّلَالِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ.

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٢٧﴾ [البقرة: ٢٧]

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ هَذَا وَصْفٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ الفَاسِقِينَ الَّذِينَ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يُضِلُّ بِالمَثَلِ الَّذِي ضَرَبَهُ لِأَهْلِ النِّفَاقِ غَيْرَهُمْ، فَقَالَ: وَمَا يُضِلُّ اللهُ بِالمَثَلِ الَّذِي يَضْرِبُهُ -عَلَىٰ مَا وَصَفَ قَبْلُ فِي الآيَاتِ المُتَقَدِّمَةِ- إِلَّا الفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ.. ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ المَعْرِفَةِ فِي مَعْنَىٰ العَهْدِ الَّذِي وَصَفَ اللهُ هَؤُلَاءِ الفَاسِقِينَ بِنَقْضِهِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ وَصِيَّةُ اللهِ إِلَىٰ خَلْقِهِ، وَأَمْرُهُ إِيَّاهُمْ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ، وَنَهْيِهِ إِيَّاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، فِي كُتُبِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَنَقْضُهُمْ ذَلِكَ تَرْكُهُمُ العَمَلَ بِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَاتُ فِي كُفَّارِ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُنَافِقِينَ مِنْهُمْ، وَإِيَّاهُمْ عَنَىٰ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾، وبِقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ فَكُلُّ مَا فِي هَذِهِ الآيَاتِ، فَعَذْلٌ لَهُمْ وَتَوْبِيخٌ إِلَىٰ انْقِضَاءِ قَصَصِهِمْ، قَالُوا: فَعَهْدُ اللهِ الَّذِي نَقَضُوهُ بَعْدَ مِيثَاقِهِ، هُوَ مَا أَخَذَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ، مِنَ العَمَلِ بِمَا فِيهَا، وَاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا بُعِثَ، وَالتَّصْدِيقِ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، وَنَقْضُهُمْ ذَلِكَ هُوَ جُحُودُهُمْ بِهِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِمْ بِحَقِيقَتِهِ، وَإِنْكَارِهِمْ ذَلِكَ، وَكِتْمَانِهِمْ عِلمَ ذَلِكَ النَّاسَ، بَعْدَ إِعْطَائِهِمُ اللهَ مِنْ أَنْفُسِهِمُ المِيثَاقَ لَيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ، فَأَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُمْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ اللهَ عَنَىٰ بِهَذِهِ الآيَةِ جَمِيعَ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَعَهْدُهُ إِلَىٰ جَمِيعِهِمْ فِي تَوْحِيدِهِ: مَا وَضَعَ لَهُمْ مِنَ الأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ، وَعَهْدُهُ إِلَيْهِمْ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ: مَا احْتَجَّ بِهِ لِرُسُلِهِ مِنَ المُعْجِزَاتِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ غَيْرُهُمْ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهَا، الشَّاهِدَةِ لَهُمْ عَلَىٰ صِدْقِهِمْ، قَالُوا: وَنَقْضُهُمْ ذَلِكَ تَرْكُهُمُ الإِقْرَارَ بِمَا قَدْ تَبَيَّنَتْ لَهُمْ صِحَّتُهُ بِالأَدِلَّةِ، وَتَكْذِيبُهُمُ الرُّسُلَ وَالكُتُبَ، مَعَ عِلمِهِمْ أَنَّ مَا أَتَوا بِهِ حَقٌّ.. وَقَالَ آخَرُونَ: العَهْدُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ، هُوَ العَهْدُ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ حِينَ أَخْرَجَهُمْ مِنْ صُلبِ آدَمَ، الَّذِي وَصَفَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣] وَنَقْضُهُمْ ذَلِكَ تَرْكُهُمُ الوَفَاءَ بِهِ.. وَأَوْلَىٰ الأَقْوَالِ عِنْدِي بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الآيَاتِ نَزَلَتْ فِي كُفَّارِ أَحْبَارِ اليَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - وَمَا قَرُبَ مِنْهَا مِنْ بَقَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَنْ كَانَ عَلَىٰ شِرْكِهِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ الَّذِينَ قَدْ بَيَّنَّا قِصَصَهُمْ فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا، وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَىٰ أَنَّ قَوْلَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾، وَقَوْلَهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ فِيهِمْ أُنْزِلَتْ، وَفِيمَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ.. غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الآيَاتِ عِنْدِي، وَإِنْ كَانَتْ فِيهِمْ نَزَلَتْ، فَإِنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ، وَمَعْنِيٌّ بِمَا وَافَقَ مِنْهَا صِفَةَ المُنَافِقِينَ خَاصَّةً، جَمِيعُ المُنَافِقِينَ، وَبِمَا وَافَقَ مِنْهَا صِفَةَ كُفَّارِ أَحْبَارِ اليَهُودِ، جَمِيعُ مَنْ كَانَ لَهُمْ نَظِيرًا فِي كُفْرِهِمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَعُمُّ أَحْيَانًا جَمِيعَهُمْ بِالصِّفَةِ، لِتَقْدِيمِهِ ذِكْرَ جَمِيعِهِمْ فِي أَوَّلِ الآيَاتِ الَّتِي ذَكَرَتْ قَصَصَهُمْ، وَيَخُصُّ أَحْيَانًا بِالصِّفَةِ بَعْضَهُمْ، لِتَفْصِيلِهِ فِي أَوَّلِ الآيَاتِ بَيْنَ فَرِيقَيْهِمْ، أَعْنِي: فَرِيقَ المُنَافِقِينَ مِنْ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَأَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَفَرِيقَ كُفَّارِ أَحْبَارِ اليَهُودِ.. فَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ، هُمُ التَّارِكُونَ مَا عَهِدَ اللهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الإِقْرَارِ

بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَتَبْيِينَ نُبُوَّتِهِ لِلنَّاسِ، الكَاتِمُونَ بَيَانَ ذَلِكَ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِهِ، وَبِمَا قَدْ أَخَذَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آلِ عِمْرَان: ١٨٧]، وَنَبْذُهُمْ ذَلِكَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ هُوَ نَقْضُهُمُ العَهْدَ الَّذِي عُهِدَ إِلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ الَّذِي وَصَفْنَاهُ وَتَرْكُهُمُ العَمَلَ بِهِ.. وَإِنَّمَا قُلْتُ: إِنَّهُ عَنَىٰ بِهَذِهِ الآيَاتِ مَنْ قُلْتُ إِنَّهُ عَنَىٰ بِهَا، لِأَنَّ الآيَاتِ -مِنْ مُبْتَدَأِ الآيَاتِ الخَمْسِ وَالسِّتِّ مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ- فِيهِمْ نَزَلَتْ، إِلَىٰ تَمَامِ قِصَصِهِمْ، وَفِي الآيَةِ الَّتِي بَعْدَ الخَبَرِ عَنْ خَلْقِ آدَمَ وَبَيَانِهِ فِي قَوْلِهِ ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٤٠]، وَخِطَابُهُ إِيَّاهُمْ -جَلَّ ذِكْرُهُ- بِالوَفَاءِ فِي ذَلِكَ خَاصَّةً دُونَ سَائِرِ البَشَرِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ مَقْصُودٌ بِهِ كُفَّارُهُمْ وَمُنَافِقُوهُمْ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَشْيَاعِهِمْ مِنْ مُشْرِكِي عَبَدَةِ الأَوْثَانِ عَلَىٰ ضَلَالِهِمْ.. غَيْرَ أَنَّ الخِطَابَ -وَإِنْ كَانَ لِمَنْ وَصَفْتُ مِنَ الفَرِيقَيْنِ- فَدَاخِلٌ فِي أَحْكَامِهِمْ، وَفِيمَا أَوْجَبَ اللهُ لَهُمْ مِنَ الوَعِيدِ وَالذَّمِّ وَالتَّوْبِيخِ، كُلُّ مَنْ كَانَ عَلَىٰ سَبِيلِهِمْ وَمِنْهَاجِهِمْ مِنْ جَمِيعِ الخَلْقِ وَأَصْنَافِ الأُمَمِ المُخَاطَبِينَ بِالأَمْرِ وَالنَّهْيِ.. فَمَعْنَىٰ الآيَةِ إِذًا: وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا التَّارِكِينَ طَاعَةَ اللهِ، الخَارِجِينَ عَنِ اتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، النَّاكِثِينَ عُهُودَ اللهِ الَّتِي عَهِدَهَا إِلَيْهِمْ، فِي الكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا إِلَىٰ رُسُلِهِ وَعَلَىٰ أَلْسُنِ أَنْبِيَائِهِ، بِاتِّبَاعِ أَمْرِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَطَاعَةَ اللهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ مِنْ تَبْيِينِ أَمْرِهِ لِلنَّاسِ، وَإِخْبَارِهِمْ إِيَّاهُمْ أَنَّهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُفْتَرَضَةٌ طَاعَتُهُ، وَتَرْكُ كِتْمَانِ ذَلِكَ لَهُمْ، وَنَكْثُهُمْ ذَلِكَ وَنَقْضُهُمْ إِيَّاهُ هُوَ مُخَالَفَتُهُمُ اللهَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِمْ -فِيمَا وَصَفْتُ أَنَّهُ عَهِدَ إِلَيْهِمْ- بَعْدَ إِعْطَائِهِمْ رَبَّهُمُ المِيثَاقَ بِالوَفَاءِ بِذَلِكَ، كَمَا وَصَفَهُمْ بِهِ رَبُّنَا تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأَعْرَاف: ١٦٩]..

﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ مِنْ بَعْدِ تَوَثُّقِ اللهِ فِيهِ، بِأَخْذِ عُهُودِهِ بِالوَفَاءِ لَهُ، بِمَا عُهِدَ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ.. غَيْرَ أَنَّ التَّوَثُّقَ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِكَ: تَوَثَّقْتُ مِنْ فُلَانٍ تَوَثُّقًا، وَالمِيثَاقُ اسْمٌ مِنْهُ، وَالهَاءُ فِي المِيثَاقِ عَائِدَةٌ عَلَىٰ اسْمِ اللهِ.. وَقَدْ يَدْخُلُ فِي حُكْمِ هَذِهِ الآيَةِ كُلُّ مَنْ كَانَ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَ اللهُ بِهَا هَؤُلَاءِ الفَاسِقِينَ مِنَ المُنَافِقِينَ وَالكُفَّارِ، فِي نَقْضِ العَهْدِ وَقَطْعِ الرَّحِمِ وَالإِفْسَادِ فِي الأَرْضِ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: (فَإِيَّاكُمْ وَنَقْضَ هَذَا المِيثَاقِ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ كَرِهَ نَقْضَهُ وَأَوْعَدَ فِيهِ، وَقَدَّمَ فِيهِ فِي آيِ القُرْآنِ حُجَّةً وَمَوْعِظَةً وَنَصِيحَةً، وَإِنَّا لَا نَعْلَمُ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَوْعَدَ فِي ذَنْبٍ مَا أَوْعَدَ فِي نَقْضِ المِيثَاقِ، فَمَنْ أَعْطَىٰ عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ مِنْ ثَمَرَةِ قَلْبِهِ فَلْيَفِ بِهِ لِلهِ)، وَرُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ: (سِتُّ خِلَالٍ فِي أَهْلِ النِّفَاقِ، إِذَا كَانَتْ لَهُمُ الظَّهَرَةُ، أَظْهَرُوا هَذِهِ الخِلَالَ

السِّتَّ جَمِيعًا: إِذَا حَدَّثُوا كَذَبُوا، وَإِذَا وَعَدُوا أَخْلَفُوا، وَإِذَا اؤْتُمِنُوا خَانُوا، وَنَقَضُوا عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ، وَقَطَعُوا مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، وَأَفْسَدُوا فِي الأَرْضِ، وَإِذَا كَانَتْ عَلَيْهِمُ الظَّهَرَةُ، أَظْهَرُوا الخِلَالَ الثَّلَاثَ إِذَا حَدَّثُوا كَذَبُوا، وَإِذَا وَعَدُوا أَخْلَفُوا، وَإِذَا اؤْتُمِنُوا خَانُوا).

﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ وَالَّذِي رَغَّبَ اللهُ فِي وَصْلِهِ وَذَمَّ عَلَىٰ قَطْعِهِ فِي هَذِهِ الآيَةِ: الرَّحِمُ، وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [مُحَمَّد: ٢٢]، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِالرَّحِمِ، أَهْلَ الرَّحِمِ الَّذِينَ جَمَعَتْهُمْ وَإِيَّاهُ رَحِمٌ وَالِدَةٌ وَاحِدَةٌ، وَقَطْعُ ذَلِكَ: ظُلْمُهُ فِي تَرْكِ أَدَاءِ مَا أَلْزَمَ اللهُ مِنْ حُقُوقِهَا، وَأَوْجَبَ مِنْ بِرِّهَا، وَوَصْلُهَا: أَدَاءُ الوَاجِبِ لَهَا إِلَيْهَا مِنْ حُقُوقِ اللهِ الَّتِي أَوْجَبَ لَهَا، وَالتَّعَطُّفُ عَلَيْهَا بِمَا يَحِقُّ التَّعَطُّفُ بِهِ عَلَيْهَا.. وَ﴿أَن﴾ الَّتِي مَعَ ﴿يُوصَلَ﴾ فِي مَحَلِّ خَفْضٍ، بِمَعْنَىٰ رَدِّهَا عَلَىٰ مَوْضِعِ الهَاءِ الَّتِي فِي ﴿بِهِۦٓ﴾، فَكَانَ مَعْنَىٰ الكَلَامِ: وَيَقْطَعُونَ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِأَنْ يُوصَلَ، وَالهَاءُ الَّتِي فِي ﴿بِهِۦٓ﴾ هِيَ كِنَايَةٌ عَنْ ذِكْرِ ﴿أَن يُوصَلَ﴾.. وَبِمَا قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ وَأَنَّهُ الرَّحِمُ، كَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: (فَقَطَعُ وَاللهِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ بِقَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَالقُرَابَةِ).. وَقَدْ تَأَوَّلَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ ذَمَّهُمْ بِقَطْعِهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالمُؤْمِنِينَ بِهِ وَأَرْحَامَهُمْ، وَاسْتَشْهَدَ عَلَىٰ ذَلِكَ بِعُمُومِ ظَاهِرِ الآيَةِ، وَأَنْ لَا دَلَالَةَ عَلَىٰ أَنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهَا بَعْضُ مَا أَمَرَ اللهُ وَصْلَهُ دُونَ بَعْضٍ، وَهَذَا مَذْهَبٌ مِنْ تَأْوِيلِ الآيَةِ غَيْرُ بَعِيدٍ مِنَ الصَّوَابِ، وَلَكِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ ذَكَرَ المُنَافِقِينَ فِي غَيْرِ آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ، فَوَصَفَهُمْ بِقَطْعِ الأَرْحَامِ، فَهَذِهِ نَظِيرَةُ تِلْكَ، غَيْرَ أَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ كَذَلِكَ فَهِيَ دَالَّةٌ عَلَىٰ ذَمِّ اللهِ كُلَّ قَاطِعٍ قَطَعَ مَا أَمَرَ اللهُ بِوَصْلِهِ، رَحِمًا كَانَتْ أَوْ غَيْرَهَا..

﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وَفَسَادُهُمْ فِي الأَرْضِ هُوَ مَا تَقَدَّمَ وَصَفْنَاهُ قَبْلُ مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ، وَكُفْرِهِمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ، وَجَحْدِهِمْ نُبُوَّتَهُ، وَإِنْكَارِهِمْ مَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ أَنَّهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِهِ..

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧] وَالخَاسِرُونَ جَمْعُ خَاسِرٍ، وَالخَاسِرُونَ: النَّاقِصُونَ أَنْفُسَهُمْ حُظُوظَهَا -بِمَعْصِيَتِهِمُ اللهَ- مِنْ رَحِمَتِهِ، كَمَا يَخْسَرُ الرَّجُلُ فِي تِجَارَتِهِ، بِأَنْ يُوضَعَ مِنْ رَأْسِ مَالِهِ فِي بَيْعِهِ، فَكَذَلِكَ الكَافِرُ وَالمُنَافِقُ، خَسِرَ بِحِرْمَانِ اللهِ إِيَّاهُ رَحْمَتَهُ الَّتِي خَلَقَهَا لِعِبَادِهِ فِي القِيَامَةِ، أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَىٰ رَحْمَتِهِ، يُقَالُ مِنْهُ: خَسِرَ الرَّجُلُ يَخْسَرُ خَسْرًا وَخُسْرَانًا وَخَسَارًا.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أُولَئِكَ هُمُ الهَالِكُونَ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَائِلُ ذَلِكَ أَرَادَ مَا قُلْنَا مِنْ هَلَاكِ الَّذِي وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَهُ بِهَا فِي هَذِهِ الآيَةِ، بِحِرْمَانِ اللهِ إِيَّاهُ مَا حَرَمَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، بِمَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ وَكُفْرِهِ بِهِ، فَحَمَلَ تَأْوِيلَ الكَلَامِ عَلَىٰ مَعْنَاهُ، دُونَ البَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ عَيْنِ الكَلِمَةِ بِعَيْنِهَا، فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ رُبَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ لِعِلَلٍ كَثِيرَةٍ

تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ بِمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (كُلُّ شَيْءٍ نَسَبَهُ اللهُ إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِ الإِسْلَامِ مِنَ اسْمِ مِثْلِ خَاسِرٍ، فَإِنَّمَا يَعْنِي بِهِ الكُفْرَ، وَمَا نَسَبَهُ إِلَىٰ أَهْلِ الإِسْلَامِ، فَإِنَّمَا يَعْنِي بِهِ الذَّنْبَ).

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨]

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ وَهَذِهِ الآيَةُ تَوْبِيخٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلقَائِلِينَ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ الَّذِينَ أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ مَعَ قِيلِهِمْ ذَلِكَ بِأَفْوَاهِهِمْ، غَيْرُ مُؤْمِنِينَ بِهِ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَقُولُونَ ذَلِكَ خِدَاعًا للهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، فَعَذَلَهُمُ اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾، وَوَبَّخَهُمْ وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ -فِي نَكِيرِهِمْ مَا أَنْكَرُوا مِنْ ذَلِكَ وَجُحُودِهِمْ مَا جَحَدُوا بِقُلُوبِهِمُ المَرِيضَةِ- فَقَالَ: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ فَتَجْحَدُونَ قُدْرَتَهُ عَلَىٰ إِحْيَائِكُمْ بَعْدَ إِمَاتَتِكُمْ، لِبَعْثِ القِيَامَةِ، وَمُجَازَاةِ المُسِيءِ مِنْكُمْ بِالإِسَاءَةِ وَالمُحْسِنِ بِالإِحْسَانِ.. وَ﴿كَيْفَ﴾ بِمَعْنَىٰ التَّعَجُّبِ وَالتَّوْبِيخِ، لَا بِمَعْنَىٰ الاسْتِفْهَامِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَيْحَكُمْ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ، كَمَا قَالَ: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [التكوير: ٢٦]..

﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ وَقَدْ كُنْتُمْ نُطَفًا، أَمْوَاتَ الذِّكْرِ، خُمُولًا فِي أَصْلَابِ آبَائِكُمْ، لَا تُعْرَفُونَ وَلَا تُذْكَرُونَ.. وَحَلَّ قَوْلُهُ: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ مَحَلَّ الحَالِ، وَفِيهِ ضَمِيرُ (قَدْ)، وَلَكِنَّهَا حُذِفَتْ لِمَا فِي الكَلَامِ مِنَ الدَّلِيلِ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ أَنْ (فَعَلَ) إِذَا حَلَّتْ مَحَلَّ الحَالِ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهَا مُقْتَضِيَةٌ (قَدْ) كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠]، بِمَعْنَىٰ: قَدْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ، وَكَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ: أَصْبَحْتَ كَثُرَتْ مَاشِيَتُكَ، تُرِيدُ: قَدْ كَثُرَتْ مَاشِيَتُكَ..

﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ بِإِنْشَائِكُمْ بَشَرًا سَوِيًّا حَتَّىٰ ذُكِرْتُمْ وَعُرِفْتُمْ وَحَيِيتُمْ..

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بِقَبْضِ أَرْوَاحِكُمْ وَإِعَادَتِكُمْ رُفَاتًا، لَا تُعْرَفُونَ وَلَا تُذْكَرُونَ، فِي البَرْزَخِ إِلَىٰ يَوْمِ تُبْعَثُونَ..

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بَعْدَ ذَلِكَ بِنَفْخِ الأَرْوَاحِ فِيكُمْ؛ لِبَعْثِ السَّاعَةِ وَصَيْحَةِ القِيَامَةِ..

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨] بَعْدَ ذَلِكَ، لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُحْيِيهِمْ فِي قُبُورِهِمْ قَبْلَ حَشْرِهِمْ، ثُمَّ يَحْشُرُهُمْ لِمَوْقِفِ الحِسَابِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المعارج: ٤٣]، وَقَالَ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: ٥١].. فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِقُدْرَتِهِ، غَيْرُ مُعْجِزِهِ -بِالقُدْرَةِ الَّتِي فَعَلَ ذَلِكَ بِكُمْ- إِحْيَاؤُكُمْ بَعْدَ إِمَاتَتِكُمْ، وَإِعَادَتُكُمْ بَعْدَ إِفْنَائِكُمْ، وَحَشْرُكُمْ إِلَيْهِ لِمُجَازَاتِكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ..

ثُمَّ عَدَّدَ رَبُّنَا تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ مِنْ أَحْبَارِ اليَهُودِ -الَّذِينَ جَمَعَ بَيْنَ قِصَصِهِمْ وَقِصَصِ المُنَافِقِينَ فِي كَثِيرٍ مِنْ آيِ هَذِهِ السُّورَةِ الَّتِي افْتَتَحَ الخَبَرَ عَنْهُمْ فِيهَا بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ - نِعَمَهُ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْهُ إِلَيْهِمْ وَإِلَىٰ آبَائِهِمْ، الَّتِي عَظُمَتْ مِنْهُمْ مَوَاقِعُهَا، ثُمَّ سَلَبَ كَثِيرًا مِنْهُمْ كَثِيرًا مِنْهَا، بِمَا رَكِبُوا مِنَ الآثَامِ، وَاجْتَرَمُوا مِنَ الأَجْرَامِ، وَخَالَفُوا مِنَ الطَّاعَةِ إِلَىٰ المَعْصِيَةِ، مُحَذِّرَهُمْ بِذَلِكَ تَعْجِيلَ العُقُوبَةِ لَهُمْ، كَالَّتِي عَجَّلَهَا لِلأَسْلَافِ وَالأَفْرَاطِ قَبْلَهُمْ، وَمُخَوِّفَهُمْ حُلُولَ مَثُلَاتِهِ بِسَاحَتِهِمْ كَالَّذِي أَحَلَّ بِأَوَّلِيهِمْ، وَمُعَرِّفَهُمْ مَا لَهُمْ مِنَ النَّجَاةِ فِي سُرْعَةِ الأَوْبَةِ إِلَيْهِ، وَتَعْجِيلِ التَّوْبَةِ، مِنَ الخَلَاصِ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ العِقَابِ، فَبَدَأَ بَعْدَ تَعْدِيدِهِ عَلَيْهِمْ مَا عَدَّدَ مِنْ نِعَمِهِ الَّتِي هُمْ فِيهَا مُقِيمُونَ، بِذِكْرِ أَبِينَا وَأَبِيهِمْ آدَمَ أَبِي البَشَرِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، وَمَا سَلَفَ مِنْهُ مِنْ كَرَامَتِهِ إِلَيْهِ، وَآلَائِهِ لَدَيْهِ، وَمَا أَحَلَّ بِهِ وَبِعَدُوِّهِ إِبْلِيسَ مِنْ عَاجِلِ عُقُوبَتِهِ بِمَعْصِيَتِهِمَا الَّتِي كَانَتْ مِنْهُمَا، وَمُخَالَفَتِهِمَا أَمْرَهُ الَّذِي أَمَرَهُمَا بِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ تَغَمُّدِهِ آدَمَ بِرَحْمَتِهِ إِذْ تَابَ وَأَنَابَ إِلَيْهِ، وَمَا كَانَ مِنْ إِحْلَالِهِ بِإِبْلِيسَ مِنْ لَعْنَتِهِ فِي العَاجِلِ، وَإِعْدَادِهِ لَهُ مَا أَعَدَّ لَهُ مِنَ العَذَابِ المُقِيمِ فِي الآجِلِ، إِذِ اسْتَكْبَرَ وَأَبَىٰ التَّوْبَةَ إِلَيْهِ وَالإِنَابَةَ، مُنَبِّهًا لَهُمْ عَلَىٰ حُكْمِهِ فِي المُنِيبِينَ إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ، وَقَضَائِهِ فِي المُسْتَكْبِرِينَ عَنِ الإِنَابَةِ، إِعْذَارًا مِنَ اللهِ بِذَلِكَ إِلَيْهِمْ، وَإِنْذَارًا لَهُمْ، لِيَتَدَبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ مِنْهُمْ أُولُو الأَلْبَابِ، وَخَاصًّا أَهْلَ الكِتَابِ -بِمَا ذَكَرَ مِنْ قَصَصِ آدَمَ وَسَائِرِ القَصَصِ الَّتِي ذَكَرَهَا مَعَهَا وَبَعْدَهَا، مِمَّا عَلِمَهُ أَهْلُ الكِتَابِ وَجَهِلَتْهُ الأُمَّةُ الأُمِّيَّةُ مِنْ مُشْرِكِي عَبَدَةِ الأَوْثَانِ- بِالِاحْتِجَاجِ عَلَيْهِمْ -دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ أَصْنَافِ الأُمَمِ، الَّذِينَ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ بِذَلِكَ- لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، لِيَعْلَمُوا بِإِخْبَارِهِ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ، أَنَّهُ للهِ رَسُولٌ مَبْعُوثٌ، وَأَنَّ مَا جَاءَهُمْ بِهِ فَمِنْ عِنْدِهِ، إِذْ كَانَ مَا اقْتَصَّ عَلَيْهِمْ مِنْ هَذِهِ القَصَصِ، مِنْ مَكْنُونِ عُلُومِهِمْ، وَمَصُونِ مَا فِي كُتُبِهِمْ، وَخَفِيِّ أُمُورِهِمُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَدَّعِي مَعْرِفَةَ عِلْمِهَا غَيْرُهُمْ وَغَيْرُ مَنْ أَخَذَ عَنْهُمْ وَقَرَأَ كُتُبَهُمْ، وَكَانَ مَعْلُومًا مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَطُّ كَاتِبًا، وَلَا لِأَسْفَارِهِمْ تَالِيًا، وَلَا لِأَحَدٍ مِنْهُمْ مُصَاحِبًا وَلَا مُجَالِسًا، فَيُمْكِنُهُمْ أَنْ يَدَّعُوا أَنَّهُ أَخَذَ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِهِمْ أَوْ عَنْ بَعْضِهِمْ.. فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ - فِي تَعْدِيدِهِ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ فِيهِ مُقِيمُونَ مِنْ نِعَمِهِ، مَعَ كُفْرِهِمْ بِهِ، وَتَرْكِهِمْ شُكْرَهُ عَلَيْهَا بِمَا يَجِبُ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَتِهِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝٢٩﴾ [البقرة: ٢٩]

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ فَأَخْبَرَهُمْ جَلَّ ذِكْرُهُ أَنَّهُ خَلَقَ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ

جَمِيعًا؛ لِأَنَّ الأَرْضَ وَجَمِيعَ مَا فِيهَا لِبَنِي آدَمَ مَنَافِعُ، أَمَّا فِي الدِّينِ: فَدَلِيلٌ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ رَبِّهِمْ، وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا: فَمَعَاشٌ وَبَلَاغٌ لَهُمْ إِلَىٰ طَاعَتِهِ وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ.. وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ﴾ مَكْنِيٌّ مِنَ اسْمِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ عَائِدٌ عَلَىٰ اسْمِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾.. وَمَعْنَىٰ خَلقِهِ مَا خَلَقَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، إِنْشَاؤُهُ عَيْنَهُ، وَإِخْرَاجُهُ مِنْ حَالِ العَدَمِ إِلَىٰ الوُجُودِ.. و﴿مَّا﴾ بِمَعْنَىٰ (الَّذِي).. فَمَعْنَىٰ الكَلَامِ إِذًا: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ نُطَفًا فِي أَصْلَابِ آبَائِكُمْ فَجَعَلَكُمْ بَشَرًا أَحْيَاءً، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ، ثُمَّ هُوَ مُحْيِيكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَبَاعِثُكُمْ يَوْمَ الحَشْرِ لِلثَّوَابِ وَالعِقَابِ، وَهُوَ المُنْعِمُ عَلَيْكُمْ بِمَا خَلَقَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ مَعَايِشِكُمْ وَأَدِلَّتِكُمْ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ رَبِّكُمْ..

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَىٰ اسْتَوَىٰ إِلَىٰ السَّمَاءِ، أَقْبَلَ عَلَيْهَا، كَمَا تَقُولُ: كَانَ فُلَانٌ مُقْبِلًا عَلَىٰ فُلَانٍ، ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَيَّ يُشَاتِمُنِي، وَاسْتَوَىٰ إِلَيَّ يُشَاتِمُنِي، بِمَعْنَىٰ: أَقْبَلَ عَلَيَّ وَإِلَيَّ يُشَاتِمُنِي.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ بِتَحَوُّلٍ، وَلَكِنَّهُ بِمَعْنَىٰ فِعْلِهِ، كَمَا تَقُولُ: كَانَ الخَلِيفَةُ فِي أَهْلِ العِرَاقِ يُوَالِيهِمْ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَىٰ الشَّامِ، إِنَّمَا يُرِيدُ: تَحَوُّلَ فِعْلِهِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ يَعْنِي بِهِ: اسْتَوَتْ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ عَمَدَ لَهَا، وَقَالَ: بَلْ كُلُّ تَارِكٍ عَمَلًا كَانَ فِيهِ إِلَىٰ آخَرَ فَهُوَ مُسْتَوٍ لِمَا عَمَدَ لَهُ، وَمُسْتَوٍ إِلَيْهِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الِاسْتِوَاءُ هُوَ العُلُوُّ، وَالعُلُوُّ هُوَ الِارْتِفَاعُ، وَمِمَّنْ قَالَ ذَلِكَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ.. ثُمَّ اخْتَلَفَ مُتَأَوِّلُو الِاسْتِوَاءِ بِمَعْنَىٰ العُلُوِّ وَالِارْتِفَاعِ، فِي الَّذِي اسْتَوَىٰ إِلَىٰ السَّمَاءِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الَّذِي اسْتَوَىٰ إِلَىٰ السَّمَاءِ وَعَلَا عَلَيْهَا، هُوَ خَالِقُهَا وَمُنْشِئُهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلِ العَالِي عَلَيْهَا: الدُّخَانُ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ لِلأَرْضِ سَمَاءً.. وَالِاسْتِوَاءُ فِي كَلَامِ العَرَبِ مُنْصَرِفٌ عَلَىٰ وُجُوهٍ: مِنْهَا: انْتِهَاءُ شَبَابِ الرَّجُلِ وَقُوَّتِهِ، فَيُقَالُ، إِذَا صَارَ كَذَلِكَ: قَدِ اسْتَوَىٰ الرَّجُلُ، وَمِنْهَا: اسْتِقَامَةُ مَا كَانَ فِيهِ أَوَدٌ مِنَ الأُمُورِ وَالأَسْبَابِ، يُقَالُ مِنْهُ: اسْتَوَىٰ لِفُلَانٍ أَمْرُهُ، إِذَا اسْتَقَامَ بَعْدَ أَوَدٍ، وَمِنْهَا: الإِقْبَالُ عَلَىٰ الشَّيْءِ، يُقَالُ: اسْتَوَىٰ فُلَانٌ عَلَىٰ فُلَانٍ بِمَا يَكْرَهُهُ وَيَسُوءُهُ بَعْدَ الإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَمِنْهَا: الِاحْتِيَازُ وَالِاسْتِيلَاءُ، كَقَوْلِهِمْ: اسْتَوَىٰ فُلَانٌ عَلَىٰ المَمْلَكَةِ، بِمَعْنَىٰ احْتَوَىٰ عَلَيْهَا وَحَازَهَا، وَمِنْهَا: العُلُوُّ وَالِارْتِفَاعُ، كَقَوْلِ القَائِلِ، اسْتَوَىٰ فُلَانٌ عَلَىٰ سَرِيرِهِ، يَعْنِي بِهِ عُلُوَّهُ عَلَيْهِ.. وَأَوْلَىٰ المَعَانِي بِقَوْلِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ عَلَا عَلَيْهِنَّ وَارْتَفَعَ، فَدَبَّرَهُنَّ بِقُدْرَتِهِ، وَخَلَقَهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ.. وَالعَجَبُ مِمَّنْ أَنْكَرَ المَعْنَىٰ المَفْهُومَ مِنْ كَلَامِ العَرَبِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ اللهِ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَىٰ العُلُوِّ وَالِارْتِفَاعِ، هَرَبًا عِنْدَ نَفْسِهِ مِنْ أَنْ يُلْزِمَهُ بِزَعْمِهِ -إِذَا تَأَوَّلَهُ بِمَعْنَاهُ المُفْهِمِ كَذَلِكَ- أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا عَلَا وَارْتَفَعَ بَعْدَ أَنْ كَانَ تَحْتَهَا، إِلَىٰ أَنْ تَأَوَّلَهُ

بِالمَجْهُولِ مِنْ تَأْوِيلِهِ المُسْتَنْكَرِ، ثُمَّ لَمْ يَنْجُ مِمَّا هَرَبَ مِنْهُ! فَيُقَالُ لَهُ: زَعَمْتَ أَنَّ تَأْوِيلَ قَوْلِهِ ﴿ٱسۡتَوَىٰٓ﴾ أَقْبَلَ، أَفَكَانَ مُدْبِرًا عَنِ السَّمَاءِ فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا؟ فَإِنْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِإِقْبَالِ فِعْلٍ، وَلَكِنَّهُ إِقْبَالُ تَدْبِيرٍ، قِيلَ لَهُ: فَكَذَلِكَ فَقُلْ: عَلَا عَلَيْهَا عُلُوَّ مُلْكٍ وَسُلْطَانٍ، لَا عُلُوَّ انْتِقَالٍ وَزَوَالٍ، ثُمَّ لَنْ يَقُولَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ قَوْلًا إِلَّا أُلْزِمَ فِي الآخَرِ مِثْلَهُ، وَلَوْلَا أَنَّا كَرِهْنَا إِطَالَةَ الكِتَابِ بِمَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ، لَأَنْبَأْنَا عَنْ فَسَادِ قَوْلِ كُلِّ قَائِلٍ قَالَ فِي ذَلِكَ قَوْلًا لِقَوْلِ أَهْلِ الحَقِّ فِيهِ مُخَالِفًا، وَفِيمَا بَيَّنَّا مِنْهُ مَا يُشْرِفُ بِذِي الفَهْمِ عَلَىٰ مَا فِيهِ لَهُ الكِفَايَةُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.. وَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: أَخْبِرْنَا عَنِ اسْتِوَاءِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، كَانَ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ أَمْ بَعْدَهُ؟ قِيلَ: بَعْدَهُ، وَقَبْلَ أَنْ يُسَوِّيَهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾ [فُصِّلَت: ١١]، وَالِاسْتِوَاءُ كَانَ بَعْدَ أَنْ خَلَقَهَا دُخَانًا، وَقَبْلَ أَنْ يُسَوِّيَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا قَالَ: ﴿ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ وَلَا سَمَاءَ، كَقَوْلِ الرَّجُلِ لِآخَرَ: اعْمَلْ هَذَا الثَّوْبَ، وَإِنَّمَا مَعَهُ غَزْلٌ..

﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ﴾ هَيَّأَهُنَّ وَخَلَقَهُنَّ وَدَبَّرَهُنَّ وَقَوَّمَهُنَّ، وَالتَّسْوِيَةُ فِي كَلَامِ العَرَبِ التَّقْوِيمُ وَالإِصْلَاحُ وَالتَّوْطِئَةُ، كَمَا يُقَالُ: سَوَّىٰ فَلَانٌ لِفُلَانٍ هَذَا الأَمْرَ، إِذَا قَوَّمَهُ وَأَصْلَحَهُ وَوَطَّأَهُ لَهُ، فَكَذَلِكَ تَسْوِيَةُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ سَمَاوَاتِهِ: تَقْوِيمُهُ إِيَّاهُنَّ عَلَىٰ مَشِيئَتِهِ، وَتَدْبِيرُهُ لَهُنَّ عَلَىٰ إِرَادَتِهِ، وَتَفْتِيقُهُنَّ بَعْدَ ارْتِتَاقِهِنَّ.. فَمَعْنَىٰ الكَلَامِ إِذًا: هُوَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ، فَخَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَسَخَّرَهُ لَكُمْ تَفَضُّلًا مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ، لِيَكُونَ لَكُمْ بَلَاغًا فِي دُنْيَاكُمْ وَمَتَاعًا إِلَىٰ مُوَافَاةِ آجَالِكُمْ، وَدَلِيلًا لَكُمْ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ رَبِّكُمْ، ثُمَّ عَلَا إِلَىٰ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَهِيَ دُخَانٌ، فَسَوَّاهُنَّ وَحَبَكَهُنَّ، وَأَجْرَىٰ فِي بَعْضِهِنَّ شَمْسَهُ وَقَمَرَهُ وَنُجُومَهُ، وَقَدَّرَ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ مَا قَدَّرَ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩﴾ [البقرة: ٢٩] يَعْنِي بِقَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ ﴿وَهُوَ﴾ نَفْسَهُ، وَبِقَوْلِهِ: ﴿بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩﴾ إِنَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ، وَخَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا، وَسَوَّىٰ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ بِمَا فِيهِنَّ فَأَحْكَمَهُنَّ مِنْ دُخَانِ المَاءِ، وَأَتْقَنَ صُنْعَهُنَّ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ -أَيُّهَا المُنَافِقُونَ وَالمُلحِدُونَ الكَافِرُونَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ- مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَإِنْ أَبْدَىٰ مُنَافِقُوكُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ قَوْلَهُمْ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾، وَهُمْ عَلَىٰ التَّكْذِيبِ بِهِ مُنْطَوُونَ، وَكَذَّبَتْ أَحْبَارُكُمْ بِمَا أَتَاهُمْ بِهِ رَسُولِي مِنَ الهُدَىٰ وَالنُّورِ، وَهُمْ بِصِحَّتِهِ عَارِفُونَ، وَجَحَدُوهُ وَكَتَمُوا مَا قَدْ أَخَذْتُ عَلَيْهِمْ -بِبَيَانِهِ لِخَلْقِي مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ وَنُبُوَّتِهِ- المَوَاثِيقَ وَهُمْ بِهِ عَالِمُونَ، بَلْ أَنَا عَالِمٌ بِذَلِكَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَغَيْرِهِ مِنْ أُمُورِكُمْ وَأُمُورِ غَيْرِكُمْ، إِنِّي بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.. وَقَوْلُهُ: ﴿عَلِيمٌ﴾ بِمَعْنَىٰ عَالِمٍ، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (هُوَ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي عِلْمِهِ).

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة: ٣٠]

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ قَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا مَضَىٰ: أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَاطَبَ الَّذِينَ خَاطَبَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ بِهَذِهِ الآيَاتِ وَالَّتِي بَعْدَهَا، مُوَبِّخَهُمْ، مُقَبِّحًا إِلَيْهِمْ سُوءَ فِعَالِهِمْ وَمُقَامِهِمْ عَلَىٰ ضَلَالِهِمْ، مَعَ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ أَسْلَافِهِمْ، وَمُذَكِّرَهُمْ -بِتَعْدِيدِ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ أَسْلَافِهِمْ- بَأْسَهُ، أَنْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ مَنْ هَلَكَ مِنْ أَسْلَافِهِمْ فِي مَعْصِيَتِهِ، فَيَسْلُكُ بِهِمْ سَبِيلَهُمْ فِي عُقُوبَتِهِ، وَمُعَرِّفَهُمْ مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ تَعَطُّفِهِ عَلَىٰ التَّائِبِ مِنْهُمْ، اسْتِعْتَابًا مِنْهُ لَهُمْ، فَكَانَ مِمَّا عَدَّدَ مِنْ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ خَلَقَ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا، وَسَخَّرَ لَهُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ شَمْسِهَا وَقَمَرِهَا وَنُجُومِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَنَافِعِهَا الَّتِي جَعَلَهَا لَهُمْ وَلِسَائِرِ بَنِي آدَمَ مَعَهُمْ مَنَافِعَ، فَكَانَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٢٨﴾ مَعْنَىٰ (اذْكُرُوا) نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ، (إِذْ) خَلَقْتُكُمْ وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا، وَخَلَقْتُ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا، وَسَوَّيْتُ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ عَطَفَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ عَلَىٰ المَعْنَىٰ المُقْتَضَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ إِذْ كَانَ مُقْتَضِيًا مَا وَصَفْتُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ﴾ (إِذْ) فَعَلْتُ بِكُمْ وَفَعَلْتُ، و(اذْكُرُوا) فِعْلِي بِأَبِيكُمْ آدَمَ (إِذْ) قُلْتُ ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، فَلَمَّا كَانَتِ الأُولَىٰ مُقْتَضِيَةً ﴿إِذْ﴾ عَطَفَ بِـ ﴿إِذْ﴾ عَلَىٰ مَوْضِعِهَا فِي الأُولَىٰ..

﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ جَمْعُ مَلأَكٍ، غَيْرَ أَنَّ أَحَدَهُمْ بِغَيْرِ الهَمْزَ أَكْثَرُ وَأَشْهَرُ فِي كَلَامِ العَرَبِ مِنْهُ بِالهَمْزِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي وَاحِدِهِمْ: مَلَكٌ مِنَ المَلَائِكَةِ، وَأَصْلُ المَلأَكُ: الرِّسَالَةُ، فَسُمِّيَتِ المَلَائِكَةُ مَلَائِكَةً بِالرِّسَالَةِ؛ لِأَنَّهَا رُسُلُ اللهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْبِيَائِهِ، وَمَنْ أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ..

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنِّي فَاعِلٌ، رُوِي عن الحسنِ وقتادةَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنِّي خَالِقٌ، رُوِي عَنْ أَبِي رَوْقٍ عَطِيَّةَ بْنِ الحارثِ.. وَالصَّوَابُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أَيْ: مُسْتَخْلِفٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً، وَمُصَيِّرٌ فِيهَا خُلَفَاءَ، وَذَلِكَ أَشْبَهُ بِتَأْوِيلِ قَوْلِ الحَسَنِ وَقَتَادَةَ..

﴿خَلِيفَةً﴾ وَالخَلِيفَةُ الفَعِيلَةُ، مِنْ قَوْلِكَ: خَلَفَ فُلَانٌ فُلَانًا فِي هَذَا الأَمْرِ، إِذَا قَامَ مَقَامَهُ فِيهِ بَعْدَهُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ١٤﴾ [يُونُس: ١٤]، يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ أَبْدَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مِنْهُمْ، فَجَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ بَعْدَهُمْ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلسُّلْطَانِ الأَعْظَمِ: خَلِيفَةً؛ لِأَنَّهُ خَلَفَ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، فَقَامَ بِالأَمْرِ مَقَامَهُ، فَكَانَ مِنْهُ خَلَفًا.. وَرُوِي

عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يَقُولُ: (سَاكِنًا وَعَامِرًا يَسْكُنُهَا وَيَعْمُرُهَا خَلَفًا، لَيْسَ مِنْكُمْ).. وَلَيْسَ الَّذِي قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي مَعْنَىٰ الخَلِيفَةِ بِتَأْوِيلِهَا -وَإِنْ كَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا أَخْبَرَ مَلَائِكَتَهُ أَنَّهُ جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً يَسْكُنُهَا- وَلَكِنَّ مَعْنَاهَا مَا وَصَفْتُ قَبْلُ..

﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ **إِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ**: وَكَيْفَ قَالَتِ المَلَائِكَةُ لِرَبِّهَا إِذْ أَخْبَرَهَا أَنَّهُ جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ وَلَمْ يَكُنْ آدَمُ بَعْدُ مَخْلُوقًا وَلَا ذُرِّيَّتُهُ، فَيَعْلَمُوا مَا يَفْعَلُونَ عِيَانًا؟ أَعَلِمَتِ الغَيْبَ فَقَالَتْ ذَلِكَ؟ أَمْ قَالَتْ مَا قَالَتْ مِنْ ذَلِكَ ظَنًّا؟ فَذَلِكَ شَهَادَةٌ مِنْهَا بِالظَّنِّ وَقَوْلٌ بِمَا لَا تَعْلَمُ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ صِفَتِهَا، أَمْ مَا وَجْهُ قِيلِهَا ذَلِكَ لِرَبِّهَا؟ **قِيلَ**: قَدْ قَالَتِ العُلَمَاءُ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِي ذَلِكَ أَقْوَالًا، **وَأَوْلَىٰ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ** بِقَوْلِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، مُخْبِرًا عَنْ مَلَائِكَتِهِ قِيلَهَا لَهُ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ تَأْوِيلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ **مِنْهَا اسْتِخْبَارٌ لِرَبِّهَا**، بِمَعْنَىٰ: أَعْلِمْنَا يَا رَبَّنَا أَجَاعِلٌ أَنْتَ فِي الأَرْضِ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ، وَتَارِكٌ أَنْ تَجْعَلَ خُلَفَاءَكَ مِنَّا، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ، **لَا إِنْكَارَ مِنْهَا لِمَا أَعْلَمَهَا رَبُّهَا أَنَّهُ فَاعِلٌ**، وَإِنْ كَانَتْ قَدِ اسْتَعْظَمَتْ لَمَّا أُخْبِرَتْ بِذَلِكَ، أَنْ يَكُونَ للهِ خَلْقٌ يَعْصِيهِ.. **وَأَمَّا دَعْوَىٰ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ كَانَ أَذِنَ لَهَا بِالسُّؤَالِ عَنْ ذَلِكَ فَسَأَلَتْهُ عَلَىٰ وَجْهِ التَّعَجُّبِ**، فَدَعْوَىٰ لَا دَلَالَةَ عَلَيْهَا فِي ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ، وَلَا خَبَرَ بِهَا مِنَ الحُجَّةِ يَقْطَعُ العُذْرَ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُقَالَ فِي تَأْوِيلِ كِتَابِ اللهِ بِمَا لَا دَلَالَةَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ الوُجُوهِ الَّتِي تَقُومُ بِهَا الحُجَّةُ.. **وَأَمَّا وَصْفُ المَلَائِكَةِ مَنْ وَصَفَتْ -فِي اسْتِخْبَارِهَا رَبَّهَا عَنْهُ- بِالفَسَادِ فِي الأَرْضِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ**، فَغَيْرُ مُسْتَحِيلٍ فِيهِ مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ مِنَ القَوْلِ الَّذِي رَوَاهُ السُّدِّيُّ، وَوَافَقَهُمَا عَلَيْهِ قَتَادَةُ مِنَ التَّأْوِيلِ، وَهُوَ **أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَهُمْ** أَنَّهُ جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً تَكُونُ لَهُ ذُرِّيَّةٌ يَفْعَلُونَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالُوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾.. **فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ**: **وَمَا وَجْهُ اسْتِخْبَارِهَا**، وَالأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتَ، مِنْ **أَنَّهَا قَدْ أُخْبِرَتْ أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ؟ قِيلَ**: وَجْهُ اسْتِخْبَارِهَا حِينَئِذٍ يَكُونُ **عَنْ حَالِهِمْ عِنْدَ وُقُوعِ ذَلِكَ، وَهَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ**؟ وَمَسْأَلَتُهُمْ رَبَّهُمْ أَنْ يَجْعَلَهُمُ الخُلَفَاءَ فِي الأَرْضِ حَتَّىٰ لَا يَعْصُوهُ.. وَغَيْرُ فَاسِدٍ أَيْضًا مَا رَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَتَابَعَهُ عَلَيْهِ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، مِنْ أَنَّ المَلَائِكَةَ قَالَتْ ذَلِكَ لَمَّا كَانَ عِنْدَهَا مِنْ عِلمِ سُكَّانِ الأَرْضِ -قَبْلَ آدَمَ- مِنَ الجِنِّ، فَقَالَتْ لِرَبِّهَا: أَجَاعِلٌ فِيهَا أَنْتَ مِثْلَهُمْ مِنَ الخَلْقِ يَفْعَلُونَ مِثْلَ الَّذِي كَانُوا يَفْعَلُونَ؟ **عَلَىٰ وَجْهِ الِاسْتِعْلَامِ مِنْهُمْ لِرَبِّهِمْ، لَا عَلَىٰ وَجْهِ الإِيجَابِ أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ كَذَلِكَ**، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْهَا إِخْبَارًا عَمَّا لَمْ تَطَّلِعْ عَلَيْهِ مِنْ عِلمِ الغَيْبِ.. وَغَيْرُ خَطَأٍ أَيْضًا مَا قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ مِنْ أَنْ يَكُونَ قِيلُ المَلَائِكَةِ مَا قَالَتْ مِنْ ذَلِكَ، **عَلَىٰ وَجْهِ التَّعَجُّبِ مِنْهَا مِنْ أَنْ يَكُونَ للهِ خَلْقٌ يَعْصِي خَالِقَهُ**..

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ يَعْنِي: إِنَّا نُعَظِّمُكَ بِالحَمْدِ لَكَ وَالشُّكْرِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [النَّصر: ٣]، وَكَمَا قَالَ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشُّورَىٰ: ٥]، وَكُلُّ ذِكْرٍ للهِ عِنْدَ العَرَبِ فَتَسْبِيحٌ وَصَلَاةٌ، يَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: قَضَيْتُ سُبْحَتِي مِنَ الذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ التَّسْبِيحَ صَلَاةُ المَلَائِكَةِ.. وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ، أَيُّ الكَلَامِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ فَقَالَ: «مَا اصْطَفَىٰ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ».. وَأَصْلُ التَّسْبِيحِ للهِ عِنْدَ العَرَبِ: التَّنْزِيهُ لَهُ مِنْ إِضَافَةِ مَا لَيْسَ مِنْ صِفَاتِهِ إِلَيْهِ، وَالتَّبْرِئَةُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ.. وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ فِي هَذَا المَوْضِعِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَوْلُهُمْ ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ نُصَلِّي لَكَ، رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ التَّسْبِيحُ المَعْلُومُ، قَالَهُ قَتَادَةُ..

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ وَالتَّقْدِيسُ هُوَ التَّطْهِيرُ وَالتَّعْظِيمُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ) يُعْنَىٰ بِقَوْلِهِمْ: (سُبُّوحٌ) تَنْزِيهٌ للهِ، وَبِقَوْلِهِمْ: (قُدُّوسٌ) طَهَارَةٌ لَهُ وَتَعْظِيمٌ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلأَرْضِ: (أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ) يُعْنَىٰ بِذَلِكَ المُطَهَّرَةُ.. فَمَعْنَىٰ قَوْلِ المَلَائِكَةِ إِذًا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ نُنَزِّهُكَ وَنُبَرِّئُكَ مِمَّا يُضِيفُهُ إِلَيْكَ أَهْلُ الشِّرْكِ بِكَ، وَنُصَلِّي لَكَ، ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، نَنْسِبُكَ إِلَىٰ مَا هُوَ مِنْ صِفَاتِكَ، مِنَ الطَّهَارَةِ مِنَ الأَدْنَاسِ، وَمَا أَضَافَ إِلَيْكَ أَهْلُ الكُفْرِ بِكَ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ تَقْدِيسَ المَلَائِكَةِ لِرَبِّهَا صَلَاتُهَا لَهُ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ نُعَظِّمُكَ وَنُمَجِّدُكَ، قاله أَبُو صَالِحٍ، ومُجَاهِدٌ.. وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَ التَّقْدِيسَ الصَّلَاةُ أَوِ التَّعْظِيمُ، فَإِنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَىٰ المَعْنَىٰ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّطْهِيرِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ صَلَاتَهَا لِرَبِّهَا تَعْظِيمٌ مِنْهَا لَهُ، وَتَطْهِيرٌ مِمَّا يَنْسُبُهُ إِلَيْهِ أَهْلُ الكُفْرِ بِهِ..

﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة: ٣٠] قَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠﴾ مِمَّا اطَّلَعَ عَلَيْهِ مِنْ إِبْلِيسَ، وَإِضْمَارِهِ المَعْصِيَةَ للهِ وَإِخْفَائِهِ الكِبْرَ، مِمَّا اطَّلَعَ عَلَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْهُ وَخَفِيَ عَلَىٰ مَلَائِكَتِهِ، كما رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وابْنِ مَسْعُودٍ، وابنِ إسحاقٍ، وقاله مجاهدٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠﴾ مِنْ أَنَّهُ يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ الخَلِيفَةِ أَهْلُ الطَّاعَةِ وَالوِلَايَةِ للهِ، قَالَ قَتَادَةُ: (فَكَانَ فِي عِلْمِ اللهِ أَنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ الخَلِيفَةِ أَنْبِيَاءُ وَرُسُلٌ وَقَوْمٌ صَالِحُونَ وَسَاكِنُو الجَنَّةِ).. وَهَذَا الخَبَرُ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُنْبِئُ عَنْ أَنَّ المَلَائِكَةَ الَّتِي قَالَتْ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ اسْتَفْظَعَتْ أَنْ يَكُونَ للهِ خَلْقٌ يَعْصِيهِ، وَعَجِبَتْ مِنْهُ إِذْ أُخْبِرَتْ أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ، فَلِذَلِكَ قَالَ لَهُمْ رَبُّهُمْ: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠﴾.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة: ٣١]

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (بَعَثَ رَبُّ العِزَّةِ مَلَكَ المَوْتِ فَأَخَذَ مِنْ أَدِيمِ الأَرْضِ، مِنْ عَذْبِهَا وَمَالِحِهَا، فَخَلَقَ مِنْهُ آدَمَ، وَمِنْ ثَمَّ سُمِّيَ آدَمَ؛ لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ أَدِيمِ الأَرْضِ)، ورُوِي عَنْ عَلِيٍّ: (إِنَّ آدَمَ خُلِقَ مِنْ أَدِيمِ الأَرْضِ، فِيهِ الطَّيِّبُ وَالصَّالِحُ وَالرَّدِيءُ، فَكُلُّ ذَلِكَ أَنْتَ رَاءٍ فِي وَلَدِهِ، الصَّالِحُ وَالرَّدِيءُ)، وقال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: (خُلِقَ آدَمُ مِنْ أَدِيمِ الأَرْضِ، فَسُمِّيَ آدَمَ)، ورُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ: (أَنَّ مَلَكَ المَوْتِ لمَّا بُعِثَ لِيَأْخُذَ مِنَ الأَرْضِ تُرْبَةَ آدَمَ، أَخَذَ مِنْ وَجْهِ الأَرْضِ وَخَلَطَ، فَلَمْ يَأْخُذْ مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَأَخَذَ مِنْ تُرْبَةٍ حَمْرَاءَ وَبَيْضَاءَ وَسَوْدَاءَ، فَلِذَلِكَ خَرَجَ بَنُو آدَمَ مُخْتَلِفِينَ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ آدَمَ، لِأَنَّهُ أُخِذَ مِنْ أَدِيمِ الأَرْضِ)، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَبَرٌ يُحَقِّقُ مَا قَالَ مَنْ حَكَيْنَا قَوْلَهُ فِي مَعْنَىٰ آدَمَ، فعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَىٰ قَدْرِ الأَرْضِ، جَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَسْوَدُ وَالأَبْيَضُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالحَزْنُ، وَالخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ).. فَعَلَىٰ التَّأْوِيلِ الَّذِي تَأَوَّلَ ﴿ءَادَمَ﴾ مَنْ تَأَوَّلَهُ، بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ خُلِقَ مِنْ أَدِيمِ الأَرْضِ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَصْلُ ﴿ءَادَمَ﴾ فِعْلًا سُمِّيَ بِهِ أَبُو البَشَرِ، كَمَا سُمِّيَ (أَحْمَدُ) بِالفِعْلِ مِنَ الإِحْمَادِ، و(أَسْعَدُ) مِنَ الإِسْعَادِ، فَلِذَلِكَ لَمْ يُجَرَّ.. وَيَكُونُ تَأْوِيلُهُ حِينَئِذٍ: آدَمَ المَلَكُ الأَرْضَ، يَعْنِي بِهِ بَلَغَ أَدَمَتَهَا، وَأَدَمَتُهَا: وَجْهُهَا الظَّاهِرُ لِرَأْيِ العَيْنِ، كَمَا أَنَّ جِلْدَةُ كُلِّ ذِي جِلْدَةٍ لَهُ أَدَمَةٌ، وَمِنْ ذَلِكَ سُمِّيَ الإِدَامُ إِدَامًا، لِأَنَّهُ صَارَ كَالجِلْدَةِ العُلْيَا مِمَّا هِيَ مِنْهُ، ثُمَّ نُقِلَ مِنَ الفِعْلِ فَجُعِلَ اسْمًا لِلشَّخْصِ بِعَيْنِهِ..

﴿ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ رُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (عَلَّمَ اللهُ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَهِيَ هَذِهِ الأَسْمَاءُ الَّتِي يَتَعَارَفُ بِهَا النَّاسُ: إِنْسَانٌ وَدَابَّةٌ، وَأَرْضٌ وَسَهْلٌ وَبَحْرٌ وَجَبَلٌ وَحِمَارٌ، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ مِنَ الأُمَمِ وَغَيْرِهَا)، وقَالَ مُجَاهِدٌ، ورُوِي عن الرَّبِيعِ: (عَلَّمَهُ اسْمَ كُلِّ شَيْءٍ)، وقَالَ قَتَادَةُ: (أَنْبَأَ كُلَّ صِنْفٍ مِنَ الخَلْقِ بِاسْمِهِ، وَأَلْجَأَهُ إِلَىٰ جِنْسِهِ)، وقَالَ أَيْضًا: (عَلَّمَهُ اسْمَ كُلِّ شَيْءٍ، هَذَا جَبَلٌ، وَهَذَا بَحْرٌ، وَهَذَا كَذَا وَهَذَا كَذَا، لِكُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ عَرَضَ تِلْكَ الأَشْيَاءَ عَلَىٰ المَلَائِكَةِ فَقَالَ: أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ).. وَقَالَ آخَرُونَ: عَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا، أَسْمَاءَ المَلَائِكَةِ، كما رُوِي عَنِ الرَّبِيعِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا عَلَّمَهُ أَسْمَاءَ ذُرِّيَّتِهِ كُلِّهَا، قالَه ابْنُ زَيْدٍ.. وَأَوْلَىٰ هَذِهِ الأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ، وَأَشْبَهُهَا بِمَا دَلَّ عَلَىٰ صِحَّتِهِ ظَاهِرُ التِّلَاوَةِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ إِنَّهَا أَسْمَاءُ ذُرِّيَّتِهِ

وَأَسْمَاءُ الْمَلَائِكَةِ، دُونَ أَسْمَاءِ سَائِرِ أَجْنَاسِ الْخَلْقِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: (ثُمَّ عَرَضَـ (هُمْ) عَلَى الْمَلائِكَةِ) يَعْنِي بِذَلِكَ أَعْيَانَ الْمُسَمَّيْنَ بِالأَسْمَاءِ الَّتِي عَلَّمَهَا آدَمَ، وَلا تَكَادُ الْعَرَبُ تُكَنِّي بِالْهَاءِ وَالْمِيمِ إِلَّا عَنْ أَسْمَاءِ بَنِي آدَمَ وَالْمَلَائِكَةِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ عَنْ أَسْمَاءِ الْبَهَائِمِ وَسَائِرِ الْخَلْقِ سِوَى مَنْ وَصَفْنَاهَا، فَإِنَّهَا تُكَنِّي عَنْهَا بِالْهَاءِ وَالأَلِفِ أَوْ بِالْهَاءِ وَالنُّونِ، فَقَالَتْ: (عَرَضَهُنَّ) أَوْ (عَرَضَهَا) وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ إِذَا كَنَّتْ عَنْ أَصْنَافٍ مِنَ الْخَلْقِ كَالْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ وَسَائِرِ أَصْنَافِ الأُمَمِ وَفِيهَا أَسْمَاءُ بَنِي آدَمَ وَالْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّهَا تُكَنِّي عَنْهَا بِمَا وَصَفْنَا مِنَ الْهَاءِ وَالنُّونِ أَوِ الْهَاءِ وَالأَلِفِ.. وَرُبَّمَا كَنَّتْ عَنْهَا، إِذَا كَانَ كَذَلِكَ بِالْهَاءِ وَالْمِيمِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ [النور: ٤٥]، فَكَنَّىٰ عَنْهَا بِالْهَاءِ وَالْمِيمِ، وَهِيَ أَصْنَافٌ مُخْتَلِفَةٌ فِيهَا الآدَمِيُّ وَغَيْرُهُ، وَذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ جَائِزًا، فَإِنَّ الْغَالِبَ الْمُسْتَفِيضَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَا وَصَفْنَا، مِنْ إِخْرَاجِهِمْ كِنَايَةَ أَسْمَاءِ أَجْنَاسِ الأُمَمِ -إِذَا اخْتَلَطَتْ- بِالْهَاءِ وَالأَلِفِ أَوِ الْهَاءِ وَالنُّونِ، فَلِذَلِكَ قُلْتُ: أَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الآيَةِ أَنْ تَكُونَ الأَسْمَاءُ الَّتِي عَلَّمَهَا آدَمَ أَسْمَاءَ أَعْيَانِ بَنِي آدَمَ وَأَسْمَاءَ الْمَلَائِكَةِ.. وَإِنْ كَانَ مَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ جَائِزًا عَلَىٰ مِثَالِ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ الآيَةَ، وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهَا فِي حَرْفِ ابْنِ مَسْعُودٍ: (ثُمَّ عَرَضَهُنَّ) وَأَنَّهَا فِي حَرْفِ أُبَيٍّ: (ثُمَّ عَرَضَهَا).. وَلَعَلَّ ابْنَ عَبَّاسٍ تَأَوَّلَ مَا تَأَوَّلَ عَلَىٰ قِرَاءَةِ أُبَيٍّ، فَإِنَّهُ فِيمَا بَلَغَنَا كَانَ يَقْرَأُ قِرَاءَةَ أُبَيٍّ، وَتَأْوِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ -عَلَىٰ مَا حُكِيَ عَنْ أُبَيٍّ مِنْ قِرَاءَتِهِ- غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ، بَل هُوَ صَحِيحٌ مُسْتَفِيضٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، عَلَىٰ نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ وَصْفِي ذَلِكَ..

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا التَّأْوِيلَ الَّذِي هُوَ أَوْلَىٰ بِالآيَةِ، عَلَىٰ قِرَاءَتِنَا وَرَسْمِ مُصْحَفِنَا، وَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ بِالدَّلَالَةِ عَلَىٰ بَنِي آدَمَ وَالْمَلَائِكَةِ، أَوْلَىٰ مِنْهُ بِالدَّلَالَةِ عَلَىٰ أَجْنَاسِ الْخَلْقِ كُلِّهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ فَاسِدٍ أَنْ يَكُونَ دَالًّا عَلَىٰ جَمِيعِ أَصْنَافِ الأُمَمِ، لِلْعِلَلِ الَّتِي وَصَفْنَا، وَيَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ ثُمَّ عَرَضَ أَهْلَ الأَسْمَاءِ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ..

﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي﴾ أَخْبِرُونِي، كما رُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ..

﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ قالَ مُجَاهِدٌ: (بِأَسْمَاءِ هَذِهِ الَّتِي حَدَّثْتُ بِهَا آدَمَ)..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ [البقرة: ٣١] رُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لِمَ أَجْعَلُ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً).. ورُوِي عنه وابْنِ مَسْعُودٍ: (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَنَّ بَنِي آدَمَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَيَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ).. ورُوِي عَنِ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ: (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَنِّي لَمْ أَخْلُقْ خَلقًا إِلَّا كُنْتُمْ أَعْلَمَ مِنْهُ، فَأَخْبِرُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ).. وَأَوْلَىٰ هَذِهِ الأَقْوَالِ بِتَأْوِيلِ الآيَةِ، تَأْوِيلُ

ابْنِ عَبَّاسٍ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ.. وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ مَنْ عَرَضْتُهُ عَلَيْكُمْ أَيَّتُهَا المَلَائِكَةُ القَائِلُونَ ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ مَنْ غَيْرِنَا، أَمْ مِنَّا؟ فَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ؟ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي قِيلِكُمْ أَنِّي إِنْ جَعَلتُ خَلِيفَتِي فِي الأَرْضِ مِنْ غَيْرِكُمْ عَصَانِي ذُرِّيَّتُهُ وَأَفْسَدُوا فِيهَا وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ، وَإِنْ جَعَلْتُكُمْ فِيهَا أَطَعْتُمُونِي، وَاتَّبَعْتُمْ أَمْرِي بِالتَّعْظِيمِ لِي وَالتَّقْدِيسِ، فَإِنَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ أَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَرَضْتُهُمْ عَلَيْكُمْ مِنْ خَلقِي، وَهُمْ مَخْلُوقُونَ مَوْجُودُونَ تَرَوْنَهُمْ وَتُعَايِنُونَهُمْ، وَعَلِمَهُ غَيْرُكُمْ بِتَعْلِيمِي إِيَّاهُ، فَأَنْتُمْ بِمَا هُوَ غَيْرُ مَوْجُودٍ مِنَ الأُمُورِ الكَائِنَةِ الَّتِي لَمْ تُوجَدْ بَعْدُ، وَبِمَا هُوَ مُسْتَتِرٌ مِنَ الأُمُورِ -الَّتِي هِيَ مَوْجُودَةٌ- عَنْ أَعْيُنِكُمْ أَحْرَىٰ أَنْ تَكُونُوا غَيْرَ عَالِمِيْنِ، فَلا تَسْأَلُونِي مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلمٌ، فَإِنِّي أَعْلَمُ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَيُصْلِحُ خَلقِي.. وَهَذَا الفِعْلُ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِمَلَائِكَتِهِ، الَّذِينَ قَالُوا لَهُ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ مِنْ جِهَةِ عِتَابِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ إِيَّاهُمْ، نَظِيرُ قَوْلِهِ جَلَّ جَلالُهُ لِنَبِيِّهِ نُوحٍ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [هُود: ٤٥]، ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هُود: ٤٦]، فَكَذَلِكَ المَلَائِكَةُ سَأَلَتْ رَبَّهَا أَنْ تَكُونَ خُلَفَاءَهُ فِي الأَرْضِ لِيُسَبِّحُوهُ وَيُقَدِّسُوهُ فِيهَا، إِذْ كَانَ ذُرِّيَّةُ مَنْ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ جَاعِلُهُ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً، يُفْسِدُونَ فِيهَا وَيَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ بَعْضَكُمْ فَاتِحُ المَعَاصِي وَخَاتِمُهَا، وَهُوَ إِبْلِيسُ، مُنْكِرًا بِذَلِكَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَوْلَهُمْ، ثُمَّ عَرَّفَهُمْ مَوْضِعَ هَفْوَتِهِمْ فِي قِيلِهِمْ مَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ، بِتَعْرِيفِهِمْ قُصُورَ عِلمِهِمْ عَمَّا هُمْ لَهُ شَاهِدُونَ عِيَانًا، فَكَيْفَ بِمَا لَمْ يَرَوْهُ وَلَمْ يُخْبَرُوا عَنْهُ؟ بِعَرْضِهِ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَلقِهِ المَوْجُودِينَ يَوْمَئِذٍ، وَقِيلِهِ لَهُمْ: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ أَنَّكُمْ إِنِ اسْتَخْلَفْتُكُمْ فِي أَرْضِي سَبَّحْتُمُونِي وَقَدَّسْتُمُونِي، وَإِنِ اسْتَخْلَفْتُ فِيهَا غَيْرَكُمْ عَصَانِي ذُرِّيَّتُهُ وَأَفْسَدُوا وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ.. فَلَمَّا اتَّضَحَ لَهُمْ مَوْضِعُ خَطَأِ قِيلِهِمْ، وَبَدَتْ لَهُمْ هَفْوَةُ زَلَّتِهِمْ، أَنَابُوا إِلَىٰ اللهِ بِالتَّوْبَةِ فَقَالُوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ﴾ فَسَارَعُوا الرَّجْعَةَ مِنَ الهَفْوَةِ، وَبَادَرُوا الإِنَابَةَ مِنَ الزَّلَّةِ، كَمَا قَالَ نُوحٌ حِينَ عُوتِبَ فِي مَسْأَلَتِهِ فَقِيلَ لَهُ: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ﴾، ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هُود: ٤٧].. وَكَذَلِكَ فِعْلُ كُلِّ مُسَدَّدٍ لِلحَقِّ مُوَفَّقٍ لَهُ، سَرِيعَةٌ إِلَىٰ الحَقِّ إِنَابَتُهُ، قَرِيبَةٌ إِلَيْهِ أَوْبَتُهُ.

﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: ٣٢]

﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ عَنْ مَلَائِكَتِهِ، بِالأَوْبَةِ إِلَيْهِ،

وَتَسْلِيمِ عِلمِ مَا لَمْ يَعْلَمُوهُ لَهُ، وَتَبَرِّيهِمْ مِنْ أَنْ يَعْلَمُوا أَوْ يَعْلَمَ أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا مَا عَلَّمَهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

وَأَمَّا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ: ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ﴾ فَهُوَ كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ﴾ تَنْزِيهًا للهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ يَعْلَمُ الغَيْبَ غَيْرُهُ، تُبْنَا إِلَيْكَ ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ﴾، تَبَرِّيًا مِنْهُمْ مِنْ عِلمِ الغَيْبِ، ﴿إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ﴾ كَمَا عَلَّمْتَ آدَمَ).. وَسُبْحَانَ مُصْدَرٌ لَا تَصَرُّفَ لَهُ، وَمَعْنَاهُ: نُسَبِّحُكَ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: نُسَبِّحُكَ تَسْبِيحًا، وَنُنَزِّهُكَ تَنْزِيهًا، وَنُبَرِّئُكَ مِنْ أَنْ نَعْلَمَ شَيْئًا غَيْرَ مَا عَلَّمْتَنَا..

وَفِي هَذِهِ الآيَاتِ الثَّلَاثِ: العِبْرَةُ لِمَنِ اعْتَبَرَ، وَالذِّكْرَىٰ لِمَنِ ادَّكَرَ، وَالبَيَانُ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَىٰ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ، عَمَّا أَوْدَعَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ آيَ هَذَا القُرْآنِ مِنْ لَطَائِفِ الحِكَمِ الَّتِي تَعْجِزُ عَنْ أَوْصَافِهَا الأَلْسُنُ؛ وَذَلِكَ:

أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ احْتَجَّ فِيهَا لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلَىٰ مَنْ كَانَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، بِإِطْلَاعِهِ إِيَّاهُ مِنْ عُلُومِ الغَيْبِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَطْلَعَ عَلَيْهَا مِنْ خَلقِهِ إِلَّا خَاصًّا، وَلَمْ يَكُنْ مُدْرَكًا عِلمُهُ إِلَّا بِالإِنْبَاءِ وَالإِخْبَارِ، **لِتَتَقَرَّرَ عِنْدَهُمْ صِحَّةُ نُبُوَّتِهِ،** وَيَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَتَاهُمْ بِهِ فَمِنْ عِنْدِهِ..

وَدَلَّ فِيهَا عَلَىٰ أَنَّ كُلَّ مُخْبِرٍ خَبَرًا عَمَّا قَدْ كَانَ، أَوْ عَمَّا هُوَ كَائِنٌ مِمَّا لَمْ يَكُنْ، وَلَمْ يَأْتِهِ بِهِ خَبَرٌ، وَلَمْ يُوضَعْ لَهُ عَلَىٰ صِحَّتِهِ بُرهَانٌ، فَمُتَقَوِّلٌ مَا يَسْتَوْجِبُ بِهِ مِنْ رَبِّهِ العُقُوبَةَ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ رَدَّ عَلَىٰ مَلَائِكَتِهِ قِيلَهُمْ: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾، ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٠﴾، وَعَرَّفَهُمْ أَنْ قِيلَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ جَائِزًا لَهُمْ، بِمَا عَرَّفَهُمْ مِنْ قُصُورِ عِلمِهِمْ عِنْدَ عَرْضِهِ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الأَسْمَاءِ، فَقَالَ: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٣١﴾ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَفْزَعٌ إِلَّا الإِقْرَارُ بِالعَجْزِ، وَالتَّبَرِّي إِلَيْهِ أَنْ يَعْلَمُوا إِلَّا مَا عَلَّمَهُمْ، بِقَوْلِهِمْ: ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ﴾ فَكَانَ فِي ذَلِكَ أَوْضَحُ الدَّلَالَةِ وَأَبْيَنُ الحُجَّةِ، عَلَىٰ كَذِبِ مَقَالَةِ كُلِّ مَنِ ادَّعَىٰ شَيْئًا مِنْ عُلُومِ الغَيْبِ مِنَ الحُزَاةِ وَالكَهَنَةِ وَالعَافَةِ وَالمُنَجِّمَةِ..

وَذَكَّرَ بِهَا الَّذِينَ وَصَفْنَا أَمْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، سَوَالِفَ نِعَمِهِ عَلَىٰ آبَائِهِمْ، وَأَيَادِيَهُ عِنْدَ أَسْلَافِهِمْ، عِنْدَ إِنَابَتِهِمْ إِلَيْهِ، وَإِقْبَالِهِمْ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، **مُسْتَعْطِفَهُمْ بِذَلِكَ إِلَىٰ الرَّشَادِ، وَمُسْتَعْتِبَهُمْ بِهِ إِلَىٰ النَّجَاةِ..**

وَحَذَّرَهُمْ بِالإِصْرَارِ وَالتَّمَادِي فِي البَغْيِ وَالضَّلَالِ، حُلُولَ العِقَابِ بِهِمْ، نَظِيرَ مَا أَحَلَّ بِعَدُوِّهِ إِبْلِيسَ، إِذْ تَمَادَىٰ فِي الغَيِّ وَالخَسَارِ..

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣٢﴾ [البقرة: ٣٢] وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ: **أَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبَّنَا العَلِيمُ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمٍ،** بِجَمِيعِ مَا قَدْ كَانَ وَمَا وَهُوَ كَائِنٌ، وَالعَالِمُ لِلغُيُوبِ دُونَ جَمِيعِ خَلقِكَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَفَوْا عَنْ أَنْفُسِهِمْ بِقَوْلِهِمْ: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ﴾ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عِلمٌ إِلَّا مَا عَلَّمَهُمْ رَبُّهُمْ، وَأَثْبَتُوا مَا نَفَوْا

عَنْ أَنْفُسِهِمْ مِنْ ذَلِكَ لِرَبِّهِمْ بِقَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾ يَعْنُونَ بِذَلِكَ العَالِمَ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمٍ؛ إِذْ كَانَ مَنْ سِوَاكَ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا إِلَّا بِتَعْلِيمِ غَيْرِهِ إِيَّاهُ.. **وَالحَكِيمُ:** هُوَ ذُو الحِكْمَةِ.. كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (العَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عِلمِهِ، والحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حُكْمِهِ).. وَقَدْ قِيلَ، إِنَّ مَعْنَىٰ الحَكِيمِ: الحَاكِمُ، كَمَا أَنَّ العَلِيمَ بِمَعْنَىٰ العَالِمِ، وَالخَبِيرَ بِمَعْنَىٰ الخَابِرِ.

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣﴾ [البقرة: ٣٣]

إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَرَّفَ مَلَائِكَتَهُ -الَّذِينَ سَأَلُوهُ أَنْ يَجْعَلَهُمُ الخُلَفَاءَ فِي الأَرْضِ، وَوَصَفُوا أَنْفُسَهُمْ بِطَاعَتِهِ وَالخُضُوعِ لِأَمْرِهِ، دُونَ غَيْرِهِمُ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِيهَا وَيَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ- أَنَّهُمْ مِنَ الجَهْلِ بِمَوَاقِعِ تَدْبِيرِهِ وَمَحَلِّ قَضَائِهِ، قَبْلَ إِطْلَاعِهِ إِيَّاهُمْ عَلَيْهِ، عَلَىٰ نَحْوِ جَهْلِهِمْ بِأَسْمَاءِ الَّذِينَ عَرَضَهُمْ عَلَيْهِمْ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يُعَلِّمْهُمْ فَيَعْلَمُوهُ، وَأَنَّهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ العِبَادِ لا يَعْلَمُونَ مِنَ العِلمِ إِلَّا مَا عَلَّمَهُمْ إِيَّاهُ رَبُّهُمْ، وَأَنَّهُ يَخُصُّ بِمَا شَاءَ مِنَ العِلمِ مَنْ شَاءَ مِنَ الخَلقِ، وَيَمْنَعُهُ مِنْهُمْ مَنْ شَاءَ، كَمَا عَلَّمَ آدَمَ أَسْمَاءَ مَا عَرَضَ عَلَىٰ المَلَائِكَةِ، وَمَنَعَهُمْ عِلمَهَا إِلَّا بَعْدَ تَعْلِيمِهِ إِيَّاهُمْ..

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ﴾ فَأَمَّا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم﴾ يَقُولُ: أَخْبِرِ المَلَائِكَةَ، وَالهَاءُ وَالمِيمُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنۢبِئْهُم﴾ عَائِدَتَانِ عَلَىٰ المَلَائِكَةِ.. وَقَوْلُهُ: ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ﴾ يَعْنِي بِأَسْمَاءِ الَّذِينَ عَرَضَهُمْ عَلَىٰ المَلَائِكَةِ، وَالهَاءُ وَالمِيمُ اللَّتَانِ فِي (أَسْمَائِهِمْ) كِنَايَةٌ عَنْ ذِكْرِ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾..

﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ فَلمَّا أَخْبَرَ آدَمُ المَلَائِكَةَ بِأَسْمَاءِ الَّذِينَ عَرَضَهُمْ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَعْرِفُوا أَسْمَاءَهُمْ، وَأَيْقَنُوا خَطَأَ قِيلِهِمْ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ﴾ وَأَنَّهُمْ قَدْ هَفَوْا فِي ذَلِكَ وَقَالُوا مَا لَا يَعْلَمُونَ كَيْفِيَّةَ وُقُوعِ قَضَاءِ رَبِّهِمْ فِي ذَلِكَ لَوْ وَقَعَ، عَلَىٰ مَا نَطَقُوا بِهِ..

﴿قَالَ﴾ لَهُمْ رَبُّهُمْ..

﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وَالغَيْبُ: هُوَ مَا غَابَ عَنْ أَبْصَارِهِمْ فَلَمْ يُعَايِنُوهُ، تَوْبِيخًا مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ بِذَلِكَ، عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْ قِيلِهِمْ، وَفَرْطِ مِنْهُمْ مِنْ خَطَأِ مَسْأَلَتِهِمْ، كَمَا رُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ﴾، يَقُولُ: أَخْبِرْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾، أَيُّهَا المَلَائِكَةُ خَاصَّةً ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وَلَا يَعْلَمُهُ غَيْرِي)، وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قِصَّةِ المَلَائِكَةِ وَآدَمَ: (فَقَالَ اللهُ

لِلمَلَائِكَةِ: كَمَا لَمْ تَعْلَمُوا هَذِهِ الأَسْمَاءَ فَلَيْسَ لَكُمْ عِلمٌ أَنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَهُمْ لِيُفْسِدُوا فِيهَا، هَذَا عِنْدِي قَدْ عَلِمْتُهُ، فَكَذَلِكَ أَخْفَيْتُ عَنْكُمْ أَنِّي أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يَعْصِينِي وَمَنْ يُطِيعُنِي، وَسَبَقَ مِنَ اللهِ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هُود: ١١٩]، و[السَّجْدَة: ١٣]، وَلَمْ تَعْلَمِ المَلَائِكَةُ ذَلِكَ وَلَمْ يَدْرُوهُ، فَلَمَّا رَأَوْا مَا أَعْطَىٰ اللهُ آدَمَ مِنَ العِلمِ أَقَرُّوا لِآدَمَ بِالفَضْلِ)..

﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣﴾ [البقرة: ٣٣]

رُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: مَا تُظْهِرُونَ، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: أَعْلَمُ السِّرَّ كَمَا أَعْلَمُ العَلَانِيَةَ، يَعْنِي: مَا كَتَمَ إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الكِبْرِ وَالِاغْتِرَارِ)، ورُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ: (﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣﴾، قَوْلُهُمْ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾، فَهَذَا الَّذِي أَبْدَوْا، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣﴾، يَعْنِي: مَا أَسَرَّ إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الكِبْرِ)، ورُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: (﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣﴾: مَا أَسَرَّ إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ)، وقال سُفْيَانُ: (﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣﴾ مَا أَسَرَّ إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الكِبْرِ أَلَّا يَسْجُدَ لِآدَمَ)..

ورُوِيَ عن مَهْدِيِّ بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الحَسَنَ بْنَ دِينَارٍ قَالَ لِلحَسَنِ -وَنَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَهُ فِي مَنْزِلِهِ-: يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللهِ لِلمَلَائِكَةِ: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣﴾ مَا الَّذِي كَتَمَتِ المَلَائِكَةُ؟ فَقَالَ الحَسَنُ: (إِنَ اللهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ رَأَتِ المَلَائِكَةُ خَلقًا عَجِيبًا، فَكَأَنَّهُمْ دَخَلَهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ، وَأَسَرُّوا ذَلِكَ بَيْنَهُمْ، فَقَالُوا: وَمَا يُهِمُّكُمْ مِنْ هَذَا المَخْلُوقِ! إِنَّ اللهَ لَنْ يَخلُقَ خَلقًا إِلَّا كُنَّا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ)، وقالَ قَتَادَةُ: (﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣﴾، أَسَرُّوا بَيْنَهُمْ فَقَالُوا: يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ أَنْ يَخْلُقَ، فَلَنْ يَخلُقَ خَلقًا إِلَّا وَنَحْنُ أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ)، ورُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ: (﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣﴾ فَكَانَ الَّذِي أَبْدَوْا حِينَ قَالُوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾، وَكَانَ الَّذِي كَتَمُوا بَيْنَهُمْ قَوْلَهُمْ: لَنْ يَخْلُقَ رَبُّنَا خَلقًا إِلَّا كُنَّا نَحْنُ أَعْلَمَ مِنْهُ وَأَكْرَمَ، فَعَرَفُوا أَنَّ اللهَ فَضَّلَ عَلَيْهِمْ آدَمَ فِي العِلمِ وَالكَرَمِ)..

وَأَوْلَىٰ هَذِهِ الأَقْوَالِ بِتَأْوِيلِ الآيَةِ مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَهُوَ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ وَأَعْلَمُ -مَعَ عِلمِي غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ- مَا تُظْهِرُونَ بِأَلسِنَتِكُمْ، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣﴾، وَمَا كُنْتُمْ تُخفُونَهُ فِي أَنْفُسِكُمْ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ شَيْءٌ، سَوَاءٌ عِنْدِي سَرَائِرُكُمْ وَعَلَانِيَتُكُمْ.. وَالَّذِي أَظْهَرُوهُ بِأَلسِنَتِهِمْ مَا أَخبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوهُ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، وَالَّذِي كَانُوا يَكْتُمُونَهُ، مَا كَانَ مُنْطَوِيًا عَلَيْهِ إِبْلِيسُ مِنَ الخِلَافِ عَلَىٰ اللهِ فِي أَمْرِهِ، وَالتَّكَبُّرِ عَنْ طَاعَتِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ جَمِيعِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ

أَنَّ تَأْوِيلَ ذَلِكَ غَيْرُ خَارِجٍ مِنْ أَحَدِ الوَجْهَيْنِ اللَّذَيْنِ وَصَفْتُ، وَهُوَ مَا قُلْنَا، وَالآخَرُ مَا ذَكَرْنَا مِنْ قَوْلِ الحَسَنِ وَقَتَادَةَ، وَمَنْ قَالَ إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ كِتْمَانُ المَلَائِكَةِ بَيْنَهُمْ لَنْ يَخْلُقَ اللهُ خلقًا إِلَّا كُنَّا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَإِذْ كَانَ لَا قَوْلَ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ إِلَّا أَحَدُ القَوْلَيْنِ اللَّذَيْنِ وَصَفْتُ، ثُمَّ كَانَ أَحَدُهُمَا غَيْرُ مَوْجُودَةٍ عَلَىٰ صِحَّتِهِ الدَّلَالَةُ مِنَ الوَجْهِ الَّذِي يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ، صَحَّ الوَجْهُ الآخَرُ، فَالَّذِي حُكِيَ عَنِ الحَسَنِ وَقَتَادَةَ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِمَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، غَيْرُ مَوْجُودَةٍ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ صِحَّتِهِ مِنَ الكِتَابِ، وَلَا مِنْ خَبَرٍ يَجِبُ بِهِ حُجَّةٌ، وَالَّذِي قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّتِهِ خَبَرُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ إِبْلِيسَ وَعِصْيَانِهِ إِيَّاهُ، إِذْ دَعَاهُ إِلَىٰ السُّجُودِ لِآدَمَ فَأَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ، وَإِظْهَارِهِ لِسَائِرِ المَلَائِكَةِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ وَكِبْرِهِ، مَا كَانَ لَهُ كَاتِمًا قَبْلَ ذَلِكَ..

فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ الخَبَرَ عَنْ كِتْمَانِ المَلَائِكَةِ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ، لَمَّا كَانَ خَارِجًا مَخْرَجَ الخَبَرِ عَنِ الجَمِيعِ، كَانَ غَيْرَ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ مَا رُوِيَ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ: مِنْ أَنَّ ذَلِكَ خَبَرٌ عَنْ كِتْمَانِ إِبْلِيسَ الكِبْرَ وَالمَعْصِيَةَ- صَحِيحًا، فَقَدْ ظَنَّ غَيْرَ الصَّوَابِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مِنْ شَأْنِ العَرَبِ، إِذَا أَخْبَرَتْ خَبَرًا عَنْ بَعْضِ جَمَاعَةٍ بِغَيْرِ تَسْمِيَةِ شَخْصٍ بِعَيْنِهِ، أَنْ تُخْرِجَ الخَبَرَ عَنْهُ مَخرَجَ الخَبَرِ عَنْ جَمِيعِهِمْ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِمْ: قُتِلَ الجَيْشُ وَهُزِمُوا، وَإِنَّمَا قُتِلَ الوَاحِدُ أَوِ البَعْضُ مِنْهُمْ، وَهُزِمَ الوَاحِدُ أَوِ البَعْضُ، فَتُخْرِجُ الخَبَرَ عَنِ المَهْزُومِ مِنْهُ وَالمَقْتُولِ مُخْرَجَ الخَبَرِ عَنْ جَمِيعِهِمْ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [الحُجرَات: ٤]، ذُكِرَ أَنَّ الَّذِي نَادَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ -فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِيهِ- كَانَ رَجُلًا مِنْ جَمَاعَةِ بَنِي تَمِيمٍ، كَانُوا قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْرَجَ الخَبَرُ عَنْهُ مَخرَجَ الخَبَرِ عَنِ الجَمَاعَةِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣﴾ أَخْرَجَ الخَبَرَ مَخرَجَ الخَبَرِ عَنِ الجَمِيعِ، وَالمُرَادُ بِهِ الوَاحِدُ مِنْهُمْ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝٣٤﴾ [البقرة: ٣٤]

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ مَعْطُوفٌ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ كَأَنَّهُ قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ لِليَهُودِ -الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مُعَدِّدًا عَلَيْهِمْ نِعَمَهُ، وَمُذَكِّرَهُمْ آلَاءَهُ، عَلَىٰ نَحْوِ الَّذِي وَصَفْنَا فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ-: اذْكُرُوا فِعْلِي بِكُمْ إِذْ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ، فَخَلَقْتُ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا، وَإِذْ قُلْتُ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً، فَكَرَّمْتُ أَبَاكُمْ آدَمَ بِمَا آتَيْتُهُ مِنْ عِلْمِي وَفَضْلِي وَكَرَامَتِي، وَإِذْ أَسْجَدْتُ لَهُ مَلَائِكَتِي فَسَجَدُوا لَهُ..

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ اسْتَثْنَىٰ مِنْ جَمِيعِهِمْ إِبْلِيسَ، فَدَلَّ بِاسْتِثْنَائِهِ أَنَّهُ مِمَّنْ قَدْ أُمِرَ بِالسُّجُودِ مَعَهُمْ،

كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ﴾ [الأعراف: ١١ - ١٢]، فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ قَدْ أَمَرَ إِبْلِيسَ فِيمَنْ أَمَرَهُ مِنَ المَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، ثُمَّ اسْتَثْنَاهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِمَّا أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ فَعَلُوهُ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ، فَأَخْرَجَهُ مِنَ الصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَهُمْ بِهَا مِنَ الطَّاعَةِ لِأَمْرِهِ، وَنَفَىٰ عَنْهُ مَا أَثْبَتَهُ لِمَلَائِكَتِهِ مِنَ السُّجُودِ لِعَبْدِهِ آدَمَ.. وَإِبْلِيسُ (إِفْعِيلُ) مِنَ الإِبْلَاسِ، وَهُوَ الإِيَاسُ مِنَ الخَيْرِ، وَالنَّدَمُ، وَالحُزْنُ، كَمَا رُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (إِبْلِيسُ، أَبْلَسَهُ اللهُ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ، وَجَعَلَهُ شَيْطَانًا رَجِيمًا عُقُوبَةً لِمَعْصِيَتِهِ).. وَكَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ۝٤٤﴾ [الأنعام: ٤٤]، يَعْنِي بِهِ: أَنَّهُمْ آيِسُونَ مِنَ الخَيْرِ، نَادِمُونَ حُزْنًا..

﴿أَبَىٰ﴾ يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ إِبْلِيسَ، أَنَّهُ امْتَنَعَ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ فَلَمْ يَسْجُدْ لَهُ..

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ تَعَظَّمَ وَتَكَبَّرَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ فِي السُّجُودِ لِآدَمَ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَبَرًا عَنْ إِبْلِيسَ، **فَإِنَّهُ تَقْرِيعٌ لِضُرَبَائِهِ مِنْ خَلْقِ اللهِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ عَنِ الخُضُوعِ لِأَمْرِ اللهِ**، وَالِانْقِيَادِ لِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَفِيمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، وَالتَّسْلِيمِ لَهُ فِيمَا أَوْجَبَ لِبَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنَ الحَقِّ.. **وَكَانَ مِمَّنْ تَكَبَّرَ عَنِ الخُضُوعِ لِأَمْرِ اللهِ**، وَالتَّذَلُّلِ لِطَاعَتِهِ، وَالتَّسْلِيمِ لِقَضَائِهِ فِيمَا أَلْزَمَهُمْ مِنْ حُقُوقِ غَيْرِهِمْ، **اليَهُودُ** الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَحْبَارُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَصِفَتِهِ عَارِفِينَ، وَبِأَنَّهُ للهِ رَسُولٌ عَالِمِينَ، ثُمَّ اسْتَكْبَرُوا - مَعَ عِلْمِهِمْ بِذَلِكَ- عَنِ الإِقْرَارِ بِنُبُوَّتِهِ، وَالإِذْعَانِ لِطَاعَتِهِ، بَغْيًا مِنْهُمْ لَهُ وَحَسَدًا، **فَقَرَّعَهُمُ اللهُ بِخَبَرِهِ عَنْ إِبْلِيسَ** الَّذِي فَعَلَ فِي اسْتِكْبَارِهِ عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ حَسَدًا لَهُ وَبَغْيًا، نَظِيرَ فِعْلِهِمْ فِي التَّكَبُّرِ عَنِ الإِذْعَانِ لِمُحَمَّدٍ نَبِيِّ اللهِ ﷺ وَنُبُوَّتِهِ، إِذْ جَاءَهُمْ بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ حَسَدًا وَبَغْيًا.. ثُمَّ وَصَفَ إِبْلِيسَ بِمِثْلِ الَّذِي وَصَفَ بِهِ الَّذِينَ ضَرَبَهُ لَهُمْ مَثَلًا فِي الِاسْتِكْبَارِ وَالحَسَدِ وَالِاسْتِنْكَافِ عَنِ الخُضُوعِ لِمَنْ أَمَرَهُ اللهُ بِالخُضُوعِ لَهُ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿وَكَانَ﴾ يَعْنِي: إِبْلِيسَ..

﴿مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٣٤﴾ [البقرة: ٣٤] مِنَ الجَاحِدِينَ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِ وَأَيَادِيَهُ عِنْدَهُ، بِخِلَافِهِ عَلَيْهِ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ، **كَمَا كَفَرَتِ اليَهُودُ** نِعَمَ رَبِّهَا الَّتِي آتَاهَا وَآبَاءَهَا قَبْلُ، مِنْ إِطْعَامِ اللهِ أَسْلَافَهُمُ المَنَّ وَالسَّلْوَىٰ، وَإِظْلَالِ الغَمَامِ عَلَيْهِمْ، وَمَا لَا يُحْصَىٰ مِنْ نِعَمِهِ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ، خُصُوصًا مَا خَصَّ الَّذِينَ أَدْرَكُوا مُحَمَّدًا ﷺ بِإِدْرَاكِهِمْ إِيَّاهُ، وَمُشَاهَدَتِهِمْ حُجَّةَ اللهِ عَلَيْهِمْ، فَجَحَدَتْ نُبُوَّتَهُ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِهِ، وَمَعْرِفَتِهِمْ بِنُبُوَّتِهِ حَسَدًا وَبَغْيًا.. **فَنَسَبَهُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَىٰ ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ فَجَعَلَهُ مِنْ عِدَادِهِمْ فِي الدِّينِ وَالمِلَّةِ، وَإِنْ خَالَفَهُمْ فِي الجِنْسِ وَالنِّسْبَةِ**، كَمَا جَعَلَ

أَهْلَ النِّفَاقِ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ، لِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَىٰ النِّفَاقِ، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ أَنْسَابُهُمْ وَأَجْنَاسُهُمْ، فَقَالَ: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التَّوْبَة: ٦٧] يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ فِي النِّفَاقِ وَالضَّلَالِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي إِبْلِيسَ: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٤﴾، كَانَ مِنْهُمْ فِي الْكُفْرِ بِاللهِ وَمُخَالَفَتِهِ أَمْرَهُ، وَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا جِنْسُهُ أَجْنَاسَهُمْ وَنَسَبُهُ نَسَبَهُمْ، وَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ أَنَّهُ كَانَ - حِينَ أَبَىٰ عَنِ السُّجُودِ- مِنَ الْكَافِرِينَ حِينَئِذٍ.. وَكَانَ **سُجُودُ الْمَلَائِكَةِ لِآدَمَ تَكْرِمَةً لِآدَمَ وَطَاعَةً للهِ، لَا عِبَادَةً لِآدَمَ**، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: (﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ فَكَانَتِ الطَّاعَةُ للهِ، وَالسَّجْدَةُ لِآدَمَ، أَكْرَمَ اللهُ آدَمَ أَنْ أَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ).

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ [البقرة: ٣٥]

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ خَبَرٌ يُنْبِئُ أَنَّ حَوَّاءَ خُلِقَتْ بَعْدَ أَنْ سَكَنَ آدَمُ الْجَنَّةَ، فَجُعِلَتْ لَهُ سَكَنًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ خُلِقَتْ قَبْلَ أَنْ يَسْكُنَ آدَمُ الْجَنَّةَ.. وَيُقَالُ لِامْرَأَةِ الرَّجُلِ: زَوْجُهُ وَزَوْجَتُهُ، وَالزَّوْجَةُ بِالْهَاءِ أَكْثَرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مِنْهَا بِغَيْرِ الْهَاءِ..

﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أَمَّا الرَّغَدُ، فَإِنَّهُ الْوَاسِعُ مِنَ الْعَيْشِ، الْهَنِيءُ الَّذِي لَا يُعَنِّي صَاحِبَهُ، يُقَالُ: أَرْغَدَ فُلَانٌ، إِذَا أَصَابَ وَاسِعًا مِنَ الْعَيْشِ الْهَنِيءِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ: (الرَّغْدُ، الْهَنِيءُ).. وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ ﴿رَغَدًا﴾: (لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ).. وَرُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (الرَّغَدُ: سَعَةُ الْمَعِيشَةِ).. **فَمَعْنَىٰ الْآيَةِ**: وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ، وَكُلَا مِنَ الْجَنَّةِ رِزْقًا وَاسِعًا هَنِيئًا مِنَ الْعَيْشِ حَيْثُ شِئْتُمَا، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: (قَوْلُهُ ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، ثُمَّ أَتَىٰ الْبَلَاءُ الَّذِي كُتِبَ عَلَىٰ الْخَلْقِ عَلَىٰ آدَمَ، كَمَا ابْتُلِيَ الْخَلْقُ، أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَحَلَّ لَهُ مَا فِي الْجَنَّةِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شَاءَ، غَيْرَ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ نُهِيَ عَنْهَا، فَمَا زَالَ بِهِ الْبَلَاءُ حَتَّىٰ وَقَعَ بِالَّذِي نُهِيَ عَنْهُ)..

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ، فَإِنَّكُمَا إِنْ قَرِبْتُمَاهَا كُنْتُمَا مِنَ الظَّالِمِينَ، فَصَارَ الثَّانِي فِي مَوْضِعِ جَوَابِ الْجَزَاءِ.. **وَالشَّجَرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ**: كُلُّ مَا قَامَ عَلَىٰ سَاقٍ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ٦﴾ [الرَّحْمَن: ٦]، يَعْنِي بِالنَّجْمِ مَا نَجَمَ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ نَبْتٍ، وَبِالشَّجَرِ مَا اسْتَقَلَّ عَلَىٰ سَاقٍ.. **ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي عَيْنِ الشَّجَرَةِ الَّتِي نُهِيَ عَنْ أَكْلِ ثَمَرِهَا آدَمُ:**

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ السُّنْبُلَةُ، رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، وَوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ الْيَمَانِيِّ، وَمُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَالَهُ أَبُو مَالِكٍ غَزْوَانُ الْغِفَارِي، وَعَطِيَّةُ الْعُوفِي، وَقَتَادَةُ.. وَقَالَ

آخَرُونَ: هِيَ الكَرْمَةُ، رُوي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ورُوي عنه، وابْنِ مَسْعُودٍ: (هِيَ الكَرْمَةُ، وَتَزْعُمُ اليَهُودُ أَنَّهَا الحِنْطَةُ)، ورُوي عن جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ، وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ، وَقَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، والسُّدِّيُّ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ التِّينَةُ.. وَالقَوْلُ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ عِبَادَهُ أَنَّ آدَمَ وَزَوْجَهُ أَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاهُمَا رَبُّهُمَا عَنِ الأَكْلِ مِنْهَا، فَأَتَيَا الخَطِيئَةَ الَّتِي نَهَاهُمَا عَنْ إِتْيَانِهَا بِأَكْلِهِمَا مَا أَكَلَا مِنْهَا، بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمَا عَيْنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاهُمَا عَنِ الأَكْلِ مِنْهَا، وَأَشَارَ لَهُمَا إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾، وَلَمْ يَضَعِ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِعِبَادِهِ المُخَاطَبِينَ بِالقُرْآنِ، دَلَالَةً عَلَىٰ أَيِّ أَشْجَارِ الجَنَّةِ كَانَ نَهْيُهُ آدَمَ أَنْ يَقْرَبَهَا، بِنَصٍّ عَلَيْهَا بِاسْمِهَا، وَلَا بِدَلَالَةٍ عَلَيْهَا، **وَلَوْ كَانَ للهِ فِي العِلمِ بِأَيِّ ذَلِكَ مِنْ أَيٍّ رِضًا، لَمْ يُخَلِّ عِبَادَهُ مِنْ نَصْبِ دَلَالَةٍ لَهُمْ عَلَيْهَا يَصِلُونَ بِهَا إِلَىٰ مَعْرِفَةِ عَيْنِهَا، لِيُطِيعُوهُ بِعِلمِهِمْ بِهَا، كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ فِي كُلِّ مَا بِالعِلمِ بِهِ لَهُ رِضًا**، فَالصَّوَابُ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَهَىٰ آدَمَ وَزَوْجَتَهُ عَنْ أَكْلِ شَجَرَةٍ بِعَيْنِهَا مِنْ أَشْجَارِ الجَنَّةِ دُونَ سَائِرِ أَشْجَارِهَا، فَخَالَفَا إِلَىٰ مَا نَهَاهُمَا اللهُ عَنْهُ، فَأَكَلَا مِنْهَا كَمَا وَصَفَهُمَا اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهِ، وَلَا عِلمَ عِنْدَنَا أَيُّ شَجَرَةٍ كَانَتْ عَلَىٰ التَّعْيِينِ؛ لِأَنَّ اللهَ لَمْ يَضَعْ لِعِبَادِهِ دَلِيلًا عَلَىٰ ذَلِكَ فِي القُرْآنِ، وَلَا فِي السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، فَأَنَّىٰ يَأْتِي ذَلِكَ؟! وَقَدْ قِيلَ: كَانَتْ شَجَرَةَ البُرِّ، وَقِيلَ: كَانَتْ شَجَرَةَ العِنَبِ، وَقِيلَ: كَانَتْ شَجَرَةَ التِّينِ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ وَاحِدَةً مِنْهَا، **وَذَلِكَ عِلْمٌ إِذَا عُلِمَ لَمْ يَنْفَعِ العَالِمَ بِهِ عِلمُهُ، وَإِنْ جَهِلَهُ جَاهِلٌ لَمْ يَضُرَّهُ جَهْلُهُ بِهِ**..

﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ [البقرة: ٣٥] وَفِي قَوْلِهِ ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ وَجْهَانِ مِنَ التَّأْوِيلِ: **أَحَدُهُمَا**: أَنْ يَكُونَ ﴿فَتَكُونَا﴾ فِي نِيَّةِ العَطْفِ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ فَيَكُونُ تَأْوِيلُهُ حِينَئِذٍ: وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ وَلَا تَكونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، كَمَا يَقُولُ القَائِلُ: لَا تُكَلِّمْ عَمْرًا وَلَا تُؤْذِهِ، كَأَنَّهُ كَرَّرَ النَّهْيَ.. **وَالثَّانِي**: أَنْ يَكُونَ ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ بِمَعْنَىٰ جَوَابِ النَّهْيِ، فَيَكُونُ تَأْوِيلُهُ حِينَئِذٍ: لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ، فَإِنَّكُمَا إِنْ قَرِبْتُمَاهَا كُنْتُمَا مِنَ الظَّالِمِينَ، كَمَا تَقُولُ: لَا تَشْتُمْ عَمْرًا فَيَشْتُمَكَ، مُجَازَاةً.. وَأَمَّا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ فَتَكُونَا مِنَ المُتَعَدِّينَ إِلَىٰ غَيْرِ مَا أُذِنَ لَهُمْ وَأُبِيحَ لَهُمْ فِيهِ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ أَنَّكُمَا إِنْ قَرِبْتُمَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ، **كُنْتُمَا عَلَىٰ مِنْهَاجِ مَنْ تَعَدَّىٰ حُدُودِي**، وَعَصَىٰ أَمْرِي، وَاسْتَحَلَّ مَحَارِمِي، لِأَنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَاللهُ وَلِيُّ المُتَّقِينَ.. **وَأَصْلُ (الظُّلمِ) فِي كَلَامِ العَرَبِ**، وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ.. وَقَدْ يَتَفَرَّعُ الظُّلمُ فِي مَعَانٍ يَطُولُ بِإِحْصَائِهَا الكِتَابُ، وَسَنُبَيِّنُهَا فِي أَمَاكِنِهَا إِذَا أَتَيْنَا عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَأَصْلُ ذَلِكَ كُلِّهِ مَا وَصَفْنَا مِنْ وَضْعِ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ.. **وَفِي هَذِهِ الآيَةِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَىٰ صِحَّةِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ إِبْلِيسَ أُخْرِجَ مِنَ الجَنَّةِ بَعْدَ الِاسْتِكْبَارِ عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ، وَأُسْكِنَهَا آدَمُ**

قَبْلَ أَنْ يَهْبِطَ إِبْلِيسُ إِلَىٰ الأَرْضِ، أَلَا تَسْمَعُونَ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَقُولُ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ إِبْلِيسَ إِنَّمَا أَزَلَّهُمَا عَنْ طَاعَةِ اللهِ بَعْدَ أَنْ لُعِنَ وَأَظْهَرَ التَّكَبُّرَ، لِأَنَّ سُجُودَ المَلَائِكَةِ لِآدَمَ كَانَ بَعْدَ أَنْ نُفِخَ فِيهِ الرُّوحُ، وَحِينَئِذٍ كَانَ امْتِنَاعُ إِبْلِيسَ مِنَ السُّجُودِ لَهُ، وَعِنْدَ الِامْتِنَاعِ مِنْ ذَلِكَ حَلَّتْ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ، كَمَا رُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ: (أَنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ **أَقْسَمَ بِعِزَّةِ اللهِ لَيُغْوِيَنَّ** آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ وَزَوْجَهُ، إِلَّا عِبَادَهُ المُخْلَصِينَ مِنْهُمْ، **بَعْدَ أَنْ لَعَنَهُ اللهُ، وَبَعْدَ أَنْ أُخْرِجَ مِنَ الجَنَّةِ، وَقَبْلَ أَنْ يَهْبِطَ إِلَىٰ الأَرْضِ**، وَعَلَّمَ اللهُ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا)، ورُوِي عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: (لَمَّا فَرَغَ اللهُ مِنْ إِبْلِيسَ وَمُعَاتَبَتِهِ، وَأَبَىٰ إِلَّا المَعْصِيَةَ وَأَوْقَعَ عَلَيْهِ اللَّعْنَةَ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنَ الجَنَّةِ، أَقْبَلَ عَلَىٰ آدَمَ وَقَدْ عَلَّمَهُ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا، فَقَالَ: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾).

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٣٦﴾ [البقرة: ٣٦]

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ قَرَأَتْهُ عَامَّتُهُمْ، ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ **بِتَشْدِيدِ اللَّامِ، بِمَعْنَىٰ: اسْتَزَلَّهُمَا**، مِنْ قَوْلِكَ: زَلَّ الرَّجُلُ فِي دِينِهِ، إِذَا هَفَا فِيهِ وَأَخْطَأَ، فَأَتَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ إِتْيَانُهُ فِيهِ، **وَأَزَلَّهُ غَيْرُهُ**: إِذَا سَبَّبَ لَهُ مَا يَزِلُّ مِنْ أَجْلِهِ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ، وَلِذَلِكَ **أَضَافَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِلَىٰ إِبْلِيسَ خُرُوجَ آدَمَ وَزَوْجَتِهِ مِنَ الجَنَّةِ**، فَقَالَ: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾ يَعْنِي إِبْلِيسَ ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ لِأَنَّهُ كَانَ الَّذِي سَبَّبَ لَهُمَا الخَطِيئَةَ الَّتِي عَاقَبَهُمَا اللهُ عَلَيْهَا بِإِخْرَاجِهِمَا مِنَ الجَنَّةِ.. **وَقَرَأَهُ آخَرُونَ: (فَأَزَالَهُمَا) بِمَعْنَىٰ إِزَالَةِ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ**، وَذَلِكَ تَنْحِيَتُهُ عَنْهُ.. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾: (أَغْوَاهُمَا).. **وَأَوْلَىٰ القِرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ**: قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ أَخْبَرَ فِي الحَرْفِ الَّذِي يَتْلُوهُ بِأَنَّ إِبْلِيسَ ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾، وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ (فَأَزَالَهُما) فَلَا وَجْهَ -إِذْ كَانَ مَعْنَىٰ الإِزَالَةِ مَعْنَىٰ التَّنْحِيَةِ وَالإِخْرَاجِ- أَنْ يُقَالَ: فَأَزَالَهُما الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخرجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ، فَيَكُونُ كَقَوْلِهِ: فَأَزَالَهُما الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَزَالَهُما مِمَّا كَانَا فِيهِ، وَلَكِنَّ المَفْهُومَ أَنْ يُقَالَ: فَاسْتَزَلَّهُما إِبْلِيسُ عَنْ طَاعَةِ اللهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ وَقَرَأَتْ بِهِ القُرَّاءُ، فَأَخْرَجَهُمَا بِاسْتِزْلَالِهِ إِيَّاهُمَا مِنَ الجَنَّةِ..

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ فَأَخْرَجَ الشَّيْطَانُ آدَمَ وَزَوْجَتَهُ، مِمَّا كَانَ فِيهِ آدَمُ وَزَوْجَتُهُ مِنْ رَغَدِ العَيْشِ فِي الجَنَّةِ، وَسَعَةِ نَعِيمِهَا الَّذِي كَانَا فِيهِ.. وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ **إِنَّمَا أَضَافَ إِخْرَاجَهُمَا مِنَ الجَنَّةِ إِلَىٰ الشَّيْطَانِ -وَإِنْ كَانَ اللهُ هُوَ المُخْرِجُ لَهُمَا- لِأَنَّ خُرُوجَهُمَا مِنْهَا كَانَ عَنْ سَبَبٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَأُضِيفُ ذَلِكَ إِلَيْهِ لِتَسْبِيبِهِ إِيَّاهُ**، كَمَا يَقُولُ القَائِلُ لِرَجُلٍ وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْهُ أَذًىٰ حَتَّىٰ تَحَوَّلَ

مِنْ أَجْلِهِ عَنْ مَوْضِعٍ كَانَ يَسْكُنُهُ: مَا حَوَّلَنِي مِنْ مَوْضِعِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ لَهُ تَحْوِيلٌ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ تَحَوُّلُهُ عَنْ سَبَبٍ مِنْهُ، جَازَ لَهُ إِضَافَةُ تَحْوِيلِهِ إِلَيْهِ..

﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يُقَالُ هَبَطَ فَلَانٌ أَرْضَ كَذَا وَوَادِيَ كَذَا، إِذَا حَلَّ ذَلِكَ.. وَقَدْ أَبَانَ هَذَا الْقَوْلُ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، عَنْ صِحَّةِ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ الْمُخْرِجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ هُوَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَأَنَّ إِضَافَةَ اللهِ إِلَىٰ إِبْلِيسَ مَا أَضَافَ إِلَيْهِ مِنْ إِخْرَاجِهِمَا، كَانَ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا.. وَدَلَّ بِذَلِكَ أَيْضًا عَلَىٰ أَنَّ هُبُوطَ آدَمَ وَزَوْجَتِهِ وَعَدُوِّهِمَا إِبْلِيسَ، كَانَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، بِجَمْعِ اللهِ إِيَّاهُمْ فِي الْخَبَرِ عَنْ إِهْبَاطِهِمْ، بَعْدَ الَّذِي كَانَ مِنْ خَطِيئَةِ آدَمَ وَزَوْجَتِهِ، وَتَسَبُّبِ إِبْلِيسَ ذَلِكَ لَهُمَا، عَلَىٰ مَا وَصَفَهُ رَبُّنَا جَلَّ ذِكْرُهُ عَنْهُمْ.. أَمَّا عَدَاوَةُ إِبْلِيسَ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ، فَحَسَدُهُ إِيَّاهُ، وَاسْتِكْبَارُهُ عَنْ طَاعَةِ اللهِ فِي السُّجُودِ لَهُ حِينَ قَالَ لِرَبِّهِ: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ٧٦﴾ [ص: ٧٦].. وَأَمَّا عَدَاوَةُ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ إِبْلِيسَ، فَعَدَاوَةُ الْمُؤْمِنِينَ إِيَّاهُ لِكُفْرِهِ بِاللهِ وَعِصْيَانِهِ لِرَبِّهِ فِي تَكَبُّرِهِ عَلَيْهِ وَمُخَالَفَتِهِ أَمْرَهُ، وَذَلِكَ مِنْ آدَمَ وَمُؤْمِنِي ذُرِّيَّتِهِ إِيمَانٌ بِاللهِ، وَأَمَّا عَدَاوَةُ إِبْلِيسَ آدَمَ فَكُفْرٌ بِاللهِ..

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ بِمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: (هُوَ قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [الْبَقَرَة: ٢٢])، وَرُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ: (هُوَ قَوْلُهُ: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [غَافِر: ٦٤]).. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ قَرَارٌ فِي الْقُبُورِ، رُوِيَ عن السُّدِّيِّ، وَقَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ، وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (مَقَامُهُمْ فِيهَا).. وَالْمُسْتَقَرُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، هُوَ مَوْضِعُ الِاسْتِقْرَارِ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَحَيْثُ كَانَ مَنْ فِي الْأَرْضِ مَوْجُودًا حَالًّا فَذَلِكَ الْمَكَانُ مِنَ الْأَرْضِ مُسْتَقَرُّهُ.. إِنَّمَا عَنَىٰ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ: أَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا وَمَنْزِلًا بِأَمَاكِنِهِمْ وَمُسْتَقَرِّهِمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَالسَّمَاءِ.. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ يَعْنِي بِهِ: أَنَّ لَهُمْ فِيهَا مَتَاعًا بِمَتَاعِهِمْ فِي الْجَنَّةِ..

﴿إِلَىٰ حِينٍ ٣٦﴾ [البقرة: ٣٦] قَالَ بَعْضُهُمْ: وَلَكُمْ فِيهَا بَلَاغٌ إِلَىٰ الْمَوْتِ، كما رُوِي عن السُّدِّيِّ، وَقَالَهُ ابنُ عباس.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، كما رُوِي عَنْ مُجَاهِدٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِلَىٰ أَجَلٍ، كما رُوِي عَنِ الرَّبِيعِ.. وَالْمَتَاعُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: كُلُّ مَا اسْتُمْتِعَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ، مِنْ مَعَاشٍ اسْتُمْتِعَ بِهِ، أَوْ رِيَاشٍ أَوْ زِينَةٍ أَوْ لَذَّةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.. فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ جَعَلَ حَيَاةَ كُلِّ حَيٍّ مَتَاعًا لَهُ يَسْتَمْتِعُ بِهَا أَيَّامَ حَيَاتِهِ، وَجَعَلَ الْأَرْضَ لِلْإِنْسَانِ مَتَاعًا أَيَّامَ حَيَاتِهِ، بِقَرَارِهِ عَلَيْهَا، وَاغْتِذَائِهِ بِمَا أَخْرَجَ اللهُ مِنْهَا مِنَ الْأَقْوَاتِ وَالثِّمَارِ، وَالتِذَاذِهِ بِمَا خَلَقَ فِيهَا مِنَ الْمَلَاذِّ، وَجَعَلَهَا مِنْ بَعْدِ وَفَاتِهِ لِجُثَّتِهِ كِفَاتًا، وَلِجِسْمِهِ مَنْزِلًا وَقَرَارًا، وَكَانَ اسْمُ الْمَتَاعِ يَشْمَلُ جَمِيعَ ذَلِكَ.. كَانَ أَوْلَىٰ التَّأْوِيلَاتِ بِالْآيَةِ -إِذْ لَمْ يَكُنِ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَضَعَ دَلَالَةً دَالَّةً عَلَىٰ أَنَّهُ قَصَدَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ٣٦﴾ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ،

وَخَاصًّا دُونَ عَامٍّ فِي عَقْلٍ وَلَا خَبَرٍ -: أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي مَعْنَىٰ العَامِّ، وَأَنْ يَكُونَ الخَبَرُ أَيْضًا كَذَلِكَ، إِلَىٰ وَقْتٍ يَطُولُ اسْتِمْتَاعُ بَنِي آدَمَ وَبَنِي إِبْلِيسَ بِهَا، وَذَلِكَ إِلَىٰ أَنْ تُبَدَّلَ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ.. فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ أَوْلَىٰ التَّأْوِيلَاتِ بِالآيَةِ لِمَا وَصَفْنَا، فَالوَاجِبُ إِذًا أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُ الآيَةِ: وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مَنَازِلُ وَمَسَاكِنُ تَسْتَقِرُّونَ فِيهَا اسْتِقْرَارَكُمْ كَانَ فِي السَّمَاوَاتِ، وَفِي الجِنَانِ فِي مَنَازِلِكُمْ مِنْهَا، وَاسْتِمْتَاعٌ مِنْكُمْ بِهَا وَبِمَا أَخْرَجْتُ لَكُمْ مِنْهَا، وَبِمَا جَعَلْتُ لَكُمْ فِيهَا مِنَ المَعَاشِ وَالرِّيَاشِ وَالزِّيْنِ وَالمَلَاذِّ، وَبِمَا أَعْطَيْتُكُمْ عَلَىٰ ظَهْرِهَا أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ وَمِنْ بَعْدِ وَفَاتِكُمْ لِأَرْمَاسِكُمْ وَأَجْدَاثِكُمْ تُدْفَنُونَ فِيهَا، وَتَبْلُغُونَ بِاسْتِمْتَاعِكُمْ بِهَا إِلَىٰ أَنْ أُبْدِلَكُمْ بِهَا غَيْرَهَا.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة: ٣٧]

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾ أَخَذَ وَقَبِلَ، وَأَصْلُهُ التَّفَعُّلُ مِنَ اللِّقَاءِ، كَمَا يَتَلَقَّىٰ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مُسْتَقْبِلَهُ عِنْدَ قُدُومِهِ مِنْ غَيْبَتِهِ أَوْ سَفَرِهِ، فَكَأَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾ كَأَنَّهُ اسْتَقْبَلَهُ فَتَلَقَّاهُ بِالقَبُولِ حِينَ أُوحِيَ إِلَيْهِ أَوْ أُخْبِرَ بِهِ.. فَمَعْنَىٰ ذَلِكَ إِذًا: فَلَقَّىٰ اللهُ آدَمَ كَلِمَاتِ تَوْبَةٍ، فَتَلَقَّاهَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ وَأَخَذَهَا عَنْهُ تَائِبًا، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ بِقِيلِهِ إِيَّاهَا، وَقَبُولِهِ إِيَّاهَا مِنْ رَبِّهِ..

كَمَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (لَقَّاهُمَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣]).. وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ كِتَابُ اللهِ، أَنَّ الكَلِمَاتِ الَّتِي تَلَقَّاهُنَّ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ، هُنَّ الكَلِمَاتُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَهَا مُتَنَصِّلًا بِقِيلِهَا إِلَىٰ رَبِّهِ، مُعْتَرِفًا بِذَنْبِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾.. وَهَذَا الخَبَرُ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ عَنْ آدَمَ -مِنْ قِيلِهِ الَّذِي لَقَّاهُ إِيَّاهُ فَقَالَهُ تَائِبًا إِلَيْهِ مِنْ خَطِيئَتِهِ- تَعْرِيفٌ مِنْهُ جَلَّ ذِكْرُهُ جَمِيعَ المُخَاطَبِينَ بِكِتَابِهِ، كَيْفِيَّةَ التَّوْبَةِ إِلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَتَنْبِيهٌ لِلْمُخَاطَبِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢٨]، عَلَىٰ مَوْضِعِ التَّوْبَةِ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الكُفْرِ بِاللهِ، وَأَنَّ خَلَاصَهُمْ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الضَّلَالَةِ نَظِيرُ خَلَاصِ أَبِيهِمْ آدَمَ مِنْ خَطِيئَتِهِ، مَعَ تَذْكِيرِهِ إِيَّاهُمْ بِهِ السَّالِفَ إِلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي خَصَّ بِهَا أَبَاهُمْ آدَمَ وَغَيْرَهُ مِنْ آبَائِهِمْ..

﴿فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ يَعْنِي: عَلَىٰ آدَمَ، وَالهَاءُ الَّتِي فِي ﴿عَلَيۡهِ﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ ﴿ءَادَمُ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ يَعْنِي رَزَقَهُ التَّوْبَةَ مِنْ خَطِيئَتِهِ، وَالتَّوْبَةُ مَعْنَاهَا الإِنَابَةُ إِلَىٰ اللهِ، وَالأَوْبَةُ إِلَىٰ طَاعَتِهِ مِمَّا يَكْرَهُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ..

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هُوَ التَّوَّابُ عَلَىٰ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ المُذْنِبِينَ مِنْ ذُنُوبِهِ، التَّارِكُ مَجَازَاتِهِ بِإِنَابَتِهِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ بَعْدَ مَعْصِيَتِهِ بِمَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ.. وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ مَعْنَىٰ

التَّوْبَةِ مِنَ العَبْدِ إِلَىٰ رَبِّهِ، إِنَابَتُهُ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَأَوْبَتِهِ إِلَىٰ مَا يُرْضِيهِ بِتَرْكِهِ مَا يُسْخِطُهُ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا مُقِيمًا مِمَّا يَكْرَهُهُ رَبُّهُ، فَكَذَلِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ، هُوَ أَنْ يَرْزُقَهُ ذَلِكَ، وَيُؤَوِّبُ لَهُ مِنْ غَضَبِهِ عَلَيْهِ إِلَىٰ الرِّضَا عَنْهُ، وَمِنَ العُقُوبَةِ إِلَىٰ العَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنْهُ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة: ٣٧] يَعْنِي أَنَّهُ المُتَفَضِّلُ عَلَيْهِ مَعَ التَّوْبَةِ بِالرَّحْمَةِ.. وَرَحْمَتُهُ إِيَّاهُ: إِقَالَةُ عَثْرَتِهِ، وَصَفْحُهُ عَنْ عُقُوبَةِ جُرْمِهِ.

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٨﴾ [البقرة: ٣٨]

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ قَدْ ذَكَرْنَا القَوْلَ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ فِيمَا مَضَىٰ، فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَىٰ إِعَادَتِهِ، إِذْ كَانَ مَعْنَاهُ فِي هَذَا المَوْضِعِ، هُوَ مَعْنَاهُ فِي ذَلِكَ المَوْضِعِ..

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ فَإِنْ يَأْتِكُمْ.. و(مَا) الَّتِي مَعَ (إِنْ) تَوْكِيدٌ لِلكَلَامِ.. وَلِدُخُولِهَا مَعَ (إِنْ) أُدْخِلَتِ النُّونُ المُشَدَّدَةُ فِي ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ تَفرِقَةً بِدُخُولِهَا بَيْنَ (مَا) الَّتِي تَأْتِي بِمَعْنَىٰ تَوْكِيدِ الكَلَامِ - الَّتِي تُسَمِّيهَا أَهْلُ العَرَبِيَّةِ صِلَةً وَحَشْوًا- وَبَيْنَ (مَا) الَّتِي تَأْتِي بِمَعْنَىٰ (الَّذِي).. فَتُؤْذِنُ بِدُخُولِهَا فِي الفِعْلِ، أَنَّ (مَا) الَّتِي مَعَ (إِنْ) الَّتِي بِمَعْنَىٰ الجَزَاءِ تَوْكِيدٌ، وَلَيْسَتْ (مَا) الَّتِي بِمَعْنَىٰ (الَّذِي)..

﴿مِّنِّي هُدًى﴾ وَالهُدَىٰ، فِي هَذَا المَوْضِعِ، البَيَانُ وَالرَّشَادُ، كَمَا قَالَ أَبو العَالِيَةِ: (الهُدَىٰ: الأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ وَالبَيَانُ).. فَإِنْ كَانَ مَا قَالَ أَبو العَالِيَةِ فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَ، فَالخِطَابُ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ وَإِنْ كَانَ لِآدَمَ وَزَوْجَتِهِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ آدَمُ وَزَوْجَتُهُ وَذُرِّيَّتُهُمَا.. فَيَكُونُ ذَلِكَ حِينَئِذٍ نَظِيرَ قَوْلِهِ: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ١١﴾ [فُصِّلَتْ: ١١]، بِمَعْنَىٰ أَتَيْنَا بِمَا فِينَا مِنَ الخَلْقِ طَائِعِينَ، وَنَظِيرَ قَوْلِهِ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: (رَبَّنَا وَاجْعَلنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسَلِّمَةً لَكَ وَأَرِهِمْ مَنَاسِكَهُمْ) [البَقَرَة: ١٢٨]، فَجَمَعَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ ذُرِّيَّةٌ، وَهُوَ فِي قِرَاءَتِنَا: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾، وَكَمَا يَقُولُ القَائِلُ لِآخَرَ: (كَأَنَّكَ قَدْ تَزَوَّجْتَ وَوُلِدَ لَكَ، وَكَثُرْتُمْ وَعَزَزْتُمْ)، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الكَلَامِ.. وَإِنَّمَا قُلنَا إِنَّ ذَلِكَ هُوَ الوَاجِبُ عَلَىٰ التَّأْوِيلِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنْ أَبِي العَالِيَةِ؛ لِأَنَّ آدَمَ كَانَ هُوَ النَّبِيَّ أَيَّامَ حَيَاتِهِ بَعْدَ أَنْ أُهْبِطَ إِلَىٰ الأَرْضِ، وَالرَّسُولَ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَىٰ وَلَدِهِ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا - وَهُوَ الرَّسُولُ ﷺ- بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ خِطَابًا لَهُ وَلِزَوْجَتِهِ، فَإِمَّا يَأْتِينكُمْ مِنِّي أَنْبِيَاءُ وَرُسُلٌ، إِلَّا عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ مِنَ التَّأْوِيلِ.. وَقَوْلُ أَبِي العَالِيَةِ فِي ذَلِكَ -وَإِنْ كَانَ وَجْهًا مِنَ التَّأْوِيلِ تَحْتَمِلُهُ الآيَةُ- فَأَقْرَبُ إِلَىٰ الصَّوَابِ مِنْهُ عِنْدِي وَأَشْبَهُ بِظَاهِرِ التِّلَاوَةِ، أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُهَا: فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ مَنْ أُهْبِطَ إِلَىٰ الأَرْضِ مِنْ

سَمَائِي، وَهُوَ آدَمُ وَزَوْجَتُهُ وَإِبْلِيس -كَمَا قَدْ ذَكَرْنَا قَبْلُ فِي تَأْوِيلِ الآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا- إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي بَيَانٌ مِنْ أَمْرِي وَطَاعَتِي، وَرَشَادٌ إِلَىٰ سَبِيلِي وَدِينِي، فَمَنِ اتَّبَعَهُ مِنْكُمْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَإِنْ كَانَ قَدْ سَلَفَ مِنْهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ إِلَيَّ مَعْصِيَةٌ وَخِلَافٌ لِأَمْرِي وَطَاعَتِي.. يُعَرِّفُهُمْ بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ التَّائِبُ عَلَىٰ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ، وَالرَّحِيمُ لِمَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ، كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾.. وَذَلِكَ: أَنَّ ظَاهِرَ الخَطَّابِ بِذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ لِلَّذِينَ قَالَ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ وَالَّذِينَ خُوطِبُوا بِهِ هُمْ مَنْ سَمَّيْنَا فِي قَوْلِ الحُجَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ الَّذِينَ قَدْ قَدَّمْنَا الرِّوَايَةَ عَنْهُمْ.. وَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ خِطَابًا مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ لِمَنْ أُهْبِطَ حِينَئِذٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الأَرْضِ، فَهُوَ سُنَّةُ اللهِ فِي جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَتَعْرِيفٌ مِنْهُ بِذَلِكَ الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ بِمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦﴾ [البَقَرَة: ٦]، وَفِي قَوْلِهِ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ٨﴾ [البَقَرَة: ٨]، وَأَنَّ حُكْمَهُ فِيهِمْ -إِنْ تَابُوا إِلَيْهِ وَأَنَابُوا وَاتَّبَعُوا مَا أَتَاهُمْ مِنَ البَيَانِ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ- أَنَّهُمْ عِنْدَهُ فِي الآخِرَةِ مِمَّنْ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَأَنَّهُمْ إِنْ هَلَكُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ قَبْلَ الإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ، كَانُوا مِنْ أَهْلِ النَّارِ المُخَلَّدِينَ فِيهَا..

﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ فَمَنِ اتَّبَعَ بَيَانِي الَّذِي آتَيْتُهُ عَلَىٰ أَلْسُنِ رُسُلِي، أَوْ مَعَ رُسُلِي، كَمَا قَالَ أبو العَالِيَةِ: (﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ يَعْنِي بَيَانِي)..

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فَهُمْ آمِنُونَ فِي أَهْوَالِ القِيَامَةِ مِنْ عِقَابِ اللهِ، غَيْرُ خَائِفِينَ عَذَابَهُ، بِمَا أَطَاعُوا اللهَ فِي الدُّنْيَا وَاتَّبَعُوا أَمْرَهُ وَهُدَاهُ وَسَبِيلَهُ..

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٨﴾ [البقرة: ٣٨] يَوْمَئِذٍ عَلَىٰ مَا خَلَّفُوا بَعْدَ وَفَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ أَمَامَكُمْ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْظَمَ فِي صَدْرِ الَّذِي يَمُوتُ مِمَّا بَعْدَ المَوْتِ، فَأَمَّنَهُمْ مِنْهُ وَسَلَّاهُمْ عَنِ الدُّنْيَا فَقَالَ: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٨﴾).

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٨﴾ [البقرة: ٣٨]

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ قَدْ ذَكَرْنَا القَوْلَ فِي تَأْوِيلِهِ فِيمَا مَضَىٰ، فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَىٰ إِعَادَتِهِ؛ إِذْ كَانَ مَعْنَاهُ فِي هَذَا المَوْضِعِ، هُوَ مَعْنَاهُ فِي ذَلِكَ المَوْضِعِ..

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ فَإِنْ يَأْتِكُمْ، و﴿مَا﴾ الَّتِي مَعَ (إِنْ) تَوْكِيدٌ لِلكَلَامِ، وَلَيْسَتْ ﴿مَا﴾ الَّتِي بِمَعْنَىٰ (الَّذِي)..

﴿مِّنِّي هُدًى﴾ الهُدَىٰ، فِي هَذَا المَوْضِعِ، البَيَانُ وَالرَّشَادُ، كَمَا قَالَ أَبُو العَالِيَةِ: (الهُدَىٰ: الأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ وَالبَيَانُ)، فَإِنْ كَانَ مَا قَالَ أَبُو العَالِيَةِ فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَ، فَالخِطَابُ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ وَإِنْ كَانَ لِآدَمَ وَزَوْجَتِهِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ آدَمُ وَزَوْجَتُهُ وَذُرِّيَّتُهُمَا، فَيَكُونُ ذَلِكَ حِينَئِذٍ نَظِيرَ قَوْلِهِ ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فُصِّلَت: ١١]، بِمَعْنَىٰ أَتَيْنَا بِمَا فِينَا مِنَ الخُلُقِ طَائِعِينَ، وَنَظِيرَ قَوْلِهِ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِهِمْ مَنَاسِكَهُمْ) [البَقَرَة: ١٢٨]، فَجَمَعَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ ذُرِّيَّةٌ، وَهُوَ فِي قِرَاءَتِنَا: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾، وَكَمَا يَقُولُ القَائِلُ لِآخَرَ: كَأَنَّكَ قَدْ تَزَوَّجْتَ وَوُلِدَ لَكَ، وَكَثُرْتُمْ وَعَزَزْتُمْ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الكَلَامِ، وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ ذَلِكَ هُوَ الوَاجِبُ عَلَىٰ التَّأْوِيلِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنْ أَبِي العَالِيَةِ؛ لِأَنَّ آدَمَ كَانَ هُوَ النَّبِيَّ أَيَّامَ حَيَاتِهِ بَعْدَ أَنْ أُهْبِطَ إِلَىٰ الأَرْضِ، وَالرَّسُولَ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَىٰ وَلَدِهِ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا -وَهُوَ الرَّسُولُ ﷺ- بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ خِطَابًا لَهُ وَلِزَوْجَتِهِ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي أَنْبِيَاءُ وَرُسُلٌ، إِلَّا عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ مِنَ التَّأْوِيلِ.. وَقَوْلُ أَبِي العَالِيَةِ فِي ذَلِكَ -وَإِنْ كَانَ وَجْهًا مِنَ التَّأْوِيلِ تَحْتَمِلُهُ الآيَةُ- فَأَقْرَبُ إِلَىٰ الصَّوَابِ مِنْهُ عِنْدِي وَأَشْبَهُ بِظَاهِرِ التِّلَاوَةِ، أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُهَا: فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ مَنْ أُهْبِطَ إِلَىٰ الأَرْضِ مِنْ سَمَائِي، وَهُوَ آدَمُ وَزَوْجَتُهُ وَإِبْلِيسُ -كَمَا قَدْ ذَكَرْنَا قَبْلُ فِي تَأْوِيلِ الآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا- إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي بَيَانٌ مِنْ أَمْرِي وَطَاعَتِي، وَرَشَادٌ إِلَىٰ سَبِيلِي وَدِينِي، فَمَنِ اتَّبَعَهُ مِنْكُمْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَإِنْ كَانَ قَدْ سَلَفَ مِنْهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ إِلَيَّ مَعْصِيَةٌ وَخِلَافٌ لِأَمْرِي وَطَاعَتِي، يُعَرِّفُهُمْ بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ التَّائِبُ عَلَىٰ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ، وَالرَّحِيمُ لِمَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ، كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾؛ وَذَلِكَ أَنَّ ظَاهِرَ الخِطَابِ بِذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ لِلَّذِينَ قَالَ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾، وَالَّذِينَ خُوطِبُوا بِهِ هُمْ مَنْ سَمَّيْنَا فِي قَوْلِ الحُجَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ الَّذِينَ قَدْ قَدَّمْنَا الرِّوَايَةَ عَنْهُمْ، وَذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ خِطَابًا مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ لِمَنْ أُهْبِطَ حِينَئِذٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الأَرْضِ، فَهُوَ سُنَّةُ اللهِ فِي جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَتَعْرِيفٌ مِنْهُ بِذَلِكَ الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ بِمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [البَقَرَة: ٦]، وَفِي قَوْلِهِ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البَقَرَة: ٨]، وَأَنَّ حُكْمَهُ فِيهِمْ – نْ تَابُوا إِلَيْهِ وَأَنَابُوا وَاتَّبَعُوا مَا آتَاهُمْ مِنَ البَيَانِ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ- أَنَّهُمْ عِنْدَهُ فِي الآخِرَةِ مِمَّنْ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَأَنَّهُمْ إِنْ هَلَكُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ قَبْلَ الإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ، كَانُوا مِنْ أَهْلِ النَّارِ المُخَلَّدِينَ فِيهَا..

﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ فَمَنِ اتَّبَعَ بَيَانِي الَّذِي آتَيْتُهُ عَلَىٰ أَلْسُنِ رُسُلِي، أَوْ مَعَ رُسُلِي..

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فَهُمْ آمِنُونَ فِي أَهْوَالِ القِيَامَةِ مِنْ عِقَابِ اللهِ، غَيْرُ خَائِفِينَ عَذَابَهُ، بِمَا

أَطَاعُوا اللهَ فِي الدُّنْيَا وَاتَّبَعُوا أَمْرَهُ وَهُدَاهُ وَسَبِيلَهُ..

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٨﴾ [البقرة: ٣٨] يَوْمَئِذٍ عَلَىٰ مَا خَلَّفُوا بَعْدَ وَفَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ أَمَامَكُمْ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْظَمَ فِي صَدْرِ الَّذِي يَمُوتُ مِمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ، فَأَمَّنَهُمْ مِنْهُ وَسَلَّاهُمْ عَنِ الدُّنْيَا).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٣٩﴾ [البقرة: ٣٩]

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ وَالَّذِينَ جَحَدُوا آيَاتِي وَكَذَّبُوا رُسُلِي.. وَآيَاتُ اللهِ: حُجَجُهُ وَأَدِلَّتُهُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنَ الأَعْلَامِ وَالشَّوَاهِدِ عَلَىٰ ذَٰلِكَ، وَعَلَىٰ صِدْقِهَا فِيمَا أَنْبَأَتْ عَنْ رَبِّهَا.. وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ مَعْنَىٰ الكُفْرِ التَّغْطِيَةُ عَلَىٰ الشَّيْءِ..

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ يَعْنِي: أَهْلُهَا..

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٣٩﴾ [البقرة: ٣٩] الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا دُونَ غَيْرِهِمْ، المُخَلَّدُونَ فِيهَا أَبَدًا إِلَىٰ غَيْرِ أَمَدٍ وَلَا نِهَايَةٍ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنَّ أَقْوَامًا أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِخَطَايَاهُمْ أَوْ بِذُنُوبِهِمْ، فَأَمَاتَتْهُمْ إِمَاتَةً، حَتَّىٰ إِذَا صَارُوا فَحْمًا أُذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ».

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٣٩﴾ [البقرة: ٣٩]

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ وَالَّذِينَ جَحَدُوا آيَاتِي، وَكَذَّبُوا رُسُلِي، وَآيَاتُ اللهِ: حُجَجُهُ وَأَدِلَّتُهُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنَ الأَعْلَامِ وَالشَّوَاهِدِ عَلَىٰ ذَٰلِكَ، وَعَلَىٰ صِدْقِهَا فِيمَا أَنْبَأَتْ عَنْ رَبِّهَا، وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ مَعْنَىٰ الكُفْرِ التَّغْطِيَةُ عَلَىٰ الشَّيْءِ..

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ يَعْنِي: أَهْلُهَا الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا دُونَ غَيْرِهِمْ..

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٣٩﴾ [البقرة: ٣٩] المُخَلَّدُونَ فِيهَا أَبَدًا إِلَىٰ غَيْرِ أَمَدٍ وَلَا نِهَايَةٍ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنَّ أَقْوَامًا أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِخَطَايَاهُمْ أَوْ بِذُنُوبِهِمْ، فَأَمَاتَتْهُمْ إِمَاتَةً، حَتَّىٰ إِذَا صَارُوا فَحْمًا أُذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ».

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۝٤٠﴾

[البقرة: ٤٠]

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يَعْنِي: وَلَدَ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَٰنِ، وَكَانَ يَعْقُوبُ يُدْعَىٰ إِسْرَائِيلُ، بِمَعْنَىٰ عَبْدِ اللهِ وَصَفْوَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ، و(إِيلُ) هُوَ اللهُ، و(إِسْرَا) هُوَ العَبْدُ، كَمَا قِيلَ:

(جِبْرِيلُ) بِمَعْنَىٰ عَبْدِ اللهِ.. وَإِنَّمَا خَاطَبَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أَحْبَارَ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَنَسَبَهُمْ جَلَّ ذِكْرُهُ إِلَىٰ يَعْقُوبَ، كَمَا نَسَبَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ إِلَىٰ آدَمَ، فَقَالَ: ﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا خَصَّهُمْ بِالخِطَابِ فِي هَذِهِ الآيَةِ وَالَّتِي بَعْدَهَا مِنَ الآيِ الَّتِي ذَكَّرَهُمْ فِيهَا نِعَمَهُ -وَإِنْ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ مَا أَنْزَلَ فِيهِمْ وَفِي غَيْرِهِمْ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، مَا قَدْ تَقَدَّمَ- أَنَّ الَّذِي احْتَجَّ بِهِ مِنَ الحُجَجِ وَالآيَاتِ الَّتِي فِيهَا أَنْبَاءُ أَسْلَافِهِمْ، وَأَخْبَارُ أَوَائِلِهِمْ، وَقِصَصُ الأُمُورِ الَّتِي هُمْ بِعِلمِهَا مَخْصُوصُونَ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ، لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ مِنَ العِلمِ بِصِحَّتِهِ وَحَقِيقَتِهِ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ مِنَ العِلمِ بِهِ، إِلَّا لِمَنِ اقْتَبَسَ عِلمَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَعَرَّفَهُمْ بِإِطْلَاعِ مُحَمَّدٍ عَلَىٰ عِلمِهَا، مَعَ بُعْدِ قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ مِنْ مَعْرِفَتِهَا، وَقِلَّةِ مُزَاوَلَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ دِرَاسَةَ الكُتُبِ الَّتِي فِيهَا أَنْبَاءُ ذَلِكَ، أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَمْ يَصِل إِلَىٰ عِلمِ ذَلِكَ إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ وَتَنْزِيلٍ مِنْهُ ذَلِكَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُمْ مِنْ عِلمِ صِحَّةِ ذَلِكَ بِمَحَلٍّ لَيْسَ بِهِ مِنَ الأُمَمِ غَيْرُهُمْ، فَلِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَصَّ بِقَوْلِهِ: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ خِطَابَهُمْ كَمَا رُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (يَا أَهْلَ الكِتَابِ، لِلأَحْبَارِ مَنْ يَهُودَ)..

﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ وَنِعْمَتُهُ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَلَّ ذِكْرُهُ، اصْطِفَاؤُهُ مِنْهُمُ الرُّسُلَ، وَإِنْزَالُهُ عَلَيْهِمُ الكُتُبَ، وَاسْتِنْقَاذُهُ إِيَّاهُمْ مِمَّا كَانُوا فِيهِ مِنَ البَلَاءِ وَالضَّرَّاءِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، إِلَىٰ التَّمْكِينِ لَهُمْ فِي الأَرْضِ، وَتَفْجِيرِ عُيُونِ المَاءِ مِنَ الحَجَرِ، وَإِطْعَامِ المَنِّ وَالسَّلْوَىٰ، فَأَمَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَعْقَابَهُمْ أَنْ يَكُونَ مَا سَلَفَ مِنْهُ إِلَىٰ آبَائِهِمْ عَلَىٰ ذِكْرٍ، وَأَنْ لَا يَنْسَوْا صَنِيعَهُ إِلَىٰ أَسْلَافِهِمْ وَآبَائِهِمْ، فَيَحِلَّ بِهِمْ مِنَ النِّقَمِ مَا أَحَلَّ بِمَنْ نَسِيَ نِعَمَهُ عِنْدَهُ مِنْهُمْ وَكَفَرَهَا، وَجَحَدَ صَنَائِعَهُ عِنْدَهُ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾: (نِعَمُهُ عَامَّةٌ، وَلَا نِعْمَةَ أَفْضَلُ مِنَ الإِسْلَامِ، وَالنِّعَمُ بَعْدُ تَبَعٌ لَهَا، وَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧].. وَتَذْكِيرُ اللهِ الَّذِينَ ذَكَّرَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهَذِهِ الآيَةِ مَنْ نِعَمِهِ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، نَظِيرُ تَذْكِيرِ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ أَسْلَافَهُمْ عَلَىٰ عَهْدِهِ، الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المائدة: ٢٠]..

﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ﴾ قَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُنَا فِيمَا مَضَىٰ عَنْ مَعْنَىٰ العَهْدِ، مِنْ كِتَابِنَا هَذَا، وَاخْتِلَافِ المُخْتَلِفِينَ فِي تَأْوِيلِهِ، وَالصَّوَابُ عِنْدَنَا مِنَ القَوْلِ فِيهِ، وَهُوَ فِي هَذَا المَوْضِعِ: عَهْدُ اللهِ وَوَصِيَّتُهُ الَّتِي أَخَذَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي التَّوْرَاةِ، أَنْ يُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ رَسُولٌ، وَأَنَّهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّهُ نَبِيُّ اللهِ، وَأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ وَعَهْدُهُ إِيَّاهُمْ أَنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَدْخَلَهُمُ الجَنَّةَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾ [المَائِدَة: ١٢]، وَكَمَا قَالَ: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأَعْرَاف: ١٥٦ - ١٥٧].. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (أَوْفُوا بِأَمْرِي أُوفِ بِالَّذِي وَعَدْتُكُمْ، وَقَرَأَ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [التَّوْبَة: ١١١]، هَذَا عَهْدُهُ الَّذِي عَهِدَهُ لَهُمْ)..

﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة: ٤٠] وَإِيَّايَ فَاخْشَوْا، وَاتَّقُوا أَيُّهَا المُضَيِّعُونَ عَهْدِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالمُكَذِّبُونَ رَسُولِيَ الَّذِي أَخَذْتُ مِيثَاقَكُمْ فِيمَا أَنْزَلْتُ مِنَ الكُتُبِ عَلَىٰ أَنْبِيَائِي -أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ وَتَتَّبِعُوهُ- أَنْ أُحِلَّ بِكُمْ مِنْ عُقُوبَتِي، إِنْ لَمْ تُنِيبُوا وَتَتُوبُوا إِلَيَّ بِاتِّبَاعِهِ وَالإِقْرَارِ بِمَا أَنْزَلْتُ إِلَيْهِ، مَا أَحْلَلْتُ بِمَنْ خَالَفَ أَمْرِي وَكَذَّبَ رُسُلِي مِنْ أَسْلَافِكُمْ، كَمَا رُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (أَنْ أُنْزِلَ بِكُمْ مَا أَنْزَلْتُ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ آبَائِكُمْ مِنَ النَّقِمَاتِ الَّتِي قَدْ عَرَفْتُمْ، مِنَ المَسْخِ وَغَيْرِهِ).

﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ [البقرة: ٤١]

﴿وَءَامِنُوا۟﴾ صَدِّقُوا، كَمَا قَدْ قَدَّمْنَا البَيَانَ عَنْهُ قَبْلُ..

﴿بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ مَا أَنْزَلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ القُرْآنِ..

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ أَنَّ القُرْآنَ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَ اليَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ التَّوْرَاةِ، فَأَمَرَهُمْ بِالتَّصْدِيقِ بِالقُرْآنِ، وَأَخْبَرَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ فِي تَصْدِيقِهِمْ بِالقُرْآنِ تَصْدِيقًا مِنْهُمْ لِلتَّوْرَاةِ؛ لِأَنَّ الَّذِي فِي القُرْآنِ مِنَ الأَمْرِ بِالإِقْرَارِ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَتَصْدِيقِهِ وَاتِّبَاعِهِ، نَظِيرُ الَّذِي مِنْ ذَلِكَ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ فَفِي تَصْدِيقِهِمْ بِمَا أَنْزَلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ تَصْدِيقٌ مِنْهُمْ لِمَا مَعَهُمْ مِنَ التَّوْرَاةِ، وَفِي تَكْذِيبِهِمْ بِهِ تَكْذِيبٌ مِنْهُمْ لِمَا مَعَهُمْ مِنَ التَّوْرَاةِ..

﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ يَا مَعْشَرَ أَحْبَارِ أَهْلِ الكِتَابِ، صَدِّقُوا بِمَا أَنْزَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِي مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ القُرْآنِ المُصَدِّقِ كِتَابَكُمْ، وَالَّذِي عِنْدَكُمْ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، المَعْهُودِ إِلَيْكُمْ فِيهِمَا أَنَّهُ رَسُولِي وَنَبِيِّي المَبْعُوثُ بِالحَقِّ، وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ أُمَّتِكُمْ كَذَّبَ بِهِ وَجَحَدَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِي، وَعِنْدَكُمْ مِنَ العِلمِ بِهِ مَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِكُمْ، وَكُفْرُهُمْ بِهِ: جُحُودُهُمْ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالهَاءُ الَّتِي فِي ﴿بِهِۦ﴾ مِنْ ذِكْرِ ﴿مَا﴾ الَّتِي مَعَ قَوْلِهِ: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾..

﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ قَالَ أَبُو العَالِيَةِ: (لَا تَأْخُذُوا عَلَيْهِ أَجْرًا، هُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُمْ فِي الكِتَابِ الأَوَّلِ: يَا ابْنَ آدَمَ، عَلِّمْ مَجَّانًا كَمَا عُلِّمْتَ مَجَّانًا).. وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا رُوِيَ عَنِ السُّدِّيِّ: (لَا تَأْخُذُوا طَمَعًا قَلِيلًا، وَتَكْتُمُوا اسْمَ اللهِ، وَذَلِكَ الثَّمَنُ هُوَ الطَّمَعُ).. **فَتَأْوِيلُ الآيَةِ إِذًا**: لَا تَبِيعُوا مَا آتَيْتُكُمْ مِنَ العِلمِ بِكِتَابِي وَآيَاتِهِ بِثَمَنٍ خَسِيسٍ وَعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ، وَبَيْعُهُمْ إِيَّاهُ -تَرْكُهُمْ إِبَانَةَ مَا فِي كِتَابِهِمْ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ لِلنَّاسِ، وَأَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِيهِ أَنَّهُ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ- بِثَمَنٍ قَلِيلٍ، وَهُوَ رِضَاهُمْ بِالرِّيَاسَةِ عَلَىٰ أَتْبَاعِهِمْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِمْ وَدِينِهِمْ، وَأَخْذُهُمُ الأَجْرَ مِمَّنْ بَيَّنُوا لَهُ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا بَيَّنُوا لَهُ مِنْهُ، **وَإِنَّمَا قُلنَا بِمَعْنَىٰ ذَلِكَ**: (لَا تَبِيعُوا)، لِأَنَّ مُشْتَرِيَ الثَّمَنِ القَلِيلِ بِآيَاتِ اللهِ بَائِعُ الآيَاتِ بِالثَّمَنِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الثَّمَنِ وَالمُثَمَّنِ مَبِيعٌ لِصَاحِبِهِ، وَصَاحِبُهُ بِهِ مُشْتَرٍ، **وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا تَأَوَّلَهُ أَبُو العَالِيَةِ**، بَيِّنُوا لِلنَّاسِ أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَا تَبْتَغُوا عَلَيْهِ مِنْهُمْ أَجْرًا، فَيَكُونُ حِينَئِذٍ نَهْيُهُ عَنْ أَخْذِ الأَجْرِ عَلَىٰ تَبْيِينِهِ، هُوَ النَّهْيُ عَنْ شِرَاءِ الثَّمَنِ القَلِيلِ بِآيَاتِهِ..

﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ٤١﴾ [البقرة: ٤١] فِي بَيْعِكُمْ آيَاتِي بِالخَسِيسِ مِنَ الثَّمَنِ، وَشِرَائِكُمْ بِهَا القَلِيلَ مِنَ العَرَضِ، وَكُفْرِكُمْ بِمَا أَنْزَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِي وَجُحُودِكُمْ نُبُوَّةَ نَبِيِّي، أَنْ أُحِلَّ بِكُمْ مَا أَحْلَلْتُ بِأَسْلَافِكُمَ الَّذِينَ سَلَكُوا سَبِيلَكُمْ مِنَ المَثُلَاتِ وَالنِّقْمَاتِ.

﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ٤٢﴾ [البقرة: ٤٢]

﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ يَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ﴾ لَا تَخْلِطُوا، وَاللَّبْسُ هُوَ الخَلطُ، يُقَالُ مِنْهُ: لَبَسْتُ عَلَيْهِ هَذَا الأَمْرَ أَلْبِسُهُ لَبْسًا: إِذَا خَلَطْتُهُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا اللُّبْسُ، فَإِنَّهُ يُقَالُ مِنْهُ: لَبِسْتُهُ أَلْبَسُهُ لُبْسًا وَمَلبَسًا، وَذَلِكَ الكُسْوَةُ يَكْتَسِيهَا فَيَلبَسُهَا، وَمِنَ اللَّبْسِ قَوْلُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ٩﴾ [الأنعام: ٩].. **فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ**: وَكَيْفَ كَانُوا يُلبِسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَهُمْ كُفَّارٌ؟ وَأَيُّ حَقٍّ كَانُوا عَلَيْهِ مَعَ كُفْرِهِمْ بِاللهِ؟ قِيلَ: إِنَّهُ كَانَ فِيهِمْ مُنَافِقُونَ مِنْهُمْ، يُظْهِرُونَ التَّصْدِيقَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَيَسْتَبْطِنُونَ الكُفْرَ بِهِ، وَكَانَ عُظْمُهُمْ يَقُولُونَ: مُحَمَّدٌ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ، إِلَّا أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَىٰ غَيْرِنَا، **فَكَانَ لَبْسُ المُنَافِقِ مِنْهُمُ** الحَقَّ بِالبَاطِلِ، إِظْهَارَهُ الحَقَّ بِلِسَانِهِ، وَإِقْرَارَهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ جِهَارًا، وَخَلطَهُ ذَلِكَ الظَّاهِرَ مِنَ الحَقِّ بِمَا يَسْتَبْطِنُهُ، وَكَانَ

لَبْسُ الْمُقِرِّ مِنْهُمْ بِأَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ، الجَاحِدِ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَيْهِمْ، إِقْرَارَهُ بِأَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ، وَهُوَ الحَقُّ، وَجُحُودَهُ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَيْهِمْ، وَهُوَ البَاطِلُ، وَقَدْ بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ الخَلْقِ كَافَّةً. فَذَلِكَ خَلْطُهُمُ الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَلَبْسُهُمْ إِيَّاهُ بِهِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (لَا تَخْلِطُوا الصِّدْقَ بِالكَذِبِ)، وقالَ أَبو العَالِيَةِ: (لَا تَخْلِطُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ، وَأَدُّوا النَّصِيحَةَ لِعِبَادِ اللهِ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ)، وقَالَ مُجَاهِدٌ: (﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ اليَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ بِالإِسْلَامِ)، وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (الحَقُّ التَّوْرَاةُ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ، وَالبَاطِلُ: الَّذِي كَتَبُوهُ بِأَيْدِيهِمْ)..

﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ فِيهِ وَجْهَانِ مِنَ التَّأْوِيلِ: **أَحَدُهُمَا**: أَنْ يَكُونَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَهَاهُمْ عَنْ أَنْ يَكْتُمُوا الحَقَّ، كَمَا نَهَاهُمْ أَنْ يَلْبِسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ، فَيَكُونُ تَأْوِيلُ ذَلِكَ حِينَئِذٍ: وَلَا تَلْبَسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَلَا تَكْتُمُوا الحَقَّ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿وَتَكْتُمُوا﴾ عِنْدَ ذَلِكَ مَجْزُومًا بِمَا جُزِمَ بِهِ ﴿تَلْبِسُوا﴾ عَطْفًا عَلَيْهِ.. **وَالوَجْهُ الآخَرُ مِنْهُمَا**: أَنْ يَكُونَ النَّهْيُ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ عَنْ أَنْ يَلْبَسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ خَبَرًا مِنْهُ عَنْهُمْ بِكِتْمَانِهِمُ الحَقَّ الَّذِي يَعْلَمُونَهُ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿وَتَكْتُمُوا﴾ حِينَئِذٍ مَنْصُوبًا لِانْصِرَافِهِ عَنْ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ إِذْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾ نَهْيًا، وَقَوْلُهُ ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ خَبَرًا مَعْطُوفًا عَلَيْهِ، غَيْرَ جَائِزٍ أَنْ يُعَادَ عَلَيْهِ مَا عَمِلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿تَلْبِسُوا﴾ مِنَ الحَرْفِ الجَازِمِ.. **فَأَمَّا الوَجْهُ الأَوَّلُ مِنْ هَذَيْنِ الوَجْهَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْنَا أَنَّ الآيَةَ تَحْتَمِلُهُمَا، فَهُوَ عَلَىٰ مَذْهَبِ ابْنِ عَبَّاسٍ** الَّذِي رُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (وَلَا تَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)، وَرُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ أَيْ: وَلَا تَكْتُمُوا الحَقَّ).. **وَأَمَّا الوَجْهُ الثَّانِي مِنْهُمَا، فَهُوَ عَلَىٰ مَذْهَبِ أَبِي العَالِيَةِ وَمُجَاهِدٍ**، قَالَا: (كَتَمُوا بَعْثَ مُحَمَّدٍ ﷺ).. **وَأَمَّا تَأْوِيلُ الحَقِّ الَّذِي كَتَمُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَهُ، فَهُوَ** مَا رُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (لَا تَكْتُمُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنَ المَعْرِفَةِ بِرَسُولِي وَمَا جَاءَ بِهِ، وَأَنْتُمْ تَجِدُونَهُ عِنْدَكُمْ فِيمَا تَعْلَمُونَ مِنَ الكُتُبِ الَّتِي بِأَيْدِيكُمْ)، وَرُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَنَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ)، وقال مُجَاهِدٌ: (يَكْتُمُ أَهْلُ الكِتَابِ مُحَمَّدًا ﷺ، وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ)، وقال أيضًا: (تَكْتُمُونَ مُحَمَّدًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ، وَأَنْتُمْ تَجِدُونَهُ عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ)، وَرُوِيَ عَنِ السُّدِّيِّ: (الحَقُّ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ)، وقَالَ أَبُو العَالِيَةِ: (كَتَمُوا بَعْثَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ)..

فَتَأْوِيلُ الآيَةِ إِذًا: وَلَا تَخْلِطُوا عَلَىٰ النَّاسِ -أَيُّهَا الأَحْبَارُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ- فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، وَتَزْعُمُوا أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَىٰ بَعْضِ أَجْنَاسِ الأُمَمِ دُونَ بَعْضٍ، أَوْ تُنَافِقُوا فِي أَمْرِهِ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَىٰ جَمِيعِكُمْ وَجَمِيعِ الأُمَمِ غَيْرِكُمْ، فَتَخْلِطُوا بِذَلِكَ الصِّدْقَ

بِالكَذِبِ، وَتَكْتُمُوا بِهِ مَا تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ مِنْ نَعْتِهِ وَصِفَتِهِ، وَأَنَّهُ رَسُولِي إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً..

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة: ٤٢] أَنَّهُ رَسُولِي، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ إِلَيْكُمْ فَمِنْ عِنْدِي، وَتَعْرِفُونَ أَنَّ مِنْ عَهْدِي -الَّذِي أَخَذْتُ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ- الإِيمَانَ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ وَالتَّصْدِيقَ بِهِ.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝﴾ [البقرة: ٤٣]

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ذُكِرَ أَنَّ أَحْبَارَ اليَهُودِ وَالمُنَافِقِينَ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَلَا يَفْعَلُونَهُ، فَأَمَرَهُمُ اللهُ بِإِقَامِ الصَّلَاةِ مَعَ المُسْلِمِينَ المُصَدِّقِينَ بِمُحَمَّدٍ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَإِيتَاءِ زَكَاةِ أَمْوَالِهِمْ مَعَهُمْ، وَأَنْ يَخْضَعُوا للهِ وَلِرَسُولِهِ كَمَا خَضَعُوا.. **وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ** فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا، فَكَرِهْنَا إِعَادَتَهُ، **أَمَّا إِيتَاءُ الزَّكَاةِ، فَهُوَ** أَدَاءُ الصَّدَقَةِ المَفْرُوضَةِ، **وَأَصْلُ الزَّكَاةِ**، نَمَاءُ المَالِ وَتَثْمِيرُهُ وَزِيَادَتُهُ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ: زَكَا الزَّرْعُ، إِذَا كَثُرَ مَا أَخْرَجَ اللهُ مِنْهُ، وَزَكَتِ النَّفَقَةُ، إِذَا كَثُرَتْ، وَقِيلَ زَكَا الفَرْدُ، إِذَا صَارَ زَوْجًا بِزِيَادَةِ الزَّائِدِ عَلَيْهِ حَتَّىٰ صَارَ بِهِ شَفْعًا.. **وَإِنَّمَا قِيلَ لِلزَّكَاةِ زَكَاةٌ**، وَهِيَ مَالٌ يَخْرُجُ مِنْ مَالٍ، لِتَثْمِيرِ اللهِ -بِإِخْرَاجِهَا مِمَّا أُخْرِجَتْ مِنْهُ- مَا بَقِيَ عِنْدَ رَبِّ المَالِ مِنْ مَالِهِ، **وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ سُمِّيَتْ زَكَاةً، لِأَنَّهَا تَطْهِيرٌ** لِمَا بَقِيَ مِنْ مَالِ الرَّجُلِ، وَتَخْلِيصٌ لَهُ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِيهِ مَظْلَمَةٌ لِأَهْلِ السُّهْمَانِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْ نَبِيِّهِ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الكهف: ٧٤]، يَعْنِي بَرِيئَةً مِنَ الذُّنُوبِ طَاهِرَةً، وَكَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ: هُوَ عَدْلٌ زَكِيٌّ، لِذَلِكَ المَعْنَىٰ، **وَهَذَا الوَجْهُ أَعْجَبُ إِلَيَّ -فِي تَأْوِيلِ زَكَاةِ المَالِ- مِنَ الوَجْهِ الأَوَّلِ**، وَإِنْ كَانَ الأَوَّلُ مَقْبُولًا فِي تَأْوِيلِهَا.. **وَإِيتَاؤُهَا**: إِعْطَاؤُهَا أَهْلَهَا..

﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝﴾ [البقرة: ٤٣] وَأَمَّا تَأْوِيلُ الرُّكُوعِ، فَهُوَ الخُضُوعُ للهِ بِالطَّاعَةِ. يُقَالُ مِنْهُ: رَكَعَ فُلَانٌ لِكَذَا وَكَذَا، إِذَا خَضَعَ لَهُ.. وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ -لِمَنْ ذَكَرَ مِنْ أَحْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمُنَافِقِيهَا- بِالإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ، وَبِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، **وَالدُّخُولِ مَعَ المُسْلِمِينَ فِي الإِسْلَامِ**، وَالخُضُوعِ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَنَهْيٌ مِنْهُ لَهُمْ عَنْ كِتْمَانِ مَا قَدْ عَلِمُوهُ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَعْدَ تَظَاهُرِ حُجَجِهِ عَلَيْهِمْ، بِمَا قَدْ وَصَفْنَا قَبْلُ فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا، وَبَعْدَ الإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ وَالإِنْذَارِ، وَبَعْدَ تَذْكِيرِهِمْ نِعَمَهُ إِلَيْهِمْ وَإِلَىٰ أَسْلَافِهِمْ تَعَطُّفًا مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَإِبْلَاغًا فِي المَعْذِرَةِ.

﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝﴾ [البقرة: ٤٤]

﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ البِرِّ الَّذِي كَانَ المُخَاطَبُونَ بِهَذِهِ الآيَةِ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِهِ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، بَعْدَ إِجْمَاعِ جَمِيعِهِمْ عَلَىٰ أَنَّ كُلَّ طَاعَةٍ للهِ

فَهِيَ تُسَمَّىٰ (بِرًّا).. فَرُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (تَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنِ الكُفْرِ بِمَا عِنْدَكُمْ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالعُهْدَةِ مِنَ التَّوْرَاةِ، وَتَتْرُكُونَ أَنْفُسَكُمْ: أَيْ وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ بِمَا فِيهَا مِنْ عَهْدِي إِلَيْكُمْ فِي تَصْدِيقِ رَسُولِي، وَتَنْقُضُونَ مِيثَاقِي، وَتَجْحَدُونَ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ كِتَابِي)، ورُوِي عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالدُّخُولِ فِي دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أُمِرْتُمْ بِهِ مِنْ إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ).. **وَقَالَ آخَرُونَ بِـ:** مَا رُوِي عَنِ السُّدِّيِّ: (كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِطَاعَةِ اللهِ وَبِتَقْوَاهُ وَهُمْ يَعْصُونَهُ)، وقال قَتَادَةُ: (كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِطَاعَةِ اللهِ وَبِتَقْوَاهُ وَبِالبِرِّ وَيُخَالِفُونَ، فَعَيَّرَهُمُ اللهُ)، ورُوِي عن ابْنِ جُرَيْجٍ: (أَهْلُ الكِتَابِ وَالمُنَافِقُونَ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ، وَيَدَعُونَ العَمَلَ بِمَا يَأْمُرُونَ بِهِ النَّاسَ، فَعَيَّرَهُمُ اللهُ بِذَلِكَ، فَمَنْ أَمَرَ بِخَيْرٍ فَلْيَكُنْ أَشَدَّ النَّاسِ فِيهِ مُسَارَعَةً).. **وَقَالَ آخَرُونَ بِـ:** مَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (هَؤُلَاءِ اليَهُودُ كَانَ إِذَا جَاءَ الرَّجُلُ يَسْأَلُهُمْ مَا لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ وَلَا رِشْوَةٌ وَلَا شَيْءٌ، أَمَرُوهُ بِالحَقِّ، فَقَالَ اللهُ لَهُمْ: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾)، ورُوِي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ: (لَا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الفِقْهِ حَتَّىٰ يَمْقُتَ النَّاسَ فِي ذَاتِ اللهِ، ثُمَّ يَرْجِعَ إِلَىٰ نَفْسِهِ فَيَكُونَ لَهَا أَشَدَّ مَقْتًا).. **وَجَمِيعُ الَّذِي قَالَ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الآيَةِ مَنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ مُتَقَارِبُ المَعْنَىٰ؛ لِأَنَّهُمْ** وَإِنِ اخْتَلَفُوا فِي صِفَةِ (البِرِّ) الَّذِي كَانَ القَوْمُ يَأْمُرُونَ بِهِ غَيْرَهُمْ، الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ، فَهُمْ مُتَّفِقُونَ فِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِمَا للهِ فِيهِ رِضًا مِنَ القَوْلِ أَوِ العَمَلِ، وَيُخَالِفُونَ مَا أَمَرُوهُمْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ غَيْرِهِ بِأَفْعَالِهِمْ.. **فَالتَّأْوِيلُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّتِهِ ظَاهِرُ التِّلَاوَةِ إِذًا:** أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِطَاعَةِ اللهِ وَتَتْرُكُونَ أَنْفُسَكُمْ تَعْصِيهِ؟! فَهَلَّا تَأْمُرُونَهَا بِمَا تَأْمُرُونَ بِهِ النَّاسَ مِنْ طَاعَةِ رَبِّكُمْ؟ **مُعَيِّرُهُمْ بِذَلِكَ، وَمُقَبِّحًا إِلَيْهِمْ مَا أَتَوْا بِهِ.. وَمَعْنَىٰ (نِسْيَانِهِمْ أَنْفُسَهُمْ)** فِي هَذَا المَوْضِعِ نَظِيرُ النِّسْيَانِ الَّذِي قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التَّوْبَة: ٦٧] بِمَعْنَىٰ: تَرَكُوا طَاعَةَ اللهِ فَتَرَكَهُمُ اللهُ مِنْ ثَوَابِهِ..

﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ﴾ يَعْنِي بِقَوْلِهِ: (تَتْلُونَ): تَدْرُسُونَ وَتَقْرَءُونَ، كَمَا رُوِي عَنِ الضَّحَّاكِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (تَدْرُسُونَ الكِتَابَ بِذَلِكَ).. وَيَعْنِي بِالكِتَابِ: التَّوْرَاةَ..

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤] أَفَلَا تَفْقَهُونَ وَتَفْهَمُونَ قُبْحَ مَا تَأْتُونَ مِنْ مَعْصِيَتِكُمْ رَبَّكُمُ الَّتِي تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِخِلَافِهَا وَتَنْهَوْنَهُمْ عَنْ رُكُوبِهَا وَأَنْتُمْ رَاكِبُوهَا، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّ اللهِ وَطَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ وَالإِيمَانِ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، مِثْلُ الَّذِي عَلَىٰ مَنْ تَأْمُرُونَهُ بِاتِّبَاعِهِ، كَمَا رُوِي عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ يَقُولُ: أَفَلَا تَفْهَمُونَ؟ فَنَهَاهُمْ عَنْ هَذَا الخُلُقِ القَبِيحِ).. **وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا** مِنْ أَمْرِ أَحْبَارِ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ غَيْرَهُمْ بِاتِّبَاعِ

مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: هُوَ مَبْعُوثٌ إِلَىٰ غَيْرِنَا! كَمَا ذَكَرْنَا قَبْلُ.

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: ٤٥]

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾ عَلَىٰ الوَفَاءِ بِعَهْدِي الَّذِي عَاهَدْتُمُونِي فِي كِتَابِكُمْ مِنْ طَاعَتِي وَاتِّبَاعِ أَمْرِي، وَتَرْكِ مَا تَهْوَوْنَهُ مِنَ الرِّيَاسَةِ وَحُبِّ الدُّنْيَا إِلَىٰ مَا تَكْرَهُونَهُ مِنَ التَّسْلِيمِ لِأَمْرِي، وَاتِّبَاعِ رَسُولِي مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ عَلَيْهِ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ (الصَّبْرِ) فِي هَذَا المَوْضِعِ الصَّوْمُ، وَالصَّوْمُ بَعْضُ مَعَانِي الصَّبْرِ، وَتَأْوِيلُ مَنْ تَأَوَّلَ ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَمَرَهُمْ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا كَرِهَتْهُ نُفُوسُهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ، وَتَرْكِ مَعَاصِيهِ، **وَأَصْلُ الصَّبْرِ**: مَنْعُ النَّفْسِ مَحَابَّهَا، وَكَفُّهَا عَنْ هَوَاهَا؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلصَّابِرِ عَلَىٰ المُصِيبَةِ: صَابِرٌ، لِكَفِّهِ نَفْسَهُ عَنِ الجَزَعِ ؛ وَقِيلَ لِشَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ الصَّبْرِ، لِصَبْرِ صَائِمِيهِ عَنِ المَطَاعِمِ وَالمَشَارِبِ نَهَارًا، وَصَبْرُهُ إِيَّاهُمْ عَنْ ذَلِكَ: حَبْسُهُ لَهُمْ، وَكَفُّهُ إِيَّاهُمْ عَنْهُ، كَمَا تُصَبِّرُ الرَّجُلَ المُسِيءَ لِلقَتْلِ فَتَحْبِسُهُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ تَقْتُلَهُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: قَتَلَ فُلَانٌ فُلَانًا صَبْرًا، يَعْنِي بِهِ: حَبَسَهُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ قَتَلَهُ، فَالمَقْتُولُ مَصْبُورٌ، وَالقَاتِلُ صَابِرٌ..

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: قَدْ عَلِمْنَا مَعْنَىٰ الأَمْرِ بِالِاسْتِعَانَةِ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ الوَفَاءِ بِالعَهْدِ وَالمُحَافَظَةِ عَلَىٰ الطَّاعَةِ، **فَمَا مَعْنَىٰ الأَمْرِ بِالِاسْتِعَانَةِ بِالصَّلَاةِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ**، وَتَرْكِ مَعَاصِيهِ، وَالتَّعَرِّي عَنِ الرِّيَاسَةِ، وَتَرْكِ الدُّنْيَا؟ قِيلَ: إِنَّ الصَّلَاةَ فِيهَا تِلَاوَةُ كِتَابِ اللهِ، الدَّاعِيَةُ آيَاتُهُ إِلَىٰ رَفْضِ الدُّنْيَا وَهَجْرِ نَعِيمِهَا، المُسَلِّيَةُ النُّفُوسَ عَنْ زِينَتِهَا وَغُرُورِهَا، المُذَكِّرَةُ الآخِرَةَ وَمَا أَعَدَّ اللهُ فِيهَا لِأَهْلِهَا، فَفِي الِاعْتِبَارِ بِهَا المَعُونَةُ لِأَهْلِ طَاعَةِ اللهِ عَلَىٰ الجِدِّ فِيهَا، كَمَا رُوِيَ عَنْ نَبِيِّنَا ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ.. فَأَمَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الَّذِينَ وَصَفَ أَمْرَهُمْ مِنْ أَحْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَجْعَلُوا مَفْزَعَهُمْ فِي الوَفَاءِ بِعَهْدِ اللهِ الَّذِي عَاهَدُوهُ إِلَىٰ الِاسْتِعَانَةِ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ كَمَا أَمَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ: فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه: ١٣٠] فَأَمَرَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي نَوَائِبِهِ بِالفَزَعِ إِلَىٰ الصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ، وَقَدْ نُعِيَ إِلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ أَخُوهُ قُثَمٌ، وَهُوَ فِي سَفَرٍ، فَاسْتَرْجَعَ، ثُمَّ تَنَحَّىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، فَأَنَاخَ فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ أَطَالَ فِيهِمَا الجُلُوسَ، ثُمَّ قَامَ يَمْشِي إِلَىٰ رَاحِلَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾، وَأَمَّا أَبُو العَالِيَةِ فَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ عَلَىٰ مَرْضَاةِ اللهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُمَا مِنْ طَاعَةِ اللهِ)، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾: (إِنَّهُمَا مَعُونَتَانِ عَلَىٰ رَحْمَةِ اللهِ)، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (قَالَ المُشْرِكُونَ: وَاللهِ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ لَتَدْعُونَا إِلَىٰ أَمْرٍ كَبِيرٍ! إِلَىٰ الصَّلَاةِ وَالإِيمَانِ بِاللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ)..

﴿وَإِنَّهَا﴾ وَإِنَّ الصَّلَاةَ..

﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ لَشَدِيدَةٌ ثَقِيلَةٌ..

﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾ [البقرة: ٤٥] إِلَّا عَلَىٰ الخَاضِعِينَ لِطَاعَتِهِ، الخَائِفِينَ سَطَوَاتِهِ، المُصَدِّقِينَ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، قالَ مُجَاهِدٌ: (﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾ المُؤْمِنِينَ حَقًّا)، وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (الخُشُوعُ: الخَوْفُ وَالخَشْيَةُ للهِ، وَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ: ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الشورى: ٤٥] قَالَ: قَدْ أَذَلَّهُمُ الخَوْفُ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ، وَخَشَعُوا لَهُ).. وَأَصْلُ الخُشُوعِ: التَّوَاضُعُ وَالتَّذَلُّلُ وَالِاسْتِكَانَةُ.. فَمَعْنَىٰ الآيَةِ: وَاسْتَعِينُوا أَيُّهَا الأَحْبَارُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ بِحَبْسِ أَنْفُسِكُمْ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَكَفِّهَا عَنْ مَعَاصِي اللهِ، وَبِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ المَانِعَةِ مِنَ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ، المُقَرِّبَةِ مِنْ مَرَاضِي اللهِ، العَظِيمَةِ إِقَامَتُهَا إِلَّا عَلَىٰ المُتَوَاضِعِينَ للهِ، المُسْتَكِينِينَ لِطَاعَتِهِ، المُتَذَلِّلِينَ مِنْ مَخَافَتِهِ.

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝٤٦﴾ [البقرة: ٤٦]

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ إِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَكَيْفَ أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّنْ قَدْ وَصَفَهُ بِالخُشُوعِ لَهُ بِالطَّاعَةِ، أَنَّهُ (يَظُنُّ) أَنَّهُ مُلَاقِيهِ، وَالظَّنُّ: شَكٌّ، وَالشَّاكُّ فِي لِقَاءِ اللهِ عِنْدَكَ بِاللهِ كَافِرٌ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّ العَرَبَ قَدْ تُسَمِّي اليَقِينَ (ظَنًّا)، وَالشَّكَّ (ظَنًّا)، نَظِيرَ تَسْمِيَتِهِمُ الظُّلْمَةَ (سُدْفَةً)، وَالضِّيَاءَ (سُدْفَةً)، وَالمُغِيثَ (صَارِخًا)، وَالمُسْتَغِيثَ (صَارِخًا)، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الأَسْمَاءِ الَّتِي تُسَمِّي بِهَا الشَّيْءَ وَضِدَّهُ.. وَالشَّوَاهِدُ مِنْ أَشْعَارِ العَرَبِ وَكَلَامِهَا عَلَىٰ أَنَّ (الظَّنَّ) فِي مَعْنَىٰ اليَقِينِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَىٰ.. وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣] وَبِمِثْلِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ جَاءَ تَفْسِيرُ المُفَسِّرِينَ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾: (لِأَنَّهُمْ لَمْ يُعَايِنُوا، فَكَانَ ظَنُّهُمْ يَقِينًا، وَلَيْسَ ظَنًّا فِي شَكٍّ، وَقَرَأَ: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾)..

﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ وَاسْتَعِينُوا عَلَىٰ الوَفَاءِ بِعَهْدِي بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ وَالصَّلَاةِ، وَإِنَّ الصَّلَاةَ لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَىٰ الخَائِفِينَ عِقَابِي، المُتَوَاضِعِينَ لِأَمْرِي، المُوقِنِينَ بِلِقَائِي وَالرُّجُوعِ إِلَيَّ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ.. وَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ الصَّلَاةَ كَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَىٰ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ غَيْرَ مُوقِنٍ بِمِعَادٍ وَلَا مُصَدِّقٍ بِمَرْجِعٍ وَلَا ثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ، فَالصَّلَاةُ عِنْدَهُ عَنَاءٌ وَضَلَالٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَرْجُو بِإِقَامَتِهَا إِدْرَاكَ نَفْعٍ وَلَا دَفْعَ ضُرٍّ، وَحَقٌّ لِمَنْ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ صِفَتُهُ أَنْ تَكُونَ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ كَبِيرَةً، وَإِقَامَتُهَا عَلَيْهِ ثَقِيلَةً، وَلَهُ فَادِحَةً، وَإِنَّمَا خَفَّتْ عَلَىٰ المُؤْمِنِينَ المُصَدِّقِينَ بِلِقَاءِ اللهِ، الرَّاجِينَ عَلَيْهَا جَزِيلَ ثَوَابِهِ، الخَائِفِينَ بِتَضْيِيعِهَا أَلِيمَ عِقَابِهِ، لِمَا يَرْجُونَ بِإِقَامَتِهَا فِي مَعَادِهِمْ مِنَ الوُصُولِ إِلَىٰ مَا وَعَدَ اللهُ عَلَيْهَا أَهْلَهَا، وَلِمَا يَحْذَرُونَ بِتَضْيِيعِهَا مَا أَوْعَدَ مُضَيِّعَهَا، فَأَمَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَحْبَارَ بَنِي

إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ خَاطَبَهُمْ بِهَذِهِ الآيَاتِ أَنْ يَكُونُوا مِنْ مُقِيمِيهَا الرَّاجِينَ ثَوَابَهَا إِذَا كَانُوا أَهْلَ يَقِينٍ بِأَنَّهُمْ إِلَىٰ اللهِ رَاجِعُونَ، وَإِيَّاهُ فِي القِيَامَةِ مُلَاقُونَ..

﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝٤٦﴾ [البقرة: ٤٦] وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَىٰ الخَاشِعِينَ المُوقِنِينَ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ، ثُمَّ اخْتُلِفَ فِي تَأْوِيلِ (الرُّجُوعِ).. **فَقَالَ بَعْضُهُمْ**، بِمَا قال أبو العَالِيَةِ: (يَسْتَيْقِنُونَ أَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ).. **وَقَالَ آخَرُونَ**: مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ بِمَوْتِهِمْ.. وَأَوْلَىٰ التَّأْوِيلَيْنِ بِالآيَةِ، القَوْلُ الَّذِي قَالَهُ أَبُو العَالِيَةِ ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، قَالَ فِي الآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٨﴾ فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَيْهِ بَعْدَ نَشْرِهِمْ وَإِحْيَائِهِمْ مِنْ مَمَاتِهِمْ، وَذَلِكَ لَا شَكَّ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝٤٦﴾.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ [البقرة: ٤٧]

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الآيَةِ نَظِيرُ تَأْوِيلِهِ فِي الَّتِي قَبْلَهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ﴾، وَقَدْ ذَكَرْتُهُ هُنَالِكَ..

﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ [البقرة: ٤٧] وَهَذَا أَيْضًا مِمَّا ذَكَّرَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنَ آلَائِهِ وَنِعَمِهِ عِنْدَهُمْ.. وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾: أَنِّي فَضَّلْتُ أَسْلَافَكُمْ، **فَنَسَبَ نِعَمَهُ عَلَىٰ آبَائِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ إِلَىٰ أَنَّهَا نِعَمٌ مِنْهُ عَلَيْهِمْ، إِذْ كَانَتْ مَآثِرُ الآبَاءِ مَآثِرَ لِلأَبْنَاءِ، وَالنِّعَمُ عِنْدَ الآبَاءِ نِعَمًا عِنْدَ الأَبْنَاءِ**، لِكَوْنِ الأَبْنَاءِ مِنَ الآبَاءِ.. وَأَخْرَجَ جَلَّ ذِكْرُهُ قَوْلَهُ: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ **مَخْرَجَ العُمُومِ، وَهُوَ يُرِيدُ بِهِ خُصُوصًا**؛ لِأَنَّ المَعْنَىٰ: وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَىٰ عَالَمِ مَنْ كُنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَيْهِ وَفِي زَمَانِهِ، كَالَّذِي قالَ قَتَادَةُ: (فَضَّلَهُمْ عَلَىٰ عَالَمِ ذَلِكَ الزَّمَانِ)، وقالَ أبو العَالِيَةِ: (﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ بِمَا أُعْطُوا مِنَ المُلْكِ وَالرُّسُلِ وَالكُتُبِ، عَلَىٰ عَالَمِ مَنْ كَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، فَإِنَّ لِكُلِّ زَمَانٍ عَالَمًا)، وقَالَ مُجَاهِدٌ: (عَلَىٰ مَنْ هُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ)، وقَالَ: ابْنُ وَهْبٍ: سَأَلْتُ ابْنَ زَيْدٍ عَنْ قَوْلِ اللهِ: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾، قَالَ: (عَالَمُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٢﴾ [الدُّخَان: ٣٢] قَالَ: هَذِهِ لِمَنْ أَطَاعَهُ وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ، وَقَدْ كَانَ فِيهِمُ القِرَدَةُ، وَهُمْ أَبْغَضُ خَلْقِهِ إِلَيْهِ، وَقَالَ لِهَذِهِ الأُمَّةِ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١١٠] قَالَ: هَذِهِ لِمَنْ أَطَاعَ اللهَ وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ وَاجْتَنَبَ مَحَارِمَهُ).. وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ تَأْوِيلَ ذَلِكَ عَلَىٰ الخُصُوصِ الَّذِي وَصَفْنَا مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا إِنَّكُمْ وَفَّيْتُمْ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ آخِرُهَا، وأَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ»، فَقَدْ أَنْبَأَ هَذَا الخَبَرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ بَنِي

إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكُونُوا مُفَضَّلِينَ عَلَىٰ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الجاثية: ١٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ٤٧﴾ عَلَىٰ مَا بَيَّنَّا مِنْ تَأْوِيلِهِ، وَقَدْ أَتَيْنَا عَلَىٰ بَيَانِ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: (العَالَمِينَ) بِمَا فِيهِ الكِفَايَةُ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ، فَأَغْنَىٰ ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهِ.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ [البقرة: ٤٨]

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي فِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا، وَجَائِزٌ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُهُ: وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا، فَحُذِفَتْ (الهَاءُ) الرَّاجِعَةُ عَلَىٰ (اليَوْمِ)، إِذْ فِيهِ اجْتِزَاءٌ بِمَا ظَهَرَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ﴾ الدَّالِّ عَلَىٰ المَحْذُوفِ مِنْهُ عَمَّا حُذِفَ، إِذْ كَانَ مَعْلُومًا مَعْنَاهُ.. وَأَمَّا المَعْنَىٰ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ فَإِنَّهُ تَحْذِيرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ خَاطَبَهُمْ بِهَذِهِ الآيَةِ، عُقُوبَتَهُ أَنْ تَحُلَّ بِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهُوَ اليَوْمُ الَّذِي لَا تَجْزِي فِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا، وَلَا يَجْزِي فِيهِ وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا.. **وَأَمَّا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ: ﴿لَّا تَجْزِي نَفْسٌ﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي: لَا تُغْنِي.. وَأَصْلُ (الجَزَاءِ) فِي كَلَامِ العَرَبِ: القَضَاءُ وَالتَّعْوِيضُ**، يُقَالُ: جَزَيْتُهُ قَرْضَهُ وَدَيْنَهُ أَجْزِيهِ جَزَاءً، بِمَعْنَىٰ: قَضَيْتُهُ دَيْنَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ: جَزَىٰ اللهُ فُلَانًا عَنِّي خَيْرًا أَوْ شَرًّا، بِمَعْنَىٰ: أَثَابَهُ عَنِّي وَقَضَاهُ عَنِّي مَا لَزِمَنِي لَهُ بِفِعْلِهِ الَّذِي سَلَفَ مِنْهُ إِلَيَّ.. **فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ**: وَمَا مَعْنَىٰ لَا تَقْضِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ، وَلَا تُغْنِي عَنْهَا غِنًىٰ؟ **قِيلَ**: هُوَ أَنَّ أَحَدَنَا اليَوْمَ رُبَّمَا قَضَىٰ عَنْ وَلَدِهِ أَوْ وَالِدِهِ أَوْ ذِي الصَّدَاقَةِ وَالقَرَابَةِ دَيْنَهُ، وَأَمَّا فِي الآخِرَةِ فَإِنَّهُ فِيمَا أَتَتْنَا بِهِ الأَخْبَارُ عَنْهَا، يَسُرُّ الرَّجُلَ أَنْ يَبْرُدَ لَهُ عَلَىٰ وَلَدِهِ أَوْ وَالِدِهِ حَقٌّ، **وَذَلِكَ أَنَّ قَضَاءَ الحُقُوقِ فِي القِيَامَةِ مِنَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَحِمَ اللهُ عَبْدًا كَانَتْ عِنْدَهُ لِأَخِيهِ مَظْلَمَةٌ فِي عِرْضٍ أَوْ مَالٍ أَوْ جَاهٍ، فَاسْتَحَلَّهُ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُ وَلَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذُوا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ حَمَلُوا عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ»، فَذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ يَعْنِي: أَنَّهَا لَا تَقْضِي عَنْهَا شَيْئًا لَزِمَهَا لِغَيْرِهَا؛ لِأَنَّ القَضَاءَ هُنَالِكَ مِنَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا، وَكَيْفَ يَقْضِي عَنْ غَيْرِهِ مَا لَزِمَهُ مَنْ كَانَ يَسُرُّهُ أَنْ يَثْبُتَ لَهُ عَلَىٰ وَلَدِهِ أَوْ وَالِدِهِ حَقٌّ، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَلَا يَتَجَافَىٰ لَهُ عَنْهُ..

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ الشَّفَاعَةُ: مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الرَّجُلِ: شَفَعَ لِي فُلَانٌ إِلَىٰ فُلَانٍ شَفَاعَةً، وَهُوَ طَلَبُهُ إِلَيْهِ فِي قَضَاءِ حَاجَتِهِ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلشَّفِيعِ شَفِيعٌ وَشَافِعٌ؛ لِأَنَّهُ ثَنَّىٰ المُسْتَشْفَعَ بِهِ، فَصَارَ بِهِ شَفْعًا فَكَانَ ذُو الحَاجَةِ -قَبْلَ اسْتِشْفَاعِهِ بِهِ فِي حَاجَتِهِ- فَرْدًا، فَصَارَ صَاحِبُهُ لَهُ فِيهَا شَافِعًا، وَطَلَبُهُ فِيهِ وَفِي

حَاجَتِهِ شَفَاعَةً، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الشَّفِيعُ فِي الدَّارِ وَفِي الأَرْضِ (شَفِيعًا) لِمَصِيرِ البَائِعِ بِهِ شَفْعًا، فَتَأْوِيلُ الآيَةِ إِذًا: وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَقْضِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ حَقًّا لَزِمَهَا للهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَلَا لِغَيْرِهِ، **وَلَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهَا شَفَاعَةَ شَافِعٍ**، فَيَتْرُكَ لَهَا مَا لَزِمَهَا مِنْ حَقٍّ.. وَقِيلَ: إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ **خَاطَبَ أَهْلَ هَذِهِ الآيَةِ بِمَا خَاطَبَهُمْ بِهِ فِيهَا، لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ وَأَوْلَادُ أَنْبِيَائِهِ**، وَسَيَشْفَعُ لَنَا عِنْدَهُ آبَاؤُنَا، فَأَخْبَرَهُمُ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ أَنَّ نَفْسًا لَا تَجْزِي عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا فِي القِيَامَةِ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةُ أَحَدٍ فِيهَا حَتَّىٰ يُسْتَوْفَىٰ لِكُلِّ ذِي حَقٍّ مِنْهَا حَقُّهُ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الجَمَّاءَ لَتَقْتَصُّ مِنَ القَرْنَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧]»، فَآيَسَهُمُ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ مِمَّا كَانُوا **أَطْمَعُوا فِيهِ أَنْفُسَهُمْ** مِنَ النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللهِ -مَعَ تَكْذِيبِهِمْ بِمَا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ وَخِلَافِهِمْ أَمْرَ اللهِ فِي اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ- بِشَفَاعَةِ آبَائِهِمْ وَغَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ؛ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ غَيْرُ نَافِعِهِمْ عِنْدَهُ إِلَّا التَّوْبَةَ إِلَيْهِ مِنْ كُفْرِهِمْ وَالإِنَابَةَ مِنْ ضَلَالِهِمْ، وَجَعَلَ مَا سَنَّ فِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ إِمَامًا لِكُلِّ مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مِنْهَاجِهِمْ لِئَلَّا يَطْمَعَ ذُو إِلحَادٍ فِي رَحْمَةِ اللهِ.. **وَهَذِهِ الآيَةُ وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُهَا عَامًّا فِي التِّلَاوَةِ، فَإِنَّ المُرَادَ بِهَا خَاصٌّ فِي التَّأْوِيلِ** لِتَظَاهُرِ الأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»، وَأَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ دَعْوَةً، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي، وَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْهُمْ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»، فَقَدْ تَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ يَصْفَحُ لِعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ -بِشَفَاعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ لَهُمْ- عَنْ كَثِيرٍ مِنْ عُقُوبَةِ إِجْرَامِهِمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، وَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ إِنَّمَا هِيَ لِمَنْ مَاتَ عَلَىٰ كُفْرِهِ غَيْرَ تَائِبٍ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاضِعِ الإِطَالَةِ فِي القَوْلِ فِي الشَّفَاعَةِ وَالوَعْدِ وَالوَعِيدِ، فَنَسْتَقْصِي الحِجَاجَ فِي ذَلِكَ، وَسَنَأْتِي عَلَىٰ مَا فِيهِ الكِفَايَةُ فِي مَوَاضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ..

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ العَدْلُ فِي كَلَامِ العَرَبِ -بِفَتْحِ العَيْنِ- الفِدْيَةُ، كَمَا قَالَ أَبو العَالِيَةِ، وَرُوِي عَنِ السُّدِّيِّ: (لَوْ جَاءَتْ بِمِلْءِ الأَرْضِ ذَهَبًا تَفْتَدِي بِهِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهَا)، وقال قَتَادَةُ: (لَوْ جَاءَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهَا)، ورُوِي عَنِ ابْنُ عَبَّاسٍ: (﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ بَدَلٌ، وَالبَدَلُ: الفِدْيَةُ)، وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (لَوْ أَنَّ لَهَا مِلءَ الأَرْضِ ذَهَبًا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهَا فِدَاءٌ قَالَ: وَلَوْ جَاءَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهَا).. **وَإِنَّمَا قِيلَ لِلفِدْيَةِ مِنَ الشَّيْءِ وَالبَدَلِ مِنْهُ (عَدْلٌ)، لِمُعَادَلَتِهِ إِيَّاهُ وَهُوَ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ ؛ وَمَصِيرِهِ لَهُ مَثَلًا مِنْ وَجْهِ الجَزَاءِ، لَا مِنْ وَجْهِ المُشَابَهَةِ فِي الصُّورَةِ وَالخِلْقَةِ**، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ [الأنعام: ٧٠] بِمَعْنَىٰ: وَإِنْ تَفْدِ كُلَّ فِدْيَةٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا، يُقَالُ مِنْهُ: هَذَا عَدْلُهُ وَعَدِيلُهُ، وَأَمَّا (العِدْلُ) بِكَسْرِ العَيْنِ، فَهُوَ مِثْلُ الحِمْلِ المَحْمُولِ عَلَىٰ الظَّهْرِ، يُقَالُ مِنْ ذَلِكَ: (عِنْدِي غُلَامٌ عِدْلُ غُلَامِكَ، وَشَاةٌ عِدْلُ شَاتِكَ) بِكَسْرِ العَيْنِ، إِذَا كَانَ

غُلَامٌ يَعْدِلُ غُلَامًا، وَشَاةٌ تَعْدِلُ شَاةً، وَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي كُلِّ مَثَلٍ لِلشَّيْءِ مِنْ جِنْسِهِ، فَإِذَا أُرِيدَ أَنَّ عِنْدَهُ قِيمَتَهُ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ نُصِبَتِ العَيْنُ فَقِيلَ: عِنْدِي عَدْلُ شَاتِكَ مِنَ الدَّرَاهِمِ..

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ [البقرة: ٤٨] يَعْنِي أَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ لَا يَنْصُرُهُمْ نَاصِرٌ، كَمَا لَا يَشْفَعُ لَهُمْ شَافِعٌ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ عَدْلٌ وَلَا فِدْيَةٌ، بَطَلَتْ هُنَالِكَ المُحَابَاةُ وَاضْمَحَلَّتِ الرُّشَىٰ وَالشَّفَاعَاتُ، وَارْتَفَعَ بَيْنَ القَوْمِ التَّعَاوُنُ وَالتَّنَاصُرُ، وَصَارَ الحُكْمُ إِلَىٰ العَدْلِ الجَبَّارِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ لَدَيْهِ الشُّفَعَاءُ وَالنُّصَرَاءُ، فَيَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا وَبِالحَسَنَةِ أَضْعَافَهَا، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ٢٤ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ٢٥ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ٢٦﴾ [الصَّافَّات: ٢٤ - ٢٦].

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ٤٩﴾ [البقرة: ٤٩]

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ عُطِفَ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ﴾، فَكَأَنَّهُ قَالَ: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾، وَاذْكُرُوا إِنْعَامَنَا عَلَيْكُمْ ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ بِإِنْجَائِنَاكُمْ مِنْهُمْ.. وَأَمَّا آلُ فِرْعَوْنَ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ دِينِهِ وَقَوْمُهُ وَأَشْيَاعُهُ.. وَأَصْلُ (آلٍ) أَهْلٌ، أُبْدِلَتِ الهَاءُ هَمْزَةً.. وَأَحْسَنُ أَمَاكِنِ (آلٍ) أَنْ يُنْطَقَ بِهِ مَعَ الأَسْمَاءِ المَشْهُورَةِ، مِثْلَ قَوْلِهِمْ: آلُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَآلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَبَّاسٍ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَغَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ اسْتِعْمَالُهُ مَعَ المَجْهُولِ، وَفِي أَسْمَاءِ الأَرْضِينَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ غَيْرُ حَسَنٍ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ بِلِسَانِ العَرَبِ أَنْ يُقَالَ: رَأَيْتُ آلَ الرَّجُلِ، وَرَآنِي آلُ المَرْأَةِ، وَلَا: رَأَيْتُ آلَ البَصْرَةِ، وَآلَ الكُوفَةِ، وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ بَعْضِ العَرَبِ سَمَاعًا أَنَّهَا تَقُولُ: رَأَيْتُ آلَ مَكَّةَ وَآلَ المَدِينَةِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي كَلَامِهِمْ بِالفَاشِي المُسْتَعْمَلِ.. وَأَمَّا (فِرْعَوْنُ) فَإِنَّهُ يُقَالُ: إِنَّهُ اسْمٌ كَانَتْ مُلُوكُ العَمَالِقَةِ بِمِصْرَ تُسَمَّىٰ بِهِ، كَمَا كَانَتْ مُلُوكُ الرُّومِ يُسَمَّىٰ بَعْضُهُمْ (قَيْصَرُ)، وَبَعْضُهُمْ (هِرَقْلُ)، وَكَمَا كَانَتْ مُلُوكُ فَارِسٍ تُسَمَّىٰ (الأَكَاسِرَةُ) وَاحِدُهُمْ (كِسْرَىٰ)، وَمُلُوكُ اليَمَنِ تُسَمَّىٰ (التَّبَابِعَةُ)، وَاحِدُهُمْ (تُبَّعٌ).. وَأَمَّا (فِرْعَوْنُ مُوسَىٰ) الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ نَجَّاهُمْ مِنْهُ فَإِنَّهُ يُقَالُ: إِنَّ اسْمَهُ الوَلِيدُ بْنُ مُصْعَبِ بْنِ الرَّيَّانِ.. وَإِنَّمَا جَازَ أَنْ يُقَالَ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، وَالخِطَابُ بِهِ لِمَنْ لَمْ يُدْرِكْ فِرْعَوْنَ وَلَا المُنَجَّيْنَ مِنْهُ، لِأَنَّ المُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ كَانُوا أَبْنَاءَ مَنْ نَجَّاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، فَأَضَافَ مَا كَانَ مِنْ نِعَمِهِ عَلَىٰ آبَائِهِمْ إِلَيْهِمْ، وَكَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ كُفْرَانِ آبَائِهِمْ عَلَىٰ وَجْهِ الإِضَافَةِ، كَمَا يَقُولُ القَائِلُ لِآخَرَ: فَعَلْنَا بِكُمْ كَذَا، وَفَعَلْنَا بِكُمْ كَذَا، وَقَتَلْنَاكُمْ وَسَبَيْنَاكُمْ، وَالمُخْبِرُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ يَعْنِي قَوْمَهُ وَعَشِيرَتَهُ بِذَلِكَ، أَوْ أَهْلَ بَلَدِهِ وَوَطَنِهِ، كَانَ المَقُولُ لَهُ ذَلِكَ أَدْرَكَ مَا فُعِلَ بِهِمْ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لَمْ يُدْرِكْهُ، فَكَذَلِكَ خِطَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ

خَاطَبَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ لمَّا كَانَ فِعْلُهُ مَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ بِقَوْمِ مَنْ خَاطَبَهُ بِالآيَةِ وَآبَائِهِمْ، أَضَافَ فِعَلَهُ ذَلِكَ الَّذِي فَعَلَهُ بِآبَائِهِمْ إِلَىٰ المُخَاطَبِينَ بِالآيَةِ وَقَوْمِهِمْ..

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ وَفِي قَوْلِهِ: (يَسُومُونَكُمْ) وَجْهَانِ مِنَ التَّأْوِيلِ، أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ خَبَرًا مُسْتَأْنَفًا عَنْ فِعْلِ فِرْعَوْنَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ حِينَئِذٍ: وَاذْكُرُوا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ إِذْ نَجَّيْتُكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ تَأْوِيلَهُ كَانَ مَوْضِعُ ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ رَفعًا.. وَالوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ حَالًا، فَيَكُونُ تَأْوِيلُهُ حِينَئِذٍ: وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ سَائِمِيكُمْ سُوءَ العَذَابِ، فَيَكُونُ حَالًا مَنْ آلِ فِرْعَوْنَ.. وَأَمَّا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ فَإِنَّهُ: يُورِدُونَكُمْ، وَيُذِيقُونَكُمْ، وَيُوَلُّونَكُمْ، يُقَالُ مِنْهُ: سَامَهُ خُطَّةَ ضَيْمٍ، إِذَا أَوْلَاهُ ذَلِكَ وَأَذَاقَهُ.. فَأَمَّا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ: ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي: مَا سَاءَهُمْ مِنَ العَذَابِ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: أَشَدَّ العَذَابِ؛ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ لَقِيلَ: أَسْوَأَ العَذَابِ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَمَا ذَلِكَ العَذَابُ الَّذِي كَانُوا يَسُومُونَهُمُ الَّذِي كَانَ يَسُوؤُهُمْ؟ قِيلَ: هُوَ مَا وَصَفَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾..

﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ أَضَافَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا كَانَ مِنْ فِعْلِ آلِ فِرْعَوْنَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ سَوْمِهِمْ إِيَّاهُمْ سُوءَ العَذَابِ، وَذَبْحِهِمْ أَبْنَاءَهُمْ، وَاسْتِحْيَائِهِمْ نِسَاءَهُمْ إِلَيْهِمْ، دُونَ فِرْعَوْنَ -وَإِنْ كَانَ فِعْلُهُمْ مَا فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ كَانَ بِقُوَّةِ فِرْعَوْنَ، وَعَنْ أَمْرِهِ- لِمُبَاشَرَتِهِمْ ذَلِكَ بِأَنْفُسِهِمْ، فَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مُبَاشِرِ قَتْلَ نَفْسٍ أَوْ تَعْذِيبَ حَيٍّ بِنَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَ عَنْ أَمْرِ غَيْرِهِ، فَفَاعِلُهُ المُتَوَلِّي ذَلِكَ هُوَ المُسْتَحِقُّ إِضَافَةَ ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ الآمِرُ قَاهِرًا الفَاعِلَ المَأْمُورَ بِذَلِكَ، سُلطَانًا كَانَ الآمِرُ، أَوْ لِصًّا خَارِبًا، أَوْ مُتَغَلِّبًا فَاجِرًا، كَمَا أَضَافَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَبْحَ أَبْنَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاسْتِحْيَاءَ نِسَائِهِمْ إِلَىٰ آلِ فِرْعَوْنَ دُونَ فِرْعَوْنَ، وَإِنْ كَانُوا بِقُوَّةِ فِرْعَوْنَ وَأَمْرِهِ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ، فَعَلُوا مَا فَعَلُوا، مَعَ غَلَبَتِهِ إِيَّاهُمْ وَقَهْرِهِ لَهُمْ، فَكَذَلِكَ كُلُّ قَاتِلٍ نَفْسًا بِأَمْرِ غَيْرِهِ ظُلْمًا، فَهُوَ المَقْتُولُ عِنْدَنَا بِهِ قِصَاصًا، وَإِنْ كَانَ قَتْلُهُ إِيَّاهَا بِإِكْرَاهِ غَيْرِهِ لَهُ عَلَىٰ قَتْلِهِ.. وَأَمَّا تَأْوِيلُ ذَبْحِهِمْ أَبْنَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَاسْتِحْيَائِهِمْ نِسَاءَهُمْ، فَإِنَّهُ كَانَ فِيمَا ذُكِرَ لَنَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ: (تَذَاكَرَ فِرْعَوْنُ وَجُلَسَاؤُهُ مَا كَانَ اللهُ وَعَدَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ أَنْبِيَاءَ وَمُلُوكًا وَائْتَمَرُوا، وَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ رِجَالًا مَعَهُمُ الشِّفَارُ يَطُوفُونَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَا يَجِدُونَ مَوْلُودًا ذَكَرًا إِلَّا ذَبَحُوهُ، فَفَعَلُوا، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّ الكِبَارَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَمُوتُونَ بِآجَالِهِمْ، وَأَنَّ الصِّغَارَ يُذْبَحُونَ، قَالَ: تُوشِكُونَ أَنْ تُفْنُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَتَصِيرُوا إِلَىٰ أَنْ تُبَاشِرُوا مِنَ الأَعْمَالِ وَالخِدْمَةِ مَا كَانُوا

يَكْفُونَكُمْ، فَاقْتُلُوا عَامًا كُلَّ مَوْلُودٍ ذَكَرٍ فَتَقِلُّ أَبْنَاؤُهُمْ، وَدَعُوا عَامًا، فَحَمَلَتْ أُمُّ مُوسَىٰ بِهَارُونَ فِي العَامِ الَّذِي لَا يُذْبَحُ فِيهِ الغِلْمَانُ، فَوَلَدَتْهُ عَلَانِيَةً آمِنَةً، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ القَابِلُ حَمَلَتْ بِمُوسَىٰ)، وقالَ أَبُو العَالِيَةِ: (إِنَّ فِرْعَوْنَ مَلَكَهُمْ أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةٍ، فَقَالَتِ الكَهَنَةُ: إِنَّهُ سَيُولَدُ العَامَ بِمِصْرَ غُلَامٌ يَكُونُ هَلَاكُكَ عَلَىٰ يَدَيْهِ، فَبَعَثَ فِي أَهْلِ مِصْرَ نِسَاءً قَوَابِلَ فَإِذَا وَلَدَتِ امْرَأَةٌ غُلَامًا أُتِيَ بِهِ فِرْعَوْنُ فَقَتَلَهُ، وَيَسْتَحْيِي الجَوَارِيَ).. فَالَّذِي قَالَهُ مَنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ العِلمِ كَانَ ذَبْحَ آلِ فِرْعَوْنَ أَبْنَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاسْتِحْيَاؤُهُمْ نِسَاءَهُمْ، فَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ إِذًا عَلَىٰ مَا تَأَوَّلَهُ الَّذِينَ ذَكَرْنَا قَوْلَهُمْ: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾، يَسْتَبْقُونَهُنَّ فَلَا يَقْتُلُونَهُنَّ.. وَقَدْ يَجِبُ عَلَىٰ تَأْوِيلِ مَنْ قَالَ بِالقَوْلِ الَّذِي ذَكَرْنَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي العَالِيَةِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾، أَنَّهُ تَرْكُهُمُ الإِنَاثَ مِنَ القَتْلِ عِنْدَ وِلَادَتِهِنَّ إِيَّاهُنَّ، أَنْ يَكُونَ جَائِزًا أَنْ يُسَمَّىٰ الطِّفْلُ مِنَ الإِنَاثِ فِي حَالِ صِبَاهَا وَبَعْدَ وِلَادِهَا (امْرَأَةً)، وَالصَّبَايَا الصِّغَارُ وَهُنَّ أَطْفَالٌ: (نِسَاءً)؛ لِأَنَّهُمْ تَأَوَّلُوا قَوْلَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾، يَسْتَبْقُونَ الإِنَاثَ مِنَ الوِلْدَانِ عِنْدَ الوِلَادَةِ فَلَا يَقْتُلُونَهُنَّ..

﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٤٩﴾ [البقرة: ٤٩] يَعْنِي: وَفِي الَّذِي فَعَلْنَا بِكُمْ مِنْ إِنْجَائِنَاكُمْ -مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ مِنْ عَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ إِيَّاكُمْ، عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ- بَلَاءٌ لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ.. وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ (بَلَاءٌ): نِعْمَةٌ، كَمَا رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، والسُّدِّيِّ، وقاله مُجَاهِدٌ.. وَأَصْلُ (البَلَاءِ) فِي كَلَامِ العَرَبِ الاخْتِبَارُ وَالِامْتِحَانُ، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ، لِأَنَّ الِامْتِحَانَ وَالِاخْتِبَارَ قَدْ يَكُونُ بِالخَيْرِ كَمَا يَكُونُ بِالشَّرِّ، كَمَا قَالَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝١٦٨﴾ [الأعراف: ١٦٨]، يَقُولُ: اخْتَبَرْنَاهُمْ، وَكَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ثُمَّ تُسَمِّي العَرَبُ الخَيْرَ (بَلَاءً)، وَالشَّرَّ (بَلَاءً)، غَيْرَ أَنَّ الأَكْثَرَ فِي الشَّرِّ أَنْ يُقَالَ: (بَلَوْتُهُ أَبْلُوهُ بَلَاءً)، وَفِي الخَيْرِ: (أَبْلَيْتُهُ أُبْلِيهِ إِبْلَاءً وَبَلَاءً).

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾ [البقرة: ٥٠]

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ عَطْفٌ عَلَىٰ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾، بِمَعْنَىٰ: وَاذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ، وَاذْكُرُوا إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ البَحْرَ.. وَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ﴾: فَصَلْنَا بِكُمُ البَحْرَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ سِبْطًا، فَفَرَقَ البَحْرَ اثْنَيْ عَشَرَ طَرِيقًا، فَسَلَكَ كُلُّ سِبْطٍ مِنْهُمْ طَرِيقًا مِنْهَا، فَذَلِكَ فَرْقُ اللهِ بِهِمْ عَزَّوَجَلَّ البَحْرَ، وَفَصْلُهُ بِهِمْ، بِتَفْرِيقِهِمْ فِي طُرُقِهِ الاِثْنَيْ عَشَرَ، كَمَا رُوِيَ عَنِ السُّدِّيِّ: (لَمَّا أَتَىٰ مُوسَىٰ البَحْرَ كَنَّاهُ (أَبَا خَالِدٍ)، وَضَرَبَهُ فَانْفَلَقَ، فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ، فَدَخَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ فِي البَحْرِ اثْنَا عَشَرَ طَرِيقًا فِي كُلِّ

طَرِيقٍ سِبْطٌ).. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّي البَصْرَةِ: مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾، فَرَقْنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ المَاءِ، يُرِيدُ بِذَلِكَ: فَصَلْنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، وَحَجَزْنَاهُ حَيْثُ مَرَرْتُمْ بِهِ، وَذَلِكَ خِلَافُ مَا فِي ظَاهِرِ التِّلَاوَةِ، لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ فَرَقَ البَحْرَ بِالقَوْمِ، وَلَمْ يُخْبِرْ أَنَّهُ فَرَقَ بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ البَحْرِ، فَيَكُونُ التَّأْوِيلُ مَا قَالَهُ قَائِلُو هَذِهِ المَقَالَةِ، وَفَرْقُهُ البَحْرَ بِالقَوْمِ، إِنَّمَا هُوَ تَفْرِيقُهُ البَحْرَ بِهِمْ، عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا مِنِ افْتِرَاقِ سَبِيلِهِ بِهِمْ، عَلَىٰ مَا جَاءَتْ بِهِ الآثَارُ..

﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قال عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الأَوْدِيِّ: (لَمَّا خَرَجَ مُوسَىٰ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، بَلَغَ ذَلِكَ فِرْعَوْنَ فَقَالَ: لَا تَتْبَعُوهُمْ حَتَّىٰ يَصِيحَ الدِّيكُ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا صَاحَ لَيْلَتَئِذٍ دِيكٌ حَتَّىٰ أَصْبَحُوا، فَدَعَا بِشَاةٍ فَذُبِحَتْ، ثُمَّ قَالَ: لَا أَفْرُغُ مِنْ كَبِدِهَا حَتَّىٰ يَجْتَمِعَ إِلَيَّ سِتُّمِائَةِ أَلْفٍ مِنَ القِبْطِ، فَلَمْ يَفْرَغْ مِنْ كَبِدِهَا حَتَّىٰ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ سِتُّمِائَةِ أَلْفٍ مِنَ القِبْطِ، ثُمَّ سَارَ، فَلَمَّا أَتَىٰ مُوسَىٰ البَحْرَ، قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ: أَيْنَ أَمَرَكَ رَبُّكَ يَا مُوسَىٰ؟ قَالَ: أَمَامَكَ، يُشِيرُ إِلَىٰ البَحْرِ، فَأَقْحَمَ يُوشَعُ فَرَسَهُ فِي البَحْرِ حَتَّىٰ بَلَغَ الغَمْرَ، فَذَهَبَ بِهِ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: أَيْنَ أَمَرَكَ رَبُّكَ يَا مُوسَىٰ؟ فَوَاللهِ مَا كَذَبْتَ وَلَا كُذِّبْتَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَوْحَىٰ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَىٰ مُوسَىٰ: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ۝﴾ [الشُّعَرَاءِ: ٦٣] - يَقُولُ: مِثْلَ جَبَلٍ - قَالَ: ثُمَّ سَارَ مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ وَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ فِي طَرِيقِهِمْ، حَتَّىٰ إِذَا تَتَامُّوا فِيهِ أَطْبَقَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ، فَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝﴾) قَالَ مَعْمَرٌ، قَالَ قَتَادَةُ: (كَانَ مَعَ مُوسَىٰ سِتُّمِائَةُ أَلْفٍ، وَأَتْبَعَهُ فِرْعَوْنُ عَلَىٰ أَلْفِ أَلْفٍ وَمِائَةِ أَلْفِ حِصَانٍ).. وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (لَمَّا أَخَذَ عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنُ الأَرْضَ إِلَىٰ البَحْرِ، قَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ: قُولُوا لَهُمْ يَدْخُلُونَ البَحْرَ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ، فَلَمَّا رَآهُمْ أَصْحَابُ مُوسَىٰ قَالُوا: إِنَّا لَمُدْرَكُونَ، قَالَ: كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ، فَقَالَ مُوسَىٰ لِلبَحْرِ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: بَلَىٰ، قَالَ: وَتَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ عِبَادٌ مِنْ عِبَادِ اللهِ أَمَرَنِي أَنْ آتِيَ بِهِمْ؟ قَالَ: بَلَىٰ، قَالَ: أَتَعْلَمُ أَنَّ هَذَا عَدُوُّ اللهِ؟ قَالَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَافْرُقْ لِي طَرِيقًا وَلِمَنْ مَعِي، قَالَ: يَا مُوسَىٰ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مَمْلُوكٌ، لَيْسَ لِي أَمْرٌ إِلَّا أَنْ يَأْمُرَنِي اللهُ تَعَالَىٰ، فَأَوْحَىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَىٰ البَحْرِ: إِذَا ضَرَبَكَ مُوسَىٰ بِعَصَاهُ فَانْفَرِقْ، وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ يَضْرِبَ البَحْرَ، وَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ۝﴾ [طَه: ٧٧]، وَقَرَأَ قَوْلَهُ: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ﴾ [الدُّخَانِ: ٢٤] - سَهْلًا لَيْسَ فِيهِ نُقَرٌ - فَانْفَرَقَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ فِرْقَةً، فَسَلَكَ كُلُّ سِبْطٍ فِي طَرِيقٍ، قَالَ: فَقَالُوا لِفِرْعَوْنَ: إِنَّهُمْ قَدْ دَخَلُوا البَحْرَ، قَالَ: ادْخُلُوا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَجِبْرِيلُ فِي آخِرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَقُولُ لَهُمْ: لِيَلْحَقْ آخِرُكُمْ أَوَّلَكُمْ، وَفِي أَوَّلِ آلِ فِرْعَوْنَ يَقُولُ لَهُمْ:

رُوَيْدًا يَلحَقُ آخِرُكُمْ أَوَّلَكُمْ، فَجَعَلَ كُلُّ سِبطٍ فِي البَحْرِ يَقُولُونَ لِلسِّبْطِ الَّذِينَ دَخَلُوا قَبْلَهُمْ: قَدْ هَلَكُوا، فَلَمَّا دَخَلَ ذَلِكَ قُلُوبَهُمْ أَوْحَىٰ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ إِلَىٰ البَحْرِ فَجُعِلَ لَهُمْ قَنَاطِرَ، يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَىٰ هَؤُلَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا خَرَجَ آخِرُ هَؤُلَاءِ وَدَخَلَ آخَرُ هَؤُلَاءِ أَمَرَ اللهُ البَحْرَ فَأَطْبَقَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ)..

﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٠﴾ [البقرة: ٥٠] أَيْ تَنْظُرُونَ إِلَىٰ فَرْقِ اللهِ لَكُمُ البَحْرَ، وَإِهْلَاكِهِ آلَ فِرْعَوْنَ فِي المَوْضِعِ الَّذِي نَجَّاكُمْ فِيهِ، وَإِلَىٰ عَظِيمِ سُلطَانِهِ فِي الَّذِي أَرَاكُمْ مِنْ طَاعَةِ البَحْرِ إِيَّاهُ، مِنْ مَصِيرِهِ رُكَامًا فِلَقًا كَهَيْئَةِ الأَطْوَادِ الشَّامِخَةِ، غَيْرَ زَائِلٍ عَنْ حَدِّهِ، انْقِيَادًا لِأَمْرِ اللهِ وَإِذْعَانًا لِطَاعَتِهِ، وَهُوَ سَائِلٌ ذَائِبٌ قَبْلَ ذَلِكَ، يُوقِفُهُمْ بِذَلِكَ جَلَّ ذِكْرُهُ عَلَىٰ مَوْضِعِ حُجَجِهِ عَلَيْهِمْ، وَيُذَكِّرُهُمْ آلَاءَهُ عِنْدَ أَوَائِلِهِمْ، وَيُحَذِّرُهُمْ -فِي تَكْذِيبِهِمْ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ- أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِفِرْعَوْنَ وَآلِهِ، فِي تَكْذِيبِهِمْ مُوسَىٰ ﷺ.

﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ٥١﴾ [البقرة: ٥١]

﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا﴾ اخْتَلَفَتِ القَرَأَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ: فَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: ﴿وَٰعَدۡنَا﴾ بِمَعْنَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَاعَدَ مُوسَىٰ مُوَافَاةَ الطُّورِ لِمُنَاجَاتِهِ، فَكَانَتِ المُوَاعَدَةُ مِنَ اللهِ لِمُوسَىٰ، وَمِنْ مُوسَىٰ لِرَبِّهِ، وَكَانَ مِنْ حُجَّتِهِمْ عَلَىٰ اخْتِيَارِهِمْ قِرَاءَةَ ﴿وَٰعَدۡنَا﴾ عَلَىٰ (وَعَدْنَا) أَنْ قَالُوا: كُلُّ اتِّعَادٍ كَانَ بَيْنَ اثْنَيْنِ لِلِالتِقَاءِ وَالِاجْتِمَاعِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُوَاعِدٌ صَاحِبَهُ ذَلِكَ، فَلِذَلِكَ -زَعَمُوا- وَجَبَ أَنْ يُقْضَىٰ لِقِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ ﴿وَٰعَدۡنَا﴾ بِالِاخْتِيَارِ عَلَىٰ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ (وَعَدْنَا).. وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: (وَعَدْنَا) بِمَعْنَىٰ أَنَّ اللهَ الوَاعِدُ وَالمُنْفَرِدُ بِالوَعْدِ دُونَهُ، وَكَانَ مِنْ حُجَّتِهِمْ فِي اخْتِيَارِهِمْ ذَلِكَ أَنْ قَالُوا: إِنَّمَا تَكُونُ المُوَاعَدَةُ بَيْنَ البَشَرِ، فَأَمَّا اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَإِنَّهُ المُنْفَرِدُ بِالوَعْدِ وَالوَعِيدِ فِي كُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ، قَالُوا: وَبِذَلِكَ جَاءَ التَّنْزِيلُ فِي القُرْآنِ كُلِّهِ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾ [إبراهيم: ٢٢] وَقَالَ: ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ﴾ [الأنفال: ٧]. قَالُوا: فَكَذَلِكَ الوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ هُوَ المُنْفَرِدُ بِالوَعْدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذۡ وَعَدۡنَا مُوسَىٰٓ﴾.. وَالصَّوَابُ عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ مِنَ القَوْلِ: أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ قَدْ جَاءَتْ بِهِمَا الأُمَّةُ وَقَرَأَتْ بِهِمَا القَرَأَةُ، وَلَيْسَ فِي القِرَاءَةِ بِإِحْدَاهُمَا إِبْطَالُ مَعْنَىٰ الأُخْرَىٰ.. وَإِنْ كَانَ فِي إِحْدَاهُمَا زِيَادَةُ مَعْنًىٰ عَلَىٰ الأُخْرَىٰ مِنْ جِهَةِ الظَّاهِرِ وَالتِّلَاوَةِ: فَأَمَّا مِنْ جِهَةِ المَفْهُومِ بِهِمَا فَهُمَا مُتَّفِقَتَانِ، وَذَلِكَ: أَنَّ مَنْ أَخْبَرَ عَنْ شَخْصٍ أَنَّهُ وَعَدَ غَيْرَهُ اللِّقَاءَ بِمَوْضِعٍ مِنَ المَوَاضِعِ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ المَوْعُودَ ذَلِكَ وَاعِدٌ صَاحِبَهُ مِنْ لِقَائِهِ بِذَلِكَ المَكَانِ، مِثْلَ الَّذِي وَعَدَهُ مِنْ ذَلِكَ صَاحِبُهُ، إِذَا كَانَ وَعْدُهُ مَا وَعَدَهُ إِيَّاهُ مِنْ ذَلِكَ عَنِ اتِّفَاقٍ مِنْهُمَا عَلَيْهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ لَمْ يَعِدْهُ رَبُّهُ الطُّورَ إِلَّا عَنْ رِضَا مُوسَىٰ بِذَلِكَ، إِذْ كَانَ مُوسَىٰ غَيْرَ مَشْكُوكٍ فِيهِ أَنَّهُ كَانَ بِكُلِّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ رَاضِيًا، وَإِلَىٰ مَحَبَّتِهِ فِيهِ مُسَارِعًا، وَمَعْقُولٌ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يَعِدْ مُوسَىٰ

ذَلِكَ، إِلَّا وَمُوسَىٰ إِلَيْهِ مُسْتَجِيبٌ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ اللهَ عَزَّ ذِكْرُهُ قَدْ كَانَ وَعَدَ مُوسَىٰ الطُّورَ، وَوَعَدَهُ مُوسَىٰ اللِّقَاءَ، فَكَانَ اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ لِمُوسَىٰ وَاعِدًا مُوَاعِدًا لَهُ المُنَاجَاةَ عَلَىٰ الطُّورِ، وَكَانَ مُوسَىٰ وَاعِدًا لِرَبِّهِ مُوَاعِدًا لَهُ اللِّقَاءَ.. فَبِأَيِّ القِرَاءَتَيْنِ مِنْ (وَعَدَ) و(وَاعَدَ) قَرَأَ القَارِئُ، فَهُوَ لِلحَقِّ فِي ذَلِكَ - مِنْ جِهَةِ التَّأْوِيلِ وَاللُّغَةِ - مُصِيبٌ، لِمَا وَصَفْنَا مِنَ العِلَلِ قَبْلُ..

وَلَا مَعْنَىٰ لِقَوْلِ القَائِلِ: إِنَّمَا تَكُونُ المُوَاعَدَةُ بَيْنَ البَشَرِ، وَأَنَّ اللهَ بِالوَعْدِ وَالوَعِيدِ مُنْفَرِدٌ فِي كُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَذَلِكَ: أَنَّ انْفِرَادَ اللهِ بِالوَعْدِ وَالوَعِيدِ فِي الثَّوَابِ وَالعِقَابِ، وَالخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالنَّفْعِ وَالضُّرِّ -الَّذِي هُوَ بِيَدِهِ وَإِلَيْهِ دُونَ سَائِرِ خَلقِهِ- لَا يُحِيلُ الكَلَامُ الجَارِي بَيْنَ النَّاسِ فِي اسْتِعْمَالِهِمْ إِيَّاهُ عَنْ وُجُوهِهِ، وَلَا يُغَيِّرُهُ عَنْ مَعَانِيهِ، وَالجَارِي بَيْنَ النَّاسِ مِنَ الكَلَامِ المَفْهُومِ مَا وَصَفْنَا، مِنْ أَنَّ كُلَّ اتِّعَادٍ كَانَ بَيْنَ اثْنَيْنِ، فَهُوَ وَعْدٌ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، وَمُوَاعَدَةٌ بَيْنَهُمَا، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاعَدَ صَاحِبَهُ مُوَاعِدٌ، وَأَنَّ الوَعْدَ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الِانْفِرَادُ مِنَ الوَاعِدِ دُونَ المَوْعُودِ، إِنَّمَا هُوَ مَا كَانَ بِمَعْنَىٰ (الوَعْدِ) الَّذِي هُوَ خِلَافُ (الوَعِيدِ)..

﴿مُوسَىٰ﴾ وَمُوسَىٰ - فِيمَا بَلَغَنَا - بِالقِبْطِيَّةِ كَلِمَتَانِ، يُعْنَىٰ بِهِمَا: مَاءٌ وَشَجَرٌ؛ فَـ (مُو)، هُوَ المَاءُ، و(شَا) هُوَ الشَّجَرُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ - فِيمَا بَلَغَنَا-؛ لِأَنَّ أُمَّهُ لَمَّا جَعَلَتْهُ فِي التَّابُوتِ - حِينَ خَافَتْ عَلَيْهِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَأَلقَتْهُ فِي اليَمِّ، كَمَا أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهَا، وَقِيلَ: إِنَّ اليَمَّ الَّذِي أَلقَتْهُ فِيهِ هُوَ النِّيلُ- دَفَعَتْهُ أَمْوَاجُ اليَمِّ حَتَّىٰ أَدْخَلَتْهُ بَيْنَ أَشْجَارٍ عِنْدَ بَيْتِ فِرْعَوْنَ، فَخَرَجَ جَوَارِي آسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ يَغْتَسِلنَ، فَوَجَدْنَ التَّابُوتَ فَأَخَذْنَهُ، فَسُمِّيَ بِاسْمِ المَكَانِ الَّذِي أُصِيبَ فِيهِ، كَانَ ذَلِكَ بِمَكَانٍ فِيهِ مَاءٌ وَشَجَرٌ، فَقِيلَ: مُوسَىٰ، مَاءٌ وَشَجَرٌ..

﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ **وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ**: وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً بِتَمَامِهَا، فَالأَرْبَعُونَ لَيْلَةً كُلُّهَا دَاخِلَةٌ فِي المِيعَادِ..

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ فِي أَيَّامِ مُوَاعَدَةِ مُوسَىٰ العِجْلَ إِلَهًا، مِنْ بَعْدِ أَنْ فَارَقَكُمْ مُوسَىٰ مُتَوَجِّهًا إِلَىٰ المَوْعِدِ.. و(الهَاءُ) فِي قَوْلِهِ (مِنْ بَعْدِهِ) عَائِدَةٌ عَلَىٰ ذِكْرِ مُوسَىٰ..

فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ المُخَالِفِينَ نَبِيَّنَا ﷺ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، المُكَذِّبِينَ بِهِ المُخَاطَبِينَ بِهَذِهِ الآيَةِ، عَنْ فِعْلِ آبَائِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ، وَخِلَافِهِمْ أَنْبِيَاءَهُمْ، مَعَ تَتَابُعِ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، وَشُيُوعِ آلَائِهِ لَدَيْهِمْ، مُعَرِّفَهُمْ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ -مِنْ خِلَافِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَتَكْذِيبِهِمْ بِهِ، وَجُحُودِهِمْ لِرِسَالَتِهِ، مَعَ عِلمِهِمْ بِصِدْقِهِ- عَلَىٰ مِثْلِ مِنْهَاجِ آبَائِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ، وَمُحَذِّرَهُمْ مِنْ نُزُولِ سَطْوَتِهِ بِهِمْ بِمُقَامِهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ مَا نَزَلَ بِأَوَائِلِهِمُ المُكَذِّبِينَ بِالرُّسُلِ، مِنَ المَسْخِ وَاللَّعْنِ

وَأَنْوَاعِ النِّقِمَاتِ.. وَكَانَ سَبَبُ اتِّخَاذِهِمُ العِجْلَ، مَا رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ: (حُلِيٌّ اسْتَعَارُوهُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: أَخْرِجُوهُ فَتَطَهَّرُوا مِنْهُ وَأَحْرِقُوهُ. وَكَانَ السَّامِرِيُّ قَدْ أَخَذَ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ فَرَسِ جِبْرِيلَ فَطَرَحَهُ فِيهِ، فَانْسَبَكَ، فَكَانَ لَهُ كَالجَوْفِ تَهْوِي فِيهِ الرِّيَاحُ)..

﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۝٥١﴾ [البقرة: ٥١] وَأَنْتُمْ وَاضِعُو العِبَادَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا؛ لِأَنَّ العِبَادَةَ لَا تَنْبَغِي إِلَّا للهِ عَزَّوَجَلَّ، وَعَبَدْتُمْ أَنْتُمُ العِجْلَ ظُلْمًا مِنْكُمْ، وَوَضْعًا لِلعِبَادَةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَقَدْ دَلَّلْنَا -فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ مِمَّا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا- أَنَّ أَصْلَ كُلِّ ظُلْمٍ، وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَأَغْنَىٰ ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا المَوْضِعِ.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٢﴾ [البقرة: ٥٢]

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾ تَرَكْنَا مُعَاجَلَتَكُمْ بِالعُقُوبَةِ..

﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أَيْ مِنْ بَعْدِ اتِّخَاذِكُمُ العِجْلَ إِلَهًا، كَمَا أَبُو العَالِيَةِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٢﴾ [البقرة: ٥٢] لِتَشْكُرُونِي عَلَىٰ عَفْوِي عَنْكُمْ، إِذْ كَانَ العَفْوُ يُوجِبُ الشُّكْرَ عَلَىٰ أَهْلِ اللُّبِّ وَالعَقْلِ.. وَمَعْنَىٰ (لَعَلَّ) فِي هَذَا المَوْضِعِ مَعْنَىٰ (كَيْ).

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝٥٣﴾ [البقرة: ٥٣]

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرُوا أَيْضًا إِذْ..

﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ وَيَعْنِي بِـ (الكِتَابِ): التَّوْرَاةَ، وَبِـ (الفُرْقَانِ): الفَصْلَ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، كَمَا قَالَ أَبُو العَالِيَةِ، ومجاهد، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (الفُرْقَانُ: جِمَاعُ اسْمِ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالفُرْقَانِ).. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (أَمَّا الفُرْقَانُ فَذَلِكَ يَوْمُ بَدْرٍ، يَوْمَ فَرَّقَ اللهُ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَالقَضَاءُ الَّذِي فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، فَكَذَلِكَ أَعْطَىٰ اللهُ مُوسَىٰ الفُرْقَانَ، فَرَّقَ اللهُ بَيْنَهُمْ، وَسَلَّمَهُ وَأَنْجَاهُ، فَرَّقَ بَيْنَهُمْ بِالنَّصْرِ، فَكَمَا جَعَلَ اللهُ ذَلِكَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالمُشْرِكِينَ، فَكَذَلِكَ جَعَلَهُ بَيْنَ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ).. **وَأَوْلَىٰ هَذَيْنِ التَّأْوِيلَيْنِ بِتَأْوِيلِ الآيَةِ**، مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي العَالِيَةِ وَمُجَاهِدٍ، مِنْ أَنَّ الفُرْقَانَ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ أَنَّهُ آتَاهُ مُوسَىٰ فِي هَذَا المَوْضِعِ، هُوَ الكِتَابُ الَّذِي فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَهُوَ نَعْتٌ لِلتَّوْرَاةِ وَصِفَةٌ لَهَا، فَيَكُونُ تَأْوِيلُ الآيَةِ حِينَئِذٍ: وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ التَّوْرَاةَ الَّتِي كَتَبْنَاهَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ وَفَرَّقْنَا بِهَا بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، فَيَكُونُ (الكِتَابُ) نَعْتًا لِلتَّوْرَاةِ أُقِيمَ مَقَامَهَا، اسْتِغْنَاءً بِهِ عَنْ ذِكْرِ التَّوْرَاةِ، ثُمَّ عُطِفَ عَلَيْهِ بِـ (الفُرْقَانِ)، إِذْ كَانَ مِنْ نَعْتِهَا.. **وَإِنَّمَا قُلْنَا هَذَا التَّأْوِيلُ أَوْلَىٰ بِالآيَةِ، وَإِنْ كَانَ مُحْتَمِلًا غَيْرَهُ مِنَ**

التَّأْوِيلِ؛ لِأَنَّ الَّذِي قَبْلَهُ مِنْ ذِكْرِ (الكِتَابِ)، وَأَنَّ مَعْنَىٰ (الفُرْقَانِ) الفَصْلَ، فَإِلحَاقُهُ -إِذْ كَانَ كَذَلِكَ- بِصِفَةِ مَا وَلِيَهُ أَوْلَىٰ مِنْ إِلحَاقِهِ بِصِفَةِ مَا بَعُدَ مِنْهُ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝﴾ [البقرة: ٥٣] نَظِيرُ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝﴾، وَمَعْنَاهُ لِتَهْتَدُوا، كَأَنَّهُ قَالَ: وَاذْكُرُوا أَيْضًا إِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ التَّوْرَاةَ الَّتِي تُفَرِّقُ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ لِتَهْتَدُوا بِهَا، وَتَتَّبِعُوا الحَقَّ الَّذِي فِيهَا، لِأَنِّي جَعَلْتُهَا كَذَلِكَ هُدًىٰ لِمَنِ اهْتَدَىٰ بِهَا وَاتَّبَعَ مَا فِيهَا.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝﴾

[البقرة: ٥٤]

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرُوا أَيْضًا إِذْ..

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ وَظُلْمُهُمْ إِيَّاهَا كَانَ فِعْلَهُمْ بِهَا مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ بِهَا، مِمَّا أَوْجَبَ لَهُمُ العُقُوبَةَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَكَذَلِكَ كُلُّ فَاعِلٍ فِعْلًا يَسْتَوْجِبُ بِهِ العُقُوبَةَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ فَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ بِإِيجَابِهِ العُقُوبَةَ لَهَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَكَانَ الفِعْلُ الَّذِي فَعَلُوهُ فَظَلَمُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ، هُوَ مَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ: مِنِ ارْتِدَادِهِمْ بِاتِّخَاذِهِمُ العِجْلَ رَبًّا بَعْدَ فِرَاقِ مُوسَىٰ إِيَّاهُمْ.. ثُمَّ أَمَرَهُمْ مُوسَىٰ بِالمُرَاجَعَةِ مِنْ ذَنْبِهِمْ، وَالإِنَابَةِ إِلَىٰ اللهِ مِنْ رِدَّتِهِمْ، بِالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ، وَالتَّسْلِيمِ لِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ. وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ تَوْبَتَهُمْ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي رَكِبُوهُ قَتْلُهُمْ أَنْفُسَهُمْ.. وَقَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَىٰ عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ (التَّوْبَةِ): الأَوْبَةُ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ إِلَىٰ مَا يَرْضَاهُ مِنْ طَاعَتِهِ.. فَاسْتَجَابَ القَوْمُ لِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مُوسَىٰ مِنَ التَّوْبَةِ مِمَّا رَكِبُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ، عَلَىٰ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، كَمَا قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِي: (عَمَدُوا إِلَىٰ الخَنَاجِرِ، فَجَعَلَ يَطْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا)، وقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٌ: (قَامَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ بِالخَنَاجِرِ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَا يَحِنُّ رَجُلٌ عَلَىٰ رَجُلٍ قَرِيبٍ وَلَا بَعِيدٍ، حَتَّىٰ أَلْوَىٰ مُوسَىٰ بِثَوْبِهِ، فَطَرَحُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ، فَتُكِشِّفَ عَنْ سَبْعِينَ أَلفِ قَتِيلٍ، وَإِنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَىٰ مُوسَىٰ: أَنْ حَسْبِي فَقَدِ اكْتَفَيْتُ، فَذَلِكَ حِينَ أَلْوَىٰ بِثَوْبِهِ)، وقَالَ مُجَاهِدٌ: (كَانَ مُوسَىٰ أَمَرَ قَوْمَهُ -عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ- أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالخَنَاجِرِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَقْتُلُ أَبَاهُ وَيَقْتُلُ وَلَدَهُ، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ)، وقَالَ الزُّهْرِيُّ وَقَتَادَةُ، وابْنُ جُرَيْجٍ: (قَامُوا صَفَّيْنِ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّىٰ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا)، قَالَ قَتَادَةُ، وابْنُ جُرَيْجٍ: (كَانَتْ شَهَادَةً لِلمَقْتُولِ وَتَوْبَةً لِلحَيِّ)، وقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ:

(وَكَانَ قَتْلُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا أَنَّ اللهَ عَلِمَ أَنَّ نَاسًا مِنْهُمْ عَلِمُوا أَنَّ العِجْلَ بَاطِلٌ، فَلَمْ يَمْنَعْهُمْ أَنْ يُنْكِرُوا عَلَيْهِمْ إِلَّا مَخَافَةَ القِتَالِ، فَلِذَلِكَ أَمَرَ أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا)، وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (لَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ، وَكَانَ سَبْعُونَ رَجُلًا قَدِ اعْتَزَلُوا مَعَ هَارُونَ العِجْلَ لَمْ يَعْبُدُوهُ، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ: انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَوْعِدِ رَبِّكُمْ، فَقَالُوا: يَا مُوسَىٰ، أَمَا مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: بَلَىٰ! ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ الآيَةُ، فَاخْتَرَطُوا السُّيُوفَ وَالجِرَزَةَ وَالخَنَاجِرَ وَالسَّكَاكِينَ، وَبُعِثَ عَلَيْهِمْ ضَبَابَةٌ، فَجَعَلُوا يَتَلَامَسُونَ بِالأَيْدِي، وَيَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأَخَاهُ فَيَقْتُلُهُ وَلَا يَدْرِي، وَيَتَنَادَوْنَ فِيهَا: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا صَبَرَ نَفْسَهُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ اللهُ رِضَاهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الدُّخَانِ: ٣٣]، فَقَتْلَاهُمْ شُهَدَاءُ، وَتِيبَ عَلَىٰ أَحْيَائِهِمْ، وَقَرَأَ: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾).. فَالَّذِي ذَكَرْنَا عَمَّنْ رَوَيْنَا عَنْهُ الأَخْبَارَ الَّتِي رَوَيْنَاهَا كَانَ تَوْبَةَ القَوْمِ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي أَتَوْهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ، بِعِبَادَتِهِمُ العِجْلَ مَعَ نَدَمِهِمْ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ..

﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ طَاعَةِ خَالِقِكُمْ، وَإِلَىٰ مَا يُرْضِيهِ عَنْكُمْ.. قال أَبُو العَالِيَةِ: (﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾، أَيْ: إِلَىٰ خَالِقِكُمْ).. وَهُوَ مِنْ بَرَأَ اللهُ الخَلْقَ يَبْرَؤُهُ فَهُوَ بَارِئٌ.. وَالبَرِيَّةُ: الخَلْقُ، وَهِيَ (فَعِيلَةٌ) بِمَعْنَىٰ (مَفْعُولَةٍ)، غَيْرَ أَنَّهَا لَا تُهْمَزُ، كَمَا لَا يُهْمَزُ (مَلَكٌ) وَهُوَ مِنْ (لَأَكَ)، لَكِنَّهُ جَرَىٰ بِتَرْكِ الهَمْزَةِ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ (البَرِيَّةَ) إِنَّمَا لَمْ تُهْمَزْ لِأَنَّهَا (فَعِيلَةٌ) مِنَ (البَرَىٰ)، وَالبَرَىٰ: التُّرَابُ، فَكَأَنَّ تَأْوِيلَهُ عَلَىٰ قَوْلِ مَنْ تَأَوَّلَهُ كَذَلِكَ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنَ التُّرَابِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا أُخِذَتِ (البَرِيَّةُ) مِنْ قَوْلِكَ (بَرَيْتُ العُودَ)، فَلِذَلِكَ لَمْ يُهْمَزْ.. وَتَرْكُ الهَمْزِ مِنْ (بَارِئِكُمْ) جَائِزٌ، وَالإِبْدَالُ مِنْهَا جَائِزٌ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا فِي (بَارِيكُمْ) فَغَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ أَنْ تَكُونَ (البَرِيَّةُ) مِنْ: (بَرَىٰ اللهُ الخَلْقَ) بِتَرْكِ الهَمْزَةِ..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي بِذَلِكَ: تَوْبَتُكُمْ بِقَتْلِكُمْ أَنْفُسَكُمْ وَطَاعَتِكُمْ رَبَّكُمْ..

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ لِأَنَّكُمْ تَنْجُونَ بِذَلِكَ مِنْ عِقَابِ اللهِ فِي الآخِرَةِ عَلَىٰ ذَنْبِكُمْ، وَتَسْتَوْجِبُونَ بِهِ الثَّوَابَ مِنْهُ..

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ بِمَا فَعَلْتُمْ مِمَّا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ قَتْلِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا.. وَهَذَا مِنَ المَحْذُوفِ الَّذِي اسْتَغْنَىٰ بِالظَّاهِرِ مِنْهُ عَنِ المَتْرُوكِ؛ لِأَنَّ مَعْنَىٰ الكَلَامِ: فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ، فَتُبْتُمْ، فَتَابَ عَلَيْكُمْ، فَتَرَكَ ذِكْرَ قَوْلِهِ: (فَتُبْتُمْ)، إِذْ كَانَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ دَلَالَةٌ بَيِّنَةٌ عَلَىٰ اقْتِضَاءِ الكَلَامِ (فَتُبْتُمْ).. وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ رَجَعَ لَكُمْ رَبُّكُمْ

إِلَىٰ مَا أَحْبَبْتُمْ مِنَ العَفْوِ عَنْ ذُنُوبِكُمْ، وَعَظِيمِ مَا رَكِبْتُمْ، وَالصَّفْحِ عَنْ جُرْمِكُمْ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ الرَّاجِعُ لِمَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ إِلَىٰ مَا يُحِبُّ مِنَ العَفْوِ عَنْهُ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٥٤﴾ [البقرة: ٥٤] العَائِدُ إِلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ المُنْجِيَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥﴾

[البقرة: ٥٥]

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرُوا أَيْضًا إِذْ..

﴿قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ قُلْتُمْ: يَا مُوسَىٰ لَنْ نُصَدِّقَكَ، وَلَنْ نُقِرَّ بِمَا جِئْتَنَا بِهِ..

﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ عِيَانًا بِرَفْعِ السَّاتِرِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، وَكَشْفِ الغِطَاءِ دُونَنَا وَدُونَهُ، حَتَّىٰ نَنْظُرَ إِلَيْهِ بِأَبْصَارِنَا.. فَذَكَّرَهُمْ بِذَلِكَ جَلَّ ذِكْرُهُ اخْتِلَافَ آبَائِهِمْ، وَسُوءَ اسْتِقَامَةِ أَسْلَافِهِمْ لِأَنْبِيَائِهِمْ، مَعَ كَثْرَةِ مُعَايَنَتِهِمْ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَعِبَرِهِ مَا تَثْلَجُ بِأَقَلِّهَا الصُّدُورُ، وَتَطْمَئِنُّ بِالتَّصْدِيقِ مَعَهَا النُّفُوسُ، وَذَلِكَ مَعَ تَتَابُعِ الحُجَجِ عَلَيْهِمْ، وَسُبُوغِ النِّعَمِ مِنَ اللهِ لَدَيْهِمْ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مَرَّةً يَسْأَلُونَ نَبِيَّهُمْ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ إِلَهًا غَيْرَ اللهِ، وَمَرَّةً يَعْبُدُونَ العِجْلَ مِنْ دُونِ اللهِ، وَمَرَّةً يَقُولُونَ: لَا نُصَدِّقُكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللهَ جَهْرَةً، وَأُخْرَىٰ يَقُولُونَ لَهُ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ القِتَالِ: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ۝٢٤﴾، وَمَرَّةً يُقَالُ لَهُمْ: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ﴾، فَيَقُولُونَ: حِنْطَةٌ فِي شَعِيرَةٍ، وَيَدْخُلُونَ البَابَ مِنْ قِبَلِ أَسْتَاهِهِمْ، مَعَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِهِمُ الَّتِي آذَوْا بِهَا نَبِيَّهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّتِي يَكْثُرُ إِحْصَاؤُهَا، فَأَعْلَمَ رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- الَّذِينَ خَاطَبَهُمْ بِهَذِهِ الآيَاتِ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُمْ لَنْ يَعْدُوا أَنْ يَكُونُوا -فِي تَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ، وَجُحُودِهِمْ نُبُوَّتَهُ، وَتَرْكِهِمُ الإِقْرَارَ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِهِ، وَمَعْرِفَتِهِمْ بِحَقِيقَةِ أَمْرِهِ- كَأَسْلَافِهِمْ وَآبَائِهِمُ الَّذِينَ فَصَّلَ عَلَيْهِمْ قَصَصَهُمْ فِي ارْتِدَادِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَىٰ، وَتَوَثُّبِهِمْ عَلَىٰ نَبِيِّهِمْ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ تَارَةً بَعْدَ أُخْرَىٰ، مَعَ عَظِيمِ بَلَاءِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ عِنْدَهُمْ، وَسُبُوغِ آلَائِهِ عَلَيْهِمْ..

﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي صِفَةِ الصَّاعِقَةِ الَّتِي أَخَذَتْهُمْ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ بِمَا قَالَ قَتَادَةُ: (مَاتُوا)، وَرُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ: (سَمِعُوا صَوْتًا فَمَاتُوا).. وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا رُوِيَ عَنِ السُّدِّيِّ: (الصَّاعِقَةُ: نَارٌ).. وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ: (أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ، وَهِيَ الصَّاعِقَةُ، فَمَاتُوا جَمِيعًا).. وَأَصْلُ الصَّاعِقَةِ كُلُّ أَمْرٍ هَائِلٍ رَآهُ المَرْءُ أَوْ عَايَنَهُ أَوْ أَصَابَهُ -حَتَّىٰ

يَصِيرَ مِنْ هَوْلِهِ وَعَظِيمِ شَأْنِهِ إِلَىٰ هَلَاكٍ وَعَطَبٍ، وَإِلَىٰ ذَهَابِ عَقْلٍ وَغُمُورِ فَهْمٍ، أَوْ فَقْدِ بَعْضِ آلَاتِ الجِسْمِ- صَوْتًا كَانَ ذَلِكَ أَوْ نَارًا، أَوْ زَلْزَلَةً، أَوْ رَجْفًا، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ مَصْعُوقًا وَهُوَ حَيٌّ غَيْرُ مَيِّتٍ، قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، يَعْنِي مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَقَدْ عُلِمَ أَنَّ مُوسَىٰ لَمْ يَكُنْ حِينَ غُشِيَ عَلَيْهِ وَصُعِقَ مَيِّتًا، لِأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ أَخْبَرَ عَنْهُ أَنَّهُ لَمَّا أَفَاقَ قَالَ: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]..

﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝﴾ [البقرة: ٥٥] إِلَىٰ الصَّاعِقَةِ الَّتِي أَصَابَتْكُمْ، يَقُولُ: أَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ عِيَانًا جِهَارًا وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيْهَا.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝﴾ [البقرة: ٥٦]

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم﴾ ثُمَّ أَحْيَيْنَاكُمْ.. وَأَصْلُ (البَعْثِ) إِثَارَةُ الشَّيْءِ مِنْ مَحَلِّهِ، وَمِنْهُ قِيلَ: (بَعَثَ فُلَانٌ رَاحِلَتَهُ) إِذَا أَثَارَهَا مِنْ مَبْرَكِهَا لِلسَّيْرِ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ: (بَعَثْتُ فُلَانًا لِحَاجَتِي)، إِذَا أَقَمْتُهُ مِنْ مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ لِلتَّوَجُّهِ فِيهَا، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ: (يَوْمُ البَعْثِ)، لِأَنَّهُ يَوْمٌ يُثَارُ النَّاسُ فِيهِ مِنْ قُبُورِهِمْ لِمَوْقِفِ الحِسَابِ..

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ بِالصَّاعِقَةِ الَّتِي أَهْلَكَتْكُمْ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝﴾ [البقرة: ٥٦] فَعَلْنَا بِكُمْ ذَلِكَ لِتَشْكُرُونِي عَلَىٰ مَا أَوْلَيْتُكُمْ مِنْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ، بِإِحْيَائِي إِيَّاكُمْ، اسْتِبْقَاءً مِنِّي لَكُمْ، لِتُرَاجِعُوا التَّوْبَةَ مِنْ عَظِيمِ ذَنْبِكُمْ، بَعْدَ إِحْلَالِي العُقُوبَةَ بِكُمْ بِالصَّاعِقَةِ الَّتِي أَحْلَلْتُهَا بِكُمْ، فَأَمَاتَتْكُمْ بِعَظِيمِ خَطَئِكُمُ الَّذِي كَانَ مِنْكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ.. وَهَذَا القَوْلُ عَلَىٰ تَأْوِيلِ مَنْ تَأَوَّلَ قَوْلَهُ: (ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ) ثُمَّ أَحْيَيْنَاكُمْ..

وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: (ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ)، أَيْ بَعَثْنَاكُمْ أَنْبِيَاءَ، كما رُوِي عَنِ السُّدِّيِّ، وَتَأْوِيلُ الكَلَامِ عَلَىٰ مَا تَأَوَّلَهُ السُّدِّيُّ: فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ، ثُمَّ أَحْيَيْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ، وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ إِلَىٰ إِحْيَائِنَا إِيَّاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ، ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ أَنْبِيَاءَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، وَزَعَمَ السُّدِّيُّ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ المُقَدَّمِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّأْخِيرُ، وَالمُؤَخَّرِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّقْدِيمُ، وَهَذَا تَأْوِيلٌ يَدُلُّ ظَاهِرُ التِّلَاوَةِ عَلَىٰ خِلَافِهِ، مَعَ إِجْمَاعِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَىٰ تَخْطِئَتِهِ، وَالوَاجِبُ عَلَىٰ تَأْوِيلِ السُّدِّيِّ الَّذِي حَكَيْنَاهُ عَنْهُ، أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)، تَشْكُرُونِي عَلَىٰ تَصْيِيرِي إِيَّاكُمْ أَنْبِيَاءَ..

وَكَانَ سَبَبُ قِيلِهِمْ لِمُوسَىٰ مَا أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوهُ لَهُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، مَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ لَمَّا -رَجَعَ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ بِالأَلْوَاحِ، قَدْ

كُتِبَ فِيهَا التَّوْرَاةُ، فَوَجَدَهُمْ يَعْبُدُونَ العِجْلَ، فَأَمَرَهُمْ بِقَتْلِ أَنْفُسِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ -: إِنَّ هَذِهِ الأَلْوَاحَ فِيهَا كِتَابُ اللهِ، فِيهِ أَمْرُهُ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ، وَنَهْيُهُ الَّذِي نَهَاكُمْ عَنْهُ. فَقَالُوا: وَمَنْ يَأْخُذُهُ بِقَوْلِكَ أَنْتَ! لَا وَاللهِ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللهَ جَهْرَةً، حَتَّىٰ يَطَّلِعَ اللهُ إِلَيْنَا فَيَقُولُ: هَذَا كِتَابِي فَخُذُوهُ، فَمَا لَهُ لَا يُكَلِّمُنَا كَمَا كَلَّمَكَ أَنْتَ يَا مُوسَىٰ، فَيَقُولُ: هَذَا كِتَابِي فَخُذُوهُ؟ وَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، قَالَ: فَجَاءَتْ غَضْبَةٌ مِنَ اللهِ، فَجَاءَتْهُمْ صَاعِقَةٌ بَعْدَ التَّوْبَةِ، فَصَعَقَتْهُمْ فَمَاتُوا أَجْمَعُونَ. قَالَ: ثُمَّ أَحْيَاهُمُ اللهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ، وَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٦﴾، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ: خُذُوا كِتَابَ اللهِ. فَقَالُوا: لَا، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَصَابَكُمْ؟ قَالُوا: أَصَابَنَا أَنَّا مِتْنَا ثُمَّ حَيِينَا، قَالَ: خُذُوا كِتَابَ اللهِ، قَالُوا: لَا، فَبَعَثَ اللهُ تَعَالَىٰ مَلَائِكَةً فَنَتَقَتِ الجَبَلَ فَوْقَهُمْ).. وقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾: (أَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ، ثُمَّ بَعَثَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ لِيُكْمِلُوا بَقِيَّةَ آجَالِهِمْ).. ورُوِي عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: (هُمُ السَّبْعُونَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ مُوسَىٰ فَسَارُوا مَعَهُ. قَالَ: فَسَمِعُوا كَلَامًا، فَقَالُوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾. قَالَ: فَسَمِعُوا صَوْتًا فَصُعِقُوا - يَقُولُ: مَاتُوا - فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾، فَبُعِثُوا مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ، لِأَنَّ مَوْتَهُمْ ذَاكَ كَانَ عُقُوبَةً لَهُمْ، فَبُعِثُوا لِبَقِيَّةِ آجَالِهِمْ)..

فَهَذَا مَا رُوِيَ فِي السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ قَالُوا لِمُوسَىٰ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ وَلَا خَبَرَ عِنْدَنَا بِصِحَّةِ شَيْءٍ مِمَّا قَالَهُ مَنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ فِي سَبَبِ قِيلِهِمْ ذَلِكَ لِمُوسَىٰ، تَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ فَيُسَلَّمُ لَهُ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بَعْضَ مَا قَالُوهُ، فَإِذْ كَانَ لَا خَبَرَ بِذَلِكَ تَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ..

فَالصَّوَابُ مِنَ القَوْلِ فِيهِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ أَخْبَرَ عَنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوهُ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ عَنْهُمُ الَّذِينَ خُوطِبُوا بِهَذِهِ الآيَاتِ، تَوْبِيخًا لَهُمْ فِي كُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَدْ قَامَتْ حُجَّتُهُ عَلَىٰ مَنِ احْتَجَّ بِهِ عَلَيْهِ، وَلَا حَاجَةَ لِمَنِ انْتَهَتْ إِلَيْهِ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ السَّبَبِ الدَّاعِي لَهُمْ إِلَىٰ قِيلِ ذَلِكَ، وَقَدْ قَالَ الَّذِينَ أَخْبَرَنَا عَنْهُمُ الأَقْوَالَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ بَعْضُهَا حَقًّا كَمَا قَالَ.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٥٧﴾ [البقرة: ٥٧]

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ عَطْفٌ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾، فَتَأْوِيلُ الآيَةِ: ﴿ثُمَّ

بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾، ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ -وَعَدَّدَ عَلَيْهِمْ سَائِرَ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ- ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٦﴾.. و(الغَمَامُ) جَمْعُ (غَمَامَةٍ)، كَمَا (السَّحَابُ) جَمْعُ سَحَابَةٍ.. (وَالغَمَامُ) هُوَ مَا غَمَّ السَّمَاءَ فَأَلْبَسَهَا مِنْ سَحَابٍ وَقَتَامٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَسْتُرُهَا عَنْ أَعْيُنِ النَّاظِرِينَ، وَكُلُّ مُغَطًّى فَالعَرَبُ تُسَمِّيهِ مَغْمُومًا.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الغَمَامَ الَّتِي ظَلَّلَهَا اللهُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ تَكُنْ سَحَابًا، قال مُجَاهِدٌ: (﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ لَيْسَ بِالسَّحَابِ هُوَ الغَمَامُ الَّذِي يَأْتِي اللهُ فِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَمْ يَكُنْ إِلَّا لَهُمْ، هُوَ بِمَنْزِلَةِ السَّحَابِ)، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ هُوَ غَمَامٌ أَبْرَدُ مِنْ هَذَا وَأَطْيَبُ، وَهُوَ الَّذِي يَأْتِي اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ [البَقَرَة: ٢١٠]، وَهُوَ الَّذِي جَاءَتْ فِيهِ المَلَائِكَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ مَعَهُمْ فِي التِّيهِ).. وَإِذْ كَانَ مَعْنَىٰ الغَمَامِ مَا وَصَفْنَا، مِمَّا غَمَّ السَّمَاءَ مِنْ شَيْءٍ يُغَطِّي وَجْهَهَا عَنِ النَّاظِرِ إِلَيْهَا، فَلَيْسَ الَّذِي ظَلَّلَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ -فَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ كَانَ غَمَامًا- بِأَوْلَىٰ بِوَصْفِهِ إِيَّاهُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ سَحَابًا مِنْهُ بِأَنْ يَكُونَ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا أَلْبَسَ وَجْهَ السَّمَاءِ مِنْ شَيْءٍ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ مَا ابْيَضَّ مِنَ السَّحَابِ..

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي صِفَةِ ﴿المَنِّ﴾: فَقَالَ بَعْضُهُمْ بِمَا قَالَ مُجَاهِدٌ: المَنُّ صَمْغَةٌ، وقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ المَنُّ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِثْلَ الثَّلْجِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ شَرَابٌ، قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: المَنُّ شَرَابٌ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِثْلَ العَسَلِ، فَيَمْزُجُونَهُ بِالمَاءِ، ثُمَّ يَشْرَبُونَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: المَنُّ عَسَلٌ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: المَنُّ عَسَلٌ كَانَ يَنْزِلُ لَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ، ورُوِي عَنِ الشَّعْبِي: عَسَلُكُمْ هَذَا جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنَ المَنِّ.. وَقَالَ آخَرُونَ: المَنُّ الخُبْزُ الرُّقَاقُ، قَالَ وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ وَسُئِلَ: مَا المَنُّ؟ قَالَ: خُبْزُ الرُّقَاقِ، مِثْلُ الذُّرَةِ، وَمِثْلُ النَّقِيِّ.. وَقَالَ آخَرُونَ: المَنُّ، الزَّنْجَبِيلُ، رُوِيَ عَنِ السُّدِّيِّ: المَنُّ كَانَ يَسْقُطُ عَلَىٰ شَجَرِ الزَّنْجَبِيلِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: المَنُّ هُوَ الَّذِي يَسْقُطُ عَلَىٰ الشَّجَرِ الَّذِي يَأْكُلُهُ النَّاسُ، رُوِي عَنْ عَامِرٍ: المَنُّ الَّذِي يَقَعُ عَلَىٰ الشَّجَرِ، ورُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: المَنُّ الَّذِي يَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَىٰ الشَّجَرِ فَتَأْكُلُهُ النَّاسُ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ المَنَّ هُوَ التَّرَنْجَبِينُ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: المَنُّ، هُوَ الَّذِي يَسْقُطُ عَلَىٰ الثُّمَامِ وَالعُشَرِ، وَهُوَ حُلْوٌ كَالعَسَلِ، وَتَظَاهَرَتِ الأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «الكَمْأَةُ مِنَ المَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلعَيْنِ».. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: المَنُّ، شَرَابٌ حُلْوٌ كَانُوا يَطْبُخُونَهُ فَيَشْرَبُونَهُ.. وَأَمَّا أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلتِ، فَإِنَّهُ جَعَلَهُ فِي شِعْرِهِ عَسَلًا..

﴿وَالسَّلْوَىٰ﴾ اسْمُ طَائِرٍ يُشْبِهُ السُّمَانَىٰ، وَاحِدُهُ وَجِمَاعُهُ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ، كَذَلِكَ السُّمَانَىٰ لَفْظُ جِمَاعِهَا وَوَاحِدِهَا سَوَاءٌ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ وَاحِدَةَ السَّلْوَىٰ سَلْوَاةٌ..

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ وَهَذَا مِمَّا اسْتُغْنِيَ بِدَلَالَةِ ظَاهِرِهِ عَلَىٰ مَا تُرِكَ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّ تَأْوِيلَ الآيَةِ: وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغَمَامَ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ وَالسَّلْوَىٰ، وَقُلْنَا لَكُمْ: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾، فَتُرِكَ ذِكْرُ قَوْلِهِ: (وَقُلْنَا لَكُمْ)، لِمَا بَيَّنَّا مِنْ دَلَالَةِ الظَّاهِرِ فِي الخِطَابِ عَلَيْهِ.. وَعَنَىٰ جَلَّ ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: كُلُوا مِنْ شَهِيَّاتِ رِزْقِنَا الَّذِي رَزَقْنَاكُمُوهُ.. وَقَدْ قِيلَ عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: مِنْ حَلَالِهِ الَّذِي أَبَحْنَاهُ لَكُمْ فَجَعَلْنَاهُ لَكُمْ رِزْقًا.. وَالأَوَّلُ مِنَ القَوْلَيْنِ أَوْلَىٰ بِالتَّأْوِيلِ، لِأَنَّهُ وَصَفَ مَا كَانَ القَوْمُ فِيهِ مِنْ هَنِيءِ العَيْشِ الَّذِي أَعْطَاهُمْ، فَوَصْفُ ذَلِكَ بِـ (الطَّيِّبِ)، الَّذِي هُوَ بِمَعْنَىٰ اللَّذَّةِ، أَحْرَىٰ مِنْ وَصْفِهِ بِأَنَّهُ حَلَالٌ مُبَاحٌ.. و﴿مَا﴾ الَّتِي مَعَ ﴿رَزَقْنَاكُمْ﴾، بِمَعْنَىٰ ﴿الَّذِي﴾، كَأَنَّهُ قِيلَ: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ﴾ الرِّزْقِ الَّذِي رَزَقْنَاكُمُوهُ..

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٥٧﴾ [البقرة: ٥٧] وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الَّذِي اسْتُغْنِيَ بِدَلَالَةِ ظَاهِرِهِ عَلَىٰ مَا تُرِكَ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَىٰ الكَلَامِ: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ فَخَالَفُوا مَا أَمَرْنَاهُمْ بِهِ وَعَصَوْا رَبَّهُمْ، ثُمَّ رَسُولَنَا إِلَيْهِمْ، و﴿مَا ظَلَمُونَا﴾، فَاكْتَفَىٰ بِمَا ظَهَرَ عَمَّا تَرَكَ.. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ يَقُولُ: وَمَا ظَلَمُونَا بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ وَمَعْصِيَتِهِمْ، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٥٧﴾.. وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾، وَمَا وَضَعُوا فِعْلَهُمْ ذَلِكَ وَعِصْيَانَهُمْ إِيَّانَا مَوْضِعَ مَضَرَّةٍ عَلَيْنَا وَمَنْقَصَةٍ لَنَا، وَلَكِنَّهُمْ وَضَعُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مَوْضِعَ مَضَرَّةٍ عَلَيْهَا وَمَنْقَصَةٍ لَهَا.. وَقَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَىٰ، عَلَىٰ أَنَّ أَصْلَ (الظُّلْمِ) وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ بِمَا فِيهِ الكِفَايَةُ، فَأَغْنَىٰ ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهِ.. وَكَذَلِكَ رَبُّنَا جَلَّ ذِكْرُهُ، لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ عَاصٍ، وَلَا يَتَحَيَّفُ خَزَائِنَهُ ظُلْمُ ظَالِمٍ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مُطِيعٍ، وَلَا يَزِيدُ فِي مِلْكِهِ عَدْلُ عَادِلٍ، بَلْ نَفْسَهُ يَظْلِمُ الظَّالِمُ، وَحَظَّهَا يَبْخَسُ العَاصِي، وَإِيَّاهَا يَنْفَعُ المُطِيعُ، وَحَظَّهَا يُصِيبُ العَادِلُ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨﴾ [البقرة: ٥٨]

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ وَالقَرْيَةُ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْ يَدْخُلُوهَا، فَيَأْكُلُوا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شَاءُوا -فِيمَا ذُكِرَ لَنَا-: بَيْتُ المَقْدِسِ.. كما قَالَ قَتَادَةُ وابنُ زيد، وروي عَنِ السُّدِّيِّ، والرَّبِيعِ بن أنس: (﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾، يَعْنِي بَيْتَ المَقْدِسِ).

﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ فَكُلُوا مِنْ هَذِهِ القَرْيَةِ حَيْثُ شِئْتُمْ عَيْشًا هَنِيًّا وَاسِعًا بِغَيْرِ حِسَابٍ.. وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ (الرَّغَدِ) فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا، وَذَكَرْنَا أَقْوَالَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِيهِ..

﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ أَمَّا البَابُ الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَدْخُلُوهُ.. فَإِنَّهُ قِيلَ: هُوَ بَابُ الحِطَّةِ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ، قاله مُجَاهِدٌ، ورُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.. وَأَمَّا قَوْلُهُ: (سُجَّدًا) فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَتَأَوَّلُهُ بِمَعْنَىٰ الرُّكَّعِ.. وَأَصْلُ (السُّجُودِ) الِانْحِنَاءُ لِمَنْ سُجِدَ لَهُ مُعَظَّمًا بِذَلِكَ، فَكُلُّ مُنْحَنٍ لِشَيْءٍ تَعْظِيمًا لَهُ فَهُوَ (سَاجِدٌ)، فَلِذَلِكَ تَأَوَّلَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ: (سُجَّدًا) رُكَّعًا، لِأَنَّ الرَّاكِعَ مُنْحَنٍ، وَإِنْ كَانَ السَّاجِدُ أَشَدَّ انْحِنَاءً مِنْهُ..

﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ وَقُولُوا: دُخُولُنَا ذَلِكَ سُجَّدًا حِطَّةٌ لِذُنُوبِنَا..

﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ﴾ نَتَغَمَّدْ لَكُمْ بِالرَّحْمَةِ خَطَايَاكُمْ، وَنَسْتُرْهَا عَلَيْكُمْ، فَلَا نَفْضَحُكُمْ بِالعُقُوبَةِ عَلَيْهَا.. وَأَصْلُ (الغَفْرِ) التَّغْطِيَةُ وَالسَّتْرُ، فَكُلُّ سَاتِرٍ شَيْئًا فَهُوَ غَافِرُهُ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلبَيْضَةِ مِنَ الحَدِيدِ الَّتِي تُتَّخَذُ جُنَّةً لِلرَّأْسِ (مِغْفَرٌ)، لِأَنَّهَا تُغَطِّي الرَّأْسَ وَتُجِنُّهُ، وَمِثْلُهُ (غِمْدُ السَّيْفِ)، وَهُوَ مَا تَغَمَّدَهُ فَوَارَاهُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِزِئْبِرِ الثَّوْبِ: (غَفْرَةٌ)، لِتَغْطِيَتِهِ الثَّوْبَ، وَحَوْلِهِ بَيْنَ النَّاظِرِ وَالنَّظَرِ إِلَيْهِ.. و(الخَطَايَا) جَمْعُ (خَطِيَّةٍ) بِغَيْرِ هَمْزٍ، كَمَا (المَطَايَا) جَمْعُ (مَطِيَّةٍ)، وَالحَشَايَا جَمْعُ حَشِيَّةٍ..

﴿وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨﴾ [البقرة: ٥٨] وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ مَا رُوِيَ لَنَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُحْسِنًا زِيدَ فِي إِحْسَانِهِ، وَمَنْ كَانَ مُخْطِئًا نَغْفِرُ لَهُ خَطِيئَتَهُ).. فَتَأْوِيلُ الآيَةِ: وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ القَرْيَةَ مُبَاحًا لَكُمْ كُلُّ مَا فِيهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ، مُوَسَّعًا عَلَيْكُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ؛ وَادْخُلُوا البَابَ سُجَّدًا، وَقُولُوا: سُجُودُنَا هَذَا لِلهِ حِطَّةٌ مِنْ رَبِّنَا لِذُنُوبِنَا يَحُطُّ بِهِ آثَامَنَا، نَتَغَمَّدُ لَكُمْ ذُنُوبَ المُذْنِبِ مِنْكُمْ فَنَسْتُرُهَا عَلَيْهِ، وَنَحُطُّ أَوْزَارَهُ عَنْهُ، وَسَنَزِيدُ المُحْسِنَ مِنْكُمْ -إِلَىٰ إِحْسَانِنَا السَّالِفِ عِنْدَهُ- إِحْسَانًا.. ثُمَّ أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ عَظِيمِ جَهَالَتِهِمْ، وَسُوءِ طَاعَتِهِمْ رَبَّهُمْ وَعِصْيَانِهِمْ لِأَنْبِيَائِهِمْ، وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِرُسُلِهِ، مَعَ عَظِيمِ آلَاءِ اللهِ ﷻ عِنْدَهُمْ، وَعَجَائِبِ مَا أَرَاهُمْ مِنْ آيَاتِهِ وَعِبَرِهِ، مُوَبِّخًا بِذَلِكَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خُوطِبُوا بِهَذِهِ الآيَاتِ، وَمُعَلِّمَهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ تَعَدَّوْا فِي تَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ، وَجُحُودِهِمْ نُبُوَّتَهُ، مَعَ عَظِيمِ إِحْسَانِ اللهِ بِمَبْعَثِهِ فِيهِمْ إِلَيْهِمْ، وَعَجَائِبِ مَا أَظْهَرَ عَلَىٰ يَدِهِ مِنَ الحُجَجِ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، أَنْ يَكُونُوا كَأَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ، وَقَصَّ عَلَيْنَا أَنْبَاءَهُمْ فِي هَذِهِ الآيَاتِ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآيَةَ.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٥٩﴾ [البقرة: ٥٩]

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ فَغَيَّرَ الَّذِينَ فَعَلُوا مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِعْلُهُ..

﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ بَدَّلُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَقُولُوهُ، فَقَالُوا خِلَافَهُ، وَذَلِكَ هُوَ التَّبْدِيلُ وَالتَّغْيِيرُ الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ، وَكَانَ تَبْدِيلُهُمْ -بِالقَوْلِ الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَقُولُوا- قَوْلًا غَيْرَهُ، مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾، فَبَدَّلُوا وَدَخَلُوا البَابَ يَزْحَفُونَ عَلَىٰ أَسْتَاهِهِمْ، وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعِيرَةٍ»..

﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ عَلَىٰ الَّذِينَ فَعَلُوا مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِعْلُهُ، مِنْ تَبْدِيلِهِمُ القَوْلَ - الَّذِي أَمَرَهُمُ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ أَنْ يَقُولُوهُ - قَوْلًا غَيْرَهُ، وَمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَبِرُكُوبِهِمْ مَا قَدْ نَهَاهُمْ عَنْ رُكُوبِهِ..

﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وَالرِّجْزُ فِي لُغَةِ العَرَبِ، العَذَابُ، وَهُوَ غَيْرُ الرُّجْزِ، وَذَلِكَ أَنَّ الرُّجْزَ: البَثْرُ، وَمِنْهُ الخَبَرُ الَّذِي رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الطَّاعُونِ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّهُ رِجْزٌ عُذِّبَ بِهِ بَعْضُ الأُمَمِ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ».. وَبِمِثْلِ الَّذِي قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، كـ قتادة، وابي العالية، وابن زيد، ورُوي عن ابن عباس.. وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَىٰ أَنَّ تَأْوِيلَ (الرِّجْزِ) العَذَابُ، وَعَذَابُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَصْنَافٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَىٰ الَّذِينَ وَصَفْنَا أَمْرَهُمُ الرِّجْزَ مِنَ السَّمَاءِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ طَاعُونًا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ غَيْرَهُ، وَلَا دَلَالَةَ فِي ظَاهِرِ القُرْآنِ وَلَا فِي أَثَرٍ عَنِ الرَّسُولِ ثَابِتٌ، أَيَّ أَصْنَافِ ذَلِكَ كَانَ.. فَالصَّوَابُ مِنَ القَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: فَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِفِسْقِهِمْ، غَيْرَ أَنَّهُ يَغْلُبُ عَلَىٰ النَّفْسِ صِحَّةُ مَا قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ، لِلخَبَرِ الَّذِي ذَكَرْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي إِخْبَارِهِ عَنِ الطَّاعُونِ أَنَّهُ رِجْزٌ، وَأَنَّهُ عُذِّبَ بِهِ قَوْمٌ قَبْلَنَا، وَإِنْ كُنْتُ لَا أَقُولُ إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ يَقِينًا، لِأَنَّ الخَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا بَيَانَ فِيهِ أَيُّ أُمَّةٍ عُذِّبَتْ بِذَلِكَ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الَّذِينَ عُذِّبُوا بِهِ، كَانُوا غَيْرَ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾..

﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ۝٥٩﴾ [البقرة: ٥٩] الفِسْقُ: الخُرُوجُ مِنَ الشَّيْءِ.. فَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ۝٥٩﴾ إِذًا: بِمَا كَانُوا يَتْرُكُونَ طَاعَةَ اللهِ ﷻ، فَيَخْرُجُونَ عَنْهَا إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ وَخِلَافِ أَمْرِهِ قَبْلَنَا، وَإِنْ كُنْتُ لَا أَقُولُ إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ يَقِينًا؛ لِأَنَّ الْخَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا بَيَانَ فِيهِ أَيُّ أُمَّةٍ عُذِّبَتْ بِذَلِكَ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الَّذِينَ عُذِّبُوا بِهِ كَانُوا غَيْرَ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٢]..

﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ۝٥٩﴾ [البقرة: ٥٩] بِمَا كَانُوا يَتْرُكُونَ طَاعَةَ اللهِ ﷻ، فَيَخْرُجُونَ عَنْهَا إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ وَخِلَافِ أَمْرِهِ.

﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

[البقرة: ٦٠].

﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ سَأَلَنَا أَنْ نَسْقِيَ قَوْمَهُ مَاءً.. وَإِنَّمَا اسْتَسْقَىٰ لَهُمْ رَبَّهُ الْمَاءَ فِي الْحَالِ الَّتِي تَاهُوا فِيهَا فِي التِّيهِ..

﴿لِقَوْمِهِۦ﴾ وَقَوْمُ مُوسَىٰ هُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ قَصَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ قَصَصَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ..

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ﴾ فَضَرَبَهُ..

﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ جَعَلَ لِكُلِّ سِبْطٍ مِنَ الْأَسْبَاطِ الِاثْنَيْ عَشَرَ عَيْنًا مِنَ الْحَجَرِ الَّذِي وَصَفَ صِفَتَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، يَشْرَبُ مِنْهَا دُونَ سَائِرِ الْأَسْبَاطِ غَيْرِهِ، لَا يَدْخُلُ سِبْطٌ مِنْهُمْ فِي شِرْبِ سِبْطٍ غَيْرِهِ..

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ﴾ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مِنْهُمْ مَشْرَبَهُمْ، وَذَٰلِكَ أَنَّ اللهَ كَانَ جَعَلَ لِكُلِّ عَيْنٍ مِنْ تِلْكَ الْعُيُونِ الِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَوْضِعًا مِنَ الْحَجَرِ قَدْ عَرَفَهُ السِّبْطُ الَّذِي مِنْهُ شِرْبُهُ؛ فَلِذَلِكَ خَصَّ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- هَؤُلَاءِ بِالْخَبَرِ عَنْهُمْ أَنَّ كُلَّ أُنَاسٍ مِنْهُمْ كَانُوا عَالِمِينَ بِمَشْرَبِهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ، إِذْ كَانَ غَيْرُهُمْ فِي الْمَاءِ الَّذِي لَا يَمْلِكُهُ أَحَدٌ شُرَكَاءَ فِي مَنَابِعِهِ وَمَسَايِلِهِ، وَكَانَ كُلُّ سِبْطٍ مِنْ هَؤُلَاءِ مُفْرَدًا بِشِرْبِ مَنْبَعٍ مِنْ مَنَابِعِ الْحَجَرِ دُونَ سَائِرِ مَنَابِعِهِ، خَاصٌّ لَهُمْ دُونَ سَائِرِ الْأَسْبَاطِ غَيْرِهِمْ، فَلِذَلِكَ خُصُّوا بِالْخَبَرِ عَنْهُمْ أَنَّ كُلَّ أُنَاسٍ مِنْهُمْ قَدْ عَلِمُوا مَشْرَبَهُمْ.. فَقِيلَ لَهُمْ..

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ أَمَرَهُمْ بِأَكْلِ مَا رَزَقَهُمْ فِي التِّيهِ مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَىٰ، وَبِشُرْبِ مَا فَجَّرَ لَهُمْ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ مِنَ الْحَجَرِ الَّذِي لَا قَرَارَ لَهُ فِي الْأَرْضِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ إِلَّا لِمَالِكِيهِ، يَتَدَفَّقُ بِعُيُونِ الْمَاءِ وَيَزْخَرُ بِيَنَابِيعِ الْعَذْبِ الْفُرَاتِ، بِقُدْرَةِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.. ثُمَّ تَقَدَّمَ -جَلَّ ذِكْرُهُ- إِلَيْهِمْ مَعَ إِبَاحَتِهِمْ مَا أَبَاحَ وَإِنْعَامِهِ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَيْشِ الْهَنِيءِ، بِالنَّهْيِ عَنِ السَّعْيِ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَالْعَثَا فِيهَا اسْتِكْبَارًا، فَقَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لَهُمْ..

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة: ٦٠] ولَا تَطْغَوْا، وَلا تَسعَوْا في الأرضِ مفسِدِين.. وَأَصْلُ الْعَثَا شِدَّةُ الْإِفْسَادِ، بَلْ هُوَ أَشَدُّ الْإِفْسَادِ.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة: ٦١].

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ وَاذْكُرُوا يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ قُلْتُمْ..

﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ﴾ لَنْ نُطِيقَ حَبْسَ أَنْفُسِنَا..

﴿عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ من المنِّ والسلوىٰ..

﴿فَٱدْعُ﴾ فَاسْأَلْ..

﴿لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا﴾ من بَعْضِ مَا..

﴿تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا﴾ هُوَ مَا قَدْ عَرَفَهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ وَحَبِّهَا..

﴿وَفُومِهَا﴾ ذُكِرَ أَنَّ تَسْمِيَةَ الْحِنْطَةِ وَالْخُبْزِ جَمِيعًا فُومًا مِنَ اللُّغَةِ الْقَدِيمَةِ، حُكِيَ سَمَاعًا: فَوِّمُوا لَنَا، بِمَعْنَىٰ اخْتَبِزُوا لَنَا.. وقال بعضهم: فومها: ثُومها، وَذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ (وَثُومِهَا) بِالثَّاءِ..

﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ﴾ لَهُمْ مُوسَىٰ..

﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ﴾ أَتَأْخُذُونَ..

﴿ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ الَّذِي هُوَ أَخَسُّ خَطَرًا وَقِيمَةً وَقَدْرًا مِنَ الْعَيْشِ بَدَلًا.. وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنِ اسْتَبْدَلَ بِالْمَنِّ وَالسَّلْوَىٰ، الْبَقْلَ وَالْقِثَّاءَ وَالْعَدَسَ وَالْبَصَلَ وَالثُّومَ، فَقَدِ اسْتَبْدَلَ الْوَضِيعَ مِنَ الْعَيْشِ بِالرَّفِيعِ مِنْهُ..

﴿بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ﴾ مِنْهُ خَطَرًا وَقِيمَةً وَقَدْرًا.. وَأَصْلُ الِاسْتِبْدَالِ: هُوَ تَرْكُ شَيْءٍ لِآخَرَ غَيْرِهِ مَكَانَ الْمَتْرُوكِ.. فَدَعَا لَهُمْ مُوسَىٰ رَبَّهُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ مَا سَأَلُوهُ، فَاسْتَجَابَ اللهُ لَهُ دُعَاءَهُ، فَأَعْطَاهُمْ مَا طَلَبُوا، وَقَالَ اللهُ لَهُمْ..

﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾ مِنَ الْأَمْصَارِ، لِأَنَّكُمْ فِي الْبَدْوِ، وَالَّذِي طَلَبْتُمْ لَا يَكُونُ فِي الْبَوَادِي وَالْفَيَافِي، وَإِنَّمَا يَكُونُ فِي الْقُرَىٰ وَالْأَمْصَارِ.. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ مِصْرًا الْبَلْدَةُ الَّتِي تُعْرَفُ بِهَذَا الِاسْمِ

وَهِيَ مِصْرُ الَّتِي خَرَجُوا عَنْهَا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الشَّامَ..

﴿فَإِنَّ لَكُم﴾ إِذَا هَبَطْتُمُوهُ..

﴿مَّا سَأَلْتُمْ﴾ مِنَ الْعَيْشِ..

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾ وفُرِضَتْ، وَوُضِعَتْ، وَأُلْزِمُوهَا..

﴿ٱلذِّلَّةُ﴾ الصَّغَارُ، وَهُوَ الَّذِي أَمَرَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يُعْطُوهُمْ أَمَانًا عَلَىٰ الْقَرَارِ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ كُفْرِهِمْ بِهِ وَبِرَسُولِهِ إِلَّا أَنْ يَبْذُلُوا الْجِزْيَةَ عَلَيْهِ لَهُمْ، قَالَ -جَلَّ وَعَزَّ- ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩]..

﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ الْفَاقَةِ وَالْحَاجَةِ، وَهِيَ خُشُوعُهَا وَذُلُّهَا.. فَأَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ أَبْدَلَهُمْ بِالْعِزِّ ذُلًّا، وَبِالنِّعْمَةِ بُؤْسًا، وَبِالرِّضَا عَنْهُمْ غَضَبًا، جَزَاءً مِنْهُ لَهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِآيَاتِهِ، وَقَتْلِهِمْ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ، اعْتِدَاءً وَظُلْمًا مِنْهُمْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَعِصْيَانًا مِنْهُم لَهُ، وَخِلَافًا عَلَيْهِ، تَعَالَىٰ رَبُّنَا وَجَلَّ.

﴿وَبَآءُو﴾ وَانْصَرَفُوا، وَرَجَعُوا مُتَحَمِّلِينَ..

﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قَدْ صَارَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ غَضَبٌ، وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ مِنْهُ سَخَطٌ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ ضَرْبُ الذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ عَلَيْهِمْ، وَإِحْلَالُهُ غَضَبَهُ بِهِمْ..

﴿بِأَنَّهُمْ﴾ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ..

﴿كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ يَجْحَدُونَ حُجَجَ اللهِ عَلَىٰ تَوْحِيدِهِ، وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ، وَيَدْفَعُونَ حَقِّيَّتَهَا، وَيُكَذِّبُونَ بِهَا..

﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وَيَقْتُلُونَ رُسُلَ اللهِ الَّذِينَ ابْتَعَثَهُمْ لِإِنْبَاءِ مَا أَرْسَلَهُمْ بِهِ عَنْهُ لِمَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ..

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بِغَيْرِ إِذْنِ اللهِ لَهُمْ بِقَتْلِهِمْ، مُنْكِرِينَ رِسَالَتَهُمْ جَاحِدِينَ نُبُوَّتَهُمْ..

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟﴾ أَمْرِي..

﴿وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة: ٦١] وَتَجَاوَزُوا حَدِّي إِلَىٰ مَا نَهَيْتُهُمْ عَنْهُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ هُمُ الْمُصَدِّقُونَ رَسُولَ اللهِ فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ تَابُوا.. وهم الْيَهُودُ.. وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَتِ الْيَهُودُ يَهُودَ مِنْ أَجْلِ قَوْلِهِمْ: «إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ»[الأعراف: ١٥٦]..

﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ لِنُصْرَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَتَنَاصُرِهِمْ بَيْنَهُمْ.. وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُمْ سُمُّوا نَصَارَىٰ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ نَزَلُوا أَرْضًا يُقَالُ لَهَا نَاصِرَةٌ، وهي قَرْيَةُ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، وَكَانَ يُقَالُ لِعِيسَىٰ: النَّاصِرِيُّ..

﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ وَالصَّابِئُ هُوَ الْمُسْتَحْدِث سِوَىٰ دِينِهِ دِينًا، كَالْمُرْتَدِّ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَنْ دِينِهِ، وَكُلُّ خَارِجٍ مِنْ دِينٍ كَانَ عَلَيْهِ إِلَىٰ آخَرَ غَيْرِهِ تُسَمِّيهِ الْعَرَبُ صَابِئًا.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِيمَنْ يَلْزَمُهُ هَذَا الِاسْمُ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الَّذِينَ عَنَىٰ اللهُ بِهَذَا الِاسْمِ قَوْمٌ لَا دِينَ لَهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُمْ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ، وَيُصَلُّونَ إِلَىٰ الْقِبْلَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُمْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ مَنْ صَدَّقَ وَأَقَرَّ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. فَإِنْ قَالَ قائل: وَكَيْفَ يُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ؟ قِيلَ: لَيْسَ الْمَعْنَىٰ فِي الْمُؤْمِنِ الْمَعْنَىٰ الَّذِي ظَنَنْتَهُ مِنَ انْتِقَالٍ مِنْ دِينٍ إِلَىٰ دِينٍ، كَانْتِقَالِ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ إِلَىٰ الْإِيمَانِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قِيلَ: إِنَّ الَّذِينَ عُنُوا بِذَلِكَ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَىٰ إِيمَانِهِ بِعِيسَىٰ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، حَتَّىٰ أَدْرَكَ مُحَمَّدًا ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ، فَقِيلَ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِعِيسَىٰ وَبِمَا جَاءَ بِهِ إِذْ أَدْرَكُوا مُحَمَّدًا ﷺ: آمِنُوا بِمُحَمَّدٍ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَلَكِنْ مَعْنَىٰ إِيمَانِ الْمُؤْمِنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ثَبَاتُهُ عَلَىٰ إِيمَانِهِ وَتَرْكُهُ تَبْدِيلَهُ، وَأَمَّا إِيمَانُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ، فَالتَّصْدِيقُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ، فَمَنْ يُؤْمِنْ مِنْهُمْ بِمُحَمَّدٍ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ..

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فَأَطَاعَ اللهَ، فَلَمْ يُبَدِّلْ وَلَمْ يُغَيِّرْ، حَتَّىٰ تُوُفِّيَ عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ فَلَهُمْ ثَوَابُ عَمَلِهِمُ الصَّالِحِ..

﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فِيمَا قَدِمُوا عَلَيْهِ مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ..

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [البقرة: ٦٢] عَلَىٰ مَا خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَعَيْشِهَا عِنْدَ مُعَايَنَتِهِمْ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ عِنْدَهُ.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [البقرة: ٦٣].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ والْمِيثَاقُ الَّذِي أَخْبَرَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّهُ أَخَذَ مِنْهُمْ: فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ

أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣] الْآيَات الَّذِي ذَكَرَ مَعَهَا. وَالْمِيثَاقُ إِمَّا بِيَمِينٍ، وَإِمَّا بِعَهْدٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوَثَائِقِ..

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ الْجَبَلَ.. وَقِيلَ: إِنَّهُ اسْمُ جَبَلٍ بِعَيْنِهِ.. وَذُكِرَ أَنَّهُ الْجَبَلُ الَّذِي نَاجَىٰ اللهُ عَلَيْهِ مُوسَىٰ.. وَقِيلَ: إِنَّهُ مِنَ الْجِبَالِ مَا أَنْبَتَ دُونَ مَا لَمْ يُنْبِتْ..

﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ وَقُلْنَا لَكُمْ خُذُوا مَا افْتَرَضْنَاهُ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِنَا مِنَ الْفَرَائِضِ، فَاقْبَلُوهُ وَاعْمَلُوا..

﴿بِقُوَّةٍ﴾ بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ، مِنْكُمْ فِي أَدَائِهِ مِنْ غَيْرِ تَقْصِيرٍ وَلَا تَوَانٍ، وإِلَّا قَذَفْنَا الجبلَ عَلَيْكُم..

﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾ مَا فِيمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابِنَا مِنْ وَعْدٍ وَوَعِيدٍ شَدِيدٍ، وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيبٍ، فَاتْلُوهُ وَاعْتَبِرُوا بِهِ، وَتَدَبَّرُوهُ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [البقرة: ٦٣] كَيْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ تَتَّقُونِي، وَتَخَافُوا عِقَابِي، بِإِصْرَارِكُمْ عَلَىٰ ضَلَالِكُمْ، فَتَنْتَهُوا إِلَىٰ طَاعَتِي، وَتَنْزِعُوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَتِي.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٤﴾ [البقرة: ٦٤].

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾ ثُمَّ تَرَكْتُمُ الْعَمَلَ بِمَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَعُهُودَكُمْ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِهِ بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ.. وهَذَا وَإِنْ كَانَ خِطَابًا لِمَنْ كَانَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَيَّامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ عَنْ أَسْلَافِهِمْ، فَأَخْرَجَ الْخَبَرَ مَخْرَجَ الْمُخْبَرِ عَنْهُمْ عَلَىٰ نَحْوِ مَا قَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ مِنْ أَنَّ الْقَبِيلَةَ مِنَ الْعَرَبِ تُخَاطِبُ الْقَبِيلَةَ عِنْدَ الْفَخَارِ أَوْ غَيْرِهِ بِمَا مَضَىٰ مِنْ فِعْلِ أَسْلَافِ الْمُخَاطِبِ بِأَسْلَافِ الْمُخَاطَبِ، فَتُضِيفُ فِعْلَ أَسْلَافِ الْمُخَاطِبِ إِلَىٰ نَفْسِهَا، فَتَقُولُ: فَعَلْنَا بِكُمْ، وَفَعَلْنَا بِكُمْ..

﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ مِنْ بَعْدِ إِعْطَائِكُمْ رَبَّكُمُ الْمَوَاثِيقَ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِهِ وَالْقِيَامِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ فِي كِتَابِكُمْ، فَنَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ..

﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ فَلَوْلَا أَنَّ اللهَ تَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ بِالتَّوْبَةِ بَعْدَ نَكْثِكُمُ الْمِيثَاقَ الَّذِي وَاثَقْتُمُوهُ -إِذْ رَفَعَ فَوْقَكُمُ الطُّورَ- بِأَنَّكُمْ تَجْتَهِدُونَ فِي طَاعَتِهِ، وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَالْقِيَامِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي آتَاكُمْ، فَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِالْإِسْلَامِ..

﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ الَّتِي رَحِمَكُمْ بِهَا، فَتَجَاوَزَ عَنْكُمْ خَطِيئَتَكُمُ الَّتِي رَكِبْتُمُوهَا بِمُرَاجَعَتِكُمْ طَاعَةَ رَبِّكُمْ..

﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٤] الْبَاخِسِينَ أَنْفُسَكُمْ حُظُوظَهَا دَائِمًا، الْهَالِكِينَ بِمَا اجْتَرَمْتُمْ مِنْ نَقْضِ مِيثَاقِكُمْ وَخِلَافِكُمْ أَمْرَهُ وَطَاعَتَهُ.

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ﴾ وَلَقَدْ عَرَفْتُمْ..

﴿ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ﴾ عَصَوْا أَمْرِي، وتَجَاوَزُوا حَدِّي وَرَكِبُوا مَا نَهَيْتُهُمْ عَنْهُ..

﴿مِنكُمۡ فِي﴾ يَوْمِ..

﴿ٱلسَّبۡتِ﴾ وَأَصْلُ السَّبْتِ الْهُدُوُّ، والسُّكُونُ فِي رَاحَةٍ وَدَعَةٍ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلنَّائِمِ مَسْبُوتٌ، لِهُدُوِّهِ وَسُكُونِ جَسَدِهِ وَاسْتِرَاحَتِهِ، كَمَا قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا﴾ [النبأ: ٩]، أَيْ رَاحَةً لِأَجْسَادِكُمْ.. وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ سُمِّيَ سَبْتًا لِأَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- فَرَغَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي قَبْلَهُ، مِنْ خَلْقِ جَمِيعِ خَلْقِهِ..

﴿فَقُلۡنَا لَهُمۡ﴾ فَقُلْنَا لِلَّذِينَ اعْتَدَوْا فِي يَوْمِ السَّبْتِ..

﴿كُونُواْ﴾ صِيرُوا..

﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥] أَيْ مُبْعَدِينَ مِنَ الْخَيْرِ أَذِلَّاءَ صُغَرَاءَ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ وَآيَاتٌ بَعْدَهَا تَتْلُوهَا، مِمَّا عَدَّدَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- فِيهَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ خِلَالِ دُورِ الْأَنْصَارِ زَمَانَ النَّبِيِّ ﷺ، الَّذِينَ ابْتَدَأَ بِذِكْرِهِمْ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ نَكْثِ أَسْلَافِهِمْ عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ مَا كَانُوا يُبْرِمُونَ مِنَ الْعُقُودِ، وَحَذَّرَ الْمُخَاطَبِينَ بِهَا أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ بِإِصْرَارِهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَمُقَامِهِمْ عَلَى جُحُودِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَرْكِهِمُ اتِّبَاعَهُ وَالتَّصْدِيقَ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، مِثْلَ الَّذِي حَلَّ بِأَوَائِلِهِمْ مِنَ الْمَسْخِ وَالرَّجْفِ وَالصَّعْقِ، وَمَا لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ مِنْ غَضَبِ اللهِ وَسَخَطِهِ.

﴿فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٦].

﴿فَجَعَلۡنَٰهَا﴾ فَجَعَلْنَا عُقُوبَتَنَا الَّتِي أَحْلَلْنَاهَا بِهِمْ، وَمَسْخَنَا إِيَّاهُمْ..

﴿نَكَٰلٗا﴾ عُقُوبَةً..

﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا﴾ مِنْ ذُنُوبِهِمُ السَّالِفَةِ مِنْهُمْ..

﴿وَمَا خَلۡفَهَا﴾ وَلِمَا خَلْفَ عُقُوبَتَنَا لَهُمْ مِنْ أَمْثَالِ ذُنُوبِهِمْ، أَنْ يَعْمَلَ بِهَا عَامِلٌ، فَيُمْسَخُوا مِثْلَ

مَا مُسِخُوا، وَأَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مِثْلُ الَّذِي حَلَّ بِهِمْ؛ تَحْذِيرًا مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عِبَادَهُ أَنْ يَأْتُوا مِنْ مَعَاصِيهِ مِثْلَ الَّذِي أَتَىٰ الْمَمْسُوخُونَ فَيُعَاقَبُوا عُقُوبَتَهُمْ..

﴿وَمَوْعِظَةً﴾ وَتَذْكِرَةً، وعِبْرَةً..

﴿لِّلْمُتَّقِينَ ۝٦٦﴾ [البقرة: ٦٦] الَّذِينَ اتَّقَوْا بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ.. فَجَعَلَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مَا أَحَلَّ بِالَّذِينَ اعْتَدَوْا فِي السَّبْتِ مِنْ عُقُوبَتِهِ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ خَاصَّةً وَعِبْرَةً لِلْمُؤْمِنِينَ دُونَ الْكَافِرِينَ بِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٦٧﴾ [البقرة: ٦٧].

﴿وَإِذْ﴾ واذْكُرُوا أَيْضًا مِنْ نَكْثِكُمْ مِيثَاقِي.. وَهَذِهِ الْآيَةُ مِمَّا وَبَّخَ اللهُ بِهَا الْمُخَاطَبِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي نَقْضِ أَوَائِلِهِمُ الْمِيثَاقَ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ بِالطَّاعَةِ لِأَنْبِيَائِهِ..إِذْ..

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ وَقَوْمُهُ: بَنُو إِسْرَائِيلَ، إِذِ ادَّارَءُوا فِي الْقَتِيلِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِمْ إِلَيْهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ﴾ سُخْرِيَةً، ولَعِبًا.. وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ فِيمَا أَخْبَرَتْ عَنِ اللهِ مِنْ أَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ هُزُوٌ أَوْ لَعِبٌ، فَظَنُّوا بِمُوسَىٰ أَنَّهُ فِي أَمْرِهِ إِيَّاهُمْ عَنْ أَمْرِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِذِبْحِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ تَدَارُئِهِمْ فِي الْقَتِيلِ إِلَيْهِ أَنَّهُ هَازِئٌ لَاعِبٌ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْ يَظُنُّوا ذَلِكَ بِنَبِيِّ اللهِ، وَهُوَ يُخْبِرُهُمْ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِذِبْحِ الْبَقَرَةِ.. فَأَخْبَرَهُمْ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لَهُ مَا قَالُوا، إِنَّ الْمُخْبِرَ عَنِ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِالْهُزْءِ وَالسُّخْرِيَةِ مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَبَرَّأَ نَفْسَهُ مِمَّا ظَنُّوا بِهِ مِنْ ذَلِكَ، فَـ..

﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٦٧﴾ [البقرة: ٦٧] السُّفَهَاءِ الَّذِينَ يَرْوُونَ عَنِ اللهِ الْكَذِبَ وَالْبَاطِلَ.

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ۝٦٨﴾ [البقرة: ٦٨].

﴿قَالُوا۟﴾ لَمَّا عَلِمُوا وَاسْتَقَرَّ عِنْدَهُمْ أَنَّ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ مُوسَىٰ ﷺ عَنْ أَمْرِ اللهِ مِنْ ذَبْحِ بَقَرَةٍ جِدٌّ وَحَقٌّ..

﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ﴾ تَعَنُّتًا مِنْهُمْ بِنَبِيِّهِمْ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، بَعْدَ الَّذِي كَانُوا

أَظْهَرُوا لَهُ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِهِ، فِيمَا أَخْبَرَهُمْ عَنِ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِقَوْلِهِمْ: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧].. سَأَلُوا مُوسَىٰ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ لَهُمْ مَا كَانَ اللهُ قَدْ كَفَاهُمْ بِقَوْلِهِ لَهُمْ: اذْبَحُوا بَقَرَةً؛ لِأَنَّهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- إِنَّمَا أَمَرَهُمْ بِذِبْحِ بَقَرَةٍ مِنَ الْبَقَرِ، أَيِّ بَقَرَةٍ شَاءُوا ذَبْحَهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحْصُرَ لَهُمْ ذَلِكَ عَلَىٰ نَوْعٍ مِنْهَا دُونَ نَوْعٍ، أَوْ صِنْفٍ دُونَ صِنْفٍ، فَقَالُوا بِجَفَاءِ أَخْلَاقِهِمْ وَغِلَظِ طَبَائِعِهِمْ وَسُوءِ أَفْهَامِهِمْ، وَتَكَلُّفِ مَا قَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْهُمْ مُؤْنَتَهُ، تَعَنُّتًا مِنْهُمْ: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾، فَلَمَّا تَكَلَّفُوا جَهْلًا مِنْهُمْ مَا تَكَلَّفُوا، مِنَ الْبَحْثِ عَمَّا كَانُوا قَدْ كُفُوهُ، مِنْ صِفَةِ الْبَقَرَةِ الَّتِي أُمِرُوا بِذَبْحِهَا، عَاقَبَهُمْ عَزَّوَجَلَّ بِأَنْ خَصَّ بِذِبْحِ مَا كَانَ أَمَرَهُمْ بِذَبْحِهِ مِنَ الْبَقَرِ، عَلَىٰ نَوْعٍ مِنْهَا دُونَ نَوْعٍ، فَـ..

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ﴾ لَهُمْ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-..

﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾ لَا كَبِيرَةٌ مُسِنَّةٌ هَرِمَةٌ..

﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ وَلَا صَغِيرَةٌ ضَعِيفَةٌ لَمْ تَلِدْ.. بَلْ..

﴿عَوَانٌ﴾ وَسَطٌ قَدْ وَلَدَتْ بَطْنًا أَوْ بَطْنَيْنِ..

﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ بَيْنَ الْبِكْرِ وَالْهَرِمَةِ..

﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [البقرة: ٦٨] افْعَلُوا مَا آمُرُكُمْ بِهِ، تُدْرِكُوا حَاجَاتِكُمْ وَطِلْبَاتِكُمْ عِنْدِي، وَاذْبَحُوا الْبَقَرَةَ الَّتِي أَمَرْتُكُمْ بِذَبْحِهَا، تَصِلُوا بِانْتِهَائِكُمْ إِلَىٰ طَاعَتِي بِذَبْحِهَا إِلَىٰ الْعِلْمِ بِقَاتِلِ قَتِيلِكُمْ.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [البقرة: ٦٩].

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾ وَهَذَا أَيْضًا تَعَنُّتٌ آخَرُ مِنْهُمْ بَعْدَ الْأَوَّلِ، وَتَكَلُّفُ طَلَبِ مَا قَدْ كَانُوا كُفُوهُ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا حُصِرُوا فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ، إِذْ قِيلَ لَهُمْ بَعْدَ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ حِلْيَةِ الْبَقَرَةِ الَّتِي كَانُوا أُمِرُوا بِذَبْحِهَا، فَأَبَوْا إِلَّا تَكَلُّفَ مَا قَدْ كُفُوهُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ عَنْ صِفَتِهَا، فَحُصِرُوا عَلَىٰ نَوْعٍ دُونَ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ؛ عُقُوبَةً مِنَ اللهِ لَهُمْ عَلَىٰ مَسْأَلَتِهِمُ الَّتِي سَأَلُوهَا نَبِيَّهُمْ ﷺ، تَعَنُّتًا مِنْهُمْ لَهُ، ثُمَّ لَمْ يَحْصُرْهُمْ عَلَىٰ لَوْنٍ مِنْهَا دُونَ لَوْنٍ، فَأَبَوْا إِلَّا تَكَلُّفَ مَا كَانُوا عَنْ تَكَلُّفِهِ أَغْنِيَاءَ، فَقَالُوا تَعَنُّتًا مِنْهُمْ لِنَبِيِّهِمْ ﷺ: «ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا»..

﴿قَالَ﴾ فَقُلْ لَهُمْ عُقُوبَةً لَهُمْ..

﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ﴾ فَحُصِرُوا عَلَىٰ لَوْنٍ مِنْهَا دُونَ لَوْنٍ، وَمَعْنَىٰ ذَٰلِكَ أَنَّ الْبَقَرَةَ الَّتِي أَمَرْتُكُمْ بِذَبْحِهَا صَفْرَاءُ..

﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ خَالِصٌ لَوْنُهَا.. وَالْفُقُوعُ فِي الصُّفْرِ نَظِيرُ النُّصُوعِ فِي الْبَيَاضِ، وَهُوَ شِدَّتُهُ وَصَفَاؤُهُ..

﴿تَسُرُّ﴾ تُعْجِبُ هَذِهِ الْبَقَرَةُ فِي حُسْنِ خَلْقِهَا وَمَنْظَرِهَا وَهَيْئَتِهَا..

﴿ٱلنَّٰظِرِينَ ٦٩﴾ [البقرة: ٦٩] النَّاظِرَ إِلَيْهَا.

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ٧٠﴾ [البقرة: ٧٠].

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ الَّذِينَ أُمِرُوا بِذَبْحِ الْبَقَرَةِ لِمُوسَىٰ..

﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنِ الْقَوْمِ بِجَهْلَةٍ مِنْهُمْ ثَالِثَةٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا إِذْ أُمِرُوا بِذَبْحِ الْبَقَرَةِ ذَبَحُوا أَيَّتَهَا تَيَسَّرَتْ مِمَّا يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ بَقَرَةٍ، كَانَتْ عَنْهُمْ مُجْزِئَةً، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ غَيْرُهَا؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا كُلِّفُوهَا بِصِفَةٍ دُونَ صِفَةٍ، فَلَمَّا سَأَلُوا بَيَانَهَا بِأَيِّ صِفَةٍ هِيَ؟ فَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهَا بِسِنٍّ مِنَ الْأَسْنَانِ دُونَ سِنٍّ سَائِرِ الْأَسْنَانِ، فَقِيلَ لَهُمْ: هِيَ عَوَانٌ بَيْنَ الْفَارِضِ وَالْبِكْرِ، فَكَانُوا إِذَا بُيِّنَتْ لَهُمْ سِنُّهَا لَوْ ذَبَحُوا أَدْنَىٰ بَقَرَةٍ بِالسِّنِّ الَّتِي بُيِّنَتْ لَهُمْ كَانَتْ عَنْهُمْ مُجْزِئَةً، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا كُلِّفُوهَا بِغَيْرِ السِّنِّ الَّتِي حُدَّتْ لَهُمْ، وَلَا كَانُوا حُصِرُوا عَلَىٰ لَوْنٍ مِنْهَا دُونَ لَوْنٍ، فَلَمَّا أَبَوْا إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَعْرِفَةً لَهُمْ بِنُعُوتِهَا، مُبَيَّنَةً بِحُدُودِهَا الَّتِي تُفَرِّقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ سَائِرِ بَهَائِمِ الْأَرْضِ، فَشَدَّدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، شَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ نَبِيَّهُمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ نَبِيُّنَا ﷺ لِأُمَّتِهِ: «**ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ؛ فَإِنَّمَا أُهْلِكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَانْتَهُوا، وإذا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ**».. وَلَكِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا زَادُوا نَبِيَّهُمْ مُوسَىٰ ﷺ أَذًى وَتَعَنُّتًا، زَادَهُمُ اللهُ عُقُوبَةً وَتَشْدِيدًا.. وَأَقْوَالُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالْخَالِفِينَ بَعْدَهُمْ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ كَانُوا أَخَذُوا أَدْنَىٰ بَقَرَةٍ فَذَبَحُوهَا أَجْزَأَتْ عَنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ شَدَّدُوا فَشَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ، مِنْ أَوْضَحِ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ أَنَّ أَحْكَامَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- فِي أَيِّ كِتَابِهِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ عَلَىٰ الْعُمُومِ مَا لَمْ يَخُصَّ ذَلِكَ مَا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ، وَأَنَّهُ إِذَا خُصَّ مِنْهُ شَيْءٌ فَالْمَخْصُوصُ مِنْهُ خَارِجٌ حُكْمُهُ مِنْ حُكْمِ الْآيَةِ الْعَامَّةِ الظَّاهِرِ، وَسَائِرُ حُكْمِ الْآيَةِ عَلَىٰ ظَاهِرِهَا الْعَامِّ.. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ مَنْ عَظُمَتْ جَهَالَتُهُ وَاشْتَدَّتْ حَيْرَتُهُ، أَنَّ

الْقَوْمَ إِنَّمَا سَأَلُوا مُوسَىٰ مَا سَأَلُوا بَعْدَ أَمْرِ اللهِ إِيَّاهُمْ بِذِبْحِ بَقَرَةٍ مِنَ الْبَقَرِ؛ لِأَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُمِرُوا بِذِبْحِ بَقَرَةٍ بِعَيْنِهَا خُصَّتْ بِذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ الْجَاهِلُ تَدَبَّرَ قَوْلَهُ هَذَا، لَسَهُلَ عَلَيْهِ مَا اسْتَصْعَبَ مِنَ الْقَوْلِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ اسْتَعْظَمَ مِنَ الْقَوْمِ مَسْأَلَتَهُمْ نَبِيَّهُمْ مَا سَأَلُوهُ تَشَدُّدًا مِنْهُمْ فِي دِينِهِمْ، ثُمَّ أَضَافَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْرِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِمَّا اسْتَنْكَرَهُ أَنْ يَكُونَ كَانَ مِنْهُمْ، فَزَعَمَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ جَائِزٌ أَنْ يَفْرِضَ اللهُ عَلَيْهِمْ فَرْضًا وَيَتَعَبَّدَهُمْ بِعِبَادَةٍ، ثُمَّ لَا يُبَيِّنُ لَهُمْ مَا يَفْرِضُ عَلَيْهِمْ وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِهِ حَتَّىٰ يَسْأَلُوا بَيَانَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَأَضَافَ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مَا لَا يَجُوزُ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِ، وَنَسَبَ الْقَوْمَ مِنَ الْجَهْلِ إِلَىٰ مَا لَا يُنْسَبُ الْمَجَانِينُ إِلَيْهِ، فَزَعَمَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ أَنْ يَفْرِضَ عَلَيْهِمُ الْفَرَائِضَ، فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْحَيْرَةِ، وَنَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ وَالْهِدَايَةَ..

﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ﴾ جِمَاعُ بَقَرَةٍ..

﴿تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ الْتَبَسَ عَلَيْنَا..

﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ٧٠﴾ [البقرة: ٧٠] فَإِنَّهُمْ عَنُوا: وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُبَيَّنٌ لَنَا مَا الْتَبَسَ عَلَيْنَا وَتَشَابَهَ مِنْ أَمْرِ الْبَقَرَةِ الَّتِي أُمِرْنَا بِذَبْحِهَا.. وَمَعْنَىٰ (اهْتِدَائِهِمْ) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْنَىٰ (تَبَيُّنِهِمْ) أَيَّ ذَلِكَ الَّذِي لَزِمَهُمْ ذَبْحُهُ مِمَّا سِوَاهُ مِنْ أَجْنَاسِ الْبَقَرِ.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ٧١﴾ [البقرة: ٧١].

﴿قَالَ﴾ مُوسَىٰ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ اللهَ..

﴿يَقُولُ إِنَّهَا﴾ إِنَّ الْبَقَرَةَ الَّتِي أَمَرْتُكُمْ بِذَبْحِهَا..

﴿بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ لَمْ يُذَلِّلْهَا الْعَمَلُ.. ولَمْ تُذَلِّلْهَا إِثَارَةُ الْأَرْضِ بِأَظْلَافِهَا..

﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ لَيْسَتْ بِذَلُولٍ فَتُثِيرُ الأَرْضَ.. وَإِنَّمَا وَصَفَهَا -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِيمَا قِيلَ وَحْشِيَّةً..

﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ وَلَا تَعْمَلُ فِي الحَرْثِ..

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ مِنَ السَّلَامَةِ، فَوَصَفَهَا اللهُ بِالسَّلَامَةِ مِنَ الْعُيُوبِ..

﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ لَا لَوْنَ فِيهَا يُخَالِفُ لَوْنَ جِلْدِهَا.. وَمِنْهُ قِيلَ لِلسَّاعِي بِالرَّجُلِ إِلَىٰ السُّلْطَانِ

أَوْ غَيْرِهِ: وَاشٍ، لِكَذِبِهِ عَلَيْهِ عِنْدَهُ وَتَحْسِينِهِ كَذِبَهُ بِالْأَبَاطِيلِ..

﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ الْآنَ بَيَّنْتَ لَنَا الْحَقَّ فَتَبَيَّنَّاهُ، وَعَرَفْنَا أَيَّةَ بَقَرَةٍ عَيَّنْتَ..

﴿فَذَبَحُوهَا﴾ فَذَبَحَ قَوْمُ مُوسَىٰ الْبَقَرَةَ الَّتِي وَصَفَهَا اللهُ لَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِذَبْحِهَا..

﴿وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٧١﴾ [البقرة: ٧١] قَارَبُوا أَنْ يَدَعُوا ذَبْحَهَا، وَيَتْرُكُوا فَرْضَ اللهِ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ.. والسَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجَلِهِ كَادُوا أَنْ يُضَيِّعُوا فَرْضَ اللهِ عَلَيْهِمْ فِي ذَبْحِ مَا أَمَرَهُمْ بِذَبْحِهِ خَلَّتَانِ، إِحْدَاهُمَا: غَلَاءُ ثَمَنِهَا، وَالْأُخْرَىٰ: خَوْفُ عَظِيمِ الْفَضِيحَةِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِإِظْهَارِ اللهِ نَبِيَّهُ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَأَتْبَاعَهُ عَلَىٰ الْقَاتِلِ الذي سألوا عنه.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٧٢﴾ [البقرة: ٧٢].

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ..

﴿قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ هِيَ النَّفْسُ الَّتِي ذَكَرْنَا قِصَّتَهَا فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ﴾ [البقرة: ٦٧]..

﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ﴾ فَاخْتَلَفْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ.. وقِيلَ مَعْنَاه: فَتَدَافَعْتُمْ فِيهَا، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: دَرَأْتُ هَذَا الْأَمْرَ عَنِّي، وَمِنْ قَوْلِ اللهِ: ﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ [النور: ٨]، بِمَعْنَىٰ يَدْفَعُ عَنْهَا الْعَذَابَ، وَهَذَا قَوْلٌ قَرِيبُ الْمَعْنَىٰ مِنَ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا تَدَافَعُوا قَتْلَ قَتِيلٍ، فَانْتَفَىٰ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ قَاتِلَهُ..

﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ وَاللهُ مُظْهِرٌ، ومُعْلِنٌ لِمَنْ خَفِيَ ذَلِكَ عَنْهُ ومُطْلِعُهُم عَلَيْهِ، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٢٥] يَعْنِي بِذَلِكَ: يُظْهِرُهُ وَيُطْلِعُهُ مِنْ مَخْبَئِهِ بَعْدَ خَفَائِهِ..

﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٧٢﴾ [البقرة: ٧٢] مَا كُنْتُمْ تُسِرُّونَهُ وَتُغَيِّبُونَه مِنْ قَتْلِ الْقَتِيلِ الَّذِي قَتَلْتُمْ ثُمَّ ادَّارَأْتُمْ فِيهِ.. وَالَّذِي كَانُوا يَكْتُمُونَهُ فَأَخْرَجَهُ، هُوَ قَتْلُ الْقَاتِلِ الْقَتِيلَ، لَمَّا كَتَمَ ذَلِكَ الْقَاتِلُ وَمَنْ عَلِمَهُ مِمَّنْ شَايَعَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ أَظْهَرَهُ اللهُ وَأَخْرَجَهُ، فَأَعْلَنَ أَمْرَهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ أَمْرَهُ.

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٧٣﴾ [البقرة: ٧٣].

﴿فَقُلْنَا﴾ لِقَوْمِ مُوسَىٰ الَّذِينَ ادَّارَءُوا فِي الْقَتِيلِ الَّذِي قَدْ تَقَدَّمَ وَصْفُنَا أَمْرَهُ..

﴿ٱضْرِبُوهُ﴾ اضْرِبُوا الْقَتِيلَ لِيَحْيَا..

﴿بِبَعْضِهَاۚ﴾ بِبَعْضِ الْبَقَرَةِ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللهُ بِذَبْحِهَا فَذَبَحُوهَا.. وَلَا دَلَالَةَ فِي الْآيَةِ وَلَا خَبَرَ تَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ عَلَىٰ أَيِّ أَبْعَاضِهَا الَّتِي أُمِرَ الْقَوْمُ أَنْ يَضْرِبُوا الْقَتِيلَ بِهِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَضْرِبُوهُ بِهِ هُوَ الْفَخِذُ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الذَّنَبَ، وَغُضْرُوفَ الْكَتِفِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَبْعَاضِهَا، وَلَا يَضُرُّ الْجَهْلُ بِأَيِّ ذَلِكَ ضَرَبُوا الْقَتِيلَ، وَلَا يَنْفَعُ الْعِلْمُ بِهِ، مَعَ الْإِقْرَارِ بِأَنَّ الْقَوْمَ قَدْ ضَرَبُوا الْقَتِيلَ بِبَعْضِ الْبَقَرَةِ بَعْدَ ذَبْحِهَا، فَأَحْيَاهُ اللهُ..

﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ مُخَاطَبَةٌ مِنَ اللهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَاحْتِجَاجٌ مِنْهُ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ، وَأَمْرُهُمْ بِالِاعْتِبَارِ بِمَا كَانَ مِنْهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- مِنْ إِحْيَاءِ قَتِيلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مَمَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ لَهُمْ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، اعْتَبِرُوا بِإِحْيَائِي هَذَا الْقَتِيلَ بَعْدَ مَمَاتِهِ، فَإِنِّي كَمَا أَحْيَيْتُهُ فِي الدُّنْيَا فَكَذَلِكَ أُحْيِي الْمَوْتَىٰ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، فَأَبْعَثُهُمْ يَوْمَ الْبَعْثِ.. فَإِنَّمَا احْتَجَّ -جَلَّ ذِكْرُهُ- بِذَلِكَ عَلَىٰ مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَهُمْ قَوْمٌ أُمِّيُّونَ لَا كِتَابَ لَهُمْ، لِأَنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَعْلَمُونَ عِلْمَ ذَلِكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ، فَأَخْبَرَهُمْ -جَلَّ ذِكْرُهُ- بِذَلِكَ لِيَتَعَرَّفُوا عِلْمَ مَنْ قَبْلَهُمْ..

﴿وَيُرِيكُمۡ﴾ اللهُ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ الْمُكَذِّبُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنْ..

﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ وأَعْلَامَهُ وَحُجَجَهُ الدَّالَّةَ عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ..

﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٧٣﴾ [البقرة: ٧٣] لِتَعْقِلُوا وَتَفْهَمُوا أَنَّهُ مُحِقٌّ صَادِقٌ فَتُؤْمِنُوا بِهِ وَتَتَّبِعُوهُ.

﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٧٤﴾ [البقرة: ٧٤].

﴿ثُمَّ قَسَتۡ﴾ جَفَّتْ وَغَلُظَتْ وَعَسَتْ..

﴿قُلُوبُكُم﴾ عَنِ الْخُضُوعِ وَالْإِذْعَانِ لِوَاجِبِ حَقِّ اللهِ عَلَيْكُمْ.. وَكَانَتْ قَسَاوَةُ قُلُوبِهِمْ أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونُوا هُمْ قَتَلُوا الْقَتِيلَ الَّذِي أَحْيَاهُ اللهُ، فَأَخْبَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا قَتَلَتَهُ..

﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَحْيَا الْمَقْتُولَ لَهُمُ الَّذِي ادَّارَءُوا فِي قَتْلِهِ، فَأَخْبَرَهُمْ بِقَاتِلِهِ وَمَا السَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ قَتَلَهُ..

﴿فَهِيَ﴾ قُلُوبُكُمْ، بَعْدَ إِذْ رَأَيْتُمُ الْحَقَّ فَتَبَيَّنْتُمُوهُ وَعَرَفْتُمُوهُ..

﴿كَٱلۡحِجَارَةِ﴾ صَلَابَةً وَيُبْسًا وَغِلَظًا وَشِدَّةً.

﴿أَوْ﴾ عِنْدَ مَنْ عَرَفَ شَأْنَهُمْ..

﴿أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ وصَلَابَةً عَنِ الْإِذْعَانِ لِوَاجِبِ حَقِّ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَالْإِقْرَارِ لَهُ بِاللَّازِمِ مِنْ حُقُوقِهِ لَهُمْ مِنَ الْحِجَارَةِ.. فَقُلُوبُهُمْ لَا تَخْرُجُ مِنْ أَحَدِ هَذَيْنِ الْمِثْلَيْنِ، إِمَّا أَنْ تَكُونَ مِثْلًا لِلْحِجَارَةِ فِي الْقَسْوَةِ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَشَدَّ مِنْهَا قَسْوَةً، فَبَعْضُهَا كَالْحِجَارَةِ قَسْوَةً، وَبَعْضُهَا أَشَدُّ قَسْوَةً مِنَ الْحِجَارَةِ..

﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ حِجَارَةً يَتَفَجَّرُ مِنْهَا الْمَاءُ الَّذِي تَكُونُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ..

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَحِجَارَةً تَشَقَّقُ، وَتَشَقُّقُهَا: تَصَدُّعُهَا...

﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ فَيَكُونُ عَيْنًا نَابِعَةً وَأَنْهَارًا جَارِيَةً..

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَرَدَّى مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ إِلَى الْأَرْضِ وَالسَّفْحِ مِنْ خَوْفِ اللهِ وَخَشْيَتِهِ.. وَإِنَّمَا وَصَفَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- الْحِجَارَةَ بِمَا وَصَفَهَا بِهِ مِنْ أَنَّ مِنْهَا الْمُتَفَجِّرَ مِنْهُ الْأَنْهَارُ، وَأَنَّ مِنْهَا الْمُتَشَقِّقَ بِالْمَاءِ، وَأَنَّ مِنْهَا الْهَابِطَ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، بَعْدَ الَّذِي جَعَلَ مِنْهَا لِقُلُوبِ الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْ قَسْوَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْلًا، مَعْذِرَةً مِنْهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لَهَا دُونَ الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْ قَسْوَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ كَانُوا بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَهُمُ اللهُ بِهَا مِنَ التَّكْذِيبِ بِرُسُلِهِ وَالْجُحُودِ لِآيَاتِهِ بَعْدَ الَّذِي أَرَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ، وَعَايَنُوا مِنْ عَجَائِبِ الْأَدِلَّةِ وَالْحُجَجِ، مَعَ مَا أَعْطَاهُمْ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مِنْ صِحَّةِ الْعُقُولِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ سَلَامَةِ النُّفُوسِ، الَّتِي لَمْ يُعْطِهَا الْحَجَرَ وَالْمَدَرَ، ثُمَّ هُوَ مَعَ ذَلِكَ مِنْهُ مَا يَتَفَجَّرُ بِالْأَنْهَارِ، وَمِنْهُ مَا يَتَشَقَّقُ بِالْمَاءِ، وَمِنْهُ مَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، فَأَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ مَا هُوَ أَلْيَنُ مِنْ قُلُوبِهِمْ لِمَا يُدْعَوْنَ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ..

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ﴾ يَا مَعْشَرَ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِهِ وَالْجَاحِدِينَ نُبُوَّةَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْمُتَقَوِّلِينَ عَلَيْهِ الْأَبَاطِيلَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَحْبَارِ الْيَهُودِ.. وَأَصْلُ الْغَفْلَةِ عَنِ الشَّيْءِ: تَرْكُهُ عَلَىٰ وَجْهِ السَّهْوِ عَنْهُ وَالنِّسْيَانِ لَهُ، فَأَخْبَرَهُمْ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّهُ غَيْرُ غَافِلٍ..

﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة: ٧٤] مِنْ أَعْمَالِكُمُ الْخَبِيثَةِ وَأَفْعَالِكُمُ الرَّدِيئَةِ؛ وَلَكِنَّهُ يُحْصِيهَا عَلَيْكُمْ، فَيُجَازِيكُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ أَوْ يُعَاقِبُكُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا.

﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥].

﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أَفَتَرْجُونَ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْمُصَدِّقِينَ مَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ أَنْ يُؤْمِنَ لَكُمْ يَهُودُ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ وأَنْ يُصَدِّقُوكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ مُحَمَّدٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ؟.. كَيْفَ تَطْمَعُونَ فِي تَصْدِيقِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ إِيَّاكُمْ، وَإِنَّمَا تُخْبِرُونَهُمْ بِالَّذِي تُخْبِرُونَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عَنْ غَيْبٍ لَمْ يُشَاهِدُوهُ وَلَمْ يُعَايِنُوهُ..

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ﴾ أَمَّا (الْفَرِيقُ) فَجَمْعٌ، كَالطَّائِفَةِ، لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، وَهُوَ فَعِيلٌ مِنَ التَّفَرُّقِ، سُمِّيَ بِهِ الْجِمَاعُ كَمَا سُمِّيَتِ الْجَمَاعَةُ بِـ (الْحِزْبِ) مِنَ (التَّحَزُّبِ) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ..

﴿مِّنْهُمْ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِنَّمَا جَعَلَ اللهُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ عَهْدِ مُوسَىٰ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ قَالَ اللهُ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿* أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ لِأَنَّهُمْ كَانُوا آبَاءَهُمْ وَأَسْلَافَهُمْ، فَجَعَلَهُمْ مِنْهُمْ إِذْ كَانُوا عَشَائِرَهُمْ وَفَرَطَهُمْ وَأَسْلَافَهُمْ، كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ الْيَوْمَ الرَّجُلَ وَقَدْ مَضَىٰ عَلَىٰ مِنْهَاجِ الذَّاكِرِ وَطَرِيقَتِهِ، وَكَانَ مِنْ قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ، فَيَقُولُ: كَانَ مِنَّا فُلَانٌ؛ يَعْنِي: أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ طَرِيقَتِهِ أَوْ مُذْهَبِهِ أَوْ مِنْ قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ؛ فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾..

﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ يَسْمَعُ مِنَ اللهِ كَلَامَهُ، وَأَمْرَهُ وَنَهْيَهُ كَمَا يَسْمَعُ أَهْلُ النُّبُوَّةِ، وَهُمُ الَّذِينَ سَأَلُوا مُوسَىٰ رُؤْيَةَ رَبِّهِمْ، فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ فِيهَا، فَقَالُوا لِمُوسَىٰ: يَا مُوسَىٰ قَدْ حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رُؤْيَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَأَسْمِعْنَا كَلَامَهُ حِينَ يُكَلِّمُكَ، فَطَلَبَ ذَلِكَ مُوسَىٰ إِلَىٰ رَبِّهِ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَمُرْهُمْ فَلْيَتَطَهَّرُوا وَلْيُطَهِّرُوا ثِيَابَهُمْ وَيَصُومُوا، فَفَعَلُوا، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمْ حَتَّىٰ أَتَىٰ الطُّورَ، فَلَمَّا غَشِيَهُمُ الْغَمَامُ أَمَرَهُمْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَوَقَعُوا سُجُودًا، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ فَسَمِعُوا كَلَامَهُ يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ، حَتَّىٰ عَقَلُوا مَا سَمِعُوا، ثُمَّ انْصَرَفَ بِهِمْ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا جَاءُوهُمْ حَرَّفَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَقَالُوا حِينَ قَالَ مُوسَىٰ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَمَرَكُمْ بِكَذَا وَكَذَا، قَالَ ذَلِكَ الْفَرِيقُ الَّذِي ذَكَرَهُمُ اللهُ: إِنَّمَا قَالَ كَذَا وَكَذَا خِلَافًا لِمَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُمْ، فَهُمُ الَّذِينَ عَنَىٰ اللهُ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ ثُمَّ يُبَدِّلُونَ مَعْنَاه وَتَأْوِيلَهُ وَيُغَيرونه.. فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مِنْ بَقَايَا نَسْلِهِمْ أَحْرَىٰ أَنْ يَجْحَدُوا مَا أَتَيْتُمُوهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَهُ مِنَ اللهِ، وَإِنَّمَا يَسْمَعُونَهُ مِنْكُمْ، وَأَقْرَبُ إِلَىٰ أَنْ يُحَرِّفُوا مَا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ صِفَةِ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنَعْتِهِ، وَيُبَدِّلُوهُ وَهُمْ بِهِ عَالِمُونَ فَيَجْحَدُوهُ وَيُكَذِّبُوا، مِنْ أَوَائِلِهُمُ الَّذِينَ بَاشَرُوا كَلَامَ اللهِ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-، ثُمَّ حَرَّفُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَعَلِمُوهُ، مُتَعَمِّدِينَ التَّحْرِيفَ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أَخْبَرَ أَنَّ التَّحْرِيفَ كَانَ مِنْ فَرِيقٍ مِنْهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوا تَأْوِيلَهُ، اسْتِعْظَامًا مِنَ اللهِ لِمَا كَانُوا يَأْتُونَ مِنَ الْبُهْتَانِ بَعْدَ تَوْكِيدِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ

وَالْبُرْهَانِ، وَإِيذَانًا مِنْهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَطْعَ أَطْمَاعِهِمْ مِنْ إِيمَانِ بَقَايَا نَسْلِهِمْ بِمَا أَتَاهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنَ الْحَقِّ وَالنُّورِ وَالْهُدَىٰ..

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة: ٧٥] أَنَّهُمْ فِي تَحْرِيفِهِمْ مَا حَرَّفُوا مِنْ ذَلِكَ مُبْطِلُونَ كَاذِبُونَ.. وَذَلِكَ إِخْبَارٌ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عَنْ إِقْدَامِهِمْ عَلَىٰ الْبَهْتِ، وَمُنَاصَبَتِهِمُ الْعَدَاوَةَ لَهُ وَلِرَسُولِهِ مُوسَىٰ ﷺ، وَأَنَّ بَقَايَاهُمْ مِنْ مُنَاصَبَتِهِمُ الْعَدَاوَةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَغْيًا وَحَسَدًا عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَوَائِلُهُمْ مِنْ ذَلِكَ فِي عَصْرِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝﴾ [البقرة: ٧٦].

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا خَبَرٌ مِنَ اللهِ -جَلَّ ذِكْرُهُ- عَنِ الَّذِينَ أَيْأَسَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ إِيمَانِهِمْ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، وَهُمُ الَّذِينَ إذا لقوا الذين آمنوا باللهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ بِمُحَمَّدٍ وَبِمَا صَدَّقْتُمْ بِهِ وَأَقْرَرْنَا بِذَلِكَ..

﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ﴾ بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ..

﴿إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ مِنْهُمْ فَصَارُوا فِي خَلَاءٍ مِنَ النَّاسِ غَيْرِهِمْ، وَذَلِكَ هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ غَيْرُهُمْ..

﴿قَالُوا﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ..

﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ مِنْ بَعْثِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَىٰ خَلْقِهِ.. وَكَانَ قِيلُهُمْ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ يَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كُتُبِهِمْ وَكَانُوا يُخْبِرُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ..

﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ فَكَانَ تَلَاوُمُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِذَا خَلَوْا عَلَىٰ مَا كَانُوا يُخْبِرُونَهُمْ بِمَا هُوَ حُجَّةٌ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُخْبِرُونَهُمْ عَنْ وُجُودِ نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي كُتُبِهِمْ وَيَكْفُرُونَ بِهِ، وَكَانَ فَتْحُ اللهِ الَّذِي فَتَحَهُ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ الْيَهُودِ وَحُكْمُهُ عَلَيْهِمْ لَهُمْ فِي كِتَابِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا بُعِثَ، فَلَمَّا بُعِثَ كَفَرُوا بِهِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِنُبُوَّتِهِ..

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝﴾ [البقرة: ٧٦] هذا خَبَرٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنِ الْيَهُودِ اللَّائِمِينَ إِخْوَانَهُمْ عَلَىٰ مَا أَخْبَرُوا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا فَتَحَ اللهُ لَهُمْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُمْ: أَفَلَا تَفْقَهُونَ أَيُّهَا

الْقَوْمُ وَتَعْقِلُونَ أَنَّ إِخْبَارَكُمْ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَا فِي كُتُبِكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ، حُجَّةٌ لَهُمْ عَلَيْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ يَحْتَجُّونَ بِهَا عَلَيْكُمْ؟ أَيْ فَلَا تَفْعَلُوا ذَلِكَ، وَلَا تَقُولُوا لَهُمْ مِثْلَ مَا قُلْتُمْ، وَلَا تُخْبِرُوهُمْ بِمِثْلِ مَا أَخْبَرْتُمُوهُمْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-:

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٧﴾ [البقرة: ٧٧].

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ أَوَلَا يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ اللَّائِمُونَ مِنَ الْيَهُودِ إِخْوَانَهُمْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِمْ، عَلَىٰ كَوْنِهِمْ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا، وَعَلَىٰ إِخْبَارِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ نَعْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَبْعَثِهِ، الْقَائِلُونَ لَهُمْ: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦]..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ أَنَّ اللهَ عَالِمٌ بِمَا يُسِرُّونَ، فَيُخْفُونَهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ فِي خَلَائِهِمْ مِنْ كُفْرِهِمْ وَتَلَاوُمِهِمْ بَيْنَهُمْ عَلَىٰ إِظْهَارِهِمْ مَا أَظْهَرُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنَ الْإِقْرَارِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَىٰ قِيلِهِمْ لَهُمْ آمَنَّا، وَنَهْيِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا أَنْ يُخْبِرُوا الْمُؤْمِنِينَ بِمَا فَتَحَ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ، وَقَضَىٰ لَهُمْ عَلَيْهِمْ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ حَقِيقَةِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنَعْتِهِ وَمَبْعَثِهِ..

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٧﴾ [البقرة: ٧٧] فَيُظْهِرُونَهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَلِأَصْحَابِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ إِذَا لَقُوهُمْ مِنْ قِيلِهِمْ لَهُمْ: آمَنَّا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، نِفَاقًا وَخِدَاعًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨﴾ [البقرة: ٧٨].

﴿وَمِنْهُمْ﴾ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ قَصَّ اللهُ قَصَصَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، وَأَيْأَسَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ إِيمَانِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ [البقرة: ٧٥] وَهُمْ ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١١٩]، مِنْهُمْ فَرِيقٌ..

﴿أُمِّيُّونَ﴾ لَا يَكْتُبُونَ، وَلَا يَدْرُونَ مَا فِي الْكِتَابِ الَّذِي عِنْدَهُمْ، ومع ذلك فهم يَدَّعُونَ الْإِقْرَارَ بما فيه، مِنْ أَحْكَامِ اللهِ وَفَرَائِضِهِ، وحُدُودِهِ الَّتِي بَيَّنَهَا فِيهِ.. والْأُمِّيُّ عِنْدَ الْعَرَبِ هُوَ الَّذِي لَا يَكْتُبُ، وقِيلَ لِلْأُمِّيِّ أُمِّيٌّ نِسْبَةً لَهُ بِأَنَّهُ لَا يَكْتُبُ، إِلَىٰ أُمِّهِ؛ لِأَنَّ الْكِتَابَ كَانَ فِي الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ، فَنُسِبَ مَنْ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَخُطُّ مِنَ الرِّجَالِ إِلَىٰ أُمِّهِ فِي جَهْلِهِ بِالْكِتَابَةِ دُونَ أَبِيهِ..

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ لَا يَفْقَهُونَ مَا فِي..

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ، وَلَا يَدْرُونَ مَا أَوْدَعَهُ اللهُ مِنْ حُدُودِهِ وَأَحْكَامِهِ وَفَرَائِضِهِ كَهَيْئَةِ الْبَهَائِمِ..

﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ إِلَّا قَوْلًا يَقُولُونَهُ بِأَفْوَاهِهِمْ كَذِبًا، وَيَتَقَوَّلُونَ الْأَبَاطِيلَ كَذِبًا وَزُورًا.. وَالتَّمَنِّي فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، هُوَ تَخَلُّقُ الْكَذِبِ وَتَخَرُّصُهُ وَافْتِعَالُهُ، يُقَالُ مِنْهُ: تَمَنَّيْتُ كَذَا: إِذَا افْتَعَلْتُهُ وَتَخَرَّصْتُهُ..

﴿وَإِنْ هُمْ﴾ يعني: وَمَا هُمْ، كَمَا قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: ١١] يَعْنِي بِذَلِكَ: مَا نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ..

﴿إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة: ٧٨] يَتْرُكُونَ التَّصْدِيقَ بِالَّذِي يُوقِنُونَ بِهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، مِمَّا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَيَتَّبِعُونَ مَا هُمْ فِيهِ شَاكُّونَ، وَفِي حَقِيقَتِهِ مُرْتَابُونَ مِمَّا أَخْبَرَهُمْ بِهِ كُبَرَاؤُهُمْ وَرُؤَسَاؤُهُمْ وَأَحْبَارُهُمْ، عِنَادًا مِنْهُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَمُخَالَفَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِ اللهِ وَاغْتِرَارًا مِنْهُمْ بِإِمْهَالِ اللهِ إِيَّاهُمْ.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩].

﴿فَوَيْلٌ﴾ فَالْعَذَابُ الَّذِي هُوَ شُرْبُ صَدِيدِ أَهْلِ جَهَنَّمَ فِي أَسْفَلِ الْجَحِيمِ..

﴿لِّلَّذِينَ﴾ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْبَاطِلَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ﴾ حَرَّفُوا كِتَابَ اللهِ، وَكَتَبُوا كِتَابًا عَلَىٰ مَا تَأَوَّلُوهُ مِنْ تَأْوِيلَاتِهِمْ، مُخَالِفًا لِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُوسَىٰ ﷺ..

﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ، وَعَمْدٍ لِلْكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ، فَنَفَىٰ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِقَوْلِهِ: «بِأَيْدِيهِمْ» أَنْ يَكُونَ وَلِيَ كِتَابَةَ ذَلِكَ بَعْضُ جُهَّالِهِمْ بِأَمْرِ عُلَمَائِهِمْ وَأَحْبَارِهِمْ..

﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ثُمَّ بَاعُوهُ مِنْ قَوْمٍ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالكتابة، وَلَا بِمَا فِي التَّوْرَاةِ -جُهَّالٍ بِمَا فِي كُتُبِ اللهِ- لِطَلَبِ عَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا خَسِيسٍ..

﴿فَوَيْلٌ﴾ فَالْعَذَابُ فِي الْوَادِي، السَّائِلِ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ، فِي أَسْفَلِ جَهَنَّمَ..

﴿لَّهُم﴾ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ -الَّذِي وَصَفْنَا أَمْرَهُ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ- مُحَرَّفًا، ثُمَّ قَالُوا: هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ ابْتِغَاءَ عَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا بِهِ قَلِيلٍ مِمَّنْ يَبْتَاعُهُ مِنْهُمْ..

﴿مِّمَّا﴾ مِنَ الَّذِي..

﴿كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَوَيْلٌ لَّهُم﴾ أَيْضًا..

﴿مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩] مِمَّا يَعْمَلُونَ مِنَ الْخَطَايَا، وَيَجْتَرِحُونَ مِنَ الْآثَامِ، وَيَكْسِبُونَ

مِنَ الْحَرَامِ بِكِتَابِهِمُ الَّذِي يَكْتُبُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ، بِخِلَافِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، ثُمَّ يَأْكُلُونَ ثَمَنَهُ، وَقَدْ بَاعُوهُ مِمَّنْ بَاعُوهُ مِنْهُمْ، عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ.. وَأَصْلُ الْكَسْبِ: الْعَمَلُ، فَكُلُّ عَامِلٍ عَمَلًا بِمُبَاشَرَةٍ مِنْهُ لِمَا عَمِلَ وَمُعَانَاةٍ بِاحْتِرَافٍ، فَهُوَ كَاسِبٌ لِمَا عَمِلَ.

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ ۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠﴾ [البقرة: ٨٠].

﴿وَقَالُواْ﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ..

﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ﴾ لَنْ تُلَاقِيَ أَجْسَامَنَا النَّارُ، وَلَنْ نَدْخُلَهَا..

﴿أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ۚ قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمَعْشَرِ الْيَهُودِ..

﴿أَتَّخَذۡتُمۡ﴾ أَأَخَذْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ مِنْ ذَلِكَ..

﴿عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا﴾ مِنَ اللهِ مِيثَاقًا..

﴿فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ﴾ فَاللهُ لَا يَنْقُضُ مِيثَاقَهُ، وَلَا يُبَدِّلُ وَعْدَهُ وَعَقْدَهُ..

﴿أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠﴾ [البقرة: ٨٠] تَقُولُونَ عَلَىٰ اللهِ الْبَاطِلَ جَهْلًا وَجَرَاءَةً عَلَيْهِ..

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١﴾ [البقرة: ٨١].

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ﴾ مَنْ عَمِلَ مِثْلَ أَعْمَالِكُمْ..

﴿سَيِّئَةً﴾ شركًا..

﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ اقْتَرَفَ ذُنُوبًا جَمَّةً، فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ، وَكَفَرَ بِمِثْلِ مَا كَفَرْتُمْ بِهِ حَتَّىٰ يُحِيطَ كُفْرُهُ بِمَا لَهُ مِنْ حَسَنَةٍ، فَمَاتَ عَلَيْهَا قَبْلَ الْإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ مِنْهَا.. وَأَصْلُ الْإِحَاطَةِ بِالشَّيْءِ: الْإِحْدَاقُ بِهِ بِمَنْزِلَةِ الْحَائِطِ الَّذِي تُحَاطُ بِهِ الدَّارُ فَتُحْدِقُ بِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ وَأَحَاطَتْ بِهِمْ خَطِيئَاتُهُمْ..

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ أَهْلُ النَّارِ.. وَإِنَّمَا جَعَلَهُمْ لَهَا أَصْحَابًا؛ لِإِيثَارِهِمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا مَا

يُورِدُهُمُوهَا، وَيُورِدُهُمْ سَعِيرَهَا، عَلَىٰ الْأَعْمَالِ الَّتِي تُورِدُهُمُ الْجَنَّةَ، فَجَعَلَهُمْ -جَلَّ ذِكْرُهُ- بِإِيثَارِهِمْ أَسْبَابَهَا عَلَىٰ أَسْبَابِ الْجَنَّةِ لَهَا أَصْحَابًا، كَصَاحِبِ الرَّجُلِ الَّذِي يُصَاحِبُهُ مُؤْثِرًا صُحْبَتَهُ عَلَىٰ صُحْبَةِ غَيْرِهِ حَتَّىٰ يُعْرَفَ بِهِ..

﴿هُمْ فِيهَا﴾ فِي النَّارِ..

﴿خَٰلِدُونَ ۝٨١﴾ [البقرة: ٨١] مُقِيمُونَ.. وهذه الآية تَكْذِيبٌ مِنَ اللهِ الْقَائِلِينَ مِنَ الْيَهُودِ: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، وَإِخْبَارٌ مِنْهُ لَهُمْ أَنَّهُ يُعَذِّبُ مَنْ أَشْرَكَ وَكَفَرَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ، وَأَحَاطَتْ بِهِ ذُنُوبُهُ فَمُخَلَّدُهُ فِي النَّارِ؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَسْكُنُهَا إِلَّا أَهْلُ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَهْلُ الطَّاعَةِ لَهُ، وَالْقَائِمُونَ بِحُدُودِهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٨٢﴾
[البقرة: ٨٢].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أَطَاعُوا اللهَ فَأَقَامُوا حُدُودَهُ وَأَدَّوْا فَرَائِضَهُ، وَاجْتَنَبُوا مَحَارِمَهُ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ هُمْ كَذَلِكَ..

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ﴾ أَهْلُهَا الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا..

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٨٢﴾ [البقرة: ٨٢] مُقِيمُونَ أَبَدًا.. وَهَذِهِ الْآيَةُ وَالَّتِي قَبْلَهَا إِخْبَارٌ مِنَ اللهِ عِبَادَهُ عَنْ بَقَاءِ النَّارِ وَبَقَاءِ أَهْلِهَا فِيهَا، وَدَوَامِ مَا أَعَدَّ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا لِأَهْلِهَا، تَكْذِيبًا مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- الْقَائِلِينَ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّ النَّارَ لَنْ تَمَسَّهُمْ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، وَأَنَّهُمْ صَائِرُونَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ؛ فَأَخْبَرَهُمْ بِخُلُودِ كُفَّارِهِمْ فِي النَّارِ وَخُلُودِ مُؤْمِنِيهِمْ فِي الْجَنَّةِ.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ۝٨٣﴾ [البقرة: ٨٣].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وَاذْكُرُوا أَيْضًا يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ..

﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ، وأَنْ تُخْلِصُوا لَهُ العِبَادَةَ، وَأَنْ لَا تَعْبُدُوا غَيْرَه..

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وَبِأَنْ تُحْسِنُوا إِلَى الْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، مِنْ فِعْلِ الْمَعْرُوفِ لَهُمَا، وَالْقَوْلِ الْجَمِيلِ، وَخَفْضِ جَنَاحِ الذُّلِّ رَحْمَةً بِهِمَا، وَالتَّحَنُّنِ عَلَيْهِمَا، وَالرَّأْفَةِ بِهِمَا وَالدُّعَاءِ بِالْخَيْرِ لَهُمَا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي نَدَبَ اللهُ عِبَادَهُ أَنْ يَفْعَلُوا بِهِمَا..

﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أَنْ تَصِلُوا رَحِمَهُ، وَتَعْرِفُوا حَقَّهُ..

﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ أَنْ تَتَعَطَّفُوا عَلَيْهِمْ بِالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ، الذُّكُورِ مِنْهُمْ وَالْإِنَاثِ..

﴿وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ أَنْ تُؤْتُوهُمْ حُقُوقَهُمُ الَّتِي أَلْزَمَهَا اللهُ أَمْوَالَكُمْ.. وَالْمِسْكِينُ: هُوَ الْمُتَخَشِّعُ الْمُتَذَلِّلُ مِنَ الْفَاقَةِ وَالْحَاجَةِ، مِنَ الْمَسْكَنَةِ وهِيَ ذُلُّ الْحَاجَةِ وَالْفَاقَةِ..

﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ وأَنْ تَأْمُرُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مَنْ لَمْ يَقُلْهَا وَرَغِبَ عَنْهَا، حَتَّىٰ يَقُولُوهَا كَمَا قَالُوهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ قُرْبَةٌ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-.. وتُلِينُوا الْقَوْلَ؛ فَإِنَّه مِنَ الْأَدَبِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ، وَالْخُلُقِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ مِمَّا ارْتَضَاهُ اللهُ وَأَحَبَّهُ..

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أَدُّوهَا بِحُقُوقِهَا الْوَاجِبَةِ عَلَيْكُمْ فِيهَا.. وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ: تَمَامُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالتِّلَاوَةِ وَالْخُشُوعِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهَا فِيهَا..

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ فَخَالَفُوا أَمْرَهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ..

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ مِنْهُمْ، فَوَفَىٰ للهِ بِعَهْدِهِ وَمِيثَاقِهِ..

﴿وَأَنتُم﴾ يَا مَعْشَرَ بَقَايَا يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿مُّعْرِضُونَ ٨٣﴾ [البقرة: ٨٣] أَيْضًا عَنِ الْمِيثَاقِ الَّذِي أُخِذَ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ، وَتَارِكُوهُ تَرْكَ أَوَائِلِكُمْ.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ٨٤﴾ [البقرة: ٨٤].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ فنُهُوا عَنْ أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَكَانَ فِي قَتْلِ الرَّجُلِ مِنْهُمُ الرَّجُلَ قَتْلُ نَفْسِهِ، إِذْ كَانَتْ مِلَّتُهُمَا بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، بِمَنْزِلَةِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَىٰ بَعْضُهُ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ**».. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: «**لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ**» أَيْ: لَا يَقْتُلُ الرَّجُلُ مِنْكُمُ الرَّجُلَ مِنكُمْ، فَيُقَادُ بِهِ قِصَاصًا، فَيَكُونَ بِذَلِكَ قَاتِلًا نَفْسَهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ الَّذِي سَبَّبَ لِنَفْسِهِ مَا اسْتَحَقَّتْ بِهِ الْقَتْلَ، فَأُضِيفَ بِذَلِكَ إِلَيْهِ قَتْلُ وَلِيِّ الْمَقْتُولِ إِيَّاهُ

قِصَاصًا بِوَلِيِّهِ، كَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ يَرْكَبُ فِعْلًا مِنَ الْأَفْعَالِ يَسْتَحِقُّ بِهِ الْعُقُوبَةَ فَيُعَاقَبُ الْعُقُوبَةَ: أَنْتَ جَنَيْتَ هَذَا عَلَىٰ نَفْسِكَ..

﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ لَا يُخْرِجُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنَ الدِّيَارِ..

﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ بِالْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذْنَا عَلَيْكُمْ، وهو ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾.. يَعْنِي بِذَلِكَ: إِقْرَارَ أَوَائِلِكُمْ وَسَلَفِكُمْ..

﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [البقرة: ٨٤] عَلَىٰ إِقْرَارِكُمْ بِأَخْذِ الْمِيثَاقِ عَلَيْهِمْ، بِأَنْ لَا يَسْفِكُوا دِمَاءَهُمْ، وَلَا يُخْرِجُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ.. وهو تَأْنِيبٌ لِلَّذِينَ خَاطَبَهُمْ بِهَذِهِ الْآيَاتِ عَلَىٰ نَقْضِهِمْ وَنَقْضِ سَلَفِهِمْ ذَلِكَ الْمِيثَاقَ، وتَكْذِيبِهِمْ مَا وَكَّدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَهُ بِالْوَفَاءِ مِنَ الْعُهُودِ.. فَإِنَّه وَإِنْ كَانَ الخِطَابُ لِلَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ عَهْدِ نَبِيِّنَا ﷺ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهِ كُلُّ مَنْ وَاثَقَ بِالْمِيثَاقِ مِنْهُمْ عَلَىٰ عَهْدِ مُوسَىٰ وَمَنْ بَعْدَهُ، وَكُلُّ مَنْ شَهِدَ مِنْهُمْ بِتَصْدِيقِ مَا فِي التَّوْرَاةِ؛ لِأَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لَمْ يَخْصُصْ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾ بَعْضَهُمْ دُونَ بَعْضٍ، وَالْآيَةُ مُحْتَمِلَةٌ أَنْ يَكُونَ أُرِيدَ بِهَا جَمِيعُهُمْ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّهُ أُرِيدَ بِهَا بَعْضٌ مِنْهُمْ دُونَ بَعْضٍ.. وَكَذَلِكَ حُكْمُ الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا، أَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٥] الْآيَةَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ ذُكِرَ أَنَّ أَوَائِلَهُمْ قَدْ كَانُوا يَفْعَلُونَ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ أَوَاخِرُهُمُ الَّذِينَ أَدْرَكُوا عَصْرَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

> ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة: ٨٥].

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يَا مَعْشَرَ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، بَعْدَ إِقْرَارِكُمْ بِالْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذْتُهُ عَلَيْكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ، ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ بَعْدَ شَهَادَتِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ بِأَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ لِي عَلَيْكُمْ لَازِمٌ لَكُمُ الْوَفَاءُ لِي بِهِ..

﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا..

﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ وَأَنْتُمْ مَعَ قَتْلِكُمْ مَنْ تَقْتُلُونَ مِنْكُمْ يُخْرِجُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ دِيَارِهِ..

﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم﴾ مُتَعَاوِنِينَ عَلَيْهِمْ..

﴿بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ فِي إِخْرَاجِكُمْ إِيَّاهُمْ..

﴿وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ﴾ فَكَيْفَ تَسْتَجِيزُونَ قَتْلَهُمْ وَلَا تَسْتَجِيزُونَ تَرْكَ فِدَائِهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ؟! أَمْ كَيْفَ لَا تَسْتَجِيزُونَ تَرْكَ فِدَائِهِمْ وَتَسْتَجِيزُونَ قَتْلَهُمْ؟!

﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ﴾ حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ قَتْلِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دُورِهِمْ، نَظِيرُ الَّذِي حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ تَرْكِهِمْ أَسْرَىٰ فِي أَيْدِي عَدُوِّهِمْ..

﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الَّذِي فَرَضْتُ عَلَيْكُمْ فِيهِ فَرَائِضِي، وَبَيَّنْتُ لَكُمْ فِيهِ حُدُودِي، وَأَخَذْتُ عَلَيْكُمْ بِالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ مِيثَاقِي، فَتُصَدِّقُونَ بِهِ، فَتُفَادُونَ أَسْرَاكُمْ مِنْ أَيْدِي عَدُوِّكُمْ..

﴿وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ﴾ فَتَجْحَدُونَهُ، فَتَقْتُلُونَ مَنْ حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ قَتْلَهُ مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ وَمِنْ قَوْمِكُمْ، وَتُخْرِجُونَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ؟! وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الْكُفْرَ مِنْكُمْ بِبَعْضِهِ نَقْضٌ مِنْكُمْ عَهْدِي وَمِيثَاقِي..

﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ﴾ فَلَيْسَ لِمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ قَتِيلًا فَكَفَرَ بِقَتْلِهِ إِيَّاهُ بِنَقْضِ عَهْدِ اللهِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ عَلَيْهِ فِي التَّوْرَاةِ، وَأَخْرَجَ مِنْكُمْ فَرِيقًا مِنْ دِيَارِهِمْ مُظَاهِرًا عَلَيْهِمْ أَعْدَاءَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا وَخِلَافًا لِمَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَىٰ مُوسَىٰ..

﴿إِلَّا خِزۡيٞ﴾ ذُلٌّ وَصَغَارٌ.. وذَلِكَ مِنْ أَخْذِ الْقَاتِلِ بِمَنْ قَتَلَ وَالْقَوَدِ بِهِ قِصَاصًا، وَالِانْتِقَامِ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ هُوَ أَخْذُ الْجِزْيَةِ مِنْهُمْ مَا أَقَامُوا عَلَىٰ دِينِهِمْ ذِلَّةً لَهُمْ وَصَغَارًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ الْخِزْيُ الَّذِي جُوزُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا إِخْرَاجُ رَسُولِ اللهِ ﷺ النَّضِيرَ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ، وَقَتْلُ مُقَاتِلَةِ قُرَيْظَةَ، وَسَبْيُ ذَرَارِيِّهِمْ؛ فَكَانَ ذَلِكَ خِزْيًا فِي الدُّنْيَا..

﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ..

﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ..

﴿يُرَدُّونَ﴾ يُرَدُّ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ بَعْدَ الْخِزْيِ الَّذِي يَحِلُّ بِهِ فِي الدُّنْيَا جَزَاءً عَلَىٰ مَعْصِيَةِ اللهِ..

﴿إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ﴾ الَّذِي أَعَدَّ اللهُ لِأَعْدَائِهِ..

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ﴾ وَمَا اللهُ بِسَاهٍ..

﴿عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٨٥﴾ [البقرة: ٨٥] بِالْيَاءِ عَلَىٰ وَجْهِ الْإِخْبَارِ عَنْهُمْ، يَعْنِي: وَمَااللهُ بِسَاهٍ عَنْ أَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ، بَلْ هُوَ مُحْصٍ لَهَا وَحَافِظُهَا عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَهُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَيُخْزِيَهُمْ فِي الدُّنْيَا فَيُذِلَّهُمْ وَيَفْضَحَهُمْ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٨٦﴾

[البقرة: ٨٦].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾ أَخبرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ، فَيُفَادُونَ أَسْرَاهُمْ مِنَ الْيَهُودِ، وَيَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ، فَيَقْتُلُونَ مَنْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِمْ قَتْلَهُ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِمْ، وَيُخرِجُونَ مِنْ دَارِهِ مَنْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ إِخْرَاجَهُ مِنْ دَارِهِ، نَقْضًا لَعَهْدِ اللهِ وَمِيثَاقِهِ فِي التَّوْرَاةِ إِلَيْهِمْ..

﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾ رِيَاسَةَ..

﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ عَلَىٰ الضُّعَفَاءِ وَأَهْلِ الْجَهْلِ وَالْغَبَاءِ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِمْ، وَابْتَاعُوا الْمَآكِلَ الْخَسِيسَةَ الرَّدِيئَةَ فِيهَا..

﴿بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ بِالْإِيمَانِ الَّذِي كَانَ يَكُونُ لَهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، - لَوْ كَانُوا أَتَوْا بِهِ مَكَانَ الْكُفْرِ- الْخُلُودُ فِي الْجِنَانِ.. وَإِنَّمَا وَصَفَهُمُ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِأَنَّهُمُ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ لِأَنَّهُمْ رَضُوا بِالدُّنْيَا بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ فِيهَا عِوَضًا مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَجَعَلَ حُظُوظَهُمْ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ ثَمَنًا لِمَا ابْتَاعُوهُ بِهِ مِنْ خَسِيسِ الدُّنْيَا..

﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ لِأَنَّ الَّذِي يُخَفَّفُ عَنْهُ فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ هُوَ الَّذِي لَهُ حَظٌّ فِي نَعِيمِهَا، وَلَا حَظَّ لِهَؤُلَاءِ لِاشْتِرَائِهِمُ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا وَدُنْيَاهُمْ بِآخِرَتِهِمْ..

﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٨٦﴾ [البقرة: ٨٦] لَا يَنْصُرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَحَدٌ فَيَدْفَعُ عَنْهُمْ بِنُصْرَتِهِ عَذَابَ اللهِ، لَا بِقُوَّتِهِ وَلَا بِشَفَاعَتِهِ وَلَا غَيْرِهِمَا.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧﴾ [البقرة: ٨٧].

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا﴾ أَنْزَلْنَا إِلَىٰ..

﴿مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التَّوْرَاةُ..

﴿وَقَفَّيۡنَا﴾ وَأَرْدَفْنَا وَأَتْبَعْنَا..

﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ..

ﷺ إِلَىٰ زَمَانِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا بَعَثَهُ يَأْمُرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِإِقَامَةِ التَّوْرَاةِ وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهَا وَالدُّعَاءِ إِلَىٰ مَا فِيهَا، وَالْعَمَلِ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ بِهِ..

﴿وَءَاتَيْنَا﴾ وأَعْطَيْنَا..

﴿عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ مَا أَظْهَرَ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِنَ الْحُجَجِ وَالدَّلَالَةِ عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ، مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي أَبَانَتْ مَنْزِلَتَهُ مِنَ اللهِ، وَدَلَّتْ عَلَىٰ صِدْقِهِ وَصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ..

﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ قَوَّيْنَاهُ فَأَعَنَّاهُ..

﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ جِبْرِيلُ ﷺ.. وَإِنَّمَا سَمَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ جِبْرِيلَ رُوحًا وَأَضَافَهُ إِلَىٰ الْقُدُسِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ بِتَكْوِينِ اللهِ لَهُ رُوحًا مِنْ عِنْدِهِ، مِنْ غَيْرِ وِلَادَةِ وَالِدٍ وَلَدَهُ، فَسَمَّاهُ بِذَلِكَ رُوحًا، وَأَضَافَهُ إِلَىٰ الْقُدُسِ، وهُوَ الطُّهْرُ، كَمَا سُمِّيَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ رُوحًا لِلَّهِ مِنْ أَجْلِ تَكْوِينِهِ لَهُ رُوحًا مِنْ عِنْدِهِ مِنْ غَيْرِ وِلَادَةِ وَالِدٍ وَلَدَهُ..

﴿أَفَكُلَّمَا﴾ خَرَجَ مَخْرَجَ التَّقْرِيرِ فِي الْخِطَابِ فَهُوَ بِمَعْنَىٰ الْخَبَرِ..

﴿جَآءَكُمْ﴾ يَا مَعْشَرَ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿رَسُولٌۢ﴾ مِنْ رُسُلِي..

﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ﴾ بِغَيْرِ الَّذِي تَهْوَاهُ نُفُوسُكُمْ..

﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عَلَيْهِمْ تَجَبُّرًا وَبَغْيًا، اسْتِكْبَارَ إِمَامِكُمْ إِبْلِيسَ..

﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ فَكَذَّبْتُمْ بَعْضًا مِنْهُمْ..

﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۝٨٧﴾ [البقرة: ٨٧] وَقَتَلْتُمْ بَعْضًا، فَهَذَا فِعْلُكُمْ أَبَدًا بِرُسُلِي.

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۝٨٨﴾ [البقرة: ٨٨].

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ..

﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ فِي أَكِنَّةٍ، وَأَغْطِيَةٍ، لَا تَفْقَهُ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بَل﴾ مَا ذَلِكَ كَمَا زَعَمُوا.. وهو تَكْذِيبٌ مِنْهُ لِلْقَائِلِينَ مِنَ الْيَهُودِ: «قُلُوبُنَا غُلْفٌ»..

﴿لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ لَكِنَّ اللهَ أَقْصَاهُمْ، وَأَبْعَدَهُمْ، وَطَرَدَهُمْ، وَأَخْزَاهُمْ، وَأَهْلَكَهُمْ..

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ بِكُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ آيَاتِ اللهِ وَبَيِّنَاتِهِ، وَمَا ابْتَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ، وَتَكْذِيبِهِمْ أَنْبِيَاءَهُ..

﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۝٨٨﴾ [البقرة: ٨٨] لَا يُؤْمِنُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٨٩﴾ [البقرة: ٨٩].

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾ وَلَمَّا جَاءَ الْيَهُودَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ وَصَفَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- صِفَتَهُمْ..

﴿كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ مُصَدِّقٌ لِلَّذِي مَعَهُمْ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ..

﴿وَكَانُوا۟﴾ وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ، الَّذِينَ لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ قَبْلَ الْقرآن..

﴿مِن قَبْلُ﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُبْعَثَ محمد ﷺ..

﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَيَسْتَنْصِرُونَ اللهَ بِهِ..

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ عَلَىٰ مُشْرِكِي الْعَرَبِ مِنْ قَبْلِ مَبْعَثِهِ..

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- رَسُولَهُ مِنْ قُرَيْشٍ كَفَرُوا بِهِ.. فَفِيه إِخْبَارُ اللهِ ﷻ عَنِ الْيَهُودِ أَنَّهُمْ تَعَمَّدُوا الْكُفْرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ بِنُبُوَّتِهِ عَلَيْهِمْ وَقَطْعِ اللهِ عُذْرَهُمْ بِأَنَّهُ رَسُولُهُ إِلَيْهِمْ..

﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾ فَخِزْيُ اللهِ وَإِبْعَادُهُ..

﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٨٩﴾ [البقرة: ٨٩] عَلَىٰ الْجَاحِدِينَ مَا قَدْ عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ عَلَيْهِمْ لِلَّهِ وَلِأَنْبِيَائِهِ الْمُنْكِرِينَ، لِمَا قَدْ ثَبَتَ عِنْدَهُمْ صِحَّتُهُ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩٠﴾ [البقرة: ٨٩].

﴿بِئْسَمَا﴾ بِئْسَ الشَّيْءُ الذي..

﴿ٱشْتَرَوْا۟﴾ بَاعَ الْيَهُودُ..

﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ وهو..

﴿أَن يَكْفُرُوا۟﴾ كفرُهُم..

﴿بِمَآ﴾ بِالَّذِي..

﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ فِي كِتَابِهِ عَلَىٰ مُوسَىٰ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْأَمْرِ بِتَصْدِيقِهِ وَاتِّبَاعِهِ..

﴿بَغْيًا﴾ تَعَدِّيًا وَحَسَدًا مِنْ أَجْلِ..

﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ﴾ إنزالِ الله..

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ وَحِكْمَتِهِ وَآيَاته وَنُبُوَّتِهِ..

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ يَعْنِي بِهِ: عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ وَمَا أَخْبَرَ اللهُ فِيهَا عَنْ حَسَدِ الْيَهُودِ مُحَمَّدًا ﷺ وَقَوْمَهُ مِنَ الْعَرَبِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ اللهَ جَعَلَ النُّبُوَّةَ وَالْحِكْمَةَ فِيهِمْ دُونَ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حَتَّىٰ دَعَاهُمْ ذَلِكَ إِلَىٰ الْكُفْرِ بِهِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِصِدْقِهِ، وَأَنَّهُ نَبِيٌّ لِلَّهِ مَبْعُوثٌ وَرَسُولٌ مُرْسَلٌ؛ نَظِيرُهُ الْآيَةُ الْأُخْرَىٰ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ۝٥١ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝٥٢ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ۝٥٣ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝٥٤﴾ [النساء: ٥١-٥٤].

﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ﴾ فَرَجَعَتِ الْيَهُودُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، بَعْدَ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الِاسْتِنْصَارِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالِاسْتِفْتَاحِ بِهِ، وَبَعْدَ الَّذِي كَانُوا يُخْبِرُونَ بِهِ النَّاسَ مِنْ قَبْلِ مَبْعَثِهِ أَنَّهُ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ، مُرْتَدِّينَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ حِينَ بَعَثَهُ اللهُ نَبِيًّا مُرْسَلًا، فَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، اسْتَحَقُّوهُ مِنْهُ بِكُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ حِينَ بُعِثَ، وَجُحُودِهِمْ نُبُوَّتَهُ، وَإِنْكَارِهِمْ إِيَّاهُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَجِدُونَ صِفَتَهُ فِي كِتَابِهِمْ عِنَادًا مِنْهُمْ لَهُ وَبَغْيًا وَحَسَدًا لَهُ وَلِلْعَرَبِ..

﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ سَالِفٍ كَانَ مِنَ اللهِ عَلَيْهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمُ الَّذِي كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، أَوْ لِعِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ذُنُوبٍ كَانَتْ لَهُمْ سَلَفَتْ يَسْتَحِقُّونَ بِهَا الْغَضَبَ مِنَ اللهِ..

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ وَلِلْجَاحِدِينَ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ..

﴿عَذَابٌ﴾ مِنَ اللهِ إِمَّا فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ..

﴿مُّهِينٌ ۝٩٠﴾ [البقرة: ٩٠] مُذِلٌّ صَاحِبَهُ، ومُخْزِيه، ومُلْبِسُهُ هَوَانًا وَذِلَّةً.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَيُّ عَذَابٍ هُوَ غَيْرُ مُهِينٍ صَاحِبَهُ فَيَكُونَ لِلْكَافِرِينَ الْمُهِينُ مِنْهُ؟ قِيلَ: إِنَّ الْمُهِينَ هُوَ الَّذِي قَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُ الْمُورِثُ صَاحِبَهُ ذِلَّةً وَهَوَانًا، الَّذِي يَخْلُدُ فِيهِ صَاحِبُهُ لَا يَنْتَقِلُ مِنْ هَوَانِهِ إِلَىٰ عِزٍّ وَكَرَامَةٍ أَبَدًا، وَهُوَ

الَّذِي خَصَّ اللهُ بِهِ أَهْلَ الْكُفْرِ بِهِ وَبِرُسُلِهِ؛ وَأَمَّا الَّذِي هُوَ غَيْرُ مُهِينٍ صَاحِبَهُ: فَهُوَ مَا كَانَ تَمْحِيصًا لِصَاحِبِهِ، وَذَلِكَ هُوَ كَالسَّارِقِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ يَسْرِقُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ بِهِ الْقَطْعُ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَالزَّانِي مِنْهُمْ يَزْنِي فَيُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْعَذَابِ، وَالنَّكَالِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ كَفَّارَاتٍ لِلذُّنُوبِ الَّتِي عُذِّبَ بِهَا أَهْلُهَا، وَكَأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ يُعَذَّبُونَ فِي الْآخِرَةِ بِمَقَادِيرِ أَجْرَامِهِمْ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا لِيُمَحَّصُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ عَذَابًا فَغَيْرُ مُهِينٍ مَنْ عُذِّبَ بِهِ، إِذْ كَانَ تَعْذِيبُ اللهِ إِيَّاهُ بِهِ لِيُمَحِّصَهُ مِنْ آثَامِهِ ثُمَّ يُورِدُهُ مَعْدِنَ الْعِزِّ وَالْكَرَامَةِ وَيُخَلِّدُهُ فِي نَعِيمِ الْجِنَانِ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٩١﴾

[البقرة: ٩١].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ وَإِذَا قِيلَ لِلْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ مِنَ التَّوْرَاةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ..

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ وَيَجْحَدُونَ بِمَا سِوَىٰ التَّوْرَاةِ وَبِمَا بَعْدَهُ مِنْ كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا إِلَىٰ رُسُلِهِ..

﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أَيْ مَا وَرَاءَ الْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ الْحَقُّ، يَعْنِي بِذَلِكَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ لِأَنَّ كُتُبَ اللهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا؛ فَفِي الْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ مِنَ الْأَمْرِ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالْإِيمَانِ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، مِثْلُ الَّذِي مِنْ ذَلِكَ فِي تَوْرَاةِ مُوسَىٰ ﷺ، فَلِذَلِكَ قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لِلْيَهُودِ إِذْ خَبَّرَهُمْ عَمَّا وَرَاءَ كِتَابِهِمُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ- مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ: إِنَّهُ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِلْكِتَابِ الَّذِي مَعَهُمْ، يَعْنِي: أَنَّهُ لَهُ مُوَافِقٌ فِيمَا الْيَهُودُ بِهِ مُكَذِّبُونَ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِيَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ إِذَا قُلْتَ لَهُمْ: «**آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا**»..

﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ إِنْ كُنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ مُؤْمِنِينَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ..

﴿أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ وَقَدْ حَرَّمَ اللهُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ قَتْلَهُمْ، بَلْ أَمَرَكُمْ فِيهِ بِاتِّبَاعِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ وَتَصْدِيقِهِمْ، وَذَلِكَ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- تَكْذِيبٌ لَهُمْ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ وَتَعْيِيرٌ لَهُمْ.. فَخَاطَبَهُمْ بِالْمُسْتَقْبَلِ مِنَ الْفِعْلِ وَمَعْنَاهُ الْمَاضِي، وَلَيْسَ الَّذِينَ خُوطِبُوا بِالْقَتْلِ هُمُ الْقَتَلَةُ، إِنَّمَا قَتَلَ الْأَنْبِيَاءَ أَسْلَافُهُمُ الَّذِينَ مَضَوْا، فَتَوَلَّوْهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ وَرَضُوا، فَنُسِبَ الْقَتْلُ إِلَيْهِمْ..

﴿مِن قَبۡلُ﴾ مِنْ قَبْلِ الْيَوْمِ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٩١﴾ [البقرة: ٩١] بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ كَمَا زَعَمْتُمْ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ الْيَهُودَ الَّذِينَ أَدْرَكُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَسْلَافَهُمْ، إِنْ كَانُوا وَكُنْتُمْ كَمَا تَزْعُمُونَ أَيُّهَا الْيَهُودُ مُؤْمِنِينَ.. وَإِنَّمَا عَيَّرَهُمْ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِقَتْلِ أَوَائِلِهِمْ أَنْبِيَاءَهُ عِنْدَ قَوْلِهِمْ حِينَ قِيلَ لَهُمْ: ﴿ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لِأَوَائِلِهِمُ الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَتْلَ أَنْبِيَاءِ اللهِ مَعَ قِيلِهِمْ: ﴿نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ مُتَوَلِّينَ، وَبِفِعْلِهِمْ رَاضِينَ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَزْعُمُونَ مُؤْمِنِينَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ، فَلِمَ تَتَوَلَّوْنَ قَتَلَةَ أَنْبِيَاءِ اللهِ وتَرْضَوْنَ أَفْعَالَهُمْ.

﴿۞ وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ۝٩٢﴾
[البقرة: ٩٢].

﴿۞ وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ﴾ يَا مَعْشَرَ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ صِدْقِهِ وَحَقِّيَّةِ نُبُوَّتِهِ؛ كَالْعَصَا الَّتِي تَحَوَّلَتْ ثُعْبَانًا مُبِينًا، وَيَدِهِ الَّتِي أَخْرَجَهَا بَيْضَاءَ لِلنَّاظِرِينَ، وَفَلْقِ الْبَحْرِ، وَمَصِيرِ أَرْضِهِ لَهُ طَرِيقًا يَبَسًا، وَالْجَرَادِ وَالْقُمَّلِ وَالضَّفَادِعِ، وَسَائِرِ الْآيَاتِ الَّتِي بَيَّنَتْ صِدْقَهُ وَحَقِّيَّةَ نُبُوَّتِهِ.. وَإِنَّمَا سَمَّاهَا اللهُ بَيِّنَاتٍ لِتَبَيُّنِهَا لِلنَّاظِرِينَ إِلَيْهَا أَنَّهَا مُعْجِزَةٌ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا بَشَرٌ إِلَّا بِتَسْخِيرِ اللهِ ذَلِكَ لَهُ..

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ إِلَاهًا..

﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ.. فَإِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ أَنْ فَارَقَهُمْ مُوسَىٰ مَاضِيًا إِلَىٰ رَبِّهِ لِمَوْعِدِهِ، عَلَىٰ مَا قَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ..

﴿وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ۝٩٢﴾ [البقرة: ٩٢] فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لَكُمْ، وَعَبَدْتُمْ غَيْرَ الَّذِي كَانَ يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَنْبَغِي لِغَيْرِ اللهِ.. وَهَذَا تَوْبِيخٌ مِنَ اللهِ لِلْيَهُودِ، وَتَعْيِيرٌ مِنْهُ لَهُمْ، وَإِخْبَارٌ مِنْهُ لَهُمْ أَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا قَدْ فَعَلُوا مَا فَعَلُوا مِنِ اتِّخَاذِ الْعِجْلِ إِلَهًا وَهُوَ لَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، بَعْدَ الَّذِي عَلِمُوا أَنَّ رَبَّهُمْ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي يَفْعَلُ مِنَ الْأَعَاجِيبِ وَبَدَائِعِ الْأَفْعَالِ، مَا أَجْرَاهُ عَلَىٰ

يَدَيْ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي عَايَنُوهَا وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهَا فِرْعَوْنُ وَجُنْدُهُ مَعَ بَطْشِهِ وَكَثْرَةِ أَتْبَاعِهِ، وَقُرْبِ عَهْدِهِمْ بِمَا عَايَنُوا مِنْ عَجَائِبِ حُكْمِ اللهِ؛ فَهُمْ إِلَىٰ تَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ ﷺ -وَجُحُودِ مَا فِي كُتُبِهِمُ الَّتِي زَعَمُوا أَنَّهُمْ بِهَا مُؤْمِنُونَ مِنْ صِفَتِهِ وَنَعْتِهِ، مَعَ بُعْدِ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَهْدِ مُوسَىٰ مِنَ الْمُدَّةِ- أَسْرَعُ، وَإِلَىٰ التَّكْذِيبِ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مُوسَىٰ مِنْ ذَلِكَ أَقْرَبُ.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة: ٩٣].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ وَاذْكُرُوا إذ أخذنا عُهُودَكُمْ، بِأَنْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ مِنَ التَّوْرَاةِ الَّتِي أَنْزَلْتُهَا إِلَيْكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنْ أَمْرِي، وَتَنْتَهُوا عَمَّا نَهَيْتُكُمْ فِيهَا بِجِدٍّ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ وَنَشَاطٍ، فَأَعْطَيْتُمْ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِذَلِكَ مِيثَاقَكُمْ..

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ..

﴿الطُّورَ﴾ الْجبَلَ..

﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا﴾ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَتَقَبَّلُوهُ بِالطَّاعَةِ، وَاعْمَلُوا بِمَا سَمِعْتُمْ، وَأَطِيعُوا اللهَ..

﴿قَالُوا﴾ فَأَجَبْتُمُونَا بقولكم..

﴿سَمِعْنَا﴾ قَوْلَكَ..

﴿وَعَصَيْنَا﴾ أَمْرَكَ..

﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ حُبَّ الْعِجْلِ.. وَلَكِنَّهُ تَرَكَ ذِكْرَ الْحُبِّ اكْتِفَاءً بِفَهْمِ السَّامِعِ لِمَعْنَىٰ الْكَلَامِ، إِذْ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الْعِجْلَ لَا يُشْرِبُ الْقَلْبَ، وَأَنَّ الَّذِي يُشْرِبُ الْقَلْبَ مِنْهُ حُبُّهُ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِيَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿بِئْسَمَا﴾ بِئْسَ الشَّيْءُ الَّذي..

﴿يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ إِنْ كَانَ يَأْمُرُكُمْ بِقَتْلِ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، وَالتَّكْذِيبِ بِكُتُبِهِ، وَجُحُودِ مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِهِ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٩٣﴾ [البقرة: ٩٣] كَمَا زَعَمْتُمْ، بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ.. وَإِنَّمَا كَذَّبَهُمُ اللهُ بِذَلِكَ لِأَنَّ التَّوْرَاةَ تَنْهَىٰ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَتَأْمُرُ بِخِلَافِهِ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ تَصْدِيقَهُمْ بِالتَّوْرَاةِ إِنْ كَانَ يَأْمُرُهُمْ بِذَلِكَ فَبِئْسَ الْأَمْرُ تَأْمُرُ بِهِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ نَفْيٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنِ التَّوْرَاةِ أَنْ تَكُونَ تَأْمُرُ بِشَيْءٍ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ مِنْ أَفْعَالِهِمْ، وَأَنْ يَكُونَ التَّصْدِيقُ بِهَا يَدُلُّ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللهِ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّ الَّذِي يَأْمُرُهُمْ بِذَلِكَ أَهْوَاؤُهُمْ، وَالَّذِي يَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ الْبَغْيُ وَالْعُدْوَانُ..

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٩٤﴾ [البقرة: ٩٤].

﴿قُلْ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ إِنْ كَانَ نَعِيمُ الدَّارِ الْآخِرَةِ وَلَذَّاتُهَا لَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ عِنْدَ اللهِ..

﴿خَالِصَةً﴾ صَافِيَةً لَكُمْ..

﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ مِنْ دُونِ جَمِيعِ النَّاسِ.. كما قال الله عنهم «وقالوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ»[البقرة: ١١١].

﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ تَشَهَّوْهُ وَأَرِيدُوهُ.. وَإِنَّمَا أَمَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٩٤﴾، لِأَنَّهُمْ فِيمَا ذُكِرَ لَنَا قَالُوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١] فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ لَهُمْ..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٩٤﴾ [البقرة: ٩٤] فِيمَا تَزْعُمُونَ، فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ، فَأَبَانَ اللهُ كَذِبَهُمْ بِامْتِنَاعِهِمْ مِنْ تَمَنِّي ذَلِكَ، وَأَفْلَجَ حُجَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.. فَهَذِهِ الْآيَةُ مِمَّا احْتَجَّ اللهُ بِهَا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِهِ، وَفَضَحَ بِهَا أَحْبَارَهُمْ وَعُلَمَاءَهُمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَىٰ قَضِيَّةٍ عَادِلَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فِيمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مِنَ الْخِلَافِ، كَمَا أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَدْعُوَ الْفَرِيقَ الْآخَرَ مِنَ النَّصَارَىٰ إِذْ خَالَفُوهُ فِي عِيسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، وَجَادَلُوا فِيهِ إِلَىٰ فَاصِلَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مِنَ الْمُبَاهَلَةِ، وَقَالَ لِفَرِيقِ الْيَهُودِ: إِنْ كُنْتُمْ مُحِقِّينَ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ ضَارِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُحِقِّينَ فِيمَا تَدَّعُونَ مِنَ الْإِيمَانِ وَقُرْبِ الْمَنْزِلَةِ مِنَ اللهِ، بَلْ إِنْ أُعْطِيتُمْ أُمْنِيَّتَكُمْ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا تَمَنَّيْتُمْ فَإِنَّمَا تَصِيرُونَ إِلَىٰ الرَّاحَةِ مِنْ تَعَبِ الدُّنْيَا

وَنَصَبِهَا وَكَدَرِ عَيْشِهَا وَالْفَوْزِ بِجِوَارِ اللهِ فِي جِنَانِهِ، إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُونَ أَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَكُمْ خَالِصَةً دُونَنَا، وَإِنْ لَمْ تُعْطَوْهَا عَلِمَ النَّاسُ أَنَّكُمُ الْمُبْطِلُونَ وَنَحْنُ الْمُحِقُّونَ فِي دَعْوَانَا وَانْكَشَفَ أَمْرُنَا وَأَمْرُكُمْ لَهُمْ، فَامْتَنَعَتِ الْيَهُودُ مِنْ إِجَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ ذَلِكَ؛ لِعِلْمِهَا أَنَّهَا إِنْ تَمَنَّتِ الْمَوْتَ هَلَكَتْ فَذَهَبَتْ دُنْيَاهَا وَصَارَتْ إِلَىٰ خِزْيِ الْأَبَدِ فِي آخِرَتِهَا، كَمَا امْتَنَعَ فَرِيقُ النَّصَارَىٰ الَّذِينَ جَادَلُوا النَّبِيَّ ﷺ فِي عِيسَىٰ، إِذْ دُعُوا إِلَىٰ الْمُبَاهَلَةِ، مِنَ الْمُبَاهَلَةِ.. قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَنَّوُا الْمَوْتَ، لَمَاتُوا، وَلَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ، وَلَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، لَرَجَعُوا لا يَجِدُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا**».. فَانْكَشَفَ لِمَنْ كَانَ مُشْكِلًا عَلَيْهِ أَمْرُ الْيَهُودِ يَوْمَئِذٍ، كَذِبُهُمْ وَبَهْتُهُمْ وَبَغْيُهُمْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَظَهَرَتْ حُجَّةُ رَسُولِ اللهِ وَحُجَّةُ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ تَزَلْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ظَاهِرَةً عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ الْمِلَلِ.

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [البقرة: ٩٥].

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّىٰ الْيَهُودُ الْمَوْتَ..

﴿أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بِمَا قَدَّمُوا أَمَامَهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللهِ فِي مُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَهُ وَطَاعَتَهُ فِي اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ.. فَأَضَافَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- مَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُهُمْ وَأَضْمَرَتْهُ أَنْفُسُهُمْ وَنَطَقَتْ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ مِنْ حَسَدِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْبَغْيِ عَلَيْهِ، وَتَكْذِيبِهِ، وَجُحُودِ رِسَالَتِهِ إِلَىٰ أَيْدِيهِمْ، وَأَنَّهُ مِمَّا قَدَّمَتْهُ أَيْدِيهِمْ، لِعِلْمِ الْعَرَبِ مَعْنَىٰ ذَلِكَ فِي مَنْطِقِهَا وَكَلَامِهَا، إِذْ كَانَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- إِنَّمَا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ بِلِسَانِهَا وَبِلُغَتِهَا.. وَإِنَّمَا ذَلِكَ مَثَلٌ عَلَىٰ نَحْوِ مَا تَتَمَثَّلُ بِهِ الْعَرَبُ فِي كَلَامِهَا، فَتَقُولُ لِلرَّجُلِ يُؤْخَذُ بِجَرِيرَةٍ جَرَّهَا أَوْ جِنَايَةٍ جَنَاهَا فَيُعَاقَبُ عَلَيْهَا: نَالَكَ هَذَا بِمَا جَنَتْ يَدَاكَ، وَبِمَا كَسَبَتْ يَدَاكَ، وَبِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ؛ فَتُضِيفُ ذَلِكَ إِلَىٰ الْيَدِ، وَلَعَلَّ الْجِنَايَةَ الَّتِي جَنَاهَا فَاسْتَحَقَّ عَلَيْهَا الْعُقُوبَةَ كَانَتْ بِاللِّسَانِ أَوْ بِالْفَرْجِ أَوْ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْضَاءِ جَسَدِهِ سِوَىٰ الْيَدِ.. وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ بِإِضَافَتِهِ إِلَىٰ الْيَدِ؛ لِأَنَّ عُظْمَ جِنَايَاتِ النَّاسِ بِأَيْدِيهِمْ، فَجَرَىٰ الْكَلَامُ بِاسْتِعْمَالِ إِضَافَةِ الْجِنَايَاتِ الَّتِي يَجْنِيهَا النَّاسُ إِلَىٰ أَيْدِيهِمْ حَتَّىٰ أُضِيفَ كُلُّ مَا عُوقِبَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِمَّا جَنَاهُ بِسَائِرِ أَعْضَاءِ جَسَدِهِ إِلَىٰ أَنَّهَا عُقُوبَةٌ عَلَىٰ مَا جَنَتْهُ يَدُهُ..

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [البقرة: ٩٥] وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِظَلَمَةِ بَنِي آدَمَ: يَهُودِهَا وَنَصَارَاهَا، وَسَائِرِ أَهْلِ الْمِلَلِ غَيْرِهَا، وَمَا يَعْمَلُونَ.. وَظُلْمُ الْيَهُودِ: كُفْرُهُمْ بِاللهِ فِي خِلَافِهِمْ أَمْرَهُ وَطَاعَتَهُ فِي

اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ بِهِ وَبِمَبْعَثِهِ، وَجُحُودُهُمْ نُبُوَّتَهُ وَهُمْ عَالِمُونَ أَنَّهُ نَبِيُّ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَيْهِمْ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عَنِ الْيَهُودِ وَكَرَاهَتِهِمُ الْمَوْتَ وَامْتِنَاعِهِمْ عَنِ الْإِجَابَةِ إِلَىٰ مَا دُعُوا إِلَيْهِ مِنْ تَمَنِّي الْمَوْتِ، لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَالْوَعِيدُ بِهِمْ نَازِلٌ وَالْمَوْتُ بِهِمْ حَالٌّ، وَلِمَعْرِفَتِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللهِ إِلَيْهِمْ مُرْسَلٌ وَهُمْ بِهِ مُكَذِّبُونَ، وَأَنَّهُ لَمْ يُخْبِرْهُمْ خَبَرًا إِلَّا كَانَ حَقًّا كَمَا أَخْبَرَ، فَهُمْ يَحْذَرُونَ أَنْ يَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ خَوْفًا أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ عِقَابُ اللهِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الذُّنُوبِ.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة: ٩٦].

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ ولَتجِدَنَّ يَا مُحَمَّدُ الْيَهُودَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ﴾ أَشَدَّ النَّاسِ حِرْصًا..

﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ عَلَىٰ الْحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا، وَأَشَدَّهُمْ كَرَاهَةً لِلْمَوْتِ..

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ وَأَحْرَصَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا عَلَىٰ الْحَيَاةِ.. وَإِنَّمَا وَصَفَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- الْيَهُودَ بِأَنَّهُمْ أَحْرَصُ النَّاسِ عَلَىٰ الْحَيَاةِ؛ لِعِلْمِهِمْ بِمَا قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِمَا لَا يُقِرُّ بِهِ أَهْلُ الشِّرْكِ، فَهُمْ لِلْمَوْتِ أَكْرَهُ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ؛ لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ، وَيَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ هُنَالِكَ مِنَ الْعَذَابِ، وَأَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِالْبَعْثِ، وَلَا الْعِقَابِ، فَالْيَهُودُ أَحْرَصُ مِنْهُمْ عَلَىٰ الْحَيَاةِ وَأَكْرَهُ لِلْمَوْتِ..

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ يَوَدُّ أَحَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَشْرَكُوا، لِيَأْسِهِ بِفَنَاءِ دُنْيَاه وَانْقِضَاءِ أَيَّامِ حَيَاتِهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ نُشُورٌ أَوْ مَحْيا، أَوْ فَرَحٌ أَوْ سُرُورٌ..

﴿لَوْ يُعَمَّرُ﴾ فِي الدنيا..

﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ حَتَّىٰ جَعَلَ بَعْضُهُمْ تَحِيَّةَ بَعْضٍ: (عِشْ أَلْفَ عَامٍ) حِرْصًا مِنْهُمْ عَلَىٰ الْحَيَاةِ..

﴿وَمَا هُوَ﴾ وَمَا طُولُ الْعُمُرِ والْبَقَاءِ..

﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ بِمُبْعِدِهِ وَمُنَحِّيهِ..

﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ مِنْ عَذَابِ اللهِ..

﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ وَلَوْ عُمِّرَ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْعُمْرِ مِنَ الْفَنَاءِ، وَمَصِيرُهُ إِلَىٰ اللهِ..

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة: ٩٦] وَاللهُ ذُو إِبْصَارٍ بِمَا يَعْمَلُونَ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ

مِنْ أَعْمَالِهِمْ، بَلْ هُوَ بِجَمِيعِهَا مُحِيطٌ، وَلَهَا حَافِظٌ ذَاكِرٌ حَتَّىٰ يُذِيقَهُمْ بِهَا الْعِقَابَ جَزَاءَهَا.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة: ٩٧].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ، لِمَعَاشِرِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ جِبْرِيلَ لَهُمْ عَدُوٌّ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ صَاحِبُ سَطَوَاتٍ وَعَذَابٍ وَعُقُوبَاتٍ، لَا صَاحِبَ وَحْيٍ وَتَنْزِيلٍ وَرَحْمَةٍ، فَأَبَوُا اتِّبَاعَكَ وَجَحَدُوا نُبُوَّتَكَ، وَأَنْكَرُوا مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ آيَاتِي، وَبَيِّنَاتِ حُكْمِي، مِنْ أَجْلِ أَنَّ جِبْرِيلَ وَلِيُّكَ وَصَاحِبُ وَحْيِي إِلَيْكَ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ عَدُوٌّ لَهُمْ، وَأَنَّ مِيكَائِيلَ وَلِيٌّ لَهُمْ..

﴿مَن كَانَ﴾ مَنْ يَكُنْ مِنَ النَّاسِ..

﴿عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ وَمُنْكِرًا أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ وَحْيِ اللهِ إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ، وَصَاحِبَ رَحْمَتِهِ فَإِنِّي لَهُ وَلِيٌّ وَخَلِيلٌ، وَمُقِرٌّ بِأَنَّهُ صَاحِبُ وَحْيٍ إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ..

﴿فَإِنَّهُۥ﴾ فَإِنَّ جِبْرِيلَ..

﴿نَزَّلَهُۥ﴾ نَزَّلَ الْقُرْآنَ بِأَمْرِ اللهِ..

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يَشُدُّ بِهِ فُؤَادَكَ وَيَرْبِطُ بِهِ عَلَىٰ قَلْبِكَ، بِوَحْيِنَا الَّذِي نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ بِالْمُرْسَلِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ..

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لَهُ بِذَلِكَ..

﴿مُصَدِّقًا﴾ فَإِنَّ جِبْرِيلَ نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ قَلْبِكَ يَا مُحَمَّدُ مُصَدِّقًا..

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لِمَا بَيْنَ يَدَيِ الْقُرْآنِ، مِنْ كُتُبِ اللهِ أَمَامَهُ، وَنَزَلَتْ عَلَىٰ رُسُلِهِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَصْدِيقُهُ إِيَّاهَا مُوَافَقَةُ مَعَانِيهِ مَعَانِيَهَا فِي الْأَمْرِ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَهِيَ تُصَدِّقُهُ..

﴿وَهُدًى﴾ وَدَلِيلٌ وَبُرْهَانٌ.. وَإِنَّمَا سَمَّاهُ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- هُدًى، لِاهْتِدَاءِ الْمُؤْمِنِ بِهِ، وَاهْتِدَاؤُهُ بِهِ: اتِّخَاذُهُ إِيَّاهُ هَادِيًا يَتْبَعُهُ، وَقَائِدًا يَنْقَادُ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ.. وَالْهَادِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَا تَقَدَّمَ أَمَامَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِأَوَائِلِ الْخَيْلِ: هَوَادِيهَا، وَهُوَ مَا تَقَدَّمَ أَمَامَهَا، وَكَذَلِكَ قِيلَ لِلْعُنُقِ: الْهَادِي، لِتَقَدُّمِهَا أَمَامَ سَائِرِ الْجَسَدِ..

﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة: ٩٧] فَالْقُرْآنُ من الله لَلمُؤْمنين بُشْرَىٰ؛ لِأَنَّهُ أَعْلَمَهُمْ بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ

مِنَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ فِي جَنَّاتِهِ، وَمَا هُمْ إِلَيْهِ صَائِرُونَ فِي مَعَادِهِمْ مِنْ ثَوَابِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْبُشْرَىٰ الَّتِي بَشَّرَ اللهُ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ فِي كِتَابِهِ؛ لِأَنَّ الْبِشَارَةَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هِيَ إِعْلَامُ الرَّجُلِ بِمَا لَمْ يَكُنْ بِهِ عَالِمًا مِمَّا يَسُرُّهُ مِنَ الْخَيْرِ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِهِ أَوْ يَعْلَمَهُ مِنْ قِبَلِ غَيْرِهِ.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٨].

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ وَعَادَىٰ جَمِيعَ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ..

﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ فَنَصَّ عَلَىٰ جِبْرِيْلَ بِاسْمِهِ، وَعَلَىٰ مِيكَائِيلَ بِاسْمِهِ، لِئَلَّا يَقُولَ مِنْهُمْ قَائِلٌ: إِنَّمَا قَالَ اللهُ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ، وَلَسْنَا لِلَّهِ وَلَا لِمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ أَعْدَاءً، لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ اسْمٌ عَامٌّ مُحْتَمِلٌ خَاصًّا وَجِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ غَيْرُ دَاخِلَيْنِ فِيهِ، فَنَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ أَسْمَاءِ مَنْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ أَعْدَاؤُهُ بِأَعْيَانِهِمْ، لِيَقْطَعَ بِذَلِكَ تَلْبِيسَهُمْ عَلَىٰ أَهْلِ الضَّعْفِ مِنْهُمْ، وَيَحْسِمَ تَمْوِيهَهُمْ أُمُورَهُمْ عَلَىٰ الْمُنَافِقِينَ.. وهذا إِعْلَامٌ مِنْهُ أَنَّ مَنْ عَادَىٰ جِبْرِيلَ فَقَدْ عَادَاهُ، وَعَادَىٰ مِيكَائِيلَ وَعَادَىٰ جَمِيعَ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ وَأَهْلُ طَاعَتِهِ، وَمَنْ عَادَىٰ لِلَّهِ وَلِيًّا فَقَدْ عَادَىٰ اللهَ وَبَارَزَهُ بِالْمُحَارَبَةِ، وَمَنْ عَادَىٰ اللهَ فَقَدْ عَادَىٰ جَمِيعَ أَهْلِ طَاعَتِهِ وَوِلَايَتِهِ؛ لِأَنَّ الْعَدُوَّ لِلَّهِ عَدُوٌّ لِأَوْلِيَائِهِ، وَالْعَدُوَّ لِأَوْلِيَاءِ اللهِ عَدُوٌّ لَهُ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ إِظْهَارُ اسْمِ اللهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾، وَتَكْرِيرُهُ فِيهِ، وَقَدِ ابْتَدَأَ أَوَّلَ الْخَبَرِ بِذِكْرِهِ فَقَالَ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾، فَلِئَلَّا يَلْتَبِسَ - لَوْ ظَهَرَ ذَلِكَ بِكِنَايَةٍ، فَقِيلَ: فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ - عَلَىٰ سَامِعِهِ مَنِ الْمَعْنِيُّ بِالْهَاءِ الَّتِي فِي (فَإِنَّهُ) آللهُ؟ أَمْ رُسُلُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ؟ أَمْ جِبْرِيلُ؟ أَمْ مِيكَائِيلُ؟ إِذْ لَوْ جَاءَ ذَلِكَ بِكِنَايَةٍ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ، فَإِنَّهُ يَلْتَبِسُ مَعْنَىٰ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يُوقَفْ عَلَىٰ الْمَعْنِيِّ بِذَلِكَ، لِاحْتِمَالِ الْكَلَامِ مَا وَصَفْتُ..

﴿عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٨] مِنْ أَجْلِ أَنَّ عَدُوَّ جِبْرِيلَ عَدُوٌّ كُلِّ وَلِيٍّ لِلَّهِ، فَأَخْبَرَهُمْ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَهُوَ لِكُلِّ مَنْ ذَكَرَهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَمِيكَالَ عَدُوٌّ، وَكَذَلِكَ عَدُوُّ بَعْضِ رُسُلِ اللهِ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَلِكُلِّ وَلِيٍّ.. وَهَذَا الْخَبَرُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ تَوْبِيخًا لِلْيَهُودِ فِي كُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِخْبَارًا مِنْهُ لَهُمْ أَنَّ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِمُحَمَّدٍ فَاللهُ لَهُ عَدُوٌّ، وَأَنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ لَمِنَ الْكَافِرِينَ بِاللهِ الْجَاحِدِينَ آيَاتِهِ.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ٩٩﴾ [البقرة: ٩٩].

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ فِيمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ..

﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ﴾ عَلَامَاتٍ وَاضِحَاتٍ، تُبَيِّنُ لِعُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَحْبَارِهِمُ الْجَاحِدِينَ نُبُوَّتَكَ، وَالْمُكَذِّبِينَ رِسَالَتَكَ، أَنَّكَ لِي رَسُولٌ إِلَيْهِمْ، وَنَبِيٌّ مَبْعُوثٌ.. وَتِلْكَ الْآيَاتُ هِيَ مَا حَوَاهُ كِتَابُ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خَفَايَا عُلُومِ الْيَهُودِ وَمَكْنُونِ سَرَائِرِ أَخْبَارِهِمْ، وَأَخْبَارِ أَوَائِلِهِمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالنَّبَإِ عَمَّا تَضَمَّنَتْهُ كُتُبُهُمُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهَا إِلَّا أَحْبَارُهُمْ وَعُلَمَاؤُهُمْ، وَمَا حَرَّفَهُ أَوَائِلُهُمْ وَأَوَاخِرُهُمْ وَبَدَّلُوهُ مِنْ أَحْكَامِهِمُ، الَّتِي كَانَتْ فِي التَّوْرَاةِ، فَأَطْلَعَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ لِمَنْ أَنْصَفَ نَفْسَهُ وَلَمْ يَدْعُهُ إِلَىٰ إِهْلَاكِهَا الْحَسَدُ وَالْبَغْيُ، إِذْ كَانَ فِي فِطْرَةِ كُلِّ ذِي فِطْرَةٍ صَحِيحَةٍ تَصْدِيقُ مَنْ أَتَىٰ بِمِثْلِ الَّذِي أَتَىٰ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ -مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي وَصَفْتُ- مِنْ غَيْرِ تَعَلُّمٍ تَعَلَّمَهُ مِنْ بَشَرٍ وَلَا أَخْذِ شَيْءٍ مِنْهُ عَنْ آدَمِيٍّ..

﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ﴾ وَمَا يَجْحَدُ تِلْكَ الْآيَاتِ الدَّالَّاتِ عَلَىٰ صِدْقِكَ وَنُبُوَّتِكَ الَّتِي أَنْزَلْتُهَا إِلَيْكَ فِي كِتَابِي فَيُكَذِّبَ بِهَا مِنْهُمْ..

﴿إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ٩٩﴾ [البقرة: ٩٩] إِلَّا الْخَارِجُ مِنْهُمْ مِنْ دِينِهِ، التَّارِكُ مِنْهُمْ فَرَائِضِي عَلَيْهِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي يَدِينُ بِتَصْدِيقِهِ، فَأَمَّا الْمُتَمَسِّكُ مِنْهُمْ بِدِينِهِ وَالْمُتَّبِعُ مِنْهُمْ حُكْمَ كِتَابِهِ، فَإِنَّهُ بِالَّذِي أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ آيَاتِي مُصَدِّقٌ، وَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠٠﴾ [البقرة: ١٠٠].

﴿أَوَكُلَّمَا﴾ وَاوُ عَطْفٍ أُدْخِلَتْ عَلَيْهَا أَلِفُ الِاسْتِفْهَامِ، كَأَنَّهُ قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، وَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ، ثُمَّ أَدْخَلَ أَلِفَ الِاسْتِفْهَامِ عَلَىٰ وَكُلَّمَا، فَقَالَ: قَالُوا: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ..

﴿عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا﴾ فَإِنَّهُ الْمِيثَاقُ الَّذِي أَعْطَتْهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ رَبَّهُمْ، لَيَعْمَلُنَّ بِمَا فِي التَّوْرَاةِ، ثُمَّ نَقَضَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَىٰ، فَوَبَّخَهُمْ -جَلَّ ذِكْرُهُ- بِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَعَيَّرَ بِهِ أَبْنَاءَهُمْ؛ إِذْ سَلَكُوا مِنْهَاجَهُمْ فِي بَعْضِ مَا كَانَ -جَلَّ ذِكْرُهُ- أَخَذَ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَانِ بِهِ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْعَهْدِ

وَالْمِيثَاقِ، فَكَفَرُوا وَجَحَدُوا مَا فِي التَّوْرَاةِ مِنْ نَعْتِهِ وَصِفَتِهِ، فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: أَوَكُلَّمَا عَاهَدَ الْيَهُودُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَبَّهُمْ عَهْدًا، وَأَوْثَقُوهُ مِيثَاقًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ فتَرَكَهُ وَنَقَضَهُ؟

﴿نَّبَذَهُۥ﴾ طَرَحَهُ.. فالنَّبْذُ أَصْلُهُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الطَّرْحُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْمَلْقُوطِ: الْمَنْبُوذُ؛ لِأَنَّهُ مَطْرُوحٌ مَرْمِيٌّ بِهِ، وَمِنْهُ سُمِّيَ النَّبِيذُ نَبِيذًا؛ لِأَنَّهُ زَبِيبٌ أَوْ تَمْرٌ يُطْرَحُ فِي وِعَاءٍ ثُمَّ يُعَالَجُ بِالْمَاءِ..

﴿فَرِيقٌ﴾ جَمَاعَةٌ..

﴿مِّنْهُمْ﴾ مِنْ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ بَلْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كُلَّمَا عَاهَدُوا اللهَ عَهْدًا وَوَاثَقُوهُ مَوْثِقًا، نَقَضَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ..

﴿لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠٠﴾ [البقرة: ١٠٠] فَيَكْفُرُ بِاللهِ أَكْثَرُهُمْ لَا الْقَلِيلُ مِنْهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَا يَنْبِذُ ذَلِكَ الْعَهْدَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ليس لأن ذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ لَهُمْ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يُصَدِّقُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ، وَلَا وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١﴾ [البقرة: ١٠١].

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَحْبَارَ الْيَهُودِ وَعُلَمَاءَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من التَّوْرَاةِ..

﴿نَبَذَ فَرِيقٌ﴾ جَحَدُوهُ وَرَفَضُوهُ بَعْدَ أَنْ كَانُوا بِهِ مُقِرِّينَ؛ حَسَدًا مِنْهُمْ لَهُ وَبَغْيًا عَلَيْهِ..

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَهُمْ عُلَمَاءُ الْيَهُودِ الَّذِينَ أَعْطَاهُمُ اللهُ الْعِلْمَ بِالتَّوْرَاةِ وَمَا فِيهَا..

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ التَّوْرَاةَ..

﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ جَعَلُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ؛ وَهَذَا مَثَلٌ يُقَالُ لِكُلِّ رَافِضٍ أَمْرًا كَانَ مِنْهُ عَلَىٰ بَالٍ: قَدْ جَعَلَ فُلَانٌ هَذَا الْأَمْرَ مِنْهُ بِظَهْرٍ، وَجَعَلَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، يَعْنِي بِهِ: أَعْرَضَ عَنْهُ وَصَدَّ وَانْصَرَفَ..

﴿كَأَنَّهُمْ﴾ كَأَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَبَذُوا كِتَابَ اللهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ..

﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١﴾ [البقرة: ١٠١] مَا فِي التَّوْرَاةِ مِنَ الْأَمْرِ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَتَصْدِيقِهِ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- إِخْبَارٌ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ جَحَدُوا الْحَقَّ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِهِ وَمَعْرِفَةٍ، وَأَنَّهُمْ عَانَدُوا أَمْرَ اللهِ فَخَالَفُوا عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِوُجُوبِهِ عَلَيْهِمْ.

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢].

﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ بعْدَ مَا رَفَضُوا كِتَابَهُ الَّذِي يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِهِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ، وَنَقَضُوا عَهْدَهُ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ فِي الْعَمَلِ بِمَا فِيهِ، آثَرُوا..

﴿مَا﴾ الَّذِي..

﴿تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ تُحَدِّثُ وَتَرْوِي وتَدْرُسُ وَتَتَكَلَّمُ وَتُخْبِرُ، نَحْوَ تِلَاوَةِ الرَّجُلِ لِلْقُرْآنِ، وكَذَلِكَ تَتْبَعُهُ وَتَرْوِيهِ وَتَعْمَلُ بِهِ.. فَاتَّبَعَتِ الْيَهُودُ مِنْهَاجَهَا فِي ذَلِكَ وَعَمِلَتْ بِهِ، وَرَوَتْ السِّحْرَ الَّذِي تَلَتْهُ الشَّيَاطِينُ..

﴿عَلَىٰ﴾ فِي عَهْدِ..

﴿مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ﴾ فَتُضِيفُهُ إِلَىٰ سُلَيْمَانَ زَاعِمِينَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ عِلْمِهِ وَرِوَايَتِهِ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ يَسْتَعْبِدُ مَنْ يَسْتَعْبِدُ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ وَسَائِرِ خَلْقِ اللهِ بِالسِّحْرِ، فَحَسَّنُوا بِذَلِكَ -مِنْ رُكُوبِهِمْ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ السِّحْرِ- لأَنْفُسِهِمْ، عِنْدَ مَنْ كَانَ جَاهِلًا بِأَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَعِنْدَ مَنْ كَانَ لَا عِلْمَ لَهُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ مِنَ التَّوْرَاةِ، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ سليمانُ رَسُولًا، وَقَالُوا: بَلْ كَانَ سَاحِرًا..

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ فَيَعْمَلَ بِالسِّحْرِ.. فَبَرَّأَ اللهُ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ مِنَ السِّحْرِ وَالْكُفْرِ، عِنْدَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ يَنْسُبُهُ إِلَىٰ السِّحْرِ وَالْكُفْرِ لِأَسْبَابٍ ادَّعَوْهَا عَلَيْهِ.. وَأَكْذَبَ الْآخَرِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِالسِّحْرِ، مُتَزَيِّنِينَ عِنْدَ أَهْلِ الْجَهْلِ فِي عَمَلِهِمْ ذَلِكَ بِأَنَّ سُلَيْمَانَ كَانَ يَعْمَلُهُ.. فَنَفَىٰ اللهُ عَنْ سُلَيْمَانَ ﷺ أَنْ يَكُونَ سَاحِرًا أَوْ كَافِرًا، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُمْ إِنَّمَا اتَّبَعُوا فِي عَمَلِهِمُ السِّحْرَ مَا تَلَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي عَهْدِ سُلَيْمَانَ، دُونَ مَا كَانَ سُلَيْمَانَ يَأْمُرُهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ لا عَنْ رِضا مِنْ سليمانَ ﷺ؛ وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ افْتَعَلَتْهُ الشَّيَاطِينُ دُونَهُ.. وَلَعَلَّ قَائِلًا أَنْ يَقُولَ: أَوَمَا كَانَ السِّحْرُ إِلَّا أَيَّامَ سُلَيْمَانَ؟ قِيلَ لَهُ: بَلَىٰ، قَدْ كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَنْ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ مَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ، وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ سُلَيْمَانَ، وَأَخْبَرَ عَنْ قَوْمِ نُوحٍ أَنَّهُمْ قَالُوا لِنُوحٍ إِنَّهُ سَاحِرٌ.. فإن قَالَ: فَكَيْفَ أَخْبَرَ عَنِ الْيَهُودِ أَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا تَتْلُوهُ الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ عَهْدِ سُلَيْمَانَ؟ قِيلَ: لِأَنَّهُمْ أَضَافُوا ذَلِكَ إِلَىٰ سُلَيْمَانَ دونَ غَيْرِه، فَأَرَادَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- تَبْرِئَةَ سُلَيْمَانَ مِمَّا نَحَلُوهُ وَأَضَافُوا إِلَيْهِ، فَحَصَرَ الْخَبَرَ عَمَّا كَانَتِ الْيَهُودُ اتَّبَعَتْهُ فِيمَا تَلَتْهُ الشَّيَاطِينُ أَيَّامَ سُلَيْمَانَ، دُونَ غَيْرِهِ لِذَلِكَ السَّبَبِ، وَإِنْ كَانَ الشَّيَاطِينُ قَدْ كَانَتْ تَالِيَةً لِلسِّحْرِ وَالْكُفْرِ قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿وَمَآ﴾ والَّذِي..

﴿أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ.. فإنْ قَالَ قَائِلٌ: وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ السِّحْرَ، أَمْ هَلْ يَجُوزُ لِمَلَائِكَتِهِ أَنْ تُعَلِّمَهُ النَّاسَ؟ قُلْنَا لَهُ: إِنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عَرَّفَ عِبَادَهُ جَمِيعَ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَجَمِيعَ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ بَعْدَ الْعِلْمِ مِنْهُمْ بِمَا يُؤْمَرُونَ بِهِ وَيُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، لَمَا كَانَ لِلْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مَعْنًىٰ مَفْهُومٌ، فَالسِّحْرُ مِمَّا قَدْ نَهَىٰ عِبَادَهُ مِنْ بَنِي آدَمَ عَنْهُ، فَغَيْرُ مُنْكَرٍ أَنْ يَكُونَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عَلَّمَهُ الْمَلَكَيْنِ اللَّذَيْنِ سَمَّاهُمَا فِي تَنْزِيلِهِ، وَجَعَلَهُمَا فِتْنَةً لِعِبَادِهِ مِنْ بَنِي آدَمَ كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا يَقُولَانِ لِمَنْ يَتَعَلَّمُ ذَلِكَ مِنْهُمَا: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾ لِيَخْتَبِرَ بِهِمَا عِبَادَهُ الَّذِينَ نَهَاهُمْ عَنِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَعَنِ السِّحْرِ، فَيُمَحِّصُ الْمُؤْمِنَ بِتَرْكِهِ التَّعَلُّمَ مِنْهُمَا، وَيُخْزِي الْكَافِرَ بِتَعَلُّمِهِ السِّحْرَ وَالْكُفْرَ مِنْهُمَا، وَيَكُونُ الْمَلَكَانِ فِي تَعْلِيمِهِمَا مَنْ عَلَّمَا ذَلِكَ لِلَّهِ مُطِيعِينَ، إِذْ كَانَا عَنْ إِذْنِ اللهِ لَهُمَا بِتَعْلِيمِ ذَلِكَ مَنْ عَلَّمَاهُ يُعَلِّمَانِ، وَقَدْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ، فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَهُمْ ضَائِرًا، إِذْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِأَمْرِهِمْ إِيَّاهُمْ بِهِ، بَلْ عُبِدَ بَعْضُهُمْ وَالْمَعْبُودُ عَنْهُ نَاءٍ، فَكَذَلِكَ الْمَلَكَانِ غَيْرُ ضَائِرِهِمَا سِحْرُ مَنْ سَحَرَ مِمَّنْ تَعَلَّمَ ذَلِكَ مِنْهُمَا، بَعْدَ نَهْيِهِمَا إِيَّاهُ عَنْهُ وَعِظَتِهِمَا لَهُ بِقَوْلِهِمَا: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾ إِذْ كَانَا قَدْ أَدَّيَا مَا أُمِرَا بِهِ بِقِيلِهِمَا ذَلِكَ..

﴿بِبَابِلَ﴾ اسْمُ قَرْيَةٍ أَوْ مَوْضِعٌ مِنْ مَوَاضِعِ الْأَرْضِ..

﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ اسمانِ مُتَرْجَمٌ بهما عَن الملكين..

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ وَمَا يُعَلِّمُ الْمَلَكَانِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِمَا مِنَ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ..

﴿مِنۡ أَحَدٍ﴾ مِنَ النَّاسِ..

﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ لَهُ..

﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ إِنَّمَا نَحْنُ بَلَاءٌ، وَاخْتِبَارٌ، وَفِتْنَةٌ لِبَنِي آدَمَ..

﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بِرَبِّكَ.. فَيَأْبَوْنَ قَبُولَ ذَلِكَ مِنْهُمَا..

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ فَيَتَعَلَّمُ النَّاسُ..

﴿مِنْهُمَا﴾ مِنَ الْمَلَكَيْنِ..

﴿مَا﴾ الَّذِي..

﴿يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ بِتَخْيِيلِهِ بِسِحْرِهِ إِلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا شَخْصَ الْآخَرِ عَلَىٰ خِلَافِ مَا هُوَ بِهِ فِي حَقِيقَتِهِ مِنْ حُسْنٍ وَجَمَالٍ، حَتَّىٰ يُقَبِّحَهُ عِنْدَهُ، فَيَنْصَرِفَ بِوَجْهِهِ وَيُعْرِضَ عَنْهُ، حَتَّىٰ يُحْدِثَ الزَّوْجُ لِامْرَأَتِهِ فِرَاقًا، فَيَكُونُ السَّاحِرُ مُفَرِّقًا بَيْنَهُمَا بِإِحْدَاثِهِ السَّبَبَ الَّذِي كَانَ مِنْهُ فُرْقَةُ مَا بَيْنَهُمَا.

﴿وَمَا هُم﴾ وَمَا الْمُتَعَلِّمُونَ مِنَ الْمَلَكَيْنِ -هَارُوتَ وَمَارُوتَ- مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ..

﴿بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾ بِالَّذِي تَعَلَّمُوهُ مِنَ الْمَلَكَيْنِ، الَّذِي يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ..

﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ مِنَ النَّاسِ..

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إِلَّا مَنْ سَبَقَ لَهُ فِي عِلْمِ اللهِ أَنَّ ذَلِكَ يَضُرُّهُ، فَأَمَّا مَنْ دَفَعَ اللهُ عَنْهُ ضُرَّهُ وَحَفِظَهُ مِنْ مَكْرُوهِ السِّحْرِ وَالنَّفْثِ وَالرُّقَىٰ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ ضَارِّهِ وَلَا نَائِلُهُ أَذَاهُ..

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ﴾ أَيِ النَّاسُ الَّذِينَ يَتَعَلَّمُونَ مِنَ الْمَلَكَيْنِ، مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْمَعْنَىٰ الَّذِي يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا السِّحْرَ..

﴿مَا﴾ الَّذِي..

﴿يَضُرُّهُمْ﴾ فِي دِينِهِمْ..

﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ فِي مَعَادِهِمْ.. فَأَمَّا فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُمْ قَدْ كَانُوا يَكْسِبُونَ بِهِ وَيُصِيبُونَ بِهِ مَعَاشًا..

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾ لَقَدْ عَلِمَ النَّابِذُونَ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كِتَابِي وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ تَجَاهُلًا مِنْهُمْ، الَّذِينَ لَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ، نَبَذُوا كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، وَالتَّارِكُونَ الْعَمَلَ بِمَا فِيهِ، مِنَ اتِّبَاعِكَ يَا مُحَمَّدُ وَاتِّبَاعِ مَا جِئْتَ بِهِ، وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ، بَعْدَ إِنْزَالِي إِلَيْكَ كِتَابِي مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ، وَبَعْدَ إِرْسَالِكَ إِلَيْهِمْ بِالْإِقْرَارِ بِمَا مَعَهُمْ وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ، الْمُؤْثِرُونَ عَلَيْهِ اتِّبَاعَ السِّحْرِ الَّذِي تَلَتْهُ الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ عَهْدِ سُلَيْمَانَ، وَالَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ..

﴿لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ﴾ وَاللهِ لَمَنِ اشْتَرَىٰ السِّحْرَ بِكِتَابِي الَّذِي أَنْزَلْتُهُ عَلَىٰ رَسُولِي فَآثَرَهُ عَلَيْهِ..

﴿مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ مَا لَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ..

﴿مِنۡ خَلَٰقٖۚ﴾ من حَظٍّ ولا نصيبٍ مِنَ الْجَنَّةِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِيمَانٌ وَلَا دِينٌ وَلَا عَمَلٌ صَالِحٌ يُجَازَىٰ بِهِ فِي الْجَنَّةِ وَيُثَابُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا مِنَ الشُّرُورِ فَإِنَّ لَهُمْ فِيهَا نَصِيبًا..

﴿وَلَبِئۡسَ﴾ ذَمٌّ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فِعْلَ الْمُتَعَلِّمِينَ مِنَ الْمَلَكَيْنِ التَّفْرِيقَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَخَبَرٌ مِنْهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عَنْهُمْ أَنَّهُمْ بِئْسَ..

﴿مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ مَا بَاعوا بِهِ أنفسَهم مِنْ تَعَلُّمِ السِّحْرِ بِرِضَاهُمْ، عِوَضًا عَنْ دِينِهِمْ الَّذِي بِهِ نَجَاةُ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْهَلَكَةِ..

﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢﴾ [البقرة: ١٠٢] سُوءَ عَاقِبَةِ فِعْلِهِمْ وَخَسَارَةِ صَفْقَةِ بَيْعِهِمْ، إِذْ كَانَ قَدْ يَتَعَلَّمُ ذَلِكَ مِنْهُمَا مَنْ لَا يَعْرِفُ اللهَ، وَلَا يَعْرِفُ حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ وَأَمْرَهُ وَنَهْيَهُ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الَّذِينَ نَفَىٰ عَنْهُمُ الْعِلْمَ بَعْدَ وَصْفِهِ إِيَّاهُمْ بِأَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ﴾ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا بِمَا عَلِمُوا، وَإِنَّمَا الْعَالِمُ هو الْعَامِلُ بِعِلْمِهِ، وَأَمَّا إِذَا خَالَفَ عَمَلُهُ عِلْمَهُ فَهُوَ فِي مَعَانِي الْجُهَّالِ، وَقَدْ يُقَالُ لِلْفَاعِلِ الْفِعْلَ بِخِلَافِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ وَإِنْ كَانَ بِفِعْلِهِ عَالِمًا: لَوْ عَلِمْتَ لَأَقْصَرْتَ، وَهَذَا تَأْوِيلٌ لَهُ مَخْرَجٌ وَوَجْهٌ..وفِي هَذِه الآيَةُ تَوْبِيخٌ مِنَ اللهِ لِأَحْبَارِ الْيَهُودِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَجَحَدُوا نُبُوَّتَهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لِلَّهِ رَسُولٌ مُرْسَلٌ، وَتَأْنِيبٌ مِنْهُ لَهُمْ فِي رَفْضِهِمْ تَنْزِيلَهُ، وَهَجْرِهِمُ الْعَمَلَ بِهِ وَهُوَ فِي أَيْدِيهِمْ يَعْلَمُونَهُ وَيَعْرِفُونَ أَنَّهُ كِتَابُ اللهِ، وَاتِّبَاعِهِمْ وَاتِّبَاعِ أَوَائِلِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ مَا تَلَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي عَهْدِ سُلَيْمَانَ.

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۚ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٣﴾ [البقرة: ١٠٣].

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ﴾ ولَوْ أَنَّ الَّذِينَ يَتَعَلَّمُونَ مِنَ الْمَلَكَيْنِ مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ..

﴿ءَامَنُواْ﴾ فَصَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾ رَبَّهُمْ فَخَافُوهُ، فَخَافُوا عِقَابَهُ، فَأَطَاعُوهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَتَجَنَّبُوا مَعَاصِيه..

﴿لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ لَكَانَ جَزَاءُ اللهِ إِيَّاهُمْ وَثَوَابُهُ لَهُمْ عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ بِهِ وَتَقْوَاهُمْ إِيَّاهُ..

﴿خَيۡرٞۚ﴾ لَهُمْ مِنَ السِّحْرِ وَمَا اكْتَسَبُوا بِهِ..

﴿لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٣﴾ [البقرة: ١٠٣] أَنَّ ثَوَابَ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ مِنَ السِّحْرِ وَمِمَّا اكْتَسَبُوا بِهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤﴾ [البقرة: ١٠٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ﴾ لِنَبِيِّكُمْ..

﴿رَٰعِنَا﴾ سَمْعَكَ وَفَرِّغْهُ لَنَا نَفْهَمْكَ وَتَفْهَم عَنَّا مَا نَقُولُ.. فإِنَّهَا كَلِمَةٌ كَرِهَهَا اللهُ لَهُمْ أَنْ يَقُولُوهَا لِنَبِيِّهِ ﷺ، نَظِيرَ الَّذِي ذُكِرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لا تَقُولُوا لِلْعِنَبِ الْكَرْمَ**» خَوْفًا مِنْ تَوَهُّمِ وَصْفِهِ بِالْكَرَمِ، وَإِنْ كَانَتْ مُسَكَّنَةً، فَإِنَّ الْعَرَبَ قَدْ تُسَكِّنُ بَعْضَ الْحَرَكَاتِ إِذَا تَتَابَعَتْ عَلَىٰ نَوْعٍ وَاحِدٍ، فَكَرِهَ أَنْ يَتَّصِفَ بِذَلِكَ الْعِنَبُ، وَ «**لا تَقُولُوا عَبْدِي، وَلَكِنْ قُولُوا فَتَايَ**» وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ عَبْدٌ، لِجَمِيعِ عِبَادِ اللهِ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُضَافَ بَعْضُ عِبَادِ اللهِ -بِمَعْنَىٰ الْعُبُودِيَّةِ- إِلَىٰ غَيْرِ اللهِ، وَأَمَرَ أَنْ يُضَافَ ذَلِكَ إِلَىٰ غَيْرِهِ بِغَيْرِ الْمَعْنَىٰ الَّذِي يُضَافُ إِلَىٰ اللهِ ﷻ، فَيُقَالَ: فَتَايَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَكُونَانِ مُسْتَعْمَلَتَيْنِ بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، فَتَأْتِي الْكَرَاهَةُ أَوِ النَّهْيُ بِاسْتِعْمَالِ إِحْدَاهُمَا وَاخْتِيَارِ الْأُخْرَىٰ عَلَيْهَا فِي الْمُخَاطَبَاتِ.. فَكَذَلِكَ نَهَىٰ اللهُ ﷻ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقُولُوا (رَاعِنَا)؛ لَمَّا كَانَ قَوْلُ الْقَائِلِ (رَاعِنَا) مُحْتَمِلًا أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَىٰ احْفَظْنَا وَنَحْفَظُكَ وَارْقُبْنَا وَنَرْقُبُكَ، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: رَعَاكَ اللهُ بِمَعْنَىٰ حَفِظَكَ اللهُ وَكَلَأَكَ، وَمُحْتَمِلًا أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَىٰ أَرْعِنَا سَمْعَكَ، يعني: فَرِّغْه لِسَمَاعِ كَلَامِنَا.. وَكَأَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- قَدْ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِتَوْقِيرِ نَبِيِّهِ ﷺ وَتَعْظِيمِهِ، حَتَّىٰ نَهَاهُمْ -جَلَّ ذِكْرُهُ- فِيمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ عَنْ رَفْعِ أَصْوَاتِهِمْ فَوْقَ صَوْتِهِ، وَأَنْ يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَخَوَّفَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ حُبُوطَ أَعْمَالِهِمْ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِالزَّجْرِ لَهُمْ عَنْ أَنْ يَقُولُوا لَهُ مِنَ الْقَوْلِ مَا فِيهِ جَفَاءٌ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَتَخَيَّرُوا لِخِطَابِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ أَحْسَنَهَا، وَمِنَ الْمَعَانِي أَرَقَّهَا، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: (رَاعِنَا) لِمَا فِيهِ مِنِ احْتِمَالِ مَعْنَىٰ ارْعَنَا نَرْعَاكَ، إِذْ كَانَتِ الْمُفَاعَلَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنِ اثْنَيْنِ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ: عَاطِنَا وَحَادِثْنَا وَجَالِسْنَا، بِمَعْنَىٰ افْعَلْ بِنَا وَنَفْعَلُ بِكَ، وَمَعْنَىٰ أَرْعِنَا سَمْعَكَ حَتَّىٰ نَفْهَمَكَ وَتَفْهَمَ عَنَّا.. فَنَهَىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ أَنْ يَقُولُوا ذَلِكَ كَذَلِكَ وَأَنْ يُفْرِدُوا مَسْأَلَتَهُ بِانْتِظَارِهِمْ وَإِمْهَالِهِمْ لِيَعْقِلُوا عَنْهُ، بِتَبْجِيلٍ مِنْهُمْ لَهُ وَتَعْظِيمٍ، وَأَنْ لَا يَسْأَلُوهُ مَا سَأَلُوهُ مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ وَجْهِ الْجَفَاءِ وَالتَّجَهُّمِ مِنْهُمْ لَهُ، وَلَا بِالْفَظَاظَةِ وَالْغِلْظَةِ، تَشَبُّهًا مِنْهُمْ بِالْيَهُودِ فِي خِطَابِهِمْ نَبِيَّ اللهِ ﷺ بِقَوْلِهِمْ لَهُ: ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا﴾ [النساء: ٤٦]..

﴿وَقُولُواْ﴾ لَكِنْ قُولُوا يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ..

﴿انظُرْنَا﴾ انْتَظِرْنَا وَتَرَقَّبْنَا حَتَّىٰ نَفْهَمَ عَنْكَ مَا تُعَلِّمُنَا، وَنَتَبَيَّنَ مَا تَقُولُ لَنَا، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: «يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ»[الحديد: ١٣]، يَعْنِي بِهِ: انْتَظِرُونَا..

﴿وَاسْمَعُواْ﴾ مَا يُقَالُ لَكُمْ وَيُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ رَبِّكُمْ، وَعُوهُ وَافْهَمُوهُ..

﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بِي وَبِرَسُولِي مُخَالِفِينَ أَمْرِي وَنَهْيِي..

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٠٤﴾ [البقرة: ١٠٤] مُوجِعٌ فِي الْآخِرَةِ.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٠٥﴾ [البقرة: ١٠٥].

﴿مَّا يَوَدُّ﴾ مَا يُحِبُّ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بِاللهِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿يُنَزَّلَ عَلَيْكُم﴾ شيئًا..

﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي هو..

﴿مِن﴾ عِنْد..

﴿رَّبِّكُمْ﴾ فتمَنَّىٰ الْمُشْرِكُونَ وَكَفَرَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ لَا يُنَزِّلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْفُرْقَانَ، وَمَا أَوْحَاهُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ حِكَمِهِ وَآيَاتِهِ، وَإِنَّمَا أَحَبَّتِ الْيَهُودُ وَأَتْبَاعُهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ذَلِكَ حَسَدًا وَبَغْيًا مِنْهُمْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ.. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ بَيِّنَةٌ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَهَىٰ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الرُّكُونِ إِلَىٰ أَعْدَائِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَالِاسْتِمَاعِ مِنْ قَوْلِهِمْ وَقَبُولِ شَيْءٍ مِمَّا يَأْتُونَهُمْ بِهِ، عَلَىٰ وَجْهِ النَّصِيحَةِ لَهُمْ مِنْهُمْ؛ بِإِطْلَاعِهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- إِيَّاهُمْ عَلَىٰ مَا يَسْتَبْطِنُهُ لَهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكُونَ مِنَ الضِّغْنِ وَالْحَسَدِ وَإِنْ أَظْهَرُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ خِلَافَ مَا هُمْ مُسْتَبْطِنُونَ..

﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ بِنُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ، فَيُرْسِلُهُ إِلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، فَيَتَفَضَّلُ بِالْإِيمَانِ عَلَىٰ مَنْ أَحَبَّ فَيَهْدِيهِ لَهُ..

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٠٥﴾ [البقرة: ١٠٥] فكُلُّ خَيْرٍ نَالَهُ عِبَادُهُ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ فَإِنَّهُ مِنْ عِنْدِهِ ابْتِدَاءً وَتَفَضُّلًا مِنْهُ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مِنْهُمْ ذَلِكَ عَلَيْهِ.. وَفِيهِ تَعْرِيضٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ

ذِكْرُهُ- بِأَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّ الَّذِيَ آتَىٰ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنَ الْهِدَايَةِ تَفَضُّلًا مِنْهُ، وَأَنَّ نِعَمَهُ لَا تُدْرَكُ بِالْأَمَانِيِّ وَلَكِنَّهَا مَوَاهِبُ مِنْهُ، يَخْتَصُّ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ.

﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة: ١٠٦].

﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ﴾ مَا نَنْقُلْ مِنْ حُكْمٍ..

﴿ءَايَةٍ﴾ إِلَىٰ غَيْرِهِ، فَنُبَدِّلُهُ وَنُغَيِّرُهُ، وَذَلِكَ أَنْ يُحَوِّلَ الْحَلَالَ حَرَامًا، وَالْحَرَامَ حَلَالًا، وَالْمُبَاحَ مَحْظُورًا، وَالْمَحْظُورَ مُبَاحًا.. وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْحَظْرِ وَالْإِطْلَاقِ وَالْمَنْعِ وَالْإِبَاحَةِ، فَأَمَّا الْأَخْبَارُ فَلَا يَكُونُ فِيهَا نَاسِخٌ وَلَا مَنْسُوخٌ.. وَأَصْلُ النَّسْخِ مِنْ (نَسْخِ الْكِتَابِ) وَهُوَ نَقْلُهُ مِنْ نُسْخَةٍ إِلَىٰ أُخْرَىٰ غَيْرِهَا.. فَكَذَلِكَ مَعْنَىٰ نَسْخِ الْحُكْمِ إِلَىٰ غَيْرِهِ، إِنَّمَا هُوَ تَحْوِيلُهُ وَنَقْلُ عِبَارَتِهِ عَنْهُ إِلَىٰ غَيْرِهَا.. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مَعْنَىٰ نَسْخِ الْآيَةِ، فَسَوَاءٌ أُقِرَّ خَطُّهَا فَتُرِكَ، أَوْ مُحِيَ أَثَرُهَا فَعُفِّيَ وَنُسِيَ؛ إِذْ هِيَ حِينَئِذٍ فِي كِلْتَا حَالَتَيْهَا مَنْسُوخَةٌ، وَالْحُكْمُ الْحَادِثُ الْمُبْدَلُ بِهِ الْحُكْمُ الْأَوَّلُ وَالْمَنْقُولُ إِلَيْهِ فَرْضُ الْعِبَادِ هُوَ النَّاسِخُ..

﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ أَوْ نُؤَخِّرْهَا فَنُرْجِئُهَا ونَتْرُكُهَا، وَنُقِرُّهَا فَلَا نُغَيِّرُهَا وَلَا نُبْطِلُ حُكْمَهَا..

﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ لَكُمْ مِنْ حُكْمِ الْآيَةِ الَّتِي نَسَخْنَا فَغَيَّرْنَا حُكْمَهَا، إِمَّا فِي الْعَاجِلِ: لِخِفَّتِهِ عَلَيْكُمْ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ وَضْعُ فَرْضٍ كَانَ عَلَيْكُمْ فَأُسْقِطَ ثِقَلُهُ عَنْكُمْ، وَذَلِكَ كَالَّذِي كَانَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ فَرْضِ قِيَامِ اللَّيْلِ، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ فَوُضِعَ عَنْهُمْ، فَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ فِي عَاجِلِهِمْ لِسُقُوطِ عِبْءِ ذَلِكَ وَثِقَلِ حِمْلِهِ عَنْهُمْ، وَإِمَّا فِي الْآجِلِ: لِعِظَمِ ثَوَابِهِ مِنْ أَجْلِ مَشَقَّةِ حَمْلِهِ وَثِقَلِ عِبْئِهِ عَلَىٰ الْأَبْدَانِ، كَالَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ صِيَامِ أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فِي السَّنَةِ، فَنُسِخَ وَفُرِضَ عَلَيْهِمْ مَكَانَهُ صَوْمُ شَهْرٍ كَامِلٍ فِي كُلِّ حَوْلٍ، فَكَانَ فَرْضُ صَوْمِ شَهْرٍ كَامِلٍ كُلَّ سَنَةٍ أَثْقَلَ عَلَىٰ الْأَبْدَانِ مِنْ صِيَامِ أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَالثَّوَابُ عَلَيْهِ أَجْزَلُ وَالْأَجْرُ عَلَيْهِ أَكْثَرُ، لِفَضْلِ مَشَقَّتِهِ عَلَىٰ مُكَلَّفِيهِ مِنْ صَوْمِ أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ، فَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ عَلَىٰ الْأَبْدَانِ أَشَقَّ، فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْأَوَّلِ فِي الْآجِلِ؛ لِفَضْلِ ثَوَابِهِ وَعِظَمِ أَجْرِهِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ لِصَوْمِ الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَاتِ..

﴿أَوْ مِثْلِهَآ ۗ﴾ أَوْ مِثْلِ حُكْمِهَا فِي الْخِفَّةِ وَالثِّقَلِ وَالْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، أَوْ يَكُونُ مِثْلَهَا فِي الْمَشَقَّةِ عَلَىٰ الْبَدَنِ وَاسْتِوَاءِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ عَلَيْهِ، نَظِيرَ نَسْخِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فَرْضَ الصَّلَاةِ شَطْرَ بَيْتِ

الْمَقْدِسِ، إِلَىٰ فَرْضِهَا شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَالتَّوَجُّهُ شَطْرَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَإِنْ خَالَفَ التَّوَجُّهَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ، فَكُلْفَةُ التَّوَجُّهِ شَطْرَ أَيِّهِمَا وَاحِدَةٌ؛ لِأَنَّ الَّذِي عَلَىٰ الْمُتَوَجِّهِ شَطْرَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مِنْ مُؤْنَةِ تَوَجُّهِهِ شَطْرَهُ، نَظِيرُ الَّذِي عَلَىٰ بَدَنِهِ مُؤْنَةُ تَوَجُّهِهِ شَطْرَ الْكَعْبَةِ سَوَاءٌ..

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة: ١٠٦] أَنِّي قَادِرٌ عَلَىٰ تَعْوِيضِكَ مِمَّا نَسَخْتُ مِنْ أَحْكَامِي، وَغَيَّرْتُهُ مِنْ فَرَائِضِي الَّتِي كُنْتُ افْتَرَضْتُهَا عَلَيْكَ، مَا أَشَاءُ مِمَّا هُوَ خَيْرٌ لَكَ وَلِعِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَعَكَ، وَأَنْفَعُ لَكَ وَلَهُمْ، إِمَّا عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا آجِلًا فِي الْآخِرَةِ، أَوْ بِأَنْ أُبَدِّلَ لَكَ وَلَهُمْ مَكَانَهُ مِثْلَهُ فِي النَّفْعِ لَهُمْ عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا وَآجِلًا فِي الْآخِرَةِ، وَشَبِيهَهُ فِي الْخِفَّةِ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ، فَاعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنِّي عَلَىٰ ذَلِكَ وَعَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [البقرة: ١٠٧].

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّهُ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّىٰ قِيلَ لَهُ ذَلِكَ؟ أجيب: ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ ظَهَرَ ظُهُورَ الْخِطَابِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّمَا هُوَ مَعْنِيٌّ بِهِ أَصْحَابُهُ الَّذِينَ قَالَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿لَا تَقُولُوا رَٰعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ﴾ [البقرة: ١٠٤]، وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ قَوْلُهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ فَعَادَ بِالْخِطَابِ فِي آخِرِ الْآيَةِ إِلَىٰ جَمِيعِهِمْ، وَقَدْ ابْتَدَأَ أَوَّلَهَا بِخِطَابِ النَّبِيِّ ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ﴾ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ الَّذِينَ وَصَفْتُ أَمْرَهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ مُسْتَفِيضٌ بَيْنَهُمْ فَصِيحٌ، أَنْ يُخْرِجَ الْمُتَكَلِّمُ كَلَامَهُ عَلَىٰ وَجْهِ الْخِطَابِ مِنْهُ لِبَعْضِ النَّاسِ وَهُوَ قَاصِدٌ بِهِ غَيْرَهُ، وَعَلَىٰ وَجْهِ الْخِطَابِ لِوَاحِدٍ وَهُوَ يَقْصِدُ بِهِ جَمَاعَةً غَيْرَهُ، أَوْ جَمَاعَةً وَالْمُخَاطَبُ بِهِ أَحَدُهُمْ، وَعَلَىٰ وَجْهِ الْخِطَابِ لِلْجَمَاعَةِ وَالْمَقْصُودُ بِهِ أَحَدُهُمْ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَٰفِرِينَ وَالْمُنَٰفِقِينَ ۗ﴾ [الأحزاب: ١] ثُمَّ قَالَ: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢]، فَرَجَعَ إِلَىٰ خِطَابِ الْجَمَاعَةِ، وَقَدِ ابْتَدَأَ الْكَلَامَ بِخِطَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة: ١٠٦]، و﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ﴾ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُ الْكَلَامِ عَلَىٰ

وَجْهِ الْخِطَابِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّهُ مَقْصُودٌ بِهِ قَصْدَ أَصْحَابِهِ؛ وَذَلِكَ بَيِّنٌ بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٠٧ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٧-١٠٨] الْآيَاتُ الثَّلَاثُ بَعْدَهَا عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ لِي مُلْكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسُلْطَانَهُمَا، دُونَ غَيْرِي، أَحْكُمُ فِيهِمَا وَفِيمَا فِيهِمَا مَا أَشَاءُ، وَآمُرُ فِيهِمَا وَفِيمَا فِيهِمَا بِمَا أَشَاءُ، وَأَنْهَىٰ عَمَّا أَشَاءُ، وَأَنْسَخُ وَأُبَدِّلُ وَأُغَيِّرُ مِنْ أَحْكَامِي الَّتِي أَحْكُمُ بِهَا فِي عِبَادِي مَا أَشَاءُ إِذَا أَشَاءُ، وَأُقِرُّ مِنْهَا مَا أَشَاءُ.. وَهَذَا الْخَبَرُ وَإِنْ كَانَ مِنَ اللهِ ﷻ خِطَابًا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ وَجْهِ الْخَبَرِ عَنْ عَظَمَتِهِ، فَإِنَّهُ مِنْهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- تَكْذِيبٌ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا نَسْخَ أَحْكَامِ التَّوْرَاةِ وَجَحَدُوا نُبُوَّةَ عِيسَىٰ، وَأَنْكَرُوا مُحَمَّدًا ﷺ، لِمَجِيئِهِمَا بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ بِتَغْيِيرِ مَا غَيَّرَ اللهُ مِنْ حُكْمِ التَّوْرَاةِ، فَأَخْبَرَهُمُ اللهُ أَنَّ لَهُ مُلْكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسُلْطَانَهُمَا، وَأَنَّ الْخَلْقَ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ وَطَاعَتِهِ، عَلَيْهِمُ السَّمْعُ لَهُ وَالطَّاعَةُ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَأَنَّ لَهُ أَمْرَهُمْ بِمَا شَاءَ، وَنَهْيَهُمْ عَمَّا شَاءَ، وَنَسْخَ مَا شَاءَ، وَإِقْرَارَ مَا شَاءَ، وَإِنْسَاءَ مَا شَاءَ مِنْ أَحْكَامِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.. ثُمَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ: انْقَادُوا لِأَمْرِي، وَانْتَهُوا إِلَىٰ طَاعَتِي فِيمَا أَنْسَخُ وَفِيمَا أَتْرُكُ فَلَا أَنْسَخُ مِنْ أَحْكَامِي وَحُدُودِي وَفَرَائِضِي، وَلَا يَهُولَنَّكُمْ خِلَافُ مُخَالِفٍ لَكُمْ فِي أَمْرِي وَنَهْيِي، وَنَاسِخِي وَمَنْسُوخِي..

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وَلَيْسَ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بَعْدَ اللهِ..

﴿مِن وَلِيٍّ﴾ مِنْ قَيِّمٍ بِأَمْرِكُمْ..

﴿وَلَا نَصِيرٍ ۝١٠٧﴾ [البقرة: ١٠٧] فَيُؤَيِّدُكُمْ وَيُقَوِّيكُمْ فَيُعِينُكُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ، فَإِنَّهُ لَا قَيِّمَ بِأَمْرِكُمْ سِوَايَ، وَلَا نَاصِرَ لَكُمْ غَيْرِي، وَأَنَا الْمُنْفَرِدُ بِوَلَايَتِكُمْ وَالدِّفَاعِ عَنْكُمْ، وَالْمُتَوَحِّدُ بِنُصْرَتِكُمْ بِعِزِّي وَسُلْطَانِي وَقُوَّتِي عَلَىٰ مَنْ نَاوَأَكُمْ وَحَادَّكُمْ وَنَصَبَ حَرْبَ الْعَدَاوَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمْ، حَتَّىٰ أُعَلِّيَ حُجَّتَكُمْ، وَأَجْعَلَهَا عَلَيْهِمْ لَكُمْ.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١٠٨﴾ [البقرة: ١٠٨].

﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۗ﴾ نَظِيرَ مَا سَأَلَ قَوْمُ مُوسَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُم أَنْ يَسْأَلوه إِيَّاهُمْ..

﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ﴾ وَمَنْ يَسْتَبْدِلِ..

﴿ٱلْكُفْرَ﴾ والْجُحُودَ بِاللهِ وَبِآيَاتِهِ، فَيَرْتَدَّ عَنْ دِينِهِ..

﴿بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ بِاللهِ وَبِآيَاتِهِ وَالْإِقْرَارِ بِهِ..

﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ فَقَدْ حَادَ عَنْ..

﴿سَوَآءَ﴾ مَنْهَجِ وَوَسَطِ..

﴿ٱلسَّبِيلِ ١٠٨﴾ [البقرة: ١٠٨] الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الْمَسْبُولِ.. وَهَذَا الْقَوْلُ ظَاهِرُهُ الْخَبَرُ عَنْ زَوَالِ الْمُسْتَبْدِلِ بِالْإِيمَانِ الْكُفْرَ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْمَعْنِيُّ بِهِ الْخَبَرُ عَنْهُ أَنَّهُ قد تَرْكَ دِينَ اللهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ، وَجَعَلَهُ لَهُمْ طَرِيقًا يَسْلُكُونَهُ إِلَىٰ رِضَاهُ، وَسَبِيلًا يَرْكَبُونَهَا إِلَىٰ مَحَبَّتِهِ وَالْفَوْزِ بِجَنَّاتِهِ، فَجَعَلَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الطَّرِيقَ -الَّذِي إِذَا رَكِبَ مَحَجَّتَهُ، السَّائِرُ فِيهِ، وَلَزِمَ وَسَطَهُ، الْمُجْتَازُ فِيهِ، نَجَا وَبَلَغَ حَاجَتَهُ، وَأَدْرَكَ طَلِبَتَهُ- لِدِينِهِ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ عِبَادَهُ مَثَلًا لِإِدْرَاكِهِمْ -بِلُزُومِهِ وَاتِّبَاعِهِ- إِدْرَاكَ طَلِبَاتِهِمْ فِي آخِرَتِهِمْ، كَالَّذِي يُدْرِكُ اللَّازِمَ مَحَجَّةَ السَّبِيلِ -بِلُزُومِهِ إِيَّاهَا- طَلِبَتَهُ مِنَ النَّجَاةِ مِنْهَا، وَالْوُصُولِ إِلَىٰ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَمَّهُ وَقَصَدَهُ، وَجَعَلَ مَثَلَ الْحَائِدِ عَنْ دِينِهِ، وَالْحَائِدِ عَنِ اتِّبَاعِ مَا دَعَاهُ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ فِي خَيْبَتِهِ مَا رَجَا أَنْ يُدْرِكَهُ بِعَمَلِهِ فِي آخِرَتِهِ، وَيَنَالَ بِهِ فِي مَعَادِهِ وَذَهَابِهِ، عَمَّا أَمَّلَ مِنْ ثَوَابِ عَمَلِهِ وَبُعْدِهِ بِهِ مِنْ رَبِّهِ، مَثَلَ الْحَائِدِ عَنْ مَنْهَجِ الطَّرِيقِ وَقَصْدِ السَّبِيلِ، الَّذِي لَا يَزْدَادُ وُغُولًا فِي الْوَجْهِ الَّذِي سَلَكَهُ إِلَّا ازْدَادَ مِنْ مَوْضِعِ حَاجَتِهِ بُعْدًا، وَعَنِ الْمَكَانِ الَّذِي أَمَّهُ وَأَرَادَهُ نَأْيًا.. وَهَذِهِ السَّبِيلُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ مَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَهَا، هِيَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي أَمَرَنَا بِمَسْأَلَتِهِ الْهِدَايَةَ لَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦- ٧].

> ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٠٩﴾ [البقرة: ١٠٩].

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ، مَا أَخْبَرَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَوَدُّونَهُ لَهُمْ فِي قَوْلِه..

﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ مُرْتَدِّينَ عَنْ إِيمَانِكُم إِلَىٰ الْكُفْرِ..

﴿حَسَدًا﴾ مِنْهُمْ، وَبَغْيًا عَلَيكُم، فحَسَدَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ عَلَىٰ مَا أَعْطَاكُمُ اللهُ مِنَ التَّوْفِيقِ، وَوَهَبَ لَكُمْ مِنَ الرَّشَادِ لِدِينِهِ وَالْإِيمَانِ بِرَسُولِهِ، وَخَصَّكُمْ بِهِ مِنْ أَنْ جَعَلَ رَسُولَهُ إِلَيْكُمْ رَجُلًا مِنْكُمْ، رؤوفًا بِكُمْ رَحِيمًا، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِنهُمْ، فَتَكُونُوا لَهُمْ تَبَعًا..

﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ.. إِعْلَامًا مِنْهُ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَأْتُونَ مَا يَأْتُونَ مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِنَهْيِ اللهِ إِيَّاهُمْ عَنْهُ..

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لِهَؤُلَاءِ الْكَثِيرِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ يَوَدُّونَ أَنَّهُمْ يَرُدُّونَكُمْ كُفَّارًا مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ..

﴿ٱلْحَقُّ﴾ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ وَالْمِلَّةِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا، فَأَضَاءَ لَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَمْتَرُونَ فِيهِ، وَلَكِنَّ الْحَسَدَ حَمَلَهُمْ عَلَىٰ الْجَحْدِ، فَعَيَّرَهُمُ اللهُ وَلَامَهُمْ وَوَبَّخَهُمْ أَشَدَّ الْمَلَامَةِ..

﴿فَٱعْفُوا۟﴾ فَتَجَاوَزُوا عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ إِسَاءَةٍ وَخَطَأٍ فِي رَأْيٍ أَشَارُوا بِهِ عَلَيْكُمْ فِي دِينِكُمْ، إِرَادَةَ صَدِّكُمْ عَنْهُ، وَمُحَاوَلَةَ ارْتِدَادِكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ، وَعَمَّا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ قِيلِهِمْ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ: ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦]..

﴿وَٱصْفَحُوا۟﴾ عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ جَهْلٍ فِي ذَلِكَ..

﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ فَيُحْدِثَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِهِ فِيكُمْ مَا يَشَاءُ، وَيَقْضِي فِيهِمْ مَا يُرِيدُ.. فَقَضَىٰ فِيهِمْ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-، وَأَتَىٰ بِأَمْرِهِ، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩]، فَنَسَخَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- الْعَفْوَ وَالصَّفْحَ عَنْهُمْ بِفَرْضِ قِتَالِهِمْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّىٰ تَصِيرَ كَلِمَتُهُمْ وَكَلِمَةُ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةً، أَوْ يُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ صَغَارًا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ مَا يَشَاءُ بِالَّذِينَ وَصَفْتُ لَكُمْ أَمْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ..

﴿قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة: ١٠٩] إِنْ شَاءَ رَبُّهُمْ الِانْتِقَامَ مِنْهُمْ بِعِنَادِهِمْ، وَإِنْ شَاءَ هَدَاهُمْ لِمَا هَدَاكُمُ اللهُ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ، لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَلَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ أَمْرٌ شَاءَ قَضَاءَهُ؛ لِأَنَّ لَهُ الْخَلْقَ وَالْأَمْرَ.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾ [البقرة: ١١٠].

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بِحُدُودِهَا وَفُرُوضِهَا..

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ بِطِيبِ نَفْسٍ عَلَىٰ مَا فُرِضَتْ وَوَجَبَتْ..

﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٖ﴾ وَمَهْمَا تَعْمَلُوا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يَرْضَاهُ اللهُ فِي أَيَّامِ حَيَاتِكُمْ، فَتُقَدِّمُوهُ قَبْلَ وَفَاتِكُمْ ذُخْرًا لِأَنْفُسِكُمْ فِي مَعَادِكُمْ..

﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾ تَجِدُوا ثَوَابَهُ عِنْدَ رَبِّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجَازِيكُمْ بِهِ.. وَإِنَّمَا أَمَرَهُمْ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَتَقْدِيمِ الْخَيْرَاتِ لِأَنْفُسِهِمْ، لِيَطَّهَّرُوا بِذَلِكَ مِنَ الْخَطَإِ الَّذِي سَلَفَ مِنْهُمْ فِي اسْتِنْصَاحِهِمُ الْيَهُودَ، وَرُكُونِ مَنْ كَانَ رَكَنَ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ، وَجَفَاءِ مَنْ كَانَ جَفَا مِنْهُمْ فِي خِطَابِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿رَٰعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] إِذْ كَانَتْ إِقَامَةُ الصَّلَوَاتِ كَفَّارَةً لِلذُّنُوبِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ تَطْهِيرًا لِلنُّفُوسِ وَالْأَبْدَانِ مِنْ أَدْنَاسِ الْآثَامِ، وَفِي تَقْدِيمِ الْخَيْرَاتِ إِدْرَاكُ الْفَوْزِ بِرِضْوَانِ اللهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾ [البقرة: ١١٠] هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لِلَّذِينَ خَاطَبَهُمْ بِهَذِهِ الْآيَاتِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ مَهْمَا فَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ سِرًّا وَعَلَانِيَةً، فَهُوَ بِهِ بَصِيرٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، فَيَجْزِيهِمْ بِالْإِحْسَانِ جَزَاءَهُ وَبِالْإِسَاءَةِ مِثْلَهَا.. وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ خَرَجَ مَخْرَجَ الْخَبَرِ، فَإِنَّ فِيهِ وَعْدًا وَوَعِيدًا، وَأَمْرًا وَزَجْرًا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ أَعْلَمَ الْقَوْمَ أَنَّهُ بَصِيرٌ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ لِيَجِدُّوا فِي طَاعَتِهِ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ مَذْخُورًا لَهُمْ عِنْدَهُ حَتَّىٰ يُثِيبَهُمْ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ١١٠]، وَلِيَحْذَرُوا مَعْصِيَتَهُ، إِذْ كَانَ مُطَّلِعًا عَلَىٰ رَاكِبِهَا بَعْدَ تَقَدُّمِهِ إِلَيْهِ فِيهَا بِالْوَعِيدِ عَلَيْهَا، وَمَا أَوْعَدَ عَلَيْهِ رَبُّنَا -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- فَمَنْهِيٌّ عَنْهُ، وَمَا وَعَدَ عَلَيْهِ فَمَأْمُورٌ بِهِ.

﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١١١﴾ [البقرة: ١١١].

﴿وَقَالُواْ﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ﴾ أَيْ قَالَتِ الْيَهُودُ: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ

كَانَ يَهُودِيًّا، وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا..

﴿تِلْكَ﴾ قَوْلُ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾..

﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾ أَمَانِيُّ مِنْهُمْ يَتَمَنَّوْنَهَا عَلَىٰ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَلَا حُجَّةٍ، وَلَا بُرْهَانٍ، وَلَا يَقِينِ عِلْمٍ بِصِحَّةِ مَا يَدْعُونَ، وَلَكِنْ بِادِّعَاءِ الْأَبَاطِيلِ وَأَمَانِي النُّفُوسِ الْكَاذِبَةِ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلزَّاعِمِينَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْبَشَرِ، تَعَالَوْا إِلَىٰ أَمْرٍ عَدْلٍ بَيْنَ جَمِيعِ الْفِرَقِ، مُسْلِمِهَا وَيَهُودِهَا وَنَصَارَاهَا..

﴿هَاتُوا۟﴾ أَحْضِرُوا وَأْتُوا عَلَىٰ مَا تَزْعُمُونَ مِنْ ذَلِكَ، فَنُسَلِّمَ لَكُمْ دَعْوَاكُمْ..

﴿بُرْهَٰنَكُمْ﴾ الْبَيَانَ وَالْحُجَّةَ وَالْبَيِّنَةَ، عَلَىٰ دَعْوَاهُمُ الَّتِي ادَّعَوا، مِنْ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ..

﴿إِن كُنتُمْ﴾ فِي دَعْوَاكُمْ مِنْ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ..

﴿صَٰدِقِينَ ١١١﴾ [البقرة: ١١١] مُحِقِّينَ.. وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ ظَاهِرَ دُعَاءِ الْقَائِلِينَ: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ إِلَىٰ إِحْضَارِ حُجَّةٍ عَلَىٰ دَعْوَاهُمْ مَا ادَّعَوْا مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ بِمَعْنَىٰ تَكْذِيبٍ مِنَ اللهِ لَهُمْ فِي دَعْوَاهُمْ وَقِيلِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا قَادِرِينَ عَلَىٰ إِحْضَارِ بُرْهَانٍ عَلَىٰ دَعْوَاهُمْ تِلْكَ أَبَدًا، وَقَدْ أَبَانَ قَوْلُهُ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢] عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي ذَكَرْنَا مِنَ الْكَلَامِ بِمَعْنَىٰ التَّكْذِيبِ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ فِي دَعْوَاهُمْ مَا ذَكَرَ اللهُ عَنْهُمْ.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١١٢﴾ [البقرة: ١١٢].

﴿بَلَىٰ﴾ لَيْسَ كَمَا قَالَ الزَّاعِمُونَ ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]، وَلَكِنْ..

﴿مَنْ أَسْلَمَ﴾ بِالِاسْتِسْلَامِ وَالْخُضُوعِ بِجَوَارِحِهِ..

﴿وَجْهَهُۥ﴾ وَبَدَنَهُ، فَخَضَعَ جَسَدُهُ.. وَخَصَّ بِإِسْلَامِ وَجْهِهِ لَهُ دُونَ سَائِرِ جَوَارِحِهِ؛ لِأَنَّ أَكْرَمَ أَعْضَاءِ ابْنِ آدَمَ وَجَوَارِحِهِ وَجْهُهُ، وَهُوَ أَعْظَمُهَا عَلَيْهِ حُرْمَةً وَحَقًّا، فَإِذَا خَضَعَ لِشَيْءٍ وَجْهُهُ الَّذِي هُوَ أَكْرَمُ أَجْزَاءِ جَسَدِهِ عَلَيْهِ، فَغَيْرُهُ مِنْ أَجْزَاءِ جَسَدِهِ أَحْرَىٰ أَنْ يَكُونَ قَد خَضَعَ لَهُ..

﴿لِلَّهِ﴾ فَتَذَلَّلُ لِطَاعَتِهِ، وَالْإِذْعَانِ لِأَمْرِهِ..

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فِي إِسْلَامِهِ لَهُ جَسَدَهُ..

﴿فَلَهُۥٓ﴾ فَلِلْمُسْلِمِ وَجْهَهُ لِلَّهِ مُحْسِنًا..

﴿أَجْرُهُۥ﴾ جَزَاؤُهُ وَثَوَابُهُ عَلَىٰ إِسْلَامِهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿عِندَ رَبِّهِۦ﴾ عِنْدَ اللهِ فِي مَعَادِهِ..

﴿وَلَا خَوْفٌ﴾ فِي الْآخِرَةِ، مِنْ عِقَابِهِ وَعَذَابِ جَحِيمِهِ، وَمَا قَدِمُوا عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ..

﴿عَلَيْهِمْ﴾ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ وجُوهَهُمْ لِلَّهِ، وَهُمْ مُحْسِنُونَ، الْمُخْلَصِينَ لَهُ الدِّينَ..

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝﴾ [البقرة: ١١٢] عَلَىٰ مَا خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَا أَنْ يُمْنَعُوا مَا قَدِمُوا عَلَيْهِ مِنْ نَعِيمٍ مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝﴾ [البقرة: ١١٣].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ فِي دِينِهَا مُنْذُ دَانَتْ دِينَهَا..

﴿عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ عَلَىٰ صَوَابٍ..

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ فِي دِينِهَا مُنْذُ دَانَتْ دِينَهَا..

﴿عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ عَلَىٰ صَوَابٍ.. وَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ بِقِيلِهِمْ ذَلِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ، إِعْلَامًا مِنْهُ لَهُمْ بِتَضْيِيعِ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ حُكْمَ الْكِتَابِ الَّذِي يُظْهِرُ الْإِقْرَارَ بِصِحَّتِهِ، وَبِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَجُحُودِهِمْ مَعَ ذَلِكَ مَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ مِنْ فُرُوضِهِ؛ لِأَنَّ الْإِنْجِيلَ الَّذِي تَدِينُ بِصِحَّتِهِ وَحَقِيقَتِهِ النَّصَارَىٰ يُحَقِّقُ مَا فِي التَّوْرَاةِ مِنْ نُبُوَّةِ مُوسَىٰ عليه السلام، وَمَا فَرَضَ اللهُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيهَا مِنَ الْفَرَائِضِ، وَأَنَّ التَّوْرَاةَ الَّتِي تَدِينُ بِصِحَّتِهَا وَحَقِيقَتِهَا الْيَهُودُ تُحَقِّقُ نُبُوَّةَ عِيسَىٰ عليه السلام، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْفَرَائِضِ..

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ مَعَ تِلَاوَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ كِتَابَهُ الَّذِي يَشْهَدُ عَلَىٰ كَذِبِهِ فِي قِيلِهِ ذَلِكَ.. فَأَخْبَرَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ قَالَ مَا قَالَ مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ فِيمَا قَالُوهُ مُبْطِلُونَ، وَأَتَوْا مَا أَتَوْا مِنْ كُفْرِهِمْ بِمَا كَفَرُوا بِهِ عَلَىٰ مَعْرِفَةٍ مِنْهُمْ بِأَنَّهُمْ فِيهِ مُلْحِدُونَ.. فالكُلُّ يَتْلُو فِي كِتَابِهِ تَصْدِيقَ مَا كَفَرَ بِهِ، أَيْ يَكْفُرُ الْيَهُودُ بِعِيسَىٰ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا مَا أَخَذَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمِيثَاقِ عَلَىٰ لِسَانِ مُوسَىٰ بِالتَّصْدِيقِ بِعِيسَىٰ عليه السلام، وَفِي الْإِنْجِيلِ مِمَّا جَاءَ بِهِ عِيسَىٰ

تَصْدِيقُ مُوسَىٰ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ التَّوْرَاةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ وَكُلٌّ يَكْفُرُ بِمَا فِي يَدِ صَاحِبِهِ..

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ﴾ من مُشْرِكِي الْعَرَبِ، أو مِن غَيْرِهِم..

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ قَالُوا بِجَهْلِهِمْ..

﴿مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ﴾ نَظِيرَ مَا قَالَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ.. وَإِنَّمَا قَصَدَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- إِعْلَامَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ قَدْ أَتَوْا مِنْ قِيلِ الْبَاطِلِ، وَافْتِرَاءِ الْكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ، وَجُحُودِ نُبُوَّةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ فِيمَا يَقُولُونَ مُبْطِلُونَ، وَبِجُحُودِهِمْ مَا يَجْحَدُونَ مِنْ مِلَّتِهِمْ خَارِجُونَ، وَعَلَىٰ اللهِ مُفْتَرُونَ؛ مِثْلَ الَّذِي قَالَهُ أَهْلُ الْجَهْلِ بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ الَّذِينَ لَمْ يَبْعَثِ اللهُ لَهُمْ رَسُولًا وَلَا أَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ كِتَابًا.. وَهَٰذِهِ الْآيَةُ تُنْبِئُ عَنْ أَنَّ مَنْ أَتَىٰ شَيْئًا مِنْ مَعَاصِي اللهِ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُ بِنَهْيِ اللهِ عَنْهَا، فَمُصِيبَتُهُ فِي دِينِهِ أَعْظَمُ مِنْ مُصِيبَةِ مَنْ أَتَىٰ ذَٰلِكَ جَاهِلًا بِهِ..

﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ فَاللهُ يَقْضِي فَيَفْصِلُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ الْقَائِلِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ..

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ يَوْمَ قِيَامِ الْخَلْقِ لِرَبِّهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ لِمَحْشَرِهِمْ، فَيَتَبَيَّنُ الْمُحِقُّ مِنْهُمْ مِنَ الْمُبْطِلِ بِإِيتَائِهِ الْمُحِقَّ مَا وَعَدَ أَهْلَ طَاعَتِهِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ الصَّالِحَةِ وَمُجَازَاتِهِ الْمُبْطِلَ مِنْهُمْ بِمَا أَوْعَدَ أَهْلَ الْكُفْرِ بِهِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِهِ..

﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١١٣﴾ [البقرة: ١١٣] مِنْ أَدْيَانِهِمْ وَمِلَلِهِمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤﴾ [البقرة: ١١٤].

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ وَأَيُّ امْرِئٍ أَشَدُّ تَعَدِّيًا، وَجَرَاءَةً عَلَىٰ اللهِ، وَخِلَافًا لِأَمْرِهِ، مِن امْرِئٍ..

﴿مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ وَهُوَ كُلُّ مَوْضِعٍ عُبِدَ اللهُ فِيهِ..

﴿أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ أَنْ يُعْبَدَ اللهُ فِيهَا..

﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ﴾ وَمِمَّنْ سَعَىٰ فِي خَرَابِ مَسَاجِدِ اللهِ.. والَّذِينَ سَعَوْا فِي خَرَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَعَانُوا بُخْتَنَصَّرَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَمَنَعُوا مُؤْمِنِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ بَعْدَ مُنْصَرَفِ بُخْتَنَصَّرَ عَنْهُمْ إِلَىٰ بِلَادِهِ، هم النصارىٰ.. وَإِنْ كَانَ قَدْ دَلَّ بِعُمُومِهِ أَنَّ كُلَّ مَانِعٍ مُصَلِّيًا فِي مَسْجِدٍ لِلَّهِ فَرْضًا كَانَتْ صَلَاتُهُ فِيهِ أَوْ تَطَوُّعًا، وَكُلَّ سَاعٍ فِي إِخْرَابِهِ فَهُوَ مِنَ الْمُعْتَدِينَ الظَّالِمِينَ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ منْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ..

﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ﴾ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ دُخُولَ الْمَسَاجِدِ الَّتِي سَعَوْا فِي تَخْرِيبِهَا، وَمَنَعُوا عِبَادَ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِيهَا، مَا دَامُوا عَلَىٰ مُنَاصَبَةِ الْحَرْبِ..

﴿إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ إِلَّا عَلَىٰ خَوْفٍ وَوَجَلٍ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَىٰ دُخُولِها..

﴿لَهُمْ﴾ عَلَىٰ مَنْعِهِمْ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَسَعْيِهِمْ فِي خَرَابِهَا..

﴿فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ الذِّلَّةُ وَالْهَوَانُ وَالْقَتْلُ وَالسَّبْيُ..

﴿وَلَهُمْ﴾ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمِ وَكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ وَسَعْيِهِمْ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا..

﴿فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١٤﴾ [البقرة: ١١٤] فِي جَهَنَّمَ.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ١١٥﴾ [البقرة: ١١٥].

﴿وَلِلَّهِ﴾ مُلْكُ، وَتَدْبِيرُ، وَخَلْقُ..

﴿ٱلْمَشْرِقُ﴾ مَا بَيْنَ قُطْرَيِ الْمَشْرِقِ، الَّذِي تُشْرِقُ مِنْهُ الشَّمْسُ كُلَّ يَوْمٍ؛ إِذْ كَانَ شُرُوقُ الشَّمْسِ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْهُ لَا تَعُودُ لِشُرُوقِهَا مِنْهُ إِلَىٰ الْحَوْلِ الَّذِي بَعْدَهُ..

﴿وَٱلْمَغْرِبُ﴾ وَمَا بَيْنَ قُطْرَيِ الْمَغْرِبِ، الَّذِي تَغْرُبُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ؛ إِذْ كَانَ غُرُوبُ الشَّمْسِ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْهُ لَا تَعُودُ لِغُرُوبِها مِنْهُ إِلَىٰ الْحَوْلِ الَّذِي بَعْدَهُ.. فَلَا يَمْنَعْكُمْ تَخْرِيبُ مَنْ خَرَّبَ مَسَاجِدَ اللهِ، وَمَنْعُهُمْ مَنْ مَنَعُوا مِنْ ذِكْرِ اللهِ فِيهِ، أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ حَيْثُ كُنْتُمْ مِنْ أَرْضِ اللهِ تَبْتَغُونَ بِهِ وَجْهَهُ.. فَلِلَّهِ مُلْكُ الْخَلْقِ الَّذِي بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، يَتَعَبَّدُهُمْ بِمَا شَاءَ، وَيَحْكُمُ فِيهِمْ مَا يُرِيدُ، عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ..

﴿فَأَيْنَمَا﴾ فحَيْثُمَا..

﴿تُوَلُّوا۟﴾ تَتَّجِهُوا وتَسْتَقْبِلوا..

﴿فَثَمَّ﴾ هُنَالِكَ..

﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ فَوَلُّوا وجُوهَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ نَحْوَ وَجْهِي، فَإِنَّكُمْ أَيْنَمَا تُوَلُّوا وجُوهَكُمْ فَهُنَالِكَ وَجْهِي.. فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فِي حَالِ سَيْرِكُمْ فِي أَسْفَارِكُمْ، فِي صَلَاتِكُمُ التَّطَوُّعَ، وَفِي حَالِ مُسَايَفَتِكُمْ عَدُوَّكُمْ، فِي تَطَوُّعِكُمْ وَمَكْتُوبَتِكُمْ، فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ.. وأَيْنَمَا تُوَلُّوا مِنْ أَرْضِ اللهِ فَتكُونُوا بِهَا، فَثَمَّ قِبْلَةُ اللهِ الَّتِي تُوَجِّهُونَ وجُوهَكُمْ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّ الْكَعْبَةَ مُمْكِنٌ لَكُمُ التَّوَجُّهُ إِلَيْهَا مِنْهَا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾ يَسَعُ خَلْقَهُ كُلَّهُمْ بِالْكِفَايَةِ وَالْأَفْضَالِ وَالْجُودِ وَالتَّدْبِيرِ..

﴿عَلِيمٌ ۝﴾ [البقرة: ١١٥] بِأَفْعَالِهِمْ لَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْهَا شَيْءٌ وَلَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ، بَلْ هُوَ بِجَمِيعِهَا عَلِيمٌ.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ۝﴾ [البقرة: ١١٦].

﴿وَقَالُوا﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا، وَقَالُوا..

﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ وَهُمُ النَّصَارَىٰ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ عِيسَىٰ ابْنُ اللهِ.. فَقَالَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-، مُكَذِّبًا قِيلَهُمْ مَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ، وَمُنْتَفِيًا مِمَّا نَحَلُوهُ، وَأَضَافُوا إِلَيْهِ بِكَذِبِهِمْ وَفِرْيَتِهِمْ..

﴿سُبْحَانَهُ﴾ تَنْزِيهًا وَتَبْرِيئًا مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، وَعُلُوًّا وَارْتِفَاعًا عَنْ ذَلِكَ..

﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا، وَكَيْفَ يَكُونُ الْمَسِيحُ لِلَّهِ وَلَدًا، وَهُوَ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ، إِمَّا فِي السَّمَوَاتِ، وَإِمَّا فِي الْأَرْضِ، وَلِلَّهِ مُلْكُ مَا فِيهِمَا، وَلَوْ كَانَ الْمَسِيحُ ابْنًا -كَمَا زَعَمْتُمْ- لَمْ يَكُنْ كَسَائِرِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ خَلْقِهِ، وَعَبِيدِهِ فِي ظُهُورِ آيَاتِ الصَّنْعَةِ فِيهِ..

﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ۝﴾ [البقرة: ١١٦] مُطِيعُون، وَمُقِرُّون لِلَّهِ ﷻ بِالْعُبُودِيَّةِ، بِشَهَادَةِ أَجْسَامِهِمْ بِمَا فِيهَا مِنْ آثَارِ الصَّنْعَةِ وَالدَّلَالَةِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ ﷻ، وَأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بَارِئُهَا وَخَالِقُهَا، فَأَلْسِنَتُهُمْ مُذْعِنَةٌ لَهُ بِالطَّاعَةِ بِشَهَادَتِهَا لَهُ بِآثَارِ الصَّنْعَةِ الَّتِي فِيهَا بِذَلِكَ، وَأَنَّ الْمَسِيحَ أَحَدُهُمْ، فَأَنَّىٰ يَكُونُ للهِ وَلَدٌ وَهَذِهِ صِفَتُهُ؟!.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ -جَلَّ وَعَزَّ- عَنْ أَنَّ الْمَسِيحَ -الَّذِي زَعَمَتِ النَّصَارَىٰ أَنَّهُ ابْنُ اللهِ- مُكَذِّبُهُمْ، هُوَ وَالسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهَا، إِمَّا بِاللِّسَانِ، وَإِمَّا بِالدَّلَالَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَخْبَرَ عَنْ جَمِيعِهِمْ بِطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَإِقْرَارِهِمْ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ عُقَيْبَ قوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝﴾ [البقرة: ١١٧].

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُبْدِعُهَا، والْمُبْدِعُ: هو الْمُنْشِئُ وَالْمُحْدِثُ مَا لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَىٰ إِنْشَاءِ مِثْلِهِ وَإِحْدَاثِهِ أَحَدٌ؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الْمُبْتَدِعُ فِي الدِّينِ مُبْتَدِعًا لِإِحْدَاثِهِ فِيهِ مَا لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ غَيْرُهُ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مُحْدَثٍ فِعْلًا أَوْ قَوْلًا لَمْ يَتَقَدَّمْهُ فِيهِ مُتَقَدِّمٌ، فَإِنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّيهِ مُبْتَدِعًا.. فَسُبْحَانَ اللهِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ، وَهُوَ مَالِكُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، تَشْهَدُ لَهُ جَمِيعًا -بِدَلَالَتِهَا عَلَيْهِ- بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَتُقِرُّ لَهُ بِالطَّاعَةِ؛ وَهُوَ

بَارِئُهَا وَخَالِقُهَا، وَمُوجِدُهَا مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ، وَلَا مِثَالٍ احْتَذَاهَا عَلَيْهِ.. وَهَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عِبَادَهُ، أَنَّ مِمَّا يَشْهَدُ لَهُ بِذَلِكَ الْمَسِيحُ الَّذِي أَضَافُوا إِلَىٰ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بُنُوَّتَهُ، وَإِخْبَارٌ مِنْهُ لَهُمْ أَنَّ الَّذِي ابْتَدَعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ وَعَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ، هُوَ الَّذِي ابْتَدَعَ الْمَسِيحَ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ بِقُدْرَتِهِ..

﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ﴾ أَحْكَمَ..

﴿أَمْرًا﴾ وَحَتَمَهُ، وأَرَادَ تَكْوِينَهُ..

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ﴾ لِذَلِكَ الْأَمْرِ..

﴿كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة: ١١٧] ذَلِكَ الْأَمْرُ مَوْجُودًا، عَلَىٰ مَا أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَكُونَ وَأَرَادَهُ، لَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ.. وكَذَلِكَ كَانَ ابْتِدَاعُهُ الْمَسِيحَ وَإِنْشَاؤُهُ إِذْ أَرَادَ خَلْقَهُ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [البقرة: ١١٨].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ وهم النَّصَارَىٰ الْجُهَّالُ بِاللهِ وَبِعَظَمَتِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ فِي سِيَاقِ خَبَرِ اللهِ عَنْهُمْ، وَعَنِ افْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ وَادِّعَائِهِمْ لَهُ وَلَدًا، فَقَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-، مُخْبِرًا عَنْهُمْ فِيمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ أَنَّهُمْ مَعَ افْتِرَائِهِمْ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾ [البقرة: ١١٦]، تَمَنَّوْا عَلَىٰ اللهِ الْأَبَاطِيلَ، فَقَالُوا جَهْلًا مِنْهُمْ بِاللهِ وَبِمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَهُ وَهُمْ بِاللهِ مُشْرِكُونَ..

﴿لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ كَمَا يُكَلِّمُ رُسُلَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ..

﴿أَوۡ تَأۡتِينَآ﴾ تَجِيئُنَا..

﴿ءَايَةٞۗ﴾ وعَلَامَةٌ مِنَ اللهِ كَمَا أَتَتِ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ، نَعْرِفُ بِهَا صِدْقَ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ.. وَلَا يَنْبَغِي للهِ أَنْ يُكَلِّمَ إِلَّا أَوْلِيَاءَهُ، وَلَا يُؤْتِي آيَةً مُعْجِزَةً عَلَىٰ دَعْوَىٰ مُدَّعٍ، إِلَّا لِمَنْ كَانَ مُحِقًّا فِي دَعْوَاهُ، وَدَاعِيًا إِلَىٰ اللهِ وَتَوْحِيدِهِ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ كَاذِبًا فِي دَعْوَاهُ، وَدَاعِيًا إِلَىٰ الْفِرْيَةِ عَلَيْهِ، وَادِّعَاءِ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ لَهُ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-، أَوْ يُؤْتِيَهُ آيَةً مُعْجِزَةً تَكُونُ مُؤَيِّدَةً كَذِبَهُ وَفِرْيَتَهُ عَلَيْهِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا قَالَ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالُ مِنَ النَّصَارَىٰ وَتَمَنَّوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ مِنَ الْيَهُودِ..

﴿مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ﴾ لما سَأَلُوا مُوسَىٰ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ رَبَّهُمْ جَهْرَةً، وَأَنْ يُسْمِعَهُمْ كَلَامَ رَبِّهِمْ، وَسَأَلُوا مِنَ الْآيَاتِ مَا لَيْسَ لَهُمْ مَسْأَلَتُهُ، تَحَكُّمًا مِنْهُمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَكَذَلِكَ تَمَنَّتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ

رَبِّهَا، تَحَكُّمًا مِنْهَا عَلَيْهِ أَنْ يُسْمِعَهُمْ كَلَامَهُ وَيُرِيَهُمْ مَا أَرَادُوا مِنَ الْآيَاتِ..

﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ تَشَابَهَت قُلُوبُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ فِي تَمَرُّدِهِمْ عَلَىٰ اللهِ، وَقِلَّةِ مَعْرِفَتِهِمْ بِعَظَمَتِهِ، وَجَرْأَتِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، كَمَا اشْتَبَهَتْ أَقْوَالُهُمُ الَّتِي قَالُوهَا، فَهُمْ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ مَذَاهِبُهُمْ فِي كَذِبِهِمْ عَلَىٰ اللهِ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ، فَقُلُوبُهُمْ مُتَشَابِهَةٌ فِي الْكُفْرِ بِرَبِّهِمْ وَالْفِرْيَةِ عَلَيْهِ، وَتَحَكُّمِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ..

﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ والْعَلَامَاتِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا غَضِبَ اللهُ عَلَىٰ الْيَهُودِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ، وَأَعَدَّ لَهُمُ الْعَذَابَ الْمُهِينَ فِي مَعَادِهِمْ، وَالَّتِي مِنْ أَجْلِهَا أَخْزَىٰ اللهُ النَّصَارَىٰ فِي الدُّنْيَا، وَأَعَدَّ لَهُمُ الْخِزْيَ وَالْعَذَابَ الْأَلِيمَ فِي الْآخِرَةِ، وَالَّتِي مِنْ أَجْلِهَا جَعَلَ سُكَّانَ الْجِنَانِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا وجُوهَهُمْ لِلَّهِ وَهُمْ مُحْسِنُونَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَغَيْرِهَا، فَأُعْلِمُوا الْأَسْبَابَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا اسْتَحَقَّ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ مِنَ اللهِ مَا فَعَلَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ..

﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝١١٨﴾ [البقرة: ١١٨] لِأَنَّهُمْ أَهْلُ التَّثَبُّتِ فِي الْأُمُورِ، وَالطَّالِبُونَ مَعْرِفَةَ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ عَلَىٰ يَقِينٍ وَصِحَّةٍ، فَأَخْبَرَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّهُ بَيَّنَ لِمَنْ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ صِفَتَهُ، مَا بَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ لِيَزُولَ شَكُّهُ، وَيَعْلَمَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ خَبَرًا مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-، وَخَبَرُ اللهِ هو الْخَبَرُ الَّذِي لَا يُعْذَرُ سَامِعُهُ بِالشَّكِّ فِيهِ، وَقَدْ يَحْتَمِلُ غَيْرُهُ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا يَحْتَمِلُ مِنَ الْأَسْبَابِ الْعَارِضَةِ فِيهِ، كالسَّهْوِ وَالْغَلَطِ وَالْكَذِبِ، وَذَلِكَ مَنْفِيٌّ عَنْ خَبَرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ۝١١٩﴾ [البقرة: ١١٩].

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بِالْإِسْلَامِ الَّذِي لَا أَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهُ مِنَ الْأَدْيَانِ..

﴿بَشِيرًا﴾ مُبَشِّرًا مَنِ اتَّبَعَكَ فَأَطَاعَكَ وَقَبِلَ مِنْكَ مَا دَعَوْتَهُ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، بِالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا، وَالظَّفَرِ بِالثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِيهَا..

﴿وَنَذِيرًا﴾ وَمُنْذِرًا مَنْ عَصَاكَ فَخَالَفَكَ وَرَدَّ عَلَيْكَ مَا دَعَوْتَهُ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ بِالْخِزْيِ فِي الدُّنْيَا، وَالذُّلِّ فِيهَا، وَالْعَذَابِ الْمُهِينِ فِي الْآخِرَةِ.. فَبَلِّغْ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ.

﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ۝١١٩﴾ [البقرة: ١١٩] فَلَسْتَ مَسْئُولًا عَمَّنْ كَفَرَ بِمَا أَتَيْتَهُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ، فَلَيْسَ عَلَيْكَ مِنْ أَعْمَالِ مَنْ كَفَرَ بِكَ بَعْدَ إِبْلَاغِكَ إِيَّاهُ رِسَالَتِي تَبِعَةٌ، وَلَا أَنْتَ مَسْئُولٌ عَمَّا فَعَلَ بَعْدَ ذَلِكَ.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾ [البقرة: ١٢٠].

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ وَلَيْسَتِ الْيَهُودُ يَا مُحَمَّدُ وَلَا النَّصَارَىٰ بِرَاضِيَةٍ عَنْكَ أَبَدًا، فَدَعْ طَلَبَ مَا يُرْضِيهِمْ وَيُوَافِقُهُمْ، وَأَقْبِلْ عَلَىٰ طَلَبِ رِضا اللهِ فِي دُعَائِهِمْ إِلَىٰ مَا بَعَثَكَ اللهُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، فَإِنَّ الَّذِي تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ ذَٰلِكَ لَهُوَ السَّبِيلُ إِلَىٰ الِاجْتِمَاعِ فِيهِ مَعَكَ عَلَىٰ الْأُلْفَةِ وَالدِّينِ الْقَيِّمِ، وَلَا سَبِيلَ لَكَ إِلَىٰ إِرْضَائِهِمْ بِاتِّبَاعِ مِلَّتِهِمْ؛ لِأَنَّ الْيَهُودِيَّةَ ضِدُّ النَّصْرَانِيَّةِ، وَالنَّصْرَانِيَّةَ ضِدُّ الْيَهُودِيَّةِ، وَلَا تَجْتَمِعُ النَّصْرَانِيَّةُ وَالْيَهُودِيَّةُ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ..

﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ﴾ وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ لَا تَجْتَمِعُ عَلَىٰ الرِّضَا بِكَ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ يَهُودِيًّا نَصْرَانِيًّا، وَذَٰلِكَ مِمَّا لَا يَكُونُ مِنْكَ أَبَدًا، لِأَنَّكَ شَخْصٌ وَاحِدٌ، وَلَنْ يَجْتَمِعَ فِيكَ دِينَانِ مُتَضَادَّانِ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَىٰ اجْتِمَاعِهِمَا فِيكَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ سَبِيلٌ، لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَىٰ إِرْضَاءِ الْفَرِيقَيْنِ سَبِيلٌ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَىٰ ذَٰلِكَ سَبِيلٌ، فَالْزَمْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي لِجَمْعِ الْخَلْقِ إِلَىٰ الْأُلْفَةِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ.. ثُمَّ قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ النَّصَارَىٰ وَالْيَهُودِ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ﴾ [البقرة: ١١١]..

﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ إِنَّ بَيَانَ اللهِ..

﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ﴾ هُوَ الْبَيَانُ الْمُقْنِعُ، وَالْقَضَاءُ الْفَاصِلُ بَيْنَنَا، فَهَلُمُّوا إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَبَيَانِهِ، الَّذِي بَيَّنَ فِيهِ لِعِبَادِهِ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ -وَهُوَ التَّوْرَاةُ الَّتِي تُقِرُّونَ جَمِيعًا بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ- يَتَّضِحْ لَكُمْ فِيهَا الْمُحِقُّ مِنَّا مِنَ الْمُبْطِلِ، وَأَيُّنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَأَيُّنَا أَهْلُ النَّارِ، وَأَيُّنَا عَلَىٰ الصَّوَابِ، وَأَيُّنَا عَلَىٰ الْخَطَأِ.. وَإِنَّمَا أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَىٰ هُدَىٰ اللهِ وَبَيَانِهِ؛ لِأَنَّ فِيهِ تَكْذِيبَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ فِيمَا قَالُوا مِنْ أَنَّ الْجَنَّةَ لَنْ يَدْخُلَهَا إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ، وَبَيَانَ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّ الْمُكَذِّبَ بِهِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ دُونَ الْمُصَدِّقِ بِهِ..

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَهْوَآءَهُم﴾ هَوَىٰ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، فِيمَا يُرْضِيهِمْ عَنْكَ مِنْ تَهَوُّدٍ وَتَنَصُّرٍ، فَصِرْتَ مِنْ ذَٰلِكَ إِلَىٰ إِرْضَائِهِمْ، وَوَافَقْتَ فِيهِ مَحَبَّتَهُمْ..

﴿بَعْدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ مِنْ بَعْدِ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ بِضَلَالَتِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَمِنْ بَعْدِ الَّذِي اقْتَصَصْتُ عَلَيْكَ مِنْ نَبَئِهِمْ فِي هَٰذِهِ السُّورَةِ..

﴿مَا لَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يَلِي أَمْرَكَ، وَقَيِّمٍ يَقُومُ عَلَيْكَ..

﴿وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾ [البقرة: ١٢٠] يَنْصُرُكَ مِنَ اللهِ، فَيَدْفَعُ عَنْكَ مَا يَنْزِلُ بِكَ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَيَمْنَعُكَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ أَحَلَّ بِكَ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ دَعَتْهُ إِلَىٰ أَدْيَانِهَا، وَقَالَ كُلُّ حِزْبٍ مِنْهُمْ: إِنَّ الْهُدَىٰ هُوَ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ دُونَ مَا عَلَيْهِ غَيْرُنَا مِنْ سَائِرِ الْمِلَلِ، فَوَعَظَهُ اللهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، وَعَلَّمَهُ الْحُجَّةَ الْفَاصِلَةَ بَيْنَهُمْ فِيمَا ادَّعَىٰ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٢١﴾

[البقرة: ١٢١].

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ مِنْ عُلَمَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ، فَأَقَرُّوا بِحُكْمِ التَّوْرَاةِ، فَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَ اللهُ فِيهَا مِنَ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَالتَّصْدِيقِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿يَتْلُونَهُۥ﴾ يَتَّبِعُونَ كِتَابِي الَّذِي أَنْزَلْتُهُ عَلَىٰ رَسُولِي مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللهُ عَلَيْهِ..

﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ مُبَالَغَةٌ فِي صِفَةِ اتِّبَاعِهِمُ الْكِتَابَ، وَلُزُومِهِمُ الْعَمَلَ بِهِ، كَمَا يُقَالُ: إِنَّ فُلَانًا لَعَالِمٌ حَقُّ عَالِمٍ، وَكَمَا يُقَالُ: إِنَّ فُلَانًا لَفَاضِلٌ كُلُّ فَاضِلٍ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَتْلُونَ مَا آتَاهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَقَّ تِلَاوَتِهِ...

﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ﴾ وَيُقِرُّونَ بِمَا فِيهِ مِنْ نَعْتِكَ وَصِفَتِكَ، وَأَنَّكَ رَسُولِي، فُرِضَ عَلَيْهِمْ طَاعَتِي فِي الْإِيمَانِ بِكَ وَالتَّصْدِيقِ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي، وَيَعْمَلُونَ بِمَا أَحْلَلْتَ لَهُمْ، وَيَجْتَنِبُونَ مَا حَرَّمْتَ عَلَيْهِمْ فِيهِ، وَلَا يُحَرِّفُونَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَلَا يُبَدِّلُونَهُ وَلَا يُغَيِّرُونَهُ كَمَا أَنْزَلْتُهُ عَلَيْهِمْ بِتَأْوِيلٍ وَلَا غَيْرِهِ.. فَأَخْبَرَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّ الْمُؤْمِنَ بِالتَّوْرَاةِ هُوَ الْمُتَّبِعُ مَا فِيهَا مِنْ حَلَالِهَا وَحَرَامِهَا، وَالْعَامِلُ بِمَا فِيهَا مِنْ فَرَائِضِ اللهِ الَّتِي فَرَضَهَا فِيهَا عَلَىٰ أَهْلِهَا، وَأَنَّ أَهْلَهَا الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا مَنْ كَانَ ذَلِكَ صِفَتَهُ، دُونَ مَنْ كَانَ مُحَرِّفًا لَهَا مُبَدِّلًا تَأْوِيلَهَا مُغَيِّرًا سُنَنَهَا تَارِكًا مَا فَرَضَ اللهُ فِيهَا عَلَيْهِ.. وَإِنَّمَا وَصَفَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- مَنْ وَصَفَ بِمَا وَصَفَ بِهِ مِنْ مُتَّبِعِي التَّوْرَاةِ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ بِمَا أَثْنَىٰ بِهِ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ فِي اتِّبَاعِهَا اتِّبَاعَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ اللهِ ﷺ وَتَصْدِيقَهُ، لِأَنَّ التَّوْرَاةَ تَأْمُرُ أَهْلَهَا بِذَلِكَ وَتُخْبِرُهُمْ عَنِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِنُبُوَّتِهِ وَفَرْضِ طَاعَتِهِ عَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِ اللهِ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَأَنَّ فِي التَّكْذِيبِ بِمُحَمَّدٍ التَّكْذِيبَ بِهَا، فَأَخْبَرَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّ مُتَّبِعِي التَّوْرَاةِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُمُ الْعَامِلُونَ بِمَا فِيهَا..

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْكِتَابِ الَّذِي أَخْبَرَ أَنَّهُ يَتْلُوهُ مَنْ آتَاهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، فَيَجْحَدُ مَا فِيهِ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ وَنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَتَصْدِيقِهِ، وَيُبَدِّلُهُ، فَيُحَرِّفُ تَأْوِيلَهُ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١] الَّذِينَ خَسِرُوا عِلْمَهُمْ وَعَمَلَهُمْ، فَبَخَسُوا أَنْفُسَهُمْ حُظُوظَهَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَاسْتَبْدَلُوا بِهَا سَخَطَ اللهِ وَغَضَبَهُ.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ١٢٢﴾ [البقرة: ١٢٢].

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ وَصَنَائِعِي عِنْدَكُمْ، وَاسْتِنْقَاذِي إِيَّاكُمْ مِنْ أَيْدِي عَدُوِّكُمْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَإِنْزَالِي عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ فِي تِيهِكُمْ، وَتَمْكِينِي لَكُمْ فِي الْبِلَادِ، بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ مُذَلَّلِينَ مَقْهُورِينَ، وَاخْتِصَاصِي الرُّسُلَ مِنْكُمْ..

﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ١٢٢﴾ [البقرة: ١٢٢] وَتَفْضِيلِي إِيَّاكُمْ عَلَىٰ عَالَمِ مَنْ كُنْتُم بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ، أَيَّامَ أَنْتُمْ فِي طَاعَتِي، بِاتِّبَاعِ رَسُولِي إِلَيْكُمْ، وَتَصْدِيقِهِ وَتَصْدِيقِ مَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي، وَدَعُوا التَّمَادِيَ فِي الضَّلَالِ وَالْغَيِّ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ عِظَةٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لِلْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَذْكِيرٌ مِنْهُ لَهُمْ مَا سَلَفَ مِنْ أَيَادِيهِ إِلَيْهِمْ فِي صُنْعِهِ بِأَوَائِلِهِمْ، اسْتِعْطَافًا مِنْهُ لَهُمْ عَلَىٰ دِينِهِ، وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾ [البقرة: ١٢٣].

﴿وَٱتَّقُواْ﴾ يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمُبَدِّلِينَ كِتَابِي وَتَنْزِيلِي، الْمُحَرِّفِينَ تَأْوِيلَهُ عَنْ وَجْهِهِ، الْمُكَذِّبِينَ بِرَسُولِي مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿يَوْمًا﴾ عَذَابَ يَوْمٍ..

﴿لَّا تَجْزِي﴾ لَا تَقْضِي فِيهِ..

﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ وَلَا تُغْنِي عَنْهَا غَنَاءً، أَنْ تَهْلَكُوا عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ كُفْرِكُمْ بِي، وَتَكْذِيبِكُمْ رَسُولِي، فَتَمُوتُوا عَلَيْهِ..

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فَإِنَّهُ يَوْمٌ لَا يُقْبَلُ مِنْ نَفْسٍ فِيمَا لَزِمَهَا فِدْيَةٌ..

﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ وَلَا يَشْفَعُ فِيمَا وَجَبَ عَلَيْهَا مِنْ حَقٍّ لَهَا شَافِعٌ..

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [البقرة: ١٢٣] وَلَا هُمْ يَنْصُرُهُمْ نَاصِرٌ مِنَ اللهِ، إِذَا انْتَقَمَ مِنْهَا بِمَعْصِيَتِهَا إِيَّاهُ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ تَرْهِيبٌ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لِلَّذِينَ سَلَفَتْ عِظَتُهُ إِيَّاهُمْ بِمَا وَعَظَهُمْ بِهِ فِي الْآيَةِ قَبْلَهَا.

﴿* وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: ١٢٤].

﴿* وَإِذِ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ﴾ [البقرة: ١٢٢]، وَاذْكُرُوا إِذِ..

﴿ٱبْتَلَىٰٓ﴾ وَاخْتَبَرَ..

﴿إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ وَكَانَ اخْتِبَارُ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِبْرَاهِيمَ، اخْتِبَارًا بِفَرَائِضَ فَرَضَهَا عَلَيْهِ، وَأَمْرٍ أَمَرَهُ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَوْحَاهُنَّ إِلَيْهِ وَكَلَّفَهُ الْعَمَلَ بِهِنَّ امْتِحَانًا مِنْهُ لَهُ وَاخْتِبَارًا.. قَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ ثَلَاثُونَ سَهْمًا مِن شَرَائِعِ الإِسْلَامِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هي عَشْرُ خِلَالٍ؛ بَعْضُهُنَّ فِي تَطْهِيرِ الْجَسَدِ، وَبَعْضُهُنَّ فِي مَنَاسِكِ الْحَجِّ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا فِي مَنَاسِكِ الْحَجِّ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ مَنَاسِكُ الْحَجِّ خَاصَّةً.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ الْخِلَالُ السِّتُّ: الْكَوْكَبُ، وَالْقَمَرُ، وَالشَّمْسُ، وَالنَّارُ، وَالْهِجْرَةُ، وَالْخِتَانُ، الَّتِي ابْتُلِيَ بِهِنَّ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ.. وَقَالَ آخَرُونَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي ابْتَلَىٰ بِهِنَّ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٨-١٢٩].. وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْكَلِمَاتُ جَمِيعَ ذلك، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ بَعْضَهُ؛ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ قَدْ كَانَ امْتُحِنَ فِيمَا بَلَغَنَا بِكُلِّ ذَلِكَ، فَعَمِلَ بِهِ وَقَامَ فِيهِ بِطَاعَةِ اللهِ وَأَمْرِهِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ فِيهِ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: عَنَىٰ اللهُ بِالْكَلِمَاتِ الَّتِي ابْتُلِيَ بِهِنَّ إِبْرَاهِيمُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ بِعَيْنِهِ دُونَ شَيْءٍ، وَلَا عَنَىٰ بِهِ كُلَّ ذَلِكَ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا مِنْ خَبَرٍ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، أَوْ إِجْمَاعٍ مِنَ الْحُجَّةِ..

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ فَأَتَمَّ إِبْرَاهِيمُ الْكَلِمَاتِ، وَإِتْمَامُهُ إِيَّاهُنَّ إِكْمَالُهُ إِيَّاهُنَّ بِالْقِيَامِ لِلَّهِ بِمَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ فِيهِنَّ، وَهُوَ الْوَفَاءُ الَّذِي قَالَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: ٣٧] يَعْنِي: وَفَّىٰ بِمَا عَهِدَ إِلَيْهِ بِالْكَلِمَاتِ، فَأَمَرَهُ بِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَمِحَنِهِ فِيهَا..

﴿قَالَ﴾ اللهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ..

﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾ إِنِّي مُصَيِّرُكَ..

﴿لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ تَؤُمُّ مَنْ بَعْدَكَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِي وَبِرُسُلِي، فَتَقَدَّمُهُمْ أَنْتَ، وَيَتَّبِعُونَ هَدْيَكَ، وَيَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِكَ الَّتِي تَعْمَلُ بِهَا، بِأَمْرِي إِيَّاكَ وَوَحْيِي إِلَيْكَ..

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا رَفَعَ اللهُ مَنْزِلَتَهُ وَكَرَّمَهُ، فَأَعْلَمَهُ مَا هُوَ صَانِعٌ بِهِ مِنْ تَصْيِيرِهِ إِمَامًا فِي الْخَيْرَاتِ لِمَنْ فِي عَصْرِهِ، وَلِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَسَائِرِ النَّاسِ غَيْرِهِمْ، يُهْتَدَىٰ بِهَدْيِهِ وَيُقْتَدَىٰ بِأَفْعَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ: يَا رَبِّ..

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ فَاجْعَلْ أَئِمَّةً يُقْتَدَىٰ بِهِمْ، كَالَّذِي جَعَلْتَنِي إِمَامًا يُؤْتَمُّ بِهِ وَيُقْتَدَىٰ بِي..

﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عَنْ أَنَّ الظَّالِمَ لَا يَكُونُ إِمَامًا يَقْتَدِي بِهِ أَهْلُ الْخَيْرِ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ فَاعِلٌ ذَلِكَ إِلَّا بِمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الظُّلْمِ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مُصَيِّرِهِ كَذَلِكَ، وَلَا جَاعِلِهِ فِي مَحَلِّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ بِالتَّكْرِمَةِ بِالْإِمَامَةِ؛ لِأَنَّ الْإِمَامَةَ إِنَّمَا هِيَ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ دُونَ أَعْدَائِهِ وَالْكَافِرِينَ بِهِ.. وَهَذَا الْكَلَامُ إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لِإِبْرَاهِيمَ أَنَّ مِنْ وَلَدِهِ مَنْ يُشْرِكُ بِهِ، وَيَزُولُ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَيَظْلِمُ نَفْسَهُ وَعِبَادَهُ.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

﴿وَإِذْ﴾ عَطْفٌ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤]..

﴿جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ الْحَرَامَ..

﴿مَثَابَةً﴾ مَرْجِعًا وَمَعَاذًا..

﴿لِّلنَّاسِ﴾ يَأْتُونَهُ كُلَّ عَامٍ وَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، فَلَا يَقْضُونَ مِنْهُ وَطَرًا..

﴿وَأَمْنًا﴾ لِأَنَّهُ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَعَاذًا لِمَنِ اسْتَعَاذَ بِهِ، وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لَوْ لَقِيَ بِهِ قَاتِلَ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ لَمْ يُهِجْهُ وَلَمْ يَعْرِضْ لَهُ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْهُ، وَكَانَ كَمَا قَالَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]..

﴿وَاتَّخِذُوا﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ تُصَلُّونَ عِنْدَهُ، عِبَادَةً مِنْكُمْ، وَتَكْرِمَةً مِنِّي لِإِبْرَاهِيمَ.. فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوِ اتَّخَذْتَ الْمَقَامَ مُصَلًّى؟ فَأَنْزَلَ اللهُ:

﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.. وعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: اسْتَلَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرُّكْنَ، فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَىٰ أَرْبَعًا، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَىٰ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ فَقَرَأَ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ.. فَهَذَانِ الْخَبَرَانِ يُنْبِئَانِ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِنَّمَا عَنَىٰ بِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ المقامَ المعروفَ بِهَذَا الِاسْمِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..

﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ وَأَمَرْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ بِتَطْهِيرِ بَيْتِي، وَالتَّطْهِيرِ الَّذِي أَمَرَهُمَا اللهُ بِهِ فِي الْبَيْتِ، هُوَ تَطْهِيرُهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فِيهِ، وَمِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَهَلْ كَانَ أَيَّامَ إِبْرَاهِيمَ -قَبْلَ بِنَائِهِ الْبَيْتَ- بَيْتٌ يُطَهَّرُ مِنَ الشِّرْكِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فِي الْحَرَمِ، فَيَجُوزَ أَنْ يَكُونَا أُمِرَا بِتَطْهِيرِهِ؟ قِيلَ: لِذَلِكَ وَجْهَانِ مِنَ التَّأْوِيلِ، قَدْ قَالَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْوَجْهَيْنِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ، أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنِ ابْنِيَا بَيْتِي مُطَهَّرًا مِنَ الشِّرْكِ وَالرَّيْبِ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: ١٠٩]، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ أَيِ ابْنِيَا بَيْتِي عَلَىٰ طُهْرٍ مِنَ الشِّرْكِ بِي وَالرَّيْبِ، وَالْوَجْهُ الْآخَرُ مِنْهُمَا أَنْ يَكُونَا أُمِرَا بِأَنْ يُطَهِّرَا مَكَانَ الْبَيْتِ قَبْلَ بُنْيَانِهِ، وَالْبَيْتَ بَعْدَ بُنْيَانِهِ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الشِّرْكِ بِاللهِ يَجْعَلُونَهُ فِيهِ عَلَىٰ عَهْدِ نُوحٍ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأَوْثَانِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ سُنَّةً لِمَنْ بَعْدَهُمَا، إِذْ كَانَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَدْ جَعَلَ إِبْرَاهِيمَ إِمَامًا يَقْتَدِي بِهِ مَنْ بَعْدَهِ..

﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ الَّذِينَ يَطُوفُونَ بِهِ، غُرَبَاءَ كَانُوا أَوْ مِنْ أَهْلِهِ..

﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ وَالْمُقِيمِينَ فِي الْبَيْتِ، مُجَاوِرِين فِيهِ، بِغَيْرِ طَوَافٍ وَلَا صَلَاةٍ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْمُعْتَكِفِ مُعْتَكِفٌ مِنْ أَجْلِ مُقَامِهِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي حَبَسَ فِيهِ نَفْسَهُ لِلَّهِ تَعَالَىٰ.. وَالْمُقِيمُ بِالْمَكَانِ قَدْ يَكُونُ مُقِيمًا بِهِ وَهُوَ جَالِسٌ وَمُصَلٍّ وَطَائِفٌ وَقَائِمٌ، وَعَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ؛ فَلَمَّا كَانَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَدْ ذَكَرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ١٢٥﴾ الْمُصَلِّينَ وَالطَّائِفِينَ، عُلِمَ بِذَلِكَ أَنَّ الْحَالَ الَّتِي عَنَىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مِنَ الْعَاكِفِ، غَيْرُ حَالِ الْمُصَلِّي وَالطَّائِفِ، وَأَنَّ الَّتِي عَنَىٰ مِنْ أَحْوَالِهِ هُوَ الْعُكُوفُ بِالْبَيْتِ عَلَىٰ سَبِيلِ الْجِوَارِ فِيهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُصَلِّيًا فِيهِ وَلَا رَاكِعًا وَلَا سَاجِدًا..

﴿وَالرُّكَّعِ﴾ جَمَاعَةُ الْقَوْمِ الرَّاكِعِينَ فِيهِ لَهُ، وَاحِدُهُمْ رَاكِعٌ..

﴿ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾ [البقرة: ١٢٥] هُمْ جَمَاعَةُ الْقَوْمِ السَّاجِدِينَ فِيهِ لَهُ، وَاحِدُهُمْ سَاجِدٌ.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ١٢٦﴾ [البقرة: ١٢٦].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ..

﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ مِنَ الْجَبَابِرَةِ وَغَيْرِهِمْ أَنْ يُسَلَّطُوا عَلَيْهِ، وَمِنْ عُقُوبَةِ اللهِ أَنْ تَنَالَهُ، كَمَا تَنَالُ سَائِرَ الْبُلْدَانِ، مِنْ خَسْفٍ، وَانْتِفَاكٍ، وَغَرَقٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَخَطِ اللهِ وَمَثُلَاتِهِ الَّتِي تُصِيبُ سَائِرَ الْبِلَادِ غَيْرَهُ..

﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَ مُؤْمِنِي أَهْلِ مَكَّةَ مِنَ الثَّمَرَاتِ دُونَ كَافِرِيهِمْ، وَخَصَّ بِمَسْأَلَةِ ذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ الْكَافِرِينَ، لِمَا أَعْلَمَهُ اللهُ عِنْدَ مَسْأَلَتِهِ إِيَّاهُ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَئِمَّةً يُقْتَدَىٰ بِهِمْ، أَنَّ مِنْهُمُ الْكَافِرَ الَّذِي لَا يَنَالُ عَهْدَهُ، وَالظَّالِمُ الَّذِي لَا يُدْرِكُ وِلَايَتَهُ، فَلَمَّا أُعْلِمَ أَنَّ مِنَ ذُرِّيَّتِهِ الظَّالِمَ وَالْكَافِرَ، خَصَّ بِمَسْأَلَتِهِ رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَ مِنَ الثَّمَرَاتِ مِنْ سُكَّانِ مَكَّةَ الْمُؤْمِنَ مِنْهُمْ دُونَ الْكَافِرِ.. وَإِنَّمَا سَأَلَ إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ مَا سَأَلَ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ حَلَّ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ وَلَا مَاءٍ وَلَا أَهْلٍ، فَسَأَلَ أَنْ يَرْزُقَ أَهْلَهُ ثَمَرًا، وَأَنْ يَجْعَلَ أَفْئِدَةَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ..

﴿قَالَ﴾ اللهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ، وَرَزَقْتُ مُؤْمِنِي أَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ مِنَ الثَّمَرَاتِ..

﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ فَأَجْعَلُ مَا أَرْزُقُهُ مِنْ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ مَتَاعًا يَتَمَتَّعُ بِهِ إِلَىٰ وَقْتِ مَمَاتِهِ..

﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ ثُمَّ أَدْفَعُهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَأَسُوقُهُ إِلَيْهَا سَحْبًا وَجَرًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣﴾ [الطور: ١٣]..

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ١٢٦﴾ [البقرة: ١٢٦] وَسَاءَ الْمَصِيرُ عَذَابُ النَّارِ، بَعْدَ الَّذِي كَانُوا فِيهِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الَّذِي مَتَّعْتُهُمْ فِيهَا.. و(بِئْسَ) أَصْلُهُ مِنَ الْبُؤْسِ.. وَالْمَصِيرُ هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَصِيرُ إِلَيْهِ الْكَافِرُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧].

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ..

﴿يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ يَقُولَانِ..

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ عَمَلَنَا وَطَاعَتَنَا إِيَّاكَ وَعِبَادَتَنَا لَكَ فِي انْتِهَائِنَا إِلَىٰ أَمْرِكَ الَّذِي أَمَرْتَنَا بِهِ فِي بِنَاءِ بَيْتِكَ الَّذِي أَمَرْتَنَا بِبِنَائِهِ.. وفيه دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ أَنَّ بِنَاءَهُمَا ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مَسْكَنًا يَسْكُنَانِهِ، وَلَا مَنْزِلًا يَنْزِلَانِهِ، بَلْ هُوَ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهُمَا بَنَيَاهُ وَرَفَعَا قَوَاعِدَهُ لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْبُدَ اللهَ، تَقَرُّبًا مِنْهُمَا إِلَىٰ اللهِ بِذَلِكَ؛ وَلِذَلِكَ قَالَا: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾، وَلَوْ كَانَا بَنَيَاهُ مَسْكَنًا لِأَنْفُسِهِمَا، لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِمَا: ﴿تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ وَجْهٌ مَفْهُومٌ؛ لِأَنَّهُ كَانَا يَكُونَانِ -لَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ- سَائِلَيْنِ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْهُمَا مَا لَا قُرْبَةَ فِيهِ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ مِنْ صِفَتِهِمَا مَسْأَلَةُ اللهِ قَبُولَ مَا لَا قُرْبَةَ إِلَيْهِ فِيهِ..

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ دُعَاءَنَا وَمَسْأَلَتَنَا إِيَّاكَ قَبُولَ بِنَاءِ بَيْتِكَ الَّذِي أَمَرْتَنَا بِبِنَائِهِ..

﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧] بِمَا فِي ضَمَائِرِ نُفُوسِنَا مِنَ الْإِذْعَانِ لَكَ فِي الطَّاعَةِ، وَالْمَصِيرِ إِلَىٰ مَا فِيهِ لَكَ الرِّضَا وَالْمَحَبَّةُ، وَمَا نُبْدِي وَنُخْفِي مِنْ أَعْمَالِنَا.

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة: ١٢٨].

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، أَنَّهُمَا كَانَا يَرْفَعَانِ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، وَهُمَا يَقُولَانِ: وَاجْعَلْنَا مُسْتَسْلِمَيْنِ لِأَمْرِكَ خَاضِعَيْنِ لِطَاعَتِكَ، لَا نُشْرِكُ مَعَكَ فِي الطَّاعَةِ أَحَدًا سِوَاكَ، وَلَا فِي الْعِبَادَةِ غَيْرَكَ..

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ فَإِنَّهُمَا خَصَّا بِذَلِكَ بَعْضَ الذُّرِّيَّةِ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَدْ كَانَ أَعْلَمَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ ﷺ قَبْلَ مَسْأَلَتِهِ هَذِهِ أَنَّ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مَنْ لَا يَنَالُ عَهْدَهُ لِظُلْمِهِ وَفُجُورِهِ، فَخَصَّا بِالدَّعْوَةِ بَعْضَ ذُرِّيَّتِهِمَا..

﴿وَأَرِنَا﴾ وَعَلِّمْنَا..

﴿مَنَاسِكَنَا﴾ الْمَوْضِعَ الَّذِي يُنْسَكُ لِلَّهِ فِيهِ، وَيُتَقَرَّبُ إِلَيْهِ فِيهِ بِمَا يُرْضِيهِ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ، إِمَّا بِذَبْحِ ذَبِيحَةٍ لَهُ، وَإِمَّا بِصَلَاةٍ أَوْ طَوَافٍ أَوْ سَعْيٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ لِمَشَاعِرِ الْحَجِّ مَنَاسِكُهُ، لِأَنَّهَا أَمَارَاتٌ وَعَلَامَاتٌ يَعْتَادُهَا النَّاسُ، وَيَتَرَدَّدُونَ إِلَيْهَا..

﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ إِلَّا وَلَهُ مِنَ الْعَمَلِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْإِنَابَةُ مِنْهُ وَالتَّوْبَةُ، فَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَا كَانَ مِنْ قِيلِهِمَا مَا قَالَا مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا خَصَّا بِهِ الْحَالَ الَّتِي

كَانَا عَلَيْهَا مِنْ رَفْعِ قَوَاعِدِ الْبَيْتِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ أَحْرَىٰ الْأَمَاكِنِ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ فِيهَا دُعَاءَهُمَا، وَلِيَجْعَلَا مَا فَعَلَا مِنْ ذَلِكَ سُنَّةً يُقْتَدَىٰ بِهَا بَعْدَهُمَا، وَتَتَّخِذَ النَّاسُ تِلْكَ الْبُقْعَةَ بَعْدَهُمَا مَوْضِعَ تَنَصُّلٍ مِنَ الذُّنُوبِ إِلَىٰ اللهِ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَا عَنَيَا بِقَوْلِهِمَا: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ وَتُبْ عَلَىٰ الظَّلَمَةِ مِنْ أَوْلَادِنَا وَذُرِّيَّتِنَا، الَّذِينَ أَعْلَمْتَنَا أَمْرَهُمْ مِنْ ظُلْمِهِمْ وَشِرْكِهِمْ، حَتَّىٰ يُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِكَ، فَيَكُونُ ظَاهِرُ الْكَلَامِ عَلَىٰ الدُّعَاءِ لِأَنْفُسِهِمَا، وَالْمَعْنِيُّ بِهِ ذُرِّيَّتُهُمَا، كَمَا يُقَالُ: أَكْرَمَنِي فُلَانٌ فِي وَلَدِي وَأَهْلِي، وَبَرَّنِي فُلَانٌ، إِذَا بَرَّ وَلَدَهُ..

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ﴾ الْعَائِدُ عَلَىٰ عِبَادِكَ بِالْفَضْلِ، وَالْمُتَفَضِّلُ عَلَيْهِمْ بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ..

﴿ٱلرَّحِيمُ ۝١٢٨﴾ [البقرة: ١٢٨] بِهِمْ، الْمُسْتَنْقِذُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ بِرَحْمَتِكَ مِنْ هَلَكَتِهِ، الْمُنَجِّي مَنْ تُرِيدُ نَجَاتَهُ مِنْهُمْ بِرَأْفَتِكَ مِنْ سَخَطِكَ.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٢٩﴾ [البقرة: ١٢٩].

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هَذِهِ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ خَاصَّةً، وَهِيَ الدَّعْوَةُ الَّتِي كَانَ نَبِيُّنَا ﷺ يَقُولُ: «أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَىٰ عِيسَىٰ»..

﴿يَتْلُواْ﴾ يَقْرَأُ..

﴿عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ كِتَابَكَ الَّذِي تُوحِيهِ إِلَيْهِ..

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الَّذِي تُنَزِّلُهُ عَلَيْهِمْ، وهو الْقُرْآنَ..

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ والعِلْمَ بِأَحْكَامِ اللهِ الَّتِي لَا يُدْرَكُ عِلْمُهَا إِلَّا بِبَيَانِ الرَّسُولِ ﷺ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْحُكْمِ الَّذِي بِمَعْنَىٰ الْفَصْلِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، بِمَنْزِلَةِ الْجِلْسَةِ وَالْقِعْدَةِ مِنَ الْجُلُوسِ وَالْقُعُودِ، يُقَالُ مِنْهُ: إِنَّ فُلَانًا لَحَكِيمٌ بَيِّنُ الْحِكْمَةِ..

﴿وَيُزَكِّيهِمْۚ﴾ وَيُطَهِّرُهُمْ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَيُنَمِّيهِمْ وَيُكَثِّرُهُمْ بِطَاعَةِ اللهِ..

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الْقَوِيُّ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ، فَافْعَلْ بِنَا وَبِذُرِّيَّتِنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَطَلَبْنَاهُ مِنْكَ..

﴿ٱلْحَكِيمُ ۝١٢٩﴾ [البقرة: ١٢٩] الَّذِي لَا يَدْخُلُ تَدْبِيرَهُ خَلَلٌ وَلَا زَلَلٌ، فَأَعْطِنَا مَا يَنْفَعُنَا وَيَنْفَعُ ذُرِّيَّتَنَا، وَلَا يَنْقُصُكَ وَلَا يَنْقُصُ خَزَائِنَكَ.

﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠﴾ [البقرة: ١٣٠].

﴿وَمَن يَرۡغَبُ﴾ وَمَنْ يَزْهَدُ..

﴿عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ الْحَنِيفِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ..

﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ إِلَّا سَفِيهٌ جَاهِلٌ بِمَوْضِعِ حَظِّ نَفْسِهِ فِيمَا يَنْفَعُهَا وَيَضُرُّهَا فِي مَعَادِهَا، وَأَيُّ النَّاسِ يَزْهَدُ فِي مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَيَتْرُكُهَا رَغْبَةً عَنْهَا إِلَىٰ غَيْرِهَا؟! وَإِنَّمَا عَنَىٰ اللهُ بِذَلِكَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ لِاخْتِيَارِهِمْ مَا اخْتَارُوا مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ هِيَ الْحَنِيفِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا﴾ [آل عمران: ٦٧]..

﴿وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ اخْتَرْنَاهُ وَاجْتَبَيْنَاهُ لِلْخُلَّةِ، وَنُصَيِّرُهُ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ بَعْدَهُ إِمَامًا.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنْ أَنَّ مَنْ خَالَفَ إِبْرَاهِيمَ فِيمَا سَنَّ لِمَنْ بَعْدَهُ فَهُوَ لِلَّهِ مُخَالِفٌ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ خَلْقَهُ أَنَّ مَنْ خَالَفَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ فَهُوَ لِإِبْرَاهِيمَ مُخَالِفٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَخْبَرَ أَنَّهُ اصْطَفَاهُ لِخُلَّتِهِ، وَجَعَلَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا، وَأَخْبَرَ أَنَّ دِينَهُ كَانَ الْحَنِيفِيَّةَ الْمُسْلِمَةَ، فَفِي ذَلِكَ أَوْضَحُ الْبَيَانِ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنْ أَنَّ مَنْ خَالَفَهُ فَهُوَ لِلَّهِ عَدُوٌّ لِمُخَالَفَتِهِ الْإِمَامَ الَّذِي نَصَّبَهُ اللهُ لِعِبَادِهِ..

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ..

﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ..

﴿لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠﴾ [البقرة: ١٣٠] الْمُؤَدِّي حُقُوقَ اللهِ عَلَيْهِ، فَأَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِهِ أَنَّهُ فِي الدُّنْيَا لَهُ صَفِيٌّ، وَفِي الْآخِرَةِ وَلِيٌّ، وَأَنَّهُ وَارِدٌ مَوَارِدَ أَوْلِيَائِهِ الْمُوفِينَ بِعَهْدِهِ.

﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١﴾ [البقرة: ١٣١].

﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ﴾ أَخْلِصْ لِي الْعِبَادَةَ، وَاخْضَعْ لِي بِالطَّاعَةِ..

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ مُجِيبًا لِرَبِّهِ..

﴿أَسۡلَمۡتُ﴾ خَضَعْتُ بِالطَّاعَةِ، وَأَخْلَصْتُ بِالْعِبَادَةِ..

﴿لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١﴾ [البقرة: ١٣١] لِمَالِكِ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ وَمُدَبِّرِهَا دُونَ غَيْرِهِ.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢].

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾ وَعَهِدَ إِلَيْهِمْ وَأَمَرَهُمْ بِهذه الْكَلِمَةِ ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾، وَهِيَ الْإِسْلَامُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ، وَهُوَ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ وَالتَّوْحِيدُ لِلَّهِ، وَخُضُوعُ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ لَهُ..

﴿وَيَعْقُوبُ﴾ وَوَصَّىٰ بِذَلِكَ أَيْضًا يَعْقُوبُ بَنِيهِ..

﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ إِنَّ اللهَ اخْتَارَ لَكُمْ هَذَا الدِّينَ الَّذِي عَهِدَ إِلَيْكُمْ فِيهِ وَاجْتَبَاهُ لَكُمْ..

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢] فَلِأَنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَتَىٰ تَأْتِيكُمْ مَنَايَاكُمْ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، فَلَا تُفَارِقُوا الْإِسْلَامَ أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ، فَتَأْتِيَكُمْ مَنَايَاكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَىٰ غَيْرِ الدِّينِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لَكُمْ رَبُّكُمْ فَتَمُوتُوا وَرَبُّكُمْ سَاخِطٌ عَلَيْكُمْ فَتَهْلِكُوا.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٣].

﴿أَمْ كُنتُمْ﴾ أَكُنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الْمُكَذِّبِينَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، الْجَاحِدِينَ نُبُوَّتَهُ..

﴿شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ فَتَعْلَمُوا مَا قَالَ لِوَلَدِهِ وَقَالَ لَهُ وَلَدُهُ، إِنَّكُمْ لَمْ تَحْضُرُوا ذَلِكَ، فَلَا تَدَّعُوا عَلَىٰ أَنْبِيَائِي وَرُسُلِي الْأَبَاطِيلَ، وَتَنْحِلُوهُمُ الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ، فَإِنِّي ابْتَعَثْتُ خَلِيلِي إِبْرَاهِيمَ وَوَلَدَهُ إِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ وَذُرِّيَّتَهُمْ بِالْحَنِيفِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ، وَبِذَلِكَ وَصَّوْا بَنِيهِمْ وَبِهِ عَهِدُوا إِلَىٰ أَوْلَادِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَلَوْ حَضَرْتُمُوهُمْ فَسَمِعْتُمْ مِنْهُمْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ عَلَىٰ غَيْرِ مَا تَنْحِلُوهُمْ مِنَ الْأَدْيَانِ وَالْمِلَلِ مِنْ بَعْدِهِمْ.. ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ مَا قَالَ لَهُمْ وَمَا قَالُوا لَهُ..

﴿إِذْ قَالَ﴾ يَعْقُوبُ..

﴿لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أَيَّ شَيْءٍ تَعْبُدُونَ..

﴿مِنۢ بَعْدِى﴾ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِي..

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ بَنُوهُ لَهُ..

﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ﴾ ومعبُودَكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ..

﴿وَإِلَٰهَ﴾ ومعبُودَ..

﴿ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ نُخْلِصُ لَهُ الْعِبَادَةَ وَنُوَحِّدُ لَهُ الرُّبُوبِيَّةَ، فَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا نَتَّخِذُ دُونَهُ رَبًّا..

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ١٣٣﴾ [البقرة: ١٣٣] خَاضِعُونَ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالطَّاعَةِ له ﷻ..

وَيَحْتَمِلُ قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ١٣٣﴾ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَىٰ الْحَالِ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: نَعْبُدُ إِلَهَكَ مُسْلِمِينَ لَهُ بِطَاعَتِنَا وَعِبَادَتِنَا إِيَّاهُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا مُسْتَأْنَفًا، فَيَكُونُ بِمَعْنَىٰ: نَعْبُدُ إِلَهَكَ بَعْدَكَ، وَنَحْنُ لَهُ الْآنَ وَفِي كُلِّ حَالٍ مُسْلِمُونَ.. وَأَحْسَنُ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَىٰ الْحَالِ، وَأَنْ يَكُونَ بِمَعْنَىٰ: نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ مُسْلِمِينَ لِعِبَادَتِهِ.. وَقِيلَ: إِنَّمَا قُدِّمَ ذِكْرُ إِسْمَاعِيلَ عَلَىٰ إِسْحَاقَ لِأَنَّ إِسْمَاعِيلَ كَانَ أَسَنَّ مِنْ إِسْحَاقَ.. وَهَذِهِ آيَاتٌ نَزَلَتْ تَكْذِيبًا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ فِي دَعْوَاهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَوَلَدِهِ يَعْقُوبَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ مِلَّتِهِمْ.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٣٤﴾

[البقرة: ١٣٤].

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ يَعْنِي تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَوَلَدَهُمْ جَمَاعَةً مِنَ النَّاسِ مَضَتْ لِسَبِيلِهَا.. فَيَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ دَعُوا ذِكْرَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ أَوْلَادِهِمْ بِغَيْرِ مَا هُمْ أَهْلُهُ، وَلَا تَنْحِلُوهُمْ كُفْرَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ فَتُضِيفُوهَا إِلَيْهِمْ..

﴿لَهَا﴾ لِتِلْكَ الْأُمَّةِ..

﴿مَا كَسَبَتْ﴾ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ..

﴿وَلَكُم﴾ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿مَّا كَسَبْتُمْ﴾ مَا عَمِلْتُمْ..

﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ﴾ وَلَا تُؤَاخَذُونَ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاحِلُونَ مَا نَحَلْتُمُوهُمْ مِنَ الْمِلَلِ..

﴿عَمَّا كَانُوا۟﴾ عَمَّا كَانَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ وَوَلَدُهُمْ..

﴿يَعْمَلُونَ ١٣٤﴾ [البقرة: ١٣٤] يَكْسِبُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ؛ لِأَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ، وَعَلَيْهَا مَا

اكْتَسَبَتْ، فَدَعُوا انْتِحَالَهُمْ وَانْتِحَالَ مِلَلِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعَاوَىٰ غَيْرُ مُغْنِيَتِكُمْ عِنْدَ اللهِ، وَإِنَّمَا يُغْنِي عَنْكُمْ عِنْدَهُ مَا سَلَفَ لَكُمْ مِنْ صَالِحِ أَعْمَالِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَمِلْتُمُوهَا وَقَدَّمْتُمُوهَا.

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة: ١٣٥].

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿كُونُوا۟ هُودًا﴾ تَهْتَدُوا..

﴿أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَهُمْ: كُونُوا نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا وتُصِيبُوا طَرِيقَ الْحَقِّ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بَلْ﴾ نَتَّبِعُ..

﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ مُسْتَقِيمًا.. وإِنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ حَنِيفًا مُتَّبِعًا طَاعَةَ اللهِ، وَلَكِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَمْ يَجْعَلْ أَحَدًا مِنْهُمْ إِمَامًا لِمَنْ بَعْدَهُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، كَالَّذِي فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ بِإِبْرَاهِيمَ، فَجَعَلَهُ إِمَامًا فِيمَا بَيَّنَهُ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ وَالْخِتَانِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، يُقْتَدَىٰ بِهِ أَبَدًا إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَجَعَلَ مَا سَنَّ مِنْ ذَلِكَ عَلَمًا مُمَيِّزًا بَيْنَ مُؤْمِنِي عِبَادِهِ وَكُفَّارِهِمْ، وَالْمُطِيعِ مِنْهُمْ لَهُ وَالْعَاصِي، فَسُمِّيَ الْحَنِيفُ مِنَ النَّاسِ حَنِيفًا بِاتِّبَاعِهِ مِلَّتَهُ، وَاسْتِقَامَتِهِ عَلَىٰ هَدْيِهِ وَمِنْهَاجِهِ، وَسُمِّيَ الضَّالُّ عَنْ مِلَّتِهِ بِسَائِرِ أَسْمَاءِ الْمِلَلِ، فَقِيلَ: يَهُودِيٌّ وَنَصْرَانِيٌّ، وَمَجُوسِيٌّ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْمِلَلِ..

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة: ١٣٥] ولَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَدِينُ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَلَا كَانَ مِنَ الْيَهُودِ، وَلَا مِنَ النَّصَارَىٰ، بَلْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا.

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

﴿قُولُوٓا۟﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ قَالُوا لَكُمْ: كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا..

﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ﴾ من كِتَابِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ إِلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿إِلَيْنَا﴾ فَأَضَافَ الْخِطَابَ بِالتَّنْزِيلِ إِلَيْهِمْ؛ إِذْ كَانُوا مُتَّبِعِيهِ وَمَأْمُورِينَ مَنْهِيِّينَ بِهِ، فَكَانَ وَإِنْ كَانَ تَنْزِيلًا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بِمَعْنَىٰ التَّنْزِيلِ إِلَيْهِمْ لِلَّذِي لَهُمْ فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي وَصَفْتُ..

﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ وَآمَنَّا أَيْضًا بِمَا أُنْزِلَ..

﴿إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ وَالأسباط هُمُ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ وَلَدِ يَعْقُوبَ..

﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ وَآمَنَّا أَيْضًا بِمَا أُوتِي مُوسَىٰ مِنَ التَّوْرَاةِ..

﴿وَعِيسَىٰ﴾ وَبِالْإِنْجِيلِ الَّذِي آتَاهُ اللهُ عِيسَىٰ..

﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ وَآمَنَّا أَيْضًا بِالْكُتُبِ الَّتِي آتَىٰ النَّبِيِّينَ كُلَّهُمْ، وَأَقْرَرْنَا وَصَدَّقْنَا أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ حَقٌّ وَهُدًىٰ وَنُورٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَنَّ جَمِيعَ مَنْ ذَكَرَ اللهُ مِنْ أَنْبِيَائِهِ كَانُوا عَلَىٰ حَقٍّ وَهُدًىٰ، يُصَدِّقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَىٰ مِنْهَاجٍ وَاحِدٍ فِي الدُّعَاءِ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ..

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ لَا نُؤْمِنُ بِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ، وَنَتَبَرَّأُ مِنْ بَعْضٍ، وَنَتَوَلَّىٰ بَعْضًا، كَمَا تَبَرَّأَتِ الْيَهُودُ مِنْ عِيسَىٰ وَمُحَمَّدٍ عليهما السلام، وَأَقَرَّتْ بِغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَكَمَا تَبَرَّأَتِ النَّصَارَىٰ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَقَرَّتْ بِغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، بَلْ نَشْهَدُ لِجَمِيعِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا رُسُلَ اللهِ وَأَنْبِيَاءَهُ، بُعِثُوا بِالْحَقِّ وَالْهُدَىٰ..

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦] خَاضِعُونَ بِالطَّاعَةِ، مُذْعِنُونَ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ.

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٣٧﴾ [البقرة: ١٣٧].

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ فَإِنْ صَدَّقَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ، وَأَقَرُّوا بِذَلِكَ مِثْلَ مَا صَدَّقْتُمْ أَنْتُمْ بِهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَأَقْرَرْتُمْ..

﴿فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ فَقَدْ وُفِّقُوا وَرَشَدُوا وَلَزِمُوا طَرِيقَ الْحَقِّ وَاهْتَدَوْا، وَهُمْ حِينَئِذٍ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنْهُمْ بِدُخُولِهِمْ فِي مِلَّتِكُمْ بِإِقْرَارِهِمْ بِذَلِكَ.. فَدَلَّ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ أَنَّهُ لَمْ يَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ عَمَلًا إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِهَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي عَدَّهَا قَبْلَهَا..

﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ وَإِنْ تَوَلَّىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ،

فَأَعْرَضُوا، فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِمِثْلِ إِيمَانِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ، وَبِمَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، وَابْتُعِثَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ رُسُلِ اللهِ، وَبَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ، فَصَدَّقُوا بَعْضًا وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ..

﴿فَإِنَّمَا هُمْ﴾ فَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنَّهُمْ..

﴿فِي شِقَاقٍ﴾ فِي عِصْيَانٍ وَفِرَاقٍ وَحَرْبٍ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَكُمْ..

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ فَسَيَكْفِيكَ اللهُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، إِنْ هُمْ تَوَلَّوْا عَنْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمِثْلِ إِيمَانِ أَصْحَابِكَ بِاللهِ، وَبِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرِهِمْ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ، إِمَّا بِقَتْلِ السَّيْفِ، وَإِمَّا بِجَلَاءٍ عَنْ جِوَارِكَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُقُوبَاتِ..

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لِمَا يَقُولُونَ لَكَ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَيُبْدُونَ لَكَ بِأَفْوَاهِهِمْ مِنَ الْجَهْلِ، وَالدُّعَاءِ إِلَىٰ الْكُفْرِ وَالْمِلَلِ الضَّالَّةِ..

﴿الْعَلِيمُ ۝١٣٧﴾ [البقرة: ١٣٧] بِمَا يُبْطِنُونَ لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْحَسَدِ وَالْبَغْضَاءِ، فَفَعَلَ اللهُ بِهِمْ ذَلِكَ عَاجِلًا وَأَنْجَزَ وَعْدَهُ، فَكَفَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ بِتَسْلِيطِهِ إِيَّاهُ عَلَيْهِمْ، حَتَّىٰ قَتَلَ بَعْضَهُمْ وَأَجْلَىٰ بَعْضًا وَأَذَلَّ بَعْضًا وَأَخْزَاهُ بِالْجِزْيَةِ وَالصَّغَارِ.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ۝١٣٨﴾ [البقرة: ١٣٨].

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ صَبْغَةَ الْإِسْلَامِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّصَارَىٰ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تُنَصِّرَ أَطْفَالَهُمْ جَعَلَتْهُمْ فِي مَاءٍ لَهُمْ تَزْعُمُ أَنَّ ذَلِكَ لَهَا تَقْدِيسٌ، بِمَنْزِلَةِ غُسْلِ الْجَنَابَةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّهُ صِبْغَةٌ لَهُمْ فِي النَّصْرَانِيَّةِ، فَقَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٣٥] قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: أَيُّهَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، بَلِ اتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، صِبْغَةَ اللهِ..

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ فَإِنَّهَا هِيَ الْحَنِيفِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ، وَدَعُوا الشِّرْكَ بِاللهِ وَالضَّلَالَ عَنْ مَحَجَّةِ هُدَاهُ..

﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ۝١٣٨﴾ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ قَالُوا لَهُ وَلِمَنْ تَبِعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ أَنْ يقولَ لهم: بَلْ نَتَّبِعُ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا، صِبْغَةَ اللهِ، وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ -وَيَعْنِي بِالعَابِدِينَ: الْخَاضِعِينَ لِلَّهِ الْمُسْتَكِينِينَ لَهُ- فِي اتِّبَاعِنَا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، وَدَيْنُونَتِنَا لَهُ بِذَلِكَ، غَيْرَ مُسْتَكْبِرِينَ عَلَيْهِ فِي اتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَالْإِقْرَارِ بِرِسَالَةِ رُسُلِهِ، كَمَا اسْتَكْبَرَتِ

الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، فَكَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ اسْتِكْبَارًا وَبَغْيًا وَحَسَدًا.

﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ [البقرة: ١٣٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ، وقُولُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لِمَعَاشِرِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ قَالُوا لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا، وَزَعَمُوا أَنَّ دِينَهُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِكُمْ، وَكِتَابَهُمْ خَيْرٌ مِنْ كِتَابِكُمْ لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلَ كِتَابِكُمْ، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِاللهِ مِنْكَ..

﴿أَتُحَاجُّونَنَا﴾ أَتُخَاصِمُونَنَا وَتُجَادِلُونَنَا..

﴿فِي اللَّهِ﴾ فِي دِينِ اللهِ الَّذِي بِيَدِهِ الْخَيْرَاتُ، وَإِلَيْهِ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَالْجَزَاءُ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ، الْحَسَنَاتِ مِنْهَا وَالسَّيِّئَاتِ، فَتَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ بِاللهِ أَوْلَىٰ مِنَّا، مِنْ أَجْلِ أَنَّ نَبِيَّكُمْ قَبْلَ نَبِيِّنَا، وَكِتَابَكُمْ قَبْلَ كِتَابِنَا..

﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ وَرَبُّكُمْ وَرَبُّنَا وَاحِدٌ..

﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ وَلِكُلِّ فَرِيقٍ مِنَّا مَا عَمِلَ وَاكْتَسَبَ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ وَسَيِّئِهَا، وَعَلَيْهَا يُجَازَىٰ، فَيُثَابُ أَوْ يُعَاقَبُ، لَا عَلَىٰ الْأَنْسَابِ وَقِدَمِ الدِّينِ وَالْكِتَابِ..

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ [البقرة: ١٣٩] وَنَحْنُ لِلَّهِ مُخْلِصُو الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ، لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَلَا نَعْبُدُ غَيْرَهُ أَحَدًا، كَمَا عَبَدَ أَهْلُ الْأَوْثَانِ مَعَهُ الْأَوْثَانَ، وَأَصْحَابُ الْعِجْلِ مَعَهُ الْعِجْلَ، وعَبَدَ بَعْضُكُمُ الْمَسِيحَ، فَأَنَّىٰ تَكُونُونَ خَيْرًا مِنَّا، وَأَوْلَىٰ بِاللهِ مِنَّا.. وَهَذَا مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- تَوْبِيخٌ لِلْيَهُودِ، وَاحْتِجَاجٌ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة: ١٤٠].

﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ: أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ، وَتَزْعُمُونَ أَنَّ دِينَكُمْ أَفْضَلُ مِنْ دِينِنَا، وَأَنَّكُمْ عَلَىٰ هُدًىٰ وَنَحْنُ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ بِبُرْهَانٍ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فَتَدْعُونَنَا إِلَىٰ دِينِكُمْ؟ فَهَاتُوا بُرْهَانَكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ فَنَتَّبِعَكُمْ عَلَيْهِ، أَمْ تَقُولُونَ..

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ عَلَىٰ مِلَّتِكُمْ،

فَيَصِحُّ لِلنَّاسِ بَهْتُكُمْ وَكَذِبُكُمْ؛ لِأَنَّ الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ حَدَثَتْ بَعْدَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ اللهُ مِنْ أَنْبِيَائِهِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ أَيْضًا احْتِجَاجٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلَىٰ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ ذَكَرَ اللهُ قِصَصَهُمْ.. ثُمَّ قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لِنَبِيِّهِ ﷺ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ إِنِ ادَّعَوْا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ..

﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ﴾ بِهِمْ وَبِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَدْيَانِ..

﴿أَمِ اللَّهُ﴾ ؟!

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ وَأَيُّ امْرِئٍ أَظْلَمُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ قَالُوا لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ، وأَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ، فهم..

﴿مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ﴾ عِنْدَهُمْ فِي كِتَابِهِم.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾ بِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا مُسْلِمِينَ...

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٤٠﴾ [البقرة: ١٤٠] وَقُلْ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ يُحَاجُّونَكَ يَا مُحَمَّدُ: مَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ مِنْ كِتْمَانِكُمُ الْحَقَّ فِيمَا أَلْزَمَكُمْ فِي كِتَابِهِ بَيَانَهُ لِلنَّاسِ، مِنْ أَمْرِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ فِي أَمْرِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، وَأَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ الْمُسْلِمَةَ دِينُ اللهِ، الَّذِي عَلَىٰ جَمِيعِ الْخَلْقِ الدَّيْنُونَةُ بِهِ دُونَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْمِلَلِ، وَلَا هُوَ سَاهٍ عَنْ عِقَابِكُمْ عَلَىٰ فِعْلِكُمْ ذَلِكَ، بَلْ هُوَ مُحْصٍ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ بِهِ مِنَ الْجَزَاءِ مَا أَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَجَازَاهُمْ عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا بِقَتْلِ بَعْضِهِمْ وَإِجْلَائِهِ عَنْ وَطَنِهِ وَدَارِهِ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ فِي الْآخِرَةِ الْعَذَابَ الْمُهِينَ.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٤١﴾

[البقرة: ١٤١].

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُجَادِلُونَكَ فِي اللهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ -وكَتَمُوا مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الشَّهَادَةِ فِي أَمْرِ إِبْرَاهِيمَ، وَمَنْ سَمَّيْنَا مَعَهُ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ فَكَذَبُوا- إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ أُمَّةٌ..

﴿قَدْ خَلَتْ﴾ ومَضَتْ لِسَبِيلِهَا، فَصَارَتْ إِلَىٰ رَبِّهَا، وَخَلَتْ بِأَعْمَالِهَا وَآمَالِهَا..

﴿لَهَا﴾ عِنْدَ اللهِ..

﴿مَا كَسَبَتْ﴾ مِنْ خَيْرٍ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهَا، وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ، مِنْ شَرٍّ، لَا يَنْفَعُهَا غَيْرُ صَالِحِ أَعْمَالِهَا، وَلَا يَضُرُّهَا إِلَّا سَيِّئُهَا..

﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ فَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ ذَلِكَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ بِهِمْ تَفْتَخِرُونَ، وَتَزْعُمُونَ أَنَّ بِهِمْ تَرْجُونَ النَّجَاةَ مِنْ عَذَابِ رَبِّكُمْ مَعَ سَيِّئَاتِكُمْ، وَعَظِيمِ خَطِيئَاتِكُمْ، لَا يَنْفَعُهُمْ عِنْدَ اللهِ غَيْرُ مَا قَدَّمُوا مِنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ، وَلَا يَضُرُّهُمْ غَيْرُ سَيِّئِهَا؛ فَأَنْتُمْ كَذَلِكَ أَحْرَىٰ أَنْ لَا يَنْفَعَكُمْ عِنْدَ اللهِ غَيْرُ مَا قَدَّمْتُمْ مِنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ، وَلَا يَضُرَّكُمْ غَيْرُ سَيِّئِهَا، فَاحْذَرُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ وَبَادِرُوا خُرُوجَهَا بِالتَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ إِلَىٰ اللهِ مِمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ وَالْفِرْيَةِ عَلَىٰ اللهِ وَعَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَدَعُوا الِاتِّكَالَ عَلَىٰ فَضَائِلِ الآبَاءِ وَالأَجْدَادِ، فَإِنَّمَا لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ، وَعَلَيْكُمْ مَا اكْتَسَبْتُمْ..

﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٤١﴾ [البقرة: ١٤١] وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ وَالأَسْبَاطُ، يَعْمَلُونَ مِنَ الأَعْمَالِ؛ لِأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ قَدِمَتْ عَلَىٰ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّمَا تُسْأَلُ عَمَّا كَسَبَتْ وَأَسْلَفَتْ دُونَ مَا أَسْلَفَ غَيْرُهَا.

﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٤٢﴾ [البقرة: ١٤٢].

﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ سَيَقُولُ الْجُهَّالُ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، إِذَا حَوَّلْتُمْ وُجُوهَكُمْ عَنْ قِبْلَةِ الْيَهُودِ، الَّتِي كَانَتْ لَكُمْ قِبْلَةً قَبْلَ أَمْرِي إِيَّاكُمْ بِتَحْوِيلِ وُجُوهِكُمْ عَنْهَا، شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.. وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّىٰ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مُدَّةً، ثُمَّ أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ صَرْفَ قِبْلَةِ نَبِيِّهِ ﷺ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَأَخْبَرَهُ عَمَّا الْيَهُودُ قَائِلُوهُ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدَ صَرْفِهِ وَجْهَهُ وَوَجْهَ أَصْحَابِهِ شَطْرَهُ، وَمَا الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ رَدِّهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْجَوَابِ..

﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وَهُمُ الْيَهُودُ، وَأَهْلُ النِّفَاقِ.. وَإِنَّمَا سَمَّاهُمُ اللهُ ﷻ سُفَهَاءَ؛ لِأَنَّهُمْ سَفِهُوا الْحَقَّ، فَتَجَاهَلَتْ أَحْبَارُ الْيَهُودِ وَتَعَاظَمَتْ جُهَّالُهُمْ وَأَهْلُ الْغَبَاءِ مِنْهُمْ عَنْ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِذْ كَانَ مِنَ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَتَحَيَّرَ الْمُنَافِقُونَ فَتَبَلَّدُوا..

﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ أَيُّ شَيْءٍ صَرَفَهُمْ، وَحَوَّلَ وُجُوهَهُمْ..

﴿عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ عَنِ الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانُوا يَسْتَقْبِلُونَهُ بِوُجُوهِهِمْ فِي صَلَاتِهِمْ..

فَأَعْلَمَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- نَبِيَّهُ ﷺ مَا الْيَهُودُ وَالْمُنَافِقُونَ قَائِلُونَ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدَ تَحْوِيلِ قِبْلَتِهِ وَقِبْلَةِ أَصْحَابِهِ عَنِ الشَّامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَعَلَّمَهُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ رَدِّهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْجَوَّابِ، فَقَالَ لَهُ: إِذَا قَالُوا ذَلِكَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ فـ..

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ: مَا وَلَّاكُمْ عَنْ قِبْلَتِكُمْ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَىٰ التَّوَجُّهِ إِلَيْهَا إِلَىٰ التَّوَجُّهِ إِلَىٰ شَطْرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..

﴿لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ لِلَّهِ مُلْكُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ؛ يَعْنِي بِذَلِكَ: مُلْكَ مَا بَيْنَ قُطْرَيْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ، وَقُطْرَيْ مَغْرِبِهَا، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْعَالَمِ..

﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ مِنْ خَلْقِهِ فَيُسَدِّدُهُ، وَيُوَفِّقُهُ..

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٤٢﴾ [البقرة: ١٤٢] إِلَىٰ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ، وَيَعْنِي بِذَلِكَ: إِلَىٰ قِبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا، وَيَخْذُلُ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ فَيُضِلُّهُ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ.. فَقُلْ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ هَدَانَا بِالتَّوَجُّهِ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، لِقِبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ وَأَضَلَّكُمْ أَيُّهَا الْيَهُودُ، وَالْمُنَافِقُونَ، وَجَمَاعَةُ الشِّرْكِ بِاللهِ، فَخَذَلَكُمْ عَمَّا هَدَانَا لَهُ مِنْ ذَلِكَ.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كَمَا هَدَيْنَاكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَبِمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَخَصَصْنَاكُمْ بِالتَّوْفِيقِ لِقِبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ وَمِلَّتِهِ، وَفَضَّلْنَاكُمْ بِذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ سِوَاكُمْ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ، كَذَلِكَ..

﴿جَعَلْنَٰكُمْ﴾ خَصَصْنَاكُمْ، فَفَضَّلْنَاكُمْ عَلَىٰ غَيْرِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ بِأَنْ جَعَلْنَاكُمْ..

﴿أُمَّةً﴾ قَرْنًا وصِنْفًا مِنَ النَّاسِ..

﴿وَسَطًا﴾ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، مِثْلَ (وَسَطِ الدَّارِ).. وَأَرَىٰ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِنَّمَا وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ وَسَطٌ؛ لِتَوَسُّطِهِمْ فِي الدِّينِ، فَلَا هُمْ أَهْلُ غُلُوٍّ فِيهِ، غُلُوُّ النَّصَارَىٰ الَّذِينَ غَلَوْا بِالتَّرَهُّبِ،

وَقِيلِهِمْ فِي عِيسَىٰ مَا قَالُوا فِيهِ، وَلَا هُمْ أَهْلُ تَقْصِيرٍ فِيهِ، تَقْصِيرُ الْيَهُودِ الَّذِينَ بَدَّلُوا كِتَابَ اللهِ وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَهُمْ، وَكَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَكَفَرُوا بِهِ، وَلَكِنَّهُمْ أَهْلُ تَوَسُّطٍ وَاعْتِدَالٍ فِيهِ، فَوَصَفَهُمُ اللهُ بِذَلِكَ، إِذْ كَانَ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَىٰ اللهِ أَوْسَطُهَا..

﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ﴾ لِأَنْبِيَائِي وَرُسُلِي..

﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ عَلَىٰ أُمَمِهَا بِالْبَلَاغِ، أَنَّهَا قَدْ بَلَّغَتْ مَا أُمِرَتْ بِبَلَاغِهِ مِنْ رِسَالَاتِي إِلَىٰ أُمَمِهَا.. كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يُدْعَىٰ بِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِقَوْمِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ يَعْلَمُ ذَاكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَهُوَ قَوْلُهُ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾..

﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ بِإِيمَانِكُمْ بِهِ، وَبِمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي..

﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾ وَلَمْ نَجْعَلْ صَرْفَكَ عَنِ..

﴿ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ الَّتِي كُنْتَ تَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا يَا مُحَمَّدُ، قَبْلَ أَنْ يَصْرِفَكَ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ، وَتَحْوِيلَكَ إِلَىٰ غَيْرِهَا..

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ إِلَّا لِيَعْلَمَ رَسُولِي وَحِزْبِي وَأَوْلِيَائِي؛ إِذْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَوْلِيَاؤُهُ مِنْ حِزْبِهِ، وَكَانَ مِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ إِضَافَةُ مَا فَعَلَتْهُ أَتْبَاعُ الرَّئِيسِ إِلَىٰ الرَّئِيسِ، وَمَا فُعِلَ بِهِمْ إِلَيْهِ، نَحْوَ قَوْلِهِمْ: فَتَحَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ سَوَادَ الْعِرَاقِ، وَجَبَىٰ خَرَاجَهَا، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ عَنْ سَبَبٍ كَانَ مِنْهُ فِي ذَلِكَ، وَكَالَّذِي رُوِيَ فِي نَظِيرِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: يَقُولُ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: «**مَرِضْتُ فَلَمْ يَعُدْنِي عَبْدِي، وَاسْتَقْرَضْتُهُ فَلَمْ يُقْرِضْنِي، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَنْبَغِ لَهُ أَنْ يَشْتُمَنِي؛ يَقُولُ: وَادَهْرَاهُ، وَأَنَا الدَّهْرُ**»، فَأَضَافَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- الِاسْتِقْرَاضَ وَالْعِيَادَةَ إِلَىٰ نَفْسِهِ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ بِغَيْرِهِ؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ سَبَبِهِ، وَقَدْ حُكِيَ عَنِ الْعَرَبِ سَمَاعًا: (**أَجُوعُ فِي غَيْرِ بَطْنِي**)، وَ(**أَعْرَىٰ فِي غَيْرِ ظَهْرِي**)، بِمَعْنَىٰ جُوعِ أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ، وَعُرْيِ ظُهُورِهِمْ، فَكَذَلِكَ قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ بِمَعْنَىٰ يَعْلَمُ أَوْلِيَائِي وَحِزْبِي..

﴿مَن﴾ الَّذِي..

﴿يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ مُحَمَّدًا ﷺ فِيمَا يَأْمُرُهُ اللهُ بِهِ، فَيُوَجِّهُ نَحْوَ الْوَجْهِ الَّذِي يَتَوَجَّهُ نَحْوَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ﴾ مَنِ الَّذِي يَرْتَدُّ عَنْ دِينِهِ، فَيُنَافِقُ، أَوْ يَكْفُرُ، أَوْ يُخَالِفُ مُحَمَّدًا ﷺ

فِي ذَلِكَ مِمَّنْ يُظْهِرُ اتِّبَاعَهُ؛ لِأَنَّ مِحْنَةَ اللهِ أَصْحَابَ رَسُولِهِ فِي الْقِبْلَةِ، إِنَّمَا كَانَتْ فِيمَا تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ، عِنْدَ التَّحْوِيلِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ، حَتَّىٰ ارْتَدَّ فِيمَا ذُكِرَ رِجَالٌ مِمَّنْ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَاتَّبَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَأَظْهَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ نِفَاقَهُمْ، وَقَالُوا: مَا بَالُ مُحَمَّدٍ يُحَوِّلُنَا مَرَّةً إِلَىٰ هَا هُنَا، وَمَرَّةً إِلَىٰ هَا هُنَا؟! وَقَالَ الْمُسْلِمُونَ فِي مَا مَضَىٰ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ يُصَلُّونَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ: بَطَلَتْ أَعْمَالُنَا وَأَعْمَالُهُمْ وَضَاعَتْ، وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: تَحَيَّرَ مُحَمَّدٌ ﷺ فِي دِينِهِ، فَكَانَ ذَلِكَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَتَمْحِيصًا لِلْمُؤْمِنِينَ، كَمَا قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] بِمَعْنَىٰ: أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ أَخْبَرَ الْقَوْمَ بِمَا كَانَ رَأَىٰ، لَمْ يَكُنْ فِيهِ عَلَىٰ أَحَدٍ فِتْنَةٌ، وَكَذَلِكَ الْقِبْلَةَ الْأُولَىٰ الَّتِي كَانَتْ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، لَوْ لَمْ يَكُنْ صُرِفَ عَنْهَا إِلَىٰ الْكَعْبَةِ، لَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَىٰ أَحَدٍ فِتْنَةٌ وَلَا مِحْنَةٌ..

﴿وَإِن كَانَتْ﴾ تَحْوِيلَتُنَا إِيَّاكَ عَنْهَا وَتَوْلِيَتُنَاكَ..

﴿لَكَبِيرَةً﴾ عَظِيمَةً فِي صُدُورِ مَنْ لَا يَعْرِفُ وَلَا يَعْقِلُ..

﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ إِلَّا عَلَىٰ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- فَهَداهُ لِتَصْدِيقِكَ، وَالْإِيمَانِ بِكَ، وَاتِّبَاعِكَ فِيهِ، وَفِيمَا أَنْزَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَلَيْكَ..

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ يعني: صَلَاتكم.. فعَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: مَاتَ عَلَىٰ الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ إِلَىٰ الْبَيْتِ رِجَالٌ وَقُتِلُوا، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾، فالْإِيمَانَ التَّصْدِيقُ، وَالتَّصْدِيقَ قَدْ يَكُونُ بِالْقَوْلِ وَحْدَهُ وَبِالْفِعْلِ وَحْدَهُ وَبِهِمَا جَمِيعًا، فَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ عَلَىٰ مَا تَظَاهَرَتْ بِهِ الرِّوَايَةُ، مِنْ أَنَّهُ الصَّلَاةُ، وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ تَصْدِيقَ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِصَلَاتِكُمُ، الَّتِي صَلَّيْتُمُوهَا نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ عَنْ أَمْرِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْكُمْ تَصْدِيقًا لِرَسُولِي، وَاتِّبَاعًا لِأَمْرِي، وَطَاعَةً مِنْكُمْ لِي، وَإِضَاعَتُهُ إِيَّاهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لَوْ أَضَاعَهُ تَرْكُ إِثَابَةِ أَصْحَابِهِ وَعَامِلِيهِ عَلَيْهِ، فَيَذْهَبُ ضَيَاعًا وَيَصِيرُ بَاطِلًا كَهَيْئَةِ إِضَاعَةِ الرَّجُلِ مَالَهُ، وَذَلِكَ إِهْلَاكُهُ إِيَّاهُ فِيمَا لَا يَعْتَاضُ مِنْهُ عِوَضًا فِي عَاجِلٍ وَلَا آجِلٍ، فَأَخْبَرَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُبْطِلُ عَمَلَ عَامِلٍ عَمِلَ لَهُ عَمَلًا، وَهُوَ لَهُ طَاعَةٌ فَلَا يُثِيبُهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ نُسِخَ ذَلِكَ الْفَرْضُ بَعْدَ عَمَلِ الْعَامِلِ إِيَّاهُ، عَلَىٰ مَا كَلَّفَهُ مِنْ عَمَلِهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ﴾ إِنَّ اللهَ بِجَمِيعِ عِبَادِهِ..

﴿لَرَءُوفٌ﴾ ذُو رَأْفَةٍ، وَالرَّأْفَةُ أَعْلَىٰ مَعَانِي الرَّحْمَةِ، وَهِيَ عَامَّةٌ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ فِي الدُّنْيَا وَلِبَعْضِهِمْ فِي الْآخِرَةِ..

﴿رَحِيمٌ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣] ذُو الرَّحْمَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.. وَإِنَّمَا أَرَادَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ أَنْ يُضَيِّعَ لَهُمْ طَاعَةً أَطَاعُوهُ بِهَا فَلَا يُثِيبُهُمْ عَلَيْهَا، وَأَرْأَفُ بِهِمْ مِنْ أَنْ يُؤَاخِذَهُمْ بِتَرْكِ مَا لَمْ يَفْرِضْهُ عَلَيْهِمْ، أَيْ وَلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَوْتَاكُمُ الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ يُصَلُّونَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَإِنِّي لَهُمْ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ إِيَّايَ بِصَلَاتِهِمُ الَّتِي صَلُّوهَا كَذَلِكَ مُثِيبٌ؛ لِأَنِّي أَرْحَمُ بِهِمْ مِنْ أَنْ أُضَيِّعَ لَهُمْ عَمَلًا عَمِلُوهُ لِي، وَلَا تَحْزَنُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنِّي غَيْرُ مُؤَاخِذُهُمْ بِتَرْكِهِمُ الصَّلَاةَ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ فَرَضْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَأَنَا أَرْأَفُ بِخَلْقِي مِنْ أَنْ أُعَاقِبَهُمْ عَلَىٰ تَرْكِهِمْ مَا لَمْ آمُرْهُمْ بِعَمَلِهِ.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ١٤٤﴾ [البقرة: ١٤٤].

﴿قَدْ نَرَىٰ﴾ نَحْنُ يَا مُحَمَّدُ..

﴿تَقَلُّبَ﴾ تَحَوُّلَ وَتَصَرُّفَ..

﴿وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقِبَلِهَا.. وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ ذَلِكَ ﷺ؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلَ تَحْوِيلِ قِبْلَتِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ، يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَمْرَهُ بِالتَّحْوِيلِ نَحْوَ الْكَعْبَةِ..

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ فَلَنَصْرِفَنَّكَ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ..

﴿قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ إِلَىٰ قِبْلَةٍ تَرْضَاهَا، وتَهْوَاهَا وَتُحِبُّهَا..

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ اصْرِفْ وَجْهَكَ وَحَوِّلْهُ..

﴿شَطْرَ﴾ نَحْوَ وَ تِلْقَاءَ..

﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ فَالْمُوَلِّي وَجْهَهُ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ هُوَ الْمُصِيبُ الْقِبْلَةَ، وَعَلَىٰ مَنْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ النِّيَّةُ بِقَلْبِهِ أَنَّهُ إِلَيْهِ مُتَوَجِّهٌ، كَمَا أَنَّ عَلَىٰ مَنِ ائْتَمَّ بِإِمَامٍ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ الِائْتِمَامُ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَاذِيًا بَدَنُهُ بَدَنَهُ، وَإِنْ كَانَ فِي طَرَفِ الصَّفِّ وَالْإِمَامُ فِي طَرَفٍ آخَرَ، عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ يَسَارِهِ، بَعْدَ أَنْ

يَكُونَ مَنْ خَلْفَهُ مُؤْتَمًّا بِهِ مُصَلِّيًا إِلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي يُصَلِّي إِلَيْهِ الإِمَامُ، فَكَذَلِكَ حُكْمُ الْقِبْلَةِ، وَإِنْ لَمْ يُحَاذِهَا كُلُّ مُصَلٍّ وَمُتَوَجِّهٍ إِلَيْهَا بِبَدَنِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ مُتَوَجِّهٌ إِلَيْهَا، فَإِنْ كَانَ عَنْ يَمِينِهَا أَوْ عَنْ يَسَارِهَا مُقَابِلَهَا، فَهُوَ مُسْتَقْبِلُهَا، بَعُدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا أَوْ قَرُبَ، مِنْ عَنِ يَمِينِهَا أَوْ عَنْ يَسَارِهَا، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مُسْتَدْبِرِهَا، وَلَا مُنْحَرِفٍ عَنْهَا بِبَدَنِهِ وَوَجْهِهِ.. وأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ الْبَيْتَ هُوَ الْقِبْلَةُ، وَأَنَّ قِبْلَةَ الْبَيْتِ بَابُهُ..

﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ فَأَيْنَمَا كُنْتُمْ مِنَ الأَرْضِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فَوَلُّوا۟﴾ فَحَوِّلُوا..

﴿وُجُوهَكُمْ﴾ فِي صَلَاتِكُمْ..

﴿شَطْرَهُۥ﴾ نَحْوَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَتِلْقَاءَهُ.. فَأَوْجَبَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِهَذِهِ الآيَةِ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فَرْضُ التَّوَجُّهِ نَحْوَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي صَلَاتِهِمْ حَيْثُ كَانُوا مِنْ أَرْضِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ..

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ من أَحْبَارِ الْيَهُودِ وَعُلَمَاءِ النَّصَارَىٰ..

﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ يَعْلَمُونَ أَنَّ التَّوَجُّهَ نَحْوَ الْمَسْجِدِ..

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ الْحَقُّ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وأَوْجَبَه عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَذُرِّيَّتِهِ، وَسَائِرِ عِبَادِهِ بَعْدَهُ..

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة: ١٤٤] وَلَيْسَ اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي اتِّبَاعِكُمْ أَمْرَهُ، وَانْتِهَائِكُمْ إِلَىٰ طَاعَتِهِ فِيمَا أَلْزَمَكُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَإِيمَانِكُمْ بِهِ فِي صَلَاتِكُمْ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ صَلَاتِكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَلَا هُوَ سَاهٍ عَنْهُ، وَلَكِنَّهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- يُحْصِيهُ لَكُمْ وَيَدَّخِرُهُ لَكُمْ عِنْدَهُ، حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ بِهِ أَحْسَنَ جَزَاءٍ، وَيُثِيبَكُمْ عَلَيْهِ أَفْضَلَ ثَوَابٍ.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة: ١٤٥].

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ﴾ وَلَئِنْ جِئْتَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ من الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ بِكُلِّ بُرْهَانٍ وَحُجَّةٍ، وَهِيَ الآيَةُ بِأَنَّ الْحَقَّ هُوَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ، مِنْ فَرْضِ التَّحَوُّلِ مِنْ قِبْلَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي الصَّلَاةِ، إِلَىٰ قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..

﴿مَّا تَبِعُواْ﴾ مَا صَدَّقُوا بِهِ وَلَا اتَّبَعُوا مَعَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ..

﴿قِبْلَتَكَ﴾ الَّتِي حَوَّلْتُكَ إِلَيْهَا، وَهِيَ التَّوَجُّهُ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..

﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ وَمَا لَكَ مِنْ سَبِيلٍ يَا مُحَمَّدُ إِلَىٰ اتِّبَاعِ قِبْلَتِهِمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ تَسْتَقْبِلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ بِصَلَاتِهَا، وَأَنَّ النَّصَارَىٰ تَسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقَ، فَأَنَّىٰ يَكُونُ لَكَ السَّبِيلُ إِلَىٰ اتِّبَاعِ قِبْلَتِهِمْ مَعَ اخْتِلَافِ وُجُوهِهَا، فَالْزَمْ قِبْلَتَكَ الَّتِي أُمِرْتَ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهَا، وَدَعْ عَنْكَ مَا تَقُولُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، وَتَدْعُوكَ إِلَيْهِ مِنْ قِبْلَتِهِمْ وَاسْتِقْبَالِهَا..

﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ وَمَا الْيَهُودُ بِتَابِعَةٍ قِبْلَةَ النَّصَارَىٰ، وَلَا النَّصَارَىٰ بِتَابِعَةٍ قِبْلَةَ الْيَهُودِ، وَإِنَّمَا يَعْنِي -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَىٰ لَا تَجْتَمِعُ عَلَىٰ قِبْلَةٍ وَاحِدَةٍ مَعَ إِقَامَةِ كُلِّ حِزْبٍ مِنْهُمْ عَلَىٰ مِلَّتِهِمْ، فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ لَا تُشْعِرُ نَفْسَكَ رِضَا هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، فَإِنَّهُ أَمْرٌ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُمْ مَعَ اخْتِلَافِ مِلَلِهِمْ لَا سَبِيلَ لَكَ إِلَىٰ إِرْضَاءِ كُلِّ حِزْبٍ مِنْهُمْ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ قِبْلَةَ الْيَهُودِ أَسْخَطْتَ النَّصَارَىٰ، وَإِنِ اتَّبَعْتَ قِبْلَةَ النَّصَارَىٰ أَسْخَطْتَ الْيَهُودَ، فَدَعْ مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، وَادْعُهُمْ إِلَىٰ مَا لَهُمُ السَّبِيلُ إِلَيْهِ مِنَ الِاجْتِمَاعِ عَلَىٰ مِلَّتِكَ الْحَنِيفِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ، وَقِبْلَتِكَ قِبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَالْأَنْبِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِ..

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ وَلَئِنِ الْتَمَسْتَ يَا مُحَمَّدُ رِضَا هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، الَّذِينَ قَالُوا لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ [البقرة: ١٣٥] فَاتَّبَعْتَ قِبْلَتَهُمْ..

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا وَصَلَ إِلَيْكَ..

﴿مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بِإِعْلَامِي إِيَّاكَ أَنَّهُمْ مُقِيمُونَ عَلَىٰ بَاطِلٍ، وَعَلَىٰ عِنَادٍ مِنْهُمْ لِلْحَقِّ، وَمَعْرِفَةٍ مِنْهُمْ أَنَّ الْقِبْلَةَ الَّتِي وَجَّهْتُكَ إِلَيْهَا هِيَ الْقِبْلَةُ الَّتِي فَرَضْتُ عَلَىٰ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ ﵇، وَسَائِرِ وَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ..

﴿إِنَّكَ إِذًا﴾ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ..

﴿لَّمِنَ﴾ عِبَادِي..

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥﴾ [البقرة: ١٤٥] أَنْفُسَهُمُ، الْمُخَالِفِينَ أَمْرِي، وَالتَّارِكِينَ طَاعَتِي.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٤٦﴾ [البقرة: ١٤٦].

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ من أَحْبَارِ الْيَهُودِ، وَعُلَمَاءِ النَّصَارَىٰ..

﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ يَعْرِفُ هَؤُلَاءِ الْأَحْبَارُ مِنَ الْيَهُودِ وَالْعُلَمَاءِ مِنَ النَّصَارَىٰ، أَنَّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِبْلَتُهُمْ، وَقِبْلَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَقِبْلَةُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكَ..

﴿كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ﴾ وَإِنَّ طَائِفَةً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَهُمُ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَىٰ..

﴿لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ وهُوَ الْقِبْلَةُ الَّتِي وَجَّهَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهَا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّتِي كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهَا، فَكَتَمَتْهَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، فَتَوَجَّهُ بَعْضُهُمْ شَرْقًا، وَبَعْضُهُمْ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَرَفَضُوا مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، وَكَتَمُوا مَعَ ذَلِكَ أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾ [البقرة: ١٤٦] وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ.. فَأَطْلَعَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مُحَمَّدًا ﷺ وَأُمَّتَهُ عَلَىٰ خِيَانَتِهِمُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَخِيَانَتِهِم عِبَادَهُ، وَكِتْمَانِهِمْ ذَلِكَ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ مَا يَفْعَلُونَ مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِأَنَّ الْحَقَّ غَيْرُهُ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- خِلَافُهُ، فَقَالَ: لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ لَيْسَ لَهُمْ كِتْمَانُهُ، فَيَتَعَمَّدُونَ مَعْصِيَةَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧﴾ [البقرة: ١٤٧].

﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ اعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ الْحَقَّ مَا أَعْلَمَكَ رَبُّكَ وَأَتَاكَ مِنْ عِنْدِهِ، لَا مَا يَقُولُ لَكَ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَىٰ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- خَبَرٌ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، عَنْ أَنَّ الْقِبْلَةَ الَّتِي وَجَّهَهُ نَحْوَهَا هِيَ الْقِبْلَةُ الْحَقُّ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْ بَعْدَهُ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ..

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧﴾ [البقرة: ١٤٧] فَاعْمَلْ بِالْحَقِّ الَّذِي أَتَاكَ مِنْ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ الشَّاكِّينَ، فِي أَنَّ الْقِبْلَةَ الَّتِي وَجَّهْتُكَ نَحْوَهَا قِبْلَةُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِي عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقِبْلَةُ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرِهُ.. وخَرَجَ الْكَلَامُ مَخْرَجَ الْأَمْرِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالنَّهْيِ لَهُ، وَالْمُرَادُ بِهِ أَصْحَابُهُ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ.

﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨﴾ [البقرة: ١٤٨].

﴿وَلِكُلّٖ﴾ وَلِكُلِّ أَهْلِ مِلَّةٍ قِبْلَةٌ..

﴿وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ﴾ فمُسْتَقْبِلُهَا وَمُوَلٍّ وَجْهَهُ إِلَيْهَا..

﴿فَاسْتَبِقُوا﴾ فَبَادِرُوا وَسَارِعُوا، مِنَ (الِاسْتِبَاقِ)، وَهُوَ الْمُبَادَرَةُ وَالْإِسْرَاعِ، فَقَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْحَقَّ، وَهَدَيْتُكُمْ لِلْقِبْلَةِ الَّتِي ضَلَّتْ عَنْهَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ وَسَائِرُ أَهْلِ الْمِلَلِ غَيْرُكُمْ، فَبَادِرُوا بِـ

﴿الْخَيْرَاتِ﴾ وهي الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةِ؛ شُكْرًا لِرَبِّكُمْ، وَتَزَوَّدُوا فِي دُنْيَاكُمْ لِأُخْرَاكُمْ، فَإِنِّي قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ سَبِيلَ النَّجَاةِ فَلَا عُذْرَ لَكُمْ فِي التَّفْرِيطِ، وَحَافِظُوا عَلَىٰ قِبْلَتِكُمْ، وَلَا تُضَيِّعُوهَا كَمَا ضَيَّعَهَا الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ، فَتَضِلُّوا كَمَا ضَلَّتْ..

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا﴾ فِي أَيِّ مَكَانٍ وَبُقْعَةٍ تَهْلَكُونَ فِيهِ..

﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ حَتَّىٰ يُوَفَّىٰ الْمُحْسِنُ مِنْكُمْ جَزَاءَهُ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءُ عِقَابَهُ بِإِسَاءَتِهِ، أَوْ يَتَفَضَّلُ فَيُصْفَحُ..

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فَإِنَّهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَلَىٰ جَمْعِكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ، مِنْ حَيْثُ كُنْتُمْ، وَعَلَىٰ غَيْرِ ذَٰلِكَ مِمَّا يَشَاءُ..

﴿قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [البقرة: ١٤٨] فَبَادِرُوا خُرُوجَ أَنْفُسِكُمْ بِالصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ قَبْلَ مَمَاتِكُمْ، لِيَوْمِ بَعْثِكُمْ وَحَشْرِكُمْ.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾ [البقرة: ١٤٩].

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ وَمَنْ أَيِّ مَوْضِعٍ خَرَجْتَ إِلَىٰ أَيِّ مَوْضِعٍ وُجِّهْتَ..

﴿فَوَلِّ﴾ أَقْبِل وحَوِّل يا مُحَمَّدُ..

﴿وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ﴾ وَإِنَّ التَّوَجُّهَ شَطْرَهُ..

﴿لَلْحَقُّ﴾ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ..

﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، فَحَافِظُوا عَلَيْهِ، وَأَطِيعُوا اللهَ فِي تَوَجُّهِكُمْ قِبَلَهُ..

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾ [البقرة: ١٤٩] فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَيْسَ بِسَاهٍ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، وَلَا بِغَافِلٍ عَنْهَا، وَلَكِنَّهُ مُحْصِيهَا لَكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٠].

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ وَمِنْ أَيِّ مَكَانٍ وَبُقْعَةٍ شَخَصْتَ فَخَرَجْتَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ﴾ تِلْقَاءَ..

﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ وَأَيْنَمَا كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَرْضِ اللهِ..

﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ فِي صَلَاتِكُمْ..

﴿شَطْرَهُ﴾ تِجَاهَهُ، وَقِبَلَهُ، وَقَصْدَهُ..

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ لِئَلَّا يَكُونَ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ..

﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ خُصُومَةٌ وَدَعْوَىٰ بَاطِلَةٌ.. فَقَدْ كَانُوا يَقُولُونَ: مَا دَرَىٰ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَيْنَ قِبْلَتُهُمْ حَتَّىٰ هَدَيْنَاهُمْ نَحْنُ، وَكَانُوا يَقُولُونَ: يُخَالِفُنَا مُحَمَّدٌ فِي دِينِنَا وَيَتَّبِعُ قِبْلَتَنَا، فَهِيَ الْحُجَّةُ الَّتِي كَانُوا يَحْتَجُّونَ بِهَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَصْحَابِهِ عَلَىٰ وَجْهِ الْخُصُومَةِ مِنْهُمْ لَهُمْ، وَالتَّمْوِيهِ مِنْهُمْ بِهَا عَلَىٰ الْجُهَّالِ وَأَهْلِ الْعِنَادِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَطَعَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- ذَلِكَ مِنْ حُجَّتِهِمْ وَحَسْمِهِ بِتَحْوِيلِ قِبْلَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ قِبْلَةِ الْيَهُودِ، إِلَىٰ قِبْلَةِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ..

﴿إِلَّا﴾ غَيْرَ..

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أَنْفُسَهُمْ..

﴿مِنْهُمْ﴾ مِنْ قُرَيْشٍ، فَإِنَّ لَهُمْ خُصُومَةً وَدَعْوَىٰ بَاطِلَةً بِأَنْ يَقُولُوا: إِنَّمَا تَوَجَّهْتُمْ إِلَيْنَا، وَإِلَىٰ قِبْلَتِنَا؛ لِأَنَّا كُنَّا أَهْدَىٰ مِنْكُمْ سَبِيلًا، وَأَنَّكُمْ كُنْتُمْ بِتَوَجُّهِكُمْ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ عَلَىٰ ضَلَالٍ وَبَاطِلٍ.. وَلَمْ يَقْصِدْ فِي ذَلِكَ إِلَىٰ الْخَبَرِ عَنْ صِفَةِ حُجَّتِهِمْ بِالضَّعْفِ وَلَا بِالْقُوَّةِ وَإِنْ كَانَتْ ضَعِيفَةً؛ لِأَنَّهَا بَاطِلَةٌ، وَإِنَّمَا قَصَدَ فِيهِ الْإِثْبَاتَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا قَدْ نُفِيَ عَنِ الَّذِينَ قَبْلَ حَرْفِ الِاسْتِثْنَاءِ مِنَ الصِّفَةِ..

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ فَلَا تَخْشَوْا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكُمْ أَمْرَهُمْ مِنَ الظَّلَمَةِ فِي حُجَّتِهِمْ وَجِدَالِهِمْ، وَقَوْلِهِمْ مَا يَقُولُونَ مِنْ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ رَجَعَ إِلَىٰ قِبْلَتِنَا، وَسَيَرْجِعُ إِلَىٰ دِينِنَا أَوْ أَنْ يَقْدِرُوا لَكُمْ عَلَىٰ ضُرٍّ فِي دِينِكُمْ أَوْ صَدِّكُمْ عَمَّا هَدَاكُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَهُ مِنَ الْحَقِّ..

﴿وَاخْشَوْنِي﴾ وَلَكِنِ اخْشَوْنِي أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي تَرْكِ طَاعَتِي فِيمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنَ الصَّلَاةِ شَطْرَ

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَخَافُوا عِقَابِي فِي خِلَافِكُمْ أَمْرِي إِنْ خَالَفْتُمُوهُ.. وَذَلِكَ مِنَ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- تَقَدُّمٌ إِلَىٰ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَضِّ عَلَىٰ لُزُومِ قِبْلَتِهِمْ وَالصَّلَاةِ إِلَيْهَا، وَبِالنَّهْيِ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَىٰ غَيْرِهَا..

﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ وَلِأُتِمَّ بِذَلِكَ مِنْ هِدَايَتِي لَكُمْ إِلَىٰ قِبْلَةِ خَلِيلِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام -الَّذِي جَعَلْتُهُ إِمَامًا لِلنَّاسِ- نِعْمَتِي، فَأُكْمِلُ لَكُمْ بِهِ فَضْلِي عَلَيْكُمْ، وَأُتَمِمُ بِهِ شَرَائِعَ مِلَّتِكُمُ الْحَنِيفِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ الَّتِي وَصَّيْتُ بِهَا نُوحًا، وَإِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ وَسَائِرَ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرِهِمْ، وَذَلِكَ هُوَ نِعْمَتُهُ الَّتِي أَخْبَرَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّهُ مُتِمُّهَا عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ..

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٠﴾ وَكَيْ تَرْشُدُوا لِلصَّوَابِ مِنَ الْقِبْلَةِ.

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ۝١٥١﴾ [البقرة: ١٥١].

﴿كَمَآ﴾ أَتْمَمْتُ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ بِبَيَانِ شَرَائِعِ مِلَّتِكُمُ الْحَنِيفِيَّةِ، وَهَدَيْتُكُم لِدِينِ خَلِيلِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام..

﴿أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ فَابْتَعَثْتُ مِنْكُمْ رَسُولِي الَّذِي سَأَلَنِي إِبْرَاهِيمُ خَلِيلِي وَابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ أَنْ أَبْعَثَهُ مِنْ ذُرِّيَتِهِمَا..

﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ مِنَ الْقُرْآنِ..

﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ وَيُطَهِّرُكُمْ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ..

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ أَحْكَامَ..

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَهُوَ الْفُرْقَانُ..

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ وهي السُّنَنُ وَالْفِقْهُ فِي الدِّينِ..

﴿وَيُعَلِّمُكُم﴾ مِنْ أَخْبَارِ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَصَصِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، وَالْخَبَرُ عَمَّا هُوَ حَادِثٌ وَكَائِنٌ..

﴿مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ۝١٥١﴾ [البقرة: ١٥١] مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَمْ تَكُنِ الْعَرَبُ تَعْلَمُهَا، فَعَلِمُوهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُمْ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ إِنَّمَا يُدْرِكُونَهُ بِرَسُولِهِ ﷺ.

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ۝١٥٢﴾ [البقرة: ١٥٢].

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّايَ فِيمَا آمُرُكُمْ بِهِ وَفِيمَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بِرَحْمَتِي إِيَّاكُمْ وَمَغْفِرَتِي لَكُمْ..

﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِيمَا أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَالْهِدَايَةِ لِلدِّينِ الَّذِي شَرَعْتُهُ لِأَنْبِيَائِي وَأَصْفِيَائِي..

﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] وَلَا تَجْحَدُوا إِحْسَانِي إِلَيْكُمْ، فَأَسْلُبُكُمْ نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِ اشْكُرُوا لِي عَلَيْهَا، فَأَزِيدُكُمْ وَأُتَمِّمَ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ، وَأَهْدِيَكُمْ لِمَا هَدَيْتُ لَهُ مَنْ رَضِيتُ عَنْهُ مِنْ عِبَادِي، فَإِنِّي وَعَدْتُ خَلْقِي أَنَّ مَنْ شَكَرَ لِي زِدْتُهُ، وَمَنْ كَفَرَنِي حَرَمْتُهُ وَسَلَبْتُهُ مَا أَعْطَيْتُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ عَلَى الْقِيَامِ بِطَاعَتِي، وَأَدَاءِ فَرَائِضِي فِي نَاسِخِ أَحْكَامِي، وَالِانْصِرَافِ عَمَّا أَنْسَخُهُ مِنْهَا إِلَى الَّذِي أُحْدِثُهُ لَكُمْ مِنْ فَرَائِضِي، وَأَنْقُلُكُمْ إِلَيْهِ مِنْ أَحْكَامِي، وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِي فِيمَا آمُرُكُمْ بِهِ، فِي حِينِ إِلْزَامِكُمْ حُكْمَهُ، وَالتَّحَوُّلِ عَنْهُ بَعْدَ تَحْوِيلِي إِيَّاكُمْ عَنْهُ -وَإِنْ لَحِقَكُمْ فِي ذَلِكَ مَكْرُوهٌ مِنْ مَقَالَةِ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ، بِقَذْفِهِمْ لَكُمُ الْبَاطِلَ، أَوْ مَشَقَّةٍ عَلَى أَبْدَانِكُمْ فِي قِيَامِكُمْ بِهِ، أَوْ نَقْصٍ فِي أَمْوَالِكُمْ- وَعَلَى جِهَادِ أَعْدَائِكُمْ وَحَرْبِهِمْ فِي سَبِيلِي..

﴿بِالصَّبْرِ﴾ مِنْكُمْ لِي عَلَى مَكْرُوهِ ذَلِكَ وَمَشَقَّتِهِ عَلَيْكُمْ، وَاحْتِمَالِ عَنَائِهِ وَثِقَلِهِ، وَبِالْعَزَاءِ مِنْكُم عَمَّن قُتِلَ فِي سَبِيلِي، ثُمَّ بِالْفَزَعِ مِنْكُمْ فِيمَا يَنُوبُكُمْ مِنْ مُفْظِعَاتِ الْأُمُورِ إِلَى الصَّلَاةِ لِي، فَإِنَّكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ تُدْرِكُونَ مَرْضَاتِي..

﴿وَالصَّلَاةِ﴾ وَبِالصَّلَاةِ لِي، تَسْتَنْجِحُونَ طَلِبَاتِكُمْ قِبَلِي، وَتُدْرِكُونَ حَاجَاتِكُمْ عِنْدِي، فَإِنِّي مَعَ الصَّابِرِينَ عَلَى الْقِيَامِ بِأَدَاءِ فَرَائِضِي وَتَرْكِ مَعَاصِيَّ، أَنْصُرُهُمْ وَأَرْعَاهُمْ وَأَكْلَؤُهُمْ حَتَّى يَظْفَرُوا بِمَا طَلَبُوا، وَأَمَّلُوا قِبَلِي..

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] فَإِنَّ اللهَ نَاصِرُهُ وَظَهِيرُهُ وَرَاضٍ بِفِعْلِهِ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: افْعَلْ يَا فُلَانُ كَذَا وَأَنَا مَعَكَ، يَعْنِي: إِنِّي نَاصِرُكَ عَلَى فِعْلِكَ ذَلِكَ وَمُعِينُكَ عَلَيْهِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ حَضٌّ مِنَ اللهِ -تَعَالَى ذِكْرُهُ- عَلَى طَاعَتِهِ وَاحْتِمَالِ مَكْرُوهِهَا عَلَى الْأَبْدَانِ وَالْأَمْوَالِ.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِي فِي

جِهَادِ عَدُوِّكُمْ، وَتَرْكِ مَعَاصِيَّ، وَأَدَاءِ سَائِرِ فَرَائِضِي عَلَيْكُمْ، وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ؛ فَإِنَّ الْمَيِّتَ مِنْ خَلْقِي مَنْ سَلَبْتُهُ حَيَاتَهُ وَأَعْدَمْتُهُ حَوَاسَّهُ، فَلَا يَلْتَذُّ لَذَّةً وَلَا يُدْرِكُ نَعِيمًا..

﴿بَلْ﴾ فَإِنَّ مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ وَمِنْ سَائِرِ خَلْقِي فِي سَبِيلِي..

﴿أَحْيَآءٌ﴾ عِنْدِي فِي حَيَاةٍ وَنُعَيْمٍ وَعَيْشٍ هَنِيٍّ وَرِزْقٍ سَنِيٍّ، فَرِحِينَ بِمَا آتَيْتُهُمْ مِنْ فَضْلِي وَحَبَوْتُهُمْ بِهِ مِنْ كَرَامَتِي.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«الشُّهَدَاءُ عَلَىٰ بَارِقٍ - نَهْرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ - فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»**..

﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ١٥٤﴾ [البقرة: ١٥٤] وَلَكِنَّكُمْ لَا تَرَوْنَهُمْ فَتَعْلَمُوا أَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ، وَإِنَّمَا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ بِخَبَرِي إِيَّاكُمْ بِهِ.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾ [البقرة: ١٥٥].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ يَا أَتْبَاعَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمُمْتَحِنُكُم بِشَدَائِدَ مِنَ الْأُمُورِ؛ لِيَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ، كَمَا ابْتَلَاهُمْ فَامْتَحَنَهُمْ بِتَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ، وَكَمَا امْتَحَنَ أَصْفِيَاءَهُ قَبْلَهُمْ، وَوَعَدَهُمْ ذَلِكَ فِي آيَةٍ أُخْرَىٰ فَقَالَ لَهُمْ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ٢١٤﴾ [البقرة: ٢١٤]..

﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ مِنَ الْعَدُوِّ..

﴿وَٱلْجُوعِ﴾ بِشَيْءٍ من الجُوعِ، وَهُوَ الْقَحْطُ، وَالشِّدَّةُ..

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ وَتَعَذُّرُ الْمَطَالِبُ عَلَيْكُمْ فَتَنْقُصُ لِذَلِكَ أَمْوَالُكُمْ..

﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ وَحُرُوبٍ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ، فَيَنْقُصُ لَهَا عَدَدُكُمْ، وَمَوْتُ ذَرَارِيِّكُمْ، وَأَوْلَادِكُمْ..

﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وَجُدُوبٌ تَحْدُثُ، فَتَنْقُصُ لَهَا ثِمَارُكُمْ، كُلُّ ذَلِكَ امْتِحَانٌ مِنِّي لَكُمْ، وَاخْتِبَارٌ مِنِّي لَكُمْ، فَيَتَبَيَّنُ صَادِقُوكُمْ فِي إِيمَانِهِمْ مِنْ كَاذِبِيكُمْ فِيهِ، وَيُعْرَفُ أَهْلُ الْبَصَائِرِ فِي دِينِهِمْ مِنْكُمْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ فِيهِ وَالشَّكِّ وَالِارْتِيَابِ..

﴿وَبَشِّرِ﴾ وَخُصَّ يَا مُحَمَّدُ بِالْبِشَارَةِ عَلَىٰ مَا يَمْتَحِنُهُمْ بِهِ مِنَ الشَّدَائِدِ..

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥﴾ [البقرة: ١٥٥] أَهْلَ الصَّبْرِ عَلَىٰ امْتِحَانِي بِمَا أَمْتَحِنُهُمْ بِهِ، وَالْحَافِظِينَ أَنْفُسَهُمْ عَنِ التَّقَدُّمِ عَلَىٰ نَهْيِي عَمَّا أَنْهَاهُمْ عَنْهُ، وَالْآخِذِينَ أَنْفُسَهُمْ بِأَدَاءِ مَا أُكَلِّفُهُمْ مِنْ فَرَائِضِي، مَعَ ابْتِلَائِي إِيَّاهُمْ بِمَا ابْتَلَيْتُهُمْ بِهِ.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٦].

﴿ٱلَّذِينَ﴾ يَعْلَمُونَ أَنَّ جَمِيعَ مَا بِهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنِّي، فَيُقِرُّونَ بِعُبُودِيَّتِي، وَيُوَحِّدُونَنِي بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَيُصَدِّقُونَ بِالْمَعَادِ وَالرُّجُوعِ إِلَيَّ، فَيَسْتَسْلِمُونَ لِقَضَائِي، وَيَرْجُونَ ثَوَابِي وَيَخَافُونَ عِقَابِي، وَيَقُولُونَ..

﴿إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ﴾ تَسْلِيمًا لِقَضَائِي وَرِضًا بِأَحْكَامِي، عِنْدَ امْتِحَانِي إِيَّاهُمْ بِبَعْضِ مِحَنِي، وَابْتِلَائِي إِيَّاهُمْ بِمَا وَعَدْتُهُمْ أَنْ أَبْتَلِيَهُمْ بِهِ مِنَ الْخَوْفِ، وَالْجُوعِ وَنَقْصِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِي أَنَا مُمْتَحِنُهُمْ بِهَا..

﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ إِنَّا مَمَالِيكُ رَبِّنَا وَمَعْبُودِنَا وَنَحْنُ عَبِيدُهُ..

﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ﴾ بَعْدَ مَمَاتِنَا..

﴿رَٰجِعُونَ ۝١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٦] صَائِرُونَ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ۝١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٧].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الصَّابِرُونَ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ وَنَعَتَهُمْ..

﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ لَهُمْ..

﴿صَلَوَٰتٞ﴾ مَغْفِرَةٌ.. وَصَلَوَاتُ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ غُفْرَانُهُ لِعِبَادِهِ، كَالَّذِي رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ آلِ أَبِي أَوْفَىٰ» يَعْنِي اغْفِرْ لَهُمْ..

﴿مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ لَهُمْ مَعَ الْمَغْفِرَةِ الَّتِي بِهَا صَفَحَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ وَتَغَمُّدِهَا..

﴿وَرَحۡمَةٞۖ﴾ مِنَ اللهِ وَرَأْفَةٌ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ۝١٥٧﴾ وَمَعَ الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُ مُعْطِيهِمْ عَلَىٰ اصْطِبَارِهِمْ عَلَىٰ مِحَنِهِ، تَسْلِيمًا مِنْهُمْ لِقَضَائِهِ مِنَ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، أولئك هُمُ الْمُهْتَدُونَ الْمُصِيبُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ، وَالْقَائِلُونَ مَا يُرْضِي عَنْهُمْ رَبَّهُم، وَالْفَاعِلُونَ مَا اسْتَوْجَبُوا بِهِ مِنَ اللهِ الْجَزِيلَ مِنَ الثَّوَابِ.

﴿* إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾ [البقرة: ١٥٨].

﴿* إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ الْجَبَلَيْنِ الْمُسَمَّيَيْنِ بِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ اللَّذَيْنِ فِي حَرَمِهِ..

﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ مِنْ مَعَالِمِ اللهِ الَّتِي جَعَلَهَا -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لِعِبَادِهِ مَعْلَمًا وَمَشْعَرًا، يَعْبُدُونَهُ عِنْدَهَا، إِمَّا بِالدُّعَاءِ، وَإِمَّا بِالذِّكْرِ، وَإِمَّا بِأَدَاءِ مَا فُرِضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَمَلِ عِنْدَهَا.. فأعلم الله تعالىٰ ذكره عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ السَّعْيَ بَيْنَهُمَا مِنْ مَشَاعِرِ الْحَجِّ الَّتِي سَنَّهَا لَهُمْ، وَأَمَرَ بِهَا خَلِيلَهُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، إِذْ سَأَلَهُ أَنْ يُرِيَهُ مَنَاسِكَ الْحَجِّ.. وَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُهُ مَخْرَجَ الْخَبَرِ، فَإِنَّهُ مُرَادٌ بِهِ الْأَمْرُ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَدْ أَمَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِاتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، وَجَعَلَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِبْرَاهِيمَ إِمَامًا لِمَنْ بَعْدَهُ، فَإِذَا كَانَ صَحِيحًا أَنَّ الطَّوَافَ وَالسَّعْيَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ وَمِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ ﷺ قَدْ عَمِلَ بِهِ وَسَنَّهُ لِمَنْ بَعْدَهُ، وَقَدْ أَمَرَ نَبِيَّنَا ﷺ أُمَّتَهُ بِاتِّبَاعِهِ، فَعَلَيْهِمُ الْعَمَلُ بِذَلِكَ عَلَىٰ مَا بَيَّنَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ..

﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾ فَمَنْ أَتَاهُ عَائِدًا إِلَيْهِ بَعْدَ بَدْءٍ.. وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ أَكْثَرَ الِاخْتِلَافَ إِلَىٰ شَيْءٍ فَهُوَ حَاجٌّ إِلَيْهِ.. وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْحَاجِّ حَاجٌّ؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي الْبَيْتَ قَبْلَ التَّعْرِيفِ-الوقوف بعرفة-، ثُمَّ يَعُودُ إِلَيْهِ لِطَوَافِ يَوْمِ النَّحْرِ بَعْدَ التَّعْرِيفِ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ عَنْهُ إِلَىٰ مِنىً، ثُمَّ يَعُودُ إِلَيْهِ لِطَوَافِ الصَّدْرِ، فَلِتَكْرَارِهِ الْعَوْدَ إِلَيْهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَىٰ قِيلَ لَهُ حَاجٌّ..

﴿أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾ الْبَيْتَ، وَيَعْنِي بِالِاعْتِمَارِ الزِّيَارَةَ، فَكُلُّ قَاصِدٍ لِشَيْءٍ فَهُوَ لَهُ مُعْتَمِرٌ.. وَأَمَّا الْمُعْتَمِرُ فَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ مُعْتَمِرٌ: لِأَنَّهُ إِذَا طَافَ بِهِ انْصَرَفَ عَنْهُ بَعْدَ زِيَارَتِهِ إِيَّاهُ..

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ وَلَا مَأْثَمَ فِي طَوَافِهِ بِهِمَا.. فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا اعْتَمَرَ عُمْرَةَ الْقَضِيَّةِ تَخَوَّفَ أَقْوَامٌ كَانُوا يَطُوفُونَ بِهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ؛ لِصَنَمَيْنِ كَانَا عَلَيْهِمَا، تَعْظِيمًا مِنْهُمْ لَهُمَا فَقَالُوا: وَكَيْفَ نَطُوفُ بِهِمَا وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ تَعْظِيمَ الْأَصْنَامِ وَجَمِيعَ مَا كَانَ يُعْبَدُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ دُونِ اللهِ شِرْكٌ؟ فَفِي طَوَافِنَا بِهَاذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ أَحَدُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الطَّوَافَ بِهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِنَّمَا كَانَ لِلصَّنَمَيْنِ اللَّذَيْنِ كَانَا عَلَيْهِمَا، وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالْإِسْلَامِ الْيَوْمَ وَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ تَعْظِيمِ شَيْءٍ مَعَ اللهِ بِمَعْنَىٰ الْعِبَادَةِ لَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ: ﴿* إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾، فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا يَتَخَوَّفَنَّ الطَّوَافَ بِهِمَا مِنْ أَجْلِ مَا

كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَطُوفُونَ بِهِمَا مِنْ أَجْلِ الصَّنَمَيْنِ اللَّذَيْنِ كَانَا عَلَيْهِمَا، فَإِنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ كَانُوا يَطُوفُونَ بِهِمَا كُفْرًا، وَأَنْتُمْ تَطُوفُونَ بِهِمَا إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا لِرَسُولِي وَطَاعَةً لِأَمْرِي، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي الطَّوَافِ بِهِمَا، فَقَدْ جَعَلَ الطَّوَافَ بَيْنَ الصَّفَا، وَالْمَرْوَةِ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ، كَمَا جَعَلَ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ مِنْ شَعَائِرِهِ.. وَبِمِثْلِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ تَظَاهَرَتِ الرِّوَايَةُ عَنِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.. ولَيْسَ فِي قَوْلِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ الْآيَةَ، دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّهُ عَنَىٰ بِهِ وَضْعَ الْحَرَجِ عَمَّنْ طَافَ بِهِمَا، مِنْ أَجْلِ أَنَّ الطَّوَافَ بِهِمَا كَانَ غَيْرَ جَائِزٍ بِحَظْرِ اللهِ ذَلِكَ، ثُمَّ جَعَلَ الطَّوَافَ بِهِمَا رُخْصَةً؛ لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَمْ يَحْظُرْ ذَلِكَ فِي وَقْتٍ، ثُمَّ رَخَّصَ فِيهِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾..

﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ بَعْدَ قَضَاءِ حَجَّتِهِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْهِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾ لَهُ عَلَىٰ تَطَوُّعِهِ لَهُ بِمَا تَطَوَّعَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ فَمُجَازِيهِ بِهِ..

﴿عَلِيمٌ ١٥٨﴾ [البقرة: ١٥٨] بِمَا قَصَدَ وَأَرَادَ بِتَطَوُّعِهِ بِمَا تَطَوَّعَ بِهِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة: ١٥٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ من عُلَمَاءِ الْيَهُودِ وَأَحْبَارِهِم، وَعُلَمَاءِ النَّصَارَىٰ..

﴿مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ مِنْ أَمْرِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَبْعَثِهِ وَصِفَتِهِ فِي الْكِتَابَيْنِ، التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، اللَّذَيْنِ أَخْبَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّ أَهْلَهُمَا يَجِدُونَ صِفَتَهُ فِيهِمَا..

﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾ مَا أَوْضَحَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِ فِي الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ﴾ يعني: لِبَعْضِ النَّاسِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصِفَتِهِ وَمَبْعَثِهِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ دُونَ غَيْرِهِمْ..

﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ وَإِنْ كَانَتْ نَزَلَتْ فِي خَاصٍّ مِنَ النَّاسِ، فَإِنَّهَا مَعْنِيٌّ بِهَا كُلُّ كَاتِمٍ عِلْمًا فَرَضَ اللهُ تَعَالَىٰ بَيَانَهُ لِلنَّاسِ، وَذَلِكَ نَظِيرُ الْخَبَرِ الَّذِي رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ، وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ: لَوْلَا آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ، وَتَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَهُ اللهُ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصِفَتِهِ وَأَمْرِ دِينِهِ أَنَّهُ الْحَقُّ، مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَهُ اللهُ لَهُمْ فِي كُتُبِهِمْ..

﴿يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ يُبْعِدُهُمُ اللهُ مِنْهُ وَمِنْ رَحْمَتِهِ؛ بِكِتْمَانِهِمْ ذَلِكَ وَتَرْكِهِمْ تَبْيِينَهُ لِلنَّاسِ..

﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة: ١٥٩] وَيَسْأَلُ رَبَّهُمُ اللَّاعِنُونَ من الْمَلَائِكَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَلْعَنَهُمْ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البقرة: ١٦٠].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ إِلَّا مَنْ أَنَابَ مِنْ كِتْمَانِهِ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَرَاجَعَ التَّوْبَةَ بِالْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْإِقْرَارِ بِهِ وَبِنُبُوَّتِهِ، وَتَصْدِيقِهِ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَبَيَانِ مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي كُتُبِهِ الَّتِي أَنْزَلَ إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ مِنَ الْأَمْرِ بِاتِّبَاعِهِ..

﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ وَأَصْلَحَ حَالَ نَفْسِهِ بِالتَّقَرُّبِ إِلَىٰ اللهِ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ بِمَا يُرْضِيهُ عَنْهُ..

﴿وَبَيَّنُواْ﴾ وَبَيَّنَ الَّذِي عَلِمَ مِنْ وَحْيِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَعَهِدَ إِلَيْهِمْ فِي كُتُبِهِ فَلَمْ يَكْتُمْهُ وَأَظْهَرَهُ فَلَمْ يُخْفِهِ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَعَلُوا هَذَا الَّذِي وَصَفْتُ مِنْهُمْ، هُمُ الَّذِينَ..

﴿أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ فَأَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيَابِ إِلَىٰ طَاعَتِي وَالْإِنَابَةِ إِلَىٰ مَرْضَاتِي..

﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ﴾ وَأَنَا الَّذِي أَرْجِعُ بِقُلُوبِ عَبِيدِي الْمُنْصَرِفَةِ عَنِّي إِلَيَّ، وَالرَّادُّهَا بَعْدَ إِدْبَارِهَا عَنْ طَاعَتِي إِلَىٰ طَلَبِ مَحَبَّتِي..

﴿ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البقرة: ١٦٠] بِالْمُقْبِلِينَ بَعْدَ إِقْبَالِهِمْ إِلَيَّ أَتَغَمَّدُهُمْ مِنِّي بِعَفْوٍ، وَأَصْفَحُ عَنْ عَظِيمِ مَا كَانُوا اجْتَرَمُوا فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِي لَهُمْ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ١٦١﴾
[البقرة: ١٦١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَكَذَّبُوا بِهِ مِنَ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ، وَسَائِرِ أَهْلِ الْمِلَلِ وَالْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ وَهُمْ عَلَىٰ جُحُودِهِمْ ذَلِكَ وَتَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ..

﴿عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾ أَبْعَدَهُمُ اللهُ وَأَسْحَقَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ..

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١] وَلَعْنَةُ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ إِيَّاهُمْ قَوْلُهُمْ: عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦٢].

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ فِي اللَّعْنَةِ..

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أَبَدًا مِنْ غَيْرِ تَوْقِيتٍ وَلَا تَخْفِيفٍ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] وَكَمَا قَالَ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]..

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦٢] بِمَعْذِرَةٍ يَعْتَذِرُونَ.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾ الَّذِي يَسْتَحِقُّ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الطَّاعَةَ لَهُ، وَيَسْتَوْجِبُ مِنْكُمُ الْعِبَادَةَ..

﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ مَعْبُودٌ وَرَبٌّ وَاحِدٌ، فَلَا تَعْبُدُوا غَيْرَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا مَعَهُ سِوَاهُ، فَإِنَّ مَنْ تُشْرِكُونَهُ مَعَهُ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ هُوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ إِلَهِكُمْ، مِثْلُكُمْ، وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ..

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] لَا رَبَّ لِلْعَالَمِينَ غَيْرُهُ، وَلَا يَسْتَوْجِبُ عَلَىٰ الْعِبَادِ الْعِبَادَةَ سِوَاهُ، وَأَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ فَهُمْ خَلْقُهُ، وَالْوَاجِبُ عَلَىٰ جَمِيعِهِمْ طَاعَتُهُ، وَالِانْقِيَادُ لِأَمْرِهِ وَتَرْكُ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ، وَهَجْرِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ خَلْقُهُ، وَعَلَىٰ جَمِيعِهِمُ الدَّيْنُونَةُ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ، وَلَا تَنْبَغِي الْأُلُوهِيَّةُ إِلَّا لَهُ؛ إِذْ كَانَ مَا بِهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ فِي الدُّنْيَا فَمِنْهُ دُونَ مَا يَعْبُدُونَهُ مِنَ الْأَوْثَانِ وَيُشْرِكُونَ مَعَهُ مِنَ الْأَشْرَاكِ وَمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ فِي الْآخِرَةِ فَمِنْهُ، وَأَنَّ مَا أَشْرَكُوا مَعَهُ مِنَ الْأَشْرَاكِ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ فِي عَاجِلٍ وَلَا فِي آجِلٍ، وَلَا فِي دُنْيَا، وَلَا فِي آخِرَةٍ.. وَهَذَا تَنْبِيهٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَهْلَ الشِّرْكِ بِهِ عَلَىٰ ضَلَالِهِمْ، وَدُعَاءٌ مِنْهُ لَهُمْ إِلَىٰ الْأَوْبَةِ مِنْ كُفْرِهِمْ، وَالْإِنَابَةِ مِنْ شِرْكِهِمْ.. ثُمَّ عَرَّفَهُمْ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِالْآيَةِ الَّتِي تَتْلُوهَا مَوْضِعَ اسْتِدْلَالِ ذَوِي الْأَلْبَابِ مِنْهُمْ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا نَبَّهَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ وَحُجَجِهِ الْوَاضِحَةِ الْقَاطِعَةِ عُذْرَهُمْ، فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ إِنْ جَهِلْتُمْ أَوْ شَكَكْتُمْ فِي حَقِيقَةِ مَا أَخْبَرْتُكُمْ مِنَ الْخَبَرِ مِنْ أَنَّ إِلَهَكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ دُونَ مَا تَدَّعُونَ أُلُوهِيَّتَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ، فَتَدَبَّرُوا حُجَجِي وَفَكِّرُوا فِيهَا، فَإِنَّ مِنْ حُجَجِي: خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَاخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالْفُلْكُ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ، وَمَا أَنْزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَيْتُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَمَا بَثَثْتُ فِيهَا مِنْ كُلِّ

دَابَّةٍ، وَالسَّحَابُ الَّذِي سَخَّرْتُهُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَعْبُدُونَهُ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ وَسَائِرِ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ، إِذَا اجْتَمَعَ جَمِيعُهُ فَتَظَاهَرَ، أَوِ انْفَرَدَ بَعْضُهُ دُونَ بَعْضٍ، يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ نَظِيرَ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِي، الَّذِي سَمَّيْتُ لَكُمْ، فَلَكُمْ بِعِبَادَتِكُمْ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِي حِينَئِذٍ عُذْرٌ، وَإِلَّا فَلَا عُذْرَ لَكُمْ فِي اتِّخَاذِ إِلَهٍ سِوَايَ، وَلَا إِلَهَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ غَيْرِي، فَلْيَتَدَبَّرْ أُولُو الْأَلْبَابِ إِيجَازَ اللهِ احْتِجَاجَهُ عَلَىٰ جَمِيعِ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، وَالْمُلْحِدِينَ فِي تَوْحِيدِهِ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَفِي الَّتِي بَعْدَهَا، بِأَوْجَزِ كَلَامٍ، وَأَبْلَغِ حُجَّةٍ، وَأَلْطَفِ مَعْنًىٰ يُشْرِفُ بِهِمْ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ فَضْلِ حِكْمَةِ اللهِ وَبَيَانِهِ.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إِنَّ فِي إِنْشَاءِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَابْتِدَاعِهِمَا..

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ وَتَعَاقُبِ اللَّيْلِ، وَالنَّهَارِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿وَٱلْفُلْكِ﴾ والسُّفُنِ..

﴿ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ فِي الْبَحْرِ..

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾ وَفِيمَا أَنْزَلَهُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ، وَهُوَ الْمَطَرُ الَّذِي يُنْزِلُهُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿فَأَحْيَا بِهِ﴾ بالْمَاءِ..

﴿ٱلْأَرْضَ﴾ بعِمَارَتِهَا وَإِخْرَاجِ نَبَاتِهَا..

﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وخَرَابِهَا وَدُثُورِ عِمَارَتِهَا، وَانْقِطَاعِ نَبَاتِهَا الَّذِي هُوَ لِلْعِبَادِ أَقْوَاتٌ، وَلِلْأَنَامِ أَرْزَاقٌ..

﴿وَبَثَّ﴾ وَفَرَّقَ..

﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ وَالدَّابَّةُ اسْمٌ لِكُلِّ ذِي رُوحٍ كَانَ غَيْرَ طَائِرٍ بِجَنَاحَيْهِ؛ لِدَبِيبِهِ عَلَىٰ الْأَرْضِ..

﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ وَفِي تَصْرِيفِ الرِّيَاحِ يُرْسِلُهَا مَرَّةً لَوَاقِحَ، وَمَرَّةً يَجْعَلُهَا عَقِيمًا، وَيَبْعَثُهَا عَذَابًا تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا..

﴿وَٱلسَّحَابِ﴾ وَفِي جَرِّ السَّحَابِ بَعْضِهِ بَعْضًا، وَسَحْبِهِ إِيَّاهُ.. مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: مَرَّ فُلَانٌ يَجُرُّ ذَيْلَهُ: يَعْنِي يَسْحَبُهُ..

﴿ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ﴾ فَإِنَّهُ عَلَامَاتٍ وَدَلَالَاتٍ عَلَىٰ أَنَّ خَالِقَ ذَٰلِكَ كُلِّهِ وَمُنْشِئَهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ..

﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤] لِمَنْ عَقَلَ مَوَاضِعَ الْحُجَجِ، وَفَهِمَ عَنِ اللهِ أَدِلَّتَهُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ.. فَأَعْلَمَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عِبَادَهُ بِأَنَّ الْأَدِلَّةَ، وَالْحُجَجَ إِنَّمَا وُضِعَتْ مُعْتَبَرًا لِذَوِي الْعُقُولِ وَالتَّمْيِيزِ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ؛ إِذْ كَانُوا هُمُ الْمَخْصُوصِينَ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالْمُكَلَّفِينَ بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ، وَلَهُمُ الثَّوَابُ وَعَلَيْهِمُ الْعِقَابُ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ١٦٥﴾

[البقرة: ١٦٥].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ عِدْلًا لَهُ، أُرِيدَ بِهَا الْأَنْدَادُ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُمْ فِيمَا أَمَرُوهُمْ بِهِ مِنْ أَمْرٍ، وَيَعْصَوْنَ اللهَ فِي طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُمْ، كَمَا يُطِيعُ اللهَ الْمُؤْمِنُونَ وَيَعْصَوْنَ غَيْرَهُ..

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ أَنْفُسَهُمْ فَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِي أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ المؤمنين إِيَّايَ..

﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ حِينَ يُعَايِنُونَ عَذَابِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي أَعْدَدْتُ لَهُمْ لَعَلِمْتُمْ..

﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ﴾ كُلَّهَا..

﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ دُونَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ، وَأَنَّ الْأَنْدَادَ وَالْآلِهَةَ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ هُنَالِكَ شَيْئًا، وَلَا تَدْفَعُ عَنْهُمْ عَذَابًا أَحْلَلْتُ بِهِمْ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ١٦٥﴾ [البقرة: ١٦٥] وَأَيْقَنْتُمْ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ لِمَنْ كَفَرَ بِي وَادَّعَىٰ مَعِي إِلَهًا غَيْرِي.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ١٦٦﴾

[البقرة: ١٦٦].

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾ من الْأَنْدَادَ الَّذِينَ اتَّخَذَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ وَصَفَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- صِفَتَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥] عَلَىٰ الشِّرْكِ بِاللهِ.. وَلَمْ يُخَصِّصْ بِذَٰلِكَ مِنْهُمْ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ، بَلْ عَمَّ جَمِيعَهُمْ، فَدَخَلَ فِي ذَٰلِكَ كُلُّ مَتْبُوعٍ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِاللهِ وَالضَّلَالِ أَنَّهُ يَتَبَرَّأُ..

﴿مِنَ﴾ أَتْبَاعِهِمْ..

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ الَّذِينَ كَانُوا يَتَّبِعُونَهُم عَلَى الضَّلَالِ فِي الدُّنْيَا، فَيُطِيعُونَهُمْ فِيمَا أَمَرُوهُمْ بِهِ مِنْ أَمْرٍ، وَيَعْصَوْنَ اللهَ فِي طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُمْ، كَمَا يُطِيعُ اللهُ الْمُؤْمِنُونَ وَيَعْصُونَ غَيْرَهُ..

﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ حِينَ يُعَايِنُونَ عَذَابَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ۝١٦٦﴾ [البقرة: ١٦٦] وَإِذْ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ فَقَدْ أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فِي كِتَابِهِ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَلْعَنُ بَعْضًا، وَأَخْبَرَ عَنِ الشَّيْطَانِ أَنَّهُ يَقُولُ لِأَوْلِيَائِهِ: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، وَأَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّ الْأَخِلَّاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ، وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا يَنْصُرُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥﴾ [الصافات: ٢٤- ٢٥]، وَأَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَا يَنْفَعُهُ نَسِيبُهُ وَلَا ذُو رَحِمِهِ، وَإِنْ كَانَ نَسِيبُهُ لِلَّهِ وَلِيًّا، فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فِي ذَلِكَ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤]، وَأَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّ أَعْمَالَهُمْ تَصِيرُ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.. وَكُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي أَسْبَابٌ يُتَسَبَّبُ فِي الدُّنْيَا بِهَا إِلَىٰ مَطَالِبَ، فَقَطَعَ اللهُ مَنَافِعَهَا فِي الْآخِرَةِ عَنِ الْكَافِرِينَ بِهِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ بِخِلَافِ طَاعَتِهِ وَرِضَاهُ، فَهِيَ مُنْقَطِعَةٌ بِأَهْلِهَا، فَلَا خِلَالُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا يَنْفَعُهُمْ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَلَا عِبَادَتُهُمْ أَنْدَادَهُمْ، وَلَا طَاعَتُهُمْ شَيَاطِينَهُمْ، وَلَا دَافَعَتْ عَنْهُمْ أَرْحَامٌ فَنَصَرَتْهُمْ مِنَ انْتِقَامِ اللهِ مِنْهُمْ، وَلَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ أَعْمَالُهُمْ، بَلْ صَارَتْ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ، فَكُلُّ أَسْبَابِ الْكُفَّارِ مُنْقَطِعَةٌ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۝١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٧].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ وَقَالَ أَتْبَاعُ الرِّجَالِ الَّذِينَ كَانُوا اتَّخَذُوهُمْ أَنْدَادًا مِنْ دُونِ اللهِ، يُطِيعُونَهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَيَعْصُونَ رَبَّهُمْ فِي طَاعَتِهِمْ؛ إِذْ يَرَوْنَ عَذَابَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رَجْعَةً إِلَىٰ الدُّنْيَا..

﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا يُطِيعُونَهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ..

﴿كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ كَمَا تَبَرَّأَ مِنْهُمْ رُؤَسَاؤُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا الْمَتْبُوعُونَ فِيهَا عَلَىٰ الْكُفْرِ

بِاللهِ إِذْ عَايَنُوا عَظِيمَ النَّازِلَ بِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ، فَقَالُوا: يَا لَيْتَ لَنَا كَرَّةً إِلَىٰ الدُّنْيَا فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: ٢٧].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا أَرَاهُمُ الْعَذَابَ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ [البقرة: ١٦٦] الَّذِي كَانُوا يُكَذِّبُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا، فَكَذَلِكَ..

﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ الْكَافِرِينَ..

﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ الْخَبِيثَةَ الَّتِي اسْتَحَقُّوا بِهَا الْعُقُوبَةَ مِنَ اللهِ..

﴿حَسَرَٰتٍ﴾ نَدَامَاتٍ.. وَقِيلَ إِنَّ الْحَسْرَةَ أَشَدُّ النَّدَامَةِ..

﴿عَلَيْهِمْ﴾ لِمَ عَمِلُوا بِهَا؟ وَهَلَّا عَمِلُوا بِغَيْرِهَا؟ فَنَدِمُوا عَلَىٰ مَا فَرَّطَ مِنْهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الرَّدِيئَةِ إِذْ رَأَوْا جَزَاءَهَا مِنَ اللهِ وَعِقَابَهَا؛ لِأَنَّ اللهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ يُرِيهِمْ أَعْمَالَهُمْ نَدَمًا عَلَيْهِمْ..

﴿وَمَا هُم﴾ وَمَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ، وَإِنْ نَدِمُوا بَعْدَ مُعَايَنَتِهِمْ مَا عَايَنُوا مِنْ عَذَابِ اللهِ، فَاشْتَدَّتْ نَدَامَتُهُمْ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ، وَتَمَنَّوْا إِلَىٰ الدُّنْيَا كَرَّةً لِيُنِيبُوا فِيهَا، وَيَتَبَرَّءُوا مِنْ مُضِلِّيهِمْ وَسَادَتِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا يُطِيعُونَهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ..

﴿بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٧] الَّتِي أَصْلَاهُمُوهَا اللهُ بِكُفْرِهِمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَلَا نَدَمُهُمْ فِيهَا بِمُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ حِينَئِذٍ، وَلَكِنَّهُمْ فِيهَا مُخَلَّدُونَ.. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ تَكْذِيبِ اللهِ الزَّاعِمِينَ أَنَّ عَذَابَ اللهِ أَهْلَ النَّارِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ مُنْقَضٍ، وَأَنَّهُ إِلَىٰ نِهَايَةٍ، ثُمَّ هُوَ بَعْدَ ذَلِكَ فَانٍ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ثُمَّ خَتَمَ الْخَبَرَ عَنْهُمْ، أَنَّهُمْ غَيْرُ خَارِجِينَ مِنَ النَّارِ بِغَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ مِنْهُ وَقْتًا دُونَ وَقْتٍ، فَذَلِكَ إِلَىٰ غَيْرِ حَدٍّ وَلَا نِهَايَةٍ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة: ١٦٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا﴾ مُطْلَقًا مِمَّا أَحْلَلْتُ لَكُمْ مِنَ الْأَطْعِمَةِ، عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِي مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿طَيِّبًا﴾ طَاهِرًا غَيْرَ نَجِسٍ وَلَا مُحَرَّمٍ -فَطَيِّبُهُ لَكُمْ- مِمَّا تُحَرِّمُونَهُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مِنَ الْبَحَائِرِ، وَالسَّوَائِبِ، وَالْوَصَائِلِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ أُحَرِّمْهُ عَلَيْكُمْ، دُونَ مَا حَرَّمْتُهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَآكِلِ فَنَجَّسْتُهُ، مِنْ مَيْتَةٍ، وَدَمٍ، وَلَحْمِ خِنْزِيرٍ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِي..

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ وَدَعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ الَّذِي يُوبِقُكُمْ، فَيُهْلِكُكُمْ وَيُورِدُكُمْ مَوَارِدَ الْعَطَبِ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْكُمْ أَمْوَالَكُمْ، فَلَا تَتَّبِعُوهَا وَلَا تَعْمَلُوا بِهَا.. وفِي النَّهْيِ عَنِ اتِّبَاعِ خُطُوَاتِهِ، النَّهْيُ عَنْ طَرِيقِهِ وَأَثَرِهِ فِيمَا دَعَا إِلَيْهِ مِمَّا هُوَ خِلَافُ طَاعَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-..

﴿إِنَّهُ لَكُمْ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿عَدُوٌّ مُبِينٌ ١٦٨﴾ [البقرة: ١٦٨] قَدْ أَبَانَ لَكُمْ عَدَاوَتَهُ بِإِبَائِهِ عَنِ السُّجُودِ لِأَبِيكُمْ، وَغُرُورِهِ إِيَّاهُ، حَتَّىٰ أَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَاسْتَزَلَّهُ بِالْخَطِيئَةِ، وَأَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ.. فَلَا تَنْتَصِحُوهُ أَيُّهَا النَّاسُ مَعَ إِبَانَتِهِ لَكُمُ الْعَدَاوَةَ، وَدَعُوا مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ، وَالْتَزِمُوا طَاعَتِي فِيمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَنَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، مِمَّا أَحْلَلْتُهُ لَكُمْ وَحَرَّمْتُهُ عَلَيْكُمْ، دُونَ مَا حَرَّمْتُمُوهُ أَنْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَحَلَّلْتُمُوهُ طَاعَةً مِنْكُمْ لِلشَّيْطَانِ وَاتِّبَاعًا لِأَمْرِهِ.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ١٦٩﴾ [البقرة: ١٦٩].

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾ الشَّيْطَانَ..

﴿بِالسُّوءِ﴾ بالإِثْمِ من مَعَاصِي اللهِ، سَمَّاهَا اللهُ سُوءًا؛ لِأَنَّهَا تَسُوءُ صَاحِبَهَا بِسُوءِ عَاقِبَتِهَا لَهُ عِنْدَ اللهِ..

﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ وَهِيَ كُلُّ مَا اسْتُفْحِشَ ذِكْرُهُ، وَقَبُحَ مَسْمُوعُهُ.. وَقِيلَ: إِنَّ الْفَحْشَاءَ: الزِّنَا؛ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَإِنَّمَا يُسَمَّىٰ لِقُبْحِ مَسْمُوعِهِ وَمَكْرُوهِ مَا يُذْكَرُ بِهِ فَاعِلُهُ..

﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ١٦٩﴾ [البقرة: ١٦٩] فَأَخْبَرَهُمْ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ قِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ حَرَّمَ هَذَا مِنَ الْكَذِبِ الَّذِي يَأْمُرُهُمْ بِهِ الشَّيْطَانُ، وَأَنَّهُ قَدْ أَحَلَّهُ لَهُمْ وَطَيَّبَهُ، وَلَمْ يُحَرِّمْ أَكْلَهُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ عَلَىٰ اللهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَتَهُ، طَاعَةً مِنْهُمْ لِلشَّيْطَانِ، وَاتِّبَاعًا مِنْهُمْ خُطُوَاتِهِ، وَاقْتِفَاءً مِنْهُمْ آثَارَ أَسْلَافِهِمُ الضُّلَّالِ، وَآبَائِهِمُ الْجُهَّالِ، الَّذِينَ كَانُوا بِاللهِ وَبِمَا أَنْزَلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ جُهَّالًا، كَمَا أَنْزَلَ اللهُ فِي كِتَابِهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ١٧٠﴾ [البقرة: ١٧٠].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ للنَّاسِ الَّذِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨]..

﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ اعْمَلُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِي كِتَابِهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ، فَأَحِلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرِّمُوا

حَرَامَهُ، وَاجْعَلُوهُ لَكُمْ إِمَامًا تَأْتَمُّونَ بِهِ، وَقَائِدًا تَتَّبِعُونَ أَحْكَامَهُ، اسْتَكْبَرُوا عَنِ الْإِذْعَانِ لِلْحَقِّ، وَ..

﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا﴾ وَجَدْنَا..

﴿عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ فَنَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَاهُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَحْلِيلِ مَا كَانُوا يُحِلُّونَ، وَتَحْرِيمِ مَا كَانُوا يُحَرِّمُونَ، قل..

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ يَعْنِي: آبَاءَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ مَضَوْا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ الْعَظِيمِ..

﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ مِنْ دِينِ اللهِ، وَفَرَائِضِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَيَتَّبِعُونَ عَلَىٰ مَا سَلَكُوا مِنَ الطَّرِيقِ، وَيُؤْتَمُّ بِهِمْ فِي أَفْعَالِهِمْ..

﴿وَلَا يَهْتَدُونَ ۝١٧٠﴾ [البقرة: ١٧٠] لِرُشْدٍ، فَيَهْتَدِي بِهِمْ غَيْرُهُمْ، وَيَقْتَدِي بِهِمْ مَنْ طَلَبَ الدِّينَ، وَأَرَادَ الْحَقَّ وَالصَّوَابَ.. فَكَيْفَ أَيُّهَا النَّاسُ تَتَّبِعُونَ مَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ، فَتَتْرُكُونَ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ، وَآبَاؤُكُمْ لَا يَعْقِلُونَ مِنْ أَمْرِ اللهِ شَيْئًا، وَلَا هُمْ مُصِيبُونَ حَقًّا وَلَا مُدْرِكُونَ رُشْدًا، وَإِنَّمَا يَتَّبِعُ الْمُتَّبِعُ ذَا الْمَعْرِفَةِ بِالشَّيْءِ الْمُسْتَعْمِلِ لَهُ فِي نَفْسِهِ، فَأَمَّا الْجَاهِلُ فَلَا يَتَّبِعُهُ فِيمَا هُوَ بِهِ جَاهِلٌ، إِلَّا مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا تَمْيِيزَ.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝١٧١﴾ [البقرة: ١٧١].

﴿وَمَثَلُ﴾ وَعْظِ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فِي قِلَّةِ فَهْمِهِم عَنِ اللهِ، ومَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ، وَسُوءِ قَبُولِهِم لِمَا يُدْعَون إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ..

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ كَمَثَلِ النَّاعِقِ بِغَنَمِهِ وبَهائِمِه الَّتِي تَسْمَعُ الصَّوْتَ ولا تَعْقِلُ كَلَامَهُ..

﴿صُمٌّ﴾ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً، صُمٌّ عَنِ الْحَقِّ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ..

﴿بُكْمٌ﴾ خُرْسٌ عَنْ قِيلِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ وَالْإِقْرَارِ بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ أَنْ يُقِرُّوا بِهِ، وَتَبْيِينِ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنْ يُبَيِّنُوهُ، مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ لِلنَّاسِ، فَلَا يَنْطِقُونَ بِهِ وَلَا يَقُولُونَهُ وَلَا يُبَيِّنُونَهُ لِلنَّاسِ..

﴿عُمْىٌ﴾ عَنِ الْهُدَىٰ وَطَرِيقِ الْحَقِّ فَلَا يُبْصِرُونَهُ..

﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝١٧١﴾ [البقرة: ١٧١] فهم لَا يَعْقِلُونَهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله وَرَسُولِهُ، وَأَقَرُّوا لِلَّهِ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَأَذْعَنُوا لَهُ بِالطَّاعَةِ..

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ أَطْعِمُوا مِنْ حَلَالِ الرِّزْقِ الَّذِي أَحْلَلْنَاهُ لَكُمْ، فَطَابَ لَكُمْ بِتَحْلِيلِي إِيَّاهُ لَكُمْ -مِمَّا كُنْتُمْ تُحَرِّمُونَ أَنْتُمْ وَلَمْ أَكُنْ حَرَّمْتُهُ عَلَيْكُمْ- مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ..

﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ﴾ وَأَثْنُوا عَلَىٰ اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، عَلَىٰ النِّعَمِ الَّتِي رَزَقَكُم وَطَيَّبَهَا لَكُمْ..

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢] إِنْ كُنْتُمْ مُنْقَادِينَ لِأَمْرِهِ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، فَكُلُوا مِمَّا أَبَاحَ لَكُمْ أَكْلَهُ وَحَلَّلَهُ وَطَيَّبَهُ لَكُمْ، وَدَعُوا فِي تَحْرِيمِهِ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ.. ثُمَّ بَيَّنَ لَهُمْ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ، وَفَصَّلَهُ لَهُمْ مُفَسَّرًا، فقال:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٧٣﴾ [البقرة: ١٧٣].

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا الْمَيْتَةَ..

﴿وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ وَمَا ذُبِحَ لِلْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ، يُسَمَّىٰ عَلَيْهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، أَوْ قُصِدَ بِهِ غَيْرُهُ مِنَ الْأَصْنَامِ. وَإِنَّمَا قِيلَ: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ﴾ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَرَادُوا ذَبْحَ مَا قَرَّبُوهُ لِآلِهَتِهِمْ سَمَّوْا اسْمَ آلِهَتِهِمُ الَّتِي قَرَّبُوا ذَلِكَ لَهَا وَجَهَرُوا بِذَلِكَ أَصْوَاتَهُمْ، فَجَرَىٰ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، حَتَّىٰ قِيلَ لِكُلِّ ذَابِحٍ يُسَمِّي أَوْ لَمْ يُسَمِّ، جَهَرَ بِالتَّسْمِيَةِ أَوْ لَمْ يَجْهَرْ: «مُهِلٌّ»، فَرَفْعُهُمْ أَصْوَاتَهُمْ بِذَلِكَ هُوَ الْإِهْلَالُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلْمُلَبِّي فِي حَجَّةٍ أَوْ عُمْرَةٍ مُهِلٌّ؛ لِرَفْعِهِ صَوْتَهُ بِالتَّلْبِيَةِ؛ وَمِنْهُ اسْتِهْلَالُ الصَّبِيِّ: إِذَا صَاحَ عِنْدَ سُقُوطِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، وَاسْتِهْلَالُ الْمَطَرِ: وَهُوَ صَوْتُ وُقُوعِهِ عَلَىٰ الْأَرْضِ..

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ فَمَنْ حَلَّتْ بِهِ ضَرُورَةُ مَجَاعَةٍ إِلَىٰ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَيْتَةِ، وَالدَّمِ، وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ، وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ، وَهُوَ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفْنَا.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ فَمَنْ أُكْرِهَ عَلَىٰ أَكْلِهِ فَأَكَلَهُ..

﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ بِأَكْلِهِ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِ مِنْ أَكْلِهِ..

﴿وَلَا عَادٍ﴾ فِي أَكْلِهِ فَوْقَ الحَاجَةِ..

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ مِنْ أَكْلِ ذَلِكَ عَلَىٰ الصِّفَةِ الَّتِي وَصَفْنَا، فَلَا تَبِعَةَ عَلَيْهِ فِي أَكْلِهِ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَا حَرَجَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ إِنْ أَطَعْتُمُ اللهَ فِي إِسْلَامِكُمْ، فَاجْتَنَبْتُمْ أَكْلَ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، وَتَرَكْتُمُ اتِّبَاعَ الشَّيْطَانِ فِيمَا كُنْتُمْ تُحَرِّمُونَهُ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ، طَاعَةً مِنْكُمْ لِلشَّيْطَانِ، وَاقْتِفَاءً مِنْكُمْ خُطُوَاتِهِ، مِمَّا لَمْ أُحَرِّمْهُ عَلَيْكُمْ..

﴿رَّحِيمٌ ۝١٧٣﴾ [البقرة: ١٧٣] بِكُمْ إِنْ أَطَعْتُمُوهُ.

> ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٧٤﴾ [البقرة: ١٧٤].

﴿إِنَّ﴾ أَحْبَارَ الْيَهُودِ..

﴿ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ النَّاسَ..

﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ من أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنُبُوَّتِهِ، وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ..

﴿وَيَشْتَرُونَ﴾ وَيَبْتَاعُونَ..

﴿بِهِۦ﴾ بِكِتْمَانِ النَّاسَ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَمْرِ نُبُوَّتِهِ..

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِي كَانُوا يُعْطُونَ عَلَىٰ تَحْرِيفِهِمْ كِتَابَ اللهِ، وَتَأْوِيلِهِمُوهُ عَلَىٰ غَيْرِ وَجْهِهِ، وَكِتْمَانِهِمُ الْحَقَّ فِي ذَلِكَ، الْيَسِيرُ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ فِي شَأْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْخَسِيسِ مِنَ الرِّشْوَةِ يُعْطَوْنَهَا، فَيُحَرِّفُونَ لِذَلِكَ آيَاتِ اللهِ وَيُغَيِّرُونَ مَعَانِيهَا..

﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ بِأَكْلِهِمْ مَا أَكَلُوا مِنَ الرِّشَا عَلَىٰ ذَلِكَ، وَمَا أَخَذُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَجْرِ..

﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ إِلَّا مَا يُورِدُهُمُ النَّارَ وَيُصْلِيهُمُوهَا..

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بِمَا يُحِبُّونَ، وَيَشْتَهُونَ، فَأَمَّا بِمَا يَسُوءُهُمْ وَيَكْرَهُونَ فَإِنَّهُ

سَيُكَلِّمُهُمْ؛ لِأَنَّهُ قَدْ أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ إِذَا قَالُوا: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧﴾ [المؤمنون: ١٠٧] قَالَ: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٨]..

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ وَلَا يُطَهِّرُهُمْ مِنْ دَنَسِ ذُنُوبِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ..

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾ [البقرة: ١٧٤] مُوجِعٌ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥﴾ [البقرة: ١٧٥].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَخَذُوا الضَّلَالَةَ وَتَرَكُوا الْهُدَىٰ..

﴿وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ وَأَخَذُوا مَا يُوجِبُ لَهُمْ عَذَابَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَرَكُوا مَا يُوجِبُ لَهُمْ غُفْرَانَهُ وَرِضْوَانَهُ..

﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥﴾ [البقرة: ١٧٥] فَمَا أَجْرَأَهُمْ عَلَىٰ الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُهُمْ إِلَىٰ النَّارِ، وتَقَدُّمِهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ ذَلِكَ مُوجِبٌ لَهُمْ سَخَطَ اللهِ وَأَلِيمَ عِقَابِهِ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۢ بَعِيدٖ ١٧٦﴾ [البقرة: ١٧٦].

﴿ذَٰلِكَ﴾ مِنْ تَرْكِي تَطْهِيرَهُمْ، وَتَزْكِيَتَهُمْ وَتَكْلِيمَهُمْ، وَإِعْدَادِي لَهُمُ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ..

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ﴾ بِأَنِّي أَنْزَلْتُ كِتَابِي بِالْحَقِّ، فَكَفَرُوا بِهِ وَاخْتَلَفُوا فِيهِ..

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ﴾ من الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ..

﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ فِي كِتَابِ اللهِ؛ فَكَفَرَتِ الْيَهُودُ بِمَا قَصَّ اللهُ فِيهِ مِنْ قَصَصِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأُمِّهِ، وَصَدَّقَتِ النَّصَارَىٰ بِبَعْضِ ذَلِكَ وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ، وَكَفَرُوا جَمِيعًا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ مِنَ الْأَمْرِ بِتَصْدِيقِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيمَا أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَفِي شِقَاقِۢ بَعِيدٖ ١٧٦﴾ [البقرة: ١٧٦] لَفِي مُنَازَعَةٍ وَمُفَارَقَةٍ لِلْحَقِّ، بَعِيدَةٍ مِنَ الرُّشْدِ وَالصَّوَابِ، كَمَا قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾ [البقرة: ١٣٧].

﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ١٧٧﴾

[البقرة: ١٧٧].

﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ عَنَىٰ اللهُ بِذَلِكَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ تُصَلِّي فَتَتَوَجَّهُ قِبَلَ الْمَغْرِبِ، وَالنَّصَارَىٰ تُصَلِّي فَتَتَوَجَّهُ قِبَلَ الْمَشْرِقِ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ، يُخْبِرُهُمْ فِيهَا أَنَّ الْبِرَّ غَيْرُ الْعَمَلِ الَّذِي يَعْمَلُونَهُ، وَلَكِنَّهُ مَا بَيَّنَّاهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ وَأَعْطَىٰ الْمَالَ وَهُوَ لَهُ مُحِبٌّ حَرِيصٌ عَلَىٰ جَمْعِهِ، شَحِيحٌ بِهِ..

﴿ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ذَوِي قَرَابَتِهِ، فَوَصَلَ بِهِ أَرْحَامَهُمْ..

﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ الْمُجْتَازَ بِالرَّجُلِ، ومِن ذَلِكَ الضَّيْفُ..

﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾ الْمُسْتَطْعِمِينَ الطَّالِبِينَ..

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ وَفِي فَكِّ الرِّقَابِ مِنَ الْعُبُودَةِ، وَهُمُ الْمُكَاتَبُونَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي فَكِّ رِقَابِهِمْ مِنَ الْعُبُودَةِ بِأَدَاءِ كِتَابَاتِهِمُ الَّتِي فَارَقُوا عَلَيْهَا سَادَاتِهِمْ..

﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أَدَامَ الْعَمَلَ بِهَا بِحُدُودِهَا..

﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أَعْطَاهَا عَلَىٰ مَا فَرَضَهَا اللهُ عَلَيْهِ..

﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْۖ﴾ وَالَّذِينَ لَا يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ بَعْدَ الْمُعَاهَدَةِ، وَلَكِنْ يُوفُونَ بِهِ وَيُتِمُّونَهُ عَلَىٰ مَا عَاهَدُوا عَلَيْهِ مَنْ عَاهَدُوهُ عَلَيْهِ..

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ وَالْمَانِعِينَ أَنْفُسَهُمْ فِي الْبَأْسَاءِ، وَالضَّرَّاءِ، مِمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ لَهُمْ، الْحَابِسِيهَا عَلَىٰ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ..

﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ﴾ وَالصَّابِرِينَ فِي وَقْتِ شِدَّةِ الْقِتَالِ فِي الْحَرْبِ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مَنْ نَعَتَهُمُ النَّعْتَ الَّذِي نَعَتَهُمْ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ﴾ اللهَ فِي إِيمَانِهِمْ وَحَقَّقُوا قَوْلَهُمْ بِأَفْعَالِهِمْ، لَا مَنْ وَلَّىٰ وَجْهَهُ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَهُوَ يُخَالِفُ اللهَ فِي أَمْرِهِ، وَيَنْقُضُ عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ، وَيَكْتُمُ النَّاسَ بَيَانَ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِبَيَانِهِ وَيُكَذِّبُ رُسُلَهُ..

﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝١٧٧﴾ [البقرة: ١٧٧] الَّذِينَ اتَّقَوْا عِقَابَ اللهِ، فَتَجَنَّبُوا عِصْيَانَهُ، وَحَذِرُوا وَعْدَهُ، فَلَمْ يَتَعَدُّوا حُدُودَهُ وَخَافُوهُ، فَقَامُوا بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٧٨﴾ [البقرة: ١٧٨].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ﴾ فُرِضَ..

﴿عَلَيْكُمُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ..

﴿ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ﴾ أَنْ لَا تَقْتُلُوا بِالْمَقْتُولِ غَيْرَ قَاتِلِهِ.. وَالْفَرْضُ الَّذِي فَرَضَ اللهُ عَلَيْنَا فِي الْقِصَاصِ، هُوَ تَرْكُ الْمُجَاوَزَةِ بِالْقِصَاصِ قَتْلَ الْقَاتِلِ بِقَتِيلِهِ إِلَىٰ غَيْرِهِ، لَا أَنَّهُ وَجَبَ عَلَيْنَا الْقِصَاصُ فَرْضًا وُجُوبَ فَرْضِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ لَنَا تَرْكُهُ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ فَرْضًا لَا يَجُوزُ لَنَا تَرْكُهُ لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ مَعْنَىٰ مَفْهُومٌ؛ لِأَنَّهُ لَا عَفْوَ بَعْدَ الْقِصَاصِ، فَيُقَالُ: فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ.. وَقَدْ أَجْمَعَ الْجَمِيعُ لَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ، عَلَىٰ أَنَّ الْمُقَاصَّةَ فِي الْحُقُوقِ غَيْرُ وَاجِبَةٍ، لِأَنَّ مَا كَانَ فَرْضًا عَلَىٰ أَهْلِ الْحُقُوقِ أَنْ يَفْعَلُوهُ فَلَا خِيَارَ لَهُمْ فِيهِ، وَالْجَمِيعُ مُجْمِعُونَ عَلَىٰ أَنَّ لِأَهْلِ الْحُقُوقِ الْخِيَارَ فِي مُقَاصَّتِهِمْ حُقُوقَهُمْ بَعْضَهَا مِنْ بَعْضٍ..

﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ﴾ الْحُرُّ إِذَا قَتَلَ الْحُرَّ، والعبدُ إذا قتلَ العبدَ، والأُنثىٰ إذا قَتَلَتْ الأُنثىٰ، فَدَمُ الْقَاتِلِ كُفْءٌ لِدَمِ الْقَتِيلِ، وَالْقِصَاصُ مِنْهُ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ، فَلَا تَجَاوَزُوا بِالْقَتْلِ إِلَىٰ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَمْ يَقْتُلْ، فَإِنَّهُ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا بِقَتِيلِكُمْ غَيْرَ قَاتِلِهِ.. وَلَنَا أَنْ نَقْتَصَّ لِلْحُرِّ مِنَ الْعَبْدِ وَلِلْأُنْثَىٰ مِنَ الذَّكَرِ، بِقَوْلِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾ [الإسراء: ٣٣]، وَبِالنَّقْلِ الْمُسْتَفِيضِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ**»..

﴿فَمَنْ عُفِىَ﴾ وتُرِكَ وصُفِحَ..

﴿لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ عَلَىٰ دِيَةٍ يَأْخُذُهَا مِنْهُ..

﴿فَٱتِّبَاعٌۢ﴾ مِنَ الْعَافِي عَنِ الدَّمِ الرَّاضِي بِالدِّيَةِ مِنْ دَمِ وَلِيِّهِ، عَلَىٰ مَا أَوْجَبَهُ اللهُ لَهُ مِنَ الْحَقِّ

قِبَلَ قَاتِلِ وَلِيِّهِ..

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزْدَادَ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ لَهُ عَلَيْهِ، أَوْ يُكَلِّفُهُ مَا لَمْ يُوجِبْهُ اللهُ لَهُ عَلَيْهِ..

﴿وَأَدَآءٌ﴾ مِنَ الْقَاتِلِ، وهُوَ أَدَاءُ مَا لَزِمَهُ بِقَتْلِهِ، عَلَىٰ مَا أَلْزَمَهُ اللهُ وَأَوْجَبَهُ عَلَيْهِ..

﴿إِلَيْهِ﴾ لِوَلِيِّ الْقَتِيلِ..

﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْخَسَهُ حَقًّا لَهُ، أَوْ يُحْوِجَهُ إِلَىٰ اقْتِضَاءٍ وَمُطَالَبَةٍ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي حَكَمْتُ بِهِ وَسَنَنْتُهُ لَكُمْ مِنْ إِبَاحَتِي لَكُمْ أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ، الْعَفْوَ عَنِ الْقِصَاصِ مِنْ قَاتِلِ قَتِيلِكُمْ، عَلَىٰ دِيَةٍ تَأْخُذُونَهَا فَتَمْلِكُونَهَا، مُلْكَكُمْ سَائِرَ أَمْوَالِكُمْ، الَّتِي كُنْتُ مَنَعْتُهَا مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ..

﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تَخْفِيفٌ مِنِّي لَكُمْ مِمَّا كُنْتُ ثَقَّلْتُهُ عَلَىٰ غَيْرِكُمْ بِتَحْرِيمِ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ..

﴿وَرَحْمَةٌ﴾ مِنِّي لَكُمْ..

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ فَمَنْ تَجَاوَزَ مَا جَعَلَهُ اللهُ لَهُ..

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بَعْدَ أَخْذِهِ الدِّيَةَ اعْتِدَاءً وَظُلْمًا، إِلَىٰ مَا لَمْ يُجْعَلْ لَهُ، مِنْ قَتْلِ قَاتِلِ وَلِيِّهِ وَسَفْكِ دَمِهِ..

﴿فَلَهُۥ﴾ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ وَتَعَدِّيهِ إِلَىٰ مَا قَدْ حَرَّمْتُهُ عَلَيْهِ..

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [البقرة: ١٧٨] فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَهُوَ الْقَتْلُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ جَعَلَ لِكُلِّ وَلِيِّ قَتِيلٍ قُتِلَ ظُلْمًا سُلْطَانًا عَلَىٰ قَاتِلِ وَلِيِّهِ، فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ [الإسراء: ٣٣]، وَكَانَ الْجَمِيعُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مُجْمِعِينَ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ قَتَلَ قَاتِلَ وَلِيِّهِ بَعْدَ عَفْوِهِ عَنْهُ وَأَخْذِهِ مِنْهُ دِيَةَ قَتِيلِهِ ظَالِمٌ فِي قَتْلِهِ.

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة: ١٧٩].

﴿وَلَكُمْ﴾ يَا أُولِي الْعُقُولِ..

﴿فِى ٱلْقِصَاصِ﴾ فِيمَا فَرَضْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْجَبْتُ لِبَعْضِكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنَ الْقِصَاصِ فِي النُّفُوسِ وَالْجِرَاحِ وَالشِّجَاجِ، مَا مُنِعَ بِهِ بَعْضُكُمْ مِنْ قَتْلِ بَعْضٍ، وَكَفَّ بَعْضَكُمْ عَنْ بَعْضٍ، فَحَيِيتُمْ بِذَلِكَ، فَكَانَ لَكُمْ فِي حُكْمِي بَيْنَكُمْ بِذَلِكَ..

﴿حَيَوٰةٌ﴾ فَكَمْ مِنْ رَجُلٍ قَدْ هَمَّ بِدَاهِيَةٍ لَوْلَا مَخَافَةُ الْقِصَاصِ لَوَقَعَ بِهَا، وَلَكِنَّ اللهَ حَجَزَ بِالْقِصَاصِ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَمَا أَمَرَ اللهُ بِأَمْرٍ قَطُّ إِلَّا وَهُوَ أَمْرُ صَلَاحٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا

نَهَىٰ اللهُ عَنْ أَمْرٍ قَطُّ إِلَّا وَهُوَ أَمْرُ فَسَادٍ فِي الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالَّذِي يُصْلِحُ خَلْقَهُ..

﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يَا أُولِي الْعُقُولِ.. وَخَصَّ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِالْخِطَابِ أَهْلَ الْعُقُولِ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ عَنِ اللهِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَيَتَدَبَّرُونَ آيَاتِهِ وَحُجَجَهُ دُونَ غَيْرِهِمْ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٧٩﴾ [البقرة: ١٧٩] الْقِصَاصَ فَتَنْتَهُونَ عَنِ الْقَتْلِ.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٨٠﴾ [البقرة: ١٨٠].

﴿كُتِبَ﴾ فُرِضَ..

﴿عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ مَالًا..

﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ الَّذِينَ لَا يَرِثُونَهُ..

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وَهُوَ مَا أَذِنَ اللهُ فِيهِ وَأَجَازَهُ فِي الْوَصِيَّةِ مِمَّا لَمْ يُجَاوِزِ الثُّلُثَ، وَلَمْ يَتَعَمَّدِ الْمُوصِي ظُلْمَ وَرَثَتِهِ..

﴿حَقًّا﴾ فُرِضَ..

﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٨٠﴾ [البقرة: ١٨٠] وَأَوْجَبَهُ، وَجَعَلَهُ حَقًّا وَاجِبًا عَلَىٰ مَنِ اتَّقَىٰ اللهَ فَأَطَاعَهُ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي حُكْمِ هَذِهِ الْآيَةِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ يَنْسَخِ اللهُ شَيْئًا مِنْ حُكْمِهَا، وَإِنَّمَا هِيَ آيَةٌ ظَاهِرُهَا ظَاهِرُ عُمُومٍ فِي كُلِّ وَالِدٍ وَوَالِدَةٍ، وَالْقَرِيبِ، وَالْمُرَادُ بِهَا فِي الْحُكْمِ الْبَعْضُ مِنْهُمْ دُونَ الْجَمِيعِ، وَهُوَ مَنْ لَا يَرِثُ مِنْهُمُ الْمَيِّتَ دُونَ مَنْ يَرِثُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ آيَةٌ قَدْ كَانَ الْحُكْمُ بِهَا وَاجِبًا وَعُمِلَ بِهِ بُرْهَةً، ثُمَّ نَسَخَ اللهُ مِنْهَا -بِآيَةِ الْمَوَارِيثِ- الْوَصِيَّةَ لِوَالِدَيِ الْمُوصِي وَأَقْرِبَائِهِ الَّذِينَ يَرِثُونَهُ، وَأَقَرَّ فَرْضَ الْوَصِيَّةِ لِمَنْ كَانَ مِنْهُمْ لَا يَرِثُهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ نَسَخَ اللهُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَفَرَضَ الْفَرَائِضَ وَالْمَوَارِيثَ فَلَا وَصِيَّةَ تَجِبُ لِأَحَدٍ عَلَىٰ أَحَدٍ قَرِيبٍ وَلَا بَعِيدٍ.. وَأَوْلَىٰ هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ: أَنَّ كُلَّ مَنْ حَضَرَتْهُ مَنِيَّتُهُ وَعِنْدَهُ مَالٌ قَلَّ ذَلِكَ أَوْ كَثُرَ فَوَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يُوصِيَ مِنْهُ لِمَنْ لَا يَرِثُهُ مِنْ آبَائِهِ وَأُمَّهَاتِهِ وَأَقْرِبَائِهِ الَّذِينَ لَا يَرِثُونَهُ بِمَعْرُوفٍ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ وَأَمَرَ بِهِ.

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١﴾ [البقرة: ١٨١].

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾ فَمَنْ غَيَّرَ مَا أَوْصَىٰ بِهِ الْمُوصِي مِنْ وَصِيَّتِهِ بِالْمَعْرُوفِ لِوَالِدَيْهِ أَوِ أَقْرَبِيهِ الَّذِينَ لَا يَرِثُونَهُ..

﴿بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ﴾ بَعْدَ مَا سَمِعَ الْوَصِيَّةَ..

﴿فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ﴾ فَإِنَّمَا إِثْمُ التَّبْدِيلِ..

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ عَلَىٰ مَنْ بَدَّلَ وَصِيَّتَهُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِوَصِيَّتِكُمُ الَّتِي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُوصُوا بِهَا لِآبَائِكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ وَأَقْرِبَائِكُمْ حِينَ تُوصُونَ بِهَا، أَتَعْدِلُونَ فِيهَا عَلَىٰ مَا أَذِنْتُ لَكُمْ مِنْ فِعْلِ ذَلِكَ بِالْمَعْرُوفِ، أَمْ تَحِيفُونَ فَتَمِيلُونَ عَنِ الْحَقِّ وَتَجُورُونَ عَنِ الْقَصْدِ..

﴿عَلِيمٞ ١٨١﴾ [البقرة: ١٨١] بِمَا تُخْفِيهِ صُدُورُكُمْ مِنَ الْمَيلِ إِلَىٰ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، أَمِ الْجَوْرِ وَالْحَيْفِ.

﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨٢﴾ [البقرة: ١٨٢].

﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا﴾ وَهُوَ أَنْ يَمِيلَ إِلَىٰ غَيْرِ الْحَقِّ خَطأً مِنْهُ، أَوْ يَتَعَمَّدُ إِثْمًا فِي وَصِيَّتِهِ بِأَنْ يُوصِيَ لِوَالِدَيْهِ وَأَقْرَبِيهِ الَّذِينَ لَا يَرِثُونَهُ بِأَكْثَرَ مِمَّا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُوصِيَ لَهُمْ بِهِ مِنْ مَالِهِ، وَغَيْرِ مَا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِهِ مِمَّا جَاوَزَ الثُّلُثَ، أَوْ بِالثُّلُثِ كُلِّهِ وَفِي الْمَالِ قِلَّةٌ، وَفِي الْوَرَثَةِ كَثْرَةٌ..

﴿فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ فَلَا بَأْسَ عَلَىٰ مَنْ حَضَرَهُ أَيْ يُصْلِحَ بَيْنَ الَّذِينَ يُوصَىٰ لَهُمْ وَبَيْنَ وَرَثَةِ الْمَيِّتِ وَبَيْنَ الْمَيِّتِ، بِأَنْ يَأْمُرَ الْمَيِّتَ فِي ذَلِكَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيُعَرِّفَهُ مَا أَبَاحَ اللهُ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَأُذِنَ لَهُ فِيهِ مِنَ الْوَصِيَّةِ فِي مَالِهِ، وَيَنْهَاهُ أَنْ يُجَاوِزَ فِي وَصِيَّتِهِ الْمَعْرُوفَ الَّذِي قَالَ اللهُ - تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فِي كِتَابِهِ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾ [البقرة: ١٨٠]، كَذَلِكَ لِمَنْ كَانَ فِي الْمَالِ فَضْلٌ وَكَثْرَةٌ، وَفِي الْوَرَثَةِ قِلَّةٌ، فَأَرَادَ أَنْ يَقْصُرَ فِي وَصِيَّتِهِ لِوَالِدَيْهِ وَأَقْرَبِيهِ عَنْ ثُلُثِهِ، فَأَصْلَحَ مَنْ حَضَرَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَرَثَتِهِ وَبَيْنَ وَالِدَيْهِ وَأَقْرَبِيهِ الَّذِينَ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ لَهُمْ بِأَنْ يَأْمُرَ الْمَرِيضَ أَنْ يَزِيدَ فِي وَصِيَّتِهِ لَهُمْ، وَيَبْلُغَ بِهَا مَا رَخَّصَ

اللهُ فِيهِ مِنَ الثُّلُثِ، فَذَلِكَ أَيْضًا هُوَ مِنَ الْإِصْلَاحِ بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِلْمُوصِي فِيمَا كَانَ حَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الْجَنَفِ وَالْإِثْمِ، إِذَا تَرَكَ أَنْ يَأْثَمَ وَيَجْنَفَ فِي وَصِيَّتِهِ، فَتَجَاوَزَ لَهُ عَمَّا كَانَ حَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الْجَوْرِ، إِذْ لَمْ يُمْضِ ذَلِكَ فَيَفْعَلَ، أَنْ يُؤَاخِذَهُ بِهِ..

﴿رَّحِيمٌ ١٨٢﴾ [البقرة: ١٨٢] بِالْمُصْلِحِ بَيْنَ الْمُوصِي وَبَيْنَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَجْنَفَ عَلَيْهِ لِغَيْرِهِ أَوْ يَأْثَمَ فِيهِ لَهُ.

> ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَصَدَّقُوا بِهِمَا وَأَقَرُّوا..

﴿كُتِبَ﴾ فُرِضَ..

﴿عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ﴾ فُرِضَ..

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّ مَنْ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ كَانَ مَأْمُورًا بِاتِّبَاعِ إِبْرَاهِيمَ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- كَانَ جَعَلَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا، وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ دِينَهُ كَانَ الْحَنِيفِيَّةَ الْمُسْلِمَةَ، فَأَمَرَ نَبِيَّنَا ﷺ بِمِثْلِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَمَّا التَّشْبِيهُ فَإِنَّمَا وَقَعَ عَلَى الْوَقْتِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إِنَّمَا كَانَ فُرِضَ عَلَيْهِمْ شَهْرُ رَمَضَانَ مِثْلَ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْنَا سَوَاءً..

﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣] لِتَتَّقُوا أَكْلَ الطَّعَامِ وَشُرْبَ الشَّرَابِ وَجِمَاعَ النِّسَاءِ فِيهِ، يَقُولُ: فَرَضْتُ عَلَيْكُمُ الصَّوْمَ وَالْكَفَّ عَمَّا تَكُونُونَ بِتَرْكِ الْكَفِّ عَنْهُ مُفْطِرِينَ لِتَتَّقُوا مَا يُفْطِرُكُمْ فِي وَقْتِ صَوْمِكُمْ.

> ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤﴾ [البقرة: ١٨٤].

﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ مُحْصَيَاتٍ، تُعَدُّ مَبَالِغُهَا وَسَاعَاتُ أَوْقَاتِهَا، وَهِيَ أَيَّامُ شَهْرِ رَمَضَانَ..

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ مِمَّنْ كُلِّفَ صَوْمَهُ..

﴿أَوۡ﴾ كَانَ صَحِيحًا غَيْرَ مَرِيضٍ، وَكَانَ..

﴿عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ﴾ فَعَلَيْهِ صَوْمُ عِدَّةِ الْأَيَّامِ الَّتِي أَفْطَرَهَا فِي مَرَضِهِ أَوْ فِي سَفَرِهِ..

﴿مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ﴾ غَيْرِ أَيَّامِ مَرَضِهِ أَوْ سَفَرِهِ..

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ وَعَلَىٰ الَّذِينَ يُطِيقُونَ الصِّيَامَ..

﴿فِدۡيَةٞ﴾ جَزَاءُ..

﴿طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ وَاحِدٍ لِكُلِّ يَوْمٍ أَفْطَرَهُ مِنْ أَيَّامِ صِيَامِهِ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِ.. فَإِذَا كَانَ الْجَمِيعُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مُجْمِعِينَ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ كَانَ مُطِيقًا مِنَ الرِّجَالِ الْأَصِحَّاءِ الْمُقِيمِينَ غَيْرِ الْمُسَافِرِينَ صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فَغَيْرُ جَائِزٍ لَهُ الْإِفْطَارُ فِيهِ وَالِافْتِدَاءُ مِنْهُ بِطَعَامِ مِسْكِينٍ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ، هَذَا مَعَ مَا يُؤَيِّدُ هَذَا الْقَوْلَ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا بَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ بِالْخِيَارِ بَيْنَ صَوْمِهِ وَسُقُوطِ الْفِدْيَةِ عَنْهُمْ، وَبَيْنَ الْإِفْطَارِ وَالِافْتِدَاءِ مِنْ إِفْطَارِهِ بِإِطْعَامِ مِسْكِينٍ لِكُلِّ يَوْمٍ وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ حَتَّىٰ نَزَلَتْ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: ١٨٥] فَأُلْزِمُوا فَرْضَ صَوْمِهِ، وَبَطَلَ الْخِيَارُ، وَالْفِدْيَةُ..

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: فَزَادَ طَعَامَ مِسْكِينٍ آخَرَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَصَامَ مَعَ الْفِدْيَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَزَادَ الْمِسْكِينَ عَلَىٰ قَدْرِ طَعَامِهِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَمَّمَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا﴾ فَلَمْ يُخَصِّصْ بَعْضَ مَعَانِي الْخَيْرِ دُونَ بَعْضٍ، فَإِنَّ جَمْعَ الصَّوْمِ مَعَ الْفِدْيَةِ مِنْ تَطَوُّعِ الْخَيْرِ، وَزِيَادَةَ مِسْكِينٍ عَلَىٰ جَزَاءِ الْفِدْيَةِ مِنْ تَطَوُّعِ الْخَيْرِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا﴾ أَيَّ هَذِهِ الْمَعَانِي تَطَوَّعَ بِهِ الْمُفْتَدِي مِنْ صَوْمِهِ..

﴿فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ﴾ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ تَطَوُّعِ الْخَيْرِ وَنَوَافِلِ الْفَضْلِ..

﴿وَأَن تَصُومُواْ﴾ مَا كُتِبَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فَهُوَ..

﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ مِنْ أَنْ تُفْطِرُوهُ وَتَفْتَدُوا..

﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤﴾ [البقرة: ١٨٤] خَيْرَ الْأَمْرَيْنِ لَكُمْ -أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا- مِنَ الْإِفْطَارِ وَالْفِدْيَةِ، أَوِ الصَّوْمِ عَلَىٰ مَا أَمَرَكُمُ اللهُ بِهِ.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٥].

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ يعني: الأيامَ المعدوداتِ هُنَّ شَهْرُ رَمَضَانَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونُ بِمَعْنَىٰ: ذَلِكَ شَهْرُ رَمَضَانَ، وَبِمَعْنَىٰ: كُتِبَ عَلَيْكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، وبِمَعْنَىٰ: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ أَنْ تَصُومُوا شَهْرَ رَمَضَانَ، وبِمَعْنَىٰ: أَنْ تَصُومُوا شَهْرَ رَمَضَانَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، وبمعنىٰ: شَهْرُ رَمَضَانَ فَصُومُوهُ، وبمعنىٰ: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ..

﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا، فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، ثُمَّ أُنْزِلَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ مَا أَرَادَ اللهُ إِنْزَالَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَمْرِ، وَالنَّهْيِ، وَفِي الْحُرُوبِ..

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ رَشَادًا لِلنَّاسِ إِلَىٰ سَبِيلِ الْحَقِّ، وَقَصْدِ الْمَنْهَجِ..

﴿وَبَيِّنَٰتٍ﴾ وَوَاضِحَاتٍ..

﴿مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ مِنَ الْبَيَانِ الدَّالِّ عَلَىٰ حُدُودِ اللهِ، وَفَرَائِضِهِ، وَحَلَالِهِ، وَحَرَامِهِ..

﴿وَٱلْفُرْقَانِ﴾ وَالْفَصْلِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ..

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ﴾ مُقِيمًا..

﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ فَلْيَصُمْ مَا شَهِدَ مِنْهُ..

﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا﴾ وَهُو مَنْ كَانَ الصَّوْمُ جَاهَدَهُ جَهْدًا غَيْرَ مُحْتَمَلٍ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ الصَّوْمُ غَيْرَ جَاهِدِهِ، فَهُوَ بِمَعْنَىٰ الصَّحِيحِ الَّذِي يُطِيقُ الصَّوْمَ، فَعَلَيْهِ أَدَاءُ فَرْضِهِ، وَذَلِكَ هُوَ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ.. وَالْجَمِيعُ عَلَىٰ أَنَّ مَرِيضًا لَوْ صَامَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَهُوَ مِمَّنْ لَهُ الْإِفْطَارُ لِمَرَضِهِ أَنَّ صَوْمَهُ ذَلِكَ مُجْزِئٌ عَنْهُ، وَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ إِذَا بَرَأَ مِنْ مَرَضِهِ بِعِدَّةٍ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، وَحُكْمُ الْمُسَافِرِ حُكْمُهُ فِي أَلَّا قَضَاءَ عَلَيْهِ إِنْ صَامَهُ فِي سَفَرِهِ؛ لِأَنَّ الَّذِي جُعِلَ لِلْمُسَافِرِ مِنَ الْإِفْطَارِ وَأُمِرَ بِهِ مِنْ قَضَاءِ عِدَّةٍ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ مِثْلُ الَّذِي جُعِلَ مِنْ ذَلِكَ لِلْمَرِيضِ، وَأُمِرَ بِهِ مِنَ الْقَضَاءِ، ثُمَّ فِي دَلَالَةِ الْآيَةِ كِفَايَةٌ مُغْنِيَةٌ عَنِ اسْتِشْهَادِ شَاهِدٍ عَلَىٰ صِحَّةِ ذَلِكَ بِغَيْرِهَا، وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ وَلَا عُسْرَ أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُلْزَمَ مَنْ صَامَهُ فِي سَفَرِهِ عِدَّةً مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، وَقَدْ تَكَلَّفَ

أَدَاءَ فَرْضِهِ فِي أَثْقَلِ الْحَالَيْنِ عَلَيْهِ حَتَّىٰ قَضَاهُ وَأَدَّاهُ.. فَإِنْ ظَنَّ ذُو غَبَاوَةٍ أَنَّ الَّذِي صَامَهُ لَمْ يَكُنْ فَرْضُهُ الْوَاجِبَ، فَإِنَّ فِي قَوْلِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، و﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ مَا يُنْبِئُ أَنَّ الْمَكْتُوبَ صَوْمُهُ مِنَ الشُّهُورِ عَلَىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ هُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ مُسَافِرًا كَانَ أَوْ مُقِيمًا، لِعُمُومِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ، ثُمَّ فِي تَظَاهُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِقَوْلِهِ إِذَا سُئِلَ عَنِ الصَّوْمِ فِي السَّفَرِ: «**إِنْ شِئْتَ فَصُمْ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ**» الْكَافِيَةُ عَنِ الِاسْتِدْلَالِ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ بِغَيْرِهِ.. وكَانَ حَمْزَةُ الْأَسْلَمِيُّ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَصُومُ الدَّهْرَ، فَيَصُومُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ؛ وَكَانَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ يَصُومُ الدَّهْرَ، فَيَصُومُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ لَيَمْرَضُ فَلَا يُفْطِرُ؛ وَكَانَ أَبُو مُرَاوِحٍ يَصُومُ الدَّهْرَ، فَيَصُومُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَفِي هَذَا مَعَ نَظَائِرِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي يَطُولُ بِاسْتِيعَابِهَا الْكِتَابُ الدَّلَالَةُ الدَّالَّةُ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ الْإِفْطَارَ رُخْصَةٌ لَا عَزْمَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ الْأَخْبَارَ بِمَا قُلْتَ وَإِنْ كَانَتْ مُتَظَاهِرَةً، فَقَدْ تَظَاهَرَتْ أَيْضًا بِقَوْلِهِ: «**لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ**» ؟! قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ صِيَامٌ فِي مِثْلِ الْحَالِ الَّتِي جَاءَ الْأَثَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَىٰ رَجُلًا فِي سَفَرِهِ قَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ، وَعَلَيْهِ جَمَاعَةٌ، فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا؟**» قَالُوا: صَائِمٌ، قَالَ: «**لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ**»، فَمَنْ بَلَغَ مِنْهُ الصَّوْمُ مَا بَلَغَ مِنَ الَّذِي قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، ذَلِكَ، فَلَيْسَ مِنَ الْبِرِّ صَوْمُهُ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَدْ حَرَّمَ عَلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ تَعْرِيضَ نَفْسِهِ لِمَا فِيهِ هَلَاكُهَا، وَلَهُ إِلَىٰ نَجَاتِهَا سَبِيلٌ، وَإِنَّمَا يُطْلَبُ الْبِرُّ بِمَا نَدَبَ اللهُ إِلَيْهِ وَحَضَّ عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْمَالِ لَا بِمَا نَهَىٰ عَنْهُ.. وَأَمَّا الْأَخْبَارُ الَّتِي رُوِيَتْ عَنْهُ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ: «**الصَّائِمُ فِي السَّفَرِ كَالْمُفْطِرِ فِي الْحَضَرِ**» فَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قِيلَ لِمَنْ بَلَغَ مِنْهُ الصَّوْمُ مَا بَلَغَ مِنْ هَذَا الَّذِي ظُلِّلَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَغَيْرُ جَائِزٍ عَلَيْهِ أَنْ يُضَافَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ قِيلَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْأَخْبَارَ الَّتِي جَاءَتْ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاهِيَةُ الْأَسَانِيدِ لَا يَجُوزُ الِاحْتِجَاجُ بِهَا فِي الدِّينِ..

﴿أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾ فِي الشَّهْرِ، فَأَفْطَرَ بِرُخْصَةِ اللهِ.. فَإِبَاحَةُ الْإِفْطَارِ فِي السَّفَرِ رُخْصَةٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- رَخَّصَهَا لِعِبَادِهِ، وَالْفَرْضُ الصَّوْمُ، فَمَنْ صَامَ فَرْضَهُ أَدَّىٰ، وَمَنْ أَفْطَرَ فَبِرُخْصَةِ اللهِ لَهُ أَفْطَرَ، فَإِنْ صَامَ فِي سَفَرٍ فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ إِذَا أَقَامَ..

﴿فَعِدَّةٞ﴾ فَعَلَيْهِ صِيَامُ عِدَّةِ الْأَيَّامِ الَّتِي أَفْطَرَهَا..

﴿مِّنۡ أَيَّامٍ﴾ مَكَانَ الْأَيَّامِ الَّتِي أَفْطَرَ فِي سَفَرِهِ أَوْ مَرَضِهِ..

﴿أُخَرَۚ﴾ غَيْرَ أَيَّامِ شَهْرِ رَمَضَانَ..

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِتَرْخِيصِهِ لَكُمْ فِي حَالِ مَرَضِكُمْ وَسَفَرِكُمْ فِي الْإِفْطَارِ، وَقَضَاءِ عِدَّةِ أَيَّامٍ أُخَرَ مِنَ الْأَيَّامِ الَّتِي أَفْطَرْتُمُوهَا بَعْدَ إِقَامَتِكُمْ وَبَعْدَ بُرْئِكُمْ مِنْ مَرَضِكُمْ..

﴿ٱلْيُسْرَ﴾ التَّخْفِيفَ عَلَيْكُمْ، وَالتَّسْهِيلَ عَلَيْكُمْ لِعِلْمِهِ بِمَشَقَّةِ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ..

﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الشِّدَّةَ، وَالْمَشَقَّةَ عَلَيْكُمْ، فَيُكَلِّفُكُمْ صَوْمَ الشَّهْرِ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ، مَعَ عِلْمِهِ شِدَّةَ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ وَثِقَلَ حَمْلِهِ عَلَيْكُمْ لَوْ حَمَّلَكُمْ صَوْمَهُ..

﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ عِدَّةَ مَا أَفْطَرْتُمْ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، فَقَدْ أَوْجَبْتُ عَلَيْكُمْ قَضَاءَ عِدَّةٍ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ بَعْدَ بُرْئِكُمْ مِنْ مَرَضِكُمْ، أَوْ إِقَامَتِكُمْ مِنْ سَفَرِكُمْ..

﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ وَلِتُعَظِّمُوا اللهَ بِالذِّكْرِ لَهُ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِهِ مِنَ الْهِدَايَةِ الَّتِي خَذَلَ عَنْهَا غَيْرَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمْ مِنْ صَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ مِثْلُ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْكُمْ فِيهِ، فَضَلُّوا عَنْهُ بِإِضْلَالِ اللهِ إِيَّاهُمْ، وَخَصَّكُمْ بِكَرَامَتِهِ فَهَدَاكُمْ لَهُ، وَوَفَّقَكُمْ لِأَدَاءِ مَا كَتَبَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ صَوْمِهِ، وَتَشْكُرُوهُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِالْعِبَادَةِ لَهُ، وَالذِّكْرُ الَّذِي خَصَّهُمُ اللهُ عَلَىٰ تَعْظِيمِهِ بِهِ التَّكْبِيرُ يَوْمَ الْفِطْرِ، فِيمَا تَأَوَّلَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ..

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٥] وَلِكَيْ تَشْكُرُوا اللهَ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ الْهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ، وَتَيْسِيرِ مَا لَوْ شَاءَ عُسِّرَ عَلَيْكُمْ.

> ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عِبَادِى عَنِّى﴾ أَيْنَ أَنَا؟

﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ مِمَّنْ أَطَاعَنِي وَعَمِلَ بِمَا أَمَرْتُهُ بِهِ، فَأَسْمَعُ دُعَاءَهُمْ، وَ..

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ مِنْهُمْ.. فَأُجِيبُهُ بِالثَّوَابِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ إِيَّايَ..

﴿إِذَا دَعَانِ﴾ إِذَا أَطَاعَنِي..

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ بِالطَّاعَةِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ فَلْيَدْعُونِي..

﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾ وَلْيُصَدِّقُوا بِي إِذَا هُمُ اسْتَجَابُوا لِي بِالطَّاعَةِ أَنِّي لَهُمْ مِنْ وَرَاءِ طَاعَتِهِمْ لِي فِي الثَّوَابِ عَلَيْهَا وَإِجْزَالِي الْكَرَامَةَ لَهُمْ عَلَيْهَا.. وَأَمَّا الَّذِي تَأَوَّلَ قَوْلِهِ: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ أَيْ بِمَعْنَىٰ

فَلْيَدْعُونِي، فَإِنَّهُ كَانَ يَتَأَوَّلُ قَوْلَهُ: ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ أَنِّي أَسْتَجِيبُ لَهُمْ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦] وَلْيَهْتَدُوا بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ فَيَرْشُدُوا.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝١٨٧﴾ [البقرة: ١٨٧].

﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ أُطْلِقَ لَكُمْ وَأُبِيحَ فِي..

﴿لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ الرَّفَثُ كِنَايَةٌ عَنِ الْجِمَاعِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.. وفِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ الْإِفْحَاشُ فِي الْمِنْطِقِ..

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ لِذَلِكَ وَجْهَانِ مِنَ الْمَعَانِي: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا جُعِلَ لِصَاحِبِهِ لِبَاسًا، لِتَخَرُّجِهِمَا مِن ثِيَابِهِمَا عِنْدَ النَّوْمِ، وَاجْتِمَاعِهِمَا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَانْضِمَامِ جَسَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ، بِمَنْزِلَةِ مَا يَلْبَسُهُ عَلَىٰ جَسَدِهِ مِنْ ثِيَابِهِ، فَقِيلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا هُوَ لِبَاسٌ لِصَاحِبِهِ، فَكَنَّىٰ عَنِ اجْتِمَاعِهِمَا مُتَجَرِّدَيْنِ فِي فِرَاشٍ وَاحِدٍ بِاللِّبَاسِ، كَمَا يُكَنَّىٰ بِالثِّيَابِ عَنْ جَسَدِ الْإِنْسَانِ.. وَالْوَجْهُ الْآخَرُ أَنْ يَكُونَ جَعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ لِبَاسًا؛ لِأَنَّهُ سَكَنَ لَهُ، كَمَا قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [الفرقان: ٤٧] يَعْنِي بِذَلِكَ: سَكَنًا تَسْكُنُونَ فِيهِ، وَكَذَلِكَ زَوْجَةُ الرَّجُلِ سَكَنُهُ يَسْكُنُ إِلَيْهَا، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، فَيَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِبَاسًا لِصَاحِبِهِ، بِمَعْنَىٰ سُكُونِهِ إِلَيْهِ.. وَقَدْ يُقَالُ لِمَا سَتَرَ الشَّيْءَ وَوَارَاهُ عَنْ أَبْصَارِ النَّاظِرِينَ إِلَيْهِ هُوَ لِبَاسُهُ، وَغِشَاؤُهُ، فَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ «**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ، وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ**» بِمَعْنَىٰ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ سِتْرٌ لِصَاحِبِهِ فِيمَا يَكُونُ بَيْنَكُمْ مِنَ الْجِمَاعِ عَنْ أَبْصَارِ سَائِرِ النَّاسِ..

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ كَانَ فِي أَوَّلِ مَا افْتُرِضَ عَلَيْهِمْ فِي رَمَضَانَ إِذَا أَفْطَرُوا، الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ وَغَشَيَانُ النِّسَاءِ لَهُمْ حَلَالًا مَا لَمْ يَرْقُدُوا، فَإِذَا رَقَدُوا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ إِلَىٰ مِثْلِهَا مِنَ اللَّيلَةِ الْقَابِلَةِ، وَكَانَتْ خِيَانَةُ الْقَوْمِ أَنَّهُمْ كَانُوا يُصِيبُونَ أَوْ يَنَالُونَ مِنَ

الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَغَشَيَانِ النِّسَاءِ بَعْدَ الرُّقَادِ، وَكَانَتْ تِلْكَ خِيَانَةُ الْقَوْمِ أَنْفُسَهُمْ، ثُمَّ أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ ذَلِكَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَغَشَيَانَ النِّسَاءِ إِلَىٰ طُلُوعِ الْفَجْرِ، فكَانَتْ خيَانَتُهُمْ أَنْفُسَهُمُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي شَيْئَيْنِ: أَحَدُهُمَا جِمَاعُ النِّسَاءِ، وَالْآخَرُ: الْمَطْعَمُ، وَالْمَشْرَبُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ حَرَامًا ذَلِكَ عَلَيْهِمْ..

﴿فَٱلْـَٔـٰنَ﴾ إِذَا أَحْلَلْتُ لَكُمُ الرَّفَثَ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ..

﴿بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ فَجَامِعُوهُنَّ فِي لَيَالِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّىٰ يَطْلُعَ الْفَجْرُ، وَهِيَ تَبَيُّنُ الْخَيْطِ الْأَبْيَضِ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ..

﴿وَٱبْتَغُواْ﴾ وَاطْلُبُوا الَّذِي قَضَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ فِي مُبَاشَرَتِكُمْ نِسَاءَكُمْ مُبْتَغِينَ..

﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مِنَ الْوَلَدِ، والْوُدِّ..

﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ بِاللَّيْلِ فِي شَهْرِ صَوْمِكُمْ..

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ﴾ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَىٰ أَنْ يَقَعَ لَكُمْ ضَوْءُ النَّهَارِ بِطُلُوعِ الْفَجْرِ..

﴿مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَسَوَادِهِ.. وَلَيْسَ ذَلِكَ هُوَ جَمِيعُ الْفَجْرِ، وَلَكِنَّهُ إِذَا تَبَيَّنَ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْفَجْرِ ذَلِكَ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ الَّذِي يَكُونُ مِنْ تَحْتِ اللَّيْلِ الَّذِي فَوْقَهُ سَوَادُ اللَّيْلِ، فَمِنْ حِينَئِذٍ فَصُومُوا، ثُمَّ أَتِمُّوا صِيَامَكُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ اللَّيْلِ.. فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قُلْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: مَا الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ، أَهُمَا خَيْطَانِ أَبْيَضُ، وَأَسْوَدُ؟ فَقَالَ «**إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْقَفَا إِنْ أَبْصَرْتَ الْخَيْطَيْنِ**»، ثُمَّ قَالَ: «**لا وَلَكِنَّهُ سَوَّادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ**».. وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: (نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ **فَلَمْ يَنْزِلْ** ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، قَالَ: **فَكَانَ رِجَالٌ إِذَا أَرَادُوا الصَّوْمَ رَبَطَ أَحَدُهُمْ فِي رِجْلَيْهِ الْخَيْطَ الْأَسْوَدَ، وَالْخَيْطَ الْأَبْيَضَ، فَلَا يَزَالُ يَأْكُلُ، وَيَشْرَبُ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ:** ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ **فَعَلِمُوا إِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ: اللَّيْلَ، وَالنَّهَارَ**).. وصِفَةُ ذَلِكَ الْبَيَاضِ أَنْ يَكُونَ مُنْتَشِرًا مُسْتَفِيضًا فِي السَّمَاءِ يَمْلَأُ بَيَاضُهُ وَضَوْءُهُ الطُّرُقَ، فَأَمَّا الضَّوْءُ السَّاطِعُ فِي السَّمَاءِ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ الَّذِي عَنَاهُ اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾، ذَلِكَ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ هُوَ مِنَ الْفَجْرِ نِسْبَةً إِلَيْهِ، وَلَيْسَ الْفَجْرَ كُلَّهُ، فَإِذَا جَاءَ هَذَا الْخَيْطُ وَهُوَ أَوَّلُهُ فَقَدْ حَلَّتِ الصَّلَاةُ وَحَرُمَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ عَلَىٰ الصَّائِمِ.. وَفِيهِ أَوْضَحُ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ خَطَأِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: حَلَالٌ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ لِمَنْ أَرَادَ الصَّوْمَ إِلَىٰ طُلُوعِ الشَّمْسِ؛ لِأَنَّ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْفَجْرِ يَتَبَيَّنُ عِنْدَ ابْتِدَاءِ طُلُوعِ أَوَائِلِ الْفَجْرِ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- ذَلِكَ حَدًّا لِمَنْ

لَزِمَهُ الصَّوْمُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي أَبَاحَ إِلَيْهِ الْأَكْلَ، وَالشُّرْبَ، وَالْمُبَاشَرَةَ..

﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ﴾ فَإِنَّهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- حَدَّ الصَّوْمَ بِأَنَّ آخِرَ وَقْتِهِ إِقْبَالُ اللَّيْلِ، كَمَا حَدَّ الْإِفْطَارَ وَإِبَاحَةَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجِمَاعِ وَأَوَّلَ الصَّوْمِ بِمَجِيءِ أَوَّلِ النَّهَارِ، وَأَوَّلِ إِدْبَارِ آخِرِ اللَّيْلِ، فَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنْ لَا صَوْمَ بِاللَّيْلِ كَمَا لَا فِطْرَ بِالنَّهَارِ فِي أَيَّامِ الصَّوْمِ، وَعَلَىٰ أَنَّ الْمُوَاصِلَ مُجَوِّعٌ نَفْسَهُ فِي غَيْرِ طَاعَةِ رَبِّهِ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ، وَغَابَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ**».. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الْإِذْنَ بِالْوِصَالِ مِنَ السَّحَرِ إِلَىٰ السَّحَرِ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تُوَاصِلُوا فَأَيُّكُمْ أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ حَتَّىٰ السَّحَرِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: «**إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَبِيتُ لِي مُطْعِمٌ يُطْعِمُنِي، وَسَاقٍ يَسْقِينِي**»..

﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ لَا تُجَامِعُوا نِسَاءَكُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ عَلَىٰ جَمِيعِ مَعَانِي الْمُبَاشَرَةِ مَنْ لَمْسٍ، وَقُبْلَةٍ، وَجِمَاعٍ، وَعِلَّةُ مَنْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ: أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَمَّ بِالنَّهْيِ عَنِ الْمُبَاشَرَةِ وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْهَا شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ، فَذَلِكَ عَلَىٰ مَا عَمَّهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَ حُجَّةٌ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا بِأَنَّهُ عَنَىٰ بِهِ مُبَاشَرَةً دُونَ مُبَاشَرَةٍ.. وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ نِسَاءَهُ كُنَّ يُرَجِّلْنَهُ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ، فَلَمَّا صَحَّ ذَلِكَ عَنْهُ، عُلِمَ أَنَّ الَّذِي عُنِيَ بِهِ مِنْ مَعَانِي الْمُبَاشَرَةِ الْبَعْضُ دُونَ الْجَمِيعِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ مُجْمَعًا عَلَىٰ أَنَّ الْجِمَاعَ مِمَّا عُنِيَ بِهِ، كَانَ وَاجِبًا تَحْرِيمُ الْجِمَاعِ عَلَىٰ الْمُعْتَكِفِ وَمَا أَشْبَهَهُ، وَذَلِكَ كُلُّ مَا قَامَ فِي الِالْتِذَاذِ مَقَامَهُ مِنَ الْمُبَاشَرَةِ..

﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِۗ﴾ فِي حَالِ عُكُوفِكُمْ فِي الْمَسَاجِدِ، وَتِلْكَ حَالُ حَبْسِهِمْ أَنْفُسَهُمْ عَلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ فِي مَسَاجِدِهِمْ..

﴿تِلْكَ﴾ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي بَيَّنْتُهَا، مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجِمَاعِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ نَهَارًا فِي غَيْرِ عُذْرٍ، وَجِمَاعِ النِّسَاءِ فِي الِاعْتِكَافِ فِي الْمَسَاجِدِ..

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ حَدَّدْتُهَا لَكُمْ، وَأَمَرْتُكُمْ أَنْ تَجْتَنِبُوهَا فِي الْأَوْقَاتِ الَّتِي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَجْتَنِبُوهَا وَحَرَّمْتُهَا فِيهَا عَلَيْكُمْ.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ يَقُولُ: حُدُودُ اللهِ شُرُوطُهُ، وَذَلِكَ أَنَّ حَدَّ كُلِّ شَيْءٍ مَا حَصَرَهُ مِنَ الْمَعَانِي وَمَيَّزَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، فَقَوْلُهُ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ مِنْ ذَلِكَ، يَعْنِي بِهِ الْمَحَارِمَ الَّتِي مَيَّزَهَا مِنَ الْحَلَالِ الْمُطْلَقِ فَحَدَّدَهَا بِنُعُوتِهَا وَصِفَاتِهَا وَعَرَّفَهَا عِبَادَهُ..

﴿فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ﴾ وَابْعُدُوا مِنْهَا أَنْ تَرْكَبُوهَا، فَتَسْتَحِقُّوا بِهَا مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا يَسْتَحِقُّهُ مَنْ تَعَدَّىٰ حُدُودِي وَخَالَفَ أَمْرِي وَرَكِبَ مَعَاصِيَّ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا بَيَّنْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَاجِبَ فَرَائِضِي عَلَيْكُمْ مِنَ الصَّوْمِ، وَعَرَّفْتُكُمْ حُدُودَهُ، وَأَوْقَاتَهُ، وَمَا عَلَيْكُمْ مِنْهُ فِي الْحَضَرِ، وَمَا لَكُمْ فِيهِ فِي السَّفَرِ وَالْمَرَضِ، وَمَا اللَّازِمُ لَكُمْ تَجَنُّبُهُ فِي حَالِ اعْتِكَافِكُمْ فِي مَسَاجِدِكُمْ، فَأَوْضَحْتُ جَمِيعَ ذَلِكَ لَكُمْ، فَكَذَلِكَ..

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾ أُبَيِّنُ أَحْكَامِي، وَحَلَالِي، وَحَرَامِي، وَحُدُودِي، وَأَمْرِي، وَنَهْيِي فِي كِتَابِي، وَتَنْزِيلِي، وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِي ﷺ لِلنَّاسِ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝١٨٧﴾ [البقرة: ١٨٧] أُبَيِّنُ ذَلِكَ لَهُمْ لِيَتَّقُوا مَحَارِمِي وَمَعَاصِيَّ، وَيَتَجَنَّبُوا سَخَطِي وَغَضَبِي بِتَرْكِهِمْ رُكُوبَ مَا أُبَيِّنُ لَهُمْ فِي آيَاتِي أَنِّي قَدْ حَرَّمْتُهُ عَلَيْهِمْ، وَأَمَرْتُهُمْ بِهَجْرِهِ وَتَرْكِهِ.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٨٨﴾ [البقرة: ١٨٨].

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ وَلَا يَأْكُلْ بَعْضُكُمْ مَالَ بَعْضٍ بِالْبَاطِلِ، فَجَعَلَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِذَلِكَ أَكْلَ مَالِ أَخِيهِ بِالْبَاطِلِ كَالْآكِلِ مَالَ نَفْسِهِ بِالْبَاطِلِ، وَنَظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، بِمَعْنَىٰ: لَا يَلْمِزْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- جَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةً، فَقَاتِلُ أَخِيهِ كَقَاتِلِ نَفْسِهِ، وَلَامِزُهُ كَلَامِزِ نَفْسِهِ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَلَا يَأْكُلْ بَعْضُكُمْ أَمْوَالَ بَعْضٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ، وَأَكْلُهُ بِالْبَاطِلِ أَكْلُهُ مِنْ غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي أَبَاحَهُ اللهُ لِآكِلِيهِ..

﴿وَتُدْلُواْ﴾ وَتُخَاصِمُوا.. وَأَصْلُ الْإِدْلَاءِ: إِرْسَالُ الرَّجُلِ الدَّلْوَ فِي سَبَبٍ مُتَعَلِّقًا بِهِ فِي الْبِئْرِ، فَقِيلَ لِلْمُحْتَجِّ لِدَعْوَاهُ: أَدْلَىٰ بِحُجَّةِ كَيْتَ وَكَيْتَ؛ إِذْ كَانَ حُجَّتُهُ الَّتِي يَحْتَجُّ بِهَا سَبَبًا لَهُ هُوَ بِهِ مُتَعَلِّقٌ فِي خُصُومَتِهِ، كَتَعَلُّقِ الْمُسْتَقِي مِنْ بِئْرٍ بِدَلْوٍ قَدْ أَرْسَلَهَا فِيهَا بِسَبَبِهَا الَّذِي الدَّلْوُ بِهِ مُتَعَلِّقَةٌ..

﴿بِهَآ﴾ بِأَمْوَالِكُمْ..

﴿إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ كَالرَّجُلِ يَكُونُ عَلَيْهِ مَالٌ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ فِيهِ بَيِّنَةٌ، فَيَجْحَدُ الْمَالَ، فَيُخَاصِمُهُمْ إِلَىٰ الْحُكَّامِ وَهُوَ يَعْرِفُ أَنَّ الْحَقَّ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ آثِمٌ آكِلُ حَرَامًا..

﴿لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا﴾ طَائِفَةً..

﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ﴾ بِالْحَرَامِ الَّذِي قَدْ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْكُمْ..

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٨٨﴾ [البقرة: ١٨٨] وَأَنْتُمْ تَتَعَمَّدُونَ أَكْلَ ذَلِكَ بِالْإِثْمِ عَلَىٰ قَصْدٍ مِنْكُمْ إِلَىٰ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْهُ، وَمَعْرِفَةٌ بِأَنَّ فِعْلَكُمْ ذَلِكَ مَعْصِيَةٌ لِلَّهِ وَإِثْمٌ.

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ [البقرة: ١٨٩].

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ وَمِحَاقِهَا، وَسِرَارِهَا، وَتَمَامِهَا، وَاسْتِوَائِهَا، وَتَغَيُّرِ أَحْوَالِهَا بِزِيَادَةٍ، وَنُقْصَانٍ، وَمِحَاقٍ، وَاسْتِسْرَارٍ، وَمَا الْمَعْنَىٰ الَّذِي خَالَفَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ الَّتِي هِيَ دَائِمَةٌ أَبَدًا عَلَىٰ حَالٍ وَاحِدَةٍ لَا تَتَغَيَّرُ بِزِيَادَةٍ، وَلَا نُقْصَانٍ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ لَكُمْ وَلِغَيْرِكُمْ مِنْ بَنِي آدَمَ، فِي مَعَايِشِهِمْ، تَرْقُبُونَ بِزِيَادَتِهَا، وَنُقْصَانِهَا، وَمِحَاقِهَا، وَاسْتِسْرَارِهَا، وَإِهْلَالِكُمْ إِيَّاهَا أَوْقَاتَ حَلِّ دُيُونِكُمْ، وَانْقِضَاءَ مُدَّةِ إِجَارَةِ مَنِ اسْتَأْجَرْتُمُوهُ، وَتَصَرُّمَ عِدَّةِ نِسَائِكُمْ، وَوَقْتَ صَوْمِكُمْ، وَإِفْطَارِكُمْ، فَجَعَلَهَا مَوَاقِيتَ لِلنَّاسِ..

﴿وَٱلْحَجِّ﴾ وَجَعَلَهَا أَيْضًا مِيقَاتًا لِحَجِّكُمْ تَعْرِفُونَ بِهَا وَقْتَ مَنَاسِكِكُمْ، وَحَجِّكُمْ..

﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ﴾ فِي حَالِ إِحْرَامِكُمْ..

﴿مِن ظُهُورِهَا﴾ كَانَ نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِذَا أَهَلُّوا بِالْعُمْرَةِ لَمْ يَحُلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ شَيْءٌ؛ يَتَحَرَّجُونَ مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَخْرُجُ مُهِلًّا بِالْعُمْرَةِ فَتَبْدُو لَهُ الْحَاجَةُ بَعْدَ مَا يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ فَيَرْجِعُ وَلَا يَدْخُلُ مِنْ بَابِ الْحُجْرَةِ مِنْ أَجْلِ سَقْفِ الْبَابِ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ، فَيَفْتَحُ الْجِدَارَ مِنْ وَرَائِهِ، ثُمَّ يَقُومُ فِي حُجْرَتِهِ فَيَأْمُرُ بِحَاجَتِهِ فَتَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْ بَيْتِهِ..

﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ اللهَ فَخَافَهُ، وَتَجَنَّبَ مَحَارِمَهُ، وَأَطَاعَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ الَّتِي أَمَرَهُ بِهَا، فَأَمَّا إِتْيَانُ الْبُيُوتِ مِنْ ظُهُورِهَا فَلَا بِرَّ لِلَّهِ فِيهِ..

﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ فَأْتُوهَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْ أَبْوَابِهَا وَغَيْرِ أَبْوَابِهَا، مَا لَمْ تَعْتَقِدُوا تَحْرِيمَ إِتْيَانِهَا مِنْ أَبْوَابِهَا فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ لَكُمُ اعْتِقَادُهُ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا لَمْ أُحَرِّمْهُ عَلَيْكُمْ..

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ فَاحْذَرُوهُ، وَارْهَبُوهُ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٨٩﴾ [البقرة: ١٨٩] لِتُفْلِحُوا فَتَنْجَحُوا فِي طَلِبَاتِكُمْ لَدَيْهِ وَتُدْرِكُوا بِهِ الْبَقَاءَ فِي جَنَّاتِهِ، وَالْخُلُودَ فِي نَعِيمِهِ.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠].

﴿وَقَاتِلُوا﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فِي طَاعَتِي، وَعَلَىٰ مَا شَرَعْتُ لَكُمْ مِنْ دِينِي، وَادْعُوا إِلَيْهِ -مَنْ وَلَّىٰ عَنْهُ، وَاسْتَكْبَرَ- بِالْأَيْدِي، وَالْأَلْسُنِ، حَتَّىٰ يُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِي، أَوْ يُعْطُوكُمُ الْجِزْيَةَ صِغَارًا إِنْ كَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ..

﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ مِنْ مُقَاتَلَةِ أَهْلِ الْكُفْرِ دُونَ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ قِتَالٌ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، فَإِنَّهُمْ أَمْوَالٌ وَخَوَلٌ لَكُمْ إِذَا غُلِبَ الْمُقَاتِلُونَ مِنْهُمْ فَقُهِرُوا، لَا أَنَّهُ أَبَاحَ الْكَفَّ عَمَّنْ كَفَّ فَلَمْ يُقَاتِلْ مِنْ مُشْرِكِي أَهْلِ الْأَوْثَانِ، أَوِ الْكَافِّينَ عَنْ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُفَّارِ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَىٰ غَيْرِ إِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ صِغَارًا..

﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ لَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَلَا امْرَأَةً وَلَا مَنْ أَعْطَاكُمُ الْجِزْيَةَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ وَالْمَجُوسِ..

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠] الَّذِينَ يُجَاوِزُونَ حُدُودَهُ، فَيَسْتَحِلُّونَ مَا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ قَتْلِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَرَّمَ قَتْلَهُمْ مِنْ نِسَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَذَرَارِيِّهِمْ.

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ١٩١﴾ [البقرة: ١٩١].

﴿وَاقْتُلُوهُمْ﴾ وَاقْتُلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ حَيْثُ أَصَبْتُمْ مُقَاتِلَهُمْ وَأَمْكَنَكُمْ قَتْلُهُمْ فِي أَيِّ مَكَانٍ تَمَكَّنْتُمْ مِنْ قَتْلِهِمْ وَأَبْصَرْتُمْ مُقَاتِلَهُمْ..

﴿وَأَخْرِجُوهُمْ﴾ مِنْ دِيَارِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ..

﴿مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ مِنْ دِيَارِكُمْ وَمَسَاكِنِكُمْ.. فَإِنَّهُ يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ بِمَكَّةَ..

﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ وَالشِّرْكُ بِاللهِ.. وَقَدْ بَيَّنْتُ فِيمَا مَضَىٰ أَنَّ أَصْلَ الْفِتْنَةِ الِابْتِلَاءُ، وَالِاخْتِبَارُ، فَتَأْوِيلُ

الْكَلَامِ: وَابْتِلَاءُ الْمُؤْمِنِ فِي دِينِهِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ عَنْهُ فَيَصِيرُ مُشْرِكًا بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِسْلَامِهِ..

﴿أَشَدُّ﴾ عَلَيْهِ وَأَضَرُّ..

﴿مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ مِنْ أَنْ يُقْتَلَ مُقِيمًا عَلَىٰ دِينِهِ مُتَمَسِّكًا عَلَيْهِ مُحِقًّا فِيهِ..

﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ﴾ وَلَا تَبْتَدِئُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُشْرِكِينَ بِالْقِتَالِ..

﴿عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ حَتَّىٰ يَبْدَءُوكُمْ بِهِ..

﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ﴾ فَإِنْ بَدَءُوكُمْ بِهِ هُنَالِكَ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي الْحَرَمِ..

﴿فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٩١﴾ [البقرة: ١٩١] فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ ثَوَابَ الْكَافِرِينَ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَأَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةَ الْقَتْلَ فِي الدُّنْيَا، وَالْخِزْيَ الطَّوِيلَ فِي الْآخِرَةِ.. وَقَدْ نَسَخَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- هَذِهِ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣] وَقَوْلِهِ: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَمْ يَأْمُرْ نَبِيَّهُ ﷺ وَأَصْحَابَهُ فِي حَالِ إِذَا قَاتَلَهُمُ الْمُشْرِكُونَ بِالِاسْتِسْلَامِ لَهُمْ حَتَّىٰ يَقْتُلُوا مِنْهُمْ قَتِيلًا بَعْدَ مَا أُذِنَ لَهُ وَلَهُمْ بِقِتَالِهِمْ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَعْلُومٌ أَنَّهُ قَدْ كَانَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَذِنَ لَهُمْ بِقِتَالِهِمْ إِذَا كَانَ ابْتِدَاءُ الْقِتَالِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلُوا مِنْهُمْ قَتِيلًا، وَبَعْدَ أَنْ يَقْتُلُوا مِنْهُمْ قَتِيلًا.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٩٢﴾ [البقرة: ١٩٢].

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ فَإِنِ انْتَهَىٰ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ عَنْ قِتَالِكُمْ وَكُفْرِهِمْ بِاللهِ، فَتَرَكُوا ذَلِكَ وَتَابُوا.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِذُنُوبِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ وَتَابَ مِنْ شِرْكِهِ، وَأَنَابَ إِلَىٰ اللهِ مِنْ مَعَاصِيهِ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْهُ وَأَيَّامِهِ الَّتِي مَضَتْ..

﴿رَّحِيمٌ ١٩٢﴾ [البقرة: ١٩٢] بِهِ فِي آخِرَتِهِ بِفَضْلِهِ عَلَيْهِ، وَإِعْطَائِهِ مَا يُعْطِي أَهْلَ طَاعَتِهِ مِنَ الثَّوَابِ بِإِنَابَتِهِ إِلَىٰ مَحَبَّتِهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾ [البقرة: ١٩٣].

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ..

﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ شِرْكٌ بِاللهِ، وَحَتَّىٰ لَا يُعْبَدُ دُونَهُ أَحَدٌ، وَتَضْمَحِلَّ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ وَالْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَتَكُونَ الْعِبَادَةُ وَالطَّاعَةُ لِلَّهِ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾ وهُوَ الْعِبَادَةُ وَالطَّاعَةُ..

﴿لِلَّهِ﴾ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.. فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللهُ، وَذَلِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، عَلَيْهِ قَاتَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِلَيْهِ دَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**»..

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾ فَإِنِ انْتَهَىٰ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْ قِتَالِكُمْ، وَدَخَلُوا فِي مِلَّتِكُمْ، وَأَقَرُّوا بِمَا أَلْزَمَكُمُ اللهُ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَتَرَكُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ عُبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَدَعُوا الِاعْتِدَاءَ عَلَيْهِمْ، وَقِتَالَهُمْ، وَجِهَادَهُمْ..

﴿فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣] فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْتَدَىٰ إِلَّا عَلَىٰ الظَّالِمِينَ وَهُمُ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ، وَالَّذِينَ تَرَكُوا عِبَادَتَهُ وعَبَدُوا غَيْرَ خَالِقِهِمْ.

> ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ﴾ الَّذِي أَوْصَلَكُمُ اللهُ فِيهِ إِلَىٰ حَرَمِهِ وبَيْتِهِ عَلَىٰ كَرَاهَةِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ ذَلِكَ، حَتَّىٰ قَضَيْتُمْ مِنْهُ وَطَرَكُمْ، وَهُوَ شَهْرُ ذُو الْقَعْدَةِ، وَهُوَ الشَّهْرُ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اعْتَمَرَ فِيهِ عُمْرَةَ الْحُدَيْبِيَةِ، فَصَدَّهُ مُشْرِكُو أَهْلِ مَكَّةَ عَنِ الْبَيْتِ وَدُخُولِ مَكَّةَ، وَكُلُّ ذَلِكَ سَنَةَ سِتٍّ مِنْ هِجْرَتِهِ، وَصَالَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُشْرِكِينَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، عَلَىٰ أَنْ يَعُودَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَيَدْخُلُ مَكَّةَ وَيُقِيمُ ثَلَاثًا، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، وَذَلِكَ سَنَةَ سَبْعٍ مِنْ هِجْرَتِهِ خَرَجَ مُعْتَمِرًا وَأَصْحَابُهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَهُوَ الشَّهْرُ الَّذِي كَانَ الْمُشْرِكُونَ صَدُّوهُ عَنِ الْبَيْتِ فِيهِ فِي سَنَةِ سِتٍّ، وَأَخْلَىٰ لَهُ أَهْلُ مَكَّةَ الْبَلَدِ، حَتَّىٰ دَخَلَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَضَىٰ حَاجَتَهُ مِنْهَا، وَأَتَمَّ عُمْرَتَهُ، وَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا مُنْصَرِفًا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.. وَإِنَّمَا سَمَّىٰ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- ذَا الْقَعْدَةَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَتْ تُحَرِّمُ فِيهِ الْقِتَالَ وَالْقَتْلَ وَتَضَعُ فِيهِ السِّلَاحَ، وَلَا يَقْتُلُ فِيهِ أَحَدٌ أَحَدًا، وَلَوْ لَقِيَ الرَّجُلُ قَاتِلَ أَبِيهِ أَوِ ابْنِهِ، وَإِنَّمَا كَانُوا سَمُّوهُ ذَا الْقَعْدَةِ لِقُعُودِهِمْ فِيهِ عَنِ الْمَغَازِي وَالْحُرُوبِ، فَسَمَّاهُ اللهُ بِالِاسْمِ الَّذِي كَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّيهِ بِهِ..

﴿بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ الَّذِي صَدَّكُمْ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ الْعَامَ الْمَاضِي قَبْلَهُ فِيهِ، حَتَّىٰ انْصَرَفْتُمْ عَنْ كُرْهٍ مِنْكُمْ عَنِ الْحَرَمِ، فَلَمْ تَدْخُلُوهُ وَلَمْ تَصِلُوا إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ، فَأَقْصَدَكُمُ اللهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

بِإِدْخَالِكُمُ الْحَرَمَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ عَلَىٰ كُرْهٍ مِنْهُمْ لِذَلِكَ، بِمَا كَانَ مِنْهُمْ إِلَيْكُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ مِنَ الصَّدِّ وَالْمَنْعِ مِنَ الْوُصُولِ إِلَىٰ الْبَيْتِ.. قَالَ عبدُ الرَّحمنِ بْنُ زَيْدٍ: هَذَا كُلُّهُ قَدْ نُسِخَ، أَمَرَهُ أَنْ يُجَاهِدَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَرَأَ: ﴿قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ [التوبة: ٣٦]، وَقَرَأَ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] الْعَرَبِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُمْ قَالَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٢٩] حَتَّىٰ بَلَغَ قَوْلَهُ: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩]، قَالَ: وَهُمُ الرُّومُ، قَالَ: فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ..

﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ﴾ جَمْعُ حُرْمَةٍ كَالظُّلُمَاتِ جَمْعُ ظُلْمَةٍ، وَالْحُجُرَاتُ جَمْعُ حُجْرَةٍ.. فَأَرَادَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْبَلَدَ الْحَرَامَ وَحُرْمَةَ الْإِحْرَامِ، فَقَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ: دُخُولُكُمُ الْحَرَمَ بِإِحْرَامِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا الْحَرَامِ..

﴿قِصَاصٌ﴾ مِمَّا مُنِعْتُمْ مِنْ مِثْلِهِ عَامَكُمُ الْمَاضِي، وَذَلِكَ هُوَ الْحُرُمَاتُ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ قِصَاصًا..

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ فِي الْحَرَمِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقَاتَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ فَقَاتِلُوهُمْ كَمَا قَاتَلُوكُمْ؛ لِأَنِّي قَدْ جَعَلْتُ الْحُرُمَاتِ قِصَاصًا، فَمَنِ اسْتَحَلَّ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ حُرْمَةً فِي حَرَمِي، فَاسْتَحِلُّوا مِنْهُ مِثْلَهُ فِيهِ، نَظِيرَ قَوْلِهِ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠].. وَهَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِإِذْنِ اللهِ لِنَبِيِّهِ بِقِتَالِ أَهْلِ الْحَرَمِ ابْتِدَاءً فِي الْحَرَمِ وَقَوْلِهِ: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي حُرُمَاتِهِ، وَحُدُودِهِ أَنْ تَعْتَدُوا فِيهَا فَتَتَجَاوَزُوا فِيهَا مَا بَيَّنَهُ وَحَدَّهُ لَكُمْ..

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [البقرة: ١٩٤] الَّذِينَ يَتَّقُونَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَتَجَنُّبِ مَحَارِمِهِ.

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥].

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَأَنْفِقُوا فِي إِعْزَازِ دِينِي الَّذِي شَرَعْتُهُ لَكُمْ بِجِهَادِ عَدُوِّكُمُ النَّاصِبِينَ لَكُمُ الْحَرْبَ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِي..

﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ وَلَا تَسْتَسْلِمُوا لِلْهَلَكَةِ فَتُعْطُوهَا أَزِمَّتَكُمْ فَتَهْلِكُوا.. وَالتَّارِكُ النَّفَقَةَ فِي سَبِيلِ اللهِ عِنْدَ وُجُوبِ ذَلِكَ عَلَيْهِ مُسْتَسْلِمٌ لِلْهَلَكَةِ بِتَرْكِهِ أَدَاءَ فَرْضِ اللهِ عَلَيْهِ فِي مَالِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- جَعَلَ أَحَدَ سِهَامِ الصَّدَقَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ الثَّمَانِيَةِ فِي سَبِيلِهِ، فَقَالَ: ﴿* إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ

﴿لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [التوبة: ٦٠]، فَمَنْ تَرَكَ إِنْفَاقَ مَا لَزِمَهُ مِنْ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَلَىٰ مَا لَزِمَهُ كَانَ لِلْهَلَكَةِ مُسْتَسْلِمًا، وَبِيَدَيْهِ لِلتَّهْلُكَةِ مُلْقِيًا، وَكَذَلِكَ الْآيِسُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ لِذَنْبٍ سَلَفَ مِنْهُ مُلْقٍ بِيَدَيْهِ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ قَدْ نَهَىٰ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف: ٨٧]، وَكَذَلِكَ التَّارِكُ غَزْوِ الْمُشْرِكِينَ وَجِهَادِهُمْ فِي حَالِ وُجُوبِ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَفِي حَالِ حَاجَةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِ، مُضَيِّعٌ فَرْضًا، مُلْقٍ بِيَدِهِ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ.. فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَعَانِي كُلُّهَا يَحْتَمِلُهَا قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ وَلَمْ يَكُنِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ خَصَّ مِنْهَا شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ، فَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ نَهَىٰ عَنِ الْإِلْقَاءِ بِأَيْدِينَا لِمَا فِيهِ هَلَاكُنَا، وَالِاسْتِسْلَامِ لِلْهَلَكَةِ -وَهِيَ الْعَذَابُ- بِتَرْكِ مَا لَزِمَنَا مِنْ فَرَائِضِهِ، فَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ مِنَّا الدُّخُولُ فِي شَيْءٍ يَكْرَهُهُ اللهُ مِنَّا مِمَّا نَسْتَوْجِبُ بِدُخُولِنَا فِيهِ عَذَابَهُ، غَيْرَ أَنَّ الْأَمْرَ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الْأَغْلَبَ مِنْ تَأْوِيلِ الْآيَةِ: وَأَنْفِقُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا تَتْرُكُوا النَّفَقَةَ فِيهَا فَتَهْلِكُوا بِاسْتِحْقَاقِكُمْ بِتَرْكِكُمْ ذَلِكَ عَذَابِي، فَيَكُونُ ذَلِكَ إِعْلَامًا مِنْهُ لَهُمْ -بَعْدَ أَمْرِهِ إِيَّاهُمْ بِالنَّفَقَةِ- مَا لِمَنْ تَرَكَ النَّفَقَةَ الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِ فِي سَبِيلِهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ فِي الْمَعَادِ..

﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي أَدَاءِ مَا أَلْزَمْتُكُمْ مِنْ فَرَائِضِي، وَتَجَنُّبِ مَا أَمَرْتُكُمْ بِتَجَنُّبِهِ مِنْ مَعَاصِيَّ، وَفِي الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِي، وَعَوْدِ الْقَوِيِّ مِنْكُمْ عَلَىٰ الضَّعِيفِ ذِي الْخَلَّةِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥] فِي ذَلِكَ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: أَحْسِنُوا الظَّنَّ بِاللهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: أَحْسِنُوا بِالْعَوْدِ عَلَىٰ الْمُحْتَاجِ لَيْسَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ.

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝١٩٦﴾

[البقرة: ١٩٦].

﴿وَأَتِمُّواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أَتِمُّوا الْحَجَّ بِمَنَاسِكِهِ، وَسُنَنِهِ، وَأَتِمُّوا الْعُمْرَةَ بِحُدُودِهَا، وَسُنَنِهَا.. فَمَنْ أَحْرَمَ بِحَجٍّ، أَوْ بِعُمْرَةٍ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَحِلَّ حَتَّىٰ يُتِمَّهَا، تَمَامُ الْحَجِّ يَوْمَ النَّحْرِ إِذَا رَمَىٰ جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ،

وَزَارَ الْبَيْتَ، فَقَدْ حَلَّ مِنْ إِحْرَامِهِ كُلِّهِ، وَتَمَامُ الْعُمْرَةِ إِذَا طَافَ بِالْبَيْتِ، وَبِالصَّفَا، وَالْمَرْوَةِ، فَقَدْ حَلَّ.. والْآيَةُ مُحْتَمِلَةٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَمْرًا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِإِقَامَتِهِمَا بِتَمَامِهِمَا ابْتِدَاءً، وَإِيجَابًا مِنْهُ عَلَىٰ الْعِبَادِ فَرْضَهُمَا، وَأَنْ يَكُونَ أَمْرًا مِنْهُ بِإِتَمَامِهِمَا بَعْدَ الدُّخُولِ فِيهِمَا وَبَعْدَ إِيجَابِ مُوجِبِهِمَا عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَلَا حُجَّةَ فِيهَا لِأَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ عَلَىٰ الْآخَرِ، إِلَّا وَلِلْآخَرِ عَلَيْهِ فِيهَا مِثْلُهَا، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ بِإِيجَابِ فَرْضِ الْعُمْرَةِ خَبَرٌ عَنِ الْحُجَّةِ لِلْعُذْرِ قَاطِعًا، وَكَانَتِ الْأُمَّةُ فِي وُجُوبِهَا مُتَنَازِعَةً، لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِ قَائِلٍ هِيَ فَرْضٌ بِغَيْرِ بُرْهَانٍ دَالٍ عَلَىٰ صِحَّةِ قَوْلِهِ مَعْنًىٰ؛ إِذْ كَانَتِ الْفُرُوضُ لَا تَلْزَمُ الْعِبَادَ الَّا بِدَلَالَةٍ عَلَىٰ لُزُومِهَا إِيَّاهُمْ وَاضِحَةٍ.. وَإِنَّ أَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ فِي الْعُمْرَةِ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: هِيَ تَطَوُّعٌ لَا فَرْضٌ.. وَإِنَّ مَعْنَىٰ الْآيَةِ: وَأَتِمُّوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْحَجَّ، وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ بَعْدَ دُخُولِكُمْ فِيهِمَا، وَإِيجَابِكُمُوهِمَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ عَلَىٰ مَا أَمَرَكُمُ اللهُ مِنْ حُدُودِهِمَا.. وَإِنَّمَا أَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي عَمْرَةِ الْحُدَيْبِيَةِ الَّتِي صُدَّ فِيهَا عَنِ الْبَيْتِ، مُعَرِّفَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فِيهَا مَا عَلَيْهِمْ فِي إِحْرَامِهِمْ إِنْ خُلِّيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، وَمُبَيِّنًا لَهُمْ فِيهَا مَا الْمَخْرَجُ لَهُمْ مِنْ إِحْرَامِهِمْ إِنْ أُحْصِروا فَصُدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، وَبِذِكْرِ اللَّازِمِ لَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ فِي عُمْرَتِهِمُ الَّتِي اعْتَمَرُوهَا عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَمَا يَلْزَمُهُمْ فِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي عُمَرِهِمْ وَحَجِّهِمْ..

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ فَإِنْ حَبَسَكُمْ أَيُّ مَانِعٍ أَوْ حَابِسٍ مَنَعَ الْمُحْرِمَ وَحَبَسَهُ عَنِ الْعَمَلِ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْهِ فِي إِحْرَامِهِ وَوُصُولِهِ إِلَىٰ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وعَنْ إِتْمَام ذَلِكَ مِنْ مَرَضٍ أَوْ كَسْرٍ أَوْ خَوْفِ عَدُوٍّ..

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ فَعَلَيْكُمْ لِإِحْلَالِكُمْ إِنْ أَرَدْتُمُ الْإِحْلَالَ مِنْ إِحْرَامِكُمْ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ، وَهُوَ شَاةٌ.. وَالْهَدْيُ جَمْعٌ وَاحِدُهَا هَدِيَّةٌ.. وَالْهَدْيُ عِنْدِي إِنَّمَا سُمِّيَ هَدْيًا لِأَنَّهُ تَقَرَّبَ بِهِ إِلَىٰ اللهِ -جَلَّ وَعَزَّ- مُهْدِيهِ، بِمَنْزِلَةِ الْهَدِيَّةِ يُهْدِيهَا الرَّجُلُ إِلَىٰ غَيْرِهِ مُتَقَرِّبًا بِهَا إِلَيْهِ..

﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾ وَلَا تُحِلُّوا مِنْ إِحْرَامِكُمْ إِذَا أُحْصِرْتُمْ.. وَذَلِكَ أَنَّ حَلْقَ الرَّأْسِ إِحْلَالٌ مِنَ الْإِحْرَامِ الَّذِي كَانَ الْمُحْرِمُ قَدْ أَوْجَبَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَنَهَاهُ اللهُ عَنِ الْإِحْلَالِ مِنْ إِحْرَامِهِ بِحِلَاقِهِ..

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ﴾ الَّذِي أَوْجَبْتُهُ عَلَيْكُمْ لِإِحْلَالِكُمْ مِنْ إِحْرَامِكُمُ الَّذِي أُحْصِرْتُمْ فِيهِ قَبْلَ تَمَامِهِ، وَانْقِضَاءِ مَشَاعِرِهِ، وَمَنَاسِكِهِ..

﴿مَحِلَّهُ﴾ مَحِلَّ هَدْيِهِ الْمَوْضِعَ الَّذِي أُحْصِرَ فِيهِ، وَأَلْزَمَهُ قَضَاءُ مَا حَلَّ مِنْهُ مِنْ إِحْرَامِهِ قَبْلَ إِتَمَامِهِ إِذَا وَجَدَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَذَلِكَ لِتَوَاتُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ صُدَّ وَأَصْحَابُهُ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ عَنِ الْبَيْتِ وَهُوَ مُحْرِمٌ بِعُمْرَةٍ، فَنَحَرَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ -بِأَمْرِهِ- الْهَدْيَ، وَحَلُّوا مِنْ إِحْرَامِهِمْ قَبْلَ وُصُولِهِمْ

إِلَىٰ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَضَوْا إِحْرَامَهُمُ الَّذِي حَلُّوا مِنْهُ فِي الْعَامِ الَّذِي بَعْدَهُ؛ إِذْ كَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ لَا يَتَدَافَعُ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّهَا يَوْمَئِذٍ نَزَلَتْ، وَفِي حُكْمِ صَدِّ الْمُشْرِكِينَ إِيَّاهُ عَنِ الْبَيْتِ أُوحِيَتْ..

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ﴾ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ، إِلَا أَنْ يُضْطَرَّ إِلَىٰ حَلْقِهِ مِنْكُمْ مُضْطَرٌّ، إِمَّا لِمَرَضٍ، وَإِمَّا لِأَذًىٰ بِرَأْسِهِ مِنْ هَوَامٍّ أَوْ غَيْرِهَا، فَيَحْلِقُ هُنَالِكَ لِلضَّرُورَةِ النَّازِلَةِ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَبْلُغِ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ، فَيَلْزَمُهُ بِحِلَاقِهِ رَأْسَه وَهُوَ كَذَلِكَ، فِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ، أَوْ صَدَقَةٍ، أَوْ نُسُكٍ.. فَأَمَّا الْمَرَضُ الَّذِي أُبِيحَ مَعَهُ الْعِلَاجُ بِالطِّيبِ، وَحَلْقِ الرَّأْسِ، فَكُلُّ مَرَضٍ كَانَ صَلَاحُهُ بِحَلْقِهِ، كَالْبِرْسَامِ الَّذِي يَكُونُ مِنْ صَلَاحِ صَاحِبِهِ حَلْقُ رَأْسِهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَالْجِرَاحَاتِ الَّتِي تَكُونُ بِجَسَدِ الْإِنْسَانِ الَّتِي يَحْتَاجُ مَعَهَا إِلَىٰ الْعِلَاجِ بِالدَّوَاءِ الَّذِي فِيهِ الطِّيبُ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْقُرُوحِ وَالْعِلَلِ الْعَارِضَةِ لِلْأَبْدَانِ.. وَأَمَّا الْأَذَىٰ الَّذِي يَكُونُ إِذَا كَانَ بِرَأْسِ الْإِنْسَانِ خَاصَّةً لَهُ حَلْقُهُ، فَنَحْوَ الصُّدَاعِ وَالشَّقِيقَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَأَنْ يَكْثُرَ صِئْبَانُ الرَّأْسِ، وَكُلُّ مَا كَانَ لِلرَّأْسِ مُؤْذِيًا مِمَّا فِي حَلْقِهِ صَلَاحُهُ، وَدَفْعُ الْمَضَرَّةِ الْحَالَّةِ بِهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ لَهُ بِعُمُومِ قَوْلِ اللهِ - جَلَّ وَعَزَّ - ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾.. وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَيْهِ بِسَبَبِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ، إِذْ شَكَا كَثْرَةَ أَذىً بِرَأْسِهِ مِنْ صِئْبَانِهِ، وَذَلِكَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ، فَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: حَجَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَمِلَ رَأْسِي وَلِحْيَتِي وَشَارِبِي وَحَاجِبَيَّ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ فَقَالَ: «**مَا كُنْتُ أَرَىٰ هَذَا أَصَابَكَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**ادْعُوا لِي حَلَّاقًا**» فَدَعَوْهُ، فَحَلَقَنِي، ثُمَّ قَالَ: «**أَعِنْدَكَ شَيْءٌ تَنْسُكُهُ عَنْكَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «**فَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، أَوِ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ كُلَّ مِسْكِينٍ نِصْفَ صَاعٍ مِنْ طَعَامٍ**»، قَالَ كَعْبٌ: (**فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيَّ خَاصَّةً** ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ﴾، **ثُمَّ كَانَتْ لِلنَّاسِ عَامَّةً**).. وَهَذَا الْخَبَرُ يُنْبِئُ عَنْ أَنَّ الصَّحِيحَ مِنَ الْقَوْلِ أَنَّ الْفِدْيَةَ إِنَّمَا تَجِبُ عَلَىٰ الْحَالِقِ بَعْدَ الْحَلْقِ، وَفَسَادُ قَوْلِ مَنْ قَالَ: يَفْتَدِي، ثُمَّ يَحْلِقُ؛ لِأَنَّ كَعْبًا يُخْبِرُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ بِالْفِدْيَةِ بَعْدَ مَا أَمَرَهُ بِالْحَلْقِ فَحَلَقَ.. وَقَدْ بَيَّنَّا قَبْلُ مَعْنَىٰ الْفِدْيَةِ، وَأَنَّهَا بِمَعْنَىٰ الْجَزَاءِ، وَالْبَدَلِ.. وَمَبْلَغُ الصِّيَامِ وَالطَّعَامِ اللَّذَيْنِ أَوْجَبَهُمَا اللهُ عَلَىٰ مَنْ حَلَقَ شَعْرَهُ مِنَ الْمُحْرِمِينَ فِي حَالِ مَرَضِهِ، أَوْ مِنْ أَذىً بِرَأْسِهِ، مَا ثَبَتَ بِهِ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَظَاهَرَتْ بِهِ عَنْهُ الرِّوَايَةُ، أَنَّهُ أَمَرَ كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ بِحَلْقِ رَأْسِهِ مِنَ الْأَذَىٰ الَّذِي كَانَ بِرَأْسِهِ، وَيَفْتَدِي إِنْ شَاءَ بِنُسُكِ شَاةٍ، أَوْ صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، أَوْ إِطْعَامِ فَرَقٍ مِنْ طَعَامٍ بَيْنَ سِتَّةِ مَسَاكِينَ، كُلُّ مِسْكِينٍ نِصْفُ

صَاعٍ.. وَلِلْمُفْتَدِي الْخِيَارُ بَيْنَ أَيِّ ذَلِكَ شَاءَ؛ لِأَنَّ اللهَ لَمْ يَحْصُرْهُ عَلَىٰ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بِعَيْنِهَا، فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَعْدُوهَا إِلَىٰ غَيْرِهَا، بَلْ جَعَلَ إِلَيْهِ فِعْلَ أَيِّ الثَّلَاثِ شَاءَ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ إِجْمَاعٌ مِنَ الْحُجَّةِ، وفِي ذَلِكَ مُسْتَغْنًىٰ عَنِ الِاسْتِشْهَادِ عَلَىٰ صِحَّتِهِ بِغَيْرِهِ.. وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ أَنَّ الصِّيَامَ مُجْزِئٌ عَنِ الْحَالِقِ رَأْسَهُ مِنْ أَذًىٰ حَيْثُ صَامَ مِنَ الْبِلَادِ.. وَاخْتَلَفُوا فِيمَا يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَ بِنُسُكِ الْفِدْيَةِ مِنَ الْحَلْقِ، وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ، أَنَّ اللهَ أَوْجَبَ عَلَىٰ حَالِقِ رَأْسِهِ مِنْ أَذًىٰ مِنَ الْمُحْرِمِينَ فِدْيَةً مِنْ صِيَامٍ، أَوْ صَدَقَةٍ، أَوْ نُسُكٍ، وَلَمْ يَشْتَرِطْ أَنَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ بِمَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ، بَلْ أَبْهَمَ ذَلِكَ وَأَطْلَقَهُ، فَفِي أَيِّ مَكَانٍ نَسَكَ، أَوْ أَطْعَمَ، أَوْ صَامَ فَيَجْزِي عَنِ الْمُفْتَدِي.. وَلَيْسَ لِلْمُفْتَدِي أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ، وَلَكِنْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِجَمِيعِهِ، وَغَيْرُ جَائِزٍ لَهُ أَكْلُ مَا عَلَيْهِ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِهِ، كَمَا لَوْ لَزِمَتْهُ زَكَاةٌ فِي مَالِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، بَلْ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهَا أَهْلَهَا الَّذِينَ جَعَلَهَا اللهُ لَهُمْ.. وَمَعْنَىٰ النُّسُكِ: الذَّبْحُ لِلَّهِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ، يُقَالُ: نَسَكَ فُلَانٌ لِلَّهِ نَسِيكَةً، بِمَعْنَىٰ: ذَبَحَ لِلَّهِ ذَبِيحَةً..

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ مِنْ خَوْفِكُمْ؛ لِأَنَّ الْأَمْنَ هُوَ خِلَافُ الْخَوْفِ، لَا خِلَافُ الْمَرَضِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَرَضًا مَخُوفًا مِنْهُ الْهَلَاكُ، فَيُقَالُ: فَإِذَا أَمِنْتُمُ الْهَلَاكَ مِنْ خَوْفِ الْمَرَضِ وَشِدَّتِهِ، وَذَلِكَ مَعْنًىٰ بَعِيدٌ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّ مَعْنَاهُ الْخَوْفُ مِنَ الْعَدُوِّ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَيَّامَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَأَصْحَابُهُ مِنَ الْعَدُوِّ خَائِفُونَ، فَعَرَّفَهُمُ اللهُ بِهَا مَا عَلَيْهِمْ إِذَا أَحْصَرَهُمْ خَوْفُ عَدُوِّهِمْ عَنِ الْحَجِّ، وَمَا الَّذِي عَلَيْهِمْ إِذَا هُمْ أَمِنُوا مِنْ ذَلِكَ، فَزَالَ عَنْهُمْ خَوْفُهُمْ..

﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي حَجِّكُمْ خَوْفًا مِنَ الْعَدُوِّ -وَأَنْتُمْ مُحْرِمُوْنَ بِالْحَجِّ- أَوْ مَرَضٍ، أَوْ عَائِقٍ مِنَ الْعِلَلِ حَتَّىٰ يَفُوتَكُم الْحَجُّ، فَتَقْدُمُوْنَ مَكَّةَ، فَتَخْرُجُوْنَ مِنْ إِحْرَامِكُم بِعَمَلِ عُمْرَةٍ، ثُمَّ تَحِلُّوْنَ فَتَسْتَمْتِعُوْنَ بِالإِحْلَالِ مِنْ إِحْرَامِ ذَلِكَ إِلَىٰ السَّنَةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ، ثُمَّ تَحُجُّوْنَ، وَتَهْدُوْنَ، فَتكُوْنُوْن بِالْإِحْلَالِ مِنْ لَدُنْ الإِحْلَالِ مِن الإِحْرَامِ الْأَوَّلِ إِلَىٰ الإِحْرَامِ الثَّانِي مِنَ الْقَابِلِ..

﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ فَهَدْيُهُ جَزَاءٌ لِاسْتِمْتَاعِهِ بِإِحْلَالِهِ مِنْ إِحْرَامِهِ الَّذِي حَلَّ مِنْهُ حِينَ عَادَ لِقَضَاءِ حَجَّتِهِ الَّتِي أُحْصِرَ فِيهَا وَعُمْرَتِهِ الَّتِي كَانَتْ لَزِمَتْهُ بِفَوْتِ حَجَّتِهِ..

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ هَدْيًا..

﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ﴾ فَعَلَيْهِ صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي حَجِّهِ، مِنْ أَوَّلِ إِحْرَامِهِ بِالْحَجِّ بَعْدَ قَضَاءِ عُمْرَتِهِ وَاسْتِمْتَاعِهِ بِالْإِحْلَالِ إِلَىٰ انْقِضَاءِ آخِرِ عَمَلِ حَجِّهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ انْقِضَاءِ أَيَّامِ مِنًىٰ سِوَىٰ يَوْمِ النَّحْرِ،

فَإِنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ لَهُ صَوْمُهُ، ابْتَدأَ صَوْمَهُنَّ قَبْلَهُ أَوْ تَرَكَ صَوْمَهُنَّ فَأَخَّرَهُ حَتَّىٰ انْقِضَاءِ يَوْمِ عَرَفَةَ..

﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ، فَعَلَيْهِ صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي حَجِّهِ وَصِيَامِ سَبْعَةِ أَيَّامٍ إِذَا رَجَعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَمِصْرِهِ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: أَوَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ صَوْمُ السَّبْعَةِ الْأَيَّامِ بَعْدَ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي يَصُومُهُنَّ فِي الْحَجِّ إِلَّا بَعْدَ رُجُوعِهِ إِلَىٰ مِصْرِهِ وأَهْلِهِ؟ قِيلَ: بَلْ قَدْ أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ صَوْمَ الْأَيَّامِ الْعَشَرَةِ بِعَدَمِ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ لِمُتْعَتِهِ، وَلَكِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- رَأْفَةً مِنْهُ بِعِبَادِهِ رَخَّصَ لِمَنْ أَوْجَبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، كَمَا رَخَّصَ لِلْمُسَافِرِ والْمَرِيضِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْإِفْطَارَ وَقَضَاءَ عِدَّةِ مَا أَفْطَرَ مِنَ الْأَيَّامِ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ.. وَلَوْ تَحَمَّلَ الْمُتَمَتِّعُ فَصَامَ الْأَيَّامَ السَّبْعَةَ فِي سَفَرِهِ قَبْلَ رُجُوعِهِ إِلَىٰ وَطَنِهِ، أَوْ صَامَهُنَّ بِمَكَّةَ، كَانَ مُؤَدِّيًا مَا عَلَيْهِ مِنْ فَرْضِ الصَّوْمِ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ بِمَنْزِلَةِ الصَّائِمِ شَهْرَ رَمَضَانَ فِي سَفَرِهِ، أَوْ مَرَضِهِ، مُخْتَارًا لِلْعُسْرِ عَلَىٰ الْيُسْرِ، وَبِالَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَتْ عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ..

﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ﴾ عَلَيْكُمْ، فَرَضْنَا إِكْمَالَهَا لِمُتْعَتِكُمْ بِالْعُمْرَةِ إِلَىٰ الْحَجِّ، فَأَخْرَجَ ذَلِكَ مَخْرَجَ الْخَبَرِ، وَمَعْنَاهُ الْأَمْرُ بِهَا..

﴿ذَٰلِكَ﴾ التَّمَتُّعُ بِالْعُمْرَةِ إِلَىٰ الْحَجِّ..

﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ﴾ إِنَّ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مَنْ هُوَ حَوْلَهُ مِمَّنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مِنَ الْمَسَافَةِ مَا لَا تُقْصَرُ إِلَيْهِ الصَّلَوَاتُ؛ لِأَنَّ حَاضِرَ الشَّيْءِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ الشَّاهِدُ لَهُ بِنَفْسِهِ.. وَإِنَّمَا لَمْ تَكُنِ الْمُتْعَةُ لِمَنْ كَانَ مِنْ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنْ أَجْلِ أَنَّ التَّمَتُّعَ إِنَّمَا هُوَ الِاسْتِمْتَاعُ بِالْإِحْلَالِ مِنَ الْإِحْرَامِ بِالْعُمْرَةِ إِلَىٰ الْحَجِّ مُرْتَفِقًا فِي تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَىٰ الْمَنْزِلِ وَالْوَطَنِ بِالْمُقَامِ بِالْحَرَمِ حَتَّىٰ يُنْشِئَ مِنْهُ الْإِحْرَامَ بِالْحَجِّ، وَكَانَ الْمُعْتَمِرُ مَتَىٰ قَضَىٰ عُمْرَتَهُ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَىٰ وَطَنِهِ، أَوْ شَخَصَ عَنِ الْحَرَمِ إِلَىٰ مَا تُقْصَرُ فِيهِ الصَّلَاةُ، ثُمَّ حَجَّ مِنْ عَامِهِ ذَلِكَ، بَطَلَ أَنْ يَكُونَ مُسْتَمْتِعًا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَمْتِعْ بِالْمَرْفَقِ الَّذِي جُعِلَ لِلْمُسْتَمْتِعِ مِنْ تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَىٰ الْمِيقَاتِ، وَالرُّجُوعِ إِلَىٰ الْوَطَنِ بِالْمُقَامِ فِي الْحَرَمِ، وَكَانَ الْمَكِّيُّ مِنْ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لَا يَرْتَفِقُ بِذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ مَتَىٰ قَضَىٰ عُمْرَتَهُ أَقَامَ فِي وَطَنِهِ بِالْحَرَمِ، فَهُوَ غَيْرُ مُرْتَفِقٍ بِشَيْءٍ مِمَّا يَرْتَفِقُ بِهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ مِنْ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَيَكُونُ مُتَمَتِّعًا بِالْإِحْلَالِ مِنْ عُمْرَتِهِ إِلَىٰ حَجِّهِ.. هذا بَعْدَ إِجْمَاعِ جَمِيعِهِمْ عَلَىٰ أَنَّ أَهْلَ الْحَرَمِ مَعْنِيُّونَ بِهِ، وَأَنَّهُ لَا مُتْعَةَ لَهُمْ..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَلْزَمَكُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَحُدُودِهِ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَعْتَدُوا فِي ذَلِكَ وَتَتَجَاوَزُوا فِيمَا بَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَنَاسِكِكُمْ، فَتَسْتَحِلُّوا مَا حَرَّمَ فِيهَا عَلَيْكُمْ..

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾ وتَيَقَّنُوا..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ١٩٦﴾ [البقرة: ١٩٦] لِمَنْ عَاقَبَهُ عَلَىٰ مَا انْتَهَكَ مِنْ مَحَارِمِهِ وَرَكِبَ مِنْ مَعَاصِيهِ.

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٧﴾ [البقرة: ١٩٧].

﴿ٱلْحَجُّ﴾ وَقْتُ الْحَجِّ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ شَهْرَانِ وَبَعْضُ الثَّالِثِ، وَهُوَ شَوَّالٌ وَذُو الْقَعْدَةِ وَعَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ.. وإِنَّمَا قَصَدَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ إِلَىٰ تَعْرِيفِ خَلْقِهِ مِيقَاتَ حَجِّهِمْ، لَا الْخَبَرَ عَنْ وَقْتِ الْعُمْرَةِ، فَأَمَّا الْعُمْرَةُ، فَإِنَّ السَّنَةَ كُلَّهَا وَقْتٌ لَهَا.. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ عَمَلُ الْحَجِّ يَنْقَضِي وَقْتُهُ بِانْقِضَاءِ الْعَاشِرِ مِنْ أَيَّامِ ذِي الْحِجَّةِ، عُلِمَ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ إِنَّمَا هُوَ مِيقَاتُ الْحَجِّ شَهْرَانِ وَبَعْضُ الثَّالِثِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَكَيْفَ قِيلَ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ وَهُوَ شَهْرَانِ وَبَعْضُ الثَّالِثِ؟ قِيلَ: إِنَّ الْعَرَبَ لَا تَمْتَنِعُ -خَاصَّةً فِي الْأَوْقَاتِ- مِنَ اسْتِعْمَالِ مِثْلِ ذَلِكَ، فَتَقُولُ لَهُ: كَمَا قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وَإِنَّمَا يَتَعَجَّلُ فِي يَوْمٍ وَنِصْفٍ، وَقَدْ يَفْعَلُ الْفَاعِلُ مِنْهُمُ الْفِعْلَ فِي السَّاعَةِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُ عَامًّا عَلَىٰ السَّنَةِ وَالشَّهْرِ، فَيَقُولُ: زُرْتُهُ الْعَامَ وَأَتَيْتُهُ الْيَوْمَ، وَهُوَ لَا يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ فِعْلَهُ أَخَذَ مِنْ أَوَّلِ الْوَقْتِ الَّذِي ذَكَرَهُ إِلَىٰ آخِرِهِ، وَلَكِنَّهُ يَعْنِي أَنَّهُ فَعَلَهُ إِذْ ذَاكَ وَفِي ذَلِكَ الْحِينِ، فَكَذَلِكَ الْحَجُّ أَشْهُرٌ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ الْحَجُّ شَهْرَانِ وَبَعْضُ آخَرَ..

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ فَمَنْ أَوْجَبَ الْحَجَّ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَأَلْزَمَهَا إِيَّاهُ فِيهِنَّ، يَعْنِي: فِي الْأَشْهُرِ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي بَيَّنَهَا، وَإِيجَابُهُ إِيَّاهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ: الْعَزْمُ عَلَىٰ عَمَلِ جَمِيعِ مَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَىٰ الْحَاجِّ عَمَلَهُ وَتَرْكُ جَمِيعِ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِتَرْكِهِ بالإِحْرَامِ..

﴿فَلَا رَفَثَ﴾ فَلَا يَرْفُثْ عِنْدَ النِّسَاءِ فَيُصَرِّحُ لَهُنَّ بِجِمَاعِهِنَّ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَقُولَ: إِذَا حَلَلْنَا فَعَلْتُ بِكِ كَذَا وَكَذَا، لَا يُكَنِّي عَنْهُ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الرَّفَثُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْجِمَاعُ نَفْسُهُ.. وَالرَّفَثُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: أَصْلُهُ الإِفْحَاشُ فِي الْمِنْطَقِ، ثُمَّ تَسْتَعْمِلُهُ فِي الْكِنَايَةِ عَنِ الْجِمَاعِ.. فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ مُخْتَلِفِينَ فِي تَأْوِيلِهِ، وَفِي هَذَا النَّهْيِ مِنَ اللهِ

عَنْ بَعْضِ مَعَانِي الرَّفَثِ أَمْ عَنْ جَمِيعِ مَعَانِيهِ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ جَمِيعِ مَعَانِيهِ؛ إِذْ لَمْ يَأْتِ خَبَرٌ بِخُصُوصِ الرَّفَثِ الَّذِي هُوَ بِالْمَنْطِقِ عِنْدَ النِّسَاءِ مِنْ سَائِرِ مَعَانِي الرَّفَثِ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ؛ إِذْ كَانَ غَيْرَ جَائِزٍ نَقْلُ حُكْمِ ظَاهِرِ آيَةٍ إِلَىٰ تَأْوِيلِ بَاطِنٍ إِلَّا بِحُجَّةٍ ثَابِتَةٍ..

﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ وَلَا يَفْسُقُ بِإِتْيَانِ مَا نَهَاهُ اللهُ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ بِحَجِّهِ، مِنْ قَتْلِ صَيْدٍ، وَأَخْذِ شَعْرٍ، وَقَلْمِ ظُفْرٍ، وَغَيْرِ ذَٰلِكَ مِمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ فِعْلَهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ.. وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- قَدْ حَرَّمَ مَعَاصِيَهُ عَلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ، مُحْرِمًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُحْرِمٍ، وَكَذَٰلِكَ حَرَّمَ التَّنَابُزَ بِالْأَلْقَابِ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ وَغَيْرِهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات: ١١]، وَحَرَّمَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ سِبَابَ أَخِيهِ فِي كُلِّ حَالٍ فَرَضَ الْحَجَّ، أَوْ لَمْ يَفْرِضْهُ، فَإِذْ كَانَ ذَٰلِكَ كَذَٰلِكَ، فَلَا شَكَّ أَنَّ الَّذِي نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ الْعَبْدَ مِنَ الْفُسُوقِ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ وَفَرْضِهِ الْحَجَّ هُوَ مَا لَمْ يَكُنْ فُسُوقًا فِي حَالِ إِحْلَالِهِ وَقَبْلَ إِحْرَامِهِ بِحُجَّةٍ؛ كَمَا أَنَّ الرَّفَثَ الَّذِي نَهَاهُ عَنْهُ فِي حَالِ فَرْضِهِ الْحَجَّ، هُوَ الَّذِي كَانَ لَهُ مُطْلَقًا قَبْلَ إِحْرَامِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَىٰ لِأَنْ يُقَالَ فِيمَا قَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ: لَا يَفْعَلَنَّ أَحَدُكُمْ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ مَا هُوَ حَرَامٌ عَلَيْهِ فِعْلُهُ فِي كُلِّ حَالٍ، لِأَنَّ خُصُوصَ حَالِ الْإِحْرَامِ بِهِ لَا وَجْهَ لَهُ وَقَدْ عَمَّ بِهِ جَمِيعَ الْأَحْوَالِ مِنَ الْإِحْلَالِ وَالْإِحْرَامِ، فَإِذْ كَانَ ذَٰلِكَ كَذَٰلِكَ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ الَّذِيَ نُهِيَ عَنْهُ الْمُحْرِمُ مِنَ الْفُسُوقِ فَخُصَّ بِهِ حَالُ إِحْرَامِهِ، وَقِيلَ لَهُ: «**إِذَا فَرَضْتَ الْحَجَّ فَلَا تَفْعَلْهُ**» هُوَ الَّذِي كَانَ لَهُ مُطْلَقًا قَبْلَ حَالِ فَرْضِهِ الْحَجَّ، وَذَٰلِكَ هُوَ مَا وَصَفْنَا وَذَكَرْنَا أَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- خَصَّ بِالنَّهْيِ عَنْهُ الْمُحْرِمَ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ مِمَّا نَهَاهُ عَنْهُ مِنَ الطِّيبِ وَاللِّبَاسِ وَالْحَلْقِ وَقَصِّ الْأَظْفَارِ وَقَتْلِ الصَّيْدِ، وَسَائِرِ مَا خَصَّ اللهُ بِالنَّهْيِ عَنْهُ الْمُحْرِمَ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ..

﴿وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ قَدْ بَطَلَ الْجِدَالُ فِي الْحَجِّ وَوَقْتِهِ، وَاسْتَقَامَ أَمْرُهُ وَوَقْتُهُ عَلَىٰ وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَمَنَاسِكَ مُتَّفِقَةٍ غَيْرِ مُخْتَلِفَةٍ، فَلَا تَنَازُعَ فِيهِ، وَلَا مِرَاءَ؛ وَذَٰلِكَ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَخْبَرَ أَنَّ وَقْتَ الْحَجِّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ، ثُمَّ نَفَىٰ عَنْ وَقْتِهِ الِاخْتِلَافَ الَّذِي كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ فِي شِرْكِهَا تَخْتَلِفُ فِيهِ.. فَلَا مَعْنَىٰ لِقَوْلِ الْقَائِلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ أَنَّ تَأْوِيلَهُ: لَا تُمَارِ صَاحِبَكَ حَتَّىٰ تُغْضِبَهُ، إِلَّا أَحَدُ مَعْنَيَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَرَادَ لَا تُمَارِهِ بِبَاطِلٍ حَتَّىٰ تُغْضِبَهُ، فَذَٰلِكَ مَا لَا وَجْهَ لَهُ، لِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ نَهَىٰ عَنِ الْمِرَاءِ بِالْبَاطِلِ فِي كُلِّ حَالٍ مُحْرِمًا كَانَ الْمُمَارِي أَوْ مُحِلًّا، فَلَا وَجْهَ لِخُصُوصِ حَالِ الْإِحْرَامِ بِالنَّهْيِ عَنْهُ لِاسْتِوَاءِ حَالِ الْإِحْرَامِ وَالْإِحْلَالِ فِي نَهْيِ اللهِ عَنْهُ، أَوْ يَكُونَ أَرَادَ:

لَا تُمَارِهِ بِالْحَقِّ، وَذَلِكَ أَيْضًا مَا لَا وَجْهَ لَهُ؛ لِأَنَّ الْمُحْرِمَ لَوْ رَأَى رَجُلًا يَرُومُ فَاحِشَةً كَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ مِرَاءَهُ فِي دَفْعِهِ عَنْهَا، أَوْ رَآهُ يُحَاوِلُ ظُلْمَهُ وَالذَّهَابَ مِنْهُ بِحَقٍّ لَهُ قَدْ غَصَبَهُ عَلَيْهِ كَانَ عَلَيْهِ مِرَاؤُهُ فِيهِ وَجِدَالُهُ حَتَّى يَتَخَلَّصَهُ مِنْهُ، وَالْجِدَالُ وَالْمِرَاءُ لَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ: إِمَّا مِنْ قِبَلِ ظُلْمٍ، وَإِمَّا مِنْ قِبَلِ حَقٍّ، فَإِذَا كَانَ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْهِ غَيْرَ جَائِزٍ فِعْلُهُ بِحَالٍ، وَمِنَ الْوَجْهِ الْآخَرِ غَيْرُ جَائِزٍ تَرْكُهُ بِحَالٍ، فَأَيُّ وُجُوهِهِ الَّتِي خَصَّ بِالنَّهْيِ عَنْهُ حَالَ الْإِحْرَامِ؟!.. وَكَذَلِكَ لَا وَجْهَ لِقَوْلِ مَنْ تَأَوَّلَ ذَلِكَ أَنَّهُ بِمَعْنَى السِّبَابِ، لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَى ذِكْرُهُ- قَدْ نَهَى الْمُؤْمِنِينَ بَعْضَهُمْ عَنْ سِبَابِ بَعْضٍ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي كُلِّ حَالٍ، فَقَالَ ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**» فَإِذَا كَانَ الْمُسْلِمُ عَنْ سَبِّ الْمُسْلِمِ مَنْهِيًّا فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ، مُحْرِمًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُحْرِمٍ، فَلَا وَجْهَ لِأَنْ يُقَالَ: لَا تَسُبَّهُ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ إِذَا أَحْرَمْتَ.. وَفِيمَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِثْلَ يَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**» دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿**وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾ بِمَعْنَى النَّفْيِ عَنِ الْحَجِّ أَنْ يَكُونَ فِيهِ وَفِي وَقْتِهِ جِدَالٌ وَمِرَاءٌ، دُونَ النَّهْيِ عَنْ جِدَالِ النَّاسِ بَيْنَهُمْ فِيمَا يَعْنِيهِمْ مِنَ الْأُمُورِ، أَوْ لَا يَعْنِيهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّهُ مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقِ اسْتَحَقَّ مِنَ اللهِ الْكَرَامَةَ مَا وَصَفَ أَنَّهُ اسْتَحَقَّهُ بِحَجَّةِ تَارِكًا لِلرَّفَثِ وَالْفُسُوقِ اللَّذَيْنِ نَهَى اللهُ الْحَاجَّ عَنْهُمَا فِي حَجِّهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَضُمَّ إِلَيْهِمَا الْجِدَالَ، فَلَوْ كَانَ الْجِدَالُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾ مِمَّا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ، عَلَى نَحْوِ الَّذِي تَأَوَّلَ ذَلِكَ مَنْ تَأَوَّلَهُ مِنْ أَنَّهُ الْمِرَاءُ، وَالْخُصُومَاتُ، أَوِ السِّبَابُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، لَمَا كَانَ ﷺ لِيَخُصَّ بِاسْتِحْقَاقِ الْكَرَامَةِ الَّتِي ذَكَرَ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّهَا الْحَاجُّ الَّذِي وَصَفَ أَمْرَهُ بِاجْتِنَابِ خَلَّتَيْنِ مِمَّا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ فِي حَجِّهِ دُونَ الثَّالِثَةِ الَّتِي هِيَ مَقْرُونَةٌ بِهِمَا، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ مَعْنَى الثَّالِثَةِ مُخَالِفًا مَعْنَى صَاحِبَتَيْهَا فِي أَنَّهَا خَبَرٌ عَلَى الْمَعْنَى الَّذِي وَصَفْنَا، وَأَنَّ الْأُخْرَيَيْنِ بِمَعْنَى النَّهْيِ الَّذِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مُجْتَنِبَهُمَا فِي حَجِّهِ مُسْتَوْجِبٌ مَا وَصَفَ مِنْ إِكْرَامِ اللهِ إِيَّاهُ مِمَّا أَخْبَرَ أَنَّهُ مُكْرِمُهُ بِهِ إِذَا كَانَتَا بِمَعْنَى النَّهْيِ، وَكَانَ الْمُنْتَهِي عَنْهُمَا لِلَّهِ مُطِيعًا بِانْتِهَائِهِ عَنْهُمَا، تَرَكَ ذِكْرَ الثَّالِثَةِ؛ إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي مَعْنَاهُمَا، وَكَانَتْ مُخَالَفَةُ سَبِيلِهَا سَبِيلَهُمَا..

﴿**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ**﴾ افْعَلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فِي حَجِّكُمْ مِنْ إِتْمَامِ مَنَاسِكِكُمْ فِيهِ، وَأَدَاءِ فَرْضِكُمُ الْوَاجِبِ عَلَيْكُمْ فِي إِحْرَامِكُمْ، وَتَجَنُّبِ مَا أَمَرْتُكُمْ بِتَجَنُّبِهِ مِنَ

الرَّفَثِ، وَالْفُسُوقِ فِي حَجِّكُمْ لِتَسْتَوْجِبُوا بِهِ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ، فَإِنَّكُمْ مَهْمَا تَفْعَلُوا مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ مِنْ خَيْرٍ وَعَمِلَ صَالِحِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي وَطَلَبَ ثَوَابِي، فَأَنَا بِهِ عَالِمٌ وَلِجَمِيعِهِ مُحْصٍ حَتَّىٰ أُوَفِّيَكُمْ أَجْرَهُ، وَأُجَازِيَكُمْ عَلَيْهِ، فَإِنِّي لَا تَخْفَىٰ عَلَيَّ خَافِيَةٌ وَلَا يَنْكَتِمُ عَنِّي مَا أَرَدْتُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، لِأَنِّي مُطَّلِعٌ عَلَىٰ سَرَائِرِكُمْ وَعَالِمٌ بِضَمَائِرِ نُفُوسِكُمْ..

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ وَتَزَوَّدُوا مِنْ أَقْوَاتِكُمْ مَا فِيهِ بَلَاغُكُمْ إِلَىٰ أَدَاءِ فَرْضِ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ فِي حَجِّكُمْ وَمَنَاسِكِكُمْ، فَإِنَّهُ لَا بِرَّ لِلَّهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- فِي تَرْكِكُمُ التَّزَوُّدَ لِأَنْفُسِكُمْ وَمَسْأَلَتِكُمُ النَّاسَ وَلَا فِي تَضْيِيعِ أَقْوَاتِكُمْ وَإِفْسَادِهَا، وَلَكِنَّ الْبِرَّ فِي تَقْوَىٰ رَبِّكُمْ بِاجْتِنَابِ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فِي سَفَرِكُمْ لِحَجِّكُمْ وَفِعْلِ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ، فَإِنَّهُ خَيْرُ التَّزَوُّدِ، فَمِنْهُ تَزَوَّدُوا.. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ كَانُوا يَحُجُّونَ بِغَيْرِ زَادٍ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ إِذَا أَحْرَمَ رَمَىٰ بِمَا مَعَهُ مِنَ الزَّادِ وَاسْتَأْنَفَ غَيْرَهُ مِنَ الْأَزْوِدَةِ، فَأَمَرَ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- مَنْ لَمْ يَكُنْ يَتَزَوَّدُ مِنْهُمْ بِالتَّزَوُّدِ لِسَفَرِهِ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ ذَا زَادٍ أَنْ يَحْتَفِظَ بِزَادِهِ فَلَا يَرْمِي بِهِ.. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: (كَانُوا إِذَا أَحْرَمُوا وَمَعَهُمْ أَزْوِدَةٌ رَمَوْا بِهَا وَاسْتَأْنَفُوا زَادًا آخَرَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ فَنُهُوا عَنْ ذَلِكَ وَأُمِرُوا أَنْ يَتَزَوَّدُوا الْكَعْكَ، وَالدَّقِيقَ، وَالسَّوِيقَ)..

﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ١٩٧﴾ [البقرة: ١٩٧] وَاتَّقُونِ يَا أَهْلَ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ، بِأَدَاءِ فَرَائِضِي عَلَيْكُمُ الَّتِي أَوْجَبْتُهَا عَلَيْكُمْ فِي حَجِّكُمْ وَمَنَاسِكِكُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ دِينِي الَّذِي شَرَعْتُهُ لَكُمْ، وَخَافُوا عِقَابِي بِاجْتِنَابِ مَحَارِمِي الَّتِي حَرَّمْتُهَا عَلَيْكُمْ؛ تَنْجُوا بِذَلِكَ مِمَّا تَخَافُونَ مِنْ غَضَبِي عَلَيْكُمْ وَعِقَابِي، وَتُدْرِكُوا مَا تَطْلُبُونَ مِنَ الْفَوْزِ بِجَنَّاتِي.. وَخَصَّ -جَلَّ ذِكْرُهُ- بِالْخِطَابِ بِذَلِكَ أُولِي الْأَلْبَابِ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَأَهْلُ الْفِكْرِ الصَّحِيحِ وَالْمَعْرِفَةِ بِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي بِالْعُقُولِ تُدْرَكُ وَبِالْأَلْبَابِ تُفْهَمُ، وَلَمْ يَجْعَلْ لِغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ فِي الْخِطَابِ بِذَلِكَ حَظًّا؛ إِذْ كَانُوا أَشْبَاحًا كَالْأَنْعَامِ، وَصِوَرًا كَالْبَهَائِمِ، بَلْ هُمْ مِنْهَا أَضَلُّ سَبِيلًا.. وَالْأَلْبَابُ: جَمْعُ لُبٍّ، وَهُوَ الْعَقْلُ.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ١٩٨﴾ [البقرة: ١٩٨].

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿جُنَاحٌ﴾ حَرَجٌ..

﴿أَن تَبۡتَغُواْ﴾ أَنْ تَلْتَمِسُوا..

﴿فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ فَضْلًا مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ.. وَقِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ابْتِغَاءِ الْفَضْلِ مِنَ اللهِ: الْتِمَاسُ رِزْقِ اللهِ بِالتِّجَارَةِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ كَانُوا لَا يَرَوْنَ أَنْ يَتَّجِرُوا إِذَا أَحْرَمُوا يَلْتَمِسُونَ الْبِرَّ بِذَلِكَ، فَأَعْلَمَهُمْ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنْ لَا بِرَّ فِي ذَلِكَ، وَأَنَّ لَهُمُ الْتِمَاسَ فَضْلِهِ بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ.. فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ التَّيْمِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ: إِنَّا قَوْمٌ نُكْرِي فَهَلْ لَنَا حَجٌّ؟ قَالَ: أَلَيْسَ تَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ وَتَأْتُونَ الْمُعَرَّفَ، وَتَرْمُونَ الْجِمَارَ، وَتَحْلِقُونَ رُءُوسَكُمْ؟ فَقُلْنَا: بَلَىٰ. قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنِ الَّذِي سَأَلْتَنِي عَنْهُ، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ لَهُ حَتَّىٰ نَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَنْتُمْ حُجَّاجٌ**»..

﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾ فَإِذَا رَجَعْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ..

﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ بِالصَّلَاةِ، وَالدُّعَاءِ..

﴿عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ وَهُوَ مَا بَيْنَ جَبَلَيِ الْمُزْدَلِفَةِ مِنْ مَأْزَمَيْ عَرَفَةَ إِلَىٰ مُحَسِّرٍ، وَلَيْسَ مَأْزَمَا عَرَفَةَ مِنَ الْمَشْعَرِ.. وَأَمَّا قَوْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ حِينَ صَارَ بِالْمُزْدَلِفَةِ: (**هَذَا كُلُّهُ مَشَاعِرُ إِلَىٰ مَكَّةَ**)، فَإِنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهَا مَعَالِمُ مِنْ مَعَالِمِ الْحَجِّ بِنُسُكٍ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ مِنْهَا بَعْضُ مَنَاسِكِ الْحَجِّ، لَا أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ الَّذِي يَكُونُ الْوَاقِفُ حَيْثُ وَقَفَ مِنْهُ إِلَىٰ بَطْنِ مَكَّةَ قَاضِيًا مَا عَلَيْهِ مِنَ الْوُقُوفِ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ مِنْ جَمْعٍ.. وَأَمَّا قَوْلُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ: (**لَمْ أَجِدْ أَحَدًا يُخْبِرُنِي عَنِ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ**) فَلِأَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ: لَمْ أَجِدْ أَحَدًا يُخْبِرُنِي عَنْ حَدِّ أَوَّلِهِ وَمُنْتَهَىٰ آخِرِهِ عَلَىٰ حَقِّهِ وَصِدْقِهِ؛ لِأَنَّ حُدُودَ ذَلِكَ عَلَىٰ صِحَّتِهَا حَتَّىٰ لَا يَكُونَ فِيهَا زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ لَا يُحِيطُ بِهَا إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِهَا، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَقِفْ عَلَىٰ حَدِّ أَوَّلِهِ وَمُنْتَهَىٰ آخِرِهِ وُقُوفًا لَا زِيَادَةَ فِيهِ وَلَا نُقْصَانَ، فَمَوْضِعُ الْحَاجَةِ لِلْوُقُوفِ لَا خَفَاءَ بِهِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ سُكَّانِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، وَكَثِيرٍ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ مَشَاعِرِ الْحَجِّ وَالْأَمَاكِنِ الَّتِي فَرَضَ اللهُ عز وجل عَلَىٰ عِبَادِهِ أَنْ يَنْسِكُوا عِنْدَهَا كَعَرَفَاتٍ وَمِنًىٰ، وَالْحَرَمِ.. وَقَدْ بَيَّنَّا قَبْلُ أَنَّ الْمَشَاعِرَ هِيَ الْمَعَالِمُ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: شَعَرْتُ بِهَذَا الْأَمْرِ: أَيْ عَلِمْتُ، فَالْمَشْعَرُ هُوَ الْمَعْلَمُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ عِنْدَهُ وَالْمُقَامَ وَالْمَبِيتَ وَالدُّعَاءَ مِنْ مَعَالِمِ الْحَجِّ، وَفُرُوضِهِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا عِبَادَهُ..

﴿وَٱذۡكُرُوهُ﴾ وَاذْكُرُوا اللهَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالشُّكْرِ لَهُ عَلَىٰ أَيَادِيهِ عِنْدَكُمْ، وَلْيَكُنْ ذِكْرُكُمْ إِيَّاهُ بِالْخُضُوعِ لِأَمْرِهِ، وَالطَّاعَةِ لَهُ..

﴿كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ وَالشُّكْرِ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ مِنَ التَّوْفِيقِ، لِمَا وَفَّقَكُمْ لَهُ مِنْ سُنَنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِهِ، بَعْدَ الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ وَالْحَيْرَةِ، وَالْعَمَىٰ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَبُعْدِ الضَّلَالَةِ، كَذِكْرِهِ إِيَّاكُمْ بِالْهُدَىٰ، حَتَّىٰ اسْتَنْقَذَكُمْ مِنَ النَّارِ بِهِ، بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنْهَا، فَنَجَّاكُمْ مِنْهَا..

﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨﴾ [البقرة: ١٩٨] وَمَا كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِ هِدَايَةِ اللهِ إِيَّاكُمْ لِمَا هَدَاكُمْ لَهُ مِنْ مِلَّةِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي اصْطَفَاهَا لِمَنْ رَضِيَ عَنْهُ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا مِنَ الضَّالِّينَ.. وَمِنْهُمْ مَنْ يُوَجِّهُ تَأْوِيلَ (إِنَّ) إِلَىٰ (قَدْ)، فَمَعْنَاهُ عَلَىٰ قَوْلِ قَائِلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ: وَاذْكُرُوا اللهَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ كَمَا ذَكَّرَكُمْ بِالْهُدَىٰ، فَهَدَاكُمْ لِمَا رَضِيَهُ مِنَ الْأَدْيَانِ، وَالْمِلَلِ، وَقَدْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ مِنَ الضَّالِّينَ.

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٩٩﴾ [البقرة: ١٩٩].

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ﴾ يَا قُرَيْشُ، وَمَنْ وَلَدَتْهُ قُرَيْشٌ الَّذِينَ كَانُوا يُسَمَّوْنَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْحُمْسَ..

﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ أُمِرُوا فِي الْإِسْلَامِ أَنْ يُفِيضُوا مِنْ عَرَفَاتٍ، وَهِيَ الَّتِي أَفَاضَ مِنْهَا سَائِرُ النَّاسِ غَيْرَ الْحُمْسِ، وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَمَنْ وَلَدَتْهُ قُرَيْشٌ، كَانُوا يَقُولُونَ: لَا نَخْرُجُ مِنَ الْحَرَمِ، فَكَانُوا لَا يَشْهَدُونَ مَوْقِفَ النَّاسِ بِعَرَفَةَ مَعَهُمْ، فَأَمَرَهُمُ اللهُ بِالْوُقُوفِ مَعَهُمْ..

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ حِينَئِذٍ، تَفَضُّلًا مِنْهُ عَلَيْكُمْ..

﴿رَّحِيمٌ ١٩٩﴾ [البقرة: ١٩٩] بِكُمْ.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ٢٠٠﴾ [البقرة: ٢٠٠].

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾ فَإِذَا فَرَغْتُمْ مِنْ حَجِّكُمْ فَذَبَحْتُمْ نَسَائِكَكُمْ..

﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ بِالطَّاعَةِ لَهُ فِي الْخُضُوعِ لِأَمْرِهِ وَالْعِبَادَةِ لَهُ بَعْدَ قَضَاءِ مَنَاسِكِهِمْ، وَذَلِكَ الذِّكْرُ جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ هُوَ التَّكْبِيرُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِقَوْلِهِ: ﴿۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ﴾ [البقرة: ٢٠٣] الَّذِي أَوْجَبَهُ عَلَىٰ مَنْ قَضَىٰ نُسُكَهُ بَعْدَ قَضَائِهِ نُسُكِهِ، فَأَلْزَمَهُ حِينَئِذٍ مِنْ ذِكْرِهِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ لَازِمًا قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ فَحَثَّ عَلَىٰ الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ مُحَافَظَةَ الْأَبْنَاءِ عَلَىٰ ذِكْرِ الْآبَاءِ فِي

الْإِكْثَارِ مِنْهُ، بِالِاسْتِكَانَةِ لَهُ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ بِالرَّغْبَةِ مِنْهُمْ إِلَيْهِ فِي حَوَائِجِهِمْ، كَتَضَرُّعِ الْوَلَدِ لِوَالِدَيْهِ، وَالصَّبِيِّ لِأُمِّهِ وَأَبِيهِ..

﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ أَوْ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ؛ إِذْ كَانَ مَا كَانَ بِهِمْ وَبِآبَائِهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْهُ وَهُوَ وَلِيُّهُ، وَارْغَبُوا إِلَيْهِ فِيمَا لَدَيْهِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِابْتِهَالٍ وَتَمَسْكُنٍ، وَاجْعَلُوا أَعْمَالَكُمْ لِوَجْهِهِ خَالِصًا، وَلِطَلَبِ مَرْضَاتِهِ..

﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠] وَلَا تَكُونُوا كَمَنِ اشْتَرَى الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ، فَكَانَتْ أَعْمَالُهُمْ لِلدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، فَلَا يَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ إِلَّا مَتَاعَهَا، وَلَا حَظَّ لَهُمْ فِي ثَوَابِ اللهِ، وَلَا نَصِيبَ لَهُمْ فِي جَنَّاتِهِ وَكَرِيمِ مَا أَعَدَّ لِأَوْلِيَائِهِ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿وَمِنْهُم﴾ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، مِمَّنْ حَجَّ بَيْتَهُ..

﴿مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾ يَسْأَلُونَ رَبَّهُمُ الْحَسَنَةَ فِي الدُّنْيَا، وَالْحَسَنَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنْ يَقِيَهُمْ عَذَابَ النَّارِ.. وَقَدْ تَجْمَعُ الْحَسَنَةُ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ الْعَافِيَةَ فِي الْجِسْمِ، وَالْمَعَاشِ، وَالرِّزْقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَالْعِلْمَ، وَالْعِبَادَةَ.. وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَلَا شَكَّ أَنَّهَا الْجَنَّةُ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَنَلْهَا يَوْمَئِذٍ فَقَدْ حُرِمَ جَمِيعَ الْحَسَنَاتِ وَفَارَقَ جَمِيعَ مَعَانِي الْعَافِيَةِ..

﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١] اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ النَّارِ.

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠٢].

﴿أُولَٰئِكَ﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ بَعْدَ قَضَاءِ مَنَاسِكِهِمْ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١] رَغْبَةً مِنْهُمْ إِلَى اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- فِيمَا عِنْدَهُ، وَعِلْمًا مِنْهُمْ بِأَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ مِنْ عِنْدِهِ، وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ..

﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ لَهُمْ حَظٌّ مِنْ حَجِّهِمْ، وَمَنَاسِكِهِمْ، وَثَوَابٌ جَزِيلٌ عَلَى عَمَلِهِمُ الَّذِي كَسَبُوهُ، وَبَاشَرُوا مُعَانَاتِهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، خَاصًّا ذَلِكَ لَهُمْ دُونَ الْفَرِيقِ الْآخَرِ الَّذِينَ عَانُوا مَا عَانُوا مِنْ نَصَبِ أَعْمَالِهِمْ وَتَعَبِهَا، وَتَكَلَّفُوا مَا تَكَلَّفُوا مِنْ أَسْفَارِهِمْ بِغَيْرِ رَغْبَةٍ مِنْهُمْ فِيمَا عِنْدَ رَبِّهِمْ مِنَ

الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، وَلَكِنْ رَجَاءَ خَسِيسٍ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، وَابْتِغَاءَ عَاجِلِ حُطَامِهَا..

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢] مُحِيطٌ بِعَمَلِ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا اللَّذَيْنِ مِنْ مَسْأَلَةِ أَحَدِهِمَا: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا؛ وَمَنْ مَسْأَلَةِ الْآخَرِ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]؛ فَمُحْصٍ لَهُ بِأَسْرَعِ الْحِسَابِ، ثُمَّ إِنَّهُ مُجَازٍ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ عَلَىٰ عَمَلِهِ.. وَإِنَّمَا وَصَفَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- نَفْسَهُ بِسُرْعَةِ الْحِسَابِ، لِأَنَّهُ -جَلَّ ذِكْرُهُ- يُحْصِي مَا يُحْصَي مِنْ أَعْمَالِ عِبَادِهِ بِغَيْرِ عَقْدِ أَصَابِعَ وَلَا فِكْرٍ وَلَا رَوِيَّةٍ، فِعْلَ الْعَجَزَةِ الضَّعَفَةِ مِنَ الْخَلْقِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِيهِمَا، ثُمَّ هُوَ مُجَازٍ عِبَادَهُ عَلَىٰ كُلِّ ذَلِكَ؛ فَلِذَلِكَ -جَلَّ ذِكْرُهُ- امْتَدَحَ بِسُرْعَةِ الْحِسَابِ، وَأَخْبَرَ خَلْقَهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ بِمِثْلٍ فَيَحْتَاجُ فِي حِسَابِهِ إِلَىٰ عَقْدِ كَفٍّ أَوْ وَعْيِ صَدْرٍ.

﴿۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

﴿۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بِالتَّوْحِيدِ، وَالتَّعْظِيمِ..

﴿فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ وَهِيَ أَيَّامُ رَمْيِ الْجِمَارِ، أَمَرَ عِبَادَهُ يَوْمَئِذٍ بِالتَّكْبِيرِ أَدْبَارَ الصَّلَوَاتِ، وَعِنْدَ الرَّمْيِ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْ حَصَىٰ الْجِمَارِ يُرْمَىٰ بِهَا جَمْرَةٌ مِنَ الْجِمَارِ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّ الْأَيَّامَ الْمَعْدُودَاتِ هِيَ: أَيَّامُ مِنًىٰ وَأَيَّامُ رَمْيِ الْجِمَارِ؛ لِتَظَاهُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِيهَا: إِنَّهَا أَيَّامُ ذِكْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ..

﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ مِنْ أَيَّامِ مِنًىٰ الثَّلَاثَةِ فَنَفَرَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي..

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ لِحَطِّ اللهِ ذُنُوبَهُ، إِنْ كَانَ قَدِ اتَّقَىٰ اللهَ فِي حَجِّهِ، فَاجْتَنَبَ فِيهِ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِاجْتِنَابِهِ، وَفَعَلَ فِيهِ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِفِعْلِهِ، وَأَطَاعَهُ بِأَدَائِهِ عَلَىٰ مَا كَلَّفَهُ مِنْ حُدُودِهِ..

﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ إِلَىٰ الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنْهُنَّ فَلَمْ يَنْفِرْ إِلَىٰ النَّفْرِ الثَّانِي حَتَّىٰ نَفَرَ مِنْ غَدِ النَّفْرِ الْأَوَّلِ..

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ لِتَكْفِيرِ اللهِ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْ آثَامِهِ وَأَجْرَامِهِ..

﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ إِنْ كَانَ اتَّقَىٰ اللهَ فِي حَجِّهِ بِأَدَائِهِ بِحُدُودِهِ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا أَنَّ ذَلِكَ أَوْلَىٰ تَأْوِيلَاتِهِ لِتَظَاهُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**» وَأَنَّهُ قَالَ ﷺ: «**تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي**

الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ»، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ، مِمَّا يُنْبِئُ عَنْهُ أَنَّ مَنْ حَجَّ فَقَضَاهُ بِحُدُودِهِ عَلَىٰ مَا أَمَرَهُ اللهُ، فَهُوَ خَارِجٌ مِنْ ذُنُوبِهِ، كَمَا قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ اللهَ فِي حَجِّهِ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا يُوضِّحُ عَنْ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ -جَلَّ وَعَزَّ-: ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ ذُنُوبِهِ، مَحْطُوطَةٌ عَنْهُ آثَامُهُ، مَغْفُورَةٌ لَهُ أَجْرَامُهُ..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِيمَا فُرِضَ عَلَيْكُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ، فَخَافُوهُ فِي تَضْيِيعِهَا، وَالتَّفْرِيطِ فِيهَا، وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فِي حَجِّكُمْ، وَمَنَاسِكِكُمْ أَنْ تَرْتَكِبُوهُ أَوْ تَأْتُوهُ، وَفِيمَا كَلَّفَكُمْ فِي إِحْرَامِكُمْ لِحَجِّكُمْ أَنْ تُقَصِّرُوا فِي أَدَائِهِ وَالْقِيَامِ بِهِ..

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٠٣﴾ [البقرة: ٢٠٣] فَمُجَازِيكُمْ هُوَ بِأَعْمَالِكُمْ، الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، وَمُوَفٍّ كُلَّ نَفْسٍ مِنْكُمْ مَا عَمِلَتْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۝٢٠٤﴾ [البقرة: ٢٠٤].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ظَاهِرُ..

﴿قَوْلُهُۥ﴾ وَعَلَانِيَتِهِ..

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ﴾ بِمَعْنَىٰ أَنَّ الْمُنَافِقَ الَّذِي يُعْجِبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَوْلُهُ، يَسْتَشْهِدُ اللهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ، أَنَّ قَوْلَهُ مُوَافِقٌ اعْتِقَادَهُ، وَأَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ وَهُوَ كَاذِبٌ..

﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۝٢٠٤﴾ [البقرة: ٢٠٤] الْأَلَدُّ مِنَ الرِّجَالِ: الشَّدِيدُ الْخُصُومَةِ.. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: تَأْوِيلُهُ: أَنَّهُ ذُو جِدَالٍ، شَدِيدُ الْقَسْوَةِ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، جَدِلٌ بِالْبَاطِلِ، وَإِذَا شِئْتَ رَأَيْتَهُ عَالِمَ اللِّسَانِ جَاهِلَ الْعَمَلِ يَتَكَلَّمُ بِالْحِكْمَةِ، وَيَعْمَلُ بِالْخَطِيئَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَقِيمِ الْخُصُومَةِ، وَلَكِنَّهُ مُعْوَجُّهَا.. وَكِلَا هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ مُتَقَارِبُ الْمَعْنَىٰ؛ لِأَنَّ الِاعْوِجَاجَ فِي الْخُصُومَةِ مِنَ الْجِدَالِ، وَاللَّدَدِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَهُوَ كَاذِبٌ قَوْلَهُ، وَهَذَا الْقَوْلُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ مَعْنَىٰ الْقَوْلَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ إِنْ كَانَ أَرَادَ بِهِ قَائِلُهُ أَنَّهُ يُخَاصِمُ بِالْبَاطِلِ مِنَ الْقَوْلِ، وَالْكَذِبُ مِنْهُ، جَدَلًا وَاعْوِجَاجًا عَنِ الْحَقِّ.. وَأَمَّا الْخِصَامُ: فَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: خَاصَمْتُ فُلَانًا خِصَامًا، وَمُخَاصَمَةً.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنِ الْمُنَافِقِ الَّذِي أَخْبَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُ يُعْجِبُهُ إِذَا تَكَلَّمَ قِيلُهُ، وَمَنْطِقُهُ، وَيَسْتَشْهِدُ اللهَ عَلَىٰ أَنَّهُ مُحِقٌّ فِي قِيلِهِ ذَلِكَ؛ لِشِدَّةِ خُصُومَتِهِ وَجِدَالِهِ بِالْبَاطِلِ وَالزُّورِ مِنَ الْقَوْلِ.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾
[البقرة: ٢٠٥].

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ وَإِذَا أَدْبَرَ هَذَا الْمُنَافِقُ مِنْ عِنْدِكَ يَا مُحَمَّدُ مُنْصَرِفًا عَنْكَ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَإِذَا غَضِبَ، فَمَعْنَىٰ الْآيَةِ: وَإِذَا خَرَجَ هَذَا الْمُنَافِقُ مِنْ عِنْدِكَ يَا مُحَمَّدُ غَضْبَانَ..

﴿سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ عَمِلَ فِي الْأَرْضِ بِمَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ، وَحَاوَلَ فِيهَا مَعْصِيَةَ اللهِ، وَقَطْعَ الطَّرِيقِ، وَإِفْسَادَ السُّبُلِ عَلَىٰ عِبَادِ اللهِ.. وَقَدْ يَدْخُلُ فِي الْإِفْسَادِ جَمِيعُ الْمَعَاصِي؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَمَلَ بِالْمَعَاصِي إِفْسَادٌ فِي الْأَرْضِ، فَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ وَصْفَهُ بِبَعْضِ مَعَانِي الْإِفْسَادِ دُونَ بَعْضٍ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْإِفْسَادُ مِنْهُ بِمَعْنَىٰ قَطْعِ الطَّرِيقِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ يَقْطَعُ الرَّحِمَ وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ ذَلِكَ، وَأَيُّ ذَلِكَ كَانَ مِنْهُ فَقَدْ كَانَ إِفْسَادًا فِي الْأَرْضِ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعْصِيَةٌ، غَيْرَ أَنَّ الْأَشْبَهَ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ أَنْ يَكُونَ بِقَطْعِ الطَّرِيقِ، وَيُخِيفُ السَّبِيلَ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- وَصَفَهُ فِي سِيَاقِ الْآيَةِ بِأَنَّهُ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ، وَذَلِكَ بِفِعْلِ مُخِيفِ السَّبِيلِ أَشْبَهَ مِنْهُ بِفِعْلِ قُطَّاعِ الرَّحِمِ..

﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ إِحْرَاقًا لِزَرْعِ قَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَعَقْرًا لِحُمُرِهِمْ.. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِاحْتِبَاسِ الْقَطْرِ مِنْ أَجْلِ مَعْصِيَتِهِ رَبَّهُ وَسَعْيِهِ بِالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ.. وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِقَتْلِهِ الْقَوَّامَ بِهِ، وَالْمُتَعَاهِدِينَ لَهُ حَتَّىٰ فَسَدَ فَهَلَكَ.. وَكَذَلِكَ جَائِزٌ فِي مَعْنَىٰ إِهْلَاكِهِ النَّسْلَ أَنْ يَكُونَ كَانَ بِقَتْلِهِ أُمَّهَاتِهِ أَوْ آبَاءَهُ الَّتِي مِنْهَا يَكُونُ النَّسْلُ، فَيَكُونُ فِي قَتْلِهِ الْآبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ انْقِطَاعُ نَسْلِهِمَا.. وَأَمَّا الْحَرْثُ، فَإِنَّهُ الزَّرْعُ، وَالنَّسْلُ: الْعَقِبُ وَالْوَلَدُ، وَإِهْلَاكُهُ الزَّرْعَ: إِحْرَاقُهُ..

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٥] وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمَعَاصِيَ، وَقَطْعَ السَّبِيلِ، وَإِخَافَةَ الطَّرِيقِ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾
[البقرة: ٢٠٦].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ﴾ وَإِذَا قِيلَ لِهَذَا الْمُنَافِقِ الَّذِي نَعَتَ نَعْتَهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ يُعْجِبُهُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..

﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ وَخِفْهُ فِي إِفْسَادِكَ فِي أَرْضِ اللهِ، وَسَعْيِكَ فِيهَا بِمَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكَ مِنْ مَعَاصِيهِ، وَإِهْلَاكِكَ حُرُوثَ الْمُسْلِمِينَ، وَنَسْلِهِمْ..

﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ اسْتَكْبَرَ وَدَخَلَتْهُ عِزَّةٌ، وَحَمِيَّةٌ بِمَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ، وَتَمَادَىٰ فِي غَيِّهِ وَضَلَالِهِ..

﴿فَحَسْبُهُۥ﴾ فَكَفَاهُ عُقُوبَةً مِنْ غَيِّهِ وَضَلَالِهِ..

﴿جَهَنَّمُ﴾ صِلِيُّ نَارِ جَهَنَّمَ..

﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ٢٠٦﴾ [البقرة: ٢٠٦] وَلَبِئْسَ الْفِرَاشُ وَالْوِطَاءُ جَهَنَّمُ الَّتِي أَوْعَدَ بِهَا -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- هَذَا الْمُنَافِقَ، وَوَطَّأَهَا لِنَفْسِهِ بِنِفَاقِهِ، وَفُجُورِهِ، وَتَمَرُّدِهِ عَلَىٰ رَبِّهِ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ٢٠٧﴾
[البقرة: ٢٠٧].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَبِيعُ نَفْسَهُ بِمَا وَعَدَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ وَابْتَاعَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]..

﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ مِنْ أَجْلِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ.. فَكُلُّ مَنْ بَاعَ نَفْسَهُ فِي طَاعَتِهِ حَتَّىٰ قُتِلَ فِيهَا، أَوِ اسْتَقْتَلَ وَإِنْ لَمْ يَقْتُلْ فِي جِهَادِ عَدُوِّ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ فِي أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ فَمَعْنِيٌّ بِهِ..

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ٢٠٧﴾ [البقرة: ٢٠٧] وَاللهُ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ بِعَبْدِهِ الَّذِي يَشْرِي نَفْسَهُ لَهُ فِي جِهَادِ مَنْ حَادَّهُ فِي أَمْرِهِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالْفُسُوقِ، وَبِغَيْرِهِ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَاجِلِهِمْ وَآجِلِ مَعَادِهِمْ، فَيُنْجِزُ لَهُمُ الثَّوَابَ عَلَىٰ مَا أَبْلَوْا فِي طَاعَتِهِ فِي الدُّنْيَا، وَيُسْكِنُهُمْ جَنَّاتِهِ عَلَىٰ مَا عَمِلُوا فِيهَا مِنْ مَرْضَاتِهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ اعْمَلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ كُلِّهَا، وَادْخُلُوا فِي التَّصْدِيقِ بِهِ قَوْلًا، وَعَمَلًا.. وَصَرَفْنَا مَعْنَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ مُخَاطَبٌ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَلَا مَعْنَىٰ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ وَهُمْ أَهْلُ الْإِيمَانِ: ادْخُلُوا فِي صُلْحِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمُسَالَمَتِهِمْ؛ لِأَنَّ الْمُسَالَمَةَ، وَالْمُصَالَحَةَ إِنَّمَا يُؤْمَرُ بِهَا مَنْ كَانَ حَرْبًا بِتَرْكِ الْحَرْبِ، بَلْ نَهَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ عَنْ دُعَاءِ

أَهْلِ الْكُفْرِ إِلَىٰ السَّلْمِ، فَقَالَ: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥]، وَإِنَّمَا أَبَاحَ لَهُ ﷺ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ إِذَا دَعَوهُ إِلَىٰ الصُّلْحِ ابْتِدَاءً الْمُصَالَحَةَ، فَقَالَ لَهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿۞ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]، فَأَمَّا دُعَاؤُهُمْ إِلَىٰ الصُّلْحِ ابْتِدَاءً فَغَيْرُ مَوْجُودٍ فِي الْقُرْآنِ، فَيَجُوزَ تَوْجِيهُهُ قَوْلِهِ: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ إِلَىٰ ذَلِكَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا وَجْهُ دُعَاءِ الْمُؤْمِنِ بِمُحَمَّدٍ وَبِمَا جَاءَ بِهِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ؟ قِيلَ: وَجْهُ دُعَائِهِ إِلَىٰ ذَلِكَ الْأَمْرُ لَهُ بِالْعَمَلِ بِجَمِيعِ شَرَائِعِهِ، وَإِقَامَةِ جَمِيعِ أَحْكَامِهِ، وَحُدُودِهِ، دُونَ تَضْيِيعِ بَعْضِهِ وَالْعَمَلِ بِبَعْضِهِ.. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ، كَانَ قَوْلُهُ ﴿كَافَّةً﴾ مِنْ صِفَةِ السِّلْمِ، وَيَكُونُ تَأْوِيلُهُ: ادْخُلُوا فِي الْعَمَلِ بِجَمِيعِ مَعَانِي السِّلْمِ، وَلَا تُضَيِّعُوا شَيْئًا مِنْهُ يَا أَهْلَ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ وَبِمَا جَاءَ بِهِ.. وَقَدْ يَدْخُلُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا الْمُصَدِّقُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَالْمُصَدِّقُونَ بِمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَمَا جَاءُوا بِهِ، وَقَدْ دَعَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ إِلَىٰ الْعَمَلِ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَحُدُودِهِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ فَرَائِضِهِ الَّتِي فَرَضَهَا، وَنَهَاهُمْ عَنْ تَضْيِيعِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَالْآيَةُ عَامَّةٌ لِكُلِّ مَنْ شَمَلَهُ اسْمُ الْإِيمَانِ، فَلَا وَجْهَ لِخُصُوصِ بَعْضٍ بِهَا دُونَ بَعْضٍ..

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ وَدَعُوا طَرَائِقَ الشَّيْطَانِ، وَآثَارَهُ أَنْ تَتْبَعُوهَا فَـ..

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨] لَكُمْ عَدَاوَتُهُ.. وَطَرِيقُ الشَّيْطَانِ الَّذِي نَهَاهُمْ أَنْ يَتَّبِعُوهُ هُوَ مَا خَالَفَ حُكْمَ الْإِسْلَامِ، وَشَرَائِعَهُ، وَمِنْهُ تَسْبِيتُ السَّبْتِ وَسَائِرُ سُنَنِ أَهْلِ الْمِلَلِ الَّتِي تُخَالِفُ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ.

﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٠٩﴾ [البقرة: ٢٠٩].

﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ فَإِنْ أَخْطَأْتُمُ الْحَقَّ، فَضَلَلْتُمْ عَنْهُ، وَخَالَفْتُمُ الْإِسْلَامَ، وَشَرَائِعَهُ..

﴿مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ حُجَجِي، وَبَيِّنَاتُ هُدَايَ، وَاتَّضَحَتْ لَكُمْ صِحَّةُ أَمْرِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ الَّتِي قَطَعَتْ عُذْرَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ ذُو عِزَّةٍ، لَا يَمْنَعُهُ مِنَ الِانْتِقَامِ مِنْكُمْ مَانِعٌ، وَلَا يَدْفَعُهُ عَنْ عُقُوبَتِكُمْ عَلَىٰ مُخَالَفَتِكُمْ أَمْرَهُ وَمَعْصِيَتِكُمْ إِيَّاهُ دَافِعٌ..

﴿حَكِيمٌ ۝٢٠٩﴾ [البقرة: ٢٠٩] فِيمَا يَفْعَلُ بِكُمْ مِنْ عُقُوبَتِهِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِكُمْ إِيَّاهُ بَعْدَ إِقَامَتِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْكُمْ، وَفِي غَيْرِهِ مِنْ أُمُورِهِ.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠﴾ [البقرة: ٢١٠].

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾ هَلْ يَنْظُرُ الْمُكَذِّبُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ، التَّارِكُونَ الدُّخُولَ فِي السِّلْمِ كَافَّةً، وَالْمُتَّبِعُونَ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ..

﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ، وَإِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ، فَيَقْضِي فِي أَمْرِهِمْ مَا هُوَ قَاضٍ..

﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ﴾ وَفُصِلَ الْقَضَاءُ بِالْعَدْلِ بَيْنَ الْخَلْقِ، عَلَىٰ مَا ذُكِرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مِنْ أَخْذِ الْحَقِّ لِكُلِّ مَظْلُومٍ مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ، حَتَّىٰ الْقِصَاصِ لِلْجَمَّاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ مِنَ الْبَهَائِمِ»..

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠﴾ [البقرة: ٢١٠] وَإِلَى اللهِ يَئُولُ الْقَضَاءُ بَيْنَ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْحُكْمُ بَيْنَهُمْ فِي أُمُورِهِمُ الَّتِي جَرَتْ فِي الدُّنْيَا مِنْ ظُلْمِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَاعْتِدَاءِ الْمُعْتَدِي مِنْهُمْ حُدُودَ اللهِ، وَإِحْسَانِ الْمُحْسِنِ مِنْهُمْ، وَطَاعَتِهِ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ، فَيَفْصِلُ بَيْنَ الْمُتَظَالِمِينَ، وَيُجَازِي أَهْلَ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ، وَأَهْلَ الْإِسَاءَةِ بِمَا رَأَىٰ، وَيَتَفَضَّلُ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ كَافِرًا فَيَعْفُو؛ وَلِذَلِكَ قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠﴾ وَإِنْ كَانَتْ أُمُورُ الدُّنْيَا كُلُّهَا وَالْآخِرَةِ مِنْ عِنْدِهِ مَبْدَؤُهَا وَإِلَيْهِ مَصِيرُهَا؛ إِذْ كَانَ خَلْقُهُ فِي الدُّنْيَا يَتَظَالَمُونَ، وَيَلِي النَّظَرَ بَيْنَهُمْ أَحْيَانًا فِي الدُّنْيَا بَعْضُ خَلْقِهِ، فَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بَعْضُ عَبِيدِهِ، فَيَجُورُ بَعْضٌ، وَيَعْدِلُ بَعْضٌ، وَيُصِيبُ وَاحِدٌ، وَيُخْطِئُ وَاحِدٌ، وَيُمَكَّنُ مِنْ تَنْفِيذِ الْحُكْمِ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَيَتَعَذَّرُ ذَلِكَ عَلَىٰ بَعْضٍ لِمَنَعَةِ جَانِبِهِ وَغَلَبَتِهِ بِالْقُوَّةِ، فَأَعْلَمَ عِبَادَهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّ مَرْجِعَ جَمِيعِ ذَلِكَ إِلَيْهِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، فَيُنْصِفُ كُلًّا مِنْ كُلٍّ، وَيُجَازِي حَقَّ الْجَزَاءِ كُلًّا، حَيْثُ لَا ظُلْمَ وَلَا مُمْتَنِعَ مِنْ نُفُوذِ حُكْمِهِ عَلَيْهِ، وَحَيْثُ يَسْتَوِي الضَّعِيفُ وَالْقَوِيُّ، وَالْفَقِيرُ وَالْغَنِيُّ، وَيَضْمَحِلُّ الظُّلْمُ، وَيَنْزِلُ سُلْطَانُ الْعَدْلِ، وَإِنَّمَا أَدْخَلَ -جَلَّ وَعَزَّ- الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِي الْأُمُورِ لِأَنَّهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عَنَىٰ بِهَا جَمِيعَ الْأُمُورِ، وَلَمْ يَعْنِ بِهَا بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ، إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ الْعُمُومَ وَالْجَمْعَ.

﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١﴾ [البقرة: ٢١١].

﴿سَلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الَّذِينَ لَا يَنْتَظِرُونَ بِالْإِنَابَةِ إِلَىٰ طَاعَتِي، وَالتَّوْبَةِ إِلَيَّ بِالْإِقْرَارِ بِنُبُوَّتِكَ وَتَصْدِيقِكَ فِيمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي، إِلَّا أَنْ آتِيَهُمْ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَمَلَائِكَتِي، فَأَفْصِلُ الْقَضَاءَ بَيْنَكَ -وَبَيْنَ مَنْ آمَنَ بِكَ وَصَدَّقَكَ بِمَا أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ كُتُبِي، وَفَرَضْتُ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ مِنْ شَرَائِعِ دِينِي- وَبَيْنَهُمْ..

﴿كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ﴾ كَمْ جِئْتُهُمْ بِهِ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ آيَةٍ وَعَلَامَةٍ، عَلَىٰ مَا فَرَضْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَرَائِضِي، وَأَمَرْتُهُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِي، وَتَابَعْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ حُجَجِي عَلَىٰ أَيْدِي أَنْبِيَائِي وَرُسُلِي، مُؤَيِّدَةً لَهُمْ عَلَىٰ صِدْقِهِمْ، بَيِّنَةً أَنَّهَا مِنْ عِنْدِي، وَاضِحَةً أَنَّهَا مِنْ أَدِلَّتِي عَلَىٰ صِدْقِ نُذُرِي وَرُسُلِي فِيمَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ تَصْدِيقِهِمْ وَتَصْدِيقِكَ، فَكَفَرُوا حُجَجِي، وَكَذَّبُوا رُسُلِي، وَغَيَّرُوا نِعَمِي قِبَلَهُمْ، وَبَدَّلُوا عَهْدِي وَوَصِيَّتِي إِلَيْهِمْ.. وَذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ الَّتِي آتَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ غَيْرِهَا، خَالَفُوا مَعَهَا أَمْرَ اللهِ، فَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَ اللهِ وَرُسُلَهُ، وَبَدَّلُوا عَهْدَهُ وَوَصِيَّتَهُ إِلَيْهِمْ، قَالَ اللهُ: ﴿وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١﴾ [البقرة: ٢١١].. وَإِنَّمَا سَلَّىٰ اللهُ نَبِيَّهُ محمدًا بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَأَمَرَهُ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَهُ، وَاسْتَكْبَرَ عَلَىٰ رَبِّهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ ذَلِكَ فِعْلُ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ سُلَّافِ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ بِأَنْبِيَائِهِمْ، مَعَ مُظَاهَرَتِهِ عَلَيْهِمُ الْحُجَجَ، وَأَنَّ مَنْ هُوَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ إِنَّمَا هُمْ مِنْ بَقَايَا مَنْ جَرَتْ عَادَتُهُمْ مِمَّنْ قَصَّ عَلَيْهِ قَصَصَهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾ وَمَنْ يُغَيِّرْ مَا عَاهَدَ اللهَ فِي نِعْمَتِهِ -الَّتِي هِيَ الْإِسْلَامُ- مِنَ الْعَمَلِ بِهِ، وَالدُّخُولِ فِيهِ فَيَكْفُرُ بِهِ، وَمَا فُرِضَ مِنْ شَرَائِعِ دِينِهِ..

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ﴾ مِنْ عِنْدِي بِمُحَمَّدٍ، وَمَا أَظْهَرْتُ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِنَ الْحُجَجِ، وَالْعِبَرِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١﴾ [البقرة: ٢١١] فَإِنَّهُ مُعَاقِبُهُ بِمَا أَوْعَدَ عَلَى الْكُفْرِ بِهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَاللهُ شَدِيدٌ عِقَابُهُ، أَلِيمٌ عَذَابُهُ.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢١٢﴾ [البقرة: ٢١٢].

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا حُبُّ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْعَاجِلَةِ اللَّذَّاتِ، فَهُمْ يَبْتَغُونَ فِيهَا الْمُكَاثَرَةَ وَالْمُفَاخَرَةَ، وَيَطْلُبُونَ فِيهَا الرِّيَاسَاتِ وَالْمُبَاهَاةَ، وَيَسْتَكْبِرُونَ عَنِ اتِّبَاعِكَ يَا مُحَمَّدُ، وَالْإِقْرَارِ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ عِنْدِي، تَعَظُّمًا مِنْهُمْ عَلَىٰ مَنْ صَدَّقَكَ، وَاتَّبَعَكَ..

﴿وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ﴾ وَيَسْخَرُونَ بِمَنْ تَبِعَكَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِكَ، فِي

تَرْكِهِمُ الْمُكَاثَرَةِ وَالْمُفَاخَرَةِ بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا مِنَ الرِّيَاشِ وَالْأَمْوَالِ وَطَلَبِ الرِّيَاسَاتِ، وَإِقْبَالِهِمْ عَلَىٰ طَلَبِهِمْ مَا عِنْدِي بِرَفْضِ الدُّنْيَا وَتَرْكِ زِينَتِهَا..

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡا۟﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا لِي وَأَقْبَلُوا عَلَىٰ طَاعَتِي وَرَفَضُوا لَذَّاتِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا، اتِّبَاعًا لَكَ وَطَلَبًا لِمَا عِنْدِي، وَاتِّقَاءً مِنْهُمْ بِأَدَاءِ فَرَائِضِي، وَتَجَنُّبِ مَعَاصِيَّ..

﴿فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِۗ﴾ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِإِدْخَالِ الْمُتَّقِينَ الْجَنَّةَ، وَإِدْخَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا النَّارَ..

﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ وَاللهُ يُعْطِي الَّذِينَ اتَّقَوْا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نِعَمِهِ، وَكَرَامَاتِهِ، وَجَزِيلِ عَطَايَاهُ..

﴿بِغَيۡرِ حِسَابٍ ۝٢١٢﴾ [البقرة: ٢١٢] بِغَيْرِ مُحَاسَبَةٍ مِنْهُ لَهُمْ عَلَىٰ مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَرَامَتِهِ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ خَائِفٍ نَفَادَ خَزَائِنِهِ، فَيَحْتَاجُ إِلَىٰ حِسَابِ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا؛ إِذْ كَانَ الْحِسَابُ مِنَ الْمُعْطِي إِنَّمَا يَكُونُ لِيَعْلَمَ قَدْرَ الْعَطَاءِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ مُلْكِهِ إِلَىٰ غَيْرِهِ، لِئَلَّا يَتَجَاوَزَ فِي عَطَايَاهُ إِلَىٰ مَا يُجْحِفُ بِهِ، فَرَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ غَيْرُ خَائِفٍ نَفَادَ خَزَائِنِهِ، وَلَا انْتِقَاصَ شَيْءٍ مِنْ مُلْكِهِ بِعَطَائِهِ مَا يُعْطِي عِبَادَهُ، فَيَحْتَاجُ إِلَىٰ حِسَابِ مَا يُعْطِي، وَإِحْصَاءِ مَا يُبْقِي.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُوا۟ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَـٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخۡتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ۝٢١٣﴾ [البقرة: ٢١٣].

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ عَلَىٰ دِينٍ وَاحِدٍ وَمِلَّةٍ وَاحِدَةٍ.. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْوَقْتُ الَّذِي كَانُوا فِيهِ أُمَّةً وَاحِدَةً مِنْ عَهْدِ آدَمَ إِلَىٰ عَهْدِ نُوحٍ عليه السلام.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ ذَلِكَ حِينَ عُرِضَ عَلَىٰ آدَمَ خَلْقُهُ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ ذَلِكَ فِي وَقْتٍ غَيْرَ ذَلِكَ.. وَلَا دَلَالَةَ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَلَا خَبَرٌ يُثْبِتُ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَىٰ أَيِّ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ كَانَ ذَلِكَ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ نَقُولَ فِيهِ إِلَّا مَا قَالَ اللهُ عز وجل مِنْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً، فَبَعَثَ اللهُ فِيهِمْ لَمَّا اخْتَلَفُوا الْأَنْبِيَاءَ، وَالرُّسُلَ.. وَلَا يَضُرُّنَا الْجَهْلُ بِوَقْتِ ذَلِكَ، كَمَا لَا يَنْفَعُنَا الْعِلْمُ بِهِ؛ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْعِلْمُ بِهِ لِلَّهِ طَاعَةً.. غَيْرَ أَنَّهُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ، فَإِنَّ دَلِيلَ الْقُرْآنِ وَاضِحٌ عَلَىٰ أَنَّ الَّذِينَ أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً، إِنَّمَا كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَدِينِ الْحَقِّ دُونَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَالشِّرْكِ بِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ -جَلَّ وَعَزَّ- قَالَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يَذْكُرُ فِيهَا يُونُسَ:

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٩﴾ [يونس: ١٩] فتوَعَّدَ -جَلَّ ذِكْرُهُ- عَلَىٰ الِاخْتِلَافِ لَا عَلَىٰ الِاجْتِمَاعِ، وَلَا عَلَىٰ كَوْنِهِمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَلَوْ كَانَ اجْتِمَاعُهُمْ قَبْلَ الِاخْتِلَافِ كَانَ عَلَىٰ الْكُفْرِ ثُمَّ كَانَ الِاخْتِلَافُ بَعْدَ ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ إِلَّا بِانْتِقَالِ بَعْضِهِمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَكَانَ الْوَعْدُ أَوْلَىٰ بِحِكْمَتِهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- فِي ذَلِكَ الْحَالِ مِنَ الْوَعِيدِ؛ لِأَنَّهَا حَالُ إِنَابَةِ بَعْضِهِمْ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَمُحَالٌ أَنْ يَتَوَعَّدَ فِي حَالِ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، وَيَتْرُكُ ذَلِكَ فِي حَالِ اجْتِمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ..

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ﴾ فَأَرْسَلَ رُسُلًا يُبَشِّرُونَ مَنْ أَطَاعَ اللهَ بِجَزِيلِ الثَّوَابِ، وَكَرِيمِ الْمَآبِ..

﴿وَمُنذِرِينَ﴾ يُنْذِرُونَ مَنْ عَصَىٰ اللهَ فَكَفَرَ بِهِ بِشِدَّةِ الْعِقَابِ وَسُوءِ الْحِسَابِ وَالْخُلُودِ فِي النَّارِ..

﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ لِيَحْكُمَ الْكِتَابُ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفَ الْمُخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَأَضَافَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- الْحُكْمَ إِلَىٰ الْكِتَابِ، وَأَنَّهُ الَّذِي يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ دُونَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، إِذْ كَانَ مَنْ حَكَمَ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَالْمُرْسَلِينَ بِحُكْمٍ، إِنَّمَا يَحْكُمُ بِمَا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فَكَانَ الْكِتَابُ بِدَلَالَتِهِ عَلَىٰ مَا دَلَّ وَصَفُهُ عَلَىٰ صِحَّتِهِ مِنَ الْحُكْمِ حَاكِمًا بَيْنَ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي يَفْصِلُ الْقَضَاءَ بَيْنَهُمْ غَيْرُهُ..

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ وَمَا اخْتَلَفَ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ وَهُوَ التَّوْرَاةُ..

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ الْيَهُودَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُمُ الَّذِينَ أُوتُوا التَّوْرَاةَ، وَالْعِلْمَ بِهَا.. وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ ﴿أُوتُوهُ﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ حِجَجُ اللهِ، وَأَدِلَّتُهُ أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَفِي أَحْكَامِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَسَعُهُمُ الِاخْتِلَافُ فِيهِ، وَلَا الْعَمَلُ بِخِلَافِ مَا فِيهِ.. فَأَخْبَرَ عَزَّ ذِكْرُهُ عَنِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ خَالَفُوا حُكْمَ التَّوْرَاةِ، وَاخْتَلَفُوا فِيهِ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِمَا يَأْتُونَ، مُتَعَمِّدِينَ الْخِلَافَ عَلَىٰ اللهِ فِيمَا خَالَفُوهُ فِيهِ مِنْ أَمْرِهِ وَحُكْمِ كِتَابِهِ..

﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ﴾ فَإِنَّ تَعَمُّدَهُمُ الْخَطِيئَةَ الَّتِي أَتَوْهَا، وَرُكُوبَهُمُ الْمَعْصِيَةَ الَّتِي رَكِبُوهَا مِنْ خِلَافِهِمْ أَمْرَهُ، إِنَّمَا كَانَ مِنْهُمْ بَغْيًا بَيْنَهُمْ.. فَلَمْ يَكُنِ اخْتِلَافُ هَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ مِنَ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي كِتَابِي الَّذِي أَنْزَلْتُهُ مَعَ نَبِيٍّ عَنْ جَهْلٍ مِنْهُمْ بِهِ، بَلْ كَانَ اخْتِلَافُهُمْ فِيهِ وَخِلَافُ حُكْمِهِ مِنْ بَعْدِ مَا ثَبَتَتْ حُجَّتُهُ عَلَيْهِمْ بَغْيًا بَيْنَهُمْ، طَلَبَ الرِّيَاسَةِ مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَاسْتِذْلَالًا مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ.. فَالْقَوْمُ لَمْ يَخْتَلِفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَمَجِيءِ الْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَكَذَلِكَ لَمْ يَخْتَلِفُوا إِلَّا بَغْيًا..

﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فَوَفَّقَ الَّذِي آمَنُوا، وَهُمْ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمُصَدِّقِينَ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ لِمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ فِيهِ، وَكَانَ مِنِ اخْتِلَافِهِمُ الَّذِي خَذَلَهُمُ اللهُ فِيهِ، وَهَدَىٰ لَهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَوَفَّقَهُمْ لِإِصَابَتِهِ: الْجُمُعَةُ، ضَلُّوا عَنْهَا وَقَدْ فُرِضَتْ عَلَيْهِمْ كَالَّذِي فُرِضَ عَلَيْنَا، فَجَعَلُوهَا السَّبْتَ؛ فَقَالَ ﷺ «**نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَهَذَا الْيَوْمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللهُ لَهُ، فَلِلْيَهُودِ غَدًا وَلِلنَّصَارَىٰ بَعْدَ غَدٍ**».. وَكَانَ مِمَّا اخْتَلَفُوا فِيهِ أَيْضًا الصَّلَاةِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُصَلِّي إِلَىٰ الْمَشْرِقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُصَلِّي إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَهَدَانَا لِلْقِبْلَةِ.. وَاخْتَلَفُوا فِي الصِّيَامِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَصُومُ بَعْضَ يَوْمٍ، وَبَعْضُهُمْ بَعْضَ لَيْلَةٍ، وَهَدَانَا اللهُ لَهُ.. وَاخْتَلَفُوا فِي إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ كَانَ يَهُودِيًّا، وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ كَانَ نَصْرَانِيًّا، فَبَرَّأَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ، وَجَعَلَهُ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِلَّذِينَ يَدْعُونَهُ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ.. وَاخْتَلَفُوا فِي عِيسَىٰ، فَجَعَلَتْهُ الْيَهُودُ لِفِرْيَةٍ، وَجَعَلَتْهُ النَّصَارَىٰ رَبًّا، فَهَدَانَا اللهُ لِلْحَقِّ فِيهِ، فَكَانَتْ هِدَايَةُ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- الَّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ لِمَا اخْتَلَفَ هَؤُلَاءِ الْأَحْزَابُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، أَنْ وَفَّقَهُمْ لِإِصَابَةِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ مَنْ كَانَ قَبْلَ الْمُخْتَلِفِينَ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؛ إِذْ كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً، وَذَلِكَ هُوَ دِينُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفِ الْمُسْلِمِ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، فَصَارُوا بِذَلِكَ أُمَّةً وَسَطًا، كَمَا وَصَفَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ لِيَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَىٰ النَّاسِ..

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بِعِلْمِهِ بِمَا هَدَاهُمْ لَهُ، وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الْإِذْنِ إِذْ كَانَ بِمَعْنَىٰ الْعِلْمِ فِي غَيْرِ الْمَوْضِعِ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ هَاهُنَا..

﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢١٣﴾ [البقرة: ٢١٣] وَاللهُ يُسَدِّدُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ وَيُرْشِدُهُ إِلَىٰ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ عَلَىٰ الْحَقِّ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، كَمَا هَدَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، لِمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ فِيهِ بَغْيًا بَيْنَهُمْ، فَسَدَّدَهُمْ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ، وَالصَّوَابِ فِيهِ.. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْبَيَانُ الْوَاضِحُ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قَالَهُ أَهْلُ الْحَقِّ مِنْ أَنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ عَلَىٰ الْعِبَادِ فِي دِينِهِمْ أَوْ دُنْيَاهُمْ، فَمِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤﴾

[البقرة: ٢١٤].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أَظَنَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ..

﴿أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ..

﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾ وَلَمْ يُصِبْكُمْ..

﴿مَّثَلُ﴾ شِبْهُ..

﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ﴾ وَمَضَوْا..

﴿مِن قَبْلِكُم﴾ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْمِحَنِ وَالِاخْتِبَارِ..

﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ﴾ فَتُبْتَلُوا بِمَا ابْتُلُوا وَاخْتُبِرُوا بِهِ مِنَ الْبَأْسَاءِ، وَهُوَ شِدَّةُ الْحَاجَةِ وَالْفَاقَةِ..

﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾ وَهِيَ الْعِلَلُ وَالْأَوْصَابُ..

﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ وَلَمْ تُزَلْزَلُوا زِلْزَالَهُمْ، يَعْنِي: وَلَمْ يُصِبْهُمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ مِنَ الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ شِدَّةٌ وَجَهْدٌ.. وَالزَّلْزَلَةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْخَوْفُ مِنَ الْعَدُوِّ، لَا زَلْزَلَةُ الْأَرْضِ..

﴿حَتَّىٰ﴾ يَسْتَبْطِئَ الْقَوْمُ نَصْرَ اللهِ إِيَّاهُمْ، فَـ

﴿يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ مَتَى اللهُ نَاصِرُنَا؟..

﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ٢١٤﴾ [البقرة: ٢١٤] فَأَخْبَرَهُمُ اللهُ أَنَّ نَصْرَهُ مِنْهُمْ قَرِيبٌ، وَأَنَّهُ مُعْلِيهِمْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ، وَمُظْهِرُهُمْ عَلَيْهِ، فَنَجَزَ لَهُمْ مَا وَعَدَهُمْ، وَأَعْلَىٰ كَلِمَتَهُمْ، وَأَطْفَأَ نَارَ حَرْبِ الَّذِينَ كَفَرُوا.. وَهَذِهِ الْآيَةُ فِيمَا يَزْعُمُ أَهْلُ التَّأْوِيلِ نَزَلَتْ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، حِينَ لَقِيَ الْمُؤْمِنُونَ مَا لَقُوا مِنْ شِدَّةِ الْجَهْدِ مِنْ خَوْفِ الْأَحْزَابِ، وَشِدَّةِ أَذَى الْبَرْدِ وَضِيقِ الْعَيْشِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ يَوْمَئِذٍ، يَقُولُ اللهُ -جَلَّ وَعَزَّ- لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ١١﴾ [الأحزاب: ١٠- ١١].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ٢١٥﴾ [البقرة: ٢١٥].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يَسْأَلُكَ أَصْحَابُكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أَيَّ شَيْءٍ يُنْفِقُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَيَتَصَدَّقُونَ بِهِ، وَعَلَىٰ مَنْ يُنْفِقُونَهُ فِيمَا يُنْفِقُونَهُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِهِ؟ فَـ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ..

﴿مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَتَصَدَّقْتُمْ بِهِ..

﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ﴾ فَأَنْفِقُوهُ، وَتَصَدَّقُوا بِهِ وَاجْعَلُوهُ لِآبَائِكُمْ، وَأُمَّهَاتِكُمْ..

﴿وَالْأَقْرَبِينَ﴾ وَأَقْرِبِيكُمْ..

﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ وَلِلْيَتَامَىٰ مِنْكُمْ..

﴿وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ فَإِنَّكُمْ مَا تَأْتُوا مِنْ خَيْرٍ وَتَصْنَعُوهُ إِلَيْهِمْ..

﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥] وَهُوَ مُحْصِيهِ لَكُمْ حَتَّىٰ يُوَفِّيَكُمْ أُجُورَكُمْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُثِيبَكُمْ عَلَىٰ مَا أَطْعَمْتُمُوهُ بِإِحْسَانِكُمْ عَلَيْهِ.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ فُرِضَ عَلَيْكُمْ..

﴿الْقِتَالُ﴾ يَعْنِي: قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ.. قَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَىٰ بِذَلِكَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهِمْ!! وَهَذَا قَوْلٌ لَا مَعْنَىٰ لَهُ؛ لِأَنَّ نَسْخَ الْأَحْكَامِ مِنْ قِبَلِ اللهِ -جَلَّ وَعَزَّ- لَا مِنْ قِبَلِ الْعِبَادِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ حَتَّىٰ يَقُومَ بِهِ مَنْ فِي قِيَامِهِ الْكِفَايَةُ، فَيَسْقُطُ فَرْضُ ذَلِكَ حِينَئِذٍ عَنْ بَاقِي الْمُسْلِمِينَ، كَالصَّلَاةِ عَلَىٰ الْجَنَائِزِ، وَغَسْلِهِمُ الْمَوْتَىٰ وَدَفْنِهِمْ، وَعَلَىٰ هَذَا عَامَّةُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَذَلِكَ هُوَ الصَّوَابُ عِنْدَنَا؛ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلِقَوْلِ اللهِ ﷻ ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥]، فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ الْفَضْلَ لِلْمُجَاهِدِينَ، وَأَنَّ لَهُمْ وَلِلْقَاعِدِينَ الْحُسْنَىٰ، وَلَوْ كَانَ الْقَاعِدُونَ مُضَيِّعِينَ فَرْضًا لَكَانَ لَهُمُ السُّوأَىٰ لَا الْحُسْنَىٰ..

﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ وَهُوَ ذُو كُرْهٍ لَكُمْ، فَتَرَكَ ذِكْرَ (ذُو) اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿كُرْهٌ لَكُمْ﴾ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].. وَالْكُرْهُ بِالضَّمِّ: هُوَ مَا حَمَلَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ إِكْرَاهِ أَحَدٍ إِيَّاهُ عَلَيْهِ، وَالْكَرْهُ بِفَتْحِ الْكَافِ: هُوَ مَا حَمَلَهُ غَيْرُهُ، فَأَدْخَلَهُ عَلَيْهِ كَرْهًا..

﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ وَلَا تَكْرَهُوا الْقِتَالَ، فَإِنَّكُمْ لَعَلَّكُمْ إِنْ تَكْرَهُوهُ وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يَكْرَهُونَ الْقِتَالَ، فَقَالَ: عَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ..

﴿وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ وَلَا تُحِبُّوا تَرْكَ الْجِهَادِ، فَلَعَلَّكُمْ إِنْ تُحِبُّوهُ وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ، فَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقِتَالِ الْغَنِيمَةَ وَالظُّهُورَ وَالشَّهَادَةَ، وَلَكُمْ فِي الْقُعُودِ أَنْ لَا تَظْهَرُوا عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا تَسْتَشْهِدُوا، وَلَا تُصِيبُوا شَيْئًا..

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِمَّا هُوَ شَرٌّ لَكُمْ، فَلَا تَكْرَهُوا مَا كَتَبْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ جِهَادِ عَدُوِّكُمْ، وَقِتَالِ مِنْ أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالِهِ، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ قِتَالَكُمْ إِيَّاهُمْ، هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ فِي عَاجِلِكُمْ، وَمَعَادِكُمْ، وَتَرْكِكُمْ قِتَالَهُمْ شَرٌّ لَكُمْ..

﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦] مِنْ ذَلِكَ مَا أَعْلَمُ.. يَحُضُّهُمْ -جَلَّ ذِكْرُهُ- بِذَلِكَ عَلَىٰ جِهَادِ أَعْدَائِهِ، وَيُرَغِّبُهُمْ فِي قِتَالِ مَنْ كَفَرَ بِهِ.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾ [البقرة: ٢١٧].

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾ يَسْأَلُكَ يَا مُحَمَّدُ أَصْحَابُكَ..

﴿عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ وَذَلِكَ رَجَبٌ.. وَتُسَمِّيهِ العَرَبُ «مُضَرُ الأَصَمُّ» لِسُكُونِ أَصْوَاتِ السِّلَاحِ، وَقَعْقَعَتِهِ فِيهِ..

﴿قِتَالٖ فِيهِۖ﴾ عَنْ قِتَالٍ فِيهِ، وَخَفْضُ «الْقِتَالِ» عَلَىٰ مَعْنَىٰ تَكْرِيرِ «عَنْ» عَلَيْهِ..

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿قِتَالٞ فِيهِ﴾ الْقِتَالُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ..

﴿كَبِيرٞۚ﴾ أَيْ عَظِيمٌ عِنْدَ اللهِ اسْتِحْلَالُهُ، وَسَفْكُ الدِّمَاءِ فِيهِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ لَا تَقْرَعُ فِيهِ الْأَسِنَّةَ، فَيَلْقَىٰ الرَّجُلُ قَاتِلَ أَبِيهِ أَوِ أَخِيهِ فِيهِ فَلَا يَهِيجُهُ؛ تَعْظِيمًا لَهُ..

﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَمَعْنَىٰ الصَّدِّ عَنِ الشَّيْءِ: الْمَنْعُ مِنْهُ، وَالدَّفْعُ عَنْهُ، وَمِنْهُ قِيلَ: صَدَّ فُلَانٌ بِوَجْهِهِ عَنْ فُلَانٍ: إِذَا أَعْرَضَ عَنْهُ فَمَنَعَهُ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ..

﴿وَكُفۡرُۢ بِهِۦ﴾ وَكُفْرٌ بِاللهِ، وَالْبَاءُ فِي «بِهِ» عَائِدَةٌ عَلَىٰ اسْمِ اللهِ الَّذِي فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَكُفْرٌ بِهِ، وَعَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..

﴿وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ﴾ وَإِخْرَاجُ أَهْلِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَهُمْ أَهْلُهُ وَوُلَاتُهُ..

﴿أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ مِنَ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ.. وَالنَّهْيُ عَنْ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ مَنْسُوخٌ بِقَوْلِ اللهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ﴾ [التوبة: ٣٦]، وَلِتَظَاهُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ «غَزَا هَوَازِنَ بِحُنَيْنٍ، وَثَقِيفًا بِالطَّائِفِ، وَأَرْسَلَ أَبَا عَامِرٍ إِلَىٰ أَوْطَاسٍ لِحَرْبِ مَنْ بِهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي بَعْضِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، وَذَلِكَ فِي شَوَّالٍ وَبَعْضِ ذِي الْقَعْدَةِ، وَهُوَ مِنَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ» فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْقِتَالُ فِيهِنَّ حَرَامًا وَفِيهِ مَعْصِيَةٌ، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْ فِعْلِهِ ﷺ، وَأُخْرَىٰ: أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِسِيَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا تَتَدَافَعُ أَنَّ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ عَلَىٰ قِتَالِ قُرَيْشٍ كَانَتْ فِي أَوَّلِ ذِي الْقَعْدَةِ، وَأَنَّهُ ﷺ إِنَّمَا دَعَا أَصْحَابَهُ إِلَيْهَا يَوْمَئِذٍ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قَتَلَهُ الْمُشْرِكُونَ إِذْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ بِمَا أَرْسَلَهُ بِهِ مِنَ الرِّسَالَةِ، فَبَايَعَ ﷺ عَلَىٰ أَنْ يُنَاجِزَ الْقَوْمَ الْحَرْبَ وَيُحَارِبَهُمْ، حَتَّىٰ رَجَعَ عُثْمَانُ بِالرِّسَالَةِ، وَجَرَىٰ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَقُرَيْشٍ الصُّلْحُ، فَكَفَّ عَنْ حَرْبِهِمْ حِينَئِذٍ وَقِتَالِهِمْ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَهُوَ مِنَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ.. فَإِذَا ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ النَّهْيَ عَنِ الْقِتَالِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ كَانَ بَعْدَ اسْتِحْلَالِ النَّبِيِّ ﷺ إِيَّاهُنَّ لِمَا وَصَفْنَا مِنْ حُرُوبِهِ، فَقَدْ ظَنَّ جَهْلًا؛ وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ، أَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ﴾ [البقرة: ٢١٧] فِي أَمْرِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ وَأَصْحَابِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَأَمْرِ الْقَتِيلِ الَّذِي قَتَلُوهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَمْرِهِ هَذِهِ الْآيَةَ فِي آخِرِ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مَقْدَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَهِجْرَتِهِ إِلَيْهَا، وَكَانَتْ وَقْعَةُ حُنَيْنٍ، وَالطَّائِفِ فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ وَهِجْرَتِهِ إِلَيْهَا، وَبَيْنَهُمَا مِنَ الْمُدَّةِ مَا لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ أَحَدٍ.. ثُمَّ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ عَنِ الْفِتْنَةِ فَقَالَ..

﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ﴾ وَالشِّرْكُ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ..

﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ وَلَا يَزَالُ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ..

﴿يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ إِنْ قَدَرُوا عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾ وَمَنْ يَرْجِعْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ دِينِ الْإِسْلَامِ، كَمَا قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤﴾ [الكهف: ٦٤]، يَعْنِي بِقَوْلِهِ: فَارْتَدَّا: رَجَعَا، وَمَنْ ذَلِكَ قِيلَ: اسْتَرَدَّ فُلَانٌ حَقَّهُ مِنْ فُلَانٍ، إِذَا اسْتَرْجَعَهُ مِنْهُ..

﴿فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ﴾ فَيَمُتْ قَبْلَ أَنْ يَتُوبَ مِنْ كُفْرِهِ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ فَهُمُ الَّذِينَ..

﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ﴾ بَطَلَتْ وَذَهَبَتْ، وَبِطُولِهَا: ذَهَابُ ثَوَابِهَا، وَبِطُولِ الْأَجْرِ عَلَيْهَا وَالْجَزَاءُ فِي دَارِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَنْ دِينِهِمْ فَمَاتُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ..

﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ هُمْ أَهْلُ النَّارِ الْمُخَلَّدُونَ فِيهَا، وَإِنَّمَا جَعَلَهُمْ أَهْلَهَا لِأَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا، فَهُمْ سُكَّانُهَا الْمُقِيمُونَ فِيهَا، كَمَا يُقَالُ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ مَحَلَّةِ كَذَا، يَعْنِي: سُكَّانَهَا الْمُقِيمُونَ فِيهَا..

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾ [البقرة: ٢١٧] هُمْ فِيهَا لَابِثُونَ لُبْثًا مِنْ غَيْرِ أَمَدٍ وَلَا نِهَايَةٍ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢١٨﴾ [البقرة: ٢١٨].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَصَدَّقُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ..

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ مُسَاكَنَةَ الْمُشْرِكِينَ فِي أَمْصَارِهِمْ، وَمُجَاوَرَتَهُمْ فِي دِيَارِهِمْ، فَتَحَوَّلُوا عَنْهُمْ، وَعَنْ جِوَارِهِمْ وَبِلَادِهِمْ إِلَىٰ غَيْرِهَا، فَتَحَوَّلُوا مِنْ سُلْطَانِ أَهْلِ الشِّرْكِ هِجْرَةً لَهُمْ، وَخَوْفَ فِتْنَتِهِمْ عَلَىٰ أَدْيَانِهِمْ.. وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُهَاجِرِينَ لِهِجْرَتِهِمْ دُورِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ كَرَاهَةَ مِنْهُمُ النُّزُولَ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ وَفِي سُلْطَانِهِمْ، بِحَيْثُ لَا يَأْمَنُونَ فِتْنَتَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فِي دِيَارِهِمْ إِلَىٰ الْمَوْضِعِ الَّذِي يَأْمَنُونَ ذَلِكَ..

﴿وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَقَاتَلُوا وَحَارَبُوا فِي دِينِ اللهِ لِيُدْخِلُوهُمْ فِيهِ، وَفِيمَا يُرْضِي اللهَ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ يَطْمَعُونَ أَنْ يَرْحَمَهُمُ اللهُ فَيُدْخِلَهُمْ جَنَّتَهُ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ سَاتِرٌ ذُنُوبَ عِبَادِهِ بِعَفْوِهِ عَنْهَا..

﴿رَّحِيمٌ ٢١٨﴾ [البقرة: ٢١٨] مُتَفَضِّلٌ عَلَيْهِمْ بِالرَّحْمَةِ.

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩﴾ [البقرة: ٢١٩].

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يَسْأَلُكَ أَصْحَابُكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾ وَشُرْبِهَا.. وَالْخَمْرُ: كُلُّ شَرَابٍ خَامَرَ الْعَقْلَ فَسَتَرَهُ وَغَطَّىٰ عَلَيْهِ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: خَمَّرْتُ الْإِنَاءَ، إِذَا غَطَّيْتُهُ، وَخَمَّرَ الرَّجُلُ، إِذَا دَخَلَ فِي الْخَمْرِ، وَمَا خَامَرَ الْعَقْلَ مِنْ دَاءٍ وَسُكْرٍ فَخَالَطَهُ وَغَمَرَهُ فَهُوَ خَمْرٌ، وَمَنْ ذَلِكَ أَيْضًا خِمَارُ الْمَرْأَةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهَا تَسْتُرُ بِهِ رَأْسَهَا فَتُغَطِّيهِ..

﴿وَٱلْمَيْسِرِ﴾ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: يَسَّرَ لِي هَذَا الْأَمْرَ إِذَا وَجَبَ لِي، وَالْيَاسِرُ الْوَاجِبُ، ثُمَّ قِيلَ لِلْمُقَامِرِ: يَاسِرٌ، وَقِيلَ لِلْقِمَارِ: مَيْسِرٌ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِيهِمَآ﴾ لَهُمْ فِيهِمَا، يَعْنِي فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ..

﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ فَالْإِثْمُ الْكَبِيرُ الَّذِي فِيهِ الْخَمْرِ زَوَالُ عَقْلِ شَارِبِ الْخَمْرِ إِذَا سَكِرَ مِنْ شُرْبِهِ إِيَّاهَا حَتَّىٰ يَعْزُبَ عَنْهُ مَعْرِفَةُ رَبِّهِ، وَذَلِكَ أَعْظَمُ الْآثَامِ، وَأَمَّا فِي الْمَيْسِرِ فَمَا فِيهِ مِنَ الشُّغْلِ بِهِ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، وَعَنِ الصَّلَاةِ، وَوُقُوعِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ الْمُتَيَاسِرَيْنِ بِسَبَبِهِ، كَمَا وَصَفَ ذَلِكَ بِهِ رَبُّنَا -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٩١]..

﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ فَإِنَّ مَنَافِعَ الْخَمْرِ كَانَتْ أَثْمَانَهَا قَبْلَ تَحْرِيمِهَا، وَمَا يَصِلُونَ إِلَيْهِ بِشُرْبِهَا مِنَ اللَّذَّةِ، وَأَمَّا مَنَافِعُ الْمَيْسِرِ فَمَا يُصِيبُونَ فِيهِ مِنْ أَنْصِبَاءِ الْجَزُورِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُيَاسِرُونَ عَلَىٰ الْجَزُورِ..

﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾ وَالْإِثْمُ بِشُرْبِ هَذِهِ، وَالْقِمَارُ هَذَا..

﴿أَكْبَرُ﴾ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ مَضَرَّةً عَلَيْهِمْ..

﴿مِن نَّفْعِهِمَا﴾ مِنَ النَّفْعِ الَّذِي يَتَنَاوَلُونَ بِهِمَا، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَكِرُوا وَثَبَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَقَاتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَإِذَا يَاسَرُوا وَقَعَ بَيْنَهُمْ فِيهِ بِسَبَبِهِ الشَّرُّ، فَأَدَّاهُمْ ذَلِكَ إِلَىٰ مَا يَأْثَمُونَ بِهِ.. وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْخَمْرِ قَبْلَ أَنْ يُصَرِّحَ بِتَحْرِيمِهَا، فَأَضَافَ الْإِثْمَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- إِلَيْهِمَا، وَإِنَّمَا الْإِثْمُ بِأَسْبَابِهِمَا؛ إِذْ كَانَ عَنْ سَبَبِهِمَا يَحْدُثُ..

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ وَيَسْأَلُكَ يَا مُحَمَّدُ أَصْحَابُكَ..

﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أَيُّ شَيْءٍ يُنْفِقُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَيَتَصَدَّقُونَ بِهِ، فَـ

﴿قُلِ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْعَفْوَ﴾ أَنْفِقُوا مِنْهَا الْعَفْوَ، وَهُوَ الْفَضْلُ مِنْ مَالِ الرَّجُلِ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَهْلِهِ فِي مُؤْنَتِهِمْ وَمَا لَابُدَّ لَهُمْ مِنْهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْإِذْنِ فِي الصَّدَقَةِ فِي وَجْهِ

الْبِرِّ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فَقِيرًا فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ فَلْيَبْدَأْ مَعَ نَفْسِهِ بِمَنْ يَعُولُ، ثُمَّ إِنْ وَجَدَ فَضْلًا بَعْدَ ذَلِكَ فَلْيَتَصَدَّقْ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ».. وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ.. فَإِذَا كَانَ الَّذِي أَذِنَ ﷺ لِأُمَّتِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ بِالْفَضْلِ عَنْ حَاجَةِ الْمُتَصَدِّقِ الْفَضْلَ مِنْ ذَلِكَ، هُوَ الْعَفْوُ مِنْ مَالِ الرَّجُلِ؛ إِذْ كَانَ الْعَفْوُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فِي الْمَالِ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ هُوَ الزِّيَادَةُ وَالْكَثْرَةُ، وَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ [الأعراف: ٩٥] بِمَعْنَىٰ: زَادُوا عَلَىٰ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْعَدَدِ وَكَثُرُوا.. وقَوْلُهُ: ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ لَيْسَ بِإِيجَابِ فَرْضٍ فُرِضَ مِنَ اللهِ، وَلَكِنَّهُ إِعْلَامٌ مِنْهُ مَا يُرْضِيهُ مِنَ النَّفَقَةِ مِمَّا يُسْخِطُهُ، جَوَابًا لِمَنْ سَأَلَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَمَّا فِيهِ لَهُ رِضًا، فَهُوَ أَدَبٌ مِنَ اللهِ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ عَلَىٰ مَا أَدَّبَهُمْ بِهِ فِي الصَّدَقَةِ غَيْرِ الْمَفْرُوضَاتِ، ثَابِتُ الْحُكْمِ غَيْرُ نَاسِخٍ لِحُكْمٍ كَانَ قَبْلَهُ بِخِلَافِهِ، وَلَا مَنْسُوخٍ بِحُكْمٍ حَدَثَ بَعْدَهُ، فَلَا يَنْبَغِي لِذِي وَرَعٍ وَدِينٍ أَنْ يَتَجَاوَزَ فِي صَدَقَاتِ التَّطَوُّعِ وَهِبَاتِهِ وَعَطَايَا النَّفْلِ وَصَدَقَتِهِ مَا أَدَّبَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُ ﷺ بِقَوْلِهِ: «إِذَا كَانَ عِنْدَ أَحَدِكُمْ فَضْلٌ فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ، ثُمَّ بِأَهْلِهِ، ثُمَّ بِوَلَدِهِ»، ثُمَّ يَسْلُكُ حِينَئِذٍ فِي الْفَضْلِ مَسَالِكَهُ الَّتِي تُرْضِي اللهَ وَيُحِبُّهَا، وَذَلِكَ هُوَ الْقَوَامُ بَيْنَ الْإِسْرَافِ وَالْإِقْتَارِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي كِتَابِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ..

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ هَكَذَا يُبَيِّنُ، أَيْ: مَا بَيَّنْتُ لَكُمْ أَعْلَامِي وَحُجَجِي، وَهِيَ آيَاتُهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَعَرَّفْتُكُمْ فِيهَا مَا فِيهِ خَلَاصُكُمْ مِنْ عِقَابِي، وَبَيَّنْتُ لَكُمْ حُدُودِي، وَفَرَائِضِي، وَنَبَّهْتُكُمْ فِيهَا عَلَىٰ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِي، ثُمَّ عَلَىٰ حُجَجِ رُسُولِي إِلَيْكُمْ، فَأَرْشَدْتُكُمْ إِلَىٰ ظُهُورِ الْهُدَىٰ، فَكَذَلِكَ أُبَيِّنُ لَكُمْ فِي سَائِرِ كِتَابِي الَّذِي أَنْزَلْتُهُ عَلَىٰ نَبِيِّي مُحَمَّدٍ ﷺ آيَاتِي وَحُجَجِي، وَأُوَضِّحُهَا لَكُمْ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ [البقرة: ٢١٩] لِتَتَفَكَّرُوا فِي وَعْدِي، وَوَعِيدِي، وَثَوَابِي، وَعِقَابِي.

> ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ [البقرة: ٢٢٠].

﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۗ﴾ فَتَخْتَارُوا طَاعَتِي الَّتِي تَنَالُونَ بِهَا ثَوَابِي فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَالْفَوْزَ بِنَعِيمِ الْأَبَدِ عَلَىٰ الْقَلِيلِ مِنَ اللَّذَّاتِ، وَالْيَسِيرِ مِنَ الشَّهَوَاتِ، بِرُكُوبِ مَعْصِيَتِي فِي الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، الَّتِي مَنْ رَكِبَهَا كَانَ مَعَادُهُ إِلَيَّ، وَمَصِيرُهُ إِلَىٰ مَا لَا قِبَلَ لَهُ بِهِ مِنْ عِقَابِي، وَعَذَابِي..

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ وَيَسْأَلُكَ يَا مُحَمَّدُ أَصْحَابُكَ..

﴿عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰۖ﴾ عَنْ مَالِ الْيَتَامَىٰ، وَخَلْطِهِمْ أَمْوَالَهُمْ بِهِ فِي النَّفَقَةِ، وَالْمُطَاعَمَةِ، وَالْمُشَارَبَةِ، وَالْمُسَاكَنَةِ، وَالْخِدْمَةِ، فَـ...

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ..

﴿إِصْلَاحٌ لَّهُمْ﴾ تَفَضُّلُكُمْ عَلَيْهِمْ بِإِصْلَاحِكُمْ أَمْوَالَهُمْ مِنْ غَيْرِ مَرْزِئَةِ شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَغَيْرِ أَخْذِ عِوَضٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ عَلَىٰ إِصْلَاحِكُمْ ذَٰلِكَ لَهُمْ..

﴿خَيْرٌۖ﴾ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ، وَأَعْظَمُ لَكُمْ أَجْرًا، لِمَا لَكُمْ فِي ذَٰلِكَ مِنَ الْأَجْرِ، وَالثَّوَابِ، وَخَيْرٌ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُمْ، لِمَا فِي ذَٰلِكَ مِنْ تَوَفُّرِ أَمْوَالِهِمْ عَلَيْهِمْ..

﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ فَتُشَارِكُوهُمْ بِأَمْوَالِكُمْ أَمْوَالَهُمْ فِي نَفَقَاتِكُمْ، وَمَطَاعِمِكُمْ، وَمَشَارِبِكُمْ، وَمَسَاكِنِكُمْ، فَتَضْمَنُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ عِوَضًا مِنْ قِيَامِكُمْ بِأُمُورِهِمْ، وَأَسْبَابِهِمْ، وَإِصْلَاحِ أَمْوَالِهِمْ..

﴿فَإِخْوَٰنُكُمْۚ﴾ فَهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَالْإِخْوَانُ يُعِينُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَكْنُفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا؛ فَذُو الْمَالِ يُعِينُ ذَا الْفَاقَةِ، وَذُو الْقُوَّةِ فِي الْجِسْمِ يُعِينُ ذَا الضَّعْفِ، فَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَأَيْتَامُكُمْ كَذَٰلِكَ إِنْ خَالَطْتُمُوهُمْ بِأَمْوَالِكُمْ، فَخَلَطْتُمْ طَعَامَكُمْ بِطَعَامِهِمْ، وَشَرَابَكُمْ بِشَرَابِهِمْ، وَسَائِرَ أَمْوَالِكُمْ بِأَمْوَالِهِمْ، فَأَصَبْتُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَضْلَ مَرْفَقٍ بِمَا كَانَ مِنْكُمْ مِنْ قِيَامِكُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَوَلَائِهِمْ، وَمُعَانَاةِ أَسْبَابِهِمْ عَلَىٰ النَّظَرِ مِنْكُمْ لَهُمْ نَظَرَ الْأَخِ الشَّفِيقِ لِأَخِيهِ الْعَامِلِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ بِمَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَلْزَمَهُ، فَذَٰلِكَ لَكُمْ حَلَالٌ؛ لِأَنَّكُمْ إِخْوَانٌ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ..

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِۚ﴾ فَإِنَّ رَبَّكُمْ وَإِنْ أَذِنَ لَكُمْ فِي مُخَالَطَتِكُمُ الْيَتَامَىٰ عَلَىٰ مَا أَذِنَ لَكُمْ بِهِ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَنْ تُخَالِطُوهُمْ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَكْلَ أَمْوَالِهِمْ بِالْبَاطِلِ، وَتَجْعَلُونَ مُخَالَطَتَكُمْ إِيَّاهُمْ ذَرِيعَةً لَكُمْ إِلَىٰ إِفْسَادِ أَمْوَالِهِمْ، وَأَكْلِهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا، فَتَسْتَوْجِبُوا بِذَٰلِكَ مِنْهُ الْعُقُوبَةَ الَّتِي لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهَا، فَإِنَّهُ يَعْلَمُ مَنْ خَالَطَ مِنْكُمْ يَتِيمَهُ فَشَارَكَهُ فِي مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ وَمَسْكَنِهِ وَخَدَمِهِ وَرُعَاتِهِ فِي حَالِ مُخَالَطَتِهِ إِيَّاهُ مَا الَّذِي يَقْصِدُ بِمُخَالَطَتِهِ إِيَّاهُ، إِفْسَادَ مَالِهِ وَأَكْلَهُ بِالْبَاطِلِ، أَمْ إِصْلَاحَهُ وَتَثْمِيرَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَيَعْلَمُ أَيُّكُمُ الْمُرِيدُ إِصْلَاحَ مَالِهِ، مِنَ الْمُرِيدِ إِفْسَادَهُ..

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْۚ﴾ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَحَرَّمَ مَا أَحَلَّهُ لَكُمْ مِنْ مُخَالَطَةِ أَيْتَامِكُمْ بِأَمْوَالِكُمْ أَمْوَالَهُمْ، فَجَهَدَكُمْ ذَٰلِكَ وَشَقَّ عَلَيْكُمْ، وَلَمْ تَقْدِرُوا عَلَىٰ الْقِيَامِ بِاللَّازِمِ لَكُمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالْوَاجِبِ عَلَيْكُمْ فِي ذَٰلِكَ مِنْ فَرْضِهِ، وَلَكِنَّهُ رَخَّصَ لَكُمْ فِيهِ، وَسَهَّلَهُ عَلَيْكُمْ، رَحْمَةً بِكُمْ وَرَأْفَةً..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ فِي سُلْطَانِهِ، لَا يَمْنَعُهُ مَانِعٌ -مِمَّا أَحَلَّ بِكُمْ مِنْ عُقُوبَةٍ- لَوْ أَعْنَتَكُمْ بِمَا يُجْهِدُكُمْ

الْقِيَامُ بِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ، فَقَصَّرْتُمْ فِي الْقِيَامِ بِهِ، وَلَا يَقْدِرُ دَافِعٌ أَنْ يَدْفَعَهُ عَنْ ذَلِكَ وَلَا عَنْ غَيْرِهِ مِمَّا يَفْعَلُهُ بِكُمْ وَبِغَيْرِكُمْ مِنْ ذَلِكَ لَوْ فَعَلَهُ هُوَ، لَكِنَّهُ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ مَنَّ عَلَيْكُمْ بِتَرْكِ تَكْلِيفِهِ إِيَّاكُمْ ذَلِكَ..

﴿حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ [البقرة: ٢٢٠] وَهُوَ حَكِيمٌ فِي ذَلِكَ لَوْ فَعَلَهُ بِكُمْ، وَفِي غَيْرِهِ مِنْ أَحْكَامِهِ، وَتَدْبِيرِهِ لَا يَدْخُلُ أَفْعَالَهُ خَلَلٌ وَلَا نَقْصٌ وَلَا وَهْيٌ وَلَا عَيْبٌ؛ لِأَنَّهُ فِعْلُ ذِي الْحِكْمَةِ الَّذِي لَا يَجْهَلُ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ، فَيَدْخُلُ تَدْبِيرَهُ مَذَمَّةُ عَاقِبَةٍ، كَمَا يَدْخُلُ ذَلِكَ أَفْعَالَ الْخَلْقِ لِجَهْلِهِمْ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ، لِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ فِيهَا ابْتِدَاءً.

> ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾
>
> [البقرة: ٢٢١].

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ فَيُصَدِّقْنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ..

﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدَ اللهِ..

﴿خَيْرٌ﴾ عِنْدَ اللهِ، وَأَفْضَلُ..

﴿مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ مِنْ حُرَّةٍ مُشْرِكَةٍ كَافِرَةٍ، وَإِنْ شَرُفَ نَسَبُهَا وَكَرُمَ أَصْلُهَا.. يَقُولُ: وَلَا تَبْتَغُوا الْمُنَاكِحَ فِي ذَوَاتِ الشَّرَفِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ، فَإِنَّ الْإِمَاءَ الْمُسْلِمَاتِ عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مَنْكَحًا مِنْهُنَّ..

﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ وَإِنْ أَعْجَبَتْكُمُ الْمُشْرِكَةُ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الْجَمَالِ وَالْحَسَبِ وَالْمَالِ فَلَا تَنْكِحُوهَا، فَإِنَّ الْأَمَةَ الْمُؤْمِنَةَ خَيْرٌ عِنْدَ اللهِ مِنْهَا..

﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾ فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْمُؤْمِنَاتِ أَنْ يَنْكِحْنَ مُشْرِكًا، كَائِنًا مَنْ كَانَ الْمُشْرِكُ، مِنْ أَيِّ أَصْنَافِ الشِّرْكِ كَانَ، فَلَا تُنْكِحُوهُنَّ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ فَإِنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ..

﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ وَلَأَنْ تُزَوِّجُوهُنَّ مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ مُصَدِّقٍ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تُزَوِّجُوهُنَّ مِنْ حُرٍّ مُشْرِكٍ وَلَوْ شَرُفَ نَسَبُهُ

وَكَرُمَ أَصْلُهُ، وَإِنْ أَعْجَبَكُمْ حَسَبُهُ، وَنَسَبُهُ.. وهَذَا الْقَوْلُ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ أَوْلِيَاءَ الْمَرْأَةِ أَحَقُّ بِتَزْوِيجِهَا مِنَ الْمَرْأَةِ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مُنَاكَحَتَهُمْ مِنْ رِجَالِ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَنِسَائِهِمْ..

﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ يَدْعُونَكُمْ إِلَىٰ الْعَمَلِ بِمَا يُدْخِلُكُمُ النَّارَ، وَذَلِكَ هُوَ الْعَمَلُ الَّذِي هُمْ بِهِ عَامِلُونَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، فَلَا تَقْبَلُوا مِنْهُمْ مَا يَقُولُونَ، وَلَا تَسْتَنْصِحُوهُمْ، وَلَا تَنْكِحُوهُمْ، وَلَا تُنْكِحُوا إِلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا، وَلَكِنِ اقْبَلُوا مِنَ اللهِ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ، فَاعْمَلُوا بِهِ، وَانْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّهُ يَدْعُوكُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ..

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾ يَدْعُوكُمْ إِلَىٰ الْعَمَلِ بِمَا يُدْخِلُكُمُ الْجَنَّةَ وَيُوجِبُ لَكُمُ النَّجَاةَ إِنْ عَمِلْتُمْ بِهِ مِنَ النَّارِ..

﴿وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾ وَإِلَىٰ مَا يَمْحُو خَطَايَاكُمْ أَوْ ذُنُوبَكُمْ فَيَعْفُو عَنْهَا، وَيَسْتُرُهَا عَلَيْكُمْ..

﴿بِإِذْنِهِۦۖ﴾ فَإِنَّهُ يَدْعُوكُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ بِإِعْلَامِهِ إِيَّاكُمْ سَبِيلَهُ وَطَرِيقَهُ الَّذِي بِهِ الْوُصُولُ إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ..

﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾ وَيُوضِحُ حُجَجَهُ وَأَدِلَّتَهُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ لِعِبَادِهِ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٢٢١﴾ [البقرة: ٢٢١] لِيَتَذَكَّرُوا فَيَعْتَبِرُوا، وَيُمَيِّزُوا بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ اللَّذَيْنِ أَحَدُهُمَا دُعَاءٌ إِلَىٰ النَّارِ وَالْخُلُودِ فِيهَا، وَالْآخَرُ دُعَاءٌ إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَغُفْرَانِ الذُّنُوبِ، فَيَخْتَارُوا خَيْرَهُمَا لَهُمْ، وَلَمْ يَجْهَلِ التَّمْيِيزَ بَيْنَ هَاتَيْنِ إِلَّا غَبِيُّ الرَّأْيِ، مَدْخُولُ الْعَقْلِ.

> ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة: ٢٢٢].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ وَيَسْأَلُكَ يَا مُحَمَّدُ أَصْحَابُكَ..

﴿عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ﴾ عَنِ الْحَيْضِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ بَيَانِ اللهِ لَهُمْ مَا يَتَبَيَّنُونَ مِنْ أَمْرِهِ، لَا يُسَاكِنُونَ حَائِضًا فِي بَيْتٍ، وَلَا يُؤَاكِلُونَهُنَّ فِي إِنَاءٍ، وَلَا يُشَارِبُونَهُنَّ، فَعَرَّفَهُمُ اللهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الَّذِيَ عَلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ حَيْضِ نِسَائِهِمْ أَنْ يَجْتَنِبُوا جِمَاعَهُنَّ فَقَطْ دُونَ مَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ مُضَاجَعَتِهِنَّ، وَمُؤَاكَلَتِهِنَّ، وَمُشَارَبَتِهِنَّ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُمْ سَأَلُوا عَنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ يَجْتَنِبُونَ إِتْيَانَهُنَّ فِي مَخْرَجِ الدَّمِ وَيَأْتُونَهُنَّ

فِي أَدْبَارِهِنَّ، فَنَهَاهُمُ اللهُ عَنْ أَنْ يَقْرَبُوهُنَّ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُمْ إِذَا تَطَهَّرْنَ مِنْ حَيْضِهِنَّ فِي إِتْيَانِهِنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ بِاعْتِزَالِهِنَّ، وَحَرَّمَ إِتْيَانَهُنَّ فِي أَدْبَارِهِنَّ بِكُلِّ حَالٍ..

﴿قُلْ﴾ لِمَنْ سَأَلَكَ مِنْ أَصْحَابِكَ يَا مُحَمَّدُ عَنِ الْمَحِيضِ..

﴿هُوَ أَذًى﴾ يُوذِي بِهِ مِنْ مَكْرُوهٍ فِيهِ، وَهُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ يُسَمَّىٰ أَذًىٰ لِنَتَنِ رِيحِهِ وَقَذَرِهِ وَنَجَاسَتِهِ، وَهُوَ جَامِعٌ لِمَعَانٍ شَتَّىٰ مِنْ خِلَالِ الْأَذَىٰ غَيْرِ وَاحِدَةٍ..

﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ فَاعْتَزِلُوا جِمَاعَ النِّسَاءِ، وَنِكَاحَهُنَّ فِي مَحِيضِهِنَّ..

﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ وَلَا تَقْرَبُوا النِّسَاءَ فِي حَالِ حَيْضِهِنَّ..

﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ حَتَّىٰ يَنْقَطِعَ عَنْهُنَّ دَمُ الْحَيْضِ ويَغْتَسِلْنَ بِالْمَاءِ؛ لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ حَرَامًا عَلَىٰ الرَّجُلِ أَنْ يَقْرَبَ امْرَأَتَهُ بَعْدَ انْقِطَاعِ دَمِ حَيْضِهَا حَتَّىٰ تَطْهُرَ..

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ فَإِذَا اغْتَسَلْنَ فَتَطَهَّرْنَ بِالْمَاءِ..

﴿فَأْتُوهُنَّ﴾ فَجَامِعُوهُنَّ..

﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ مِنْ قِبَلِ طُهْرِهِنَّ فِي فُرُوجِهُنَّ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي أَذِنَ اللهُ لَكُمْ بِإِتْيَانِهِنَّ، وَذَلِكَ حَالُ طُهْرِهِنَّ وَتَطَهُّرِهِنَّ دُونَ حَالِ حَيْضِهِنَّ..

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ الْمُنِيبِينَ مِنَ الْإِدْبَارِ عَنِ اللهِ وَعَنْ طَاعَتِهِ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ۝﴾ [البقرة: ٢٢٢] مِنَ الْجَنَابَةِ وَالْأَحْدَاثِ لِلصَّلَاةِ، وَالْمُتَطَهِّرَاتِ بِالْمَاءِ مِنَ الْحَيْضِ، وَالنِّفَاسِ، وَالْجَنَابَةِ، وَالْأَحْدَاثِ مِنَ النِّسَاءِ.. وَإِنَّمَا قَالَ: وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ، وَلَمْ يَقُلِ الْمُتَطَهِّرَاتِ، وَإِنَّمَا جَرَىٰ قَبْلَ ذَلِكَ ذِكْرُ التَّطَهُّرِ لِلنِّسَاءِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ بِذِكْرِ الْمُتَطَهِّرِينَ يَجْمَعُ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ، وَلَوْ ذَكَرَ ذَلِكَ بِذِكْرِ الْمُتَطَهِّرَاتِ لَمْ يَكُنْ لِلرِّجَالِ فِي ذَلِكَ حَظٌّ، وَكَانَ لِلنِّسَاءِ خَاصَّةً، فَذَكَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِالذِّكْرِ الْعَامِّ جَمِيعَ عِبَادِهِ الْمُكَلَّفِينَ؛ إِذْ كَانَ قَدْ تَعَبَّدَ جَمِيعَهُمْ بِالتَّطَهُّرِ بِالْمَاءِ، وَإِنِ اخْتَلَفَتِ الْأَسْبَابُ الَّتِي تُوجِبُ التَّطَهُّرَ عَلَيْهِمْ بِالْمَاءِ فِي بَعْضِ الْمَعَانِي وَاتَّفَقَتْ فِي بَعْضٍ.

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [البقرة: ٢٢٣].

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ نِسَاؤُكُمْ مُزْدَرَعُ أَوْلَادِكُمْ..

﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ فَانْكِحُوا مُزْدَرَعَ أَوْلَادِكُمْ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْ وُجُوهِ الْمَأْتَىٰ،

وَالْإِتْيَانُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كِنَايَةٌ عَنِ اسْمِ الْجِمَاعِ، فَأْتُوا مُزْدَرَعَكُمْ كَيْفَ شِئْتُمْ، وَأَيْنَ شِئْتُمْ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِالْحَرْثِ الْمُزْدَرَعِ، وَالْحَرْثُ هُوَ الزَّرْعُ، وَلَكِنَّهُنَّ لَمَّا كُنَّ مِنْ أَسْبَابِ الْحَرْثِ جُعِلْنَ حَرْثًا؛ إِذْ كَانَ مَفْهُومًا مَعْنَى الْكَلَامِ..

﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْۚ﴾ الْخَيْرَ.. وَهُوَ أَمْرٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عِبَادَهُ بِتَقْدِيمِ الْخَيْرِ، وَالصَّالِحِ مِنَ الْأَعْمَالِ لِيَوْمِ مَعَادِهِمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ، عِدَّةً مِنْهُمْ ذَلِكَ لِأَنْفُسِهِمْ عِنْدَ لِقَائِهِ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ، فَإِنَّهُ قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ١١٠].. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ الْأَمْرِ بِالطَّاعَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْۚ﴾ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٞ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْۖ﴾؟! قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يُقْصَدْ بِهِ مَا تَوَهَّمْتَهُ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِهِ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنَ الْخَيْرَاتِ الَّتِي نَدَبْنَاكُمْ إِلَيْهَا بِقَوْلِنَا: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٖ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وَمَا بَعْدَهُ مِنْ سَائِرِ مَا سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأُجِيبُوا عَنْهُ مِمَّا ذَكَرَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، ثُمَّ قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ مَا فِيهِ رُشْدُكُمْ وَهِدَايَتُكُمْ إِلَىٰ مَا يُرْضِي رَبَّكُمْ عَنْكُمْ، فَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمُ الْخَيْرَ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ، وَاتَّخِذُوا عِنْدَهُ بِهِ عَهْدًا لِتَجِدُوهُ لَدَيْهِ إِذَا لَقِيتُمُوهُ فِي مَعَادِكُمْ..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فِي مَعَاصِيهِ أَنْ تَقْرَبُوهَا وَفِي حُدُودِهِ أَنْ تُضَيِّعُوهَا..

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ﴾ لَا مَحَالَةَ، فِي مَعَادِكُمْ، فَمُجَازٍ الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ.. وَهَذَا تَحْذِيرٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عِبَادَهُ أَنْ يَأْتُوا شَيْئًا مِمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ مَعَاصِيهِ، وَتَخْوِيفٌ لَهُمْ عِقَابَهُ عِنْدَ لِقَائِهِ، كَمَا قَدْ بَيَّنَّا قَبْلُ..

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٢٢٣﴾ [البقرة: ٢٢٣] وَهَذَا أَمْرٌ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يُبَشِّرَ مِنْ عِبَادِهِ -بِالْفَوْزِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبِكَرَامَةِ الْآخِرَةِ، وَبِالْخُلُودِ فِي الْجَنَّةِ- مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُحْسِنًا مُؤْمِنًا بِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَبِلِقَائِهِ، مُصَدِّقًا إِيمَانَهُ قَوْلًا بِعَمَلِهِ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ، وَافْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ فَرَائِضِهِ فِيمَا أَلْزَمَهُ مِنْ حُقُوقِهِ، وَبِتَجَنُّبِهِ مَا أَمَرَهُ بِتَجَنُّبِهِ مِنْ مَعَاصِيهِ.

﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةٗ لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٢٤﴾ [البقرة: ٢٢٤].

﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةٗ لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ وَلَا تَجْعَلُوا الْحَلِفَ بِاللهِ حُجَّةً لَكُمْ فِي تَرْكِ فِعْلِ الْخَيْرِ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَلَا تَجْعَلُوا اللهَ قُوَّةً لِأَيْمَانِكُمْ فِي أَنْ لَا تَبَرُّوا، وَلَا تَتَّقُوا، وَلَا تُصْلِحُوا

بَيْنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ فَرَأَىٰ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِمَّا حَلَفَ عَلَيْهِ مِنْ تَرْكِ الْبِرِّ وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، فَلْيَحْنَثْ فِي يَمِينِهِ، وَلْيَبَرَّ، وَلْيَتَّقِ اللهَ، وَلْيُصْلِحْ بَيْنَ النَّاسِ، وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ..

﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ بِفِعْلِ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَفْعَالَ الْخَيْرِ كُلَّهَا مِنَ الْبِرِّ، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ مَعْنَىٰ دُونَ مَعْنًىٰ مِنْ مَعَانِي الْبِرِّ، فَهُوَ عَلَىٰ عُمُومِهِ، وَالْبِرُّ بِذَوِي الْقَرَابَةِ أَحَدُ مَعَانِي الْبِرِّ..

﴿وَتَتَّقُواْ﴾ رَبَّكُمْ فَتَحْذَرُوهُ وَتَحْذَرُوا عِقَابَهُ فِي فَرَائِضِهِ، وَحُدُودِهِ أَنْ تُضَيِّعُوهَا أَوْ تَتَعَدَّوهَا..

﴿وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ بِالْمَعْرُوفِ فِيمَا لَا مَأْثَمَ فِيهِ، وَفِيمَا يُحِبُّهُ اللهُ دُونَ مَا يَكْرَهُهُ.. وَغَيْرُ مُحَالٍ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ بَعْدَ بَيَانِ كَفَّارَاتِ الْأَيْمَانِ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ، وَاكْتُفِي بِذِكْرِهَا هُنَاكَ عَنْ إِعَادَتِهَا هَاهُنَا؛ إِذْ كَانَ الْمُخَاطَبُونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ قَدْ عَلِمُوا الْوَاجِبَ مِنَ الْكَفَّارَاتِ فِي الْأَيْمَانِ الَّتِي يَحْنَثُ فِيهَا الْحَالِفُ..

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِمَا يَقُولُهُ الْحَالِفُ مِنْكُمْ بِاللهِ إِذَا حَلَفَ، فَقَالَ: وَاللهِ لَا أَبَرُّ، وَلَا أَتَّقِي، وَلَا أُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ قِيلِكُمْ وَأَيْمَانِكُمْ..

﴿عَلِيمٌ ٢٢٤﴾ [البقرة: ٢٢٤] بِمَا تَقْصُدُونَ وَتَبْتَغُونَ بِحَلِفِكُمْ ذَلِكَ الْخَيْرَ تُرِيدُونَ أَمْ غَيْرَهُ؛ لِأَنِّي عَلَّامُ الْغُيُوبِ وَمَا تُضْمِرُهُ الصُّدُورُ، لَا تَخْفَىٰ عَلَيَّ خَافِيَةٌ، وَلَا يَنْكَتِمُ عَنِّي أَمْرٌ عُلِنَ فَظَهَرَ أَوْ خَفِيَ فَبَطَنَ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- تَهَدُّدٌ وَوَعِيدٌ؛ يَقُولُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: وَاتَّقُونِ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تُظْهِرُوا بِأَلْسِنَتِكُمْ مِنَ الْقَوْلِ، أَوْ بِأَبْدَانِكُمْ مِنَ الْفِعْلِ، مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، أَوْ تُضْمِرُوا فِي أَنْفُسِكُمْ وَتَعْزِمُوا بِقُلُوبِكُمْ مِنَ الْإِرَادَاتِ وَالنِّيَّاتِ فِعْلَ مَا زَجَرْتُكُمْ عَنْهُ، فَتَسْتَحِقُّوا بِذَلِكَ مِنِّي الْعُقُوبَةَ الَّتِي قَدْ عَرَّفْتُكُمُوهَا، فَإِنِّي مُطَّلِعٌ عَلَىٰ جَمِيعِ مَا تُعْلِنُونَهُ أَوْ تُسِرُّونَهُ.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ٢٢٥﴾

[البقرة: ٢٢٥].

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ اللَّغْوُ مِنَ الْكَلَامِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كُلُّ كَلَامٍ كَانَ مَذْمُومًا، وَفِعْلًا لَا مَعْنَىٰ لَهُ مَهْجُورًا.. فَإِذَا كَانَ اللَّغْوُ مَا وَصَفْتُ، وَكَانَ الْحَالِفُ بِاللهِ مَا فَعَلْتُ كَذَا وَقَدْ فَعَلَ، وَلَقَدْ فَعَلْتُ كَذَا وَمَا فَعَلَ، وَاصِلًا بِذَلِكَ كَلَامَهُ عَلَىٰ سَبِيلِ سُبُوقِ لِسَانِهِ مِنْ غَيْرِ تَعَمُّدِ إِثْمٍ فِي يَمِينِهِ، وَلَكِنْ لِعَادَةٍ قَدْ جَرَتْ لَهُ عِنْدَ عَجَلَةِ الْكَلَامِ، وَالْقَائِلُ: وَاللهِ إِنَّ هَذَا لَفُلَانٌ، وَهُوَ يَرَاهُ كَمَا قَالَ، أَوْ وَاللهِ مَا هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ يَرَاهُ لَيْسَ بِهِ، وَالْقَائِلُ: لَيَفْعَلَنَّ كَذَا وَاللهِ، أَوْ لَا يَفْعَلُ كَذَا وَاللهِ،

عَلَىٰ سَبِيلِ مَا وَصَفْنَا مِنْ عَجَلَةِ الْكَلَامِ، وَسُبُوقِ اللِّسَانِ لِلْعَادَةِ، عَلَىٰ غَيْرِ تَعَمُّدِ حَلِفٍ عَلَىٰ بَاطِلٍ، وَالْقَائِلُ هُوَ مُشْرِكٌ أَوْ هُوَ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ كَذَا، أَوْ إِنْ فَعَلَ كَذَا مِنْ غَيْرِ عَزْمٍ عَلَىٰ كُفْرٍ، أَوْ يَهُودِيَّةٍ أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ؛ جَمِيعُهُمْ قَائِلُونَ هُجْرًا مِنَ الْقَوْلِ، وَذَمِيمًا مِنَ الْمَنْطِقِ، وَحَالِفُونَ مِنَ الْأَيْمَانِ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَمْ تَتَعَمَّدْ فِيهِ الْإِثْمَ قُلُوبُهُمْ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُمْ لُغَاةٌ فِي أَيْمَانِهِمْ لَا تَلْزَمُهُمْ كَفَّارَةٌ فِي الْعَاجِلِ، وَلَا عُقُوبَةٌ فِي الْآجِلِ لِإِخْبَارِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّهُ غَيْرُ مُؤَاخِذٍ عِبَادَهُ بِمَا لَغَوْا مِنْ أَيْمَانِهِمْ، وَأَنَّ الَّذِي هُوَ مُؤَاخِذُهُمْ بِهِ مَا تَعَمَّدَتْ فِيهِ الْإِثْمَ قُلُوبُهُمْ.. فَإِنَّ اللهَ لَا يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا لَغَتْهُ أَلْسِنَتُكُمْ مِنْ أَيْمَانِكُمْ، فَنَطَقَتْ بِهِ مِنْ قَبِيحِ الْأَيْمَانِ وَذَمِيمِهَا، عَلَىٰ غَيْرِ تَعَمُّدِكُمُ الْإِثْمَ وَقَصْدِكُمْ بِعَزَائِمِ صُدُورِكُمْ إِلَىٰ إِيجَابِ عَقْدِ الْأَيْمَانِ الَّتِي حَلَفْتُمْ بِهَا، وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا تَعَمَّدْتُمْ فِيهِ عَقْدَ الْيَمِينِ وَإِيجَابِهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَعَزَمْتُمْ عَلَىٰ الْإِتْمَامِ عَلَىٰ مَا حَلَفْتُمْ عَلَيْهِ بِقَصْدٍ مِنْكُمْ وَإِرَادَةٍ، فَيَلْزَمُكُمْ حِينَئِذٍ إِمَّا كَفَّارَةٌ فِي الْعَاجِلِ، وَإِمَّا عُقُوبَةٌ فِي الْآجِلِ..

﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَوْعَدَ عِبَادَهُ أَنْ يُؤَاخِذَهُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُهُمْ مِنَ الْأَيْمَانِ، فَالَّذِي تَكْسِبُهُ قُلُوبُهُمْ مِنَ الْأَيْمَانِ، هُوَ مَا قَصَدَتْهُ وَعَزَمَتْ عَلَيْهِ عَلَىٰ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ مِنْهَا بِمَا تَقْصِدُهُ وَتُرِيدُهُ، وَذَلِكَ يَكُونُ مِنْهَا عَلَىٰ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَلَىٰ وَجْهِ الْعَزْمِ عَلَىٰ مَا يَكُونُ بِهِ الْعَازِمُ عَلَيْهِ فِي حَالِ عَزْمِهِ بِالْعَزْمِ عَلَيْهِ آثِمًا، وَبِفِعْلِهِ مُسْتَحِقًّا الْمُؤَاخَذَةَ مِنَ اللهِ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ كَالْحَالِفِ عَلَىٰ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَفْعَلْهُ أَنَّهُ قَدْ فَعَلَهُ، وَعَلَىٰ الشَّيْءِ الَّذِي قَدْ فَعَلَهُ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْهُ، قَاصِدًا لِقِيلِ الْكَذِبِ، وَذَاكِرًا أَنَّهُ قَدْ فَعَلَ مَا حَلَفَ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْهُ، أَوْ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ مَا حَلَفَ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ فَعَلَ، فَيَكُونُ الْحَالِفُ بِذَلِكَ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ فِي مَشِيئَةِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ شَاءَ وَاخَذَهُ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ بِتَفَضُّلِهِ، وَلَا كَفَّارَةَ عَلَيْهِ فِيهَا فِي الْعَاجِلِ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ الَّتِي يَحْنَثُ فِيهَا، وَإِنَّمَا الْكَفَّارَةُ تَجِبُ فِي الْأَيْمَانِ بِالْحِنْثِ فِيهَا، وَالْحَالِفُ الْكَاذِبُ فِي يَمِينِهِ لَيْسَتْ يَمِينُهُ مِمَّا يَتَبَدَّأُ فِيهِ الْحِنْثُ فَتَلْزَمُ فِيهِ الْكَفَّارَةُ.. وَالْوَجْهُ الْآخَرُ مِنْهُمَا: عَلَىٰ وَجْهِ الْعَزْمِ عَلَىٰ إِيجَابِ عَقْدِ الْيَمِينِ فِي حَالِ عَزْمِهِ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَذَلِكَ مِمَّا لَا يُؤَاخَذُ بِهِ صَاحِبُهُ حَتَّىٰ يَحْنَثَ فِيهِ بَعْدَ حَلِفِهِ، فَإِذَا حَنِثَ فِيهِ بَعْدَ حَلِفِهِ كَانَ مُؤَاخَذًا بِمَا كَانَ اكْتَسَبَهُ قَلْبُهُ مِنَ الْحَلِفِ بِاللهِ عَلَىٰ إِثْمٍ، وَكَذِبٍ فِي الْعَاجِلِ بِالْكَفَّارَةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ كَفَّارَةً لِذَنْبِهِ..

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِعِبَادِهِ فِيمَا لَغَوْا مِنْ أَيْمَانِهِمُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّهُ لَا يُؤَاخِذُهُمْ بِهَا، وَلَوْ شَاءَ وَاخَذَهُمْ بِهَا، وَلَمَّا وَاخَذَهُمْ بِهَا فَكَفَّرُوهَا فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا بِالتَّكْفِيرِ فِيهِ، وَلَوْ شَاءَ وَاخَذَهُمْ فِي آجِلِ

الْآخِرَةِ بِالْعُقُوبَةِ عَلَيْهِ، فَسَاتِرٌ عَلَيْهِمْ فِيهَا، وَصَافِحٌ لَهُمْ بِعَفْوِهِ عَنِ الْعُقُوبَةِ فِيهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ..

﴿حَلِيمٌ ۝﴾ [البقرة: ٢٢٥] فِي تَرْكِهِ مُعَاجَلَةَ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ الْعُقُوبَةَ عَلَىٰ مَعَاصِيهِمْ.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ [البقرة: ٢٢٦].

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾ لِلَّذِينَ يُقْسِمُونَ..

﴿مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ أَنْ يَعْتَزِلُوا مِنْ نِسَائِهِمْ..

﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ وَهِيَ الْمُدَّةِ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لِلمُؤْلِي تَرَبُّصَهَا، قَائِلًا فِي غَضَبٍ كَانَ ذَلِكَ أَوْ رِضًا..

﴿فَإِن فَآءُو﴾ فَإِنْ رَجَعُوا إِلَىٰ تَرْكِ مَا حَلَفُوا عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلُوهُ بِهِنَّ مِنْ تَرْكِ جِمَاعِهِنَّ فَجَامَعُوهُنَّ وَحَنِثُوا فِي أَيْمَانِهِمْ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِلْمُؤْلِينَ مِنْ نِسَائِهِمْ فِيمَا حَنِثُوا فِيهِ مِنْ إِيلَائِهِمْ، فَإِنَّ فَاءُوا فَكَفَّرُوا أَيْمَانَهُمْ بِمَا أَلْزَمَ اللهُ الْحَانِثِينَ فِي أَيْمَانِهِمْ مِنَ الْكَفَّارَةِ، لِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْكَذِبِ فِي أَيْمَانِهِمْ، بِأَنْ لَا يَأْتُوهُنَّ ثُمَّ أَتَوْهُنَّ، وَلِمَا سَلَفَ مِنْهُمْ إِلَيْهِنَّ مِنَ الْيَمِينِ عَلَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْ يَحْلِفُوا عَلَيْهِ، فَحَلَفُوا عَلَيْهِ..

﴿رَّحِيمٌ ۝﴾ [البقرة: ٢٢٦] بِهِمْ وَبِغَيْرِهِمْ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، بِإِسْقَاطِهِ عَنْهُمُ الْعُقُوبَةَ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ عَلَىٰ ذَلِكَ، بِتَكْفِيرِهِ إِيَّاهُ بِمَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْجَزَاءِ وَالْكَفَّارَةِ، وَبِمَا جُعِلَ لَهُمْ مِنَ الْمَهْلِ الْأَشْهُرَ الْأَرْبَعَةَ، فَلَمْ يَجْعَلْ فِيهَا لِلْمَرْأَةِ الَّتِي آلَىٰ مِنْهَا زَوْجُهَا مَا جُعِلَ لَهَا بَعْدَ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ.

﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝﴾ [البقرة: ٢٢٧].

﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ يُؤْلُونَ وَتَرَكُوا الْفَيْءَ إِلَيْهِنَّ فِي الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَهُمُ التَّرَبُّصَ فِيهِنَّ حَتَّىٰ يَنْقَضِينَ، طُلِّقَ مِنْهُمْ نِسَاؤُهُمُ اللَّاتِي آلُوا مِنْهُنَّ بِمُضِيِّهِنَّ، وَمُضِيُّهُنَّ هُوَ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ عَزْمِ الْمُؤْلِي عَلَىٰ طَلَاقِ امْرَأَتِهِ الَّتِي آلَىٰ مِنْهَا..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِطَلَاقِهِمْ إِذَا طَلَّقُوا..

﴿عَلِيمٌ ۝﴾ [البقرة: ٢٢٧] بِمَا أَتَوْا إِلَيْهِنَّ مِمَّا يَحِلُّ لَهُمْ، وَيَحْرُمُ عَلَيْهِمْ.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٢٨﴾ [البقرة: ٢٢٨].

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾ اللَّوَاتِي طُلِّقْنَ بَعْدَ ابْتِنَاءِ أَزْوَاجِهِنَّ بِهِنَّ، وَإِفْضَائِهِمْ إِلَيْهِنَّ إِذَا كُنَّ ذَوَاتِ حَيْضٍ، وَطُهْرٍ..

﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ التَّرَبُّصُ هُوَ التَّوَقُّفُ عَنِ النِّكَاحِ، وَحَبْسُ النَّفْسِ عَنْهُ..

﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ عَنْ نِكَاحِ الْأَزْوَاجِ..

﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ﴾ يُقَالُ: أَقْرَأَتِ الْمَرْأَةُ: إِذَا صَارَتْ ذَاتَ حِيَضٍ، وَطُهْرٍ.. وَلِذَلِكَ سُمَّىٰ بَعْضُ الْعَرَبِ وَقْتَ مَجِيءِ الْحَيْضِ قُرْءًا، إِذَا كَانَ دَمًا يُعْتَادُ ظُهُورُهُ مِنْ فَرْجِ الْمَرْأَةِ فِي وَقْتٍ، وَكُمُونُهُ فِي آخَرَ، فَسُمِّيَ وَقْتُ مَجِيئِهِ قُرْءًا.. وَسَمَّىٰ آخَرُونَ مِنَ الْعَرَبِ وَقْتَ مَجِيءِ الطُّهْرِ قُرْءًا، إِذْ كَانَ وَقْتُ مَجِيئِهِ وَقْتًا لِإِدْبَارِ الدَّمِ دَمِ الْحَيْضِ، وَإِقْبَالِ الطُّهْرِ الْمُعْتَادِ مَجِيئُهُ لِوَقْتٍ مَعْلُومٍ.. وَلِمَا وَصَفْنَا مِنْ مَعْنَىٰ الْقُرْءِ أَشْكَلَ تَأْوِيلُ قَوْلِ اللهِ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ﴾ عَلَىٰ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: فَرَأَىٰ بَعْضُهُمْ أَنَّ الَّذِي أُمِرَتْ بِهِ الْمَرْأَةُ الْمُطَلَّقَةُ ذَاتُ الْأَقْرَاءِ مِنَ الْأَقْرَاءِ أَقْرَاءُ الْحَيْضِ، وَذَلِكَ وَقْتَ مَجِيئِهِ لِعَادَتِهِ الَّتِي تَجِيءُ فِيهِ، فَأَوْجَبَ عَلَيْهَا تَرَبُّصَ ثَلَاثِ حِيَضٍ بِنَفْسِهَا عَنْ خِطْبَةِ الْأَزْوَاجِ، وَرَأَىٰ آخَرُونَ أَنَّ الَّذِيَ أُمِرَتْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ أَقْرَاءُ الطُّهْرِ، وَذَلِكَ وَقْتَ مَجِيئِهِ لِعَادَتِهِ الَّتِي تَجِيءُ فِيهِ، فَأَوْجَبَ عَلَيْهَا تَرَبُّصَ ثَلَاثِ أَطْهَارٍ.. فَإِذْ كَانَ مَعْنَىٰ الْقُرْءِ مَا وَصَفْنَا لِمَا بَيَّنَّا، وَكَانَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ أَمَرَ الْمُرِيدَ بِطَلَاقِ امْرَأَتِهِ أَنْ لَا يُطَلِّقَهَا إِلَّا طَاهِرًا غَيْرَ مُجَامَعَةٍ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ طَلَاقَهَا حَائِضًا، كَانَ اللَّازِمُ لِلْمُطَلَّقَةِ الْمَدْخُولِ بِهَا إِذَا كَانَتْ ذَاتَ أَقْرَاءٍ أَنْ تَنْظُرَ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ قُرُوءٍ بَيْنَ طُهْرَيْ كُلِّ قُرْءٍ مِنْهُنَّ قُرْءٌ لَهُ خِلَافُ مَا احْتَسَبَتْهُ لِنَفْسِهَا قُرُوءًا تَتَرَبَّصُهُنَّ، فَإِذَا انْقَضَيْنَ فَقَدْ حَلَّتْ لِلْأَزْوَاجِ، وَانْقَضَتْ عِدَّتُهَا، وَتَبَيَّنَ -إِذًا إِذْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا- أَنَّ الْقُرْءَ الثَّالِثَ مِنْ أَقْرَائِهَا هُوَ الطُّهْرُ الثَّالِثُ، وَأَنَّ بِانْقِضَائِهِ وَمَجِيءِ قُرْءِ الْحَيْضِ الَّذِي يَتْلُوهُ، انْقِضَاءُ عِدَّتِهَا، فَالْأَقْرَاءُ الَّتِي هِيَ أَقْرَاءُ الْحَيْضِ بَيْنَ طُهْرَيْ أَقْرَاءِ الطُّهْرِ غَيْرُ مُحْتَسِبَةٍ مِنْ أَقْرَاءِ الْمُتَرَبِّصَةِ بِنَفْسِهَا بَعْدَ الطَّلَاقِ؛ لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَنَّ الْأَقْرَاءَ الَّتِي أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهَا تَرَبُّصَهُنَّ ثَلَاثَةُ قُرُوءٍ، بَيْنَ كُلِّ قُرْءٍ مِنْهُنَّ أَوْقَاتٌ مُخَالِفَاتُ الْمَعْنَىٰ لِأَقْرَائِهَا الَّتِي تَتَرَبَّصُهُنَّ..

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ خَطَأِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ امْرَأَةَ الْمُؤْلَىٰ الَّتِي آلَىٰ مِنْهَا تَحِلُّ لِلْأَزْوَاجِ بِانْقِضَاءِ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ إِذَا كَانَتْ قَدْ حَاضَتْ ثَلَاثَ حِيَضٍ فِي الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِنَّمَا أَوْجَبَ عَلَيْهَا الْعِدَّةَ بَعْدَ عَزْمِ الْمُؤْلِي عَلَىٰ طَلَاقِهَا، وَإِيقَاعِ الطَّلَاقِ بِهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٢٧ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨-٢٢٩] فَأَوْجَبَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَلَىٰ الْمَرْأَةِ إِذَا صَارَتْ مُطَلَّقَةً تَرَبُّصَ ثَلَاثَةِ قُرُوءٍ، فَمَعْلُومٌ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ مُطَلَّقَةً يَوْمَ آلَىٰ مِنْهَا زَوْجُهَا لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ الْإِيلَاءَ لَيْسَ بِطَلَاقٍ مُوجِبٍ عَلَىٰ الْمُؤْلِي مِنْهَا الْعِدَّةَ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَالْعِدَّةُ إِنَّمَا تَلْزَمُهَا بَعْدُ لِلطَّلَاقِ، وَالطَّلَاقُ إِنَّمَا يَلْحَقُهَا بِمَا قَدْ بَيَّنَّاهُ قَبْلُ..

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ الَّذِي نُهِيَتِ الْمَرْأَةُ الْمُطَلَّقَةُ عَنْ كِتْمَانِهِ زَوْجَهَا الْمُطَلِّقَهَا تَطْلِيقَةً أَوْ تَطْلِيقَتَيْنِ مِمَّا خَلَقَ اللهُ فِي رَحِمِهَا: الْحَيْضُ وَالْحَبَلُ؛ لِأَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْجَمِيعِ أَنَّ الْعِدَّةَ تَنْقَضِي بِوَضْعِ الْوَلَدِ الَّذِي خَلَقَ اللهُ فِي رَحِمِهَا، كَمَا تَنْقَضِي بِالدَّمِ إِذَا رَأَتْهُ بَعْدَ الطُّهْرِ الثَّالِثِ فِي قَوْلِ مَنْ قَالَ: الْقُرْءُ: الطُّهْرُ، وَفِي قَوْلِ مَنْ قَالَ: هُوَ الْحَيْضُ إِذَا انْقَطَعَ مِنَ الْحَيْضَةِ الثَّالِثَةِ فَتَطَهَّرَتْ بِالِاغْتِسَالِ..

﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ لِأَنَّ كِتْمَانَ الْمَرْأَةِ الْمُطَلَّقَةِ زَوْجَهَا الْمُطَلِّقَهَا مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي رَحِمِهَا مِنْ حَيْضٍ وَوَلَدٍ فِي أَيَّامِ عِدَّتِهَا مِنْ طَلَاقِهِ ضِرَارًا لَهُ، لَيْسَ مِنْ فِعْلِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَا مِنْ أَخْلَاقِهِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنَ النِّسَاءِ الْكَوَافِرِ، فَلَا تَتَخَلَّقْنَ أَيَّتُهَا الْمُؤْمِنَاتُ بِأَخْلَاقِهِنَّ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَحِلُّ لَكِنْ إِنْ كُنْتُنَّ تُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَكُنْتُنَّ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ، بَلِ الْوَاجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ لَزِمَتْهُ فَرَائِضُ اللهِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَهُنَّ أَقْرَاءٌ إِذَا طُلِّقَتْ بَعْدَ الدُّخُولِ بِهَا فِي عِدَّتِهَا أَنْ لَا تَكْتُمَ زَوْجَهَا مَا خَلَقَ اللهُ فِي رَحِمِهَا مِنَ الْحَيْضِ، وَالْحَبَلِ..

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ وَأَزْوَاجُ الْمُطَلَّقَاتِ اللَّاتِي فَرَضْنَا عَلَيْهِنَّ أَنْ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ، وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ..

﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ أَحَقُّ وَأَوْلَىٰ بِرَدِّهِنَّ إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ..

﴿فِى ذَٰلِكَ﴾ فِي حَالِ تَرَبُّصِهِنَّ إِلَىٰ الْأَقْرَاءِ الثَّلَاثَةِ وَأَيَّامِ الْحَبَلِ، وَارْتِجَاعِهِنَّ إِلَىٰ حِبَالِهِنَّ مِنْهُمْ بِأَنْفُسِهِنَّ أَنْ يَمْنَعَهُنَّ مِنْ أَنْفُسِهِنَّ ذَلِكَ..

﴿إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَىٰ، فَغَيْرُ جَائِزٍ -إِذَا أَرَادَ ضِرَارَهَا بِالرَّجْعَةِ لَا إِصْلَاحَ أَمْرِهَا وَأَمْرِهِ- مُرَاجَعَتُهَا.. وَأَمَّا فِي الْحُكْمِ فَإِنَّهُ مَقْضِيٌّ لَهُ عَلَيْهَا بِالرَّجْعَةِ، نَظِيرَ مَا حَكَمْنَا

عَلَيْهِ بِبُطُولِ رَجْعَتِهِ عَلَيْهَا لَوْ كَتَمَتْهُ حَمْلَهَا الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ فِي رَحِمِهَا، أَوْ حَيْضِهَا حَتَّىٰ انْقَضَتْ عِدَّتُهَا ضِرَارًا مِنْهَا لَهُ، وَقَدْ نَهَىٰ اللهُ عَنْ كِتْمَانِهِ ذَلِكَ، فَكَانَ سَوَاءً فِي الْحُكْمِ فِي بُطُولِ رَجْعَةِ زَوْجِهَا عَلَيْهَا، وَقَدْ أَثِمَتْ فِي كِتْمَانِهَا إِيَّاهُ مَا كَتَمَتْهُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّىٰ انْقَضَتْ عِدَّتُهَا هِيَ، وَالَّتِي أَطَاعَتِ اللهَ بِتَرْكِهَا كِتْمَانَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَإِنِ اخْتَلَفَا فِي طَاعَةِ اللهِ فِي ذَلِكَ وَمَعْصِيَتِهِ، فَكَذَلِكَ الْمُرَاجِعُ زَوْجَتَهُ الْمُطَلَّقَةَ وَاحِدَةً أَوْ ثِنْتَيْنِ بَعْدَ الْإِفْضَاءِ إِلَيْهَا وَهُمَا حُرَّانِ، وَإِنْ أَرَادَ ضِرَارَ الْمُرَاجَعَةِ بِرَجْعَتِهِ فَمَحْكُومٌ لَهُ بِالرَّجْعَةِ وَإِنْ كَانَ آثِمًا بِرَأْيِهِ فِي فِعْلِهِ وَمُقْدِمًا عَلَىٰ مَا لَمْ يُبِحْهُ اللهُ لَهُ، وَاللهُ وَلِيُّ مُجَازَاتِهِ فِيمَا أَتَىٰ مِنْ ذَلِكَ.. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أَبْيَنُ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ صِحَّةِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُؤْلِيَ إِذَا عَزَمَ الطَّلَاقَ فَطَلَّقَ امْرَأَتَهُ الَّتِي آلَىٰ مِنْهَا أَنَّ لَهُ عَلَيْهَا الرَّجْعَةَ فِي طَلَاقِهِ ذَلِكَ، وَعَلَىٰ فَسَادِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ مُضِيَّ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ عَزْمُ الطَّلَاقِ، وَأَنَّهُ تَطْلِيقَةٌ بَائِنَةٌ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِنَّمَا أَعْلَمَ عِبَادَهُ مَا يَلْزَمُهُمْ إِذَا آلَوْا مِنْ نِسَائِهِمْ، وَمَا يَلْزَمُ النِّسَاءَ مِنَ الْأَحْكَامِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِإِيلَاءِ الرِّجَالِ وَطَلَاقِهِمْ، إِذَا عَزَمُوا ذَلِكَ وَتَرَكُوا الْفَيْءَ..

﴿وَلَهُنَّ﴾ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ وَاحِدَةً أَوْ ثِنْتَيْنِ بَعْدَ الْإِفْضَاءِ إِلَيْهِنَّ..

﴿مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فَكَمَا أَنَّ عَلَىٰ بُعُولَتِهِنَّ أَنْ لَا يُرَاجِعُوهُنَّ ضِرَارًا فِي أَقْرَائِهِنَّ الثَّلَاثَةِ إِذَا أَرَادُوا رَجْعَتَهُنَّ فِيهِ إِلَّا أَنْ يُرِيدُوا إِصْلَاحَ أَمْرِهِنَّ وَأَمْرِهِمْ فَلَا يُرَاجِعُوهُنَّ ضِرَارًا، كَمَا عَلَيْهِنَّ لَهُمْ إِذَا أَرَادُوا رَجْعَتَهُنَّ فِيهِنَّ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ مِنَ الْوَلَدِ، وَدَمِ الْحَيْضِ ضِرَارًا مِنْهُنَّ لَهُمْ لِيَفُتْنَهُمْ بِأَنْفُسِهِنَّ، ذَلِكَ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- نَهَىٰ الْمُطَلَّقَاتِ عَنْ كِتْمَانِ أَزْوَاجِهِنَّ فِي أَقْرَائِهِنَّ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَجَعَلَ أَزْوَاجَهُنَّ أَحَقَّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا، فَحَرَّمَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُضَارَّةَ صَاحِبِهِ، وَعَرَّفَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ عَقَّبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فَبَيَّنَ أَنَّ الَّذِي عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ مِنْ تَرْكِ مُضَارَّتِهِ مِثْلُ الَّذِي لَهُ عَلَىٰ صَاحِبِهِ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ تِلْكَ الدَّرَجَةُ الَّتِي لَهُ عَلَيْهَا، إِفْضَالُهُ عَلَيْهَا، وَأَدَاءُ حَقِّهَا إِلَيْهَا، وَصَفْحُهُ عَنِ الْوَاجِبِ لَهُ عَلَيْهَا، أَوْ عَنْ بَعْضِهِ.. وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَالَ: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾، عُقَيْبَ قَوْلِهِ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فَأَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّ عَلَىٰ الرَّجُلِ مِنْ تَرْكِ ضِرَارِهَا فِي مُرَاجَعَتِهِ إِيَّاهَا فِي أَقْرَائِهَا الثَّلَاثَةِ وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهَا، وَحُقُوقِهَا مِثْلُ الَّذِي لَهُ عَلَيْهَا مِنْ تَرْكِ ضِرَارِهِ فِي كِتْمَانِهَا إِيَّاهُ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حُقُوقِهِ، ثُمَّ نَدَبَ الرِّجَالَ إِلَىٰ

الْأَخْذِ عَلَيْهِنَّ بِالْفَضْلِ إِذَا تَرَكْنَ أَدَاءَ بَعْضِ مَا أَوْجَبَ اللهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ، فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ بِتَفَضُّلِهِمْ عَلَيْهِنَّ، وَصَفْحِهِمْ لَهُنَّ عَنْ بَعْضِ الْوَاجِبِ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ، وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَىٰ الَّذِي قَصَدَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، بِقَوْلِهِ: (مَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنْظِفَ جَمِيعَ حَقِّي عَلَيْهَا)؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- يَقُولُ: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾.. وَمَعْنَىٰ الدَّرَجَةِ: الرُّتْبَةُ، وَالْمَنْزِلَةُ.. وَهَذَا الْقَوْلُ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-، وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ ظَاهِرَ الْخَبَرِ، فَمَعْنَاهُ مَعْنَىٰ نَدْبِ الرِّجَالِ إِلَىٰ الْأَخْذِ عَلَىٰ النِّسَاءِ بِالْفَضْلِ لِيَكُونَ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ فَضْلُ دَرَجَةٍ..

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، وَتَعَدَّىٰ حُدُودَهُ، فَأَتَىٰ النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ، وَجَعَلَ اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِهِ أَنْ يَبَرَّ وَيَتَّقِيَ وَيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَعَضَلَ امْرَأَتَهُ بِإِيلَائِهِ، وَضَارَّهَا فِي مُرَاجَعَتِهِ بَعْدَ طَلَاقِهِ، وَلِمَنْ كَتَمَ مِنَ النِّسَاءِ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ أَزْوَاجَهُنَّ، وَنَكَحْنَ فِي عِدَدِهِنَّ، وَتَرَكْنَ التَّرَبُّصَ بِأَنْفُسِهِنَّ إِلَىٰ الْوَقْتِ الَّذِي حَدَّهُ اللهُ لَهُنَّ، وَرَكِبْنَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَعَاصِيهِ..

﴿حَكِيمٌ ۝٢٢٨﴾ [البقرة: ٢٢٨] فِيمَا دَبَّرَ فِي خَلْقِهِ، وَفِيمَا حَكَمَ وَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ مِنْ أَحْكَامِهِ.. وَإِنَّمَا تَوَعَّدَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِهَذَا الْقَوْلِ عِبَادَهُ لِتَقْدِيمِهِ قَبْلَ ذَلِكَ بَيَانَ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ أَوْ نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنَ ابْتِدَاءِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِالْوَعِيدِ لِيَزْدَجِرَ أُولُو النُّهَىٰ، وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْحِجَا، فَيَتَّقُوا عِقَابَهُ، وَيَحْذَرُوا عَذَابَهُ.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٢٩﴾ [البقرة: ٢٢٩].

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ عَدَدُ الطَّلَاقِ الَّذِي لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِيهِ عَلَىٰ أَزْوَاجِكُمُ الرَّجْعَةُ إِذَا كُنَّ مَدْخُولًا بِهِنَّ تَطْلِيقَتَانِ، ثُمَّ الْوَاجِبُ عَلَىٰ مَنْ رَاجَعَ مِنْكُمْ بَعْدَ التَّطْلِيقَتَيْنِ إِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ؛ لِأَنَّهُ لَا رَجْعَةَ لَهُ بَعْدَ التَّطْلِيقَتَيْنِ إِنْ سَرَّحَهَا فَطَلَّقَهَا الثَّالِثَةَ.. وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَالَ فِي الْآيَةِ الَّتِي تَتْلُوهَا: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، فَعَرَّفَ عِبَادَهُ الْقَدْرَ الَّذِي بِهِ تُحَرَّمُ الْمَرْأَةُ عَلَىٰ زَوْجِهَا إِلَّا بَعْدَ زَوْجٍ..

﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ﴾ ثُمَّ الْأَمْرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا رَاجَعُوهُنَّ فِي الثَّانِيَةِ، إِمَّا إِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ..

﴿أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ وَإِمَّا تَسْرِيحٌ مِنْهُمْ لَهُنَّ بِإِحْسَانٍ بِالتَّطْلِيقَةِ الثَّالِثَةِ حَتَّىٰ تَبِينَ مِنْهُمْ، فَتَبْطُلَ

مَا كَانَ لَهُنَّ عَلَيْهِنَّ مِنَ الرَّجْعَةِ وَيَصِرْنَ أَمْلَكَ لِأَنْفُسِهِنَّ مِنْهُنَّ، فَيُسَرِّحُهَا وَلَا يَظْلِمُهَا مِنْ حَقِّهَا شَيْئًا، فَلَا يُؤْذِيهَا، وَلَا يَشْتِمَهَا..

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أَيُّهَا الرِّجَالُ..

﴿أَن تَأْخُذُوا۟﴾ مِنْ نِسَائِكُمْ إِذَا أَنْتُمْ أَرَدْتُمْ طَلَاقَهُنَّ بِطَلَاقِكُمْ وَفِرَاقِكُمْ إِيَّاهُنَّ..

﴿مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ مِمَّا أَعْطَيْتُمُوهُنَّ مِنَ الصَّدَاقِ، وَسُقْتُمْ إِلَيْهِنَّ، بَلِ الْوَاجِبُ عَلَيْكُمْ تَسْرِيحُهُنَّ بِإِحْسَانٍ، وَذَلِكَ إِيفَاؤُهُنَّ حُقُوقَهُنَّ مِنَ الصَّدَاقِ، وَالْمُتْعَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَجِبُ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ..

﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ فَلَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَخْذُ الْفِدْيَةِ مِنَ امْرَأَتِهِ عَلَىٰ فِرَاقِهِ إِيَّاهَا، حَتَّىٰ يَكُونَ خَوْفُ مَعْصِيَةِ اللهِ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ نَفْسِهِ فِي تَفْرِيطِهِ فِي الْوَاجِبِ عَلَيْهِ لِصَاحِبِهِ مِنْهُمَا جَمِيعًا؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِنَّمَا أَبَاحَ لِلزَّوْجِ أَخْذَ الْفِدْيَةِ مِنَ امْرَأَتِهِ عِنْدَ خَوْفِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ فِي نُشُوزِهَا عَلَيْهِ دَاعِيَةً لَهُ إِلَىٰ التَّقْصِيرِ فِي وَاجِبِهَا وَمُجَازَاتِهَا بِسُوءِ فِعْلِهَا بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْمَعْنَىٰ الَّذِي يُوجِبُ لِلْمُسْلِمِينَ الْخَوْفَ عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ التَّفْرِيطُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي وَاجِبِ حَقِّ صَاحِبِهِ قَدْ وُجِدَ، وَسُوءُ الصُّحْبَةِ وَالْعِشْرَةِ قَدْ ظَهَرَ لِلْمُسْلِمِينَ، فَلَيْسَ هُنَاكَ لِلْخَوْفِ مَوْضِعٌ؛ إِذْ كَانَ الْمَخُوفُ قَدْ وُجِدَ، وَإِنَّمَا يُخَافُ وُقُوعُ الشَّيْءِ قَبْلَ حُدُوثِهِ، فَأَمَّا بَعْدَ حُدُوثِهِ فَلَا وَجْهَ لِلْخَوْفِ مِنْهُ، وَلَا الزِّيَادَةِ فِي مَكْرُوهِهِ..

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ مِمَّا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَرَائِضِ فِيمَا أَلْزَمَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنَ الْحَقِّ لِصَاحِبِهِ مِنَ الْعِشْرَةِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالصُّحْبَةِ بِالْجَمِيلِ؛ لِأَنَّ مِنَ الْوَاجِبِ لِلزَّوْجِ عَلَىٰ الْمَرْأَةِ إِطَاعَتُهُ فِيمَا أَوْجَبَ اللهُ طَاعَتَهُ فِيهِ، وَأَنْ لَا تُؤْذِيَهُ بِقَوْلٍ، وَلَا تَمْتَنِعُ عَلَيْهِ إِذَا دَعَاهَا لِحَاجَتِهِ، فَإِذَا خَالَفَتْ مَا أَمَرَهَا اللهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ كَانَتْ قَدْ ضَيَّعَتْ حُدُودَ اللهِ الَّتِي أَمَرَهَا بِإِقَامَتِهَا..

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَلَّا يُقِيمَ الزَّوْجَانِ مَا حَدَّ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ صَاحِبِهِ مِنْ حَقٍّ، وَأَلْزَمَهُ لَهُ مِنْ فَرْضٍ، وَخَشِيتُمْ عَلَيْهِمَا تَضْيِيعَ فَرْضِ اللهِ وَتَعَدِّيَ حُدُودِهِ فِي ذَلِكَ، فَلَا جُنَاحَ حِينَئِذٍ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا مِنْ زَوْجِهَا، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِمَا فِيمَا أَعْطَتْ هَذِهِ عَلَىٰ فِرَاقِ زَوْجِهَا إِيَّاهَا وَلَا عَلَىٰ هَذَا فِيمَا أَخَذَ مِنْهَا مِنَ الْجُعْلِ، وَالْعِوَضِ عَلَيْهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَهَلْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ حَرِجَةً لَوْ كَانَ الضِّرَارُ مِنَ الرَّجُلِ بِهَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ نَفْسَهَا، فَيَكُونُ لَا جُنَاحَ

عَلَيْهِمَا فِيمَا أَعْطَتْهُ مِنَ الْفِدْيَةِ عَلَىٰ فِرَاقِهَا إِذَا كَانَ النُّشُوزُ مِنْ قِبَلِهَا؟ قِيلَ: لَوْ عَلِمَتْ فِي حَالِ ضِرَارِهِ بِهَا لِيَأْخُذَ مِنْهَا مَا آتَاهَا أَنَّ ضِرَارَهُ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ لِيَأْخُذَ مِنْهَا مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ أَخْذَهُ عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي نَهَاهُ اللهُ عَنْ أَخْذِهِ مِنْهَا، ثُمَّ قَدَرَتْ أَنْ تَمْتَنِعَ مِنْ إِعْطَائِهِ بِمَا لَا ضَرَرَ عَلَيْهَا فِي نَفْسٍ وَلَا دِينٍ وَلَا خَوْفَ عَلَيْهَا فِي ذَهَابِ حَقٍّ لَهَا، لِمَا حَلَّ لَهَا إِعْطَاؤُهُ ذَلِكَ، إِلَّا عَلَىٰ وَجْهِ طِيبِ النَّفْسِ مِنْهَا بِإِعْطَائِهِ إِيَّاهُ عَلَىٰ مَا يَحِلُّ لَهُ أَخْذُهُ مِنْهَا؛ لِأَنَّهَا مَتَىٰ أَعْطَتْهُ مَا لَا يَحِلُّ لَهُ أَخْذُهُ مِنْهَا وَهِيَ قَادِرَةٌ عَلَىٰ مَنْعِهِ ذَلِكَ بِمَا لَا ضَرَرَ عَلَيْهَا فِي نَفْسٍ وَلَا دِينٍ، وَلَا فِي حَقٍّ لَهَا تَخَافُ ذَهَابَهُ، فَقَدْ شَارَكَتْهُ فِي الْإِثْمِ بِإِعْطَائِهِ مَا لَا يَحِلُّ لَهُ أَخْذُهُ مِنْهَا عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي أَعْطَتْهُ عَلَيْهِ، فَلِذَلِكَ وَضَعَ عَنْهَا الْجُنَاحَ إِذَا كَانَ النُّشُوزُ مِنْ قِبَلِهَا، وَأَعْطَتْهُ مَا أَعْطَتْهُ مِنَ الْفِدْيَةِ بِطِيبِ نَفْسٍ، ابْتِغَاءَ مِنْهَا بِذَلِكَ سَلَامَتَهَا، وَسَلَامَةَ صَاحِبِهَا مِنَ الْوِزْرِ وَالْمَأْثَمِ، وَهِيَ إِذَا أَعْطَتْهُ عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ بِاسْتِحْقَاقِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ أَوْلَىٰ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الْجُنَاحِ وَالْحَرَجِ، وَلِذَلِكَ قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فَوَضَعَ الْحَرَجَ عَنْهَا فِيمَا أَعْطَتْهُ عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ مِنَ الْفِدْيَةِ عَلَىٰ فِرَاقِهِ إِيَّاهَا، وَعَنْهُ فِيمَا قَبَضَ مِنْهَا إِذَا كَانَتْ مُعْطِيَةً عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ الَّذِي وَصَفْنَا، وَكَانَ قَابِضًا مِنْهَا مَا أَعْطَتْهُ مِنْ غَيْرِ ضِرَارٍ، بَلْ طَلَبَ السَّلَامَةَ لِنَفْسِهِ وَلَهَا فِي أَدْيَانِهِمَا، وَحِذَارَ الْأَوْزَارِ، وَالْمَأْثَمِ.. وَقَدْ يَتَّجِهُ قَوْلُهُ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ وَجْهًا آخَرَ مِنَ التَّأْوِيلِ، وَهُوَ أَنَّهَا لَوْ بَذَلَتْ مَا بَذَلَتْ مِنَ الْفِدْيَةِ عَلَىٰ غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي أَذِنَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ لِامْرَأَةِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَذَلِكَ لِكَرَاهَتِهَا أَخْلَاقَ زَوْجِهَا أَوْ دَمَامَةَ خَلْقِهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَكْرَهُهَا النَّاسُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَلَكِنْ عَلَىٰ الِانْصِرَافِ مِنْهَا بِوَجْهِهَا إِلَىٰ آخَرَ غَيْرِهِ عَلَىٰ وَجْهِ الْفَسَادِ وَمَا لَا يَحِلُّ لَهَا، كَانَ حَرَامًا عَلَيْهَا أَنْ تُعْطِيَ عَلَىٰ مَسْأَلَتِهَا إِيَّاهُ فِرَاقَهَا عَلَىٰ ذَلِكَ الْوَجْهِ شَيْئًا؛ لِأَنَّ مَسْأَلَتَهَا إِيَّاهُ الْفُرْقَةَ عَلَىٰ ذَلِكَ الْوَجْهِ مَعْصِيَةٌ مِنْهَا لِلَّهِ، وَتِلْكَ هِيَ الْمُخْتَلِعَةُ إِنْ خُولِعَتْ عَلَىٰ ذَلِكَ الْوَجْهِ الَّتِي رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَمَّاهَا مُنَافِقَةً، كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهَا رَائِحَةَ الْجَنَّةِ**»، وَقَالَ: «**الْمُخْتَلِعَاتُ هُنَّ الْمُنَافِقَاتُ**».. فَإِذْ كَانَ مِنْ وُجُوهِ افْتِدَاءِ الْمَرْأَةِ نَفْسَهَا مِنْ زَوْجِهَا مَا تَكُونُ بِهِ حَرِجَةً، وَعَلَيْهَا فِي افْتِدَائِهَا نَفْسَهَا عَلَىٰ ذَلِكَ الْحَرَجُ وَالْجُنَاحُ، وَكَانَ مِنْ وُجُوهِهِ مَا يَكُونُ الْحَرَجُ وَالْجُنَاحُ فِيهِ عَلَىٰ الرَّجُلِ دُونَ الْمَرْأَةِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَلَيْهِمَا، وَمِنْهُ مَا لَا يَكُونُ عَلَيْهِمَا فِيهِ حَرَجٌ وَلَا جُنَاحٌ، قِيلَ فِي الْوَجْهِ الَّذِي (لَا حَرَجَ) عَلَيْهِمَا فِيهِ: (لَا جُنَاحَ)؛ إِذْ كَانَ

فِيمَا حَاوَلَا وَقَصَدَا مِنِ افْتِرَاقِهِمَا بِالْجُعْلِ الَّذِي بَذَلَتْهُ الْمَرْأَةُ لِزَوْجِهَا لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي أُبِيحَ لَهُمَا، وَذَلِكَ أَنْ يَخَافَا أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ بِمَقَامِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ صَاحِبِهِ.. وَإِذَا خِيفَ مِنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ عَلَىٰ سَبِيلِ مَا قَدَّمْنَا الْبَيَانَ عَنْهُ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا مِنْ زَوْجِهَا مِنْ قَلِيلِ مَا تَمْلِكُهُ وَكَثِيرِهِ مِمَّا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَمْلِكُوهُ، وَإِنْ أَتَىٰ ذَلِكَ عَلَىٰ جَمِيعِ مُلْكِهَا؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَمْ يَخُصَّ مَا أَبَاحَ لَهُمَا مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ حَدٍّ لَا يُجَاوَزُ، بَلْ أَطْلَقَ ذَلِكَ فِي كُلِّ مَا افْتَدَتْ بِهِ، غَيْرَ أَنِّي أَخْتَارُ لِلرَّجُلِ اسْتِحْبَابًا لَا تَحْتِيمًا إِذَا تَبَيَّنَ مِنَ امْرَأَتِهِ أَنَّ افْتِدَاءَهَا مِنْهُ لِغَيْرِ مَعْصِيَةٍ لِلَّهِ، بَلْ خَوْفًا مِنْهَا عَلَىٰ دِينِهَا، أَنْ يُفَارِقَهَا بِغَيْرِ فِدْيَةٍ وَلَا جُعْلٍ؛ فَإِنْ شَحَّتْ نَفْسُهُ بِذَلِكَ، فَلَا يَبْلُغْ بِمَا يَأْخُذُ مِنْهَا جَمِيعَ مَا آتَاهَا.. فَأَمَّا مَنْ قَالَ أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ فِي جَمِيعِ الْآيَةِ مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٢٠] فَقَوْلٌ لَا مَعْنَىٰ لَهُ؛ لِمَعْنَيَيْنِ: أَحَدُهُمَا: إِجْمَاعُ الْجَمِيعِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، عَلَىٰ تَخْطِئَتِهِ وَإِجَازَةِ أَخْذِ الْفِدْيَةِ مِنَ الْمُفْتَدِيَةِ نَفْسَهَا لِزَوْجِهَا، وَفِي ذَلِكَ الْكِفَايَةُ عَنِ الِاسْتِشْهَادِ عَلَىٰ خَطَئِهِ بِغَيْرِهِ، وَالْآخَرُ: أَنَّ الْآيَةَ الَّتِي فِي سُورَةِ النِّسَاءِ إِنَّمَا حَرَّمَ اللهُ فِيهَا عَلَىٰ زَوْجِ الْمَرْأَةِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا شَيْئًا مِمَّا آتَاهَا، بِأَنْ أَرَادَ الرَّجُلُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ بِزَوْجٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنَالِكَ خَوْفٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمَا بِمَقَامِ أَحَدِهِمَا عَلَىٰ صَاحِبِهِ أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ، وَلَا نُشُوزَ مِنَ الْمَرْأَةِ عَلَىٰ الرَّجُلِ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ أَخْذَ الزَّوْجِ مِنَ امْرَأَتِهِ مَالًا عَلَىٰ وَجْهِ الْإِكْرَاهِ لَهَا وَالْإِضْرَارِ بِهَا حَتَّىٰ تُعْطِيَهُ شَيْئًا مِنْ مَالِهَا عَلَىٰ فِرَاقِهَا حَرَامٌ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ حَبَّةَ فِضَّةٍ فَصَاعِدًا، وَأَمَّا الْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّهَا إِنَّمَا دَلَّتْ عَلَىٰ إِبَاحَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَهُ أَخْذَ الْفِدْيَةِ مِنْهَا فِي حَالِ الْخَوْفِ عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ بِنُشُوزِ الْمَرْأَةِ، وَطَلَبِهَا فِرَاقَ الرَّجُلِ، وَرَغْبَتِهِ فِيهَا، فَالْأَمْرُ الَّذِي أَذِنَ بِهِ لِلزَّوْجِ فِي أَخْذِ الْفِدْيَةِ مِنَ الْمَرْأَةِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ضِدُّ الْأَمْرِ الَّذِي نَهَىٰ مِنْ أَجْلِهِ عَنْ أَخْذِ الْفِدْيَةِ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ، كَمَا الْحَظْرُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ غَيْرُ الطَّلَاقِ وَالْإِبَاحَةِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّمَا يَجُوزُ فِي الْحُكْمَيْنِ أَنْ يُقَالَ أَحَدُهُمَا نَاسِخٌ إِذَا اتَّفَقَتْ مَعَانِي الْمَحْكُومِ فِيهِ، ثُمَّ خُولِفَ بَيْنَ الْأَحْكَامِ فِيهِ بِاخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَزْمِنَةِ، وَأَمَّا اخْتِلَافُ الْأَحْكَامِ بِاخْتِلَافِ مَعَانِي الْمَحْكُومِ فِيهِ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ وَوَقْتٍ وَاحِدٍ، فَذَلِكَ هُوَ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، وَالْمَفْهُومُ فِي الْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ، وَهُوَ مِنَ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ بِمَعْزِلٍ..

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ تِلْكَ مَعَالِمُ فُصُولِهِ، بَيْنَ مَا أَحَلَّ لَكُمْ، وَمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ فَلَا تَعْتَدُوا مَا أَحَلَّ لَكُمْ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي بَيَّنَهَا وَفَصَّلَهَا لَكُمْ مِنَ الْحَلَالِ، إِلَىٰ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، فَتُجَاوِزُوا طَاعَتَهُ إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- هَٰذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي بَيَّنْتُ لَكُمْ فِي هَٰذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي مَضَتْ، مِنْ نِكَاحِ الْمُشْرِكَاتِ الْوَثَنِيَّاتِ، وَإِنْكَاحِ الْمُشْرِكِينَ الْمُسْلِمَاتِ، وَإِتْيَانِ النِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ، وَمَا قَدْ بُيِّنَ فِي الْآيَاتِ الْمَاضِيَةِ قَبْلَ قَوْلِهِ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ مِمَّا أَحَلَّ لِعِبَادِهِ وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ، وَمَا أَمَرَ، وَنَهَىٰ..

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ فَإِنَّ مَنْ تَعَدَّىٰ ذَٰلِكَ يَعْنِي مَنْ تَخَطَّاهُ وَتَجَاوَزَهُ إِلَىٰ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْهِ أَوْ نَهَيْتُهُ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٢٩﴾ [البقرة: ٢٢٩] فَإِنَّهُ هُوَ الظَّالِمُ، وَهُوَ الَّذِي فَعَلَ مَا لَيْسَ لَهُ فِعْلُهُ، وَوَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٢٣٠﴾ [البقرة: ٢٣٠].

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ﴾ إِنْ سَرَّحَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ بَعْدَ التَّطْلِيقَتَيْنِ فَلَا تَحِلُّ لَهُ الْمُسَرَّحَةُ كَذَٰلِكَ إِلَّا بَعْدَ زَوْجٍ.. وَالْمَرْأَةُ إِذَا نَكَحَتْ رَجُلًا نِكَاحَ تَزْوِيجٍ لَمْ يَطَأْهَا فِي ذَٰلِكَ النِّكَاحِ نَاكِحُهَا وَلَمْ يُجَامِعْهَا حَتَّىٰ يُطَلِّقَهَا لَمْ تَحِلَّ لِلْأَوَّلِ، وَكَذَٰلِكَ إِنْ وَطِئَهَا وَاطِئٌ بِغَيْرِ نِكَاحٍ لَمْ تَحِلَّ لِلْأَوَّلِ، بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ جَمِيعًا، وَقَدْ دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ ذَٰلِكَ كَذَٰلِكَ بِوَحْيِهِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَتَزَوَّجَتْ رَجُلًا غَيْرَهُ فَدَخَلَ بِهَا ثُمَّ طَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يُوَاقِعَهَا، أَتَحِلُّ لِزَوْجِهَا الْأَوَّلِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَحِلُّ لِزَوْجِهَا الْأَوَّلِ حَتَّىٰ يَذُوقَ الْآخَرُ عُسَيْلَتَهَا وَتَذُوقَ عُسَيْلَتَهُ**»..

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ فَإِنْ طَلَّقَ الْمَرْأَةَ زَوْجُهَا الَّذِي نَكَحَهَا بَعْدَ بَيْنُونَتِهَا مِنَ الْأَوَّلِ..

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فَلَا حَرَجَ عَلَىٰ الْمَرْأَةِ -الَّتِي طَلَّقَهَا هَذَا الثَّانِي مِنْ بَعْدِ بَيْنُونَتِهَا مِنَ الْأَوَّلِ، وَبَعْدَ نِكَاحِهِ إِيَّاهَا- وَعَلَىٰ الزَّوْجِ الْأَوَّلِ الَّذِي كَانَتْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِ بِبَيْنُونَتِهَا مِنْهُ بِآخِرِ التَّطْلِيقَاتِ..

﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ بِنِكَاحٍ جَدِيدٍ..

﴿إِن ظَنَّآ﴾ إِنْ رَجُوا مَطْمَعًا..

﴿أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ﴾ وَإِقَامَتُهُمَا حُدُودَ اللهِ الْعَمَلُ بِهَا، وَحُدُودُ اللهِ: مَا أَمَرَهُمَا بِهِ، وَأَوْجَبَ

بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ صَاحِبِهِ، وَأَلْزَمَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِسَبَبِ النِّكَاحِ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَهُمَا..

﴿وَتِلْكَ﴾ هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي بَيَّنَهَا لِعِبَادِهِ فِي الطَّلَاقِ وَالرَّجْعَةِ وَالْفِدْيَةِ وَالْعِدَّةِ وَالْإِيلَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُبَيِّنُهُ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ..

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ مَعَالِمُ فُصُولِ حَلَالِهِ، وَحَرَامِهِ، وَطَاعَتِهِ، وَمَعْصِيَتِهِ..

﴿يُبَيِّنُهَا﴾ يُفَصِّلُهَا، فَيُمَيِّزُ بَيْنَهَا، وَيُعَرِّفُهُمْ أَحْكَامَهَا..

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٢٣٠﴾ [البقرة: ٢٣٠] لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَهَا إِذَا بَيَّنَهَا اللهُ لَهُمْ، فَيَعْرِفُونَ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيُصَدِّقُونَ بِهَا، وَيَعْمَلُونَ بِمَا أَوْدَعَهُمُ اللهُ مِنْ عِلْمِهِ، دُونَ الَّذِينَ قَدْ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، وَقَضَىٰ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا، وَلَا يُصَدِّقُونَ بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَهُمْ يَجْهَلُونَ أَنَّهَا مِنَ اللهِ، وَأَنَّهَا تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، وَلِذَلِكَ خَصَّ الْقَوْمَ الَّذِي يَعْلَمُونَ بِالْبَيَانِ دُونَ الَّذِينَ يَجْهَلُونَ؛ إِذْ كَانَ الَّذِينَ يَجْهَلُونَ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِهِ قَدْ آيَسَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ تَصْدِيقِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ بِهَا، وَإِنْ كَانَ بَيَّنَهَا لَهُمْ مِنْ وَجْهِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَلُزُومِ الْعَمَلِ لَهُمْ بِهَا، وَإِنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ أَنْ تَكُونَ بَيَانًا لَهُمْ مِنْ وَجْهِ تَرْكِهِمُ الْإِقْرَارَ وَالتَّصْدِيقَ بِهِ.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٣١﴾ [البقرة: ٢٣١].

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ أَيُّهَا الرِّجَالُ..

﴿ٱلنِّسَآءَ﴾ نِسَاءَكُمْ..

﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يَعْنِي: مِيقَاتَهُنَّ الَّذِي وَقَّتَهُ لَهُنَّ، مِنَ انْقِضَاءِ الْأَقْرَاءِ الثَّلَاثَةِ إِنْ كَانَتْ مِنْ أَهْلِ الْأَقْرَاءِ، وَانْقِضَاءِ الْأَشْهُرِ إِنْ كَانَتْ مِنْ أَهْلِ الشُّهُورِ..

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ فَرَاجِعُوهُنَّ إِنْ أَرَدْتُمْ رَجْعَتَهُنَّ فِي الطَّلْقَةِ الَّتِي فِيهَا رَجْعَةٌ، وَذَلِكَ إِمَّا فِي التَّطْلِيقَةِ الْوَاحِدَةِ، أَوِ التَّطْلِيقَتَيْنِ كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]..

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بِمَا أَذِنَ بِهِ مِنَ الرَّجْعَةِ، مِنَ الْإِشْهَادِ عَلَى الرَّجْعَةِ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ، دُونَ الرَّجْعَةِ بِالْوَطْءِ وَالْجِمَاعِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ بَعْدَ الرَّجْعَةِ، وَعَلَى الصُّحْبَةِ مَعَ ذَلِكَ

وَالْعِشْرَةِ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَبَيَّنَهُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ﴾ أَوْ خَلُّوهُنَّ يَقْضِينَ تَمَامَ عِدَّتِهِنَّ، وَيَنْقَضِي بَقِيَّةُ أَجَلِهِنَّ الَّذِي أَجَّلْتُهُ لَهُنَّ لِعِدَدِهِنَّ..

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بِإِيفَائِهِنَّ تَمَامَ حُقُوقِهِنَّ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ مَا أَلْزَمْتُكُمْ لَهُنَّ مِنْ مَهْرٍ وَمُتْعَةٍ وَنَفَقَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حُقُوقِهِنَّ قِبَلَكُمْ..

﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ﴾ وَلَا تُرَاجِعُوهُنَّ إِنْ رَاجَعْتُمُوهُنَّ فِي عِدَدِهِنَّ..

﴿ضِرَارًا﴾ مُضَارَّةً لَهُنَّ..

﴿لِّتَعْتَدُوا۟﴾ لِتُطَوِّلُوا عَلَيْهِنَّ مُدَّةَ انْقِضَاءِ عِدَدِهِنَّ، أَوْ لِتَأْخُذُوا مِنْهُنَّ بَعْضَ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ بِطَلَبِهِنَّ الْخُلْعَ مِنْكُمْ لِمُضَارَّتِكُمْ إِيَّاهُنَّ بِإِمْسَاكِكُمْ إِيَّاهُنَّ، وَمُرَاجَعَتِكُمُوهُنَّ ضِرَارًا وَاعْتِدَاءً، أَو لِتَظْلِمُوهُنَّ بِمُجَاوَزَتِكُمْ فِي أَمْرِهِنَّ حُدُودِي الَّتِي بَيَّنْتُهَا لَكُمْ..

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ وَمَنْ يُرَاجِعِ امْرَأَتَهُ بَعْدَ طَلَاقِهِ إِيَّاهَا -فِي الطَّلَاقِ الَّذِي لَهُ فِيهِ عَلَيْهَا الرَّجْعَةُ- ضِرَارًا بِهَا لِيَتَعَدَّىٰ حَدَّ اللهِ فِي أَمْرِهَا..

﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ فَأَكْسَبَهَا بِذَلِكَ إِثْمًا، وَأَوْجَبَ لَهَا مِنَ اللهِ عُقُوبَةً بِذَلِكَ، وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الظُّلْمِ فِيمَا مَضَىٰ، وَأَنَّهُ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَفِعْلَ مَا لَيْسَ لِلْفَاعِلِ فِعْلُهُ..

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَعْلَامَ اللهِ وَفُصُولَهُ بَيْنَ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ فِي وَحْيِهِ، وَتَنْزِيلِهِ، اسْتِهْزَاءً وَلَعِبًا؛ فَإِنَّهُ قَدْ بَيَّنَ لَكُمْ فِي تَنْزِيلِهِ وَآيِ كِتَابِهِ مَا لَكُمْ مِنَ الرَّجْعَةِ عَلَىٰ نِسَائِكُمْ فِي الطَّلَاقِ الَّذِي جُعِلَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ فِيهِ الرَّجْعَةُ، وَمَا لَيْسَ لَكُمْ مِنْهَا، وَمَا الْوَجْهُ الْجَائِزُ لَكُمْ مِنْهَا، وَمَا الَّذِي لَا يَجُوزُ، وَمَا الطَّلَاقُ الَّذِي لَكُمْ عَلَيْهِنَّ فِيهِ الرَّجْعَةُ، وَمَا لَيْسَ لَكُمْ ذَلِكَ فِيهِ، وَكَيْفَ وُجُوهُ ذَلِكَ؛ رَحْمَةً مِنْهُ بِكُمْ، وَنِعْمَةً مِنْهُ عَلَيْكُمْ، لِيَجْعَلَ بِذَلِكَ لِبَعْضِكُمْ مِنْ مَكْرُوهٍ -إِنْ كَانَ فِيهِ مِنْ صَاحِبِهِ مِمَّا هُوَ فِيهِ- الْمَخْرَجَ وَالْمُخَلِّصَ بِالطَّلَاقِ وَالْفِرَاقِ، وَجُعِلَ مَا جُعِلَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الرَّجْعَةِ سَبِيلًا لَكُمْ إِلَىٰ الْوُصُولِ إِلَىٰ مَا نَازَعَهُ إِلَيْهِ وَدَعَاهُ إِلَيْهِ هَوَاهُ بَعْدَ فِرَاقِهِ إِيَّاهُنَّ مِنْهُنَّ، لِتُدْرِكُوا بِذَلِكَ قَضَاءَ أَوْطَارِكُمْ مِنْهُنَّ، إِنْعَامًا مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ، فَلَا لِتَتَّخِذُوا مَا بَيَّنْتُ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ فِي آيِ كِتَابِي وَتَنْزِيلِي، تَفَضُّلًا مِنِّي بِبَيَانِهِ عَلَيْكُمْ، وَإِنْعَامًا وَرَحْمَةً مِنِّي بِكُمْ لَعِبًا وَسُخْرِيًّا..

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بِالْإِسْلَامِ، الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِهِ، فَهَدَاكُمْ لَهُ، وَسَائِرَ نِعَمِهِ الَّتِي خَصَّكُمْ بِهَا دُونَ غَيْرِكُمْ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ، فَاشْكُرُوهُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وَاذْكُرُوا أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ، مَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِهِ، ذَلِكَ الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاذْكُرُوا ذَلِكَ فَاعْمَلُوا بِهِ، وَاحْفَظُوا حُدُودَهُ فِيهِ..

﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْحِكْمَةِ، وَهِيَ السُّنَنُ الَّتِي عَلَّمَكُمُوهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَسَنَّهَا لَكُمْ..

﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ يَعِظُكُمْ بِالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وَخَافُوا اللهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْكُمْ، وَفِيمَا أَنْزَلَهُ فَبَيَّنَهُ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكُمْ، أَنْ تُضَيِّعُوهُ وَتَتَعَدَّوا حُدُودَهُ، فَتَسْتَوْجِبُوا مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ، وَنَكَالِ عَذَابِهِ..

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ أَنَّ رَبَّكُمُ الَّذِي حَدَّ لَكُمْ هَذِهِ الْحُدُودَ، وَشَرَعَ لَكُمْ هَذِهِ الشَّرَائِعَ، وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ هَذِهِ الْفَرَائِضَ فِي كِتَابِهِ وَفِي تَنْزِيلِهِ، عَلَىٰ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ بِكُلِّ مَا أَنْتُمْ عَامِلُوهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَحَسَنٍ، وَسَيِّئٍ، وَطَاعَةٍ، وَمَعْصِيَةٍ..

﴿عَلِيمٌ ٢٣١﴾ [البقرة: ٢٣١] لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ظَاهِرِ ذَلِكَ وَخَفِيِّهِ وَسِرِّهِ وَجَهْرِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا، وَبِالسَّيِّئِ سَيِّئًا، إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ وَيَصْفَحَ، فَلَا تَتَعَرَّضُوا لِعِقَابِهِ، وَلَا تَظْلِمُوا أَنْفُسَكُمْ.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٢٣٢﴾ [البقرة: ٢٣٢].

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أَنْزَلَهَا اللهُ دَلَالَةً عَلَىٰ تَحْرِيمِهِ عَلَىٰ أَوْلِيَاءِ النِّسَاءِ مُضَارَّةَ مَنْ كَانُوا لَهُ أَوْلِيَاءَ مِنَ النِّسَاءِ، بِعَضْلِهِنَّ عَمَّنْ أَرَدْنَ نِكَاحَهُ مِنْ أَزْوَاجٍ كَانُوا لَهُنَّ، فَبِنَّ مِنْهُنَّ بِمَا تَبِينُ بِهِ الْمَرْأَةُ مِنْ زَوْجِهَا مِنْ طَلَاقٍ أَوْ فَسْخِ نِكَاحٍ..

﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ فَلَا تُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ بِمَنْعِكُمْ إِيَّاهُنَّ أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ مِنْ مُرَاجَعَةِ أَزْوَاجِهِنَّ بِنِكَاحٍ جَدِيدٍ، تَبْتَغُونَ بِذَلِكَ مُضَارَّتَهُنَّ.. وَأَصْلُ الْعَضْلِ: الضِّيقُ، وَمِنْهُ (الدَّاءُ الْعُضَالُ) وَهُوَ الدَّاءُ الَّذِي لَا يُطَاقُ عِلَاجُهُ، لِضِيقِهِ عَنِ الْعِلَاجِ، وَتَجَاوُزِهِ حَدَّ الْأَدْوَاءِ الَّتِي يَكُونُ لَهَا عِلَاجٌ..

﴿إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ﴾ إِذَا تَرَاضَىٰ الْأَزْوَاجُ وَالنِّسَاءُ بِمَا يَحِلُّ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عِوَضًا مِنْ

أَبْضَاعِهِنَّ مِنَ الْمُهُورِ وَنِكَاحٍ جَدِيدٍ مُسْتَأْنَفٍ.. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ صِحَّةِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ مِنَ الْعَصَبَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مَنَعَ الْوَلِيَّ مِنْ عَضْلِ الْمَرْأَةِ إِنْ أَرَادَتِ النِّكَاحَ، وَنَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فَلَوْ كَانَ لِلْمَرْأَةِ إِنْكَاحُ نَفْسِهَا بِغَيْرِ إِنْكَاحِ وَلِيِّهَا إِيَّاهَا، أَوْ كَانَ لَهَا تَوْلِيَةُ مَنْ أَرَادَتْ تَوْلِيَتَهُ فِي إِنْكَاحِهَا لَمْ يَكُنْ لِنَهْيِ وَلِيِّهَا عَنْ عَضْلِهَا مَعْنًى مَفْهُومٌ؛ إِذْ كَانَ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَىٰ عَضْلِهَا، وَذَلِكَ أَنَّهَا إِنْ كَانَتْ مَتَىٰ أَرَدَاتِ النِّكَاحَ جَازَ لَهَا إِنْكَاحُ نَفْسِهَا أَوِ إِنْكَاحُ مَنْ تُوَكِّلُهُ إِنْكَاحَهَا، فَلَا عَضْلَ هُنَالِكَ لَهَا مِنْ أَحَدٍ، فَيَنْهَىٰ عَاضِلَهَا عَنْ عَضْلِهَا.. فَفِيهِ صِحَّةُ الْقَوْلِ بِأَنَّ لِوَلِيِّ الْمَرْأَةِ فِي تَزْوِيجِهَا حَقًّا لَا يَصِحُّ عَقْدُهُ إِلَّا بِهِ، وَهُوَ الْمَعْنَىٰ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ الْوَلِيَّ -مِنْ تَزْوِيجِهَا إِذَا خَطَبَهَا خَاطِبُهَا وَرَضِيَتْ بِهِ، وَكَانَ رِضىً عِنْدَ أَوْلِيَائِهَا، جَائِزًا فِي حُكْمِ الْمُسْلِمِينَ لِمِثْلِهَا أَنْ تَنْكِحَ مِثْلَهُ- وَنَهَاهُ عَنْ خِلَافِهِ مِنْ عَضْلِهَا، وَمَنْعِهَا عَمَّا أَرَادَتْ مِنْ ذَلِكَ وَتَرَاضَتْ هِيَ وَالْخَاطِبُ بِهِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ مِنْ نَهْيِ أَوْلِيَاءِ الْمَرْأَةِ عَنْ عَضْلِهَا عَنِ النِّكَاحِ الَّذِي نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ مِنْ عَضْلِهِنَّ عَنِ النِّكَاحِ..

﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ﴾ عِظَةٌ مِنِّي مَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ يُصَدِّقُ بِاللهِ فَيُوَحِّدُهُ، وَيَقِرُّ بِرُبُوبِيَّتِهِ..

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ فَيُصَدِّقُ بِالْبَعْثِ لِلْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، لِيَتَّقِيَ اللهَ فِي نَفْسِهِ، فَلَا يَظْلِمُهَا بِضِرَارِ وَلِيَّتِهِ، وَمَنْعِهَا مِنْ نِكَاحِ مَنْ رَضِيَتْهُ لِنَفْسِهَا مِمَّنْ أَذِنْتُ لَهَا فِي نِكَاحِهِ..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ نِكَاحُ أَزْوَاجِهِنَّ لَهُنَّ، وَمُرَاجَعَةُ أَزْوَاجِهِنَّ إِيَّاهُنَّ بِمَا أَبَاحَ لَهُنَّ مِنْ نِكَاحٍ، وَمَهْرٍ جَدِيدٍ..

﴿أَزْكَىٰ﴾ أَفْضَلُ وَخَيْرٌ عِنْدَ اللهِ مِنْ فُرْقَتِهِنَّ أَزْوَاجَهُنَّ..

﴿لَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ، وَالْأَزْوَاجُ وَالزَّوْجَاتُ..

﴿وَأَطْهَرُ﴾ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَقُلُوبِ أَزْوَاجِهِنَّ مِنَ الرِّيبَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمَا إِذَا كَانَ فِي نَفْسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا -أَعْنِي الزَّوْجَ وَالْمَرْأَةَ- عَلَاقَةُ حُبٍّ، لَمْ يُؤْمَنْ أَنْ يَتَجَاوَزَا ذَلِكَ إِلَىٰ غَيْرِ مَا أَحَلَّهُ اللهُ لَهُمَا، وَلَمْ يُؤْمَنْ مِنْ أَوْلِيَائِهِمَا أَنْ يَسْبِقَ إِلَىٰ قُلُوبِهِمْ مِنْهُمَا مَا لَعَلَّهُمَا أَنْ يَكُونَا مِنْهُ بَرِيئَيْنِ، فَأَمَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- الْأَوْلِيَاءَ إِذَا أَرَادَ الْأَزْوَاجُ التَّرَاجُعَ بَعْدَ الْبَيْنُونَةِ بِنِكَاحٍ مُسْتَأْنَفٍ فِي الْحَالِ الَّتِي أَذِنَ اللهُ لَهُمَا بِالتَّرَاجُعِ، أَنْ لَا يَعْضُلَ وَلِيَّتَهُ عَمَّا أَرَادَتْ مِنْ ذَلِكَ، وَأَنْ يُزَوِّجَهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَفْضَلُ لِجَمِيعِهِمْ، وَأَطْهَرُ لِقُلُوبِهِمْ مِمَّا يُخَافُ سُبُوقُهُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَعَانِي الْمَكْرُوهَةِ..

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ [البقرة: ٢٣٢] يَعْلَمُ مِنْ سَرَائِرِهِمْ وَخَفِيَّاتِ أُمُورِهِمْ، مَا لَا يَعْلَمُهُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا أَمَرَ أَوْلِيَاءَ النِّسَاءِ بِإِنْكَاحِ مَنْ كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ مِنَ النِّسَاءِ، إِذَا تَرَاضَتِ الْمَرْأَةُ وَالزَّوْجُ الْخَاطِبُ بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ عَضْلِهِنَّ عَنْ ذَلِكَ، لِمَا عَلِمَ مِمَّا فِي قَلْبِ الْخَاطِبِ وَالْمَخْطُوبَةِ مِنْ غَلَبَةِ الْهَوَىٰ وَالْمَيْلِ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَىٰ صَاحِبِهِ بِالْمَوَدَّةِ وَالْمَحَبَّةِ، فَقَالَ لَهُمْ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: افْعَلُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي وَبِثَوَابِي وَبِعِقَابِي فِي مَعَادِكُمْ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنِّي أَعْلَمُ مِنْ قَلْبِ الْخَاطِبِ وَالْمَخْطُوبَةِ مَا لَا تَعْلَمُونَهُ مِنَ الْهَوَىٰ وَالْمَحَبَّةِ، وَفِعْلُكُمْ ذَلِكَ أَفْضَلُ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَهُمْ، وَأَزْكَىٰ وَأَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ فِي الْعَاجِلِ.

﴿۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣٣].

﴿۞ وَالْوَالِدَاتُ﴾ وَالنِّسَاءُ اللَّوَاتِي بِنَّ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ، وَلَهُنَّ أَوْلَادٌ قَدْ وَلَدْنَهُمْ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ قَبْلَ بَيْنُونَتِهِنَّ مِنْهُمْ بِطَلَاقٍ، أَوْ وَلَدْنَهُمْ مِنْهُمْ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ إِيَّاهُنَّ مِنْ وَطْءٍ كَانَ مِنْهُمْ لَهُنَّ قَبْلَ الْبَيْنُونَةِ..

﴿يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ أَحَقُّ بِرَضَاعِهِمْ مِنْ غَيْرِهِنَّ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِإِيجَابٍ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَلَيْهِنَّ رَضَاعَهُمْ، إِذَا كَانَ الْمَوْلُودُ لَهُ وَالِدًا حَيًّا مُوسِرًا؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَالَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ الْقُصْرَىٰ: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [الطلاق: ٦]، وَأَخْبَرَ تَعَالَىٰ أَنَّ الْوَالِدَةَ وَالْمَوْلُودَ لَهُ إِنْ تَعَاسَرَا فِي الْأُجْرَةِ الَّتِي تُرْضِعُ بِهَا الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا، أَنَّ أُخْرَىٰ سِوَاهَا تُرْضِعُهُ، فَلَمْ يُوجِبْ عَلَيْهَا فَرْضًا رَضَاعَ وَلَدِهَا، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ دَلَالَةٌ عَلَىٰ مَبْلَغِ غَايَةِ الرَّضَاعِ الَّتِي مَتَىٰ اخْتَلَفَ الْوَالِدَانِ فِي رَضَاعِ الْمَوْلُودِ بَعْدَهَا، جُعِلَ حَدًّا يُفْصَلُ بِهِ بَيْنَهُمَا، لَا دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ فَرْضًا عَلَىٰ الْوَالِدَاتِ رَضَاعُ أَوْلَادِهِنَّ..

﴿حَوْلَيْنِ﴾ سَنَتَيْنِ.. وَأَصْلُ الْحَوْلِ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: حَالَ هَذَا الشَّيْءُ: إِذَا انْتَقَلَ، وَمِنْهُ قِيلَ: تَحَوَّلَ فُلَانٌ مِنْ مَكَانِ كَذَا: إِذَا انْتَقَلَ عَنْهُ..

﴿كَامِلَيْنِ﴾ لِيَعْرِفَ سَامِعُ ذَلِكَ أَنَّ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ حَوْلَانِ تَامَّانِ، لَا حَوْلٌ وَبَعْضُ آخَرَ، وَذَلِكَ كَمَا قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُتَعَجِّلَ إِنَّمَا يَتَعَجَّلُ فِي يَوْمٍ وَنِصْفٍ، فَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ تَامٌّ، وَلَكِنَّ الْعَرَبَ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي الْأَوْقَاتِ خَاصَّةً، فَتَقُولُ: الْيَوْمُ يَوْمَانِ مُنْذُ لَمْ أَرَهُ، وَإِنَّمَا تَعْنِي بِذَلِكَ يَوْمًا وَبَعْضَ آخَرَ، وَقَدْ تُوقِعُ الْفِعْلَ الَّذِي تَفْعَلُهُ فِي السَّاعَةِ أَوِ اللَّحْظَةِ عَلَى الْعَامِ وَالزَّمَانِ وَالْيَوْمِ، فَتَقُولُ زُرْتُهُ عَامَ كَذَا، وَقَتَلَ فُلَانٌ فُلَانًا زَمَانَ صِفِّينَ، وَإِنَّمَا تَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَنَّهَا لَا تَقْصِدُ بِذَلِكَ الْخَبَرَ عَنْ عَدَدِ الْأَيَّامِ وَالسِّنِينَ، وَإِنَّمَا تَعْنِي بِذَلِكَ الْإِخْبَارَ عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ فِيهِ الْمُخْبَرُ عَنْهُ، فَجَازَ أَنْ يَنْطِقَ بِالْحَوْلَيْنِ وَالْيَوْمَيْنِ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ قَبْلُ؛ لِأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ فِي ذَلِكَ: فَعَلْتُهُ إِذْ ذَاكَ، وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، فَكَانَ الْكَلَامُ لَوْ أُطْلِقَ فِي ذَلِكَ بِغَيْرِ تَضْمِينِ الْحَوْلَيْنِ بِالْكَمَالِ وَقِيلَ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ مُحْتَمِلًا أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِهِ حَوْلٌ وَبَعْضُ آخَرَ، نَفَىٰ اللَّبْسَ عَنْ سَامِعِيهِ بِقَوْلِهِ: ﴿كَامِلَيْنِ﴾ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ حَوْلٌ وَبَعْضُ آخَرَ، وَأَبَانَ بِقَوْلِهِ: ﴿كَامِلَيْنِ﴾ عَنْ وَقْتِ تَمَامِ حَدِّ الرَّضَاعِ، وَأَنَّهُ تَمَامُ الْحَوْلَيْنِ بِانْقِضَائِهِمَا دُونَ انْقِضَاءِ أَحَدِهِمَا وَبَعْضِ الْآخَرِ..

﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ وَذَلِكَ حَدُّ رَضَاعِ كُلِّ مَوْلُودٍ اخْتَلَفَ وَالِدَاهُ فِي رَضَاعِهِ، فَالتَّمَامُ: الْحَوْلَانِ، فَإِذَا أَرَادَ الْأَبُ أَنْ يَفْطِمَهُ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ وَلَمْ تَرْضَ الْمَرْأَةُ فَلَيْسَ لَهُ ذَلِكَ، وَإِذَا قَالَتِ الْمَرْأَةُ أَنَا أَفْطِمُهُ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ، وَقَالَ الْأَبُ: لَا، فَلَيْسَ لَهَا أَنْ تَفْطِمَهُ حَتَّىٰ يَرْضَىٰ الْأَبُ، فَإِنِ اجْتَمَعَا قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ فَطَمَاهُ، وَإِذَا اخْتَلَفَا لَمْ يَفْطِمَاهُ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾.. ودَلَّ كَذَلِكَ عَلَىٰ أَنْ لَا رَضَاعَ بَعْدَ الْحَوْلَيْنِ، فَإِنَّ الرَّضَاعَ إِنَّمَا هُوَ مَا كَانَ فِي الْحَوْلَيْنِ..

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ وَعَلَىٰ آبَاءِ الصِّبْيَانِ لِلْمَرَاضِعِ..

﴿رِزْقُهُنَّ﴾ رِزْقُ وَالِدَتِهِنَّ، وَيَعْنِي بِالرِّزْقِ: مَا يَقُوتُهُنَّ مِنْ طَعَامٍ، وَمَا لَا بُدَّ لَهُنَّ مِنْ غِذَاءٍ وَمَطْعَمٍ..

﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ يَعْنِي بِالْكِسْوَةِ: الْمَلْبَسِ..

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِمَا يَجِبُ لِمِثْلِهَا عَلَىٰ مِثْلِهِ؛ إِذْ كَانَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَدْ عَلِمَ تَفَاوُتَ أَحْوَالِ خَلْقِهِ بِالْغِنَىٰ وَالْفَقْرِ، وَأَنَّ مِنْهُمُ الْمُوسِعَ وَالْمُقْتِرَ وَبَيْنَ ذَلِكَ، فَأَمَرَ كُلًّا أَنْ يُنْفِقَ عَلَىٰ مَنْ لَزِمَتْهُ نَفَقَتُهُ مِنْ زَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ عَلَىٰ قَدْرِ مَيْسَرَتِهِ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧]..

﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لَا تُحَمَّلُ نَفْسٌ مِنَ الْأُمُورِ إِلَّا مَا لَا يَضِيقُ عَلَيْهَا، وَلَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهَا وُجُودُهُ إِذَا أَرَادَتْ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِذَلِكَ: لَا يُوجِبُ اللهُ عَلَىٰ الرِّجَالِ مِنْ نَفَقَةِ مَنْ أَرْضَعَ أَوْلَادَهُمْ مِنْ نِسَائِهِمُ الْبَائِنَاتِ مِنْهُمْ إِلَّا مَا أَطَاقُوهُ وَوَجَدُوا إِلَيْهِ السَّبِيلَ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧].. فَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ هُوَ مَا وَصَفْتُ مِنْ أَنَّهَا لَا تُكَلَّفُ إِلَّا مَا يَتَّسِعُ لَهَا بَذْلُ مَا كُلِّفَتْ بَذْلَهُ، فَلَا يَضِيقُ عَلَيْهَا وَلَا يَجْهَدُهَا، لَا مَا ظَنَّهُ جَهَلَةُ أَهْلِ الْقَدَرِ مِنْ أَنَّ مَعْنَاهُ: لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا مَا قَدْ أُعْطِيَتْ عَلَيْهِ الْقُدْرَةُ مِنَ الطَّاعَاتِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَمَا زَعَمَتْ، لَكَانَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٤٨﴾ [الإسراء: ٤٨] -إِذْ كَانَ دَالًّا عَلَىٰ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُسْتَطِيعِي السَّبِيلَ إِلَىٰ مَا كُلِّفُوهُ- وَاجِبًا أَنْ يَكُونَ الْقَوْمُ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ قَدْ أُعْطُوا الِاسْتِطَاعَةَ عَلَىٰ مَا مُنِعُوهَا عَلَيْهِ، وَذَلِكَ مِنْ قَائِلِهِ إِنْ قَالَهُ إِحَالَةٌ فِي كَلَامِهِ، وَدَعْوَىٰ بَاطِلٍ لَا يُخِيلُ بُطُولُهُ، وَإِذَا كَانَ بَيِّنًا فَسَادُ هَذَا الْقَوْلِ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ الَّذِي أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّهُ كَلَّفَ النُّفُوسَ مِنْ وُسْعِهَا غَيْرَ الَّذِي أَخْبَرَ أَنَّهُ كَلَّفَهَا مِمَّا لَا تَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ..

﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ نَهَىٰ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أَبَوَيِ الْمَوْلُودِ عَنْ مُضَارَّةِ صَاحِبِهِ بِسَبَبِ وَلَدِهِمَا، فَحَقٌّ عَلَىٰ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ -إِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ نَزْعَ وَلَدِهِ مِنْ أُمِّهِ بَعْدَ بَيْنُونَتِهَا مِنْهُ، وَهِيَ تَحْضُنُهُ وَتَكْفُلُهُ وَتُرْضِعُهُ، بِمَا يَحْضُنُهُ بِهِ غَيْرُهَا وَيَكْفُلُهُ بِهِ وَيُرْضِعُهُ مِنَ الْأُجْرَةِ- أَنْ يَأْخُذَ الْوَالِدَ بِتَسْلِيمِ وَلَدِهَا، مَا دَامَ مُحْتَاجًا الصَّبِيُّ إِلَيْهَا فِي ذَلِكَ، بِالْأُجْرَةِ الَّتِي يُعْطَاهَا غَيْرُهَا.. وَحَقٌّ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ الصَّبِيُّ لَا يَقْبَلُ ثَدْيَ غَيْرِ وَالِدَتِهِ، أَوْ كَانَ الْمَوْلُودُ لَهُ لَا يَجِدُ مَنْ يُرْضِعُ وَلَدَهُ، وَإِنْ كَانَ يَقْبَلُ ثَدْيَ غَيْرِ أُمِّهِ، أَوْ كَانَ مُعْدِمًا لَا يَجِدُ مَا يَسْتَأْجِرُ بِهِ مُرْضِعًا، وَلَا يَجِدُ مَنْ يَتَبَرَّعُ عَلَيْهِ بِرَضَاعِ مَوْلُودِهِ، أَنْ يَأْخُذَ وَالِدَتَهُ -الْبَائِنَةَ مِنْ وَالِدِهِ- بِرَضَاعِهِ وَحَضَانَتِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِنْ حَرَّمَ عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَبَوَيْهِ ضِرَارَ صَاحِبِهِ بِسَبَبِهِ، فَالْإِضْرَارُ بِهِ أَحْرَىٰ أَنْ يَكُونَ مُحَرَّمًا، مَعَ مَا فِي الْإِضْرَارِ بِهِ مِنْ مُضَارَّةِ صَاحِبِهِ..

﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾ هُوَ وَارِثُ الصَّبِيِّ الْمَوْلُودِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، إِذَا كَانَ أَبُوهُ مَيِّتًا، الَّذِي كَانَ عَلَىٰ أَبِيهِ فِي حَيَاتِهِ..

﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ مِثْلُ الَّذِي كَانَ عَلَىٰ وَالِدِهِ مِنْ رِزْقِ وَالِدَتِهِ وَكِسْوَتِهَا بِالْمَعْرُوفِ، إِنْ كَانَتْ مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ، وَهِيَ ذَاتُ زَمَانَةٍ وَعَاهَةٍ، وَمَنْ لَا احْتِرَافَ فِيهَا، وَلَا زَوْجَ لَهَا تَسْتَغْنِي بِهِ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ أَهْلِ الْغِنَىٰ وَالصِّحَّةِ، فَمِثْلُ الَّذِي كَانَ عَلَىٰ وَالِدِهِ لَهَا مِنْ أَجْرِ رَضَاعِهِ..

﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ إِنْ أَرَادَ وَالِدُ الْمَوْلُودِ، وَوَالِدَتُهُ..

﴿فِصَالًا﴾ يَعْنِي فِصَالَ وَلَدِهِمَا مِنَ اللَّبَنِ، وَهُوَ الْفِطَامُ، وهُوَ مَنْعُهُ اللَّبَنَ وَقَطْعُهُ شُرْبَهُ، وَفِرَاقُهُ ثَدْيَ أُمِّهِ إِلَىٰ الِاغْتِذَاءِ بِالْأَقْوَاتِ الَّتِي يَغْتَذِي بِهَا الْبَالِغُ مِنَ الرِّجَالِ، فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا فِي الْحَوْلَيْنِ..

﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ مِنْهُمَا فِي الْحَوْلَيْنِ، وَهُوَ غَايَةٌ لِتَمَامِ الرَّضَاعِ وَانْقِضَائِهِ، وَلَا تُشَاوَرَ بَعْدَ انْقِضَائِهِ؛ وَإِنَّمَا التَّشَاوُرُ وَالتَّرَاضِي قَبْلَ انْقِضَاءِ نِهَايَتِهِ، فَإِنْ ظَنَّ ذُو غَفْلَةٍ أَنَّ لِلتَّشَاوُرِ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَوْلَيْنِ مَعْنَىٰ صَحِيحًا، إِذْ كَانَ مِنَ الصِّبْيَانِ مَنْ تَكُونُ بِهِ عِلَّةٌ يَحْتَاجُ مِنْ أَجْلِهَا إِلَىٰ تَرْكِهِ، وَالِاغْتِذَاءِ بِلَبَنِ أُمِّهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّمَا هُوَ عِلَاجٌ كَالْعِلَاجِ بِشُرْبِ بَعْضِ الْأَدْوِيَةِ لَا رَضَاعٌ، فَأَمَّا الرَّضَاعُ الَّذِي يَكُونُ فِي الْفِصَالِ مِنْهُ قَبْلَ انْقِضَاءِ آخِرِهِ تَرَاضٍ وَتَشَاوُرٌ مِنْ وَالِدَي الطِّفْلِ الَّذِي أَسْقَطَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لِفَطْمِهِمَا إِيَّاهُ الْجُنَاحَ عَنْهُمَا قَبْلَ انْقِضَاءِ آخِرِ مُدَّتِهِ، فَإِنَّمَا الْحَدُّ الَّذِي حَدَّهُ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِقَوْلِهِ: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَۚ﴾ عَلَىٰ مَا قَدْ أَتَيْنَا عَلَىٰ الْبَيَانِ عَنْهُ فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ..

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِمَا..

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ مَرَاضِعَ غَيْرَ أُمَّهَاتِهِمْ، إِذَا أَبَتْ أُمَّهَاتُهُمْ أَنْ يُرْضِعْنَهُمْ بِالَّذِي يُرْضِعْنَهُمْ بِهِ غَيْرُهُنَّ مِنَ الْأَجْرِ، أَوْ مِنْ خِيفَةِ ضَيْعَةٍ مِنْكُمْ عَلَىٰ أَوْلَادِكُمْ بِانْقِطَاعِ أَلْبَانِ أُمَّهَاتِهِمْ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ..

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي اسْتِرْضَاعِهِنَّ..

﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ إِذَا سَلَّمْتُمْ إِلَىٰ أُمَّهَاتِهِمْ وَإِلَىٰ الْمُسْتَرْضِعَةِ الْآخِرَةِ حُقُوقَهُنَّ الَّتِي آتَيْتُمُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، يَعْنِي بِذَلِكَ الْمَعْنَىٰ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللهُ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ، وَهُوَ أَنْ يُوَفِّيهِنَّ أُجُورَهُنَّ عَلَىٰ مَا فَارَقَهُنَّ عَلَيْهِ فِي حَالِ الِاسْتِرْضَاعِ وَوَقْتِ عَقْدِ الْإِجَارَةِ..

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِالْإِجْمَالِ وَالْإِحْسَانِ، وَتَرْكِ الْبَخْسِ وَالظُّلْمِ فِيمَا وَجَبَ لِلْمَرَاضِعِ.. فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ إِلَىٰ تَمَامِ رَضَاعِهِنَّ، وَلَمْ تَتَّفِقُوا أَنْتُمْ وَوَالِدَتُهُمْ عَلَىٰ فِصَالِهِمْ، وَلَمْ تَرَوْا ذَلِكَ مِنْ صَلَاحِهِمْ، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوهُمْ ظُؤُورَةً إِنِ امْتَنَعَتْ أُمَّهَاتُهُمْ مِنْ رَضَاعِهِمْ لِعِلَّةٍ بِهِنَّ أَوْ لِغَيْرِ عِلَّةٍ، إِذَا سَلَّمْتُمْ إِلَىٰ أُمَّهَاتِهِمْ وَإِلَىٰ الْمُسْتَرْضِعَةِ الْآخِرَةِ حُقُوقَهُنَّ الَّتِي آتَيْتُمُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ..

﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ وَخَافُوا اللهَ فِيمَا فَرَضَ لِبَعْضِكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنَ الْحُقُوقِ، وَفِيمَا أَلْزَمَ

نِسَاءَكُمْ لِرِجَالِكُمْ وَرِجَالَكُمْ لِنِسَائِكُمْ، وَفِيمَا أَوْجَبَ عَلَيْكُمْ لِأَوْلَادِكُمْ؛ فَاحْذَرُوهُ أَنْ تُخَالِفُوهُ فَتَعْتَدُوا فِي ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَحُقُوقِهِ حُدُودَهُ، فَتَسْتَوْجِبُوا بِذَلِكَ عُقُوبَتَهُ..

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الْأَعْمَالِ أَيُّهَا النَّاسُ سِرَّهَا وَعَلَانِيَتَهَا، وَخَفِيَّهَا وَظَاهِرَهَا، وَخَيْرَهَا وَشَرَّهَا..

﴿بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣] يَرَاهُ وَيَعْلَمُهُ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْهُ شَيْءٌ، فَهُوَ يُحْصِي ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ بِخَيْرِ ذَلِكَ وَشَرِّهِ، وَمَعْنَىٰ بَصِيرٍ ذُو إِبْصَارٍ، وَهُوَ فِي مَعْنَىٰ مُبْصِرٍ.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ مِنَ الرِّجَالِ أَيُّهَا النَّاسُ، فَيَمُوتُونَ..

﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ يَنْبَغِي لَهُنَّ أَنْ..

﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ يَحْتَبِسْنَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ..

﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ مُعْتَدَّاتٍ عَنِ الْأَزْوَاجِ، وَالطِّيبِ، وَالزِّينَةِ، وَالنُّقْلَةِ عَنِ الْمَسْكَنِ الَّذِي كُنَّ يَسْكُنَّهُ فِي حَيَاةِ أَزْوَاجِهِنَّ..

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ إِلَّا أَنْ يَكُنَّ حَوَامِلَ، فَيَكُونُ عَلَيْهِنَّ مِنَ التَّرَبُّصِ كَذَلِكَ إِلَىٰ حِينَ وَضْعِ حَمْلِهِنَّ، فَإِذَا وَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ انْقَضَتْ عِدَدُهُنَّ حِينَئِذٍ؛ فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ: أَنَّ امْرَأَةً تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا، وَاشْتَكَتْ عَيْنَهَا، فَأَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ تَسْتَفْتِيهِ فِي الْكُحْلِ، فَقَالَ: «**لَقَدْ كَانَتِ إِحْدَاكُنَّ تَكُونُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي شَرِّ أَحْلَاسِهَا، فَتَمْكُثُ فِي بَيْتِهَا حَوْلًا إِذَا تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا، فَيَمُرُّ عَلَيْهَا الْكَلْبُ فَتَرْمِيهِ بِالْبَعْرَةِ، أَفَلَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**»، وَعَنْ حَفْصَةَ ابْنَةِ عُمَرَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ تُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحِدَّ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا عَلَىٰ زَوْجٍ، فَإِنَّهَا تُحِدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**»، قَالَ يَحْيَىٰ بنُ سعيد القطَّان: (**وَالْإِحْدَادُ عِنْدَنَا أَنْ لَا تَطَيَّبَ وَلَا تَلْبَسَ ثَوْبًا مَصْبُوغًا بِوَرْسٍ، وَلَا زَعْفَرَانٍ، وَلَا تَكْتَحِلَ، وَلَا تَزَيَّنَ**)..

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ الْأَجَلَ الَّذِي أُبِيحَ لَهُنَّ فِيهِ مَا كَانَ حُظِرَ عَلَيْهِنَّ فِي عِدَدِهِنَّ مِنْ وَفَاةِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَذَلِكَ بَعْدَ انْقِضَاءِ عِدَدِهِنَّ، وَمُضِيِّ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ وَالْأَيَّامِ الْعَشَرَةِ..

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ -أَوْلِيَاءُ الْمَرْأَةِ- فِيمَا فَعَلَ الْمُتَوَفَّىٰ عَنْهُنَّ حِينَئِذٍ..

﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ مِنْ تَطَيُّبٍ، وَتَزَيُّنٍ، وَنُقْلَةٍ مِنَ الْمَسْكَنِ الَّذِي كُنَّ يَعْتَدِدْنَ فِيهِ، وَنِكَاحِ مَنْ يَجُوزُ لَهُنَّ نِكَاحُهُ..

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ عَلَىٰ مَا أَذِنَ اللهُ لَهُنَّ فِيهِ وَأَبَاحَهُ لَهُنَّ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ النِّكَاحَ الْحَلَالَ خَاصَّةً..

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ فِي أَمْرِ مَنْ أَنْتُمْ وَلِيُّهُ مِنْ نِسَائِكُمْ مِنْ عَضْلِهِنَّ، وَإِنْكَاحِهِنَّ مِمَّنْ أَرَدْنَ نِكَاحَهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِكُمْ وَأُمُورِهِمْ..

﴿خَبِيرٌ ٢٣٤﴾ [البقرة: ٢٣٤] ذُو خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ٢٣٥﴾ [البقرة: ٢٣٥].

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا الرِّجَالُ..

﴿فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ الْمُعْتَدَّاتِ مِنْ وَفَاةِ أَزْوَاجِهِنَّ فِي عِدَدِهِنَّ، وَلَمْ تُصَرِّحُوا بِعَقْدِ نِكَاحٍ.. وَالتَّعْرِيضُ الَّذِي أُبِيحَ فِي ذَلِكَ هُوَ مَا كَانَ مِنْ لَحْنِ الْكَلَامِ الَّذِي يَفْهَمُ بِهِ السَّامِعُ الْفَهِمُ مَا يَفْهَمُ بِصَرِيحِهِ، نَحْو أَنْ يَقُولَ: إِنِّي أُرِيدُ التَّزْوِيجَ، وَإِنِّي لَأُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ أَمْرِهَا وَأَمْرِهَا، وَنَحْو: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ، ونَحْو: وَاللهِ إِنَّكِ لَجَمِيلَةٌ، وَإِنَّ النِّسَاءَ لَمِنْ حَاجَتِي، وَإِنَّكِ إِلَىٰ خَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللهُ، ونَحْو: إِنِّي إِنْ تَزَوَّجْتُ أَحْسَنْتُ إِلَىٰ امْرَأَتِي.. ونَحْوُ ذلك..

﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ﴾ إِذَا أَخْفَيْتُمْ..

﴿فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ فَأَسْرَرْتُمُوهُ مِنْ خِطْبَتِهِنَّ، وَعَزْمِ نِكَاحِهِنَّ وَهُنَّ فِي عِدَدِهِنَّ، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَيْضًا فِي ذَلِكَ إِذَا لَمْ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ.. وَفِي إِبَاحَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مَا أَبَاحَ مِنَ التَّعْرِيضِ بِنِكَاحِ الْمُعْتَدَّةِ لَهَا فِي حَالِ عِدَّتِهَا وَحَظْرِهِ التَّصْرِيحَ، مَا أَبَانَ عَنِ افْتِرَاقِ حُكْمِ التَّعْرِيضِ فِي كُلِّ مَعَانِي الْكَلَامِ وَحُكْمِ التَّصْرِيحِ مِنْهُ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ تَبَيَّنَ أَنَّ التَّعْرِيضَ بِالْقَذْفِ غَيْرُ التَّصْرِيحِ بِهِ، وَأَنَّ الْحَدَّ بِالتَّعْرِيضِ بِالْقَذْفِ لَوْ كَانَ وَاجِبًا وُجُوبَهُ بِالتَّصْرِيحِ بِهِ لَوَجَبَ مِنَ الْجَنَاحِ بِالتَّعْرِيضِ بِالْخِطْبَةِ فِي الْعِدَّةِ نَظِيرَ الَّذِي يَجِبُ بِعَزْمِ عُقْدَةِ النِّكَاحِ فِيهَا، وَفِي تَفْرِيقِ اللهِ -

تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بَيْنَ حُكْمَيْهَا فِي ذَلِكَ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ افْتِرَاقِ أَحْكَامِ ذَلِكَ فِي الْقَذْفِ..

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَ الْمُعْتَدَّاتِ فِي عِدَدِهِنَّ بِالْخِطْبَةِ فِي أَنْفُسِكُمْ وَبِأَلْسِنَتِكُمْ، فَأَبَاحَ لَكُمُ التَّعْرِيضَ بِذَلِكَ لَهُنَّ، وَأَسْقَطَ الْحَرَجَ عَمَّا أَضْمَرَتْهُ نُفُوسُكُمْ حِلْمًا مِنْهُ..

﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ وَلَكِنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُوَاعِدُوهُنَّ جِمَاعًا فِي عِدَدِهِنَّ، بِأَنْ يَقُولَ أَحَدُكُمْ لِإِحْدَاهُنَّ فِي عِدَّتِهَا: (قَدْ تَزَوَّجْتُكِ فِي نَفْسِي، وَإِنَّمَا أَنْتَظِرُ إِنْقِضَاءَ عِدَّتِكِ) فَيَسْأَلُهَا بِذَلِكَ الْقَوْلِ إِمْكَانَهُ مِنْ نَفْسِهَا الْجِمَاعَ وَالْمُبَاضَعَةِ، فَحَرَّمَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- ذَلِكَ، وهُوَ الزِّنَا..

﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ﴾ فَاسْتَثْنَىٰ الْقَوْلَ الْمَعْرُوفَ مِمَّا نُهِيَ عَنْهُ مِنْ مُوَاعَدَةِ الرَّجُلِ الْمَرْأَةَ السِّرَّ، وَهُوَ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ؛ وَلَكِنَّهُ مِنَ الِاسْتِثْنَاءِ الَّذِي يَأْتِي بِمَعْنَىٰ خِلَافِ الَّذِي قَبْلَهُ فِي الصِّفَةِ خَاصَّةً، وَتَكُونُ «إِلَّا» فِيهِ بِمَعْنَىٰ «لَكِنْ» فَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ﴾ مِنْهُ، وَمَعْنَاهُ: وَلَكِنْ قُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا، فَأَبَاحَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنْ يَقُولَ لَهَا الْمَعْرُوفَ مِنَ الْقَوْلِ فِي عِدَّتِهَا، وَذَلِكَ هُوَ مَا أَذِنَ لَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [البقرة: ٢٣٥]..

﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ وَلَا تُصَحِّحُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ فِي عِدَّةِ الْمَرْأَةِ الْمُعْتَدَّةِ، فَتُوجِبُوهَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ، وَتَعْقِدُوهَا قَبْلَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ..

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ﴾ الَّذِي بَيَّنَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًاۖ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، فَجَعَلَ بُلُوغَ الْأَجَلِ لِلْكِتَابِ، وَالْمَعْنَىٰ: لِلْمُتَنَاكِحَيْنِ أَنْ لَا يَنْكِحَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ الْمُعْتَدَّةَ فَيَعْزِمَ عُقْدَةَ النِّكَاحِ عَلَيْهَا حَتَّىٰ تَنْقَضِيَ عِدَّتُهَا، فَيَبْلُغَ الْأَجَلَ الَّذِي أَجَّلَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ لِانْقِضَائِهَا..

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ مِنْ هَوَاهِنَّ، وَنِكَاحِهِنَّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِكُمْ..

﴿فَٱحْذَرُوهُۚ﴾ فَاحْذَرُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ فِي أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْتُوا شَيْئًا مِمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنْ عَزْمِ عُقْدَةِ نِكَاحِهِنَّ، أَوْ مُوَاعَدَتِهِنَّ السِّرَّ فِي عِدَدِهِنَّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ فِي شَأْنِهِنَّ فِي حَالِ مَا هُنَّ مُعْتَدَّاتٌ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ..

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ ذُو سَتْرٍ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ وَتَغْطِيَةٍ عَلَيْهَا فِيمَا تُكِنُّهُ نُفُوسُ الرِّجَالِ مِنْ خِطْبَةِ الْمُعْتَدَّاتِ وَذِكْرِهِمْ إِيَّاهُنَّ فِي حَالِ عِدَدِهِنَّ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ خَطَايَاهُمْ..

﴿حَلِيمٌ ٢٣٥﴾ [البقرة: ٢٣٥] ذُو أَنَاةٍ لَا يُعَجِّلُ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِعُقُوبَتِهِمْ عَلَىٰ ذُنُوبِهِمْ.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ [البقرة: ٢٣٦].

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ فِي طَلَاقِكُمْ نِسَاءَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ..

﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ قَبْلَ أَنَّ تُجَامِعُوهُنَّ، وَالْمُمَاسَّةُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ كِنَايَةٌ عَنِ اسْمِ الْجِمَاعِ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِقَوْلِهِ: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ الْمُطَلَّقَاتِ قَبْلَ الإِفْضَاءِ إِلَيْهِنَّ فِي نِكَاحٍ قَدْ سُمِّيَ لَهُنَّ فِيهِ الصَّدَاقُ؛ لِأَنَّ الْمَعْنِيَّةَ بِذَلِكَ لَوْ كَانَتْ غَيْرَ الْمَفْرُوضِ لَهَا الصَّدَاقُ لَمَا كَانَ لِقَوْلِهِ: ﴿أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ مَعْنًىٰ مَعْقُولٌ..

﴿أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ﴾ وَغَيْرُ الْمَفْرُوضِ لَهُنَّ قَبْلَ أَنْ تُوجِبُوا لَهُنَّ..

﴿فَرِيضَةً﴾ صَدَاقًا وَاجِبًا..

﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ وَأَعْطُوهُنَّ مَا يَتَمَتَّعْنَ بِهِ مِنْ أَمْوَالِكُمْ عَلَىٰ أَقْدَارِكُمْ وَمَنَازِلِكُمْ مِنَ الْغِنَىٰ، وَالإِقْتَارِ.. فَأَوْجَبَ الْمُتْعَةَ لِلصِّنْفَيْنِ مِنْهُنَّ جَمِيعًا: الْمَفْرُوضِ لَهُنَّ، وَغَيْرِ الْمَفْرُوضِ لَهُنَّ، فَمَنِ ادَّعَىٰ أَنَّ ذَلِكَ لِأَحَدِ الصِّنْفَيْنِ، سُئِلَ الْبُرْهَانَ عَلَىٰ دَعْوَاهُ مِنْ أَصْلٍ أَوْ نَظِيرٍ.. وَأَرَىٰ أَنَّ الْمُتْعَةَ لِلْمَرْأَةِ حَقٌّ وَاجِبٌ إِذَا طُلِّقَتْ، عَلَىٰ زَوْجِهَا الْمُطَلِّقِهَا عَلَىٰ مَا بَيَّنَّا آنِفًا، يُؤْخَذُ بِهَا الزَّوْجُ كَمَا يُؤْخَذُ بِصَدَاقِهَا، لَا يُبْرِئُهُ مِنْهَا إِلَّا أَدَاؤُهُ إِلَيْهَا، أَوْ إِلَىٰ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهَا فِي قَبْضِهَا مِنْهُ، أَوْ بِبَرَاءَةٍ تَكُونُ مِنْهَا لَهُ.. وَأَرَىٰ أَنَّ سَبِيلَهَا سَبِيلُ صَدَاقِهَا وَسَائِرِ دُيُونِهَا قِبَلَهُ، يُحْبَسُ بِهَا إِنْ طَلَّقَهَا فِيهَا، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ ظَاهِرٌ يُبَاعُ عَلَيْهِ، إِذَا امْتَنَعَ مِنْ إِعْطَائِهَا ذَلِكَ.. فَإِنْ ظَنَّ ذُو غَبَاءٍ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِذْ قَالَ: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾، وَ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ أَنَّهَا غَيْرُ وَاجِبَةٍ؛ لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ وَاجِبَةً لَكَانَتْ عَلَىٰ الْمُحْسِنِ وَغَيْرِ الْمُحْسِنِ، وَالْمُتَّقِي وَغَيْرِ الْمُتَّقِي، فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَدْ أَمَرَ جَمِيعَ خَلْقِهِ بِأَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُحْسِنِينَ، وَمِنَ الْمُتَّقِينَ، وَمَا وَجَبَ مِنْ حَقٍّ عَلَىٰ أَهْلِ الإِحْسَانِ وَالتُّقَىٰ، فَهُوَ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ أَوْجَبُ، وَلَهُمْ أَلْزَمُ، وَفِي إِجْمَاعِ الْحُجَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الْمُتْعَةَ لِلْمُطَلَّقَةِ غَيْرِ الْمَفْرُوضِ لَهَا قَبْلَ الْمَسِيسِ وَاجِبَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ وُجُوبُ نِصْفِ الصَّدَاقِ لِلْمُطَلَّقَةِ الْمَفْرُوضِ لَهَا قَبْلَ الْمَسِيسِ، الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ أَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ وَاجِبٌ لِكُلِّ مُطَلَّقَةٍ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ﴾ وَإِنْ كَانَ قَالَ: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾..

﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ عَلَىٰ قَدْرِ عُسْرِهِ، وَيُسْرِهِ، لَا عَلَىٰ قَدْرِ الْمَرْأَةِ.. وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ وَاجِبًا لِلْمَرْأَةِ عَلَىٰ قَدْرِ صَدَاقِ مِثْلِهَا إِلَىٰ قَدْرِ نِصْفِهِ لَمْ يَكُنْ لِقِيلِهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ مَعْنىً مَفْهُومٌ، وَلَكَانَ الْكَلَامُ: وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَىٰ قَدْرِهِنَّ وَقَدْرِ نِصْفِ صَدَاقِ أَمْثَالِهِنَّ، وَفِي إِعْلَامِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عِبَادَهُ أَنَّ ذَلِكَ عَلَىٰ قَدْرِ الرَّجُلِ فِي عُسْرِهِ وَيُسْرِهِ، لَا عَلَىٰ قَدْرِهِ وَقَدْرِ نِصْفِ صَدَاقِ مِثْلِهَا، مَا يُبِينُ عَنْ صِحَّةِ مَا قُلْنَا وَفَسَادِ مَا خَالَفَهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَرْأَةَ قَدْ يَكُونُ صَدَاقُ مِثْلِهَا الْمَالَ الْعَظِيمَ، وَالرَّجُلُ فِي حَالِ طَلَاقِهِ إِيَّاهَا مُقْتِرٌ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا، فَإِنْ قُضِيَ عَلَيْهِ بِقَدْرِ نِصْفِ صَدَاقِ مِثْلِهَا، أُلْزِمَ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ بَعْضُ مَنْ قَدْ وُسِّعَ عَلَيْهِ، فَكَيْفَ الْمَقْدُورُ عَلَيْهِ؟! وَإِذَا فُعِلَ ذَلِكَ بِهِ، كَانَ الْحَاكِمُ بِذَلِكَ عَلَيْهِ قَدْ تَعَدَّىٰ حُكْمَ قَوْلِ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ وَلَكِنَّ ذَلِكَ عَلَىٰ قَدْرِ عُسْرِ الرَّجُلِ وَيُسْرِهِ، فَعَلَىٰ قَدْرِ طَاقَتِهِ، وَذَلِكَ عَلَىٰ قَدْرِ اجْتِهَادِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ عِنْدَ الْخُصُومَةِ إِلَيْهِ فِيهِ..

﴿مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِۖ﴾ بِمَا أَمَرَكُمُ اللهُ بِهِ مِنْ إِعْطَائِكُمْ لَهُنَّ ذَلِكَ بِغَيْرِ ظُلْمٍ، وَلَا مُدَافَعَةٍ مِنْكُمْ لَهُنَّ بِهِ..

﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٢٣٦﴾ [البقرة: ٢٣٦] الَّذِينَ يُحْسِنُونَ إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فِي الْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ فِيمَا أَلْزَمَهُمْ بِهِ، وَأَدَائِهِمْ مَا كَلَّفَهُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ.

> ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢٣٧﴾ [البقرة: ٢٣٧].

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تُمَاسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً، فَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ نِصْفُ مَا كُنْتُمْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ مِنْ قَبْلِ طَلَاقِكُمْ إِيَّاهُنَّ، يَعْنِي بِذَلِكَ: فَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ نِصْفُ مَا أَصْدَقْتُمُوهُنَّ..

﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ اللَّوَاتِي وَجَبَ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ نِصْفُ تِلْكَ الْفَرِيضَةِ فَيَتْرُكْنَهُ لَكُمْ، وَيَصْفَحْنَ لَكُمْ عَنْهُ، تَفَضُّلًا مِنْهُنَّ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ، إِنْ كُنَّ مِمَّنْ يَجُوزُ حُكْمُهُ فِي مَالِهِ، وَهُنَّ بَوَالِغٌ رَشِيدَاتٌ، فَيَجُوزُ عَفْوُهُنَّ حِينَئِذٍ عَمَّا عَفَوْنَ عَنْكُمْ مِنْ ذَلِكَ، فَيَسْقُطُ عَنْكُمْ مَا كُنَّ عَفَوْنَ لَكُمْ عَنْهُ مِنْهُ، وَذَلِكَ النِّصْفُ الَّذِي كَانَ وَجَبَ لَهُنَّ مِنَ الْفَرِيضَةِ بَعْدَ الطَّلَاقِ..

﴿أَوْ يَعْفُوَا ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ وَهُوَ الزَّوْجُ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ نِكَاحِ نَفْسِهِ فِي كُلِّ حَالٍ،

قَبْلَ الطَّلَاقِ وَبَعْدَهُ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ: أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ نِكَاحِهِنَّ..

﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ﴾ وَأَنْ يَعْفُوَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ وَالزَّوْجَاتُ بَعْدَ فِرَاقِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا عَمَّا وَجَبَ لِبَعْضِكُمْ قِبَلَ بَعْضٍ، فَيَتْرُكُهُ لَهُ إِنْ كَانَ قَدْ بَقِيَ لَهُ قِبَلَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَقِيَ لَهُ فَبِأَنْ يُوَفِّيَهُ بِتَمَامِهِ، أَقْرَبُ لَكُمْ إِلَىٰ تَقْوَىٰ اللهِ..

﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ﴾ إِذْ كَانَ مُؤْثِرًا فِعْلَ مَا نَدَبَهُ اللهُ إِلَيْهِ مِمَّا لَمْ يَفْرِضْهُ عَلَيْهِ عَلَىٰ هَوَىٰ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لِمَا فَرَضَهُ عَلَيْهِ وَأَوْجَبَهُ أَشَدُّ إِيثَارًا، وَلِمَا نَهَاهُ أَشَدُّ لَهُ تَجَنُّبًا، وَذَلِكَ هُوَ قُرْبُهُ مِنَ التَّقْوَىٰ..

﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ﴾ وَلَا تَغْفُلُوا أَيُّهَا النَّاسُ الْأَخْذَ بِالْفَضْلِ بَعْضِكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فَتَتْرُكُوهُ، وَلَكِنْ لِيَتَفَضَّلِ الرَّجُلُ الْمُطَلِّقُ زَوْجَتَهُ قَبْلَ مَسِيسِهَا، فَيُكْمِلُ لَهَا تَمَامَ صَدَاقِهَا إِنْ كَانَ لَمْ يُعْطِهَا جَمِيعَهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ سَاقَ إِلَيْهَا جَمِيعَ مَا كَانَ فَرَضَ لَهَا فَلْيَتَفَضَّلْ عَلَيْهَا بِالْعَفْوِ عَمَّا يَجِبُ لَهُ، وَيَجُوزُ لَهُ الرُّجُوعُ بِهِ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ نِصْفُهُ، فَإِنْ شَحَّ الرَّجُلُ بِذَلِكَ وَأَبَىٰ إِلَّا الرُّجُوعَ بِنِصْفِهِ عَلَيْهَا، فَلْتَتَفَضَّلِ الْمَرْأَةُ الْمُطَلَّقَةُ عَلَيْهِ بِرَدِّ جَمِيعِهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَتْ قَدْ قَبَضَتْهُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قَبَضَتْهُ فَتَعْفُوَ عَنْ جَمِيعِهِ، فَإِنْ هُمَا لَمْ يَفْعَلَا ذَلِكَ وَشَحَّا، وَتَرَكَا مَا نَدَبَهُمَا اللهُ إِلَيْهِ مِنْ أَخْذِ أَحَدِهِمَا عَلَىٰ صَاحِبِهِ بِالْفَضْلِ، فَلَهَا نِصْفُ مَا كَانَ فَرَضَ لَهَا فِي عَقْدِ النِّكَاحِ، وَلَهُ نِصْفُهُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ مِمَّا نَدَبَكُمْ إِلَيْهِ، وَحَضَّكُمْ عَلَيْهِ مِنْ عَفْوِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ عَمَّا وَجَبَ لَهُ قِبَلَهُ مِنْ حَقٍّ، بِسَبَبِ النِّكَاحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَزْوَاجِكُمْ، وَتَفَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ذَلِكَ وَبِغَيْرِهِ مِمَّا تَأْتُونَ وَتَذَرُونَ مِنْ أُمُورِكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ وَغَيْرِكُمْ، مِمَّا حَثَّكُمُ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَمَرَكُمْ بِهِ أَوْ نَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿بَصِيرٌ ٢٣٧﴾ [البقرة: ٢٣٧] ذُو بَصَرٍ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ هُوَ يُحْصِيهُ عَلَيْكُمْ، وَيَحْفَظُهُ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ ذَا الْإِحْسَانِ مِنْكُمْ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ، وَذَا الْإِسَاءَةِ مِنْكُمْ عَلَىٰ إِسَاءَتِهِ.

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة: ٢٣٨].

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ وَاظِبُوا عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ فِي أَوْقَاتِهِنَّ، وَتَعَاهَدُوهُنَّ وَالْزِمُوهُنَّ..

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ وَعَلَىٰ الصَّلَاةِ الْوسْطَىٰ مِنْهُنَّ، وَهِيَ صَلَاةُ الْعَصْرِ؛ فَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي ذَلِكَ، فَعَنْ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ

الْعَصْرِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ فُرِضَتْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَضَيَّعُوهَا وَتَرَكُوهَا، فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا مِنْكُمْ أُوتِيَ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ».. وَإِنَّمَا قِيلَ لَهَا الْوسْطَىٰ: لِتَوَسُّطِهَا الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ الْخَمْسِ، وَذَلِكَ أَنَّ قَبْلَهَا صَلَاتَيْنِ وَبَعْدَهَا صَلَاتَيْنِ، وَهِيَ بَيْنَ ذَلِكَ وُسْطَاهُنَّ..

﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة: ٢٣٨] مُطِيعِينَ، وَذَلِكَ أَنَّ أَصْلَ الْقُنُوتِ: الطَّاعَةُ.. وَقَدْ تَكُونُ الطَّاعَةُ لِلَّهِ فِي الصَّلَاةِ بِالسُّكُوتِ عَمَّا نَهَىٰ اللهُ مِنَ الْكَلَامِ فِيهَا -وَلِذَلِكَ وَجَّهَ مَنْ وَجَّهَ تَأْوِيلَ الْقُنُوتِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَىٰ السُّكُوتِ فِي الصَّلَاةِ -أَحَدَ الْمَعَانِي الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ فِيهَا، إِلَّا عَنْ قِرَاءَةِ قُرْآنٍ، أَوْ ذِكْرٍ لَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ كَمَا وَصَفْنَا مَا جَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخْعِي، وَمُجَاهِدٍ، قَالَا: كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ فِي الصَّلَاةِ، يَأْمُرُ أَحَدُهُمْ أَخَاهُ بِالْحَاجَةِ فَنَزَلَتْ ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ قَالَ: فَقَطَعُوا الْكَلَامَ.. وَالْقُنُوتُ: السُّكُوتُ، وَالْقُنُوتُ: الطَّاعَةُ، فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ وَمُجَاهِدٌ الْقُنُوتَ سُكُوتًا فِي طَاعَةِ اللهِ عَلَىٰ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّأْوِيلِ.. وَقَدْ تَكُونُ الطَّاعَةُ لِلَّهِ فِيهَا بِالْخُشُوعِ، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ، وَإِطَالَةِ الْقِيَامِ، وَبِالدُّعَاءِ؛ لِأَنَّ كَلًّا غَيْرُ خَارِجٍ مِنْ أَحَدِ مَعْنَيَيْنِ، مِنْ أَنْ يَكُونَ مِمَّا أُمِرَ بِهِ الْمُصَلِّي، أَوْ مِمَّا نُدِبَ إِلَيْهِ، وَالْعَبْدُ بِكُلِّ ذَلِكَ لِلَّهِ مُطِيعٌ، وَهُوَ لِرَبِّهِ فِيهِ قَانِتٌ، وَالْقُنُوتُ: أَصْلُهُ الطَّاعَةُ لِلَّهِ، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ مَا أَطَاعَ اللهُ بِهِ الْعَبْدَ.. فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ إِذًا: حَافِظُوا عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوسْطَىٰ، وَقُومُوا لِلَّهِ فِيهَا مُطِيعِينَ بِتَرْكِ بَعْضِكُمْ فِيهَا كَلَامَ بَعْضٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي الْكَلَامِ، سِوَىٰ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِيهَا، أَوْ ذِكْرِ اللهِ بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ أَوْ دُعَائِهِ فِيهَا، غَيْرِ عَاصِينَ لِلَّهِ فِيهَا بِتَضْيِيعِ حُدُودِهَا، وَالتَّفْرِيطِ فِي الْوَاجِبِ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ فِيهَا، وَفِي غَيْرِهَا مِنْ فَرَائِضِ اللهِ.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ٢٣٩﴾ [البقرة: ٢٣٩].

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ وَقُومُوا لِلَّهِ فِي صَلَاتِكُمْ مُطِيعِينَ لَهُ، فَإِنْ خِفْتُمْ مِنْ عَدُوٍّ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، تَخْشَوْنَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فِي حَالِ الْتِقَائِكُمْ مَعَهُمْ، أَنْ تُصَلُّوا قِيَامًا عَلَىٰ أَرْجُلِكُمْ بِالْأَرْضِ، قَانِتِينَ لِلَّهِ..

﴿فَرِجَالًا﴾ فَصَلُّوا رِجَالًا مُشَاةً عَلَىٰ أَرْجُلِكُمْ، وَأَنْتُمْ فِي حَرْبِكُمْ، وَقِتَالِكُمْ، وَجِهَادِ عَدُوِّكُمْ..

﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ عَلَىٰ ظُهُورِ دَوَابِّكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَجْزِيكُمْ حِينَئِذٍ مِنَ الْقِيَامِ مِنْكُمْ قَانِتِينَ.. وَالْخَوْفُ الَّذِي لِلْمُصَلِّي أَنْ يُصَلِّيَ مِنْ أَجلِهِ الْمَكْتُوبَةَ مَاشِيًا رَاجِلًا وَرَاكِبًا جَائِلًا، الْخَوْفُ عَلَىٰ الْمُهِجَّةِ عِنْدَ السَّلَّةِ، وَالْمُسَايَفَةِ فِي قِتَالِ مَنْ أُمِرَ بِقِتَالِهِ مِنْ عَدُوٍّ لِلْمُسْلِمِينَ، أَوْ مُحَارِبٍ، أَوْ طَلَبِ

سَبُعٍ، أَوْ جَمَلٍ صَائِلٍ، أَوْ سَيْلٍ سَائِلٍ فَخَافَ الْغَرَقَ فِيهِ، وَكُلِّ مَا الْأَغْلَبُ مِنْ شَأْنِهِ هَلَاكُ الْمَرْءِ مِنْهُ إِنْ صَلَّىٰ صَلَاةَ الْأَمْنِ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ صَلَاةَ شِدَّةِ الْخَوْفِ حَيْثُ كَانَ وَجْهُهُ، يُومِئُ إِيمَاءً، لِعُمُومِ كِتَابِ اللهِ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ وَلَمْ يَخُصَّ الْخَوْفَ عَلَىٰ ذَلِكَ عَلَىٰ نَوْعٍ مِنَ الْأَنْوَاعِ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الْخَوْفُ صِفَتَهُ مَا ذَكَرْتُ، وَإِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّ الْخَوْفَ الَّذِي يَجُوزُ لِلْمُصَلِّي أَنْ يُصَلِّيَ كَذَلِكَ هُوَ الَّذِي الْأَغْلَبُ مِنْهُ الْهَلَاكُ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ بِحُدُودِهَا، وَذَلِكَ حَالُ شِدَّةِ الْخَوْفِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ: «**يَقُومُ الْأَمِيرُ وَطَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ مَعَهُ، فَيَسْجُدُونَ سَجْدَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ تَكُونُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَدُوِّ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ الَّذِينَ سَجَدُوا سَجْدَةً مَعَ أَمِيرِهِمْ، ثُمَّ يَكُونُونَ مَكَانَ الَّذِينَ لَمْ يُصَلُّوا، وَيَتَقَدَّمُ الَّذِينَ لَمْ يُصَلُّوا فَيُصَلُّونَ مَعَ أَمِيرِهِمْ سَجْدَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ يَنْصَرِفُ أَمِيرُهُمْ وَقَدْ قَضَىٰ صَلَاتَهُ، وَيُصَلِّي بَعْدَ صَلَاتِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ سَجْدَةً لِنَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَ خَوْفٌ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا**»، فَفَصَلَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ حُكْمِ صَلَاةِ الْخَوْفِ فِي غَيْرِ حَالِ الْمُسَايَفَةِ، وَالْمُطَارَدَةِ وَبَيْنَ حُكْمِ صَلَاةِ الْخَوْفِ فِي حَالِ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْمُسَايَفَةِ، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ إِنَّمَا عَنَىٰ بِهِ الْخَوْفَ الَّذِي وَصَفْنَا صِفَتَهُ.. وَأَمَّا عَدَدُ الرَّكَعَاتِ فِي تِلْكَ الْحَالِ مِنَ الصَّلَاةِ، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ لَا يَقْتَصِرَ مِنْ عَدَدِهَا فِي حَالِ الْأَمْنِ، وَإِنْ قَصُرَ عَنْ ذَلِكَ فَصَلَّىٰ رَكْعَةً رَأَيْتُهَا مُجْزِئَةً؛ لِأَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: «**فَرَضَ اللهُ الصَّلَاةَ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا، وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ، وَفِي الْخَوْفِ رَكْعَةً**»..

﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ عَدُوِّكُمْ أَنْ يَقْدِرَ عَلَىٰ قَتْلِكُمْ فِي حَالِ اشْتِغَالِكُمْ بِصَلَاتِكُمُ الَّتِي فَرَضَهَا عَلَيْكُمْ وَمَنْ غَيْرِهِ مِمَّنْ كُنْتُمْ تَخَافُونَهُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فِي حَالِ صَلَاتِكُمْ، فَاطْمَأْنَنْتُمْ..

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ فِي صَلَاتِكُمْ وَفِي غَيْرِهَا، بِالشُّكْرِ لَهُ، وَالْحَمْدِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ التَّوْفِيقِ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ الَّذِي ضَلَّ عَنْهُ أَعْدَاؤُكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾ كَمَا ذَكَّرَكُمْ بِتَعْلِيمِهِ إِيَّاكُمْ، مِنْ أَحْكَامِهِ، وَحَلَالِهِ، وَحَرَامِهِ..

﴿مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة: ٢٣٩] مِنْ أَخْبَارِ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، وَالْأَنْبَاءِ الْحَادِثَةِ بَعْدَكُمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، الَّتِي جَهِلَهَا غَيْرُكُمْ، وَبَصَّرَكُمْ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ، إِنْعَامًا مِنْهُ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ، فَعَلَّمَكُمْ مِنْهُ مَا لَمْ تَكُونُوا مِنْ قَبْلِ تَعْلِيمِهِ إِيَّاكُمْ تَعْلَمُونَ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ [البقرة: ٢٤٠].

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ أَيُّهَا الرِّجَالُ..

﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ يَعْنِي زَوْجَاتٍ كُنَّ لَهُ نِسَاءً فِي حَيَاتِهِ بِنِكَاحٍ لَا مِلْكِ يَمِينٍ..

﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ كَتَبَ اللهُ لِأَزْوَاجِهِمْ عَلَيْكُمْ -وَصِيَّةً مِنْهُ لَهُنَّ- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ مَنَازِلِ أَزْوَاجِهِنَّ حَوْلًا، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [النساء: ١٢]، فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- كَانَ جَعَلَ لِأَزْوَاجِ مَنْ مَاتَ مِنَ الرِّجَالِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ سُكْنَىٰ حَوْلٍ فِي مَنْزِلِهِ، وَنَفَقَتَهَا فِي مَالِ زَوْجِهَا الْمَيِّتِ إِلَىٰ انْقِضَاءِ السَّنَةِ، وَوَجَبَ عَلَىٰ وَرَثَةِ الْمَيِّتِ أَنْ لَا يُخْرِجُوهُنَّ قَبْلَ تَمَامِ الْحَوْلِ مِنَ الْمَسْكَنِ الَّذِي يَسْكُنُهُ، وَإِنْ هُنَّ تَرَكْنَ حَقَّهُنَّ مِنْ ذَلِكَ وَخَرَجْنَ لَمْ تَكُنْ وَرَثَةُ الْمَيِّتِ مِنْ خُرُوجِهِنَّ فِي حَرَجٍ، ثُمَّ إِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- نَسَخَ النَّفَقَةَ بِآيَةِ الْمِيرَاثِ، وَأَبْطَلَ مِمَّا كَانَ جَعَلَ لَهُنَّ مِنْ سُكْنَىٰ حَوْلٍ، وَرَدَّهُنَّ إِلَىٰ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرٍ..

﴿مَّتَٰعًا﴾ جَعَلَ الْوَصِيَّةَ الَّتِي كَتَبَهَا اللهُ لَهُنَّ مَتَاعًا..

﴿إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍۚ﴾ لَا إِخْرَاجَ مِنْ مَسْكَنِ زَوْجِهَا حَتَّىٰ يَنْقَضِيَ الْحَوْلُ..

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍۗ﴾ لِأَنَّ الْمَتَاعَ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ لَهُنَّ إِلَىٰ الْحَوْلِ فِي مَالِ أَزْوَاجِهِنَّ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ وَفِي مَسَاكِنِهِمْ وَنَهَىٰ وَرَثَتَهُ عَنْ إِخْرَاجِهِنَّ، إِنَّمَا هُوَ لَهُنَّ مَا أَقَمْنَ فِي مَسَاكِنِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَأَنَّ حُقُوقَهُنَّ مِنْ ذَلِكَ تَبْطُلُ بِخُرُوجِهِنَّ إِنْ خَرَجْنَ مِنْ مَنَازِلِ أَزْوَاجِهِنَّ قَبْلَ الْحَوْلِ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِنَّ بِغَيْرِ إِخْرَاجٍ مِنْ وَرَثَةِ الْمَيِّتِ، ثُمَّ أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَىٰ أَوْلِيَاءِ الْمَيِّتِ فِي خُرُوجِهِنَّ وَتَرْكِهِنَّ الْحِدَادَ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ؛ لِأَنَّ الْمُقَامَ حَوْلًا فِي بُيُوتِ أَزْوَاجِهِنَّ وَالْحِدَادَ عَلَيْهِ تَمَامَ حَوْلٍ كَامِلٍ لَمْ يَكُنْ فَرْضًا عَلَيْهِنَّ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ إِبَاحَةً مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَهُنَّ إِنْ أَقَمْنَ تَمَامَ الْحَوْلِ مُحِدَّاتٍ، فَأَمَّا إِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَىٰ أَوْلِيَاءِ الْمَيِّتِ وَلَا عَلَيْهِنَّ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ، وَذَلِكَ تَرْكُ الْحِدَادِ، يَقُولُ: فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي التَّزَيُّنِ إِنْ تَزَيَّنَّ وَتَطَيَّبْنَ وَتَزَوَّجْنَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَهُنَّ، وَإِنَّمَا قُلْنَا: لَا حَرَجَ عَلَيْهِنَّ فِي خُرُوجِهِنَّ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ عَلَيْهِنَّ فِيهِ جُنَاحٌ، لَكَانَ عَلَىٰ أَوْلِيَاءِ الرَّجُلِ فِيهِ جَنَاحٌ بِتَرْكِهِمْ إِيَّاهُنَّ وَالْخُرُوجَ مَعَ قُدْرَتِهِمْ عَلَىٰ مَنْعِهِنَّ مِنْ

ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَمَّا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ فِي خُرُوجِهِنَّ وَتَرْكِ الْحِدَادِ، وَضَعَ عَنْ أَوْلِيَاءِ الْمَيِّتِ وَغَيْرِهِمُ الْحَرَجَ فِيمَا فَعَلْنَ مِنْ مَعْرُوفٍ، وَذَلِكَ فِي أَنْفُسِهِنَّ..

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ خَالَفَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَتَعَدَّىٰ حُدُودَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، فَمَنَعَ مَنْ كَانَ مِنَ الرِّجَالِ نِسَاءَهُمْ وَأَزْوَاجَهُمْ مَا فُرِضَ لَهُنَّ عَلَيْهِمْ فِي الْآيَاتِ الَّتِي مَضَتْ قَبْلُ، مِنَ الْمُتْعَةِ وَالصَّدَاقِ وَالْوَصِيَّةِ وَإِخْرَاجِهِنَّ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْحَوْلِ، وَتَرْكِ الْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ وَأَوْقَاتِهَا، وَمَنْعِ مَنْ كَانَ مِنَ النِّسَاءِ مَا أَلْزَمَهُنَّ اللهُ مِنَ التَّرَبُّصِ عِنْدَ وَفَاةِ أَزْوَاجِهِنَّ عَنِ الْأَزْوَاجِ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ فِي الْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ..

﴿حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ [البقرة: ٢٤٠] فِيمَا قَضَىٰ بَيْنَ عِبَادِهِ مِنْ قَضَايَاهُ الَّتِي قَدْ تَقَدَّمَتْ فِي الْآيَاتِ قَبْلَ قَوْلِهِ ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِهِ وَأَقْضِيَتِهِ.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ [البقرة: ٢٤١].

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ﴾ وَلِمَنْ طَلَّقَ مِنَ النِّسَاءِ عَلَىٰ مُطَلِّقِهَا مِنَ الْأَزْوَاجِ..

﴿مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِۖ﴾ مَا تَسْتَمْتِعُ بِهِ مِنْ ثِيَابٍ، وَكِسْوَةٍ، وَنَفَقَةٍ، أَوْ خَادِمٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُسْتَمْتَعُ بِهِ..

﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ [البقرة: ٢٤١] الَّذِينَ اتَّقَوُا اللهَ فِي أَمْرِهِ، وَنَهْيِهِ، وَحُدُودِهِ، فَقَامُوا بِهَا عَلَىٰ مَا كَلَّفَهُمُ الْقِيَامَ بِهِ خَشْيَةً مِنْهُمْ لَهُ، وَوَجَلًا مِنْهُمْ مِنْ عِقَابِهِ.. أَنْزَلَهَا دَلِيلًا لِعِبَادِهِ عَلَىٰ أَنَّ لِكُلِّ مُطَلَّقَةٍ مُتْعَةً؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- ذَكَرَ فِي سَائِرِ آيِ الْقُرْآنِ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ مُتْعَةِ النِّسَاءِ خُصُوصًا مِنَ النِّسَاءِ، فَبَيَّنَ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَالَ فِيهَا: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٦]، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩]، مَا لَهُنَّ مِنَ الْمُتْعَةِ إِذَا طُلِّقْنَ قَبْلَ الْمَسِيسِ، وَبِقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٢٨]، حُكْمَ الْمَدْخُولِ بِهِنَّ، فَعَمَّ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِۖ﴾ ذِكْرَ جَمِيعِهِنَّ، وَأَخْبَرَ بِأَنَّ لَهُنَّ الْمَتَاعَ، كَمَا أَبَانَ الْمُطَلَّقَاتِ الْمَوْصُوفَاتِ بِصِفَاتِهِنَّ فِي سَائِرِ آيِ الْقُرْآنِ، وَلِذَلِكَ كَرَّرَ ذِكْرَ جَمِيعِهِنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾ [البقرة: ٢٤٢].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا بَيَّنْتُ لَكُمْ مَا يَلْزَمُكُمْ لِأَزْوَاجِكُمْ وَيَلْزَمُ أَزْوَاجَكُمْ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَعَرَّفْتُكُمْ أَحْكَامِي وَالْحَقَّ الْوَاجِبَ لِبَعْضِكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، فَكَذَلِكَ..

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أُبَيِّنُ لَكُمْ سَائِرَ الْأَحْكَامِ فِي آيَاتِي الَّتِي أَنْزَلْتُهَا عَلَىٰ نَبِيِّي مُحَمَّدٍ ﷺ فِي هَذَا الْكِتَابِ..

﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝﴾ [البقرة: ٢٤٢] لِتَعْقِلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِي وَبِرَسُولِي حُدُودِي، فَتَفْهَمُوا اللَّازِمَ لَكُمْ مِنْ فَرَائِضِي، وَتَعْرِفُوا بِذَلِكَ مَا فِيهِ صَلَاحُ دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ، وَعَاجِلِكُمْ وَآجِلِكُمْ، فَتَعْلَمُوا بِهِ، لِيَصْلُحَ ذَاتُ بَيْنِكُمْ، وَتَنَالُوا بِهِ الْجَزِيلَ مِنْ ثَوَابِي فِي مَعَادِكُمْ.

﴿* أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ۝﴾

[البقرة: ٢٤٣].

﴿* أَلَمۡ تَرَ﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ.. وَهُوَ مِنْ رُؤْيَةِ الْقَلْبِ لَا رُؤْيَةِ الْعَيْنِ؛ لِأَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ لَمْ يُدْرِكِ الَّذِينَ أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ هَذَا الْخَبَرَ..

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ مِنْ غَيْرِ افْتِرَاقٍ كَانَ مِنْهُمْ، وَلَا تَبَاغُضٍ، وَلَكِنْ فِرَارًا، إِمَّا مِنَ الْجِهَادِ، وَإِمَّا مِنَ الطَّاعُونِ..

﴿وَهُمۡ أُلُوفٌ﴾ زِيَادَةٌ عَنْ عَشَرَةِ آلَافٍ، وَمَا دُونَ الْعَشَرَةِ آلَافٍ لَا يُقَالُ لَهُمْ أُلُوفٌ، وَإِنَّمَا يُقَالُ: هُمْ آلَافٌ إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ فَصَاعِدًا إِلَىٰ الْعَشَرَةِ آلَافٍ..

﴿حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ خَرَجُوا فِرَارًا مِنْهُ..

﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ﴾ حَثَّ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عِبَادَهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ الْمُوَاظَبَةِ عَلَىٰ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ قِتَالِ أَعْدَاءِ دِينِهِ، وَشَجَّعَهُمْ بِإِعْلَامِهِ إِيَّاهُمْ وَتَذْكِيرِهِ لَهُمْ أَنَّ الْإِمَاتَةَ وَالْإِحْيَاءَ بِيَدَيْهِ وَإِلَيْهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَأَنَّ الْفِرَارَ مِنَ الْقِتَالِ وَالْهَرَبَ مِنَ الْجِهَادِ وَلِقَاءِ الْأَعْدَاءِ إِلَىٰ التَّحَصُّنِ فِي الْحُصُونِ وَالِاخْتِبَاءِ فِي الْمَنَازِلِ وَالدُّورِ غَيْرُ مُنْجٍ أَحَدًا مِنْ قَضَائِهِ إِذَا حَلَّ بِسَاحَتِهِ، وَلَا دَافِعَ عَنْهُ أَسْبَابَ مَنِيَّتِهِ إِذَا نَزَلَ بِعُقُوبَتِهِ، كَمَا لَمْ يَنْفَعِ الْهَارِبِينَ مِنَ الطَّاعُونِ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- صِفَتَهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿* أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ فِرَارُهُمْ مِنْ أَوْطَانِهِمْ، وَانْتِقَالُهُمْ مِنْ مَنَازِلِهِمْ إِلَىٰ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَمَّلُوا بِالْمَصِيرِ إِلَيْهِ السَّلَامَةَ، وَبِالْمَوْئِلِ النَّجَاةَ مِنَ الْمَنِيَّةِ، حَتَّىٰ أَتَاهُمْ أَمْرُ اللهِ، فَتَرَكَهُمْ جَمِيعًا خُمُودًا صَرْعَىٰ، وَفِي الْأَرْضِ هَلْكَىٰ، وَنَجَا مِمَّا حَلَّ بِهِمُ الَّذِينَ بَاشَرُوا كَرْبَ الْوَبَاءِ، وَخَالَطُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَظِيمَ الْبَلَاءِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بِتَبْصِيرِهِ إِيَّاهُمْ سَبِيلَ الْهُدَىٰ وَتَحْذِيرِهِ لَهُمْ طُرُقَ الرَّدَىٰ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نِعَمِهِ الَّتِي يُنْعِمُهَا عَلَيْهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ، وَأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، كَمَا أَحْيَا الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ بَعْدَ إِمَاتَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَجَعَلَهُمْ لِخَلْقِهِ مَثَلًا وَعِظَةً يَعْظُونَ بِهِمْ، وَعِبْرَةً يَعْتَبِرُونَ بِهِمْ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِهِ، فَيَسْتَسْلِمُونَ لِقَضَائِهِ، وَيَصْرِفُونَ الرَّغْبَةَ كُلَّهَا وَالرَّهْبَةَ إِلَيْهِ.. ثُمَّ أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ يُنْعِمُ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ بِنِعَمِهِ الْجَلِيلَةِ، وَيَمُنُّ عَلَيْهِ بِمِنَنِهِ الْجَسِيمَةِ، يَكْفُرُ بِهِ، وَيَصْرِفُ الرَّغْبَةَ وَالرَّهْبَةَ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَيَتَّخِذُ إِلَهًا مِنْ دُونِهِ، كُفْرَانًا مِنْهُ لِنِعَمِهِ الَّتِي تُوجِبُ أَصْغَرُهَا عَلَيْهِ مِنَ الشُّكْرِ مَا يَفْدَحُهُ، وَمِنَ الْحَمْدِ مَا يُثْقِلُهُ، فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣] لَا يَشْكُرُونَ نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُهَا عَلَيْهِمْ، وَفَضْلِي الَّذِي تَفَضَّلْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ، بِعِبَادَتِهِمْ غَيْرِي، وَصَرْفِهِمْ رَغْبَتَهُمْ وَرَهْبَتَهُمْ إِلَىٰ مَنْ دُونِي، مِمَّنْ لَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَلَا يَمْلِكُ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا.

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤٤].

﴿وَقَٰتِلُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَاشْكُرُونِي أَنْتُمْ بِطَاعَتِي فِيمَا أَمَرْتُكُمْ مِنْ جِهَادِ عَدُوِّكُمْ فِي سَبِيلِي، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِي وَنَهْيِي، إِذْ كَفَرَ هَؤُلَاءِ نِعَمِي..

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يَعْنِي فِي دِينِهِ الَّذِي هَدَاكُمْ لَهُ -لَا فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ- أَعْدَاءَ دِينِكُمْ، الصَّادِينَ عَنْ سَبِيلِ رَبِّكُمْ، وَلَا تَجْبُنُوا عَنْ لِقَائِهِمْ، وَلَا تَقْعُدُوا عَنْ حَرْبِهِمْ، فَإِنَّ بِيَدِي حَيَاتَكُمْ وَمَوْتَكُمْ، وَلَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مِنْ لِقَائِهِمْ وَقِتَالِهِمْ حَذَرُ الْمَوْتِ وَخَوْفُ الْمَنِيَّةِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِقِتَالِهِمْ، فَيَدْعُوهُ ذَلِكَ إِلَىٰ التَّعْرِيدِ عَنْهُمْ، وَالْفِرَارِ مِنْهُمْ، فَتَذِلُّوا، وَيَأْتِيكُمُ الْمَوْتُ الَّذِي خِفْتُمُوهُ فِي مَأْمَنِكُمُ الَّذِي وَأَلْتُمْ إِلَيْهِ، كَمَا أَتَىٰ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ فِرَارًا مِنَ الْمَوْتِ، الَّذِينَ قَصَصْتُ عَلَيْكُمْ قِصَّتَهُمْ، فَلَمْ يُنْجِهِمْ فِرَارُهُمْ مِنْهُ مِنْ نُزُولِهِ بِهِمْ حِينَ جَاءَهُمْ أَمْرِي وَحَلَّ بِهِمْ قَضَائِي، وَلَا ضَرَّ الْمُتَخَلِّفِينَ وَرَاءَهُمْ مَا كَانُوا لَمْ يَحْذَرُوهُ إِذْ دَافَعْتُ عَنْهُمْ مَنَايَاهُمْ، وَصَرَفْتُهَا عَنْ حُوبَائِهِمْ، فَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مَنْ أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالِهِ مِنْ أَعْدَائِي وَأَعْدَاءِ دِينِي، فَإِنَّ مَنْ حَيِيَ مِنْكُمْ فَأَنَا أُحْيِيهِ، وَمَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ فَبِقَضَائِي كَانَ قَتْلُهُ، ثُمَّ قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَهُمْ..

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِقَوْلِ مَنْ يَقُولُ مِنْ مُنَافِقِيكُمْ لِمَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ فِي سَبِيلِي: لَوْ أَطَاعُونَا فَجَلَسُوا فِي مَنَازِلِهِمْ مَا قُتِلُوا..

﴿عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤٤] بِمَا تُخْفِيهِ صُدُورُهُمْ مِنَ النِّفَاقِ وَالْكُفْرِ وَقِلَّةِ الشُّكْرِ لِنِعْمَتِي عَلَيْهِمْ وَآلَائِي لَدَيْهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ وَأُمُورِ عِبَادِي، عَلِيمٌ بِهِمْ وَبِغَيْرِهِمْ وَبِمَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ وَالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، مُحِيطٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ، حَتَّىٰ أُجَازِيَ كُلًّا بِعَمَلِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة: ٢٤٥].

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ مَنْ هَذَا الَّذِي يُنْفِقُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيُعِينُ مُضْعِفًا، أَوْ يُقَوِّي ذَا فَاقَةٍ أَرَادَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَيُعْطِي مِنْهُمْ مُقْتِرًا، وَذَلِكَ هُوَ الْقَرْضُ الْحَسَنُ الَّذِي يَقْرِضُ الْعَبْدُ رَبَّهُ.. وَإِنَّمَا سَمَّاهُ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَرْضًا؛ لِأَنَّ مَعْنَىٰ الْقَرْضِ: إِعْطَاءُ الرَّجُلِ غَيْرَهُ مَالَهُ مُمَلَّكًا لَهُ لِيَقْضِيَهُ مِثْلَهُ إِذَا اقْتَضَاهُ، فَلَمَّا كَانَ إِعْطَاءُ مَنْ أَعْطَىٰ أَهْلَ الْحَاجَةِ وَالْفَاقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ إِنَّمَا يُعْطِيهِمْ مَا يُعْطِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَا وَعَدَهُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ عِنْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، سَمَّاهُ قَرْضًا؛ إِذْ كَانَ مَعْنَىٰ الْقَرْضِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ مَا وَصَفْنَا.. وَإِنَّمَا جَعَلَهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- حَسَنًا؛ لِأَنَّ الْمُعْطِي يُعْطِي ذَلِكَ عَنْ نَدْبِ اللهِ إِيَّاهُ، وَحَثِّهِ لَهُ عَلَيْهِ احْتِسَابًا مِنْهُ، فَهُوَ لِلَّهِ طَاعَةٌ وَلِلشَّيَاطِينِ مَعْصِيَةٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِحَاجَةٍ بِاللهِ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ نَظِيرَةُ الْآيَةِ الَّتِي قَالَ اللهُ فِيهَا -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١]..

﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ﴾ فَإِنَّهُ عِدَةٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مُقْرِضَهُ وَمُنْفِقَ مَالِهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ إِضْعَافِ الْجَزَاءِ لَهُ عَلَىٰ قَرْضِهِ وَنَفَقَتِهِ مَا لَا حَدَّ لَهُ وَلَا نِهَايَةَ..

﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ واللهُ الَّذِي بِيَدِهِ قَبْضُ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ وَبَسْطِهَا دُونَ غَيْرِهِ مِمَّنِ ادَّعَىٰ أَهْلُ الشِّرْكِ بِهِ أَنَّهُمْ آلِهَةٌ، وَاتَّخَذُوهُ رَبًّا دُونَهُ يَعْبُدُونَهُ، وَذَلِكَ نَظِيرُ الْخَبَرِ الَّذِي رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ أَنَسٌ: غَلَا السِّعْرُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ غَلَا السِّعْرُ، فَأَسْعِرْ لَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ الْبَاسِطُ الْقَابِضُ الرَّزَّاقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَىٰ اللهَ لَيْسَ أَحَدٌ يَطْلُبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي نَفْسٍ وَمَالٍ**».. يَعْنِي بِذَلِكَ ﷺ: أَنَّ الْغَلَاءَ وَالرُّخْصَ وَالسَّعَةَ وَالضِّيقَ بِيَدِ اللهِ دُونَ غَيْرِهِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ يَعْنِي بِقَوْلِهِ:

﴿يَقْبِضُ﴾ يَقْتُرُ بِقَبْضِهِ الرِّزْقَ عَمَّنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَبْصُۜطُ﴾ يُوَسِّعُ بِبَسْطَةِ الرِّزْقِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ.. وَإِنَّمَا أَرَادَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِقِيلِهِ ذَٰلِكَ حَثَّ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ قَدْ بَسَطَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلِهِ فَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ مِنْ رِزْقِهِ، عَلَىٰ تَقْوِيَةِ ذَوِي الْإِقْتَارِ مِنْهُمْ بِمَالِهِ، وَمَعُونَتِهِ بِالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِ، وَحُمُولَتِهِ عَلَىٰ النُّهُوضِ لِقِتَالِ عَدُوِّهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي سَبِيلِهِ.. فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: مَنْ يُقَدِّمُ لِنَفْسِهِ ذُخْرًا عِنْدِي بِإِعْطَائِهِ ضُعَفَاءَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلَ الْحَاجَةِ مِنْهُمْ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَىٰ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِي، فَأُضَاعِفُ لَهُ مِنْ ثَوَابِي أَضْعَافًا كَثِيرَةً مِمَّا أَعْطَاهُ وَقَوَّاهُ بِهِ، فَإِنِّي أَنَا الْمُوَسِّعُ الَّذِي قَبَضْتُ الرِّزْقَ عَمَّنْ نَدَبْتُكَ إِلَىٰ مَعُونَتِهِ وَإِعْطَائِهِ، لِأَبْتَلِيَهُ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا ابْتَلَيْتُهُ بِهِ، وَالَّذِي بَسَطْتُ عَلَيْكَ لِأَمْتَحِنَكَ بِعَمَلِكَ فِيمَا بَسَطْتُ عَلَيْكَ، فَأَنْظُرَ كَيْفَ طَاعَتُكَ إِيَّايَ فِيهِ، فَأُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا عَلَىٰ قَدْرِ طَاعَتِكُمَا لِي فِيمَا ابْتَلَيْتُكُمَا فِيهِ، وَامْتَحَنْتُكُمَا بِهِ مِنْ غِنًىٰ وَفَاقَةٍ، وَسَعَةٍ وَضِيقٍ، عِنْدَ رُجُوعِكُمَا إِلَيَّ فِي آخِرَتِكُمَا، وَمَصِيرِكُمَا إِلَيَّ فِي مَعَادِكُمَا..

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة: ٢٤٥] وَإِلَىٰ اللهِ مَعَادُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَنْ تُضَيِّعُوا فَرَائِضَهُ وَتَتَعَدُّوا حُدُودَهُ، وَأَنْ يَعْمَلَ مَنْ بُسِطَ عَلَيْهِ مِنْكُمْ مِنْ رِزْقِهِ بِغَيْرِ مَا أَذِنَ لَهُ بِالْعَمَلِ فِيهِ رَبُّهُ، وَأَنْ يَحْمِلَ الْمُقْتِرُ مِنْكُمْ، فَقَبَضَ عَنْ رِزْقِهِ إِقْتَارُهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ، وَالتَّقَدُّمُ عَلَىٰ مَا نَهَاهُ فَيَسْتَوْجِبُ بِذَلِكَ مِنْهُ بِمَصِيرِهِ إِلَىٰ خَالِقِهِ مَا لَا قِبَلَ لَهُ بِهِ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ.

> ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [البقرة: ٢٤٦].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِقَلْبِكَ، فَتَعْلَمَ بِخَبَرِي إِيَّاكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يَعْنِي إِلَىٰ وُجُوهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَشْرَافِهِمْ وَرُؤَسَائِهِمْ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا قُبِضَ مُوسَىٰ فَمَاتَ..

﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ﴾ النَّبِيُّ الَّذِي سَأَلُوهُ أَنْ يَبْعَثَ لَهُمْ مَلِكًا يُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ هَلْ تَعْدُونَ..

﴿إِن كُتِبَ﴾ إِنْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ..

﴿ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ۖ﴾ أَنْ لَا تَفُوا بِمَا تَعِدُونَ اللهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ؟ فَإِنَّكُمْ أَهْلُ نَكْثٍ وَغَدْرٍ، وَقِلَّةِ وَفَاءٍ بِمَا تَعِدُونَ..

﴿قَالُوا۟﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِنَبِيِّهِمْ..

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَأَيُّ شَيْءٍ يَمْنَعُنَا أَنْ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَدُوَّنَا وَعَدُوَّ اللهِ..

﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا﴾ وَقَدْ أُخْرِجَ بِالْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ مَنْ غُلِبَ عَلَيْهِ مِنْ رِجَالِنَا وَنِسَائِنَا..

﴿مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَاۖ﴾ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَمَنْ سُبِيَ.. وَهَذَا الْكَلَامُ ظَاهِرُهُ الْعُمُومُ، وَبَاطِنُهُ الْخُصُوصُ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ: ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ كَانُوا فِي دِيَارِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ، وَإِنَّمَا كَانَ أُخْرِجَ مِنْ دَارِهِ وَوَلَدِهِ مَنْ أُسِرَ وَقُهِرَ مِنْهُمْ.. فَسَأَلَ نَبِيُّهُمْ رَبَّهُمْ أَنْ يَبْعَثَ لَهُمْ مَلِكًا يُقَاتِلُونَ مَعَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَبَعَثَ لَهُمْ مَلِكًا، وَكَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ..

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾ فَلَمَّا فُرِضَ عَلَيْهِمْ قِتَالُ عَدُوِّهِمْ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ..

﴿تَوَلَّوْا۟﴾ أَدْبَرُوا مُوَلِّينَ عَنِ الْقِتَالِ، وَضَيَّعُوا مَا سَأَلُوهُ نَبِيَّهُمْ مِنْ فَرْضِ الْجِهَادِ..

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۗ﴾ الَّذِينَ عَبَرُوا النَّهَرَ مَعَ طَالُوتَ.. وَسَنَذْكُرُ سَبَبَ تَوَلِّي مَنْ تَوَلَّىٰ مِنْهُمْ وَعُبُورَ مَنْ عَبَرَ مِنْهُمُ النَّهَرَ بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللهُ إِذَا أَتَيْنَا عَلَيْهِ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [البقرة: ٢٤٦] وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِمَنْ ظَلَمَ مِنْهُمْ نَفْسَهُ، فَأَخْلَفَ اللهَ مَا وَعَدَهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَخَالَفَ أَمْرَ رَبِّهِ فِيمَا سَأَلَهُ ابْتِدَاءً أَنْ يُوجِبَهُ عَلَيْهِ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- تَقْرِيعٌ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي تَكْذِيبِهِمْ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ وَمُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَ رَبِّهِمْ، يَقُولُ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَهُمْ: إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ عَصَيْتُمُ اللهَ وَخَالَفْتُمْ أَمْرَهُ فِيمَا سَأَلْتُمُوهُ أَنْ يَفْرِضَهُ عَلَيْكُمُ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْتَدِئَكُمْ رَبُّكُمْ بِفَرْضٍ مَا عَصَيْتُمُوهُ فِيهِ، فَأَنْتُمْ بِمَعْصِيَتِهِ فِيمَا ابْتَدَأَكُمْ بِهِ مِنْ إِلْزَامِ فَرْضِهِ أَحْرَىٰ.

> ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ [البقرة: ٢٤٧].

﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾ لِلْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ قَدْ أَعْطَاكُمْ مَا سَأَلْتُمْ، وَ..

﴿قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ذَلِكَ..

﴿قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ﴾ لِطَالُوتَ..

﴿ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ وَهُوَ مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ بْنِ يَعْقُوبَ، وَسِبْطُ بِنْيَامِينَ سِبْطٌ لَا مُلْكَ فِيهِمْ وَلَا نُبُوَّةَ..

﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لِأَنَّا مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا بْنِ يَعْقُوبَ..

﴿وَلَمْ يُؤْتَ﴾ طَالُوتُ..

﴿سَعَةً﴾ كَثِيرًا..

﴿مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ لِأَنَّهُ سَقَّاءٌ، وَقِيلَ كَانَ دَبَّاغًا..

﴿قَالَ﴾ نَبِيُّهُمْ لَهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾ اخْتَارَهُ عَلَيْكُمْ..

﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ﴾ آتَاهُ مِنَ الْعِلْمِ فَضْلًا عَلَىٰ مَا أَتَىٰ غَيْرَهُ مِنَ الَّذِينَ خُوطِبُوا بِهَذَا الْخِطَابِ..

﴿وَٱلْجِسْمِ﴾ أُوتِيَ مِنَ الزِّيَادَةِ فِي طُولِهِ لَمْ يُؤْتَهُ غَيْرُهُ مِنْهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ فَلَا تَسْتَنْكِرُوا يَا مَعْشَرَ الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَبْعَثَ اللهُ طَالُوتَ مَلِكًا عَلَيْكُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ، فَإِنَّ الْمُلْكَ لَيْسَ بِمِيرَاثٍ عَنِ الْآبَاءِ وَالْأَسْلَافِ، وَلَكِنَّهُ بِيَدِ اللهِ يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، فَلَا تَتَخَيَّرُوا عَلَىٰ اللهِ، فَإِنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ وَبِيَدِهِ دُونَ غَيْرِهِ يُؤْتِيهِ، يُؤْتِي ذَلِكَ مَنْ يَشَاءُ فَيَضَعُهُ عِنْدَهُ، وَيَخُصُّهُ بِهِ، وَيَمْنَحُهُ مَنْ أَحَبَّ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ بِفَضْلِهِ، فَيُنْعِمُ بِهِ عَلَىٰ مَنْ أَحَبَّ، وَيُرِيدُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ..

﴿عَلِيمٌ ۝٢٤٧﴾ [البقرة: ٢٤٧] بِمَنْ هُوَ أَهْلٌ لِمُلْكِهِ الَّذِي يُؤْتِيهِ، وَفَضْلِهِ الَّذِي يُعْطِيهِ، فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ لِعِلْمِهِ بِهِ، وَبِأَنَّهُ لِمَا أَعْطَاهُ أَهْلٌ، إِمَّا لِلْإِصْلَاحِ بِهِ، وَإِمَّا لِأَنْ يَنْتَفِعَ هُوَ بِهِ.. وَهَذَا الْخَبَرُ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنْ نَبِيِّهِ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْمَلَأَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ هَذَا الْقَوْلُ لَمْ يُقِرُّوا بِبَعْثَةِ اللهِ طَالُوتَ عَلَيْهِمْ مَلِكًا؛ إِذْ أَخْبَرَهُمْ نَبِيُّهُمْ بِذَلِكَ وَعَرَّفَهُمْ فَضِيلَتَهُ الَّتِي فَضَّلَهُ اللهُ بِهَا؛ وَلَكِنَّهُمْ سَأَلُوهُ الدَّلَالَةَ عَلَىٰ صِدْقِ مَا قَالَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَأَخْبَرَهُمْ بِهِ.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ [البقرة: ٢٤٨].

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ بَعْدَ أَنْ قَالُوا لَهُ: ائْتِ بِآيَةٍ عَلَىٰ ذَٰلِكَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ -وَهُمْ أَنْفُسُهُمُ الْمَلَأُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ: ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦]-..

﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ إِنَّ عَلَامَةَ مُلْكِ طَالُوتَ الَّتِي سَأَلْتُمُونِيهَا دَلَالَةٌ عَلَىٰ صِدْقِي فِي قَوْلِي: إِنَّ اللهَ بَعَثَهُ عَلَيْكُمْ مَلِكًا، وَإِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ سِبْطِ الْمُمَلَّكَةِ..

﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ الَّذِي قَدْ عَرَفْتُمُوهُ، الَّذِي كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِذَا لَقُوا عَدُوًّا لَهُمْ قَدَّمُوهُ أَمَامَهُمْ وَزَحَفُوا مَعَهُ، فَلَا يَقُومُ لَهُمْ مَعَهُ عَدُوٌّ، وَلَا يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ نَاوَأَهُمْ، حَتَّىٰ مَنَعُوا أَمْرَ اللهِ وَكَثُرَ اخْتِلَافُهُمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، فَسَلَبَهُمُ اللهُ إِيَّاهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، يَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ ذَٰلِكَ، حَتَّىٰ سَلَبَهُمْ آخِرَ مَرَّةٍ فَلَمْ يَرُدَّهُ عَلَيْهِمْ، وَلَنْ يُرَدَّ إِلَيْهِمْ آخِرَ الْأَبَدِ..

﴿فِيهِ﴾ فِي التَّابُوتِ..

﴿سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وَهُوَ الشَّيْءُ تَسْكُنُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تَعْرِفُونَهَا.. وجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ رِيحٌ هَفَّافَةٌ لَهَا وَجْهٌ كَوَجْهِ الْإِنْسَانِ، أَوْ لَهَا رَأْسٌ كَرَأْسِ الْهِرَّةِ وَجَنَاحَانِ، وجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ طَسْتٌ مِنْ ذَهَبٍ مِنَ الْجَنَّةِ، كَانَ يُغْسَلُ فِيهِ قُلُوبُ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَٰلِكَ آيَاتٌ كَافِيَاتٌ تَسْكُنُ إِلَيْهِنَّ النُّفُوسُ وَتَثْلُجُ بِهِنَّ الصُّدُورُ..

﴿وَبَقِيَّةٌ﴾ الشَّيْءَ الْبَاقِي..

﴿مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ مِنْ تَرِكَةِ آلِ مُوسَىٰ، وَآلِ هَارُونَ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ تِلْكَ الْبَقِيَّةُ: الْعَصَا، وَكِسَرَ الْأَلْوَاحِ، وَالتَّوْرَاةَ، أَوْ بَعْضَهَا، وَالنَّعْلَيْنِ، وَالثِّيَابَ، وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ بَعْضَ ذَٰلِكَ، وَذَٰلِكَ أَمْرٌ لَا يُدْرَكُ عِلْمُهُ مِنْ جِهَةِ الِاسْتِخْرَاجِ، وَلَا اللُّغَةِ، وَلَا يُدْرَكُ عِلْمُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِخَبَرٍ يُوجِبُ عَنْهُ الْعِلْمَ، وَلَا خَبَرَ عِنْدَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي ذَٰلِكَ لِلصِّفَةِ الَّتِي وَصَفْنَا، وَإِذْ كَانَ كَذَٰلِكَ، فَغَيْرُ جَائِزٍ فِيهِ تَصْوِيبُ قَوْلٍ وَتَضْعِيفُ آخَرَ غَيْرِهِ؛ إِذْ كَانَ جَائِزًا فِيهِ مَا قُلْنَا مِنَ الْقَوْلِ..

﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ حَمَلَتِ التَّابُوتَ الْمَلَائِكَةُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّىٰ وَضَعَتْهُ فِي دَارِ طَالُوتَ بَيْنَ أَظْهُرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي مَجِيئِكُمُ التَّابُوتَ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ، حَامِلَتُهُ الْمَلَائِكَةُ..

﴿لَآيَةً لَّكُمْ﴾ لَعَلَامَةً لَكُمْ وَدَلَالَةً أَيُّهَا النَّاسُ عَلَىٰ صِدْقِي فِيمَا أَخْبَرْتُكُمْ، أَنَّ اللهَ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا، إِنْ كُنْتُمْ قَدْ كَذَّبْتُمُونِي فِيمَا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ تَمْلِيكِ اللهِ إِيَّاهُ عَلَيْكُمْ، وَاتَّهَمْتُمُونِي فِي خَبَرِي إِيَّاكُمْ بِذَلِكَ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝﴾ [البقرة: ٢٤٨] إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ عِنْدَ مَجِيءِ الْآيَةِ الَّتِي سَأَلْتُمُونِيهَا عَلَىٰ صِدْقِي فِيمَا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ أَمْرِ طَالُوتَ وَمُلْكِهِ؛ لِأَنَّ الْقَوْمَ قَدْ كَانُوا كَفَرُوا بِاللهِ فِي تَكْذِيبِهِمْ نَبِيَّهُمْ، وَرَدِّهِمْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧] بِقَوْلِهِمْ: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وَفِي مَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ الْآيَةَ عَلَىٰ صِدْقِهِ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ مِنْهُمْ كُفْرًا فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ وَهُمْ كُفَّارٌ: لَكُمْ فِي مَجِيءِ التَّابُوتِ آيَةٌ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَلَا بِرَسُولِهِ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا مِنْ مَعْنَاهُ، لِأَنَّهُمْ سَأَلُوا الْآيَةَ عَلَىٰ صِدْقِ خَبَرِهِ إِيَّاهُمْ لِيُقِرُّوا بِصِدْقِهِ، فَقَالَ لَهُمْ فِي مَجِيءِ التَّابُوتِ -عَلَىٰ مَا وَصَفَهُ لَهُمْ- آيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عِنْدَ مَجِيئِهِ كَذَلِكَ مُصَدِّقِيَّ بِمَا قُلْتُ لَكُمْ وَأَخْبَرْتُكُمْ بِهِ.. وَهَذِهِ الْقِصَّةُ وَإِنْ كَانَتْ خَبَرًا مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنِ الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَنَبِيِّهِمْ، وَمَا كَانَ مِنَ ابْتِدَائِهِمْ نَبِيَّهُمْ بِمَا ابْتَدَءُوا بِهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ أَنْ يَسْأَلَ اللهَ لَهُمْ أَنْ يَبْعَثَ لَهُمْ مَلِكًا يُقَاتِلُونَ مَعَهُ فِي سَبِيلِهِ، نَبَاءً عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ نَبِيَّهُمْ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ إِخْلَافِهِمُ الْمَوْعِدَ الَّذِي وَعَدُوا اللهَ وَوَعَدُوا رَسُولَهُ مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، بِالتَّخَلُّفِ عَنْهُ حِينَ اسْتُنْهِضُوا لِحَرْبِ مَنِ اسْتُنْهِضُوا لِحَرْبِهِ، وَفَتَحَ اللهُ عَلَى الْقَلِيلِ مِنَ الْفِئَةِ مَعَ تَخْذِيلِ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ عَنْ مُلْكِهِمْ وَقُعُودِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ مَعَهُ، فَإِنَّهُ تَأْدِيبٌ لِمَنْ كَانَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجِرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ ذَرَارِيِّهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ يَهُودِ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، وَأَنَّهُمْ لَنْ يَعْدُوا فِي تَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِصِدْقِهِ، وَمَعْرِفَتِهِمْ بِحَقِيقَةِ نُبُوَّتِهِ، بَعْدَ مَا كَانُوا يَسْتَنْصِرُونَ اللهَ بِهِ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ قَبْلَ رِسَالَتِهِ، وَقَبْلَ بِعْثَةِ اللهِ إِيَّاهُ إِلَيْهِمْ وَإِلَىٰ غَيْرِهِمْ أَنْ يَكُونُوا كَأَسْلَافِهِمْ، وَأَوَائِلِهِمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِصِدْقِهِ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِحَقِيقَةِ نُبُوَّتِهِ، وَامْتِنَاعِهِمْ مِنَ الْجِهَادِ مَعَ طَالُوتَ لَمَّا ابْتَعَثَهُ اللهُ مَلِكًا عَلَيْهِمْ بَعْدَ مَسْأَلَتِهِمْ نَبِيَّهُمُ ابْتِعَاثَ مَلِكٍ يُقَاتِلُونَ مَعَهُ عَدُوَّهُمْ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ فِي سَبِيلِ رَبِّهِمُ ابْتِدَاءً مِنْهُمْ بِذَلِكَ نَبِيَّهُمْ، وَبَعْدَ مُرَاجَعَةِ نَبِيِّهِمْ إِيَّاهُمْ فِي ذَلِكَ.. وَحَضٌّ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ مِنْ

أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَتَحْذِيرٌ مِنْهُ لَهُمْ أَنْ يَكُونُوا فِي التَّخَلُّفِ عَنْ نَبِيِّهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ عِنْدَ لِقَائِهِ الْعَدُوَّ، وَمُنَاهَضَتِهِ أَهْلَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَبِهِ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الْمَلَأُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي تَخَلُّفِهِمْ عَنْ مَلِكِهِمْ طَالُوتَ، إِذْ زَحَفَ لِحَرْبِ عَدُوِّ اللهِ جَالُوتَ، وَإِيثَارِهِمُ الدَّعَةَ وَالْخَفْضَ عَلَىٰ مُبَاشَرَةِ حَرِّ الْجِهَادِ، وَالْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللهِ.. وَشَحْذٌ مِنْهُ لَهُمْ عَلَىٰ الْإِقْدَامِ عَلَىٰ مُنَاجَزَةِ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ الْحَرْبَ، وَتَرْكِ تَهَيُّبِ قِتَالِهِمْ إِنْ قَلَّ عَدَدُهُمْ وَكَثُرَ عَدَدُ أَعْدَائِهِمْ وَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُمْ، بِقَوْلِهِ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩﴾ [البقرة: ٢٤٩].. وَإِعْلَامٌ مِنْهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ أَنَّ بِيَدِهِ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ، وَالْخَيْرَ وَالشَّرَّ.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩﴾ [البقرة: ٢٤٩].

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ﴾ وَفِي هَذَا الْخَبَرِ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مَتْرُوكٌ قَدِ اسْتَغْنَىٰ بِدَلَالَةِ مَا ذُكِرَ عَلَيْهِ عَنْ ذِكْرِهِ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَأَتَاهُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ، وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَصَدَّقُوا عِنْدَ ذَلِكَ نَبِيَّهُمْ، وَأَقَرُّوا بِأَنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ طَالُوتَ مَلِكًا عَلَيْهِمْ، وَأَذْعَنُوا لَهُ بِذَلِكَ، يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ﴾ وَمَا كَانَ لِيَفْصِلَ بِهِمْ إِلَّا بَعْدَ رِضَاهُمْ بِهِ وَتَسْلِيمِهِمُ الْمُلْكَ لَهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ إِكْرَاهِهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ فَيُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ حَمَلَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ كَرْهًا.. وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فَصَلَ﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ شَخَصَ بِالْجُنْدِ وَرَحَلَ بِهِمْ، وَأَصْلُ الْفَصْلِ: الْقَطْعُ، يُقَالُ مِنْهُ: فَصَلَ الرَّجُلُ مِنْ مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا، يَعْنِي بِهِ قَطَعَ ذَلِكَ، فَجَاوَزَهُ شَاخِصًا إِلَىٰ غَيْرِهِ، يَفْصِلُ فُصُولًا؛ وَفَصَلَ الْعَظْمَ وَالْقَوْلَ مِنْ غَيْرِهِ فَهُوَ يَفْصِلُهُ فَصْلًا: إِذَا قَطَعَهُ فَأَبَانَهُ؛ وَفَصَلَ الصَّبِيُّ

فِصَالًا: إِذَا قَطَعَهُ عَنِ اللَّبَنِ؛ وَقَوْلٌ فَصْلٌ: يَقْطَعُ فَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ لَا يُرَدُّ.. وَقِيلَ: إِنَّ طَالُوتَ فَصَلَ بِالْجُنُودِ يَوْمَئِذٍ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَهُمْ ثَمَانُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، لَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنِ الْفُصُولِ مَعَهُ إِلَّا ذُو عِلَّةٍ لِعِلَّتِهِ، أَوْ كَبِيرٌ لِهَرَمِهِ، أَوْ مَعْذُورٌ لَا طَاقَةَ لَهُ بِالنُّهُوضِ مَعَهُ..

﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ إِنَّ اللهَ مُخْتَبِرُكُمْ بِنَهَرٍ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ طَاعَتُكُمْ لَهُ.. وَقِيلَ: إِنَّ طَالُوتَ قَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ لِأَنَّهُمْ شَكَوْا إِلَىٰ طَالُوتَ قِلَّةَ الْمِيَاهِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ لَهُمْ أَنْ يُجْرِيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ نَهَرًا، فَقَالَ لَهُمْ طَالُوتُ حِينَئِذٍ مَا أَخْبَرَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَهُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾.. وَالنَّهَرُ الَّذِي أَخْبَرَهُمْ طَالُوتُ أَنَّ اللهَ مُبْتَلِيهِمْ بِهِ قِيلَ: هُوَ نَهَرٌ بَيْنَ الْأُرْدُنِّ وَفِلَسْطِينَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ نَهَرُ فِلَسْطِينَ..

﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ فَأَخْبَرَ أَنَّ اللهَ مُبْتَلِيهِمْ بِنَهَرٍ، ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ أَنَّ الِابْتِلَاءَ الَّذِي أَخْبَرَهُمْ عَنِ اللهِ بِهِ مِنْ ذَلِكَ النَّهَرِ هُوَ أَنَّ مَنْ شَرِبَ مِنْ مَائِهِ فَلَيْسَ هُوَ مِنْهُ، يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ وِلَايَتِهِ وَطَاعَتِهِ، وَلَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَبِلِقَائِهِ، وَيَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ - تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ -: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ فَأَخْرَجَ مَنْ لَمْ يُجَاوِزِ النَّهَرَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا، ثُمَّ أَخْلَصَ ذِكْرَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَلِقَائِهِ عِنْدَ دُنُوِّهِمْ مِنْ جَالُوتَ وَجُنُودِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ٢٤٩]..

﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَذُقْ مَاءَ ذَلِكَ النَّهَرِ..

﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ مِنْ أَهْلِ وِلَايَتِي وَطَاعَتِي وَالْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَبِلِقَائِهِ..

﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ ثُمَّ اسْتَثْنَىٰ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ الْمُغْتَرِفِينَ بِأَيْدِيهِمْ غُرْفَةً، فَقَالَ: وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْ مَاءَ ذَلِكَ النَّهَرِ إِلَّا غُرْفَةً يَغْتَرِفُهَا بِيَدِهِ فَإِنَّهُ مِنِّي..

﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۚ﴾ فَعَامَّتُهُمْ شَرِبُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، فَكَانَ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ عَطِشَ، وَمَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً رُوِيَ..

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ﴾ فَلَمَّا جَاوَزَ النَّهَرَ طَالُوتُ.. وَالْهَاءُ فِي «جَاوَزَهُ» عَائِدَةٌ عَلَىٰ النَّهَرِ.. وَ «هُوَ» كِنَايَةُ اسْمِ طَالُوتَ..

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ وَجَاوَزَ النَّهَرَ مَعَهُ الَّذِينَ آمَنُوا..

﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ جَاوَزَ النَّهَرَ مَعَ طَالُوتَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي لَمْ

يَشْرَبْ مِنَ النَّهَرِ إِلَّا الْغُرْفَةَ، وَالْكَافِرُ الَّذِي شَرِبَ مِنْهُ الْكَثِيرُ، ثُمَّ وَقَعَ التَّمْيِيزُ بَيْنَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِرُؤْيَةِ جَالُوتَ وَلِقَائِهِ، وَانْخَزَلَ عَنْهُ أَهْلُ الشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ، وَهُمُ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ وَمَضَىٰ أَهْلُ الْبُصَيْرَةِ بِأَمْرِ اللهِ عَلَىٰ بَصَائِرِهِمْ، وَهُمْ أَهْلُ الثَّبَاتِ عَلَى الْإِيمَانِ، فَقَالُوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾.. فَإِنْ ظَنَّ ذُو غَفْلَةٍ أَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ جَاوَزَ النَّهَرَ مَعَ طَالُوتَ إِلَّا أَهْلُ الْإِيمَانِ الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعَهُ عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ، وَمَنْ لَمْ يَشْرَبْ مِنَ النَّهَرِ إِلَّا الْغَرْفَةَ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- قَالَ: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ فَكَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ لَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا أَهْلُ الْإِيمَانِ، عَلَىٰ مَا رُوِيَ بِهِ الْخَبَرُ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ الْآتِي، وَلِأَنَّ أَهْلَ الْكُفْرِ لَوْ كَانُوا جَاوَزُوا النَّهَرَ كَمَا جَاوَزَهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ لَمَا خَصَّ اللهُ بِالذِّكْرِ فِي ذَلِكَ أَهْلَ الْإِيمَانِ!! فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ بِخِلَافِ مَا ظَنَّ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَكُونَ الْفَرِيقَانِ -أَعْنِي: فَرِيقَ الْإِيمَانِ وَفَرِيقَ الْكُفْرِ- جَاوَزُوا النَّهَرَ، وَأَخْبَرَ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، عَنِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْمُجَاوَزَةِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الَّذِينَ جَاوَزُوهُ مَعَ مَلِكِهِمْ، وَتَرَكَ ذِكْرَ أَهْلِ الْكُفْرِ وَإِنْ كَانُوا قَدْ جَاوَزُوا النَّهَرَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ﴾ فَأَخْبَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ هُمُ الَّذِينَ قَالُوا عِنْدَ مُجَاوَزَةِ النَّهَرِ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ﴾ دُونَ غَيْرِهِمُ الَّذِينَ لَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ، وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ هُمُ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُضَافَ الْإِيمَانُ إِلَىٰ مَنْ جَحَدَ أَنَّهُ مُلَاقِي اللهِ أَوْ شَكَّ فِيهِ.. وَقَدْ جَاوَزَ النَّهَرَ مَعَهُ يَوْمَئِذٍ وَمَنْ قَالَ مِنْهُمْ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ، ثَلَثُمَائَةِ رَجُلٍ وَبِضْعَةُ عَشَرَ رَجُلًا، قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رضي الله عنه: **(كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَىٰ عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا النَّهَرَ مَعَهُ، وَلَمْ يَجُزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، ثَلَثُمِائَةٍ وَبِضْعَةُ عَشَرَ رَجُلًا)**..

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ قَالَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَيَسْتَيْقِنُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ..

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ﴾ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ..

﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩] وَاللهُ مُعِينُ الصَّابِرِينَ عَلَىٰ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ طَاعَتِهِ، وَظُهُورِهِمْ وَنَصْرِهِمْ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ الصَّادِينَ عَنْ سَبِيلِهِ، الْمُخَالِفِينَ مِنْهَاجَ دِينِهِ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِكُلِّ مَعِينٍ رَجُلًا عَلَىٰ غَيْرِهِ هُوَ مَعَهُ بِمَعْنَىٰ هُوَ مَعَهُ بِالْعَوْنِ لَهُ وَالنُّصْرَةِ.

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة: ٢٥٠].

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ﴾ وَلَمَّا بَرَزَ طَالُوتُ وَجُنُودُهُ، وصَارُوا بِالْبَرَازِ مِنَ الْأَرْضِ، وَهُوَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَاسْتَوَىٰ..

﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أَنْزِلْ عَلَيْنَا صَبْرًا..

﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ وَقَوِّ قُلُوبَنَا عَلَىٰ جِهَادِهِمْ لِتَثْبُتَ أَقْدَامُنَا فَلَا نُهْزَمُ عَنْهُمْ..

﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة: ٢٥٠] الَّذِينَ كَفَرُوا بِكَ فَجَحَدُوكَ إِلَاهًا، وعَبَدُوا غَيْرَكَ وَاتَّخَذُوا الْأَوْثَانَ أَرْبَابًا.

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥١].

﴿فَهَزَمُوهُم﴾ فَهَزَمَ طَالُوتُ وَجُنُودُهُ أَصْحَابَ جَالُوتَ، عَلَىٰ أَنَّ اللهَ قَدْ أَجَابَ دُعَاءَهُمُ الَّذِي دَعَوْهُ بِهِ..

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قَتَلُوهُمْ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ..

﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ وَدَاوُدُ هَذَا هُوَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ..

﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ وَأَعْطَىٰ اللهُ دَاوُدَ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ اللهَ آتَىٰ دَاوُدَ مُلْكَ طَالُوتَ وَالنُّبُوَّةَ..

﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ﴾ يَعْنِي عَلَّمَهُ صَنْعَةَ الدُّرُوعِ، وَالتَّقْدِيرَ فِي السَّرْدِ، كَمَا قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ﴾ [الأنبياء: ٨٠]..

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ وَلَوْلَا أَنَّ اللهَ يَدْفَعُ بِبَعْضِ النَّاسِ، وَهُمْ أَهْلُ الطَّاعَةِ لَهُ

وَالْإِيمَانُ بِهِ، بَعْضًا وَهُمْ أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ لِلَّهِ، وَالشِّرْكِ بِهِ، كَمَا دَفَعَ عَنِ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْ طَالُوتَ يَوْمَ جَالُوتَ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ وَالْمَعْصِيَةِ لَهُ وَقَدْ أَعْطَاهُمْ مَا سَأَلُوا رَبَّهُمُ ابْتِدَاءً مِنْ بِعْثَةِ مَلِكٍ عَلَيْهِمْ لِيُجَاهِدُوا مَعَهُ فِي سَبِيلِهِ بِمَنْ جَاهَدَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْيَقِينِ وَالصَّبْرِ، جَالُوتَ وَجُنُودَهُ..

﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ لَهَلَكَ أَهْلُهَا بِعُقُوبَةِ اللهِ إِيَّاهُمْ، فَفَسَدَتْ بِذَلِكَ الْأَرْضُ..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥١] وَلَكِنَّ اللهَ ذُو مَنٍّ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَتَطَوُّلٍ عَلَيْهِمْ بِدَفْعِهِ بِالْبَرِّ مِنْ خَلْقِهِ عَنِ الْفَاجِرِ، وَبِالْمُطِيعِ عَنِ الْعَاصِي مِنْهُمْ، وَبِالْمُؤْمِنِ عَنِ الْكَافِرِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَهْلَ النِّفَاقِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْ مَشَاهِدِهِ وَالْجِهَادِ مَعَهُ لِلشَّكِّ الَّذِي فِي نُفُوسِهِمْ وَمَرَضِ قُلُوبِهِمْ وَالْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكُفْرِ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ مُعَاجَلَتَهُمُ الْعُقُوبَةَ، عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ بِإِيمَانِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْبَصَائِرِ وَالْجِدِّ فِي أَمْرِ اللهِ، وَذَوُو الْيَقِينِ بِإِنْجَازِ اللهِ إِيَّاهُمْ وَعْدَهُ عَلَىٰ جِهَادِ أَعْدَائِهِ، وَأَعْدَاءِ رَسُولِهِ مِنَ النَّصْرِ فِي الْعَاجِلِ، وَالْفَوْزَ بِجَنَّاتِهِ فِي الْآخِرَةِ.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾

[البقرة: ٢٥٢].

﴿تِلْكَ﴾ هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي اقْتَصَّ اللهُ فِيهَا أَمْرَ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ، وَأَمْرَ الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ الَّذِينَ سَأَلُوا نَبِيَّهُمْ أَنْ يَبْعَثَ لَهُمْ طَالُوتَ مَلِكًا وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الْآيَاتِ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥١]..

﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ حُجَجُهُ وَأَعْلَامُهُ وَأَدِلَّتُهُ..

﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ فَهَذِهِ الْحُجَجُ الَّتِي أَخْبَرْتُكَ بِهَا يَا مُحَمَّدُ، وَأَعْلَمْتُكَ مِنْ قُدْرَتِي عَلَىٰ إِمَاتَةِ مَنْ هَرَبَ مِنَ الْمَوْتِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَهُمْ أُلُوفٌ، وَإِحْيَائِي إِيَّاهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَتَمْلِيكِي طَالُوتَ أَمْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ -بَعْدَ إِذْ كَانَ سَقَّاءً أَوْ دَبَّاغًا- مِنْ غَيْرِ أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ، وَسَلْبِي ذَلِكَ إِيَّاهُ بِمَعْصِيَتِهِ أَمْرِي، وَصَرْفِي مُلْكَهُ إِلَىٰ دَاوُدَ لِطَاعَتِهِ إِيَّايَ، وَنُصْرَتِي أَصْحَابَ طَالُوتَ مَعَ قِلَّةِ عَدَدِهِمْ، وَضَعْفِ شَوْكَتِهِمْ عَلَىٰ جَالُوتَ وَجُنُودِهِ مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَشِدَّةِ بَطْشِهِمْ، حُجَجٌ عَلَىٰ مَنْ جَحَدَ نِعْمَتِي، وَخَالَفَ أَمْرِي، وَكَفَرَ بِرَسُولِي مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ الْعَالِمِينَ بِمَا اقْتَصَصْتُ عَلَيْكَ مِنَ الْأَنْبَاءِ الْخَفِيَّةِ، الَّتِي يَعْلَمُونَ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِي..

﴿بِالْحَقِّ﴾ لَمْ تَتَخَرَّصْهَا وَلَمْ تَتَقَوَّلْهَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ، لِأَنَّكَ أُمِّيٌّ، وَلَسْتَ مِمَّنْ قَرَأَ الْكُتُبَ، فَيَلْتَبِسُ عَلَيْهِمْ أَمْرُكَ، وَيَدَّعُوا أَنَّكَ قَرَأْتَ ذَلِكَ فَعَلِمْتَهُ مِنْ بَعْضِ أَسْفَارِهِمْ، وَلَكِنَّهَا حُجَجِي عَلَيْهِمْ أَتْلُوهَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ بِالْحَقِّ الْيَقِينِ كَمَا كَانَ، لَا زِيَادَةَ فِيهِ، وَلَا تَحْرِيفَ، وَلَا تَغْيِيرَ شَيْءٍ مِنْهُ عَمَّا كَانَ..

﴿وَإِنَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ [البقرة: ٢٥٢] لَمُرْسَلٌ مُتَّبِعٌ فِي طَاعَتِي، وَإِيثَارِ مَرْضَاتِي عَلَىٰ هَوَاكَ، فَسَالِكٌ فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْرِكَ سَبِيلَ مَنْ قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِي الَّذِينَ أَقَامُوا عَلَىٰ أَمْرِي، وَآثَرُوا رِضَايَ عَلَىٰ هَوَاهُمْ، وَلَمْ تُغَيِّرْهُمُ الْأَهْوَاءُ، وَمَطَامِعُ الدُّنْيَا كَمَا غَيَّرَ طَالُوتَ هَوَاهُ، وَإِيثَارُهُ مُلْكَهُ عَلَىٰ مَا عِنْدِي لِأَهْلِ وِلَايَتِي، وَلَكِنَّكَ مُؤْثِرٌ أَمْرِي كَمَا آثَرَهُ الْمُرْسَلُونَ الَّذِينَ قَبْلَكَ.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣].

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ الَّذِينَ قَصَّ اللهُ قَصَصَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ كَمُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَدَاوُدَ، وَسَائِرِ مَنْ ذَكَرَ نَبَأَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ هَؤُلَاءِ رُسُلِي فَضَّلْتُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ..

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ فَكَلَّمْتُ بَعْضَهُمْ، وَالَّذِي كَلَّمْتُهُ مِنْهُمْ مُوسَىٰ ﷺ..

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ وَرَفَعْتُ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ عَلَىٰ بَعْضٍ بِالْكَرَامَةِ وَرِفْعَةِ الْمَنْزِلَةِ.. وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: بُعِثْتُ إِلَىٰ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ لَيُرْعَبُ مِنِّي عَلَىٰ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَقِيلَ لِي: سَلْ تُعْطَهْ، فَاخْتَبَأْتُهَا شَفَاعَةً لِأُمَّتِي، فَهِيَ نَائِلَةٌ مِنْكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا**»..

﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ وَآتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ الْحُجَجَ وَالْأَدِلَّةَ عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ مِنْ إِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ، وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، مَعَ الْإِنْجِيلِ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْهِ، فَبَيَّنْتُ فِيهِ مَا فَرَضْتُ عَلَيْهِ..

﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ وَقَوَّيْنَاهُ وَأَعَنَّاهُ..

﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ يَعْنِي بِرُوحِ اللهِ وَهُوَ جِبْرِيلُ..

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وَلَوْ أَرَادَ اللهُ..

﴿مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾ يَعْنِي مِنْ بَعْدِ الرُّسُلِ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُ فَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ، وَبَعْدَ عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ، وَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ لِمَنْ هَدَاهُ اللهُ وَوَفَّقَهُ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْهَاءَ وَالْمِيمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾ مِنْ ذِكْرِ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ مِنْ آيَاتِ اللهِ مَا أَبَانَ لَهُمُ الْحَقَّ، وَأَوْضَحَ لَهُمُ السَّبِيلَ..

﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ وَلَكِنِ اخْتَلَفَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِ الرُّسُلِ لَمَّا لَمْ يَشَأِ اللهُ مِنْهُمْ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنْ لَا يَقْتَتِلُوا، فَاقْتَتَلُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ بِتَحْرِيمِ الِاقْتِتَالِ وَالِاخْتِلَافِ، وَبَعْدَ ثُبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَرِسَالَةِ رُسُلِهِ وَوَحْيِ كِتَابِهِ..

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ فَكَفَرَ بِاللهِ وَبِآيَاتِهِ بَعْضُهُمْ، وَآمَنَ بِذَلِكَ بَعْضُهُمْ، فَأَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّهُمْ أَتَوْا مَا أَتَوْا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِقِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ عَلَىٰ خَطَأٍ تَعَمُّدًا مِنْهُمْ لِلْكُفْرِ بِاللهِ وَآيَاتِهِ..

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ وَلَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَحْجِزَهُمْ بِعِصْمَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ إِيَّاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ فَلَا يَقْتَتِلُوا مَا اقْتَتَلُوا وَلَا اخْتَلَفُوا..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣] بِأَنْ يُوَفِّقَ هَذَا لِطَاعَتِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، فَيُؤْمِنَ بِهِ وَيُطِيعَهُ، وَيَخْذُلَ هَذَا فَيَكْفُرَ بِهِ وَيَعْصِيَهُ.

> ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة: ٢٥٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟﴾ فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ مِنْ أَمْوَالِكُمْ، وَتَصَدَّقُوا مِنْهَا، وَآتُوا مِنْهَا الْحُقُوقَ الَّتِي فَرَضْنَاهَا عَلَيْكُمْ..

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ لَا تَقْدِرُونَ فِيهِ عَلَىٰ ابْتِيَاعِ مَا كُنْتُمْ عَلَىٰ ابْتِيَاعِهِ بِالنَّفَقَةِ مِنْ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي أَمَرْتُكُمْ بِهِ أَوْ نَدَبْتُكُمْ إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا قَادِرِينَ، لِأَنَّهُ يَوْمُ جَزَاءٍ وَثَوَابٍ وَعِقَابٍ، لَا يَوْمُ

عَمَلٍ وَاكْتِسَابٍ وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ، فَيَكُونُ لَكُمْ إِلَىٰ ابْتِيَاعِ مَنَازِلِ أَهْلِ الْكَرَامَةِ بِالنَّفَقَةِ حِينَئِذٍ، أَوْ بِالْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللهِ سَبِيلٌ..

﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ -مَعَ ارْتِفَاعِ الْعَمَلِ الَّذِي يُنَالُ بِهِ رِضَا اللهِ، أَوِ الْوُصُولُ إِلَىٰ كَرَامَتِهِ بِالنَّفَقَةِ مِنَ الْأَمْوَالِ، إِذْ كَانَ لَا مَالَ هُنَالِكَ يُمْكِنُ إِدْرَاكُ ذَلِكَ بِهِ- يَوْمٌ لَا مُخَالَّةَ فِيهِ نَافِعَةٌ، كَمَا كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ خَلِيلَ الرَّجُلِ فِي الدُّنْيَا قَدْ كَانَ يَنْفَعُهُ فِيهَا بِالنُّصْرَةِ لَهُ عَلَىٰ مَنْ حَاوَلَهُ بِمَكْرُوهٍ وَأَرَادَهُ بِسُوءٍ، وَالْمُظَاهَرَةِ لَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَآيَسَهُمْ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَيْضًا مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْصُرُ أَحَدًا مِنَ اللهِ، بَلِ الْأَخِلَّاءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ، كَمَا قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-..

﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ وَأَخْبَرَهُمْ أَيْضًا أَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ مَعَ فَقْدِهِمُ السَّبِيلَ إِلَىٰ ابْتِيَاعِ مَا كَانَ لَهُمْ إِلَىٰ ابْتِيَاعِهِ سَبِيلٌ فِي الدُّنْيَا بِالنَّفَقَةِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَالْعَمَلِ بِأَبْدَانِهِمْ، وَعَدَمِهِمُ النُّصَرَاءَ مِنَ الْخِلَّانِ، وَالظُّهَرَاءَ مِنَ الْإِخْوَانِ، لَا شَافِعَ لَهُمْ يَشْفَعُ عِنْدَ اللهِ كَمَا كَانَ ذَلِكَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، فَقَدْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَشْفَعُ فِي الدُّنْيَا لِبَعْضٍ بِالْقَرَابَةِ وَالْجِوَارِ وَالْخُلَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ، فَبَطَلَ ذَلِكَ كُلُّهُ يَوْمَئِذٍ، كَمَا أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنْ قِيلِ أَعْدَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ فِي الْآخِرَةِ إِذَا صَارُوا فِيهَا: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾ [الشعراء: ١٠٠- ١٠١].. وَهَذِهِ الْآيَةُ مَخْرَجُهَا فِي الشَّفَاعَةِ عَامٌّ وَالْمُرَادُ بِهَا خَاصٌّ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ لِأَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ؛ لِأَنَّ أَهْلَ وِلَايَةِ اللهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ يَشْفَعُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَلِذَلِكَ أَتْبَعَ قَوْلَهُ ذَلِكَ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٥٤﴾ فَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: حَرَمْنَا الْكُفَّارَ النُّصْرَةَ مِنَ الْأَخِلَّاءِ، وَالشَّفَاعَةَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَقْرِبَاءِ، وَلَمْ نَكُنْ لَهُمْ فِي فِعْلِنَا ذَلِكَ بِهِمْ ظَالِمِينَ؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ جَزَاءً مِنَّا لِمَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ فِي الدُّنْيَا، بَلِ الْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِمَا أَتَوْا مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي أَوْجَبُوا لَهَا الْعُقُوبَةَ مِنْ رَبِّهِمْ..

﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وَالْجَاحِدُونَ لِلَّهِ الْمُكَذِّبُونَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ..

﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٥٤﴾ [البقرة: ٢٥٤] هُمُ الْوَاضِعُونَ جُحُودَهُمْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَالْفَاعِلُونَ غَيْرَ مَا لَهُمْ فِعْلُهُ وَالْقَائِلُونَ مَا لَيْسَ لَهُمْ قَوْلُهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ صُرِفَ الْوَعِيدُ إِلَىٰ الْكُفَّارِ وَالْآيَةُ مُبْتَدَأَةٌ بِذِكْرِ أَهْلِ الْإِيمَانِ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّ الْآيَةَ قَدْ تَقَدَّمَهَا ذِكْرُ صِنْفَيْنِ مِنَ النَّاسِ: أَحَدُهُمَا أَهْلُ كُفْرٍ، وَالْآخَرُ أَهْلُ إِيمَانٍ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ثُمَّ عَقَّبَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- الصِّنْفَيْنِ بِمَا ذَكَرَهُمْ بِهِ، فَحَضَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ عَلَىٰ مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَيْهِ مِنَ النَّفَقَةِ فِي

طَاعَتِهِ وَفِي جِهَادِ أَعْدَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ قَبْلَ مَجِيءِ الْيَوْمِ الَّذِي وَصَفَ صِفَتَهُ وَأَخْبَرَ فِيهِ عَنْ حَالِ أَعْدَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، إِذْ كَانَ قِتَالُ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ فِي مَعْصِيَتِهِ وَنَفَقَتُهُمْ فِي الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِهِ، فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ﴾ أَنْتُمْ ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ فِي طَاعَتِي، إِذْ كَانَ أَهْلُ الْكُفْرِ بِي يُنْفِقُونَ فِي مَعْصِيَتِي ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ فَيُدْرِكُ أَهْلُ الْكُفْرِ فِيهِ ابْتِيَاعَ مَا فَرَّطُوا فِي ابْتِيَاعِهِ فِي دُنْيَاهُمْ، ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ تَنْصُرُهُمْ مِنِّي، وَلَا شَافِعٌ لَهُمْ يَشْفَعُ عِنْدِي فَتُنَجِّيهِمْ شَفَاعَتُهُ لَهُمْ مِنْ عِقَابِي؛ وَهَذَا يَوْمَئِذٍ فِعْلِي بِهِمْ جَزَاءً لَهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَهُمُ الظَّالِمُونَ أَنْفُسَهُمْ دُونِي؛ لِأَنِّي غَيْرُ ظَلَّامٍ لِعَبِيدِي.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾

[البقرة: ٢٥٥].

﴿ٱللَّهُ﴾ الَّذِي لَهُ عِبَادَةُ الْخَلْقِ..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ مَعْنَاهُ: النَّهْيُ عَنْ أَنْ يُعْبَدَ شَيْءٌ غَيْرُ اللهِ الَّذِي صِفَتُهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فِي هَذِهِ الْآيَةِ.. لَا إِلَهَ سِوَاهُ، لَا مَعْبُودَ سِوَاهُ وَلَا تَعْبُدُوا شَيْئًا سِوَايَ..

﴿ٱلْحَيُّ﴾ الَّذِي لَا يَمُوتُ، لَهُ الْحَيَاةُ الدَّائِمَةُ، وَالْبَقَاءُ الَّذِي لَا أَوَّلَ لَهُ يُحَدُّ، وَلَا آخِرَ لَهُ يُؤْمَدُ، إِذْ كُلُّ مَا سِوَاهُ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ حَيًّا فَلِحَيَاتِهِ أَوَّلٌ مَحْدُودٌ وَآخِرٌ مَمْدُودٌ، يَنْقَطِعُ بِانْقِطَاعِ أَمَدِهَا، وَيَنْقَضِي بِانْقِضَاءِ غَايَتِهَا..

﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ مِنَ الْقِيَامِ، وَهُوَ الْقَائِمُ بِرِزْقِ مَا خَلَقَ وَحِفْظِهِ، فَهُوَ الْقَيُّومُ عَلَىٰ كُلِّ مَا هُوَ دُونَهُ بِالرِّزْقِ وَالْكَلَاءَةِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّصْرِيفِ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ..

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ لَا يَأْخُذُهُ نُعَاسٌ فَيَنْعَسُ.. وَالْوَسْنَانُ: الَّذِي يَقُومُ مِنَ النَّوْمِ لَا يَعْقِلُ، حَتَّىٰ رُبَّمَا أَخَذَ السَّيْفَ عَلَىٰ أَهْلِهِ..

﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ فَيَسْتَثْقِلُ نَوْمًا.. فَلَا تَحِلُّهُ الْآفَاتُ، وَلَا تَنَالُهُ الْعَاهَاتُ، وَذَلِكَ أَنَّ السِّنَةَ وَالنَّوْمَ مَعْنَيَانِ يَغْمُرَانِ فَهْمَ ذِي الْفَهْمِ، وَيُزِيلَانِ مَنْ أَصَابَاهُ عَنِ الْحَالِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَاهُ.. فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يُغَيِّرُهُ مَا يُغَيِّرُ غَيْرَهُ، وَلَا يُزِيلُهُ عَمَّا لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ تَنَقُّلُ الْأَحْوَالِ وَتَصْرِيفُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، بَلْ هُوَ

الدَّائِمُ عَلَىٰ حَالٍ، وَالْقَيُّومُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْأَنَامِ، لَوْ نَامَ كَانَ مَغْلُوبًا مَقْهُورًا؛ لِأَنَّ النَّوْمَ غَالِبُ النَّائِمِ قَاهِرُهُ، وَلَوْ وَسَنَ لَكَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهِمَا دَكًّا؛ لِأَنَّ قِيَامَ جَمِيعِ ذَلِكَ بِتَدْبِيرِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَالنَّوْمُ شَاغِلُ الْمُدَبِّرِ عَنِ التَّدْبِيرِ، وَالنُّعَاسُ مَانِعُ الْمُقَدِّرِ عَنِ التَّقْدِيرِ بِوَسَنِهِ..

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ فَهُوَ مَالِكُ جَمِيعِ ذَلِكَ بِغَيْرِ شَرِيكٍ وَلَا نَدِيدٍ، وَخَالِقُ جَمِيعِهِ دُونَ كُلِّ آلِهَةٍ وَمَعْبُودٍ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ لِشَيْءٍ سِوَاهُ؛ لِأَنَّ الْمَمْلُوكَ إِنَّمَا هُوَ طَوْعُ يَدِ مَالِكِهِ، وَلَيْسَ لَهُ خِدْمَةُ غَيْرِهِ إِلَّا بِأَمْرِهِ، يَقُولُ: فَجَمِيعُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُلْكِي وَخَلْقِي، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْبَدَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِي غَيْرِي وَأَنَا مَالِكُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَعْبُدَ غَيْرَ مَالِكِهِ، وَلَا يُطِيعَ سِوَىٰ مَوْلَاهُ..

﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ لِمَمَالِيكِهِ إِنْ أَرَادَ عُقُوبَتَهُمْ إِلَّا أَنْ يُخَلِّيَهُ، وَيَأْذَنَ لَهُ بِالشَّفَاعَةِ لَهُمْ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا: مَا نَعْبُدُ أَوْثَانَنَا هَذِهِ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ، فَقَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَهُمْ: لِي مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُلْكٌ، فَلَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ لِغَيْرِي، فَلَا تَعْبُدُوا الْأَوْثَانَ الَّتِي تَزْعُمُونَ أَنَّهَا تُقَرِّبُكُمْ مِنِّي زُلْفَىٰ، فَإِنَّهَا لَا تَنْفَعُكُمْ عِنْدِي وَلَا تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا، وَلَا يَشْفَعُ عِنْدِي أَحَدٌ لِأَحَدٍ إِلَّا بِتَخْلِيَتِي إِيَّاهُ وَالشَّفَاعَةِ لِمَنْ يَشْفَعُ لَهُ مِنْ رُسُلِي وَأَوْلِيَائِي وَأَهْلِ طَاعَتِي..

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾ فَهُوَ الْمُحِيطُ بِكُلِّ مَا كَانَ وَبِكُلِّ مَا هُوَ كَائِنٌ عِلْمًا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ..

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ فَهُوَ الْعَالِمُ الَّذِي لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، مُحِيطٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ، مُحْصٍ لَهُ دُونَ سَائِرِ مَنْ دُونَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ سِوَاهُ شَيْئًا إِلَّا بِمَا شَاءَ هُوَ أَنْ يَعْلَمَهُ فَأَرَادَ فَعَلَّمَهُ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ بِالْأَشْيَاءِ جَاهِلًا، فَكَيْفَ يُعْبَدُ مَنْ لَا يَعْقِلُ شَيْئًا الْبَتَّةَ مِنْ وَثَنٍ وَصَنَمٍ؟! يَقُولُ: أَخْلِصُوا الْعِبَادَةَ لِمَنْ هُوَ مُحِيطٌ بِالْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، يَعْلَمُهَا لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ صَغِيرُهَا وَكَبِيرُهَا..

﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ الْكُرْسِيِّ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ وَسِعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.. وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّتِهِ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ هُوَ عِلْمُهُ، وَذَلِكَ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَئُودُهُ حِفْظُ مَا عَلِمَ، وَأَحَاطَ بِهِ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَكَمَا أَخْبَرَ عَنْ مَلَائِكَتِهِ أَنَّهُمْ

قَالُوا فِي دُعَائِهِمْ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، فَأَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّ عِلْمَهُ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وَأَصْلُ الْكُرْسِيِّ: الْعِلْمُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلصَّحِيفَةِ يَكُونُ فِيهَا عِلْمٌ مَكْتُوبٌ كَرَّاسَةٌ، وَمِنْهُ يُقَالُ لِلْعُلَمَاءِ: الْكَرَاسِيُّ؛ لِأَنَّهُمُ الْمُعْتَمَدُ عَلَيْهِمْ، كَمَا يُقَالُ: أَوْتَادُ الْأَرْضِ، يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُمُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ تَصْلُحُ بِهِمُ الْأَرْضُ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي أَصْلَ كُلِّ شَيْءٍ الْكِرْسَ، يُقَالُ مِنْهُ: فُلَانٌ كَرِيمُ الْكِرْسِ: أَيْ كَرِيمُ الْأَصْلِ..

﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ وَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِ وَلَا يَثْقُلُ عَلَيْهِ حِفْظُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ وَاللهُ الْعَلِيُّ، وَالْعَلِيُّ: مِنْ قَوْلِكَ عَلَا يَعْلُو عُلُوًّا: إِذَا ارْتَفَعَ، فَهُوَ عَالٍ وَعَلِيٌّ، وَالْعَلِيُّ: ذُو الْعُلُوِّ وَالِارْتِفَاعِ عَلَىٰ خَلْقِهِ بِقُدْرَتِهِ..

﴿الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥] ذُو الْعَظَمَةِ، الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ، فَلَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْهُ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ إِبَانَةٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ أَقْوَالُ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الْبَيِّنَاتِ مِنْ بَعْدِ الرُّسُلِ الَّذِينَ أَخْبَرَنَا -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنَّهُ فَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَاقْتَتَلُوا فِيهِ كُفْرًا بِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَإِيمَانًا بِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلتَّصْدِيقِ بِهِ وَوَفَّقَنَا لِلْإِقْرَارِ بِهِ.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، أَوْ فِي رَجُلٍ مِنْهُمْ كَانَ لَهُمْ أَوْلَادٌ قَدْ هَوَّدُوهُمْ أَوْ نَصَّرُوهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ اللهُ بِالْإِسْلَامِ أَرَادُوا إِكْرَاهَهُمْ عَلَيْهِ، فَنَهَاهُمُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ، حَتَّىٰ يَكُونُوا هُمْ يَخْتَارُونَ الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَا يُكْرَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ عَلَىٰ الدِّينِ إِذَا بَذَلُوا الْجِزْيَةَ، وَلَكِنَّهُمْ يُقَرُّونَ عَلَىٰ دِينِهِمْ، وَقَالُوا: الْآيَةُ فِي خَاصٍّ مِنَ الْكُفَّارِ، وَلَمْ يُنْسَخْ مِنْهَا شَيْءٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ الْقِتَالُ.. وَأَوْلَىٰ هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي خَاصٍّ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: عَنَىٰ بِقَوْلِهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ وَالْمَجُوسُ، وَكُلُّ مَنْ جَاءَ إِقْرَارُهُ عَلَىٰ دِينِهِ الْمُخَالِفِ دِينَ الْحَقِّ، وَأَخْذُ الْجِزْيَةِ مِنْهُ، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْهَا مَنْسُوخًا.. وَإِنَّمَا قُلْنَا: هَذَا الْقَوْلُ أَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ لِأَنَّ النَّاسِخَ غَيْرُ كَائِنٍ نَاسِخًا إِلَّا مَا نَفَىٰ حُكْمَ الْمَنْسُوخِ، فَلَمْ يَجُزِ اجْتِمَاعُهُمَا،

فَأَمَّا مَا كَانَ ظَاهِرُهُ الْعُمُومَ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَبَاطِنُهُ الْخُصُوصَ، فَهُوَ مِنَ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ بِمَعْزِلٍ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ غَيْرُ مُسْتَحِيلٍ أَنْ يُقَالَ: لَا إِكْرَاهَ لِأَحَدٍ مِمَّنْ أُخِذَتْ مِنْهُ الْجِزْيَةُ فِي الدِّينِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ تَأْوِيلَهَا بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا قَدْ نَقَلُوا عَنْ نَبِيِّهِمْ ﷺ أَنَّهُ أَكْرَهَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ قَوْمًا، فَأَبَىٰ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَحَكَمَ بِقَتْلِهِمْ إِنِ امْتَنَعُوا مِنْهُ، وَذَلِكَ كَعَبَدَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، وَكَالْمُرْتَدِّ عَنْ دِينِهِ دِينِ الْحَقِّ إِلَىٰ الْكُفْرِ، وَمَنْ أَشْبَهَهُمْ، وَأَنَّهُ تَرَكَ إِكْرَاهَ آخَرِينَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ بِقَبُولِهِ الْجِزْيَةَ مِنْهُ، وَإِقْرَارِهِ عَلَىٰ دِينِهِ الْبَاطِلِ، وَذَلِكَ كَأَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، وَمَنْ أَشْبَهَهُمْ؛ كَانَ بَيِّنًا بِذَلِكَ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ إِنَّمَا هُوَ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ لِأَحَدٍ مِمَّنْ حَلَّ قَبُولُ الْجِزْيَةِ مِنْهُ بِأَدَائِهِ الْجِزْيَةَ، وَرِضَاهُ بِحُكْمِ الْإِسْلَامِ، وَلَا مَعْنَىٰ لِقَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْآيَةَ مَنْسُوخَةُ الْحُكْمِ بِالْإِذْنِ بِالْمُحَارَبَةِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا أَنْتَ قَائِلٌ فِيمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَمَّنْ رُوِيَ عَنْهُ، مِنْ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ أَرَادُوا أَنْ يُكْرِهُوا أَوْلَادَهُمْ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ؟ قُلْنَا: ذَلِكَ غَيْرُ مَدْفُوعَةٍ صِحَّتُهُ، وَلَكِنَّ الْآيَةَ قَدْ تَنْزِلُ فِي خَاصٍّ مِنَ الْأَمْرِ، ثُمَّ يَكُونُ حُكْمُهَا عَامًّا فِي كُلِّ مَا جَانَسَ الْمَعْنَىٰ الَّذِي أُنْزِلَتْ فِيهِ، فَالَّذِينَ أُنْزِلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَىٰ مَا ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ، إِنَّمَا كَانُوا قَوْمًا دَانُوا بِدِينِ أَهْلِ التَّوْرَاةِ قَبْلَ ثُبُوتِ عَقْدِ الْإِسْلَامِ لَهُمْ، فَنَهَىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنْ إِكْرَاهِهِمْ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَأَنْزَلَ بِالنَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ آيَةً يَعُمُّ حُكْمُهَا كُلَّ مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ مَعْنَاهُمْ مِمَّنْ كَانَ عَلَىٰ دِينٍ مِنَ الْأَدْيَانِ الَّتِي يَجُوزُ أَخْذُ الْجِزْيَةِ مِنْ أَهْلِهَا، وَإِقْرَارُهُمْ عَلَيْهَا عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ..

﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ وَضَحَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَاسْتَبَانَ لِطَالِبِ الْحَقِّ وَالرَّشَادِ وَجْهُ مَطْلَبِهِ، فَتَمَيَّزَ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْغَوَايَةِ، فَلَا تُكْرِهُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، وَمَنْ أَبَحْتُ لَكُمْ أَخْذَ الْجِزْيَةِ مِنْهُ، عَلَىٰ دِينِكُمْ دِينِ الْحَقِّ؛ فَإِنَّ مَنْ حَادَ عَنِ الرَّشَادِ بَعْدَ اسْتِبَانَتِهِ لَهُ، فَإِلَىٰ رَبِّهِ أَمْرُهُ، وَهُوَ وَلِيُّ عُقُوبَتِهِ فِي مَعَادِهِ..

﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الشَّيْطَانُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ السَّاحِرُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الْكَاهِنُ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدِي فِي الطَّاغُوتِ أَنَّهُ كُلُّ ذِي طُغْيَانٍ عَلَىٰ اللهِ، فَعُبِدَ مِنْ دُونِهِ، إِمَّا بِقَهْرٍ مِنْهُ لِمَنْ عَبَدَهُ، وَإِمَّا بِطَاعَةٍ مِمَّنْ عَبَدَهُ لَهُ، وَإِنْسَانًا كَانَ ذَلِكَ الْمَعْبُودُ، أَوْ شَيْطَانًا، أَوْ وَثَنًا، أَوْ صَنَمًا، أَوْ كَائِنًا مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ.. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذًا: فَمَنْ يَجْحَدْ رُبُوبِيَّةَ كُلِّ مَعْبُودٍ مِنْ دُونَ اللهِ فَيَكْفُرُ بِهِ..

﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ وَيُصَدِّقْ بِاللهِ أَنَّهُ إِلَهُهُ وَرَبُّهُ وَمَعْبُودُهُ..

﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ فَقَدْ تَمَسَّكَ بِأَوْثَقِ مَا يُتَمَسَّكُ بِهِ مِنْ طَلَبِ الْخَلَاصِ لِنَفْسِهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَعِقَابِهِ.. وَالْعُرْوَةُ فِي هَذَا الْمَكَانِ مَثَلٌ لِلْإِيمَانِ الَّذِي اعْتَصَمَ بِهِ الْمُؤْمِنُ، فَشَبَّهَهُ فِي

تَعَلُّقِهِ بِهِ وَتَمَسُّكِهِ بِهِ بِالْمُتَمَسِّكِ بِعُرْوَةِ الشَّيْءِ الَّذِي لَهُ عُرْوَةٌ يُتَمَسَّكُ بِهَا، إِذْ كَانَ كُلُّ ذِي عُرْوَةٍ فَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ مَنْ أَرَادَهُ بِعُرْوَتِهِ، وَجَعَلَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- الْإِيمَانَ الَّذِي تَمَسَّكَ بِهِ الْكَافِرُ بِالطَّاغُوتِ الْمُؤْمِنُ بِاللهِ وَمِنْ أَوْثَقِ عُرَىٰ الْأَشْيَاءِ..

﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ لَا انْكِسَارَ لَهَا، وَالْهَاءُ وَالْأَلِفُ فِي قَوْلِهِ ﴿لَهَا﴾ عَائِدٌ عَلَىٰ الْعُرْوَةِ.. وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ، فَقَدِ اعْتَصَمَ مِنْ طَاعَةِ اللهِ بِمَا لَا يَخْشَىٰ مَعَ اعْتِصَامِهِ خُذْلَانَهُ إِيَّاهُ وَإِسْلَامَهُ عِنْدَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ فِي أَهْوَالِ الْآخِرَةِ، كَالْمُتَمَسِّكِ بِالْوَثِيقِ مِنْ عُرَىٰ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا يُخْشَىٰ انْكِسَارُ عُرَاهَا..

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ إِيمَانَ الْمُؤْمِنِ بِاللهِ وَحْدَهُ، الْكَافِرِ بِالطَّاغُوتِ عِنْدَ إِقْرَارِهِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَتَبَرُّئِهِ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦] بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَإِخْلَاصِ رُبُوبِيَّتِهِ قَلْبُهُ، وَمَا انْطَوَىٰ عَلَيْهِ -مِنَ الْبَرَاءَةِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ وَالطَّوَاغِيتِ- ضَمِيرُهُ، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَخْفَتْهُ نَفْسُ كُلِّ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ لَا يَنْكَتِمُ عَنْهُ سِرٌّ، وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ أَمْرٌ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ كُلًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا نَطَقَ بِهِ لِسَانُهُ، وَأَضْمَرَتْهُ نَفْسُهُ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧].

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ نَصِيرُهُمْ وَظَهِيرُهُمْ، يَتَوَلَّاهُمْ بِعَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ..

﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ يُخْرِجُهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ إِلَىٰ نُورِ الْإِيمَانِ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِالظُّلُمَاتِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْكُفْرَ، وَإِنَّمَا جَعَلَ الظُّلُمَاتِ لِلْكُفْرِ مَثَلًا؛ لِأَنَّ الظُّلُمَاتِ حَاجِبَةٌ لِلْأَبْصَارِ عَنْ إِدْرَاكِ الْأَشْيَاءِ وَإِثْبَاتِهَا، وَكَذَلِكَ الْكُفْرُ حَاجِبٌ أَبْصَارَ الْقُلُوبِ عَنْ إِدْرَاكِ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ بِصِحَّتِهِ وَصِحَّةِ أَسْبَابِهِ.. فَأَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عِبَادَهُ أَنَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَمُبَصِّرُهُمْ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ وَسُبُلَهُ وَشَرَائِعَهُ وَحُجَجَهُ، وَهَادِيهِمْ فَمُوَفِّقُهُمْ لِأَدِلَّتِهِ الْمُزِيلَةِ عَنْهُمُ الشُّكُوكَ بِكَشْفِهِ عَنْهُمْ دَوَاعِيَ الْكُفْرِ، وَظُلَمَ سَوَاتِرِ أَبْصَارِ الْقُلُوبِ، ثُمَّ أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، فَقَالَ..

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يَعْنِي: الْجَاحِدِينَ وَحْدَانِيَّتَهُ..

﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ﴾ يَعْنِي: نُصَرَاءَهُمْ وَظُهَرَاءَهُمُ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُمْ..

﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾ يَعْنِي: الْأَنْدَادَ وَالْأَوْثَانَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ يَعْنِي بِالنُّورِ الْإِيمَانَ عَلَىٰ نَحْوِ مَا بَيَّنَّا إِلَىٰ الظُّلُمَاتِ، وَيَعْنِي بِالظُّلُمَاتِ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَشُكُوكَهُ الْحَائِلَةَ دُونَ أَبْصَارِ الْقُلُوبِ وَرُؤْيَةِ ضِيَاءِ الْإِيمَانِ وَحَقَائِقِ أَدِلَّتِهِ وَسُبُلِهِ.. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يَحُولُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ، وَيُضِلُّونَهُمْ فَيَكْفُرُونَ، فَيَكُونُ تَضْلِيلُهُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّىٰ يَكْفُرُوا إِخْرَاجًا مِنْهُمْ لَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ، يَعْنِي صَدَّهُمْ إِيَّاهُمْ عَنْهُ وَحِرْمَانَهُمْ إِيَّاهُمْ خَيْرَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا كَانُوا فِيهِ قَبْلُ، كَقَوْلِ الرَّجُلِ: أَخْرَجَنِي وَالِدِي مِنْ مِيرَاثِهِ، إِذَا مَلَكَ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ غَيْرَهُ، فَحَرَمَهُ مِنْهُ خَطِيئَةٌ، وَلَمْ يَمْلِكْ ذَلِكَ الْقَائِلُ هَذَا الْمِيرَاثَ قَطُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا حَرَمَهُ وَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا كَانَ يَكُونُ لَهُ لَوْ لَمْ يُحْرَمْهُ، قِيلَ: أَخْرَجَهُ مِنْهُ، وَكَقَوْلِ الْقَائِلِ: أَخْرَجَنِي فُلَانٌ مِنْ كَتِيبَتِهِ، يَعْنِي لَمْ يَجْعَلَنِي مِنْ أَهْلِهَا، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا قَطُّ قَبْلَ ذَلِكَ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ إِخْرَاجُهُمْ إِيَّاهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَىٰ الْكُفْرِ عَلَىٰ هَذَا الْمَعْنَىٰ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا..

﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧] أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ يُخَلَّدُونَ فِيهَا، يَعْنِي فِي نَارِ جَهَنَّمَ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ إِلَىٰ غَيْرِ غَايَةٍ وَلَا نِهَايَةٍ أَبَدًا.

> ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِقَلْبِكَ..

﴿إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ﴾ خَاصَمَ إِبْرَاهِيمَ نَبِيَّ اللهِ ﷺ..

﴿فِى رَبِّهِۦٓ﴾ حَاجَّهُ فَخَاصَمَهُ فِي رَبِّهِ..

﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ لِأَنَّ اللهَ آتَاهُ الْمُلْكَ، وَهَذَا تَعْجِيبٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، مِنَ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ، وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ الْعَرَبُ إِذَا أَرَادَتِ التَّعْجِيبَ مِنْ رَجُلٍ

فِي بَعْضِ مَا أَنْكَرَتْ مِنْ فِعْلِهِ، قَالُوا: مَا تَرَىٰ إِلَىٰ هَذَا؟ وَالْمَعْنَىٰ: هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا، أَوْ كَهَذَا؟..

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ..

﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ: رَبِّي الَّذِي بِيَدِهِ الْحَيَاةُ وَالْمَوْتُ يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ وَيُمِيتُ مَنْ أَرَادَ بَعْدَ الْإِحْيَاءِ..

﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾ قَالَ: أَنَا أَفْعَلُ ذَلِكَ، فَأُحْيِي وَأُمِيتُ، اسْتَحِيي مَنْ أَرَدْتُ قَتْلَهُ فَلَا أَقْتُلُهُ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنِّي إِحْيَاءً لَهُ، وَذَلِكَ عِنْدَ الْعَرَبِ يُسَمَّىٰ إِحْيَاءً، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وَأَقْتُلُ آخَرَ فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنِّي إِمَاتَةً لَهُ..

﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ فَإِنَّ اللهَ الَّذِي هُوَ رَبِّي يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ مَشْرِقِهَا، فَأْتِ بِهَا -إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَنَّكَ إِلَهٌ- مِنْ مَغْرِبِهَا..

﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ يَعْنِي: انْقَطَعَ وَبَطَلَتْ حُجَّتُهُ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْضِ الْقُرَّاءِ أَنَّهُ قَرَأَ: (فَبَهَتَ الَّذِي كَفَرَ) بِمَعْنَىٰ: فَبَهَتَ إِبْرَاهِيمُ الَّذِي كَفَرَ..

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨] وَاللهُ لَا يَهْدِي أَهْلَ الْكُفْرِ إِلَىٰ حُجَّةٍ يَدْحَضُونَ بِهَا حُجَّةَ أَهْلِ الْحَقِّ عِنْدَ الْمُحَاجَّةِ وَالْمُخَاصَمَةِ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْبَاطِلِ حُجَجُهُمْ دَاحِضَةٌ، وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ مَعْنَىٰ الظُّلْمِ: وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَالْكَافِرُ وَضَعَ جُحُودَهُ مَا جَحَدَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَهُوَ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ.

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٥٩﴾ [البقرة: ٢٥٩].

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ نَظِيرُ الَّذِي عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨] مِنْ تَعْجِيبِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْهُ.. وَقَوْلُهُ: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ عَطْفٌ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وَإِنَّمَا عَطَفَ قَوْلَهُ: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى﴾ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِلَى

﴿ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وَإِنِ اخْتَلَفَ لَفْظَاهُمَا لِتَشَابُهِ مَعْنَيَيْهِمَا؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨] بِمَعْنَىٰ: هَلْ رَأَيْتَ يَا مُحَمَّدُ كَالَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ؟ ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩] لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ الْعَطْفُ بِالْكَلَامِ عَلَىٰ مَعْنًى نَظِيرٍ لَهُ قَدْ تَقَدَّمَهُ وَإِنْ خَالَفَ لَفْظُهُ لَفْظَهُ.. فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَجَّبَ نَبِيَّهُ ﷺ مِمَّنْ قَالَ إِذْ رَأَىٰ قَرْيَةً خَاوِيَةً عَلَىٰ عُرُوشِهَا..

﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ وَهِيَ خَالِيَةٌ مِنْ أَهْلِهَا وَسُكَّانِهَا..

﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ الْعُرُوشُ الْأَبْنِيَةُ وَالْبُيُوتُ، وَاحِدُهَا عَرْشٌ، وَجَمْعُ قَلِيلِهِ أَعْرُشٌ، وَكُلُّ بِنَاءٍ فَإِنَّهُ عَرْشٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ١٣٧﴾ [الأعراف: ١٣٧] يَعْنِي يَبْنُونَ، وَمِنْهُ قِيلَ عَرِيشُ مَكَّةَ، يَعْنِي بِهِ: خِيَامَهَا وَأَبْنِيَتَهَا..

﴿قَالَ﴾ قَائِلُهُ لَمَّا مَرَّ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ أَنَّهُ مَرَّ بِهِ خَرَابًا بَعْدَ مَا عَهِدَهُ عَامِرًا.. وَلَا بَيَانَ عِنْدَنَا مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَصِحُّ مِنْ قِبَلِهِ الْبَيَانُ عَلَىٰ اسْمِ قَائِلِ ذَلِكَ، وَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَىٰ مَعْرِفَةِ اسْمِهِ؛ إِذْ لَمْ يَكُنِ الْمَقْصُودُ بِالْآيَةِ تَعْرِيفَ الْخَلْقِ اسْمَ قَائِلِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ بِهَا تَعْرِيفُ الْمُنْكِرِينَ قُدْرَةَ اللهِ عَلَىٰ إِحْيَائِهِ خَلْقَهُ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَإِعَادَتِهِمْ بَعْدَ فَنَائِهِمْ، وَأَنَّهُ الَّذِي بِيَدِهِ الْحَيَاةُ وَالْمَوْتُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَمَنْ كَانَ يُكَذِّبُ بِذَلِكَ مِنْ سَائِرِ الْعَرَبِ، وَتَثْبِيتُ الْحُجَّةِ بِذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ كَانَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِإِطْلَاعِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَىٰ مَا يُزِيلُ شَكَّهُمْ فِي نُبُوَّتِهِ، وَيَقْطَعُ عُذْرَهُمْ فِي رِسَالَتِهِ؛ إِذْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَنْبَاءُ الَّتِي أَوْحَاهَا إِلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي كِتَابِهِ مِنَ الْأَنْبَاءِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَقَوْمُهُ، وَلَمْ يَكُنْ عِلْمُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَلَمْ يَكُنْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَقَوْمُهُ مِنْهُمْ، بَلْ كَانَ أُمِّيًّا وَقَوْمُهُ أُمِّيُّونَ، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِهِ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ إِلَيْهِ، وَلَوْ كَانَ الْمَقْصُودُ بِذَلِكَ الْخَبَرَ عَنِ اسْمِ قَائِلِ ذَلِكَ، لَكَانَتِ الدَّلَالَةُ مَنْصُوبَةً عَلَيْهِ نَصْبًا يَقْطَعُ الْعُذْرَ وَيُزِيلُ الشَّكَّ، وَلَكِنَّ الْقَصْدَ كَانَ إِلَىٰ ذَمِّ قِيلِهِ، فَأَبَانَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- ذَلِكَ لِخَلْقِهِ..

﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ كَانَ قِيلُهُ مَا قَالَ مِنْ ذَلِكَ شَكًّا فِي قُدْرَةِ اللهِ عَلَىٰ إِحْيَائِهِ.. مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ ابْتَدَأَ خَلْقَهَا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، فَلَمْ يُقْنِعْهُ عِلْمُهُ بِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ ابْتِدَائِهَا، حَتَّىٰ قَالَ: أَنَّىٰ يُحْيِيهَا هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا؟..

﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ ثُمَّ آثَارَهُ حَيًّا مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِ..

﴿قَالَ﴾ اللهُ لَهُ..

﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ كَمْ قَدْرُ الزَّمَانِ الَّذِي لَبِثْتَ مَيْتًا قَبْلَ أَنْ أَبْعَثَكَ مِنْ مَمَاتِكَ حَيًّا؟

﴿قَالَ﴾ الْمَبْعُوثُ بَعْدَ مَمَاتِهِ..

﴿لَبِثْتُ﴾ مَيْتًا إِلَىٰ أَنْ بَعَثْتَنِي حَيًّا..

﴿يَوْمًا﴾ وَاحِدًا..

﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- كَانَ قَبَضَ رُوحَهُ أَوَّلَ النَّهَارِ، ثُمَّ رَدَّ رُوحَهُ آخِرَ النَّهَارِ بَعْدَ الْمِائَةِ عَامٍ فَقِيلَ لَهُ: كَمْ لَبِثْتَ؟ قَالَ: لَبِثْتُ يَوْمًا، وَهُوَ يَرَىٰ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ غَرَبَتْ، فَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُ يَوْمًا؛ لِأَنَّهُ ذُكِرَ أَنَّهُ قَبَضَ رُوحَهُ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَسُئِلَ عَنْ مِقْدَارِ لُبْثِهِ مَيْتًا آخِرَ النَّهَارِ وَهُوَ يَرَىٰ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ غَرَبَتْ، فَقَالَ: لَبِثْتُ يَوْمًا، ثُمَّ رَأَىٰ بَقِيَّةً مِنَ الشَّمْسِ قَدْ بَقِيَتْ لَمْ تَغْرُبْ، فَقَالَ: أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، بِمَعْنَىٰ: بَلْ بَعْضُ يَوْمٍ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: «وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ» بِمَعْنَىٰ: بَلْ يَزِيدُونَ، فَكَانَ قَوْلُهُ: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ رُجُوعًا مِنْهُ عَنْ قَوْلِهِ: لَبِثْتُ يَوْمًا..

﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لَمْ تُغَيِّرْهُ السُّنُونَ الَّتِي أَتَتْ عَلَيْهِ.. وَكَانَ طَعَامُهُ -فِيمَا ذَكَرَ بَعْضُهُمْ- سَلَّةَ تِينٍ وَعِنَبٍ، وَشَرَابُهُ قُلَّةَ مَاءٍ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ كَانَ طَعَامُهُ سَلَّةَ عِنَبٍ وَسَلَّةَ تِينٍ، وَشَرَابُهُ زِقًّا مِنْ عَصِيرٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانَ طَعَامُهُ سَلَّةَ تِينٍ، وَشَرَابُهُ دَنَّ خَمْرٍ..

﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ وَانظُرْ إِلَىٰ إِحْيَائِي حِمَارَكَ، وَإِلَىٰ عِظَامِهِ كَيْفَ أُنْشِزُهَا ثُمَّ أَكْسُوهَا لَحْمًا.. وَقَدْ كَانَ حِمَارُهُ أَدْرَكَهُ مِنَ الْبِلَىٰ نَظِيرُ الَّذِي لَحِقَ عِظَامَ مَنْ خُوطِبَ بِهَذَا الْخِطَابِ.. فَأَرَاهُ نَظِيرَ مَا اسْتَنْكَرَ مِنْ إِحْيَاءِ اللهِ الْقَرْيَةَ الَّتِي مَرَّ بِهَا بَعْدَ مَمَاتِهَا عِيَانًا مِنْ نَفْسِهِ وَطَعَامِهِ وَحِمَارِهِ، فَجَعَلَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مَا أَرَاهُ مِنْ إِحْيَائِهِ نَفْسَهُ وَحِمَارَهُ مَثَلًا لِمَا اسْتَنْكَرَ مِنْ إِحْيَائِهِ أَهْلَ الْقَرْيَةِ الَّتِي مَرَّ بِهَا خَاوِيَةً عَلَىٰ عُرُوشِهَا، وَجَعَلَ مَا أَرَاهُ مِنَ الْعَبْرَةِ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ عِبْرَةً لَهُ وَحُجَّةً عَلَيْهِ فِي كَيْفِيَّةِ إِحْيَائِهِ مَنَازِلَ الْقَرْيَةِ وَجِنَانَهَا..

﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ أَمَتْنَاكَ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ، وَإِنَّمَا أُدْخِلَتِ الْوَاوُ مَعَ اللَّامِ بِمَعْنَىٰ (كَيْ)؛ لِأَنَّ فِي دُخُولِهَا فِي كَيْ وَأَخَوَاتِهَا دَلَالَةً عَلَىٰ أَنَّهَا شَرْطٌ لِفِعْلٍ بَعْدَهَا، بِمَعْنَىٰ: وَلِنَجْعَلَكَ كَذَا وَكَذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ قَبْلَ اللَّامِ أَعْنِي لَامَ (كَيْ) وَاوٌ كَانَتِ اللَّامُ شَرْطًا لِلْفِعْلِ الَّذِي قَبْلَهَا،

وَكَانَ يَكُونُ مَعْنَاهُ: وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ، لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً﴾ وَلِنَجْعَلَكَ حُجَّةً عَلَىٰ مَنْ جَهِلَ قُدْرَتِي، وَشَكَّ فِي عَظَمَتِي، وَأَنَا الْقَادِرُ عَلَىٰ فِعْلِ مَا أَشَاءُ مِنْ إِمَاتَةٍ وَإِحْيَاءٍ، وَإِفْنَاءٍ، وَإِنْشَاءٍ، وَإِنْعَامٍ، وَإِذْلَالٍ، وَإِقْتَارٍ، وَإِغْنَاءٍ، بِيَدِي ذَلِكَ كُلُّهُ، لَا يَمْلِكُهُ أَحَدٌ دُونِي، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرِي.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ يَقُولُ: كَانَ آيَةً لِلنَّاسِ بِأَنَّهُ جَاءَ بَعْدَ مِائَةِ عَامٍ إِلَىٰ وَلَدِهِ وَوَلَدِ وَلَدِهِ شَابًّا وَهُمْ شُيُوخٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ جَاءَ وَقَدْ هَلَكَ مَنْ يَعْرِفُهُ، فَكَانَ آيَةً لِمَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ مِنْ قَوْمِهِ.. وَالَّذِي هُوَ أَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ مِنَ الْقَوْلِ، أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَخْبَرَ أَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي وَصَفَ صِفَتَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ حُجَّةً لِلنَّاسِ، فَكَانَ ذَلِكَ حُجَّةً عَلَىٰ مَنْ عَرَفَهُ مِنْ وَلَدِهِ وَقَوْمِهِ مِمَّنْ عَلِمَ مَوْتَهُ، وَإِحْيَاءَ اللهِ إِيَّاهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَعَلَىٰ مَنْ بُعِثَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ..

﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ وَانْظُرْ كَيْفَ نُرَكِّبُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ، وَنَنْقُلُ ذَلِكَ إِلَىٰ مَوَاضِعَ مِنَ الْجِسْمِ، وقَدْ ذَكَرْنا فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ عَلَىٰ أَنَّ الْعِظَامَ الَّتِي أُمِرَ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا هِيَ عِظَامُ نَفْسِهِ وَحِمَارِهِ.. وَأَصْلُ النَّشْزِ الِارْتِفَاعُ، وَمِنْهُ قِيلَ: قَدْ نَشَزَ الْغُلَامُ إِذَا ارْتَفَعَ طُولُهُ وَشَبَّ، وَمِنْهُ نُشُوزُ الْمَرْأَةِ عَلَىٰ زَوْجِهَا.. وَقَرَأَ ذَلِكَ آخَرُونَ: (وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا) قَالُوا مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: أَنْشَرَ اللهُ الْمَوْتَىٰ فَهُوَ يُنْشِرُهُمْ إِنْشَارًا، وَذَلِكَ قِرَاءَةُ عَامَّةِ قُرَّاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، بِمَعْنَىٰ: وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُحْيِيهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢﴾ [عبس: ٢٢]، فَرَأَىٰ أَنَّ مِنَ الصَّوَابِ إِلْحَاقَ قَوْلِهِ: (وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا) بِهِ.. وَالْقَوْلُ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنَّ مَعْنَىٰ الْإِنْشَارِ وَمَعْنَىٰ الْإِنْشَازِ مُتَقَارِبَانِ؛ لِأَنَّ مَعْنَىٰ الْإِنْشَازِ التَّرْكِيبُ وَالْإِثْبَاتُ وَرَدُّ الْعِظَامِ مِنَ الْعِظَامِ، وَإِعَادَتُهَا لَا شَكَّ أَنَّهُ رَدُّهَا إِلَىٰ أَمَاكِنِهَا وَمَوَاضِعِهَا مِنَ الْجَسَدِ بَعْدَ مُفَارَقَتِهَا إِيَّاهَا، فَهُمَا وَإِنِ اخْتَلَفَا فِي اللَّفْظِ فَمُتَقَارِبَا الْمَعْنَىٰ، وَقَدْ جَاءَتْ بِالْقِرَاءَةِ بِهِمَا الْأُمَّةُ مَجِيئًا يَقْطَعُ الْعُذْرَ وَيُوجِبُ الْحُجَّةَ، فَبِأَيِّهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ لِانْقِيَادِ مَعْنَيَيْهِمَا، وَلَا حُجَّةَ تُوجِبُ لِإِحْدَاهُمَا مِنَ الْقَضَاءِ بِالصَّوَابِ عَلَىٰ الْأُخْرَىٰ.. وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ الثَّالِثَةُ فَغَيْرُ جَائِزَةٍ الْقِرَاءَةُ بِهَا عِنْدِي، وَهِيَ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: (كَيْفَ نَنْشُرَهَا) بِفَتْحِ النُّونِ وَبِالرَّاءِ، لِشُذُوذِهَا عَنْ قِرَاءَةِ الْمُسْلِمِينَ وَخُرُوجِهَا عَنِ الصَّحِيحِ الْفَصِيحِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ..

﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا﴾ أَيِ الْعِظَامَ.. وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿نَكْسُوهَا﴾ مِنْ ذِكْرِ الْعِظَامِ، وَمَعْنَىٰ نَكْسُوهَا: نُلْبِسُهَا وَنُوَارِيهَا..

﴿لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾ فَلَمَّا اتَّضَحَ لَهُ عِيَانًا مَا كَانَ مُسْتَنْكِرًا مِنْ قُدْرَةِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ عِنْدَهُ قَبْلَ عِيَانِهِ ذَلِكَ..

﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ الْآنَ بَعْدَ الْمُعَايَنَةِ وَالْإِيضَاحِ وَالْبَيَانِ..

﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ الَّذِي أَرَاهُ بِعَيْنَيْهِ مَا أَرَاهُ مِنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ مِنْ إِحْيَائِهِ إِيَّاهُ وَحِمَارَهُ بَعْدَ مَوْتِ مِائَةِ عَامٍ وَبَلَائِهِ حَتَّىٰ عَادَا كَهَيْئَتِهِمَا يَوْمَ قَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، وَحَفِظَ عَلَيْهِ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِائَةَ عَامٍ حَتَّىٰ رَدَّهُ عَلَيْهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَضَعَهُ غَيْرَ مُتَغَيِّرٍ..

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٥٩﴾ [البقرة: ٢٥٩] عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَادِرٌ كَذَلِكَ.

> ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٦٠﴾ [البقرة: ٢٦٠].

﴿وَإِذْ﴾ وَأَلَمْ تَرَ إِذْ..

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ﴾ لَهُ رَبُّهُ..

﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ أَوَلَمْ تُصَدِّقْ يَا إِبْرَاهِيمُ بِأَنِّي عَلَىٰ ذَلِكَ قَادِرٌ؟

﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ يَا رَبِّ..

﴿وَلَٰكِن﴾ سَأَلْتُكَ أَنْ تُرِيَنِي ذَلِكَ..

﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ لِيَسْكُنَ وَيَهْدَأَ بِالْيَقِينِ الَّذِي يَسْتَيْقِنُهُ، فَلَا يَقْدِرَ الشَّيْطَانُ أَنْ يُلْقِيَ فِي قَلْبِي..

﴿قَالَ﴾ اللهُ لَهُ..

﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ اضْمُمْهُنَّ إِلَيْكَ وَوَجِّهْهُنَّ نَحْوَكَ، ثُمَّ قَطِّعْهُنَّ..

﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ أَمَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِبْرَاهِيمَ بِتَفْرِيقِ أَعْضَاءِ الْأَطْيَارِ الْأَرْبَعَةِ بَعْدَ تَقْطِيعِهِ إِيَّاهُنَّ عَلَىٰ جَمِيعِ الْأَجْبَالِ -الَّتِي كَانَ يَصِلُ إِبْرَاهِيمُ فِي وَقْتِ تَكْلِيفِ اللهِ إِيَّاهُ- تَفْرِيقَ ذَلِكَ وَتَبْدِيدَهَا عَلَيْهَا أَجْزَاءً..

﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ أُمِرَ أَنْ يَقُولَ لِأَجْزَاءِ الْأَطْيَارِ بَعْدَ تَفْرِيقِهِنَّ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ تَعَالَيْنَ بِإِذْنِ اللهِ..

﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ..

﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ﴾ الَّذِي أَحْيَا هَذِهِ الْأَطْيَارَ بَعْدَ تَمْزِيقِكَ إِيَّاهُنَّ، وَتَفْرِيقِكَ أَجْزَاءَهُنَّ عَلَى الْجِبَالِ، فَجَمَعَهُنَّ وَرَدَّ إِلَيْهِنَّ الرُّوحَ، حَتَّىٰ أَعَادَهُنَّ كَهَيْئَتِهِنَّ قَبْلَ تَفْرِيقِهِنَّ..

﴿عَزِيزٌ﴾ فِي بَطْشِهِ إِذَا بَطَشَ بِمَنْ بَطَشَ مِنَ الْجَبَابِرَةِ وَالْمُتَكَبِّرَةِ الَّذِينَ خَالَفُوا أَمْرَهُ،

وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وعَبَدُوا غَيْرَهُ، وَفِي نِقْمَتِهِ حَتَّىٰ يَنْتَقِمَ مِنْهُمْ..

﴿حَكِيمٌ ٢٦٠﴾ [البقرة: ٢٦٠] فِي أَمْرِهِ.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة: ٢٦١].

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فِي جِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ..

﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ مِنْ حَبَّاتِ الْحِنْطَةِ أَوِ الشَّعِيرِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ الَّتِي تُسَنْبِلُ سُنْبُلَةً بَذَرَهَا زَارِعٌ فـ..

﴿أَنۢبَتَتْ﴾ فَأَخْرَجَتْ..

﴿سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ فَكَذَلِكَ الْمُنْفِقُ مَالَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، لَهُ أَجْرُهُ سَبْعُمِائَةِ ضِعْفٍ عَلَىٰ الْوَاحِدِ مِنْ نَفَقَتِهِ..

﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ مِنْ عِبَادِهِ أَجْرَ حَسَنَاتِهِ بَعْدَ الَّذِي أَعْطَىٰ الْمُنْفِقَ فِي سَبِيلِهِ مِنَ التَّضْعِيفِ الْوَاحِدَةَ سَبْعَمِائَةٍ، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فِي غَيْرِ سَبِيلِهِ، فَلَا نَفَقَةَ مَا وَعْدَهُ مِنْ تَضْعِيفِ السَّبْعِمِائَةِ بِالْوَاحِدَةِ..

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ يَزِيدُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ الْمُنْفِقِينَ فِي سَبِيلِهِ عَلَىٰ أَضْعَافِ السَّبْعِمِائَةِ الَّتِي وَعْدَهُ أَنْ يَزِيدَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَاللهُ وَاسِعٌ لِتِلْكَ الْأَضْعَافِ..

﴿عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة: ٢٦١] بِمَنْ يَسْتَحِقُّ مِنْهُمُ الزِّيَادَةَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بِمَا يُنْفِقُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي طَاعَةِ اللهِ.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٢٦٢﴾ [البقرة: ٢٦٢].

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الَّذِينَ يُعِينُونَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ وَفِي حُمُولَاتِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مُؤَنِهِمْ..

﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ ثُمَّ لَمْ يُتْبِعْ نَفَقَتَهُ الَّتِي أَنْفَقَهَا عَلَيْهِمْ مَنًّا عَلَيْهِمْ بِإِنْفَاقِ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَلَا أَذًىٰ لَهُمْ.. فَامْتِنَانُهُ بِهِ عَلَيْهِمْ: بِأَنْ يُظْهِرَ لَهُمْ أَنَّهُ قَدِ اصْطَنَعَ إِلَيْهِمْ بِفِعْلِهِ

وَعَطَائِهِ الَّذِي أَعْطَاهُمُوهُ، تَقْوِيَةً لَهُمْ عَلَىٰ جِهَادِ عَدُوِّهِمْ مَعْرُوفًا، وَيُبْدِي ذَلِكَ إِمَّا بِلِسَانٍ أَوْ فِعْلٍ.. وَأَمَّا الْأَذَىٰ فَهُوَ شِكَايَتُهُ إِيَّاهُمْ بِسَبَبِ مَا أَعْطَاهُمْ وَقَوَّاهُمْ مِنَ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ أَنَّهُمْ لَمْ يَقُومُوا بِالْوَاجِبِ عَلَيْهِمْ فِي الْجِهَادِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي يُؤْذِي بِهِ مَنْ أَنْفَقَ عَلَيْهِ.. وَإِنَّمَا شَرَطَ ذَلِكَ فِي الْمُنْفِقِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَوْجَبَ الْأَجْرَ لِمَنْ كَانَ غَيْرَ مَانٍّ وَلَا مُؤْذٍ مَنْ أَنْفَقَ عَلَيْهِ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ لِأَنَّ النَّفَقَةَ الَّتِي هِيَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مِمَّا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُ اللهِ، وَطُلِبَ بِهِ مَا عِنْدَهُ، فَإِذَا كَانَ مَعْنَىٰ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ هُوَ مَا وَصَفْنَا، فَلَا وَجْهَ لِمَنِّ الْمُنْفِقِ عَلَىٰ مَنْ أَنْفَقَ عَلَيْهِ ولا إِيذَائِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدَ لَهُ قِبَلَهُ، وَلَا صَنِيعَةَ يَسْتَحِقُّ بِهَا عَلَيْهِ -إِنْ لَمْ يُكَافِئْهُ عَلَيْهَا- الْمَنَّ وَالْأَذَىٰ؛ إِذْ كَانَتْ نَفَقَتُهُ مَا أَنْفَقَ عَلَيْهِ احْتِسَابًا، وَابْتِغَاءَ ثَوَابِ اللهِ، وَطَلَبَ مَرْضَاتِهِ، وَعَلَىٰ اللهِ مَثُوبَتُهُ دُونَ مَنْ أَنْفَقَ ذَلِكَ عَلَيْهِ..

﴿لَّهُمۡ﴾ لِلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ عَلَىٰ مَا بَيَّنَ..

﴿أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ ثَوَابُهُمْ وَجَزَاؤُهُمْ عَلَىٰ نَفَقَتِهِمُ الَّتِي أَنْفَقُوهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَهَا مَنًّا وَلَا أَذًىٰ..

﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ وَهُمْ مَعَ مَا لَهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ عَلَىٰ نَفَقَتِهِمُ الَّتِي أَنْفَقُوهَا عَلَىٰ مَا شَرَطْنَا، لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ عِنْدَ مَقْدِمِهِمْ عَلَىٰ اللهِ، وَفِرَاقِهِمُ الدُّنْيَا، وَلَا فِي أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَأَنْ يَنَالَهُمْ مِنْ مَكَارِهِهَا، أَوْ يُصِيبَهُمْ فِيهَا مِنْ عِقَابِ اللهِ..

﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢﴾ [البقرة: ٢٦٢] عَلَىٰ مَا خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا.

﴿۞ قَوۡلٌ مَّعۡرُوفٌ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتۡبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ٢٦٣﴾

[البقرة: ٢٦٣].

﴿۞ قَوۡلٌ مَّعۡرُوفٌ﴾ قَوْلٌ جَمِيلٌ، وَدُعَاءُ الرَّجُلِ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ..

﴿وَمَغۡفِرَةٌ﴾ وَسَتْرٌ مِنْهُ عَلَيْهِ لِمَا عَلِمَ مِنْ خُلَّتِهِ وَسُوءِ حَالَتِهِ..

﴿خَيۡرٌ﴾ عِنْدَ اللهِ..

﴿مِّن صَدَقَةٍ﴾ يَتَصَدَّقُهَا عَلَيْهِ..

﴿يَتۡبَعُهَآ أَذًى ۗ﴾ فَيَشْتَكِيهِ عَلَيْهَا وَيُؤْذِيهِ بِسَبَبِهَا..

﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عَمَّا يَتَصَدَّقُونَ بِهِ..

﴿حَلِيمٌ ۝﴾ [البقرة: ٢٦٣] حِينَ لَا يُعَجِّلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَىٰ مَنْ يَمُنُّ بِصَدَقَتِهِ مِنْكُمْ، وَيُؤْذِي فِيهَا مَنْ يَتَصَدَّقُ بِهَا عَلَيْهِ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝﴾ [البقرة: ٢٦٤].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم﴾ لَا تُبْطِلُوا أُجُورَ صَدَقَاتِكُمْ..

﴿بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ﴾ كَمَا أَبْطَلَ كُفْرُ الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ..

﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ وَهُوَ مُرَاءَاتُهُ إِيَّاهُمْ بِعَمَلِهِ؛ وَذَلِكَ أَنْ يُنْفِقَ مَالَهُ فِيمَا يَرَىٰ النَّاسُ فِي الظَّاهِرِ أَنَّهُ يُرِيدُ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فَيَحْمَدُونَهُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُرِيدٌ بِهِ غَيْرَ اللهِ، وَلَا طَالِبٌ مِنْهُ الثَّوَابَ وَإِنَّمَا يُنْفِقُهُ كَذَلِكَ ظَاهِرًا لِيَحْمَدَهُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُوا: هُوَ سَخِيٌّ كَرِيمٌ، وَهُوَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَيُحْسِنُوا عَلَيْهِ بِهِ الثَّنَاءَ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا هُوَ مُسْتَبْطِنٌ مِنَ النِّيَّةِ فِي إِنْفَاقِهِ مَا أَنْفَقَ، فَلَا يَدْرُونَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ التَّكْذِيبِ بِاللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- وَالْيَوْمِ الْآخِرِ..

﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ وَلَا يُصَدِّقُ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ..

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ وَلَا بِأَنَّهُ مَبْعُوثٌ بَعْدَ مَمَاتِهِ فَمُجَازَىٰ عَلَىٰ عَمَلِهِ، فَيَجْعَلُ عَمَلَهُ لِوَجْهِ اللهِ وَطَلَبِ ثَوَابِهِ وَمَا عِنْدَهُ فِي مَعَادِهِ.. وَهَذِهِ صِفَةُ الْمُنَافِقِ؛ وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّهُ مُنَافِقٌ؛ لِأَنَّ الْمُظْهِرَ كُفْرَهُ وَالْمُعْلِنَ شِرْكَهُ مَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يَكُونُ بِشَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِهِ مُرَائِيًا، لِأَنَّ الْمُرَائِيَ هُوَ الَّذِي يُرَائِي النَّاسَ بِالْعَمَلِ الَّذِي هُوَ فِي الظَّاهِرِ لِلَّهِ وَفِي الْبَاطِنِ مِن نِيَّةِ عَامِلِهُ مُرَادٌ بِهِ حَمْدُ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَالْكَافِرُ لَا يَخِيلُ عَلَىٰ أَحَدٍ أَمْرُهُ أَنَّ أَفْعَالَهُ كُلَّهَا إِنَّمَا هِيَ لِلشَّيْطَانِ -إِذَا كَانَ مُعْلِنًا كُفْرَهُ- لَا لِلَّهِ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَغَيْرُ كَائِنٍ مُرَائِيًا بِأَعْمَالِهِ..

﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ فَمَثَلُ هَذَا الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ، وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.. فَرَجَعَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- إِلَىٰ ذِكْرِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ ضَرَبَ الْمَثَلَ لِأَعْمَالِهِمْ، فَقَالَ..

﴿كَمَثَلِ﴾ فَكَذَلِكَ أَعْمَالُهُمْ بِمَنْزِلَةِ الـ..

﴿صَفْوَانٍ﴾ وَهِيَ الْحِجَارَةُ الْمُلْسُ، الَّذِي كَانَ..

﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ يَعْنِي عَلَى الصَّفْوَانِ تُرَابٌ..

﴿فَأَصَابَهُ﴾ يَعْنِي: أَصَابَ الصَّفْوَانَ..

﴿وَابِلٌ﴾ وَهُوَ الْمَطَرُ الشَّدِيدُ الْعَظِيمُ..

﴿فَتَرَكَهُ﴾ فَتَرَكَ الْوَابِلُ الصَّفْوَانَ..

﴿صَلْدًا﴾ فَذَهَبَ بِمَا عَلَيْهِ مِنَ التُّرَابِ، فَتَرَكَهُ نَقِيًّا لَا تُرَابَ عَلَيْهِ وَلَا شَيْءَ، يَرَاهُمُ الْمُسْلِمُونَ فِي الظَّاهِرِ أَنَّ لَهُمْ أَعْمَالًا كَمَا يُرَى التُّرَابُ عَلَى هَذَا الصَّفْوَانِ بِمَا يُرَاءُونَهُمْ بِهِ.. وَالصَّلْدُ مِنَ الْحِجَارَةِ الصُّلْبُ الَّذِي لَا شَيْءَ عَلَيْهِ مِنْ نَبَاتٍ وَلَا غَيْرِهِ، وَهُوَ مِنَ الْأَرَضِينَ مَا لَا يُنْبِتُ فِيهِ شَيْءٌ، وَكَذَلِكَ مِنَ الرُّءُوسِ..

﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ عَلَى ثَوَابِ شَيْءٍ.. فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَصَارُوا إِلَى اللهِ اضْمَحَلَّ ذَلِكَ كُلُّهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ كَمَا ذَهَبَ الْوَابِلُ مِنَ الْمَطَرِ بِمَا كَانَ عَلَى الصَّفْوَانِ مِنَ التُّرَابِ، فَتَرَكَهُ أَمْلَسَ لَا شَيْءَ عَلَيْهِ..

﴿مِّمَّا كَسَبُوا﴾ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا لِمَعَادِهِمْ وَلَا لِطَلَبِ مَا عِنْدَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ، وَلَكِنَّهُمْ عَمِلُوهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَطَلَبَ حَمْدِهِمْ، وَإِنَّمَا حَظُّهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ مَا أَرَادُوهُ وَطَلَبُوهُ بِهَا.. يَعْنِي بِهِ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ..

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤] لَا يُسَدِّدُهُمْ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ فِي نَفَقَاتِهِمْ وَغَيْرِهَا فَيُوَفِّقُهُمْ لَهَا، وَهُمْ لِلْبَاطِلِ عَلَيْهَا مُؤْثِرُونَ، وَلَكِنَّهُ تَرَكَهُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ يَعْمَهُونَ، فَقَالَ -تَعَالَى ذِكْرُهُ- لِلْمُؤْمِنِينَ: لَا تَكُونُوا كَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ هَذَا الْمَثَلُ صِفَةُ أَعْمَالِهِمْ، فَتُبْطِلُوا أُجُورَ صَدَقَاتِكُمْ بِمَنِّكُمْ عَلَى مَنْ تَصَدَّقْتُمْ بِهَا عَلَيْهِ وَأَذَاكُمْ لَهُمْ، كَمَا أَبْطَلَ أَجْرَ نَفَقَةِ الْمُنَافِقِ الَّذِي أَنْفَقَ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ، وَهُوَ غَيْرُ مُؤْمِنٍ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ عِنْدَ اللهِ.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة: ٢٦٥].

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ﴾ فَيَصَّدَّقُونَ بِهَا وَيَحْمِلُونَ عَلَيْهَا..

﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ فِي سَبِيلِ اللهِ وَيُقَوُّونَ بِهَا أَهْلَ الْحَاجَةِ مِنَ الْغُزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ طَاعَاتِ اللهِ، طَلَبَ مَرْضَاتِهِ..

﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وَتَثْبِيتًا لَهُمْ عَلَىٰ إِنْفَاقِ ذَلِكَ فِي طَاعَةِ اللهِ وَتَحْقِيقًا، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: ثَبَّتُّ فُلَانًا فِي هَذَا الْأَمْرِ: إِذْ صَحَّحْتُ عَزْمَهُ وَحَقَّقْتُهُ وَقَوَّيْتُ فِيهِ رَأْيَهُ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ اللهُ -جَلَّ وَعَزَّ- بِذَلِكَ أَنَّ أَنْفُسَهُمْ كَانَتْ مُوقِنَةً مُصَدِّقَةً بُوعِدِ اللهِ إِيَّاهَا فِيمَا أَنْفَقَتْ فِي طَاعَتِهِ بِغَيْرِ مَنٍّ وَلَا أَذًى، فَثَبَّتَهُمْ فِي إِنْفَاقِ أَمْوَالِهِمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ، وَصَحَّحَ عَزْمَهُمْ وَآرَاءَهُمْ يَقِينًا مِنْهَا بِذَلِكَ، وَتَصْدِيقًا بُوعِدِ اللهِ إِيَّاهَا مَا وَعَدَهَا، وَلِذَلِكَ قَالَ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَتَثْبِيتًا﴾ وَتَصْدِيقًا، وَمَنْ قَالَ مِنْهُمْ: وَيَقِينًا؛ لِأَنَّ تَثْبِيتَ أَنْفُسِ الْمُنْفِقِينَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ إِيَّاهُمْ، إِنَّمَا كَانَ عَنْ يَقِينٍ مِنْهَا وَتَصْدِيقٍ بِوَعْدِ اللهِ..

﴿كَمَثَلِ﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ، فَيَتَصَدَّقُونَ بِهَا، وَيُسَبِّلُونَهَا فِي طَاعَةِ اللهِ بِغَيْرِ مَنٍّ عَلَىٰ مَنْ تَصَدَّقُوا بِهَا عَلَيْهِ، وَلَا أَذًى مِنْهُمْ لَهُمْ بِهَا، ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ وَتَصْدِيقًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ بِوَعْدِهِ..

﴿جَنَّةٍ﴾ بُسْتَانٌ..

﴿بِرَبْوَةٍ﴾ الرَّبْوَةُ مَا نَشَزَ مِنَ الْأَرْضِ فَارْتَفَعَ عَنِ السَّيْلِ، وَإِنَّمَا وَصَفَهَا بِذَلِكَ جَلَّ ثناؤُهُ؛ لِأَنَّ مَا ارْتَفَعَ عَنِ الْمَسَايِلِ وَالْأَوْدِيَةِ أَغْلَظُ، وَجِنَانُ مَا غَلُظَ مِنَ الْأَرْضِ أَحْسَنُ وَأَزْكَىٰ ثَمَرًا وَغَرْسًا وَزَرْعًا مِمَّا رَقَّ مِنْهَا.. وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الرَّبْوَةَ؛ لِأَنَّهَا رَبَتْ فَغَلُظَتْ وَعَلَتْ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: رَبَا هَذَا الشَّيْءُ يَرْبُو: إِذَا انْتَفَخَ فَعَظُمَ..

﴿أَصَابَهَا﴾ أَصَابَ الْجَنَّةَ الَّتِي بِالرَّبْوَةِ مِنَ الْأَرْضِ..

﴿وَابِلٌ﴾ مِنَ الْمَطَرِ، وَهُوَ الشَّدِيدُ الْعَظِيمُ الْقَطْرِ مِنْهُ..

﴿فَئَاتَتْ﴾ الْجَنَّةُ..

﴿أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ أُضْعِفَ ثَمَرُهَا ضِعْفَيْنِ حِينَ أَصَابَهَا الْوَابِلُ مِنَ الْمَطَرِ.. وَالْأُكُلُ: هُوَ الشَّيْءُ الْمَأْكُولُ، وَأَمَّا الْأَكْلُ بِفَتْحِ الْأَلِفِ وَتَسْكِينِ الْكَافِ، فَهُوَ فِعْلُ الْآكِلِ، يُقَالُ مِنْهُ: أَكَلْتُ أَكْلًا، وَأَكَلْتُ أُكْلَةً وَاحِدَةً..

﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ هُوَ النَّدَىٰ وَاللَّيِّنُ مِنَ الْمَطَرِ.. وَإِنَّمَا يَعْنِي -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِهَذَا الْمَثَلِ كَمَا ضُعِّفَتْ ثَمَرَةُ هَذِهِ الْجَنَّةِ الَّتِي وُصِفَتْ صِفَتُهَا حِينَ جَادَ الْوَابِلُ، فَإِنْ أَخْطَأَ هَذَا الْوَابِلُ فَالطَّلُّ، كَذَلِكَ يُضَعِّفُ اللهُ صَدَقَةَ الْمُتَصَدِّقِ وَالْمُنْفِقِ مَالِهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ مَنٍّ وَلَا أَذًى، قَلَّتْ نَفَقَتُهُ أَوْ كَثُرَتْ، لَا تَخِيبُ وَلَا تُخَلَّفُ نَفَقَتُهُ، كَمَا تُضَعَّفُ الْجَنَّةُ الَّتِي وَصَفَ جَلَّ ثناؤُهُ صِفَتَهَا قَلَّ مَا أَصَابَهَا مِنَ الْمَطَرِ أَوْ كَثُرَ، لَا يُخَلِّفُ خَيْرُهَا بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ..

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ فِي نَفَقَاتِكُمُ الَّتِي تُنْفِقُونَهَا..

﴿بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة: ٢٦٥] لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهَا وَلَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا شَيْءٌ، يَعْلَمُ مَنِ الْمُنْفِقُ مِنْكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ وَالْمُنْفِقُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ نَفْسِهِ، فَيُحْصِي عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَ جَمِيعَكُمْ جَزَاءَهُ عَلَىٰ عَمَلِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.. وَإِنَّمَا يَعْنِي بِهَذَا الْقَوْلِ -جَلَّ ذِكْرُهُ- التَّحْذِيرَ مِنْ عِقَابِهِ فِي النَّفَقَاتِ الَّتِي يُنْفِقُهَا عِبَادُهُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ مَا قَدْ تَقَدَّمَ فِيهِ بِالنَّهْيِ عَنْهُ، أَوْ يُفَرِّطَ فِيمَا قَدْ أُمِرَ بِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ بِمَرْأًى مِنَ اللهِ وَمَسْمَعٍ، يَعْلَمُهُ وَيُحْصِيهِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ لِخَلْقِهِ بِالْمِرْصَادِ.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦٦].

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ..

﴿أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ بُسْتَانٌ..

﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ مِنْ تَحْتِ الْجَنَّةِ..

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ﴾ الْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَهُۥ﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ أَحَدٍ..

﴿فِيهَآ﴾ الْهَاءُ وَالْأَلِفُ فِي: ﴿فِيهَآ﴾ عَلَىٰ الْجَنَّةِ..

﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ﴾ وَأَصَابَ أَحَدَكُمُ..

﴿ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ وَإِنَّمَا جَعَلَ جَلَّ ثناؤُهُ الْبُسْتَانَ مِنَ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ، الَّذِي قَالَ جَلَّ ثناؤُهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ: أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ مَثَلًا لِنَفَقَةِ الْمُنَافِقِ الَّتِي يُنْفِقُهَا رِيَاءَ

النَّاسِ، لَا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ، فَالنَّاسُ بِمَا يَظْهَرُ لَهُمْ مِنْ صَدَقَتِهِ، وَإِعْطَائِهِ لِمَا يُعْطَىٰ وَعَمَلِهِ الظَّاهِرِ، يُثْنُونَ عَلَيْهِ وَيَحْمَدُونَهُ بِعَمَلِهِ ذَلِكَ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فِي حُسْنِهِ كَحُسْنِ الْبُسْتَانِ، وَهِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي ضَرَبَهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِعَمَلِهِ مَثَلًا مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ، لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ؛ لِأَنَّ عَمَلَهُ ذَلِكَ الَّذِي يَعْمَلُهُ فِي الظَّاهِرِ فِي الدُّنْيَا لَهُ فِيهِ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مِنْ عَاجِلِ الدُّنْيَا، يَدْفَعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَدَمِهِ وَمَالِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَيَكْتَسِبُ بِهِ الْمَحْمَدَةَ وَحُسْنَ الثَّنَاءِ عِنْدَ النَّاسِ، وَيَأْخُذُ بِهِ سَهْمَهُ مِنَ الْمَغْنَمِ مَعَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ يَكْثُرُ إِحْصَاؤُهَا، فَلَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا، كَمَا وَصَفَ جَلَّ ثناؤُهُ الْجَنَّةَ الَّتِي وَصَفَ مَثَلًا بِعَمَلِهِ، بِأَنَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ، ثُمَّ قَالَ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ يَعْنِي أَنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ أَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ صِغَارٌ أَطْفَالٌ..

﴿فَأَصَابَهَآ﴾ فَأَصَابَ الْجَنَّةَ..

﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّ جَنَّتَهُ تِلْكَ أَحْرَقَتْهَا الرِّيحُ الَّتِي فِيهَا النَّارُ فِي حَالِ حَاجَتِهِ إِلَيْهَا، وَضَرُورَتِهِ إِلَىٰ ثَمَرَتِهَا، بِكِبَرِهِ وَضَعْفِهِ عَنْ عِمَارَتِهَا، وَفِي حَالِ صِغَرِ وَلَدِهِ، وَعَجْزِهِ عَنْ إِحْيَائِهَا وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا، فَبَقِيَ لَا شَيْءَ لَهُ، أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَىٰ جَنَّتِهِ وَثِمَارِهَا، بِالْآفَةِ الَّتِي أَصَابَتْهَا مِنَ الْإِعْصَارِ الَّذِي فِيهِ النَّارُ، يَقُولُ: فَكَذَلِكَ الْمُنْفِقُ مَالَهُ رِيَاءَ النَّاسِ، أَطْفَأَ اللهُ نُورَهُ، وَأَذْهَبَ بَهَاءَ عَمَلِهِ، وَأَحْبَطَ أَجْرَهُ حَتَّىٰ لَقِيَهُ، وَعَادَ إِلَيْهِ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَىٰ عَمَلِهِ، حِينَ لَا مُسْتَعْتَبَ لَهُ وَلَا إِقَالَةَ مِنْ ذُنُوبِهِ وَلَا تَوْبَةَ، وَاضْمَحَلَّ عَمَلُهُ، كَمَا احْتَرَقَتِ الْجَنَّةُ الَّتِي وَصَفَ جَلَّ ثناؤُهُ صِفَتَهَا عِنْدَ كِبَرِ صَاحِبِهَا وَطُفُولَةِ ذُرِّيَّتِهِ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهَا، فَبَطُلَتْ مَنَافِعُهَا عَنْهُ.. وَهَذَا الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبَهُ اللهُ لِلْمُنْفِقِينَ أَمْوَالَهُمْ رِيَاءَ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ نَظِيرُ الْمَثَلِ الْآخَرِ الَّذِي ضَرَبَهُ لَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ [البقرة: ٢٦٤]..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا بَيَّنَ لَكُمْ رَبُّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَمْرَ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِهِ، وَكَيْفَ وَجْهُهَا، وَمَا لَكُمْ وَمَا لَيْسَ لَكُمْ فِعْلُهُ فِيهَا، كَذَلِكَ..

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ سِوَىٰ ذَلِكَ، فَيُعَرِّفُكُمْ أَحْكَامَهَا وَحَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَيُوَضِّحُ لَكُمْ حُجَجَهَا، إِنْعَامًا مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝٢٦٦﴾ [البقرة: ٢٦٦] لِتَتَفَكَّرُوا بِعُقُولِكُمْ فَتَتَدَبَّرُوا وَتَعْتَبِرُوا بِحُجَجِ اللهِ فِيهَا، وَتَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنْ أَحْكَامِهَا، فَتُطِيعُوا اللهَ بِهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾

[البقرة: ٢٦٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ صَدَّقُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَآيِ كِتَابِهِ..

﴿أَنفِقُواْ﴾ زَكُّوا وَتَصَدَّقُوا..

﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾ زَكُّوا مِنْ طَيِّبِ مَا كَسَبْتُمْ بِتَصَرُّفِكُمْ، إِمَّا بِتِجَارَةٍ وَإِمَّا بِصِنَاعَةٍ، مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَيَعْنِي بِالطَّيِّبَاتِ الْجِيَادَ، يَقُولُ: زَكُّوا أَمْوَالَكُمُ الَّتِي اكْتَسَبْتُمُوهَا حَلَالًا، وَأَعْطُوا فِي زَكَاتِكُمُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ الْجِيَادَ مِنْهَا دُونَ الرَّدِيءِ..

﴿وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ وَأَنْفِقُوا أَيْضًا مِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، فَتَصَدَّقُوا وَزَكُّوا مِنَ النَّخْلِ وَالْكَرْمِ وَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ، وَمَا أَوْجَبْتُ فِيهِ الصَّدَقَةِ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ..

﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ﴾ وَلَا تَعَمَّدُوا وَلَا تَقْصِدُوا..

﴿ٱلۡخَبِيثَ﴾ الرَّدِيءَ غَيْرَ الْجَيِّدِ..

﴿مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾ لَا تَعَمَّدُوا الرَّدِيءَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ فِي صَدَقَاتِكُمْ، فَتَصَدَّقُوا مِنْهُ، وَلَكِنْ تَصَدَّقُوا مِنَ الطَّيِّبِ الْجَيِّدِ..

﴿وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ وَلَسْتُمْ بِآخِذِي الْخَبِيثَ فِي حُقُوقِكُمْ، وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِـَٔاخِذِيهِ﴾ مِنْ ذِكْرِ الْخَبِيثِ..

﴿إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ﴾ إِلَّا أَنْ تَتَجَافَوْا فِي أَخْذِكُمْ إِيَّاهُ عَنْ بَعْضِ الْوَاجِبِ لَكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ، فَتُرَخِّصُوا فِيهِ لِأَنْفُسِكُمْ، يُقَالُ مِنْهُ: أَغْمَضَ فُلَانٌ لِفُلَانٍ عَنْ بَعْضِ حَقِّهِ.. فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ حَثَّ عِبَادَهُ عَلَى الصَّدَقَةِ وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَفَرَضَهَا عَلَيْهِمْ فِيهَا، فَصَارَ مَا فَرَضَ مِنْ ذَلِكَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقًّا لِأَهْلِ سُهْمَانِ الصَّدَقَةِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ الطَّيِّبِ -وَهُوَ الْجَيِّدُ- مِنْ أَمْوَالِهِمُ الطَّيِّبَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ السُّهْمَانِ شُرَكَاءُ أَرْبَابِ الْأَمْوَالِ فِي أَمْوَالِهِمْ بِمَا وَجَبَ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الصَّدَقَةِ بَعْدَ وُجُوبِهَا، فَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ شَرِيكَيْنِ فِي مَالٍ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِقَدْرِ مِلْكِهِ، وَلَيْسَ لِأَحَدِهِمَا مَنْعُ شَرِيكِهِ مِنْ حَقِّهِ مِنَ الْمَالِ الَّذِي هُوَ فِيهِ شَرِيكُهُ، بِإِعْطَائِهِ بِمِقْدَارِ حَقِّهِ مِنْهُ مِنْ غَيْرِهِ، مِمَّا هُوَ أَرْدَأُ مِنْهُ أَوْ أَخَسُّ، فَكَذَلِكَ الْمُزَكِّي مَالَهُ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَ أَهْلَ السُّهْمَانِ مِمَّا وَجَبَ لَهُمْ فِي مَالِهِ مِنَ الطَّيِّبِ الْجَيِّدِ

مِنَ الْحَقِّ، فَصَارُوا فِيهِ شُرَكَاءَه بِهِ مِنَ الْخَبِيثِ الرَّدِيءِ غَيْرِهِ، وَيَمْنَعُهُمْ مَا هُوَ لَهُمْ مِنْ حُقُوقِهِمْ فِي الطَّيِّبِ مِنْ مَالِهِ الْجَيِّدِ، كَمَا لَوْ كَانَ مَالُ رَبِّ الْمَالِ رَدِيئًا كُلُّهُ غَيْرَ جَيِّدٍ، فَوَجَبَتْ فِيهِ الزَّكَاةُ وَصَارَ أَهْلُ سُهْمَانِ الصَّدَقَةِ شُرَكَاءَه فِيهِ، بِمَا أَوْجَبَ اللهُ لَهُمْ فِيهِ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُمُ الطَّيِّبَ الْجَيِّدَ مِنْ غَيْرِ مَالِهِ الَّذِي مِنْهُ حَقُّهُمْ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِأَرْبَابِ الْأَمْوَالِ: زَكُّوا مِنْ جَيِّدِ أَمْوَالِكُمُ الْجَيِّدَ، وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ الرَّدِيءَ تُعْطُونَهُ أَهْلَ سُهْمَانِ الصَّدَقَةِ، وَتَمْنَعُونَهُمُ الْوَاجِبَ لَهُمْ مِنَ الْجَيِّدِ الطَّيِّبِ فِي أَمْوَالِكُمْ، وَلَسْتُمْ بِآخِذِي الرَّدِيءِ لِأَنْفُسِكُمْ مَكَانَ الْجَيِّدِ الْوَاجِبِ لَكُمْ قِبَلَ مَنْ وَجَبَ لَكُمْ عَلَيْهِ ذَلِكَ، مِنْ شُرَكَائِكُمْ وَغُرَمَائِكُمْ وَغَيْرِهِمْ، إِلَّا عَنْ إِغْمَاضٍ مِنْكُمْ، وَهَضْمٍ لَهُمْ، وَكَرَاهَةٍ مِنْكُمْ لِأَخْذِهِ، يَقُولُ: فَلَا تَأْتُوا مِنَ الْفِعْلِ إِلَىٰ مَنْ وَجَبَ لَهُ فِي أَمْوَالِكُمْ حَقٌّ، مَا لَا تَرْضَوْنَ مِنْ غَيْرِكُمْ أَنْ يَأْتِيَهُ إِلَيْكُمْ فِي حُقُوقِكُمُ الْوَاجِبَةِ لَكُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ.. فَأَمَّا إِذَا تَطَوَّعَ الرَّجُلُ بِصَدَقَةٍ غَيْرِ مَفْرُوضَةٍ فَإِنِّي وَإِنْ كَرِهْتُ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ فِيهَا إِلَّا أَجْوَدَ مَالِهِ وَأَطْيَبَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَحَقُّ مَنْ تُقُرِّبَ إِلَيْهِ بِأَكْرَمِ الْأَمْوَالِ وَأَطْيَبِهَا، وَالصَّدَقَةُ قُرْبَانُ الْمُؤْمِنِ، فَلَسْتُ أُحَرِّمُ عَلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَ فِيهَا غَيْرَ الْجَيِّدِ؛ لِأَنَّ مَا دُونَ الْجَيِّدِ رُبَّمَا كَانَ أَعَمَّ نَفْعًا لِكَثْرَتِهِ، أَوْ لِعِظَمِ خَطَرِهِ، وَأَحْسَنَ مَوْقِعًا مِنَ الْمِسْكِينِ، وَمِمَّنْ أُعْطِيَهُ قُرْبَةً إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْجَيِّدِ، لِقِلَّتِهِ أَوْ لِصِغَرِ خَطَرِهِ، وَقِلَّةِ جَدْوَىٰ نَفْعِهِ عَلَىٰ مَنْ أُعْطِيَهُ، وَبِمِثْلِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ جَمَاعَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ..

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عَنْ صَدَقَاتِكُمْ وَعَنْ غَيْرِهَا، وَإِنَّمَا أَمَرَكُمْ بِهَا، وَفَرَضَهَا فِي أَمْوَالِكُمْ رَحْمَةً مِنْهُ لَكُمْ، لِيُغْنِيَ بِهَا عَائِلَكُمْ، وَيُقَوِّيَ بِهَا ضَعِيفَكُمْ، وَيُجْزِلَ لَكُمْ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ مَثُوبَتَكُمْ، لَا مِنْ حَاجَةٍ بِهِ فِيهَا إِلَيْكُمْ..

﴿حَمِيدٌ ٢٦٧﴾ [البقرة: ٢٦٧] مَحْمُودٌ عِنْدَ خَلْقِهِ بِمَا أَوْلَاهُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَبَسَطَ لَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾ [البقرة: ٢٦٨].

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ بِالصَّدَقَةِ وَأَدَائِكُمُ الزَّكَاةَ الْوَاجِبَةَ عَلَيْكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ..

﴿ٱلۡفَقۡرَ﴾ أَنْ تَفْتَقِرُوا.

﴿وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ وَيَأْمُرُكُمْ بِمَعَاصِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَتَرْكِ طَاعَتِهِ..

﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ أَنْ يَسْتُرَ عَلَيْكُمْ فَحْشَاءَكُمْ بِصَفْحِهِ لَكُمْ عَنْ عُقُوبَتِكُمْ عَلَيْهَا، فَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ بِالصَّدَقَةِ الَّتِي تَتَصَدَّقُونَ..

﴿وَفَضْلًا﴾ وَيَعِدُكُمْ أَنْ يُخْلِفَ عَلَيْكُمْ مِنْ صَدَقَتِكُمْ، فَيَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ عَطَايَاهُ وَيُسْبِغَ عَلَيْكُمْ فِي أَرْزَاقِكُمْ..

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ وَاللهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ الَّذِي يَعِدُكُمْ أَنْ يُعْطِيكُمُوهُ مِنْ فَضْلِهِ وَسَعَةِ خَزَائِنِهِ..

﴿عَلِيمٌ ۝﴾ [البقرة: ٢٦٨] بِنَفَقَاتِكُمْ وَصَدَقَاتِكُمُ الَّتِي تُنْفِقُونَ وَتَصَدَّقُونَ بِهَا، يُحْصِيهَا لَكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ بِهَا عِنْدَ مَقْدِمِكُمْ عَلَيْهِ فِي آخِرَتِكُمْ.

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝﴾ [البقرة: ٢٦٩].

﴿يُؤْتِي﴾ اللهُ..

﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ إِصَابَةَ الصَّوَابِ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ.. وَأَنَّهَا مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْحُكْمِ وَفَصْلِ الْقَضَاءِ..

﴿مَن يَشَآءُ﴾ مِنْ عِبَادِهِ..

﴿وَمَن يُؤْتَ﴾ فِي ذَٰلِكَ مِنْهُمْ..

﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ قَالَ بَعْضُهُم: هِيَ الْقُرْآنُ وَالْفِقْهُ بِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ الْحِكْمَةِ الْإِصَابَةُ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الْعِلْمُ بِالدِّينِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْحِكْمَةُ: الْفَهْمُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ الْخَشْيَةُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ النُّبُوَّةُ.. وَجَمِيعُ الْأَقْوَالِ فِي ذَٰلِكَ دَاخِلًا فِيمَا قُلْنَا مِنْ ذَٰلِكَ؛ لِأَنَّ الْإِصَابَةَ فِي الْأُمُورِ إِنَّمَا تَكُونُ عَنْ فَهْمٍ بِهَا وَعِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ، وَإِذَا كَانَ ذَٰلِكَ كَذَٰلِكَ كَانَ الْمُصِيبُ عَنْ فَهْمٍ مِنْهُ بِمَوَاضِعِ الصَّوَابِ فِي أُمُورِهِ فَهِمًا خَاشِيًا لِلَّهِ فَقِيهًا عَالِمًا، وَكَانَتِ النُّبُوَّةُ مِنْ أَقْسَامِهِ؛ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مُسَدَّدُونَ مُفَهَّمُونَ، وَمُوَفَّقُونَ لِإِصَابَةِ الصَّوَابِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ، وَالنُّبُوَّةُ بَعْضُ مَعَانِي الْحِكْمَةِ..

﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ وَمَا يَتَّعِظُ بِمَا وَعَظَ بِهِ رَبُّهُ فِي هَٰذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي وَعَظَ فِيهَا الْمُنْفِقِينَ أَمْوَالَهُمْ بِمَا وَعَظَ بِهِ غَيْرَهُمْ فِيهَا، وَفِي غَيْرِهَا مِنْ آيِ كِتَابِهِ فَيَذْكُرُ وَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ فِيهَا، فَيَنْزَجِرُ عَمَّا زَجَرَهُ عَنْهُ رَبُّهُ، وَيُطِيعُهُ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ..

﴿إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝﴾ [البقرة: ٢٦٩] إِلَّا أُولُو الْعُقُولِ الَّذِينَ عَقَلُوا عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، فَأَخْبَرَ جَلَّ

ثناؤُهُ أَنَّ الْمَوَاعِظَ غَيْرُ نَافِعَةٍ إِلَّا أُولِي الْحِجَا وَالْحُلُومِ، وَأَنَّ الذِّكْرَىٰ غَيْرُ نَاهِيَةٍ إِلَّا أَهْلَ النُّهَىٰ وَالْعُقُولِ.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٢٧٠﴾ [البقرة: ٢٧٠].

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ وَأَيَّ نَفَقَةٍ أَنْفَقْتُمْ، يَعْنِي أَيَّ صَدَقَةٍ تَصَدَّقْتُمْ..

﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ أَوْ أَيَّ نَذْرٍ نَذَرْتُمْ؛ يَعْنِي بِالنَّذْرِ: مَا أَوْجَبَهُ الْمَرْءُ عَلَىٰ نَفْسِهِ تَبَرُّرًا فِي طَاعَةِ اللهِ، وَتَقَرُّبًا بِهِ إِلَيْهِ، مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ عَمَلِ خَيْرٍ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ﴾ أَيْ أَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ بِعِلْمِ اللهِ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ، وَلَكِنَّهُ يُحْصِيهُ أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ جَمِيعَكُمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ، فَمَنْ كَانَتْ نَفَقَتُهُ مِنْكُمْ وَصَدَقَتُهُ وَنَذْرُهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ نَفْسِهِ، جَازَاهُ بِالَّذِي وَعَدَهُ مِنَ التَّضْعِيفِ؛ وَمَنْ كَانَتْ نَفَقَتُهُ وَصَدَقَتُهُ رِيَاءَ النَّاسِ، وَنَذْرُهُ لِلشَّيْطَانِ، جَازَاهُ بِالَّذِي أَوْعَدَهُ مِنَ الْعِقَابِ وَأَلِيمِ الْعَذَابِ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: فَكَيْفَ قَالَ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: يَعْلَمُهُمَا، وَقَدْ ذَكَرَ النَّذْرَ وَالنَّفَقَةَ؟ قِيلَ: إِنَّمَا قَالَ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ﴾ لِأَنَّهُ أَرَادَ: فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا أَنْفَقْتُمْ أَوْ نَذَرْتُمْ، فَلِذَلِكَ وَحَّدَ الْكِنَايَةَ.. ثُمَّ أَوْعَدَ جَلَّ ثناؤُهُ مَنْ كَانَتْ نَفَقَتُهُ رِيَاءً وَنُذُورُهُ طَاعَةً لِلشَّيْطَانِ، فَقَالَ..

﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ وَمَا لِمَنْ أَنْفَقَ مَالَهُ رِيَاءَ النَّاسِ وَفِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَكَانَتْ نُذُورُهُ لِلشَّيْطَانِ وَفِي طَاعَتِهِ..

﴿مِنْ أَنصَارٍ ۝٢٧٠﴾ [البقرة: ٢٧٠] يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَدْفَعُ عَنْهُمْ عِقَابَهُ يَوْمَئِذٍ بِقُوَّةٍ وَشِدَّةِ بَطْشٍ وَلَا بِفِدْيَةٍ.. وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَىٰ أَنَّ الظَّالِمَ هُوَ الْوَاضِعُ لِلشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ.. وَإِنَّمَا سَمَّىٰ اللهُ الْمُنْفِقَ رِيَاءَ النَّاسِ، وَالنَّاذِرَ فِي غَيْرِ طَاعَتِهِ ظَالِمًا، لِوَضْعِهِ إِنْفَاقَ مَالِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَنَذْرِهِ فِي غَيْرِ مَالِهِ وَضَعَهُ فِيهِ، فَكَانَ ذَلِكَ ظُلْمَهُ.

﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٢٧١﴾ [البقرة: ٢٧١].

﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ إِنْ تُعْلِنُوا الصَّدَقَاتِ فَتُعْطُوهَا مَنْ تَصَدَّقْتُمْ بِهَا عَلَيْهِ..

﴿فَنِعِمَّا هِىَ ۖ﴾ فَنِعْمَ الشَّيْءُ هِيَ..

﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾ وَإِنْ تَسْتُرُوهَا فَلَمْ تُعْلِنُوهَا..

﴿وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾ وَتُعْطُوهَا الْفُقَرَاءَ فِي السِّرِّ..

﴿فَهُوَ﴾ فَإِخْفَاؤُكُمْ إِيَّاهَا..

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِنْ إِعْلَانِهَا، وَذَلِكَ فِي صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ.. فَإِنَّ الْوَاجِبَ مِنَ الْفَرَائِضِ قَدْ أَجْمَعَ الْجَمِيعُ عَلَىٰ أَنَّ الْفَضْلَ فِي إِعْلَانِهِ وَإِظْهَارِهِ..

﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ وَيُكَفِّرُ اللهُ عَنْكُمْ بِصَدَقَاتِكُمْ عَلَىٰ مَا ذُكِرَ فِي الْآيَةِ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ.. وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْدُ عَامَّةُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ: (**وَنُكَفِّرْ عَنْكُمْ**) بِالنُّونِ وَجَزْمِ الْحَرْفِ، يَعْنِي: وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ، بِمَعْنَىٰ مُجَازَاةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مُخْفِي الصَّدَقَةِ بِتَكْفِيرِ بَعْضِ سَيِّئَاتِهِ بِصَدَقَتِهِ الَّتِي أَخْفَاهَا.. وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَؤُهُ: (**وَتُكَفِّرُ عَنْكُمْ**) بِالتَّاءِ، وَمَنْ قَرَأَهُ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ: وَتُكَفِّرُ الصَّدَقَاتُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ.. وَأَوْلَىٰ الْقِرَاءَاتِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: (**وَنُكَفِّرْ عَنْكُمْ**) بِالنُّونِ وَجَزْمِ الْحَرْفِ، عَلَىٰ مَعْنَىٰ الْخَبَرِ مِنَ اللهِ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ يُجَازِي الْمُخْفِي صَدَقَتَهُ مِنَ التَّطَوُّعِ ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ مِنْ صَدَقَتِهِ بِتَكْفِيرِ سَيِّئَاتِهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ دُخُولِ (مِنْ) فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾؟ قِيلَ: وَجْهُ دُخُولِهَا فِي ذَلِكَ بِمَعْنَىٰ: وَنُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ مَا نَشَاءُ تَكْفِيرَهُ مِنْهَا دُونَ جَمِيعِهَا؛ لِيَكُونَ الْعِبَادُ عَلَىٰ وَجَلٍ مِنَ اللهِ فَلَا يَتَّكِلُوا عَلَىٰ وَعْدِهِ مَا وَعَدَ عَلَىٰ الصَّدَقَاتِ الَّتِي يُخْفِيهَا الْمُتَصَدِّقُ فَيَجْتَرِئُوا عَلَىٰ حُدُودِهِ وَمَعَاصِيهِ..

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فِي صَدَقَاتِكُمْ مِنْ إِخْفَائِهَا وَإِعْلَانٍ وَإِسْرَارٍ بِهَا وَإِجْهَارٍ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ..

﴿خَبِيرٌ ٢٧١﴾ [البقرة: ٢٣٤] ذُو خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَهُوَ بِجَمِيعِهِ مُحِيطٌ، وَلِكُلِّهِ مُحْصٍ عَلَىٰ أَهْلِهِ حَتَّىٰ يُوَفِّيَهُمْ ثَوَابَ جَمِيعِهِ وَجَزَاءَ قَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ.

﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ٢٧٢﴾ [البقرة: ٢٧٢].

﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هُدَىٰهُمْ﴾ هُدَىٰ الْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَتَمْنَعُهُمْ صَدَقَةَ التَّطَوُّعِ، وَلَا تُعْطِيهِمْ مِنْهَا

لِيَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ حَاجَةَ مِنْهُمْ إِلَيْهَا..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ مِنْ خَلْقِهِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فَيُوَفِّقُهُمْ لَهُ، فَلَا تَمْنَعْهُمُ الصَّدَقَةَ..

﴿وَمَا تُنفِقُواْ﴾ وَمَا تَتَصَدَّقُوْنَ بِهِ..

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ مِنْ مَالٍ..

﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ تُنْفِقُوْنَ، لِيَكُوْنَ لَكُمْ ذُخْرًا عِنْدَ الحَاجَةِ إِلَيْهِ فِي مَعَادِكُمْ..

﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ وَمَا تَصَدَّقُوْا بِهِ مِنْ مَالٍ فَإِنَّكُم تُوَفَّوْنَهُ، فَيَرْجِعَ إِلَيْكُمْ جَزَاؤُه تَامًّا وَافِيًا، فَلا تَمُنُّوا عَلَىٰ أَحَدٍ بِما تَصَدَّقْتُم بِهِ عَلَيْهِ، وَلَا تَمْتَنِعُوا مِنْ إِعْطَائِهَا مَنْ امْتَنَعْتُم مِنْ إِعْطَائِهِ إِيَّاهَا مِنْ مُشْرِكِي أَهْلِ الكِتَابِ وَغَيْرِهِم مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ..

﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة: ٢٧٢] فَإِنَّكُم لَا تُظْلَمُوْنَ أَجْرَهَا فَتَحْبِسُوْه، وَلَا تَنْقُصُوْنَهُ، بَلْ عَلَىٰ اللهِ أَنْ يَوَفِّيْكم أُجوْرَكُم وجَزَاءَكُم عَلَيْهَا.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝﴾ [البقرة: ٢٧٣].

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ وَمَا تَتَصَدَّقُوا بِهِ مِنْ مَالٍ، فَلِلْفُقَرَاءِ..

﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الَّذِينَ جَعَلَهُمْ جِهادُهُمْ عَدُوَّهُمْ يُحْصِرُونَ أَنْفُسَهُمْ، فَيَحْبِسُونَهَا عَنِ التَّصَرُّفِ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَصَرُّفًا، وَقَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ الْإِحْصَارِ تَصْيِيرُ الرَّجُلِ الْمُحْصَرِ بِمَرَضِهِ أَوْ فَاقَتِهِ أَوْ جِهَادِهِ عَدُوَّهُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ عِلَلِهِ إِلَىٰ حَالَةٍ يَحْبِسُ نَفْسَهُ فِيهَا عَنِ التَّصَرُّفِ فِي أَسْبَابِهِ..

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ تَقَلُّبًا فِي الْأَرْضِ، وَسَفَرًا فِي الْبِلَادِ، ابْتِغَاءَ الْمَعَاشِ وَطَلَبَ الْمَكَاسِبِ، فَيَسْتَغْنُوا عَنِ الصَّدَقَاتِ، رَهْبَةَ الْعَدُوِّ، وَخَوْفًا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مِنْهُمْ..

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ بِأَمْرِهِمْ وَحَالِهِمْ أَغْنِيَاءَ مِنْ تَعَفُّفِهِمْ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، وَتَرْكِهِمُ التَّعَرُّضَ لِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، صَبْرًا مِنْهُمْ عَلَىٰ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ..

﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ تعرفهم يَا مُحَمَّدُ بِعَلَامَتِهِمْ وَآثَارِهِمْ، مِنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].. فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّهُ يَعْرِفُهُمْ بِعَلَامَاتِهِمْ وَآثَارِ الْحَاجَةِ فِيهِمْ،

وَإِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُدْرِكُ تِلْكَ الْعَلَامَاتِ وَالْآثَارِ مِنْهُمْ عِنْدَ الْمُشَاهَدَةِ بِالْعِيَانِ، فَيَعْرِفُهُمْ وَأَصْحَابُهُ بِهَا، كَمَا يُدْرَكُ الْمَرِيضُ فَيُعْلَمُ أَنَّهُ مَرِيضٌ بِالْمُعَايَنَةِ.. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ السِّيمَا كَانَتْ تَخَشُّعًا مِنْهُمْ، وَأَنْ تَكُونَ كَانَتْ أَثَرَ الْحَاجَةِ وَالضُّرِّ، وَأَنْ تَكُونَ كَانَتْ رَثَاثَةَ الثِّيَابِ، وَأَنْ تَكُونَ كَانَتْ جَمِيعَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا تُدْرَكُ عَلَامَاتُ الْحَاجَةِ وَآثَارُ الضُّرِّ فِي الْإِنْسَانِ، وَيُعْلَمُ أَنَّهَا مِنَ الْحَاجَةِ وَالضُّرِّ بِالْمُعَايَنَةِ دُونَ الْوَصْفِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَرِيضَ قَدْ يَصِيرُ بِهِ فِي بَعْضِ أَحْوَالِ مَرَضِهِ مِنَ الْمَرَضِ نَظَرُ آثَارِ الْمَجْهُودِ مِنَ الْفَاقَةِ وَالْحَاجَةِ، وَقَدْ يَلْبَسُ الْغَنِيُّ ذُو الْمَالِ الْكَثِيرِ الثِّيَابَ الرَّثَّةَ، فَيَتَزَيَّا بِزِيِّ أَهْلِ الْحَاجَةِ، فَلَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ دَلَالَةٌ بِالصِّفَةِ عَلَىٰ أَنَّ الْمَوْصُوفَ بِهِ مُخْتَلٌّ ذُو فَاقَةٍ، وَإِنَّمَا يَدْرِي ذَلِكَ عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ بِسِيمَاهُ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ، نَظِيرَ مَا يُعْرَفُ أَنَّهُ مَرِيضٌ عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ دُونَ وَصْفِهِ بِصِفَتِهِ..

﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ يُقَالُ: قَدْ أَلْحَفَ السَّائِلُ فِي مَسْأَلَتِهِ إِذَا أَلَحَّ فَهُوَ يُلْحِفُ فِيهَا إِلْحَافًا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَفَكَانَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ يَسْأَلُونَ النَّاسَ غَيْرَ إِلْحَافٍ؟ قِيلَ: غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ كَانُوا يَسْأَلُونَ النَّاسَ شَيْئًا عَلَىٰ وَجْهِ الصَّدَقَةِ إِلْحَافًا أَوْ غَيْرَ إِلْحَافٍ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ تَعَفُّفٍ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا كَانُوا يُعْرَفُونَ بِسِيمَاهُمْ، فَلَوْ كَانَتِ الْمَسْأَلَةُ مِنْ شَأْنِهِمْ لَمْ تَكُنْ صِفَتُهُمُ التَّعَفُّفَ، وَلَمْ يَكُنْ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ عِلْمِ مَعْرِفَتِهِمْ بِالْأَدِلَّةِ وَالْعَلَامَةِ حَاجَةٌ، وَكَانَتِ الْمَسْأَلَةُ الظَّاهِرَةُ تُنْبِئُ عَنْ حَالِهِمْ وَأَمْرِهِمْ.. وَفِي الْخَبَرِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -قَالَ: أَعْوَزْنَا مَرَّةً فَقِيلَ لِي: لَوْ أَتَيْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَسَأَلْتَهُ، فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ مُعْنِقًا، فَكَانَ أَوَّلُ مَا وَاجَهَنِي بِهِ: «مَنِ اسْتَعَفَّ أَعَفَّهُ اللهُ، وَمَنِ اسْتَغْنَىٰ أَغْنَاهُ اللهُ، وَمَنْ سَأَلَنَا لَمْ نَدَّخِرْ عَنْهُ شَيْئًا نَجِدُهُ»، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَىٰ نَفْسِي، فَقُلْتُ: أَلَا اسْتَعِفُّ فَيُعِفَّنِي اللهُ! فَرَجَعْتُ، فَمَا سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَيْئًا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ حَاجَةٍ- الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ أَنَّ التَّعَفُّفَ مَعْنًىٰ يَنْفِي مَعْنَىٰ الْمَسْأَلَةِ مِنَ الشَّخْصِ الْوَاحِدِ، وَأَنَّ مَنْ كَانَ مَوْصُوفًا بِالتَّعَفُّفِ فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ بِالْمَسْأَلَةِ إِلْحَافًا أَوْ غَيْرَ إِلْحَافٍ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتَ، فَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ وَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا أَوْ غَيْرَ إِلْحَافٍ؟ قِيلَ لَهُ: وَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- لَمَّا وَصَفَهُمْ بِالتَّعَفُّفِ وَعَرَّفَ عِبَادَهُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا أَهْلَ مَسْأَلَةٍ بِحَالٍ بِقَوْلِهِ: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يُعْرَفُونَ بِالسِّيمَا، زَادَ عِبَادَهُ إِبَانَةً لِأَمْرِهِمْ، وَحُسْنِ ثَنَاءٍ عَلَيْهِمْ بِنَفْيِ الشَّرَهِ وَالضَّرَاعَةِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْمُلِحِّينَ مِنَ السُّؤَالِ عَنْهُمْ، وَكَانَ بَعْضُ الْقَائِلِينَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ نَظِيرَ قَوْلِ الْقَائِلِ: قَلَّمَا رَأَيْتُ مِثْلَ فُلَانٍ، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَرَ مِثْلَهُ أَحَدًا وَلَا نَظِيرًا..

﴿وَمَا تُنفِقُوا﴾ أيها الناس..

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ من مال، فتصدَّقوا على أهلِ ذمَّتِكم تطوُّعًا منكم، أو تُعطُوه مَن أَمَر ربُّكم بإعطائِه مِن الفقراءِ الَّذين أُحصِروا في سبيلِ اللهِ مِمَّا فَرَضَهُ اللهُ لهُم في أَمْوالِكُم..

﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ﴾ بكل ذلك..

﴿عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [البقرة: ٢٧٣] يُحصيهِ لكم، ويَدَّخِرُ ثَوَابَه عندَه لكم، حتىٰ يُوفِّيكم علىٰ جميع ذلك أجورَكم، ويُعظِمْ لكم عليهِ في المَعَادِ جزاءَكم.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة: ٢٧٤].

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ من ينفقُ مالَه بالليلِ والنهارِ..

﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ في السِّر والعلانيةِ، فيتصدَّقُ به ابتغاءَ اللهِ وطلبَ ثوابِهِ..

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فلهُ أجرُ صدقتِهِ مَذْخورًا، لَه عِنْدَ رَبِّه حتىٰ يوفِّيهِ إيَّاه فِي مَعَادِهِ يَوْمَ بَعْثِهِ..

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ ولا خوف عليه يومَ القيامةِ مِن عقابِه وَعذَابِهِ، وَلَا فِي أَهْوَالِ قِيَامَتِهِ..

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة: ٢٧٤] ولا يحزنون عندَ مَقْدَمِهِ عَلَيْهِ بِمُعَايَنَتِهِ مِنْ عَظِيمِ كَرَامَةِ اللهِ الَّتي أعدَّها له علىٰ مَا خلَّف ورَاءَه في الدُّنْيَا.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥].

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ الَّذِينَ يُرْبُونَ.. وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْمُرْبِي مُرْبٍ لِتَضْعِيفِهِ الْمَالَ الَّذِي كَانَ لَهُ عَلَىٰ غَرِيمِهِ حَالًا، أَوْ لِزِيَادَتِهِ عَلَيْهِ فِيهِ لِسَبَبِ الْأَجَلِ الَّذِي يُؤَخِّرُهُ إِلَيْهِ، فَيَزِيدُهُ إِلَىٰ أَجَلِهِ الَّذِي كَانَ لَهُ قَبْلَ حَلِّ دِينِهِ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠].. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: أَفَرَأَيْتَ مَنْ عَمِلَ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ مِنَ الرِّبَا فِي

تِجَارَتِهِ وَلَمْ يَأْكُلْهُ أَيَسْتَحِقُّ هَذَا الْوَعِيدَ مِنَ اللهِ؟ قِيلَ: نَعَمْ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنَ الرِّبَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ النَّهيَ عَن أَكلِهِ خاصةً، دونَ النهيِ عن العملِ بِهِ، وَإِنَّمَا خصَّ اللهُ وصفَ العاملينَ بِهِ فِي هِذِهِ الآيَةِ بِالْأَكْلِ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ نَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَاتُ يَوْمَ نَزَلَتْ كَانَتْ طُعْمَتُهُمْ وَمَأْكَلُهُمْ مِنَ الرِّبَا، فَذَكَرَهُمْ بِصِفَتِهِمْ مُعَظِّمًا بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَمْرَ الرِّبَا، وَمُقَبِّحًا إِلَيْهِمُ الْحَالَ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا فِي مَطَاعِمِهِمْ، وَفِي قَوْلِهِ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٨- ٢٧٩] الْآيَةَ مَا يُنْبِئُ عَنْ صِحَّةِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ وَأَنَّ التَّحْرِيمَ مِنَ اللهِ فِي ذَلِكَ كَانَ لِكُلِّ مَعَانِي الرِّبَا، وَأَنَّ سَوَاءً الْعَمَلُ بِهِ وَأَكْلُهُ وَأَخْذُهُ وَإِعْطَاؤُهُ، كَالَّذِي تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿لَا يَقُومُونَ﴾ لِلَّذِينَ يُرْبُونَ الرِّبَا الَّذِي وَصَفْنَا صِفَتَهُ فِي الدُّنْيَا، لَا يَقُومُونَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ قُبُورِهِمْ..

﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾ يَتَخَبَّلُهُ الشَّيْطَانُ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ فَيَصْرَعُهُ..

﴿مِنَ الْمَسِّ﴾ مِنَ الْجُنُونِ..

﴿ذَلِكَ﴾ الَّذِي وَصَفَهُمْ بِهِ مِنْ قِيَامِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُبُورِهِمْ كَقِيَامِ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ مِنَ الْجُنُونِ، فَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا أَنَّهُ يُصِيبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُبْحِ حَالِهِمْ وَوَحْشَةِ قِيَامِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ وَسُوءِ مَا حَلَّ بِهِمْ..

﴿بِأَنَّهُمْ﴾ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ..

﴿قَالُوا﴾ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَكْذِبُونَ وَيَفْتَرُونَ وَيَقُولُونَ..

﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ﴾ الَّذِي أَحَلَّهُ اللهُ لِعِبَادِهِ..

﴿مِثْلُ الرِّبَا﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنَ الرِّبَا مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، كَانَ إِذَا حَلَّ مَالُ أَحَدِهِم عَلَىٰ غَرِيمِهِ يَقُولُ الْغَرِيمُ لِغَرِيمِ الْحَقِّ: زِدْنِي فِي الْأَجَلِ وَأَزِيدُكَ فِي مَالِكَ، فَكَانَ يُقَالُ لَهُمَا إِذَا فَعَلَا ذَلِكَ: هَذَا رِبًا لَا يَحِلُّ، فَإِذَا قِيلَ لَهُمَا ذَلِكَ، قَالَا: سَوَاءٌ عَلَيْنَا زِدْنَا فِي أَوَّلِ الْبَيْعِ أَوْ عِنْدَ مَحَلِّ الْمَالِ فَكَذَّبَهُمُ اللهُ فِي قِيلِهِمْ..

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ وَأَحَلَّ اللهُ الْأَرْبَاحَ فِي التِّجَارَةِ وَالشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ..

﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ يَعْنِي الزِّيَادَةَ الَّتِي يُزَادُ رَبُّ الْمَالِ بِسَبَبِ زِيَادَتِهِ غَرِيمَهُ فِي الْأَجَلِ، وَتَأْخِيرِهِ

دَيْنَهُ عَلَيْهِ، يَقُولُ عَزَّوَجَلَّ: وَلَيْسَتِ الزِّيَادَتَانِ اللَّتَانِ إِحْدَاهُمَا مِنْ وَجْهِ الْبَيْعِ، وَالْأُخْرَىٰ مِنْ وَجْهِ تَأْخِيرِ الْمَالِ وَالزِّيَادَةُ فِي الْأَجَلِ سَوَاءً، وَذَلِكَ أَنِّي حَرَّمْتُ إِحْدَىٰ الزِّيَادَتَيْنِ، وَهِيَ الَّتِي مِنْ وَجْهِ تَأْخِيرُ الْمَالِ وَالزِّيَادَةُ فِي الْأَجَلِ، وَأَحْلَلْتُ الْأُخْرَىٰ مِنْهُمَا، وَهِيَ الَّتِي مِنْ وَجْهِ الزِّيَادَةُ عَلَىٰ رَأْسِ الْمَالِ الَّذِي ابْتَاعَ بِهِ الْبَائِعُ سِلْعَتَهُ الَّتِي يَبِيعُهَا فَيَسْتَفْضِلُ فَضْلَهَا، فَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَيْسَتِ الزِّيَادَةُ مِنْ وَجْهِ الْبَيْعِ نَظِيرَ الزِّيَادَةِ مِنْ وَجْهِ الرِّبَا؛ لِأَنِّي أَحْلَلْتُ الْبَيْعَ، وَحَرَّمْتُ الرِّبَا، وَالْأَمْرُ أَمْرِي وَالْخَلْقُ خَلْقِي، أَقْضِي فِيهِمْ مَا أَشَاءُ، وَأَسْتَعْبِدُهُمْ بِمَا أُرِيدُ، لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَعْتَرِضَ فِي حُكْمِي، وَلَا أَنْ يُخَالِفَ فِي أَمْرِي، وَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ طَاعَتِي وَالتَّسْلِيمُ لِحُكْمِي..

﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ﴾ مِنْ التَّذْكِيرِ وَالتَخْوِيف..

﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ الَّذِي ذَكَّرَهُمْ وَخَوَّفَهُمْ بِهِ فِي آيِ الْقُرْآنِ، وَأَوْعَدَهُمْ عَلَىٰ أَكْلِهِمُ الرِّبَا مِنَ الْعِقَابِ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَمَنْ جَاءَهُ ذَلِكَ..

﴿فَٱنتَهَىٰ﴾ عَنْ أَكْلِ الرِّبَا، وَارْتَدَعَ عَنِ الْعَمَلِ بِهِ، وَانْزَجَرَ عَنْهُ..

﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ يَعْنِي مَا أَكَلَ وَأَخَذَ فَمَضَىٰ قَبْلَ مَجِيءِ الْمَوْعِظَةِ وَالتَّحْرِيمِ مِنْ رَبِّهِ فِي ذَلِكَ..

﴿وَأَمۡرُهُۥٓ﴾ وَأَمْرُ آكِلِهِ بَعْدَ مَجِيئِهِ الْمَوْعِظَةُ مِنْ رَبِّهِ وَالتَّحْرِيمُ، وَبَعْدَ انْتِهَاءِ آكِلِهِ عَنْ أَكْلِهِ..

﴿إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ فِي عِصْمَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ إِنْ شَاءَ عَصَمَهُ عَنْ أَكْلِهِ وَثَبَّتَهُ فِي انْتِهَائِهِ عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ خَذَلَهُ عَنْ ذَلِكَ..

﴿وَمَنۡ عَادَ﴾ لِأَكْلِ الرِّبَا بَعْدَ التَّحْرِيمِ، وَقَالَ مَا كَانَ يَقُولُهُ قَبْلَ مَجِيءِ الْمَوْعِظَةِ مِنَ اللهِ بِالتَّحْرِيمِ مِنْ قَوْلِهِ ﴿إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ فَفَاعِلُو ذَلِكَ وَقَائِلُوهُ..

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٧٥﴾ [البقرة: ٢٧٥] هُمْ أَهْلُ نَارَ جَهَنَّمَ، فِيهَا خَالِدُونَ.

﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ۝٢٧٦﴾ [البقرة: ٢٧٦].

﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ يُنْقِصُ اللهُ الرِّبَا فَيُذْهِبُهُ.. وَهَذَا نَظِيرُ الْخَبَرِ الَّذِي رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ فَإِلَىٰ قُلٍّ»..

﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ وَيُضَاعِفُ أَجْرَهَا لِرَبِّهَا، وَيُنَمِّيهَا لَهُ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَكَيْفَ إِرْبَاءُ اللهِ الصَّدَقَاتِ؟ قِيلَ: إِضْعَافُهُ الْأَجْرَ لِرَبِّهَا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾ [البقرة: ٢٦١]، كَمَا قَالَ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وَكَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ، حَتَّىٰ إِنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ١٠٤] وَ ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾»..

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُصِرٍّ عَلَىٰ كُفْرٍ بِرَبِّهِ، مُقِيمٍ عَلَيْهِ، مُسْتَحِلٍّ أَكْلَ الرِّبَا وَإِطْعَامَهُ..

﴿أَثِيمٍ ٢٧٦﴾ [البقرة: ٢٧٦] مُتَمَادٍ فِي الْإِثْمِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ مِنْ أَكْلِ الرِّبَا وَالْحَرَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَاصِيهِ، لَا يَنْزَجِرُ عَنْ ذَلِكَ، وَلَا يَرْعَوِي عَنْهُ، وَلَا يَتَّعِظُ بِمَوْعِظَةِ رَبِّهِ الَّتِي وَعَظَهُ بِهَا فِي تَنْزِيلِهِ وَآيِ كِتَابِهِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧﴾ [البقرة: ٢٧٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَصَدَّقُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ مِنْ تَحْرِيمِ الرِّبَا وَأَكْلِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ شَرَائِعِ دِينِهِ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهَا، وَالَّتِي نَدَبَهُمْ إِلَيْهَا..

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الْمَفْرُوضَةَ بِحُدُودِهَا، وَأَدَّوْهَا بِسُنَنِهَا..

﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ، بَعْدَ الَّذِي سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ أَكْلِ الرِّبَا، قَبْلَ مَجِيءِ الْمَوْعِظَةِ فِيهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ يَعْنِي ثَوَابَ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ وَصَدَقَتِهِمْ..

﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ يَوْمَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ فِي مَعَادِهِمْ..

﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ يَوْمَئِذٍ مِنْ عِقَابِهِ عَلَىٰ مَا كَانَ سَلَفَ مِنْهُمْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ وَكُفْرِهِمْ قَبْلَ مَجِيئِهِمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ مِنْ أَكْلِ مَا كَانُوا أَكَلُوا مِنَ الرِّبَا بِمَا كَانَ مِنْ إِنَابَتِهِمْ، وَتَوْبَتِهِمْ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ مَجِيئِهِمُ الْمَوْعِظَةُ مِنْ رَبِّهِمْ، وَتَصْدِيقِهِمْ بِوَعْدِ اللهِ وَوَعِيدِهِ..

﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧﴾ [البقرة: ٢٧٧] عَلَىٰ تَرْكِهِمْ مَا كَانُوا تَرَكُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَكْلِ الرِّبَا وَالْعَمَلِ بِهِ إِذَا عَايَنُوا جَزِيلَ ثَوَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَهُمْ عَلَىٰ تَرْكِهِمْ مَا تَرَكُوا مِنْ ذَلِكَ فِي

الدُّنْيَا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَوَصَلُوا إِلَىٰ مَا وُعِدُوا عَلَىٰ تَرْكِهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨﴾ [البقرة: ٢٧٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ..

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ خافُوا اللهَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فَاتَّقُوهُ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿وَذَرُواْ﴾ وَدَعُوا واتْرُكُوا طَلَبَ..

﴿مَا بَقِيَ﴾ لَكُمْ..

﴿مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ مِنْ فَضْلٍ عَلَىٰ رُءُوسِ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي كَانَتْ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُرْبُوا عَلَيْهَا..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨﴾ [البقرة: ٢٧٨] إِنْ كُنْتُمْ مُحَقِّقِينَ إِيمَانَكُمْ قَوْلًا، وَتَصْدِيقَكُمْ بِأَلْسِنَتِكُمْ بِأَفْعَالِكُمْ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ أَسْلَمُوا، وَلَهُمْ عَلَىٰ قَوْمٍ أَمْوَالٌ مِنْ رِبًا كَانُوا أَرْبَوْهُ عَلَيْهِمْ، فَكَانُوا قَدْ قَبَضُوا بَعْضَهُ مِنْهُمْ، وَبَقِيَ بَعْضٌ، فَعَفَا اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ لَهُمْ عَمَّا كَانُوا قَدْ قَبَضُوهُ قَبْلَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ اقْتِضَاءَ مَا بَقِيَ مِنْهُ.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۝٢٧٩﴾ [البقرة: ٢٧٩].

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ فَإِنْ لَمْ تَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا.

﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فَاعْلَمُوا ذَلِكَ وَاسْتَيْقِنُوهُ، وَكُونُوا عَلَىٰ إِذْنٍ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لَكُمْ بِذَلِكَ.. فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَنْبِذَ إِلَىٰ مَنْ أَقَامَ عَلَىٰ شِرْكِهِ الَّذِي لَا يُقَرُّ عَلَى الْمُقَامِ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَقْتُلَ الْمُرْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ مِنْهُمْ بِكُلِّ حَالٍ إِلَّا أَنْ يُرَاجِعَ الْإِسْلَامَ، آذَنَهُ الْمُشْرِكُونَ بِأَنَّهُمْ عَلَىٰ حَرْبِهِ أَوْ لَمْ يُؤْذِنُوهُ، فَإِذَا كَانَ الْمَأْمُورُ بِذَلِكَ لَا يَخْلُو مِنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ كَانَ مُشْرِكًا مُقِيمًا عَلَىٰ شِرْكِهِ الَّذِي لَا يُقَرُّ عَلَيْهِ، أَوْ يَكُونَ كَانَ مُسْلِمًا فَارْتَدَّ عَنْ إِسْلامِهِ فَأَذِنَ بِحَرْبٍ، فَأَيُّ الْأَمْرَيْنِ كَانَ، فَإِنَّمَا نُبِذَ إِلَيْهِ بِحَرْبٍ، لَا أَنَّهُ أُمِرَ بِالْإِيذَانِ بِهَا إِنْ عَزَمَ عَلَىٰ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ إِنْ كَانَ إِلَيْهِ فَأَقَامَ عَلَىٰ أَكْلِ الرِّبَا مُسْتَحِلًّا لَهُ، وَلَمْ يُؤْذِنِ الْمُسْلِمِينَ بِالْحَرْبِ، لَمْ يَلْزَمْهُمْ حَرْبُهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ حُكْمَهُ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الْحَالَتَيْنِ، فَقَدْ عُلِمَ أَنَّهُ الْمَأْذُونُ بِالْحَرْبِ لَا الْآذِنُ بِهَا.

﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾ فَتَرَكْتُمْ أَكْلَ الرِّبَا، وَأَنَبْتُمْ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ..

﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ مِنَ الدُّيُونِ الَّتِي لَكُمْ عَلَىٰ النَّاسِ دُونَ الزِّيَادَةِ الَّتِي أَحْدَثْتُمُوهَا

عَلَىٰ ذَلِكَ رِبًا مِنْكُمْ..

﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ بِأَخْذِكُمْ رُءُوسِ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي كَانَتْ لَكُمْ قَبْلَ الْإِرْبَاءِ عَلَىٰ غُرَمَائِكُمْ مِنْهُمْ دُونَ أَرْبَاحِهَا الَّتِي زِدْتُمُوهَا رِبًا عَلَىٰ مَنْ أَخَذْتُمْ ذَلِكَ مِنْهُ مِنْ غُرَمَائِكُمْ، فَتَأْخُذُوا مِنْهُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ أَخْذُهُ، أَوْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ قَبْلُ..

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة: ٢٧٩] وَلَا الْغَرِيمُ الَّذِي يُعْطِيكُمْ ذَلِكَ دُونَ الرِّبَا الَّذِي كُنْتُمْ أَلْزَمْتُمُوهُ مِنْ أَجْلِ الزِّيَادَةِ فِي الْأَجَلِ يَبْخَسُكُمْ حَقًّا لَكُمْ عَلَيْهِ فَيَمْنَعُكُمُوهُ؛ لِأَنَّ مَا زَادَ عَلَىٰ رُءُوسِ أَمْوَالِكُمْ، لَمْ يَكُنْ حَقًّا لَكُمْ عَلَيْهِ، فَيَكُونُ بِمَنْعِهِ إِيَّاكُمْ ذَلِكَ ظَالِمًا لَكُمْ.

> ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة: ٢٨٠].

﴿وَإِن كَانَ﴾ مِمَّنْ تَقْبِضُونَ مِنْهُ مِنْ غُرَمَائِكُمْ رُءُوسَ أَمْوَالِكُمْ..

﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ مُعْسِرًا بِرُءُوسِ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْهِمْ قَبْلَ الْإِرْبَاءِ..

﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ فَعَلَيْكُمْ أَنْ تُنْظِرُوهُ حَتَّىٰ يُوسِرَ بِمَا لَكُمْ، فَيَصِيرُ مِنْ أَهْلِ الْيُسْرِ بِهِ.. غَيْرَ أَنَّ الْآيَةَ وَإِنْ كَانَتْ نَزَلَتْ فِيمَنْ ذَكَرْنَا وَإِيَّاهُمْ عَنَىٰ بِهَا، فَإِنَّ الْحُكْمَ الَّذِي حَكَمَ اللهُ بِهِ مِنْ إِنْظَارِهِ الْمُعْسِرَ بِرَأْسِ مَالِ الْمُرْبِي بَعْدَ بِطُولِ الرِّبَا عَنْهُ حُكْمٌ وَاجِبٌ لِكُلِّ مَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ لِرَجُلٍ قَدْ حَلَّ عَلَيْهِ وَهُوَ بِقَضَائِهِ مُعْسِرٌ فِي أَنَّهُ مَنْظَرٌ إِلَىٰ مَيْسَرَتِهِ..

﴿وَأَن تَصَدَّقُوا﴾ وَأَنْ تَتَصَدَّقُوا بِرُءُوسِ أَمْوَالِكُمْ عَلَىٰ هَذَا الْمُعْسِرِ..

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ أَنْ تُنْظِرُوهُ إِلَىٰ مَيْسَرَتِهِ لِتَقْبِضُوا رُءُوسَ أَمْوَالِكُمْ مِنْهُ إِذَا أَيْسَرَ..

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة: ٢٨٠] مَوْضِعَ الْفَضْلِ فِي الصَّدَقَةِ، وَمَا أَوْجَبَ اللهُ مِنَ الثَّوَابِ لِمَنْ وَضَعَ عَنْ غَرِيمِهِ الْمُعْسِرِ دَيْنَهُ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي أَحْكَامِ الرِّبَا هُنَّ آخِرُ آيَاتٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ.

> ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة: ٢٨١].

﴿وَاتَّقُوا﴾ وَاحْذَرُوا أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ فَتَلْقَوْنَهُ فِيهِ، أَنْ تَرِدُوا عَلَيْهِ بِسَيِّئَاتٍ تُهْلِكُكُمْ، أَوْ بِمُخْزِيَاتٍ

تُخْزِيكُمْ، أَوْ بِفَضِيحَاتٍ تَفْضَحُكُمْ، فَتَهْتِكَ أَسْتَارَكُمْ، أَوْ بِمُوبِقَاتٍ تُوبِقُكُمْ، فَتُوجِبُ لَكُمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، وَإِنَّهُ يَوْمُ مُجَازَاةِ الْأَعْمَالِ لَا يَوْمَ اسْتِعْتَابٍ، وَلَا يَوْمَ اسْتِقَالَةٍ وَتَوْبَةٍ وَإِنَابَةٍ، وَلَكِنَّهُ يَوْمُ جَزَاءٍ وَثَوَابٍ وَمُحَاسَبَةٍ..

﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ تُوَفَّىٰ فِيهِ كُلُّ نَفْسٍ أَجْرَهَا عَلَىٰ مَا قَدَّمَتْ وَاكْتَسَبَتْ مِنْ سَيِّئٍ وَصَالِحٍ، لَا يُغَادِرُ فِيهِ صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ إِلَّا أُحْضِرَتْ، فَوُفِّيَتْ جَزَاءَهَا بِالْعَدْلِ مِنْ رَبِّهَا..

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١] وَكَيْفَ يُظْلَمُ مِنْ جُوزِيَ بِالْإِسَاءَةِ مِثْلَهَا، وَبِالْحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، كَلَّا، بَلْ عَدَلَ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُسِيءُ، وَتَكَرَّمَ عَلَيْكَ، فَأَفْضَلَ وَأَسْبَغَ أَيُّهَا الْمُحْسِنُ، فَاتَّقَىٰ امْرُؤٌ رَبَّهُ، فَأَخَذَ مِنْهُ حِذْرَهُ وَرَاقَبَهُ أَنْ يَهْجِمَ عَلَيْهِ يَوْمَهُ، وَهُوَ مِنَ الْأَوْزَارِ ظَهْرُهُ ثَقِيلٌ، وَمِنْ صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ خَفِيفٌ، فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَذَّرَ فَأَعْذَرَ، وَوَعَظَ فَأَبْلَغَ.. وَقِيلَ: هَذِهِ الْآيَةُ أَيْضًا آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿إِذَا تَدَايَنتُم﴾ إِذَا تَبَايَعْتُمْ..

﴿بِدَيۡنٍ﴾ أَوِ اشْتَرَيْتُمْ بِهِ، أَوْ تَعَاطَيْتُمْ، أَوْ أَخَذْتُمْ بِهِ..

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ إِلَىٰ وَقْتٍ مَعْلُومٍ وَقَّتُّمُوهُ بَيْنَكُمْ.. وَقَدْ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْقَرْضُ وَالسَّلَمُ فِي كُلِّ مَا جَازَ السَّلَمُ فِيهِ؛ لِأَنَّ السَّلَمَ شِرَاءٌ أُجِّلَ بِنَقْدٍ يَصِيرُ دَيْنًا عَلَىٰ بَائِعِ مَا أَسْلَمَ إِلَيْهِ فِيهِ، وَيَحْتَمِلُ

بَيْعَ الْحَاضِرِ الْجَائِزِ بَيْعُهُ مِنَ الْأَمْلَاكِ بِالْأَثْمَانِ الْمُؤَجَّلَةِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الدُّيُونِ الْمُؤَجَّلَةِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ، إِذَا كَانَتْ آجَالُهَا مَعْلُومَةً بِحَدٍّ مَوْقُوفٍ عَلَيْهِ..

﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ فَاكْتُبُوا الدَّيْنَ الَّذِي تَدَايَنْتُمُوهُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ مِنْ بَيْعٍ كَانَ ذَلِكَ أَوْ قَرْضٍ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي اكْتِتَابِ الْكِتَابِ بِذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ هُوَ عَلَيْهِ، هَلْ هُوَ وَاجِبٌ أَوْ هُوَ نَدْبٌ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ حَقٌّ وَاجِبٌ، وَفَرْضٌ لَازِمٌ، وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ اكْتِتَابُ الْكِتَابِ بِالدَّيْنِ فَرْضًا، فَنَسَخَهُ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾..

﴿وَلْيَكْتُب﴾ كِتَابَ الدَّيْنِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ..

﴿بَيْنَكُمْ﴾ بَيْنَ الدَّائِنِ وَالْمَدِينِ..

﴿كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ بِالْحَقِّ وَالْإِنْصَافِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي يَكْتُبُهُ بَيْنَهُمَا، بِمَا لَا يَحِيفُ ذَا الْحَقِّ حَقَّهُ، وَلَا يَبْخَسُهُ، وَلَا يُوجِبُ لَهُ حُجَّةً عَلَىٰ مَنْ عَلَيْهِ دَيْنُهُ فِيهِ بِبَاطِلٍ، وَلَا يُلْزِمُهُ مَا لَيْسَ عَلَيْهِ..

﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ﴾ وَلَا يَأْبَيَنَّ كَاتِبٌ اسْتُكْتِبَ ذَلِكَ..

﴿أَن يَكْتُبَ﴾ بَيْنَهُمْ كِتَابَ الدَّيْنِ..

﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ كِتَابَتَهُ فَخَصَّهُ بِعِلْمِ ذَلِكَ، وَحَرَمَهُ كَثِيرًا مِنْ خَلْقِهِ.. وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي وُجُوبِ الْكِتَابِ عَلَىٰ الْكَاتِبِ إِذَا اسْتُكْتِبَ ذَلِكَ نَظِيرَ اخْتِلَافِهِمْ فِي وُجُوبِ الْكِتَابِ عَلَىٰ الَّذِي لَهُ الْحَقُّ..

﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ الْكَاتِبُ..

﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ وَهُوَ الْغَرِيمُ الْمَدِينُ، يَقُولُ: لِيَتَوَلَّ الْمَدِينُ إِمْلَالَ كِتَابِ مَا عَلَيْهِ مِنْ دَيْنِ رَبِّ الْمَالِ عَلَىٰ الْكَاتِبِ..

﴿وَلْيَتَّقِ﴾ الْمُمْلِي الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ..

﴿اللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ وَلْيَحْذَرْ عِقَابَهُ فِي بَخْسِ الَّذِي لَهُ الْحَقُّ مِنْ حَقِّهِ شَيْئًا..

﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ أَنْ يُنْقِصَهُ مِنْهُ ظُلْمًا، أَوْ يَذْهَبَ بِهِ مِنْهُ تَعَدِّيًا، فَيُؤْخَذَ بِهِ حَيْثُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ قَضَائِهِ إِلَّا مِنْ حَسَنَاتِهِ، أَوْ أَنْ يَتَحَمَّلَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ..

﴿فَإِن كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ فَإِنْ كَانَ الْمَدِينُ الَّذِي عَلَيْهِ الْمَالُ..

﴿سَفِيهًا﴾ وهُوَ ذُو الْقُوَّةِ عَلَىٰ الْإِمْلَالِ، غَيْرَ أَنَّهُ وُضِعَ عَنْهُ فَرْضُ الْإِمْلَالِ بِجَهْلِهِ بِمَوْضِعِ

صَوَابِ ذَلِكَ مِنْ خَطَئِهِ، مِنْ بَالِغِي الرِّجَالِ الَّذِينَ لَا يُوَلَّىٰ عَلَيْهِمْ، وَالنِّسَاءِ..

﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ هُوَ الْعَاجِزُ عَنْ إِمْلَالِهِ، وَإِنْ كَانَ شَدِيدًا رَشِيدًا؛ إِمَّا لِعِيٍّ لِسَانِهِ أَوْ خَرَسٍ بِهِ...

﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ إِمَّا بِالْحَبْسِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ مَعَهُ عَلَىٰ حُضُورِ الْكَاتِبِ الَّذِي يَكْتُبُ الْكِتَابَ فَيُمِلُّ عَلَيْهِ، وَإِمَّا لِغَيْبَتِهِ عَنْ مَوْضِعِ الْإِمْلَالِ فَهُوَ غَيْرُ قَادِرٍ مِنْ أَجْلِ غَيْبَتِهِ عَنْ إِمْلَالِ الْكِتَابِ.. فَوَضَعَ اللهُ عَنْهُمْ فَرْضَ إِمْلَالِ ذَلِكَ لِلْعِلَلِ الَّتِي وَصَفْنَا إِذَا كَانَتْ بِهِمْ، وَعَذَرَهُمْ بِتَرْكِ الْإِمْلَالِ مِنْ أَجْلِهَا، وَأَمَرَ عِنْدَ سُقُوطِ فَرْضِ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَلِيَّ الْحَقِّ بِإِمْلَالِهِ فَقَالَ..

﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ﴾ يَعْنِي: وَلِيَّ الْحَقِّ..

﴿بِٱلْعَدْلِ وَٱسْتَشْهِدُوا۟﴾ عَلَىٰ حُقُوقِكُمْ..

﴿شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ مِنْ أَحْرَارِكُمُ الْمُسْلِمِينَ دُونَ عَبِيدِكُمْ، وَدُونَ أَحْرَارِكُمُ الْكُفَّارِ..

﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ مِنَ الْعُدُولِ الْمُرْتَضَىٰ دِينُهُمْ وَصَلَاحُهُمْ..

﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ كَيْ تُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ إِنْ ضَلَّتْ..

﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟﴾ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ مِنَ الْإِجَابَةِ إِذَا دُعُوا لِإِقَامَةِ الشَّهَادَةِ وَأَدَائِهَا عِنْدَ ذِي سُلْطَانٍ أَوْ حَاكِمٍ يَأْخُذُ مِنَ الَّذِي عَلَيْهِ مَا عَلَيْهِ لِلَّذِي هُوَ لَهُ..

﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟﴾ أَيُّهَا الَّذِينَ تُدَايِنُونَ النَّاسَ إِلَىٰ أَجَلٍ..

﴿أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا﴾ قَلِيلًا..

﴿أَوْ كَبِيرًا﴾ أَوْ كَثِيرًا..

﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ إِلَىٰ أَجَلِ الْحَقِّ، فَإِنَّ الْكِتَابَ أَحْصَىٰ لِلْأَجَلِ وَالْمَالِ..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ اكْتِتَابُ كِتَابِ الدَّيْنِ إِلَىٰ أَجَلِهِ..

﴿أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أَعْدَلُ عِنْدَ اللهِ..

﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ وَأَصْوَبُ لِلشَّهَادَةِ.. وَإِنَّمَا كَانَ الْكِتَابُ أَعْدَلَ عِنْدَ اللهِ وَأَصْوَبَ لِشَهَادَةِ الشُّهُودِ عَلَىٰ مَا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ يَحْوِي الْأَلْفَاظَ الَّتِي أَقَرَّ بِهَا الْبَائِعُ وَالْمُشْتَرِي وَرَبُّ الدَّيْنِ وَالْمُسْتَدِينُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَلَا يَقَعُ بَيْنَ الشُّهُودِ اخْتِلَافٌ فِي أَلْفَاظِهِمْ بِشَهَادَتِهِمْ لِاجْتِمَاعِ شَهَادَتِهِمْ عَلَىٰ مَا حَوَاهُ الْكِتَابُ، وَإِذَا اجْتَمَعَتْ شَهَادَتُهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، كَانَ فَصْلُ الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ أَبْيَنَ لِمَنِ احْتَكَمَ إِلَيْهِ مِنَ الْحُكَّامِ، مَعَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ، وَهُوَ أَعْدَلُ عِنْدَ اللهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ أَمَرَ بِهِ، وَاتِّبَاعُ أَمْرِ اللهِ لَا شَكَّ

أَنَّهُ عِنْدَ اللهِ أَقْسَطُ وَأَعْدَلُ مِنْ تَرْكِهِ وَالِانْحِرَافِ عَنْهُ..

﴿وَأَدْنَىٰٓ﴾ وَأَقْرَبُ..

﴿أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟﴾ مِنْ أَنْ لَا تَشُكُّوا فِي الشَّهَادَةِ.. وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَلَا تَمَلُّوا أَيُّهَا الْقَوْمُ أَنْ تَكْتُبُوا الْحَقَّ الَّذِي لَكُمْ قِبَلَ مَنْ دَايَنْتُمُوهُ مِنَ النَّاسِ إِلَىٰ أَجَلٍ صَغِيرًا كَانَ ذَلِكَ الْحَقُّ، قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا، فَإِنَّ كِتَابَكُمْ ذَلِكَ أَعْدَلُ عِنْدَ اللهِ وَأَصْوَبُ لِشَهَادَةِ شُهُودِكُمْ عَلَيْهِ، وَأَقْرَبُ لَكُمْ أَنْ لَا تَشُكُّوا فِيمَا شَهِدَ بِهِ شُهُودُكُمْ عَلَيْكُمْ مِنَ الْحَقِّ وَالْأَجَلِ إِذَا كَانَ مَكْتُوبًا..

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ اسْتَثْنَىٰ -جَلَّ ذِكْرُهُ- مِمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ أَنْ يَسْأَمُوهُ مِنَ اكْتِتَابِ كُتُبِ حُقُوقِهِمْ عَلَىٰ غُرَمَائِهِمْ بِالْحُقُوقِ الَّتِي لَهُمْ عَلَيْهِمْ، مَا وَجَبَ لَهُمْ قِبَلَهُمْ مِنْ حَقٍّ عَنْ مُبَايَعَةٍ بِالنُّقُودِ الْحَاضِرَةِ يَدًا بِيَدٍ، فَرَخَّصَ لَهُمْ فِي تَرْكِ اكْتِتَابِ الْكُتُبِ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ -أَعْنِي: مِنَ الْبَاعَةِ وَالْمُشْتَرِينَ- يَقْبِضُ إِذَا كَانَ الْوَاجِبُ بَيْنَهُمْ فِيمَا يَتَبَايَعُونَهُ نَقْدًا مَا وَجَبَ لَهُ قِبَلَ مُبَايِعِيهِ قَبْلَ الْمُفَارَقَةِ، فَلَا حَاجَةَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَىٰ اكْتِتَابِ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ عَلَىٰ الْفَرِيقِ الْآخَرِ كِتَابًا بِمَا وَجَبَ لَهُمْ قِبَلَهُمْ وَقَدْ تَقَابَضُوا الْوَاجِبَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ..

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَكْتُبُوهَا، يَعْنِي: التِّجَارَةَ الْحَاضِرَةَ..

﴿وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ وَأَشْهِدُوا عَلَىٰ صَغِيرِ مَا تَبَايَعْتُمْ، وَكَبِيرِهِ مِنْ حُقُوقِكُمْ، عَاجِلِ ذَلِكَ وَآجِلِهِ، وَنَقْدِهِ وَنَسَائِهِ، فَإِنَّ إِرْخَاصِي لَكُمْ فِي تَرْكِ اكْتِتَابِ الْكُتُبِ بَيْنَكُمْ فِيمَا كَانَ مِنْ حُقُوقٍ تَجْرِي بَيْنَكُمْ لِبَعْضِكُمْ مِنْ قِبَلِ بَعْضٍ عَنْ تِجَارَةٍ حَاضِرَةٍ دَائِرَةٍ بَيْنَكُمْ يَدًا بِيَدٍ وَنَقْدًا لَيْسَ بِإِرْخَاصٍ مِنِّي لَكُمْ فِي تَرْكِ الْإِشْهَادِ مِنْكُمْ عَلَىٰ مَنْ بِعْتُمُوهُ شَيْئًا أَوِ ابْتَعْتُمْ مِنْهُ؛ لِأَنَّ فِي تَرْكِكُمُ الْإِشْهَادَ عَلَىٰ ذَلِكَ خَوْفَ الْمَضَرَّةِ عَلَىٰ كُلٍّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، أَمَّا عَلَىٰ الْمُشْتَرِي: فَأَنْ يَجْحَدَ الْبَائِعُ الْمَبِيعَ، وَلَهُ بَيِّنَةٌ عَلَىٰ مِلْكِهِ مَا قَدْ بَاعَ، وَلَا بَيِّنَةَ لِلْمُشْتَرِي مِنْهُ عَلَىٰ الشِّرَاءِ مِنْهُ، فَيَكُونُ الْقَوْلُ حِينَئِذٍ قَوْلَ الْبَائِعِ مَعَ يَمِينِهِ وَيُقْضَىٰ لَهُ بِهِ، فَيَذْهَبُ مَالُ الْمُشْتَرِي بَاطِلًا، وَأَمَّا عَلَىٰ الْبَائِعِ فَأَنْ يَجْحَدَ الْمُشْتَرِي الشِّرَاءَ، وَقَدْ زَالَ مِلْكُ الْبَائِعِ عَمَّا بَاعَ، وَوَجَبَ لَهُ قِبَلَ الْمُبْتَاعِ ثَمَنُ مَا بَاعَ، فَيَحْلِفُ عَلَىٰ ذَلِكَ فَيَبْطُلُ حَقُّ الْبَائِعِ قِبَلَ الْمُشْتَرِي مِنْ ثَمَنِ مَا بَاعَهُ، فَأَمَرَ اللهُ ﷻ الْفَرِيقَيْنِ بِالْإِشْهَادِ، لِئَلَّا يَضِيعَ حَقُّ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ قِبَلَ الْفَرِيقِ الْآخَرِ.. وَالْإِشْهَادَ عَلَىٰ كُلِّ مَبِيعٍ وَمُشْتَرِي حَقٌّ وَاجِبٌ وَفَرْضٌ لَازِمٌ، لِمَا قَدْ بَيَّنَّا مِنْ أَنَّ كُلَّ أَمْرٍ لِلَّهِ فَرْضٌ، إِلَّا مَا قَامَتْ حُجَّتُهُ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ بِأَنَّهُ نَدْبٌ وَإِرْشَادٌ..

﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ﴾ وَلَا يُضَارُّ مَنِ اسْتَكْتَبَ أَنْ يَأْبَىٰ عَلَىٰ الكَاتِبِ إِلَّا أَنْ يَكْتُبَ لَهُ وَهُوَ مَشْغُولٌ بِأَمْرِ نَفْسِهِ..

﴿وَلَا شَهِيدٌ﴾ وَلَا يُضَارُّ مَنِ اسْتَشْهَدَ أَنْ يَأْبَىٰ عَلَىٰ الشَاهِدِ إِلَّا أَنْ يُجِيبَ إِلَىٰ الشَّهَادَةِ وَهُوَ غَيْرُ فَارِغٍ..

﴿وَإِن تَفْعَلُوا۟﴾ وَإِنْ تُضَارُّوا الْكَاتِبَ أَوِ الشَّاهِدَ وَمَا نُهِيتُمْ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ..

﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾ إِثْمٌ بِكُمْ وَمَعْصِيَةٌ..

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وَخَافُوا اللهَ أَيُّهَا الْمُتَدَايِنُونَ فِي الْكِتَابِ وَالشُّهُودِ أَنْ تُضَارُّوهُمْ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حُدُودِ اللهِ أَنْ تُضَيِّعُوهُ..

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ وَيُبَيِّنُ لَكُمُ الْوَاجِبَ لَكُمْ وَعَلَيْكُمْ، فَاعْمَلُوا بِهِ..

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝﴾ [البقرة: ٢٨٢] بِأَعْمَالِكُمْ وَغَيْرِهَا، يُحْصِيهَا عَلَيْكُمْ لِيُجَازِيَكُمْ بِهَا.

﴿۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝﴾ [البقرة: ٢٨٣].

﴿۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمُتَدَايِنُونَ فِي سَفَرٍ بِحَيْثُ لَا تَجِدُونَ كَاتِبًا يَكْتُبُ لَكُمْ، وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ إِلَىٰ اكْتِتَابِ كِتَابِ الدَّيْنِ الَّذِي تَدَايَنْتُمُوهُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ بَيْنَكُمُ الَّذِي أَمَرْتُكُمْ بِاكْتِتَابِهِ وَالْإِشْهَادِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ..

﴿فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ فَارْتَهِنُوا بِدُيُونِكُمُ الَّتِي تَدَايَنْتُمُوهَا إِلَىٰ الْأَجَلِ الْمُسَمَّىٰ رُهُونًا تَقْبِضُونَهَا مِمَّنْ تُدَايِنُونَهُ كَذَلِكَ لِيَكُونَ ثِقَةً لَكُمْ بِأَمْوَالِكُمْ..

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ فَإِنْ كَانَ الْمَدِينُ أَمِينًا عِنْدَ رَبِّ الْمَالِ وَالدَّيْنِ فَلَمْ يَرْتَهِنْ مِنْهُ فِي سَفَرِهِ رَهْنًا بِدَيْنِهِ لِأَمَانَتِهِ عِنْدَهُ عَلَىٰ مَالِهِ وَثِقَتِهِ..

﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ وَلْيُؤَدِّ دَيْنَهُ الَّذِي ائْتَمَنَهُ عَلَيْهِ إِلَيْهِ..

﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ فَلْيَتَّقِ اللهَ الْمَدِينُ رَبَّهُ، يَقُولُ: فَلْيَخَفِ اللهَ رَبَّهُ فِي الَّذِي عَلَيْهِ مِنْ دَيْنِ صَاحِبِهِ أَنْ يَجْحَدَهُ، أَوْ يُلِطَّ دُونَهُ، أَوْ يُحَاوِلَ الذَّهَابَ بِهِ، فَيَتَعَرَّضَ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ مَا لَا قِبَلَ لَهُ بِهِ..

﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ هَذَا خِطَابٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلشُّهُودِ الَّذِينَ أَمَرَ الْمُسْتَدِينَ وَرَبَّ الْمَالِ

بِإِشْهَادِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا، وَلَا تَكْتُمُوا أَيُّهَا الشُّهُودُ بَعْدَ مَا شَهِدْتُمْ شَهَادَتَكُمْ عِنْدَ الْحُكَّامِ، كَمَا شَهِدْتُمْ عَلَىٰ مَا شَهِدْتُمْ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ أَجِيبُوا مَنْ شَهِدْتُمْ لَهُ إِذَا دَعَاكُمْ لِإِقَامَةِ شَهَادَتِكُمْ عَلَىٰ خَصْمِهِ عَلَىٰ حَقِّهِ عِنْدَ الْحَاكِمِ الَّذِي يَأْخُذُ لَهُ بِحَقِّهِ.. ثُمَّ أَخْبَرَ الشَّاهِدَ مَا عَلَيْهِ فِي كِتْمَانِ شَهَادَتِهِ وَإِبَائِهِ مِنْ أَدَائِهَا وَالْقِيَامِ بِهَا عِنْدَ حَاجَةِ الْمُسْتَشْهِدِ إِلَىٰ قِيَامِهِ بِهَا عِنْدَ حَاكِمٍ، أَوْ ذِي سُلْطَانٍ، فَقَالَ..

﴿وَمَن يَكْتُمْهَا﴾ وَمَنْ يَكْتُمْ شَهَادَتَهُ..

﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ فَاجِرٌ قَلْبُهُ، مُكْتَسِبٍ بِكِتْمَانِهِ إِيَّاهَا مَعْصِيَةَ اللهِ..

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فِي شَهَادَتِكُمْ مِنْ إِقَامَتِهَا وَالْقِيَامِ بِهَا أَوْ كِتْمَانِكُمْ إِيَّاهَا عِنْدَ حَاجَةِ مَنِ اسْتَشْهَدَكُمْ إِلَيْهَا، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَرَائِرِ أَعْمَالِكُمْ وَعَلَانِيَتِهَا..

﴿عَلِيمٌ ۝٢٨٣﴾ [البقرة: ٢٨٣] يُحْصِيهِ عَلَيْكُمْ لِيَجْزِيَكُمْ بِذَلِكَ كُلِّهِ جَزَاءَكُمْ، إِمَّا خَيْرًا، وَإِمَّا شَرًّا عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِحْقَاقِكُمْ.

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ۝٢٨٤﴾ [البقرة: ٢٨٤].

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ لِلَّهِ مُلْكُ كُلِّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَإِلَيْهِ تَدْبِيرُ جَمِيعِهِ، وَبِيَدِهِ صَرْفُهُ وَتَقْلِيبُهُ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُ مُدَبِّرُهُ وَمَالِكُهُ وَمُصَرِّفُهُ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ جَلَّ ثناؤُهُ كِتْمَانَ الشُّهُودِ الشَّهَادَةَ، يَقُولُ: لَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ أَيُّهَا الشُّهُودُ، وَمَنْ يَكْتُمْهَا يَفْجُرْ قَلْبُهُ، وَلَنْ يَخْفَىٰ عَلَيَّ كِتْمَانُهُ، وَذَلِكَ لِأَنِّي بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَبِيَدِي صَرْفُ كُلِّ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُلْكُهُ أَعْلَمُهُ خَفِيَّ ذَلِكَ وَجَلِيَّهُ، فَاتَّقُوا عِقَابِي إِيَّاكُمْ عَلَىٰ كِتْمَانِكُمُ الشَّهَادَةَ، وَعِيدًا مِنَ اللهِ بِذَلِكَ مَنْ كَتَمَهَا وَتَخْوِيفًا مِنْهُ لَهُ بِهِ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ عَمَّا هُوَ فَاعِلٌ بِهِمْ فِي آخِرَتِهِمْ وَبِمَنْ كَانَ مِنْ نُظَرَائِهِمْ مِمَّنِ انْطَوَىٰ كَشْحًا عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ فَأَضْمَرَهَا، أَوْ أَظْهَرَ مُوبِقَةً فَأَبْدَاهَا مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الْمُحَاسَبَةِ عَلَيْهَا، فَقَالَ..

﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ وَإِنْ تُظْهِرُوا فِيمَا عِنْدَكُمْ مِنَ الشَّهَادَةِ عَلَىٰ حَقِّ رَبِّ الْمَالِ الْجُحُودَ وَالْإِنْكَارَ..

﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أَوْ تُخْفُوا ذَلِكَ فَتُضْمِرُوهُ فِي أَنْفُسِكُمْ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ سَيِّءِ أَعْمَالِكُمْ..

﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ فَيُعَرِّفُ مُؤْمِنَكُمْ تَفَضُّلَهُ بِعَفْوِهِ عَنْهُ، وَمَغْفِرَتَهُ لَهُ، فَيَغْفِرُهُ لَهُ، وَيُعَذِّبُ

مُنَافِقكُمْ عَلَىٰ الشَّكِّ الَّذِي انْطَوَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي وَحْدَانِيَّةِ خَالِقِهِ وَنُبُوَّةِ أَنْبِيَائِهِ.. فَمُحَاسَبَةُ اللهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا هُوَ مُحَاسِبُهُمْ بِهِ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي أَخْفَتْهَا أَنْفُسُهُمْ غَيْرُ مُوجِبَةٍ لَهُمْ مِنْهُ عُقُوبَةً، بَلْ مُحَاسَبَتُهُ إِيَّاهُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ عَلَيْهَا لِيُعَرِّفُهُمْ تَفَضُّلَهُ عَلَيْهِمْ بِعَفْوِهِ لَهُمْ عَنْهَا، كَمَا بَلَغَنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُدْنِي اللهُ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِسَيِّئَاتِهِ يَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: سَتَرْتُهَا فِي الدُّنْيَا وَأَغْفِرُهَا الْيَوْمَ، ثُمَّ يُظْهِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ، فَيَقُولُ: هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ أَوْ كَمَا قَالَ: وَأَمَّا الْكَافِرُ، فَإِنَّهُ يُنَادِي بِهِ عَلَىٰ رُءُوسِ الأَشْهَادِ».. فَهَذَا الَّذِي وَصَفْنَا هُوَ الَّذِي يُحَاسِبُ اللهُ بِهِ مُؤْمِنِي عِبَادِهِ ثُمَّ لَا يُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهِ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ مَا أَخْفَتْهُ نَفْسُهُ شَكًّا فِي اللهِ وَارْتِيَابًا فِي نُبُوَّةِ أَنْبِيَائِهِ، فَذَلِكَ هُوَ الْهَالِكُ الْمُخَلَّدُ فِي النَّارِ، الَّذِي أَوْعَدَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْعَذَابَ الأَلِيمَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾..

﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٨٤﴾ [البقرة: ٢٨٤] وَاللهُ ﷻ عَلَىٰ الْعَفْوِ عَمَّا أَخْفَتْهُ نَفْسُ هَذَا الْمُؤْمِنِ مِنَ الْهَمَّةِ بِالْخَطِيئَةِ، وَعَلَىٰ عِقَابِ هَذَا الْكَافِرِ عَلَىٰ مَا أَخْفَتْهُ نَفْسُهُ مِنَ الشَّكِّ فِي تَوْحِيدِ اللهِ ﷻ، وَنُبُوَّةِ أَنْبِيَائِهِ، وَمُجَازَاةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ كُلِّ مَا كَانَ مِنْهُ، وَعَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ قَادِرٌ.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾
[البقرة: ٢٨٥].

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ صَدَّقَ الرَّسُولُ، يَعْنِي: رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَقَرَّ..

﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ بِمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ مِنَ الْكِتَابِ، وَمَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ، وَأَمْرٍ وَنَهْيٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ مَا فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي حَوَاهَا..

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَجَمِيعِ كُتُبِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَرَسُولِهِ..

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، يَقُولُونَ: لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ..

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَ الْكُلُّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿سَمِعْنَا﴾ قَوْلَ رَبِّنَا، وَأَمْرَهُ إِيَّانَا بِمَا أَمَرَنَا بِهِ، وَنَهْيَهُ عَمَّا نَهَانَا عَنْهُ..

﴿وَأَطَعْنَا﴾ رَبَّنَا فِيمَا أَلْزَمَنَا مِنْ فَرَائِضِهِ، وَاسْتَعْبَدَنَا بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ، وَسَلَّمْنَا لَهُ..

﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ وَقَالُوا: غُفْرَانَكَ رَبَّنَا، بِمَعْنَىٰ: اغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا، وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ أَنَّ الْغُفْرَانَ وَالْمَغْفِرَةَ: السَّتْرُ مِنَ اللهِ عَلَىٰ ذُنُوبِ مَنْ غَفَرَ لَهُ، وَصَفْحُهُ لَهُ عَنْ هَتْكِ سِتْرِهِ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَعَفْوُهُ عَنِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِ..

﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥] وَإِلَيْكَ يَا رَبَّنَا مَرْجِعُنَا وَمَعَادُنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فَيَتَعَبَّدُهَا إِلَّا بِمَا يَسَعُهَا، فَلَا يُجْهِدُهَا، وَلَا يُضَيِّقُ عَلَيْهَا، فِي أَمْرِ دِينِهَا، فَيُؤَاخِذُهَا بِهِمَّةٍ إِنْ هَمَّتْ، وَلَا بِوَسْوَسَةٍ إِنْ عَرَضَتْ لَهَا، وَلَا بِخَطْرَةٍ إِنْ خَطَرَتْ بِقَلْبِهَا..

﴿لَهَا﴾ لِلنَّفْسِ الَّتِي أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّفُهَا إِلَّا وُسْعَهَا..

﴿مَا كَسَبَتْ﴾ وَعَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ..

﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ وَعَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ شَرٍّ..

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ وَهَذَا تَعْلِيمٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ دُعَاءَهُ كَيْفَ يَدْعُونَهُ، وَمَا يَقُولُونَ فِي دُعَائِهِمْ إِيَّاهُ، وَمَعْنَاهُ: قُولُوا: رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا شَيْئًا فَرَضْتَ عَلَيْنَا عَمَلَهُ فَلَمْ نَعْمَلْهُ، أَوْ أَخْطَأْنَا فِي فِعْلِ شَيْءٍ نَهَيْتَنَا عَنْ فِعْلِهِ فَفَعَلْنَاهُ، عَلَىٰ غَيْرِ قَصْدٍ مِنَّا إِلَىٰ مَعْصِيَتِكَ، وَلَكِنْ عَلَىٰ جَهَالَةٍ مِنَّا بِهِ وَخَطَأٍ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُؤَاخِذَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ بِمَا نَسُوا أَوْ أَخْطَئُوا فَيَسْأَلُوهُ أَنْ لَا يُؤَاخِذَهُمْ بِذَلِكَ؟ قِيلَ: إِنَّ النِّسْيَانَ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: عَلَىٰ وَجْهِ التَّضْيِيعِ مِنَ الْعَبْدِ وَالتَّفْرِيطِ، وَالْآخَرُ: عَلَىٰ وَجْهِ عَجْزِ النَّاسِي عَنْ حِفْظِ مَا اسْتُحْفِظَ، وَوُكِّلَ بِهِ وَضَعْفِ عَقْلِهِ عَنِ احْتِمَالِهِ، فَأَمَّا الَّذِي يَكُونُ مِنَ الْعَبْدِ عَلَىٰ وَجْهِ التَّضْيِيعِ مِنْهُ وَالتَّفْرِيطِ، فَهُوَ تَرْكٌ مِنْهُ لِمَا أُمِرَ بِفِعْلِهِ، فَذَلِكَ الَّذِي يَرْغَبُ الْعَبْدُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَرْكِهِ مُؤَاخَذَتَهُ بِهِ، وَهُوَ النِّسْيَانُ الَّذِي عَاقَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، فَأَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ

لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ [طه: ١١٥]، وَهُوَ النِّسْيَانُ الَّذِي قَالَ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾ [الأعراف: ٥١]، فَرَغْبَةُ الْعَبْدِ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِقَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ فِيمَا كَانَ مِنْ نِسْيَانٍ مِنْهُ لِمَا أُمِرَ بِفِعْلِهِ عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ الَّذِي وَصَفْنَا، مَا لَمْ يَكُنْ تَرْكُهُ مَا تَرَكَ مِنْ ذَلِكَ تَفْرِيطًا مِنْهُ فِيهِ وَتَضْيِيعًا، كُفْرًا بِاللهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كُفْرًا بِاللهِ فَإِنَّ الرَّغْبَةَ إِلَىٰ اللهِ فِي تَرْكِهِ الْمُؤَاخَذَةَ بِهِ غَيْرُ جَائِزَةٍ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ أَخْبَرَ عِبَادَهُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ لَهُمُ الشِّرْكَ بِهِ، فَمَسْأَلَتُهُ فَعْلَ مَا قَدْ أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُهُ خَطَأٌ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مَسْأَلَتُهُ الْمَغْفِرَةَ فِيمَا كَانَ مِنْ مِثْلِ نِسْيَانِهِ الْقُرْآنَ بَعْدَ حِفْظِهِ بِتَشَاغُلِهِ عَنْهُ، وَعَنْ قِرَاءَتِهِ، وَمَثَلِ نِسْيَانِهِ صَلَاةً أَوْ صِيَامًا، بِاشْتِغَالِهِ عَنْهُمَا بِغَيْرِهِمَا حَتَّىٰ ضَيَّعَهُمَا، وَأَمَّا الَّذِي الْعَبْدُ بِهِ غَيْرُ مُؤَاخَذٍ لَعَجْزِ بِنْيَتِهِ عَنْ حِفْظِهِ، وَقِلَّةِ احْتِمَالِ عَقْلِهِ مَا وُكِّلَ بِمُرَاعَاتِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْعَبْدِ غَيْرُ مَعْصِيَةٍ، وَهُوَ بِهِ غَيْرُ آثِمٍ، فَذَلِكَ الَّذِي لَا وَجْهَ لِمَسْأَلَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ لَهُ؛ لِأَنَّهُ مَسْأَلَةٌ مِنْهُ لَهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِذَنْبٍ، وَذَلِكَ مِثْلُ الْأَمْرِ يَغْلِبُ عَلَيْهِ، وَهُوَ حَرِيصٌ عَلَىٰ تَذَكُّرِهِ وَحِفْظِهِ، كَالرَّجُلِ يَحْرُصُ عَلَىٰ حِفْظِ الْقُرْآنِ بِجِدٍّ مِنْهُ، فَيَقْرَؤُهُ، ثُمَّ يَنْسَاهُ بِغَيْرِ تَشَاغُلٍ مِنْهُ بِغَيْرِهِ عَنْهُ، وَلَكِنْ بِعَجْزِ بِنْيَتِهِ عَنْ حِفْظِهِ وَقِلَّةِ احْتِمَالِ عَقْلِهِ ذِكْرَ مَا أُودِعَ قَلْبُهُ مِنْهُ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ النِّسْيَانِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَجُوزُ مَسْأَلَةُ الرَّبِّ مَغْفِرَتَهُ، لِأَنَّهُ لَا ذَنْبَ لِلْعَبْدِ فِيهِ، فَيَغْفِرُ لَهُ بِاكْتِسَابِهِ.. وَكَذَلِكَ لِلْخَطَأِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا مِنْ وَجْهِ مَا نُهِيَ عَنْهُ الْعَبْدُ فَيَأْتِيهِ بِقَصْدٍ مِنْهُ وَإِرَادَةٍ، فَذَلِكَ خَطَأٌ مِنْهُ وَهُوَ بِهِ مَأْخُوذٌ، وَهَذَا الْوَجْهُ الَّذِي يَرْغَبُ الْعَبْدُ إِلَىٰ رَبِّهِ فِي صَفْحِ مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ إِثْمٍ عَنْهُ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ كُفْرًا، وَالْآخَرُ مِنْهُمَا مَا كَانَ عَنْهُ عَلَىٰ وَجْهِ الْجَهْلِ بِهِ وَالظَّنِّ مِنْهُ بِأَنَّ لَهُ فِعْلَهُ كَالَّذِي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَيْلًا وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّ الْفَجْرَ لَمْ يَطْلُعْ، أَوْ يُؤَخِّرُ صَلَاةً فِي يَوْمِ غَيْمٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ بِتَأْخِيرِهِ إِيَّاهَا دُخُولَ وَقْتِهَا فَيَخْرُجُ وَقْتُهَا وَهُوَ يَرَىٰ أَنَّ وَقْتَهَا لَمْ يَدْخُلْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْخَطَأِ الْمَوْضُوعِ عَنِ الْعَبْدِ الَّذِي وَضَعَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْ عِبَادِهِ الْإِثْمَ فِيهِ، فَلَا وَجْهَ لِمَسْأَلَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ أَنْ يُؤَاخِذَهُ بِهِ..

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا﴾ قُولُوا: رَبَّنَا لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا، يَعْنِي بِالْإِصْرِ: الْعَهْدَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ﴾ [آل عمران: ٨١] وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا﴾ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا عَهْدًا فَنَعْجَزُ عَنِ الْقِيَامِ بِهِ وَلَا نَسْتَطِيعُهُ..

﴿كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ كُلِّفُوا أَعْمَالًا وَأُخِذَتْ عُهُودُهُمْ وَمَوَاثِيقُهُمْ عَلَىٰ الْقِيَامِ بِهَا، فَلَمْ يَقُومُوا بِهَا، فَعُوجِلُوا بِالْعُقُوبَةِ، فَعَلَّمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ الرَّغْبَةَ إِلَيْهِ بِمَسْأَلَتِهِ أَنْ لَا يَحْمِلَهُمْ مِنْ عُهُودِهِ وَمَوَاثِيقِهِ عَلَىٰ أَعْمَالٍ -إِنْ ضَيَّعُوهَا أَوْ

أَخْطَئُوا فِيهَا أَوْ نَسُوهَا- مِثْلَ الَّذِي حَمَّلَ مَنْ قَبْلَهُمْ، فَيَحِلُّ بِهِمْ بِخَطَئِهِمْ فِيهِ وَتَضْيِيعِهِمْ إِيَّاهُ مِثْلَ الَّذِي أَحَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُمْ..

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ وَقُولُوا أَيْضًا: رَبَّنَا لَا تُكَلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا لَا نُطِيقُ الْقِيَامَ بِهِ لِثِقَلِ حِمْلِهِ عَلَيْنَا..

﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ وَفِي هَذَا أَيْضًا مِنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ خَبَرٌ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ تَيْسِيرَ فَرَائِضِهِ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ لِأَنَّهُمْ عَقَّبُوا ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ مَسْأَلَةً مِنْهُمْ رَبَّهُمْ أَنْ يَعْفُوَ لَهُمْ عَنْ تَقْصِيرٍ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي بَعْضِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ، فَيَصْفَحُ لَهُمْ عَنْهُ، وَلَا يُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهِ وَإِنْ خَفَّ مَا كَلَّفَهُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ عَلَى أَبْدَانِهِمْ..

﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ وَاسْتُرْ عَلَيْنَا زَلَّةً إِنْ أَتَيْنَاهَا فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، فَلَا تُكْشِفْهَا وَلَا تَفْضَحْنَا بِإِظْهَارِهَا..

﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾ تَغَمَّدْنَا مِنْكَ بِرَحْمَةٍ تُنَجِّينَا بِهَا مِنْ عِقَابِكَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِنَاجٍ مِنْ عِقَابِكَ أَحَدٌ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ إِيَّاهُ دُونَ عَمَلِهِ، وَلَيْسَتْ أَعْمَالُنَا مُنَجِّيَتَنَا إِنْ أَنْتَ لَمْ تَرْحَمْنَا، فَوَفِّقْنَا لِمَا يُرْضِيكَ عَنَّا..

﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ أَنْتَ وَلِيُّنَا تَلِينَا بِنَصْرِكَ دُونَ مَنْ عَادَاكَ وَكَفَرَ بِكَ، لِأَنَّا مُؤْمِنُونَ بِكَ وَمُطِيعُوكَ فِيمَا أَمَرْتَنَا وَنَهَيْتَنَا، فَأَنْتَ وَلِيُّ مَنْ أَطَاعَكَ، وَعَدُوُّ مَنْ كَفَرَ بِكَ فَعَصَاكَ..

﴿فَٱنصُرْنَا﴾ لِأَنَّا حِزْبُكَ..

﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦] الَّذِي جَحَدُوا وَحْدَانِيَّتَكَ، وَعَبَدُوا الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ دُونَكَ، وَأَطَاعُوا فِي مَعْصِيَتِكَ الشَّيْطَانَ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ (٣) مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا مِائَتَانِ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓ ①﴾ [آل عمران: ١].

﴿الٓمٓ ①﴾ [آل عمران: ١] قَدْ أَتَيْنَا عَلَىٰ الْبَيَانِ عَنْ مَعْنَاها فِيمَا مَضَىٰ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أَخْبَرَ اللهُ -جَلَّ وَعَزَّ- عِبَادَهُ أَنَّ الْأُلُوهِيَّةَ خَاصَّةٌ بِهِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَصْلُحُ وَلَا تَجُوزُ إِلَّا لَهُ؛ لِانْفِرَادِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوَحُّدِهِ بِالْأُلُوهِيَّةِ، وَأَنَّ كُلَّ مَا دُونَهُ فَمِلْكُهُ، وَأَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ فَخَلْقُهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي سُلْطَانِهِ وَمُلْكِهِ؛ احْتِجَاجًا مِنْهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ ذَلِكَ إِذْ كَانَ كَذَلِكَ، فَغَيْرُ جَائِزَةٍ لَهُمْ عِبَادَةُ غَيْرِهِ، وَلَا إِشْرَاكُ أَحَدٍ مَعَهُ فِي سُلْطَانِهِ؛ إِذْ كَانَ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ فَمِلْكُهُ، وَكُلُّ مُعَظَّمٍ غَيْرِهِ فَخَلْقُهُ، وَعَلَىٰ الْمَمْلُوكِ إِفْرَادُ الطَّاعَةِ لِمَالِكِهِ، وَصَرْفُ خِدْمَتِهِ إِلَىٰ مَوْلَاه وَرَازِقِهِ، وَمُعَرِّفًا مَنْ كَانَ مِنْ خَلْقِهِ -يَوْمَ أَنْزَلَ ذَلِكَ إِلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بِتَنْزِيلِهِ ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَإِرْسَالِهِ بِهِ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ لِسَانِهِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ- مُقِيمًا عَلَىٰ عِبَادَةِ وَثَنٍ أَوْ صَنَمٍ أَوْ شَمْسٍ أَوْ قَمَرٍ أَوْ إِنْسِيٍّ أَوْ مَلَكٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي كَانَتْ بَنُو آدَمَ مُقِيمَةً عَلَىٰ عِبَادَتِهَا وَإِلَاهَتِهَا، وَمُتَّخِذَهُ دُونَ مَالِكِهِ وَخَالِقِهِ إِلَهًا وَرَبًّا، أَنَّهُ مُقِيمٌ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ، وَمُنْعَزِلٌ عَنِ الْمَحَجَّةِ، وَرَاكِبٌ غَيْرَ السَّبِيلِ الْمُسْتَقِيمَةِ بِصَرْفِهِ الْعِبَادَةَ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَلَا أَحَدَ لَهُ الْأُلُوهَةُ غَيْرُهُ..

﴿ٱلۡحَيُّ﴾ وَصَفَ اللهُ نَفْسَهُ بِالْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ الَّتِي لَا فَنَاءَ لَهَا وَلَا انْقِطَاعَ، وَنَفَىٰ عَنْهَا مَا هُوَ حَالٌّ بِكُلِّ ذِي حَيَاةٍ مِنْ خَلْقِهِ مِنَ الْفَنَاءِ وَانْقِطَاعِ الْحَيَاةِ عِنْدَ مَجِيءِ أَجَلِهِ، فَأَخْبَرَ عِبَادَهُ أَنَّهُ الْمُسْتَوْجِبُ عَلَىٰ خَلْقِهِ الْعِبَادَةَ وَالْأُلُوهَةَ، وَالْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَلَا يَبِيدُ كَمَا يَمُوتُ كُلُّ مَنِ اتُّخِذَ مِنْ دُونِهِ رَبًّا، وَيَبِيدُ كُلُّ مَنِ ادُّعِيَ مِنْ دُونِهِ إِلَاهًا، وَاحْتَجَّ عَلَىٰ خَلْقِهِ بِأَنَّ مَنْ كَانَ يَبِيدُ فَيَزُولُ وَيَمُوتُ فَيَفْنَىٰ فَلَا يَكُونُ إِلَهًا يَسْتَوْجِبُ أَنْ يُعْبَدَ دُونَ الْإِلَهِ الَّذِي لَا يَبِيدُ وَلَا يَمُوتُ، وَأَنَّ الْإِلَهَ هُوَ الدَّائِمُ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَلَا يَبِيدُ وَلَا يَفْنَىٰ، وَذَلِكَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ..

﴿ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران: ٢] الْقَيِّمُ بِحِفْظِ كُلِّ شَيْءٍ وَرِزْقِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَتَصْرِيفِهِ فِيمَا شَاءَ وَأَحَبَّ مِنْ تَغْيِيرٍ وَتَبْدِيلٍ وَزِيَادَةٍ وَنَقْصٍ.

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣﴾ [آل عمران: ٣].

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ، وَرَبَّ عِيسَىٰ، وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، هُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ..

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ الْقُرْآنَ..

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بِالصِّدْقِ فِيمَا اخْتَلَفَ فِيهِ أَهْلُ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، وَفِيمَا خَالَفَكَ فِيهِ مُحَاجُّوكَ مِنْ نَصَارَىٰ أَهْلِ نَجْرَانَ، وَسَائِرِ أَهْلِ الشِّرْكِ غَيْرِهِمْ..

﴿مُصَدِّقًا﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ الْقُرْآنَ أَنَّهُ مُصَدِّقٌ..

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لِمَا كَانَ قَبْلَهُ مِنْ كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَمُحَقِّقٌ مَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُ اللهِ مِنْ عِنْدِهِ؛ لِأَنَّ مُنَزِّلَ جَمِيعِ ذَلِكَ وَاحِدٌ، فَلَا يَكُونُ فِيهِ اخْتِلَافٌ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ لَكَانَ فِيهِ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ..

﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ عَلَىٰ مُوسَىٰ..

﴿وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣﴾ [آل عمران: ٣] عَلَىٰ عِيسَىٰ.

﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾ [آل عمران: ٤].

﴿مِن قَبْلُ﴾ مِنْ قَبْلِ الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَهُ عَلَيْكَ..

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ بَيَانًا لِلنَّاسِ مِنَ اللهِ، فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ، وَمُفِيدًا يَا مُحَمَّدُ أَنَّكَ نَبِيِّي وَرَسُولِي، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ دِينِ اللهِ..

﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ وَأَنْزَلَ الْفَصْلَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فِيمَا اخْتَلَفَتْ فِيهِ الْأَحْزَابُ وَأَهْلُ الْمِلَلِ فِي أَمْرِ عِيسَىٰ وَغَيْرِهِ.. وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ أَنَّ الْفُرْقَانَ إِنَّمَا هُوَ الْفُعْلَانُ مِنْ قَوْلِهِمْ: فَرَّقَ اللهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا بِنَصْرِهِ بِالْحَقِّ عَلَىٰ الْبَاطِلِ، إِمَّا بِالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ، وَإِمَّا بِالْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ بِالْأَيْدِ وَالْقُوَّةِ.. وَبِمَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ غَيْرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَّهَ تَأْوِيلَهُ إِلَىٰ أَنَّهُ فَصْلٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِي أَمْرِ عِيسَىٰ، وَبَعْضُهُمْ إِلَىٰ أَنَّهُ فَصْلٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِي أَحْكَامِ الشَّرَائِعِ.. وَأَنْ يَكُونَ

مَعْنَىٰ الْفُرْقَانِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: فَصَلَ اللهُ بَيْنَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالَّذِينَ حَاجُّوهُ فِي أَمْرِ عِيسَىٰ وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِ بِالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ الْقَاطِعَةِ عُذْرَهُمْ وَعُذْرَ نُظَرَائِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ إِخْبَارَ اللهِ عَنْ تَنْزِيلِهِ الْقُرْآنَ قَبْلَ إِخْبَارِهِ عَنْ تَنْزِيلِهِ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَدْ مَضَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، وَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ الْكِتَابَ هُوَ الْقِرَانُ لَا غَيْرُهُ، فَلَا وَجْهَ لِتَكْرِيرِهِ مَرَّةً أُخْرَىٰ؛ إِذْ لَا فَائِدَةَ فِي تَكْرِيرِهِ، لَيْسَتْ فِي ذِكْرِهِ إِيَّاهُ وَخَبَرِهِ عَنْهُ ابْتِدَاءً..

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا أَعْلَامَ اللهِ وَأَدِلَّتَهُ وَحُجَجَهُ عَلَىٰ تَوْحِيدِهِ وَأُلُوهَتِهِ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدٌ لَهُ، وَاتَّخَذُوا الْمَسِيحَ إِلَهًا وَرَبًّا، أَوْ ادَّعَوْهُ لِلَّهِ وَلَدًا..

﴿لَهُمْ عَذَابٌ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿شَدِيدٌ﴾ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.. وَهَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ لِمَنْ عَانَدَ الْحَقَّ بَعْدَ وُضُوحِهِ لَهُ، وَخَالَفَ سَبِيلَ الْهُدَىٰ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ..

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ فِي سُلْطَانِهِ لَا يَمْنَعُهُ مَانِعٌ مِمَّنْ أَرَادَ عَذَابَهُ مِنْهُمْ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُم حَائِلٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَانِدَهُ فِيهِ أَحَدٌ، وَأَنَّهُ..

﴿ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾ [آلعمران: ٤] مِمَّنْ جَحَدَ حُجَجَهُ وَأَدِلَّتَهُ، بَعْدَ ثُبُوتِهَا عَلَيْهِ، وَبَعْدَ وُضُوحِهَا لَهُ وَمَعْرِفَتِهِ بِهَا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ [آل عمران: ٥].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وَهُوَ فِي الْأَرْضِ..

﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ [آل عمران: ٥] وَلَا شَيْءٌ وَهُوَ فِي السَّمَاءِ.. فَكَيْفَ يَخْفَىٰ عَلَيَّ -يَا مُحَمَّدُ- وَأَنَا عَلَّامُ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، مَا يُضَاهِي بِهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُجَادِلُونَكَ فِي آيَاتِ اللهِ مِنْ نَصَارَىٰ فِي شَأْنِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، إِذْ جَعَلُوهُ رَبًّا وَإِلَهًا.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران: ٦].

﴿هُوَ﴾ اللهُ..

﴿ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ﴾ فَيَجْعَلُكُمْ صُوَرًا أَشْبَاحًا..

﴿فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ فِي أَرْحَامِ أُمَّهَاتِكُمْ..

﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ كَيْفَ شَاءَ وَأَحَبَّ، فَيُجْعَلُ هَذَا ذَكَرًا وَهَذَا أُنْثَىٰ، وَهَذَا أَسْوَدُ وَهَذَا أَحْمَرُ..

يُعَرِّفُ عِبَادَهُ بِذَلِكَ أَنَّ جَمِيعَ مَنِ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ النِّسَاءِ مِمَّنْ صَوَّرَهُ وَخَلَقَهُ كَيْفَ شَاءَ.. وَأَنَّ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ مِمَّنْ صُوِّرَهُ فِي رَحِمِ أُمِّهِ وَخَلَقَهُ فِيهَا كَيْفَ شَاءَ وَأَحَبَّ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ إِلَهًا لَمْ يَكُنْ مِمَّنِ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ رَحِمُ أُمِّهِ؛ لِأَنَّ خَلَّاقَ مَا فِي الْأَرْحَامِ لَا تَكُونُ الْأَرْحَامُ عَلَيْهِ مُشْتَمِلَةً، وَإِنَّمَا تَشْتَمِلُ عَلَىٰ الْمَخْلُوقِينَ..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وَهَذَا الْقَوْلُ تَنْزِيهٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- نَفْسَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ نِدٌّ أَوْ مِثْلٌ، أَوْ أَنْ تَجُوزَ الْأُلُوهَةُ لِغَيْرِهِ.. وَتَكْذِيبٌ مِنْهُ لِلَّذِينَ قَالُوا فِي عِيسَىٰ مَا قَالُوا، وَسَائِرِ مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِمْ فِي عِيسَىٰ، وَلِجَمِيعِ مَنِ ادَّعَىٰ مَعَ اللهِ مَعْبُودًا، أَوْ أَقَرَّ بِرُبُوبِيَّةِ غَيْرِهِ.. ثُمَّ أَخْبَرَ -جَلَّ ثناؤُهُ- خَلْقَهُ بِصِفَتِهِ وَعِيدًا مِنْهُ لِمَنْ عَبَدَ غَيْرَهُ أَوْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَتِهِ أَحَدًا سِوَاهُ، فَقَالَ..

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الَّذِي لَا يَنْصُرُ مَنْ أَرَادَ الِانْتِقَامَ مِنْهُ أَحَدٌ، وَلَا يُنَجِّيهِ مِنْهُ ملجأٌ، وَذَلِكَ لِعِزَّتِهِ الَّتِي يَذِلُّ لَهَا كُلُّ مَخْلُوقٍ، وَيَخْضَعُ لَهَا كُلُّ مَوْجُودٍ، ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ..

﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران: ٦] فِي تَدْبِيرِهِ، وَإِعْذَارِهِ إِلَىٰ خَلْقِهِ، وَمُتَابَعَةِ حُجَجِهِ عَلَيْهِمْ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ مِنْهُمْ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾

[آل عمران: ٧].

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ الْقُرْآنَ..

﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ﴾ مِنَ آيَاتِ الْقُرْآنِ..

﴿مُّحْكَمَٰتٌ﴾ قَدْ أُحْكِمْنَ بِالْبَيَانِ وَالتَّفْصِيلِ، وَأُثْبِتَتْ حُجَجُهُنَّ وَأَدِلَّتِهِنَّ عَلَىٰ مَا جُعِلْنَ أَدِلَّةً عَلَيْهِ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ، وَثَوَابٍ وَعِقَابٍ، وَأَمْرٍ وَزَجْرٍ، وَخَبَرٍ وَمَثَلٍ، وَعِظَةٍ وَعِبَرٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، ثُمَّ وَصَفَ جَلَّ ثناؤُهُ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ بِـأَنَّ..

﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أَصْلُ الْكِتَابِ الَّذِي فِيهِ عِمَادُ الدِّينِ وَالْفَرَائِضِ وَالْحُدُودِ، وَسَائِرِ مَا بِالْخَلْقِ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ، وَمَا كُلِّفُوا مِنَ الْفَرَائِضِ فِي عَاجِلِهِمْ وَآجِلِهِمْ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُنَّ

أُمَّ الْكِتَابِ، لِأَنَّهُنَّ مُعْظَمُ الْكِتَابِ، وَمَوْضِعُ مَفْزَعِ أَهْلِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ.. وَوَحَّدَ أُمَّ الْكِتَابِ، وَلَمْ يَجْمَعْ فَيَقُولُ: (هُنَّ أُمَّهَاتُ الْكِتَابِ)؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ جَمِيعَ الْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ أُمُّ الْكِتَابِ، لَا أَنَّ كُلَّ آيَةٍ مِنْهُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، وَلَوْ كَانَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ آيَةٍ مِنْهُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، لَكَانَ لَا شَكَّ قَدْ قِيلَ: (هُنَّ أُمَّهَاتُ الْكِتَابِ)، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] وَلَمْ يَقُلْ آيَتَيْنِ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ: وَجَعَلْنَا جَمِيعَهُمَا آيَةً؛ إِذْ كَانَ الْمَعْنَىٰ وَاحِدًا فِيمَا جَعَلَا فِيهِ لِلْخَلْقِ عِبْرَةً، وَلَوْ كَانَ مُرَادُهُ الْخَبَرَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ انْفِرَادِهِ، بِأَنَّهُ جُعِلَ لِلْخَلْقِ عِبْرَةً، لَقِيلَ: (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَتَيْنِ)؛ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لَهُمْ عِبْرَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ مَرْيَمَ وَلَدَتْ مِنْ غَيْرِ رَجُلٍ، وَنَطَقَ ابْنُهَا فَتَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، فَكَانَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلنَّاسِ آيَةٌ..

﴿وَأُخَرُ﴾ وَآيَاتٍ أُخَرَ.. جَمْعُ أُخْرَىٰ..

﴿مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ فِي التِّلَاوَةِ، مُخْتَلِفَاتٌ فِي الْمَعْنَىٰ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥] يَعْنِي فِي الْمَنْظَرِ مُخْتَلِفًا فِي الْمَطْعَمِ، وَكَمَا قَالَ مُخْبِرًا عَمَّنْ أَخْبَرَ عَنْهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ قَالَ: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٧٠] يَعْنُونَ بِذَلِكَ: تَشَابَهَ عَلَيْنَا فِي الصِّفَةِ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ أَنْوَاعُهُ..

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَيْلٌ عَنِ الْحَقِّ، وَانْحِرَافٌ عَنْهُ..

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ مَا تَشَابَهَتْ أَلْفَاظُهُ وَتَصَرَّفَتْ مَعَانِيهِ بِوُجُوهِ التَّأْوِيلَاتِ، لِيُحَقِّقُوا بِادِّعَائِهِمُ الْأَبَاطِيلَ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ فِي ذَلِكَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالزَّيْغِ عَنْ مَحَجَّةِ الْحَقِّ تَلْبِيسًا مِنْهُمْ بِذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ ضَعُفَتْ مَعْرِفَتُهُ بِوُجُوهِ تَأْوِيلِ ذَلِكَ وَتَصَارِيفِ مَعَانِيهِ..

﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ إِرَادَةُ الشُّبُهَاتِ وَاللَّبْسِ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَعَلَىٰ غَيْرِهِ، احْتِجَاجًا بِهِ عَلَىٰ بَاطِلِهِ الَّذِي مَالَ إِلَيْهِ قَلْبُهُ دُونَ الْحَقِّ الَّذِي أَبَانَهُ اللهُ فَأَوْضَحَهُ بِالْمُحْكَمَاتِ مِنْ آيِ كِتَابِهِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ وَإِنْ كَانَتْ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ، فَإِنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهَا كُلُّ مُبْتَدِعٍ فِي دِينِ اللهِ بِدْعَةً، فَمَالَ قَلْبُهُ إِلَيْهَا، تَأْوِيلًا مِنْهُ لِبَعْضِ مُتَشَابِهِ آيِ الْقُرْآنِ، ثُمَّ حَاجَّ بِهِ وَجَادَلَ بِهِ أَهْلَ الْحَقِّ، وَعَدَلَ عَنِ الْوَاضِحِ مِنْ أَدِلَّةِ آيِهِ الْمُحْكَمَاتِ، إِرَادَةً مِنْهُ بِذَلِكَ اللَّبْسَ عَلَىٰ أَهْلِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَطَلَبًا لِعِلْمِ تَأْوِيلِ مَا تَشَابَهَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ كَائِنًا مَنْ كَانَ، وَأَيُّ أَصْنَافِ الْبِدْعَةِ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ كَانَ أَوِ الْيَهُودِيَّةِ أَوِ الْمَجُوسِيَّةِ، أَوْ كَانَ سَبَئِيًّا، أَوْ حَرُورِيًّا، أَوْ قَدَرِيًّا، أَوْ جَهْمِيًّا، كَالَّذِي قَالَ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ بِهِ فَهُمُ الَّذِينَ عَنَىٰ اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»..

﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ هُوَ مَعْرِفَةُ انْقِضَاءِ مُدَّةِ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَمْرِ أُمَّتِهِ، وَوَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ..

وَذَلِكَ التَّأْوِيلَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ..

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وَمَا يَعْلَمُ وَقْتَ قِيَامِ السَّاعَةِ وَانْقِضَاءِ مُدَّةِ أُكُلِ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَّا اللهُ، دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنَ الْبَشَرِ الَّذِينَ أَمَّلُوا إِدْرَاكَ عِلْمِ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ الْحِسَابِ وَالتَّنْجِيمِ وَالْكَهَانَةِ..

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ قَدْ أَتْقَنُوا عِلْمَهُمْ وَوَعَوْهُ فَحَفِظُوهُ حِفْظًا، لَا يَدْخُلُهُمْ فِي مَعْرِفَتِهِمْ وَعِلْمِهِمْ بِمَا عَلِمُوهُ شَكٌّ وَلَا لَبْسٌ، فَـ..

﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ آمَنَّا بِالْمُتَشَابِهِ، وَصَدَّقْنَا أَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ.. وَلَكِنَّ فَضْلَ عِلْمِهِمْ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ غَيْرِهِمُ الْعِلْمُ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَالِمُ بِذَلِكَ دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ كُلُّ الْمُحْكَمِ مِنَ الْكِتَابِ وَالْمُتَشَابِهِ مِنْهُ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وَهُوَ تَنْزِيلُهُ وَوَحْيُهُ إِلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ وَمَا يَتَذَكَّرُ وَيَتَّعِظُ وَيَنْزَجِرُ عَنْ أَنْ يَقُولَ فِي مُتَشَابِهِ آيِ كِتَابِ اللهِ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ..

﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران: ٧] إِلَّا أُولُو الْعُقُولِ وَالنُّهَىٰ.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران: ٨].

﴿رَبَّنَا﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثناؤُهُ: أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ: آمَنَّا بِمَا تَشَابَهَ مِنْ آيِ كِتَابِ اللهِ، وَأَنَّهُ وَالْمُحْكَمُ مِنْ آيِهِ مِنْ تَنْزِيلِ رَبِّنَا وَوَحْيِهِ، وَيَقُولُونَ أَيْضًا رَغْبَةً مِنْهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ، فِي أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُمْ مَا ابْتَلَىٰ بِهِ الَّذِينَ زَاغَتْ قُلُوبُهُمْ مِنَ اتِّبَاعِ مُتَشَابِهِ آيِ الْقُرْآنِ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُ اللهِ، يَا رَبَّنَا..

﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ لَا تُمِلْهَا فَتَصْرِفَهَا عَنْ هُدَاكَ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِثْلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ زَاغَتْ قُلُوبُهُمْ عَنِ الْحَقِّ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِكَ..

﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ فَوَفَّقْتَنَا لِلْإِيمَانِ بِمُحْكَمِ كِتَابِكَ وَمُتَشَابِهِهِ..

﴿وَهَبْ لَنَا﴾ يَا رَبَّنَا..

﴿مِن لَّدُنكَ﴾ مِنْ عِنْدِكَ..

﴿رَحْمَةً﴾ تَوْفِيقًا وَثَبَاتًا لِلَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، مِنَ الْإِقْرَارِ بِمُحْكَمِ كِتَابِكَ وَمُتَشَابِهِهِ..

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران: ٨] إِنَّكَ أَنْتَ الْمُعْطِي عِبَادَكَ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ لِلثَّبَاتِ عَلَىٰ

دِينِكَ وَتَصْدِيقِ كِتَابِكَ وَرُسُلِكَ.. وَفِي مَدْحِ اللهِ جَلَّ ثناؤُهُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ بِمَا مَدَحَهُمْ بِهِ مِنْ رَغْبَتِهِمْ إِلَيْهِ فِي أَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَهُمْ، وَأَنْ يُعْطِيَهُمْ رَحْمَةً مِنْهُ، مَعُونَةً لَهُمْ لِلثَّبَاتِ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ الْبَصِيرَةِ بِالْحَقِّ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ، مَا أَبَانَ عَنْ خَطَإِ قَوْلِ الْجَهَلَةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ أَنَّ إِزَاغَةَ اللهِ قَلْبَ مَنْ أَزَاغَ قَلْبَهُ مِنْ عِبَادِهِ عَنْ طَاعَتِهِ، وَإِمَالَتَهُ لَهُ عَنْهَا جَوْرٌ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَمَا قَالُوا لَكَانَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ بِالذَّمِّ أَوْلَىٰ مِنْهُمْ بِالْمَدْحِ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ لَوْ كَانَ كَمَا قَالُوا، لَكَانَ الْقَوْمُ إِنَّمَا سَأَلُوا رَبَّهُمْ مَسْأَلَتَهُمْ إِيَّاهُ (**أَنْ لَا يَزِيغَ قُلُوبَهُمْ**) أَنْ لَا يَظْلِمَهُمْ وَلَا يَجُورَ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ مِنَ السَّائِلِ جَهْلٌ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثناؤُهُ لَا يَظْلِمُ عِبَادَهُ وَلَا يَجُورُ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ أَعْلَمَ عِبَادَهُ ذَلِكَ، وَنَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت: ٤٦]، وَفِي فَسَادِ مَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ عَلَىٰ أَنَّ عَدْلًا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِزَاغَةُ مَنْ أَزَاغَ قَلْبَهُ مِنْ عِبَادِهِ عَنْ طَاعَتِهِ، فَلِذَلِكَ اسْتَحَقَّ الْمَدْحَ مَنْ رَغِبَ إِلَيْهِ فِي أَنْ لَا يُزِيغَهُ؛ لِتَوْجِيهِهِ الرَّغْبَةَ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَوَضْعِهِ مَسْأَلَتَهُ مَوْضِعَهَا، مَعَ تَظَاهُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِرَغْبَتِهِ إِلَىٰ رَبِّهِ فِي ذَلِكَ مَعَ مَحَلِّهِ مِنْهُ، وَكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ، يَقُولُ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُ كَيْفَ يَشَاءُ**» ثُمَّ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا إِلَىٰ طَاعَتِكَ**».

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾ [آل عمران: ٩].

﴿رَبَّنَآ﴾ يَقُولُونَ أَيْضًا مَعَ قَوْلِهِمْ: آمَنَّا بِمَا تَشَابَهَ مِنْ آيِ كِتَابِ رَبِّنَا، كُلُّ الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ الَّذِي فِيهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، يَا رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، رَبَّنَا..

﴿إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ﴾ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا شَكَّ فِيهِ، فَاغْفِرْ لَنَا يَوْمَئِذٍ، وَاعْفُ عَنَّا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾ [آل عمران: ٩] فَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ وَعْدَكَ أَنَّ مَنْ آمَنَ بِكَ وَاتَّبَعَ رَسُولَكَ، وَعَمِلَ بِالَّذِي أَمَرْتَهُ بِهِ فِي كِتَابِكَ أَنَّكَ غَافِرُهُ يَوْمَئِذٍ، وَإِنَّمَا هَذَا مِنَ الْقَوْمِ مَسْأَلَةٌ رَبَّهُمْ أَنْ يُثَبِّتَهُمْ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ بَصِيرَتِهِمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ تَنْزِيلِهِ، حَتَّىٰ يَقْبِضَهُمْ عَلَىٰ أَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ وَجَبَتْ لَهُمُ الْجَنَّةُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ وَعَدَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ مِنْ عِبَادِهِ أَنَّهُ يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، فَالْآيَةُ وَإِنْ كَانَتْ قَدْ خَرَجَتْ مَخْرَجَ الْخَبَرِ، فَإِنَّ تَأْوِيلَهَا مِنَ الْقَوْمِ مَسْأَلَةٌ وَدُعَاءٌ وَرَغْبَةٌ إِلَىٰ رَبِّهِمْ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠﴾ [آل عمران: ١٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا الْحَقَّ الَّذِي قَدْ عَرَفُوهُ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمُنَافِقِيهِمْ، وَمُنَافِقِي الْعَرَبِ وَكُفَّارِهِمُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ، فَهُمْ يَتَّبِعُونَ مِنْ كِتَابِ اللهِ الْمُتَشَابِهَ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ..

﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ﴾ لَنْ تُنْجِيَهُمْ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ إِنْ أَحَلَّهَا بِهِمْ عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ بِالْحَقِّ بَعْدَ تَبَيُّنِهِمْ، وَاتِّبَاعِهِمُ الْمُتَشَابِهَ طَلَبَ اللَّبْسِ فَتَدْفَعَهَا عَنْهُمْ، وَلَا يُغْنِي ذَٰلِكَ عَنْهُمْ مِنْهَا شَيْئًا..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠﴾ [آل عمران: ١٠] يَعْنِي بِذَلِكَ حَطَبَهَا.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ١١﴾ [آل عمران: ١١].

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا عِنْدَ حُلُولِ عُقُوبَتِنَا بِهِمْ، كَسُنَّةِ آلِ فِرْعَوْنَ وَعَادَتِهِمْ.. وَأَصْلُ الدَّأْبِ مِنْ دَأَبْتَ فِي الْأَمْرِ دَأْبًا، إِذَا أَدْمَنْتُ الْعَمَلَ وَالتَّعَبَ فِيهِ، ثُمَّ إِنَّ الْعَرَبَ نَقَلَتْ مَعْنَاهُ إِلَىٰ الشَّأْنِ وَالْأَمْرِ وَالْعَادَةِ..

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ عُوجِلُوا بِالْعُقُوبَةِ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ رَبَّهُمْ مِنْ قَبْلِ آلِ فِرْعَوْنَ، مِنْ قَوْمِ نُوحٍ وَقَوْمِ هُودٍ وَقَوْمِ لُوطٍ وَأَمْثَالِهِمْ..

﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ﴾ فَأَخَذْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ حِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، فَلَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا حِينَ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا..

﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ١١﴾ [آل عمران: ١١] لِمَنْ كَفَرَ بِهِ وَكَذَّبَ رُسُلَهُ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ١٢﴾ [آل عمران: ١٢].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْ آيِ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ..

﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ وَتُجْمَعُونَ فَتُجْلَبُونَ..

﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ⑫﴾ [آل عمران: ١٢] وَبِئْسَ الْفِرَاشُ جَهَنَّمُ الَّتِي تُحْشَرُونَ إِلَيْهَا.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ⑬﴾ [آل عمران: ١٣].

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ بَلَدِكَ: قَدْ كَانَ لَكُمْ..

﴿ءَايَةٌ﴾ عَلَامَةٌ، وَدَلَالَةٌ، وَعِبْرَةٌ، وَتَفَكُّرٌ عَلَىٰ صِدْقِ مَا أَقُولُ: أَنَّكُمْ سَتُغْلَبُونَ..

﴿فِي فِئَتَيْنِ﴾ فِرْقَتَيْنِ وَحِزْبَيْنِ.. وَالْفِئَةُ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ..

﴿الْتَقَتَا﴾ لِلْحَرْبِ، وَإِحْدَىٰ الْفِئَتَيْنِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِمَّنْ شَهِدَ وَقْعَةَ بَدْرٍ، وَالْأُخْرَىٰ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ..

﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جَمَاعَةٌ تُقَاتِلُ فِي طَاعَةِ اللهِ وَعَلَىٰ دِينِهِ، وَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ..

﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ وَهُمْ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ..

﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ يَرَاهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِثْلَيْهِمْ، يَعْنِي مِثْلَيْ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ لِتَقْلِيلِ اللهِ إِيَّاهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ فِي حَالٍ، فَكَانَ حَزْرُهُمْ إِيَّاهُمْ كَذَلِكَ، ثُمَّ قَلَّلَهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ عَنِ التَّقْلِيلِ الْأَوَّلِ، فَحَزَرُوهُمْ مِثْلَ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ تَقْلِيلًا ثَالِثًا، فَحَزَرُوهُمْ أَقَلَّ مِنْ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ..

﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَاءُ﴾ يُقَوِّي الْمُسْلِمَةَ وَهُمْ قَلِيلٌ عَدَدُهُمْ، عَلَىٰ الْكَافِرَةِ وَهُمْ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ حَتَّىٰ ظَفِرُوا بِهِمْ.. مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: قَدْ أَيَّدْتُ فُلَانًا بِكَذَا: إِذَا قَوَّيْتُهُ وَأَعَنْتُهُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، يَعْنِي: ذَا الْقُوَّةِ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِيمَا فَعَلْنَا بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْنَا أَمْرَهُمْ مِنْ تَأْيِيدِنَا الْفِئَةَ الْمُسْلِمَةَ مَعَ قِلَّةِ عَدَدِهِمْ، عَلَىٰ الْفِئَةِ الْكَافِرَةِ مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِهَا..

﴿لَعِبْرَةً﴾ لَمُتَفَكَّرًا وَمُتَّعَظًا..

﴿لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ⑬﴾ [آل عمران: ١٣] لِمَنْ عَقَلَ وَادَّكَرَ فَأَبْصَرَ الْحَقَّ.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ۝١٤﴾ [آل عمران: ١٤].

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ مَحَبَّةُ مَا يَشْتَهُونَ..

﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾ جَمْعُ الْقِنْطَارِ.. وهُوَ الْمَالُ الْكَثِيرُ.. وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ أَنَّ الْعَرَبَ لَا تُحِدُّ الْقِنْطَارَ بِمِقْدَارٍ مَعْلُومٍ مِنَ الْوَزْنِ، وَلَكِنَّهَا تَقُولُ: هُوَ قَدْرٌ وَوَزْنٌ، وَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ مَحْدُودًا قَدْرُهُ عِنْدَهَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ مُتَقَدِّمِي أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِيهِ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ..

﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ الْمُضَعَّفَةُ، وَكَأَنَّ الْقَنَاطِيرَ ثَلَاثَةٌ وَالْمُقَنْطَرَةُ تِسْعَةٌ، وَهُوَ الْمَالُ الْكَثِيرُ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ الْمُقَنْطَرَةِ: الْمَضْرُوبَةُ..

﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ دَرَاهِمَ أَوْ دَنَانِيرَ..

﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ الْمُعَلَّمَةُ بِالشِّيَاتِ، الْحِسَانُ الرَّائِعَةُ حُسْنًا مَنْ رَآهَا؛ لِأَنَّ التَّسْوِيمَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ الْإِعْلَامُ فَالْخَيْلُ الْحِسَانُ مُعَلَّمَةٌ بِإِعْلَامِ إِيَّاهَا بِالْحَسَنِ مِنْ أَلْوَانِهَا وَشِيَاتِهَا وَهَيْئَاتِهَا، وَهِيَ الْمُطَهَّمَةُ..

﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ جَمْعُ نَعَمٍ: وَهِيَ الْأَزْوَاجُ الثَّمَانِيَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ مِنَ الضَّأْنِ وَالْمَعْزِ وَالْبَقَرِ وَالْإِبِلِ..

﴿وَٱلْحَرْثِ﴾ وَالزَّرْعُ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ جَمِيعُ مَا ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ، وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ، وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ، فَكَنَّىٰ بِقَوْلِهِ ذَلِكَ عَنْ جَمِيعِهِنَّ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ يَشْتَمِلُ عَلَىٰ الْأَشْيَاءِ الْكَثِيرَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْمَعَانِي، وَيُكَنَّىٰ بِهِ عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ..

﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مِمَّا يَسْتَمْتِعُ بِهِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُهَا أَحْيَاءً، فَيَتَبَلَّغُونَ بِهِ فِيهَا، وَيَجْعَلُونَهُ وَصِلَةً فِي مَعَايِشِهِمْ، وَسَبَبًا لِقَضَاءِ شَهَوَاتِهِمُ الَّتِي زُيِّنَ لَهُمْ حُبُّهَا فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُمْ، دُونَ أَنْ يَكُونَ عُدَّةً لِمَعَادِهِمْ وَقُرْبَةً لَهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ، إِلَّا مَا أَسْلَكَ فِي سَبِيلِهِ وَأَنْفَقَ مِنْهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ.. وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ تَوْبِيخَ الْيَهُودِ الَّذِينَ آثَرُوا الدُّنْيَا وَحُبَّ الرِّيَاسَةِ فِيهَا عَلَىٰ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِصِدْقِهِ.. وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: «مَنْ زَيَّنَهَا؟ مَا أَحَدٌ أَشَدَّ لَهَا ذَمًّا مِنْ خَالِقِهَا»..

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ [آل عمران: ١٤] وَعِنْدَ اللهِ حُسْنُ الْمَرْجِعِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ وَقَدْ عَلِمْتَ مَا عِنْدَهُ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَلِيمِ الْعَذَابِ وَشَدِيدِ الْعِقَابِ؟! قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ مَعْنًى بِهِ خَاصٌّ مِنَ النَّاسِ، وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ، وَقَدْ أَنْبَأْنَا عَنْ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي تَلِيهَا، فَإِنْ قَالَ: وَمَا حُسْنُ الْمَآبِ؟ قِيلَ: هُوَ مَا وَصَفَهُ بِهِ جَلَّ ثناؤُهُ، وَهُوَ الْمَرْجِعُ إِلَىٰ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، مُخَلَّدًا فِيهَا، وَإِلَىٰ أَزْوَاجٍ مُطَهَّرَةٍ، وَرِضْوَانٍ مِنَ اللهِ.

﴿۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾ [آل عمران: ١٥].

﴿۞ قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ، لِلنَّاسِ الَّذِينَ زُيِّنَ لَهُمْ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ، وَسَائِرِ مَا ذَكَرَ جَلَّ ثناؤُهُ..

﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾ أَأُخْبِرُكُمْ وَأُعْلِمُكُمْ..

﴿بِخَيۡرٖ﴾ بِأَفْضَلَ لَكُمْ..

﴿مِّن ذَٰلِكُمۡۖ﴾ مِمَّا زُيِّنَ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا حُبُّ شَهْوَتِهِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَأَنْوَاعِ الْأَمْوَالِ الَّتِي هِيَ مَتَاعُ الدُّنْيَا..

﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ لِلَّذِينَ خَافُوا اللهَ فَأَطَاعُوهُ، بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَالْجَنَّاتُ: الْبَسَاتِينُ..

﴿جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ مِنْ تَحْتِ الْأَشْجَارِ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ الْخُلُودُ فِيهَا دَوَامُ الْبَقَاءِ فِيهَا..

﴿وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ﴾ هُنَّ نِسَاءُ الْجَنَّةِ اللَّوَاتِي طُهِّرْنَ مِنْ كُلِّ أَذًى يَكُونُ بِنِسَاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنَ الْحَيْضِ وَالْمَنِيِّ وَالْبَوْلِ وَالنِّفَاسِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَذَىٰ..

﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ وَرِضَا اللهِ.. وَإِنَّمَا ذَكَرَ اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ فِيمَا ذَكَرَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ رِضْوَانَهُ؛ لِأَنَّ رِضْوَانَهُ أَعْلَىٰ مَنَازِلِ كَرَامَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ..

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾ [آل عمران: ١٥] وَاللهُ ذُو بَصَرٍ بِالَّذِي يَتَّقِيهِ مِنْ عِبَادِهِ، فَيَخَافُهُ فَيُطِيعُهُ، وَيُؤْثِرُ مَا عِنْدَهُ مِمَّا ذَكَرَ أَنَّهُ أَعَدَّهُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْهُ عَلَىٰ حُبِّ مَا زُيِّنَ لَهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَسَائِرِ مَا عَدَّدَ مِنْهَا تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَبِالَّذِي لَا يَتَّقِيهِ فَيَخَافُهُ، وَلَكِنَّهُ يَعْصِيهِ، وَيُطِيعُ الشَّيْطَانَ، وَيُؤْثِرُ مَا زُيِّنَ لَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ حُبِّ شَهْوَةِ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْأَمْوَالِ، عَلَىٰ مَا

عِنْدَهُ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، عَالِمٌ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ كُلَّهُمْ عِنْدَ مَعَادِهِمْ إِلَيْهِ جَزَاءَهُمْ، الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦﴾ [آل عمران: ١٦].

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ إِنَّنَا صَدَّقْنَا بِكَ وَبِنَبِيِّكَ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِكَ..

﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ فَاسْتُرْ عَلَيْنَا بِعَفْوِكَ عَنْهَا وَتَرْكِكَ عُقُوبَتَنَا عَلَيْهَا..

﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦﴾ [آل عمران: ١٦] ادْفَعْ عَنَّا عَذَابَكَ إِيَّانَا بِالنَّارِ أَنْ تُعَذِّبَنَا بِهَا، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَا تُعَذِّبْنَا يَا رَبَّنَا بِالنَّارِ.. وَإِنَّمَا خَصُّوا الْمَسْأَلَةَ بِأَنْ يَقِيَهُمْ عَذَابَ النَّارِ؛ لِأَنَّ مَنْ زُحْزِحَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّارِ فَقَدْ فَازَ بِالنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَحُسْنِ مَآبِهِ.

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ١٧﴾ [آل عمران: ١٧].

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ..

﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ الَّذِينَ صَدَقُوا اللهَ فِي قَوْلِهِمْ بِتَحْقِيقِهِمُ الْإِقْرَارَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ بِالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ..

﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ الْمُطِيعِينَ لَهُ..

﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ فَهُمُ الْمُؤْتُونَ زَكَوَاتِ أَمْوَالِهِمْ، وَوَاضِعُوهَا عَلَىٰ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِإِتْيَانِهَا، وَالْمُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي الْوُجُوهِ الَّتِي أَذِنَ اللهُ لَهُمْ جَلَّ ثناؤُهُ بِإِنْفَاقِهَا فِيهَا..

﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ هُمُ السَّائِلُونَ رَبَّهُمْ أَنْ يَسْتُرَ عَلَيْهِمْ فَضِيحَتَهُمْ بِهَا..

﴿بِٱلْأَسْحَارِ ١٧﴾ [آل عمران: ١٧] جَمْعُ سَحَرٍ.. وَأَظْهَرُ مَعَانِي ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ مَسْأَلَتُهُمْ إِيَّاهُ بِالدُّعَاءِ.. وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ تَعَرُّضَهُمْ لِمَغْفِرَتِهِ بِالْعَمَلِ وَالصَّلَاةِ، غَيْرَ أَنَّ أَظْهَرَ مَعَانِيهِ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الدُّعَاءِ.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران: ١٨].

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ عَنَىٰ جَلَّ ثناؤُهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ نَفْيَ مَا أَضَافَتِ النَّصَارَىٰ الَّذِينَ حَاجُّوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي عِيسَىٰ مِنَ الْبُنُوَّةِ، وَمَا نَسَبَ إِلَيْهِ سَائِرُ أَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ أَنَّ لَهُ شَرِيكًا،

وَاتِّخَاذِهِمْ دُونَهُ أَرْبَابًا، فَأَخْبَرَهُمُ اللهُ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ الْخَالِقُ كُلَّ مَا سِوَاهُ، وَأَنَّهُ رَبُّ كُلِّ مَا اتَّخَذَهُ كُلُّ كَافِرٍ وَكُلُّ مُشْرِكٍ رَبًّا دُونَهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَشْهَدُ بِهِ هُوَ..

﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ وَمَلَائِكَتُهُ وَأَهْلُ الْعِلْمِ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ، فَبَدَأَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِنَفْسِهِ تَعْظِيمًا لِنَفْسِهِ، وَتَنْزِيهًا لَهَا عَمَّا نَسَبَ الَّذِينَ ذَكَرْنَا أَمْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ مَا نَسَبُوا إِلَيْهَا، كَمَا سَنَّ لِعِبَادِهِ أَنْ يَبْدَءُوا فِي أُمُورِهِمْ بِذِكْرِهِ قَبْلَ ذِكْرِ غَيْرِهِ، مُؤَدِّبًا خَلْقَهُ بِذَلِكَ.. وَالْمُرَادُ مِنَ الْكَلَامِ الْخَبَرُ عَنْ شَهَادَةِ مَنِ ارْتَضَاهُمْ مِنْ خَلْقِهِ فَقَدَّمُوهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَعُلَمَاءِ عِبَادِهِ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ مَلَائِكَتَهُ - الَّتِي يُعَظِّمُهَا الْعَابِدُونَ غَيْرَهُ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ ويعْبُدُهَا الْكَثِيرُ مِنْهُمْ - وَأَهْلُ الْعِلْمِ مِنْهُمْ مُنْكِرُونَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ كُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ فِي عِيسَىٰ وَقَوْلِ مَنِ اتَّخَذَ رَبًّا غَيْرَهُ مِنْ سَائِرِ الْخَلْقِ، فَقَالَ: شَهِدَتِ الْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ كُلَّ مَنِ اتَّخَذَ رَبًّا دُونَ اللهِ فَهُوَ كَاذِبٌ؛ احْتِجَاجًا مِنْهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ الَّذِينَ حَاجُّوهُ فِي عِيسَىٰ، وَاعْتَرَضَ بِذِكْرِ اللهِ وَصِفَتِهِ عَلَىٰ مَا بُيِّنَتْهُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١]، افْتِتَاحًا بِاسْمِهِ الْكَلَامَ، فَكَذَلِكَ افْتَتَحَ بِاسْمِهِ وَالثناءِ عَلَىٰ نَفْسِهِ الشَّهَادَةَ بِمَا وَصَفْنَا مِنْ نَفْيِ الْأُلُوهَةِ مِنْ غَيْرِهِ وَتَكْذِيبِ أَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ..

﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ﴾ الَّذِي يَلِي الْعَدْلَ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَالْقِسْطُ هُوَ الْعَدْلُ..

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ نَفَىٰ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ يَسْتَحِقُّ الْعُبُودَةَ غَيْرُ الْوَاحِدِ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ..

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الَّذِي لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَلَا يَنْتَصِرُ مِنْهُ أَحَدٌ عَاقَبَهُ أَوِ انْتَقَمَ مِنْهُ..

﴿ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران: ١٨] فِي تَدْبِيرِهِ، فَلَا يَدْخُلُهُ خَلَلٌ.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ١٩﴾ [آل عمران: ١٩].

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ إِنَّ الطَّاعَةَ وَالذِّلَّةَ لِلَّهِ، وَإِقْرَارَ الْأَلْسُنِ وَالْقُلُوبِ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالذِّلَّةِ وَانْقِيَادِهَا لَهُ بِالطَّاعَةِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ، وَتَذَلُّلَهَا لَهُ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ اسْتِكْبَارٍ عَلَيْهِ وَلَا انْحِرَافٍ عَنْهُ، دُونَ إِشْرَاكِ غَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ مَعَهُ فِي الْعُبُودِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ..

﴿ٱلْإِسْلَـٰمُۗ﴾ وَهُوَ الِانْقِيَادُ بِالتَّذَلُّلِ وَالْخُشُوعِ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ أَسْلَمَ، بِمَعْنَىٰ: دَخَلَ فِي السِّلْمِ، كَمَا يُقَالُ: أَقْحَطَ الْقَوْمُ: إِذَا دَخَلُوا فِي الْقَحْطِ، وَأَرْبَعُوا: إِذَا دَخَلُوا فِي الرَّبِيعِ، فَكَذَلِكَ أَسْلَمُوا: إِذَا دَخَلُوا فِي السِّلْمِ، وَهُوَ الِانْقِيَادُ بِالْخُضُوعِ وَتَرْكُ الْمُمَانَعَةِ..

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْإِنْجِيلَ، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فِي أَمْرِ عِيسَىٰ، وَافْتِرَائِهِمْ عَلَىٰ اللهِ فِيمَا قَالُوهُ فِيهِ مِنَ الْأَقْوَالِ الَّتِي كَثُرَ بِهَا اخْتِلَافُهُمْ بَيْنَهُمْ وَتَشَتَّتَ بِهَا كَلِمَتُهُمْ، وَبَايَنَ بِهَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّىٰ اسْتَحَلَّ بِهَا بَعْضُهُمْ دِمَاءَ بَعْضٍ..

﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا عَلِمُوا الْحَقَّ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُمْ فِيمَا يَقُولُونَ فِيهِ مِنْ عَظِيمِ الْفِرْيَةِ مُبْطِلُونَ، فَأَخْبَرَ اللهُ عِبَادَهُ أَنَّهُمْ أَتَوْا مَا أَتَوْا مِنَ الْبَاطِلِ وَقَالُوا مَا قَالُوا مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي هُوَ كُفْرٌ بِاللهِ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِخَطَإٍ مَا قَالُوهُ..

﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾ بَغْيًا عَلَىٰ الدُّنْيَا وَطَلَبَ مُلْكِهَا وَسُلْطَانِهَا، فَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَىٰ الدُّنْيَا، مِنْ بَعْدِ مَا كَانُوا عُلَمَاءَ النَّاسِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا ذَلِكَ جَهْلًا مِنْهُمْ بِخَطَئِهِ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوهُ وَاخْتَلَفُوا فِيهِ الِاخْتِلَافَ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، تَعَدِّيًا مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَطَلَبَ الرِّيَاسَاتِ وَالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ..

﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وَمَنْ يَجْحَدْ حُجَجَ اللهِ وَأَعْلَامَهُ الَّتِي نَصَبَهَا ذِكْرَىٰ لِمَنْ عَقَلَ، وَأَدِلَّةً لِمَنِ اعْتَبَرَ وَتَذَكَّرَ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩﴾ [آل عمران: ١٩] فَإِنَّ اللهَ مُحْصٍ عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ الَّتِي كَانَ يَعْمَلُهَا فِي الدُّنْيَا، فَمُجَازِيهِ بِهَا فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ جَلَّ ثناؤُهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ، يَعْنِي سَرِيعَ الْإِحْصَاءِ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّهُ حَافِظٌ عَلَىٰ كُلِّ عَامِلٍ عَمَلَهُ، لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَىٰ عَقْدٍ، كَمَا يَعْقِدُهُ خَلْقُهُ بِأَكُفِّهِمْ، أَوْ يَعُونَهُ بِقُلُوبِهِمْ، وَلَكِنَّهُ يَحْفَظُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ كُلْفَةٍ وَلَا مُؤُونَةٍ، وَلَا مُعَانَاةٍ لِمَا يُعَانِيهِ غَيْرُهُ مِنَ الْحِسَابِ.

﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠﴾

[آل عمران: ٢٠].

﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ﴾ فَإِنْ حَاجَّكَ يَا مُحَمَّدُ النَّفَرُ مِنْ نَصَارَىٰ فِي أَمْرِ عِيسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، فَخَاصَمُوكَ فِيهِ بِالْبَاطِلِ..

﴿فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ﴾ فَقُلْ: انْقَدْتُ لِلَّهِ وَحْدَهُ بِلِسَانِي وَقَلْبِي وَجَمِيعِ جَوَارِحِي، وَإِنَّمَا خَصَّ جَلَّ ذِكْرُهُ بِأَمْرِهِ بِأَنْ يَقُولَ: أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ، لِأَنَّ الْوَجْهَ أَكْرَمُ جَوَارِحِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ بَهَاؤُهُ وَتَعْظِيمُهُ فَإِذَا خَضَعَ وَجْهُهُ لِشَيْءٍ، فَقَدْ خَضَعَ لَهُ الَّذِي هُوَ دُونَهُ فِي الْكَرَامَةِ عَلَيْهِ مِنْ جَوَارِحِ بَدَنِهِ..

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾ وَأَسْلَمَ مَنِ اتَّبَعَنِي أَيْضًا وَجْهَهُ لِلَّهِ مَعِي..

﴿وَقُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ الَّذِينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ..

﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ هَلْ أَفْرَدْتُمُ التَّوْحِيدَ، وَأَخْلَصْتُمُ الْعِبَادَةَ وَالْأُلُوهَةَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ دُونَ سَائِرِ الْأَنْدَادِ وَالْأَشْرَاكِ الَّتِي تُشْرِكُونَهَا مَعَهُ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَإِقْرَارِكُمْ بِرُبُوبِيَّتِهِمْ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا رَبَّ غَيْرُهُ، وَلَا إِلَهَ سِوَاهُ..

﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا۟﴾ فَإِنِ انْقَادُوا لِإِفْرَادِ الْوَحْدَانِيَّةِ لِلَّهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ وَالْأُلُوهَةِ لَهُ..

﴿فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ فَقَدْ أَصَابُوا سَبِيلَ الْحَقِّ، وَسَلَكُوا مَحَجَّةَ الرُّشْدِ..

﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ وَإِنْ أَدْبَرُوا مُعْرِضِينَ عَمَّا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَإِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ..

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ﴾ فَإِنَّمَا أَنْتَ رَسُولٌ مُبَلِّغٌ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ غَيْرُ إِبْلَاغِ الرِّسَالَةِ إِلَىٰ مَنْ أَرْسَلْتُكَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِي، وَأَدَاءُ مَا كَلَّفْتُكَ مِنْ طَاعَتِي..

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠﴾ [آل عمران: ٢٠] وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِمَنْ يَقْبَلُ مِنْ عِبَادِهِ مَا أَرْسَلْتُكَ بِهِ إِلَيْهِ، فَيُطِيعُكَ بِالْإِسْلَامِ، وَبِمَنْ يَتَوَلَّىٰ مِنْهُمْ عَنْهُ مُعْرِضًا، فَيَرُدُّ عَلَيْكَ مَا أَرْسَلْتُكَ بِهِ إِلَيْهِ فَيَعْصِيكَ بِإِبَائِهِ الْإِسْلَامَ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢١﴾ [آل عمران: ٢١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ يَجْحَدُونَ حُجَجَ اللهِ وَأَعْلَامَهُ، فَيُكَذِّبُونَ بِهَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتُلُونَ رُسُلَ اللهِ الَّذِينَ كَانُوا يُرْسَلُونَ إِلَيْهِمْ بِالنَّهْيِ عَمَّا يَأْتُونَ مِنْ مَعَاصِي اللهِ، وَرُكُوبِ مَا كَانُوا يَرْكَبُونَهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي قَدْ تَقَدَّمَ اللهُ إِلَيْهِمْ فِي كُتُبِهِمْ بِالزَّجْرِ عَنْهَا، نَحْوَ زَكَرِيَّا وَابْنِهِ يَحْيَىٰ وَمَا أَشْبَهَهُمَا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ..

﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وَيَقْتُلُونَ آمِرِيهِمْ بِالْعَدْلِ فِي أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، الَّذِينَ يَنْهَوْنَهُمْ عَنْ قَتْلِ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُكُوبِ مَعَاصِيهِ..

﴿فَبَشِّرْهُم﴾ فَأَخْبِرْهُمْ يَا مُحَمَّدُ، وَأَعْلِمْهُمْ..

﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝﴾ [آل عمران: ٢١] أَنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ عَذَابًا مُؤْلِمًا لَهُمْ، وَهُوَ الْمُوجِعُ.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ۝﴾

[آل عمران: ٢٢].

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ﴾ ذَكَرْنَاهُمْ..

﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بَطَلَتْ أَعْمَالُهُمْ..

﴿فِي الدُّنْيَا﴾ فَلَمْ يَنَالُوا بِهَا مَحْمَدَةً وَلَا ثَنَاءً مِنَ النَّاسِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ ضَلَالٍ وَبَاطِلٍ، وَلَمْ يَرْفَعِ اللهُ لَهُمْ بِهَا ذِكْرًا، بَلْ لَعَنَهُمْ وَهَتَكَ أَسْتَارَهُمْ، وَأَبْدَىٰ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبَائِحِ أَعْمَالِهِمْ عَلَىٰ أَلْسُنِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ فِي كُتُبِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَيْهِمْ، فَأَبْقَىٰ لَهُمْ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا مَذَمَّةً، فَذَلِكَ حُبُوطُهَا فِي الدُّنْيَا..

﴿وَالْآخِرَةِ﴾ وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْعِقَابِ مَا وَصَفَ فِي كِتَابِهِ، وَأَعْلَمَ عِبَادَهُ أَنَّ أَعْمَالَهُمْ تَصِيرُ بُورًا لَا ثَوَابَ لَهَا؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ كُفْرًا بِاللهِ، فَجَزَاءُ أَهْلِهَا الْخُلُودُ فِي الْجَحِيمِ..

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ۝﴾ [آل عمران: ٢٢] وَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللهِ، إِذَا هُوَ انْتَقَمَ مِنْهُمْ بِمَا سَلَفَ مِنْ إِجْرَامِهِمْ وَاجْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ، فَيَسْتَنْقِذُهُمْ مِنْهُ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۝﴾ [آل عمران: ٢٣].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ الَّذِينَ أُعْطُوا حَظًّا مِنَ الْكِتَابِ..

﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ أَخْبَرَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي عَهْدِهِ، مِمَّنْ قَدْ أُوتِيَ عِلْمًا بِالتَّوْرَاةِ، أَنَّهُمْ دُعُوا إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ الَّذِي كَانُوا يُقِرُّونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَهُوَ التَّوْرَاةُ، فِي بَعْضِ مَا تَنَازَعُوا فِيهِ هُمْ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ.. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَنَازُعُهُمُ الَّذِي كَانُوا تَنَازَعُوا فِيهِ ثُمَّ دُعُوا إِلَىٰ حُكْمِ التَّوْرَاةِ فِيهِ فَامْتَنَعُوا مِنَ الْإِجَابَةِ إِلَيْهِ كَانَ أَمْرَ مُحَمَّدٍ وَأَمْرَ نُبُوَّتِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَانَ أَمْرَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ وَدِينِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَا دُعُوا إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْإِسْلَامِ وَالْإِقْرَارِ بِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَانَ فِي حَدٍّ، فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِمَّا قَدْ كَانُوا نَازَعُوا فِيهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَدَعَاهُمْ فِيهِ إِلَىٰ حُكْمِ

التَّوْرَاةِ، فَأَبَىٰ الْإِجَابَةَ فِيهِ وَكَتَمَهُ بَعْضُهُمْ، وَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَىٰ مَعْرِفَةِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَىٰ الَّذِي دُعُوا إِلَيْهِ هُوَ مِمَّا كَانَ فَرْضًا عَلَيْهِمُ الْإِجَابَةُ إِلَيْهِ فِي دِينِهِمْ، فَامْتَنَعُوا مِنْهُ، فَأَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ عَنْهُمْ بِرِدَّتِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ بِمَا فِي كِتَابِهِمْ وَجُحُودِهِمْ، مَا قَدْ أَخَذَ عَلَيْهِمْ عُهُودَهُمْ وَمَوَاثِيقَهُمْ بِإِقَامَتِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ، فَلَنْ يَعْدُوا أَنْ يَكُونُوا فِي تَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِثْلَهُمْ فِي تَكْذِيبِهِمْ مُوسَىٰ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَهُمْ يَتَوَلَّوْنَهُ وَيُقِرُّونَ بِهِ..

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٣﴾ [آل عمران: ٢٣] ثُمَّ يَسْتَدْبِرُ عَنْ كِتَابِ اللهِ الَّذِي دَعَا إِلَىٰ حُكْمِهِ مُعْرِضًا عَنْهُ مُنْصَرِفًا، وَهُوَ بِحَقِيقَتِهِ وَحُجَّتِهِ عَالِمٌ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّ ذَلِكَ الْكِتَابَ هُوَ التَّوْرَاةُ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا بِالْقُرْآنِ مُكَذِّبِينَ وَبِالتَّوْرَاةِ بِزَعْمِهِمْ مُصَدِّقِينَ، فَكَانَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ بِتَكْذِيبِهِمْ بِمَا هُمْ بِهِ فِي زَعْمِهِمْ مُقِرُّونَ أَبْلَغَ وَلِلْعُذْرِ أَقْطَعَ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝٢٤﴾ [آل عمران: ٢٤].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ دُعُوا إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ فِيمَا نَازَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، إِنَّمَا أَبَوُا الْإِجَابَةَ فِي حُكْمِ التَّوْرَاةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْحَقِّ مِنْ أَجْلِ قَوْلِهِمْ..

﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ وَهِيَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا، وَهُنَّ الْأَيَّامُ الَّتِي عَبَدُوا فِيهَا الْعِجْلَ، ثُمَّ يُخْرِجُنَا مِنْهَا رَبُّنَا..

﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝٢٤﴾ [آل عمران: ٢٤] اغْتِرَارًا مِنْهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ، يَعْنِي: بِمَا كَانُوا يَخْتَلِقُونَ مِنَ الْأَكَاذِيبِ وَالْأَبَاطِيلِ فِي ادِّعَائِهِمْ أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ وَعَدَ أَبَاهُمْ يَعْقُوبَ أَنْ لَا يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْ وَلَدِهِ النَّارَ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ، فَأَكْذَبَهُمُ اللهُ عَلَىٰ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ أَقْوَالِهِمْ وَأَخْبَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ النَّارِ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، دُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِهِ.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٥﴾ [آل عمران: ٢٥].

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ﴾ فَأَيُّ حَالٍ يَكُونُ حَالُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ، وَفَعَلُوا مَا

فَعَلُوا مِنْ إِعْرَاضِهِمْ عَنْ كِتَابِ اللهِ وَاغْتِرَارِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَافْتِرَائِهِمُ الْكَذِبَ؟! وَذَلِكَ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَعِيدٌ لَهُمْ شَدِيدٌ، وَتَهْدِيدٌ غَلِيظٌ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ﴾ الْآيَةَ: فَمَا أَعْظَمَ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ وَتَنْكِيلِهِ بِهِمْ إِذَا جَمَعَهُمْ..

﴿لِيَوْمٍ﴾ يُوَفَّىٰ كُلُّ عَامِلٍ جَزَاءَ عَمَلِهِ عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِ غَيْرَ مَظْلُومٍ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُعَاقَبُ فِيهِ إِلَّا عَلَىٰ مَا اجْتَرَمَ، وَلَا يُؤَاخَذُ إِلَّا بِمَا عَمِلَ، يَجْزِي الْمُحْسِنُ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءُ بِإِسَاءَتِهِ، لَا يَخَافُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ يَوْمَئِذٍ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا..

﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ لَا شَكَّ فِي مَجِيئِهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: (فِي يَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ)؟ قِيلَ: لِمُخَالَفَةِ مَعْنَىٰ (اللَّامِ) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْنَىٰ (فِي)، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَكَانَ اللَّامِ (فِي) لَكَانَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ مَاذَا يَكُونُ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعِقَابِ؟ وَلَيْسَ ذَلِكَ الْمَعْنَىٰ فِي دُخُولِ اللَّامِ، وَلَكِنَّ مَعْنَاهُ مَعَ اللَّامِ: فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِمَا يَحْدُثُ فِي يَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَلِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ فَصْلِ اللهِ الْقَضَاءَ بَيْنَ خَلْقِهِ، مَاذَا لَهُمْ حِينَئِذٍ مِنَ الْعِقَابِ وَأَلِيمِ الْعَذَابِ؟ فَمَعَ اللَّامِ فِي: ﴿لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ نِيَّةُ فِعْلٍ وَخَبَرٍ مَطْلُوبٍ قَدْ تُرِكَ ذِكْرُهُ، أَجْزَأَتْ دَلَالَةُ دُخُولِ اللَّامِ فِي الْيَوْمِ عَلَيْهِ مِنْهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مَعَ (فِي) فَلِذَلِكَ اخْتِيرَتِ اللَّامُ فَأُدْخِلَتْ فِي (يَوْمٍ) دُونَ (فِي)..

﴿وَوُفِّيَتْ﴾ وَوَفَّىٰ اللهُ..

﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ..

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٥﴾ [آل عمران: ٢٥] لَا يَبْخَسُ الْمُحْسِنَ جَزَاءَ إِحْسَانِهِ، وَلَا يُعَاقِبُ مُسِيئًا بِغَيْرِ جُرْمِهِ.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦].

﴿قُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱللَّهُمَّ﴾ يَا اللهُ..

﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ يَا مَالِكَ الْمُلْكِ، يَا مَنْ لَهُ مُلْكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ خَالِصًا دُونَ غَيْرِهِ..

﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ تُعْطِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ فَتُمَلِّكُهُ وَتُسَلِّطُهُ عَلَىٰ مَنْ تَشَاءُ..

﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بِإِعْطَائِهِ الْمُلْكَ وَالسُّلْطَانَ وَبَسْطِ الْقُدْرَةِ لَهُ..

﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بِسَلْبِكَ مُلْكَهُ وَتَسْلِيطِ عَدُوٍّ عَلَيْهِ..

﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ كُلُّ ذَلِكَ بِيَدِكَ وَإِلَيْكَ، لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ أَحَدٌ..

﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦] لِأَنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، دُونَ سَائِرِ خَلْقِكَ، وَدُونَ مَنِ اتَّخَذَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْأُمِّيِّينَ مِنَ الْعَرَبِ إِلَهًا وَرَبًّا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِكَ، كَالْمَسِيحِ وَالْأَنْدَادِ الَّتِي اتَّخَذَهَا الْأُمِّيُّونَ رَبًّا.

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٢٧﴾ [آل عمران: ٢٧].

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ تُدْخِلُ مَا نَقَصْتَ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ فِي سَاعَاتِ النَّهَارِ، فَتَزِيدُ مِنْ نُقْصَانِ هَذَا فِي زِيَادَةِ هَذَا..

﴿وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ وَتُدْخِلُ مَا نَقَصْتَ مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ، فَتَزِيدُ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ مَا نَقَصْتَ مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ..

﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ يُخْرِجُ الْإِنْسَانَ الْحَيَّ وَالْأَنْعَامَ وَالْبَهَائِمَ الْأَحْيَاءَ مِنَ النُّطَفِ الْمَيِّتَةِ، وَذَلِكَ إِخْرَاجُ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَيُخْرِجُ النُّطْفَةَ الْمَيِّتَةَ مِنَ الْإِنْسَانِ الْحَيِّ وَالْأَنْعَامِ وَالْبَهَائِمِ الْأَحْيَاءِ، وَذَلِكَ إِخْرَاجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ حَيٍّ فَارَقَهُ شَيْءٌ مِنْ جَسَدِهِ، فَذَلِكَ الَّذِي فَارَقَهُ مِنْهُ مَيِّتٌ، فَالنُّطْفَةُ مَيِّتَةٌ لِمُفَارَقَتِهَا جَسَدَ مَنْ خَرَجَتْ مِنْهُ، ثُمَّ يُنْشِئُ اللهُ مِنْهَا إِنْسَانًا حَيًّا وَبَهَائِمَ وَأَنْعَامًا أَحْيَاءً، وَكَذَلِكَ حُكْمُ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ زَايَلَهُ شَيْءٌ مِنْهُ، فَالَّذِي زَايَلَهُ مِنْهُ مَيِّتٌ، وَذَلِكَ هُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٨﴾ [البقرة: ٢٨].. وَأَمَّا تَأْوِيلُ مَنْ تَأَوَّلَهُ بِمَعْنَىٰ الْحَبَّةِ مِنَ السُّنْبُلَةِ، وَالسُّنْبُلَةِ مِنَ الْحَبَّةِ، وَالْبَيْضَةِ مِنَ الدَّجَاجَةِ، وَالدَّجَاجَةِ مِنَ الْبَيْضَةِ، وَالْمُؤْمِنِ مِنَ الْكَافِرِ، وَالْكَافِرِ مِنَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ لَهُ وَجْهٌ مَفْهُومٌ، فَلَيْسَ ذَلِكَ الْأَغْلَبَ الظَّاهِرَ فِي اسْتِعْمَالِ النَّاسِ فِي الْكَلَامِ، وَتَوْجِيهُ مَعَانِي كِتَابِ اللهِ ﷻ إِلَىٰ الظَّاهِرِ الْمُسْتَعْمَلِ فِي النَّاسِ أَوْلَىٰ مِنْ تَوْجِيهِهَا إِلَىٰ الْخَفِيِّ الْقَلِيلِ فِي الِاسْتِعْمَالِ..

﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٢٧﴾ [آل عمران: ٢٧] يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ

خَلْقِهِ، فَيَجُودُ عَلَيْهِ بِغَيْرِ مُحَاسَبَةٍ مِنْهُ لِمَنْ أَعْطَاهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخَافُ دُخُولَ انْتِقَاصٍ فِي خَزَائِنِهِ، وَلَا الْفَنَاءَ عَلَىٰ مَا بِيَدِهِ.

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: ٢٨].

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ لَا تَتَّخِذُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكُفَّارَ ظَهْرًا وَأَنْصَارًا، تُوَالُونَهُمْ عَلَىٰ دِينِهِمْ..

﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَتُظَاهِرُونَهُمْ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَدُلُّونَهُمْ عَلَىٰ عَوْرَاتِهِمْ..

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ فَإِنَّهُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللهِ، وَبَرِئَ اللهُ مِنْهُ بِارْتِدَادِهِ عَنْ دِينِهِ، وَدُخُولِهِ فِي الْكُفْرِ.. وَهَذَا نَهْيٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَّخِذُوا الْكُفَّارَ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا وَظُهُورًا..

﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا فِي سُلْطَانِهِمْ، فَتَخَافُوهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَتُظْهِرُوا لَهُمُ الْوَلَايَةَ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَتُضْمِرُوا لَهُمُ الْعَدَاوَةَ، وَلَا تُشَايِعُوهُمْ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَلَا تُعِينُوهُمْ عَلَىٰ مُسْلِمٍ بِفِعْلٍ، فَالْأَغْلَبُ مِنْ مَعَانِي هَذَا الْكَلَامِ: إِلَّا أَنْ تَخَافُوا مِنْهُمْ مَخَافَةً، فَالتَّقِيَّةُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِنَّمَا هِيَ تَقِيَّةٌ مِنَ الْكُفَّارِ، لَا مِنْ غَيْرِهِمْ، وَوَجَّهَهُ قَتَادَةُ إِلَىٰ أَنَّ تَأْوِيلَهُ: إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا اللهَ مِنْ أَجْلِ الْقَرَابَةِ الَّتِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ تُقَاةً، فَتَصِلُونَ رَحِمَهَا، وَلَيْسَ ذَلِكَ الْغَالِبَ عَلَىٰ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ، وَالتَّأْوِيلُ فِي الْقُرْآنِ عَلَىٰ الْأَغْلَبِ الظَّاهِرِ مِنْ مَعْرُوفِ كَلَامِ الْعَرَبِ الْمُسْتَعْمَلِ فِيهِمْ..

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ وَيُخَوِّفُكُمُ اللهُ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ تَرْكَبُوا مَعَاصِيَهُ أَوْ تُوَالُوا أَعْدَاءَهُ..

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: ٢٨] فَإِنَّ لِلَّهِ مَرْجِعَكُمْ وَمَصِيرَكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، وَيَوْمَ حَشْرِكُمْ لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ، فَمَتَىٰ صِرْتُمْ إِلَيْهِ، وَقَدْ خَالَفْتُمْ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَأَتَيْتُمْ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، مِنَ اتِّخَاذِ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، نَالَكُمْ مِنْ عِقَابِ رَبِّكُمْ مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، يَقُولُ: فَاتَّقُوهُ وَاحْذَرُوهُ أَنْ يَنَالَكُمْ ذَلِكَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ شَدِيدُ الْعَذَابِ.

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آل عمران: ٢٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ أَمَرْتُهُمْ أَنْ لَا يَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ مِنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ فَتُسِرُّوهُ..

﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾ أَوْ تُبْدُوا ذَلِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ، فَتُظْهِرُوهُ..

﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ، فَلَا تُضْمِرُوا لَهُمْ مَوَدَّةً، وَلَا تُظْهِرُوا لَهُمْ مُوَالَاةً، فَيَنَالَكُمْ مِنْ عُقُوبَةِ رَبِّكُمْ مَا لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَعَلَانِيَتَكُمْ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، وَهُوَ مُحْصِيهِ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ عَلَيْهِ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا، وَبِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا..

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فَإِذْ كَانَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ هُوَ فِي سَمَاءٍ أَوْ أَرْضٍ أَوْ حَيْثُ كَانَ، فَكَيْفَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، مَا فِي صُدُورِكُمْ مِنَ الْمَيْلِ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَالْمَحَبَّةِ، أَوْ مَا تُبْدُونَهُ لَهُمْ بِالْمَعُونَةِ فِعْلًا وَقَوْلًا؟!..

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آل عمران: ٢٩] وَاللهُ قَدِيرٌ عَلَىٰ مُعَاجَلَتِكُمْ بِالْعُقُوبَةِ عَلَىٰ مُوَالَاتِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَمُظَاهَرَتِكُمُوهُمْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَىٰ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأُمُورِ كُلِّهَا، لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ طَلَبَهُ.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠].

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ، فِي يَوْمِ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا مُوَفَّرًا..

﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ غَايَةً بَعِيدَةً، فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ يَوْمَئِذٍ إِلَيْهِ فَاحْذَرُوهُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ..

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ أَنْ تُسْخِطُوهَا عَلَيْكُمْ بِرُكُوبِكُمْ مَا يُسْخِطُهُ عَلَيْكُمْ، فَتُوَافُونَهُ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا، وَهُوَ عَلَيْكُمْ سَاخِطٌ، فَيَنَالُكُمْ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ..

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠] رَحِيمٌ بِهِمْ، وَمِنْ رَأْفَتِهِ بِهِمْ تَحْذِيرُهُ إِيَّاهُمْ نَفْسَهُ، وَتَخْوِيفُهُمْ عُقُوبَتَهُ، وَنَهْيُهُ إِيَّاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ مَعَاصِيهِ.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّصَارَىٰ..

﴿إِن كُنتُمْ﴾ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ..

﴿تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ وَأَنَّكُمْ تُعَظِّمُونَ الْمَسِيحَ وَتَقُولُونَ فِيهِ مَا تَقُولُونَ، حُبًّا مِنْكُمْ رَبَّكُمْ..

﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ فَحَقِّقُوا قَوْلَكُمُ الَّذِي تَقُولُونَهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بِاتِّبَاعِكُمْ إِيَّايَ، فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي لِلَّهِ رَسُولٌ إِلَيْكُمْ، كَمَا كَانَ عِيسَىٰ رَسُولًا إِلَىٰ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ..

﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ إِنِ اتَّبَعْتُمُونِي وَصَدَّقْتُمُونِي عَلَىٰ مَا أَتَيْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فَيَصْفَحُ لَكُمْ عَنِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا، وَيَعْفُو لَكُمْ عَمَّا مَضَىٰ مِنْهَا..

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١] بِهِمْ وَبِغَيْرِهِمْ مِنْ خَلْقِهِ.

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣٢].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ النَّصَارَىٰ..

﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ مُحَمَّدًا، فَإِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ يَقِينًا أَنَّهُ رَسُولِي إِلَىٰ خَلْقِي ابْتَعَثْتُهُ بِالْحَقِّ تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي الْإِنْجِيلِ..

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ فَاسْتَدْبَرُوا عَمَّا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، وَأَعْرَضُوا عَنْهُ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣٢] فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَفَرَ بِجَحْدِ مَا عَرَفَ مِنَ الْحَقِّ، وَأَنْكَرَهُ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَأَنَّهُمْ مِنْهُمْ بِجُحُودِهِمْ نُبُوَّتَكَ وَإِنْكَارِهِمُ الْحَقَّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِصِحَّةِ أَمْرِكَ وَحَقِيقَةِ نُبُوَّتِكَ.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣].

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ إِنَّ اللهَ اجْتَبَىٰ..

﴿ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ وَاخْتَارَهُمَا لِدِينِهِمَا..

﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ لِدِينِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، فَأَخْبَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنَّهُ اخْتَارَ دِينَ مَنْ ذَكَرْنَا، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِآلِ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ عِمْرَانَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَىٰ أَنَّ آلَ الرَّجُلِ أَتْبَاعُهُ وَقَوْمُهُ وَمَنْ هُوَ عَلَىٰ دِينِهِ..

﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣] عَلَىٰ سَائِرِ الْأَدْيَانِ الَّتِي خَالَفَتْهُ.

﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾ [آل عمران: ٣٤].

﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ﴾ اصْطَفَىٰ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا جَعَلَ «بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ» فِي الْمُوَالَاةِ فِي الدِّينِ وَالْمُوَازَرَةِ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ وَالْحَقِّ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة: ٧١]، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة: ٦٧]، يَعْنِي: أَنَّ دِينَهُمْ وَاحِدٌ وَطَرِيقَتَهُمْ وَاحِدَةٌ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ﴾ إِنَّمَا مَعْنَاهُ: ذُرِّيَّةٌ دِينُ بَعْضِهَا دِينُ بَعْضٍ، وَكَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةٌ، وَمِلَّتُهُمْ وَاحِدَةٌ فِي تَوْحِيدِ اللهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ وَاللهُ ذُو سَمْعٍ لِقَوْلِ امْرَأَةِ عِمْرَانَ..

﴿عَلِيمٌ ٣٤﴾ [آل عمران: ٣٤] وَذُو عِلْمٍ بِمَا تُضْمِرُهُ فِي نَفْسِهَا، إِذْ نَذَرَتْ لَهُ مَا فِي بَطْنِهَا مُحَرَّرًا.

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥﴾ [آل عمران: ٣٥].

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾ هِيَ أُمُّ مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ أُمِّ عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ..

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ﴾ إِنِّي جَعَلْتُ لَكَ يَا رَبِّ نَذْرًا أَنَّ لَكَ..

﴿مَا فِي بَطۡنِي﴾ الَّذِي فِي بَطْنِي..

﴿مُحَرَّرٗا﴾ لِعِبَادَتِكَ، يَعْنِي بِذَلِكَ: حَبَسْتُهُ عَلَىٰ خِدْمَتِكَ وَخِدْمَةِ قُدُسِكَ فِي الْكَنِيسَةِ، عَتِيقَةً مِنْ خِدْمَةِ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاكَ، مُفَرَّغَةً لَكَ خَاصَّةً..

﴿فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ﴾ فَتَقَبَّلْ مِنِّي مَا نَذَرْتُ لَكَ يَا رَبِّ..

﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾ يَا رَبِّ..

﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمَا أَقُولُ وَأَدْعُو..

﴿ٱلۡعَلِيمُ ٣٥﴾ [آل عمران: ٣٥] لِمَا أَنْوِي فِي نَفْسِي وَأُرِيدُ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ سِرُّ أَمْرِي وَعَلَانِيَتُهُ.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾ [آل عمران: ٣٦].

﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا﴾ فَلَمَّا وَلَدَتْهَا..

﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ﴾ وَلَدْتُ النَّذِيرَةَ أُنْثَىٰ..

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾ مِنْ كُلِّ خَلْقِهِ..

﴿بِمَا وَضَعَتۡ﴾ ثُمَّ رَجَعَ جَلَّ ذِكْرُهُ إِلَىٰ الْخَبَرِ عَنْ قَوْلِهَا، وَأَنَّهَا قَالَتِ اعْتِذَارًا إِلَىٰ رَبِّهَا مِمَّا كَانَتْ نَذَرَتْ فِي حَمْلِهَا فَحَرَّرْتُهُ لِخِدْمَةِ رَبِّهَا..

﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ﴾ لِأَنَّ الذَّكَرَ أَقْوَىٰ عَلَىٰ الْخِدْمَةِ وَأَقْوَمُ بِهَا، وَأَنَّ الْأُنْثَىٰ لَا تَصْلُحُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ لِدُخُولِ الْقُدُسِ وَالْقِيَامِ بِخِدْمَةِ الْكَنِيسَةِ لِمَا يَعْتَرِيهَا مِنَ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ..

﴿وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾ وَإِنِّي أَجْعَلُ مَعَاذَهَا وَمَعَاذَ ذُرِّيَّتِهَا.. وَأَصْلُ الْمَعَاذِ الْمَوْئِلُ وَالْمَلْجَأُ وَالْمَعْقِلُ، فَاسْتَجَابَ اللهُ لَهَا فَأَعَاذَهَا اللهُ وَذُرِّيَّتَهَا..

﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾ [آل عمران: ٣٦] فَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَلَيْهَا سَبِيلًا.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ مِنْ وَلَدِ آدَمَ لَهُ طَعْنَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَسْتَهِلُّ الصَّبِيُّ؛ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ وَوَلَدِهَا، فَإِنَّ أُمَّهَا قَالَتْ حِينَ وَضَعَتْهَا: ﴿وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾ فَضُرِبَ دُونَهُمَا حِجَابٌ فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ».

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾ [آل عمران: ٣٧].

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ تَقَبَّلَ مَرْيَمَ مِنْ أُمِّهَا بِتَحْرِيرِهَا إِيَّاهَا لِلْكَنِيسَةِ وَخِدْمَتِهَا، وَخِدْمَةِ رَبِّهَا..

﴿بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا﴾ وَأَنْبَتَهَا رَبُّهَا فِي غِذَائِهِ وَرِزْقِهِ نَبَاتًا حَسَنًا حَتَّىٰ تَمَّتْ فَكَمُلَتِ امْرَأَةً بَالِغَةً تَامَّةً..

﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ﴾ وَكَفَّلَهَا اللهُ زَكَرِيَّا، بِمَعْنَىٰ: وَضَمَّهَا اللهُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ زَكَرِيَّا أَيْضًا ضَمَّهَا إِلَيْهَا بِإِيجَابِ اللهِ لَهُ ضَمَّهَا إِلَيْهِ بِالْقُرْعَةِ الَّتِي أَخْرَجَهَا اللهُ لَهُ، وَالْآيَةُ الَّتِي أَظْهَرَهَا لِخُصُومِهِ فِيهَا، فَجَعَلَهُ بِهَا أَوْلَىٰ مِنْهُمْ، إِذْ قَرَعَ فِيهَا مَنْ شَاحَّهُ فِيهَا..

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ بَعْدَ إِدْخَالِهِ إِيَّاهَا الْمِحْرَابَ.. وَالْمِحْرَابُ فَهُوَ مُقَدَّمُ كُلِّ مَجْلِسٍ وَمُصَلًّىٰ، وَهُوَ سَيِّدُ الْمَجَالِسِ وَأَشْرَفُهَا وَأَكْرَمُهَا، وَكَذَلِكَ هُوَ مِنَ الْمَسَاجِدِ..

﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ﴾ مِنَ اللهِ لِغِذَائِهَا، فَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ الرِّزْقَ الَّذِي كَانَ يَجِدُهُ زَكَرِيَّا عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، وَفَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ..

﴿قَالَ﴾ زَكَرِيَّا..

﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ مِنْ أَيِّ وَجْهٍ لَكِ هَذَا الَّذِي أَرَىٰ عِنْدَكِ مِنَ الرِّزْقِ..

﴿قَالَتْ﴾ مَرْيَمُ مُجِيبَةً لَهُ..

﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ تَعْنِي: أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي رَزَقَهَا ذَلِكَ فَسَاقَهُ إِلَيْهَا وَأَعْطَاهَا، وَإِنَّمَا كَانَ زَكَرِيَّا يَقُولُ ذَلِكَ لَهَا لِأَنَّهُ كَانَ فِيمَا ذُكِرَ لَنَا يُغْلِقُ عَلَيْهَا سَبْعَةَ أَبْوَابٍ، وَيَخْرُجُ ثُمَّ يَدْخُلُ عَلَيْهَا، فَيَجِدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، وَفَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ، فَكَانَ يَعْجَبُ مِمَّا يَرَىٰ مِنْ ذَلِكَ، وَيَقُولُ لَهَا تَعَجُّبًا مِمَّا يَرَىٰ: أَنَّىٰ لَكِ هَذَا؟ فَتَقُولُ: مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٧] هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ أَنَّهُ يَسُوقُ إِلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ رِزْقَهُ بِغَيْرِ إِحْصَاءٍ وَلَا عَدَدٍ يُحَاسِبُ عَلَيْهِ عَبْدَهُ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ ثناؤُهُ لَا يَنْقُصُ سَوْقُهُ ذَلِكَ إِلَيْهِ كَذَلِكَ خَزَائِنَهُ، وَلَا يَزِيدُ إِعْطَاؤُهُ إِيَّاهُ، وَمُحَاسَبَتُهُ عَلَيْهِ فِي مُلْكِهِ، وَفِيمَا لَدَيْهِ شَيْئًا، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ مَا يَرْزُقُهُ، وَإِنَّمَا يُحَاسِبُ مَنْ يُعْطِي مَا يُعْطِيهِ مَنْ يَخْشَىٰ النُّقْصَانَ مِنْ مُلْكِهِ، بِخُرُوجِ مَا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ بِغَيْرِ حِسَابٍ مَعْرُوفٍ وَمَنْ كَانَ جَاهِلًا بِمَا يُعْطِي عَلَىٰ غَيْرِ حِسَابٍ.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾
[آل عمران: ٣٨].

﴿هُنَالِكَ﴾ عِنْدَ ذَلِكَ، أَيْ عِنْدَ رُؤْيَةِ زَكَرِيَّا مَا رَأَىٰ عِنْدَ مَرْيَمَ مِنْ رِزْقِ اللهِ الَّذِي رَزَقَهَا، وَفَضْلِهِ الَّذِي آتَاهَا مِنْ غَيْرِ تَسَبُّبِ أَحَدٍ مِنَ الْآدَمِيِّينَ فِي ذَلِكَ لَهَا، وَمُعَايَنَتِهِ عِنْدَهَا الثَّمَرَةَ الرَّطْبَةَ الَّتِي لَا تَكُونُ فِي حِينِ رُؤْيَتِهِ إِيَّاهَا عِنْدَهَا فِي الْأَرْضِ، طَمِعَ فِي الْوَلَدِ مَعَ كِبَرِ سِنِّهِ مِنَ الْمَرْأَةِ الْعَاقِرِ، فَرَجَا أَنْ يَرْزُقَهُ اللهُ مِنْهَا الْوَلَدَ مَعَ الْحَالِ الَّتِي هُمَا بِهَا، كَمَا رَزَقَ مَرْيَمَ عَلَىٰ تَخَلِّيهَا مِنَ النَّاسِ مَا رَزَقَهَا مِنْ ثَمَرَةِ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ، وَثَمَرَةِ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مِمَّا جَرَتْ بِوُجُودِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْحِينِ الْعَادَاتُ فِي الْأَرْضِ، بَلِ الْمَعْرُوفُ فِي النَّاسِ غَيْرُ ذَلِكَ، كَمَا أَنَّ وِلَادَةَ الْعَاقِرِ غَيْرُ الْأَمْرِ الْجَارِيَةِ بِهِ الْعَادَاتِ فِي النَّاسِ..

﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ فَرَغِبَ إِلَىٰ اللهِ جَلَّ ثناؤُهُ فِي الْوَلَدِ، وَسَأَلَهُ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ بَيْتِ زَكَرِيَّا فِيمَا ذُكِرَ لَنَا، كَانُوا قَدِ انْقَرَضُوا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ..

﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ﴾ مِنْ عِنْدِكَ..

﴿ذُرِّيَّةً﴾ نسلًا.. والذُّرِّيَّةُ جَمْعٌ، وَقَدْ تَكُونِ فِي مَعْنَىٰ الْوَاحِدِ، وَهِيَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِلْوَاحِدِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مُخْبِرًا عَنْ دُعَاءِ زَكَرِيَّا: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥﴾ [مريم: ٥] وَلَمْ يَقُلْ (أَوْلِيَاءَ)، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّهُ سَأَلَ وَاحِدًا..

﴿طَيِّبَةً﴾ مُبَارَكَةً.. وَإِنَّمَا أَنَّثَ طَيِّبَةً لِتَأْنِيثِ الذُّرِّيَّةِ..

﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨] إِنَّكَ ذُو سَمْعٍ دُعَاءَ مَنْ دَعَاكَ.. ومَعْنَاهُ أَنَّكَ سَامِعٌ الدُّعَاءِ، غَيْرَ أَنَّ «سَمِيعٌ» أَمْدَحُ، وَهُوَ بِمَعْنَىٰ ذُو سَمْعٍ لَهُ.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝٣٩﴾ [آل عمران: ٣٩].

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ..

﴿وَهُوَ قَائِمٌ﴾ فِي حَالِ قِيَامِهِ مُصَلِّيًا..

﴿يُصَلِّي﴾ حَالٌ مِنَ الْقِيَامِ..

﴿فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ..

﴿وَسَيِّدًا﴾ وَشَرِيفًا فِي الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ..

﴿وَحَصُورًا﴾ مُمْتَنِعًا مِنْ جِمَاعِ النِّسَاءِ..

﴿وَنَبِيًّا﴾ وَرَسُولًا لِرَبِّهِ إِلَىٰ قَوْمِهِ، يُنَبِّئُهُمْ عَنْهُ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، وَيُبَلِّغُهُمْ عَنْهُ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ إِلَيْهِمْ..

﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝٣٩﴾ [آل عمران: ٣٩] مِنْ أَنْبِيَائِهِ الصَّالِحِينَ.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝٤٠﴾ [آل عمران: ٤٠].

﴿قَالَ﴾ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ..

﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ فَمَنْ بَلَغَ مِنَ السِّنِّ مَا بَلَغْتُ لَمْ يُولَدْ لَهُ.. وَقَدْ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ﴾ [مريم: ٨] لِأَنَّ مَا بَلَغَكَ فَقَدْ بَلَغْتَهُ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: قَدْ كَبِرْتُ، وَهُوَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: وَقَدْ بَلَغَنِي الْجَهْدُ، بِمَعْنَىٰ: أَنِّي فِي جَهْدٍ..

﴿وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ﴾ لَا تَلِدُ..

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ﴾ هَيِّنٌ عَلَيْهِ أَنْ يَخْلُقَ وَلَدًا مِنَ الْكَبِيرِ الَّذِي قَدْ يَئِسَ مِنَ الْوَلَدِ، وَمِنَ الْعَاقِرِ الَّتِي لَا يُرْجَىٰ مِنْ مِثْلِهَا الْوِلَادَةُ، كَمَا خَلَقَكَ يَا زَكَرِيَّا مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْوَلَدِ مِنْكَ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا؛ لِأَنَّهُ اللهُ الَّذِي لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ خَلْقُ شَيْءٍ أَرَادَهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فِعْلُ شَيْءٍ شَاءَهُ..

﴿يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ٤٠﴾ [آل عمران: ٤٠] لِأَنَّ قُدْرَتَهُ الْقُدْرَةُ الَّتِي لَا يُشْبِهُهَا قُدْرَةٌ.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٤١﴾ [آل عمران: ٤١].

﴿قَالَ﴾ زَكَرِيَّا..

﴿رَبِّ﴾ يَا رَبِّ إِنْ كَانَ هَذَا النِّدَاءُ الَّذِي نُودِيتُهُ، وَالصَّوْتُ الَّذِي سَمِعْتُهُ صَوْتَ مَلَائِكَتِكَ، وَبِشَارَةً مِنْكَ لِي، فَـ..

﴿ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ﴾ عَلَامَةً أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ..

﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ عَلَىٰ تَحْقِيقِ مَا سَمِعْتَ مِنَ الْبِشَارَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِيَحْيَىٰ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ آيَةً مِنْ نَفْسِهِ..

﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ..

﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ عَلَىٰ هَذِهِ الْحَالِ..

﴿إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾ إِلَّا إِيمَاءً بِالشَّفَتَيْنِ بِغَيْرِ خَرَسٍ، وَلَا عَاهَةٍ، وَلَا مَرَضٍ..

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا﴾ فَإِنَّكَ لَا تُمْنَعُ ذِكْرَهُ، وَلَا يُحَالُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ تَسْبِيحِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ذِكْرِهِ..

﴿وَسَبِّحۡ﴾ وَعَظِّمْ رَبَّكَ بِعِبَادَتِهِ..

﴿بِٱلۡعَشِيِّ﴾ مِنْ حِينِ تَزُولُ الشَّمْسُ إِلَىٰ أَنْ تَغِيبَ..

﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٤١﴾ [آل عمران: ٤١] مِنْ بَيْنِ مَطْلَعِ الْفَجْرِ إِلَىٰ وَقْتِ الضُّحَىٰ.

﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٢﴾ [آل عمران: ٤٢].

﴿وَإِذۡ﴾ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِذْ ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا﴾ [آل عمران: ٣٥]، وَإِذْ..

﴿قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ اخْتَارَكِ وَاجْتَبَاكِ لِطَاعَتِهِ، وَمَا خَصَّكِ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ..

﴿وَطَهَّرَكِ﴾ طَهَّرَ دِينَكِ مِنَ الرِّيَبِ وَالْأَدْنَاسِ الَّتِي فِي أَدْيَانِ نِسَاءِ بَنِي آدَمَ..

﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٢﴾ [آل عمران: ٤٢] وَاخْتَارَكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فِي زَمَانِكِ بِطَاعَتِكِ إِيَّاهُ، فَفَضَّلَكِ عَلَيْهِمْ، كَمَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ».. يَعْنِي بِقَوْلِهِ: خَيْرُ نِسَائِهَا: خَيْرُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ [آل عمران: ٤٣].

﴿يَٰمَرْيَمُ﴾ خَبَرًا عَنْ قِيلِ مَلَائِكَتِهِ لِمَرْيَمَ..

﴿ٱقْنُتِى﴾ أَخْلِصِي الطَّاعَةَ، والعِبَادَةَ..

﴿لِرَبِّكِ﴾ وَحْدَهُ..

﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ [آل عمران: ٤٣] وَاخْشَعِي لِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، مَعَ مَنْ خَشَعَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ، شُكْرًا لَهُ عَلَىٰ مَا أَكْرَمَكِ بِهِ مِنَ الِاصْطِفَاءِ وَالتَّطْهِيرِ مِنَ الْأَدْنَاسِ وَالتَّفْضِيلِ عَلَىٰ نِسَاءِ عَالَمِ دَهْرِكِ.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٤٤﴾ [آل عمران: ٤٤].

﴿ذَٰلِكَ﴾ الْأَخْبَارَ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا عِبَادَهُ عَنِ امْرَأَةِ عِمْرَانَ وَابْنَتِهَا مَرْيَمَ وَزَكَرِيَّا، وَابْنِهِ يَحْيَىٰ، وَسَائِرَ مَا قَصَّ فِي الْآيَاتِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ [آل عمران: ٣٣]، ثُمَّ جَمَعَ جَمِيعَ ذَلِكَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ﴿ذَٰلِكَ﴾، فَقَالَ: هَذِهِ الْأَنْبَاءُ..

﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ مِنْ خَفِيِّ أَخْبَارِ الْقَوْمِ الَّتِي لَمْ تَطَّلِعْ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ عَلَيْهَا وَلَا قَوْمُكَ، وَلَمْ يَعْلَمْهَا إِلَّا قَلِيلٌ مِنْ أَحْبَارِ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ وَرُهْبَانِهِمْ..

﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ نُنْزِلُهُ إِلَيْكَ.. وَأَصْلُ الْإِيحَاءِ: إِلْقَاءُ الْمُوحِي إِلَىٰ الْمُوحَىٰ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ قَدْ يَكُونُ بِكِتَابٍ وَإِشَارَةٍ وَإِيمَاءٍ وَبِإِلْهَامٍ وَبِرِسَالَةٍ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] بِمَعْنَىٰ: أَلْقَىٰ ذَلِكَ إِلَيْهَا فَأَلْهَمَهَا، وَكَمَا قَالَ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ﴾ [المائدة: ١١١] بِمَعْنَىٰ: أَلْقَيْتُ إِلَيْهِمْ عِلْمَ ذَلِكَ إِلْهَامًا، وَكَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾ [مريم: ١١]

بِمَعْنَىٰ: فَأَلْقَىٰ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا، وَالْأَصْلُ فِيهِ مَا وَصَفْتُ مِنْ إِلْقَاءِ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ يَكُونُ إِلْقَاؤُهُ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ إِيمَاءً، وَيَكُونُ بِكِتَابٍ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١] يُلْقُونَ إِلَيْهِمْ ذَلِكَ وَسْوَسَةً، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] أُلْقِيَ إِلَيَّ بِمَجِيءِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهِ إِلَيَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.. وَأَمَّا الْوَحْيُ: فَهُوَ الْوَاقِعُ مِنَ الْمُوحِي إِلَىٰ الْمُوحَىٰ إِلَيْهِ، وَلِذَلِكَ سَمَّتِ الْعَرَبُ الْخَطَّ وَالْكِتَابَ وَحْيًا، لِأَنَّهُ وَاقِعٌ فِيمَا كُتِبَ ثَابِتٌ فِيهِ، وَقَدْ يُقَالُ فِي الْكِتَابِ خَاصَّةً إِذَا كَتَبَهُ الْكَاتِبُ وَحَىٰ، بِغَيْرِ أَلِفٍ.. فَأَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُ أَوْحَىٰ ذَلِكَ إِلَيْهِ حُجَّةً عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ، وَتَحْقِيقًا لِصِدْقِهِ، وَقَطْعًا مِنْهُ بِهِ عُذْرَ مُنْكِرِي رِسَالَتِهِ مِنْ كُفَّارِ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَصِلْ إِلَىٰ عِلْمِ هَذِهِ الْأَنْبَاءِ مَعَ خَفَائِهَا، وَلَمْ يُدْرِكْ مَعْرِفَتَهَا مَعَ خُمُولِهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، إِلَّا بِإِعْلَامِ اللهِ ذَلِكَ إِيَّاهُ، إِذْ كَانَ مَعْلُومًا عِنْدَهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أُمِّيٌّ لَا يَكْتُبُ فَيَقْرَأُ الْكُتُبَ فَيَصِلُ إِلَىٰ عِلْمِ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ الْكُتُبِ، وَلَا صَاحَبَ أَهْلَ الْكِتَابِ فَيَأْخُذُ عِلْمَهُ مِنْ قِبَلِهِمْ..

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ وَمَا كُنْتَ يَا مُحَمَّدُ عِنْدَهُمْ، فَتَعْلَمَ مَا نُعْلِمُكَهُ مِنْ أَخْبَارِهِمُ الَّتِي لَمْ تَشْهَدْهَا، وَلَكِنَّكَ إِنَّمَا تَعْلَمُ ذَلِكَ فَتُدْرِكُ مَعْرِفَتَهُ بِتَعْرِيفِنَاكَهُ..

﴿إِذْ يُلْقُونَ﴾ حِينَ يُلْقُونَ..

﴿أَقْلَٰمَهُمْ﴾ فَسِهَامُهُمُ الَّتِي اسْتَهَمَ بِهَا الْمُسْتَهِمُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ كَفَالَةِ مَرْيَمَ، عَلَىٰ مَا قَدْ بَيَّنَّا قَبْلُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧]..

﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾ يَضُمُّ..

﴿مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ وَمَا كُنْتَ يَا مُحَمَّدُ عِنْدَ قَوْمِ مَرْيَمَ..

﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران: ٤٤] فِيهَا أَيُّهُمْ أَحَقُّ بِهَا وَأَوْلَىٰ، وَذَلِكَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنْ كَانَ خِطَابًا لِنَبِيِّهِ ﷺ، فَتَوْبِيخٌ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُكَذِّبِينَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، يَقُولُ: كَيْفَ يَشُكُّ أَهْلُ الْكُفْرِ بِكَ مِنْهُمْ، وَأَنْتَ تُنْبِئُهُمْ هَذِهِ الْأَنْبَاءَ وَلَمْ تَشْهَدْهَا وَلَمْ تَكُنْ مَعَهُمْ يَوْمَ فَعَلُوا هَذِهِ الْأُمُورَ، وَلَسْتَ مِمَّنْ قَرَأَ الْكُتُبَ فَعَلِمَ نَبَأَهُمْ، وَلَا جَالَسَ أَهْلَهَا فَسَمِعَ خَبَرَهُمْ.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [آل عمران: ٤٥].

﴿إِذْ﴾ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ، وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ أَيْضًا إِذْ..

﴿قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ بِبُشْرَىٰ مِنْ عِنْدِهِ.. وَالتَّبْشِيرُ إِخْبَارُ الْمَرْءِ بِمَا يَسُرُّهُ مِنْ خَبَرٍ..

﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ بِرِسَالَةٍ مِنَ اللهِ، وَخَبَرٍ مِنْ عِنْدِهِ وَهِيَ وَلَدٌ لَكِ..

﴿ٱسْمُهُ﴾ وَلَمْ يَقُلِ: اسْمُهَا، فَيُؤَنِّثُ وَالْكَلِمَةُ مُؤَنَّثَةٌ؛ لِأَنَّ الْكَلِمَةَ غَيْرُ مَقْصُودٍ بِهَا قَصْدُ الِاسْمِ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَىٰ فُلَانٍ، وَإِنَّمَا هِيَ بِمَعْنَىٰ الْبِشَارَةِ، فَذُكِرَتْ كِنَايَتُهَا كَمَا تُذْكَرُ كِنَايَةُ الذُّرِّيَّةِ وَالدَّابَّةِ وَالْأَلْقَابِ..

﴿ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ ابْنُ أُمِّهِ مَرْيَمَ، وَنَفَىٰ بِذَلِكَ عَنْهُ مَا أَضَافَ إِلَيْهِ الْمُلْحِدُونَ فِي اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنَ النَّصَارَىٰ، مِنْ إِضَافَتِهِمْ بُنُوَّتَهُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَمَا قُذِفَتْ أُمُّهُ بِهِ الْمُفْتَرِيَةُ عَلَيْهَا مِنَ الْيَهُودِ..

﴿وَجِيهًا﴾ ذَا وَجْهٍ وَمَنْزِلَةٍ عَالِيَةٍ وَشَرَفٍ وَكَرَامَةٍ..

﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ عِنْدَ اللهِ..

﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٤٥﴾ [آل عمران: ٤٥] مِمَّنْ يُقَرِّبُهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُسْكِنُهُ فِي جِوَارِهِ، وَيُدْنِيهِ مِنْهُ.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٤٦﴾ [آل عمران: ٤٦].

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ طِفْلًا فِي الْمَهْدِ فِي مَضْجَعِ الصَّبِيِّ، فِي رَضَاعِهِ، دَلَالَةً عَلَىٰ بَرَاءَةِ أُمِّهِ مِمَّا قَذَفَهَا بِهِ الْمُفْتَرُونَ عَلَيْهَا، وَحُجَّةً لَهُ عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ..

﴿وَكَهْلًا﴾ فَوْقَ الْغُلُومَةِ وَدُونَ الشَّيْخُوخَةِ، يُكَلِّمُ النَّاسَ بِوَحْيِ اللهِ الَّذِي يُوحِيهِ إِلَيْهِ، وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَمَا يُنْزِلُ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابِهِ.. وَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عِبَادَهُ بِذَلِكَ مِنْ أَمْرِ الْمَسِيحِ، وَأَنَّهُ كَذَلِكَ كَانَ، وَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ أَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ كُهُولًا وَشُيُوخًا، احْتِجَاجًا بِهِ عَلَىٰ الْقَائِلِينَ فِيهِ -مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ مِنَ النَّصَارَىٰ- بِالْبَاطِلِ، وَأَنَّهُ كَانَ فِي مُعَانَاةِ أَشْيَاءَ، مَوْلُودًا طِفْلًا ثُمَّ كَهْلًا، يَتَقَلَّبُ فِي الْأَحْدَاثِ، وَيَتَغَيَّرُ بِمُرُورِ الْأَزْمِنَةِ عَلَيْهِ وَالْأَيَّامِ، مِنْ صِغَرٍ إِلَىٰ كِبَرٍ، وَمِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَمَا قَالَ الْمُلْحِدُونَ فِيهِ، كَانَ ذَلِكَ غَيْرَ جَائِزٍ عَلَيْهِ، فَكَذَّبَ بِذَلِكَ مَا قَالَهُ الَّذِينَ حَاجُّوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيهِ، وَاحْتَجَّ بِهِ عَلَيْهِمْ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ كَانَ كَسَائِرِ بَنِي آدَمَ، إِلَّا مَا خَصَّهُ اللهُ بِهِ مِنَ الْكَرَامَةِ الَّتِي أَبَانَهُ بِهَا مِنْهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَكَهْلًا﴾ أَنَّهُ سَيُكَلِّمُهُمْ إِذَا ظَهَرَ وَقَتَلَ الدَّجَّالَ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ كَهْلٌ..

﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٤٦﴾ [آل عمران: ٤٦] يَعْنِي: مِنْ عِدَادِهِمْ، وَأَوْلِيَائِهِمْ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الصَّلَاحِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فِي الدِّينِ وَالْفَضْلِ.

﴿قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٧﴾ [آل عمران: ٤٧].

﴿قَالَتۡ﴾ مَرْيَمُ إِذْ قَالَتْ لَهَا الْمَلَائِكَةُ: إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ..

﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ﴾ مِنْ أَيِّ وَجْهٍ يَكُونُ لِي وَلَدٌ؟!

﴿وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ﴾ أَمِنْ قِبَلِ زَوْجٍ أَتَزَوَّجُهُ وَبَعْلٍ أَنْكِحُهُ؟! أَوْ تَبْتَدِئُ فِي خَلْقِهِ مِنْ غَيْرِ بَعْلٍ وَلَا فَحْلٍ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَمَسَّنِي بَشَرٌ؟! فَـ

﴿قَالَ﴾ اللهُ لَهَا..

﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ هَكَذَا يَخْلُقُ اللهُ مِنْكِ وَلَدًا لَكِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَمَسَّكِ بَشَرٌ، فَيَجْعَلُهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَعِبْرَةً، فَإِنَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، وَيَصْنَعُ مَا يُرِيدُ، فَيُعْطِي الْوَلَدَ مَنْ شَاءَ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ وَمِنْ فَحْلٍ، وَيَحْرِمُ ذَلِكَ مَنْ يَشَاءُ مِنَ النِّسَاءِ وَإِنْ كَانَتْ ذَاتَ بَعْلٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ خَلْقُ شَيْءٍ أَرَادَ خَلْقَهُ..

﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٧﴾ [آل عمران: ٤٧] إِنَّمَا هُوَ أَنْ يَأْمُرَ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا مَا أَرَادَ، فَيَقُولُ لَهُ: ﴿كُن﴾ فَيَكُونُ مَا شَاءَ مِمَّا يَشَاءُ، وَكَيْفَ شَاءَ.

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٤٨﴾ [آل عمران: ٤٨].

﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ وَيُعَلِّمُ اللهُ عِيسَىٰ..

﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ وَمَا ذَكَرَ أَنَّهُ يُعَلِّمُهُ.. وَهَذَا ابْتِدَاءُ خَبَرٍ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِمَرْيَمَ مَا هُوَ فَاعِلٌ بِالْوَلَدِ الَّذِي بَشَّرَهَا بِهِ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَرِفْعَةِ الْمَنْزِلَةِ وَالْفَضِيلَةِ، فَقَالَ: كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مِنْكِ وَلَدًا، مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ وَلَا بَعْلٍ، فَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ، وَهُوَ الْخَطُّ الَّذِي يَخُطُّهُ بِيَدِهِ..

﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ وَهِيَ السُّنَّةُ الَّتِي نُوحِيهَا إِلَيْهِ فِي غَيْرِ كِتَابٍ..

﴿وَٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ وَهِيَ التَّوْرَاةُ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَىٰ مُوسَىٰ، كَانَتْ فِيهِمْ مِنْ عَهْدِ مُوسَىٰ..

﴿وَٱلۡإِنجِيلَ ٤٨﴾ [آل عمران: ٤٨] إِنْجِيلَ عِيسَىٰ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ، وَلَكِنَّ اللهَ أَخْبَرَ مَرْيَمَ قَبْلَ خَلْقِ عِيسَىٰ أَنَّهُ مُوحِيهِ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَهَا بِذَلِكَ فَسَمَّاهُ لَهَا؛ لِأَنَّهَا قَدْ كَانَتْ عَلِمَتْ فِيمَا نَزَلَ مِنَ الْكُتُبِ أَنَّ اللهَ بَاعِثٌ نَبِيًّا يُوحِي إِلَيْهِ كِتَابًا اسْمُهُ الْإِنْجِيلُ، فَأَخْبَرَهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ الَّذِي سَمِعَتْ بِصِفَتِهِ، الَّذِي وَعَدَ أَنْبِيَاءَهُ مِنْ قَبْلُ أَنَّهُ مُنْزِلٌ عَلَيْهِ الْكِتَابَ الَّذِي يُسَمَّىٰ إِنْجِيلًا، هُوَ الْوَلَدُ الَّذِي وَهَبَهُ لَهَا، وَبَشَّرَهَا بِهِ.

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران: ٤٩].

﴿وَرَسُولًا﴾ وَنَجْعَلُهُ رَسُولًا..

﴿إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وَحُجَّتِي عَنْ صِدْقِي عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ﴾ بِعَلَامَةٍ..

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تُحَقِّقُ قَوْلِي وَتُصَدِّقُ خَبَرِي، أَنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّكُمْ إِلَيْكُمْ، ثُمَّ بَيَّنَ عَنِ الْآيَةِ مَا هِيَ، فَقَالَ..

﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ جَمْعُ طَائِرٍ..

﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ فَأَنْفُخُ فِي الطَّيْرِ..

﴿فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ﴾ وَأَشْفِي..

﴿ٱلْأَكْمَهَ﴾ هُوَ الْأَعْمَىٰ الَّذِي لَا يُبْصِرُ شَيْئًا لَا لَيْلًا وَلَا نَهَارًا..

﴿وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ بِدُعَاءِ اللهِ، يَدْعُو لَهُمْ، فَيَسْتَجِيبُ لَهُ..

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم﴾ وَأُخْبِرُكُمْ..

﴿بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ بِمَا تَأْكُلُونَهُ مِمَّا لَمْ أُعَايِنْهُ وَأُشَاهِدْهُ مَعَكُمْ فِي وَقْتِ أَكْلِكُمُوهُ..

﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وَمَا تَرْفَعُونَهُ فَتُخَبِّئُونَهُ وَلَا تَأْكُلُونَهُ، فَيُعْلِمُهُمْ أَنَّ مِنْ حُجَّتِهِ أَيْضًا عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ مَعَ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ يَأْتِي بِهَا حُجَّةً عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ وَصِدْقِهِ فِي خَبَرِهِ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ: مِنْ خَلْقِ الطَّيْرِ مِنَ الطِّينِ، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ، وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللهِ، الَّتِي لَا يُطِيقُهَا أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ، إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللهُ ذَلِكَ، عَلَمًا لَهُ عَلَىٰ صِدْقِهِ، وَآيَةً لَهُ عَلَىٰ حَقِيقَةِ قَوْلِهِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْ خَلْقِهِ إِنْبَاءَهُ عَنِ الْغَيْبِ الَّذِي لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ -الَّذِينَ سَبِيلُهُمْ سَبِيلُهُ- عَلَيْهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا كَانَ فِي قَوْلِهِ لَهُمْ: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ مِنَ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَىٰ صِدْقِهِ، وَقَدْ رَأَيْنَا الْمُتَنَجِّمَةَ وَالْمُتَكَهِّنَةَ تُخْبِرُ بِذَلِكَ كَثِيرًا فَتُصِيبُ؟ قِيلَ: إِنَّ الْمُتَنَجِّمَ وَالْمُتَكَهِّنَ مَعْلُومٌ مِنْهُمَا عِنْدَ مَنْ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ أَنَّهُمَا يُنْبِئَانِ بِهِ عَنِ اسْتِخْرَاجٍ لَهُ بِبَعْضِ الْأَسْبَابِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَىٰ عِلْمِهِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ

كَذَلِكَ مِنْ عِيسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَمِنْ سَائِرِ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ عِيسَىٰ يُخْبِرُ بِهِ عَنْ غَيْرِ اسْتِخْرَاجٍ وَلَا طَلَبٍ لِمَعْرِفَتِهِ بِاحْتِيَالٍ، وَلَكِنْ ابْتِدَاءً بِإِعْلَامِ اللهِ إِيَّاهُ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ تَقَدَّمَ ذَلِكَ احْتَذَاهُ، أَوْ بَنَىٰ عَلَيْهِ أَوْ فَزِعَ إِلَيْهِ، كَمَا يَفْزَعُ الْمُتَنَجِّمُ إِلَىٰ حِسَابِهِ، وَالْمُتَكَهِّنُ إِلَىٰ رِئْيِهِ، فَذَلِكَ هُوَ الْفَصْلُ بَيْنَ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ بِالْغُيُوبِ وَإِخْبَارِهِمْ عَنْهَا، وَبَيْنَ عِلْمِ سَائِرِ الْمُتَكَذِّبَةِ عَلَىٰ اللهِ، أَوِ الْمُدَّعِيَةِ عِلْمَ ذَلِكَ..

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إِنَّ فِي خَلْقِي مِنَ الطِّينِ الطَّيْرَ بِإِذْنِ اللهِ، وَفِي إِبْرَائِي الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَإِحْيَائِي الْمَوْتَىٰ، وَإِنْبَائِي إِيَّاكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ، ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ وَتَنْجِيمٍ، وَلَا كَهَانَةٍ وَعِرَافَةٍ..

﴿لَآيَةً لَّكُمْ﴾ لَعِبْرَةً لَكُمْ، وَمُتَفَكَّرًا تَتَفَكَّرُونَ فِي ذَلِكَ، فَتَعْتَبِرُونَ بِهِ أَنِّي مُحِقٌّ فِي قَوْلِي لَكُمْ: إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّكُمْ إِلَيْكُمْ، وَتَعْلَمُونَ بِهِ أَنِّي فِيمَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ صَادِقٌ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران: ٤٩] إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِينَ حُجَجَ اللهِ وَآيَاتِهِ، مُقِرِّينَ بِتَوْحِيدِهِ وَنَبِيِّهِ مُوسَىٰ، وَالتَّوْرَاةِ الَّتِي جَاءَكُمْ بِهَا.. وَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ عِيسَىٰ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، أَنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، احْتِجَاجًا مِنْهُ بِهَذِهِ الْعِبَرِ وَالْآيَاتِ عَلَيْهِمْ فِي نُبُوَّتِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْكَمَهَ وَالْبَرَصَ لَا عِلَاجَ لَهُمَا، فَيَقْدِرُ عَلَىٰ إِبْرَائِهِ ذُو طِبٍّ بِعِلَاجٍ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَدِلَّتِهِ عَلَىٰ صِدْقِ قِيلِهِ إِنَّهُ لِلَّهِ رَسُولٌ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ مَعَ سَائِرِ الْآيَاتِ الَّتِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهَا دَلَالَةً عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ [آل عمران: ٥٠].

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ بِأَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَجِئْتُكُمْ..

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ لِأَنَّ عِيسَىٰ -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ- كَانَ مُؤْمِنًا بِالتَّوْرَاةِ مُقِرًّا بِهَا، وَأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ يُصَدِّقُونَ بِكُلِّ مَا كَانَ قَبْلَهُمْ مِنْ كُتُبِ اللهِ وَرُسُلِهِ، وَإِنِ اخْتَلَفَ بَعْضُ شَرَائِعِ أَحْكَامِهِمْ لِمُخَالَفَةِ اللهِ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ، مَعَ أَنَّ عِيسَىٰ كَانَ فِيمَا بَلَغَنَا عَامِلًا بِالتَّوْرَاةِ، لَمْ يُخَالِفْ شَيْئًا مِنْ أَحْكَامِهَا إِلَّا مَا خَفَّفَ اللهُ عَنْ أَهْلِهَا فِي الْإِنْجِيلِ مِمَّا كَانَ مُشَدَّدًا عَلَيْهِمْ فِيهَا..

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ كَانَ حُرِّمَ عَلَيْهِمْ فِيمَا جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ مِنَ التَّوْرَاةِ لُحُومُ الْإِبِلِ، فَأَحَلَّهَا لَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ عِيسَىٰ، وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ، وَأُحِلَّتْ لَهُمْ فِيمَا جَاءَ بِهِ عِيسَىٰ، وَفِي أَشْيَاءَ مِنَ السَّمَكِ، وَفِي أَشْيَاءَ مِنَ الطَّيْرِ، وَفِي أَشْيَاءَ حَرَّمَهَا عَلَيْهِمْ وَشَدَّدَهَا عَلَيْهِمْ،

فَجَاءَهُمْ عِيسَىٰ بِالتَّخْفِيفِ مِنْهُ فِي الْإِنْجِيلِ، فَكَانَ الَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَىٰ أَلْيَنَ مِنَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ..

﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وَجِئْتُكُمْ بِحُجَّةٍ وَعِبْرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ تَعْلَمُونَ بِهَا يَقِينًا صِدْقِي، وَحَقِيقَةَ مَا أَقُولُ لَكُمْ..

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ فَأَوْفُوا بِعَهْدِهِ الَّذِي عَاهَدْتُمُوهُ فِيهِ..

﴿وَأَطِيعُونِ ۝٥٠﴾ [آل عمران: ٥٠] فِيمَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَصْدِيقِي فِيمَا أَرْسَلَنِي بِهِ إِلَيْكُمْ، رَبِّي وَرَبُّكُمْ.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٥١﴾ [آل عمران: ٥١].

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ فَإِنَّهُ بِذَلِكَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ، وَبِإِحْلَالِ بَعْضِ مَا كَانَ مُحَرَّمًا عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ..

﴿هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٥١﴾ [آل عمران: ٥١] وَذَلِكَ هُوَ الطَّرِيقُ الْقَوِيمُ، وَالْهُدَىٰ الْمَتِينُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ، وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهَا خَبَرًا، فَفِيهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ مِنَ اللهِ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ أَنَّ عِيسَىٰ كَانَ بَرِيئًا مِمَّا نَسَبَهُ إِلَيْهِ مَنْ نَسَبَهُ، غَيْرَ الَّذِي وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، مِنْ أَنَّهُ لِلَّهِ عَبْدٌ كَسَائِرِ عَبِيدِهِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، إِلَّا مَا كَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَصَّهُ بِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ، وَالْحُجَجِ الَّتِي آتَاهُ دَلِيلًا عَلَىٰ صِدْقِهِ، كَمَا آتَىٰ سَائِرَ الْمُرْسَلِينَ غَيْرَهُ مِنَ الْأَعْلَامِ وَالْأَدِلَّةِ عَلَىٰ صِدْقِهِمْ، وَالْحُجَّةِ عَلَىٰ نُبُوَّتِهِمْ.

﴿۞ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢﴾ [آل عمران: ٥٢].

﴿۞ فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ فَلَمَّا وَجَدَ.. وَالْإِحْسَاسُ: هُوَ الْوُجُودُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [مريم: ٩٨] فَأَمَّا الْحِسُّ بِغَيْرِ أَلِفٍ، فَهُوَ الْإِفْنَاءُ وَالْقَتْلُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٢] وَالْحِسُّ أَيْضًا: الْعَطْفُ وَالرِّقَّةُ..

﴿عِيسَىٰ مِنْهُمُ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَيْهِمْ..

﴿الْكُفْرَ﴾ وَالْجُحُودَ لِنُبُوَّتِهِ، وَتَكْذِيبًا لِقَوْلِهِ، وَصَدًّا عَمَّا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ..

﴿قَالَ﴾ عِيسَىٰ..

﴿مَنْ أَنصَارِي﴾ مَنْ أَعْوَانِي عَلَىٰ الْمُكَذِّبِينَ بِحُجَّةِ اللهِ، وَالْمُوَلِّينَ عَنْ دِينِهِ، وَالْجَاحِدِينَ نُبُوَّةَ نَبِيِّهِ..

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ مَعَ اللهِ..

﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ سُمُّوا بِذَلِكَ لِبَيَاضِ ثِيَابِهِمْ، وَلِأَنَّهُمْ كَانُوا غَسَّالِينَ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَوَارِيُّو عِيسَىٰ كَانُوا سُمُّوا بِالَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ تَبْيِيضِهِمُ الثِّيَابَ وَأَنَّهُمْ كَانُوا قَصَّارِينَ، فَعُرِفُوا بِصُحْبَةِ عِيسَىٰ وَاخْتِيَارِهِ إِيَّاهُمْ لِنَفْسِهِ أَصْحَابًا وَأَنْصَارًا، فَجَرَىٰ ذَلِكَ الِاسْمُ لَهُمْ وَاسْتُعْمِلَ، حَتَّىٰ صَارَ كُلُّ خَاصَّةٍ لِلرَّجُلِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَنْصَارِهِ حَوَارِيَّهُ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**» يَعْنِي خَاصَّتَهُ، وَقَدْ تُسَمِّي الْعَرَبُ النِّسَاءَ اللَّوَاتِي مَسَاكِنُهُنَّ الْقُرَىٰ وَالْأَمْصَارُ (حَوَارِيَّاتٌ)، وَإِنَّمَا سُمِّينَ بِذَلِكَ لِغَلَبَةِ الْبَيَاضِ عَلَيْهِنَّ..

﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ صَدَّقْنَا بِاللهِ..

﴿وَٱشْهَدْ﴾ أَنْتَ يَا عِيسَىٰ..

﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢﴾ [آل عمران: ٥٢] وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ ﷻ أَنَّ الْإِسْلَامَ دِينُهُ الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ عِيسَىٰ وَالْأَنْبِيَاءَ قَبْلَهُ، لَا النَّصْرَانِيَّةَ وَلَا الْيَهُودِيَّةَ، وَتُبْرِئَةٌ مِنَ اللهِ لِعِيسَىٰ مِمَّنِ انْتَحَلَ النَّصْرَانِيَّةَ وَدَانَ بِهَا، كَمَا بَرَّأَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْيَانِ غَيْرِ الْإِسْلَامِ.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ صَدَّقْنَا، وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ ﷻ عَنِ الْحَوَارِيِّينَ أَنَّهُمْ قَالُوا: «**رَبَّنَا آمَنَّا**»..

﴿بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ عَلَىٰ نَبِيِّكَ عِيسَىٰ مِنْ كِتَابِكَ..

﴿وَٱتَّبَعْنَا﴾ صِرْنَا أَتْبَاعَ..

﴿ٱلرَّسُولَ﴾ عِيسَىٰ، عَلَىٰ دِينِكَ الَّذِي ابْتَعَثْتَهُ بِهِ، وَأَعْوَانَهُ عَلَىٰ الْحَقِّ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ بِهِ إِلَىٰ عِبَادِكَ..

﴿فَٱكْتُبْنَا﴾ فَأَثْبِتْ أَسْمَاءَنَا..

﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾ [آل عمران: ٥٣] مَعَ أَسْمَاءِ الَّذِينَ شَهِدُوا بِالْحَقِّ، وَأَقَرُّوا لَكَ بِالتَّوْحِيدِ، وَصَدَّقُوا رُسُلَكَ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَكَ وَنَهْيَكَ، فَاجْعَلْنَا فِي عِدَادِهِمْ وَمَعَهُمْ فِيمَا تُكْرِمُهُمْ بِهِ مِنْ كَرَامَتِكَ، وَأَحِلَّنَا مَحَلَّهُمْ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ كَفَرَ بِكَ، وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِكَ، وَخَالَفَ أَمْرَكَ وَنَهْيَكَ، يُعَرِّفُ خَلْقَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ سَبِيلَ الَّذِينَ رَضِيَ أَقْوَالَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ، لِيَحْتَذُوا طَرِيقَهُمْ، وَيَتَّبِعُوا مِنْهَاجَهُمْ، فَيَصِلُوا إِلَىٰ مِثْلِ الَّذِي وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنْ دَرَجَاتِ كَرَامَتِهِ، وَيُكَذِّبُ بِذَلِكَ الَّذِينَ انْتَحَلُوا مِنَ الْمِلَلِ غَيْرَ الْحَنِيفِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ فِي دَعْوَاهُمْ عَلَىٰ أَنْبِيَاءِ اللهِ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ غَيْرِهَا.

﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾ [آل عمران: ٥٤].

﴿وَمَكَرُواْ﴾ وَمَكَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُمُ الَّذِينَ ذَكَرَ اللهُ أَنَّ عِيسَىٰ أَحَسَّ مِنْهُمُ الْكُفْرَ، وَكَانَ مَكْرُهُمُ الَّذِي وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ مُوَاطَأَةَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا عَلَىٰ الْفَتْكِ بِعِيسَىٰ وَقَتْلِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ عِيسَىٰ -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ- بَعْدَ إِخْرَاجِ قَوْمِهِ إِيَّاهُ وَأُمَّهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ عَادَ إِلَيْهِمْ..

﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ بِهِمْ بِإِلْقَائِهِ شَبَهَ عِيسَىٰ عَلَىٰ بَعْضِ أَتْبَاعِهِ، حَتَّىٰ قَتَلَهُ الْمَاكِرُونَ بِعِيسَىٰ، وَهُمْ يَحْسَبُونَهُ عِيسَىٰ، وَقَدْ رَفَعَ اللهُ ﷻ عِيسَىٰ قَبْلَ ذَلِكَ.. وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ مَكْرِ اللهِ بِهِمُ اسْتِدْرَاجُهُ إِيَّاهُمْ لِيَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، كَمَا قَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِي قَوْلِ اللهِ: ﴿الله يستهزئ بهم﴾ [البقرة: ١٥]..

﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾ [آل عمران: ٥٤] وَمَكَرَ اللهُ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ حَاوَلُوا قَتْلَ عِيسَىٰ مَعَ كُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ عِيسَىٰ فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ.

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ۝٥٥﴾ [آل عمران: ٥٥].

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ إِنِّي قَابِضُكَ مِنَ الْأَرْضِ حَيًّا إِلَىٰ جِوَارِي..

﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ وَآخِذُكَ إِلَىٰ مَا عِنْدِي بِغَيْرِ مَوْتٍ..

﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وَرَافِعُكَ مِنْ بَيْنِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ الَّذِين جَحَدُوا نُبُوَّتَكَ.. وقد تَوَاتَرت الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يَنْزِلُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ**»، ثُمَّ يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ مُدَّةً ذَكَرَهَا، اخْتَلَفَتِ الرِّوَايَةُ فِي مَبْلَغِهَا، ثُمَّ يَمُوتُ، فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَدْفِنُونَهُ..

﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ عَلَىٰ مِنْهَاجِكَ وَمِلَّتِكَ مِنَ الْإِسْلَامِ وَفِطْرَتِهِ..

﴿فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ فَوْقَ الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّتَكَ، وَخَالَفُوا بِسَبِيلِهِمْ جَمِيعَ أَهْلِ الْمِلَلِ، فَكَذَّبُوا بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَصَدُّوا عَنِ الْإِقْرَارِ بِهِ، فَمَصِيرُهُمْ فَوْقَهُمْ ظَاهِرِينَ عَلَيْهِمْ..

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ﴾ ثُمَّ إِلَىٰ اللهِ أَيُّهَا الْمُخْتَلِفُونَ فِي عِيسَىٰ: الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِكَ..

﴿مَرۡجِعُكُمۡ﴾ مَصِيرُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ فَأَقْضِي حِينَئِذٍ بَيْنَ جَمِيعِكُمْ فِي أَمْرِ عِيسَىٰ بِالْحَقِّ..

﴿فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران: ٥٥] مِنْ أَمْرِهِ.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

[آل عمران: ٥٦].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّتَكَ يَا عِيسَىٰ، وَخَالَفُوا مِلَّتَكَ وَكَذَّبُوا بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَقَالُوا فِيكَ الْبَاطِلَ وَأَضَافُوكَ إِلَىٰ غَيْرِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُضِيفُوكَ إِلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، وَسَائِرِ أَصْنَافِ الْأَدْيَانِ..

﴿فَأُعَذِّبُهُمْ﴾ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُمْ..

﴿عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بِالْقَتْلِ وَالسِّبَاءِ وَالذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ..

﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾ بِنَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا..

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [آل عمران: ٥٦] وَمَا لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ مَانِعٌ، وَلَا عَنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ لَهُمْ دَافِعٌ بِقُوَّةٍ وَلَا شَفَاعَةٍ؛ لِأَنَّهُ الْعَزِيزُ ذُو الِانْتِقَامِ.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾

[آل عمران: ٥٧].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِكَ يَا عِيسَىٰ، وَصَدَّقُوكَ فَأَقَرُّوا بِنُبُوَّتِكَ، وَبِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِي، وَدَانُوا بِالْإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثْتُكَ بِهِ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِمَا فَرَضْتُ مِنْ فَرَائِضِي عَلَىٰ لِسَانِكَ، وَشَرَّعْتُ مِنْ شَرَائِعِي، وَسَنَنْتُ مِنْ سُنَنِي..

﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ فَيُعْطِيهِمْ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ كَامِلًا لَا يُبْخَسُونَ مِنْهُ شَيْئًا وَلَا يُنْقَصُونَهُ..

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [آل عمران: ٥٧] وَاللهُ لَا يُحِبُّ مَنْ ظَلَمَ غَيْرَهُ حَقًّا لَهُ، أَوْ وَضَعَ شَيْئًا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَنَفَىٰ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ نَفْسِهِ بِذَلِكَ أَنْ يَظْلِمَ عِبَادَهُ، فَيُجَازِي الْمُسِيءَ مِمَّنْ كَفَرَ جَزَاءَ الْمُحْسِنِينَ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، أَوْ يُجَازِي الْمُحْسِنَ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ فَأَطَاعَهُ جَزَاءَ الْمُسِيئِينَ مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ وَكَذَّبَ رُسُلَهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أُحِبُّ الظَّالِمِينَ، فَكَيْفَ أَظْلِمُ

خَلْقِي؟!.. وَهَذَا الْقَوْلُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ مَخْرَجَ الْخَبَرِ، كَأَنَّهُ وَعِيدٌ مِنْهُ لِلْكَافِرِينَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ، وَوَعْدٌ مِنْهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ؛ لِأَنَّهُ أَعْلَمَ الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا أَنَّهُ لَا يَبْخَسُ هَذَا الْمُؤْمِنَ حَقَّهُ، وَلَا يَظْلِمُ كَرَامَتَهُ، فَيَضَعُهَا فِيمَنْ كَفَرَ بِهِ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، فَيَكُونُ لَهَا بِوَضْعِهَا فِي غَيْرِ أَهْلِهَا ظَالِمًا.

﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ [آل عمران: ٥٨].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذِهِ الْأَنْبَاءُ الَّتِي أَنْبَأَ بِهَا نَبِيَّهُ عَنْ عِيسَىٰ وَأُمِّهِ مَرْيَمَ، وَأُمِّهَا حَنَّةَ، وَزَكَرِيَّا وَابْنِهِ يَحْيَىٰ، وَمَا قَصَّ مِنْ أَمْرِ الْحَوَارِيِّينَ، وَالْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ نَقْرَؤُهَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، عَلَىٰ لِسَانِ جِبْرِيلَ ﷺ، بِوَحْيِنَاهَا إِلَيْكَ..

﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ مِنَ الْعِبَرِ وَالْحُجَجِ، عَلَىٰ مَنْ حَاجَّكَ مِنَ النَّصَارَىٰ، وَيَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَذَّبُوكَ، وَكَذَّبُوا مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِي..

﴿وَالذِّكْرِ﴾ وَالْقُرْآنِ..

﴿الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ [آل عمران: ٥٨] ذِي الْحِكْمَةِ الْفَاصِلَةِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ نَاسِبِي الْمَسِيحِ إِلَىٰ غَيْرِ نَسَبِهِ.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩].

﴿إِنَّ مَثَلَ﴾ إِنَّ شَبَهَ..

﴿عِيسَىٰ﴾ فِي خَلْقِي إِيَّاهُ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ فَأَخْبِرْ بِهِ يَا مُحَمَّدُ النَّصَارَىٰ..

﴿عِندَ اللَّهِ﴾ عِنْدِي..

﴿كَمَثَلِ﴾ كَشَبَهِ..

﴿آدَمَ﴾ الَّذِي..

﴿خَلَقَهُ﴾ خَلَقْتُهُ..

﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ﴾ ثُمَّ قُلْتُ..

﴿لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩] فَكَانَ، مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ، وَلَا ذَكَرٍ، وَلَا أُنْثَىٰ، فَلَيْسَ خَلْقِي عِيسَىٰ مِنْ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ، بِأَعْجَبَ مِنْ خَلْقِي آدَمَ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَىٰ، فَكَانَ لَحْمًا، وَأَمْرِي إِذْ أَمَرْتُهُ أَنْ يَكُونَ فَكَانَ، فَكَذَلِكَ خَلْقِي عِيسَىٰ أَمَرْتُهُ أَنْ يَكُونَ فَكَانَ.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠﴾ [آل عمران: ٦٠].

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ الَّذِي أَنْبَأْتُكَ بِهِ مِنْ خَبَرِ عِيسَىٰ، وَأَنَّ مَثَلَهُ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ رَبُّهُ: كُنْ، هُوَ الْخَبَرُ الَّذِي هُوَ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠﴾ [آل عمران: ٦٠] فَلَا تَكُنْ مِنَ الشَّاكِّينَ فِي أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦١﴾ [آل عمران: ٦١].

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ﴾ فَمَنْ جَادَلَكَ يَا مُحَمَّدُ فِي الْمَسِيحِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ..

﴿فِيهِ﴾ فِي عِيسَىٰ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ الهاء عَائِدَةً عَلَىٰ الْحَقِّ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ الَّذِي قَدْ بَيَّنْتُهُ لَكَ فِي عِيسَىٰ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ..

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟﴾ هَلُمُّوا فَلْـ...

﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ ثُمَّ نَلْتَعِنْ..

﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦١﴾ [آل عمران: ٦١] مِنَّا وَمِنْكُمْ فِي آيَةِ عِيسَىٰ.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦٢﴾ [آل عمران: ٦٢].

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الَّذِي أَنْبَأْتُكَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ مِنْ أَمْرِ عِيسَىٰ، فَقَصَصْتُهُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهِ، وَأَنَّهُ عَبْدِي وَرَسُولِي، وَكَلِمَتِي أَلْقَيْتُهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنِّي..

﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ﴾ وَالنَّبَأُ..

﴿ٱلْحَقُّ﴾ فَاعْلَمْ ذَلِكَ..

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْخَلْقِ مَعْبُودٌ يَسْتَوْجِبُ عَلَيْهِمُ الْعِبَادَةَ بِمُلْكِهِ إِيَّاهُمْ إِلَّا مَعْبُودَكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ..

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ عَصَاهُ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ، وَادَّعَىٰ مَعَهُ إِلَهًا غَيْرَهُ، أَوْ عَبَدَ رَبًّا سِوَاهُ..

﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٦٢﴾ [آل عمران: ٦٢] فِي تَدْبِيرِهِ، لَا يَدْخُلُ مَا دَبَّرَهُ وَهَنٌ وَلَا يَلْحَقُهُ خَلَلٌ.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ۝٦٣﴾ [آل عمران: ٦٣].

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ فَإِنْ أَدْبَرَ هَؤُلَاءِ الَّذِيْنَ حَاجوكَ فِي عِيْسَىٰ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ مِن عِنْدِ رَبِّكَ، فِي عِيْسَىٰ وَغَيْرِه مِنْ سَائِرِ مَا آتَاكَ اللهُ مِن الهُدَىٰ وَالبَيَانِ، فَأَعْرَضُوا عَنْه، وَلَم يَقْبَلُوه..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ﴾ فَإِنَّ اللهَ ذُو عِلْمٍ بِالَّذِيْنَ يَعْصُوْنَ رَبَّهُم، وَيَعْمَلُوْنَ فِي أَرْضِهِ وَبِلَادِهِ..

﴿بِٱلْمُفْسِدِينَ ۝٦٣﴾ [آل عمران: ٦٣] بِمَا نَهَاهُم عَنْه، وَذَلِكَ هُوَ إِفْسَادُهم، فَهُو عَالِمٌ بِهِم وَبِأَعْمَالِهِم، يُحْصِيْهَا عَلَيْهِم وَيَحْفَظُهَا، حَتَّىٰ يُجَازِيْهِم عَلَيْهَا جَزَاءَهَم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾

[آل عمران: ٦٤].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وَهُمْ أَهْلُ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿تَعَالَوْاْ﴾ هَلُمُّوا..

﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ إِلَىٰ كَلِمَةٍ عَدْلٍ، وَهِيَ أَنْ نُوَحِّدَ اللهَ فَلَا نَعْبُدَ غَيْرَهُ، وَنَبْرَأَ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ فَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا..

﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ وَلَا يَدِينُ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ بِالطَّاعَةِ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ مَعَاصِي اللهِ، وَيُعَظِّمُهُ بِالسُّجُودِ لَهُ، كَمَا يَسْجُدُ لِرَبِّهِ.. فَإِنَّ اتِّخَاذَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، هُوَ مَا كَانَ بِطَاعَةِ الْأَتْبَاعِ الرُّؤَسَاءَ فِيمَا أَمَرُوهُمْ بِهِ مِنْ مَعَاصِي اللهِ وَتَرْكِهِمْ مَا نَهَوْهُمْ عَنْهُ مِنْ طَاعَةِ اللهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ﴾ [التوبة: ٣١]..

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا عَمَّا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْكَلِمَةِ السَّوَاءِ الَّتِي أَمَرْتُكَ بِدُعَائِهِمْ إِلَيْهَا، فَلَمْ يُجِيبُوكَ إِلَيْهَا..

﴿فَقُولُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لِلْمُتَوَلِّينَ عَنْ ذَلِكَ..

﴿ٱشْهَدُواْ﴾ عَلَيْنَا..

﴿بِأَنَّا﴾ بِمَا تَوَلَّيْتُمْ عَنْهُ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَإِخْلَاصِ الْعُبُودِيَّةِ لَهُ، وَأَنَّهُ الْإِلَهُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ..

﴿مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤] خَاضِعِينَ لِلَّهِ بِهِ مُتَذَلِّلِينَ لَهُ بِالْإِقْرَارِ بِذَلِكَ بِقُلُوبِنَا وَأَلْسِنَتِنَا.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥﴾ [آل عمران: ٦٥].

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يا أَهْلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ..

﴿لِمَ تُحَآجُّونَ﴾ لِمَ تُجادِلُونَ، وَتُخاصِمُونَ..

﴿فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ.. وَكَانَ حِجَاجُهُمْ فِيهِ: ادِّعَاءُ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْ أَهْلِ هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ أَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُ كَانَ يَدِينُ دِينَ أَهْلِ نِحْلَتِهِ، فَعَابَهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِادِّعَائِهِمْ ذَلِكَ، وَدَلَّ عَلَىٰ مُنَاقَضَتِهِمْ وَدَعْوَاهُمْ، فَقَالَ..

﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ وَكَيْفَ تَدَّعُونَ أَنَّهُ كَانَ عَلَىٰ مِلَّتِكُمْ وُدِينِكُمْ، وَدِينُكُم إِمَّا يَهُودِيَّةٌ أَوْ نَصْرَانِيَّةٌ، وَالْيَهُودِيُّ مِنْكُمْ يَزْعُمُ أَنَّ دِينَهُ إِقَامَةُ التَّوْرَاةِ وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهَا، وَالنَّصْرَانِيُّ مِنْكُمْ يَزْعُمُ أَنَّ دِينَهُ إِقَامَةُ الإِنْجِيلِ وَمَا فِيهِ، وَهَذَانِ كِتَابَانِ لَمْ يَنْزِلَا إِلَّا بَعْدَ حِينٍ مِنْ مَهْلِكِ إِبْرَاهِيمَ وَوَفَاتِهِ؟! فَكَيْفَ يَكُونُ مِنْكُمْ؟! فَمَا وَجْهُ اخْتِصَامِكُمْ فِيهِ وَادِّعَائِكُمْ أَنَّهُ مِنْكُمْ، وَالأَمْرُ فِيهِ عَلَىٰ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ؟

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥﴾ [آل عمران: ٦٥] وتَفْقَهُونَ خَطَأَ قِيلِكُمْ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ حَدَثَتْ مِنْ بَعْدِ مَهْلِكِهِ بِحِينٍ؟!

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦﴾ [آل عمران: ٦٦].

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الْقَوْمِ الَّذِينَ..

﴿حَٰجَجۡتُمۡ﴾ خَاصَمْتُمْ وَجَادَلْتُمْ..

﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمُ الَّذِي وَجَدْتُمُوهُ فِي كُتُبِكُمْ، وَأَتَتْكُمْ بِهِ رُسُلُ اللهِ مِنْ عِنْدِهِ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أُوتِيتُمُوهُ، وَثَبَتَتْ عِنْدَكُمْ صِحَّتُهُ..

﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ﴾ فَلِمَ تُجَادِلُونَ وَتُخَاصِمُونَ..

﴿فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ﴾ الَّذِي لَا عِلْمَ لَكُمْ بِهِ مِنْ أَمْرِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ، وَلَمْ تَجِدُوهُ فِي كُتُبِ اللهِ، وَلَا أَتَتْكُمْ بِهِ أَنْبِيَاؤُكُمْ، وَلَا شَاهَدْتُمُوهُ فَتَعْلَمُوهُ..

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ مَا غَابَ عَنْكُمْ فَلَمْ تُشَاهِدُوهُ وَلَمْ تَرَوْهُ وَلَمْ تَأْتِكُمْ بِهِ رُسُلُهُ مِنْ أَمْرِ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأُمُورِ، وَمِمَّا تُجَادِلُونَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ..

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٦﴾ [آل عمران: ٦٥] مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا عَايَنْتُمْ فَشَاهَدْتُمْ، أَوْ أَدْرَكْتُمْ عِلْمَهُ بِالْإِخْبَارِ وَالسَّمَاعِ.

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٦٧﴾ [آل عمران: ٦٧].

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ وَهَذَا تَكْذِيبٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ دَعْوَىٰ الَّذِينَ جَادَلُوا فِي إِبْرَاهِيمَ وَمِلَّتِهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، وَادَّعَوْا أَنَّهُ كَانَ عَلَىٰ مِلَّتِهِمْ، وَتَبْرِئَةٌ لَهُمْ مِنْهُ، وَأَنَّهُمْ لِدِينِهِ مُخَالِفُونَ، وَقَضَاءٌ مِنْهُ عَزَّوَجَلَّ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ وَلِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ دِينِهِ، وَعَلَىٰ مِنْهَاجِهِ وَشَرَائِعِهِ دُونَ سَائِرِ أَهْلِ الْمِلَلِ وَالْأَدْيَانِ غَيْرِهِمْ..

﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا﴾ مُتَّبِعًا أَمْرَ اللهِ وَطَاعَتَهُ، مُسْتَقِيمًا عَلَىٰ مَحَجَّةِ الْهُدَىٰ الَّتِي أُمِرَ بِلُزُومِهَا..

﴿مُّسْلِمًا﴾ خَاشِعًا لِلَّهِ بِقَلْبِهِ، مُتَذَلِّلًا لَهُ بِجَوَارِحِهِ، مُذْعِنًا لِمَا فَرَضَ عَلَيْهِ وَأَلْزَمَهُ مِنْ أَحْكَامِهِ..

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٦٧﴾ [آل عمران: ٦٧] الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ، أَوْ مَخْلُوقًا دُونَ خَالِقِهِ الَّذِي هُوَ إِلَهُ الْخَلْقِ وَبَارِئُهُمْ.

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٨﴾ [آل عمران: ٦٨].

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ﴾ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ..

﴿بِإِبْرَٰهِيمَ﴾ وَنُصْرَتِهِ وَوِلَايَتِهِ..

﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ الَّذِينَ سَلَكُوا طَرِيقَهُ وَمِنْهَاجَهُ، فَوَحَّدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَسَنُّوا سُنَنَهُ وَشَرَّعُوا شَرَائِعَهُ وَكَانُوا لِلَّهِ حُنَفَاءَ مُسْلِمِيْنَ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ..

﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وصَدَّقُوا مُحَمَّدًا، وَبِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ﴾ نَاصِرُ..

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٨﴾ [آل عمران: ٦٨] بِمُحَمَّدٍ الْمُصَدِّقِينَ لَهُ فِي نُبُوَّتِهِ، وَفِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ وَالْأَدْيَانِ.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٦٩﴾
[آل عمران: ٦٩].

﴿وَدَّت﴾ تَمَنَّتْ..

﴿طَّآئِفَةٌ﴾ جَمَاعَةٌ..

﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ وَهُمْ أَهْلُ التَّوْرَاةِ مِنَ الْيَهُودِ، وَأَهْلُ الْإِنْجِيلِ مِنَ النَّصَارَىٰ..

﴿لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ لَوْ يَصُدُّونَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَيَرُدُّونَكُمْ عَنْهُ إِلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، فَيُهْلِكُونَكُمْ بِذَلِكَ.. وَالْإِضْلَالُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْإِهْلَاكُ مِنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ [السجدة: ١٠] يَعْنِي: إِذَا هَلَكْنَا..

﴿وَمَا يُضِلُّونَ﴾ وَمَا يُهْلِكُونَ بِمَا يَفْعَلُونَهُ مِنْ مُحَاوَلَتِهِمْ صَدَّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ أَحَدًا..

﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ غَيْرَ أَتْبَاعِهِمْ وَأَشْيَاعِهِمْ عَلَىٰ مِلَّتِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ، وَإِنَّمَا أَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَتْبَاعَهُمْ بِمَا حَاوَلُوا مِنْ ذَلِكَ لِاسْتِيجَابِهِمْ مِنَ اللهِ بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ سَخَطَهُ، وَاسْتِحْقَاقِهِمْ بِهِ غَضَبَهُ وَلَعْنَتَهُ، لِكُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَنَقْضِهِمُ الْمِيثَاقَ الَّذِي أَخَذَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِمْ فِي اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَتَصْدِيقِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ مَا يَفْعَلُونَ، مِنْ مُحَاوَلَةِ صَدِّ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْهُدَىٰ إِلَى الضَّلَالَةِ وَالرَّدَىٰ عَلَىٰ جَهْلٍ مِنْهُمْ بِمَا اللهُ بِهِمْ مُحِلٌّ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَمُدَّخِرٌ لَهُمْ مِنْ أَلِيمِ عَذَابِهِ..

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٦٩﴾ [آل عمران: ٦٩] وَمَا يَدْرُونَ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ لَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ بِمُحَاوَلَتِهِمْ إِضْلَالَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ.

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝٧٠﴾ [آل عمران: ٧٠].

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ لِمَ تَجْحَدُونَ..

﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ بِمَا فِي كِتَابِ اللهِ، الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ، عَلَىٰ أَلْسُنِ أَنْبِيَائِكُمْ مِنْ آيِهِ وَأَدِلَّتِهِ..

﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝٧٠﴾ [آل عمران: ٧٠] أَنَّهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ، وَإِنَّمَا هَذَا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ تَوْبِيخٌ

لِأَهْلِ الْكِتَابَيْنِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَجُحُودِهِمْ نُبُوَّتَهُ، وَهُمْ يَجِدُونَهُ فِي كُتُبِهِمْ مَعَ شَهَادَتِهِمْ أَنَّ مَا فِي كُتُبِهِمْ حَقٌّ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١﴾ [آل عمران: ٧١].

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يَا أَهْلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿لِمَ تَلۡبِسُونَ﴾ لِمَ تَخْلِطُونَ..

﴿ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ وَكَانَ خَلْطُهُمُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ: إِظْهَارُهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ مِنَ التَّصْدِيقِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ غَيْرَ الَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ..

﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ وَلِمَ تَكْتُمُونَ الحَقَّ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ..

﴿ٱلۡحَقُّ﴾ الَّذِي فِي كُتُبِهِمْ مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَبْعَثِهِ وَنُبُوَّتِهِ..

﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١﴾ [آل عمران: ٧١] أَنَّ الَّذِيَ تَكْتُمُونَهُ مِنَ الْحَقِّ حَقٌّ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَهَذَا الْقَوْلُ مِنَ اللهِ ﷻ خَبَرٌ عَنْ تَعَمُّدِ أَهْلِ الْكِتَابِ الْكُفْرَ بِهِ، وَكِتْمَانِهُمْ مَا قَدْ عَلِمُوا مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَوَجَدُوهُ فِي كُتُبِهِمْ وَجَاءَتْهُمْ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُمْ.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢﴾ [آل عمران: ٧٢].

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يَعْنِي مِنَ الْيَهُودِ الَّذِي يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ..

﴿ءَامِنُواْ﴾ صَدِّقُوا..

﴿بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ الدِّينِ الْحَقِّ وَشَرَائِعَهُ وَسُنَنِهِ..

﴿وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَسُمِّيَ أَوَّلُهُ وَجْهًا لَهُ؛ لِأَنَّهُ أَحْسَنُهُ، وَأَوَّلُ مَا يُوَاجِهُ النَّاظِرَ فَيَرَاهُ مِنْهُ..

﴿وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ﴾ وَاجْحَدُوا مَا صَدَّقْتُمْ بِهِ مِنْ دِينِهِمْ فِي وَجْهِ النَّهَارِ فِي آخِرِ النَّهَارِ..

﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢﴾ [آل عمران: ٧٢] لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عَنْ دِينِهِمْ مَعَكُمْ وَيَدَعُونَهُ.

﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣﴾ [آل عمران: ٧٣].

﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾ وَلَا تُصَدِّقُوا..

﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾ إِلَّا مَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ فَكَانَ يَهُودِيًّا، وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ قَوْلِ الطَّائِفَةِ

الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ [آل عمران: ٧٢] وَاللَّامُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ نَظِيرُهُ اللَّامُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢] بِمَعْنَىٰ: رَدِفَكُمْ ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ۝٧٢﴾ [النمل: ٧٢]..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْقَائِلِينَ مَا قَالُوا مِنَ الطَّائِفَةِ الَّتِي وَصَفْتُ لَكَ قَوْلَهَا لِتُبَّاعِهَا مِنَ الْيَهُودِ..

﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ إِنَّ التَّوْفِيقَ تَوْفِيقُ اللهِ، وَالْبَيَانَ بَيَانُهُ، وَإِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، لَا مَا تَمَنَّيْتُمُوهُ أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ.. وَهَذَا اعْتُرِضَ بِهِ فِي وَسَطِ الْكَلَامِ خَبَرًا مِنَ اللهِ عَنْ أَنَّ الْبَيَانَ بَيَانُهُ وَالْهُدَىٰ هُدَاهُ، وَسَائِرُ الْكَلَامِ بَعْدَ ذَلِكَ مُتَّصِلٌ بِالْكَلَامِ الْأَوَّلِ خَبَرًا عَنْ قِيلِ الْيَهُودِ بَعْضِهَا لِبَعْضٍ..

﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا أُوتِيتُمْ..

﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا أَنْ يُحَاجَّكُمْ أَحَدٌ عِنْدَ رَبِّكُمْ بِإِيمَانِكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ أَكْرَمُ عَلَىٰ اللهِ مِنْهُمْ بِمَا فَضَّلَكُمْ بِهِ عَلَيْهِمْ.. فَالْكَلَامُ كُلُّهُ خَبَرٌ عَنْ قَوْلِ الطَّائِفَةِ الَّتِي قَالَ اللهُ ﷻ ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ [آل عمران: ٧٢] سِوَىٰ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾، فَيَكُونُ الْكَلَامُ مُبْتَدَأً بِتَكْذِيبِهِمْ فِي قَوْلِهِمْ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْقَائِلِينَ مَا قَالُوا مِنَ الطَّائِفَةِ الَّتِي وَصَفْتُ لَكَ قَوْلَهَا لِتُبَّاعِهَا مِنَ الْيَهُودِ ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَصَفْتُ قَوْلَهُمْ لِأَوْلِيَائِهِمْ..

﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ﴾ إِنَّ التَّوْفِيقَ لِلْإِيمَانِ، وَالْهِدَايَةَ لِلْإِسْلَامِ..

﴿بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ وَإِلَيْهِ دُونَكُمْ وَدُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ..

﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ مِنْ خَلْقِهِ، يَعْنِي: يُعْطِيهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ عِبَادِهِ، تَكْذِيبًا مِنَ اللهِ ﷻ لَهُمْ فِي قَوْلِهِمْ لِتُبَّاعِهِمْ: لَا يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ، فَقَالَ اللهُ ﷻ لِنَبِيِّهِ ﷺ: قُلْ لَهُمْ: لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْكُمْ، إِنَّمَا هُوَ إِلَىٰ اللهِ الَّذِي بِيَدِهِ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا، وَإِلَيْهِ الْفَضْلُ، وَبِيَدِهِ يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ..

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ وَاللهُ ذُو سَعَةٍ بِفَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ..

﴿عَلِيمٌ ۝٧٣﴾ [آل عمران: ٧٣] ذُو عِلْمٍ بِمَنْ هُوَ مِنْهُمْ لِلْفَضْلِ أَهْلٌ.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [آل عمران: ٧٤].

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يَخْتَصُّ بِالنُّبُوَّةِ وَالْقُرْآنِ وَالْإِسْلَامِ مَنْ يَشَاءُ..

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ﴾ يَتَفَضَّلُ بِهِ عَلَىٰ مَنْ أَحَبَّ وَشَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ وَصَفَ فَضْلَهُ بِـ..

﴿ٱلۡعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [آل عمران: ٧٤] لِأَنَّهُ غَيْرُ مُشْبِهٍ -فِي عِظَمِ مَوْقِعِهِ مِمَّنْ أَفْضَلَهُ عَلَيْهِ- أَفْضَالَ خَلْقِهِ، وَلَا يُقَارِبُهُ فِي جَلَالَةِ خَطَرِهِ، وَلَا يُدَانِيهِ.

﴿۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝٧٥﴾ [آل عمران: ٧٥].

﴿۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ هَذَا الْخَبَرُ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، وَهُمُ الْيَهُودُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿مَنۡ﴾ الَّذِي..

﴿إِن تَأۡمَنۡهُ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿بِقِنطَارٖ﴾ عَلَىٰ عَظِيمٍ مِنَ الْمَالِ كَثِيرٍ..

﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ وَلَا يَخُنْكَ فِيهِ..

﴿وَمِنۡهُم﴾ الْخَائِنُ أَمَانَتَهُ، الْفَاجِرُ فِي يَمِينِهِ الْمُسْتَحِلُّ..

﴿مَّنۡ﴾ الَّذِي..

﴿إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ﴾ عَلَىٰ دِينَارٍ..

﴿لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ يَخُنْكَ فِيهِ، فَلَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ..

﴿إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ﴾ إِلَّا أَنْ تُلِحَّ عَلَيْهِ بِالتَّقَاضِي وَالْمُطَالَبَةِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ إِخْبَارِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِذَلِكَ نَبِيَّهُ ﷺ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ، مِنْهُمُ الْمُؤَدِّي أَمَانَتَهُ وَالْخَائِنُهَا؟ قِيلَ: إِنَّمَا أَرَادَ جَلَّ وَعَزَّ تَحْذِيرَهُمْ أَنْ يَأْتَمِنُوهُمْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ، وَتَخْوِيفَهُمُ الِاغْتِرَارَ بِهِمْ، لِاسْتِحْلَالِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ أَمْوَالَ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَنَّ مَنِ اسْتَحَلَّ الْخِيَانَةَ مِنَ الْيَهُودِ، وَجُحُودَ حُقُوقِ الْعَرَبِيِّ الَّتِي هِيَ لَهُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يُؤَدِّ مَا ائْتَمَنَهُ الْعَرَبِيُّ عَلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَّا مَا دَامَ لَهُ مُتَقَاضِيًا مُطَالِبًا..

﴿بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ﴾ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَقُولُ..

﴿لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ﴾ لَا حَرَجَ عَلَيْنَا فِيمَا أَصَبْنَا مِنْ أَمْوَالِ الْعَرَبِ، وَلَا إِثْمَ؛ لِأَنَّهُمْ عَلَىٰ غَيْرِ الْحَقِّ، وَأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ..

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ٧٥﴾ [البقرة: ٧٥] يقولون: إِنَّ اللهَ أَحَلَّ لَنَا ذَلِكَ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْنَا فِي خِيَانَتِهِمْ، عَامِدِينَ الْإِثْمَ بِقِيلِ الْكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ أَنَّهُ أَحَلَّ ذَلِكَ لَهُمْ.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ٧٦﴾ [آل عمران: ٧٦].

﴿بَلَىٰ﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْكَاذِبُونَ عَلَىٰ اللهِ مِنَ الْيَهُودِ، مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِ الْأُمِّيِّينَ حَرَجٌ وَلَا إِثْمٌ، وَلَكِنْ..

﴿مَنْ﴾ الَّذِي..

﴿أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ أَوْفَىٰ بِعَهْدِ اللهِ الَّذِي عَاهَدَهُ فِي كِتَابِهِ، فَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَصَدَّقَ بِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللهِ مِنْ أَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَىٰ مَنِ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ..

﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ مَا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ مِنَ الْكُفْرِ بِهِ وَسَائِرِ مَعَاصِيهِ الَّتِي حَرَّمَهَا عَلَيْهِ، فَاجْتَنَبَ ذَلِكَ مُرَاقَبَةَ وَعِيدِ اللهِ، وَخَوْفَ عِقَابِهِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ٧٦﴾ [آل عمران: ٧٦] الَّذِينَ يَتَّقُونَهُ فَيَخَافُونَ عِقَابَهُ، وَيَحْذَرُونَ عَذَابَهُ، فَيَجْتَنِبُونَ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، وَحَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ، وَيُطِيعُونَهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٧﴾

[آل عمران: ٧٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ يَسْتَبْدِلُونَ..

﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ بِتَرْكِهِمْ عَهْدَ اللهِ الَّذِي عَهِدَ إِلَيْهِمْ، وَوَصِيَّتَهُ الَّتِي أَوْصَاهُمْ بِهَا فِي الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ وَتَصْدِيقِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِهِ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَأَيْمَـٰنِهِمْ﴾ الْكَاذِبَةِ الَّتِي يَسْتَحِلُّونَ بِهَا مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ الَّتِي اؤْتُمِنُوا عَلَيْهَا..

﴿ثَمَنًا﴾ عِوَضًا وَبَدَلًا..

﴿قَلِيلًا﴾ خَسِيسًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا وَحُطَامِهَا..

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ..

﴿لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ﴾ لَا حَظَّ لَهُمْ، وَلَا نَصِيبَ لَهُمْ..

﴿فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ فِي خَيْرَاتِ الْآخِرَةِ، مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا دُونَ غَيْرِهِمْ..

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ بِمَا يَسُرُّهُمْ..

﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ وَلَا يَعْطِفُ عَلَيْهِمْ بِخَيْرٍ، مَقْتًا مِنَ اللهِ لَهُمْ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ لِآخَرَ: انْظُرْ إِلَيَّ نَظَرَ اللهُ إِلَيْكَ، بِمَعْنَىٰ: تَعَطَّفْ عَلَيَّ تَعَطَّفَ اللهُ عَلَيْكَ بِخَيْرٍ وَرَحْمَةٍ، وَكَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ: لَا سَمِعَ اللهُ لَكَ دُعَاءَكَ، يُرَادُ: لَا اسْتَجَابَ اللهُ لَكَ، وَاللهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ..

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ وَلَا يُطَهِّرُهُمْ مِنْ دَنَسِ ذُنُوبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ..

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٧﴾ [آل عمران: ٧٧] مُوجِعٌ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ».. وَقَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ: فِيَّ وَاللهِ كَانَ ذَلِكَ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ أَرْضٌ، فَجَحَدَنِي، فَقَدَّمْتُهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَكَ بَيِّنَةٌ»؟ قُلْتُ: لَا، فَقَالَ لِلْيَهُودِيِّ: «احْلِفْ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: إِذَنْ يَحْلِفُ فَيَذْهَبُ مَالِي، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الْآيَةَ.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٨﴾

[آل عمران: ٧٨].

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَهُمُ الْيَهُودُ الَّذِينَ كَانُوا حَوَالَيْ مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَلَىٰ عَهْدِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْهُمْ﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥]..

﴿لَفَرِيقًا﴾ جَمَاعَةً..

﴿يَلْوُۥنَ﴾ يُحَرِّفُونَ.. وَأَصْلُ اللَّيِّ: الْفَتْلُ وَالْقَلْبُ..

﴿أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ﴾ لِتَظُنُّوا أَنَّ الَّذِي يُحَرِّفُونَهُ بِكَلَامِهِمْ..

﴿مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَتَنْزِيلِهِ..

﴿وَمَا هُوَ﴾ وَمَا ذَلِكَ الَّذِي لَوَوْا بِهِ أَلْسِنَتَهُمْ، فَحَرَّفُوهُ وَأَحْدَثُوهُ..

﴿مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ﴾ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ مَا لَوَوْا بِهِ أَلْسِنَتَهُمْ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالْكَذِبِ وَالْبَاطِلِ فَأَلْحَقُوهُ فِي كِتَابِ اللهِ..

﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ مِمَّا أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ..

﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وَمَا ذَٰلِكَ الَّذِي لَوَوْا بِهِ أَلْسِنَتَهُمْ، فَأَحْدَثُوهُ مِمَّا أَنْزَلَهُ اللهُ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَلَكِنَّهُ مِمَّا أَحْدَثُوهُ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ، افْتِرَاءً عَلَىٰ اللهِ..

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ يَتَعَمَّدُونَ قِيلَ الْكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ، وَالشَّهَادَةَ عَلَيْهِ بِالْبَاطِلِ، وَالْإِلْحَاقَ بِكِتَابِ اللهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ..

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٨﴾ [آل عمران: ٧٨] طَلَبًا لِلرِّيَاسَةِ وَالْخَسِيسِ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ..

﴿أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ عَلَيْهِ كِتَابَهُ..

﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ وَيُعَلِّمُهُ فَصْلَ الْحِكْمَةِ..

﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ وَيُعْطِيهِ النُّبُوَّةَ..

﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ثُمَّ يَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ نَفْسِهِ دُونَ اللهِ، وَقَدْ آتَاهُ اللهُ مَا آتَاهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحُكْمِ وَالنُّبُوَّةِ..

﴿وَلَٰكِن﴾ إِذَا آتَاهُ اللهُ ذَٰلِكَ..

﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾ فَإِنَّمَا يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْعِلْمِ بِاللهِ، وَيَحْدُوهُمْ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ شَرَائِعِ دِينِهِ، وَأَنْ يَكُونُوا رُؤَسَاءَ فِي الْمَعْرِفَةِ بِأَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَأَئِمَّةً فِي طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ.. وَالرَّبَّانِيُّونَ جَمْعُ رَبَّانِيٍّ، وَالرَّبَّانِيُّ الْمَنْسُوبُ إِلَىٰ الرَّبَّانِ الَّذِي يُرَبُّ النَّاسَ، وَهُوَ الَّذِي يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ وَيُرَبُّهَا، وَيَقُومُ بِهَا، فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا، وَكَانَ الرَّبَّانُ مَا ذَكَرْنَا، وَالرَّبَّانِيُّ هُوَ الْمَنْسُوبُ إِلَىٰ مَنْ كَانَ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفْتُ، وَكَانَ الْعَالِمُ بِالْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ مِنَ الْمُصْلِحِينَ أُمُورَ النَّاسِ بِتَعْلِيمِهِ إِيَّاهُمُ الْخَيْرَ، وَدُعَائِهِمْ إِلَىٰ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُمْ، وَكَانَ كَذَٰلِكَ الْحَكِيمُ التَّقِيُّ لِلَّهِ، وَالْوَلِيُّ الَّذِي يَلِي أُمُورَ النَّاسِ عَلَىٰ الْمِنْهَاجِ الَّذِي وَلِيَهُ الْمُقْسِطُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ أُمُورَ الْخَلْقِ، بِالْقِيَامِ فِيهِمْ بِمَا فِيهِ

صَلَاحُ عَاجِلِهِمْ وَآجِلِهِمْ، وَعَائِدَةُ النَّفْعِ عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ؛ كَانُوا جَمِيعًا مُسْتَحِقِّينَ أَنَّهُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾، فَالرَّبَّانِيُّونَ إِذًا هُمْ عِمَادُ النَّاسِ فِي الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ وَأُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَلِذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ: (وَهُمْ فَوْقَ الْأَحْبَارِ)، لِأَنَّ الْأَحْبَارَ هُمُ الْعُلَمَاءُ، وَالرَّبَّانِيُّ: الْجَامِعُ إِلَىٰ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ الْبَصَرَ بِالسِّيَاسَةِ وَالتَّدْبِيرِ، وَالْقِيَامِ بِأُمُورِ الرَّعِيَّةِ، وَمَا يُصْلِحُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بِتَعْلِيمِكُمُ النَّاسَ الْكِتَابَ، وَلَا يُعَلِّمُونَ إِلَّا بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِمَا يُعَلِّمُونَ، وَالْكِتَابُ: هُوَ الْقُرْآنُ..

﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩] وَبِكَوْنِهِمْ دَارِسِيهِ.

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝٨٠﴾ [آل عمران: ٨٠].

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ وَمَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ..

﴿أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ﴾ آلِهَةً يُعْبَدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ، كَمَا لَيْسَ لَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿أَيَأْمُرُكُم﴾ نَبِيُّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿بِٱلْكُفْرِ﴾ بِجُحُودِ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ..

﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝٨٠﴾ [آل عمران: ٨٠] مُنْقَادُونَ بِالطَّاعَةِ مُتَذَلِّلُونَ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ، أَيْ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ كَائِنٍ مِنْهُ أَبَدًا.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١﴾ [آل عمران: ٨١].

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ وَاذْكُرُوا يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَهْمَا آتَيْتُكُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّونَ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ..

﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ﴾ ذِكْرٌ..

﴿رَسُولٌ﴾ مُحَمَّدٌ..

﴿مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ فِي التَّوْرَاةِ..

﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ لَيَكُونَنَّ إِيمَانُكُمْ بِهِ لِلَّذِي عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَاةِ مِنْ ذِكْرِهِ..

﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ وَأَخَذَ اللهُ مَوَاثِيقَ أَنْبِيَائِهِ، كَمَا قَدْ أَخَذَتِ الْأَنْبِيَاءُ مَوَاثِيقَ أُمَمِهَا لَتَنْصُرُنَّهُ..

﴿قَالَ﴾ لَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ بِالْمِيثَاقِ الَّذِي وَاثَقْتُمُونِي عَلَيْهِ مِنْ أَنَّكُمْ مَهْمَا أَتَاكُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِي، مُصَدِّقٌ لَمَا مَعَكُمْ، لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ..

﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ﴾ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ مَا وَاثَقْتُمُونِي عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ الَّتِي تَأْتِيكُمْ بِتَصْدِيقِ مَا مَعَكُمْ مِنْ عِنْدِي، وَالْقِيَامِ بِنُصْرَتِهِمْ..

﴿إِصْرِي﴾ عَهْدِي وَوَصِيَّتِي، وَقَبِلْتُمْ فِي ذَلِكَ مِنِّي وَرَضِيتُمُوهُ..

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَ النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَهُمْ بِمَا ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿أَقْرَرْنَا﴾ بِمَا أَلْزَمْتَنَا مِنَ الْإِيمَانِ بِرُسُلِكَ الَّذِينَ تُرْسِلُهُمْ مُصَدِّقِينَ لِمَا مَعَنَا مِنْ كُتُبِكَ وَبِنُصْرَتِهِمْ..

﴿قَالَ﴾ اللهُ..

﴿فَٱشْهَدُواْ﴾ أَيُّهَا النَّبِيُّونَ بِمَا أَخَذْتُ بِهِ مِيثَاقَكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِتَصْدِيقِ رُسُلِي الَّتِي تَأْتِيكُمْ بِتَصْدِيقِ مَا مَعَكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ، وَنُصْرَتِهِمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَعَلَىٰ أَتْبَاعِكُمْ مِنَ الْأُمَمِ إِذْ أَنْتُمْ أَخَذْتُمْ مِيثَاقَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١] عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمْ بِذَلِكَ.. فَهَذَا خَبَرٌ عَنْ أَخْذِ اللهِ الْمِيثَاقَ مِنْ أَنْبِيَائِهِ بِتَصْدِيقِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَأَخْذِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَىٰ أُمَمِهَا وَتُبَّاعِهَا الْمِيثَاقَ بِنَحْوِ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْهَا رَبُّهَا، مِنْ تَصْدِيقِ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ بِمَا جَاءَتْهَا بِهِ؛ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ ﷺ بِذَلِكَ أُرْسِلَتْ إِلَىٰ أُمَمِهَا، وَلَمْ يَدَّعِ أَحَدٌ مِمَّنْ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ أَنَّ نَبِيًّا أُرْسِلَ إِلَىٰ أُمَّةٍ بِتَكْذِيبِ أَحَدٍ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَحُجَجِهِ فِي عِبَادِهِ، بَلْ كُلُّهَا وَإِنْ كَذَّبَ بَعْضُ الْأُمَمِ بَعْضَ أَنْبِيَاءِ اللهِ بِجُحُودِهَا نُبُوَّتَهُ مُقِرٌّ بِأَنَّ مَنْ ثَبَتَتْ صِحَّةُ نُبُوَّتِهِ، فَعَلَيْهَا الدَّيْنُونَةُ بِتَصْدِيقِهِ، فَذَلِكَ مِيثَاقٌ مُقِرٌّ بِهِ جَمِيعُهُمْ.

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: ٨٢].

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ﴾ فَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ بِرُسُلِي الَّذِينَ أَرْسَلْتُهُمْ بِتَصْدِيقِ مَا كَانَ مَعَ أَنْبِيَائِي مِنَ الْكُتُبِ وَالْحِكْمَةِ، وَعَنْ نُصْرَتِهِمْ، فَأَدْبَرَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِذَلِكَ وَلَمْ يَنْصُرْ، وَنَكَثَ عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ..

﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ بَعْدَ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ عَلَيْهِ..

﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ﴾ الْمُتَوَلُّونَ عَنِ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ الَّذِينَ وَصَفَ أَمْرَهُمْ وَنُصْرَتِهِمْ بَعْدَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ اللَّذَيْنِ أُخِذَا عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ..

﴿هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٨٢﴾ [آل عمران: ٨٢] الْخَارِجُونَ مِنْ دِينِ اللهِ، وَطَاعَةِ رَبِّهِمْ.. وَهَذِهِ الآيَةُ وَالَّتِي قَبْلَهَا وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُ الْخَبَرِ فِيهِمَا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ شَهِدَ، وَأَخَذَ بِهِ مِيثَاقَ مَنْ أَخَذَ مِيثَاقَهُ بِهِ عَنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، فَإِنَّهُ مَقْصُودٌ بِهِ إِخْبَارُ مَنْ كَانَ حَوَالَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَيَّامَ حَيَاتِهِ ﷺ، عَمَّا لِلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَهْدِ فِي الْإِيمَانِ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ - وَمَعْنَىٰ تَذْكِيرِهِمْ مَا كَانَ اللهُ آخِذًا عَلَىٰ آبَائِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ مِنَ الْمَوَاثِيقِ وَالْعُهُودِ، وَمَا كَانَتْ أَنْبِيَاءُ اللهِ عَرَّفَتْهُمْ وَتَقَدَّمَتْ إِلَيْهِمْ فِي تَصْدِيقِهِ وَاتِّبَاعِهِ وَنُصْرَتِهِ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَهُ وَكَذَّبَهُ -وَتَعْرِيفُهُمْ مَا فِي كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ الَّتِي ابْتَعَثَهُمْ إِلَيْهِمْ مِنْ صِفَتِهِ وَعَلَامَتِهِ.

﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ۝٨٣﴾ [آل عمران: ٨٣].

﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ﴾ أَفَغَيْرَ طَاعَةِ اللهِ..

﴿يَبۡغُونَ﴾ يَلْتَمِسُونَ وَيُرِيدُونَ..

﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ﴾ وَلَهُ خَشَعَ..

﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فَخَضَعَ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ وَأَقَرَّ لَهُ بِإِفْرَادِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَانْقَادَ لَهُ بِإِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ وَالْأُلُوهِيَّةِ..

﴿طَوۡعٗا﴾ أَسْلَمَ لِلَّهِ طَائِعًا مَنْ كَانَ إِسْلَامُهُ مِنْهُمْ لَهُ طَائِعًا، وَذَلِكَ كَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، فَإِنَّهُمْ أَسْلَمُوا لِلَّهِ طَائِعِينَ..

﴿وَكَرۡهٗا﴾ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَارِهًا بِإِقْرَارِهِ بِأَنَّ اللهَ خَالِقُهُ وَرَبُّهُ، وَإِنْ أَشْرَكَ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ غَيْرَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ إِسْلَامُ الْكَارِهِ مِنْهُمْ كَانَ حِينَ أُخِذَ مِنْهُ الْمِيثَاقُ، فَأَقَرَّ بِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ بِإِسْلَامِ الْكَارِهِ مِنْهُمْ سُجُودَ ظِلِّهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ إِسْلَامُهُ بِقَلْبِهِ فِي مَشِيئَةِ اللهِ وَاسْتِقَادَتِهِ لِأَمْرِهِ، وَإِنْ أَنْكَرَ أُلُوهَتَهُ بِلِسَانِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَىٰ بِذَلِكَ إِسْلَامَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النَّاسِ كَرْهًا حَذَرَ السَّيْفِ عَلَىٰ نَفْسِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْكَافِرُ أَسْلَمَ فِي حَالِ الْمُعَايَنَةِ حِينَ لَا يَنْفَعُهُ إِسْلَامٌ كَرْهًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّ عُبَادَةَ الْخَلْقِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ..

﴿وَإِلَيْهِ﴾ يَا مَعْشَرَ مَنْ يَبْتَغِي غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، وَسَائِرَ النَّاسِ..

﴿يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: ٨٣] تَصِيرُونَ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، فَمُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، وَهَذَا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ تَحْذِيرُ خَلْقِهِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ، فَيَصِيرُ إِلَيْهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ عَلَىٰ غَيْرِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ.. فَإِنِ ابْتَغَوْا غَيْرَ دِينِ اللهِ يَا مُحَمَّدُ، فَـ..

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران: ٨٤].

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ءَامَنَّا﴾ صَدَّقْنَا..

﴿بِٱللَّهِ﴾ أَنَّهُ رَبُّنَا وَإِلَهُنَا، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا نَعْبُدُ أَحَدًا سِوَاهُ..

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ قُلْ: وَصَدَّقْنَا أَيْضًا بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا مِنْ وَحْيِهِ وَتَنْزِيلِهِ، فَأَقْرَرْنَا بِهِ..

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ صَدَّقْنَا أَيْضًا بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ..

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ ابْنَيْهِ..

﴿وَيَعْقُوبَ﴾ وَابْنِ ابْنِهِ..

﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ وَلَدُ يَعْقُوبَ الِاثْنَا عَشَرَ..

﴿وَمَآ﴾ وَصَدَّقْنَا أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ بِالَّذِي..

﴿أُوتِيَ﴾ أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ..

﴿مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ مِنَ الْكُتُبِ وَالْوَحْيِ.. وَالَّذِي آتَىٰ اللهُ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ، مِمَّا أَمَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مُحَمَّدًا بِتَصْدِيقِهِمَا فِيهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، التَّوْرَاةُ الَّتِي آتَاهَا مُوسَىٰ، وَالْإِنْجِيلُ الَّذِي أَتَاهُ عِيسَىٰ..

﴿وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ النَّبِيينَ مِنْ عِنْدِ رَبِهِمْ..

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ لَا نُصَدِّقُ بَعْضَهُمْ وَنُكَذِّبُ بَعْضَهُمْ، وَلَا نُؤْمِنُ بِبَعْضِهِمْ وَنَكْفُرُ بِبَعْضِهِمْ، كَمَا كَفَرَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ بِبَعْضِ أَنْبِيَاءِ اللهِ، وَصَدَّقَتْ بَعْضًا، وَلَكِنَّا نُؤْمِنُ بِجَمِيعِهِمْ، وَنُصَدِّقُهُمْ..

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران: ٨٤] وَنَحْنُ نَدِينُ لِلَّهِ بِالْإِسْلَامِ، لَا نَدِينُ غَيْرَهُ، بَلْ نَتَبَرَّأُ

إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ دِينٍ سِوَاهُ، وَمِنْ كُلِّ مِلَّةٍ غَيْرِهِ، فَنَحْنُ لَهُ مُنْقَادُونَ بِالطَّاعَةِ، مُتَذَلِّلُونَ بِالْعُبُودِيَّةِ، مُقِرُّونَ لَهُ بِالْأُلُوهَةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

﴿وَمَن يَبْتَغِ﴾ وَمَنْ يَطْلُبْ..

﴿غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ دِينًا غَيْرَ دِينِ الْإِسْلَامِ لِيَدِينَ بِهِ، فَلَنْ يَقْبَلَ اللهُ مِنْهُ..

﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥] الْبَاخِسِينَ أَنْفُسَهُمْ حُظُوظَهَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَذُكِرَ أَنَّ أَهْلَ كُلِّ مِلَّةٍ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ هُمُ الْمُسْلِمُونَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، فَأَمَرَهُمُ اللهُ بِالْحَجِّ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ؛ لِأَنَّ مِنْ سُنَّةِ الْإِسْلَامِ الْحَجَّ، فَامْتَنَعُوا، فَأَدْحَضَ اللهُ بِذَلِكَ حُجَّتَهُمْ.

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [آل عمران: ٨٦].

﴿كَيْفَ يَهْدِى﴾ كَيْفَ يُرْشِدُ..

﴿ٱللَّهُ﴾ لِلصَّوَابِ، وَيُوَفِّقُ لِلْإِيمَانِ..

﴿قَوْمًا كَفَرُوا۟﴾ جَحَدُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ بَعْدَ تَصْدِيقِهِمْ إِيَّاهُ، وَإِقْرَارِهِمْ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ..

﴿وَشَهِدُوٓا۟﴾ وَبَعْدَ أَنْ أَقَرُّوا..

﴿أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ﴾ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ خَلْقِهِ حَقًّا..

﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ وَجَاءَهُمُ الْحُجَجُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالدَّلَائِلُ بِصِحَّةِ ذَلِكَ..

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى﴾ وَاللهُ لَا يُوَفِّقُ لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ..

﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [آل عمران: ٨٦] الْجَمَاعَةَ الظَّلَمَةَ، وَهُمُ الَّذِينَ بَدَّلُوا الْحَقَّ إِلَىٰ الْبَاطِلِ، فَاخْتَارُوا الْكُفْرَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [آل عمران: ٨٧].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَبَعْدَ أَنْ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ..

﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ ثَوَابُهُمْ مِنْ عَمَلِهِمُ الَّذِي عَمِلُوهُ..

﴿أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ﴾ أَنْ حَلَّ بِهِمْ مِنَ اللهِ الإِقْصَاءُ وَالْبُعْدُ..

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝﴾ لَا بَعْضَ مَنْ سَمَّاهُ جَلَّ ثناؤُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ، وَلَكِنْ مِنْ جَمِيعِهِمْ، وَإِنَّمَا جَعَلَ ذَلِكَ جَلَّ ثناؤُهُ ثَوَابَ عَمَلِهِمْ؛ لِأَنَّ عَمَلَهُمْ كَانَ بِاللهِ كُفْرًا.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝﴾ [آل عمران: ٨٨].

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ مَاكِثِينَ فِي عُقُوبَةِ اللهِ..

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ لَا يُنْقَصُونَ مِنَ الْعَذَابِ شَيْئًا فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَلَا يُنَفَّسُونَ فِيهِ..

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝﴾ [آل عمران: ٨٨] لِمَعْذِرَةٍ يَعْتَذِرُونَ، وَذَلِكَ كُلُّهُ: أَعْنِي الْخُلُودَ فِي الْعُقُوبَةِ فِي الْآخِرَةِ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ [آل عمران: ٨٩].

﴿إِلَّا﴾ اسْتَثْنَى جَلَّ ثناؤُهُ..

﴿ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ..

﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ مِنْ بَعْدِ ارْتِدَادِهِمْ عَنْ إِيمَانِهِمْ، فَرَاجَعُوا الْإِيمَانَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَصَدَّقُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ ﷺ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ كُفْرِهِ..

﴿غَفُورٌ﴾ سَاتِرٌ عَلَيْهِ ذَنْبَهُ الَّذِي كَانَ مِنْهُ مِنَ الرِّدَّةِ، فَتَارِكٌ عُقُوبَتَهُ عَلَيْهِ، وَفَضِيحَتَهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، غَيْرَ مُؤَاخِذِهِ بِهِ إِذَا مَاتَ عَلَى التَّوْبَةِ مِنْهُ..

﴿رَّحِيمٌ ۝﴾ [آل عمران: ٨٩] مُتَعَطِّفٌ عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ۝﴾ [آل عمران: ٩٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مِنَ الْيَهُودِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ عِنْدَ مَبْعَثِهِ..

﴿بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ بِهِ قَبْلَ مَبْعَثِهِ..

﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ بِمَا أَصَابُوا مِنَ الذُّنُوبِ فِي كُفْرِهِمْ وَمُقَامِهِمْ عَلَى ضَلَالَتِهِمْ..

﴿لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾ مِنْ ذُنُوبِهِمُ الَّتِي أَصَابُوهَا فِي كُفْرِهِمْ، حَتَّىٰ يَتُوبُوا مِنْ كُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَيُرَاجِعُوا التَّوْبَةَ مِنْهُ بِتَصْدِيقِ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ.. فَالَّذِي لَا تُقْبَلُ مِنْهُ التَّوْبَةُ هُوَ الِازْدِيَادُ عَلَىٰ الْكُفْرِ بَعْدَ الْكُفْرِ، لَا يَقْبَلُ اللهُ تَوْبَةَ صَاحِبِهِ مَا أَقَامَ عَلَىٰ كُفْرِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ مُشْرِكٍ عَمَلًا مَا أَقَامَ عَلَىٰ شِرْكِهِ وَضَلَالِهِ، فَأَمَّا إِنْ تَابَ مِنْ شِرْكِهِ وَكُفْرِهِ وَأَصْلَحَ، فَإِنَّ اللهَ كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا..

﴿هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ۝٩٠﴾ [آل عمران: ٩٠] هُمُ الَّذِينَ ضَلُّوا سَبِيلَ الْحَقِّ، فَأَخْطَئُوا مَنْهَجَهُ، وَتَرَكُوا نَصَفَ السَّبِيلِ وَهُدَىٰ اللهِ، حَيْرَةً مِنْهُمْ وَعَمًىٰ عَنْهُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٩١﴾ [آل عمران: ٩١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أَيْ: جَحَدُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا بِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنْ أَهْلِ كُلِّ مِلَّةٍ يَهُودِهَا وَنَصَارِيهَا وَمَجُوسِهَا وَغَيْرِهِمْ..

﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ﴾ وَمَاتُوا عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ جُحُودِ نُبُوَّتِهِ، وَجُحُودِ مَا جَاءَ بِهِ..

﴿فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم﴾ مِمَّنْ كَانَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فِي الْآخِرَةِ جَزَاءٌ وَلَا رِشْوَةٌ عَلَىٰ تَرْكِ عُقُوبَتِهِ عَلَىٰ كُفْرِهِ، وَلَا جُعْلٌ عَلَىٰ الْعَفْوِ عَنْهُ..

﴿مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ﴾ وَلَوْ كَانَ لَهُ مِنَ الذَّهَبِ قَدْرُ مَا يَمْلَأُ الْأَرْضَ مِنْ مَشْرِقِهَا إِلَىٰ مَغْرِبِهَا فَرْشًا، جَزَاءً عَلَىٰ تَرْكِ عُقُوبَتِهِ وَفِي الْعَفْوِ عَنْهُ عَلَىٰ كُفْرِهِ، عِوَضًا مِمَّا اللهُ مُحِلٌّ بِهِ مِنْ عَذَابِهِ؛ لِأَنَّ الرِّشَا إِنَّمَا يَقْبَلُهَا مَنْ كَانَ ذَا حَاجَةٍ إِلَىٰ مَا رُشِيَ، فَأَمَّا مَنْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، فَكَيْفَ يَقْبَلُ الْفِدْيَةَ، وَهُوَ خَلَّاقُ كُلِّ فِدْيَةٍ افْتَدَىٰ بِهَا مُفْتَدٍ عَنْ نَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ؟!

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ..

﴿لَهُمۡ﴾ عِنْدَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ..

﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ مُوجِعٌ..

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٩١﴾ [آل عمران: ٩١] وَمَا لَهُمْ مِنْ قَرِيبٍ وَلَا حَمِيمٍ وَلَا صَدِيقٍ يَنْصُرُهُ، فَيَسْتَنْقِذُهُ مِنَ اللهِ وَمِنْ عَذَابِهِ، كَمَا كَانُوا يَنْصُرُونَهُ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ مَنْ حَاوَلَ أَذَاهُ وَمَكْرُوهَهُ.. قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «يُجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا، أَكُنْتَ

مُفْتَدِيًا بِهِ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ، قَالَ: فَيُقَالُ: لَقَدْ سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾».

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾

[آل عمران: ٩٢].

﴿لَن تَنَالُواْ﴾ لَنْ تُدْرِكُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ٱلْبِرَّ﴾ مِنَ اللهِ الَّذِي يَطْلُبُونَهُ مِنْهُ بِطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ وَعِبَادَتِهِمْ لَهُ، وَيَرْجُونَهُ مِنْهُ، وَذَلِكَ تَفَضُّلُهُ عَلَيْهِمْ بِإِدْخَالِهِ جَنَّتَهُ، وَصَرْفِ عَذَابِهِ عَنْهُمْ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: الْبِرُّ الْجَنَّةُ؛ لِأَنَّ بِرَّ الرَّبِّ بِعَبْدِهِ فِي الْآخِرَةِ وَإِكْرَامَهُ إِيَّاهُ بِإِدْخَالِهِ الْجَنَّةَ..

﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ حَتَّىٰ تَتَصَدَّقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَتَهْوُونَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ مِنْ نَفِيسِ أَمْوَالِكُمْ..

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ﴾ وَمَهْمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَتَتَصَدَّقُوا بِهِ مِنْ أَمْوَالِكُمْ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ﴾ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِمَا يَتَصَدَّقُ بِهِ الْمُتَصَدِّقُ مِنْكُمْ، فَيُنْفِقُهُ مِمَّا يُحِبُّ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢] ذُو عِلْمٍ بِذَلِكَ كُلِّهِ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْهُ حَتَّىٰ يُجَازَىٰ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ جَزَاءَهُ فِي الْآخِرَةِ.. قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ يَسْأَلُنَا مِنْ أَمْوَالِنَا، اشْهَدْ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ أَرْضِي بِأَرِيحَا لِلَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اجْعَلْهَا فِي قَرَابَتِكَ» فَجَعَلَهَا بَيْنَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ.

﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران: ٩٣].

﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ لَمْ يَكُنْ حَرَّمَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ وَلَدُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ شَيْئًا مِنَ الْأَطْعِمَةِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ، بَلْ كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ لَهُمْ حَلَالًا..

﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ إِلَّا مَا كَانَ يَعْقُوبُ حَرَّمَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيمِ اللهِ

ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ وَلَدَهُ حَرَّمُوهُ اسْتِنَانًا بِأَبِيهِمْ يَعْقُوبَ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيمِ اللهِ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فِي وَحْيٍ وَلَا تَنْزِيلٍ وَلَا عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولٍ لَهُ إِلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِ نُزُولِ التَّوْرَاةِ..

﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ حَتَّىٰ نَزَلَتِ التَّوْرَاةُ، فَحَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِيهَا مَا شَاءَ، وَأَحَلَّ لَهُمْ فِيهَا مَا أَحَبَّ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلزَّاعِمِينَ مِنَ الْيَهُودِ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ الْعُرُوقَ وَلُحُومَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا..

﴿فَأْتُوا۟﴾ فَجِيئُوا..

﴿بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لِمَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ كَذِبُهُمْ وَقِيلُهُمُ الْبَاطِلَ عَلَىٰ اللهِ مِنْ أَمْرِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِمَّا أَنْزَلْتُهُ فِي التَّوْرَاةِ..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران: ٩٣] إِنْ كُنْتُمْ مُحِقِّينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ تَحْرِيمَ ذَلِكَ فِي التَّوْرَاةِ، فَأْتُونَا بِهَا، فَاتْلُوا تَحْرِيمَ ذَلِكَ عَلَيْنَا مِنْهَا، وَإِنَّمَا ذَلِكَ خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ كَذِبِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَجِيئُونَ بِذَلِكَ أَبَدًا عَلَىٰ صِحَّتِهِ، فَأَعْلَمَ اللهُ بِكَذِبِهِمْ عَلَيْهِ نَبِيَّهُ ﷺ، وَجَعَلَ إِعْلَامَهُ إِيَّاهُ ذَلِكَ حُجَّةً لَهُ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ يَخْفَىٰ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِمْ فَمُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ أُمِّيٌّ مِنْ غَيْرِ مِلَّتِهِمْ، لَوْلَا أَنَّ اللهَ أَعْلَمَهُ ذَلِكَ بِوَحْيٍ مِنْ عِنْدِهِ، كَانَ أَحْرَىٰ أَنْ لَا يَعْلَمَهُ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ لَهُ ﷺ مِنْ أَعْظَمِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَخْبَارِ أَوَائِلِهِمْ كَانَ مِنْ خَفِيِّ عُلُومِهِمُ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُ خَاصَّةٍ مِنْهُمْ، إِلَّا مَنْ أَعْلَمَهُ الَّذِي لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ نَبِيٍّ أَوْ رَسُولٍ، أَوْ مَنْ أَطْلَعَهُ اللهُ عَلَىٰ عِلْمِهِ مِمَّنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ.

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [آل عمران: ٩٤].

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ فَمَنْ كَذَبَ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ مِنَّا وَمِنْكُمْ..

﴿ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ مِنْ بَعْدِ مَجِيئِكُمْ بِالتَّوْرَاةِ، وَتِلَاوَتِكُمْ إِيَّاهَا، وَعَدَمِكُمْ مَا ادَّعَيْتُمْ مِنْ تَحْرِيمِ اللهِ الْعُرُوقَ وَلُحُومَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا فِيهَا..

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ..

﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [آل عمران: ٩٤] هُمُ الْكَافِرُونَ الْقَائِلُونَ عَلَىٰ اللهِ الْبَاطِلَ.

﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٥﴾ [آل عمران: ٩٥].

﴿قُلۡ﴾ يا مُحَمَّدُ..

﴿صَدَقَ ٱللَّهُۗ﴾ فِيمَا أَخْبَرَنَا بِهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٩٣] وَأَنَّ اللهَ لَمْ يُحَرِّمْ عَلَىٰ إِسْرَائِيلَ وَلَا عَلَىٰ وَلَدِهِ الْعُرُوقَ وَلَا لُحُومَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا، وَأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ شَيْئًا حَرَّمَهُ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ بِغَيْرِ تَحْرِيمِ اللهِ إِيَّاهُ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ، وَفِي كُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ عِبَادَهُ مِنْ خَبَرٍ دُونَكُمْ وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ الْكَذَبَةُ فِي إِضَافَتِكُمْ تَحْرِيمَ ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ عَلَيْكُمْ فِي التَّوْرَاةِ الْمُفْتَرِيَةِ عَلَىٰ اللهِ الْبَاطِلَ فِي دَعْوَاكُمْ عَلَيْهِ غَيْرَ الْحَقِّ..

﴿فَٱتَّبِعُواْ﴾ فَإِنْ كُنْتُمْ أَيُّهَا الْيَهُودُ مُحِقِّينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنَّكُمْ عَلَىٰ الدِّينِ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ لِأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، فَاتَّبِعُوا..

﴿مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ خَلِيلِ اللهِ، فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ دِينًا، وَابْتَعَثَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ..

﴿حَنِيفٗاۖ﴾ وَذَلِكَ الْحَنِيفِيَّةُ، يَعْنِي: الِاسْتِقَامَةَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ، دُونَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَالْمُشْرِكَةِ..

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٥﴾ [آل عمران: ٩٥] لَمْ يَكُنْ يُشْرِكُ فِي عِبَادَتِهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا أَيُّهَا الْيَهُودُ، فَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ، تُطِيعُونَهُمْ كَطَاعَةِ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ، وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، فَلَا تَتَّخِذُوا الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ أَرْبَابًا، وَلَا تَعْبُدُوا شَيْئًا مِنْ دُونِ اللهِ، فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ كَانَ دِينُهُ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لِرَبِّهِ وَحْدَهُ، مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكِ أَحَدٍ مَعَهُ فِيهِ، فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا، فَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ وَلَا تُشْرِكُوا مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ أَحَدًا، فَإِنَّ جَمِيعَكُمْ مُقِرُّونَ بِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَلَىٰ حَقٍّ وَهُدًىٰ مُسْتَقِيمٍ، فَاتَّبِعُوا مَا قَدْ أَجْمَعَ جَمِيعُكُمْ عَلَىٰ تَصْوِيبِهِ مِنْ مِلَّتِهِ الْحَنِيفِيَّةِ، وَدَعُوا مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ سَائِرِ الْمِلَلِ غَيْرِهَا أَيُّهَا الْأَحْزَابُ، فَإِنَّهَا بِدَعٌ أَبْدَعْتُمُوهَا إِلَىٰ مَا قَدْ أَجْمَعْتُمْ عَلَيْهِ أَنَّهُ حَقٌّ، فَإِنَّ الَّذِي أَجْمَعْتُمْ عَلَيْهِ أَنَّهُ صَوَابٌ وَحَقٌّ مِنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي ارْتَضَيْتُهُ وَابْتَعَثْتُ بِهِ أَنْبِيَائِي وَرُسُلِي، وَسَائِرَ ذَلِكَ هُوَ الْبَاطِلُ الَّذِي لَا أَقْبَلُهُ مِنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِي جَاءَنِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. وَإِنَّمَا قَالَ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥﴾ يَعْنِي بِهِ: وَمَا كَانَ مِنْ عَدَدِهِمِ وَأَوْلِيَائِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فِي التَّظَاهُرِ

عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَنُصْرَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، فَبَرَّأَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ أَوْ مِنْ نُصَرَائِهِمْ وَأَهْلِ وِلَايَتِهِمْ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْمُشْرِكِينَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ، وَسَائِرَ الْأَدْيَانِ غَيْرِ الْحَنِيفِيَّةِ، قَالَ: لَمْ يَكُنْ إِبْرَاهِيمُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَدْيَانِ الْمُشْرِكَةِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٩٦].

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ لِعِبَادَةِ اللهِ فِيهِ.. فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: «**قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلُ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ. قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَىٰ، قَالَ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً**»، فَقَدْ بَيَّنَ هَذَا الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ هُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ وَضَعَهُ اللهُ فِي الْأَرْضِ..

﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ الَّذِي بِمُزْدَحَمِ النَّاسِ لِطَوَافِهِمْ فِي حَجِّهِمْ وَعُمَرِهِمْ.، وَأَصْلُ الْبَكِّ الزَّحْمُ، وَهُمْ يَتَبَاكُّونَ فِيهِ: يَعْنِي بِهِ: يَتَزَاحَمُونَ وَيَتَصَادَمُونَ فِيهِ.. فَإِذَا كَانَتْ بَكَّةُ مَا وَصَفْنَا، وَكَانَ مَوْضِعُ ازْدِحَامِ النَّاسِ حَوْلَ الْبَيْتِ، وَكَانَ لَا طَوَافَ يَجُوزُ خَارِجَ الْمَسْجِدِ، كَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مَا حَوْلَ الْكَعْبَةِ مِنْ دَاخِلِ الْمَسْجِدِ، وَأَنَّ مَا كَانَ خَارِجَ الْمَسْجِدِ فَمَكَّةُ لَا بَكَّةُ؛ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَىٰ خَارِجَهُ يُوجِبُ عَلَىٰ النَّاسِ التَّبَاكَّ فِيهِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ كَانَ بَيِّنًا بِذَلِكَ فَسَادُ قَوْلِ مَنْ قَالَ بَكَّةُ اسْمٌ لِبَطْنِ مَكَّةَ، وَمَكَّةُ اسْمٌ لِلْحَرَمِ..

﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٩٦] مَآبًا لِنُسُكِ النَّاسِكِينَ وَطَوَافِ الطَّائِفِينَ، تَعْظِيمًا لِلَّهِ وَإِجْلَالًا لَهُ.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧].

﴿فِيهِ آيَاتٌ﴾ عَلَامَاتٌ مِنْ قُدْرَةِ اللهِ وَآثَارِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ..

﴿بَيِّنَاتٌ﴾ مِنْهُنَّ..

﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ أَثَرُ قَدَمِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ فِي الْحَجَرِ الَّذِي قَامَ عَلَيْهِ..

﴿وَمَن دَخَلَهُ﴾ مِنْ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَجَأَ إِلَيْهِ عَائِذًا بِهِ..

﴿كَانَ آمِنًا﴾ مَا كَانَ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ يُخْرَجُ مِنْهُ فَيُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ إِنْ كَانَ أَصَابَ مَا يَسْتَوْجِبُهُ فِي غَيْرِهِ ثُمَّ لَجَأَ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ أَصَابَهُ فِيهِ أُقِيمَ عَلَيْهِ فِيهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا مَنَعَكَ مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ

فِيهِ؟ قِيلَ: لِاتِّفَاقِ جَمِيعِ السَّلَفِ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ كَانَتْ جَرِيرَتُهُ فِي غَيْرِهِ ثُمَّ عَاذَ بِهِ، فَإِنَّهُ لَا يُؤْخَذُ بِجَرِيرَتِهِ فِيهِ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَمَا دَلَالَتُكَ عَلَىٰ أَنَّ إِخْرَاجَ الْعَائِذِ بِالْبَيْتِ إِذَا أَتَاهُ مُسْتَجِيرًا بِهِ مِنْ جَرِيرَةٍ جَرَّهَا أَوْ مِنْ حَدٍّ أَصَابَهُ مِنَ الْحَرَمِ جَائِزٌ لِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ وَأَخْذِهِ بِالْجَرِيرَةِ، وَقَدْ أَقْرَرْتَ بِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ جَعَلَ مَنْ دَخَلَهُ آمِنًا، وَمَعْنَىٰ الْآمِنِ غَيْرُ مَعْنَىٰ الْخَائِفِ، فِيمَا هُمَا فِيهِ مُخْتَلِفَانِ؟ قِيلَ: قُلْنَا ذَلِكَ لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ أَنَّ إِخْرَاجَ الْعَائِذِ بِهِ مِنْ جَرِيرَةٍ أَصَابَهَا أَوْ فَاحِشَةٍ أَتَاهَا وَجَبَتْ عَلَيْهِ بِهِ عُقُوبَةٌ مِنْهُ بِبَعْضِ مَعَانِي الْإِخْرَاجِ لِأَخْذِهِ بِمَا لَزِمَهُ، وَاجِبٌ عَلَىٰ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْإِسْلَامِ مَعَهُ.. فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَضَعْ حَدًّا مِنْ حُدُودِهِ عَنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ مِنْ أَجْلِ بُقْعَةٍ وَمَوْضِعٍ صَارَ إِلَيْهَا مَنْ لَزِمَهُ ذَلِكَ، وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ**» وَلَا خِلَافَ بَيْنَ جَمِيعِ الْأُمَّةِ أَنَّ عَائِذًا لَوْ عَاذَ مِنْ عُقُوبَةٍ لَزِمَتْهُ بِحَرَمِ النَّبِيِّ ﷺ يُؤَاخَذُ بِالْعُقُوبَةِ فِيهِ، وَلَوْلَا مَا ذَكَرْتُ مِنْ إِجْمَاعِ السَّلَفِ عَلَىٰ أَنَّ حَرَمَ إِبْرَاهِيمَ لَا يُقَامُ فِيهِ عَلَىٰ مَنْ عَاذَ بِهِ مِنْ عُقُوبَةٍ لَزِمَتْهُ حَتَّىٰ يُخْرَجَ مِنْهُ مَا لَزِمَهُ، لَكَانَ أَحَقَّ الْبِقَاعِ أَنْ تُؤَدَّىٰ فِيهِ فَرَائِضُ اللهِ الَّتِي أَلْزَمَهَا عِبَادَهُ مِنْ قَتْلٍ أَوْ غَيْرِهِ أَعْظَمُ الْبِقَاعِ إِلَىٰ اللهِ كَحَرَمِ اللهِ وَحَرَمِ رَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنَّا أُمِرْنَا بِإِخْرَاجِ مَنْ أُمِرْنَا بِإِخْرَاجِهِ مِنْ حَرَمِ اللهِ لِإِقَامَةِ الْحَدِّ لِمَا ذَكَرْنَا مِنْ فِعْلِ الْأُمَّةِ ذَلِكَ وِرَاثَةً.. فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِذْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا: وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا مَا كَانَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ مِنْ عُقُوبَةٍ لَزِمَتْهُ عَائِذًا بِهِ، فَهُوَ آمِنٌ مَا كَانَ بِهِ حَتَّىٰ يَخْرُجُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا يَصِيرُ إِلَىٰ الْخَوْفِ بَعْدَ الْخُرُوجِ أَوِ الْإِخْرَاجِ مِنْهُ، فَحِينَئِذٍ هُوَ غَيْرُ دَاخِلِهِ، وَلَا هُوَ فِيهِ..

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ وَفَرْضٌ وَاجِبٌ لِلَّهِ عَلَىٰ مَنِ اسْتَطَاعَ -مِنْ أَهْلِ التَّكْلِيفِ السَّبِيلَ إِلَىٰ حَجِّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ- الْحَجَّ إِلَيْهِ..

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ وَمَنْ جَحَدَ مَا أَلْزَمَهُ اللهُ مِنْ فَرْضِ حَجِّ بَيْتِهِ، فَأَنْكَرَهُ وَكَفَرَ بِهِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عَنْهُ، وَعَنْ حَجِّهِ وَعَمَلِهِ..

﴿عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾ [آل عمران: ٩٧] وَعَنْ سَائِرِ خَلْقِهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ۝٩٨﴾ [آل عمران: ٩٨].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قُلْ: يَا مَعْشَرَ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ مَنْ يَنْتَحِلِ الدِّيَانَةَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْ كُتُبِهِ، مِمَّنْ كَفَرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَجَحَدَ نُبُوَّتَهُ..

﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ لِمَ تَجْحَدُونَ حُجَجَ اللهِ الَّتِي آتَاهَا مُحَمَّدًا فِي كُتُبِكُمْ وَغَيْرِهَا الَّتِي قَدْ ثَبَتَتْ عَلَيْكُمْ بِصِدْقِهِ وَنُبُوَّتِهِ وَحُجَّتِهِ..

﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [آل عمران: ٩٨] فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ مُعْتَمِدُونَ الْكُفْرَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ وَمَعْرِفَةٍ مِنْ كُفْرِهِمْ.

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [آل عمران: ٩٩].

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ يَا مَعْشَرَ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَنْتَحِلُ التَّصْدِيقَ بِكُتُبِ اللهِ..

﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لِمَ تَضِلُّونَ عَنْ طَرِيقِ اللهِ وَمَحَجَّتِهِ الَّتِي شَرَّعَهَا لِأَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ..

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ مَنْ صَدَّقَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿تَبْغُونَهَا﴾ تَبْغُونَ لِأَهْلِ دِينِ اللهِ، وَلِمَنْ هُوَ عَلَىٰ سَبِيلِ الْحَقِّ..

﴿عِوَجًا﴾ ضَلَالًا عَنِ الْحَقِّ وَزَيْغًا عَنِ الِاسْتِقَامَةِ عَلَىٰ الْهُدَىٰ وَالْمَحَجَّةِ.. وَالْعِوَجُ بِكَسْرِ أَوَّلِهِ: الْأَوَدُ فِي الدِّينِ وَالْكَلَامِ، وَالْعَوَجُ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ: الْمَيْلُ فِي الْحَائِطِ وَالْقَنَاةِ وَكُلِّ شَيْءٍ مُنْتَصِبٍ قَائِمٍ..

﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ﴾ عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي تَصُدُّونَ عَنْهُ مِنَ السَّبِيلِ حَقٌّ تَعْلَمُونَهُ وَتَجِدُونَهُ فِي كُتُبِكُمْ..

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [آل عمران: ٩٩] لَيْسَ اللهُ بِغَافِلٍ عَنْ أَعْمَالِكُمُ الَّتِي تَعْمَلُونَهَا مِمَّا لَا يَرْضَاهُ لِعِبَادِهِ، وَغَيْرِ ذَٰلِكَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، حَتَّىٰ يُعَاجِلَكُمْ بِالْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا مُعَجَّلَةً، أَوْ يُؤَخِّرَ ذَٰلِكَ لَكُمْ، حَتَّىٰ تَلْقَوْهُ فَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [آل عمران: ١٠٠].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَأَقَرُّوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ ﷺ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا﴾ جَمَاعَةً..

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ مِمَّنْ يَنْتَحِلُ الْكِتَابَ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَتَقْبَلُوا مِنْهُمْ مَا يَأْمُرُونَكُمْ بِهِ..

﴿يَرُدُّوكُم﴾ يُضِلُّوكُمْ فَيَرُدُّوكُمْ..

﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ بَعْدَ تَصْدِيقِكُمْ رَسُولَ رَبِّكُمْ وَبَعْدَ إِقْرَارِكُمْ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ..

﴿كَٰفِرِينَ ١٠٠﴾ [آل عمران: ١٠٠] جَاحِدِينَ لِمَا قَدْ آمَنْتُمْ بِهِ وَصَدَّقْتُمُوهُ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَكُمْ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ، فَنَهَاهُمْ جَلَّ ثناؤُهُ أَنْ يَنْتَصِحُوهُمْ، وَيَقْبَلُوا مِنْهُمْ رَأْيًا أَوْ مَشُورَةً، وَيُعَلِّمُهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُمْ لَهُمْ مُنْطَوُونَ عَلَىٰ غِلٍّ وَغِشٍّ وَحَسَدٍ وَبُغْضٍ.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٠١﴾ [آل عمران: ١٠١].

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، فَتَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ..

﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ حُجَجُ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا فِي كِتَابِهِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ حُجَّةٌ أُخْرَىٰ عَلَيْكُمْ لِلَّهِ، مَعَ آيِ كِتَابِهِ، يَدْعُوكُمْ جَمِيعُ ذَٰلِكَ إِلَىٰ الْحَقِّ، وَيُبَصِّرُكُمُ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادَ، وَيَنْهَاكُمْ عَنِ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ، يَقُولُ لَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَمَا وَجْهُ عُذْرِكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ فِي جُحُودِكُمْ نُبُوَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَارْتِدَادِكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ، وَرُجُوعِكُمْ إِلَىٰ أَمْرِ جَاهِلِيَّتِكُمْ، إِنْ أَنْتُمْ رَاجَعْتُمْ ذَٰلِكَ وَكَفَرْتُمْ، وَفِيهِ هَذِهِ الْحُجَجُ الْوَاضِحَةُ، وَالْآيَاتُ الْبَيِّنَةُ، عَلَىٰ خَطَإِ فِعْلِكُمْ ذَٰلِكَ إِنْ فَعَلْتُمُوهُ..

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾ وَمَنْ يَتَعَلَّقْ بِأَسْبَابِ اللهِ، وَيَتَمَسَّكْ بِدِينِهِ وَطَاعَتِهِ..

﴿فَقَدْ هُدِىَ﴾ فَقَدْ وُفِّقَ..

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٠١﴾ [آل عمران: ١٠١] لِطَرِيقٍ وَاضِحٍ وَمَحَجَّةٍ مُسْتَقِيمَةٍ غَيْرِ مُعْوَجَّةٍ، فَيَسْتَقِيمُ بِهِ إِلَىٰ رِضَا اللهِ وَإِلَىٰ النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَالْفَوْزِ بِجَنَّتِهِ.. وَقَدْ بَيَّنْتُ مَعْنَىٰ الْهُدَىٰ وَالصِّرَاطِ وَأَنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهِ الْإِسْلَامُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يَا مَعْشَرَ مَنْ صَدَّقَ اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ خَافُوا اللهَ وَرَاقِبُوهُ بِطَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ حَقَّ خَوْفِهِ، وَهُوَ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَىٰ، وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرَ، وَيُذْكَرَ فَلَا يُنْسَىٰ..

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢] لِرَبِّكُمْ مُذْعِنُونَ لَهُ بِالطَّاعَةِ، مُخْلِصُونَ لَهُ الْأُلُوهِيَّةَ وَالْعِبَادَةَ.

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ وَتَعَلَّقُوا وَتَمَسَّكُوا بِدِينِ اللهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ، وَعَهْدِهِ الَّذِي عَهِدَهُ إِلَيْكُمْ فِي كِتَابِهِ إِلَيْكُمْ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالِاجْتِمَاعِ عَلَىٰ كَلِمَةِ الْحَقِّ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللهِ..

﴿وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ وَلَا تَتَفَرَّقُوا عَنْ دِينِ اللهِ وَعَهْدِهِ الَّذِي عَهِدَ إِلَيْكُمْ فِي كِتَابِهِ مِنَ الِائْتِلَافِ وَالِاجْتِمَاعِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ..

﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ وَاذْكُرُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالِاجْتِمَاعِ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ..

﴿إِذْ﴾ حِينَ..

﴿كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ بِشِرْكِكُمْ، بِقَتْلِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا، عَصَبِيَّةً فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ وَلَا طَاعَةِ رَسُولِهِ..

﴿فَأَلَّفَ﴾ اللهُ بِالْإِسْلَامِ..

﴿بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ فَجَعَلَ بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ إِخْوَانًا بَعْدَ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً، تَتَوَاصَلُونَ بِأُلْفَةِ الْإِسْلَامِ وَاجْتِمَاعِ كَلِمَتِكُمْ عَلَيْهِ.. فَالنِّعْمَةُ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ الْأَنْصَارِ -الَّتِي أَمَرَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يَذْكُرُوهَا- هِيَ أُلْفَةُ الْإِسْلَامِ وَاجْتِمَاعُ كَلِمَتِهِمْ عَلَيْهَا، وَالْعَدَاوَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ، الَّتِي قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ فَإِنَّهَا عَدَاوَةُ الْحُرُوبِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْحَيَّيْنِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، يَزْعُمُ الْعُلَمَاءُ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ، أَنَّهَا تَطَاوَلَتْ بَيْنَهُمْ عِشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ.. فَأَصْبَحْتُمْ بِتَأْلِيفِ اللهِ ﷻ بَيْنَكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَكَلِمَةِ الْحَقِّ وَالتَّعَاوُنِ عَلَىٰ نُصْرَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَالتَّآزُرِ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ، إِخْوَانًا مُتَصَادِقِينَ لَا ضَغَائِنَ بَيْنَكُمْ، وَلَا تَحَاسُدَ.. فَذَكَّرَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِذْ وَعَظَهُمْ عَظِيمَ مَا كَانُوا فِيهِ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالشَّقَاءِ بِمُعَادَاةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَقَتْلِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَخَوْفِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ بِالْإِسْلَامِ وَاتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ وَالْإِيمَانِ بِهِ،

وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الائْتِلَافِ وَالاجْتِمَاعِ، وَأَمْنِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، وَمَصِيرِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ إِخْوَانًا..

﴿وَكُنتُمْ﴾ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ..

﴿عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ عَلَىٰ حَرْفِ حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ مَثَلٌ لِكُفْرِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَهْدِيَهُمُ اللهُ لِلْإِسْلَامِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَكُنْتُمْ عَلَىٰ طَرَفِ جَهَنَّمَ بِكُفْرِكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ عَلَيْهِ، قَبْلَ أَنْ يُنْعِمَ اللهُ عَلَيْكُمْ بِالْإِسْلَامِ، فَتَصِيرُوا بِائْتِلَافِكُمْ عَلَيْهِ إِخْوَانًا، لَيْسَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْوُقُوعِ فِيهَا إِلَّا أَنْ تَمُوتُوا عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ كُفْرِكُمْ، فَتَكُونُوا مِنَ الْخَالِدِينَ فِيهَا، فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ مِنْهَا بِالْإِيمَانِ الَّذِي هَدَاكُمْ لَهُ.. وَشَفَا الْحُفْرَةِ: طَرَفُهَا وَحَرْفُهَا مِثْلَ شَفَا الرَّكِيَّةِ وَالْبِئْرِ..

﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ فَأَنْقَذَكُمْ مِنَ الْحُفْرَةِ، فَرَدَّ الْخَبَرَ إِلَىٰ الْحُفْرَةِ، وَقَدِ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ عَنِ الشَّفَا، لِأَنَّ الشَّفَا مِنَ الْحُفْرَةِ، فَجَازَ ذَلِكَ، إِذْ كَانَ الْخَبَرُ عَنِ الشَّفَا عَلَىٰ السَّبِيلِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ خَبَرًا عَنِ الْحُفْرَةِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا بَيَّنَ لَكُمْ رَبُّكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ -مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ- مِنْ غِلِّ الْيَهُودِ، الَّذِي يُضمِرُونَهُ لَكُمْ، وَغِشِّهِمْ لَكُمْ، وَأَمْرِهِ إِيَّاكُمْ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ فِيهَا، وَنَهْيِهِ لَكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَالْحَالُ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ، وَالَّتِي صِرْتُمْ إِلَيْهَا فِي إِسْلَامِكُمْ..

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يُعَرِّفُكُمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ مَوَاقِعَ نِعَمِهِ قِبَلَكُمْ، وَصَنَائِعَهُ لَدَيْكُمْ، فَكَذَلِكَ يُبَيِّنُ سَائِرَ حُجَجِهِ لَكُمْ فِي تَنْزِيلِهِ، وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣] لِتَهْتَدُوا إِلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ، وَتَسْلُكُوهَا فَلَا تَضِلُّوا عَنْهَا.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أُمَّةٌ﴾ جَمَاعَةٌ..

﴿يَدْعُونَ﴾ النَّاسَ..

﴿إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ الَّتِي شَرَّعَهَا اللهُ لِعِبَادِهِ..

﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَدِينِهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْكُفْرِ بِاللهِ وَالتَّكْذِيبِ بِمُحَمَّدٍ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ،

بِجِهَادِهِمْ بِالْأَيْدِي وَالْجَوَارِحِ، حَتَّىٰ يَنْقَادُوا لَكُمْ بِالطَّاعَةِ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤] الْمُنْجِحُونَ عِنْدَ اللهِ، الْبَاقُونَ فِي جَنَّاتِهِ وَنَعِيمِهِ.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٥].

﴿وَلَا تَكُونُواْ﴾ يَا مَعْشَرَ الَّذِينَ آمَنُوا..

﴿كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿وَٱخْتَلَفُواْ﴾ فِي دِينِ اللهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ﴾ مِنْ حُجَجِ اللهِ، فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَعَلِمُوا الْحَقَّ فِيهِ، فَتَعَمَّدُوا خِلَافَهُ، وَخَالَفُوا أَمْرَ اللهِ، وَنَقَضُوا عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ، جَرَاءَةً عَلَىٰ اللهِ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا، وَاخْتَلَفُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ..

﴿لَهُمْ عَذَابٌ﴾ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿عَظِيمٌ ١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٥] فَلَا تَفَرَّقُوا يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي دِينِكُمْ تَفَرُّقَ هَؤُلَاءِ فِي دِينِهِمْ، وَلَا تَفْعَلُوا فِعْلَهُمْ، وَتَسْتَنُّوا فِي دِينِكُمْ بِسُنَّتِهِمْ، فَيَكُونَ لَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ الْعَظِيمِ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ١٠٦﴾ [آل عمران: ١٠٦].

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌۚ﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فِي يَوْمِ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ..

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ فَيُقَالُ لَهُمْ..

﴿أَكَفَرْتُم﴾ أَجَحَدْتُمْ تَوْحِيدَ اللهِ وَعَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقْتُمُوهُ عَلَيْهِ، بِأَنْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَتُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ..

﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ بَعْدَ تَصْدِيقِكُمْ بِهِ.. عَنَىٰ بِذَلِكَ كُلَّ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ بَعْدَ الْإِيمَانِ الَّذِي آمَنَ حِينَ أَخَذَ اللهُ مِنْ صُلْبِ آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِمَا بَيَّنَ فِي كِتَابِهِ..

﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ١٠٦﴾ [آل عمران: ١٠٦] بِمَا كُنْتُمْ تُجْحَدُونَ فِي الدُّنْيَا مَا كَانَ اللهُ قَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ بِالْإِقْرَارِ بِهِ وَالتَّصْدِيقِ.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١٠٧﴾ [آل عمران: ١٠٧].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ مِمَّنْ ثَبَتَ عَلَىٰ عَهْدِ اللهِ وَمِيثَاقِهِ، فَلَمْ يُبَدِّلْ دِينَهُ، وَلَمْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ بَعْدَ الْإِقْرَارِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالشَّهَادَةِ لِرَبِّهِ بِالْأُلُوهَةِ، وَأَنَّهُ لَا إِلَٰهَ غَيْرُهُ..

﴿فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ فَهُمْ فِي رَحْمَةِ اللهِ، يَعْنِي: فِي جَنَّتِهِ وَنَعِيمِهَا، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا..

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١٠٧﴾ [آل عمران: ١٠٧] بَاقُونَ فِيهَا أَبَدًا بِغَيْرِ نِهَايَةٍ وَلَا غَايَةٍ.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٨﴾ [آل عمران: ١٠٨].

﴿تِلْكَ﴾ هَٰذِهِ..

﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ يَعْنِي: مَوَاعِظَ اللهِ، وَعِبَرَهُ وَحُجَجَهُ.. وَهَٰذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا أُمُورُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْصَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأُمُورُ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ، وَمَا هُوَ فَاعِلٌ بِأَهْلِ الْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ، وَبِالْمُبَدِّلِينَ دِينَهُ وَالنَّاقِضِينَ عَهْدَهُ بَعْدَ الْإِقْرَارِ بِهِ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُ يَتْلُو ذَٰلِكَ عَلَيْهِ بِالْحَقِّ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ مَنْ عَاقَبَهُ مِنْ خَلْقِهِ -بِمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ مُعَاقِبُهُ- مِنْ تَسْوِيدِ وَجْهِهِ وَتَخْلِيدِهِ فِي أَلِيمِ عَذَابِهِ وَعَظِيمِ عِقَابِهِ، وَمَنْ جَازَاهُ مِنْهُمْ بِمَا جَازَاهُ مِنْ تَبْيِيضِ وَجْهِهِ وَتَكْرِيمِهِ وَتَشْرِيفِ مَنْزِلَتِهِ لَدَيْهِ بِتَخْلِيدِهِ فِي دَائِمِ نَعِيمِهِ، فَبِغَيْرِ ظُلْمٍ مِنْهُ لِفَرِيقٍ مِنْهُمْ، بَلْ لِحَقٍّ اسْتَوْجَبُوهُ وَأَعْمَالٍ لَهُمْ سَلَفَتْ جَازَاهُمْ عَلَيْهَا، فَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ نَقْرَؤُهَا عَلَيْكَ وَنَقُصُّهَا..

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بِالصِّدْقِ وَالْيَقِينِ..

﴿وَمَا ٱللَّهُ﴾ وَلَيْسَ اللهُ يَا مُحَمَّدُ بِتَسْوِيدِ وُجُوهِ هَٰؤُلَاءِ وَإِذَاقَتِهِمُ الْعَذَابَ الْعَظِيمَ، وَتَبْيِيضِ وُجُوهِ هَٰؤُلَاءِ وَتَنْعِيمِهِ إِيَّاهُمْ فِي جَنَّتِهِ..

﴿يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٨﴾ [آل عمران: ١٠٨] طَالِبًا وَضْعَ شَيْءٍ -مِمَّا فَعَلَ مِنْ ذَٰلِكَ- فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ الَّذِي هُوَ مَوْضِعُهُ، إِعْلَامًا بِذَٰلِكَ عِبَادَهُ أَنَّهُ لَنْ يَصْلُحَ فِي حِكْمَتِهِ بِخَلْقِهِ غَيْرُ مَا وَعَدَ أَهْلَ طَاعَتِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَغَيْرُ مَا أَوْعَدَ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ وَالْكُفْرِ بِهِ، وَإِنْذَارًا مِنْهُ هَٰؤُلَاءِ وَتَبْشِيرًا مِنْهُ هَٰؤُلَاءِ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝١٠٩﴾ [آل عمران: ١٠٩].

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يُعَاقِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِمَا ذَكَرَ أَنَّهُ مُعَاقِبُهُمْ بِهِ

مِنَ الْعَذَابِ الْعَظِيمِ وَتَسْوِيدِ الْوُجُوهِ، وَيُثِيبُ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ الَّذِينَ ثَبَتُوا عَلَىٰ التَّصْدِيقِ وَالْوَفَاءِ بِعُهُودِهِمُ الَّتِي عَاهَدُوا عَلَيْهَا، بِمَا وَصَفَ أَنَّهُ مُثِيبُهُمْ بِهِ مِنَ الْخُلُودِ فِي جَنَّاتِهِ مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ مِنْهُ لِأَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ فِيمَا فَعَلَ؛ لِأَنَّهُ لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَىٰ الظُّلْمِ، وَذَلِكَ أَنَّ الظَّالِمَ إِنَّمَا يَظْلِمُ غَيْرَهُ لِيَزْدَادَ إِلَىٰ عِزَّتِهِ عِزَّةً بِظُلْمِهِ إِيَّاهُ، وَإِلَىٰ سُلْطَانِهِ سُلْطَانًا، وَإِلَىٰ مُلْكِهِ مُلْكًا؛ لِنُقْصَانٍ فِي بَعْضِ أَسْبَابِهِ يُتَمِّمُ بِمَا ظَلَمَ غَيْرَهُ فِيهِ مَا كَانَ نَاقِصًا مِنْ أَسْبَابِهِ عَنِ التَّمَامِ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ جَمِيعُ مَا بَيْنَ أَقْطَارِ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، وَمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَا مَعْنَىٰ لِظُلْمِهِ أَحَدًا فَيَجُوزُ أَنْ يَظْلِمَ شَيْئًا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَسْبَابِهِ شَيْءٌ نَاقِصٌ يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَمَامٍ، فَيُتِمُّ ذَلِكَ بِظُلْمِ غَيْرِهِ، تَعَالَىٰ اللهُ عُلُوًّا كَبِيرًا؛ وَلِذَلِكَ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عُقَيْبَ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [آل عمران: ١٠٨] وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ..

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾ [آل عمران: ١٠٩] إِلَىٰ اللهِ مَصِيرُ أَمْرِ جَمِيعِ خَلْقِهِ الصَّالِحِ مِنْهُمْ، وَالطَّالِحِ وَالْمُحْسِنِ وَالْمُسِيءِ، فَيُجَازِي كُلًّا عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِمْ مِنْهُ الْجَزَاءَ بِغَيْرِ ظُلْمٍ مِنْهُ أَحَدًا مِنْهُمْ.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾

[آل عمران: ١١٠].

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا إِنَّكُمْ وَفَّيْتُمْ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ آخِرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ»..

﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ تَأْمُرُونَ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَالْعَمَلِ بِشَرَائِعِهِ.. وَأَصْلُ الْمَعْرُوفِ: كُلُّ مَا كَانَ مَعْرُوفًا فَفِعْلُهُ جَمِيلٌ مُسْتَحْسَنٌ غَيْرُ مُسْتَقْبَحٍ فِي أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ طَاعَةُ اللهِ مَعْرُوفًا؛ لِأَنَّهُ مِمَّا يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ وَلَا يُسْتَنْكِرُونَ فِعْلَهُ..

﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِ رَسُولِهِ، وَعَنِ الْعَمَلِ بِمَا نَهَىٰ عَنْهُ.. وَأَصْلُ الْمُنْكَرِ مَا أَنْكَرَهُ اللهُ، وَرَءَاهُ المؤمنونَ قَبِيحًا فِعْلُهُ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ مَعْصِيَةُ اللهِ مُنْكَرًا؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِاللهِ يَسْتَنْكِرُونَ فِعْلَهَا، وَيَسْتَعْظِمُونَ رُكُوبَهَا..

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ وَتُصَدِّقُونَ بِاللهِ، فَتُخْلِصُونَ لَهُ التَّوْحِيدَ وَالْعِبَادَةَ..

﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وَلَوْ صَدَّقَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ عِنْدَ اللهِ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُمْ، وَآجِلِ آخِرَتِهِمْ..

﴿مِّنْهُمُ﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الْمُصَدِّقُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ، وَأَخُوهُ، وَثَعْلَبَةُ بْنُ سَعْيَةَ، وَأَخُوهُ، وَأَشْبَاهُهُمْ مِمَّنْ آمَنُوا بِاللهِ، وَصَدَّقُوا بِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاتَّبَعُوا مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠] الْخَارِجُونَ عَنْ دِينِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ مِنَ دِينِ الْيَهُودِ اتِّبَاعُ مَا فِي التَّوْرَاةِ وَالتَّصْدِيقُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِنْ دِينِ النَّصَارَىٰ اتِّبَاعُ مَا فِي الْإِنْجِيلِ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ وَبِمَا فِي التَّوْرَاةِ، وَفِي كِلَا الْكِتَابَيْنِ صِفَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنَعْتُهُ وَمَبْعَثُهُ وَأَنَّهُ نَبِيُّ اللهِ، وَكِلْتَا الْفِرْقَتَيْنِ - أَعْنِي الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ- مُكَذِّبَةٌ، فَذَلِكَ فِسْقُهُمْ وَخُرُوجُهُمْ عَنْ دِينِهِمُ الَّذِي يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَدِينُونَ بِهِ.. وَقَالَ قَتَادَةُ: ذَمَّ اللهُ أَكْثَرَ النَّاسِ.

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١١١﴾

[آل عمران: ١١١].

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾ لَنْ يَضُرَّكُمْ يَا أَهْلَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، هَؤُلَاءِ الْفَاسِقُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِكُفْرِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ نَبِيَّكُمْ مُحَمَّدًا ﷺ شَيْئًا..

﴿إِلَّآ أَذًى﴾ يُؤْذُونَكُمْ بِشِرْكِهِمْ، وَإِسْمَاعِكُمْ كُفْرَهُمْ، وَقَوْلِهِمْ فِي عِيسَىٰ وَأُمِّهِ وَعُزَيْرٍ، وَدُعَائِهِمْ إِيَّاكُمْ إِلَىٰ الضَّلَالَةِ، وَلَا يَضُرُّونَكُمْ بِذَلِكَ..

﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ وَإِنْ يُقَاتِلْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ يُهْزَمُوا عَنْكُمْ، فَيُوَلُّوكُمْ أَدْبَارَهُمُ انْهِزَامًا، فَقَوْلُهُ: ﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ كِنَايَةٌ عَنِ انْهِزَامِهِمْ؛ لِأَنَّ الْمُنْهَزِمَ يُحَوِّلُ ظَهْرَهُ إِلَىٰ جِهَةِ الطَّالِبِ هَرَبًا إِلَىٰ مَلْجَأٍ، وَمَوْئِلٍ يَئِلُ إِلَيْهِ مِنْهُ، خَوْفًا عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَالطَّالِبُ فِي أَثَرِهِ..

﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١١١﴾ [آل عمران: ١١١] ثُمَّ لَا يَنْصُرُهُمُ اللهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَلَيْكُمْ؛ لِكُفْرِهِمْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَإِيمَانِكُمْ بِمَا آتَاكُمْ نَبِيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ أَلْقَىٰ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَيَّدَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِكُمْ، وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَهْلَ الْإِيمَانِ نَصْرَهُمْ عَلَىٰ الْكَفَرَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ١١٢﴾ [آل عمران: ١١٢].

﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ أُلْزِمَ الْيَهُودُ الْمُكَذِّبُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ الذِّلَّةَ..

﴿أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾ حَيْثُمَا لُقُوا، وأَيْنَمَا كَانُوا مِنَ الْأَرْضِ، وَبِأَيِّ مَكَانٍ كَانُوا مِنْ بِقَاعِهَا مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ..

﴿إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ وَأَمَّا الْحَبْلُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَإِنَّهُ السَّبَبُ الَّذِي يَأْمَنُونَ بِهِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَأَمَانٍ تَقَدَّمَ لَهُمْ عَقْدُهُ قَبْلَ أَنْ يُثْقَفُوا فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ..

﴿وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وَتَحَمَّلُوا غَضَبَ اللهِ، فَانْصَرَفُوا بِهِ مُسْتَحِقِّيهِ..

﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ﴾ وَهِي ذُلُّ الْفَاقَةِ وَالْفَقْرِ وَخُشُوعُهُمَا..

﴿ذَٰلِكَ﴾ بَوْؤُهُمُ الَّذِي بَاءُوا بِهِ مِنْ غَضَبِ اللهِ، وَضَرْبِ الذِّلَّةِ عَلَيْهِمْ..

﴿بِأَنَّهُمۡ﴾ بَدَلًا مِمَّا..

﴿كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ مِمَّا كَانُوا يَجْحَدُونَ أَعْلَامَ اللهِ وَأَدِلَّتَهُ عَلَىٰ صِدْقِ أَنْبِيَائِهِ، وَمَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَرَائِضِهِ..

﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ﴾ وَبِمَا كَانُوا يَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَهُمْ وَرُسُلَ اللهِ إِلَيْهِمْ، ظُلْمًا وَاعْتِدَاءً عَلَىٰ اللهِ، وَجَرَاءَةً عَلَيْهِ بِالْبَاطِلِ..

﴿بِغَيۡرِ حَقّٖۚ﴾ اسْتَحَقُّوا مِنْهُمُ الْقَتْلَ..

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ١١٢﴾ [آل عمران: ١١٢] فَعَلْنَا بِهِمْ ذَلِكَ بِكُفْرِهِمْ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ وَمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ وَاعْتِدَائِهِمْ أَمْرَ رَبِّهِمْ.. فَأَعْلَمَ رَبُّنَا جَلَّ ثناؤُهُ عِبَادَهُ، مَا فَعَلَ بِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، مِنْ إِحْلَالِ الذِّلَّةِ وَالْخِزْيِ بِهِمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، مَعَ مَا ادَّخَرَ لَهُمْ فِي الْأَجَلِ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالنَّكَالِ وَأَلِيمِ الْعَذَابِ، إِذْ تَعَدَّوْا حُدُودَ اللهِ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُ تَذْكِيرًا مِنْهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَهُمْ، وَتَنْبِيهًا عَلَىٰ مَوْضِعِ الْبَلَاءِ الَّذِي مِنْ قِبَلِهِ أُتُوا، لِيُنِيبُوا وَيَذَّكَّرُوا، وَعِظَةً مِنْهُ لِأُمَّتِنَا أَنْ لَا يَسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِمْ، وَيَرْكَبُوا مِنْهَاجَهُمْ، فَيَسْلُكَ بِهِمْ مَسَالِكَهُمْ، وَيُحِلَّ بِهِمْ مِنْ نِقَمِ اللهِ وَمَثُلَاتِهِ مَا أَحَلَّ بِهِمْ.

﴿* لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران: ١١٣].

﴿* لَيْسُوا سَوَاءً﴾ لَيْسَ فَرِيقَا أَهْلِ الْكِتَابِ أَهْلُ الْإِيمَانِ مِنْهُمْ وَالْكُفْرِ سَوَاءً، يَعْنِي بِذَلِكَ: أَنَّهُمْ غَيْرُ مُتَسَاوِينَ، يَقُولُ: لَيْسُوا مُتَعَادِلِينَ، وَلَكِنَّهُمْ مُتَفَاوِتُونَ فِي الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.. وَإِنَّمَا قِيلَ: لَيْسُوا سَوَاءً؛ لِأَنَّ فِيهِ ذِكْرُ الْفَرِيقَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ اللَّذَيْنِ ذَكَرَهُمَا اللهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠]، ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثناؤُهُ عَنْ حَالِ الْفَرِيقَيْنِ، عِنْدَهُ، الْمُؤْمِنَةِ مِنْهُمَا وَالْكَافِرَةِ، فَقَالَ: ﴿* لَيْسُوا سَوَاءً﴾، أَيْ: لَيْسَ هَؤُلَاءِ سَوَاءً، الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ وَالْكَافِرُونَ، ثُمَّ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ جَلَّ ثناؤُهُ عَنْ صِفَةِ الْفِرْقَةِ الْمُؤْمِنَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَمَدَحَهُمْ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ، بَعْدَمَا وَصَفَ الْفِرْقَةَ الْفَاسِقَةَ مِنْهُمْ بِمَا وَصَفَهَا بِهِ مِنَ الْهَلَعِ وَنَخْبِ الْجَنَانِ، وَمُحَالَفَةِ الذُّلِّ وَالصَّغَارِ، وَمُلَازَمَةِ الْفَاقَةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَتَحَمُّلِ خِزْيِ الدُّنْيَا وَفَضِيحَةِ الْآخِرَةِ، فَقَالَ: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران: ١١٥]..

﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ جَمَاعَةٌ مُعْتَصِمَةٌ بِكِتَابِ اللهِ، مُتَمَسِّكَةٌ بِهِ، ثَابِتَةٌ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِمَا فِيهِ، وَبِمَا سَنَّ لَهُمْ رَسُولُهُ ﷺ، مُسْتَقِيمَةٌ عَلَىٰ الْهُدَىٰ، وَكِتَابِ اللهِ، وَفَرَائِضِهِ، وَشَرَائِعِ دِينِهِ، بِالْعَدْلِ وَالطَّاعَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ، مِنْ صِفَةِ أَهْلِ الِاسْتِقَامَةِ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ يَقْرَءُونَ كِتَابَ اللهِ وَمَا أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ مِنَ الْعِبَرِ وَالْمَوَاعِظِ..

﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ يَتْلُونَ ذَلِكَ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ، فَيَتَدَبَّرُونَهُ وَيَتَفَكَّرُونَ فِيهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ جَوْفُ اللَّيْلِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَىٰ بِذَلِكَ قَوْمًا كَانُوا يُصَلُّونَ الْعِشَاءَ الْأَخِيرَةَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ قَوْمٌ كَانُوا يُصَلُّونَ فِيمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ.. وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ الَّتِي ذَكَرْتُهَا - عَلَىٰ اخْتِلَافِهَا- مُتَقَارِبَةُ الْمَعَانِي، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَصَفَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، بِأَنَّهُمْ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ، وَهِيَ آنَاؤُهُ، وَقَدْ يَكُونُ تَالِيهَا فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ تَالِيًا لَهَا آنَاءَ اللَّيْلِ، وَكَذَلِكَ مَنْ تَلَاهَا فِيمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَمَنْ تَلَاهَا جَوْفَ اللَّيْلِ، فَكُلٌّ تَالٍ لَهُ سَاعَاتَ اللَّيْلِ..

﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران: ١١٣] إِنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ زَعَمَ أَنَّ مَعْنَىٰ السُّجُودِ فِي هَذَا

الْمَوْضِعِ اسْمُ الصَّلَاةِ لَا السُّجُودُ؛ لِأَنَّ التِّلَاوَةَ لَا تَكُونُ فِي السُّجُودِ وَلَا فِي الرُّكُوعِ، فَكَانَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ عِنْدَهُ: يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَلَيْسَ الْمَعْنَىٰ عَلَىٰ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ، يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ فِي صَلَاتِهِمْ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَسْجُدُونَ فِيهَا، فَالسُّجُودُ هُوَ السُّجُودُ الْمَعْرُوفُ فِي الصَّلَاةِ.

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤﴾ [آل عمران: ١١٤].

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ يُصَدِّقُونَ بِاللهِ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ مُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ؛ وَلَيْسُوا كَالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَجْحَدُونَ وَحْدَانِيَّةَ اللهِ، وَيَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ، وَيُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَيُنْكِرُونَ الْمُجَازَاةَ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ، وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ..

﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَتَصْدِيقِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ..

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وَيَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنِ الْكُفْرِ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ، وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ: يَعْنِي بِذَلِكَ: أَنَّهُمْ لَيْسُوا كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْكُفْرِ، وَتَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ، وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَهُوَ تَصْدِيقُ مُحَمَّدٍ فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ وَيَبْتَدِرُونَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ خَشْيَةَ أَنْ يَفُوتَهُمْ ذَلِكَ قَبْلَ مُعَاجَلَتِهِمْ مَنَايَاهُمْ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤﴾ [آل عمران: ١١٤] هُمْ مِنْ عِدَادِ الصَّالِحِينَ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فَاسِقًا قَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، لِكُفْرِهِ بِاللهِ وَآيَاتِهِ، وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَعِصْيَانِهِ رَبَّهُ، وَاعْتِدَائِهِ فِي حُدُودِهِ.

﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ١١٥﴾ [آل عمران: ١١٥].

﴿وَمَا يَفْعَلُواْ﴾ وَمَا تَفْعَلْ هَذِهِ الْأُمَّةُ..

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ وَتَعْمَلْ مِنْ عَمَلٍ لِلَّهِ فِيهِ رِضًا..

﴿فَلَن يُكْفَرُوهُۗ﴾ فَلَنْ يَكْفُرَهُمُ اللهُ ذَلِكَ؛ يَعْنِي بِذَلِكَ: فَلَنْ يُبْطِلَ اللهُ ثَوَابَ عَمَلِهِمْ ذَلِكَ،

وَلَا يَدَعَهُمْ بِغَيْرِ جَزَاءٍ مِنْهُ لَهُمْ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ يُجْزِلُ لَهُمُ الثَّوَابَ عَلَيْهِ، وَيُسْنِي لَهُمُ الْكَرَامَةَ وَالْجَزَاءَ.. وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَىٰ مَعْنَىٰ الْكُفْرِ فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ بِشَوَاهِدِهِ، وَأَنَّ أَصْلَهُ تَغْطِيَةُ الشَّيْءِ فَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ فَلَنْ يُغَطَّىٰ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ، فَيُتْرَكُوا بِغَيْرِ مُجَازَاةٍ، وَلَكِنَّهُمْ يُشْكَرُونَ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ، فَيُجْزَلُ لَهُمُ الثَّوَابُ فِيهِ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ﴾ وَاللهُ ذُو عِلْمٍ..

﴿بِٱلْمُتَّقِينَ ١١٥﴾ [آل عمران: ١١٥] بِمَنِ اتَّقَاهُ بِطَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَحَافِظٌ أَعْمَالَهُمُ الصَّالِحَةَ حَتَّىٰ يُثِيبَهُمْ عَلَيْهَا، وَيُجَازِيَهُمْ بِهَا تَبْشِيرًا مِنْهُ لَهُمْ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، وَحَضًّا لَهُمْ عَلَىٰ التَّمَسُّكِ بِالَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنْ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي ارْتَضَاهَا لَهُمْ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١٦﴾ [آل عمران: ١١٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وَجَحَدُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَذَّبُوا بِهِ، وَبِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾ لَنْ تَدْفَعَ..

﴿أَمْوَٰلُهُمْ﴾ أَمْوَالُهُ الَّتِي جَمَعَهَا فِي الدُّنْيَا..

﴿وَلَآ أَوْلَٰدُهُم﴾ وَأَوْلَادُهُ الَّذِينَ رَبَّاهُمْ فِيهَا..

﴿مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ﴾ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ أَخَّرَهَا لَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا فِي الدُّنْيَا إِنْ عَجَّلَهَا لَهُمْ فِيهَا.. وَإِنَّمَا خَصَّ أَوْلَادَهُ وَأَمْوَالَهُ؛ لِأَنَّ أَوْلَادَ الرَّجُلِ أَقْرَبُ أَنْسِبَائِهِ إِلَيْهِ، وَهُوَ عَلَىٰ مَالِهِ أَقْرَبُ مِنْهُ عَلَىٰ مَالِ غَيْرِهِ، وَأَمْرُهُ فِيهِ أَجْوَزُ مِنْ أَمْرِهِ فِي مَالِ غَيْرِهِ، فَإِذَا لَمْ يُغْنِ عَنْهُ: وَلَدُهُ لِصُلْبِهِ، وَمَالُهُ الَّذِي هُوَ نَافِذُ الْأَمْرِ فِيهِ، فَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَقْرِبَائِهِ وَسَائِرِ أَنْسِبَائِهِ وَأَمْوَالِهِمْ أَبْعَدُ مِنْ أَنْ تُغْنِيَ عَنْهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا.. ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا بِقَوْلِهِ..

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ وَإِنَّمَا جَعَلَهُمْ أَصْحَابُهَا؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُهَا الَّذِينَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا يُفَارِقُونَهَا، كَصَاحِبِ الرَّجُلِ الَّذِي لَا يُفَارِقُهُ، وَقَرِينِهِ الَّذِي لَا يُزَايِلُهُ، ثُمَّ وَكَّدَ ذَلِكَ بِإِخْبَارِهِ عَنْهُمْ أَنَّـ..

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١٦﴾ [آل عمران: ١١٦] صُحْبَتُهُمْ إِيَّاهَا صُحْبَةٌ لَا انْقِطَاعَ لَهَا؛ إِذْ كَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا يُفَارِقُ صَاحِبَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ وَيُزَايِلُهُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ صُحْبَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا النَّارَ الَّتِي أُصْلُوهَا، وَلَكِنَّهَا صُحْبَةٌ دَائِمَةٌ لَا نِهَايَةَ لَهَا وَلَا انْقِطَاعَ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْهَا

وَمِمَّا قَرَّبَ مِنْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.. وَهَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِلْأُمَّةِ الْأُخْرَىٰ الْفَاسِقَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ فَاسِقُونَ وَأَنَّهُمْ قَدْ بَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْهُ، وَلِمَنْ كَانَ مِنْ نُظَرَائِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران: ١١٧].

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ شِبْهُ إِبْطَالِ اللهِ أَجْرَ مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ الْكَافِرُ مِنْ مَالِهِ، فَيُعْطِي مَنْ يُعْطِيهِ عَلَىٰ وَجْهِ الْقُرْبَةِ إِلَىٰ رَبِّهِ، وَهُوَ لِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ جَاحِدٌ، وَلِمُحَمَّدٍ ﷺ مُكَذِّبٌ، فِي أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ نَافِعِهِ مَعَ كُفْرِهِ، وَأَنَّهُ مُضْمَحِلٌّ عِنْدَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ ذَاهِبٌ بَعْدَ الَّذِي كَانَ يَرْجُو مِنْ عَائِدَةِ نَفْعِهِ عَلَيْهِ.. وَخَرَجَ الْمَثَلُ لِلنَّفَقَةِ وَالْمُرَادُ بِالْمَثَلِ صَنِيعُ اللهِ بِالنَّفَقَةِ..

﴿فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ﴾ كَشِبْهِ..

﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ رِيحٍ فِيهَا بَرْدٌ شَدِيدٌ..

﴿أَصَابَتْ﴾ هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي فِيهَا الْبَرْدُ الشَّدِيدُ..

﴿حَرْثَ قَوْمٍ﴾ زَرْعَ قَوْمٍ، قَدْ أَمَّلُوا إِدْرَاكَهُ، وَرَجَوْا رِيعَهُ وَعَائِدَةَ نَفْعِهِ..

﴿ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ عَصَوُا اللهَ، وَتَعَدَّوْا حُدُودَهُ..

﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ فَأَهْلَكَتِ الرِّيحُ الَّتِي فِيهَا الصِّرُّ زَرْعَهُمْ ذَلِكَ، بَعْدَ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَمَلِ، وَرَجَاءَ عَائِدَةِ نَفْعِهِ عَلَيْهِمْ، فَكَذَلِكَ فِعْلُ اللهِ بِنَفَقَةِ الْكَافِرِ وَصَدَقَتِهِ فِي حَيَاتِهِ حِينَ يَلْقَاهُ يُبْطِلُ ثَوَابَهَا، وَيُخَيِّبُ رَجَاءَهُ مِنْهَا..

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وَمَا فَعَلَ اللهُ بِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ مَا فَعَلَ بِهِمْ، مِنْ إِحْبَاطِهِ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ، وَإِبْطَالِهِ أُجُورَهَا ظُلْمًا مِنْهُ لَهُمْ، يَعْنِي: وَضْعًا مِنْهُ لِمَا فَعَلَ بِهِمْ مِنْ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، بَلْ وَضَعَ فَعْلَهُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ، وَفَعَلَ بِهِمْ مَا هُمْ أَهْلُهُ..

﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران: ١١٧] لِأَنَّ عَمَلَهُمُ الَّذِي عَمِلُوهُ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ، وَهُمْ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ دَائِنُونَ وَلِأَمْرِهِ مُتَّبِعُونَ وَلِرُسُلِهِ مُصَدِّقُونَ، بَلْ كَانَ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَهُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ، وَلِأَمْرِهِ مُخَالِفُونَ، وَلِرُسُلِهِ مُكَذِّبُونَ، بَعْدَ تَقَدُّمِ مِنْهُ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ عَمَلًا مِنْ عَامِلٍ إِلَّا مَعَ إِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ لَهُ، وَالْإِقْرَارِ بِنُبُوَّةِ أَنْبِيَائِهِ، وَتَصْدِيقِ مَا جَاءُوهُمْ بِهِ، وَتَوْكِيدِهِ الْحُجَجَ بِذَلِكَ

عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَكُنْ بِفِعْلِهِ مَا فَعَلَ بِمَنْ كَفَرَ بِهِ وَخَالَفَ أَمْرَهُ فِي ذَلِكَ بَعْدَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِ مِنْ إِحْبَاطِ وَافِرِ عَمَلِهِ لَهُ ظَالِمًا، بَلِ الْكَافِرُ هُوَ الظَّالِمُ نَفْسَهُ لِإِكْسَابِهَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ وَخِلَافِ أَمْرِهِ مَا أَوْرَدَهَا بِهِ نَارَ جَهَنَّمَ وَأَصْلَاهَا بِهِ سَعِيرَ سَقَرَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾

[آل عمران: ١١٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَقَرُّوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً﴾ لَا تَتَّخِذُوا أَوْلِيَاءَ وَأَصْدِقَاءَ لِأَنْفُسِكُمْ.. وَإِنَّمَا جَعَلَ الْبِطَانَةَ مَثَلًا لِخَلِيلِ الرَّجُلِ فَشَبَّهَهُ بِمَا وَلِيَ بَطْنَهُ مِنْ ثِيَابِهِ لِحُلُولِهِ مِنْهُ فِي اطِّلَاعِهِ عَلَىٰ أَسْرَارِهِ، وَمَا يَطْوِيهِ عَنْ أَبَاعِدِهِ وَكَثِيرٍ مِنْ أَقَارِبِهِ، مَحَلَّ مَا وَلِيَ جَسَدَهُ مِنْ ثِيَابِهُ..

﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ مِنْ دُونِ أَهْلِ دِينِكُمْ وَمِلَّتِكُمْ، يَعْنِي: مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ.. فَنَهَىٰ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ أَنْ يَتَّخِذُوا مِنَ الْكُفَّارِ بِهِ أَخِلَّاءَ وَأَصْفِيَاءَ، ثُمَّ عَرَّفَهُمْ مَا هُمْ عَلَيْهِ لَهُمْ مُنْطَوُونَ مِنَ الْغِشِّ وَالْخِيَانَةِ، وَبَغْيِهِمْ إِيَّاهُمُ الْغَوَائِلَ، فَحَذَّرَهُمْ بِذَلِكَ مِنْهُمْ عَلَىٰ مُخَالَفَتِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ﴾ يَعْنِي: الْبِطَانَةَ الَّتِي نَهَىٰ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اتِّخَاذِهَا مِنْ دُونِهِمْ لَا تَدَعُ جَهْدَهَا..

﴿خَبَالًا﴾ فِيمَا أَوْرَثَكُم الشَّرَ والفَسَادَ..

﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ يَتَمَنَّوْنَ لَكُمُ الْعَنَتَ وَالشَّرَّ فِي دِينِكُمْ وَمَا يَسُوءُكُمْ وَلَا يَسُرُّكُمْ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يُخَالِطُونَ حُلَفَاءَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَأَهْلِ النِّفَاقِ مِنْهُمْ، وَيُصَافُونَهُمُ الْمَوَدَّةَ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، فَنَهَاهُمُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ وَأَنْ يَسْتَنْصِحُوهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِهِمْ..

﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ﴾ قَدْ بَدَتْ بَغْضَاءُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَهَيْتُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ تَتَّخِذُوهُمْ بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَكُمْ..

﴿مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَالَّذِي بَدَا لَهُمْ مِنْهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ إِقَامَتُهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَعَدَاوَتُهُمْ مَنْ خَالَفَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الضَّلَالَةِ، فَذَلِكَ مِنْ أَوْكَدِ الْأَسْبَابِ مِنْ مُعَادَاتِهِمْ أَهْلَ

الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ عَدَاوَةٌ عَلَىٰ الدِّينِ، وَالْعَدَاوَةُ عَلَىٰ الدِّينِ الْعَدَاوَةُ الَّتِي لَا زَوَالَ لَهَا إِلَّا بِانْتِقَالِ أَحَدِ الْمُتَعَادِيَيْنِ إِلَىٰ مِلَّةِ الْآخَرِ مِنْهُمَا، وَذَلِكَ انْتِقَالٌ مِنْ هُدىً إِلَىٰ ضَلَالَةٍ كَانَتْ عِنْدَ الْمُنْتَقِلِ إِلَيْهَا ضَلَالَةٌ قَبْلَ ذَلِكَ، فَكَانَ فِي إِبْدَائِهِمْ ذَلِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَمُقَامِهِمْ عَلَيْهِ أَبْيَنُ الدَّلَالَةِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ لَهُمْ مِنَ الْبَغْضَاءِ وَالْعَدَاوَةِ..

﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ﴾ وَالَّذِي تُخْفِي صُدُورُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَهَاهُمْ عَنِ اتِّخَاذِهِمْ بِطَانَةً فَتُخْفِيهِ عَنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أَكْبَرُ﴾ مِمَّا قَدْ بَدَا لَكُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ مِنَ الْبَغْضَاءِ وَأَعْظَمُ..

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ٱلْآيَٰتِ﴾ الْعِبَرَ مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ نَهَيْنَاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوهُمْ بِطَانَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، مَا تَعْتَبِرُونَ وَتَتَّعِظُونَ بِهِ مِنْ أَمْرِهِمْ..

﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ١١٨﴾ [آل عمران: ١١٨] عَنِ اللهِ مَوَاعِظَهُ وَأَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَتَعْرِفُونَ مَوَاقِعَ نَفْعِ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَمَبْلَغَ عَائِدَتِهِ عَلَيْكُمْ.

﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩﴾

[آل عمران: ١١٩].

﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ تُحِبُّونَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ الَّذِينَ نَهَيْتُكُمْ عَنِ اتِّخَاذِهِمْ بِطَانَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَوَدُّونَهُمْ وَتُوَاصِلُونَهُمْ..

﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ بَلْ يَنْتَظِرُونَ لَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْغِشَّ..

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ بِالْكُتُبِ كُلِّهَا، كِتَابِكُمُ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ، وَكِتَابِهِمُ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ، فَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ تُؤْمِنُونَ بِالْكُتُبِ كُلِّهَا، وَتَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ نَهَيْتُكُمْ عَنْ أَنْ تَتَّخِذُوهُمْ بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ كُفَّارٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ، بِجُحُودِهِمْ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ عُهُودِ اللهِ إِلَيْهِمْ، وَتَبْدِيلِهِمْ مَا فِيهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، أَوْلَىٰ بِعَدَاوَتِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَبَغْضَائِهِمْ وَغِشِّهِمْ مِنْهُمْ بِعَدَاوَتِكُمْ وَبَغْضَائِكُمْ، مَعَ جُحُودِهِمْ بَعْضَ الْكُتُبِ وَتَكْذِيبِهِمْ بِبَعْضِهَا.. وَفِي هَذِهِ

الْآيَةِ إِبَانَةٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عَنْ حَالِ الْفَرِيقَيْنِ: أَعْنِي الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَرَحْمَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَرَأْفَتِهِمْ بِأَهْلِ الْخِلَافِ لَهُمْ، وَقَسَاوَةِ قُلُوبِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَغِلْظَتِهِمْ عَلَىٰ أَهْلِ الْإِيمَانِ..

﴿وَإِذَا﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَهَىٰ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَّخِذُوهُمَا بِطَانَةً مِنْ دُونِهِمْ، وَوَصَفَهُمْ بِصِفَتِهِمْ إِذًا..

﴿لَقُوكُمْ﴾ لَقُوا الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿قَالُوٓا۟﴾ أَعْطَوْهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ تَقِيَّةً، حَذَرًا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مِنْهُمْ، فَقَالُوا لَهُمْ..

﴿ءَامَنَّا﴾ قَدْ آمَنَّا وَصَدَّقْنَا بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿وَإِذَا خَلَوْا۟﴾ وَإِذَا هُمْ خَلَوْا فَصَارُوا فِي خَلَاءٍ حَيْثُ لَا يَرَاهُمُ الْمُؤْمِنُونَ..

﴿عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ﴾ عَضُّوا عَلَىٰ مَا يَرَوْنَ مِنَ ائْتِلَافِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاجْتِمَاعِ كَلِمَتِهِمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ..

﴿ٱلْأَنَامِلَ﴾ وَهِيَ أَطْرَافُ أَصَابِعِهِمْ..

﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ تَغَيُّظًا مِمَّا بِهِمْ مِنَ الْمَوْجِدَةِ عَلَيْهِمْ، وَأَسىً عَلَىٰ ظَهْرٍ يُسْتَنِدُونَ إِلَيْهِ؛ لِمُكَاشَفَتِهِمُ الْعَدَاوَةَ، وَمُنَاجَزَتِهِمُ الْمُحَارَبَةَ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ صِفَتَهُمْ، وَأَخْبَرْتُكَ أَنَّهُمْ إِذَا لَقُوا أَصْحَابَكَ، قَالُوا آمَنَّا، وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ..

﴿مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾ الَّذِي بِكُمْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، لِاجْتِمَاعِ كَلِمَتِهِمْ، وَائْتِلَافِ جَمَاعَتِهِمْ.. وَخَرَجَ هَذَا الْكَلَامُ مَخْرَجَ الْأَمْرِ، وَهُوَ دُعَاءٌ مِنَ اللهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِأَنْ يَدْعُوَ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يُهْلِكَهُمُ اللهُ كَمَدًا مِمَّا بِهِمْ مِنَ الْغَيْظِ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، قَبْلَ أَنْ يَرَوْا فِيهِمْ مَا يَتَمَنَّوْنَ لَهُمْ مِنَ الْعَنَتِ فِي دِينِهِمْ، وَالضَّلَالَةِ بَعْدَ هُدَاهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران: ١١٩] إِنَّ اللهَ ذُو عِلْمٍ بِالَّذِي فِي صُدُورِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ إِذَا لَقُوا الْمُؤْمِنِينَ، قَالُوا: آمَنَّا، وَمَا يَنْطَوُونَ لَهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْغِلِّ وَالْغَمِّ، وَيَعْتَقِدُونَ لَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، وَبِمَا فِي صُدُورِ جَمِيعِ خَلْقِهِ، حَافِظٌ عَلَىٰ جَمِيعِهِمْ مَا هُوَ عَلَيْهِ مُنْطَوٍ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ جَمِيعَهُمْ عَلَىٰ مَا قَدَّمَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَاعْتَقَدَ مِنْ إِيمَانٍ وَكُفْرٍ، وَانْطَوَىٰ عَلَيْهِ لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَصِيحَةٍ أَوْ غِلٍّ وَغَمْرٍ.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١٢٠].

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ﴾ إِنْ تَنَالُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿حَسَنَةٌ﴾ سُرُورٌ بِظُهُورِكُمْ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ، وَتَتَابُعِ النَّاسِ فِي الدُّخُولِ فِي دِينِكُمْ، وَتَصْدِيقِ نَبِيِّكُمْ، وَمُعَاوَنَتِكُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ..

﴿تَسُؤْهُمْ﴾ يَسُؤْهُمْ..

﴿وَإِن تُصِبْكُمْ﴾ وَإِنْ تَنَلْكُمْ..

﴿سَيِّئَةٌ﴾ مَسَاءَةٌ بِإِخْفَاقِ سَرِيَّةٍ لَكُمْ، أَوْ بِإِصَابَةِ عَدُوٍّ لَكُمْ مِنْكُمْ، أَوِ اخْتِلَافٍ يَكُونُ بَيْنَ جَمَاعَتِكُمْ..

﴿يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، مِنَ اتِّخَاذِ بِطَانَةٍ لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ مَا نَهَاكُمْ..

﴿وَتَتَّقُوا﴾ رَبَّكُمْ، فَتَخَافُوا التَّقَدُّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِيمَا أَلْزَمَكُمْ، وَأَوْجَبَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ..

﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ أَيْ: كَيْدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ، وَيَعْنِي بِكَيْدِهِمْ: غَوَائِلَهُمُ الَّتِي يَبْتَغُونَهَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَمَكْرَهُمْ بِهِمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ الْهُدَىٰ وَسَبِيلِ الْحَقِّ..

﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١٢٠] إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ مِنَ الْفَسَادِ وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَالْعَدَاوَةِ لِأَهْلِ دِينِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَاصِي اللهِ مُحِيطٌ بِجَمِيعِهِ، حَافِظٌ لَهُ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْهُ، حَتَّىٰ يُوَفِّيَهُمْ جَزَاءَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ كُلِّهِ وَيُذِيقَهُمْ عُقُوبَتَهُ عَلَيْهِ.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [آل عمران: ١٢١].

﴿وَإِذْ﴾ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ كَيْدُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ مِنَ الْيَهُودِ شَيْئًا، وَلَكِنَّ اللهَ يَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ إِنْ صَبَرْتُمْ عَلَىٰ طَاعَتِي، وَاتِّبَاعِ أَمْرِ رَسُولِي، كَمَا نَصَرْتُكُمْ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ، وَإِنْ أَنْتُمْ خَالَفْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَمْرِي، وَلَمْ تَصْبِرُوا عَلَىٰ مَا كَلَّفْتُكُمْ مِنْ فَرَائِضِي، وَلَمْ تَتَّقُوا مَا نَهَيْتُكُمْ

عَنْهُ، وَخَالَفْتُمْ أَمْرِي، وَأَمْرَ رَسُولِي، فَإِنَّهُ نَازِلٌ بِكُمْ مَا نَزَلَ بِكُمْ بِأُحُدٍ، وَاذْكُرُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ إِذْ..

﴿غَدَوْتَ﴾ غَدَا نَبِيُّكُمْ..

﴿مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كَانَتْ تَبوِئَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ، مَشُورَتَه عَلَىٰ أَصْحَابِهِ بِالرَّأْيِ..

﴿مَقَاعِدَ﴾ جَمْعُ مَقْعَدٍ وَهُوَ الْمَجْلِسُ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَاذْكُرْ إِذْ غَدَوْتَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ أَهْلِكَ تَتَّخِذُ لِلْمُؤْمِنِينَ مُعَسْكَرًا وَمَوْضِعًا..

﴿لِلْقِتَالِ﴾ لِقِتَالِ عَدُوِّهِمْ..

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِمَا يَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ لَكَ فِيمَا شَاوَرْتَهُمْ فِيهِ مِنْ مَوْضِعِ لِقَائِكَ وَلِقَائِهِمْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، مِنْ قَوْلِ مَنْ قَالَ: اخْرُجْ بِنَا إِلَيْهِمْ حَتَّىٰ نَلْقَاهُمْ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وَمَنْ قَالَ لَكَ: لَا تَخْرُجْ إِلَيْهِمْ وَأَقِمْ بِالْمَدِينَةِ حَتَّىٰ يَدْخُلُوهَا عَلَيْنَا، وَمِمَّا تُشِيرُ بِهِ عَلَيْهِمْ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلِيمٌ ۝١٢١﴾ [آل عمران: ١٢١] بِأَصْلَحِ تِلْكَ الْآرَاءِ لَكَ وَلَهُمْ، وَبِمَا تُخْفِيهِ صُدُورُ الْمُشِيرِينَ عَلَيْكَ بِالْخُرُوجِ إِلَىٰ عَدُوِّكَ، وَصُدُورُ الْمُشِيرِينَ عَلَيْكَ بِالْمُقَامِ فِي الْمَدِينَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِكَ وَأُمُورِهِمْ.

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝١٢٢﴾

[آل عمران: ١٢٢].

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ حِينَ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا، وَالطَّائِفَتَانِ اللَّتَانِ هَمَّتَا بِالْفَشَلِ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُمْ بَنُو سَلَمَةَ وَبَنُو حَارِثَةَ، وَذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ، هَمُّوا بِأَمْرٍ، فَعَصَمَهُمُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ.. وَكَانَ هَمُّهُمَا الَّذِي هَمَّا بِهِ مِنَ الْفَشَلِ، الِانْصِرَافَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ، حِينَ انْصَرَفَ عَنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ بِمَنْ مَعَهُ، جُبْنًا مِنْهُمْ، مِنْ غَيْرِ شَكٍّ مِنْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا نِفَاقٍ، فَعَصَمَهُمُ اللهُ مِمَّا هَمُّوا بِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَمَضَوْا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِوَجْهِهِ الَّذِي مَضَىٰ لَهُ، وَتَرَكُوا عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ وَالْمُنَافِقِينَ مَعَهُ، فَأَثْنَىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِمَا بِثُبُوتِهِمَا عَلَىٰ الْحَقِّ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ وَلِيُّهُمَا وَنَاصِرُهُمَا عَلَىٰ أَعْدَائِهِمَا مِنَ الْكُفَّارِ..

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ الدَّافِعُ عَنْهُمَا مَا هُمَا بِهِ مِنْ فَشَلِهِمَا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُمَا عَنْ ضَعْفٍ وَوَهَنٍ أَصَابَهُمَا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ أَصَابَهُمَا فِي دِينِهِمَا، فَتَوَلَّىٰ دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمَا بِرَحْمَتِهِ وَعَائِدَتِهِ، حَتَّىٰ سَلِمَتَا مِنْ وَهَنِهِمَا وَضَعْفِهِمَا، وَلَحِقَتَا بِنَبِيِّهِمَا ﷺ..

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران: ١٢٢] مَنْ كَانَ بِهِ ضَعْفٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ وَهْنٌ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَيَّ وَلْيَسْتَعِنْ بِي أُعِنْهُ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَأَدْفَعْ عَنْهُ، حَتَّىٰ أَبْلُغَ بِهِ وَأُقَوِّيَهُ عَلَىٰ نِيَّتِهِ.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣].

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا، لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا، وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ..

﴿وَأَنتُمْ﴾ يَوْمَئِذٍ..

﴿أَذِلَّةٌ﴾ قَلِيلُونَ، فِي غَيْرِ مَنَعَةٍ مِنَ النَّاسِ، حَتَّىٰ أَظْهَرَكُمُ اللهُ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ، وَقِلَّةِ عَدَدِكُمْ، وَأَنْتُمُ الْيَوْمَ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنْكُمْ حِينَئِذٍ، فَإِنْ تَصْبِرُوا لِأَمْرِ اللهِ يَنْصُرْكُمْ كَمَا نَصَرَكُمْ ذَٰلِكَ الْيَوْمَ..

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ رَبَّكُمْ بِطَاعَتِهِ وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣] لِتَشْكُرُوهُ عَلَىٰ مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ النَّصْرِ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ، وَإِظْهَارِ دِينِكُمْ، وَلِمَا هَدَاكُمْ لَهُ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي ضَلَّ عَنْهُ مُخَالِفُوكُمْ.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [آل عمران: ١٢٤].

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِكَ مِنْ أَصْحَابِكَ..

﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [آل عمران: ١٢٤] وَذَٰلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَعَدَهُمُ اللهُ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَدَدًا لَهُمْ.

﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: ١٢٥].

﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾ مِنْ وَجْهِهِمْ هَذَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَٰلِكَ: مِنْ غَضَبِهِمْ هَذَا.. وَأَصْلُ الْفَوْرِ: ابْتِدَاءُ الْأَمْرِ يُؤْخَذُ فِيهِ، ثُمَّ يُوصَلُ بِآخَرَ، يُقَالُ مِنْهُ: فَارَتِ الْقِدْرُ فَهِيَ تَفُورُ فَوْرًا وَفَوَرَانًا: إِذَا مَا ابْتَدَأَ مَا فِيهَا بِالْغَلَيَانِ ثُمَّ اتَّصَلَ؛ وَمَضَيْتُ إِلَىٰ فُلَانٍ مِنْ فَوْرِي ذَٰلِكَ، يُرَادُ بِهِ: مِنْ وَجْهِي الَّذِي ابْتَدَأْتُ فِيهِ.. فَالَّذِي قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿مِّن فَوْرِهِمْ

هَٰذَا﴾ مِنْ وَجْهِهِمْ هَذَا، قَصَدَ إِلَىٰ أَنَّ تَأْوِيلَهُ: وَيَأْتِيكُمْ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ وَأَصْحَابُهُ يَوْمَ بَدْرٍ، مِنَ ابْتِدَاءِ مَخْرَجِهِمُ الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ، لِنُصْرَةِ أَصْحَابِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.. وَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: مِنْ غَضَبِهِمْ هَذَا، فَإِنَّمَا عَنَوْا أَنَّ تَأْوِيلَ ذَلِكَ: وَيَأْتِيكُمْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ وَتُبَّاعُهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ مِنَ ابْتِدَاءِ غَضَبِهِمُ الَّذِي غَضِبُوهُ لِقَتْلَاهُمُ الَّذِينَ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ بِهَا..

﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ ثُمَّ وَعَدَهُمْ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ الْآلَافِ خَمْسَةَ آلَافٍ إِنْ صَبَرُوا لِأَعْدَائِهِمْ، وَاتَّقَوُا اللهَ، وَلَا دَلَالَةَ فِي الْآيَةِ عَلَىٰ أَنَّهُمْ أُمِدُّوا بِالثَّلَاثَةِ آلَافٍ، وَلَا بِالْخَمْسَةِ آلَافٍ، وَلَا عَلَىٰ أَنَّهُمْ لَمْ يُمَدُّوا بِهِمْ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَمَدَّهُمْ عَلَىٰ نَحْوِ مَا رَوَاهُ الَّذِينَ أَثْبَتُوا أَنَّهُ أَمَدَّهُمْ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَمْ يُمِدَّهُمْ عَلَىٰ نَحْوِ الَّذِي ذَكَرَهُ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ، وَلَا خَبَرَ عِنْدَنَا صَحَّ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يُثْبِتُ أَنَّهُمْ أُمِدُّوا بِالثَّلَاثَةِ الْآلَافِ وَلَا بِالْخَمْسَةِ الْآلَافِ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُقَالَ فِي ذَلِكَ قَوْلٌ إِلَّا بِخَبَرٍ تَقُومُ الْحُجَّةُ بِهِ، وَلَا خَبَرَ بِهِ كَذَلِكَ فَنُسَلِّمَ لِأَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ قَوْلَهُ، غَيْرَ أَنَّ فِي الْقُرْآنِ دَلَالَةً عَلَىٰ أَنَّهُمْ قَدْ أُمِدُّوا يَوْمَ بَدْرٍ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال: ٩]، فَأَمَّا فِي يَوْمِ أُحُدٍ، فَالدَّلَالَةُ عَلَىٰ أَنَّهُمْ لَمْ يُمَدُّوا أَبْيَنُ مِنْهَا فِي أَنَّهُمْ أُمِدُّوا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَوْ أُمِدُّوا لَمْ يُهْزَمُوا، وَيَنَالُ مِنْهُمْ مَا نِيلَ مِنْهُمْ، فَالصَّوَابُ فِيهِ مِنَ الْقَوْلِ أَنْ يُقَالَ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿مُسَوِّمِينَ ۝١٢٥﴾ [آل عمران: ١٢٥] وَالسِّيمَا الْعَلَامَةُ، يُقَالُ: هِيَ سِيمَا حَسَنَةٌ، وَسِيمِيَاءُ حَسَنَةٌ، فَإِذَا أُعْلِمَ الرَّجُلُ بِعَلَامَةٍ يُعْرَفُ بِهَا فِي حَرْبٍ أَوْ غَيْرِهِ، قِيلَ: سَوَّمَ نَفْسَهُ، فَهُوَ يُسَوِّمُهَا تَسْوِيمًا.. وَأَهْلُ التَّأْوِيلِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ بَعْدَهُمْ، بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ هِيَ الَّتِي سَوَّمَتْ أَنْفُسَهَا مِنْ غَيْرِ إِضَافَةِ تَسْوِيمِهَا إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، أَوْ إِلَىٰ غَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ، فَأُضِيفَ تَسْوِيمُهَا أَنْفُسَهَا إِلَيْهَا، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ تَسْبِيبِ اللهِ لَهُمْ أَسْبَابَهُ، وَهِيَ إِذَا كَانَتْ مَوْصُوفَةً بِتَسْوِيمِهَا أَنْفُسَهَا تَقَرُّبًا مِنْهَا إِلَىٰ رَبِّهَا، كَانَ أَبْلَغَ فِي مَدْحِهَا؛ لِاخْتِيَارِهَا طَاعَةَ اللهِ مِنْ أَنْ تَكُونَ مَوْصُوفَةً بِأَنَّ ذَلِكَ مَفْعُولٌ بِهَا.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١٢٦﴾ [آل عمران: ١٢٦].

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ وَمَا جَعَلَ اللهُ وَعْدَهُ إِيَّاكُمْ مَا وَعَدَكُمْ مِنْ إِمْدَادِهِ إِيَّاكُمْ بِالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ ذَكَرَ عَدَدَهُمْ..

﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ بُشْرَى يُبَشِّرُكُمْ بِهَا..

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ وَكَيْ تَطْمَئِنَّ بِوَعْدِهِ الَّذِي وَعَدَكُمْ مِنْ ذَلِكَ قُلُوبُكُمْ، فَتَسْكُنُ إِلَيْهِ، وَلَا تَجْزَعُ مِنْ كَثْرَةِ عَدَدِ عَدُوِّكُمْ، وَقِلَّةِ عَدَدِكُمْ..

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وَمَا ظَفَرُكُمْ إِنْ ظَفِرْتُمْ بِعَدُوِّكُمْ إِلَّا بِعَوْنِ اللهِ، لَا مِنْ قِبَلِ الْمَدَدِ الَّذِي يَأْتِيكُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يَقُولُ: فَعَلَىٰ اللهِ فَتَوَكَّلُوا، وَبِهِ فَاسْتَعِينُوا، لَا بِالْجُمُوعِ وَكَثْرَةِ الْعَدَدِ، فَإِنَّ نَصْرَكُمْ إِنْ كَانَ إِنَّمَا يَكُونُ بِاللهِ وَبِعَوْنِهِ وَمَعَكُمْ مِنْ مَلَائِكَتِهِ خَمْسَةُ آلَافٍ، فَإِنَّهُ إِلَىٰ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِعَوْنِ اللهِ وَبِتَقْوِيَتِهِ إِيَّاكُمْ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ، وَإِنْ كَانَ مَعَكُمْ مِنَ الْبَشَرِ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ أُخْرَىٰ، فَاتَّقُوا اللهَ وَاصْبِرُوا عَلَىٰ جِهَادِ عَدُوِّكُمْ، فَإِنَّ اللهَ نَاصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ..

﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِأَيْدِي أَوْلِيَائِهِ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ..

﴿ٱلْحَكِيمِ ۝١٢٦﴾ [آل عمران: ١٢٦] فِي تَدْبِيرِهِ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِ، يَقُولُ: فَأَبْشِرُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِتَدْبِيرِي لَكُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ، وَنَصْرِي إِيَّاكُمْ عَلَيْهِمْ إِنْ أَنْتُمْ أَطَعْتُمُونِي فِيمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَصَبَرْتُمْ لِجِهَادِ عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ.

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ۝١٢٧﴾ [آل عمران: ١٢٧].

﴿لِيَقْطَعَ﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ كَمَا يَهْلِكُ..

﴿طَرَفًا﴾ طَائِفَةً..

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَجَحَدُوا وَحْدَانِيَّةَ رَبِّهِمْ، وَنُبُوَّةَ نَبِيِّهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَقَالَ: إِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ مَنْ قُتِلَ بِأُحُدٍ..

﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ أَوْ يُخْزِيَهُمْ بِالْخَيْبَةِ بِمَا رَجَوْا مِنَ الظَّفَرِ بِكُمْ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ أَوْ يَصْرَعَهُمْ لِوُجُوهِهِمْ، ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ سَمِعَ الْعَرَبَ تَقُولُ: كَبَتَهُ اللهُ لِوَجْهِهِ، بِمَعْنَىٰ صَرَعَهُ اللهُ.. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ، لِيُهْلِكَ فَرِيقًا مِنَ الْكُفَّارِ بِالسَّيْفِ، أَوْ يُخْزِيَهُمْ بِخَيْبَتِهِمْ مِمَّا طَمِعُوا فِيهِ مِنَ الظَّفَرِ..

﴿فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ۝١٢٧﴾ [آل عمران: ١٢٧] فَيَرْجِعُوا عَنْكُمْ خَائِبِينَ لَمْ يُصِيبُوا مِنْكُمْ شَيْئًا مِمَّا رَجَوْا أَنْ يَنَالُوهُ مِنْكُمْ.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨].

﴿لَيْسَ لَكَ﴾ لَيْسَ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ مِنْ أَمْرِ خَلْقِي إِلَّا أَنْ تُنَفِّذَ فِيهِمْ أَمْرِي، وَتَنْتَهِي فِيهِمْ إِلَىٰ طَاعَتِي، وَإِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَيَّ، وَالْقَضَاءُ فِيهِمْ بِيَدِي دُونَ غَيْرِي، أَقْضِي فِيهِمْ..

﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ وَأَحْكُمُ بِالَّذِي أَشَاءُ -مِنَ التَّوْبَةِ- عَلَىٰ مَنْ كَفَرَ بِي وَعَصَانِي وَخَالَفَ أَمْرِي..

﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ إِمَّا فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالنِّقَمِ الْمُبِيرَةِ، وَإِمَّا فِي آجِلِ الْآخِرَةِ بِمَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِ الْكُفْرِ بِي..

﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨] ذُكِرَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إِنَّمَا أَنْزَلَ هَٰذِهِ الْآيَةَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا أَصَابَهُ بِأُحُدٍ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ كَالْآيِسِ لَهُمْ مِنَ الْهُدَىٰ أَوْ مِنَ الْإِنَابَةِ إِلَىٰ الْحَقِّ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ».. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ نَزَلَتْ هَٰذِهِ الْآيَةُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَنَّهُ دَعَا عَلَىٰ قَوْمٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: لَيْسَ الْأَمْرُ إِلَيْكَ فِيهِمْ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ [آل عمران: ١٢٩].

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ لَيْسَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، وَلِلَّهِ جَمِيعُ مَا بَيْنَ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مِنْ مُشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَىٰ مَغْرِبِهَا دُونَكَ وَدُونَهُمْ، يَحْكُمُ فِيهِمْ بِمَا شَاءَ، وَيَقْضِي فِيهِمْ مَا أَحَبَّ..

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ فَيَتُوبُ عَلَىٰ مَنْ أَحَبَّ مِنْ خَلْقِهِ الْعَاصِينَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، ثُمَّ يَغْفِرُ لَهُ..

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ وَيُعَاقِبُ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ عَلَىٰ جُرْمِهِ، فَيَنْتَقِمُ مِنْهُ..

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ يَسْتُرُ ذُنُوبَ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْتُرَ عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ مِنْ خَلْقِهِ، بِفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ..

﴿رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ [آل عمران: ١٢٩] بِهِمْ فِي تَرْكِهِ عُقُوبَتَهُمْ عَاجِلًا عَلَىٰ عَظِيمِ مَا يَأْتُونَ مِنَ الْمَآثِمِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ فِي إِسْلَامِكُمْ، بَعْدَ إِذْ هَدَاكُمْ لَهُ..

﴿أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ كَمَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَهُ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ، وَكَانَ أَكْلُهُمْ ذَلِكَ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَكُونُ لَهُ عَلَىٰ الرَّجُلِ مَالٌ إِلَىٰ أَجَلٍ، فَإِذَا حَلَّ الْأَجَلُ طَلَبَهُ مِنْ صَاحِبِهِ، فَيَقُولُ لَهُ الَّذِي عَلَيْهِ الْمَالُ: أَخِّرْ عَنِّىٰ دَيْنَكَ وَأَزِيدُكَ عَلَىٰ مَالِكَ فَيَفْعَلَانِ ذَلِكَ، فَذَلِكَ هُوَ الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، فَنَهَاهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي إِسْلَامِهِمْ عَنْهُ..

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي أَمْرِ الرِّبَا فَلَا تَأْكُلُوهُ، وَفِي غَيْرِهِ مِمَّا أَمَرَكُمْ بِهِ، أَوْ نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَأَطِيعُوهُ فِيهِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٣٠﴾ [آل عمران: ١٣٠] لِتَنْجَحُوا فَتَنْجُوا مِنْ عِقَابِهِ، وَتُدْرِكُوا مَا رَغَّبَكُمْ فِيهِ مِنْ ثَوَابِهِ، وَالْخُلُودِ فِي جِنَانِهِ.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ [آل عمران: ١٣١].

﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ٱلنَّارَ﴾ أَنْ تَصْلَوْهَا بِأَكْلِكُمُ الرِّبَا بَعْدَ نَهْيِي إِيَّاكُمْ عَنْهُ..

﴿ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ [آل عمران: ١٣١] الَّتِي أَعْدَدْتُهَا لِمَنْ كَفَرَ بِي، فَتَدْخُلُوا مَدَاخِلَهُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ بِي بِخِلَافِكُمْ أَمْرِي، وَتَرْكِكُمْ طَاعَتِي.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عمران: ١٣٢].

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنْ أَكْلِ الرِّبَا وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ..

﴿وَٱلرَّسُولَ﴾ وَفِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ الرَّسُولُ أَيْضًا كَذَلِكَ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عمران: ١٣٢] لِتُرْحَمُوا فَلَا تُعَذَّبُوا.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ مُعَاتَبَةٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِينَ خَالَفُوا أَمْرَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَخَلُّوا بِمَرَاكِزِهِمُ الَّتِي أُمِرُوا بِالثَّبَاتِ عَلَيْهَا.

﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣].

﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟﴾ وَبَادِرُوا وَسَابِقُوا..

﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إِلَىٰ مَا يَسْتُرُ عَلَيْكُمْ ذُنُوبَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَمَا يُغَطِّيهَا عَلَيْكُمْ مِنْ عَفْوِهِ عَنْ عُقُوبَتِكُمْ عَلَيْهَا..

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ وَسَارِعُوا أَيْضًا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، ذُكِرَ أَنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ، إِذَا ضُمَّ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ.. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ فَقِيلَ لَهُ: هَذِهِ الْجَنَّةُ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، فَأَيْنَ النَّارُ؟ فَقَالَ: «هَذَا النَّهَارُ إِذَا جَاءَ، أَيْنَ اللَّيْلُ؟»..

﴿أُعِدَّتۡ﴾ الْجَنَّةُ الَّتِي عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ أَعَدَّهَا اللهُ..

﴿لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣] الَّذِينَ اتَّقَوُا اللهَ، فَأَطَاعُوهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ، فَلَمْ يَتَعَدَّوْا حُدُودَهُ، وَلَمْ يُقَصِّرُوا فِي وَاجِبِ حَقِّهِ عَلَيْهِمْ فَيُضَيِّعُوهُ.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٤].

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ أُعِدَّتِ الْجَنَّةُ الَّتِي عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لِلْمُتَّقِينَ، وَهُمُ الْمُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِمَّا فِي صَرْفِهِ عَلَىٰ مُحْتَاجٍ، وَإِمَّا فِي تَقْوِيَةِ مُضْعَفٍ عَلَىٰ النُّهُوضِ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ﴾ فِي حَالِ السُّرُورِ بِكَثْرَةِ الْمَالِ، وَرَخَاءِ الْعَيْشِ، وَالسَّرَّاءُ: مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِهِمْ سَرَّنِي هَذَا الْأَمْرُ مَسَرَّةً وَسُرُورًا..

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: قَدْ ضُرَّ فُلَانٌ، فَهُوَ يُضَرُّ إِذَا أَصَابَهُ الضُّرُّ، وَذَلِكَ إِذَا أَصَابَهُ الضِّيقُ وَالْجَهْدُ فِي عَيْشِهِ..

﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ وَالْجَارِعِينَ الْغَيْظَ عِنْدَ امْتِلَاءِ نُفُوسِهِمْ مِنْهُ، يُقَالُ مِنْهُ: (**كَظَمَ فُلَانٌ غَيْظَهُ**) إِذَا تَجَرَّعَهُ، فَحَفِظَ نَفْسَهُ مِنْ أَنْ تُمْضِيَ مَا هِيَ قَادِرَةٌ عَلَىٰ إِمْضَائِهِ، بِاسْتِمْكَانِهَا مِمَّنْ غَاظَهَا، وَانْتِصَارِهَا مِمَّنْ ظَلَمَهَا، وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنْ (**كَظْمِ الْقِرْبَةِ**)، يُقَالُ مِنْهُ: (**كَظَمْتُ الْقِرْبَةَ**) إِذَا مَلَأْتُهَا مَاءً، وَ(**فُلَانٌ كَظِيمٌ**) وَ(**مَكْظُومٌ**) إِذَا كَانَ مُمْتَلِئًا غَمًّا وَحُزْنًا، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ۝٨٤﴾ [يوسف: ٨٤]، يَعْنِي: مُمْتَلِئًا مِنَ الْحُزْنِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِمَجَارِي الْمِيَاهِ (**الْكَظَائِمُ**) لِامْتِلَائِهَا بِالْمَاءِ، وَمِنْهُ قِيلَ: (**أَخَذْتُ بِكَظْمِهِ**) يَعْنِي: بِمَجَارِي نَفْسِهِ.. وَالْغَيْظُ: مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: غَاظَنِي فُلَانٌ فَهُوَ يَغِيظُنِي غَيْظًا، وَذَلِكَ إِذَا أَحْفَظَهُ وَأَغْضَبَهُ..

﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ وَالصَّافِحِينَ عَنِ النَّاسِ عُقُوبَةَ ذُنُوبِهِمْ إِلَيْهِمْ، وَهُمْ عَلَىٰ الِانْتِقَامِ مِنْهُمْ قَادِرُونَ، فَتَارِكُوهَا لَهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٤] فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَنْ عَمِلَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي وَصَفَ أَنَّهُ أَعَدَّ لِلْعَامِلِينَ بِهَا الْجَنَّةَ الَّتِي عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْعَامِلُونَ بِهَا هُمُ الْمُحْسِنُونَ، وَإِحْسَانُهُمْ هُوَ عَمَلُهُمْ بِهَا.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥﴾ [آل عمران: ١٣٥].

﴿وَٱلَّذِينَ﴾ فَالْجَنَّةُ الَّتِي وَصَفَ صِفَتَهَا أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الْمُنْفِقِينَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً.. وَجَمِيعُ هَذِهِ النُّعُوتِ مِنْ صِفَةِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣﴾..

﴿إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ وَهِيَ الْفِعْلَةُ الْقَبِيحَةُ الْخَارِجَةُ عَمَّا أَذِنَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهِ.. وَأَصْلُ الْفُحْشِ الْقُبْحُ وَالْخُرُوجُ عَنِ الْحَدِّ وَالْمِقْدَارِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلطَّوِيلِ الْمُفْرِطِ الطُّولِ: (**إِنَّهُ لَفَاحِشُ الطُّولِ**)، يُرَادُ بِهِ: قَبِيحُ الطُّولِ، خَارِجٌ عَنِ الْمِقْدَارِ الْمُسْتَحْسَنِ؛ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْكَلَامِ الْقَبِيحِ غَيْرِ الْقَصْدِ: (**كَلَامٌ فَاحِشٌ**)، وَقِيلَ لِلْمُتَكَلِّمِ بِهِ: (**أَفْحَشَ فِي كَلَامِهِ**)، إِذَا نَطَقَ بِفُحْشٍ، وَقِيلَ: إِنَّ الْفَاحِشَةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْنِيٌّ بِهَا الزِّنَا..

﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ فَعَلُوا بِأَنْفُسِهِمْ غَيْرَ الَّذِي كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِهَا، وَالَّذِي فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ رُكُوبُهُمْ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ مَا أَوْجَبُوا لَهَا بِهِ عُقُوبَتَهُ..

﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ ذَكَرُوا وَعِيدَ اللهِ عَلَىٰ مَا أَتَوْا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ..

﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ فَسَأَلُوا رَبَّهُمْ أَنْ يَسْتُرَ عَلَيْهِمْ ذُنُوبَهُمْ بِصَفْحِهِ لَهُمْ عَنِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا..

﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وَهَلْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ؟ أَيْ: يَعْفُو عَنْ رَاكِبِهَا فَيَسْتُرُهَا عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ؟..

﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ وَلَمْ يُقِيمُوا عَلَىٰ ذُنُوبِهِمُ الَّتِي أَتَوْهَا، وَمَعْصِيَتِهِمُ الَّتِي رَكِبُوهَا..

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥﴾ [آل عمران: ١٣٥] لَمْ يُقِيمُوا عَلَىٰ ذُنُوبِهِمْ عَامِدِينَ لِلْمُقَامِ عَلَيْهَا، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ قَدْ تَقَدَّمَ بِالنَّهْيِ عَنْهَا، وَأَوْعَدَ عَلَيْهَا الْعُقُوبَةَ مَنْ رَكِبَهَا، وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أُنْزِلَتْ خُصُوصًا بِتَخْفِيفِهَا وَيُسْرِهَا أُمَّتَنَا مِمَّا كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُمْتَحَنَةً بِهِ مِنْ عَظِيمِ الْبَلَاءِ فِي ذُنُوبِهَا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٦].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ ذَكَرَ أَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ الَّتِي عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مِنَ الْمُتَّقِينَ،

وَوَصَفَهُمْ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ..

﴿جَزَآؤُهُم﴾ ثَوَابُهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي وَصَفَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُمْ عَمِلُوهَا..

﴿مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ عَفْوٌ لَهُمْ مِنَ اللهِ عَنْ عُقُوبَتِهِمْ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ..

﴿وَجَنَّٰتٌ﴾ وَلَهُمْ عَلَىٰ مَا أَطَاعُوا اللهَ فِيهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ بِالْحَسَنِ مِنْهَا جَنَّاتٌ، وَهِيَ الْبَسَاتِينُ..

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ تَجْرِي خِلَالَ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ، وَفِي أَسَافِلِهَا، جَزَاءً لَهُمْ عَلَىٰ صَالِحِ أَعْمَالِهِمْ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ دَائِمِي الْمُقَامِ فِي هَذِهِ الْجَنَّاتِ الَّتِي وَصَفَهَا..

﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٦] وَنِعْمَ جَزَاءُ الْعَامِلِينَ لِلَّهِ الْجَنَّاتُ الَّتِي وَصَفَهَا.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾ [آل عمران: ١٣٧].

﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مَضَتْ وَسَلَفَتْ مِنِّي..

﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ، مِنْ نَحْوِ قَوْمِ عَادٍ، وَثَمُودَ، وَقَوْمِ هُودٍ، وَقَوْمِ لُوطٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ سُلَّافِ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ..

﴿سُنَنٌ﴾ مُثُلًا وَسِيَرًا سِرْتُهَا فِيهِمْ وَفِيمَنْ كَذَّبُوا بِهِ مِنْ أَنْبِيَائِهِمُ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ، بِإِمْهَالِي أَهْلَ التَّكْذِيبِ بِهِمْ، وَاسْتِدْرَاجِي إِيَّاهُمْ، حَتَّىٰ بَلَغَ الْكِتَابُ فِيهِمْ أَجَلَهُ الَّذِي أَجَّلْتُهُ لِإِدَالَةِ أَنْبِيَائِهِمْ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِمْ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أَحْلَلْتُ بِهِمْ عُقُوبَتِي، وَنَزَلَتْ بِسَاحَتِهِمْ نِقْمَتِي، فَتَرَكْتُهُمْ لِمَنْ بَعْدَهُمْ أَمْثَالًا وَعِبَرًا.. وَأَمَّا السُّنَنُ، فَإِنَّهَا جَمْعُ سُنَّةٍ، وَالسُّنَّةُ، هِيَ الْمِثَالُ الْمُتَّبَعُ، وَالْإِمَامُ الْمُؤْتَمُّ بِهِ، يُقَالُ مِنْهُ: سَنَّ فُلَانٌ فِينَا سُنَّةً حَسَنَةً، وَسَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً: إِذَا عَمِلَ عَمَلًا اتُّبِعَ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ..

﴿فَسِيرُوا۟﴾ أَيُّهَا الظَّانُّونَ أَنَّ إِدَالَتِي مَنْ أَدَلْتُ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ يَوْمَ أُحُدٍ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لِغَيْرِ اسْتِدْرَاجٍ مِنِّي لِمَنْ أَشْرَكَ بِي، وَكَفَرَ بِرُسُلِي، وَخَالَفَ أَمْرِي..

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فِي دِيَارِ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ، مِمَّنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِرَسُولِي، وَالْجَاحِدُونَ وَحْدَانِيَّتِي..

﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾ [آل عمران: ١٣٧] فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ تَكْذِيبِهِمْ أَنْبِيَائِي، وَمَا الَّذِي آلَ إِلَيْهِ عَنْ خِلَافِهِمْ أَمْرِي، وَإِنْكَارِهِمْ وَحْدَانِيَّتِي، فَتَعْلَمُوا عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ إِدَالَتِي مَنْ أَدَلْتُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ نَبِيِّي مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ بِأُحُدٍ، إِنَّمَا هِيَ اسْتِدْرَاجٌ وَإِمْهَالٌ،

لِيَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ الَّذِي أَجَّلْتُ لَهُمْ، ثُمَّ إِمَّا أَنْ يَئُولَ حَالُهُمْ إِلَىٰ مِثْلِ مَا آلَ إِلَيْهِ حَالُ الْأُمَمِ الَّذِينَ سَلَفُوا قَبْلَهُمْ مِنْ تَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِمْ، أَوْ يُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِي وَاتِّبَاعِ رَسُولِي.

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: ١٣٨].

﴿هَٰذَا﴾ إِشَارَةٌ إِلَىٰ مَا تَقَدَّمَ مِنْ تَذْكِيرِ اللهِ جَلَّ ثناؤُهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَعْرِيفِهِمْ حُدُودَهُ، وَحَضِّهِمْ عَلَىٰ لُزُومِ طَاعَتِهِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ جِهَادِ أَعْدَائِهِ وَأَعْدَائِهِمْ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ «هَذَا» إِشَارَةٌ إِلَىٰ حَاضِرٍ، إِمَّا مَرْئِيٍّ، وَإِمَّا مَسْمُوعٌ، وَهُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَىٰ حَاضِرٍ مَسْمُوعٍ مِنَ الْآيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ.. فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: هَذَا الَّذِي أَوْضَحْتُ لَكُمْ وَعَرَّفْتُكُمُوهُ..

﴿بَيَانٌ﴾ شَرْحٌ وَتَفْسِيرٌ..

﴿لِّلنَّاسِ وَهُدًى﴾ وَدَلَالَةٌ عَلَىٰ سَبِيلِ الْحَقِّ وَمَنْهَجِ الدِّينِ..

﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ وَتَذْكِرَةٌ لِلصَّوَابِ وَالرَّشَادِ..

﴿لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: ١٣٨] لِمَنْ أَطَاعَنِي وَعَرَفَ أَمْرِي.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩].

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، وَلَا تَضْعُفُوا بِالَّذِي نَالَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ بِأُحُدٍ مِنَ الْقَتْلِ وَالْقُرُوحِ، عَنْ جِهَادِ عَدُوِّكُمْ وَحَرْبِهِمْ..

﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ وَلَا تَأْسَوْا فَتَجْزَعُوا عَلَىٰ مَا أَصَابَكُمْ مِنَ الْمُصِيبَةِ يَوْمَئِذٍ..

﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ فَإِنَّكُمْ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ، الظَّاهِرُونَ عَلَيْهِمْ، وَلَكُمُ الْعُقْبَىٰ فِي الظَّفَرِ وَالنُّصْرَةِ عَلَيْهِمْ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩] إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِي نَبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ فِيمَا يَعِدُكُمْ، وَفِيمَا يُنَبِّئُكُمْ مِنَ الْخَبَرِ عَمَّا يَئُولُ إِلَيْهِ أَمْرُكُمْ وَأَمْرُهُمْ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ تَعْزِيَةٌ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْجِرَاحِ وَالْقَتْلِ بِأُحُدٍ.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: ١٤٠].

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ﴾ إِنْ يُصِبْكُمْ..

﴿قَرْحٌ﴾ قَتْلٌ وَجِرَاحٌ..

﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ فَقَدْ أَصَابَهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكُمْ، وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَكُمْ عُقُوبَةٌ..

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾ أَيَّامُ بَدْرٍ وَأُحُدٍ..

﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ نَجْعَلُهَا دُوَلًا بَيْنَ النَّاسِ مُصَرَّفَةً، وَيَعْنِي بِالنَّاسِ: الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَدَالَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ، وَأَدَالَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِأُحُدٍ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ سِوَىٰ مَنْ جَرَحُوا مِنْهُمْ..

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وَلِيَعْلَمَ اللهُ أَيَّكُمُ الْمُؤْمِنُ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنَ الَّذِينَ نَافَقُوا..

﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ لِيُكْرِمَ مِنْكُمْ بِالشَّهَادَةِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُكْرِمَهُ بِهَا..

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٤٠﴾ [آل عمران: ١٤٠] الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ.

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٤١﴾ [آل عمران: ١٤١].

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ﴾ وَلِيَخْتَبِرَ اللهُ..

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الَّذِينَ صَدَقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ فَيَبْتَلِيَهُمْ بِإِدَالَةِ الْمُشْرِكِينَ مِنْهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ الْمُؤْمِنَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصَ الصَّحِيحَ الْإِيمَانِ مِنَ الْمُنَافِقِ..

﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٤١﴾ [آل عمران: ١٤١] يُنْقِصُهُمْ وَيُفْنِيهِمْ.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٢﴾ [آل عمران: ١٤٢].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، وَظَنَنْتُمْ..

﴿أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ وَتَنَالُوا كَرَامَةَ رَبِّكُمْ، وَشَرَفَ الْمَنَازِلِ عِنْدَهُ..

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾ وَلَمَّا يَتَبَيَّنْ لِعِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ..

﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ الْمُجَاهِدُ مِنْكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، عَلَىٰ مَا أَمَرَهُ بِهِ..

﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٢﴾ [آل عمران: ١٤٢] عِنْدَ الْبَأْسِ عَلَىٰ مَا يَنَالُهُمْ فِي ذَاتِ اللهِ مِنْ جَرْحٍ وَأَلَمٍ وَمَكْرُوهٍ.

﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ١٤٣﴾
[آل عمران: ١٤٣].

﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ﴾ يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ..

﴿تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ﴾ أَسْبَابَ الْقِتَالِ..

﴿مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ﴾ فَقَدْ رَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَهُ، وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ «رَأَيْتُمُوهُ»، عَائِدَةٌ عَلَىٰ الْمَوْتِ..

﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ١٤٣﴾ [آل عمران: ١٤٣] قَدْ رَأَيْتُمُوهُ بِمَرْأًىٰ مِنْكُمْ وَمَنْظَرٍ، أَيْ بِقُرْبٍ مِنْكُمْ.. وَإِنَّمَا قِيلَ: ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ﴾، لِأَنَّ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِمَّنْ لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا، كَانُوا يَتَمَنَّوْنَ قَبْلَ أُحُدٍ يَوْمًا مِثْلَ يَوْمِ بَدْرٍ، فَيُبْلُوا اللهَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ خَيْرًا، وَيَنَالُوا مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَا نَالَ أَهْلُ بَدْرٍ؛ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ فَرَّ بَعْضُهُمْ وَصَبَرَ بَعْضُهُمْ، حَتَّىٰ أَوْفَىٰ بِمَا كَانَ عَاهَدَ اللهَ قَبْلَ ذَٰلِكَ، فَعَاتَبَ اللهُ مَنْ فَرَّ مِنْهُمْ، فَقَالَ: ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ﴾ الْآيَةَ، وَأَثْنَىٰ عَلَىٰ الصَّابِرِينَ مِنْهُمْ وَالْمُوفِينَ بِعَهْدِهِمْ.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [آل عمران: ١٤٤].

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ﴾ كَبَعْضِ رُسُلِ اللهِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ إِلَىٰ خَلْقِهِ دَاعِيًا إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ﴾ الَّذِينَ حِينَ انْقَضَتْ آجَالُهُمْ مَاتُوا وَقَبَضَهُمُ اللهُ إِلَيْهِ، فَمُحَمَّدٌ ﷺ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا اللهُ بِهِ صَانِعٌ مِنْ قَبْضِهِ إِلَيْهِ عِنْدَ انْقِضَاءِ مُدَّةِ أَجَلِهِ كَسَائِرِ مُدَّةِ رُسُلِهِ إِلَىٰ خَلْقِهِ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَهُ وَمَاتُوا عِنْدَ انْقِضَاءِ مُدَّةِ آجَالِهِمْ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُعَاتِبَهُمْ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْهَلَعِ وَالْجَزَعِ حِينَ قِيلَ لَهُمْ بِأُحُدٍ (إِنَّ مُحَمَّدًا قُتِلَ)، وَمُقَبِّحًا إِلَيْهِمُ انْصِرَافَ مَنِ انْصَرَفَ مِنْهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ وَانْهِزَامَهُ عَنْهُمْ..

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ مُحَمَّدٌ أَيُّهَا الْقَوْمُ لِانْقِضَاءِ مُدَّةِ أَجَلِهِ..

﴿أَوۡ قُتِلَ﴾ أَوْ قَتَلَهُ عَدُوُّكُمْ..

﴿ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ﴾ ارْتَدَدْتُمْ عَنْ دِينِكُمُ الَّذِي بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا بِالدُّعَاءِ إِلَيْهِ، وَرَجَعْتُمْ

عَنْهُ كُفَّارًا بِاللهِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِهِ، وَبَعْدَ مَا قَدْ وَضَحَتْ لَكُمْ صِحَّةُ مَا دَعَاكُمْ مُحَمَّدٌ إِلَيْهِ، وَحَقِيقَةُ مَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ..

﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ وَيَرْجِعْ كَافِرًا بَعْدَ إِيمَانِهِ..

﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ فَلَنْ يُوهِنَ ذَلِكَ عِزَّةَ اللهِ وَلَا سُلْطَانَهُ، وَلَا يَدْخُلَ بِذَلِكَ نَقْصٌ فِي مُلْكِهِ، بَلْ نَفْسَهُ يَضُرُّ بِرِدَّتِهِ، وَحَظَّ نَفْسِهِ يُنْقِصُ بِكُفْرِهِ..

﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [آل عمران: ١٤٤] وَسَيُثِيبُ اللهُ مَنْ شَكَرَهُ عَلَىٰ تَوْفِيقِهِ، وَهِدَايَتِهِ إِيَّاهُ لِدِينِهِ بِثُبُوتِهِ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ إِنْ هُوَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ، وَاسْتِقَامَتِهِ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِ، وَتَمَسُّكِهِ بِدِينِهِ وَمِلَّتِهِ بَعْدَهُ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أُنْزِلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَنِ انْهَزَمَ عَنْهُ بِأُحُدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٥﴾ [آل عمران: ١٤٥].

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ﴾ وَمَا يَمُوتُ مُحَمَّدٌ وَلَا غَيْرُهُ مِنْ خَلْقِ اللهِ..

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إِلَّا بَعْدَ بُلُوغِ أَجَلِهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ غَايَةً لِحَيَاتِهِ وَبَقَائِهِ..

﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ مِنَ الْأَجَلِ الَّذِي كَتَبَهُ اللهُ لَهُ وَأَذِنَ لَهُ بِالْمَوْتِ فَحِينَئِذٍ يَمُوتُ، فَأَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ فَلَنْ تَمُوتَ بِكَيْدِ كَائِدٍ وَلَا بِحِيلَةِ مُحْتَالٍ..

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ وَمَنْ يُرِدْ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِعَمَلِهِ جَزَاءً مِنْهُ بَعْضَ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا دُونَ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْكَرَامَةِ، لِمَنِ ابْتَغَىٰ بِعَمَلِهِ مَا عِنْدَهُ..

﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ نُعْطِهِ مِنَ الدُّنْيَا مَا قُسِمَ لَهُ فِيهَا مِنْ رِزْقٍ أَيَّامَ حَيَاتِهِ، ثُمَّ لَا نَصِيبَ لَهُ فِي كَرَامَةِ اللهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِمَنْ أَطَاعَهُ، وَطَلَبَ مَا عِنْدَهُ فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَمَن يُرِدْ﴾ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ جَزَاءً مِنْهُ..

﴿ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ مَا عِنْدَ اللهِ مِنْ كَرَامَتِهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِلْعَامِلِينَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ..

﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ نُعْطِهِ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ الَّتِي خَصَّ بِهَا أَهْلَ طَاعَتِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَخَرَجَ الْكَلَامُ عَلَىٰ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْمَعْنَىٰ مَا فِيهِمَا..

﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٥﴾ [آل عمران: ١٤٥] وَسَأُثِيبُ مَنْ شَكَرَ لِي مَا أَوْلَيْتُهُ مِنْ إِحْسَانِي إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ إِيَّايَ وَانْتِهَائِهِ إِلَىٰ أَمْرِي وَتَجَنُّبِهِ مَحَارِمِي فِي الْآخِرَةِ مِثْلَ الَّذِي وَعَدْتُ أَوْلِيَائِي مِنَ الْكَرَامَةِ عَلَىٰ شُكْرِهِمْ إِيَّايَ.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ [آل عمران: ١٤٦].

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾ وَكَمْ مِنْ نَبِيٍّ..

﴿قَٰتَلَ﴾ بِفَتْحِ الْقَافِ وَبِالْأَلِفِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ جَمَاعَةٍ مِنْ قُرَّاءِ الْحِجَازِ وَالْكُوفَةِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قُتِلُوا لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِ: ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ وَجْهٌ مَعْرُوفٌ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يُوصَفُوا بِأَنَّهُمْ لَمْ يَهِنُوا وَلَمْ يَضْعُفُوا بَعْدَ مَا قُتِلُوا.. وَقَرَأَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَّاءِ الْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ: (قُتِلَ) بِضَمِّ الْقَافِ، وَقَالُوا: إِنَّمَا عَنَىٰ بِالْقَتْلِ النَّبِيَّ وَبَعْضَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الرِّبِّيِّينَ دُونَ جَمِيعِهِمْ، وَإِنَّمَا نَفَىٰ الْوَهْنَ وَالضَّعْفَ عَمَّنْ بَقِيَ مِنَ الرِّبِّيِّينَ مِمَّنْ لَمْ يُقْتَلْ.. وَأَوْلَىٰ الْقِرَاءَتَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ، قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ بِضَمِّ الْقَافِ: (قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ) لِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إِنَّمَا عَاتَبَ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَالْآيَاتِ الَّتِي قَبْلَهَا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٤٢] الَّذِينَ انْهَزَمُوا يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكُوا الْقِتَالَ، أَوْ سَمِعُوا الصَّائِحَ يَصِيحُ: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَعَاتَبَهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ فِرَارِهِمْ وَتَرْكِهِمُ الْقِتَالَ، فَقَالَ: أَفَإِنْ مَاتَ مُحَمَّدٌ أَوْ قُتِلَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ارْتَدَدْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ، وَانْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ؟! ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ عَمَّا كَانَ مِنْ فِعْلِ كَثِيرٍ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُمْ..

﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ حَالَ قَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ.. فَلَمْ يَعْتَصِمُوا إِذْ قُتِلَ نَبِيُّهُمْ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ، وَمُجَاهَدَةِ عَدُوِّهِمْ، وَبِمَسْأَلَةِ رَبِّهِمُ الْمَغْفِرَةَ وَالنَّصْرَ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ..

﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فَمَا عَجَزُوا لِمَا نَالَهُمْ مِنْ أَلَمِ الْجِرَاحِ الَّذِي نَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا لَقَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ عَنْ حَرْبِ أَعْدَاءِ اللهِ، وَلَا نَكَلُوا عَنْ جِهَادِهِمْ..

﴿وَمَا ضَعُفُواْ﴾ وَمَا ضَعُفَتْ قُوَاهُمْ لَقَتْلِ نَبِيِّهِمْ..

﴿وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ﴾ وَمَا ذَلُّوا فَيَتَخَشَّعُوا لِعَدُوِّهِمْ بِالدُّخُولِ فِي دِينِهِمْ، وَمُدَاهَنَتِهِمْ فِيهِ، خِيفَةً مِنْهُمْ، وَلَكِنْ مَضَوْا قُدُمًا عَلَىٰ بَصَائِرِهِمْ وَمِنْهَاجِ نَبِيِّهِمْ، صَبْرًا عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ نَبِيِّهِمْ، وَطَاعَةِ اللهِ، وَاتِّبَاعًا لَتَنْزِيلِهِ وَوَحْيِهِ..

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ [آل عمران: ١٤٦] وَاللهُ يُحِبُّ هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالَهُمْ مِنَ الصَّابِرِينَ لِأَمْرِهِ وَطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِ، لَا مَنْ فَشِلَ فَفَرَّ عَنْ عَدُوِّهِ، وَلَا مَنِ انْقَلَبَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَذَلَّ لِعَدُوِّهِ لِأَنْ قُتِلَ نَبِيُّهُ أَوْ مَاتَ، وَلَا مَنْ دَخَلَهُ وَهَنٌ عَنْ عَدُوِّهِ وَضَعْفٍ لِفَقْدِ نَبِيِّهِ.. فَهَلَّا فَعَلْتُمْ

كَمَا كَانَ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكُمْ يَفْعَلُونَهُ إِذَا قُتِلَ نَبِيُّهُمْ، مِنَ الْمُضِيِّ عَلَىٰ مِنْهَاجِ نَبِيِّهِمْ وَالْقِتَالِ عَلَىٰ دِينِهِ أَعْدَاءَ دِينِ اللهِ عَلَىٰ نَحْوِ مَا كَانُوا يُقَاتِلُونَ مَعَ نَبِيِّهِمْ، وَلَمْ تَهِنُوا وَلَمْ تَضْعُفُوا كَمَا لَمْ يَضْعُفِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْبَصَائِرِ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ إِذَا قُتِلَ نَبِيُّهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ صَبَرُوا لِأَعْدَائِهِمْ حَتَّىٰ حَكَمَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَ الرِّبِّيِّينَ..

﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ يَعْنِي: مَا كَانَ لَهُمْ قَوْلٌ سِوَىٰ هَذَا الْقَوْلِ إِذْ قُتِلَ نَبِيُّهُمْ..

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا الصِّغَارَ مِنْهَا..

﴿وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا﴾ وَمَا أَسْرَفْنَا فِيهِ مِنْهَا فَتَخَطَّيْنَا إِلَىٰ الْعِظَامِ، وَكَأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا الصَّغَائِرَ مِنْهَا وَالْكَبَائِرَ.. فَلَمْ يَعْتَصِمُوا -إِذْ قُتِلَ نَبِيُّهُمْ- إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ، وَمُجَاهَدَةِ عَدُوِّهِمْ، وَبِمَسْأَلَةِ رَبِّهِمُ الْمَغْفِرَةَ وَالنَّصْرَ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ..

﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَثْبُتُ لِحَرْبِ عَدُوِّكَ وَقِتَالِهِمْ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ يَنْهَزِمُ فَيَفِرُّ مِنْهُمْ، وَلَا يَثْبُتُ قَدَمُهُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ لِحَرْبِهِمْ..

﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾ [آل عمران: ١٤٧] وَانْصُرْنَا عَلَىٰ الَّذِينَ جَحَدُوا وَحْدَانِيَّتَكَ وَنُبُوَّةَ نَبِيِّكَ.. وَإِنَّمَا هَذَا تَأْنِيبٌ مِنَ اللهِ ﷻ عِبَادَهُ الَّذِينَ فَرُّوا عَنِ الْعَدُوِّ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكُوا قِتَالَهُمْ، وَتَأْدِيبٌ لَهُمْ، يَقُولُ اللهُ ﷻ: هَلَّا فَعَلْتُمْ إِذْ قِيلَ لَكُمْ: قُتِلَ نَبِيُّكُمْ، كَمَا فَعَلَ هَؤُلَاءِ الرِّبِّيُّونَ، الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ، إِذْ قُتِلَتْ أَنْبِيَاؤُهُمْ، فَصَبَرْتُمْ لِعَدُوِّكُمْ صَبْرَهُمْ، وَلَمْ تَضْعُفُوا وَتَسْتَكِينُوا لِعَدُوِّكُمْ، فَتُحَاوِلُوا الِارْتِدَادَ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ، كَمَا لَمْ يَضْعُفْ هَؤُلَاءِ الرِّبِّيُّونَ وَلَمْ يَسْتَكِينُوا لِعَدُوِّهِمْ، وَسَأَلْتُمْ رَبَّكُمُ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ كَمَا سَأَلُوا، فَيَنْصُرَكُمُ اللهُ عَلَيْهِمْ كَمَا نُصِرُوا، فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَنْ صَبَرَ لِأَمْرِهِ وَعَلَىٰ جِهَادِ عَدُوِّهِ، فَيُعْطِيهِ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ عَلَىٰ عَدُوِّهِ.

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٤٨﴾

[آل عمران: ١٤٨].

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ فَأَعْطَىٰ اللهُ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ مِنَ الصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ بَعْدَ مَقْتَلِ

أَنْبِيَائِهِمْ، وَعَلَىٰ جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ فِي أُمُورِهِمْ، وَاقْتِفَائِهِمْ مَنَاهِجَ إِمَامِهِمْ، عَلَىٰ مَا أَبْلَوْا فِي اللهِ..

﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ جَزَاءَ فِي الدُّنْيَا، وَذَٰلِكَ النَّصْرُ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ وَعَدُوِّ اللهِ، وَالظَّفَرُ وَالْفَتْحُ عَلَيْهِمْ، وَالتَّمْكِينُ لَهُمْ فِي الْبِلَادِ..

﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْآخِرَةِ﴾ وَخَيْرَ جَزَاءِ الْآخِرَةِ، عَلَىٰ مَا أَسْلَفُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَذَٰلِكَ الْجَنَّةُ وَنَعِيمُهَا..

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٤٨﴾ [آل عمران: ١٤٨] فَعَلَ اللهُ ذَٰلِكَ بِإِحْسَانِهِمْ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَهُمُ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ الَّذِي وَصَفَ عَنْهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُمْ فَعَلُوهُ حِينَ قُتِلَ نَبِيُّهُمْ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ۝١٤٩﴾ [آل عمران: ١٤٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، فِي وَعْدِ اللهِ وَوَعِيدِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّةَ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، فِيمَا يَأْمُرُونَكُمْ بِهِ، وَفِيمَا يَنْهَوْنَكُمْ عَنْهُ، فَتَقْبَلُوا رَأْيَهُمْ فِي ذَٰلِكَ، وَتَنْتَصِحُوهُمْ فِيمَا تَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ لَكُمْ فِيهِ..

﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ يَحْمِلُوكُمْ عَلَىٰ الرِّدَّةِ بَعْدَ الْإِيمَانِ، وَالْكُفْرِ بِاللهِ وَآيَاتِهِ وَبِرَسُولِهِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ..

﴿فَتَنقَلِبُواْ﴾ فَتَرْجِعُوا عَنْ إِيمَانِكُمْ وَدِينِكُمُ الَّذِي هَدَاكُمُ اللهُ لَهُ..

﴿خَٰسِرِينَ ۝١٤٩﴾ [آل عمران: ١٤٩] هَالِكِينَ، قَدْ خَسِرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ، وَضَلَلْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ، وَذَهَبَتْ دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتُكُمْ، يَنْهَىٰ بِذَٰلِكَ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِاللهِ أَنْ يُطِيعُوا أَهْلَ الْكُفْرِ فِي آرَائِهِمْ، وَيَنْتَصِحُوهُمْ فِي أَدْيَانِهِمْ.

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ۝١٥٠﴾ [آل عمران: ١٥٠].

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ﴾ وَلِيُّكُمْ وَنَاصِرُكُمْ وَمُسَدِّدُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَمُنْقِذُكُمْ مِنْ طَاعَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا.. فَهَٰذَا نَهْيٌ لَهُمْ عَنْ طَاعَتِهِمْ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا، فَيَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ، ثُمَّ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ، فَقَالَ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ﴾ فَأَطِيعُوهُ دُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا..

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠﴾ [آل عمران: ١٥٠] فَهُوَ خَيْرُ مِنْ نَصر، لا مَنْ فَرَرْتُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِ وَأَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ، فَبِاللهِ الَّذِي هُوَ نَاصِرُكُمْ وَمَوْلَاكُمْ فَاعْتَصِمُوا، وَإِيَّاهُ فَاسْتَنْصِرُوا دُونَ غَيْرِهِ مِمَّنْ يَبْغِيكُمُ الْغَوَائِلَ وَيَرْصُدُكُمْ بِالْمَكَارِهِ.

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾ [آل عمران: ١٥١].

﴿سَنُلْقِي﴾ سَيُلْقِي اللهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِرَبِّهِمْ، وَجَحَدُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِمَّنْ حَارَبَكُمْ بِأُحُدٍ..

﴿ٱلرُّعْبَ﴾ الْجَزَعَ وَالْهَلَعَ..

﴿بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾ بِشِرْكِهِمْ بِاللهِ وَعِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ، وَطَاعَتِهِمُ الشَّيْطَانَ..

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۖ﴾ الَّتِي لَمْ أَجْعَلْ لَهُمْ بِهَا حُجَّةً، وَهِيَ السُّلْطَانُ الَّتِي أَخْبَرَ عَزَّوَجَلَّ أَنَّهُ لَمْ يَنْزِلْهُ بِكُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ، وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثناؤُهُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالنَّصْرِ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ وَالْفَلْجِ عَلَيْهِمْ، مَا اسْتَقَامُوا عَلَىٰ عَهْدِهِ، وَتَمَسَّكُوا بِطَاعَتِهِ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ مَا هُوَ فَاعِلٌ بِأَعْدَائِهِمْ بَعْدَ مَصِيرِهِمْ إِلَيْهِ، فَقَالَ جَلَّ ثناؤُهُ..

﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ﴾ وَمَرْجِعُهُمُ الَّذِي يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ النَّارُ..

﴿وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾ [آل عمران: ١٥١] وَبِئْسَ مُقَامُ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِاكْتِسَابِهِمْ مَا أَوْجَبَ لَهَا عِقَابُ اللهِ النَّارَ.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٥٢﴾ [آل عمران: ١٥٢].

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِأُحُدٍ..

﴿وَعْدَهُۥٓ﴾ الَّذِي وَعَدَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.. وَالْوَعْدُ الَّذِي كَانَ وَعَدَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِهِ بِأُحُدٍ قَوْلُهُ لِلرُّمَاةِ: «اثْبُتُوا مَكَانَكُمْ وَلَا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ هَزَمْنَاهُمْ، فَإِنَّا لَنْ نَزَالَ

غَالِبِينَ مَا ثَبَتُّمْ مَكَانَكُمْ»، وَكَانَ وَعَدَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّصْرَ يَوْمَئِذٍ إِنِ انْتَهَوْا إِلَىٰ أَمْرِهِ..

﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ وَلَقَدْ وَفَّىٰ اللهُ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا وَعَدَكُمْ مِنَ النَّصْرِ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ بِأُحُدٍ، حِينَ تَحُسُّونَهُمْ، يَعْنِي: حِينَ تَقْتُلُونَهُمْ، يُقَالُ مِنْهُ: حَسَّهُ يَحُسُّهُ حَسًّا: إِذَا قَتَلَهُ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَبُنْتُمْ وَضَعُفْتُمْ..

﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ وَاخْتَلَفْتُمْ فِي أَمْرِ اللهِ..

﴿وَعَصَيْتُم﴾ وَخَالَفْتُمْ نَبِيَّكُمْ، فَتَرَكْتُمْ أَمْرَهُ، وَمَا عَهِدَ إِلَيْكُمْ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ الرُّمَاةَ الَّذِينَ كَانَ أَمَرَهُمْ ﷺ بِلُزُومِ مَرْكَزِهِمْ وَمَقْعَدِهِمْ مِنْ فَمِ الشِّعْبِ بِأُحُدٍ، بِإِزَاءِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ فُرْسَانِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم﴾ مِنْ بَعْدِ الَّذِي أَرَاكُمُ اللهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِمُحَمَّدٍ..

﴿مَّا تُحِبُّونَ﴾ مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ بِالْمُشْرِكِينَ، وَذَلِكَ هُوَ الْهَزِيمَةُ الَّتِي كَانُوا هَزَمُوهُمْ عَنْ نِسَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ قَبْلَ تَرْكِ الرُّمَاةِ مَقَاعِدَهُمُ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَقْعَدَهُمْ فِيهَا، وَقَبْلَ خُرُوجِ خَيْلِ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ وَرَائِهِمْ..

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ الَّذِينَ تَرَكُوا مَقْعَدَهُمُ الَّذِي أَقْعَدَهُمْ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الشِّعْبِ مِنْ أُحُدٍ لِخَيْلِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَحِقُوا بِمُعَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ طَلَبَ النَّهْبِ إِذْ رَأَوْا هَزِيمَةَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ الَّذِينَ ثَبَتُوا مِنَ الرُّمَاةِ فِي مَقَاعِدِهِمُ الَّتِي أَقْعَدَهُمْ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَهُ، مُحَافَظَةً عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَابْتِغَاءَ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الثَّوَابِ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ، وَالدَّارَ الْآخِرَةَ..

﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿عَنْهُمْ﴾ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ فِيهِمْ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ هَزِيمَتِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَظُهُورِكُمْ عَلَيْهِمْ، فَرَدَّ وُجُوهَكُمْ عَنْهُمْ لِمَعْصِيَتِكُمْ أَمْرَ رَسُولِي، وَمُخَالَفَتِكُمْ طَاعَتَهُ، وَإِيثَارِكُمُ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ عُقُوبَةً لَكُمْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ..

﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ لِيَخْتَبِرَكُمْ، فَيَتَمَيَّزَ الْمُنَافِقُ مِنْكُمْ مِنَ الْمُخْلِصِ الصَّادِقِ فِي إِيمَانِهِ مِنْكُمْ..

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ وَلَقَدْ عَفَا اللهُ أَيُّهَا الْمُخَالِفُونَ أَمْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالتَّارِكُونَ

طَاعَتَهُ، فِيمَا تَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ مِنْ لُزُومِ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِلُزُومِهِ عَنْكُمْ، فَصَفَحَ لَكُمْ مِنْ عُقُوبَةِ ذَنْبِكُمُ الَّذِي أَتَيْتُمُوهُ عَمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِمَّا عَاقَبَكُمْ بِهِ مِنْ هَزِيمَةِ أَعْدَائِكُمْ إِيَّاكُمْ، وَصَرَفَ وُجُوهَكُمْ عَنْهُمْ إِذْ لَمْ يَسْتَأْصِلْ جَمْعَكُمْ..

﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢﴾ [آل عمران: ١٥٢] وَاللهُ ذُو طَوْلٍ عَلَىٰ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ بِعَفْوِهِ لَهُمْ عَنْ كَثِيرِ مَا يَسْتَوْجِبُونَ بِهِ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، فَإِنْ عَاقَبَهُمْ عَلَىٰ بَعْضِ ذَلِكَ، فَذُو إِحْسَانٍ إِلَيْهِمْ بِجَمِيلِ أَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ.

﴿۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٥٣﴾ [آل عمران: ١٥٣].

﴿۞ إِذۡ﴾ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِذْ لَمْ يَسْتَأْصِلْكُمْ -إِهْلَاكًا مِنْهُ- جَمْعَكُمْ بِذُنُوبِكُمْ، وَهَرَبِكُمْ، إِذْ..

﴿تُصۡعِدُونَ﴾ بِضَمِّ التَّاءِ وَكَسْرِ الْعَيْنِ، بِمَعْنَىٰ السَّبْقِ وَالْهَرَبِ فِي مُسْتَوَىٰ الْأَرْضِ، أَوْ فِي الْمَهَابِطِ، دُونَ قَوْلِ مَنْ قَالَ: صَعِدُوا عَلَىٰ الْجَبَلِ..

﴿وَلَا تَلۡوُۥنَ﴾ وَلَا تَعْطِفُونَ..

﴿عَلَىٰٓ أَحَدٖ﴾ مِنْكُمْ، وَلَا يَلْتَفِتْ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَرَبًا مِنْ عَدُوِّكُمْ مُصْعِدِينَ فِي الْوَادِي..

﴿وَٱلرَّسُولُ﴾ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ..

﴿يَدۡعُوكُمۡ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ..

﴿فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ﴾ يَعْنِي أَنَّهُ يُنَادِيكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ: «إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ، إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ»..

﴿فَأَثَٰبَكُمۡ﴾ فَجَازَاكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- بِفِرَارِكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ، وَفَشَلِكُمْ عَنْ عَدُوِّكُمْ، وَمَعْصِيَتِكُمْ رَبَّكُمْ.. وَسَمَّىٰ الْعُقُوبَةَ -الَّتِي عَاقَبَهُمْ بِهَا مِنْ تَسْلِيطِ عَدُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ نَالَ مِنْهُمْ مَا نَالَ- ثَوَابًا؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ عَمَلِهِمُ الَّذِي سَخِطَهُ وَلَمْ يَرْضَهُ مِنْهُمْ، فَدَلَّ بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ كُلَّ عِوَضٍ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا مُسْتَحِقٌّ اسْمَ ثَوَابٍ..

﴿غَمَّۢا﴾ بِحِرْمَانِ اللهِ إِيَّاكُمْ غَنِيمَةَ الْمُشْرِكِينَ، وَالظَّفَرَ بِهِمْ، وَالنَّصْرَ عَلَيْهِمْ، وَمَا أَصَابَكُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجِرَاحِ يَوْمَئِذٍ-الَّذِي كَانَ قَدْ أَرَاكُمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ مَا تُحِبُّونَ- بِمَعْصِيَتِكُمْ رَبَّكُمْ، وَخِلَافِكُمْ أَمْرَ نَبِيِّكُمْ ﷺ..

﴿بِغَمٍّ﴾ عَلَىٰ غَمٍّ، وَهُوَ ظَنُّكُمْ أَنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قُتِلَ، وَمَيْلُ الْعَدُوِّ عَلَيْكُمْ بَعْدَ فُلُولِكُمْ مِنْهُمْ..

﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ فَلَمْ تُدْرِكُوهُ مِمَّا كُنْتُمْ تَرْجُونَ إِدْرَاكَهُ مِنْ عَدُوِّكُمْ بِالظَّفَرِ عَلَيْهِمْ وَالظُّهُورِ وَحِيَازَةِ غَنَائِمِهِمْ..

﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ جَرْحِ مَنْ جُرِحَ، وَقَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنْ إِخْوَانِكُمْ..

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [آل عمران: ١٥٣] وَاللهُ بِالَّذِي تَعْمَلُونَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ إِصْعَادِكُمْ فِي الْوَادِي هَرَبًا مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَانْهِزَامِكُمْ مِنْهُمْ، وَتَرْكِكُمْ نَبِيَّكُمْ وَهُوَ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ، وَحُزْنِكُمْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَمَا أَصَابَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ذُو خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ، وَهُوَ مُحْصٍ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ بِهِ، الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، أَوْ يَعْفُو عَنْهُ.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران: ١٥٤].

﴿ثُمَّ أَنزَلَ﴾ اللهُ..

﴿عَلَيْكُم﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مِّن بَعْدِ الْغَمِّ﴾ الَّذِي أَثَابَكُمْ رَبُّكُمْ بَعْدَ غَمٍّ يَقْدُمُهُ قَبْلَهُ..

﴿أَمَنَةً﴾ وَهِيَ الْأَمَانُ عَلَىٰ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ مِنْكُمْ وَالْيَقِينِ، دُونَ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالشَّكِّ، ثُمَّ بَيَّنَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنِ الْأَمَنَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَيْهِمْ مَا هِيَ؟ فَقَالَ..

﴿نُّعَاسًا﴾ بِنَصْبِ النُّعَاسِ عَلَىٰ الْإِبْدَالِ مِنَ الْأَمَنَةِ؛ لِأَنَّ الْأَمَنَةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هِيَ النُّعَاسُ، وَالنُّعَاسُ: هُوَ الْأَمَنَةُ..

﴿يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾ قال أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ: **«أَنَّهُ كَانَ يَوْمَئِذٍ مِمَّنْ غَشِيَهُ النُّعَاسُ، قَالَ: كَانَ السَّيْفُ يَسْقُطُ مِنْ يَدِي ثُمَّ آخُذُهُ مِنَ النُّعَاسِ»**..

﴿وَطَائِفَةٌ﴾ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، هُمُ الْمُنَافِقُونَ..

﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ لَا هَمَّ لَهُمْ غَيْرُ أَنْفُسِهِمْ، فَهُمْ مِنْ حَذَرِ الْقَتْلِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَخَوْفِ

الْمَنِيَّةِ عَلَيْهَا فِي شُغْلٍ، قَدْ طَارَ عَنْ أَعْيُنِهِمُ الْكَرَىٰ..

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ الظُّنُونَ الْكَاذِبَةَ..

﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ، شَكًّا فِي أَمْرِ اللهِ، وَتَكْذِيبًا لِنَبِيِّهِ ﷺ، وَمَحْسَبَةً مِنْهُمْ أَنَّ اللهَ خَاذِلٌ نَبِيَّهُ، وَمُعْلٍ عَلَيْهِ أَهْلَ الْكُفْرِ بِهِ..

﴿يَقُولُونَ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ الطَّائِفَةَ الْمُنَافِقَةَ الَّتِي قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ، يَقُولُونَ..

﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ لَيْسَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ يَصْرِفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ وَيُدَبِّرُهُ كَيْفَ يُحِبُّ.. ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ الْخَبَرِ عَنْ ذِكْرِ نِفَاقِ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ..

﴿يُخْفُونَ﴾ يُخْفِي يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ صِفَتَهُمْ..

﴿فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ مِنَ الْكُفْرِ وَالشَّكِّ فِي اللهِ..

﴿مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ ثُمَّ أَظْهَرَ نَبِيَّهُ ﷺ عَلَىٰ مَا كَانُوا يُخْفُونَهُ بَيْنَهُمْ مِنْ نِفَاقِهِمْ، وَالْحَسْرَةِ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ عَلَىٰ حُضُورِهِمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ مَشْهَدَهُمْ بِأُحُدٍ، فَقَالَ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِهِمُ الْكُفْرَ، وَإِعْلَانِهِمُ النِّفَاقَ بَيْنَهُمْ..

﴿يَقُولُونَ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءَ الْمُنَافِقِينَ يَقُولُونَ..

﴿لَوْ كَانَ﴾ الْخُرُوجُ إِلَىٰ حَرْبِ مَنْ خَرَجْنَا لِحَرْبِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿لَنَا﴾ إِلَيْنَا..

﴿مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ مَا خَرَجْنَا إِلَيْهِمْ..

﴿مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ وَلَا قُتِلَ مِنَّا أَحَدٌ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قُتِلُوا فِيهِ بِأُحُدٍ..

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ صِفَتَهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ..

﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ لَمْ تَشْهَدُوا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَشْهَدَهُمْ، وَلَمْ تَحْضُرُوا مَعَهُمْ حَرْبَ أَعْدَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَيَظْهَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ مَا كُنْتُمْ تُخْفُونَهُ مِنْ نِفَاقِكُمْ، وَتَكْتُمُونَهُ مِنْ شِرْكِكُمْ فِي دِينِكُمْ..

﴿لَبَرَزَ﴾ لَظَهَرَ لِلْمَوْضِعِ..

﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِ مَصْرَعُهُ فِيهِ مَنْ قَدْ كُتِبَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ مِنْهُمْ، وَيَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ يُصْرَعَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِ أَنْ يُصْرَعَ فِيهِ..

﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ﴾ وَلِيَخْتَبِرَ أَوْلِيَاءُ اللهِ وَأَهْلُ طَاعَتِهِ..

﴿مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ الَّذِي فِي صُدُورِكُمْ مِنَ الشَّكِّ وَالْمَرَضِ، فَيَعْرِفُوكُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ وَالْيَقِينِ، فَيُمَيِّزُكُمْ بِمَا يُظْهِرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ نِفَاقِكُمْ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ..

﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ وَلِيَتَبَيَّنُوا..

﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ مِنَ الِاعْتِقَادِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، مِنَ الْعَدَاوَةِ أَوِ الْوَلَايَةِ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٥٤﴾ [آل عمران: ١٥٤] وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِالَّذِي فِي صُدُورِ خَلْقِهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَإِيمَانٍ وَكُفْرٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِهِمْ، سَرَائِرِهَا وَعَلَانِيَتِهَا، وَهُوَ لِجَمِيعِ ذَلِكَ حَافِظٌ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ جَمِيعَهُمْ جَزَاءَهُمْ عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِمْ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝١٥٥﴾ [آل عمران: ١٥٥].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ وَلَّوْا عَنِ الْمُشْرِكِينَ، وَقَوْلُهُ: ﴿تَوَلَّوْاْ﴾ تَفَعَّلُوا، مِنْ قَوْلِهِمْ: وَلَّىٰ فُلَانٌ ظَهْرَهُ..

﴿مِنكُمْ﴾ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَوْمَ أُحُدٍ وَانْهَزَمُوا عَنْهُمْ..

﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ يَوْمَ الْتَقَىٰ جَمْعُ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُسْلِمِينَ بِأُحُدٍ..

﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إِنَّمَا دَعَاهُمْ إِلَىٰ الزَّلَّةِ الشَّيْطَانُ، وَقَوْلُهُ اسْتَزَلَّ: اسْتَفْعَلَ، مِنَ الزَّلَّةِ، وَالزَّلَّةُ: هِيَ الْخَطِيئَةُ..

﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ﴾ بِبَعْضِ مَا عَمِلُوا مِنَ الذُّنُوبِ..

﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ﴾ وَلَقَدْ تَجَاوَزَ اللهُ عَنِ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَىٰ الْجَمْعَانِ، أَنْ يُعَاقِبَهُمْ بِتَوَلِّيهِمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ مُغَطٍّ عَلَىٰ ذُنُوبِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَ رَسُولَهُ بِعَفْوِهِ عَنْ عُقُوبَتِهِ إِيَّاهُمْ عَلَيْهَا..

﴿حَلِيمٌ ۝١٥٥﴾ [آل عمران: ١٥٥] ذُو أَنَاةٍ، لَا يُعَجِّلُ عَلَىٰ مَنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ بِالنِّقْمَةِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١٥٦﴾ [آل عمران: ١٥٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَقَرُّوا بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لَا تَكُونُوا كَمَنْ كَفَرَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، فَجَحَدَ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ وَقَالَ لِإِخْوانِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ..

﴿إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فَخَرَجُوا مِنْ بِلَادِهِمْ سَفَرًا فِي تِجَارَةٍ.. وَأَصْلُ الضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ: الْإِبْعَادُ فِيهَا سَيْرًا..

﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾ أَوْ كَانَ خُرُوجُهُمْ مِنْ بِلَادِهِمْ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ، فَهَلَكُوا فَمَاتُوا فِي سَفَرِهِمْ، أَوْ قُتِلُوا فِي غَزْوِهِمْ.. وَالْغُزَّى: جَمْعُ غَازٍ..

﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ لَوْ لَمْ يَكُونُوا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِنَا، وَكَانُوا أَقَامُوا فِي بِلَادِهِمْ مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا..

﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ كَيْ يَجْعَلَ اللهُ قَوْلَهُمْ ذَلِكَ حُزْنًا فِي قُلُوبِهِمْ وَغَمًّا، وَيَجْهَلُونَ أَنَّ ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ جَلَّ ثنَاؤُهُ وَبِيَدِهِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الَّذِينَ نَهَىٰ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِهِمْ فِيمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ سُوءِ الْيَقِينِ بِاللهِ، هُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ وَأَصْحَابُهُ..

﴿وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ وَاللهُ الْمُعَجِّلُ الْمَوْتَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ، وَالْمُمِيتُ مَنْ يَشَاءُ كُلَّمَا شَاءَ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ تَرْغِيبٌ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ جِهَادِ عَدُوِّهِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ قِتَالِهِمْ، وَإِخْرَاجِ هَيْبَتِهِمْ مِنْ صُدُورِهِمْ، وَإِنْ قَلَّ عَدَدُهُمْ، وَكَثُرَ عَدَدُ أَعْدَائِهِمْ وَأَعْدَاءِ اللهِ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ لَهُمْ أَنَّ الْإِمَاتَةَ وَالْإِحْيَاءَ بِيَدِهِ، وَأَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ أَحَدٌ وَلَا يُقْتَلُ إِلَّا بَعْدَ فَنَاءِ أَجَلِهِ الَّذِي كُتِبَ لَهُ، وَنَهْيٌ مِنْهُ لَهُمْ إِذْ كَانَ كَذَلِكَ أَنْ يَجْزَعُوا لِمَوْتِ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ أَوْ قَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ فِي حَرْبِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [آل عمران: ١٥٦] إِنَّ اللهَ يَرَىٰ مَا تَعْمَلُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَاتَّقُوهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَإِنَّهُ مُحْصٍ ذَلِكَ كُلَّهُ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِ.

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

[آل عمران: ١٥٧].

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ يُخَاطِبُ جَلَّ ثنَاؤُهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ لَهُمْ: لَا تَكُونُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي شَكٍّ مِنْ أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللهِ، وَأَنَّ إِلَيْهِ الْإِحْيَاءَ وَالْإِمَاتَةَ، كَمَا شَكَّ الْمُنَافِقُونَ فِي ذَلِكَ، وَلَكِنْ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَاتِلُوا أَعْدَاءَ اللهِ عَلَىٰ يَقِينٍ مِنْكُمْ بِأَنَّهُ لَا يُقْتَلُ فِي حَرْبٍ، وَلَا يَمُوتُ فِي سَفَرٍ إِلَّا مَنْ بَلَغَ أَجَلَهُ وَحَانَتْ وَفَاتُهُ..

﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ﴾ ثُمَّ وَعَدَهُمْ عَلَىٰ جِهَادِهِمْ فِي سَبِيلِهِ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ..

﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ١٥٧﴾ [آل عمران: ١٥٧] وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ مَوْتًا فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَتْلًا فِي اللهِ خَيْرٌ لَهُمْ مِمَّا يَجْمَعُونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ حُطَامِهَا وَرَغِيدِ عَيْشِهَا، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ يَتَثَاقَلُونَ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَيَتَأَخَّرُونَ عَنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ.

﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ١٥٨﴾ [آل عمران: ١٥٨].

﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ١٥٨﴾ [آل عمران: ١٥٨] فَيُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، فَآثِرُوا مَا يُقَرِّبُكُمْ مِنَ اللهِ، وَيُوجِبُ لَكُمْ رِضَاهُ، وَيُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ عَلَىٰ الرُّكُونِ إِلَىٰ الدُّنْيَا، وَمَا تَجْمَعُونَ فِيهَا مِنْ حُطَامِهَا الَّذِي هُوَ غَيْرُ بَاقٍ لَكُمْ، بَلْ هُوَ زَائِلٌ عَنْكُمْ، وَعَلَىٰ تَرْكِ طَاعَةِ اللهِ وَالْجِهَادِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُبْعِدُكُمْ عَنْ رَبِّكُمْ، وَيُوجِبُ لَكُمْ سَخَطَهُ، وَيُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾

[آل عمران: ١٥٩].

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فَبِرَحْمَةِ اللهِ يَا مُحَمَّدُ وَرَأْفَتِهِ بِكَ، وَبِمَنْ آمَنَ بِكَ مِنْ أَصْحَابِكَ..

﴿لِنتَ لَهُمْ﴾ لِتُبَّاعِكَ وَأَصْحَابِكَ فَسَهُلَتْ لَهُمْ خَلَائِقُكَ، وَحَسُنَتْ لَهُمْ أَخْلَاقُكَ، حَتَّىٰ احْتَمَلْتَ أَذَىٰ مَنْ نَالَكَ مِنْهُمْ أَذَاهُ، وَعَفَوْتَ عَنْ ذِي الْجُرْمِ مِنْهُمْ جُرْمَهُ..

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ فَأَغْضَيْتَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ لَوْ جَفَوْتَ بِهِ وَأَغْلَظْتَ عَلَيْهِ لَتَرَكَكَ فَفَارَقَكَ، وَلَمْ يَتْبَعْكَ، وَلَا مَا بُعِثْتَ بِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَلَكِنَّ اللهَ رَحِمَهُمْ وَرَحِمَكَ مَعَهُمْ، فَبِرَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ..

﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ فَتَجَاوَزْ يَا مُحَمَّدُ عَنْ تُبَّاعِكَ وَأَصْحَابِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ عِنْدِي، مَا نَالَكَ مِنْ أَذَاهُمْ وَمَكْرُوهٍ فِي نَفْسِكَ..

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وَادْعُ رَبَّكَ لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ لِمَا أَتَوْا مِنْ جُرْمٍ، وَاسْتَحَقُّوا عَلَيْهِ عُقُوبَةً مِنْهُ..

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ بِمُشَاوَرَةِ أَصْحَابِهِ، فِيمَا حَزَبَهُ مِنْ أَمْرِ عَدُوِّهِ وَمَكَايِدِ حَرْبِهِ، تَأَلُّفًا مِنْهُ بِذَلِكَ مَنْ لَمْ تَكُنْ بَصِيرَتُهُ بِالْإِسْلَامِ الْبَصِيرَةَ الَّتِي يُؤْمَنُ عَلَيْهِ مَعَهَا فِتْنَةُ

الشَّيْطَانِ، وَتَعْرِيفًا مِنْهُ أُمَّتَهُ مَا فِي الْأُمُورِ الَّتِي تَحْزُبُهُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَمَطْلَبَهَا، لِيَقْتَدُوا بِهِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ النَّوَازِلِ الَّتِي تَنْزِلُ بِهِمْ، فَيَتَشَاوَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، كَمَا كَانُوا يَرَوْنَهُ فِي حَيَاتِهِ ﷺ يَفْعَلُهُ، فَأَمَّا النَّبِيُّ ﷺ، فَإِنَّ اللهَ كَانَ يُعَرِّفُهُ مَطَالِبَ وُجُوهِ مَا حَزَبَهُ مِنَ الْأُمُورِ بِوَحْيِهِ أَوْ إِلْهَامِهِ إِيَّاهُ صَوَابَ ذَلِكَ، وَأَمَّا أُمَّتُهُ فَإِنَّهُمْ إِذَا تَشَاوَرُوا مُسْتَنِّينَ بِفِعْلِهِ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ تَصَادُقٍ وَتَآخٍ لِلْحَقِّ، وَإِرَادَةِ جَمِيعِهِمْ لِلصَّوَابِ، مِنْ غَيْرِ مَيْلٍ إِلَىٰ هَوًى، وَلَا حَيْدٍ عَنْ هُدًى، فَاللهُ مُسَدِّدُهُمْ وَمُوَفِّقُهُمْ..

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ فَإِذَا صَحَّ عَزْمُكَ بِتَثْبِيتِنَا إِيَّاكَ وَتَسْدِيدِنَا لَكَ فِيمَا نَابَكَ وَحَزَبَكَ مِنْ أَمْرِ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ..

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فَامْضِ لِمَا أَمَرْنَاكَ بِهِ عَلَىٰ مَا أَمَرْنَاكَ بِهِ، وَافَقَ ذَلِكَ آرَاءَ أَصْحَابِكَ وَمَا أَشَارُوا بِهِ عَلَيْكَ أَوْ خَالَفَهَا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩] وَتَوَكَّلْ فِيمَا تَأْتِي مِنْ أُمُورِكَ وَتَدَعُ وَتُحَاوِلُ أَوْ تُزَاوِلُ عَلَىٰ رَبِّكَ، فَثِقْ بِهِ فِي كُلِّ ذَلِكَ، وَارْضَ بِقَضَائِهِ فِي جَمِيعِهِ دُونَ آرَاءِ سَائِرِ خَلْقِهِ وَمَعُونَتِهِمْ، فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ، وَهُمُ الرَّاضُونَ بِقَضَائِهِ، وَالْمُسْتَسْلِمُونَ لِحُكْمِهِ فِيهِمْ، وَافَقَ ذَلِكَ مِنْهُمْ هَوًى أَوْ خَالَفَهُ.

> ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١٦٠﴾ [آل عمران: ١٦٠].

﴿إِن يَنصُرْكُمُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿ٱللَّهُ﴾ عَلَىٰ مَنْ نَاوَأَكُمْ وَعَادَاكُمْ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَالْكَافِرِينَ بِهِ..

﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ مِنَ النَّاسِ، ولَنْ يَغْلِبَكُمْ مَعَ نَصْرِهِ إِيَّاكُمْ أَحَدٌ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا مَنْ خَلَقَهُ، فَلَا تَهَابُوا أَعْدَاءَ اللهِ لِقِلَّةِ عَدَدِكُمْ، وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ، مَا كُنْتُمْ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَاسْتَقَمْتُمْ عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، فَإِنَّ الْغَلَبَةَ لَكُمْ وَالظَّفَرَ دُونَهُمْ..

﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ رَبُّكُمْ، بِخِلَافِكُمْ أَمْرَهُ، وَتَرْكِكُمْ طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ، فَيَكِلْكُمْ إِلَىٰ أَنْفُسِكُمْ..

﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ فَأَيِسُوا مِنْ نُصْرَةِ النَّاسِ، فَإِنَّكُمْ لَا تَجِدُونَ أَمْرًا مِنْ بَعْدِ خُذْلَانِ اللهِ إِيَّاكُمْ إِنْ خَذَلَكُمْ، يَقُولُ: فَلَا تَتْرُكُوا أَمْرِي، وَطَاعَتِي وَطَاعَةَ رَسُولِي، فَتَهْلِكُوا بِخِذْلَانِي إِيَّاكُمْ..

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١٦٠﴾ [آل عمران: ١٦٠] وَلَكِنْ عَلَىٰ رَبِّكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فتوَكَّلُوا دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ، وَبِهِ فَارْضَوْا مِنْ جَمِيعِ مَنْ دُونَهُ، وَلِقَضَائِهِ فَاسْتَسْلِمُوا، وَجَاهِدُوا فِيهِ أَعْدَاءَهُ، يَكْفِكُمْ بِعَوْنِهِ، وَيُمْدِدْكُمْ بِنَصْرِهِ.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٦١﴾ [آل عمران: ١٦١].

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ مَا الْغُلُولُ مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا يَكُونُ نَبِيًّا مَنْ غَلَّ..

﴿وَمَن يَغْلُلْ﴾ وَمَنْ يَخُنْ مِنْ غَنَائِمِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا، وَفَيْئِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يَأْتِ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْمَحْشَرِ.. فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَامَ خَطِيبًا، فَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: **«أَلَا عَسَىٰ رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَلَا هَلْ عَسَىٰ رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهَا حَمْحَمَةٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَلَا هَلْ عَسَىٰ رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ صَامِتٌ -الذهب والفضة خلاف اناطق وهو الحيوان-، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولَ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَلَا هَلْ عَسَىٰ رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ بَقَرَةٌ لَهَا خُوَارٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَلَا هَلْ عَسَىٰ رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ -حقوق مكتوبة في الرقاع تتحرك-، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ»**..

﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ ثُمَّ تُعْطَىٰ كُلُّ نَفْسٍ..

﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ جَزَاءَ مَا كَسَبَتْ بِكَسْبِهَا، وَافِيًا غَيْرَ مَنْقُوصٍ مَا اسْتَحَقَّهُ وَاسْتَوْجَبَهُ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٦١﴾ [آل عمران: ١٦١] لَا يُفْعَلُ بِهِمْ إِلَّا الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُفْعَلَ بِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْتَدِيَ عَلَيْهِمْ، فَيُنْتَقَصُوا عَمَّا اسْتَحَقُّوهُ.

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ١٦٢﴾ [آل عمران: ١٦٢].

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أَفَمَنْ تَرَكَ الْغُلُولَ وَمَا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ عَنْ مَعَاصِيهِ وَعَمِلَ بِطَاعَةِ اللهِ فِي

تَرْكِهِ ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ مِمَّا أَمَرَهُ بِهِ وَنَهَاهُ مِنْ فَرَائِضِهِ، مُتَّبِعًا فِي كُلِّ ذَلِكَ رِضَا اللهِ، وَمُجْتَنِبًا سَخَطَهُ..

﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ كَمَنِ انْصَرَفَ مُتَحَمِّلًا سَخَطَ اللهِ وَغَضَبَهُ..

﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ﴾ فَاسْتَحَقَّ بِذَلِكَ سُكْنَىٰ جَهَنَّمَ، يَقُولُ: لَيْسَا سَوَاءً، لَا يَسْتَوِيَانِ وَلَا تَسْتَوِي حَالَتَاهُمَا عِنْدَهُ، لِأَنَّ لِمَنْ أَطَاعَ اللهَ فِيمَا أَمَرَهُ وَنَهَاهُ الْجَنَّةَ، وَلِمَنْ عَصَاهُ فِيمَا أَمَرَهُ وَنَهَاهُ النَّارَ..

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾﴾ [آل عمران: ١٦٢] الَّذِي يَصِيرُ إِلَيْهِ وَيَئُوبُ إِلَيْهِ مَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ جَهَنَّمُ.

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٣].

﴿هُمْ﴾ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ، وَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ..

﴿دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ مِخْتَلِفُو الْمَنَازِلِ عِنْدَ اللهِ، فَلِمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ الْكَرَامَةُ وَالثَّوَابُ الْجَزِيلُ، وَلِمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ الْمَهَانَةُ وَالْعِقَابُ الْأَلِيمُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ، يَعْنِي: لِمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ مَنَازِلُ عِنْدَ اللهِ كَرِيمَةٌ..

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٣] وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِمَا يَعْمَلُ أَهْلُ طَاعَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ شَيْءٌ، يُحْصِي عَلَىٰ الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا أَعْمَالَهُمْ، حَتَّىٰ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مِنْهُمْ جَزَاءَ مَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾

[آل عمران: ١٦٤].

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لَقَدْ تَطَوَّلَ اللهُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿إِذْ﴾ حِينَ..

﴿بَعَثَ﴾ أَرْسَلَ..

﴿فِيهِمْ رَسُولًا﴾ نَبِيًّا..

﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ مِنْ أَهْلِ لِسَانِهِمْ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ لِسَانِهِمْ فَلَا يَفْقَهُوا عَنْهُ مَا يَقُولُ..

﴿يَتْلُوا۟﴾ يَقْرَأُ..

﴿عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ آيَ كِتَابِهِ وَتَنْزِيلَهُ..

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يُطَهِّرُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ بِاتِّبَاعِهِمْ إِيَّاهُ، وَطَاعَتِهِمْ لَهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ..

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَيُعَلِّمُهُمْ كِتَابَ اللهِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ تَأْوِيلَهُ وَمَعَانِيَهُ..

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ وَالسُّنَّةَ الَّتِي سَنَّهَا اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبَيَانَهُ لَهُمْ..

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أَنْ يَمُنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِإِرْسَالِهِ رَسُولَهُ الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ..

﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤] فِي جَهَالَةٍ جَهْلَاءَ، وَفِي حَيْرَةٍ عَنِ الْهُدَىٰ عَمْيَاءَ، لَا يَعْرِفُونَ حَقًّا، وَلَا يُبْطِلُونَ بَاطِلًا.. وَأَصْلُ الضَّلَالَةِ: الْأَخْذُ عَلَىٰ غَيْرِ هُدًى.. وَالْمُبِينُ: الَّذِي يُبِينُ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ بِعَقْلِهِ وَتَدَبَّرَهُ بِفَهْمِهِ أَنَّهُ عَلَىٰ غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ وَلَا هُدًى.

> ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: ١٦٥].

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم﴾ أَوَ حِينَ أَصَابَتْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مُّصِيبَةٌ﴾ وَهِيَ الْقَتْلَىٰ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ، وَالْجَرْحَىٰ الَّذِينَ جُرِحُوا مِنْهُمْ بِأُحُدٍ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ قَتَلُوا مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ نَفَرًا..

﴿قَدْ أَصَبْتُم﴾ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿مِّثْلَيْهَا﴾ مِثْلَيْ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي أَصَابُوا هُمْ مِنْكُمْ، وَهِيَ الْمُصِيبَةُ الَّتِي أَصَابَهَا الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَتَلُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ..

﴿قُلْتُمْ﴾ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَتُكُمْ بِأُحُدٍ..

﴿أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ مِنْ أَيِّ وَجْهٍ هَذَا؟ وَمِنْ أَيْنَ أَصَابَنَا هَذَا الَّذِي أَصَابَنَا، وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ، وَهُمْ مُشْرِكُونَ، وَفِينَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ، يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، وَعَدُوُّنَا أَهْلُ كُفْرٍ بِاللهِ وَشِرْكٍ؟..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِكَ مِنْ أَصْحَابِكَ..

﴿هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ أَصَابَكُمْ هَذَا الَّذِي أَصَابَكُمْ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ، بِخِلَافِكُمْ أَمْرِي، وَتَرْكِكُمْ طَاعَتِي، لَا مِنْ عِنْدِ غَيْرِكُمْ، وَلَا مِنْ قِبَلِ أَحَدٍ سِوَاكُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ جَمِيعِ مَا أَرَادَ بِخَلْقِهِ مِنْ عَفْوٍ وَعُقُوبَةٍ وَتَفَضُّلٍ وَانْتِقَامٍ..

﴿قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: ١٦٥] ذُو قُدْرَةٍ.

> ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [آل عمران: ١٦٦].

﴿وَمَآ﴾ وَالَّذِي..

﴿أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ وَهُوَ يَوْمُ أُحُدٍ حِينَ الْتَقَىٰ جَمْعُ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَيَعْنِي بِالَّذِي أَصَابَهُمْ: مَا نَالَ مِنَ الْقَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ، وَمِنَ الْجِرَاحِ مَنْ جُرِحَ مِنْهُمْ..

﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فَهُوَ بِإِذْنِ اللهِ كَانَ، يَعْنِي: بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ فِيكُمْ..

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٦] وَلِيُعْلِمَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ مَا أَصَابَكُمْ حِينَ الْتَقَيْتُمْ أَنْتُمْ وَعَدُوُّكُمْ فَبِإِذْنِي كَانَ ذَلِكَ، حِينَ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بَعْدَ أَنْ جَاءَكُمْ نَصْرِي وَصَدَّقْتُمْ وَعْدِي، لِيَمِيزَ بَيْنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ لِيُظْهِرُوا مَا فِيهِمْ، فَأَصَابَكُمْ مَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَىٰ الْجَمْعَانِ بِأُحُدٍ، لِيَمِيزَ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَيَعْرِفُونَهُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِمْ أَمْرُ الْفَرِيقَيْنِ..

﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يَعْنِي تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ الْمُنَافِقَ وَأَصْحَابَهُ الَّذِينَ رَجَعُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، حِينَ سَارَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ بِأُحُدٍ لِقِتَالِهِمْ، فَقَالَ لَهُمُ الْمُسْلِمُونَ: تَعَالَوْا قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ مَعَنَا..

﴿أَوِ ٱدْفَعُوا۟﴾ بِتَكْثِيرِكُمْ سَوَادَنَا..

﴿قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾ فَقَالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تُقَاتِلُونَ لَسِرْنَا مَعَكُمْ إِلَيْهِمْ، وَلَكِنَّا مَعَكُمْ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ لَا نَرَىٰ أَنَّهُ يَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْقَوْمِ قِتَالٌ..

﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ فَأَبْدَوْا مِنْ نِفَاقِ أَنْفُسِهِمْ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ، وَأَبْدَوْا بِأَلْسِنَتِهِمْ بِقَوْلِهِمْ ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾ غَيْرَ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ وَيُخْفُونَهُ، مِنْ عَدَاوَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ..

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: «لو نعلم قتالا لاتبعناكم»، بما يضمرون - في أنفسهم للمؤمنين ويكتمونه، فيسترونه- مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّنَآنِ، وَأَنَّهُمْ لَوْ عَلِمُوا قِتَالًا مَا تَبِعُوهُمْ، وَلَا دَافَعُوا عَنْهُمْ..

﴿بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧] وَهُوَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُحِيطٌ بِمَا يُخْفُونَهُ مِنْ ذَلِكَ، مُطَّلِعٌ

عَلَيْهِ، وَمُحْصِيهِ عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ يُهَتِّكَ أَسْتَارَهُمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، فَيَفْضَحَهُمْ بِهِ، وَيُصْلِيَهُمْ بِهِ الدَّرْكَ الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾ [آل عمران: ١٦٨].

﴿ٱلَّذِينَ﴾ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ نَافَقُوا، الَّذِينَ قَالُوا.. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ الْآيَةِ: وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ..

﴿قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ الَّذِينَ أُصِيبُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي حَرْبِهِمُ الْمُشْرِكِينَ بِأُحُدٍ يَوْمَ أُحُدٍ فَقُتِلُوا هُنَالِكَ، مِنْ عَشَائِرِهِمْ وَقَوْمِهِمْ..

﴿وَقَعَدُواْ﴾ وَقَعَدَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الْقَائِلُونَ مَا قَالُوا مِمَّا أَخْبَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْهُمْ، مِنْ قِيلِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ مَعَ إِخْوَانِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿لَوۡ أَطَاعُونَا﴾ لَوْ أَطَاعَنَا مَنْ قُتِلَ بِأُحُدٍ مِنْ إِخْوَانِنَا وَعَشَائِرِنَا..

﴿مَا قُتِلُواْۗ﴾ هُنَالِكَ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ..

﴿فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾ [آل عمران: ١٦٨] فَادْفَعُوا إِنْ كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ صَادِقِينَ فِي قِيلِكُمْ: لَوْ أَطَاعَنَا إِخْوَانُنَا فِي تَرْكِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَقِتَالِهِمْ أَبَا سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ قُرَيْشٍ، مَا قُتِلُوا هُنَالِكَ بِالسَّيْفِ، وَلَكَانُوا أَحْيَاءً بِقُعُودِهِمْ مَعَكُمْ وَتَخَلُّفِهِمْ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشُهُودِ جِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ مَعَهُ، فَإِنَّكُمْ قَدْ قَعَدْتُمْ عَنْ حَرْبِهِمْ، وَقَدْ تَخَلَّفْتُمْ عَنْ جِهَادِهِمْ، وَأَنْتُمْ لَا مَحَالَةَ مَيِّتُونَ.

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ [آل عمران: ١٦٩].

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ﴾ وَلَا تَظُنَّنَّ..

﴿ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بِأُحُدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿أَمۡوَٰتَۢاۚ﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ يَا مُحَمَّدُ أَمْوَاتًا، لَا يُحِسُّونَ شَيْئًا، وَلَا يَلْتَذُّونَ، وَلَا يَتَنَعَّمُونَ..

﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ [آل عمران: ١٦٩] فَإِنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدِي، مُتَنَعِّمُونَ فِي رِزْقِي.

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠﴾ [آل عمران: ١٧٠].

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ فَرِحُونَ مَسْرُورُونَ بِمَا آتَيْتُهُمْ مِنْ كَرَامَتِي وَفَضْلِي، وَحَبَوْتُهُمْ بِهِ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِي وَعَطَائِي.. فَعَنْ مَسْرُوقٍ بْنِ الْأَجْدَعِ، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَاتِ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْهَا، فَقِيلَ لَنَا: «**إِنَّهُ لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُهُمْ بِأُحُدٍ، جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَىٰ قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَيَطَّلِعُ اللهُ إِلَيْهِمُ اطِّلَاعَةً، فَيَقُولُ: يَا عِبَادِي مَا تَشْتَهُونَ فَأَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا لا فَوْقَ مَا أَعْطَيْتَنَا الْجَنَّةَ، نَأْكُلُ مِنْهَا حَيْثُ شِئْنَا، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يَطَّلِعُ فَيَقُولُ: يَا عِبَادِي مَا تَشْتَهُونَ فَأَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا لا فَوْقَ مَا أَعْطَيْتَنَا، الْجَنَّةُ نَأْكُلُ مِنْهَا حَيْثُ شِئْنَا، إِلَّا أَنَّا نَخْتَارُ أَنْ تُرَدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا، ثُمَّ تُرَدَّنَا إِلَى الدُّنْيَا، فَنُقَاتِلَ فِيكَ حَتَّىٰ نُقْتَلَ فِيكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ**».. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الشُّهَدَاءُ عَلَىٰ بَارِقٍ - نَهَرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ - فِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا**»..

﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ وَيَفْرَحُونَ..

﴿بِٱلَّذِينَ﴾ بِمَنْ..

﴿لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فَارَقُوهُمْ وَهُمْ أَحْيَاءٌ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ مَنَاهِجِهِمْ، مِنْ جِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ مَعَ رَسُولِهِ، لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّهُمْ إِنِ اسْتُشْهِدُوا فَلَحِقُوا بِهِمْ، صَارُوا مِنْ كَرَامَةِ اللهِ إِلَىٰ مِثْلِ الَّذِي صَارُوا هُمْ إِلَيْهِ، فَهُمْ لِذَلِكَ مُسْتَبْشِرُونَ بِهِمْ، فَرِحُونَ أَنَّهُمْ إِذَا صَارُوا كَذَلِكَ..

﴿أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ لِأَنَّهُمْ قَدْ أَمِنُوا عِقَابَ اللهِ، وَأَيْقَنُوا بِرِضَاهُ عَنْهُمْ، فَقَدْ أَمِنُوا الْخَوْفَ الَّذِي كَانُوا يَخَافُونَهُ مِنْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠﴾ [آل عمران: ١٧٠] عَلَىٰ مَا خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا، وَنَكَدِ عَيْشِهَا، لِلْخَفْضِ الَّذِي صَارُوا إِلَيْهِ وَالدَّعَةِ وَالزُّلْفَةِ.

﴿۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١﴾

[آل عمران: ١٧١].

﴿۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ يَفْرَحُونَ..

﴿بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بِمَا حَبَاهُمْ بِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مِنْ عَظِيمِ كَرَامَتِهِ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَيْهِ..

﴿وَفَضۡلٖ﴾ وَبِمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَضْلِ وَجَزِيلِ الثَّوَابِ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَجِهَادِ أَعْدَائِهِ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١﴾ [آل عمران: ١٧١] لَا يُبْطِلُ جَزَاءَ أَعْمَالِ مَنْ صَدَّقَ رَسُولَهُ وَاتَّبَعَهُ وَعَمِلَ بِمَا جَاءَهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾ [آل عمران: ١٧٢].

﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ، الْمُسْتَجِيبِينَ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ..

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْجَرْحُ وَالْكُلُومُ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَىٰ (حَمْرَاءِ الْأَسَدِ) فِي طَلَبِ الْعَدُوِّ، أَبِي سُفْيَانَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، مُنْصَرَفَهُمْ عَنْ أُحُدٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ لَمَّا انْصَرَفَ عَنْ أُحُدٍ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَثَرِهِ حَتَّىٰ بَلَغَ (حَمْرَاءَ الْأَسَدِ) وَهِيَ عَلَىٰ ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، لِيُرِيَ النَّاسَ أَنَّ بِهِ وَأَصْحَابِهِ قُوَّةً عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ..

﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾ [آل عمران: ١٧٢] فَوَعَدَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مَنْ ذَكَرْنَا أَمْرَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ﴾ -إِذَا اتَّقَىٰ اللهَ فَخَافَهُ، فَأَدَّىٰ فَرَائِضَهُ وَأَطَاعَهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ مِن عُمْرِهِ- الثَّوَابَ الْجَزِيلَ، وَالْجَزَاءَ الْعَظِيمَ، عَلَىٰ مَا قَدَّمَ مِنْ صَالِحِ أَعْمَالِهِ فِي الدُّنْيَا.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣].

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ﴾ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ، وَالَّذِينَ مَرْدُودٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَذِهِ الصِّفَةُ مِنْ صِفَةِ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ..

﴿ٱلنَّاسُ﴾ هُمْ قَوْمٌ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ سَأَلَهُمْ أَنْ يُثَبِّطُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي طَلَبِهِ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ عَنْ (أُحُدٍ) إِلَىٰ (حَمْرَاءِ الْأَسَدِ)..

﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ هُمْ أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ بِأُحُدٍ..

﴿قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ قَدْ جَمَعُوا الرِّجَالَ لِلِقَائِكُمْ، وَالْكَرَّةَ إِلَيْكُمْ لِحَرْبِكُمْ..

﴿فَٱخْشَوْهُمْ﴾ فَاحْذَرُوهُمْ، وَاتَّقُوا لِقَاءَهُمْ، فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِمْ..

﴿فَزَادَهُمْ﴾ فَزَادَهُمْ ذَلِكَ مِنْ تَخْوِيفِ مَنْ خَوَّفَهُمْ أَمْرُ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿إِيمَٰنًا﴾ يَقِينًا إِلَىٰ يَقِينِهِمْ، وَتَصْدِيقًا لِلَّهِ وَلِوَعْدِهِ وَوَعْدِ رَسُولِهِ إِلَىٰ تَصْدِيقِهِمْ، وَلَمْ يُثْنِهِمْ ذَلِكَ عَنْ وَجْهِهِمُ الَّذِي أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالسَّيْرِ فِيهِ، وَلَكِنْ سَارُوا حَتَّىٰ بَلَغُوا رِضْوَانَ اللهِ مِنْهُ..

﴿وَقَالُواْ﴾ ثِقَةً بِاللهِ، وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ، إِذْ خَوَّفَهُمْ مَنْ خَوَّفَهُمْ أَبَا سُفْيَانَ وَأَصْحَابَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ كَفَانَا اللهُ، يَعْنِي: يَكْفِينَا اللهُ..

﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣] وَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ لِمَنْ وَلِيَهُ وَكَفَلَهُ، وَإِنَّمَا وَصَفَ تَعَالَىٰ نَفْسَهُ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْوَكِيلَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: هُوَ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامُ بِأَمْرِ مَنْ أَسْنَدَ إِلَيْهِ الْقِيَامَ بِأَمْرِهِ، فَلَمَّا كَانَ الْقَوْمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ قَدْ كَانُوا فَوَّضُوا أَمْرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ، وَوَثِقُوا بِهِ، وَأَسْنَدُوا ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَصَفَ نَفْسَهُ بِقِيَامِهِ لَهُمْ بِذَلِكَ، وَتَفْوِيضِهِمْ أَمْرَهُمْ إِلَيْهِ بِالْوِكَالَةِ، فَقَالَ: وَنِعْمَ الْوَكِيلُ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُمْ.

﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾

[آل عمران: ١٧٤].

﴿فَٱنقَلَبُواْ﴾ فَانْصَرَفَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ مِنْ وَجْهِهِمُ الَّذِي تَوَجَّهُوا فِيهِ، وَهُوَ سَيْرُهُمْ فِي أَثَرِ عَدُوِّهِمْ إِلَىٰ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ..

﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بِعَافِيَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ لَمْ يَلْقَوْا بِهَا عَدُوًّا..

﴿وَفَضْلٍ﴾ أَصَابُوا فِيهَا مِنَ الْأَرْبَاحِ بِتِجَارَتِهِمُ الَّتِي اتَّجَرُوا بِهَا، وَالْأَجْرِ الَّذِي اكْتَسَبُوهُ..

﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ لَمْ يَنَلْهُمْ بِهَا مَكْرُوهٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ وَلَا أَذًىٰ..

﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أَرْضَوُا اللهَ بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ وَاتِّبَاعِهِمْ رَسُولَهُ إِلَىٰ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ اتِّبَاعِ أَثَرِ الْعَدُوِّ وَطَاعَتِهِمْ..

﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ﴾ وَاللهُ ذُو إِحْسَانٍ وَطَوْلٍ عَلَيْهِمْ بِصَرْفِ عَدُوِّهِمُ الَّذِي كَانُوا قَدْ هَمُّوا بِالْكَرَّةِ إِلَيْهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ، وَعَلَىٰ غَيْرِهِمْ بِنِعْمَةٍ..

﴿عَظِيمٍ ١٧٤﴾ [آل عمران: ١٧٤] عِنْدَ مَنْ أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ.

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٧٥﴾

[آل عمران: ١٧٥].

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾ إِنَّمَا الَّذِي قَالَ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ، فَخَوَّفُوكُمْ بِجُمُوعِ عَدُوِّكُمْ، وَمَسِيرِهِمْ إِلَيْكُمْ..

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ مِنْ فِعْلِ الشَّيْطَانِ، أَلْقَاهُ عَلَىٰ أَفْوَاهِ مَنْ قَالَ ذَلِكَ لَكُمْ..

﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ مِنْ قُرَيْشٍ لِتَرْهَبُوهُمْ، وَتَجْبُنُوا عَنْهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُعَظِّمُ أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ فَتَخَافُونَهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ وَهَلْ يُخَوِّفُ الشَّيْطَانُ أَوْلِيَاءَهُ؟ قِيلَ: إِنْ كَانَ مَعْنَاهُ يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، قِيلَ ذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: ٢]، بِمَعْنَىٰ: لِيُنْذِرَكُمْ بَأْسَهُ الشَّدِيدَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْبَأْسَ لَا يُنْذَرُ، وَإِنَّمَا يُنْذَرُ بِهِ..

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ فَلَا تَخَافُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا يَعْظُمَنَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُهُمْ، وَلَا تَرْهَبُوا جَمْعَهُمْ مَعَ طَاعَتِكُمْ إِيَّايَ، مَا أَطَعْتُمُونِي، وَاتَّبَعْتُمْ أَمْرِي، وَإِنِّي مُتَكَفِّلٌ لَكُمْ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ..

﴿وَخَافُونِ﴾ وَلَكِنْ خَافُونِ، وَاتَّقُوا أَنْ تَعْصُونِي وَتُخَالِفُوا أَمْرِي، فَتَهْلِكُوا..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران: ١٧٥] وَلَكِنْ خَافُونِي دُونَ الْمُشْرِكِينَ، وَدُونَ جَمِيعِ خَلْقِي أَنْ تُخَالِفُوا أَمْرِي إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِي رَسُولِي وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٦﴾ [آل عمران: ١٧٦].

﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ مُرْتَدِّينَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ فَـ..

﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ بِمُسَارَعَتِهِمْ فِي الْكُفْرِ شَيْئًا، كَمَا أَنَّ مُسَارَعَتَهُمْ -لَوْ سَارَعُوا- إِلَىٰ الْإِيمَانِ لَمْ تَكُنْ بِنَافِعَتِهِ، كَذَلِكَ مُسَارَعَتُهُمْ إِلَىٰ الْكُفْرِ غَيْرُ ضَارَّتِهِ..

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ..

﴿حَظًّا﴾ نَصِيبًا..

﴿فِي﴾ ثَوَابِ..

﴿الْآخِرَةِ﴾ فَلِذَلِكَ خَذَلَهُمْ، فَسَارَعُوا فِيهِ..

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ [آل عمران: ١٧٦] ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ مَعَ حِرْمَانِهِمْ مَا حُرِمُوا مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ، لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فِي الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ عَذَابُ النَّارِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾ [آل عمران: ١٧٧].

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ -جَلَّ ثناؤُهُ- الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَقَدَّمَ إِلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ فِيهِمْ أَنْ لَا يُحْزِنَهُ مُسَارَعَتُهُمْ إِلَىٰ الْكُفْرِ، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ابْتَاعُوا الْكُفْرَ بِإِيمَانِهِمْ، فَارْتَدُّوا عَنْ إِيمَانِهِمْ بَعْدَ دُخُولِهِمْ فِيهِ، وَرَضُوا بِالْكُفْرِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، عِوَضًا مِنَ الْإِيمَانِ..

﴿لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ بِكُفْرِهِمْ وَارْتِدَادِهِمْ، عَنْ إِيمَانِهِمْ شَيْئًا..

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾ [آل عمران: ١٧٧] بَلْ إِنَّمَا يَضُرُّونَ بِذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ بِإِيجَابِهِمْ بِذَلِكَ لَهَا مِنْ عِقَابِ اللهِ مَا لَا قِبَلَ لَهَا بِهِ.. وَإِنَّمَا حَثَّ اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٦] إِلَىٰ هَذِهِ الْآيَةِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ إِخْلَاصِ الْيَقِينِ، وَالِانْقِطَاعِ إِلَيْهِ فِي أُمُورِهِمْ، وَالرِّضَا بِهِ نَاصِرًا وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ، وَرَغَّبَ بِهَا فِي جِهَادِ أَعْدَائِهِ وَأَعْدَاءِ دِينِهِ، وَشَجَّعَ بِهَا قُلُوبَهُمْ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ مَنْ وَلِيَهُ بِنَصْرِهِ فَلَنْ يُخْذَلَ وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمِيعُ مَنْ خَالَفَهُ وَحَادَّهُ، وَأَنَّ مَنْ خَذَلَهُ فَلَنْ يَنْصُرَهُ نَاصِرٌ يَنْفَعُهُ نَصْرُهُ وَلَوْ كَثُرَتْ أَعْوَانُهُ أَوْ نُصَرَاؤُهُ.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران: ١٧٨].

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ وَلَا يَظُنَّنَّ..

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ أَنَّ إِمْلَاءَنَا لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ.. وَيَعْنِي بِالْإِمْلَاءِ: الْإِطَالَةَ فِي الْعُمُرِ وَالْإِنْسَاءَ فِي الْأَجَلِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ [مريم: ٤٦] أَيْ حِينًا طَوِيلًا؛ وَمِنْهُ قِيلَ: عِشْتُ طَوِيلًا، وَتَمَلَّيْتُ حِينًا، وَالْمَلَا نَفْسُهُ الدَّهْرُ، وَالْمَلَوَانِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ..

﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ إِنَّمَا نُؤَخِّرُ آجَالَهُمْ فَنُطِيلُهَا..

﴿لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ يَكْتَسِبُوا الْمَعَاصِيَ فَتَزْدَادَ آثَامُهُمْ وَتَكْثُرَ..

﴿وَلَهُمْ﴾ وَلِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ فِي الْآخِرَةِ..
﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران: ١٧٨] عُقُوبَةٌ لَهُمْ مُهِينَةٌ مَذَلَّةٌ.

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران: ١٧٩].

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ﴾ مَا كَانَ اللهُ لِيَدَعَ..
﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ مِنَ الْتِبَاسِ الْمُؤْمِنِ مِنْكُمْ بِالْمُنَافِقِ، فَلَا يُعْرَفُ هَذَا مِنْ هَذَا..
﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ﴾ وَهُوَ الْمُنَافِقُ الْمُسْتَسِرُّ لِلْكُفْرِ..
﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ وَهُوَ الْمُؤْمِنُ الْمُخْلِصُ الصَّادِقُ الْإِيمَانِ بِالْمِحَنِ وَالِاخْتِبَارِ، كَمَا مُيِّزَ بَيْنَهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ إِلَيْهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: حَتَّىٰ يُمَيِّزَ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ بِالْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ..
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَىٰ ضَمَائِرِ قُلُوبِ عِبَادِهِ، فَتَعْرِفُوا الْمُؤْمِنَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِ وَالْكَافِرِ، وَلَكِنَّهُ يُمَيِّزُ بَيْنَهُمْ بِالْمِحَنِ وَالِابْتِلَاءِ كَمَا مَيَّزَ بَيْنَهُمْ بِالْبَأْسَاءِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَجِهَادِ عَدُوِّهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْمِحَنْ، حَتَّىٰ تَعْرِفُوا مُؤْمِنَهُمْ وَكَافِرَهُمْ وَمُنَافِقَهُمْ..
﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ﴾ غَيْرَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..
﴿يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ فَيَصْطَفِيهِ، فَيُطْلِعُهُ عَلَىٰ بَعْضِ مَا فِي ضَمَائِرِ بَعْضِهِمْ بِوَحْيِهِ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَرِسَالَتِهِ..
﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟﴾ وَإِنْ تُصَدِّقُوا مَنِ اجْتَبَيْتُهُ مِنْ رُسُلِي بِعِلْمِي، وَأَطْلَعْتُهُ عَلَىٰ الْمُنَافِقِينَ مِنْكُمْ..
﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ رَبَّكُمْ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ نَبِيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ..
﴿فَلَكُمْ﴾ بِذَلِكَ مِنْ إِيمَانِكُمْ وَاتِّقَائِكُمْ رَبَّكُمْ..
﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران: ١٧٩] ثَوَابٌ عَظِيمٌ.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾

[آل عمران: ١٨٠].

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بُخْلَ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَنْعِ الزَّكَاةِ..

﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ﴾ بِمَا أَعْطَاهُمُ..

﴿ٱللَّهُ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ مِنَ الْأَمْوَالِ، فَلَا يُخْرِجُونَ مِنْهُ حَقَّ اللهِ الَّذِي فَرَضَهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ مِنَ الزَّكَوَاتِ..

﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ عِنْدَهُ فِي الْآخِرَةِ..

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ سَيَجْعَلُ اللهُ مَا بَخِلَ بِهِ الْمَانِعُونَ الزَّكَاةَ طَوْقًا فِي أَعْنَاقِهِمْ، كَهَيْئَةِ الْأَطْوَاقِ الْمَعْرُوفَةِ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا مُثِّلَ لَهُ شُجَاعٌ أَقْرَعُ يُطَوَّقُهُ**» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ الْآيَةَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ (**فَيُجْعَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ طَوْقًا مِنْ نَارٍ**).. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: سَيَحْمِلُ الَّذِينَ كَتَمُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ مَا كَتَمُوا مِنْ ذَلِكَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: سَيُكَلَّفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَأْتُوا بِمَا بَخِلُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَمْوَالِهِمْ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ التَّأْوِيلُ الَّذِي قُلْنَاهُ فِي ذَلِكَ فِي مَبْدَإِهِ؛ لِلْأَخْبَارِ الَّتِي ذَكَرْنَا فِي ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَحَدَ أَعْلَمُ بِمَا عَنَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِتَنْزِيلِهِ مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ..

﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِي يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَعْدَ مَا يَهْلِكُونَ، وَتَزُولُ عَنْهُمْ أَمْلَاكُهُمْ فِي الْحِينِ الَّذِي لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا، وَصَارَ لِلَّهِ مِيرَاثُهُ وَمِيرَاثُ غَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ.. يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَنَّهُ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ جَمِيعِ خَلْقِهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وَالْمِيرَاثُ الْمَعْرُوفُ: هُوَ مَا انْتَقَلَ مِنْ مِلْكِ مَالِكٍ إِلَىٰ وَارِثِهِ بِمَوْتِهِ وَلِلَّهِ الدُّنْيَا قَبْلَ فَنَاءِ خَلْقِهِ وَبَعْدَهُ؟ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ مَا وَصَفْنَا مِنْ وَصْفِهِ نَفْسَهُ بِالْبَقَاءِ، وَإِعْلَامِ خَلْقِهِ أَنَّهُ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْفَنَاءَ وَذَلِكَ أَنَّ مِلْكَ الْمَالِكِ إِنَّمَا يَصِيرُ مِيرَاثًا بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَإِنَّمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إِعْلَامًا بِذَلِكَ مِنْهُ عِبَادَهُ أَنَّ أَمْلَاكَ جَمِيعِ خَلْقِهِ مُنْتَقِلَةٌ عَنْهُمْ بِمَوْتِهِمْ، وَأَنَّهُ لَا أَحَدَ إِلَّا وَهُوَ فَانٍ سَوَاهُ، فَإِنَّهُ الَّذِي إِذَا هَلَكَ جَمِيعُ خَلْقِهِ، فَزَالَتْ أَمْلَاكُهُمْ عَنْهُمْ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ يَكُونُ لَهُ مَا كَانُوا يَمْلِكُونَهُ غَيْرُهُ..

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٨٠﴾ [آل عمران: ١٨٠] ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُ بِمَا يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلٍ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ، ذُو خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ، مُحِيطٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ كُلًّا مِنْهُمْ عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِ، الْمُحْسِنَ بِالْإِحْسَانِ، وَالْمُسِيءَ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝١٨١﴾ [آل عمران: ١٨١].

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾ مِنَ الْيَهُودِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ إِلَيْنَا..

﴿وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ عَنْهُ..

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ مِنَ الْإِفْكِ وَالْفِرْيَةِ عَلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وَقَتْلَهُمْ أَنْبِيَاءَهُمْ بِغَيْرِ حَقٍّ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ قِيلَ: ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وَقَدْ ذَكَرَتِ الْآثَارُ الَّتِي رُوِيتْ أَنَّ الَّذِينَ عُنُوا بِقَوْلِهِ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ بَعْضُ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ عَهْدِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أُولَئِكَ أَحَدٌ قَتَلَ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُدْرِكُوا نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ فَيَقْتُلُوهُ؟ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ عَلَىٰ غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبْتَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ عَنَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَذِهِ الْآيَةِ كَانُوا رَاضِينَ بِمَا فَعَلَ أَوَائِلُهُمْ مِنْ قَتْلِ مَنْ قَتَلُوا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَكَانُوا مِنْهُمْ وَعَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ، مِنَ اسْتِحْلَالِ ذَلِكَ وَاسْتِجَازَتِهِ، فَأَضَافَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِعْلَ مَا فَعَلَهُ مَنْ كَانُوا عَلَىٰ مِنْهَاجِهِ وَطَرِيقَتِهِ إِلَىٰ جَمِيعِهِمْ، إِذْ كَانُوا أَهْلَ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَنِحلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَبِالرِّضَا مِنْ جَمِيعِهِمْ فِعْلَ مَا فَعَلَ فَاعِلُ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَلَىٰ مَا بَيَّنَّا مِنْ نَظَائِرِهِ فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ..

﴿وَنَقُولُ﴾ لِلْقَائِلِينَ بِأَنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ، الْقَاتِلِينَ أَنْبِيَاءَ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝١٨١﴾ [آل عمران: ١٨١] ذُوقُوا عَذَابَ نَارٍ مُحْرِقَةٍ مُلْتَهِبَةٍ، وَالنَّارُ اسْمٌ جَامِعٌ لِلْمُلْتَهِبَةِ مِنْهَا وَغَيْرِ الْمُلْتَهِبَةِ، وَإِنَّمَا الْحَرِيقُ صِفَةٌ لَهَا، يُرَادُ أَنَّهَا مُحْرِقَةٌ، كَمَا قِيلَ: (عَذَابٌ أَلِيمٌ) يَعْنِي: مُؤْلِمٌ، وَ (وَجِيعٌ) يَعْنِي: مُوجِعٌ.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٨٢﴾ [آل عمران: ١٨٢].

﴿ذَٰلِكَ﴾ قَوْلُنَا لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ..

﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ بِمَا أَسْلَفَتْ..

﴿أَيْدِيكُمْ﴾ وَاكْتَسَبْتَهَا أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَأَنَّ﴾ وَبِأَنْ..

﴿اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢] عَدْلٌ لَا يَجُورُ، فَيُعَاقِبُ عَبْدًا لَهُ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مِنْهُ الْعُقُوبَةَ، وَلَكِنَّهُ يُجَازِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَيُوَفِّي كُلَّ عَامِلٍ جَزَاءَ مَا عَمِلَ، فَجَازَىٰ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ، فَأَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ، وَقَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، بِمَا جَازَاهُمْ بِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَرِيقِ، وَبِمَا اكْتَسَبُوا مِنَ الْآثَامِ، وَاجْتَرَحُوا مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَكَذَبُوا عَلَىٰ اللهِ بَعْدَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ بِالْإِنْذَارِ، فَلَمْ يَكُنْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِمَا عَاقَبَهُمْ بِهِ مِنْ إِذَاقَتِهِمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ظَالِمًا وَلَا وَاضِعًا عُقُوبَتَهُ فِي غَيْرِ أَهْلِهَا، وَكَذَلِكَ هُوَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ غَيْرُ ظَلَّامٍ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، وَلَكِنَّهُ الْعَادِلُ بَيْنَهُمْ، وَالْمُتَفَضِّلُ عَلَىٰ جَمِيعِهِمْ بِمَا أَحَبَّ مِنْ فَوَاضِلِهِ وَنِعَمِهِ.

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٨٣].

﴿الَّذِينَ﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ..

﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ أَوْصَانَا وَتَقَدَّمَ إِلَيْنَا فِي كُتُبِهِ وَعَلَىٰ أَلْسُنِ أَنْبِيَائِهِ..

﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ أَنْ لَا نُصَدِّقَ رَسُولًا فِيمَا يَقُولُ إِنَّهُ جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا﴾ حَتَّىٰ يَجِيئَنَا..

﴿بِقُرْبَانٍ﴾ وَهُوَ مَا تَقَرَّبَ بِهِ الْعَبْدُ إِلَىٰ رَبِّهِ مِنْ صَدَقَةٍ..

﴿تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ لِأَنَّ أَكْلَ النَّارِ مَا قَرَّبَهُ أَحَدُهُمْ لِلَّهِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ كَانَ دَلِيلًا عَلَىٰ قَبُولِ اللهِ مِنْهُ مَا قَرَّبَ لَهُ، وَدِلَالَةً عَلَىٰ صِدْقِ الْمُقَرِّبِ فِيمَا ادَّعَىٰ أَنَّهُ مُحِقٌّ فِيمَا نَازَعَ أَوْ قَالَ..

﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بِالْحُجَجِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ صِدْقِ نُبُوَّتِهِمْ وَحَقِيقَةِ قَوْلِهِمْ..

﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ وَبِالَّذِي ادَّعَيْتُمْ أَنَّهُ إِذَا جَاءَ بِهِ لَزِمَكُمْ تَصْدِيقُهُ، وَالْإِقْرَارُ بِنُبُوَّتِهِ مِنْ أَكْلِ

النَّارِ قُرْبَانَهُ إِذَا قُرِّبَ لِلَّهِ دَلَالَةً عَلَىٰ صِدْقِهِ..

﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ قُلْ لَهُمْ: قَدْ جَاءَتْكُمُ الرُّسُلُ الَّذِي كَانُوا مِنْ قَبْلِي بِالَّذِي زَعَمْتُمْ أَنَّهُ حُجَّةٌ لَهُمْ عَلَيْكُمْ، فَقَتَلْتُمُوهُمْ، فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ وَأَنْتُمْ مُقِرُّونَ بِأَنَّ الَّذِي جَاءُوكُمْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ كَانَ حُجَّةً لَهُمْ عَلَيْكُمْ..

﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٨٣] فِي أَنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِمَنْ أَتَاكُمْ مِنْ رُسُلِهِ بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ حُجَّةً لَهُ عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ؟! وَإِنَّمَا أَعْلَمَ اللهُ عِبَادَهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَنْ يَفِرُّوا، وَأَنْ يَكُونُوا فِي كَذِبِهِمْ عَلَىٰ اللهِ، وَافْتِرَائِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ وَهُمْ يَعْلَمُونَهُ صَادِقًا مُحِقًّا، وَجُحُودِهِمْ نُبُوَّتَهُ، وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي عَهْدِ اللهِ تَعَالَىٰ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ رَسُولُهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ مَفْرُوضَةٌ طَاعَتُهُ، إِلَّا كَمَنْ مَضَىٰ مِنْ أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا يَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ بَعْدَ قَطْعِ اللهِ عُذْرَهُمْ بِالْحُجَجِ الَّتِي أَيَّدَهُمُ اللهُ بِهَا، وَالْأَدِلَّةِ الَّتِي أَبَانَ صِدْقَهُمْ بِهَا، افْتِرَاءً عَلَىٰ اللهِ، وَاسْتِخْفَافًا بِحُقُوقِهِ.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُو بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾

[آل عمران: ١٨٤].

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ لَا يَحْزُنْكَ يَا مُحَمَّدُ كَذِبَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ، وَقَالُوا: إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَنْ لَا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ، وَافْتِرَاؤُهُمْ عَلَىٰ رَبِّهِمُ اغْتِرَارًا بِإِمْهَالِ اللهِ إِيَّاهُمْ، وَلَا يَعْظُمَنَّ عَلَيْكَ تَكْذِيبُهُمْ إِيَّاكَ، وَادِّعَاؤُهُمُ الْأَبَاطِيلَ مِنْ عُهُودِ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ بِكَ فَكَذَّبُوكَ، وَكَذَبُوا عَلَىٰ اللهِ..

﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ فَقَدْ كَذَّبَتْ أَسْلَافُهُمْ مِنْ رُسُلِ اللهِ قَبْلَكَ مَنْ جَاءَهُمْ..

﴿جَاءُو بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بِالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ الْعُذْرَ، وَالْأَدِلَّةِ الْبَاهِرَةِ الْعَقْلَ، وَالْآيَاتِ الْمُعْجِزَةِ الْخَلْقَ، وَذَلِكَ هُوَ الْبَيِّنَاتُ..

﴿وَالزُّبُرِ﴾ جَمْعُ زَبُورٍ: وَهُوَ الْكِتَابُ، وَكُلُّ كِتَابٍ فَهُوَ زَبُورٌ..

﴿وَالْكِتَابِ﴾ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ كَذَّبَتْ عِيسَىٰ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَحَرَّفَتْ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ عليه السلام مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبَدَّلَتْ عَهْدَهُ إِلَيْهِمْ فِيهِ، وَأَنَّ النَّصَارَىٰ جَحَدَتْ مَا فِي الْإِنْجِيلِ مِنْ نَعْتِهِ وَغَيَّرَتْ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ فِي أَمْرِهِ..

﴿الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤] الَّذِي يُنِيرُ فَيُبَيِّنُ الْحَقَّ لِمَنِ الْتَبَسَ عَلَيْهِ وَيُوَضِّحُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ

مِنَ النُّورِ وَالْإِضَاءَةِ، يُقَالُ: قَدْ أَنَارَ لَكَ هَذَا الْأَمْرُ، بِمَعْنَىٰ: أَضَاءَ لَكَ وَتَبَيَّنَ، فَهُوَ يُنِيرُ إِنَارَةً، وَالشَّيْءُ الْمُنِيرُ.. وَهَذَا تَعْزِيَةٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثناؤُهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَىٰ الْأَذَىٰ الَّذِي كَانَ يَنَالُهُ مِنَ الْيَهُودِ وَأَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ الْمِلَلِ.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥].

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ فَإِنَّ مَصِيرَ هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَىٰ اللهِ مِنَ الْيَهُودِ الْمُكَذِّبِينَ بِرَسُولِهِ، الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ، وَأَخْبَرَ عَنْ جَرَاءَتِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَمَصِيرَ غَيْرِهِمْ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَمَرْجِعَ جَمِيعِهِمْ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ حَتَّمَ الْمَوْتَ عَلَىٰ جَمِيعِهِمْ، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: لَا يَحْزُنْكَ تَكْذِيبُ مَنْ كَذَّبَكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَغَيْرِهِمْ، وَافْتِرَاءُ مَنِ افْتَرَىٰ عَلَيَّ، فَقَدْ كُذِّبَ قَبْلَكَ رُسُلٌ جَاءُوا مِنَ الْآيَاتِ وَالْحُجَجِ مَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ بِمِثْلِ الَّذِي جِئْتَ مَنْ أُرْسِلْتَ إِلَيْهِ، فَلَكَ فِيهِمْ أُسْوَةٌ تَتَعَزَّىٰ بِهِمْ، وَمَصِيرُ مَنْ كَذَّبَكَ وَافْتَرَىٰ عَلَيَّ وَغَيْرِهِمْ وَمَرْجِعُهُمْ إِلَيَّ، فَأُوَفِّي كُلَّ نَفْسٍ مِنْهُمْ جَزَاءَ عَمَلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثناؤُهُ..

﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ أُجُورَ أَعْمَالِكُمْ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ..

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ﴾ فَمَنْ نُحِّيَ..

﴿عَنِ ٱلنَّارِ﴾ وَأُبْعِدَ مِنْهَا..

﴿وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ﴾ فَقَدْ نَجَا وَظَفِرَ بِحَاجَتِهِ..

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ وَمَا لَذَّاتُ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتُهَا، وَمَا فِيهَا مِنْ زِينَتِهَا وَزَخَارِفِهَا..

﴿إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥] إِلَّا مُتْعَةٌ يُمَتِّعُكُمُوهَا الْغُرُورُ وَالْخِدَاعُ الْمُضْمَحِلُّ، الَّذِي لَا حَقِيقَةَ لَهُ عِنْدَ الِامْتِحَانِ، وَلَا صِحَّةَ لَهُ عِنْدَ الِاخْتِبَارِ، فَأَنْتُمْ تَلْتَذُّونَ بِمَا مَتَّعَكُمُ الْغُرُورُ مِنْ دُنْيَاكُمْ، ثُمَّ هُوَ عَائِدٌ عَلَيْكُمْ بِالْفَجَائِعِ وَالْمَصَائِبِ وَالْمَكَارِهِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: لَا تَرْكَنُوا إِلَىٰ الدُّنْيَا فَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ مِنْهَا فِي غُرُورٍ تُمَتَّعُونَ، ثُمَّ أَنْتُمْ عَنْهَا بَعْدَ قَلِيلٍ رَاحِلُونَ.. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ قَالَ: (كَزَادِ الرَّاعِي، تُزَوِّدُهُ الْكَفُّ مِنَ التَّمْرِ، أَوِ الشَّيْءُ مِنَ الدَّقِيقِ، أَوِ الشَّيْءُ يَشْرَبُ عَلَيْهِ اللَّبَنَ)، فَكَأَنَّ ابْنَ سَابِطٍ ذَهَبَ فِي تَأْوِيلِهِ هَذَا إِلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ الْآيَةِ: وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ قَلِيلٌ، لَا يُبَلِّغُ مَنْ تَمَتَّعَهُ

وَلَا يَكْفِيهِ لِسَفَرِهِ، وَهَذَا التَّأْوِيلُ وَإِنْ كَانَ وَجْهًا مِنْ وُجُوهِ التَّأْوِيلِ، فَإِنَّ الصَّحِيحَ مِنَ الْقَوْلِ فِيهِ هُوَ مَا قُلْنَا، لِأَنَّ الْغُرُورَ إِنَّمَا هُوَ الْخِدَاعُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَا وَجْهَ لِصَرْفِهِ إِلَىٰ مَعْنَىٰ الْقِلَّةِ؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ قَدْ يَكُونُ قَلِيلًا وَصَاحِبُهُ مِنْهُ فِي غَيْرِ خِدَاعٍ وَلَا غُرُورٍ؛ وَأَمَّا الَّذِي هُوَ فِي غُرُورٍ فَلَا الْقَلِيلُ يَصِحُّ لَهُ وَلَا الْكَثِيرُ مِمَّا هُوَ مِنْهُ فِي غُرُورٍ.. وَالْغُرُورُ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: غَرَّنِي فُلَانٌ، فَهُوَ يَغُرُّنِي غُرُورًا بِضَمِّ الْغَيْنِ؛ وَأَمَّا إِذَا فُتِحَتُ الْغَيْنُ مِنَ الْغَرُورِ فَهُوَ صِفَةٌ لِلشَّيْطَانِ الْغَرُورِ الَّذِي يَغُرُّ ابْنَ آدَمَ حَتَّىٰ يُدْخِلَهُ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ فِيمَا يَسْتَوْجِبُ بِهِ عُقُوبَتَهُ.

﴿* لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران: ١٨٦].

﴿* لَتُبْلَوُنَّ﴾ لَتُخْتَبَرُنَّ بِالْمَصَائِبِ..

﴿فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ وَبِهَلَاكِ الْأَقْرِبَاءِ وَالْعَشَائِرِ مِنْ أَهْلِ نُصْرَتِكُمْ وَمِلَّتِكُمْ..

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ مِنَ الْيَهُودِ وَقَوْلِهِمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] وَقَوْلِهِمْ ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ افْتِرَائِهِمْ عَلَىٰ اللهِ..

﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ يَعْنِي النَّصَارَىٰ..

﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ وَالْأَذَىٰ مِنَ الْيَهُودِ مَا ذَكَرْنَا، وَمِنَ النَّصَارَىٰ قَوْلُهُمْ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللهِ..

﴿وَإِن تَصْبِرُوا﴾ لِأَمْرِ اللهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ فِيهِمْ وَفِي غَيْرِهِمْ مِنْ طَاعَتِهِ..

﴿وَتَتَّقُوا﴾ اللهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ، فَتَعْمَلُوا فِي ذَلِكَ بِطَاعَتِهِ..

﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصَّبْرَ وَالتَّقْوَىٰ..

﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران: ١٨٦] مِمَّا عَزَّمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَمَرَكُمْ بِهِ.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧].

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ أَيْضًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْهُمْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ..

﴿أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ لَيُبَيِّنُنَّ لِلنَّاسِ أَمْرَكَ الَّذِي أَخَذَ مِيثَاقَهُمْ عَلَىٰ بَيَانِهِ لِلنَّاسِ فِي كِتَابِهِمُ الَّذِي فِي أَيْدِيهِمْ، وَهُوَ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ، وَأَنَّكَ لِلَّهِ رَسُولٌ مُرْسَلٌ بِالْحَقِّ..

﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ وَلَا يَكْتُمُونَهُ..

﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فَهُوَ مَثَلٌ لِتَضْيِيعِهِمُ الْقِيَامَ بِالْمِيثَاقِ، وَتَرْكِهِمُ الْعَمَلَ بِهِ، فَتَرَكُوا أَمْرَ اللهِ وَضَيَّعُوهُ، وَنَقَضُوا مِيثَاقَهُ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، فَكَتَمُوا أَمْرَكَ، وَكَذَّبُوا بِكَ..

﴿وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ﴾ وَابْتَاعُوا بِكِتْمَانِهِمْ مَا أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ أَنْ لَا يَكْتُمُوهُ مِنْ أَمْرِ نُبُوَّتِكَ..

﴿ثَمَنًا﴾ عِوَضًا مِنْهُ..

﴿قَلِيلًا﴾ خَسِيسًا قَلِيلًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، ثُمَّ ذَمَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ شِرَاءَهُم ما اشْتَرَوا بِهِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ..

﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ۝١٨٧﴾ [آل عمران: ١٨٧] فَبِئْسَ الشِّرَاءُ يَشْتَرُونَ فِي تَضْيِيعِهِمُ الْمِيثَاقَ وَتَبْدِيلِهِمُ الْكِتَابَ.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٨٨﴾ [آل عمران: ١٨٨].

﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾ مِنْ كِتْمَانِهِمُ النَّاسَ أَمْرَكَ، وَأَنَّكَ لِي رَسُولٌ مُرْسَلٌ بِالْحَقِّ، وَهُمْ يَجِدُونَكَ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي كُتُبِهِمْ، وَقَدْ أَخَذْتُ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِالإِقْرَارِ بِنُبُوَّتِكَ، وَبَيَانِ أَمْرِكَ لِلنَّاسِ وَأَنْ لَا يَكْتُمُوهُمْ ذَلِكَ، وَهُمْ مَعَ نَقْضِهِمْ مِيثَاقِي الَّذِي أَخَذْتُ عَلَيْهِم بِذَلِكَ، يَفْرَحُونَ بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّايَ فِي ذَلِكَ، وَمُخَالَفَتِهِمْ أَمْرِي..

﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ﴾ وَيُحِبُّونَ أَنْ يَحْمَدَهُمُ النَّاسُ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ طَاعَةٍ لِلَّهِ وَعِبَادَةٍ وَصَلَاةٍ وَصَوْمٍ، وَاتِّبَاعٍ لِوَحْيِهِ، وَتَنْزِيلِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ، وَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَبْرِيَاءُ أَخْلِيَاءُ لِتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ، وَنَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْهِمْ..

﴿بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ شَيْئًا مِمَّا يُحِبُّونَ أَنْ يَحْمَدَهُمُ النَّاسُ عَلَيْهِ..

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ فَلَا تَظُنَّهُمْ..

﴿بِمَفَازَةٍ﴾ بِمَنْجَاةٍ..

﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ مِنْ عَذَابِ اللهِ الَّذِي أَعَدَّهُ لِأَعْدَائِهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْخَسْفِ وَالْمَسْخِ وَالرَّجْفِ وَالْقَتْلِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ عِقَابِ اللهِ..

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٨٨﴾ [آل عمران: ١٨٨] وَلَا هُمْ بِبَعِيدٍ مِنْهُ.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٨٩﴾ [آل عمران: ١٨٩].

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُكَذِّبًا الَّذِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] لِلَّهِ مُلْكُ..

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ جَمِيعِ مَا حَوَتْهُ السَّمَاوَاتُ..

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ فَكَيْفَ يَكُونُ أَيُّهَا الْمُفْتَرُونَ عَلَىٰ اللهِ مَنْ كَانَ مُلْكُ ذَلِكَ لَهُ فَقِيرًا؟! ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثناؤُهُ أَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَىٰ تَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ لِقَائِلِي ذَلِكَ وَلِكُلِّ مُكَذِّبٍ بِهِ وَمُفْتَرٍ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَرَادَ وَأَحَبَّ، وَلَكِنَّهُ تَفَضَّلَ بِحِلْمِهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، فَقَالَ..

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٨٩﴾ [آل عمران: ١٨٩] مِنْ إِهْلَاكِ قَائِلِ ذَلِكَ، وَتَعْجِيلِ عُقُوبَتِهِ لَهُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠﴾
[آل عمران: ١٩٠].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وَهَذَا احْتِجَاجٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَلَىٰ قَائِلِ ذَلِكَ وَعَلَىٰ سَائِرِ خَلْقِهِ بِأَنَّهُ الْمُدَبِّرُ الْمُصَرِّفُ الْأَشْيَاءَ، وَالْمُسَخِّرُ مَا أَحَبَّ، وَإِنَّ الْإِغْنَاءَ وَالْإِفْقَارَ إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ، فَقَالَ جَلَّ ثناؤُهُ: تَدَبَّرُوا أَيُّهَا النَّاسُ، وَاعْتَبِرُوا، فَفِيمَا أَنْشَأْتُهُ فَخَلَقْتُهُ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِمَعَاشِكُمْ وَأَقْوَاتِكُمْ وَأَرْزَاقِكُمْ..

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ وَفِيمَا عَقَّبْتُ بَيْنَهُ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَجَعَلْتُهُمَا يَخْتَلِفَانِ وَيَعْتَقِبَانِ عَلَيْكُمْ، تَتَصَرَّفُونَ فِي هَذَا لِمَعَاشِكُمْ، وَتَسْكُنُونَ فِي هَذَا رَاحَةً لِأَجْسَادِكُمْ..

﴿لَءَايَٰتٍ﴾ مُعْتَبَرٌ وَمُدَّكَرٌ، وَآيَاتٌ وَعِظَاتٌ..

﴿لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠﴾ [آل عمران: ١٩٠] فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ ذَا لُبٍّ وَعَقْلٍ، يَعْلَمُ أَنَّ مَنْ نَسَبَنِي إِلَىٰ أَنِّي فَقِيرٌ وَهُوَ غَنِيٌّ كَاذِبٌ مُفْتَرٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بِيَدِي أُقَلِّبُهُ وَأُصَرِّفُهُ، وَلَوْ أَبْطَلْتُ ذَلِكَ لَهَلَكْتُمْ، فَكَيْفَ يُنْسَبُ فَقْرٌ إِلَىٰ مَنْ كَانَ كُلُّ مَا بِهِ عَيْشُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِيَدِهِ وَإِلَيْهِ؟! أَمْ كَيْفَ يَكُونُ غَنِيًّا مَنْ كَانَ رِزْقُهُ بِيَدِ غَيْرِهِ، إِذَا شَاءَ رَزَقَهُ، وَإِذَا شَاءَ حَرَمَهُ؟! فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ.

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١﴾ [آل عمران: ١٩١].

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، الذَّاكِرِينَ اللهَ..

﴿قِيَـٰمًا﴾ فِي صَلَاتِهِمْ..

﴿وَقُعُودًا﴾ فِي تَشَهُّدِهِمْ وَفِي غَيْرِ صَلَاتِهِمْ..

﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ نِيَامًا..

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يَعْتَبِرُونَ بِصَنْعَةِ صَانِعِ ذَلِكَ، فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَمَنْ هُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَازِقُهُ، وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَمُدَبِّرُهُ، مَنْ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِيَدِهِ الْإِغْنَاءُ وَالْإِفْقَارُ، وَالْإِعْزَازُ وَالْإِذْلَالُ، وَالْإِحْيَاءُ وَالْإِمَاتَةُ، وَالشَّقَاءُ وَالسَّعَادَةُ، قَائِلِينَ..

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا﴾ لَمْ تَخْلُقْ هَذَا الْخَلْقَ عَبَثًا وَلَا لَعِبًا، لَمْ تَخْلُقْهُ إِلَّا لِأَمْرٍ عَظِيمٍ مِنْ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ وَمُحَاسَبَةٍ وَمُجَازَاةٍ.. وَإِنَّمَا قَالَ: مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا، وَلَمْ يَقُلْ: مَا خَلَقْتَ هَذِهِ، وَلَا هَؤُلَاءِ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِهَذَا الْخَلْقَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ وَرَغْبَتُهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ فِي أَنْ يَقِيَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، وَلَوْ كَانَ الْمَعْنِيَّ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا﴾ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، لَمَا كَانَ لِقَوْلِهِ عُقَيْبَ ذَلِكَ: ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ مَعْنًىٰ مَفْهُومٌ؛ لِأَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَدِلَّةٌ عَلَىٰ بَارِئِهَا، لَا عَلَىٰ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَإِنَّمَا الدَّلِيلُ عَلَىٰ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ.. وَإِنَّمَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا الْمَأْمُورِينَ الْمَنْهِيِّينَ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا لَمْ تَخْلُقْ هَؤُلَاءِ بَاطِلًا عَبَثًا سُبْحَانَكَ، يَعْنِي: تَنْزِيهًا لَكَ مِنْ أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا عَبَثًا، وَلَكِنَّكَ خَلَقْتَهُمْ لِعَظِيمٍ مِنَ الْأَمْرِ، لِجَنَّةٍ أَوْ نَارٍ..

﴿سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران: ١٩١] ثُمَّ فَزِعُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ بِالْمَسْأَلَةِ أَنْ يُجِيرَهُمْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَأَنْ لَا يَجْعَلَهُمْ مِمَّنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ، فَيَكُونُوا مِنْ أَهْلِ جَهَنَّمَ.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ١٩٢﴾ [آل عمران: ١٩٢].

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ إِنَّ مَنْ أُدْخِلَ النَّارَ فَقَدْ أُخْزِيَ بِدُخُولِهِ إِيَّاهَا، وَإِنْ أُخْرِجَ مِنْهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْخِزْيَ إِنَّمَا هُوَ هَتْكُ سِتْرِ الْمَخْزِيِّ وَفَضِيحَتُهُ، وَمَنْ عَاقَبَهُ رَبُّهُ فِي الْآخِرَةِ عَلَىٰ ذُنُوبِهِ، فَقَدْ فَضَحَهُ بِعِقَابِهِ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْخِزْيُ..

﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ١٩٢﴾ [آل عمران: ١٩٢] وَمَا لِمَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللهِ فَعَصَاهُ مِنْ ذِي نُصْرَةٍ لَهُ

يَنْصُرُهُ مِنَ اللهِ فَيُدْفَعُ عَنْهُ عِقَابَهُ أَوْ يُنْقِذُهُ مِنْ عَذَابِهِ.

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران: ١٩٣].

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ رَبَّنَا سَمِعْنَا دَاعِيًا يَدْعُو.. وَالْمُنَادِي فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْقُرْآنُ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ وَصَفَهُمُ اللهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ لَيْسُوا مِمَّنْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ وَلَا عَايَنَهُ، فَسَمِعُوا دُعَاءَهُ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَنِدَاءَهُ، وَلَكِنَّهُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنِ الْجِنِّ إِذْ سَمِعُوا كَلَامَ اللهِ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ① يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن: ١- ٢]..

﴿يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ﴾ إِلَى الْإِيمَانِ..

﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ﴾ يَقُولُ إِلَى التَّصْدِيقِ بِكَ، وَالْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِكَ، وَاتِّبَاعِ رَسُولِكَ وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَنَا بِهِ، وَنَهَانَا عَنْهُ، مِمَّا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِكَ فَآمَنَّا رَبَّنَا..

﴿فَـَٔامَنَّا﴾ فَصَدَّقْنَا بِذَلِكَ يَا رَبَّنَا..

﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ فَاسْتُرْ عَلَيْنَا خَطَايَانَا، وَلَا تَفْضَحْنَا بِهَا فِي الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رُءُوسِ الْأَشْهَادِ، بِعُقُوبَتِكَ إِيَّانَا عَلَيْهَا، وَلَكِنْ كَفِّرْهَا عَنَّا..

﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ فَامْحُهَا بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ إِيَّانَا..

﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران: ١٩٣] وَاقْبِضْنَا إِلَيْكَ إِذَا قَبَضْتَنَا إِلَيْكَ فِي عِدَادِ الْأَبْرَارِ، وَاحْشُرْنَا مَحْشَرَهُمْ وَمَعَهُمْ.. وَالْأَبْرَارُ جَمْعُ بَرٍّ، وَهُمُ الَّذِينَ بَرُّوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ وَخِدْمَتِهِمْ لَهُ، حَتَّىٰ أَرْضَوْهُ فَرَضِيَ عَنْهُمْ.

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران: ١٩٤].

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾ رَبَّنَا أَعْطِنَا..

﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ أَلْسُنِ رِسُلِكَ أَنَّكَ تُعْلِي كَلِمَتَكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ، بِتَأْيِيدِنَا عَلَىٰ مَنْ كَفَرَ بِكَ وَحَادَّكَ وَعَبَدَ غَيْرَكَ، وَعَجِّلْ لَنَا ذَلِكَ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ مَسْأَلَةِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ رَبَّهُمْ أَنْ يُؤْتِيَهُمْ مَا وَعَدَهُمْ، وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ إِخْلَافُ مَوْعِدٍ؟ قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ صِفَةُ مَنْ هَاجَرَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ وَطَنِهِ وَدَارِهِ،

مُفَارِقًا لِأَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ تُبَّاعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِينَ رَغِبُوا إِلَىٰ اللهِ فِي تَعْجِيلِ نُصْرَتِهِمْ عَلَىٰ أَعْدَاءِ اللهِ وَأَعْدَائِهِمْ، فَقَالُوا: رَبَّنَا آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا مِنْ نُصْرَتِكَ عَلَيْهِمْ عَاجِلًا، فَإِنَّكَ لَا تَخْلُفُ الْمِيعَادَ، وَلَكِنْ لَا صَبْرَ لَنَا عَلَىٰ أَنَاتِكَ وَحِلْمِكَ عَنْهُمْ، فَعَجِّلْ حَرْبَهُمْ، وَلَنَا الظَّفَرَ عَلَيْهِمْ، يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ ذَلِكَ آخِرُ الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٩٥] الْآيَاتِ بَعْدَهَا..

﴿وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ فَتَفْضَحَنَا بِذُنُوبِنَا الَّتِي سَلَكَتْ مِنَّا، وَلَكِنْ كَفِّرْهَا عَنَّا وَاغْفِرْهَا لَنَا..

﴿إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾ [آل عمران: ١٩٤] فَإِنَّا قَدْ عَلِمْنَا أَنَّكَ لَا تُخْلِفُ مِيعَادَكَ.

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾ [آل عمران: ١٩٥].

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ فَأَجَابَ هَؤُلَاءِ الدَّاعِينَ بِمَا وَصَفَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ دَعَوْا بِهِ رَبَّهُمْ..

﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم﴾ عَمِلَ خَيْرًا..

﴿مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ﴾ ذَكَرًا كَانَ الْعَامِلُ أَوْ أُنْثَىٰ، وَذُكِرَ أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: مَا بَالُ الرِّجَالِ يُذْكَرُونَ وَلَا تُذْكَرُ النِّسَاءُ فِي الْهِجْرَةِ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي ذَلِكَ هَذِهِ الْآيَةَ..

﴿بَعۡضُكُم﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ..

﴿مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ فِي النُّصْرَةِ وَالْمَسْأَلَةِ وَالدِّينِ، وَحُكْمُ جَمِيعِكُمْ فِيمَا أَنَا بِكُمْ فَاعِلٌ عَلَىٰ حُكْمِ أَحَدِكُمْ فِي أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ ذَكَرٍ مِنْكُمْ وَلَا أُنْثَىٰ..

﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ قَوْمَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَعَشِيرَتَهُمْ فِي اللهِ، إِلَىٰ إِخْوَانِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَالتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ..

﴿وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ وَهُمُ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ أَخْرَجَهُمْ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ مِنْ دِيَارِهِمْ بِمَكَّةَ..

﴿وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾ وَأُوذُوا فِي طَاعَتِهِمْ رَبَّهُمْ، وَعِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَذَلِكَ هُوَ سَبِيلُ اللهِ الَّتِي آذَىٰ فِيهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ الْمُؤْمِنِينَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِهَا..

﴿وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ وَقُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَاتَلُوا فِيهَا..

﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ لَأَمْحُوَنَّهَا عَنْهُمْ، وَلَأَتَفَضَّلَنَّ عَلَيْهِمْ بِعَفْوِي وَرَحْمَتِي، وَلَأَغْفِرَنَّهَا لَهُمْ..

﴿وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا﴾ جَزَاءً لَهُمْ عَلَىٰ مَا عَمِلُوا وَأُبْلُوا فِي اللهِ وَفِي سَبِيلِهِ..

﴿مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ مِنْ قِبَلِ اللهِ لَهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾ [آل عمران: ١٩٥] وَاللهُ عِنْدَهُ مِنْ جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ جَمِيعُ صُنُوفِهِ، وَذَلِكَ مَا لَا يَبْلُغُهُ وَصَفُ وَاصِفٍ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بِشْرٍ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ ثُلَّةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ، الَّذِينَ تُتَّقَىٰ بِهِمُ الْمَكَارِهِ، إِذَا أُمِرُوا سَمِعُوا وَأَطَاعُوا وَإِنْ كَانَتْ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ حَاجَةٌ إِلَىٰ السُّلْطَانِ لَمْ تُقْضَ حَتَّىٰ يَمُوتَ وَهِيَ فِي صَدْرِهِ، وَإِنَّ اللهَ يَدْعُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْجَنَّةَ، فَتَأْتِي بِزُخْرُفِهَا وَزِينَتِهَا، فَيَقُولُ: أَيْنَ عِبَادِيَ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا، وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِي؟ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَدْخُلُونَهَا بِغَيْرِ عَذَابٍ، وَلَا حِسَابٍ، وَتَأْتِي الْمَلَائِكَةُ فَيَسْجُدُونَ وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا نَحْنُ نُسَبِّحُ لَكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَنُقَدِّسُ لَكَ مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آثَرْتَهُمْ عَلَيْنَا؟ فَيَقُولُ الرَّبُّ جَلَّ ثناؤُهُ: هَؤُلَاءِ عِبَادِي الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي، وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي، فَتَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ:** ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد: ٢٤]».

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦﴾ [آل عمران: ١٩٦].

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦﴾ [آل عمران: ١٩٦] تَصَرُّفُهُمْ فِي الْأَرْضِ وَضَرْبُهُمْ فِيهَا.. فَنَهَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ ﷺ عَنِ الِاغْتِرَارِ بِضَرْبِهِمْ فِي الْبِلَادِ، وَإِمْهَالِ اللهِ إِيَّاهُمْ مَعَ شِرْكِهِمْ وَجُحُودِهِمْ نِعَمَهُ، وَعِبَادَتِهِمْ غَيْرَهُ.. وَخَرَجَ الْخِطَابُ بِذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَالْمَعْنِيُّ بِهِ غَيْرُهُ مِنْ أَتْبَاعِهِ وَأَصْحَابِهِ، كَمَا قَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ مِنْ أَمْرِ اللهِ، وَلَكِنْ كَانَ بِأَمْرِ اللهِ صَادِعًا، وَإِلَىٰ الْحَقِّ دَاعِيًا.

﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧﴾ [آل عمران: ١٩٧].

﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ فَإِنَّ تَقَلُّبَهُمْ فِي الْبِلَادِ وَتَصَرُّفَهُمْ فِيهَا مُتْعَةٌ يُمَتَّعُونَ بِهَا قَلِيلًا، حَتَّىٰ يَبْلُغُوا

آجَالَهُمْ، فَتَخْتَرِمُهُمْ مَنِيَّاتُهُمْ..

﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَالْمَأْوَىٰ الْمَصِيرُ الَّذِي يَأْوُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَصِيرُونَ فِيهِ..

﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران: ١٩٧] وَبِئْسَ الْفِرَاشُ وَالْمَضْجَعُ جَهَنَّمُ.

> ﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ [آل عمران: ١٩٨].

﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوُا اللهَ بِطَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَرْضَاتِهِ، فِي الْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ..

﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾ بَسَاتِينُ..

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ بَاقِينَ فِيهَا أَبَدًا..

﴿نُزُلًا﴾ إِنْزَالًا مِنَ اللهِ إِيَّاهُمْ فِيهَا أَنْزَلَهُمُوهَا..

﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ مِنْ قِبَلِ اللهِ، وَمِنْ كَرَامَةِ اللهِ إِيَّاهُمْ، وَعَطَايَاهُ لَهُمْ..

﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ﴾ مِنَ الْحَيَاةِ وَالْكَرَامَةِ، وَحُسْنِ الْمَآبِ..

﴿خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ [آل عمران: ١٩٨] مِمَّا يَتَقَلَّبُ فِيهِ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَإِنَّ الَّذِي يَتَقَلَّبُونَ فِيهِ زَائِلٌ فَانٍ، وَهُوَ قَلِيلٌ مِنَ الْمَتَاعِ خَسِيسٌ، وَمَا عِنْدَ اللهِ مِنْ كَرَامَتِهِ لِلأَبْرَارِ -وَهُمْ أَهْلُ طَاعَتِهِ- بَاقٍ غَيْرُ فَانٍ وَلَا زَائِلٍ.. قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مسعودٍ: (مَا مِنْ نَفْسٍ بَرَّةٍ وَلَا فَاجِرَةٍ إِلَّا وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهَا، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللهِ: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ وَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]).

> ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩٩].

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ فَيُقِرُّ بِوَحْدَانِيَّتِهِ..

﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، يَقُولُ: وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِهِ وَوَحْيِهِ، عَلَىٰ لِسَانِ

رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْكُتُبِ، وَذَلِكَ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ..

﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ خَاضِعِينَ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ، مُسْتَكِينِينَ لَهُ بِهَا مُتَذَلِّلِينَ..

﴿لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ لَا يُحَرِّفُونَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ فِي كُتُبِهِ مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيُبَدِّلُونَهُ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِهِ وَحُجَجِهِ فِيهِ، لِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا خَسِيسٍ، يُعْطُونَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ التَّبْدِيلَ، وَابْتِغَاءَ الرِّيَاسَةِ عَلَىٰ الْجُهَّالِ، وَلَكِنْ يَنْقَادُونَ لِلْحَقِّ، فَيَعْمَلُونَ بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، فِيمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ كُتُبِهِ، وَيَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ فِيهَا، وَيُؤْثِرُونَ أَمْرَ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ هَوَىٰ أَنْفُسِهِمْ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ..

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ لَهُمْ عِوَضُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا، وَثَوَابُ طَاعَتِهِمْ رَبَّهُمْ فِيمَا أَطَاعُوهُ فِيهِ..

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ مَذْخُورٌ ذَلِكَ لَهُمْ لَدَيْهِ، حَتَّىٰ يَصِيرُوا إِلَيْهِ فِي الْقِيَامَةِ، فَيُوَفِّيَهُمْ ذَلِكَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩٩] وَسُرْعَةُ حِسَابِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، أَنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَعْمَلُوهَا، وَبَعْدَ مَا عَمِلُوهَا، فَلَا حَاجَةَ بِهِ إِلَىٰ إِحْصَاءِ عَدَدِ ذَلِكَ، فَيَقَعُ فِي الْإِحْصَاءِ إِبْطَاءٌ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾
[آل عمران: ٢٠٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿ٱصْبِرُوا﴾ عَلَىٰ دِينِكُمْ، وَطَاعَةِ رَبِّكُمْ، عَلَىٰ جَمِيعِ مَعَانِي طَاعَةِ اللهِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ، صَعْبِهَا وَشَدِيدِهَا، وَسَهْلِهَا وَخَفِيفِهَا..

﴿وَصَابِرُوا﴾ أَعْدَاءَكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي الْمُفَاعَلَةِ، أَنْ تَكُونَ مِنْ فَرِيقَيْنِ، أَوِ اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا، وَلَا تَكُونَ مِنْ وَاحِدٍ إِلَّا قَلِيلًا فِي أَحْرُفٍ مَعْدُودَةٍ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَإِنَّمَا أُمِرَ الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يُصَابِرُوا غَيْرَهُمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، حَتَّىٰ يُظَفِّرَهُمُ اللهُ بِهِمْ، وَيُعْلِي كَلِمَتَهُ، وَيُخْزِي أَعْدَاءَهُمْ، وَأَنْ لَا يَكُونَ عَدُوُّهُمْ أَصْبَرَ مِنْهُمْ..

﴿وَرَابِطُوا﴾ أَعْدَاءَكُمْ وَأَعْدَاءَ دِينِكُمْ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ فِي سَبِيلِ اللهِ.. وَأَرَىٰ أَنَّ أَصْلَ الرِّبَاطِ: ارْتِبَاطُ الْخَيْلِ لِلْعَدُوِّ، كَمَا ارْتَبَطَ عَدُوُّهُمْ لَهُمْ خَيْلَهُمْ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ ذَلِكَ فِي كُلِّ مُقِيمٍ فِي ثَغْرٍ،

يَدْفَعُ عَمَّنْ وَرَاءَهُ مَنْ أَرَادَهُ مِنْ أَعْدَائِهِمْ بِسُوءٍ، وَيَحْمِي عَنْهُمْ مِنْ بَيْنِهِ وَبَيْنَهُمْ، مِمَّنْ بَغَاهُمْ بِشَرٍّ كَانَ ذَا خَيْلٍ قَدِ ارْتَبَطَهَا، أَوْ ذَا رَجْلَةٍ لَا مَرْكَبَ لَهُ وَإِنَّمَا قُلْنَا: مَعْنَىٰ ﴿وَرَابِطُوا۟﴾ وَرَابِطُوا أَعْدَاءَكُمْ وَأَعْدَاءَ دِينِكُمْ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْنَىٰ الْمَعْرُوفُ مِنْ مَعَانِي الرِّبَاطِ، وَإِنَّمَا تَوَجَّهُ الْكَلَامُ إِلَىٰ الْأَغْلَبِ الْمَعْرُوفِ فِي اسْتِعْمَالِ النَّاسِ مِنْ مَعَانِيهِ دُونَ الْخَفِيِّ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ بِخِلَافِ ذَلِكَ مَا يُوجِبُ صَرَفَهُ إِلَىٰ الْخَفِيِّ مِنْ مَعَانِيهِ حُجَّةٌ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا مِنْ كِتَابٍ أَوْ خَبَرٍ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، أَوْ إِجْمَاعٍ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ..

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَاحْذَرُوهُ أَنْ تُخَالِفُوا أَمْرَهُ، أَوْ تَتَقَدَّمُوا نَهْيَهُ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾ [آل عمران: ٢٠٠] لِتُفْلِحُوا فَتَبْقُوا فِي نُعَيْمِ الْأَبَدِ، وَتَنْجَحُوا فِي طَلِبَاتِكُمْ عِنْدَهُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ

سُورَةُ النِّسَاءِ (٤) مَدَنِيَّةٌ
وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَسَبْعُونَ وَمِائَةٌ

الْقَوْلُ فِي تَفْسِيرِ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا النِّسَاءُ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ①﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ احْذَرُوا أَيُّهَا النَّاسُ رَبَّكُمْ فِي أَنْ تُخَالِفُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ، وَفِيمَا نَهَاكُمْ، فَيَحِلَّ بِكُمْ مِنْ عُقُوبَتِهِ مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ.. ثُمَّ وَصَفَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- نَفْسَهُ بِأَنَّهُ الْمُتَوَحِّدُ بِخَلْقِ جَمِيعِ الْأَنَامِ مِنْ شَخْصٍ وَاحِدٍ، وَعَرَّفَ عِبَادَهُ كَيْفَ كَانَ مُبْتَدَأُ إِنْشَائِهِ ذَلِكَ مِنَ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ، وَمُنَبِّهُهُمْ بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ جَمِيعَهُمْ بَنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ وَأُمٍّ وَاحِدَةٍ، وَأَنَّ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَأَنَّ حَقَّ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَاجِبٌ وُجُوبَ حَقِّ الْأَخِ عَلَىٰ أَخِيهِ؛ لِاجْتِمَاعِهِمْ فِي النَّسَبِ إِلَىٰ أَبٍ وَاحِدٍ وَأُمٍّ وَاحِدَةٍ، وَأَنَّ الَّذِي يَلْزَمُهُمْ مِنْ رِعَايَةِ بَعْضِهِمْ حَقَّ بَعْضٍ، وَإِنْ بَعُدَ التَّلَاقِي فِي النَّسَبِ إِلَىٰ الْأَبِ الْجَامِعِ بَيْنَهُمْ، مِثْلُ الَّذِي يَلْزَمُهُمْ مِنْ ذَلِكَ فِي النَّسَبِ الْأَدْنَىٰ، وَعَاطِفًا بِذَلِكَ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، لِيَتَنَاصَفُوا، وَلَا يَتَظَالَمُوا، وَلِيَبْذُلَ الْقَوِيُّ مِنْ نَفْسِهِ لِلضَّعِيفِ حَقَّهُ بِالْمَعْرُوفِ، عَلَىٰ مَا أَلْزَمَهُ اللهُ لَهُ، فَقَالَ..

﴿الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يَعْنِي: مِنْ آدَمَ..

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وَخَلَقَ مِنَ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ زَوْجَهَا، يَعْنِي بِـ «الزَّوْجِ» الثَّانِي لَهَا وَهُوَ فِيمَا قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: امْرَأَتُهَا حَوَّاءُ..

﴿وَبَثَّ﴾ وَنَشَرَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ④﴾ [القارعة: ٤]، يُقَالُ مِنْهُ: بَثَّ اللهُ الْخَلْقَ وَأَبَثَّهُمْ..

﴿مِنْهُمَا﴾ مِنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ..

﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ قَدْ رَآهُمْ..

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ الَّذِي إِذَا سَأَلَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا سَأَلَ بِهِ، فَقَالَ السَّائِلُ لِلْمَسْئُولِ: أَسْأَلُكَ بِاللهِ،

وَأَنْشِدُكَ بِاللهِ، وَأُعَزِّمُ عَلَيْكَ بِاللهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَكَمَا تُعَظِّمُونَ أَيُّهَا النَّاسُ رَبَّكُمْ بِأَلْسِنَتِكُمْ، حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّ مَنْ أَعْطَاكُمْ عَهْدَهُ فَأَخفرَكُمُوهُ، فَقَدْ أَتَىٰ عَظِيمًا، فَكَذَلِكَ فَعَظِّمُوهُ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ، وَاجْتِنَابِكُمْ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَاحْذَرُوا عِقَابَهُ مِنْ مُخَالَفَتِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ أَوْ نَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿وَٱلْأَرْحَامَۚ﴾ وَاتَّقُوا الأَرْحَامَ أَنْ تَقْطَعُوهَا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾ إِنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ..

﴿عَلَيْكُمْ﴾ عَلَىٰ النَّاسِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾، وَالْمُخَاطَبُ وَالْغَائِبُ إِذَا اجْتَمَعَا فِي الْخَبَرِ، فَإِنَّ الْعَرَبَ تُخْرِجُ الْكَلَامَ عَلَىٰ الْخِطَابِ، فَتَقُولُ إِذَا خَاطَبَتْ رَجُلًا وَاحِدًا أَوْ جَمَاعَةً فَعَلَتْ هِيَ وَآخَرُونَ غُيَّبٌ مَعَهُمْ فِعْلًا: فَعَلْتُمْ كَذَا، وَصَنَعْتُمْ كَذَا..

﴿رَقِيبًا ١﴾ [النساء: ١] حَفِيظًا، مُحْصِيًا عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ، مُتَفَقِّدًا رِعَايَتَكُمْ حُرْمَةَ أَرْحَامِكُمْ وَصِلَتَكُمْ إِيَّاهَا، وَقَطْعَكُمُوهَا وَتَضْيِيعَكُمْ حُرْمَتَهَا.

﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ٢﴾ [النساء: ٢].

﴿وَءَاتُواْ﴾ وَأَعْطُوا يَا مَعْشَرَ أَوْصِيَاءِ..

﴿ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ﴾ إِذَا هُمْ بَلَغُوا الْحُلُمَ وَأُونِسَ مِنْهُمُ الرُّشْدُ..

﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ﴾ وَلَا تَسْتَبْدِلُوا الْحَرَامَ عَلَيْكُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ بِأَمْوَالِكُمُ الْحَلَالِ لَكُمْ.. فَلَا تَتَبَدَّلُوا أَمْوَالَ أَيْتَامِكُمْ أَيُّهَا الأَوْصِيَاءُ الْحَرَامَ عَلَيْكُمُ الْخَبِيثَ لَكُمْ، فَتَأْخُذُوا رَفَائِعَهَا وَخِيَارَهَا وَجِيَادَهَا بِالطَّيِّبِ الْحَلَالِ لَكُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ، وَتَجْعَلُوا الرَّدِيءَ الْخَسِيسَ بَدَلًا مِنْهُ.. وقالَ البعضُ: أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثناؤُهُ نَهَىٰ عِبَادَهُ أَنْ يَسْتَعْجِلُوا الْحَرَامَ فَيَأْكُلُوهُ قَبْلَ مَجِيءِ الْحَلَالِ، فَيَكُونَ أَكْلُهُمْ ذَلِكَ سَبَبًا لِحِرْمَانِ الطَّيِّبِ مِنْهُ، فَذَلِكَ وَجْهٌ مَعْرُوفٌ، وَهَذَا مَذْهَبٌ مَعْقُولٌ يَحْتَمِلُهُ التَّأْوِيلُ، غَيْرَ أَنَّ الأَشْبَهَ فِي ذَلِكَ بِتَأْوِيلِ الآيَةِ مَا قُلْنَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الأَظْهَرُ مِنْ مَعَانِيهِ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثناؤُهُ إِنَّمَا ذَكَرَ ذَلِكَ فِي قِصَّةِ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ وَأَحْكَامِهَا، فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ جِنْسِ حُكْمِ أَوَّلِ الآيَةِ، فَأَخْرَجَهَا مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ..

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ﴾ وَلَا تَخْلِطُوا..

﴿أَمْوَٰلَهُمْ﴾ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ..

﴿إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ﴾ فَتَأْكُلُوهَا مَعَ أَمْوَالِكُمْ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ أَكْلَكُمْ أَمْوَالَ أَيْتَامِكُمْ مَعَ أَمْوَالِكُمْ..

﴿كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝﴾ [النساء: ٢] إِثْمٌ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ.. وَأَمَّا الْحُوبُ: فَإِنَّهُ الْإِثْمُ، وَيُقَالُ مِنْهُ: قَدْ تَحَوَّبَ الرَّجُلُ مِنْ كَذَا، إِذَا تَأَثَّمَ مِنْهُ، وَمِنْهُ قِيلَ: نَزَلْنَا بِحَوْبَةٍ مِنَ الْأَرْضِ وَبِحَيْبَةٍ مِنَ الْأَرْضِ: إِذَا نَزَلُوا بِمَوْضِعِ سُوءٍ مِنْهَا.. وَالْكَبِيرُ: الْعَظِيمُ.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ۝﴾ [النساء: ٣].

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾ تَعْدِلُوا وَتَنْصِفُوا..

﴿فِي الْيَتَامَىٰ﴾ فَتَعْدِلُوا فِيهَا.. فَالْوَاجِبُ عَلَيْكُمْ مِنَ اتِّقَاءِ اللهِ، وَالتَّحَرُّجِ فِي أَمْرِ النِّسَاءِ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْكُمْ ظَنُّ التَّحَرُّجِ فِي أَمْرِ الْيَتَامَىٰ.. وَالْيَتَامَىٰ: جَمْعٌ لِذُكْرَانِ الْأَيْتَامِ وَإِنَاثِهِمْ..

﴿فَانكِحُوا﴾ كَذَلِكَ خَافُوا أَلَّا تُقْسِطُوا فِي حُقُوقِ النِّسَاءِ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللهُ عَلَيْكُمْ.. وَأَعْلَمَهُمْ اللهُ كَيْفَ التَّخَلُّصُ لَهُمْ مِنَ الْجَوْرِ فِيهِنَّ، كَمَا عَرَّفَهُمُ الْمَخْلَصَ مِنَ الْجَوْرِ فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ، فَقَالَ: انْكِحُوا -إِنْ أَمِنْتُمُ الْجَوْرَ فِي النِّسَاءِ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ-..

﴿مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ مَا أَبَحْتُ لَكُمْ مِنْهُنَّ وَحَلَّلْتُهُ دُونَ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ مِنْهُنَّ.. فَلَا تَتَزَوَّجُوا مِنْهُنَّ إِلَّا مَا لَا تَخَافُونَ أَنْ تَجُورُوا فِيهِ مِنْهُنَّ مِنْ وَاحِدَةٍ إِلَىٰ الْأَرْبَعِ..

﴿مَثْنَىٰ﴾ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ، إِمَّا مَثْنَىٰ إِنْ أَمِنْتُمُ الْجَوْرَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فِيمَا يَجِبُ لَهُمَا عَلَيْكُمْ..

﴿وَثُلَاثَ﴾ وَإِمَّا ثَلَاثٌ إِنْ لَمْ تَخَافُوا ذَلِكَ..

﴿وَرُبَاعَ﴾ وَإِمَّا أَرْبَعٌ إِنْ أَمِنْتُمْ ذَلِكَ فِيهِنَّ..

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ الْجَوْرَ أَيْضًا فِي ذَلِكَ..

﴿أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ فِيمَا يَلْزَمُكُمْ مِنَ الْعَدْلِ فِي مَا زَادَ عَلَىٰ الْوَاحِدَةِ مِنَ النِّسَاءِ عِنْدَكُمْ بِنِكَاحٍ، فِيمَا أَوْجَبَهُ اللهُ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ..

﴿فَوَاحِدَةً﴾ فَانْكِحُوا وَاحِدَةً مِنْهُنَّ..

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ أَيْضًا الْجَوْرَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فِي أَمْرِ الْوَاحِدَةِ بِأَنْ تَقْدِرُوا عَلَىٰ إِنْصَافِهَا، فَلَا تَنْكِحُوهَا، وَلَكِنْ تَسَرَّوْا مِنَ الْمَمَالِيكِ.. فَفِي الْكَلَامِ مَتْرُوكٌ اسْتُغْنِيَ بِدَلَالَةِ مَا ظَهَرَ مِنَ الْكَلَامِ عَنْ ذِكْرِهِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فِي مَثْنَىٰ أَوْ ثُلَاثٍ أَوْ رُبَاعٍ فَنَكَحْتُمْ وَاحِدَةً، أَوْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فِي الْوَاحِدَةِ فَتَسَرَّرْتُمْ مِلْكَ أَيْمَانِكُمْ؛ فَهُوَ..

﴿أَدْنَىٰٓ﴾ أَقْرَبُ وَأَحْرَىٰ..

﴿أَلَّا تَعُولُوا۟ ③﴾ [النساء: ٣] أَنْ لَا تَمِيلُوا وَلَا تَجُورُوا عَلَيْهِنَّ؛ لِأَنَّهُنَّ أَمْلَاكُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ، وَلَا يَلْزَمُكُمْ لَهُنَّ مِنَ الْحُقُوقِ كَالَّذِي يَلْزَمُكُمْ لِلْحَرَائِرِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَقْرَبَ لَكُمْ إِلَىٰ السَّلَامَةِ مِنَ الْإِثْمِ وَالْجَوْرِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ أَمْرَ اللهِ وَنَهْيَهُ عَلَىٰ الْإِيجَابِ وَالْإِلْزَامِ، فَهَلْ مِنْ دَلِيلٍ عَلَىٰ أَنَّ ﴿فَٱنكِحُوا۟﴾ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ عَلَىٰ غَيْرِ وَجْهِ الْإِلْزَامِ وَالْإِيجَابِ؟ قِيلَ: نَعَمْ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُهُ مَخْرَجَ الْأَمْرِ، فَإِنَّهُ بِمَعْنَىٰ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ النَّهْيِ عَنْ نِكَاحِ مَا خَافَ النَّاكِحُ الْجَوْرَ فِيهِ مِنْ عَدَدِ النِّسَاءِ، لَا بِمَعْنَىٰ الْأَمْرِ بِالنِّكَاحِ، فَإِنَّ الْمَعْنِيَّ بِهِ: وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَتَحَرَّجْتُمْ فِيهِنَّ، فَكَذَلِكَ فَتَحَرَّجُوا فِي النِّسَاءِ، فَلَا تَنْكِحُوا إِلَّا مَا أَمِنْتُمُ الْجَوْرَ فِيهِ مِنْهُنَّ مَا أَحْلَلْتُهُ لَكُمْ مِنَ الْوَاحِدَةِ إِلَىٰ الْأَرْبَعِ، وَقَدْ بَيَّنَّا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ بِأَنَّ الْعَرَبَ تُخْرِجُ الْكَلَامَ بِلَفْظِ الْأَمْرِ، وَمَعْنَاهَا فِيهِ النَّهْيُ أَوِ التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وَكَمَا قَالَ: ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ⑤⑤﴾ [النحل: ٥٥]، فَخَرَجَ ذَلِكَ مَخْرَجَ الْأَمْرِ، وَالْمَقْصُودُ بِهِ التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ، وَالزَّجْرُ وَالنَّهْيُ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ بِمَعْنَىٰ النَّهْيِ، فَلَا تَنْكِحُوا إِلَّا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ④﴾ [النساء: ٤].

﴿وَءَاتُوا۟﴾ وَأَعْطُوا..

﴿ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ مُهُورَهُنَّ..

﴿نِحْلَةً﴾ عَطِيَّةً وَاجِبَةً، وَفَرِيضَةً لَازِمَةً.. وَالنِّحْلَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْوَاجِبُ يَقُولُ: لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا بِشَيْءٍ وَاجِبٍ لَهَا، صَدَقَةً يُسَمِّيهَا لَهَا، وَاجِبَةً.. وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَنْكِحَ امْرَأَةً بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا بِصَدَاقٍ وَاجِبٍ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَسْمِيَةُ الصَّدَاقِ كَذِبًا بِغَيْرِ حَقٍّ.. فَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ أَزْوَاجَ النِّسَاءِ الْمَدْخُولِ بِهِنَّ وَالْمُسَمَّىٰ لَهُنَّ الصَّدَاقُ أَنْ يُؤْتُوهُنَّ صَدُقَاتِهِنَّ، دُونَ الْمُطَلَّقَاتِ قَبْلَ الدُّخُولِ مِمَّنْ لَمْ يُسَمَّ لَهَا فِي عَقْدِ النِّكَاحِ صَدَاقٌ..

﴿فَإِن طِبْنَ﴾ فَإِنْ وَهَبْنَ..

﴿لَكُمْ﴾ أَيُّهَا الرِّجَالُ نِسَاؤُكُمْ..

﴿عَن شَيْءٍ مِّنْهُ﴾ مِنْ صَدُقَاتِهِنَّ..

﴿نَفْسًا﴾ طَيِّبَةً بِذَلِكَ أَنْفُسِهِنَّ..

﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا﴾ مَأْخُوذٌ مِنْ (هَنَأْتُ الْبَعِيرَ بِالْقَطِرَانِ) إِذَا جَرِبَ فَعُولِجَ بِهِ، فَكَانَ مَعْنَىٰ قوله: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا﴾ فَكُلُوهُ دَوَاءً شَافِيًا..

﴿مَّرِيٓـًٔا ۝٤﴾ [النساء: ٤] يُقَالُ مِنْهُ: (هَنَأَنِي الطَّعَامُ وَمَرَأَنِي) أَيْ: صَارَ لِي دَوَاءً وَعِلَاجًا شَافِيًا.

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥﴾ [النساء: ٥].

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ﴾ فَلَمْ يُخَصِّصْ سَفِيهًا دُونَ سَفِيهٍ، فَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ أَنْ يُؤْتِيَ سَفِيهًا مَالَهُ صَبِيًّا صَغِيرًا كَانَ أَوْ رَجُلًا كَبِيرًا ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَىٰ، وَالسَّفِيهُ الَّذِي لَا يَجُوزُ لِوَلِيِّهِ أَنْ يُؤْتِيَهُ مَالَهُ، هُوَ الْمُسْتَحِقُّ الْحَجْرَ بِتَضْيِيعِهِ مَالَهُ وَفَسَادِهِ وَإِفْسَادِهِ وَسُوءِ تَدْبِيرِهِ ذَلِكَ، وَأَنَّ مَنْ عَدَا ذَلِكَ فَغَيْرُ سَفِيهٍ، لِأَنَّ الْحَجْرَ لَا يَسْتَحِقُّهُ مَنْ قَدْ بَلَغَ، وَأُونِسَ رُشْدُهُ..

﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ الَّتِي بَعْضُهَا لَكُمْ وَبَعْضُهَا لَهُمْ، فَتُضَيِّعُوهَا، فَقَدْ يَدْخُلُ فِيه أَمْوَالُ الْمَنْهِيِّينَ عَنْ أَنْ يُؤْتُوهُمْ ذَلِكَ، وَأَمْوَالُ السُّفَهَاءِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ غَيْرُ مَخْصُوصٍ مِنْهَا بَعْضُ الْأَمْوَالِ دُونَ بَعْضٍ، وَلَا تَمْنَعُ الْعَرَبُ أَنْ تُخَاطِبَ قَوْمًا خِطَابًا، فَيَخْرُجَ الْكَلَامُ بَعْضُهُ خَبَرٌ عَنْهُمْ وَبَعْضُهُ عَنْ غَيْبٍ، وَذَلِكَ نَحْوُ أَنْ يَقُولُوا: (أَكَلْتُمْ يَا فُلَانُ أَمْوَالَكُمْ بِالْبَاطِلِ) فَيُخَاطَبُ الْوَاحِدُ خِطَابَ الْجَمْعِ بِمَعْنَىٰ أَنَّكَ وَأَصْحَابَكَ، أَوْ وَقَوْمَكَ أَكَلْتُمْ أَمْوَالَكُمْ..

﴿ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ وَلَهُمْ قِيَامًا..

﴿قِيَـٰمًا﴾ قِوَامُكُمْ فِي مَعَايِشِكُمْ..

﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ﴾ وَأَنْفِقُوا عَلَىٰ سُفَهَائِكُمْ مِنْ أَوْلَادِكُمْ وَنِسَائِكُمُ الَّذِينَ تَجِبُ عَلَيْكُمْ نَفَقَتُهُمْ -مِنْ طَعَامِهِمْ وَكِسْوَتِهِمْ فِي أَمْوَالِكُمْ، وَلَا تُسَلِّطُوهُمْ عَلَىٰ أَمْوَالِكُمْ فَيُهْلِكُوهَا- وَعَلَىٰ سُفَهَائِكُمْ مِنْهُمْ مِمَّنْ لَا تَجِبُ عَلَيْكُمْ نَفَقَتُهُ، وَمِنْ غَيْرِهِمُ الَّذِينَ تَلُونَ أَنْتُمْ أُمُورَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِيمَا لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ مُؤَنِهِمْ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ وَكِسْوَتِهِمْ..

﴿وَقُولُواْ﴾ يَا مَعْشَرَ وُلَاةِ السُّفَهَاءِ..

﴿لَهُمْ﴾ لِلسُّفَهَاءِ..

﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝﴾ [النساء: ٥] فِيهِ حَثٌّ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَنَهْيٍ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، مِثْلُ: إِنْ صَلَحْتُمْ وَرَشَدْتُمْ سَلَّمْنَا إِلَيْكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَخَلَّيْنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ.

﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝﴾ [النساء: ٦].

﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ وَاخْتَبِرُوا عُقُولَ يَتَامَاكُمْ فِي أَفْهَامِهِمْ، وَصَلَاحِهِمْ فِي أَدْيَانِهِمْ، وَإِصْلَاحِهِمْ أَمْوَالَهُمْ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾ إِذَا بَلَغُوا الْحُلُمَ..

﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ﴾ فَإِنْ وَجَدْتُمْ مِنْهُمْ وَعَرَفْتُمْ..

﴿رُشْدًا﴾ عَقْلًا وَإِصْلَاحًا لِلْمَالِ، فَإِذَا بَلَغَ وَلَهُ مَالٌ فِي يَدَيْ وَصِيِّ أَبِيهِ أَوْ فِي يَدِ حَاكِمٍ قَدْ وَلِيَ مَالَهُ لِطُفُولَتِهِ، وَاجِبٌ عَلَيْهِ تَسْلِيمُ مَالِهِ إِلَيْهِ، إِذَا كَانَ عَاقِلًا بَالِغًا، مُصْلِحًا لِمَالِهِ، غَيْرَ مُفْسِدٍ..

﴿فَٱدْفَعُوٓاْ﴾ فَيَا وُلَاةَ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ إِذَا بَلَغَ أَيْتَامُكُمُ الْحُلُمَ، فَآنَسْتُمْ مِنْهُمْ عَقْلًا وَإِصْلَاحًا لِأَمْوَالِهِمْ، فَادْفَعُوا..

﴿إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ﴾ وَلَا تَحْبِسُوهَا عَنْهُمْ..

﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا﴾ بِغَيْرِ مَا أَبَاحَهُ اللهُ لَكُمْ..

﴿وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ﴾ وَلَا مُبَادَرَةَ مِنْكُمْ بُلُوغَهُمْ، وَإِينَاسَ الرُّشْدِ مِنْهُمْ، حَذَرًا أَنْ يَبْلُغُوا فَيَلْزَمَكُمْ تَسْلِيمُهُ إِلَيْهِمْ..

﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا﴾ مِنْ وُلَاةِ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ..

﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ﴾ بِمَالِهِ عَنْ أَكْلِهَا بِغَيْرِ الْإِسْرَافِ وَالْبِدَارِ أَنْ يَكْبَرُوا، بِمَا أَبَاحَ اللهُ لَهُ أَكْلَهَا بِهِ..

﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ مَالَ الْيَتِيمِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِ عَلَىٰ وَجْهِ الِاسْتِقْرَاضِ مِنْهُ، فَأَمَّا عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ الْوَجْهِ فَغَيْرُ جَائِزٍ لَهُ أَكْلُهُ..

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ يَا مَعْشَرَ وُلَاةِ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ إِلَى الْيَتَامَىٰ..

﴿أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾ فَأَشْهِدُوا عَلَىٰ الْأَيْتَامِ بِاسْتِيفَائِهِمْ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَدَفْعِكُمُوهُ إِلَيْهِمْ..

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ⓺﴾ [النساء: ٦] وَكَفَىٰ بِاللهِ كَافِيًا مِنَ الشُّهُودِ الَّذِي يُشْهِدُهُمْ وَالِي الْيَتِيمِ عَلَىٰ دَفْعِهِ مَالَ يَتِيمِهِ إِلَيْهِ.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ⓻﴾ [النساء: ٧].

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ لِلذُّكُورِ مِنْ أَوْلَادِ الرَّجُلِ الْمَيِّتِ حِصَّةٌ مِنْ مِيرَاثِهِ..

﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ وَلِلْإِنَاثِ مِنْهُمْ حِصَّةٌ مِنْهُ..

﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ مِنْ قَلِيلِ مَا خَلَّفَ بَعْدَهُ وَكَثِيرِهِ..

﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ⓻﴾ [النساء: ٧] حِصَّةً مَفْرُوضَةً وَاجِبَةً مَعْلُومَةً مُؤَقَّتَةً.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ مِنْ أَجْلِ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يُوَرِّثُونَ الذُّكُورَ دُونَ الْإِنَاثِ.

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ⓼﴾ [النساء: ٨].

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ قِسْمَةَ الْمُوصِي مَالَه بِالْوَصِيَّةِ..

﴿أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أُولُو قَرَابَتِهِ..

﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ فَاقْسِمُوا لَهُمْ مِنْهُ بِالْوَصِيَّةِ، يَعْنِي: فَأَوْصُوا لِأُولِي الْقُرْبَىٰ مِنْ أَمْوَالِكُمْ..

﴿وَقُولُواْ لَهُمْ﴾ يَعْنِي: الْآخَرِينَ وَهُمُ الْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ..

﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا ⓼﴾ [النساء: ٨] يَعْنِي: يَدْعِي لَهُمْ بِخَيْرٍ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ مُحْكَمَةٌ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ.

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ⓽﴾ [النساء: ٩].

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ﴾ لَوْ كَانُوا فَرَّقُوا أَمْوَالَهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ، أَوْ قَسَّمُوهَا وَصِيَّةً مِنْهُمْ بِهَا لِأُولِي قَرَابَتِهِمْ وَأَهْلِ الْيُتْمِ وَالْمَسْكَنَةِ، فَأَبْقَوْا أَمْوَالَهُمْ لِوَلَدِهِمْ خَشْيَةَ الْعَيْلَةِ عَلَيْهِمْ بَعْدَهُمْ، مَعَ ضَعْفِهِمْ وَعَجْزِهِمْ عَنِ الْمَطَالِبِ..

﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ فَلْيَأْمُرُوا مَنْ حَضَرُوهُ وَهُوَ يُوصِي لِذَوِي قَرَابَتِهِ، وَفِي الْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ، وَفِي غَيْرِ ذَٰلِكَ بِمَالِهِ بِالْعَدْلِ..

﴿وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾ [النساء: ٩] وَهُوَ أَنْ يُعَرِّفُوهُ مَا أَبَاحَ اللهُ لَهُ مِنَ الْوَصِيَّةِ وَمَا اخْتَارَهُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِكِتَابِهِ وَسُنَّتِهِ.. وَالسَّدِيدُ مِنَ الْكَلَامِ: هُوَ الْعَدْلُ وَالصَّوَابُ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ [النساء: ١٠].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ بِغَيْرِ حَقٍّ..

﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا فِي الدُّنْيَا، نَارَ جَهَنَّمَ..

﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾ بِأَكْلِهِمْ..

﴿سَعِيرًا ۝١٠﴾ [النساء: ١٠] نَارًا مُسَعَّرَةً، أَيْ: مَوْقُودَةً مُشْعَلَةً، شَدِيدًا حَرُّهَا، فَالسَّعِيرُ صِفَةٌ لِلْجَحِيمِ؛ لِأَنَّ اللهَ قَالَ: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢﴾ [التكوير: ١٢] فَوَصَفَهَا بِأَنَّهَا مَسْعُورَةٌ، ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ أَكَلَةَ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ يَصْلَوْنَهَا، وَهِيَ كَذَلِكَ، فَالسَّعِيرُ إِذًا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ صِفَةٌ لِلْجَحِيمِ..

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا النَّبِيُّ ﷺ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ، قَالَ: **«نَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ لَهُمْ مَشَافِرُ كَمَشَافِرِ الْإِبِلِ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِمْ مَنْ يَأْخُذُ بِمَشَافِرِهِمْ، ثُمَّ يَجْعَلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ صَخْرًا مِنْ نَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَسَافِلِهِمْ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا»**.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١١﴾ [النساء: ١١].

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ يَعْهَدُ اللهُ إِلَيْكُمْ.. فَإِنَّ الْوَصِيَّةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَهْدٌ وَإِعْلَامٌ بِمَعْنَى الْقَوْلِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: لَكُمْ..

﴿فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ مِنْكُمْ، وَخَلَّفَ أَوْلَادًا ذُكُورًا وَإِنَاثًا..

﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ فَلِوَلَدِهِ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ مِيرَاثُهُ أَجْمَعُ بَيْنَهُمْ، لِلذَّكَرِ مِنْهُمْ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ وَارِثٌ غَيْرُهُمْ، سَوَاءٌ فِيهِ صِغَارُ وَلَدِهِ وَكِبَارُهُمْ وَإِنَاثُهُمْ فِي أَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ.. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ تَبْيِينًا مِنَ اللهِ الْوَاجِبَ مِنَ الْحُكْمِ فِي مِيرَاثِ مَنْ مَاتَ وَخَلَّفَ وَرَثَةً عَلَىٰ مَا بَيَّنَ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا لَا يَقْسِمُونَ مِنْ مِيرَاثِ الْمَيِّتِ لِأَحَدٍ مِنْ وَرَثَتِهِ بَعْدَهُ مِمَّنْ كَانَ لَا يُلَاقِي الْعَدُوَّ وَلَا يُقَاتِلُ فِي الْحُرُوبِ مِنْ صِغَارِ وَلَدِهِ، وَلَا لِلنِّسَاءِ مِنْهُمْ، وَكَانُوا يَخُصُّونَ بِذَلِكَ الْمُقَاتِلَةَ دُونَ الذُّرِّيَّةِ، فَأَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ أَنَّ مَا خَلَّفَهُ الْمَيِّتُ بَيْنَ مَنْ سَمَّىٰ وَفَرَضَ لَهُ مِيرَاثًا فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَفِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَالَ فِي صِغَارِ وَلَدِ الْمَيِّتِ وَكِبَارِهِمْ وَإِنَاثِهِمْ: لَهُمْ مِيرَاثُ أَبِيهِمْ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ وَارِثٌ غَيْرُهُمْ، لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ..

﴿فَإِن كُنَّ﴾ فَإِنْ كَانَ الْمَتْرُوكَاتُ..

﴿نِسَآءٗ﴾ بَنَاتِ الْمَيِّتِ..

﴿فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ أَكْثَرَ فِي الْعَدَدِ مِنَ اثْنَتَيْنِ..

﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ﴾ فَلِبَنَاتِهِ الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ بَعْدَهُ مِنْ مِيرَاثِهِ دُونَ سَائِرِ وَرَثَتِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ الْمَيِّتُ خَلَّفَ وَلَدًا ذَكَرًا مَعَهُنَّ..

﴿وَإِن كَانَتۡ﴾ الْمَتْرُوكَةُ..

﴿وَٰحِدَةٗ﴾ ابْنَةً وَاحِدَةً..

﴿فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ﴾ فَلِتِلْكَ الْوَاحِدَةِ نِصْفُ مَا تَرَكَ الْمَيِّتُ مِنْ مِيرَاثِهِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهَا غَيْرُهَا مِنْ وَلَدِ الْمَيِّتِ ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَىٰ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَهَذَا فَرْضُ الْوَاحِدَةِ مِنَ النِّسَاءِ، وَمَا فَوْقَ الِاثْنَتَيْنِ، فَأَيْنَ فَرِيضَةُ الِاثْنَتَيْنِ؟ قِيلَ: فَرِيضَتُهُمْ بِالسُّنَّةِ الْمَنْقُولَةِ.. فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: **«جَاءَتْ امْرَأَةُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ بِابْنَتَيْهَا مِنْ سَعْدٍ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَاتَانِ ابْنَتَا سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، قُتِلَ أَبُوهُمَا مَعَكَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا، وَإِنَّ عَمَّهُمَا أَخَذَ مَالَهُمَا، فَلَمْ يَدَعْ لَهُمَا مَالًا وَلَا تُنْكَحَانِ إِلَّا وَلَهُمَا مَالٌ، قَالَ: يَقْضِي اللهُ فِي ذَلِكَ فَنَزَلَتْ: آيَةُ الْمِيرَاثِ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ عَمِّهِمَا، فَقَالَ: أَعْطِ ابْنَتَيْ سَعْدٍ الثُّلُثَيْنِ، وَأَعْطِ أُمَّهُمَا الثُّمُنَ، وَمَا بَقِيَ فَهُوَ لَكَ»**..

﴿وَلِأَبَوَيۡهِ﴾ وَلِأَبَوَيِ الْمَيِّتِ..

﴿لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ﴾ مِنْ تَرِكَتِهِ وَمَا خَلَّفَ مِنْ مَالِهِ، سَوَاءٌ فِيهِ الْوَالِدَةُ وَالْوَالِدُ، لَا يَزْدَادُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَلَىٰ السُّدُسِ..

﴿إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ ذَكَرًا كَانَ الْوَلَدُ أَوْ أُنْثَىٰ، وَاحِدًا كَانَ أَوْ جَمَاعَةً.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ التَّأْوِيلُ، فَقَدْ يَجِبُ أَنْ لَا يُزَادَ الْوَالِدُ مَعَ الِابْنَةِ الْوَاحِدَةِ عَلَىٰ السُّدُسِ مِنْ مِيرَاثِهِ عَنْ وَلَدِهِ الْمَيِّتِ، وَذَلِكَ إِنْ قُلْتَهُ، قَوْلٌ خِلَافٌ لِمَا عَلَيْهِ الْأُمَّةُ مُجْمِعَةٌ، مِنْ تَصْيِيرِهِمْ بَاقِيَ تَرِكَةِ الْمَيِّتِ مَعَ الِابْنَةِ الْوَاحِدَةِ بَعْدَ أَخْذِهَا نَصِيبَهَا مِنْهَا لِوَالِدِهِ؟ قِيلَ: لَيْسَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ كَالَّذِي ظَنَنْتَ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَبَوَيِ الْمَيِّتِ السُّدُسُ مِنْ تَرِكَتِهِ مَعَ وَلَدِهِ ذَكَرًا كَانَ الْوَلَدُ أَوْ أُنْثَىٰ، وَاحِدًا كَانَ أَوْ جَمَاعَةً، فَرِيضَةً مِنَ اللهِ لَهُ مُسَمَّاةً، فَإِنْ زِيدَ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ بَقِيَّةِ النِّصْفِ مَعَ الِابْنَةِ الْوَاحِدَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ غَيْرُهُ وَغَيْرُ ابْنَةٍ لِلْمَيِّتِ وَاحِدَةٍ، فَإِنَّمَا زِيدَهَا ثَانِيًا لِقُرْبِ عَصَبَةِ الْمَيِّتِ إِلَيْهِ، إِذْ كَانَ حُكْمُ كُلِّ مَا أَبْقَتْهُ سِهَامُ الْفَرَائِضِ، فَلِأَوْلَىٰ عَصَبَةِ الْمَيِّتِ وَأَقْرَبِهِمْ إِلَيْهِ بِحُكْمِ ذَلِكَ لَهَا عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ الْأَبُ أَقْرَبَ عَصَبَةِ ابْنِهِ وَأَوْلَاهَا بِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِابْنِهِ الْمَيِّتِ ابْنٌ..

﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ﴾ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْمَيِّتِ..

﴿وَلَدٌ﴾ ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَىٰ..

﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ دُونَ غَيْرِهِمَا مِنْ وَلَدٍ وَارِثٍ..

﴿فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ فَلِأُمِّهِ مِنْ تَرِكَتِهِ وَمَا خَلَّفَ بَعْدَهُ ثُلُثُ جَمِيعِ ذَلِكَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَنِ الَّذِي لَهُ الثُّلُثَانِ الْآخَرَانِ؟ قِيلَ لَهُ: الْأَبُ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: بِمَاذَا؟ قُلْتُ: بِأَنَّهُ أَقْرَبُ أَهْلِ الْمَيِّتِ إِلَيْهِ، وَلِذَلِكَ تَرَكَ ذِكْرَ تَسْمِيَةِ مَنْ لَهُ الثُّلُثَانِ الْبَاقِيَانِ؛ إِذْ كَانَ قَدْ بَيَّنَ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعِبَادِهِ أَنَّ كُلَّ مَيِّتٍ فَأَقْرَبُ عَصَبَتِهِ بِهِ أَوْلَىٰ بِمِيرَاثِهِ بَعْدَ إِعْطَاءِ ذَوِي السِّهَامِ الْمَفْرُوضَةِ سِهَامَهُمْ مِنْ مِيرَاثِهِ، وَهَذِهِ الْعِلَّةُ هِيَ الْعِلَّةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا سُمِّيَ لِلْأُمِّ مَا سُمِّيَ لَهَا، إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَيِّتُ خَلَّفَ وَارِثًا غَيْرَ أَبَوَيْهِ؛ لِأَنَّ الْأُمَّ لَيْسَتْ بِعَصَبَةٍ فِي حَالٍ لِلْمَيِّتِ، فَبَيَّنَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِعِبَادِهِ مَا فَرَضَ لَهَا مِنْ مِيرَاثِ وَلَدِهَا الْمَيِّتِ، وَتَرَكَ ذِكْرَ مَنْ لَهُ الثُّلُثَانِ الْبَاقِيَانِ مِنْهُ مَعَهَا، إِذْ كَانَ قَدْ عَرَّفَهُمْ فِي جُمْلَةِ بَيَانِهِ لَهُمْ مَنْ لَهُ بَقَايَا تَرِكَةِ الْأَمْوَالِ بَعْدَ أَخْذِ أَهْلِ السِّهَامِ سِهَامَهُمْ وَفَرَائِضَهُمْ، وَكَانَ بَيَانُهُ ذَلِكَ مُغْنِيًا لَهُمْ عَلَىٰ تَكْرِيرِ حُكْمِهِ مَعَ كُلِّ مَنْ قَسَمَ لَهُ حَقًّا مِنْ مِيرَاثِ مَيِّتٍ وَسَمَّىٰ لَهُ مِنْهُ سَهْمًا..

﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ زَمَانٍ: عَنَىٰ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ اثْنَيْنِ كَانَ الْإِخْوَةُ أَوْ أَكْثَرَ مِنْهُمَا، أُنْثَيَيْنِ كَانَتَا أَوْ كُنَّ إِنَاثًا، أَوْ ذَكَرَيْنِ كَانَا أَوْ كَانُوا ذُكُورًا، أَوْ كَانَ أَحَدُهُمَا ذَكَرًا وَالْآخَرُ أُنْثَىٰ، وَاعْتَلَّ كَثِيرٌ مِمَّنْ قَالَ ذَلِكَ بِأَنَّ ذَلِكَ قَالَتْهُ

الْأُمَّةُ عَنْ بَيَانِ اللهِ جَلَّ ثناؤُهُ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ فَنَقَلَتْهُ أُمَّةُ نَبِيِّهِ نَقْلًا مُسْتَفِيضًا قَطَعَ الْعُذْرَ مَجِيئُهُ، وَدَفَعَ الشَّكَّ فِيهِ عَنْ قُلُوبِ الْخَلْقِ وُرُودُهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا الْمَعْنَىٰ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ ذَكَرَ حُكْمَ الْأَبَوَيْنِ مَعَ الْإِخْوَةِ، وَتَرَكَ ذِكْرَ حُكْمِهِمَا مَعَ الْأَخِ الْوَاحِدِ؟ قُلْتُ: اخْتِلَافُ حُكْمِهِمَا مَعَ الْإِخْوَةِ الْجَمَاعَةِ وَالْأَخِ الْوَاحِدِ، فَكَانَ فِي إِبَانَةِ اللهِ جَلَّ ثناؤُهُ لِعِبَادِهِ حُكْمَهُمَا فِيمَا يَرِثَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا الْمَيِّتِ مَعَ إِخْوَتِهِ غِنًىٰ وَكِفَايَةٌ عَنْ أَنَّ حُكْمَهُمَا فِيمَا وَرِثَا مِنْهُ غَيْرُ مُتَغَيِّرٍ عَمَّا كَانَ لَهُمَا وَلَا أَخَ لِلْمَيِّتِ وَلَا وَارِثَ غَيْرُهُمَا، إِذْ كَانَ مَعْلُومًا عِنْدَهُمْ أَنَّ كُلَّ مُسْتَحِقٍّ حَقًّا بِقَضَاءِ اللهِ ذَلِكَ لَهُ، لَا يَنْتَقِلُ حَقُّهُ الَّذِي قَضَىٰ بِهِ لَهُ رَبُّهُ جَلَّ ثناؤُهُ، عَمَّا قَضَىٰ بِهِ لَهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ، إِلَّا بِنَقْلِ اللهِ ذَلِكَ عَنْهُ إِلَىٰ مَنْ نَقَلَهُ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، فَكَانَ فِي فَرْضِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْأُمِّ مَا فَرَضَ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لِوَلَدِهَا الْمَيِّتِ وَارِثٌ غَيْرُهَا وَغَيْرُ وَالِدِهِ، لَوَائِحُ الدَّلَالَةِ الْوَاضِحَةِ لِلْخَلْقِ أَنَّ ذَلِكَ الْمَفْرُوضَ هُوَ ثُلُثُ مَالِ وَلَدِهَا الْمَيِّتِ حَقٌّ لَهَا وَاجِبٌ، حَتَّىٰ يُغَيِّرَ ذَلِكَ الْفَرْضَ مَنْ فَرَضَ لَهَا، فَلَمَّا غَيَّرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مَا فَرَضَ لَهَا مِنْ ذَلِكَ مَعَ الْإِخْوَةِ الْجَمَاعَةِ وَتَرَكَ تَغْيِيرَهُ مَعَ الْأَخِ الْوَاحِدِ، عُلِمَ بِذَلِكَ أَنَّ فَرْضَهَا غَيْرُ مُتَغَيِّرٍ عَمَّا فُرِضَ لَهَا إِلَّا فِي الْحَالِ الَّتِي غَيَّرَهُ فِيهَا مَنْ لَزِمَ الْعِبَادَ طَاعَتُهُ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَحْوَالِ..

﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ فَإِنَّ الَّذِي قَسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِوَلَدِ الْمَيِّتِ الذُّكُورِ مِنْهُمْ وَالْإِنَاثِ وَلِأَبَوَيْهِ مِنْ تَرِكَتِهِ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِهِ، إِنَّمَا يَقْسِمُهُ لَهُمْ عَلَىٰ مَا قَسَمَهُ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ بَعْدِ قَضَاءِ دَيْنِ الْمَيِّتِ الَّذِي مَاتَ وَهُوَ عَلَيْهِ مِنْ تَرِكَتِهِ، وَمِنْ بَعْدِ تَنْفِيذِ وَصِيَّتِهِ فِي بَابِهَا، بَعْدَ قَضَاءِ دَيْنِهِ كُلِّهِ، فَلَمْ يَجْعَلْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِأَحَدٍ مِنْ وَرَثَةِ الْمَيِّتِ، وَلَا لِأَحَدٍ مِمَّنْ أَوْصَىٰ لَهُ بِشَيْءٍ، إِلَّا مِنْ بَعْدِ قَضَاءِ دَيْنِهِ مِنْ جَمِيعِ تَرِكَتِهِ، وَإِنْ أَحَاطَ بِجَمِيعِ ذَلِكَ، ثُمَّ جَعَلَ أَهْلَ الْوَصَايَا بَعْدَ قَضَاءِ دَيْنِهِ شُرَكَاءَ وَرَثَتِهِ فِيمَا بَقِيَ لِمَا أَوْصَىٰ لَهُمْ بِهِ، مَا لَمْ يُجَاوِزْ ذَلِكَ ثُلُثَهُ، فَإِنْ جَاوَزَ ذَلِكَ ثُلُثَهُ جَعَلَ الْخِيَارَ فِي إِجَازَةِ مَا زَادَ عَلَىٰ الثُّلُثِ مِنْ ذَلِكَ أَوْ رَدِّهِ إِلَىٰ وَرَثَتِهِ، إِنْ أَحَبُّوا أَجَازُوا الزِّيَادَةَ عَلَىٰ ثُلُثِ ذَلِكَ، وَإِنْ شَاءُوا رَدُّوهُ؛ فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ الثُّلُثِ فَهُوَ مَاضٍ عَلَيْهِمْ، وَعَلَىٰ كُلِّ مَا قُلْنَا مِنْ ذَلِكَ الْأُمَّةُ مُجْمِعَةٌ..

﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ﴾ أَعْطَوْهُمْ حُقُوقَهُمْ مِنْ مِيرَاثِ مَيِّتِهِمُ الَّذِي أَوْصَيْتُكُمْ أَنْ تُعْطُوهُمُوهَا..

﴿لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ﴾ فَإِنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَيُّهُمْ أَدْنَىٰ وَأَشَدُّ نَفْعًا لَكُمْ فِي عَاجِلِ دُنْيَاكُمْ، وآجِلِ أُخْرَاكُمْ..

﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ، فَرِيضَةً، يَقُولُ: سِهَامًا مَعْلُومَةً مُوَقَّتَةً بَيَّنَهَا اللهُ لَهُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾ إِنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ..

﴿عَلِيمًا﴾ ذَا عِلْمٍ بِمَا يُصْلِحُ خَلْقَهُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَانْتَهُوا إِلَىٰ مَا يَأْمُرُكُمْ، يُصْلِحْ لَكُمْ أُمُورَكُمْ..

﴿حَكِيمًا ⑪﴾ [النساء: ١١] لَمْ يَزَلْ ذَا حِكْمَةٍ فِي تَدْبِيرِهِ، وَهُوَ كَذَٰلِكَ فِيمَا يَقْسِمُ لِبَعْضِكُمْ مِنْ مِيرَاثِ بَعْضٍ، وَفِيمَا يَقْضِي بَيْنَكُمْ مِنَ الْأَحْكَامِ، لَا يَدْخُلُ حُكْمَهُ خَلَلٌ وَلَا زَلَلٌ؛ لِأَنَّهُ قَضَاءُ مَنْ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَوَاضِعُ الْمَصْلَحَةِ فِي الْبَدْءِ وَالْعَاقِبَةِ.

﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ⑫﴾ [النساء: ١٢].

﴿وَلَكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ﴾ بَعْدَ وَفَاتِهِنَّ مِنْ مَالٍ وَمِيرَاثٍ..

﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ يَوْمَ يَحْدُثُ لَهُنَّ الْمَوْتُ لَا ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَىٰ..

﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ﴾ فَإِنْ كَانَ لِأَزْوَاجِكُمْ يَوْمَ يَحْدُثُ لَهُنَّ الْمَوْتُ..

﴿وَلَدٌ﴾ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَىٰ..

﴿فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ﴾ مِنْ مَالٍ وَمِيرَاثٍ، مِيرَاثًا لَكُمْ عَنْهُنَّ..

﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ ذَلِكُمْ لَكُمْ، مِيرَاثًا عَنْهُنَّ مِمَّا يَبْقَىٰ مِنْ تَرِكَاتِهِنَّ وَأَمْوَالِهِنَّ مِنْ بَعْدِ قَضَاءِ دُيُونِهِنَّ الَّتِي يَمُتْنَ وَهِيَ عَلَيْهِنَّ، وَمِنْ بَعْدِ إِنْفَاذِ وَصَايَاهُنَّ الْجَائِزَةِ إِنْ كُنَّ أَوْصَيْنَ بِهَا..

﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٌۚ﴾ وَلِأَزْوَاجِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ رُبُعُ مَا تَرَكْتُمْ بَعْدَ وَفَاتِكُمْ مِنْ مَالٍ وَمِيرَاثٍ، إِنْ حَدَثَ بِأَحَدِكُمْ حَدَثُ الْوَفَاةِ وَلَا وَلَدَ لَهُ، ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَىٰ..

﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٌ﴾ فَإِنْ حَدَثَ بِأَحَدِكُمْ حَدَثُ الْمَوْتِ وَلَهُ وَلَدٌ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَىٰ، وَاحِدًا كَانَ الْوَلَدُ أَوْ جَمَاعَةً..

﴿فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ﴾ فَلِأَزْوَاجِكُمْ حِينَئِذٍ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَتَرِكَتِكُمُ الَّتِي تُخَلِّفُونَهَا بَعْدَ وَفَاتِكُمُ الثُّمُنُ مِنْ بَعْدِ قَضَاءِ دُيُونِكُمُ الَّتِي حَدَثَ بِكُمْ حَدَثَ الْوَفَاةِ وَهِيَ عَلَيْكُمْ، وَمِنْ بَعْدِ إِنْفَاذِ وَصَايَاكُمُ الْجَائِزَةُ الَّتِي تُوصُونَ بِهَا..

﴿مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ فَقَدَّمَ ذِكْرَ الْوَصِيَّةِ عَلَىٰ ذِكْرِ الدَّيْنِ؛ لِأَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ أَنَّ الَّذِي فَرَضْتُ لِمَنْ فَرَضْتُ لَهُ مِنْكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ إِنَّمَا هُوَ لَهُ مِنْ بَعْدِ إِخْرَاجِ أَيِّ هَذَيْنِ كَانَ فِي مَالِ الْمَيِّتِ مِنْكُمْ، مِنْ وَصِيَّةٍ أَوْ دَيْنٍ، فَلِذَلِكَ كَانَ سَوَاءً تَقْدِيمُ ذِكْرِ الْوَصِيَّةِ قَبْلَ ذِكْرِ الدَّيْنِ، وَتَقْدِيمُ ذِكْرِ الدَّيْنِ قَبْلَ ذِكْرِ الْوَصِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ مِنْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ إِخْرَاجَ أَحَدِ الشَّيْئَيْنِ: الدَّيْنِ وَالْوَصِيَّةِ مِنْ مَالِهِ، فَيَكُونُ ذِكْرُ الدَّيْنِ أَوْلَىٰ أَنْ يَبْدَأَ بِهِ مِنْ ذِكْرِ الْوَصِيَّةِ..

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ﴾ أَوِ امْرَأَةٌ..

﴿يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ يُورَثُ مُتَكَلِّلَ النَّسَبِ.. وَالْكَلَالَةُ: الَّذِينَ يَرِثُونَ الْمَيِّتَ مَنْ عَدَا وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ، وَذَلِكَ لِصِحَّةِ الْخَبَرِ الَّذِي ذُكِرَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا يَرِثُنِي كَلَالَةٌ، فَكَيْفَ بِالْمِيرَاثِ؟

﴿أَوِ ٱمۡرَأَةٌ وَلَهُۥٓ﴾ وَلِلرَّجُلِ الَّذِي يُورَثُ كَلَالَةً..

﴿أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ﴾ مِنْ أُمِّهِ..

﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ﴾ إِذَا انْفَرَدَ الْأَخُ وَحْدَهُ أَوِ الْأُخْتُ وَحْدَهَا، وَلَمْ يَكُنْ أَخٌ غَيْرُهُ أَوْ غَيْرُهَا مِنْ أُمِّهِ فَلَهُ السُّدُسُ مِنْ مِيرَاثِ أَخِيهِ لِأُمِّهِ، فَإِنِ اجْتَمَعَ أَخٌ وَأُخْتٌ، أَوْ أَخَوَانِ لَا ثَالِثَ مَعَهُمَا لِأُمِّهِمَا، أَوْ أُخْتَانِ كَذَلِكَ، أَوْ أَخٌ وَأُخْتٌ لَيْسَ مَعَهُمَا غَيْرُهُمَا مِنْ أُمِّهِمَا، فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ مِيرَاثِ أَخِيهِمَا لِأُمِّهِمَا السُّدُسُ..

﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ فَإِنْ كَانَ الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ لِأُمِّ الْمَيِّتِ الْمَوْرُوثِ كَلَالَةً أَكْثَرَ مِنَ اثْنَيْنِ..

﴿فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ﴾ فَالثُّلُثُ الَّذِي فَرَضْتُ لِاثْنَيهِمْ، إِذَا لَمْ يَكُنْ غَيْرُهُمَا مِنْ أُمِّهِمَا

مِيرَاثًا لَهُمَا مِنْ أَخِيهِمَا الْمَيِّتِ الْمَوْرُوثِ كَلَالَةً شَرِكَةٌ بَيْنَهُمْ، إِذَا كَانُوا أَكْثَرَ مِنَ اثْنَيْنِ إِلَىٰ مَا بَلَغَ عَدَدُهُمْ عَلَىٰ عَدَدِ رُءُوسِهِمْ، لَا يُفَضَّلُ ذَكَرٌ مِنْهُمْ عَلَىٰ أُنْثَىٰ فِي ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ بَيْنَهُمْ بِالسَّوِيَّةِ..

﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ أَيْ هَذَا الَّذِي فَرَضْتُ لِأَخِي الْمَيِّتِ الْمَوْرُوثِ كَلَالَةً وَأُخْتِهِ أَوْ إِخْوَتِهِ وَأَخَوَاتِهِ مِنْ مِيرَاثِهِ وَتَرِكَتِهِ، إِنَّمَا هُوَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ قَضَاءِ دَيْنِ الْمَيِّتِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ يَوْمَ حَدَثَ بِهِ حَدَثُ الْمَوْتِ مِنْ تَرِكَتِهِ، وَبَعْدَ إِنْفَاذِ وَصَايَاهُ الْجَائِزَةِ الَّتِي يُوصِي بِهَا فِي حَيَاتِهِ لِمَنْ أَوْصَىٰ لَهُ بِهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ..

﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا غَيْرَ مُضَارٍّ وَرَثَتَهُ فِي مِيرَاثِهِمْ عَنْهُ..

﴿وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ عَهْدًا مِنَ اللهِ إِلَيْكُمْ فِيمَا يَجِبُ لَكُمْ مِنْ مِيرَاثِ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ..

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ ذُو عِلْمٍ بِمَصَالِحِ خَلْقِهِ وَمَضَارِّهِمْ، وَمَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْطَىٰ مِنْ أَقْرِبَاءِ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ وَأَنْسِبَائِهِ مِنْ مِيرَاثِهِ، وَمَنْ يُحْرَمُ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَمَبْلَغِ مَا يَسْتَحِقُّ بِهِ كُلُّ مَنِ اسْتَحَقَّ مِنْهُمْ قَسْمًا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ عِبَادِهِ وَمَصَالِحِهِمْ..

﴿حَلِيمٞ ١٢﴾ [النساء: ١٢] ذُو حِلْمٍ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَذُو أَنَاةٍ فِي تَرْكِهِ مُعَاجَلَتَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ عَلَىٰ ظُلْمِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا فِي إِعْطَائِهِمُ الْمِيرَاثَ لِأَهْلِ الْجَلَدِ وَالْقُوَّةِ مِنْ وَلَدِ الْمَيِّتِ وَأَهْلِ الْغِنَاءِ وَالْبَأْسِ مِنْهُمْ، دُونَ أَهْلِ الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ مِنْ صِغَارِ وَلَدِهِ وَإِنَاثِهِمْ.

﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣﴾ [النساء: ١٣].

﴿تِلۡكَ﴾ هَذِهِ الْقِسْمَةُ الَّتِي قَسَمَهَا لَكُمْ رَبُّكُمْ، وَالْفَرَائِضُ الَّتِي فَرَضَهَا لِأَحْيَائِكُمْ مِنْ مَوْتَاكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، عَلَىٰ مَا فَرَضَ وَبَيَّنَ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ..

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ فُصُولٌ فَصَلَ بِهَا لَكُمْ بَيْنَ طَاعَةِ اللهِ وَمَعْصِيَتِهِ، وَحُدُودٌ لَكُمْ تَنْتَهُونَ إِلَيْهَا فَلَا تَتَعَدَّوْهَا، وَفَصَلَ مِنْكُمْ أَهْلَ طَاعَتِهِ مِنْ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ قِسْمَةِ مَوَارِيثِ مَوْتَاكُمْ بَيْنَكُمْ، وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنْهَا.. وَإِنَّمَا تَرَكَ (طَاعَةَ اللهِ)، وَالْمَعْنِيُّ بِذَلِكَ (حُدُودُ طَاعَةِ اللهِ) اكْتِفَاءً بِمَعْرِفَةِ الْمُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ بِمَعْنَىٰ الْكَلَامِ مِنْ ذِكْرِهَا، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، وَالْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء: ١٤].. فَحَدُّ كُلِّ شَيْءٍ مَا فَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِحُدُودِ الدَّارِ وَحُدودِ الْأَرَضِينَ حُدُودٌ،

لِفُصُولِهَا بَيْنَ مَا حُدَّ بِهَا وَبَيْنَ غَيْرِهِ.. ثُمَّ أَخْبَرَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عَمَّا أَعَدَّ لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ، فَقَالَ لِفَرِيقِ أَهْلِ طَاعَتِهِ فِي ذَلِكَ..

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فِي الْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ وَالانْتِهَاءِ إِلَىٰ مَا حَدَّهُ لَهُ فِي قِسْمَةِ الْمَوَارِيثِ وَغَيْرِهَا، وَيَجْتَنِبُ مَا نَهَاهُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ غَيْرُهُ..

﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾ بَسَاتِينَ..

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ مِنْ تَحْتَ غُرُوسِهَا وَأَشْجَارِهَا..

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ بَاقِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَفْنَوْنَ، وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا..

﴿وَذَٰلِكَ﴾ وَإِدْخَالُ اللهِ إِيَّاهُمُ الْجِنَانَ الَّتِي وَصَفَهَا عَلَىٰ مَا وَصَفَ مِنْ ذَلِكَ..

﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء: ١٣] الْفَلَجُ الْعَظِيمُ.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤].

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فِي الْعَمَلِ بِمَا أَمَرَاهُ بِهِ مِنْ قِسْمَةِ الْمَوَارِيثِ عَلَىٰ مَا أَمَرَاهُ بِقَسْمِهِ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، مُخَالِفًا أَمْرَهُمَا إِلَىٰ مَا نَهَيَاهُ عَنْهُ..

﴿وَيَتَعَدَّ﴾ وَيَتَجَاوَزْ..

﴿حُدُودَهُۥ﴾ فُصُولَ طَاعَتِهِ الَّتِي جَعَلَهَا تَعَالَىٰ فَاصِلَةً بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِهِ إِلَىٰ مَا نَهَاهُ عَنْهُ مِنْ قِسْمَةِ تَرِكَاتِ مَوْتَاهُمْ بَيْنَ وَرَثَتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حُدُودِهِ..

﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا﴾ بَاقِيًا فِيهَا أَبَدًا لَا يَمُوتُ، وَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدًا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَيُخَلَّدُ فِي النَّارِ مَنْ عَصَىٰ اللهَ وَرَسُولَهُ فِي قِسْمَةِ الْمَوَارِيثِ؟ قِيلَ: نَعَمْ، إِذَا جَمَعَ إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِمَا فِي ذَلِكَ شَكًّا فِي أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِ مَا فَرَضَ عَلَىٰ عِبَادِهِ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، أَوْ عَلِمَ ذَلِكَ فَحَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ فِي أَمْرِهِمَا عَلَىٰ مَا ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ قَوْلِ مَنْ قَالَ حِينَ نَزَلَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾ [النساء: ١١] إِلَىٰ تَمَامِ الْآيَتَيْنِ: أَيُوَرَّثُ مَنْ لَا يَرْكَبُ الْفَرَسَ، وَلَا يُقَاتِلُ الْعَدُوَّ وَلَا يَحُوزُ الْغَنِيمَةَ، نِصْفَ الْمَالِ أَوْ جَمِيعَ الْمَالِ؟! اسْتِنْكَارًا مِنْهُمْ قِسْمَةَ اللهِ مَا قَسَمَ لِصِغَارِ وَلَدِ الْمَيِّتِ وَنِسَائِهِ وَإِنَاثِ وَلَدِهِ، فَمَنْ خَالَفَ قِسْمَةَ اللهِ مَا قَسَمَ مِنْ مِيرَاثِ أَهْلِ الْمِيرَاثِ بَيْنَهُمْ، عَلَىٰ مَا قَسَمَهُ فِي كِتَابِهِ، وَخَالَفَ حُكْمَهُ فِي ذَلِكَ وَحُكْمَ

رَسُولِهِ، اسْتِنْكَارًا مِنْهُ حُكْمَهُمَا، كَمَا اسْتَنْكَرَهُ الَّذِينَ ذَكَرَ أَمْرَهُمُ ابْنُ عَبَّاسٍ مِمَّنْ كَانَ بَيْنَ أَظْهُرِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ فِيهِمْ وَفِي أَشْكَالِهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْخُلُودِ فِي النَّارِ؛ لِأَنَّهُ بِاسْتِنْكَارِهِ حُكْمَ اللهِ فِي تِلْكَ يَصِيرُ بِاللهِ كَافِرًا وَمِنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ خَارِجًا..

﴿وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٤﴾ [النساء: ١٤] وَلَهُ عَذَابٌ مُذِلٌّ، مَنْ عُذِّبَ بِهِ مُخْزٍ لَهُ.

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ۝١٥﴾ [النساء: ١٥].

﴿وَٱلَّٰتِي﴾ وَالنِّسَاءُ اللَّاتِي..

﴿يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ يَأْتِينَ بِالزِّنَا، أَيْ يَزْنِينَ..

﴿مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ وَهُنَّ مُحْصَنَاتٌ ذَوَاتُ أَزْوَاجٍ، أَوْ غَيْرُ ذَوَاتِ أَزْوَاجٍ..

﴿فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ﴾ بِمَا أَتَيْنَ مِنَ الْفَاحِشَةِ..

﴿أَرۡبَعَةً﴾ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ..

﴿مِّنكُمۡ﴾ مِنَ الْمُسْلِمِينَ..

﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ عَلَيْهِنَّ..

﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ﴾ فَاحْبِسُوهُنَّ..

﴿فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ﴾ حَتَّى يَمُتْنَ..

﴿أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ۝١٥﴾ [النساء: ١٥] مَخْرَجًا وَطَرِيقًا إِلَى النَّجَاةِ مِمَّا أَتَيْنَ بِهِ مِنَ الْفَاحِشَةِ.. والسَّبِيلُ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ -جَلَّ ثناؤُهُ- لِلثَّيِّبَيْنِ الْمُحْصَنَيْنِ الرَّجْمُ بِالْحِجَارَةِ، وَلِلْبِكْرَيْنِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ؛ لِصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ رَجَمَ وَلَمْ يَجْلِدْ؛ وَإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ الَّتِي لَا يَجُوزُ عَلَيْهَا -فِيمَا نَقَلَتْهُ مُجْمِعَةً عَلَيْهِ- الْخَطَأُ وَالسَّهْوُ وَالْكَذِبُ؛ وَصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنْهُ أَنَّهُ قَضَى فِي الْبِكْرَيْنِ بِجَلْدِ مِائَةٍ وَنَفْيِ سَنَةٍ، فَكَانَ فِي الَّذِي صَحَّ عَنْهُ مِنْ تَرْكِهِ جَلْدَ مَنْ رَجَمَ مِنَ الزُّنَاةِ فِي عَصْرِهِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى وَهْيِ الْخَبَرِ الَّذِي رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ حِطَّانَ، عَنْ عُبَادَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**السَّبِيلُ لِلثَّيِّبِ الْمُحْصَنِ الْجَلْدُ وَالرَّجْمُ**».. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ: (**وَاللَّاتِي يَأْتِينَ بِالْفَاحِشَةِ مِنْ نِسَائِكُمْ**) وَالْعَرَبُ تَقُولُ: أَتَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا، وَبِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَتَكَلَّمْتَ بِكَلَامٍ قَبِيحٍ، وَكَلَامًا قَبِيحًا.

﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَـٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦﴾ [النساء: ١٦].

﴿وَٱلَّذَانِ﴾ وَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ الْبِكْرَانِ غَيْرُ الْمُحْصَنَيْنِ إِذَا زَنَيَا وَكَانَ أَحَدُهُمَا رَجُلًا وَالْآخَرُ امْرَأَةً، وَهُمَا غَيْرُ اللَّوَاتِي تَقَدَّمَ بَيَانُ حُكْمِهِنَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّـٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَـٰحِشَةَ﴾ [النساء: ١٥]؛ لِأَنَّ هَذَيْنِ اثْنَانِ وَأُولَئِكَ جَمَاعَةٌ، وَلِأَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ الْحَبْسَ كَانَ لِلثَّيِّبَاتِ عُقُوبَةً حَتَّىٰ يُتَوَفَّيْنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، لِأَنَّهُ أَغْلَظُ فِي الْعُقُوبَةِ مِنَ الْأَذَىٰ الَّذِي هُوَ تَعْنِيفٌ وَتَوْبِيخٌ أَوْ سَبٌّ وَتَعْيِيرٌ، كَمَا كَانَ السَّبِيلُ الَّتِي جُعِلَتْ لَهُنَّ مِنَ الرَّجْمِ أَغْلَظَ مِنَ السَّبِيلِ الَّتِي جُعِلَتْ لِلْأَبْكَارِ مِنْ جَلْدِ الْمِائَةِ وَنَفْيِ السَّنَةِ..

﴿يَأۡتِيَـٰنِهَا﴾ يَأْتِيَانِ الْفَاحِشَةَ..

﴿مِنكُمۡ﴾ وَهُمَا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ..

﴿فَـَٔاذُوهُمَاۖ﴾ وَالْأَذَىٰ قَدْ يَقَعُ بِكُلِّ مَكْرُوهٍ نَالَ الْإِنْسَانَ مِنْ قَوْلٍ سَيِّئٍ بِاللِّسَانِ أَوْ فِعْلٍ، وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ بَيَانُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ أُمِرَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَئِذٍ، وَلَا خَبَرَ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ نَقْلِ الْوَاحِدِ، وَلَا نَقْلِ الْجَمَاعَةِ الْمُوجِبِ مَجِيئُهَا قَطْعُ الْعُذْرِ، وَأَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي ذَلِكَ مُخْتَلِفُونَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَذًىٰ بِاللِّسَانِ وَالْيَدِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ أَذًىٰ بِأَيِّهِمَا، وَلَيْسَ فِي الْعِلْمِ بِأَيِّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ أَيِّ نَفْعٍ فِي دِينٍ وَلَا دُنْيَا وَلَا فِي الْجَهْلِ بِهِ مَضَرَّةٌ، إِذْ كَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ نَسَخَ ذَلِكَ مِنْ مُحْكَمِهِ بِمَا أَوْجَبَ مِنَ الْحُكْمِ عَلَىٰ عِبَادِهِ فِيهِمَا وَفِي اللَّاتِي قَبْلَهُمَا، فَأَمَّا الَّذِي أَوْجَبَ مِنَ الْحُكْمِ عَلَيْهِمْ فِيهِمَا فَمَا أَوْجَبَ فِي سُورَةِ النُّورِ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾، وَأَمَّا الَّذِي أَوْجَبَ فِي اللَّاتِي قَبْلَهُمَا، فَالرَّجْمُ الَّذِي قَضَىٰ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِمَا، وَأَجْمَعَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ جَمِيعًا عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ جَعَلَ لِأَهْلِ الْفَاحِشَةِ مِنَ الزُّنَاةِ وَالزَّوَانِي سَبِيلًا بِالْحُدُودِ الَّتِي حَكَمَ بِهَا فِيهِمْ..

﴿فَإِن تَابَا﴾ مِنَ الْفَاحِشَةِ الَّتِي أَتَيَا، فَرَاجَعَا طَاعَةَ اللهِ بَيْنَهُمَا..

﴿وَأَصۡلَحَا﴾ دِينَهُمَا بِمُرَاجَعَةِ التَّوْبَةِ مِنْ فَاحِشَتِهِمَا وَالْعَمَلِ بِمَا يُرْضِي اللهَ..

﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ﴾ فَاصْفَحُوا عَنْهُمَا، وَكُفُّوا عَنْهُمَا الْأَذَىٰ الَّذِي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُؤْذُوهُمَا بِهِ عُقُوبَةً لَهُمَا عَلَىٰ مَا أَتَيَا مِنَ الْفَاحِشَةِ، وَلَا تُؤْذُوهُمَا بَعْدَ تَوْبَتِهِمَا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾ إِنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ..

﴿تَوَّابٗا﴾ رَاجِعًا لِعَبِيدِهِ إِلَىٰ مَا يُحِبُّونَ، إِذَا هُمْ رَاجَعُوا مَا يُحِبُّ مِنْهُمْ مِنْ طَاعَتِهِ..

﴿رَّحِيمًا ١٦﴾ [النساء: ١٦] ذُو رَحْمَةٍ وَرَأْفَةٍ بِهِمْ.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧﴾ [النساء: ١٧].

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ مَا اللهُ بِرَاجِعٍ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ إِلَىٰ مَا يُحِبُّهُ مِنَ الْعَفْوِ عَنْهُ وَالصَّفْحِ عَنْ ذُنُوبِهِ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْهُ إِلَّا..

﴿لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾ لِلَّذِينَ يَأْتُونَ مَا يَأْتُونَهُ مِنْ ذُنُوبِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿بِجَهَٰلَةٖ﴾ جَهَالَةً مِنْهُمْ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ مُؤْمِنُونَ.. وَعَمَلُهُمُ السُّوءَ هُوَ الْجَهَالَةُ الَّتِي جَهِلُوهَا عَامِدِينَ كَانُوا لِلْإِثْمِ، أَوْ جَاهِلِينَ بِمَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا؛ لِأَنَّ الْجَاهِلَ بِالشَّيْءِ هُوَ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ وَلَا يَعْرِفُهُ عِنْدَ التَّقَدُّمِ عَلَيْهِ، أَوْ يَعْلَمُهُ فَيُشَبِّهُ فَاعِلُهُ -إِذْ كَانَ خَطَأً مَا فَعَلَهُ- بِالْجَاهِلِ الَّذِي يَأْتِي الْأَمْرَ وَهُوَ بِهِ جَاهِلٌ، فَيُخْطِئُ مَوْضِعَ الْإِصَابَةِ مِنْهُ، فَيُقَالُ: إِنَّهُ لَجَاهِلٌ بِهِ، وَإِنْ كَانَ بِهِ عَالِمًا، لِإِتْيَانِهِ الْأَمْرَ الَّذِي لَا يَأْتِي مِثْلَهُ إِلَّا أَهْلُ الْجَهْلِ بِهِ، وَكَذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾ قِيلَ فِيهِمْ ﴿يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾، وَإِنْ أَتَوْهُ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِمَبْلَغِ عِقَابِ اللهِ أَهْلَهُ، عَامِدِينَ إِتْيَانَهُ، مَعَ مَعْرِفَتِهِمْ بِأَنَّهُ عَلَيْهِمْ حَرَامٌ؛ لِأَنَّ فِعْلَهُمْ ذَلِكَ كَانَ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي لَا يَأْتِي مِثْلَهُ إِلَّا مَنْ جَهِلَ عَظِيمَ عِقَابِ اللهِ عَلَيْهِ أَهْلَهُ، فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَقِيلَ لِمَنْ أَتَاهُ وَهُوَ بِهِ عَالِمٌ: أَتَاهُ بِجَهَالَةٍ، بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ فَعَلَ فِعْلَ الْجُهَّالِ بِهِ، لَا أَنَّهُ كَانَ جَاهِلًا..

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ﴾ ثُمَّ يُرَاجِعُونَ طَاعَةَ اللهِ، وَيَتُوبُونَ مِنْهُ إِلَىٰ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ النَّدَمِ عَلَيْهِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَتَرْكِ الْعَوْدِ إِلَىٰ مِثْلِهِ..

﴿مِن قَرِيبٖ﴾ مِنْ قَبْلِ مَمَاتِهِمْ فِي الْحَالِ الَّتِي يَفْهَمُونَ فِيهَا أَمْرَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَنَهْيَهُ، وَقَبْلَ أَنْ يُغْلَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَعُقُولِهِمْ، وَقَبْلَ حَالِ اشْتِغَالِهِمْ بِكَرْبِ الْحَشْرَجَةِ وَغَمِّ الْغَرْغَرَةِ، فَلَا يَعْرِفُوا أَمْرَ اللهِ وَنَهْيَهُ، وَلَا يَعْقِلُوا التَّوْبَةَ؛ لِأَنَّ التَّوْبَةَ لَا تَكُونُ تَوْبَةً إِلَّا مِمَّنْ نَدِمَ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُ، وَعَزَمَ فِيهِ عَلَىٰ تَرْكِ الْمُعَاوَدَةِ، وَهُوَ يَعْقِلُ النَّدَمَ، وَيَخْتَارُ تَرْكَ الْمُعَاوَدَةِ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ بِكَرْبِ الْمَوْتِ مَشْغُولًا، وَبِغَمِّ الْحَشْرَجَةِ مَغْمُورًا، فَلَا إِخَالُهُ إِلَّا عَنِ النَّدَمِ عَلَىٰ ذُنُوبِهِ مَغْلُوبًا، فَإِنْ كَانَ الْمَرْءُ فِي تِلْكَ الْحَالِ يَعْقِلُ عَقْلَ الصَّحِيحِ، وَيَفْهَمُ فَهْمَ الْعَاقِلِ الْأَرِيبِ، فَأَحْدَثَ إِنَابَةً مِنْ ذُنُوبِهِ، وَرَجْعَةً مِنْ شُرُودِهِ عَنْ رَبِّهِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، كَانَ إِنْ شَاءَ اللهُ مِمَّنْ دَخَلَ فِي وَعْدِ اللهِ الَّذِي وَعَدَ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ مِنْ إِجْرَامِهِمْ مِنْ قَرِيبٍ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ..

﴿يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾ يَرْزُقُهُمْ إِنَابَةً إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَيَتَقَبَّلُ مِنْهُمْ أَوْبَتَهُمْ إِلَيْهِ، وَتَوْبَتَهُمُ الَّتِي أَحْدَثُوهَا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، دُونَ مَنْ لَمْ يَتُبْ، حَتَّىٰ غُلِبَ عَلَىٰ عَقْلِهِ وَغَمَرَتْهُ حَشْرَجَةُ مَيْتَتِهِ، فَقَالَ: وَهُوَ لَا يَفْقَهُ مَا يَقُولُ: ﴿إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨] خِدَاعًا لِرَبِّهِ وَنِفَاقًا فِي دِينِهِ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿عَلِيمًا﴾ بِالنَّاسِ مِنْ عِبَادِهِ الْمُنِيبِينَ إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ بَعْدَ إِدْبَارِهِمْ عَنْهُ، الْمُقْبِلِينَ إِلَيْهِ بَعْدَ التَّوْلِيَةِ، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ خَلْقِهِ..

﴿حَكِيمًا ١٧﴾ [النساء: ١٧] فِي تَوْبَتِهِ عَلَىٰ مَنْ تَابَ مِنْهُمْ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَدْبِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ، وَلَا يَدْخُلُ أَفْعَالَهُ خَلَلٌ، وَلَا يَخْلِطُهُ خَطَأٌ وَلَا زَلَلٌ.

﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨﴾ [النساء: ١٨].

﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ مِنْ أَهْلِ الْإِصْرَارِ عَلَىٰ مَعَاصِي اللهِ مِنَ المسلمين..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ إِذَا حَشْرَجَ أَحَدُهُمْ بِنَفْسِهِ، وَعَايَنَ مَلَائِكَةَ رَبِّهِ قَدْ أَقْبَلُوا إِلَيْهِ لِقَبْضِ رُوحِهِ..

﴿قَالَ﴾ وَقَدْ غُلِبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَهْمِهِ بِشُغْلِهِ بِكَرْبِ حَشْرَجَتِهِ وَغَرْغَرَتِهِ..

﴿إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ فَلَيْسَ لِهَذَا عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تَوْبَةٌ؛ لِأَنَّهُ قَالَ مَا قَالَ فِي غَيْرِ حَالِ تَوْبَةٍ..

﴿وَلَا﴾ التَّوْبَةُ لِـ..

﴿ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ..

﴿أَعۡتَدۡنَا﴾ أَعْدَدْنَا..

﴿لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨﴾ [النساء: ١٨] مُؤْلِمًا مُوجِعًا؛ لِأَنَّهُمْ أَبْعَدَهُمْ مِنَ التَّوْبَةِ كَوْنُهُمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء: ١٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا نِكَاحَ نِسَاءِ أَقَارِبِكُمْ وَآبَائِكُمْ كَرْهًا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ كَانُوا يَرِثُونَهُنَّ؟ وَمَا وَجْهُ تَحْرِيمِ وِرَاثَتِهِنَّ، فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ النِّسَاءَ مُوَرِّثَاتٌ كَمَا الرِّجَالُ مُوَرِّثُونَ؟ قِيلَ إِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ مَعْنَىٰ وِرَاثَتِهِنَّ إِذَا هُنَّ مُتْنَ فَتَرَكْنَ مَالًا، وَإِنَّمَا ذَلِكَ أَنَّهُنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَتْ إِحْدَاهُنَّ إِذَا مَاتَ زَوْجُهَا كَانَ ابْنُهُ أَوْ قَرِيبُهُ أَوْلَىٰ بِهَا مِنْ غَيْرِهِ وَمِنْهَا بِنَفْسِهَا، إِنْ شَاءَ نَكَحَهَا وَإِنْ شَاءَ عَضَلَهَا فَمَنَعَهَا مِنْ غَيْرِهِ وَلَمْ يُزَوِّجْهَا حَتَّىٰ تَمُوتَ، فَحَرَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ ذَلِكَ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَحَظَرَ عَلَيْهِمْ نِكَاحَ حَلَائِلِ آبَائِهِمْ، وَنَهَاهُمْ عَنْ عَضْلِهِنَّ عَنِ النِّكَاحِ.. فَقَدْ عُلِمَ بِذَلِكَ أَنَّهُ جَلَّ ثنَاؤُهُ لَمْ يَحْظُرْ عَلَىٰ عِبَادِهِ أَنْ يَرِثُوا النِّسَاءَ مَا جَعَلَهُ لَهُمْ مِيرَاثًا عَنْهُنَّ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا حَظَرَ أَنْ يُكْرَهْنَ مَوْرُوثَاتٍ بِمَعْنَىٰ حَظْرِ وِرَاثَةِ نِكَاحِهِنَّ إِذَا كَانَ مَيِّتُهُمُ الَّذِي وَرِثُوهُ قَدْ كَانَ مَالِكًا عَلَيْهِنَّ أَمْرَهُنَّ فِي النِّكَاحِ، مِلْكَ الرَّجُلِ مَنْفَعَةَ مَا اسْتَأْجَرَ مِنَ الدُّورِ وَالْأَرَضِينَ وَسَائِرِ مَا لَهُ مَنَافِعُ، فَأَبَانَ اللهُ جَلَّ ثنَاؤُهُ لِعِبَادِهِ أَنَّ الَّذِي يَمْلِكُهُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ مِنْ بُضْعِ زَوْجَتِهِ مَعْنَاهُ غَيْرُ مَعْنَىٰ مَا يَمْلِكُ أَحَدُهُمْ مِنْ مَنَافِعِ سَائِرِ الْمَمْلُوكَاتِ الَّتِي تَجُوزُ إِجَارَتُهَا، فَإِنَّ الْمَالِكَ بُضْعَ زَوْجَتِهِ إِذَا هُوَ مَاتَ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ لَهُ مِلْكًا مِنْ زَوْجَتِهِ بِالنِّكَاحِ لِوَرَثَتِهِ بَعْدَهُ، كَمَا لَهُمْ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي كَانَ يَمْلِكُهَا بِشِرَاءٍ أَوْ هِبَةٍ أَوْ إِجَارَةٍ بَعْدَ مَوْتِهِ بِمِيرَاثِهِ ذَلِكَ عَنْهُ..

﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَعْضُلُوا نِسَاءَكُمْ، فَتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ، وَتَمْنَعُوهُنَّ رِزْقَهُنَّ وَكِسْوَتَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، فَنَهَىٰ اللهُ جَلَّ ثنَاؤُهُ زَوْجَ الْمَرْأَةِ عَنِ التَّضْيِيقِ عَلَيْهَا وَالْإِضْرَارِ بِهَا، وَهُوَ لِصُحْبَتِهَا كَارِهٌ، وَلِفِرَاقِهَا مُحِبٌّ..

﴿لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ مِنْ صَدُقَاتِكُمْ لِتَفْتَدِيَ مِنْهُ بِبَعْضِ مَا آتَاهَا مِنَ الصَّدَاقِ..

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ مِنْ بَذَاءَةٍ بِاللِّسَانِ عَلَىٰ زَوْجِهَا، وَأَذًىٰ لَهُ، وَزِنًا بِفَرْجِهَا، وَخِلَافٍ لَكُمْ فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِنَّ لَكُمْ..

﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ ظَاهِرَةٍ لِلنَّاسِ أَنَّهَا فَاحِشَةٌ، فَيَحِلُّ لَكُمْ حِينَئِذٍ عَضْلُهُنَّ، وَالتَّضْيِيقُ عَلَيْهِنَّ، والضِّرَارُ بِهِنَّ، لِيَفْتَدِينَ مِنْكُمْ، وَلِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ مِنْ صَدَاقٍ، إِنْ هُنَّ افْتَدَيْنَ مِنْكُمْ بِهِ.. فَكُلُّ زَوْجِ امْرَأَةٍ أَتَتْ بِفَاحِشَةٍ مِنَ الْفَوَاحِشِ الَّتِي هِيَ زِنًا أَوْ نُشُوزٌ، فَلَهُ عَضْلُهَا عَلَىٰ مَا بَيَّنَ اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَالتَّضْيِيقُ عَلَيْهَا حَتَّىٰ تَفْتَدِيَ مِنْهُ -بِأَيِّ مَعَانِي فَوَاحِشَ أَتَتْ، بَعْدَ أَنْ تَكُونَ ظَاهِرَةً مُبَيِّنَةً- بِظَاهِرِ كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الذي فيه: «**اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ**

فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»، فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ مِنَ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَىٰ الْمَرْأَةِ أَنْ لَا تُوطِئَ فِرَاشَهُ أَحَدًا، وَأَنْ لَا تَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ، وَأَنَّ الَّذِي يَجِبُ لَهَا مِنَ الرِّزْقِ وَالْكِسْوَةِ عَلَيْهِ، إِذَا أَدَّتْ هِيَ إِلَيْهِ مَا يَجِبُ عَلَيْهَا مِنَ الْحَقِّ، بِتَرْكِهَا إِيطَاءَ فِرَاشِهِ غَيْرَهُ، وَتَرْكِهَا مَعْصِيَتَهُ فِي مَعْرُوفٍ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مِنْ حَقِّكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا» إِنَّمَا هُوَ أَنْ لَا يُمَكِّنَّ أَنْفُسَهُنَّ مِنْ أَحَدٍ سِوَاكُمْ، وَإِذَا كَانَ مَا رَوِينَا فِي ذَٰلِكَ صَحِيحًا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَبَيِّنٌ أَنَّ لِزَوْجِ الْمَرْأَةِ إِذَا أَوْطَأَتِ امْرَأَتُهُ نَفْسَهَا غَيْرَهُ، وَأَمْكَنَتْ مِنْ جِمَاعِهَا سِوَاهُ، أَنَّ لَهُ مَنْعَهَا مِنَ الْكِسْوَةِ وَالرِّزْقِ بِالْمَعْرُوفِ، مِثْلَ الَّذِي لَهُ مِنْ مَنْعِهَا ذَٰلِكَ إِذَا هِيَ عَصَتْهُ فِي الْمَعْرُوفِ، وَإِذَا كَانَ ذَٰلِكَ لَهُ فَمَعْلُومٌ أَنَّهُ غَيْرُ مَانِعٍ لَهَا بِمَنْعِهِ إِيَّاهَا مَالَهُ مَنْعَهَا حَقًّا لَهَا وَاجِبًا عَلَيْهِ، وَإِذَا كَانَ ذَٰلِكَ كَذَٰلِكَ فَبَيِّنٌ أَنَّهَا إِذَا افْتَدَتْ نَفْسَهَا عِنْدَ ذَٰلِكَ مِنْ زَوْجِهَا فَأَخَذَ مِنْهَا زَوْجُهَا مَا أَعْطَتْهُ أَنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ ذَٰلِكَ عَنْ عَضْلٍ مَنْهِيٍّ عَنْهُ، بَلْ هُوَ أَخَذَ مَا أَخَذَ مِنْهَا عَنْ عَضْلٍ لَهُ مُبَاحٍ، وَإِذْ كَانَ ذَٰلِكَ كَذَٰلِكَ كَانَ بَيِّنًا أَنَّهُ دَاخِلٌ فِي اسْتِثْنَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الَّذِي اسْتَثْنَاهُ مِنَ الْعَاضِلِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾.. وَإِذْ صَحَّ ذَٰلِكَ، فَبَيِّنٌ فَسَادُ قَوْلِ مَنْ قَالَ: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ مَنْسُوخٌ بِالْحُدُودِ؛ لِأَنَّ الْحَدَّ حَقُّ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَنْ أَتَىٰ بِالْفَاحِشَةِ الَّتِي هِيَ زِنًا، وَأَمَّا الْعَضْلُ لِتَفْتَدِيَ الْمَرْأَةُ مِنَ الزَّوْجِ بِمَا آتَاهَا أَوْ بِبَعْضِهِ فَحَقٌّ لِزَوْجِهَا، كَمَا عَضْلُهُ إِيَّاهَا وَتَضْيِيقُهُ عَلَيْهَا إِذَا هِيَ نَشَزَتْ عَلَيْهِ لِتَفْتَدِيَ مِنْهُ حَقٌّ لَهُ، وَلَيْسَ حُكْمُ أَحَدِهِمَا يُبْطِلُ حُكْمَ الْآخَرِ..

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ﴾ وَخَالِقُوا أَيُّهَا الرِّجَالُ نِسَاءَكُمْ، وَصَاحِبُوهُنَّ..

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِمَا أُمِرْتُمْ بِهِ مِنَ الْمُصَاحَبَةِ، وَذَٰلِكَ إِمْسَاكُهُنَّ بِأَدَاءِ حُقُوقِهِنَّ الَّتِي فَرَضَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ إِلَيْهِنَّ، أَوْ تَسْرِيحٍ مِنْكُمْ لَهُنَّ بِإِحْسَانٍ، فَلَا تَعْضُلُوا نِسَاءَكُمْ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ، وَلَا نُشُوزٍ كَانَ مِنْهُنَّ، وَلَكِنْ عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ..

﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فَلَعَلَّكُمْ أَنْ تَكْرَهُوهُنَّ، فَتُمْسِكُوهُنَّ..

﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ لَكُمْ فِي إِمْسَاكِكُمْ إِيَّاهُنَّ عَلَىٰ كُرْهٍ مِنْكُمْ لَهُنَّ..

﴿خَيْرًا كَثِيرًا ١٩﴾ [النساء: ١٩] مِنْ وَلَدٍ يَرْزُقُكُمْ مِنْهُنَّ، أَوْ عَطْفِكُمْ عَلَيْهِنَّ بَعْدَ كَرَاهَتِكُمْ إِيَّاهُنَّ.. وَلَوْ كَانَ تَأْوِيلُ الْكَلَامِ: فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِي ذَٰلِكَ الشَّيْءِ الَّذِي تَكْرَهُونَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، كَانَ جَائِزًا صَحِيحًا.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾ [النساء: ٢٠].

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ نِكَاحَ امْرَأَةٍ مَكَانَ امْرَأَةٍ لَكُمْ تُطَلِّقُونَهَا..

﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ﴾ وَقَدْ أَعْطَيْتُمُ الَّتِي تُرِيدُونَ طَلَاقَهَا مِنَ الْمَهْرِ..

﴿قِنطَارًا﴾ مَالًا كَثِيرًا..

﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ فَلَا تَضُرُّوا بِهِنَّ إِذَا أَرَدْتُمْ طَلَاقَهُنَّ لِيَفْتَدِينَ مِنْكُمْ بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ..

﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ﴾ أَتَأْخُذُونَ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ مِنْ مُهُورِهِنَّ..

﴿بُهْتَٰنًا﴾ ظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ..

﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾ [النساء: ٢٠] وَإِثْمًا قَدْ أَبَانَ أَمْرَ آخِذِهِ أَنَّهُ بِأَخْذِهِ إِيَّاهُ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنْهُ ظَالِمٌ.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: ٢١].

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾ وَعَلَىٰ أَيِّ وَجْهٍ تَأْخُذُونَ مِنْ نِسَائِكُمْ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ مِنْ صَدُقَاتِهِنَّ إِذَا أَرَدْتُمْ طَلَاقَهُنَّ وَاسْتِبْدَالَ غَيْرِهِنَّ بِهِنَّ أَزْوَاجًا..

﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ بِالْجِمَاعِ، فَتَبَاشَرْتُمْ وَتَلَامَسْتُمْ، وَهَذَا كَلَامٌ وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُهُ مَخْرَجَ الِاسْتِفْهَامِ فَإِنَّهُ فِي مَعْنَىٰ النَّكِيرِ وَالتَّغْلِيظِ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِآخَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا وَأَنَا غَيْرُ رَاضٍ بِهِ؟ عَلَىٰ مَعْنَىٰ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ..

﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: ٢١] أي: مَا وَثَّقْتُم بِهِ لَهُنَّ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مِنْ عَهْدٍ، وَإِقْرَارٍ مِنْكُمْ بِمَا أَقْرَرْتُمْ بِهِ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، مِنْ إِمْسَاكِهِنَّ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ تَسْرِيحِهِنَّ بِإِحْسَانٍ، وَكَانَ فِي عَقْدِ الْمُسْلِمِينَ النِّكَاحَ قَدِيمًا -فِيمَا بَلَغَنَا- أَنْ يُقَالَ لِلنَّاكِحِ: آللهِ عَلَيْكَ، لَتُمْسِكَنَّ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ لَتُسَرِّحَنَّ بِإِحْسَانٍ.. وهذه آيَةٌ مُحْكَمَةٌ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ، وَغَيْرُ جَائِزٍ لِلرَّجُلِ أَخْذُ شَيْءٍ مِمَّا آتَاهَا إِذَا أَرَادَ طَلَاقَهَا مِنْ غَيْرِ نُشُوزٍ كَانَ مِنْهَا، وَلَا رِيبَةٍ أَتَتْ بِهَا.. وَأَمَّا الَّذِي أَبَاحَ لَهُ أَخْذَهُ مِنْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٢٩] فَهُوَ إِذَا كَانَتْ هِيَ الْمُرِيدَةُ طَلَاقَهُ، وَهُوَ كَارِهٌ لَهُ، وَلَيْسَ فِي حُكْمِ إِحْدَىٰ الْآيَتَيْنِ نَفْيُ حُكْمِ الْأُخْرَىٰ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَمْ يَجُزْ أَنْ يُحْكَمَ لِإِحْدَاهُمَا

بِأَنَّهَا نَاسِخَةٌ، وَلِلْأُخْرَىٰ بِأَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ [النساء: ٢٢].

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟﴾ مِنَ النِّسَاءِ..

﴿مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ مَا كَانَ مِنْ مَنَاكِحِ آبَائِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَتَنَاكَحُونَهَا فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ، فَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ فِي الْإِسْلَامِ بِهَذِهِ الْآيَةِ نِكَاحُ حَلَائِلِ الْآبَاءِ، وَكُلُّ نِكَاحٍ سِوَاهُ نَهَىٰ اللهُ - تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- ابْتِدَاءَ مِثْلِهِ فِي الْإِسْلَامِ، مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَتَنَاكَحُونَهُ فِي شِرْكِهِمْ..

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ مِنْكُمْ، فَمَضَىٰ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ كَانُوا يَخْلُفُونَ عَلَىٰ حَلَائِلِ آبَائِهِمْ، فَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَحَرَّمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِمُ الْمُقَامَ عَلَيْهِنَّ، وَعَفَا لَهُمْ عَمَّا كَانَ سَلَفَ مِنْهُمْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ وَشِرْكِهِمْ مِنْ فِعْلِ ذَلِكَ، وَلَمْ يُؤَاخِذْهُمْ بِهِ، إِنْ هُمُ اتَّقَوُا اللهَ فِي إِسْلَامِهِمْ وَأَطَاعُوهُ فِيهِ..

﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ إِنَّ نِكَاحَكُمُ الَّذِي سَلَفَ مِنْكُمْ، كَنِكَاحِ آبَائِكُمُ الْمُحَرَّمِ عَلَيْكُمُ ابْتِدَاءُ مِثْلِهِ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ تَحْرِيمِي ذَلِكَ عَلَيْكُمْ..

﴿فَٰحِشَةً﴾ مَعْصِيَةٌ..

﴿وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ [النساء: ٢٢] وَبِئْسَ طَرِيقًا وَمَنْهَجًا مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ مِنَ الْمَنَاكِحِ الَّتِي كُنْتُمْ تَتَنَاكَحُونَهَا.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [النساء: ٢٣].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ نِكَاحُ أُمَّهَاتِكُمْ، فَتَرَكَ ذِكْرَ النِّكَاحِ اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ

الْكَلَامِ عَلَيْهِ..

﴿وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ ٱلَّتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّتِي فِي حُجُورِكُم﴾ فَكُلُّ هَؤُلَاءِ اللَّوَاتِي سَمَّاهُنَّ اللهُ تَعَالَىٰ وَبَيَّنَ تَحْرِيمَهُنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُحَرَّمَاتٌ، غَيْرُ جَائِزٍ نِكَاحُهُنَّ لِمَنْ حَرَّمَ اللهُ ذَلِكَ عَلَيْهِ مِنَ الرِّجَالِ، بِإِجْمَاعِ جَمِيعِ الْأُمَّةِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ، إِلَّا فِي أُمَّهَاتِ نِسَائِنَا اللَّوَاتِي لَمْ يَدْخُلْ بِهِنَّ أَزْوَاجُهُنَّ، فَإِنَّ فِي نِكَاحِهِنَّ اخْتِلَافًا بَيْنَ بَعْضِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ إِذَا بَانَتِ الِابْنَةُ قَبْلَ الدُّخُولِ بِهَا مِنْ زَوْجِهَا، هَلْ هُنَّ مِنَ الْمُبْهَمَاتِ، أَمْ هُنَّ مِنَ الْمَشْرُوطِ فِيهِنَّ الدُّخُولُ بِبَنَاتِهِنَّ؟ فَقَالَ جَمِيعُ أَهْلِ الْعِلْمِ مُتَقَدِّمُهُمْ وَمُتَأَخِّرُهُمْ: مِنَ الْمُبْهَمَاتِ، وَحَرَامٌ عَلَىٰ مَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً أُمُّهَا، دَخَلَ بِامْرَأَتِهِ الَّتِي نَكَحَهَا أَوْ لَمْ يَدْخُلْ بِهَا، وَقَالُوا: شَرْطُ الدُّخُولِ فِي الرَّبِيبَةِ دُونَ الْأُمِّ، فَأَمَّا أُمُّ الْمَرْأَةِ فَمُطْلَقَةٌ بِالتَّحْرِيمِ؛ لِأَنَّ اللهَ لَمْ يَشْرِطْ مَعَهُنَّ الدُّخُولَ بِبَنَاتِهِنَّ، كَمَا شَرَطَ مَعَ أُمَّهَاتِ الرَّبَائِبِ، مَعَ أَنَّ ذَلِكَ أَيْضًا إِجْمَاعٌ مِنَ الْحُجَّةِ الَّتِي لَا يَجُوزُ خِلَافُهَا فِيمَا جَاءَتْ بِهِ مُتَّفِقَةً عَلَيْهِ، وَقَدْ رُوِيَ بِذَلِكَ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ خَبَرٌ، غَيْرَ أَنَّ فِي إِسْنَادِهِ نَظَرًا، وَهُوَ «**إِذَا نَكَحَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ فَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُمَّهَا، دَخَلَ بِالِابْنَةِ أَمْ لَمْ يَدْخُلْ، وَإِذَا تَزَوَّجَ الْأُمَّ فَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا ثُمَّ طَلَّقَهَا، فَإِنْ شَاءَ تَزَوَّجَ الِابْنَةَ**»، وَهَذَا خَبَرٌ وَإِنْ كَانَ فِي إِسْنَادِهِ مَا فِيهِ، فَإِنَّ فِي إِجْمَاعِ الْحُجَّةِ عَلَىٰ صِحَّةِ الْقَوْلِ بِهِ مُسْتَغْنًى عَنِ الِاسْتِشْهَادِ عَلَىٰ صِحَّتِهِ بِغَيْرِهِ.

﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ هُوَ الْوُصُولُ إِلَيْهَا بِالْجِمَاعِ.. وَفِي إِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ خَلْوَةَ الرَّجُلِ بِامْرَأَتِهِ لَا يُحَرِّمُ عَلَيْهِ ابْنَتَهَا إِذَا طَلَّقَهَا قَبْلَ مَسِيسِهَا وَمُبَاشَرَتِهَا، أَوْ قَبْلَ النَّظَرِ إِلَىٰ فَرْجِهَا بِالشَّهْوَةِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَعْنَىٰ ذَلِكَ..

﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ دَخَلْتُمْ بِأُمَّهَاتِ رَبَائِبِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ، فَجَامَعْتُمُوهُنَّ حَتَّىٰ طَلَّقْتُمُوهُنَّ..

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي نِكَاحِ مَنْ كَانَ مِنْ رَبَائِبِكُمْ كَذَلِكَ..

﴿وَحَلَٰٓئِلُ﴾ وَأَزْوَاجُ.. وَهِيَ جَمْعُ حَلِيلَةٍ، وَهِيَ امْرَأَتُهُ، وَقِيلَ: سُمِّيَتِ امْرَأَةُ الرَّجُلِ حَلِيلَتَهُ؛ لِأَنَّهَا تَحِلُّ مَعَهُ فِي فِرَاشٍ وَاحِدٍ..

﴿أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ وَلَا خِلَافَ بَيْنَ جَمِيعِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ حَلِيلَةَ ابْنِ الرَّجُلِ حَرَامٌ عَلَيْهِ نِكَاحُهَا بِعَقْدِ ابْنِهِ عَلَيْهَا النِّكَاحَ، دَخَلَ بِهَا أَوْ لَمْ يَدْخُلْ بِهَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا

أَنْتَ قَائِلٌ فِي حَلَائِلِ الْأَبْنَاءِ مِنَ الرَّضَاعِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِنَّمَا حَرَّمَ حَلَائِلَ أَبْنَائِنَا مِنْ أَصْلَابِنَا؟ قِيلَ: إِنَّ حَلَائِلَ الْأَبْنَاءِ مِنَ الرَّضَاعِ، وَحَلَائِلَ الْأَبْنَاءِ مِنَ الْأَصْلَابِ سَوَاءٌ فِي التَّحْرِيمِ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ لِأَنَّ مَعْنَاهُ: وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ وَلَدْتُمُوهُمْ دُونَ حَلَائِلِ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ تَبَنَّيْتُمُوهُمْ..

﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ عِنْدَكُمْ بِنِكَاحٍ، فَـ «إِنْ» فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ..

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ لَكِنْ مَا قَدْ مَضَىٰ مِنْكُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ إِذَا تَابُوا إِلَيْهِ مِنْهَا.. فَيُخْبِرُ بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ غَفُورٌ لِمَنْ كَانَ جَمَعَ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ بِنِكَاحٍ فِي جَاهِلِيَّتِهِ وَقَبْلَ تَحْرِيمِهِ ذَلِكَ، إِذَا اتَّقَىٰ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَعْدَ تَحْرِيمِهِ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَأَطَاعَهُ بِاجْتِنَابِهِ..

﴿رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [النساء: ٢٣] بِهِمْ وَبِغَيْرِهِم مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ فِيمَا كَلَّفَهُمْ مِنَ الْفَرَائِضِ وَخَفَّفَ عَنْهُمْ فَلَمْ يُحَمِّلْهُمْ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ.

﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [النساء: ٢٤].

﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمُحْصَنَاتُ، جَمْعُ مُحْصَنَةٍ، وَهِيَ الَّتِي قَدْ مُنِعَ فَرْجُهَا بِزَوْجٍ، يُقَالُ مِنْهُ: أَحْصَنَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ فَهُوَ يُحْصِنُهَا إِحْصَانًا، وَحَصُنَتْ إِذَا عَفَّتْ، وَهِيَ حَاصِنٌ مِنَ النِّسَاءِ، عَفِيفَةٌ، وَيُقَالُ أَيْضًا إِذَا هِيَ عَفَّتْ وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا مِنَ الْفُجُورِ، قَدْ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَهِيَ مُحْصَنَةٌ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: ١٢] بِمَعْنَىٰ: حَفِظَتْهُ مِنَ الرِّيبَةِ وَمَنَعَتْهُ مِنَ الْفُجُورِ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِحُصُونِ الْمَدَائِنِ وَالْقُرَىٰ حُصُونٌ لِمَنْعِهَا مَنْ أَرَادَهَا وَأَهْلَهَا، وَحِفْظِهَا مَا وَرَاءَهَا مِمَّنْ بَغَاهَا مِنْ أَعْدَائِهَا، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلدِّرْعِ: دِرْعٌ حَصِينَةٌ.. فَإِذَا كَانَ أَصْلُ الْإِحْصَانِ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْمَنْعِ وَالْحِفْظِ فَبَيِّنٌ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾: الْمَمْنُوعَاتُ..

﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ.. وَالْإِحْصَانُ قَدْ يَكُونُ بِالْحُرِّيَّةِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، وَيَكُونُ بِالْإِسْلَامِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥]، وَيَكُونُ بِالْعِفَّةِ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [النور: ٤]، وَيَكُونُ بِالزَّوْجِ، وَلَمْ يَكُنْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَصَّ مُحْصَنَةً دُونَ مُحْصَنَةٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ فَوَاجِبٌ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مُحْصَنَةٍ بِأَيِّ مَعَانِي الْإِحْصَانِ كَانَ إِحْصَانُهَا، حَرَامًا عَلَيْنَا سِفَاحًا أَوْ نِكَاحًا..

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ إِلَّا مَا مَلَكَتْهُ أَيمَانُنَا مِنْهُنَّ بِشِرَاءٍ، كَمَا أَبَاحَهُ لَنَا كِتَابُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، أَوْ نِكَاحٌ عَلَىٰ مَا أَطْلَقَهُ لَنَا تَنْزِيلُ اللهِ، فَالَّذِي أَبَاحَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَنَا نِكَاحًا مِنَ الْحَرَائِرِ الْأَرْبَعِ، سِوَىٰ اللَّوَاتِي حُرِّمْنَ عَلَيْنَا بِالنَّسَبِ وَالصِّهْرِ، وَمِنَ الْإِمَاءِ مَا سَبَيْنَا مِنَ الْعَدُوِّ، سِوَىٰ اللَّوَاتِي وَافَقَ مَعْنَاهُنَّ مَعْنَىٰ مَا حُرِّمَ عَلَيْنَا مِنَ الْحَرَائِرِ بِالنَّسَبِ وَالصِّهْرِ، فَإِنَّهُنَّ وَالْحَرَائِرُ فِيمَا يَحِلُّ وَيَحْرُمُ بِذَلِكَ الْمَعْنَىٰ مُتَّفِقَاتُ الْمَعَانِي، وَسِوَىٰ اللَّوَاتِي سَبَيْنَاهُنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ وَلَهُنَّ أَزْوَاجٌ، فَإِنَّ السِّبَاءَ يُحِلُّهُنَّ لِمَنْ سَبَاهُنَّ بَعْدَ الِاسْتِبْرَاءِ، وَبَعْدَ إِخْرَاجِ حَقِّ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الَّذِي جَعَلَهُ لِأَهْلِ الْخُمُسِ مِنْهُنَّ، فَأَمَّا السِّفَاحُ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَرَّمَهُ مِنْ جَمِيعِهِنَّ، فَلَمْ يُحِلَّهُ مِنْ حُرَّةٍ وَلَا أَمَةٍ وَلَا مُسْلِمَةٍ وَلَا كَافِرَةٍ مُشْرِكَةٍ، وَأَمَّا الْأَمَةُ الَّتِي لَهَا زَوْجٌ فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمَالِكِهَا إِلَّا بَعْدَ طَلَاقِ زَوْجِهَا إِيَّاهَا، أَوْ وَفَاتِهِ وَانْقِضَاءِ عِدَّتِهَا مِنْهُ، فَأَمَّا بَيْعُ سَيِّدِهَا إِيَّاهَا فَغَيْرُ مُوجِبٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا فِرَاقًا وَلَا تَحْلِيلًا لِمُشْتَرِيهَا، لِصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَنَّهُ خَيَّرَ بَرِيرَةَ إِذْ أَعْتَقَتْهَا عَائِشَةُ بَيْنَ الْمَقَامِ مَعَ زَوْجِهَا الَّذِي كَانَ سَادَتُهَا زَوَّجُوهَا مِنْهُ فِي حَالِ رِقِّهَا، وَبَيْنَ فِرَاقِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْ ﷺ عِتْقَ عَائِشَةَ إِيَّاهَا طَلَاقًا، وَلَوْ كَانَ عِتْقُهَا وَزَوَالُ مِلْكِ عَائِشَةَ إِيَّاهَا لَهَا طَلَاقًا لَمْ يَكُنْ لِتَخْيِيرِ النَّبِيِّ ﷺ إِيَّاهَا بَيْنَ الْمَقَامِ مَعَ زَوْجِهَا وَالْفِرَاقِ مَعْنًىٰ، وَلَوَجَبَ بِالْعِتْقِ الْفِرَاقُ، وَبِزَوَالِ مِلْكِ عَائِشَةَ عَنْهَا الطَّلَاقُ، فَلَمَّا خَيَّرَهَا النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الَّذِي ذَكَرْنَا وَبَيْنَ الْمَقَامِ مَعَ زَوْجِهَا وَالْفِرَاقِ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ لَمْ يُخَيِّرْ بَيْنَ ذَلِكَ إِلَّا وَالنِّكَاحُ عَقْدُهُ ثَابِتٌ، كَمَا كَانَ قَبْلَ زَوَالِ مِلْكِ عَائِشَةَ عَنْهَا..

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ كِتَابًا مِنَ اللهِ عَلَيْكُمْ، بِمَعْنَىٰ: كَتَبَ اللهُ تَحْرِيمَ مَا حَرُمَ مِنْ ذَلِكَ وَتَحْلِيلَ مَا حُلِّلَ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ كِتَابًا..

﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ﴾ مَا عَدَا.. كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ [البقرة: ٩١] يَعْنِي: بِمَا عَدَاهُ وَبِمَا سِوَاهُ..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الْمُحَرَّمَاتِ الْمُبَيَّنَاتِ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ بِالنَّسَبِ وَالصِّهْرِ، وَالْمُحَرَّمَاتِ مِنَ

الْمُحْصَنَاتِ مِنَ النِّسَاءِ..

﴿أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم﴾ أَنْ تَطْلُبُوا وَتَلْتَمِسُوا بِأَمْوَالِكُمْ، إِمَّا شِرَاءً بِهَا، وَإِمَّا نِكَاحًا بِصَدَاقٍ مَعْلُومٍ..

﴿مُّحْصِنِينَ﴾ أَعِفَّاءَ بِابْتِغَائِكُمْ مَا وَرَاءَ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ مِنَ النِّسَاءِ بِأَمْوَالِكُمْ نِكَاحًا وَمِلْكَ يَمِينٍ..

﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَۚ﴾ غَيْرَ مُزَانِينَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: عَرَفْنَا الْمُحَلَّلَاتِ اللَّوَاتِي هُنَّ وَرَاءَ الْمُحَرَّمَاتِ بِالْأَنْسَابِ وَالْأَصْهَارِ، فَمَا الْمُحَلَّلَاتُ مِنَ الْمُحْصَنَاتِ وَالْمُحَرَّمَاتُ مِنْهُنَّ؟ قِيلَ: هُوَ مَا دُونَ الْخَمْسِ مِنْ وَاحِدَةٍ إِلَىٰ أَرْبَعٍ، فَأَمَّا مَا عَدَا ذَوَاتِ الْأَزْوَاجِ فَغَيْرُ عَدَدٍ مَحْصُورٍ بِمِلْكِ الْيَمِينِ، وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ عَامٌّ فِي كُلِّ مُحَلَّلٍ لَنَا مِنَ النِّسَاءِ أَنْ نَبْتَغِيَهَا بِأَمْوَالِنَا..

﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ فَمَا نَكَحْتُمُوهُ مِنْهُنَّ فَجَامَعْتُمُوهُ..

﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ صَدُقَاتِهِنَّ.. لِقِيَامِ الْحُجَّةِ بِتَحْرِيمِ اللهِ مُتْعَةَ النِّسَاءِ عَلَىٰ غَيْرِ وَجْهِ النِّكَاحِ الصَّحِيحِ، أَوِ الْمِلْكِ الصَّحِيحِ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، فَعن سَبْرَةَ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اسْتَمْتِعُوا مِنْ هَذِهِ النِّسَاءِ» وَالِاسْتِمْتَاعُ عِنْدَنَا يَوْمَئِذٍ التَّزْوِيجُ.. وَأَمَّا مَا رُوِيَ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ قِرَاءَتِهِمَا: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ)، فَقِرَاءَةٌ بِخِلَافِ مَا جَاءَتْ بِهِ مَصَاحِفُ الْمُسْلِمِينَ، وَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ أَنْ يُلْحِقَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ شَيْئًا لَمْ يَأْتِ بِهِ الْخَبَرُ الْقَاطِعُ الْعُذْرَ عَمَّنْ لَا يَجُوزُ خِلَافُهُ..

﴿فَرِيضَةًۚ﴾ مَعْلُومَةً..

﴿وَلَا جُنَاحَ﴾ وَلَا حَرَجَ..

﴿عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ﴾ أَنْتُمْ وَنِسَاؤُكُمْ..

﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِۚ﴾ مِنْ بَعْدِ إِعْطَائِهِنَّ أُجُورَهُنَّ عَلَىٰ النِّكَاحِ الَّذِي جَرَىٰ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ مِنْ حَطِّ مَا وَجَبَ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ، أَوْ إِبْرَاءٍ أَوْ تَأْخِيرٍ وَوَضْعٍ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةًۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ [النساء: ٤]..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ إِنَّ اللهَ كَانَ ذَا عِلْمٍ بِمَا يُصْلِحُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِي مَنَاكِحِكُمْ وَغَيْرِهَا مِنْ أُمُورِكُمْ وَأُمُورِ سَائِرِ خَلْقِهِ بِمَا يُدَبِّرُ لَكُمْ وَلَهُمْ مِنَ التَّدْبِيرِ، وَفِيمَا يَأْمُرُكُمْ وَيَنْهَاكُمْ..

﴿حَكِيمًا ۝٢٤﴾ [النساء: ٢٤] لَا يَدْخُلُ حِكْمَتَهُ خَلَلٌ وَلَا زَلَلٌ.

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٥﴾ [النساء: ٢٥].

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ وَمَنْ لَمْ يَجِدْ..

﴿مِنكُمْ طَوْلًا﴾ سَعَةً مِنْ مَالٍ..

﴿أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ الْحَرَائِرَ..

﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ اللَّوَاتِي قَدْ صَدَّقْنَ بِتَوْحِيدِ اللهِ وَبِمَا جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْحَقِّ..

﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم﴾ فَلْيَنْكِحْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ..

﴿مِّن فَتَيَاتِكُمُ﴾ جَمْعُ فَتَاةٍ، وَهُنَّ الشَّوَابُّ مِنَ النِّسَاءِ، ثُمَّ يُقَالُ لِكُلِّ مَمْلُوكَةٍ ذَاتِ سِنٍّ أَوْ شَابَّةٍ فَتَاةٌ، وَالْعَبْدُ فَتًى..

﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ هُوَ دَلَالَةٌ عَلَىٰ تَحْرِيمِ نِكَاحِ إِمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِنَّهُنَّ لَا يَحْلِلْنَ إِلَّا بِمِلْكِ الْيَمِينِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَحَلَّ نِكَاحَ الْإِمَاءِ بِشُرُوطٍ، فَمَا لَمْ تَجْتَمِعِ الشُّرُوطُ الَّتِي سَمَّاهَا فِيهِنَّ، فَغَيْرُ جَائِزٍ لِمُسْلِمٍ نِكَاحُهُنَّ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ تَدُلُّ عَلَىٰ إِبَاحَتِهِنَّ بِالنِّكَاحِ؟ قِيلَ: إِنَّ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ قَدْ أَبَانَ أَنَّ حُكْمَهَا فِي خَاصٍّ مِنْ مُحْصَنَاتِهِمْ، وَأَنَّهَا مَعْنِيٌّ بِهَا حَرَائِرُهُمْ دُونَ إِمَائِهِمْ..

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم﴾ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِ مَنْ آمَنَ مِنْكُمْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَصَدَّقَ بِذَلِكَ كُلِّهِ مِنْكُمْ..

﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ فَلْيَنْكِحْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَلْيَنْكِحْ هَذَا فَتَاةَ هَذَا.. فَلْيَنْكِحْ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا لِحُرَّةٍ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ، لِيَنْكِحَ هَذَا الْمُقْتِرُ الَّذِي لَا يَجِدُ طَوْلًا لِحُرَّةٍ مِنْ هَذَا الْمُوسِرِ فَتَاتَهُ الْمُؤْمِنَةَ الَّتِي قَدْ أَبْدَتِ الْإِيمَانَ فَأَظْهَرَتْهُ، وَكِلُوا سَرَائِرَهُنَّ إِلَىٰ اللهِ، فَإِنَّ عِلْمَ

ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ دُونَكُمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِسَرَائِرِكُمْ وَسَرَائِرِهِنَّ..

﴿فَأَنكِحُوهُنَّ﴾ فَتَزَوَّجُوهُنَّ..

﴿بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ بِإِذْنِ أَرْبَابِهِنَّ، وَأَمْرِهِمْ إِيَّاكُمْ بِنِكَاحِهِنَّ وَرِضَاهُمْ..

﴿وَءَاتُوهُنَّ﴾ وَأَعْطُوهُنَّ..

﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مُهُورَهُنَّ..

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ عَلَىٰ مَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ، مِمَّا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ، وَأَبَاحَهُ لَكُمْ، أَنْ تَجْعَلُوهُ مُهُورًا لَهُنَّ..

﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ عَفِيفَاتٍ..

﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ غَيْرَ مُزَانِيَاتٍ..

﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَصْدِقَاءٍ عَلَىٰ السِّفَاحِ.. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ قِيلَ كَذَلِكَ، لِأَنَّ الزَّوَانِي كُنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي الْعَرَبِ الْمُعْلِنَاتِ بِالزِّنَا، وَالْمُتَّخِذَاتِ الْأَخْدَانَ: اللَّوَاتِي قَدْ حَبَسْنَ أَنْفُسَهُنَّ عَلَىٰ الْخَلِيلِ وَالصَّدِيقِ لِلْفُجُورِ بِهَا سِرًّا دُونَ الْإِعْلَانِ بِذَلِكَ.. فَالْمُسَافِحُ: الَّذِي يَلْقَىٰ الْمَرْأَةَ فَيَفْجُرُ بِهَا، ثُمَّ يَذْهَبُ وَتَذْهَبُ، وَالْمُخَادِنُ: الَّذِي يُقِيمُ مَعَهَا عَلَىٰ مَعْصِيَةِ اللهِ وَتُقِيمُ مَعَهُ، فَذَاكَ الْأَخْدَانُ..

﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ فَإِذَا أَسْلَمْنَ فَصِرْنَ مَمْنُوعَاتِ الْفُرُوجِ مِنَ الْحَرَامِ بِالْإِسْلَامِ، أَوْ فَإِذَا تَزَوَّجْنَ فَصِرْنَ مَمْنُوعَاتِ الْفُرُوجِ مِنَ الْحَرَامِ بِالْأَزْوَاجِ؛ لِأَنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ عَلَىٰ الْأَمَةِ ذَاتِ الْإِسْلَامِ وَغَيْرِ ذَاتِ الْإِسْلَامِ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ الْحَدَّ، فَقَالَ ﷺ: «**إِذَا زَنَتْ أَمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَجْلِدْهَا -كِتَابَ اللهِ- وَلَا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إِذَا عَادَتْ فَلْيَضْرِبْهَا -كِتَابَ اللهِ- وَلَا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إِنْ عَادَتْ فَلْيَضْرِبْهَا -كِتَابَ اللهِ- وَلَا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إِنْ زَنَتِ الرَّابِعَةَ فَلْيَضْرِبْهَا -كِتَابَ اللهِ- وَلْيَبِعْهَا وَلَوْ بِحَبْلٍ مِنْ شَعْرٍ**»، وَقَالَ ﷺ: «**أَقِيمُوا الْحُدُودَ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»، فَلَمْ يُخَصِّصْ بِذَلِكَ ذَاتَ زَوْجٍ مِنْهُنَّ وَلَا غَيْرَ ذَاتِ زَوْجٍ، فَالْحُدُودُ وَاجِبَةٌ عَلَىٰ مَوَالِي الْإِمَاءِ إِقَامَتُهَا عَلَيْهِنَّ إِذَا فَجَرْنَ بِكِتَابِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.. فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾، دَلَالَةً عَلَىٰ أَنَّ قَوْلَهُ ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ مَعْنَاهُ: تَزَوَّجْنَ؛ إِذْ كَانَ ذِكْرُ ذَلِكَ بَعْدَ وَصْفِهِنَّ بِالْإِيمَانِ بِقَوْلِهِ ﴿مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾، وَحَسِبَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَحْتَمِلُ مَعْنًىٰ غَيْرَ مَعْنَىٰ التَّزْوِيجِ، مَعَ مَا تَقَدَّمَ ذَلِكَ مِنْ وَصْفِهِنَّ بِالْإِيمَانِ، فَقَدْ ظَنَّ خَطَأً، وَذَلِكَ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَحِيلٍ فِي الْكَلَامِ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ، فَإِذَا هُنَّ آمَنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ، فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَىٰ الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ،

فَيَكُونُ الْخَبَرُ بَيَانًا عَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحَدِّ إِذَا أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ بَعْدَ إِيمَانِهِنَّ بَعْدَ الْبَيَانِ عَمَّا لَا يَجُوزُ لِنَاكِحِهِنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نِكَاحِهِنَّ، وَعَمَّنْ يَجُوزُ نِكَاحُهُ لَهُ مِنْهُنَّ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ غَيْرَ مُسْتَحِيلٍ فِي الْكَلَامِ، فَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ صَرْفُ مَعْنَاهُ إِلَىٰ أَنَّهُ التَّزْوِيجُ دُونَ الْإِسْلَامِ، مِنْ أَجْلِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ وَصْفِ اللهِ إِيَّاهُنَّ بِالْإِيمَانِ..

﴿فَإِنْ أَتَيْنَ﴾ فَإِنْ أَتَتْ فَتَيَاتُكُمْ، وَهُنَّ إِمَاؤُكُمْ، بَعْدَ مَا أُحْصِنَّ بِإِسْلَامٍ، أَوْ أُحْصِنَّ بِنِكَاحٍ..

﴿بِفَاحِشَةٍ﴾ وَهِيَ الزِّنَا..

﴿فَعَلَيْهِنَّ﴾ فَلَازِمُ أَبْدَانِهِنَّ أَنْ تُجْلَدَ، كَمَا يُقَالُ: عَلَيَّ صَلَاةُ يَوْمٍ، بِمَعْنَىٰ: لَازِمٌ عَلَيَّ أَنْ أُصَلِّيَ صَلَاةَ يَوْمٍ، وَعَلَيَّ الْحَجُّ وَالصِّيَامُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ: عَلَيْهِ الْحَدُّ، بِمَعْنَىٰ لَازِمٌ لَهُ إِمْكَانُ نَفْسِهِ مِنَ الْحَدِّ لِيُقَامَ عَلَيْهِ..

﴿نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَىٰ الْحَرَائِرِ مِنَ الْحَدِّ إِذَا هُنَّ زَنَيْنَ قَبْلَ الْإِحْصَانِ بِالْأَزْوَاجِ..

﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ وَهُوَ الْحَدُّ، وَذَلِكَ النِّصْفُ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ عَذَابًا لِمَنْ أَتَىٰ بِالْفَاحِشَةِ مِنَ الْإِمَاءِ إِذَا هُنَّ أُحْصِنَّ خَمْسُونَ جَلْدَةً، وَنَفْيُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَذَلِكَ نِصْفُ عَامٍ، لِأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَىٰ الْحُرَّةِ إِذَا هِيَ أَتَتْ بِفَاحِشَةٍ قَبْلَ الْإِحْصَانِ بِالزَّوْجِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ حَوْلٍ، فَالنِّصْفُ مِنْ ذَلِكَ خَمْسُونَ جَلْدَةً، وَنَفْيُ نِصْفِ سَنَةٍ، وَذَلِكَ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ عَذَابًا لِلْإِمَاءِ الْمُحْصَنَاتِ إِذَا هُنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي أَبَحْتُ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ نِكَاحِ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ لِمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ مِنْكُمْ طَوْلًا لِنِكَاحِ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ، أَبَحْتُهُ..

﴿لِمَنْ خَشِيَ﴾ لِمَنْ خَافَ..

﴿ٱلْعَنَتَ﴾ وَهُوَ الضَّرَرُ فِي دِينِهِ وَبَدَنِهِ.. وَذَلِكَ أَنَّ الْعَنَتَ هُوَ مَا ضَرَّ الرَّجُلَ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]، فَالَّذِينَ وَجَّهُوا تَأْوِيلَ ذَلِكَ إِلَىٰ الزِّنَا، قَالُوا: الزِّنَا ضَرَرٌ فِي الدِّينِ، وَهُوَ مِنَ الْعَنَتِ، وَالَّذِينَ وَجَّهُوهُ إِلَىٰ الْإِثْمِ، قَالُوا: الْآثَامُ كُلُّهَا ضَرَرٌ فِي الدِّينِ وَهِيَ مِنَ الْعَنَتِ، وَالَّذِينَ وَجَّهُوهُ إِلَىٰ الْعُقُوبَةِ الَّتِي تُعْنِتُهُ فِي بَدَنِهِ مِنَ الْحَدِّ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: الْحَدُّ مَضَرَّةٌ عَلَىٰ بَدَنِ الْمَحْدُودِ فِي دُنْيَاهُ، وَهُوَ مِنَ الْعَنَتِ، وَقَدْ عَمَّ اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ﴾ جَمِيعَ مَعَانِي الْعَنَتِ، وَيَجْمَعُ جَمِيعَ ذَلِكَ الزِّنَا، لِأَنَّهُ يُوجِبُ الْعُقُوبَةَ عَلَىٰ صَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا بِمَا يُعْنِتُ بَدَنَهُ، وَيَكْتَسِبُ بِهِ إِثْمًا وَمَضَرَّةً فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَقَدِ اتَّفَقَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ الَّذِي هُمْ أَهْلُهُ، عَلَىٰ

أَنَّ ذَلِكَ مَعْنَاهُ، فَهُوَ وَإِنْ كَانَ فِي عَيْنِهِ لَذَّةٌ وَقَضَاءُ شَهْوَةٍ فَإِنَّهُ بِأَدَائِهِ إِلَىٰ الْعَنَتِ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ مَوْصُوفٌ بِهِ إِنْ كَانَ لِلْعَنَتِ سَبَبًا..

﴿مِنكُمْ﴾ دُونَ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَا يَخْشَىٰ..

﴿وَأَن تَصْبِرُوا﴾ عَنْ نِكَاحِ الْإِمَاءِ..

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لَكُمْ نِكَاحَ الْإِمَاءِ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ عَلَىٰ مَا أَحَلَّ لَكُمْ وَأَذِنَ لَكُمْ بِهِ، وَمَا سَلَفَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ إِنْ أَصْلَحْتُمْ أُمُورَ أَنْفُسِكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللهِ..

﴿رَّحِيمٌ ۝﴾ [النساء: ٢٥] بِكُم، إِذْ أَذِنَ لَكُمْ فِي نِكَاحِهِنَّ عِنْدَ الِافْتِقَارِ وَعَدَمِ الطَّوْلِ لِلْحُرَّةِ.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝﴾ [النساء: ٢٦].

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ..

﴿وَيَهْدِيَكُمْ﴾ وَلِيُسَدِّدَكُمْ..

﴿سُنَنَ﴾ سُبُلَ..

﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَمِنَاهِجِهِمْ، وَفِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ مِنْ نِكَاحِ الْأُمَّهَاتِ وَالْبَنَاتِ وَالْأَخَوَاتِ، وَسَائِرِ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ فِي الْآيَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَيَّنَ فِيهِمَا مَا حَرُمَ مِنَ النِّسَاءِ..

﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ يُرِيدُ اللهُ أَنْ يَرْجِعَ بِكُمْ إِلَىٰ طَاعَتِهِ فِي ذَلِكَ، مِمَّا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ فِي فِعْلِكُمْ ذَلِكَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَقَبْلَ أَنْ يُوحِيَ مَا أَوْحَىٰ إِلَىٰ نَبِيِّهِ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ، لِيَتَجَاوَزَ لَكُمْ بِتَوْبَتِكِمْ عَمَّا سَلَفَ مِنْكُمْ مِنْ قَبِيحِ ذَلِكَ قَبْلَ إِنَابَتِكُمْ وَتَوْبَتِكُمْ..

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ وَاللهُ ذُو عِلْمٍ بِمَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ فِي أَدْيَانِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ، وَبِمَا يَأْتُونَ وَيَذَرُونَ مَا أَحَلَّ أَوْ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ، حَافِظٌ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَيْهِمْ..

﴿حَكِيمٌ ۝﴾ [النساء: ٢٦] بِتَدْبِيرِهِ فِيهِمْ فِي تَصْرِيفِهِمْ فِيمَا صَرَفَهُمْ فِيهِ.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ۝﴾ [النساء: ٢٧].

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يُرَاجِعَ بِكُمْ طَاعَتَهُ، وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، لِيَعْفُوَ لَكُمْ عَمَّا سَلَفَ مِنْ آثَامِكُمْ، وَيَتَجَاوَزَ لَكُمْ عَمَّا كَانَ مِنْكُمْ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ مِنِ اسْتِحْلَالِكُمْ مَا هُوَ حَرَامٌ

عَلَيْكُمْ مِنْ نِكَاحِ حَلَائِلِ آبَائِكُمْ وَابْنَائِكُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا كُنْتُمْ تَسْتَحِلُّونَهُ وَتَأْتُونَهُ، مِمَّا كَانَ غَيْرَ جَائِزٍ لَكُمْ إِتْيَانُهُ مِنْ مَعَاصِي اللهِ..

﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ، وَطُلَّابِ الزِّنَا، وَنِكَاحِ الْأَخَوَاتِ مِنَ الْآبَاءِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا حَرَّمَهُ اللهُ.. وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ كَانَ دَاخِلًا فِي الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَالزُّنَاةِ وَكُلِّ مُتَّبِعٍ بَاطِلًا، لِأَنَّ كُلَّ مُتَّبِعٍ مَا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ فَمُتَّبِعٌ شَهْوَةَ نَفْسِهِ..

﴿أَن تَمِيلُواْ﴾ عَنْ أَمْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَتَجُورُوا عَنْهُ بِإِتْيَانِكُمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَرُكُوبِكُمْ مَعَاصِيهِ..

﴿مَيْلًا﴾ جَوْرًا وَعُدُولًا..

﴿عَظِيمًا ٢٧﴾ [النساء: ٢٧] شَدِيدًا عَنِ الْحَقِّ، وَعَمَّا أَذِنَ اللهُ لَكُمْ فِيهِ، فَتَجُورُوا عَنْ طَاعَتِهِ إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ، وَتَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ فِي اتِّبَاعِ شَهَوَاتِ أَنْفُسِكُمْ فِيمَا حَرَّمَ اللهُ وَتَرْكِ طَاعَتِهِ.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ٢٨﴾ [النساء: ٢٨].

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ﴾ يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُيَسِّرَ عَلَيْكُمْ بِإِذْنِهِ لَكُمْ فِي نِكَاحِ الْفَتَيَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعُوا طَوْلًا لِحُرَّةٍ..

﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ٢٨﴾ [النساء: ٢٨] يَسَّرَ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ إِذَا كُنْتُمْ غَيْرَ مُسْتَطِيعِي الطَّوْلِ لِلْحَرَائِرِ، لِأَنَّكُمْ خُلِقْتُمْ ضُعَفَاءَ عَجَزَةً عَنْ تَرْكِ جِمَاعِ النِّسَاءِ قَلِيلِي الصَّبْرِ عَنْهُ، فَأَذِنَ لَكُمْ فِي نِكَاحِ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ عِنْدَ خَوْفِكُمُ الْعَنَتَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَلَمْ تَجِدُوا طَوْلًا لِحُرَّةٍ لِئَلَّا تَزْنُوا، لِقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَلَىٰ تَرْكِ جِمَاعِ النِّسَاءِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩﴾ [النساء: ٢٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ لَا يَأْكُلْ بَعْضُكُمْ أَمْوَالَ بَعْضٍ بِمَا حَرَّمَ عَلَيْهِ مِنَ الرِّبَا وَالْقِمَارِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي نَهَاكُمُ اللهُ عَنْهَا..

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْأَمْوَالُ الَّتِي تَأْكُلُونَهَا بَيْنَكُمْ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ، فَيَحِلُّ لَكُمْ هُنَالِكَ أَكْلُهَا، فَتَكُونُ الْأَمْوَالُ مُضْمَرَةً فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ﴾، وَالتِّجَارَةُ مَنْصُوبَةٌ عَلَىٰ الْخَبَرِ.. وَقَرَأَهَا بَعْضُهُمْ: (**إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةٌ**)، رَفْعًا بِمَعْنَىٰ: إِلَّا أَنْ تُوجَدَ تِجَارَةٌ، أَوْ تَقَعَ تِجَارَةٌ عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ، فَيَحِلُّ لَكُمْ أَكْلُهَا حِينَئِذٍ بِذَلِكَ الْمَعْنَىٰ، وَمَذْهَبُ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ: أَنْ (**تَكُونَ**) تَامَّةٌ هَهُنَا، لَا حَاجَةَ بِهَا إِلَىٰ خَبَرٍ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ.. وَكِلْتَا الْقِرَاءَتَيْنِ عِنْدَنَا صَوَابٌ جَائِزُ الْقِرَاءَةِ بِهِمَا، لِاسْتِفَاضَتِهِمَا فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ مَعَ تَقَارُبِ مَعَانِيهِمَا.. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ إِبَانَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ تَكْذِيبِ قَوْلِ الْجَهَلَةِ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُنْكِرِينَ طَلَبَ الْأَقْوَاتِ بِالتِّجَارَاتِ وَالصِّنَاعَاتِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ اكْتِسَابًا أَحَلَّهُ لَهَا..

﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ عَنْ تَرَاضٍ بَيْنَ الْمُتَبَايِعَيْنِ، فَمَا تَفَرَّقَ الْمُتَبَايِعَانِ عَلَىٰ الْمَجْلِسِ الَّذِي تَوَاجَبَا فِيهِ بَيْنَهُمَا عُقْدَةَ الْبَيْعِ بِأَبْدَانِهِمَا، عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا بِالْعَقْدِ الَّذِي جَرَىٰ بَيْنَهُمَا، وَعَنْ تَخْيِيرِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا**»، يعني: بَعْدَ عَقْدِ الْبَيْعِ، كَمَا كَانَ التَّخْيِيرُ بَعْدَهُ..

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ وَلَا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَأَنْتُمْ أَهْلُ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ وَدَعْوَةٍ وَاحِدَةٍ وَدِينٍ وَاحِدٍ، فَجَعَلَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَهْلَ الْإِسْلَامِ كُلَّهُمْ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَجَعَلَ الْقَاتِلَ مِنْهُمْ قَتِيلًا -فِي قَتْلِهِ إِيَّاهُ مِنْهُمْ- بِمَنْزِلَةِ قَتْلِهِ نَفْسَهُ، إِذْ كَانَ الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ أَهْلَ يَدٍ وَاحِدَةٍ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ مِلَّتَهُمَا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩﴾ [النساء: ٢٩] إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَمْ يَزَلْ رَحِيمًا بِخَلْقِهِ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ بِكُمْ كَفَّ بَعْضَكُمْ عَنْ قَتْلِ بَعْضٍ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، بِتَحْرِيمِ دِمَاءِ بَعْضِكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَظَرَ أَكْلَ مَالِ بَعْضِكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ بِالْبَاطِلِ، إِلَّا عَنْ تِجَارَةٍ يَمْلِكُ بِهَا عَلَيْهِ بِرِضَاهُ وَطِيبِ نَفْسِهِ، لَوْلَا ذَلِكَ هَلَكْتُمْ وَأَهْلَكَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا قَتْلًا وَسَلْبًا وَغَصْبًا.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠﴾

[النساء: ٣٠].

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ مِنْ نِكَاحِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَعَضْلِ الْمُحَرَّمِ عَضْلُهَا مِنَ النِّسَاءِ، وَأَكْلِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ، وَقَتْلِ الْمُحَرَّمِ قَتْلُهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ

مِمَّا وَعَدَ اللهُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ الْعُقُوبَةَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَجْعَلَ قَوْلَهُ: ﴿ذَٰلِكَ﴾ مَعْنِيًّا بِهِ جَمِيعَ مَا أَوْعَدَ اللهُ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ؟ قِيلَ: مَنَعَ ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ فَصْلٍ مِنْ ذَلِكَ قَدْ قُرِنَ بِالْوَعِيدِ، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٨﴾ [النساء: ١٨]، وَلَا ذِكْرَ لِلْعُقُوبَةِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا حَرَّمَ اللهُ فِي الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهُ، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾، فَكَانَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ مَعْنِيًّا بِهِ مَا قُلْنَا مِمَّا لَمْ يُقْرَنْ بِالْوَعِيدِ مَعَ إِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ تَوَعَّدَ عَلَىٰ كُلِّ ذَلِكَ أَوْلَىٰ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِهِ مَا سَلَفَ فِيهِ الْوَعِيدُ بِالنَّهْيِ مَقْرُونًا قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿عُدْوَانًا﴾ تَجَاوُزًا لِمَا أَبَاحَ اللهُ لَهُ إِلَىٰ مَا حَرَّمَهُ عَلَيْهِ..

﴿وَظُلْمًا﴾ فِعْلًا مِنْهُ ذَلِكَ بِغَيْرِ مَا أَذِنَ اللهُ بِهِ، وَرُكُوبًا مِنْهُ مَا قَدْ نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ..

﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ فَسَوْفَ نُورِدُهُ نَارًا يَصْلَىٰ بِهَا فَيَحْتَرِقُ فِيهَا..

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ وَكَانَ إِصْلَاءُ فَاعِلِ ذَلِكَ النَّارَ وَإِحْرَاقُهُ بِهَا..

﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾ [النساء: ٣٠] عَلَىٰ اللهِ سَهْلًا يَسِيرًا؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ الِامْتِنَاعِ عَلَىٰ رَبِّهِ مِمَّا أَرَادَ بِهِ مِنْ سُوءٍ، وَإِنَّمَا يَصْعُبُ الْوَفَاءُ بِالْوَعِيدِ لِمَنْ تَوَعَّدَهُ عَلَىٰ مَنْ كَانَ إِذَا حَاوَلَ الْوَفَاءَ بِهِ قَدَرَ الْمُتَوَعَّدُ مِنَ الِامْتِنَاعِ مِنْهُ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ فِي قَبْضَةِ مُوَعِّدِهِ فَيَسِيرٌ عَلَيْهِ إِمْضَاءُ حُكْمِهِ فِيهِ وَالْوَفَاءُ لَهُ بِوَعِيدِهِ، غَيْرُ عَسِيرٍ عَلَيْهِ أَمْرٌ أَرَادَهُ بِهِ.

﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ٣١﴾ [النساء: ٣١].

﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ أَوْلَىٰ مَا قِيلَ فِي تَأْوِيلِ الْكَبَائِرِ بِالصِّحَّةِ، مَا صَحَّ بِهِ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ دُونَ مَا قَالَهُ غَيْرُهُ، فَالْكَبَائِرُ إِذَنْ: الشِّرْكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الْمُحَرَّمُ قَتْلُهَا، وَقَوْلُ الزُّورِ -وَقَدْ يَدْخُلُ فِي قَوْلِ الزُّورِ شَهَادَةُ الزُّورِ- وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ، وَالسِّحْرُ، -وَيَدْخُلُ فِي قَتْلِ النَّفْسِ الْمُحَرَّمُ قَتْلُهَا: قَتْلُ الرَّجُلِ وَلَدَهُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَطْعَمَ مَعَهُ- وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ، وَالزِّنَا بِحَلِيلَةِ الْجَارِ..

﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاجْتِنَابِكُمْ كَبَائِرَ مَا يَنْهَاكُمْ عَنْهُ رَبُّكُمْ..

﴿سَيِّئَاتِكُمْ﴾ صَغَائِرَ سَيِّئَاتِكُمْ، يَعْنِي: صَغَائِرَ ذُنُوبِكُمْ..

﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ٣١﴾ [النساء: ٣١] وَهُوَ الطَّيِّبُ الْحَسَنُ، الْمُكَرَّمُ بِنَفْيِ الْآفَاتِ

وَالْعَاهَاتِ عَنْهُ، وَبِارْتِفَاعِ الْهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ، وَدُخُولِ الْكَدَرِ فِي عَيْشِ مَنْ دَخَلَهُ، فَلِذَلِكَ سَمَّاهُ اللهُ كَرِيمًا.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: ٣٢].

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾ وَلَا تَشْتَهُوا..

﴿مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ نَزَلَ فِي نِسَاءٍ تَمَنَّيْنَ مَنَازِلَ الرِّجَالِ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَا لَهُمْ، فَنَهَى اللهُ عِبَادَهُ عَنِ الْأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ..

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ مِنْ ثَوَابِ اللهِ وَعِقَابِهِ..

﴿مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ فَعَمِلُوهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ..

﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ مِنْ ذَلِكَ كَمَا لِلرِّجَالِ.. وَذَلِكَ أَوْلَى بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ مِنْ قَوْلِ مَنْ قَالَ تَأْوِيلُهُ: لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِنَ الْمِيرَاثِ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِنْهُ؛ لِأَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَخْبَرَ أَنَّ لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ نَصِيبًا مِمَّا اكْتَسَبَ، وَلَيْسَ الْمِيرَاثُ مِمَّا اكْتَسَبَهُ الْوَارِثُ، وَإِنَّمَا هُوَ مَالٌ أَوْرَثَهُ اللهُ عَنْ مَيِّتِهِ بِغَيْرِ اكْتِسَابٍ، وَإِنَّمَا الْكَسْبُ الْعَمَلُ، وَالْمُكْتَسِبُ: الْمُحْتَرِفُ، ولِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَقِيلَ: لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا لَمْ يَكْتَسِبُوا، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا لَمْ يَكْتَسِبْنَ..

﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ عَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ لِلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيهِ عَنْكُمْ مِنْ طَاعَتِهِ، فَفَضْلُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: تَوْفِيقُهُ وَمَعُونَتُهُ.. فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْأَلُوهُ مِنْ فَضْلِهِ، إِذْ كَانَتِ الْأَمَانِيُّ تُورِثُ أَهْلَهَا الْحَسَدَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ..

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ فِيمَا قَسَمَ لَهُمْ مِنْ خَيْرٍ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ قَضَائِهِ وَأَحْكَامِهِ فِيهِمْ..

﴿عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: ٣٢] ذَا عِلْمٍ، فَلَا تَتَمَنَّوْا غَيْرَ الَّذِي قَضَى لَكُمْ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِطَاعَتِهِ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ، وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ وَمَسْأَلَتِهِ مِنْ فَضْلِهِ.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾ [النساء: ٣٣].

﴿وَلِكُلٍّ﴾ وَلِكُلِّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ عَصَبَةً وَوَرَثَةً مِنْ بَنِي عَمِّهِ وَإِخْوَتِهِ وَسَائِرِ عَصَبَتِهِ، يَرِثُونَ بِهِ مِمَّا تَرَكَ وَالِدُهُ وَأَقْرِبَاؤُهُ مِنْ مِيرَاثِهِمْ.. وَالْعَرَبُ تُسَمِّي ابْنَ الْعَمِّ الْمَوْلَىٰ..

﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ مِمَّا تَرَكَهُ وَالِدُهُ وَأَقْرِبَاؤُهُ مِنَ الْمِيرَاثِ..

﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ﴾ وَصَلَتْ وَشَدَّتْ وَوَكَّدَتْ، الْحِلفَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ..

﴿أَيْمَٰنُكُمْ﴾ مَوَاثِيقَكُمُ وهي أَيْمَانُكُمْ وَأَيْمَانُ الْمَعْقُودِ عَلَيْهِمْ..

﴿فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ مِنَ النُّصْرَةِ وَالْمَعُونَةِ وَالنَّصِيحَةِ وَالرَّأْيِ عَلَىٰ مَا أَمَرَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَا حِلْفَ فِي الإِسْلَامِ، وَمَا كَانَ مِنْ حِلْفٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمْ يَزِدْهُ الإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً**».. فَآتُوا الَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ نَصِيبَهُمْ مِنَ النُّصْرَةِ وَالنَّصِيحَةِ وَالرَّأْيِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝﴾ [النساء: ٣٣] فَإِنَّ اللهَ شَاهِدٌ عَلَىٰ مَا تَفْعَلُونَ مِنْ ذَلِكَ وَعَلَىٰ غَيْرِهِ مِنْ أَفْعَالِكُمْ، مُرَاعٍ لِكُلِّ ذَلِكَ، حَافِظٌ، حَتَّىٰ يُجَازِي جَمِيعَكُمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ جَزَاءَهُ، أَمَّا الْمُحْسِنُ مِنْكُمُ الْمُتَّبِعُ أَمْرِي وَطَاعَتِي فَبِالْحُسْنَىٰ، وَأَمَّا الْمُسِيءُ مِنْكُمُ الْمُخَالِفُ أَمْرِي وَنَهْيِي فَبِالسُّوأَىٰ.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ۝﴾ [النساء: ٣٤].

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ الرِّجَالُ أَهْلُ قِيَامٍ عَلَىٰ نِسَائِهِمْ فِي تَأْدِيبِهِنَّ وَالأَخْذِ عَلَىٰ أَيْدِيهِنَّ، فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِنَّ لِلَّهِ وَلِأَنْفُسِهِمْ..

﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾ بِهِ الرِّجَالَ..

﴿بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ مِنْ سَوقِهِمْ إِلَيْهِنَّ مُهُورَهُنَّ، وَإِنْفَاقِهِمْ عَلَيْهِنَّ أَمْوَالَهُمْ، وَكِفَايَتِهِمْ إِيَّاهُنَّ مُؤَنَهُنَّ، وَذَلِكَ تَفْضِيلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِيَّاهُمْ عَلَيْهِنَّ، وَلِذَلِكَ صَارُوا قُوَّامًا عَلَيْهِنَّ، نَافِذِي الأَمْرِ عَلَيْهِنَّ فِيمَا جَعَلَ اللهُ إِلَيْهِمْ مِنْ أُمُورِهِنَّ..

﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ وَبِمَا سَاقُوا إِلَيْهِنَّ مِنْ صَدَاقٍ، وَأَنْفَقُوا عَلَيْهِنَّ مِنْ نَفَقَةٍ..

﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ الْمُسْتَقِيمَاتُ الدِّينِ، الْعَامِلَاتُ بِالْخَيْرِ..

﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾ مُطِيعَاتٌ لِلَّهِ وَلِأَزْوَاجِهِنَّ.. وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى الْقُنُوتِ فِيمَا مَضَى وَأَنَّهُ الطَّاعَةُ، وَدَلَّلْنَا عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ مِنَ الشَّوَاهِدِ بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ..

﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ حَافِظَاتٌ لِأَنْفُسِهِنَّ عِنْدَ غَيْبَةِ أَزْوَاجِهِنَّ عَنْهُنَّ فِي فُرُوجِهِنَّ وَأَمْوَالِهِمْ، وَلِلْوَاجِبِ عَلَيْهِنَّ مِنْ حَقِّ اللهِ فِي ذَلِكَ وَغَيْرِهِ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُ النِّسَاءِ امْرَأَةٌ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا سَرَّتْكَ، وَإِذَا أَمَرْتَهَا أَطَاعَتْكَ، وَإِذَا غِبْتَ عَنْهَا حَفِظَتْكَ فِي نَفْسِهَا وَمَالِكَ**» ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ الْآيَةُ.. وَهَذَا الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ: صَالِحَاتٌ فِي أَدْيَانِهِنَّ، مُطِيعَاتٌ لِأَزْوَاجِهِنَّ، حَافِظَاتٌ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ وَأَمْوَالِهِمْ..

﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ بِحِفْظِ اللهِ إِيَّاهُنَّ؛ إِذْ صَيَّرَهُنَّ كَذَلِكَ، فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ وَأَصْلِحُوا..

﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: وَاللَّاتِي تَعْلَمُونَ نُشُوزَهُنَّ، وَوَجْهُ صَرْفِ الْخَوْفِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَى الْعِلْمِ فِي قَوْلِ هَؤُلَاءِ، نَظِيرُ صَرْفِ الظَّنِّ إِلَى الْعِلْمِ، لِتَقَارُبِ مَعْنَيَيْهِمَا، إِذْ كَانَ الظَّنُّ شَكًّا، وَكَانَ الْخَوْفُ مَقْرُونًا بِرَجَاءٍ، وَكَانَا جَمِيعًا مِنْ فِعْلِ الْمَرْءِ بِقَلْبِهِ.. وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: مَعْنَى الْخَوْفِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْخَوْفُ الَّذِي هُوَ خِلَافُ الرَّجَاءِ، قَالُوا: مَعْنَى ذَلِكَ: إِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُنَّ مَا تَخَافُونَ..

﴿نُشُوزَهُنَّ﴾ اسْتِعْلَاءَهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، وَارْتِفَاعَهُنَّ عَنْ فُرُشِهِمْ بِالْمَعْصِيَةِ مِنْهُنَّ، وَالْخِلَافُ عَلَيْهِمْ فِيمَا لَزِمَهُنَّ طَاعَتُهُمْ فِيهِ، بُغْضًا مِنْهُنَّ وَإِعْرَاضًا عَنْهُمْ.. وَأَصْلُ النُّشُوزِ الارْتِفَاعُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمَكَانِ الْمُرْتَفِعِ مِنَ الْأَرْضِ نَشْزٌ وَنَشَازٌ..

﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ فِي نُشُوزِهِنَّ عَلَيْكُمْ، وذَكِّرُوهُنَّ اللهَ، وَخَوِّفُوهُنَّ وَعِيدَهُ فِي رُكُوبِهَا مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهَا مِنْ مَعْصِيَةِ زَوْجِهَا فِيمَا أَوْجَبَ عَلَيْهَا طَاعَتَهُ فِيهِ، فَإِنِ اتَّعَظْنَ فَلَا سَبِيلَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ..

﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾ فَإِنْ أَبَيْنَ الْأَوْبَةَ مِنْ نُشُوزِهِنَّ فَاهْجُرُوا فِي قَوْلِكُمْ لَهُمْ، بِمَعْنَى: رُدُّوا عَلَيْهِنَّ كَلَامَكُمْ إِذَا كَلَّمْتُمُوهُنَّ بِالتَّغْلِيظِ لَهُنَّ، وَلَا يَدَعُ جِمَاعَهَا.. وَلَا مَعْنَى لِلْهَجْرِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا عَلَى أَحَدِ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: أَحَدُهَا: هَجْرُ الرَّجُلِ كَلَامَ الرَّجُلِ وَحَدِيثَهُ، وَالْآخَرُ: الْإِكْثَارُ مِنَ الْكَلَامِ بِتَرْدِيدٍ كَهَيْئَةِ كَلَامِ الْهَازِئِ، وَالثَّالِثُ: هَجَرَ الْبَعِيرُ إِذَا رَبَطَهُ صَاحِبُهُ بِالْهِجَارِ، وَهُوَ حَبْلٌ يُرْبَطُ فِي حَقْوَيْهَا وَرُسْغِهَا.. فَإِذْ كَانَ لَا وَجْهَ لِلْهَجْرِ فِي الْكَلَامِ إِلَّا أَحَدَ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةِ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ الْمَخُوفُ نُشُوزُهَا إِنَّمَا أُمِرَ زَوْجُهَا بِوَعْظِهَا لِتُنِيبَ إِلَى طَاعَتِهِ فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهَا لَهُ مِنْ مُوَافَاتِهِ عِنْدَ دُعَائِهِ إِيَّاهَا إِلَى فِرَاشِهِ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ تَكُونَ عِظَتُهُ لِذَلِكَ، ثُمَّ تَصِيرُ الْمَرْأَةُ إِلَى أَمْرِ اللهِ وَطَاعَةِ زَوْجِهَا فِي ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ الزَّوْجُ مَأْمُورًا

بِهَجْرِهَا فِي الْأَمْرِ الَّذِي كَانَتْ عِظَتُهُ إِيَّاهَا عَلَيْهِ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ بَطَلَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾ وَاهْجُرُوا جِمَاعَهُنَّ.. أَوْ يَكُونُ إِذْ بَطَلَ هَذَا الْمَعْنَىٰ، بِمَعْنَىٰ: وَاهْجُرُوا كَلَامَهُنَّ بِسَبَبِ هَجْرِهِنَّ مَضَاجِعَكُمْ، وَذَلِكَ أَيْضًا لَا وَجْهَ لَهُ مَفْهُومٌ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ أَخْبَرَ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ حَلَالًا لَمْ يَكُنْ لِهَجْرِهَا فِي الْكَلَامِ مَعْنَىٰ مَفْهُومٌ؛ لِأَنَّهَا إِذَا كَانَتْ عَنْهُ مُنْصَرِفَةً وَعَلَيْهِ نَاشِزًا فَمِنْ سُرُورِهَا أَنْ لَا يُكَلِّمُهَا وَلَا يَرَاهَا وَلَا تَرَاهُ، فَكَيْفَ يُؤْمَرُ الرَّجُلُ فِي حَالِ بُغْضِ امْرَأَتِهِ إِيَّاهُ وَانْصِرَافِهَا عَنْهُ بِتَرْكِ مَا فِي تَرْكِهِ سُرُورُهَا مِنْ تَرْكِ جِمَاعِهَا وَمُجَاذَبَتِهَا وَتَكْلِيمِهَا، وَهُوَ يُؤْمَرُ بِضَرْبِهَا لِتَرْتَدِعَ عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ تَرْكِ طَاعَتِهِ إِذَا دَعَاهَا إِلَىٰ فِرَاشِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُلْزِمُهَا طَاعَتُهُ فِيهِ؟!.. أَوْ يَكُونُ إِذْ فَسَدَ هَذَانِ الْوَجْهَانِ يَكُونُ مَعْنَاهُ: وَاهْجُرُوا فِي قَوْلِكُمْ لَهُمْ، بِمَعْنَىٰ: رُدُّوا عَلَيْهِنَّ كَلَامَكُمْ إِذَا كَلَّمْتُمُوهُنَّ بِالتَّغْلِيظِ لَهُنَّ.. فَعِظُوهُنَّ أَيُّهَا الرِّجَالُ فِي نُشُوزِهِنَّ، فَإِنْ أَبَيْنَ الْإِيَابَ إِلَىٰ مَا يُلْزِمُهُنَّ لَكُمْ فَشُدُّوهُنَّ وِثَاقًا فِي مَنَازِلِهِنَّ..

﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ لِيَؤُبْنَ إِلَىٰ الْوَاجِبِ عَلَيْهِنَّ مِنْ طَاعَةِ اللهِ فِي اللَّازِمِ لَهُنَّ مِنْ حُقُوقِكُمْ.. وَقَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: صِفَةُ الضَّرْبِ الَّتِي أَبَاحَ اللهُ لِزَوْجِ النَّاشِزِ أَنْ يَضْرِبَهَا الضَّرْبُ غَيْرُ الْمُبَرِّحِ..

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ نِسَاؤُكُمُ اللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ عِنْدَ وَعْظِكُمْ إِيَّاهُنَّ، فَلَا تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، فَإِنْ لَمْ يُطِعْنَكُمْ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ، فَإِنْ رَاجَعْنَ طَاعَتَكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَفِئْنَ إِلَىٰ الْوَاجِبِ عَلَيْهِنَّ، فَلَا تَطْلُبُوا طَرِيقًا إِلَىٰ أَذَاهِنَّ وَمَكْرُوهِهِنَّ، وَلَا تَلْتَمِسُوا سَبِيلًا إِلَىٰ مَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ مِنْ أَبْدَانِهِنَّ وَأَمْوَالِهِنَّ بِالْعِلَلِ، وَذَلِكَ أَنْ يَقُولَ أَحَدُكُمْ لِإِحْدَاهِنَّ وَهِيَ لَهُ مُطِيعَةٌ: إِنَّكِ لَسْتِ تُحِبِّينِي وَأَنْتِ لِي مُبْغِضَةٌ، فَيَضْرِبُهَا عَلَىٰ ذَلِكَ أَوْ يُؤْذِيهَا، فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِلرِّجَالِ: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ أَيْ عَلَىٰ بُغْضِهِنَّ لَكُمْ..

﴿فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ فَلَا تَجْنُوا عَلَيْهِنَّ، ولَا تَلْتَمِسُوا وَلَا تَطْلُبُوا، وَلَا تُكَلِّفُوهُنَّ مَحَبَّتَكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِنَّ فَتَضْرِبُوهُنَّ أَوْ تُؤْذُوهُنَّ عَلَيْهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا﴾ إِنَّ اللهَ ذُو عُلُوٍّ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا تَبْغُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَىٰ أَزْوَاجِكُمْ إِذَا أَطَعْنَكُمْ فِيمَا أَلْزَمَهُنَّ اللهُ لَكُمْ مِنْ حَقٍّ سَبِيلًا لِعُلُوِّ أَيْدِيكُمْ عَلَىٰ أَيْدِيهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ أَعْلَىٰ مِنْكُمْ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَعْلَىٰ مِنْكُمْ عَلَيْهِنَّ..

﴿كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء: ٣٤] وَأَكْبَرُ مِنْكُمْ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْتُمْ فِي يَدِهِ وَقَبْضَتِهِ، فَاتَّقُوا اللهَ أَنْ تَظْلِمُوهُنَّ وتَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا وَهُنَّ لَكُمْ مُطِيعَاتٌ، فَيَنْتَصِرُ لَهُنَّ مِنْكُمْ رَبُّكُمُ الَّذِي هُوَ أَعْلَىٰ مِنْكُمْ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَكْبَرُ مِنْكُمْ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [النساء: ٣٥].

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ وَإِنْ عَلِمْتُمْ..

﴿شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ وَذَلِكَ مُشَاقَّةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، وَهُوَ إِتْيَانُهُ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ، فَأَمَّا مِنَ الْمَرْأَةِ فَالنُّشُوزُ، وَتَرْكُهَا أَدَاءَ حَقِّ اللهِ عَلَيْهَا الَّذِي أَلْزَمَهَا اللهُ لِزَوْجِهَا؛ وَأَمَّا مِنَ الزَّوْجِ فَتَرْكُهُ إِمْسَاكَهَا بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ تَسْرِيحَهَا بِإِحْسَانٍ.. وَالشِّقَاقُ: مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: شَاقَّ فُلَانٌ فُلَانًا: إِذَا أَتَىٰ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَىٰ صَاحِبِهِ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ، فَهُوَ يُشَاقُّهُ مُشَاقَّةً وَشِقَاقًا؛ وَذَلِكَ قَدْ يَكُونُ عَدَاوَةً..

﴿فَٱبْعَثُوا۟﴾ خَاطَبَ الْمُسْلِمِينَ بِذَلِكَ، وَأَمَرَهُمْ بِبَعْثَةٍ.. وَقَدْ أَجْمَعَ الْجَمِيعُ عَلَىٰ أَنَّ بَعْثَةَ الْحَكَمَيْنِ فِي ذَلِكَ لَيْسَتْ لِغَيْرِ الزَّوْجَيْنِ وَغَيْرِ السُّلْطَانِ، الَّذِي هُوَ سَائِسُ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ مَنْ أَقَامَهُ فِي ذَلِكَ مَقَامَ نَفْسِهِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ بِالْأَمْرِ بِذَلِكَ بَعْضَهُمْ دُونَ بَعْضٍ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ الزَّوْجَانِ وَالسُّلْطَانُ مِمَّنْ قَدْ شَمِلَهُ حُكْمُ الْآيَةِ، وَلَا دَلَالَةَ فِي الْآيَةِ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْأَمْرَ بِذَلِكَ مَخْصُوصٌ بِهِ أَحَدُ الزَّوْجَيْنِ، وَلَا أَثَرَ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ حَكَمَيْنِ عِنْدَ خَوْفِ الشِّقَاقِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ لِلنَّظَرِ فِي أَمْرِهِمَا.. وَلَيْسَ لَهُمَا وَلَا لِوَاحِدٍ مِنْهُمَا الْحُكْمُ بَيْنَهُمَا بِالْفُرْقَةِ، وَلَا بِأَخْذِ مَالٍ، إِلَّا بِرِضَا الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَإِلَّا مَا لَزِمَ مِنْ حَقٍّ لِأَحَدِ الزَّوْجَيْنِ عَلَىٰ الْآخَرِ فِي حُكْمِ اللهِ، وَذَلِكَ مَا لَزِمَ الرَّجُلَ لِزَوْجَتِهِ مِنَ النَّفَقَةِ وَالْإِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ إِنْ كَانَ هُوَ الظَّالِمُ لَهَا.. فَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ فَلَيْسَ ذَلِكَ لَهُمَا وَلَا لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ غَيْرِهِمَا، لَا السُّلْطَانِ وَلَا غَيْرِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الزَّوْجَ إِنْ كَانَ هُوَ الظَّالِمُ لِلْمَرْأَةِ فَلِلْإِمَامِ السَّبِيلُ إِلَىٰ أَخْذِهِ بِمَا يَجِبُ لَهَا عَلَيْهِ مِنْ حَقٍّ، وَإِنْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ هِيَ الظَّالِمَةُ زَوْجَهَا النَّاشِزَةُ عَلَيْهِ، فَقَدْ أَبَاحَ اللهُ لَهُ أَخْذَ الْفِدْيَةِ مِنْهَا وَجَعَلَ إِلَيْهِ طَلَاقَهَا عَلَىٰ مَا قَدْ بَيَّنَّاهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَإِذْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ الْفُرْقَةُ بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ بِغَيْرِ رِضَا الزَّوْجِ، وَلَا أَخْذُ مَالٍ مِنَ الْمَرْأَةِ بِغَيْرِ رِضَاهَا بِإِعْطَائِهِ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا مِنْ أَصْلٍ أَوْ قِيَاسٍ.. وَإِنْ بَعَثَ الْحَكَمَيْنِ السُّلْطَانُ، فَلَا يَجُوزُ لَهُمَا أَنْ يَحْكُمَا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ بِفُرْقَةٍ إِلَّا بِتَوْكِيلِ الزَّوْجِ إِيَّاهُمَا بِذَلِكَ، وَلَا لَهُمَا أَنْ يَحْكُمَا بِأَخْذِ مَالٍ مِنَ الْمَرْأَةِ إِلَّا بِرِضَا الْمَرْأَةِ؛ وَلَكِنْ لَهُمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَيَتَعَرَّفَا الظَّالِمَ مِنْهُمَا مِنَ الْمَظْلُومِ

لِيَشْهَدَا عَلَيْهِ إِنِ احْتَاجَ الْمَظْلُومُ مِنْهُمَا إِلَىٰ شَهَادَتِهِمَا.. وَإِنَّمَا قُلْنَا: لَيْسَ لَهُمَا التَّفْرِيقُ لِلْعِلَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا آنِفًا، وَإِنَّمَا يَبْعَثُ السُّلْطَانُ الْحَكَمَيْنِ إِذَا بَعَثَهُمَا إِذَا ارْتَفَعَ إِلَيْهِ الزَّوْجَانِ، فَشَكَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، وَأَشْكَلَ عَلَيْهِ الْمُحِقُّ مِنْهُمَا مِنَ الْمُبْطِلِ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يُشْكِلِ الْمُحِقُّ مِنَ الْمُبْطِلِ، فَلَا وَجْهَ لِبَعْثِهِ الْحَكَمَيْنِ فِي أَمْرٍ قَدْ عُرِفَ الْحُكْمُ فِيهِ..

﴿إِن يُرِيدَآ﴾ إِنْ يُرِد الْحَكَمَانِ..

﴿إِصْلَٰحًا﴾ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، أَعْنِي بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ الْمَخُوفِ شِقَاقُ بَيْنِهِمَا..

﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ يُوَفِّقُ اللهُ بَيْنَ الْحَكَمَيْنِ، فَيَتَّفِقَا عَلَىٰ الْإِصْلَاحِ بَيْنَهُمَا، وَذَٰلِكَ إِذَا صَدَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِيمَا أَفْضَىٰ إِلَيْهِ مِنْ بَعْثٍ لِلنَّظَرِ فِي أَمْرِ الزَّوْجَيْنِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بِمَا أَرَادَ الْحَكَمَانِ مِنْ إِصْلَاحِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ وَغَيْرِهِ..

﴿خَبِيرًا ٣٥﴾ [النساء: ٣٥] بِذَٰلِكَ وَبِغَيْرِهِ مِنْ أُمُورِهِمَا وَأُمُورِ غَيْرِهِمَا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، حَافِظٌ عَلَيْهِمْ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ كُلًّا مِنْهُمْ جَزَاءَهُ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا، وَبِالْإِسَاءَةِ غُفْرَانًا أَوْ عِقَابًا.

﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء: ٣٦].

﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وَذِلُّوا لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ، وَاخْضَعُوا لَهُ بِهَا، وَأَفْرِدُوهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْخُضُوعَ وَالذِّلَّةَ، بِالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ، وَالِانْزِجَارِ عَنْ نَهْيِهِ..

﴿وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ﴾ وَلَا تَجْعَلُوا لَهُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ شَرِيكًا تُعَظِّمُونَهُ تَعْظِيمَكُمْ إِيَّاهُ..

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ وَأَمَرَكُمْ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، يَعْنِي: بِرًّا بِهِمَا؛ وَلِذَٰلِكَ نَصَبَ الْإِحْسَانَ، لِأَنَّهُ أَمْرٌ مِنْهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِلُزُومِ الْإِحْسَانِ إِلَىٰ الْوَالِدَيْنِ عَلَىٰ وَجْهِ الْإِغْرَاءِ.. وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: وَاسْتَوْصُوا بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، وَهُوَ قَرِيبُ الْمَعْنَىٰ مِمَّا قُلْنَاهُ..

﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وَأَمَرَ أَيْضًا بِذِي الْقُرْبَىٰ، وَهُمْ ذَوُو قَرَابَةِ أَحَدِنَا مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ مِمَّنْ قَرُبَتْ مِنْهُ قَرَابَتُهُ بِرَحِمِهِ مِنْ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ، إِحْسَانًا بِصِلَةِ رَحِمِهِ..

﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ جَمْعُ يَتِيمٍ، وَهُوَ الطِّفْلُ الَّذِي قَدْ مَاتَ وَالِدُهُ وَهَلَكَ..

﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ وَهُوَ جَمْعُ مِسْكِينٍ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ رَكِبَهُ ذُلُّ الْفَاقَةِ وَالْحَاجَةِ، فَتَمَسْكَنَ

لِذَلِكَ.. يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: اسْتَوْصُوا بِهَؤُلَاءِ إِحْسَانًا إِلَيْهِمْ، وَتَعَطَّفُوا عَلَيْهِمْ، وَالْزَمُوا وَصِيَّتِي فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ..

﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وَالْجَارِ ذِي الْقَرَابَةِ وَالرَّحِمِ مِنْكَ.. وَالْمُتَعَارَفُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ إِذَا قِيلَ فُلَانٌ ذُو قَرَابَةٍ، إِنَّمَا يَعْنِي بِهِ: إِنَّهُ قَرِيبُ الرَّحِمِ مِنْهُ دُونَ الْقُرْبِ بِالدِّينِ، فَكَانَ صَرْفُهُ إِلَىٰ الْقَرَابَةِ بِالرَّحِمِ أَوْلَىٰ مِنْ صَرْفِهِ إِلَىٰ الْقُرْبِ بِالدِّينِ..

﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ الْغَرِيبُ الْبَعِيدُ الْمُجَانِبُ لِلْقَرَابَةِ، مُسْلِمًا كَانَ أَوْ مُشْرِكًا، يَهُودِيًّا كَانَ أَوْ نَصْرَانِيًّا؛ لِمَا بَيَّنَّا قَبْلُ أَنَّ الْجَارَ ذِي الْقُرْبَىٰ هُوَ الْجَارُ ذُو الْقَرَابَةِ وَالرَّحِمِ، وَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ الْجَارُ ذُو الْجَنَابَةِ الْجَارَ الْبَعِيدِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ وَصِيَّةً بِجَمِيعِ أَصْنَافِ الْجِيرَانِ، قَرِيبِهِمْ وَبَعِيدِهِمْ، وَالْجُنُبُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْبَعِيدُ، وَمِنْهُ قِيلَ: اجْتَنَبَ فُلَانٌ فُلَانًا: إِذَا بَعُدَ مِنْهُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْجُنُبِ: جُنُبٌ، لِاعْتِزَالِهِ الصَّلَاةَ حَتَّىٰ يَغْتَسِلَ، فَمَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَالْجَارُ الْمُجَانِبُ لِلْقَرَابَةِ..

﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ الصَّاحِبُ إِلَىٰ الْجَنْبِ، وَمِنْ ذَلِكَ: جَنَبَ الْخَيْلَ، إِذَا قَادَ بَعْضَهَا إِلَىٰ جَنْبِ بَعْضٍ، وَقَدْ يَدْخُلُ فِي هَذَا الرَّفِيقُ فِي السَّفَرِ، وَالْمَرْأَةُ، وَالْمُنْقَطِعُ إِلَىٰ الرَّجُلِ الَّذِي يُلَازِمُهُ رَجَاءَ نَفْعِهِ، لِأَنَّ كُلَّهُمْ بِجَنْبِ الَّذِي هُوَ مَعَهُ وَقَرِيبٌ مِنْهُ، وَقَدْ أَوْصَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ بِجَمِيعِهِمْ لِوُجُوبِ حَقِّ الصَّاحِبِ عَلَىٰ الْمَصْحُوبِ، وَإِنْ كَانَ الصَّاحِبُ بِالْجَنْبِ مَعْنَاهُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ دَاخِلًا فِيهِ كُلُّ مَنْ جَنَبَ رَجُلًا يَصْحَبُهُ فِي سَفَرٍ أَوْ نِكَاحٍ أَوِ انْقِطَاعٍ إِلَيْهِ وَاتِّصَالٍ بِهِ، وَلَمْ يَكُنِ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَصَّ بَعْضَهُمْ مِمَّا احْتَمَلَهُ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ؛ فَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ: جَمِيعُهُمْ مَعْنِيُّونَ بِذَلِكَ، وَبِكُلِّهِمْ قَدْ أَوْصَىٰ اللهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ..

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ هُوَ صَاحِبُ الطَّرِيقِ، وَالسَّبِيلُ: هُوَ الطَّرِيقُ، وَابْنُهُ: صَاحِبُهُ الضَّارِبُ فِيهِ، فَلَهُ الْحَقُّ عَلَىٰ مَنْ مَرَّ بِهِ مُحْتَاجًا مُنْقَطِعًا بِهِ، إِذَا كَانَ سَفَرُهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللهِ أَنْ يُعِينَهُ إِنِ احْتَاجَ إِلَىٰ مَعُونَةٍ، وَيُضِيفُهُ إِنِ احْتَاجَ إِلَىٰ ضِيَافَةٍ، وَأَنْ يَحْمِلَهُ إِنِ احْتَاجَ إِلَىٰ حُمْلَانَ..

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ وَالَّذِينَ مَلَكْتُمُوهُمْ مِنْ أَرِقَّائِكُمْ، فَأَضَافَ الْمِلْكَ إِلَىٰ الْيَمِينِ، كَمَا يُقَالُ: تَكَلَّمَ فُوكَ، وَمَشَتْ رِجْلُكَ، وَبَطَشَتْ يَدُكَ، بِمَعْنَىٰ: تَكَلَّمْتَ وَمَشَيْتَ، وَبَطَشْتَ، غَيْرَ أَنَّ مَا وَصَفْتَ بِهِ كُلَّ عُضْوٍ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ مَا وَصَفْتَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ بِذَلِكَ يَكُونُ فِي الْمُتَعَارَفِ فِي النَّاسِ دُونَ سَائِرِ جَوَارِحِ الْجَسَدِ، فَكَانَ مَعْلُومًا بِوَصْفِ ذَلِكَ الْعُضْوِ بِمَا وُصِفَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ الْمَعْنَىٰ الْمُرَادِ مِنَ الْكَلَامِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ لِأَنَّ

مَمَالِيكَ أَحَدِنَا تَحْتَ يَدِهِ، إِنَّمَا يَطْعَمُ مَا تُنَاوِلُهُ أَيمَانُنَا وَيَكْتَسِي مَا تَكْسُوهُ وَتَصْرِفُهُ فِيمَا أَحَبَّ صَرْفَهُ فِيهِ بِهَا، فَأُضِيفَ مِلْكُهُمْ إِلَىٰ الْأَيمَانِ لِذَلِكَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾ ذَا خُيَلَاءَ..

﴿فَخُورًا ۝٣٦﴾ [النساء: ٣٦] الْفَخُورُ: هُوَ الْمُفْتَخِرُ عَلَىٰ عِبَادِ اللهِ بِمَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ آلَائِهِ، وَبَسَطَ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَلَا يَحْمَدُ عَلَىٰ مَا آتَاهُ مِنْ طَوْلِهِ، وَلَكِنَّهُ بِهِ مُخْتَالٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَعَلَىٰ غَيْرِهِ بِهِ مُسْتَطِيلٌ مُفْتَخِرٌ.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٣٧﴾ [النساء: ٣٧].

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ وَاللهُ لَا يُحِبُّ ذَوِي الْخُيَلَاءِ وَالْفَخْرِ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِتَبْيِينِ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِتَبْيِينِهِ لِلنَّاسِ مِنِ اسْمِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنَعْتِهِ وَصِفَتِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا فِي كُتُبِهِ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ، وَهُمْ بِهِ عَالِمُونَ.. فَإِنَّ اللهَ وَصَفَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالْبُخْلِ، بِتَعْرِيفِ مَنْ جَهِلَ أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ حَقٌّ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا لِلَّهِ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي كَانَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ بَيَّنَهُ فِيمَا أَوْحَىٰ إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ مِنْ كُتُبِهِ، فَبَخِلَ بِتَبْيِينِهِ لِلنَّاسِ هَؤُلَاءِ..

﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، مِثْلَ عِلْمِهِمْ بِكِتْمَانِ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِتَبْيِينِهِ لَهُ.. وَأَمَرُوا مَنْ كَانَتْ حَالُهُ حَالَهُمْ فِي مَعْرِفَتِهِمْ بِهِ أَنْ يَكْتُمُوهُ مَنْ جَهِلَ ذَلِكَ، وَلَا يُبَيِّنُوهُ لِلنَّاسِ..

﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ عِلْمِ ذَلِكَ وَمَعْرِفَتِهِ مَنْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ كِتْمَانَهُ إِيَّاهُ..

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾ وَجَعَلْنَا لِلْجَاحِدِينَ نِعْمَةَ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، الْمُكَذِّبِينَ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِهِ، الْكَاتِمِينَ نَعْتَهُ وَصِفَتَهُ مَنْ أَمَرَهُمُ اللهُ بِبَيَانِهِ لَهُ مِنَ النَّاسِ..

﴿عَذَابًا مُّهِينًا ۝٣٧﴾ [النساء: ٣٧] عِقَابًا مُذِلًّا مَنْ عُذِّبَ بِخُلُودِهِ فِيهِ عَتَادًا لَهُ فِي آخِرَتِهِ، إِذَا قَدِمَ عَلَىٰ رَبِّهِ وَجَدَهُ بِمَا سَلَفَ مِنْهُ مِنْ جُحُودِهِ فَرْضَ اللهِ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ۝٣٨﴾ [النساء: ٣٨].

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ بِاللهِ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ

صِفَتَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا وَيُنْفِقُهُ مُرَاءَاةَ النَّاسِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ أَوْ غَيْرِ سَبِيلِهِ، وَلَكِنْ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ..

﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ وَلَا يُصَدِّقُونَ..

﴿بِٱللَّهِ﴾ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ..

﴿وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وَلَا بِالْمِيعَادِ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الَّذِي فِيهِ جَزَاءُ الْأَعْمَالِ أَنَّهُ كَائِنٌ.. وَقَدْ قَالَ مُجَاهِدٌ: إِنَّ هَذَا مِنْ صِفَةِ الْيَهُودِ، وَهُوَ صِفَةُ أَهْلِ النِّفَاقِ الَّذِينَ كَانُوا أَهْلَ شِرْكٍ فَأَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ تَقِيَّةً مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ مُقِيمُونَ أَشْبَهَ مِنْهُمْ بِصِفَةِ الْيَهُودِ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ كَانَتْ تُوَحِّدُ اللهَ وَتُصَدِّقُ بِالْبَعْثِ وَالْمَعَادِ، وَإِنَّمَا كَانَ كُفْرُهَا تَكْذِيبَهَا بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.. وَفِي فَصْلِ اللهِ بَيْنَ صِفَةِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَصِفَةِ الْفَرِيقِ الْآخَرِ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ فِي الْآيَةِ قَبْلَهَا، وَأَخْبَرَ أَنَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا، بِالْوَاوِ الْفَاصِلَةِ بَيْنَهُمْ، مَا يُنْبِئُ عَنْ أَنَّهُمَا صِفَتَانِ مِنْ نَوْعَيْنِ مِنَ النَّاسِ مُخْتَلِفِي الْمَعَانِي، وَإِنْ كَانَ جَمِيعُهُمْ أَهْلَ كُفْرٍ بِاللهِ، وَلَوْ كَانَتِ الصِّفَتَانِ كِلْتَاهُمَا صِفَةَ نَوْعٍ واحِدٍ مِنَ النَّاسِ لَقِيلَ إِنْ شَاءَ اللهُ: وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ، وَلَكِنْ فَصَلَ بَيْنَهُمْ بِالْوَاوِ لِمَا وَصَفْنَا، فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ دُخُولَ الْوَاوِ غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ فِي عَطْفِ صِفَةٍ عَلَىٰ صِفَةٍ لِمَوْصُوفٍ وَاحِدٍ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ؟ قِيلَ: ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الْأَفْصَحَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِذَا أُرِيدَ ذَلِكَ تَرْكُ إِدْخَالِ الْوَاوِ، وَإِذَا أُرِيدَ بِالثَّانِي وَصْفٌ آخَرُ غَيْرَ الْأَوَّلِ أُدْخِلَ الْوَاوَ، وَتَوْجِيهُ كَلَامِ اللهِ إِلَىٰ الْأَفْصَحِ الْأَشْهَرِ مِنْ كَلَامِ مَنْ نَزَلَ بِلِسَانِهِ كِتَابُهُ أَوْلَىٰ بِنَا مِنْ تَوْجِيهِهِ إِلَىٰ الْأَنْكَرِ مِنْ كَلَامِهِمْ..

﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا﴾ خَلِيلًا وَصَاحِبًا يَعْمَلُ بِطَاعَتِهِ وَيَتَّبِعُ أَمْرَهُ وَيَتْرُكُ أَمْرَ اللهِ فِي إِنْفَاقِهِ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ فِي غَيْرِ طَاعَتِهِ، وَجُحُودِهِ وَحْدَانِيَّةَ اللهِ، وَالْبَعْثَ بَعْدَ الْمَمَاتِ..

﴿فَسَآءَ قَرِينًا ۝٣٨﴾ [النساء: ٣٨] فَسَاءَ الشَّيْطَانُ قَرِينًا.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ۝٣٩﴾

[النساء: ٣٩].

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ أَيُّ شَيْءٍ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ..

﴿لَوْ ءَامَنُوا۟﴾ لَوْ صَدَّقُوا..

﴿بِٱللَّهِ﴾ بِأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَخْلَصُوا لَهُ التَّوْحِيدَ..

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وَأَيْقَنُوا بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَصَدَّقُوا بِأَنَّ اللهَ مُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿وَأَنفَقُوا۟﴾ وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمُ..

﴿مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وَأَعْطَاهُمُوهَا طَيِّبَةً بِهَا أَنْفُسُهُمْ، وَلَمْ يُنْفِقُوهَا رِئَاءَ النَّاسِ الْتِمَاسَ الذِّكْرِ وَالْفَخْرِ عِنْدَ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ، وَالْمَحْمَدَةِ بِالْبَاطِلِ عِنْدَ النَّاسِ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ﴾ وَكَانَ اللهُ بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ أَنَّهُمْ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ نِفَاقًا، وَهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مُكَذِّبُونَ..

﴿عَلِيمًا ٣٩﴾ [النساء: ٣٩] ذَا عِلْمٍ بِهِمْ وَبِأَعْمَالِهِمْ وَمَا يَقْصُدُونَ وَيُرِيدُونَ بِإِنْفَاقِهِمْ، وَمَا يُنْفِقُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ الرِّيَاءَ وَالسُّمْعَةَ وَالْمَحْمَدَةَ فِي النَّاسِ، وَهُوَ حَافِظٌ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا حَتَّىٰ يُجَازِيَهُمْ بِهَا جَزَاءَهُمْ عِنْدَ مَعَادِهِمْ إِلَيْهِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ٤٠﴾
[النساء: ٤٠].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَبْخَسُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ أَنْفَقَ فِي سَبِيلِهِ مِمَّا رَزَقَهُ مِنْ ثَوَابِ نَفَقَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَلَا مِنْ أَجْرِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أَيْ مَا يَزِنُهَا وَيَكُونُ عَلَىٰ قَدْرِ ثِقَلِهَا فِي الْوَزْنِ، وَلَكِنَّهُ يُجَازِيهِ بِهِ، وَيُثِيبُهُ عَلَيْهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ الْمُؤْمِنَ حَسَنَةً، يُثَابُ عَلَيْهَا الرِّزْقَ فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَىٰ بِهَا فِي الْآخِرَةِ؛ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ**».. وَأَمَّا الذَّرَّةُ: فَإِنَّهُ ذُكِرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِيهَا (**رَأْسُ نَمْلَةٍ حَمْرَاءَ**)..

﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾ وَإِنْ تُوجَدْ لَهُ حَسَنَةٌ..

﴿يُضَـٰعِفْهَا﴾ يُضَاعِفُ لَهُ ثَوَابَهَا وَأَجْرَهَا.. وَإِنَّهُ جَاءَ بِالْأَلِفِ، وَلَمْ يَقُلْ: يُضَعِّفْهَا؛ لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِهِ فِي قَوْلِ بَعْضِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ: يُضَاعِفُهَا أَضْعَافًا كَثِيرَةً؛ وَلَوْ أُرِيدَ بِهِ فِي قَوْلِهِ يُضَعِّفُ ذَلِكَ ضِعْفَيْنِ لَقِيلَ: يُضَعِّفْهَا بِالتَّشْدِيدِ.

﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ٤٠﴾ [النساء: ٤٠] وَيُعْطِهِ مِنْ عِنْدِهِ أَجْرًا عَظِيمًا، وَالْأَجْرُ الْعَظِيمُ: الْجَنَّةُ عَلَىٰ مَا قَالَهُ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ، وابنُ جُبَيْرٍ، وابنُ زَيْدٍ.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ٤١﴾ [النساء: ٤١].

﴿فَكَيْفَ﴾ إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ عِبَادَهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، فَكَيْفَ بِهِمْ..

﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِأَعْمَالِهَا، وَتَصْدِيقِهَا رُسُلَهَا، أَوْ تَكْذِيبِهَا..

﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أَيْ عَلَىٰ أُمَّتِكَ..

﴿شَهِيدًا ۝٤١﴾ [النساء: ٤١] شَاهِدًا.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مَا دُمْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**».. وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِابْنِ مَسْعُودٍ: «**أَقْرَأْ عَلَيَّ**» قَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**»، فَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ النِّسَاءَ، حَتَّىٰ بَلَغَ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١﴾ «**اسْتَعْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَفَّ ابْنُ مَسْعُودٍ**».

> ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ۝٤٢﴾ [النساء: ٤٢].

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يَوْمَ نَجِيءُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ، وَنَجِيءُ بِكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ يَا مُحَمَّدُ شَهِيدًا..

﴿يَوَدُّ﴾ يَتَمَنَّىٰ..

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الَّذِينَ جَحَدُوا وَحْدَانِيَّةَ اللهِ..

﴿وَعَصَوُا الرَّسُولَ﴾ وَعَصَوْا رَسُولَهُ..

﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ تَمَنَّىٰ أَنْ يَكُونَ يَوْمَئِذٍ تُرَابًا، كما قال تعالىٰ ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ۝٤٠﴾ [النبأ: ٤٠] فَأَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُمْ يَتَمَنَّوْنَ أَنْ كَانُوا تُرَابًا..

﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ۝٤٢﴾ [النساء: ٤٢] وَلَا تَكْتُمُ اللهَ جَوَارِحُهُمْ حَدِيثًا وَإِنْ جَحَدَتْ ذَٰلِكَ أَفْوَاهُهُمْ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ لَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا، وَيَوَدُّونَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ، ولَيْسَ بِمُنْكَتِمٍ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ، لِعِلْمِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ بِجَمِيعِ حَدِيثِهِمْ وَأَمْرِهِمْ، فَإِنَّهُمْ إِنْ كَتَمُوهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَجَحَدُوهُ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ.

> ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ۝٤٣﴾ [النساء: ٤٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ لَا تَقْرَبُوا الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ مُصَلِّينَ فِيهَا.. فَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ مَقَامَ الْمُصَلَّىٰ وَالْمَسْجِدِ، إِذْ كَانَتْ صَلَاةُ الْمُسْلِمِينَ فِي مَسَاجِدِهِمْ أَيَّامَئِذٍ لَا يَتَخَلَّفُونَ عَنِ التَّجْمِيعِ فِيهَا، فَكَانَ فِي النَّهْيِ عَنْ أَنْ يَقْرَبُوا الصَّلَاةَ كِفَايَةٌ عَنْ ذِكْرِ الْمَسَاجِدِ وَالْمُصَلَّىٰ الَّذِي يُصَلُّونَ فِيهِ..

﴿وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ جَمْعُ سَكْرَانٍ.. وَهَذَا نَهْيٌ مِنَ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ أَنْ يَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَهُمْ سُكَارَىٰ مِنَ الشَّرَابِ قَبْلَ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ، لِلْأَخْبَارِ الْمُتَظَاهِرَةِ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِأَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ نَهْيٌ مِنَ اللهِ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ مَعْنَاهُ، وَالسَّكْرَانُ فِي حَالِ زَوَالِ عَقْلِهِ نَظِيرُ الْمَجْنُونِ فِي حَالِ زَوَالِ عَقْلِهِ، وَأَنْتَ مِمَّنْ تُحِيلُ تَكْلِيفَ الْمَجَانِينَ لِفَقْدِهِمُ الْفَهْمَ بِمَا يُؤْمَرُ وَيُنْهَىٰ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّ السَّكْرَانَ لَوْ كَانَ فِي مَعْنَىٰ الْمَجْنُونِ لَكَانَ غَيْرَ جَائِزٍ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ، وَلَكِنَّ السَّكْرَانَ هُوَ الَّذِي يَفْهَمُ مَا يَأْتِي وَيَذَرُ، غَيْرَ أَنَّ الشَّرَابَ قَدْ أَثْقَلَ لِسَانَهُ وَأَحَرَّ جِسْمَهُ وَأَخْدَرَهُ، حَتَّىٰ عَجَزَ عَنْ إِقَامَةِ قِرَاءَتِهِ فِي صَلَاتِهِ وَحُدُودِهَا الْوَاجِبَةِ عَلَيْهِ فِيهَا مِنْ غَيْرِ زَوَالِ عَقْلِهِ، فَهُوَ بِمَا أُمِرَ بِهِ وَنُهِيَ عَنْهُ عَارِفٌ فَهِمٌ، وَعَنْ أَدَاءِ بَعْضِهِ عَاجِزٌ بِخَدَرِ جِسْمِهِ مِنَ الشَّرَابِ، وَأَمَّا مَنْ صَارَ إِلَىٰ حَدٍّ لَا يَعْقِلُ مَا يَأْتِي وَيَذَرُ، فَذَلِكَ مُنْتَقِلٌ مِنَ السَّكَرِ إِلَىٰ الْخَبْلِ، وَمَعْدُودٌ فِي الْمَجَانِينِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ الَّذِي خُوطِبَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ لِأَنَّ ذَلِكَ مَجْنُونٌ، وَإِنَّمَا خُوطِبَ بِهِ السَّكْرَانُ، وَالسَّكْرَانِ مَا وَصَفْنَا صِفَتَهُ..

﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ فِي صَلَاتِكُمْ، وَتَقْرَءُونَ فِيهَا مِمَّا أَمَرَكُمُ اللهُ بِهِ، أَوْ نَدَبَكُمْ إِلَىٰ قِيلِهِ فِيهَا مِمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ وَزَجَرَكُمْ..

﴿وَلَا جُنُبًا﴾ وَلَا تَقْرَبُوهَا أَيْضًا جُنُبًا..

﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ إِلَّا أَنْ يَكُونَ طَرِيقُكَ فِيهِ، ولَمْ تَجِدْ طَرِيقًا إِلَّا الْمَسْجِدَ تَمُرُّ فِيهِ، فَتَمُرَّ مَارًّا وَلَا تَجْلِسْ..

﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ جَرْحَىٰ أَوْ بِكُمْ قُرُوحٌ أَوْ كَسْرٌ أَوْ عِلَّةٌ لَا تَقْدُرُونَ مَعَهَا عَلَىٰ الِاغْتِسَالِ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَأَنْتُمْ مُقِيمُونَ غَيْرُ مُسَافِرِينَ..

﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أَوْ إِنْ كُنْتُمْ مُسَافِرِينَ وَأَنْتُمْ أَصِحَّاءُ جُنُبٌ..

﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ قَدْ قَضَىٰ حَاجَتَهُ وَهُوَ مُسَافِرٌ صَحِيحٌ.. وَالْغَائِطُ: مَا اتَّسَعَ مِنَ الْأَوْدِيَةِ، وَجُعِلَ كِنَايَةً عَنْ قَضَاءِ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَخْتَارُ قَضَاءَ حَاجَتِهَا فِي الْغِيطَانَ، فَكَثُرَ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّىٰ غَلَبَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، فَقِيلَ لِكُلِّ مَنْ قَضَىٰ حَاجَتَهُ الَّتِي كَانَتْ تُقْضَىٰ فِي الْغِيطَانِ حَيْثُ قَضَاهَا مِنَ الْأَرْضِ: مُتَغَوِّطٌ، جَاءَ فُلَانٌ مِنَ الْغَائِطِ يَعْنِي بِهِ: قَضَىٰ حَاجَتَهُ الَّتِي

كَانَتْ تُقْضَىٰ فِي الْغَائِطِ مِنَ الْأَرْضِ..

﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ أَوْ جَامَعْتُم النِّسَاءَ.. دُونَ غَيْرِهِ مِنْ مَعَانِي اللَّمْسِ، لِصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَبَّلَ بَعْضَ نِسَائِهِ ثُمَّ صَلَّىٰ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ..

﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ فَأَرَدْتُم أَنْ تُصَلُّوا، فَطَلَبْتُمُ الْمَاءَ لِتَتَطَهَّرُوا بِهِ، فَلَمْ تَجِدُوهُ بِثَمَنٍ وَلَا غَيْرِ ثَمَنٍ..

﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ فتعَمَّدُوا، وَهُوَ تَفَعَّلُوا مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: تَيَمَّمْتُ كَذَا: إِذَا قَصَدْتُهُ..

﴿صَعِيدًا﴾ وَجْهَ الْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مِنَ النَّبَاتِ وَالْغُرُوسِ وَالْبِنَاءِ، الْمُسْتَوِيَةِ..

﴿طَيِّبًا﴾ طَاهِرًا مِنَ الْأَقْذَارِ وَالنَّجَاسَاتِ..

﴿فَٱمْسَحُواْ﴾ فَامْسَحُوا مِنْهُ.. وَلَكِنَّهُ تَرَكَ ذِكْرَ «مِنْهُ» اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ..

﴿بِوُجُوهِكُمْ﴾ وَالْمَسْحُ مِنْهُ بِالْوَجْهِ أَنْ يَضْرِبَ الْمُتَيَمِّمُ بِيَدَيْهِ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ الطَّاهِرِ، أَوْ مَا قَامَ مَقَامَهُ، فَيَمْسَحَ بِمَا عَلَقَ مِنَ الْغُبَارِ وَجْهَهُ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَقَ بِهِ الْغُبَارُ كَثِيرًا، فَنَفَخَ عَنْ يَدَيْهِ أَوْ نَفَضَهُ، فَهُوَ جَائِزٌ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَقْ بِيَدَيْهِ مِنَ الْغُبَارِ شَيْءٌ، وَقَدْ ضَرَبَ بِيَدَيْهِ أَوْ إِحْدَاهُمَا الصَّعِيدَ، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا أَوْ بِهَا وَجْهَهُ أَجْزَأَهُ ذَلِكَ؛ لِإِجْمَاعِ جَمِيعِ الْحُجَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الْمُتَيَمِّمَ لَوْ ضَرَبَ بِيَدَيْهِ الصَّعِيدَ وَهُوَ أَرْضُ رَمْلٍ فَلَمْ يَعْلَقْ بِيَدَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ فَتَيَمَّمَ بِهِ أَنَّ ذَلِكَ مُجْزِئُهُ، لَمْ يُخَالِفْ ذَلِكَ مَنْ يَجُوزُ أَنْ يُعْتَدَّ بِخِلَافِهِ، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ إِجْمَاعًا مِنْهُمْ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الَّذِي يُرَادُ بِهِ مِنْ ضَرْبِ الصَّعِيدِ بِالْيَدَيْنِ مُبَاشَرَةُ الصَّعِيدِ بِهِمَا بِالْمَعْنَىٰ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِمُبَاشَرَتِهِ بِهِمَا، لَا لِأَخْذِ تُرَابٍ مِنْهُ..

﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾ وَالْحَدُّ الَّذِي لَا يُجْزِئُ الْمُتَيَمِّمَ أَنْ يَقْصُرَ عَنْهُ فِي مَسْحِهِ بِالتُّرَابِ مِنْ يَدَيْهِ الْكَفَّانِ إِلَىٰ الزَّنْدَيْنِ؛ لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ التَّقْصِيرَ عَنْ ذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ، ثُمَّ هُوَ فِيمَا جَاوَزَ ذَلِكَ مُخَيَّرٌ إِنْ شَاءَ بَلَغَ بِمَسْحِهِ الْمِرْفَقَيْنِ، وَإِنْ شَاءَ الْآبَاطَ، وَالْعِلَّةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا جَعَلْنَاهُ مُخَيَّرًا فِيمَا جَاوَزَ الْكَفَّيْنِ، أَنَّ اللهَ لَمْ يَحُدَّ فِي مَسْحِ ذَلِكَ بِالتُّرَابِ فِي التَّيَمُّمِ حَدًّا لَا يَجُوزُ التَّقْصِيرُ عَنْهُ، فَمَا مَسَحَ الْمُتَيَمِّمُ مِنْ يَدَيْهِ أَجْزَأَهُ، إِلَّا مَا أُجْمِعَ عَلَيْهِ، أَوْ قَامَتِ الْحُجَّةُ بِأَنَّهُ لَا يُجْزِئُهُ التَّقْصِيرُ عَنْهُ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْجَمِيعُ عَلَىٰ أَنَّ التَّقْصِيرَ عَنِ الْكَفَّيْنِ غَيْرُ مُجْزِئٍ، فَخَرَجَ ذَلِكَ بِالسُّنَّةِ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَمُخْتَلَفٌ فِيهِ، وَإِذْ كَانَ مُخْتَلَفًا فِيهِ، وَكَانَ الْمَاسِحُ بِكَفَّيْهِ دَاخِلًا فِي عُمُومِ الْآيَةِ كَانَ خَارِجًا مِمَّا لَزِمَهُ مِنْ فَرْضِ ذَلِكَ..

ويَتَيَمَّمُ الْمُصَلِّي لِكُلِّ صَلَاةٍ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمَرَ كُلَّ قَائِمٍ إِلَىٰ الصَّلَاةِ بِالتَّطَهُّرِ بِالْمَاءِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ فَالتَّيَمُّمُ، ثُمَّ أَخْرَجَ مَنْ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ قِيَامُهُ إِلَيْهَا الْوُضُوءُ بِالْمَاءِ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ

قَدْ أَحْدَثَ حَدَثًا يَنْقُضُ طَهَارَتَهُ، فَيَسْقُطُ فَرْضُ الْوُضُوءِ عَنْهُ بِالسُّنَّةِ، وَأَمَّا الْقَائِمُ إِلَيْهَا وَقَدْ تَقَدَّمَ قِيَامُهُ إِلَيْهَا بِالتَّيَمُّمِ لِصَلَاةٍ قَبْلَهَا، فَفَرْضُ التَّيَمُّمِ لَهُ لَازِمٌ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ، بَعْدَ طَلَبِهِ الْمَاءَ إِذَا أَعْوَزَهُ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ إِنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ عَفُوًّا عَنْ ذُنُوبِ عِبَادِهِ، وَتَرْكِهِ الْعُقُوبَةَ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْهَا، مَا لَمْ يُشْرِكُوا بِهِ، كَمَا عَفَا عَنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَنْ قِيَامِكُمْ إِلَىٰ الصَّلَاةِ الَّتِي فَرَضَهَا عَلَيْكُمْ فِي مَسَاجِدِكُمْ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ..

﴿غَفُورًا ۝٤٣﴾ [النساء: ٤٣] فَلَمْ يَزَلْ يَسْتُرُ عَلَيْهِمْ ذُنُوبَهُمْ بِتَرْكِهِ مُعَاجَلَتَهُمُ الْعَذَابَ عَلَىٰ خَطَايَاهُمْ، كَمَا سَتَرَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِتَرْكِهِ مُعَاجَلَتَكُمْ عَلَىٰ صَلَاتِكُمْ فِي مَسَاجِدِكُمْ سُكَارَىٰ، فَلَا تَعُودُوا لِمِثْلِهَا فَيَنَالُكُمْ بِعَوْدِكُمْ لِمَا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ مَنْكَلَةٌ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ۝٤٤﴾
[النساء: ٤٤].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بِقَلْبِكَ يَا مُحَمَّدُ عِلْمًا.. وَذَلِكَ أَنَّ الْخَبَرَ وَالْعِلْمَ لَا يُجَلِّيَانِ رُؤْيَةً، وَلَكِنَّهُ رُؤْيَةُ الْقَلْبِ بِالْعِلْمِ..

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟﴾ أُعْطُوا..

﴿نَصِيبًا﴾ حَظًّا..

﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَعَلِمُوهُ.. وَذُكِرَ أَنَّ اللهَ عَنَىٰ بِذَلِكَ طَائِفَةً مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا حَوَالَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ هؤلاء الْيَهُودُ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَخْتَارُونَ الضَّلَالَةَ، وَذَلِكَ الْأَخْذُ عَلَىٰ غَيْرِ طَرِيقِ الْحَقِّ وَرُكُوبُ غَيْرِ سَبِيلِ الرُّشْدِ وَالصَّوَابِ، مَعَ الْعِلْمِ مِنْهُمْ بِقَصْدِ السَّبِيلِ وَمَنْهَجِ الْحَقِّ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ اللهُ بِوَصْفِهِمْ بِاشْتِرَائِهِمُ الضَّلَالَةَ مَقَامَهُمْ عَلَىٰ التَّكْذِيبِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَرْكَهُمُ الْإِيمَانَ بِهِ، وَهُمْ عَالِمُونَ أَنَّ السَّبِيلَ الْحَقَّ الْإِيمَانُ بِهِ، وَتَصْدِيقَهُ بِمَا قَدْ وَجَدُوا مِنْ صِفَتِهِ فِي كُتُبِهِمُ الَّتِي عِنْدَهُمْ..

﴿وَيُرِيدُونَ﴾ وَيُرِيدُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِأَنَّهُمْ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ..

﴿أَن تَضِلُّوا۟﴾ أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمُصَدِّقِينَ بِهِ..

﴿ٱلسَّبِيلَ ۝٤٤﴾ [النساء: ٤٤] فَتَزُولُوا عَنْ قَصْدِ الطَّرِيقِ، وَمَحَجَّةِ الْحَقِّ، فَتُكَذِّبُوا بِمُحَمَّدٍ، وَتَكُونُوا

ضُلَّالًا مِثْلَهُمْ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ تَحْذِيرٌ مِنْهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَنْصِحُوا أَحَدًا مِنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ، أَوْ أَنْ يَسْمَعُوا شَيْئًا مِنْ طَعْنِهِمْ فِي الْحَقِّ.. ثُمَّ أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ عَدَاوَةِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ نَهَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَنْصِحُوهُمْ فِي دِينِهِمْ إِيَّاهُمْ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ۝٤٥﴾ [النساء: ٤٥].

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْۚ﴾ وَاللهُ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِعَدَاوَةِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَانْتَهُوا إِلَىٰ طَاعَتِي عَمَّا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ مِنِ اسْتِنْصَاحِهِمْ فِي دِينِكُمْ، فَإِنِّي أَعْلَمُ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ لَكُمْ مِنَ الْغِشِّ وَالْعَدَاوَةِ وَالْحَسَدِ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَبْغُونَكُمُ الْغَوَائِلَ، وَيَطْلُبُونَ أَنْ تَضِلُّوا عَنْ مَحَجَّةِ الْحَقِّ فَتَهْلِكُوا.. فَبِاللهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فَثِقُوا، وَعَلَيْهِ فَتَوَكَّلُوا، وَإِلَيْهِ فَارْغَبُوا دُونَ غَيْرِهِ، يَكْفِكُمْ مَا أَهَمَّكُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ..

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ وَكَفَاكُمْ وَحَسْبُكُمْ بِاللهِ رَبِّكُمْ وَلِيًّا يَلِيكُمْ وَيَلِي أُمُورَكُمْ بِالْحِيَاطَةِ لَكُمْ وَالْحِرَاسَةِ مِنْ أَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ أَعْدَاؤُكُمْ عَنْ دِينِكُمْ أَوْ يَصُدُّوكُمْ عَنِ اتِّبَاعِ نَبِيِّكُمْ..

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ۝٤٥﴾ [النساء: ٤٥] وَحَسْبُكُمْ بِاللهِ نَاصِرًا لَكُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ وَأَعْدَاءِ دِينِكُمْ، وَعَلَىٰ مَنْ بَغَاكُمُ الْغَوَائِلَ، وَبَغَىٰ دِينَكُمُ الْعِوَجَ.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٤٦﴾ [النساء: ٤٦].

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا..

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ يُبَدِّلُونَ مَعْنَاهَا وَيُغَيِّرُونَهَا عَنْ تَأْوِيلِهِ.. وَالْكَلِمُ جِمَاعُ كَلِمَةٍ..

﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ عَنْ أَمَاكِنِهِ، وَوُجُوهُهُ الَّتِي، هِيَ وُجُوهُهُ..

﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا يَقُولُونَ: سَمِعْنَا يَا مُحَمَّدُ قَوْلَكَ..

﴿وَعَصَيْنَا﴾ أَمْرَكَ..

﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ كَقَوْلِ الْقَائِلِ لِلرَّجُلِ يَسُبُّهُ: اسْمَعْ لَا أَسْمَعَكَ اللهُ، فَوَصَفَهُمْ بِتَحْرِيفِ الْكَلَامِ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَالطَّعْنِ فِي الدِّينِ بِسَبِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنِ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا حَوَالَيْ مُهَاجِرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي عَصْرِهِ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسُبُّونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَيُؤْذُونَهُ

بِالْقَبِيحِ مِنَ الْقَوْلِ.. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَالْحَسَنِ أَنَّهُمَا كَانَا يَتَأَوَّلَانِ فِي ذَلِكَ بِمَعْنَى: (وَاسْمَعْ غَيْرَ مَقْبُولٍ مِنْكَ)، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ لَقِيلَ: (وَاسْمَعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ)..

﴿وَرَٰعِنَا﴾ رَاعِنَا سَمْعَكَ، افْهَمْ عَنَّا وَأَفْهِمْنَا.. ثُمَّ أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ تَحْرِيكًا مِنْهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ بِتَحْرِيفٍ مِنْهُمْ لِمَعْنَاهُ إِلَى الْمَكْرُوهِ مِنْ مَعْنَيَيْهِ، وَاسْتِخْفَافًا مِنْهُمْ بِحَقِّ النَّبِيِّ ﷺ..

﴿وَطَعْنًا فِي ٱلدِّينِ﴾ وَيَطْعَنُونَ فِي الدِّينِ..

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ..

﴿قَالُواْ﴾ لِنَبِيِّ اللهِ..

﴿سَمِعْنَا﴾ يَا مُحَمَّدُ قَوْلَكَ..

﴿وَأَطَعْنَا﴾ أَمْرَكَ، وَقَبِلْنَا مَا جِئْتَنَا بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَٱسْمَعْ﴾ مِنَّا..

﴿وَٱنظُرْنَا﴾ مَا نَقُولُ، وَانْتَظِرْنَا نَفْهَمْ عَنْكَ مَا تَقُولُ لَنَا..

﴿لَكَانَ﴾ ذَلِكَ..

﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ عِنْدَ اللهِ..

﴿وَأَقْوَمَ﴾ وَأَعْدَلَ وَأَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ، وَهُوَ مِنَ الِاسْتِقَامَةِ، مِنْ قَوْلِ اللهِ: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ [المزمل: ٦] بِمَعْنَى: وَأَصْوَبُ قِيلًا..

﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وَلَكِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخْزَى هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَأَقْصَاهُمْ وَأَبْعَدَهُمْ مِنَ الرُّشْدِ، وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ..

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ بِجُحُودِهِمْ نُبُوَّةَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيِّنَاتِ..

﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ فَلَا يُصَدِّقُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، وَلَا يُقِرُّونَ بِنُبُوَّتِهِ..

﴿إِلَّا قَلِيلًا ۝٤٦﴾ [النساء: ٤٦] لَا يُصَدِّقُونَ بِالْحَقِّ الَّذِي جِئْتَهُمْ بِهِ يَا مُحَمَّدُ إِلَّا إِيمَانًا قَلِيلًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ۝٤٧﴾ [النساء: ٤٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ مِنَ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا حَوَالَيْ مُهَاجَرِ

رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ اللهُ لَهُمْ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُنْزِلَ إِلَيْهِمُ الْكِتَابُ فَأُعْطُوا الْعِلْمَ بِهِ..

﴿ءَامِنُوا۟﴾ صَدِّقُوا..

﴿بِمَا نَزَّلْنَا﴾ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ مِنَ الْفُرْقَانِ..

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ مُحَقِّقًا لِلَّذِي مَعَكُمْ مِنَ التَّوْرَاةِ الَّتِي أَنْزَلْتُهَا إِلَىٰ مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ..

﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ أَبْصَارَهَا وَنَمْحُوَ آثَارَهَا فَنُسَوِّيَهَا كَالْأَقْفَاءِ..

﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ فَنَجْعَلَ أَبْصَارَهَا فِي أَدْبَارِهَا، يَعْنِي بِذَلِكَ: فَنَجْعَلَ الْوُجُوهَ فِي أَدْبَارِ الْوُجُوهِ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: فَنُحَوِّلَ الْوُجُوهَ أَقْفَاءً، وَالْأَقْفَاءَ وُجُوهًا، فَيَمْشُونَ الْقَهْقَرَىٰ.. وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَبَيِّنٌ فَسَادُ قَوْلِ مَنْ قَالَ: تَأْوِيلُ ذَلِكَ أَنْ نُعْمِيَهَا عَنِ الْحَقِّ فَنَرُدَّهَا فِي الضَّلَالَةِ، فَمَا وَجْهُ رَدِّ مَنْ هُوَ فِي الضَّلَالَةِ فِيهَا؟! وَإِنَّمَا يُرَدُّ فِي الشَّيْءِ مَنْ كَانَ خَارِجًا مِنْهُ، فَأَمَّا مَنْ هُوَ فِيهِ فَلَا وَجْهَ لِأَنْ يُقَالَ: يَرُدُّهُ فِيهِ.. وَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَجْعَلَ الْوُجُوهَ مَنَابِتَ الشَّعْرِ كَهَيْئَةِ وُجُوهِ الْقِرَدَةِ، فَقَوْلٌ لِقَوْلِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ مُخَالِفٍ، وَكَفَىٰ بِخُرُوجِهِ عَنْ قَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْخَالِفِينَ عَلَىٰ خَطَئِهِ شَاهِدًا.. وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَهُمُ الَّتِي هُمْ فِيهَا فَنَرُدَّهُمْ إِلَىٰ الشَّامِ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ بِالْحِجَازِ وَنَجْدَ، فَإِنَّهُ - وَإِنْ كَانَ قَوْلًا لَهُ وَجْهٌ كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ- بَعِيدٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَعْرُوفَ مِنَ الْوُجُوهِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الَّتِي هِيَ خِلَافُ الْأَقْفَاءِ، وَكِتَابُ اللهِ يُوَجَّهُ تَأْوِيلُهُ إِلَىٰ الْأَغْلَبِ فِي كَلَامِ مَنْ نَزَلَ بِلِسَانِهِ حَتَّىٰ يَدُلَّ عَلَىٰ أَنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهِ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْوُجُوهِ الَّتِي ذَكَرْتُ دَلِيلٌ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ.. وَأَمَّا الطَّمْسُ: فَهُوَ الْعُفُوُّ وَالدُّثُورُ فِي اسْتِوَاءٍ؛ وَمِنْهُ يُقَالُ: طُمِسَتْ أَعْلَامُ الطَّرِيقِ تُطْمَسُ طُمُوسًا، إِذَا دُثِرَتْ وَتَعَفَّتْ فَانْدَفَنَتْ وَاسْتَوَتْ بِالْأَرْضِ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلْأَعْمَىٰ الَّذِي قَدْ تَعَفَّىٰ غَرُّ مَا بَيْنَ جَفْنَيْ عَيْنَيْهِ فَدُثِرَ، أَعْمَىٰ، مَطْمُوسٌ وَطَمِيسٌ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [يس: ٦٦].. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا وَصَفْتَ مِنْ تَأْوِيلِ الْآيَةِ، فَهَلْ كَانَ مَا تَوَعَّدَهُمْ بِهِ؟ قِيلَ: لَمْ يَكُنْ لِأَنَّهُ آمَنَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، وَثَعْلَبَةُ بْنُ سَعْيَةَ، وَأَسَدُ بْنُ سَعْيَةَ، وَأَسَدُ بْنُ عُبَيْدٍ، وَمُخَيْرِقٌ، وَجَمَاعَةٌ غَيْرُهُمْ، فَدَفَعَ عَنْهُمْ بِإِيمَانِهِمْ..

﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ أَوْ نَلْعَنَكُمْ، فَنُخْزِيَكُمْ، وَنَجْعَلَكُمْ قِرَدَةً..

﴿كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ كَمَا أَخْزَيْنَا الَّذِينَ اعْتَدَوْا فِي السَّبْتِ مِنْ أَسْلَافِكُمْ، قِيلَ ذَلِكَ عَلَىٰ وَجْهِ الْخِطَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾، كَمَا قَالَ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى

ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا﴾ [يونس: ٢٢]، وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَ أَصْحَابَ الْوُجُوهِ، فَجَعَلَ الْهَاءَ وَالْمِيمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ مِنْ ذِكْرِ أَصْحَابِ الْوُجُوهِ، إِذْ كَانَ فِي الْكَلَامِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وَكَانَ جَمِيعُ مَا أَمَرَ اللهُ أَنْ يَكُونَ كَائِنًا..

﴿مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء: ٤٧] مَخْلُوقًا مَوْجُودًا، لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ خَلْقُ شَيْءٍ شَاءَ خَلْقَهُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ، وَإِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ الشِّرْكَ بِهِ وَالْكُفْرَ..

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ الشِّرْكِ..

﴿لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ.. وَقَدْ أَبَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَنَّ كُلَّ صَاحِبِ كَبِيرَةٍ فَفِي مَشِيئَةِ اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ عَلَيْهِ مَا لَمْ تَكُنْ كَبِيرَةً شِرْكًا بِاللهِ..

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فِي عِبَادَتِهِ غَيْرَهُ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨] فَقَدِ اخْتَلَقَ إِثْمًا عَظِيمًا.. وَإِنَّمَا جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُفْتَرِيًا، لِأَنَّهُ قَالَ زُورًا وَإِفْكًا بِجُحُودِهِ وَحْدَانِيَّةَ اللهِ، وَإِقْرَارِهِ بِأَنَّ لِلَّهِ شَرِيكًا مِنْ خَلْقِهِ وَصَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا، فَقَائِلُ ذَلِكَ مُفْتَرٍ، وَكَذَلِكَ كُلُّ كَاذِبٍ فَهُوَ مُفْتَرٍ فِي كَذِبِهِ مُخْتَلِقٌ لَهُ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء: ٤٩].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِقَلْبِكَ..

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ﴾ مِنَ الْيَهُودِ، فَيُبَرِّئُونَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، وَيُطَهِّرُونَهَا.. وَمَعْنَىٰ تَزْكِيَةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِأَنَّهُمْ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ، وَصْفِهِمْ إِيَّاهَا بِأَنَّهَا لَا ذُنُوبَ لَهَا وَلَا خَطَايَا، وَأَنَّهُمْ لِلَّهِ أَبْنَاءٌ وَأَحِبَّاءٌ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَهُ..

﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ مَا الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ أَنَّهُ لَا ذُنُوبَ لَكُمْ وَلَا خَطَايَا، وَإِنَّكُمْ بُرَآءُ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ، وَلَكِنَّكُمْ أَهْلُ فِرْيَةٍ وَكَذِبٍ عَلَىٰ اللهِ، وَلَيْسَ الْمُزَكِّي مَنْ زَكَّىٰ نَفْسَهُ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يُزَكِّيهِ اللهُ،

وَاللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، فَيُطَهِّرُهُ وَيُبَرِّئُهُ مِنَ الذُّنُوبِ بِتَوْفِيقِهِ لِاجْتِنَابِ مَا يَكْرَهُهُ مِنْ مَعَاصِيهِ إِلَىٰ مَا يَرْضَاهُ مِنْ طَاعَتِهِ.. فَإِنَّهُ تَكْذِيبٌ مِنَ اللهِ الْمُزَكِّينَ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، الْمُبَرِّئِيهَا مِنَ الذُّنُوبِ..

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ وَلَا يَظْلِمُ اللهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ وَلَا غَيْرَهُمْ مِنْ خَلْقِهِ، فَيَبْخَسُهُمْ فِي تَرْكِهِ تَزْكِيَتَهُمْ، وَتَزْكِيَةِ مَنْ تَرَكَ تَزْكِيَتَهُ، وَفِي تَزْكِيَةِ مَنْ زَكَّىٰ مِنْ خَلْقِهِ شَيْئًا مِنْ حُقُوقِهِمْ وَلَا يَضَعُ شَيْئًا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَلَكِنَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، فَيُوَفِّقُهُ، وَيَخْذُلُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ أَهْلِ مَعَاصِيهِ، كُلُّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَحَدًا مِمَّنْ زَكَّاهُ أَوْ لَمْ يُزَكِّهِ..

﴿فَتِيلًا ۝٤٩﴾ [النساء: ٤٩] وَأَصْلُ الْفَتِيلِ: الْمَفْتُولُ، صُرِفَ مِنْ مَفْعُولٍ إِلَىٰ فَعِيلٍ، كَمَا قِيلَ: صَرِيعٌ وَدَهِينٌ مِنْ مَصْرُوعٍ وَمَدْهُونٍ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا قَصَدَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٤٩﴾ الْخَبَرَ عَنْ أَنَّهُ لَا يَظْلِمُ عِبَادَهُ أَقَلَّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا خَطَرَ لَهَا، فَكَيْفَ بِمَا لَهُ خَطَرٌ، وَكَانَ الْوَسَخُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ أُصْبُعَيِ الرَّجُلِ أَوْ مِنْ بَيْنِ كَفَّيْهِ إِذَا فَتَلَ إِحْدَاهُمَا عَلَىٰ الْأُخْرَىٰ، كَالَّذِي هُوَ فِي شِقِّ النَّوَاةِ وَبَطْنِهَا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ مَفْتُولَةٌ، مِمَّا لَا خَطَرَ لَهُ وَلَا قِيمَةَ، فَوَاجِبٌ أَنْ يَكُونَ كُلُّ ذَلِكَ دَاخِلًا فِي مَعْنَىٰ الْفَتِيلِ، إِلَّا أَنْ يُخْرِجَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ مَا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٠﴾ [النساء: ٥٠].

﴿ٱنظُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿كَيْفَ يَفْتَرُونَ﴾ كَيْفَ يَفْتَرِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْقَائِلُونَ: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وَأَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ، الزَّاعِمُونَ أَنَّهُ لَا ذُنُوبَ لَهُمْ..

﴿عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ وَالزُّورَ مِنَ الْقَوْلِ، فَيَخْتَلِقُونَهُ عَلَىٰ اللهِ..

﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ﴾ وَحَسْبُهُمْ بِقِيلِهِمْ ذَلِكَ الْكَذِبُ وَالزُّورُ عَلَىٰ اللهِ..

﴿إِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٠﴾ [النساء: ٥٠] يُبَيِّنُ كَذِبَهُمْ لِسَامِعِيهِ، وَيُوَضِّحُ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَفَكَةٌ فَجَرَةٌ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ۝٥١﴾ [النساء: ٥١].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بِقَلْبِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟﴾ أُعْطُوا..

﴿نَصِيبًا﴾ حَظًّا..

﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فَعَلِمُوهُ..

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يُصَدِّقُونَ..

﴿بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ وَيَكْفُرُونَ بِاللهِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الإِيمَانَ بِهِمَا كُفْرٌ وَالتَّصْدِيقَ بِهِمَا شِرْكٌ.. والْجِبْتَ وَالطَّاغُوتُ اسْمَانِ لِكُلِّ مُعَظَّمٍ بِعِبَادَةٍ مِنْ دُونِ اللهِ، أَوْ طَاعَةٍ أَوْ خُضُوعٍ لَهُ، كَائِنًا مَا كَانَ ذَلِكَ الْمُعَظَّمَ مِنْ حَجَرٍ أَوْ إِنْسَانٍ أَوْ شَيْطَانٍ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَكَانَتِ الأَصْنَامُ الَّتِي كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ تَعْبُدُهَا كَانَتْ مُعَظَّمَةً بِالْعِبَادَةِ مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ كَانَتْ جُبُوتًا وَطَوَاغِيتَ، وَكَذَلِكَ الشَّيَاطِينُ الَّتِي كَانَتِ الْكُفَّارُ تُطِيعُهَا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَكَذَلِكَ السَّاحِرُ وَالْكَاهِنُ اللَّذَانِ كَانَ مَقْبُولًا مِنْهُمَا مَا قَالَا فِي أَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَكَذَلِكَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَكَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ، لِأَنَّهُمَا كَانَا مُطَاعَيْنِ فِي أَهْلِ مِلَّتِهِمَا مِنَ الْيَهُودِ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ وَالْكُفْرِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، فَكَانَا جِبْتَيْنِ وَطَاغُوتَيْنِ..

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ جَحَدُوا وَحْدَانِيَّةَ اللهِ وَرِسَالَةَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِالْكُفْرِ..

﴿أَهْدَىٰ﴾ أَقْوَمَ وَأَعْدَلَ..

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مِنَ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَأَقَرُّوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿سَبِيلًا ۝٥١﴾ [النساء: ٥١] طَرِيقًا، وَإِنَّمَا ذَلِكَ مَثَلٌ.. وَمَعْنَى الْكَلَامِ: إِنَّ اللهَ وَصَفَ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ بِتَعْظِيمِهِمْ غَيْرَ اللهِ بِالْعِبَادَةِ وَالإِذْعَانِ لَهُ بِالطَّاعَةِ فِي الْكُفْرِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَعْصِيَتِهِمَا، وَأَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ أَهْلَ الْكُفْرِ بِاللهِ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ بِهِ، وَإِنَّ دِينَ أَهْلِ التَّكْذِيبِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ أَعْدَلُ وَأَصْوَبُ مِنْ دِينِ أَهْلِ التَّصْدِيقِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝٥٢﴾ [النساء: ٥٢].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ أَنَّهُمْ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ وَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، هُمْ..

﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أَخْزَاهُمُ اللهُ فَأَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ بِإِيمَانِهِمْ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَكُفْرِهِمْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، عِنَادًا مِنْهُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَبِقَوْلِهِمْ: ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ۝٥١﴾ [النساء: ٥١]..

﴿وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ﴾ وَمَنْ يُخْزِهِ اللهُ فَيُبْعِدْهُ مِنْ رَحْمَتِهِ..

﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝﴾ [النساء: ٥٢] فَلَنْ تَجِدَ لَهُ يَا مُحَمَّدُ نَاصِرًا يَنْصُرُهُ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ وَلَعْنَتِهِ الَّتِي تَحِلُّ بِهِ فَيَدْفَعُ ذَلِكَ عَنْهُ.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ۝﴾ [النساء: ٥٣].

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ أَمْ لَهُمْ حَظٌّ مِنَ الْمُلْكِ، يَقُولُ: لَيْسَ لَهُمْ حَظٌّ مِنَ الْمُلْكِ..

﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ﴾ وَلَوْ كَانَ لَهُمْ نَصِيبٌ وَحَظٌّ مِنَ الْمُلْكِ، لَمْ يَكُونُوا إِذًا يُعْطُونَ النَّاسَ..

﴿نَقِيرًا ۝﴾ [النساء: ٥٣] مِنْ بُخْلِهِمْ.. فَإِنَّ اللهَ وَصَفَ هَؤُلَاءِ الْفِرْقَةَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالْبُخْلِ بِالْيَسِيرِ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَا خَطَرَ لَهُ، وَلَوْ كَانُوا مُلُوكًا وَأَهْلَ قُدْرَةٍ عَلَى الْأَشْيَاءِ الْجَلِيلَةِ الْأَقْدَارِ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَالَّذِي هُوَ أَوْلَى بِمَعْنَى النَّقِيرِ أَنْ يَكُونَ أَصْغَرَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّقْرِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ أَوْلَى بِهِ، فَالنُّقْرَةُ الَّتِي فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ مِنْ صِغَارِ النُّقَرِ، وَقَدْ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ كُلُّ مَا شَاكَلَهَا مِنَ النُّقَرِ.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝﴾ [النساء: ٥٤].

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ﴾ أَمْ يَحْسُدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ.. فَإِنَّ اللهَ عَاتَبَ الْيَهُودَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، فَقَالَ لَهُمْ فِي قِيلِهِمْ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ إِنَّهُمْ أَهْدَى مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ سَبِيلًا، عَلَى عِلْمٍ مِنْهُمْ بِأَنَّهُمْ فِي قِيلِهِمْ مَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ كَذَبَةٌ، أَمْ يَحْسُدُونَ..

﴿ٱلنَّاسَ﴾ مُحَمَّدًا..

﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ﴾ مِنَ النُّبُوَّةِ الَّتِي فَضَّلَ اللهُ بِهَا مُحَمَّدًا، وَشَرَّفَ بِهَا الْعَرَبَ؛ إِذْ آتَاهَا رَجُلًا مِنْهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ..

﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أَمْ يَحْسُدُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْهُمْ، فَكَيْفَ لَا يَحْسُدُونَ آلَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَدْ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ؟! وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فَقَدْ أَعْطَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ، يَعْنِي: أَهْلَهُ وَأَتْبَاعَهُ عَلَى دِينِهِ..

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ كِتَابَ اللهِ الَّذِي أَوْحَاهُ إِلَيْهِمْ، وَذَلِكَ كَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَالزَّبُورِ، وَسَائِرِ مَا آتَاهُمْ مِنَ الْكُتُبِ..

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ مِمَّا لَمْ يَكُنْ كِتَابًا مَقْرُوءًا..

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء: ٥٤] مُلْكَ سُلَيْمَانَ.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [النساء: ٥٥].

﴿فَمِنْهُم﴾ فَمِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ [النساء: ٤٧]..

﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ مَنْ صَدَّقَ بِمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ..

﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ التَّصْدِيقِ بِهِ.. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ الَّذِينَ صَدُّوا عَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا حَوَالَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّمَا رُفِعَ عَنْهُمْ وَعِيدُ اللهِ الَّذِي تَوَعَّدَهُمْ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء: ٤٧] فِي الدُّنْيَا، وَأُخِّرَتْ عُقُوبَتُهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لِإِيمَانِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ، وَإِنَّ الْوَعِيدَ لَهُمْ مِنَ اللهِ بِتَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا كَانَ عَلَىٰ مَقَامِ جَمِيعِهِمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِمَا أَنْزَلَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ، فَلَمَّا آمَنَ بَعْضُهُمْ خَرَجُوا مِنَ الْوَعِيدِ الَّذِي تَوَعَّدَهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، وَأُخِّرَتْ عُقُوبَةُ الْمُقِيمِينَ عَلَىٰ التَّكْذِيبِ إِلَىٰ الْآخِرَةِ، فَقَالَ لَهُمْ..

﴿وَكَفَىٰ﴾ وَحَسْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ بِمَا أَنْزَلْتُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ نَبِيِّي وَرَسُولِي..

﴿بِجَهَنَّمَ﴾ بِنَارِ جَهَنَّمَ..

﴿سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [النساء: ٥٥] تُسَعَّرُ عَلَيْكُمْ، أَيْ تُوقَدُ عَلَيْكُمْ.. وَقِيلَ: ﴿سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ أَصْلُهُ مَسْعُورًا، مِنْ سُعِّرَتْ تُسَعَّرُ فَهِيَ مَسْعُورَةٌ، كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾ [التكوير: ١٢] وَلَكِنَّهَا صُرِفَتْ إِلَىٰ فَعِيلٍ، كَمَا قِيلَ: كَفٌّ خَضِيبٌ وَلِحْيَةٌ دَهِينٌ، بِمَعْنَىٰ مَخْضُوبَةٌ وَمَدْهُونَةٌ، وَالسَّعِيرُ: الْوَقُودُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء: ٥٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا..

﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بِمَا أَنْزَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِي مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ آيَاتِي، يَعْنِي مِنْ آيَاتِ تَنْزِيلِهِ وَوَحْيِ

كِتَابِهِ، وَهِيَ دَلَالَاتُهُ وَحُجَجُهُ عَلَىٰ صِدْقِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَمْ يُصَدِّقُوا بِهِ، مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ..

﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ سَوْفَ نُنْضِجُهُمْ فِي نَارٍ يُصْلَوْنَ فِيهَا، أَيْ يُشْوَوْنَ فِيهَا..

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ كُلَّمَا انْشَوَتْ بِهَا جُلُودُهُمْ فَاحْتَرَقَتْ..

﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ غَيْرَ الْجُلُودِ الَّتِي قَدْ نَضِجَتْ فَانْشَوَتْ.. وهَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلَّذِينَ أَقَامُوا عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْكُفَّارِ بِرَسُولِهِ..

﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ فَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ لِيَجِدُوا أَلَمَ الْعَذَابِ وَكَرْبِهِ وَشِدَّتِهِ بِمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يُكَذِّبُونَ آيَاتِ اللهِ وَيَجْحَدُونَهَا..

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ إِنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ عَزِيزًا فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْهُ مِنْ خَلْقِهِ، لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ الامْتِنَاعِ مِنْهُ أَحَدٌ أَرَادَهُ بِضُرٍّ، وَلَا الِانْتِصَارِ مِنْهُ أَحَدٌ أَحَلَّ بِهِ عُقُوبَةً..

﴿حَكِيمًا ۝٥٦﴾ [النساء: ٥٦] فِي تَدْبِيرِهِ وَقَضَائِهِ.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۝٥٧﴾ [النساء: ٥٧].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَصَدَّقُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَسَائِرِ الْأُمَمِ غَيْرِهِمْ..

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وَأَدَّوْا مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَاجْتَنَبُوا مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَعَاصِيهِ، وَذَلِكَ هُوَ الصَّالِحُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ..

﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾ سَوْفَ يُدْخِلُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿جَنَّاتٍ﴾ بَسَاتِينَ..

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ تِلْكَ الْجَنَّاتِ الْأَنْهَارُ..

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ بَاقِينَ فِيهَا أَبَدًا بِغَيْرِ نِهَايَةٍ وَلَا انْقِطَاعٍ، دَائِمٌ ذَلِكَ لَهُمْ فِيهَا أَبَدًا..

﴿لَّهُمْ فِيهَا﴾ لَهُمْ فِي تِلْكَ الْجَنَّاتِ الَّتِي وَصَفَ صِفَتَهَا..

﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ بَرِيئَاتٌ مِنَ الْأَدْنَاسِ وَالرِّيَبِ الْحَيْضِ وَالْغَائِطِ وَالْبَوْلِ وَالْحَبَلِ وَالْبُصَاقِ، وَسَائِرِ مَا يَكُونُ فِي نِسَاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا..

﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧﴾ [النساء: ٥٧] وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا كَنِينًا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠﴾ [الواقعة: ٣٠].. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لا يَقْطَعُهَا».

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء: ٥٨].

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ﴾ يَا مَعْشَرَ وُلَاةِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ..

﴿أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ﴾ أَنْ تُؤَدُّوا مَا ائْتَمَنَتْكُمْ عَلَيْهِ رَعِيَّتُكُمْ مِنْ فَيْئِهِمْ وَحُقُوقِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَصَدَقَاتِهِمْ..

﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ عَلَىٰ مَا أَمَرَكُمُ اللهُ، بِأَدَاءِ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ مَنْ هُوَ لَهُ بَعْدَ أَنْ تَصِيرَ فِي أَيْدِيكُمْ، لا تَظْلِمُوهَا أَهْلَهَا وَلَا تَسْتَأْثِرُوا بِشَيْءٍ مِنْهَا وَلَا تَضَعُوا شَيْئًا مِنْهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَلَا تَأْخُذُوهَا إِلَّا مِمَّنْ أَذِنَ اللهُ لَكُمْ بِأَخْذِهَا مِنْهُ قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ فِي أَيْدِيكُمْ..

﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ وَيَأْمُرُكُمْ إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ رَعِيَّتِكُمْ..

﴿أَن تَحۡكُمُواْ﴾ بَيْنَهُمْ..

﴿بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ وَالْإِنْصَافِ، وَذَلِكَ حُكْمُ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ وَبَيَّنَهُ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ، لَا تَعْدُوا ذَلِكَ فَتَجُورُوا عَلَيْهِمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ﴾ يَا مَعْشَرَ وُلَاةِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ إِنَّ اللهَ نِعْمَ الشَّيْءُ يَعِظُكُمْ بِهِ، وَنِعِمَّتِ الْعِظَةُ يَعِظُكُمْ بِهَا فِي أَمْرِهِ إِيَّاكُمْ، أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا، وَأَنْ تَحْكُمُوا بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا﴾ إِنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ سَمِيعًا بِمَا تَقُولُونَ وَتَنْطِقُونَ، وَهُوَ سَمِيعٌ لِذَلِكَ مِنْكُمْ إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ وَلَمْ تُحَاوِرُوهُمْ بِهِ..

﴿بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء: ٥٨] بِمَا تَفْعَلُونَ فِيمَا ائْتَمَنْتُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ حُقُوقِ رَعِيَّتِكُمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَمَا تَقْضُونَ بِهِ بَيْنَهُمْ مِنْ أَحْكَامِكُمْ بِعَدْلٍ تَحْكُمُونَ أَوْ جَوْرٍ، لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، حَافِظٌ ذَلِكَ كُلَّهُ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ مُحْسِنَكُمْ بِإِحْسَانِهِ وَمُسِيئَكُمْ بِإِسَاءَتِهِ، أَوْ يَعْفُوَ بِفَضْلِهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ رَبَّكُمْ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِنَّ فِي طَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ لِرَبِّكُمْ طَاعَةً، وَذَلِكَ أَنَّكُمْ تُطِيعُونَهُ لِأَمْرِ اللهِ إِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ».. وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ فِي حَيَاتِهِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ فِي اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَمَّ بِالْأَمْرِ بِطَاعَتِهِ وَلَمْ يُخَصِّصْ ذَلِكَ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ، فَهُوَ عَلَىٰ الْعُمُومِ حَتَّىٰ يَخُصَّ ذَلِكَ مَا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ..

﴿وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ هُمُ الْأُمَرَاءُ وَالْوُلَاةُ، لِصِحَّةِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْأَمْرِ بِطَاعَةِ الْأَئِمَّةِ وَالْوُلَاةِ فِيمَا كَانَ طَاعَةً وَلِلْمُسْلِمِينَ مَصْلَحَةً.. فَإِذَا كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ لَا طَاعَةَ وَاجِبَةٌ لِأَحَدٍ غَيْرِ اللهِ أَوْ رَسُولِهِ أَوْ إِمَامٍ عَادِلٍ، وَكَانَ اللهُ قَدْ أَمَرَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ بِطَاعَةِ ذَوِي أَمْرِنَا، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الَّذِينَ أَمَرَ بِطَاعَتِهِمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مِنْ ذَوِي أَمْرِنَا هُمُ الْأَئِمَّةُ وَمَنْ وَلَّاهُ الْمُسْلِمُونَ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَ فَرْضًا الْقَبُولُ مِنْ كُلِّ مَنْ أَمَرَ بِتَرْكِ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَدَعَا إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَأَنَّهُ لَا طَاعَةَ تَجِبُ لِأَحَدٍ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ فِيمَا لَمْ تَقُمْ حُجَّةُ وُجُوبِهِ إِلَّا لِلْأَئِمَّةِ الَّذِينَ أَلْزَمَ اللهُ عِبَادَهُ طَاعَتَهُمْ فِيمَا أَمَرُوا بِهِ رَعِيَّتَهُمْ مِمَّا هُوَ مَصْلَحَةٌ لِعَامَّةِ الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ عَلَىٰ مَنْ أَمَرُوهُ بِذَلِكَ طَاعَتَهُمْ، وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ مَا لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ مَعْصِيَةً..

﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ﴾ فَإِنِ اخْتَلَفْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فِى شَىْءٍ﴾ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ أَنْتُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ أَوْ أَنْتُمْ وَوُلَاةُ أَمْرِكُمْ فَاشْتَجَرْتُمْ فِيهِ..

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فَارْتَادُوا مَعْرِفَةَ حُكْمِ الَّذِي اشْتَجَرْتُمْ أَنْتُمْ بَيْنَكُمْ، أَوْ أَنْتُمْ وَأُولُو أَمْرِكُمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَاتَّبِعُوا مَا وَجَدْتُمْ..

﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا إِلَىٰ عِلْمِ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ سَبِيلًا، فَارْتَادُوا مَعْرِفَةَ ذَلِكَ أَيْضًا مِنْ عِنْدِ الرَّسُولِ إِنْ كَانَ حَيًّا، وَإِنْ كَانَ مَيِّتًا فَمِنْ سُنَّتِهِ..

﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ افْعَلُوا ذَلِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ..

﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ وبِالْمَعَادِ الَّذِي فِيهِ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ فَلَكُمْ مِنَ اللهِ الْجَزِيلُ مِنَ الثَّوَابِ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ فَلَكُمُ الْأَلِيمُ مِنَ الْعِقَابِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ فَرَدُّ مَا تَنَازَعْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَىٰ اللهِ وَالرَّسُولِ..

﴿خَيْرٌ﴾ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ فِي مَعَادِكُمْ، وَأَصْلَحُ لَكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَدْعُوكُمْ إِلَىٰ الْأُلْفَةِ، وَتَرْكِ التَّنَازُعِ وَالْفُرْقَةِ..

﴿وَأَحْسَنُ﴾ وَأَحْمَدُ..

﴿تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] مَوْئِلًا وَمَغَبَّةً، وَأَجْمَلُ عَاقِبَةً.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِقَلْبِكَ فَتَعْلَمَ..

﴿إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ صَدَّقُوا..

﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ مِنَ الْكِتَابِ..

﴿وَمَا﴾ وَإِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا..

﴿أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ مِنَ الْكُتُبِ..

﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا﴾ فِي خُصُومَتِهِمْ..

﴿إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ إِلَى مَنْ يُعَظِّمُونَهُ، وَيَصْدُرُونَ عَنْ قَوْلِهِ، وَيَرْضَوْنَ بِحُكْمِهِ مِنْ دُونِ حُكْمِ اللهِ..

﴿وَقَدْ أُمِرُوا﴾ وَقَدْ أَمَرَهُمُ اللهُ..

﴿أَن يَكْفُرُوا﴾ أَنْ يُكَذِّبُوا..

﴿بِهِ﴾ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ الطَّاغُوتُ الَّذِي يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ، فَتَرَكُوا أَمْرَ اللهِ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ الشَّيْطَانِ..

﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ﴾ يَعْنِي أَنَّ الشَّيْطَانَ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَحَاكِمِينَ إِلَى الطَّاغُوتِ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْهُدَى، فَيُضِلَّهُمْ عَنْهَا..

﴿ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] فَيَجُورُ بِهِمْ عَنْهَا جَوْرًا شَدِيدًا.. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ دَعَا رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ فِي خُصُومَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمَا إِلَى بَعْضِ الْكُهَّانِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١].

﴿وَإِذَا﴾ أَلَمْ تَرَ يَا مُحَمَّدُ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَإِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَإِذَا..

﴿قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ هَلُمُّوا..

﴿إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إِلَىٰ حُكْمِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ..

﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ لِيَحْكُمَ بَيْنَنَا..

﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝﴾ [النساء: ٦١] يَمْتَنِعُونَ مِنَ الْمَصِيرِ إِلَيْكَ لِتَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، وَيَمْنَعُونَ مِنَ الْمَصِيرِ إِلَيْكَ كَذَلِكَ غَيْرَهُمْ.

﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ۝﴾ [النساء: ٦٢].

﴿فَكَيْفَ﴾ بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ..

﴿إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ إِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ نِقْمَةٌ مِنَ اللهِ..

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بِذُنُوبِهِمُ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْهُمْ..

﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ كَذِبًا وَزُورًا..

﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا﴾ مَا أَرَدْنَا بِاحْتِكَامِنَا إِلَيْهِ إِلَّا الْإِحْسَانَ مِنْ بَعْضِنَا إِلَىٰ بَعْضٍ..

﴿وَتَوْفِيقًا ۝﴾ [النساء: ٦٢] وَالصَّوَابَ فِيمَا احْتَكَمْنَا فِيهِ إِلَيْهِ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ لَا يَرْدَعُهُمْ عَنِ النِّفَاقِ الْعِبَرُ وَالنِّقَمُ، وَأَنَّهُمْ وَإِنْ تَأْتِهِمْ عُقُوبَةٌ مِنَ اللهِ عَلَىٰ تَحَاكُمِهِمْ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، لَمْ يُنِيبُوا وَلَمْ يَتُوبُوا، وَلَكِنَّهُمْ يَحْلِفُونَ بِاللهِ كَذِبًا وَجُرْأَةً عَلَىٰ اللهِ.

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ۝﴾ [النساء: ٦٣].

﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ..

﴿ٱلَّذِينَ﴾ وَصَفْتُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ صِفَتَهُمْ..

﴿يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فِي احْتِكَامِهِمْ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، وَتَرْكِهِمُ الِاحْتِكَامَ إِلَيْكَ، وَصُدُودِهِمْ عَنْكَ، مِنَ النِّفَاقِ وَالزَّيْغِ، وَإِنْ حَلَفُوا بِاللهِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا..

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فَدَعْهُمْ، فَلَا تُعَاقِبْهُمْ فِي أَبْدَانِهِمْ وَأَجْسَامِهِمْ..

﴿وَعِظْهُمْ﴾ وَلَكِنْ عِظْهُمْ بِتَخْوِيفِكَ إِيَّاهُمْ بَأْسَ اللهِ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ، وَعُقُوبَتَهُ أَنْ تَنْزِلَ

بِدَارِهِمْ، وَحَذِّرْهُمْ مِنْ مَكْرُوهِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّكِّ فِي أَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ..

﴿وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلَۢا بَلِيغًا ٦٣﴾ [النساء: ٦٣] مُرْهُمْ بِاتِّقَاءِ اللهِ وَالتَّصْدِيقِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ٦٤﴾

[النساء: ٦٤].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ وَمَا أَرْسَلْتُ رَسُولًا إِلَّا فَرَضْتُ طَاعَتَهُ عَلَىٰ مَنْ أَرْسَلْتُهُ إِلَيْهِ، فَمُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ أُولَئِكَ الرُّسُلِ، فَمَنْ تَرَكَ طَاعَتَهُ وَالرِّضَا بِحُكْمِهِ وَاحْتَكَمَ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، فَقَدْ خَالَفَ أَمْرِي وَضَيَّعَ فَرْضِي.. وَهَذَا مِنَ اللهِ تَوْبِيخٌ لِلْمُحْتَكِمِينَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا اخْتَصَمُوا فِيهِ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، صُدُودًا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بِتَقْدِيرِهِ ذَلِكَ وَقَضَائِهِ السَّابِقِ فِي عِلْمِهِ وَمَشِيئَتِهِ.. وَهَذَا تَعْرِيضٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ تَرْكَهُمْ طَاعَةَ اللهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ وَالرِّضَا بِحُكْمِهِ، إِنَّمَا هُوَ لِلسَّابِقِ لَهُمْ مِنْ خِذْلَانِهِ وَغَلَبَةِ الشَّقَاءِ عَلَيْهِمْ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانُوا مِمَّنْ أَذِنَ لَهُ فِي الرِّضَا بِحُكْمِهِ وَالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، الَّذِينَ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ حُكْمِ اللهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ فَصَدُّوا صُدُودًا..

﴿إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بِاكْتِسَابِهِمْ إِيَّاهَا الْعَظِيمَ مِنَ الْإِثْمِ فِي احْتِكَامِهِمْ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ وَصُدُودِهِمْ عَنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، إِذَا دُعُوا إِلَيْهَا..

﴿جَآءُوكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ حِينَ فَعَلُو مَا فَعَلُوا مِنْ مَصِيرِهِمْ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ رَاضِينَ بِحُكْمِهِ دُونَ حُكْمِكَ، جَاءُوكَ تَائِبِينَ مُنِيبِينَ..

﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ فَسَأَلُوا اللهَ أَنْ يَصْفَحَ لَهُمْ عَنْ عُقُوبَةِ ذَنْبِهِمْ بِتَغْطِيَتِهِ عَلَيْهِمْ..

﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ وَسَأَلَ لَهُمُ اللهَ رَسُولُهُ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ..

﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ﴾ لَوْ كَانُوا فَعَلُوا ذَلِكَ فَتَابُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ لَوَجَدُوا اللهَ..

﴿تَوَّابًا﴾ رَاجِعًا لَهُمْ مِمَّا يَكْرَهُونَ إِلَىٰ مَا يُحِبُّونَ..

﴿رَّحِيمًا ٦٤﴾ [النساء: ٦٤] بِهِمْ فِي تَرْكِهِ عُقُوبَتَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبِهِمُ الَّذِي تَابُوا مِنْهُ.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

﴿فَلَا﴾ فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، وَهُمْ يَتَحَاكَمُونَ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، وَيَصُدُّونَ عَنْكَ إِذَا دُعُوا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ. وَاسْتَأْنَفَ الْقَسَمَ جَلَّ ذِكْرُهُ، فَقَالَ..

﴿وَرَبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أَيْ لَا يُصَدِّقُونَ بِي وَبِكَ، وَبِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ..

﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ حَتَّىٰ يَجْعَلُوكَ حَكَمًا بَيْنَهُمْ..

﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ فِيمَا اخْتَلَطَ بَيْنَهُمْ مِنْ أُمُورِهِمْ، فَالْتَبَسَ عَلَيْهِمْ حُكْمُهُ، وَتَشَاجَرَ الْقَوْمُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي الْكَلَامِ..

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ أَيْ لَا تَأْثَمُ بِإِنْكَارِهَا مَا قَضَيْتَ، وَشَكِّهَا فِي طَاعَتِكَ، وَأَنَّ الَّذِي قَضَيْتَ بِهِ بَيْنَهُمْ حَقٌّ لَا يَجُوزُ لَهُمْ خِلَافُهُ..

﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] وَيُسَلِّمُوا لِقَضَائِكَ وَحُكْمِكَ، إِذْعَانًا مِنْهُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِقْرَارًا لَكَ بِالنُّبُوَّةِ تَسْلِيمًا.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ [النساء: ٦٦].

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا﴾ وَلَوْ أَنَّا فَرَضْنَا..

﴿عَلَيْهِمْ﴾ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْمُحْتَكِمِينَ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ..

﴿أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ وَأَمَرْنَاهُمْ بِذَلِكَ..

﴿أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾ أَوْ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ مُهَاجِرِينَ مِنْهَا إِلَىٰ دَارٍ أُخْرَىٰ سِوَاهَا..

﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ مَا قَتَلُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ، وَلَا هَاجَرُوا مِنْ دِيَارِهِمْ فَيَخْرُجُوا عَنْهَا إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ طَاعَةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ..

﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ مَا فَعَلَهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ..

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَهُمْ يَتَحَاكَمُونَ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، وَيَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا..

﴿فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ مَا يُذَكَّرُونَ بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ..

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُمْ وَآجِلِ مَعَادِهِمْ..

﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۝٦٦﴾ [النساء: ٦٦] وَأَثْبَتَ لَهُمْ فِي أُمُورِهِمْ، وَأَقْوَمَ لَهُمْ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُنَافِقَ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَكٍّ، فَعَمَلُهُ يَذْهَبُ بَاطِلًا، وَعَنَاؤُهُ يَضْمَحِلُّ فَيَصِيرُ هَبَاءً، وَهُوَ بِشَكِّهِ يَعْمَلُ عَلَىٰ رِيَاءٍ وَضَعْفٍ، وَلَوْ عَمِلَ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ لَاكْتَسَبَ بِعَمَلِهِ أَجْرًا وَلَكَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ ذُخْرًا وَكَانَ عَلَىٰ عَمَلِهِ الَّذِي يَعْمَلُ أَقْوَىٰ لِنَفْسِهِ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا لِإِيمَانِهِ بِوَعْدِ اللهِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَعَمَلِهِ الَّذِي يَعْمَلُهُ.

﴿وَإِذًا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمًا ۝٦٧﴾ [النساء: ٦٧].

﴿وَإِذًا﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ، وَإِذًا..

﴿لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ﴾ عَلَىٰ فِعْلِهِمْ مَا وُعِظُوا بِهِ مِنْ طَاعَتِنَا وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِنَا..

﴿أَجۡرًا﴾ جَزَاءً وَثَوَابًا..

﴿عَظِيمًا ۝٦٧﴾ [النساء: ٦٧] وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا لِعَزَائِمِهِمْ وَآرَائِهِمْ، وَأَقْوَىٰ لَهُمْ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ.

﴿وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا ۝٦٨﴾ [النساء: ٦٨].

﴿وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ وَلَوَفَّقْنَاهُمْ لِهِدَايَتِنَا إِيَّاهُمْ..

﴿صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا ۝٦٨﴾ [النساء: ٦٨] طَرِيقًا لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، وَهُوَ دِينُ اللهِ الْقَوِيمُ الَّذِي اخْتَارَهُ لِعِبَادِهِ وَشَرَعَهُ لَهُمْ، وَذَلِكَ الْإِسْلَامُ.. ثُمَّ ذَكَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا وَعَدَ أَهْلَ طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْكَرَامَةِ الدَّائِمَةِ لَدَيْهِ وَالْمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ عِنْدَهُ، فَقَالَ.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ بِالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِمَا، وَإِخْلَاصِ الرِّضَا بِحُكْمِهِمَا، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِمَا، وَالِانْزِجَارِ عَمَّا نَهَيَا عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ فَهُوَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهِدَايَتِهِ وَالتَّوْفِيقِ لِطَاعَتِهِ فِي الدُّنْيَا..

﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَفِي الْآخِرَةِ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ..

﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ وَهُمْ جَمْعُ صِدِّيقٍ، ومَعْنَاهُ الْمُصَدِّقُ قَوْلَهُ بِفِعْلِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي صِفَةِ مَرْيَمَ: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]..

﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ وَهُمْ جَمْعُ شَهِيدٍ، وَهُوَ الْمَقْتُولُ فِي سَبِيلِ اللهِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِقِيَامِهِ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ فِي جَنْبِ اللهِ حَتَّىٰ قُتِلَ..

﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وَهُمْ جَمْعُ صَالِحٍ، وَهُوَ كُلُّ مَنْ صَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ وَعَلَانِيَتُهُ..

﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ وَحَسُنَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَعَتَهُمْ وَوَصَفَهُمْ..

﴿رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩] رُفَقَاءَ فِي الْجَنَّةِ، وَالرَّفِيقُ فِي لَفْظِ الْوَاحِدِ بِمَعْنَىٰ الْجَمِيعِ.. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ لِأَنَّ قَوْمًا حَزِنُوا عَلَىٰ فَقْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَذَرًا أَنْ لَا يَرَوْهُ فِي الْآخِرَةِ.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ۝٧٠﴾ [النساء: ٧٠].

﴿ذَٰلِكَ﴾ كَوْنُ مَنْ أَطَاعَ اللهَ وَالرَّسُولَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ..

﴿ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ عَطَاءُ اللهِ إِيَّاهُمْ وَفَضْلُهُ عَلَيْهِمْ، لَا بِاسْتِيجَابِهِمْ ذَلِكَ لِسَابِقَةٍ سَبَقَتْ لَهُمْ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَ لَيْسَ بِالطَّاعَةِ وَصَلُوا إِلَىٰ مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِهِ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لَمْ يُطِيعُوهُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا بِفَضْلِهِ الَّذِي تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ فَهَدَاهُمْ بِهِ لِطَاعَتِهِ، فَكُلُّ ذَلِكَ فَضْلٌ مِنْهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ وَحَسْبُ الْعِبَادِ بِاللهِ الَّذِي خَلَقَهُمْ..

﴿عَلِيمًا ۝٧٠﴾ [النساء: ٧٠] بِطَاعَةِ الْمُطِيعِ مِنْهُمْ وَمَعْصِيَةِ الْعَاصِي، فَإِنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنَّهُ يُحْصِيهِ عَلَيْهِمْ وَيَحْفَظُهُ حَتَّىٰ يُجَازِيَ جَمِيعَهُمْ، فَيَجْزِيَ الْمُحْسِنَ مِنْهُمْ بِالْإِحْسَانِ، وَالْمُسِيءَ مِنْهُمْ بِالْإِسَاءَةِ، وَيَعْفُو عَمَّنْ شَاءَ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ۝٧١﴾ [النساء: ٧١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ خُذُوا جُنَّتَكُمْ وَأَسْلِحَتَكُمُ الَّتِي تَتَّقُونَ بِهَا مِنْ عَدُوِّكُمْ لِغَزْوِهِمْ وَحَرْبِهِمْ..

﴿فَٱنفِرُواْ﴾ إِلَيْهِمْ..

﴿ثُبَاتٍ﴾ وَهِيَ جَمْعُ ثُبَةٍ، وَالثُّبَةُ: الْعَصَبَةُ؛ وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: فَانْفِرُوا إِلَىٰ عَدُوِّكُمْ جَمَاعَةً بَعْدَ جَمَاعَةٍ مُتَسَلِّحِينَ، وَقَدْ تُجْمَعُ الثُّبَةُ عَلَىٰ ثُبِينَ..

﴿أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ۝٧١﴾ [النساء: ٧١] أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا مَعَ نَبِيِّكُمْ ﷺ لِقِتَالِهِمْ.

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ۝٧٢﴾ [النساء: ٧٢].

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ﴾ هَذَا نَعْتٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُنَافِقِينَ، نَعَتَهُمْ لِنَبِيِّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَوَصَفَهُمْ بِصِفَتِهِمْ، فَقَالَ: وَإِنَّ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، يَعْنِي: مِنْ عِدَادِكُمْ وَقَوْمِكُمْ وَمَنْ يَتَشَبَّهُ بِكُمْ وَيُظْهِرُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ دَعْوَتِكُمْ وَمِلَّتِكُمْ، وَهُوَ مُنَافِقٌ..

﴿لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ لَمَنْ وَاللهِ لَيُبَطِّئَنَّ مَنْ أَطَاعَهُ مِنْكُمْ عَنْ جِهَادِ عَدُوِّكُمْ وَقِتَالِهِمْ إِذَا أَنْتُمْ نَفَرْتُمْ إِلَيْهِمْ..

﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ هَزِيمَةٌ، أَوْ نَالَكُمْ قَتْلٌ أَوْ جِرَاحٌ مِنْ عَدُوِّكُمْ..

﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ۝٧٢﴾ [النساء: ٧٢] فَيُصِيبُنِي جِرَاحٌ أَوْ أَلَمٌ أَوْ قَتْلٌ، وَسَرَّهُ تَخَلُّفُهُ عَنْكُمْ شَمَاتَةً بِكُمْ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الشَّكِّ فِي وَعْدِ اللهِ الَّذِي وَعَدَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا نَالَهُمْ فِي سَبِيلِهِ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ وَفِي وَعِيدِهِ، فَهُوَ غَيْرُ رَاجٍ ثَوَابًا وَلَا خَائِفٍ عِقَابًا.

﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧٣﴾ [النساء: ٧٣].

﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وَلَئِنْ أَظْفَرَكُمُ اللهُ بِعَدُوِّكُمْ، فَأَصَبْتُمْ مِنْهُمْ غَنِيمَةً..

﴿لَيَقُولَنَّ﴾ هَذَا الْمُبَطِّئُ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْجِهَادِ مَعَكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، الْمُنَافِقُ..

﴿كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ﴾ بِمَا أُصِيبُ مَعَهُمْ مِنَ الْغَنِيمَةِ.. وَكَانَ قَتَادَةُ وَابْنُ جُرَيْجٍ يَقُولَانِ: إِنَّمَا قَالَ مَنْ قَالَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ إِذَا كَانَ الظَّفَرُ لِلْمُسْلِمِينَ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ، حَسَدًا مِنْهُمْ لَهُمْ..

﴿فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧٣﴾ [النساء: ٧٣] وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّ شُهُودَهُمُ الْحَرْبَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ إِنْ شَهِدُوهَا لِطَلَبِ الْغَنِيمَةِ، وَإِنْ تَخَلَّفُوا عَنْهَا فَلِلشَّكِّ الَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ لِحُضُورِهَا ثَوَابًا وَلَا يَخَافُونَ بِالتَّخَلُّفِ عَنْهَا مِنَ اللهِ عِقَابًا.

﴿۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٧٤﴾ [النساء: ٧٤].

﴿۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي دِينِ اللهِ وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ وَالدُّخُولِ فِيمَا أَمَرَ بِهِ أَهْلَ الْكُفْرِ بِهِ.. وَهَذَا

حَضٌّ مِنَ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ جِهَادِ عَدُوِّهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ عَلَىٰ أَحَايِينِهِمْ غَالِبِينَ كَانُوا أَوْ مَغْلُوبِينَ، وَالتَّهَاوُنِ بِأَحْوَالِ الْمُنَافِقِينَ فِي جِهَادِ مَنْ جَاهَدُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَعَ جِهَادُهُمْ أعداءَ اللهِ وأعداءَهم بالمسرَّةِ فيهم أو بالمساءةِ؛ لأنَّ في جهادِهم إِيَّاهُمْ -مَغْلُوبِينَ كَانُوا أَوْ غَالِبِينَ- مَنْزِلَةً مِنَ اللهِ رَفِيعَةً.

﴿ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ﴾ الَّذِينَ يَبِيعُونَ..

﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ حَيَاتَهُمُ الدُّنْيَا..

﴿بِٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ بِثَوَابِ الْآخِرَةِ، وَمَا وَعَدَ اللهُ أَهْلَ طَاعَتِهِ فِيهَا.. وَبَيْعُهُمْ إِيَّاهَا بِهَا إِنْفَاقُهُمْ أَمْوَالَهُمْ فِي طَلَبِ رِضَا اللهِ، كَجِهَادِ مَنْ أَمَرَ بِجِهَادِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ وَأَعْدَاءِ دِينِهِ، وَبَذْلِهِمْ مُهَجَهُمْ لَهُ فِي ذَلِكَ.. أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِمَا لَهُمْ فِي ذَلِكَ إِذَا فَعَلُوهُ، فَقَالَ..

﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي طَلَبِ إِقَامَةِ دِينِ اللهِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ أَعْدَاءَ اللهِ..

﴿فَيُقۡتَلۡ﴾ فَيَقْتُلُهُ أَعْدَاءُ اللهِ..

﴿أَوۡ يَغۡلِبۡ﴾ أَوْ يَغْلِبَهُمْ فَيَظْفَرُ بِهِمْ..

﴿فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٧٤﴾ [النساء: ٧٤] فَسَوْفَ نُعْطِيهِ فِي الْآخِرَةِ ثَوَابًا وَأَجْرًا عَظِيمًا.

> ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥﴾
>
> [النساء: ٧٥].

﴿وَمَا لَكُمۡ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ﴾ وَعَنِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْكُمْ..

﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ فَإِنَّهُمْ كَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا بِمَكَّةَ، فَغَلَبَتْهُمْ عَشَائِرُهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْقَهْرِ لَهُمْ، وَآذَوْهُمْ وَنَالُوهُمْ بِالْعَذَابِ وَالْمَكَارِهِ فِي أَبْدَانِهِمْ، لِيَفْتِنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، فَحَضَّ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ اسْتِنْقَاذِهِمْ مِنْ أَيْدِي مَنْ قَدْ غَلَبَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ، فَقَالَ لَهُمْ: وَمَا شَأْنُكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَعَنْ مُسْتَضْعَفِي أَهْلِ دِينِكُمْ وَمِلَّتِكُمْ، الَّذِينَ قَدِ اسْتَضْعَفَهُمُ الْكُفَّارُ فَاسْتَذَلُّوهُمُ ابْتِغَاءَ فِتْنَتِهِمْ وَصَدِّهِمْ عَنْ دِينِهِمْ مِنَ الرِّجَالِ..

﴿وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ جَمْعُ وَلَدٍ: وَهُمُ الصِّبْيَانُ..

﴿ٱلَّذِينَ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ..

﴿يَقُولُونَ﴾ فِي دُعَائِهِمْ رَبَّهُمْ بِأَنْ يُنْجِيَهُمْ مِنْ فِتْنَةِ مَنْ قَدِ اسْتَضْعَفَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿رَبَّنَا﴾ يَا رَبَّنَا..

﴿أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ وَالْعَرَبُ تُسَمِّي كُلَّ مَدِينَةٍ قَرْيَةً، وَهِيَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فِيمَا فَسَّرَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ مَكَّةُ..

﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ الَّتِي قَدْ ظَلَمَتْنَا وَأَنْفُسَهَا أَهْلُهَا..

﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ يَقُولُونَ أَيْضًا فِي دُعَائِهِمْ: يَا رَبَّنَا اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَلِي أَمْرَنَا بِالْكِفَايَةِ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنْ فِتْنَةِ أَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ..

﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ﴾ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ عِنْدِكَ..

﴿نَصِيرًا ۝٧٥﴾ [النساء: ٧٥] مَنْ يَنْصُرُنَا عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَنَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا، بِصَدِّهِمْ إِيَّانَا عَنْ سَبِيلِكَ حَتَّىٰ تُظْفِرَنَا بِهِمْ وَنُعْلِيَ دِينَكَ.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦﴾ [النساء: ٧٦].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَأَيْقَنُوا بِمَوْعُودِ اللهِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ..

﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فِي طَاعَةِ اللهِ وَمِنْهَاجِ دِينِهِ وَشَرِيعَتِهِ الَّتِي شَرَعَهَا لِعِبَادِهِ..

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وَالَّذِينَ جَحَدُوا وَحْدَانِيَّةَ اللهِ وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ وَطَرِيقِهِ وَمِنْهَاجِهِ الَّذِي شَرَعَهُ لِأَوْلِيَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ، فقالَ اللهُ مُقَوِّيًا عَزْمَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمُحَرِّضَهُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ وَأَعْدَاءِ دِينِهِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ..

﴿فَقَاتِلُوا﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَيُطِيعُونَ أَمْرَهُ فِي خِلَافِ طَاعَةِ اللهِ وَالتَّكْذِيبِ بِهِ وَيَنْصُرُونَهُ..

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ مِنْ تَحْزِيبِهِ أَوْلِيَاءَهُ مِنَ الْكُفَّارِ بِاللهِ، عَلَىٰ رَسُولِهِ وَأَوْلِيَائِهِ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ..

﴿كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦﴾ [النساء: ٧٦] فَلَا تَهَابُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّمَا هُمْ حِزْبُهُ وَأَنْصَارُهُ، وَحِزْبُ الشَّيْطَانِ أَهْلُ وَهَنٍ وَضَعْفٍ، وَإِنَّمَا وَصَفَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالضَّعْفِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُقَاتِلُونَ رَجَاءَ ثَوَابٍ، وَلَا يَتْرُكُونَ الْقِتَالَ خَوْفَ عِقَابٍ، وَإِنَّمَا يُقَاتِلُونَ حَمِيَّةً أَوْ حَسَدًا لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ

فَضْلِهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ يُقَاتِلُ مَنْ قَاتَلَ مِنْهُمْ رَجَاءَ الْعَظِيمِ مِنْ ثَوَابِ اللهِ، وَيَتْرُكُ الْقِتَالَ إِنْ تَرَكَهُ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ وَعِيدِ اللهِ فِي تَرْكِهِ، فَهُوَ يُقَاتِلُ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ بِمَا لَهُ عِنْدَ اللهِ إِنْ قُتِلَ، وَبِمَا لَهُ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَالظَّفَرِ إِنْ سَلِمَ، وَالْكَافِرُ يُقَاتِلُ عَلَىٰ حَذَرٍ مِنَ الْقَتْلِ، وَإِيَاسٍ مِنْ مَعَادٍ، فَهُوَ ذُو ضَعْفٍ وَخَوْفٍ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [النساء: ٧٧].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بِقَلْبِكَ يَا مُحَمَّدُ فَتَعْلَمَ..

﴿إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ﴾ مِنْ أَصْحَابِكَ حِينَ سَأَلُوكَ أَنْ تَسْأَلَ رَبَّكَ أَنْ يَفْرِضَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ..

﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ فَأَمْسِكُوهَا عَنْ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ وَحَرْبِهِمْ..

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ وَأَدُّوا الصَّلَاةَ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ عَلَيْكُمْ بِحُدُودِهَا..

﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ وَأَعْطُوا الزَّكَاةَ أَهْلَهَا، الَّذِينَ جَعَلَهَا اللهُ لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ، تَطْهِيرًا لِأَبْدَانِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ؛ كَرِهُوا مَا أُمِرُوا بِهِ مِنْ كَفِّ الْأَيْدِي عَنْ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ..

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ فَلَمَّا فُرِضَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ الَّذِي كَانُوا سَأَلُوا أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْهِمْ..

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ..

﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾ يَخَافُونَ النَّاسَ أَنْ يُقَاتِلُوهُمْ..

﴿كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ أَوْ أَشَدَّ خَوْفًا..

﴿وَقَالُوا﴾ جَزَعًا مِنَ الْقِتَالِ الَّذِي فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِمْ..

﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾ لِمَ فَرَضْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ، رُكُونًا مِنْهُمْ إِلَىٰ الدُّنْيَا، وَإِيثَارًا لِلدَّعَةِ فِيهَا وَالْخَفْضِ عَلَىٰ مَكْرُوهِ لِقَاءِ الْعَدُوِّ وَمَشَقَّةِ حَرْبِهِمْ وَقِتَالِهِمْ..

﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنَا﴾ قَالُوا: هَلَّا أَخَّرْتَنَا..

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ إِلَىٰ أَنْ يَمُوتُوا عَلَىٰ فُرُشِهِمْ وَفِي مَنَازِلِهِمْ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانُوا قَدْ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْهِمُ الْجِهَادُ، وَقَدْ فُرِضَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ، وَكَانُوا يَسْأَلُونَ اللهَ أَنْ يَفْرِضَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ، فَلَمَّا فَرَضَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ شَقَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَقَالُوا مَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي كِتَابِهِ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَالُوا ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾..

﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا﴾ عَيْشُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَتَمَتُّعُكُمْ بِهَا..

﴿قَلِيلٌ﴾ لِأَنَّهَا فَانِيَةٌ، وَمَا فِيهَا فَانٍ..

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ وَنَعِيمُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ، لِأَنَّهَا بَاقِيَةٌ، وَنَعِيمُهَا بَاقٍ دَائِمٌ، وَإِنَّمَا قِيلَ: وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَمَعْنَى الْكَلَامِ مَا وَصَفْتُ مِنْ أَنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهِ نَعِيمُهَا، لِدَلَالَةِ ذِكْرِ الْآخِرَةِ بِالَّذِي ذَكَرْتُ بِهِ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ مِنْهُ..

﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ لِمَنِ اتَّقَى اللهَ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، فَأَطَاعَهُ فِي كُلِّ ذَلِكَ..

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٧٧﴾ [النساء: ٧٧] وَلَا يَنْقُصُكُمُ اللهُ مِنْ أُجُورِ أَعْمَالِكُمْ فَتِيلًا؛ وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى الْفَتِيلِ فِيمَا مَضَى بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هَهُنَا.

> ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝٧٨﴾ [النساء: ٧٨].

﴿أَيْنَمَا﴾ حَيْثُمَا..

﴿تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ﴾ يَنَلْكُمُ..

﴿الْمَوْتُ﴾ فَتَمُوتُوا..

﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ لَا تَجْزَعُوا مِنَ الْمَوْتِ، وَلَا تَهْرَبُوا مِنَ الْقِتَالِ، وَتَضْعُفُوا عَنْ لِقَاءِ عَدُوِّكُمْ حَذَرًا عَلَى أَنْفُسِكُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْمَوْتِ، فَإِنَّ الْمَوْتَ بِإِزَائِكُمْ أَيْنَ كُنْتُمْ، وَوَاصِلٌ إِلَى أَنْفُسِكُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ وَلَوْ تَحَصَّنْتُمْ مِنْهُ بِالْحُصُونِ الْمَنِيعَةِ..

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ وَإِنْ يَنَلْهُمْ..

﴿حَسَنَةٌ﴾ رَخَاءٌ وَظَفَرٌ وَفَتْحٌ وَيُصِيبُوا غَنِيمَةً..

﴿يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ يَعْنِي: مِنْ قِبَلِ اللهِ وَمِنْ تَقْدِيرِهِ..

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ وَإِنْ تَنَلْهُمْ شِدَّةٌ مِنْ عَيْشٍ وَهَزِيمَةٌ مِنْ عَدُوٍّ وَجِرَاحٌ وَأَلَمٌ..

﴿يَقُولُوا﴾ لَكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَسَاءَ التَّدْبِيرَ وَأَسَاءَ النَّظَرَ، مَا

أَحْسَنَ التَّدْبِيرَ وَلَا النَّظَرَ.. وَإِنَّمَا هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنِ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ لِنَبِيِّهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ [النساء: ٧٧]..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ حَسَنَةٌ هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَإِذَا أَصَابَتْهُمْ سَيِّئَةٌ هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ..

﴿كُلٌّ﴾ كُلُّ ذَلِكَ..

﴿مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ مِنْ عِنْدِهِ الرَّخَاءُ وَالشِّدَّةُ، وَمِنْهُ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ، وَمِنْ عِنْدِهِ الْقَتْلُ وَالْهَزِيمَةُ..

﴿فَمَالِ﴾ فَمَا شَأْنُ..

﴿هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾ الَّذِينَ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ..

﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝٧٨﴾ [النساء: ٧٨] لَا يَكَادُونَ يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ مَا تُخْبِرُهُمْ بِهِ، مِنْ أَنَّ كُلَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ أَوْ ضَرٍّ وَشِدَّةٍ أَوْ رَخَاءٍ، فَمِنْ عِنْدِ اللهِ، لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ غَيْرُهُ، وَلَا يُصِيبُ أَحَدًا سَيِّئَةٌ إِلَّا بِتَقْدِيرِهِ، وَلَا يُنَالُ رَخَاءٌ وَنِعْمَةٌ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، وَهَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ عِبَادَهُ أَنَّ مَفَاتِحَ الْأَشْيَاءِ كُلَّهَا بِيَدِهِ، لَا يَمْلِكُ شَيْئًا مِنْهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ.

﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝٧٩﴾ [النساء: ٧٩].

﴿مَّا أَصَابَكَ﴾ مَا يُصِيبُكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ مِنْ رَخَاءٍ وَنِعْمَةٍ وَعَافِيَةٍ وَسَلَامَةٍ..

﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ فَمِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْكَ، يَتَفَضَّلُ بِهِ عَلَيْكَ إِحْسَانًا مِنْهُ إِلَيْكَ..

﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ شِدَّةٍ وَمَشَقَّةٍ وَأَذًىٰ وَمَكْرُوهٍ..

﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ بِذَنْبٍ اسْتَوْجَبْتَهَا بِهِ، اكْتَسَبَتْهُ نَفْسُكَ..

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ إِنَّمَا جَعَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْخَلْقِ تُبَلِّغُهُمْ مَا أَرْسَلْنَاكَ بِهِ مِنْ رِسَالَةٍ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ غَيْرُ الْبَلَاغِ وَأَدَاءِ الرِّسَالَةِ إِلَىٰ مَنْ أُرْسِلْتَ، فَإِنْ قَبِلُوا مَا أُرْسِلْتَ بِهِ فَلِأَنْفُسِهِمْ، وَإِنْ رَدُّوا فَعَلَيْهَا..

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ﴾ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ..

﴿شَهِيدًا ۝٧٩﴾ [النساء: ٧٩] حَسْبُكَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ شَاهِدًا عَلَيْكَ فِي بَلَاغِكَ مَا أَمَرْتُكَ بِبَلَاغِهِ مِنْ رِسَالَتِهِ وَوَحْيِهِ، وَعَلَىٰ مَنْ أُرْسِلْتَ إِلَيْهِ فِي قَبُولِهِمْ مِنْكَ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ أَمْرُكَ وَأَمْرُهُمْ، وَهُوَ مُجَازِيكَ بِبَلَاغِكَ مَا وَعَدَكَ، وَمُجَازِيهِمْ مَا عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ جَزَاءَ الْمُحْسِنِ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءِ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠﴾ [النساء: ٨٠].

﴿مَّن يُطِعِ﴾ مِنكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلرَّسُولَ﴾ مُحَمَّدًا..

﴿فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ فَقَدْ أَطَاعَنِي بِطَاعَتِهِ إِيَّاهُ، فَاسْمَعُوا قَوْلَهُ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ، فَإِنَّهُ مَهْمَا يَأْمُرْكُمْ بِهِ مِنْ شَيْءٍ فَمِنْ أَمْرِي يَأْمُرُكُمْ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنْ شَيْءٍ فَمِنْ نَهْيِي، فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ مِثْلُنَا يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا..

﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ عَنْ طَاعَتِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠﴾ [النساء: ٨٠] فَأَعْرِضْ عَنْهُ، فَإِنَّا لَمْ نُرْسِلْكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا، يَعْنِي حَافِظًا لِمَا يَعْمَلُونَ مُحَاسِبًا، بَلْ إِنَّمَا أَرْسَلْنَاكَ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ، وَكَفَىٰ بِنَا حَافِظَيْنِ لِأَعْمَالِهِمْ وَلَهُمْ عَلَيْهَا مُحَاسِبِينَ.. وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ -فِيمَا ذُكِرَ- قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْجِهَادِ.. وَهَذَا إِعْذَارٌ مِنَ اللهِ إِلَىٰ خَلْقِهِ فِي نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٨١﴾ [النساء: ٨١].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ وَالْفَرِيقُ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ، خَشَوُا النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ وَأَشَدَّ خَشْيَةً يَقُولُونَ لِنَبِيِّ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ بِأَمْرٍ..

﴿طَاعَةٌ﴾ أَمْرُكَ طَاعَةٌ، وَلَكَ مِنَّا طَاعَةٌ فِيمَا تَأْمُرُنَا بِهِ وَتَنْهَانَا عَنْهُ..

﴿فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ﴾ فَإِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ غَيَّرَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ لَيْلًا.. وَكُلُّ عَمَلٍ عُمِلَ لَيْلًا فَقَدْ بُيِّتَ، وَمِنْ ذَلِكَ بَيَّتَ الْعَدُوَّ وَهُوَ الْوقُوعُ بِهِمْ لَيْلًا..

﴿غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ لَهُمْ..

﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ وَاللهُ يَكْتُبُ مَا يُغَيِّرُونَ مِنْ قَوْلِكَ لَيْلًا فِي كُتُبِ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي تَكْتُبُهَا حَفَظَتُهُ..

﴿فَأَعْرِضْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَنْهُمْ﴾ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَكَ فِيمَا تَأْمُرُهُمْ: أَمْرُكَ طَاعَةٌ، فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ خَالَفُوا مَا أَمَرْتَهُمْ بِهِ وَغَيَّرُوهُ إِلَىٰ مَا نَهَيْتَهُمْ عَنْهُ، وَخَلِّهِمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَارْضَ لَهُمْ بِي مُنْتَقِمًا مِنْهُمْ..

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿وَكَفَىٰ﴾ وَحَسْبُكَ..

﴿بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٨١﴾ [النساء: ٨١] أَيْ قَيِّمًا يَأْمُرُكَ، وَوَلِيًّا لَهَا، وَدَافِعًا عَنْكَ وَنَاصِرًا.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾
[النساء: ٨٢].

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُ الْمُبَيِّتُونَ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ كِتَابَ اللهِ، فَيَعْلَمُوا حُجَّةَ اللهِ عَلَيْهِمْ فِي طَاعَتِكَ وَاتِّبَاعِ أَمْرِكَ، وَأَنَّ الَّذِي أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنَ التَّنْزِيلِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، لِاتِّسَاقِ مَعَانِيهِ وَائْتِلَافِ أَحْكَامِهِ وَتَأْيِيدِ بَعْضِهِ بَعْضًا بِالتَّصْدِيقِ، وَشَهَادَةِ بَعْضِهِ لِبَعْضٍ بِالتَّحْقِيقِ..

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾ فَإِنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ..

﴿لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء: ٨٢] لَاخْتَلَفَتْ أَحْكَامُهُ وَتَنَاقَضَتْ مَعَانِيهِ وَأَبَانَ بَعْضُهُ عَنْ فَسَادِ بَعْضٍ.

﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُولِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٣﴾ [النساء: ٨٣].

﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ﴾ وَإِذَا جَاءَ هَذِهِ الطَّائِفَةَ الْمُبَيِّتَةَ غَيْرَ الَّذِي يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ..

﴿أَمْرٌ﴾ خَبَرٌ..

﴿مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ﴾ عَنْ سَرِيَّةٍ لِلْمُسْلِمِينَ غَازِيَةٍ بِأَنَّهُمْ قَدْ آمَنُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ بِغَلَبَتِهِمْ إِيَّاهُمْ..

﴿أَوِ ٱلۡخَوۡفِ﴾ أَوْ تَخَوُّفُهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ بِإِصَابَةِ عَدُوِّهِمْ مِنْهُمْ..

﴿أَذَاعُواْ﴾ أَفْشَوْهُ..

﴿بِهِۦ﴾ بِالْأَمْرِ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ الَّذِي جَاءَهُمْ، وَبَثُّوهُ فِي النَّاسِ قَبْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَبْلَ أُمَرَاءِ سَرَايَا رَسُولَ اللهِ ﷺ..

﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ﴾ وَلَوْ رَدُّوا الْأَمْرَ الَّذِي نَالَهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ وَالْمُسْلِمِينَ..

﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾ وَإِلَىٰ أُولِي أَمْرِهِمْ، يَعْنِي: وَإِلَىٰ أُمَرَائِهِمْ، وَسَكَتُوا فَلَمْ يُذِيعُوا مَا جَاءَهُمْ مِنَ الْخَبَرِ، حَتَّىٰ يَكُونَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَوْ ذَوُو أَمْرِهِمْ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ الْخَبَرَ عَنْ ذَلِكَ، بَعْدَ أَنْ ثَبَتَتْ عِنْدَهُمْ صِحَّتُهُ أَوْ بُطُولُهُ، فَيُصَحِّحُوهُ إِنْ كَانَ صَحِيحًا، أَوْ يُبْطِلُوهُ إِنْ كَانَ بَاطِلًا..

﴿لَعَلِمَهُ﴾ لَعَلِمَ حَقِيقَةَ ذَلِكَ الْخَبَرِ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ..

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ الَّذِينَ يَبْحَثُونَ عَنْهُ، وَيَسْتَخْرِجُونَهُ..

﴿مِنۡهُمۡ﴾ لَعَلِمَ ذَلِكَ مِنْ أُولِي الْأَمْرِ مَنْ يَسْتَنْبِطُهُ، وَكُلُّ مُسْتَخْرِجٍ شَيْئًا كَانَ مُسْتَتِرًا عَنْ أَبْصَارِ الْعُيُونِ أَوْ عَنْ مَعَارِفِ الْقُلُوبِ، فَهُوَ لَهُ مُسْتَنْبِطٌ، يُقَالُ: اسْتَنْبَطْتُ الرَّكِيَّةَ: إِذَا اسْتَخْرَجْتُ مَاءَهَا، وَنَبَطْتُهَا أَنْبِطُهَا، وَالنَّبَطُ: الْمَاءُ الْمُسْتَنْبَطُ مِنَ الْأَرْضِ..

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ وَلَوْلَا إِنْعَامُ اللهِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِفَضْلِهِ وَتَوْفِيقِهِ..

﴿وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ فَأَنْقَذَكُمْ مِمَّا ابْتَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ بِهِ، الَّذِينَ يَقُولُونَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ بِأَمْرٍ طَاعَةٌ، فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِهِ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ، لَكُنْتُمْ مِثْلَهُمْ..

﴿لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ كَمَا اتَّبَعَهُ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ، وَخَاطَبَ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾، الَّذِينَ خَاطَبَهُمْ بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١﴾ [النساء: ٧١]..

﴿إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ [النساء: ٨٣] وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ، إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ.

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ [النساء: ٨٤].

﴿فَقَٰتِلۡ﴾ فَجَاهِدْ يَا مُحَمَّدُ أَعْدَاءَ اللهِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ..

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي دِينِهِ الَّذِي شَرَعَهُ لَكَ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ، وَقَاتِلْهُمْ فِيهِ بِنَفْسِكَ..

﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ لَا يُكَلِّفُكَ اللهُ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْكَ مِنْ جِهَادِ عَدُوِّهِ وَعَدُوِّكَ، إِلَّا مَا حَمَّلَكَ مِنْ ذَلِكَ دُونَ مَا حَمَّلَ غَيْرَكَ مِنْهُ، أَيْ إِنَّكَ إِنَّمَا تُتَّبَعُ بِمَا اكْتَسَبْتَهُ دُونَ مَا اكْتَسَبَهُ غَيْرُكَ، وَإِنَّمَا عَلَيْكَ مَا كُلِّفْتَهُ دُونَ مَا كُلِّفَهُ غَيْرُكَ..

﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَحُضَّهُمْ عَلَىٰ قِتَالِ مَنْ أَمَرْتُكَ بِقِتَالِهِمْ مَعَكَ..

﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾ لَعَلَّ اللهَ.. وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ أَنَّ عَسَىٰ مِنَ اللهِ وَاجِبَةٌ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿أَن يَكُفَّ﴾ عَنْكَ وَعَنْهُمْ..

﴿بَأْسَ﴾ قِتَالَ..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِاللهِ، وَجَحَدَ وَحْدَانِيَّتَهُ، وَأَنْكَرَ رِسَالَتَكَ..

﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ وَاللهُ أَشَدُّ نِكَايَةً فِي عَدُوِّهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ مِنْهُمْ فِيكَ يَا مُحَمَّدُ وَفِي أَصْحَابِكَ..

﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [النساء: ٨٤] فَلَا تَنْكِلَنَّ عَنْ قِتَالِهِمْ، فَإِنِّي رَاصِدُهُمْ بِالْبَأْسِ وَالنِّكَايَةِ وَالتَّنْكِيلِ وَالْعُقُوبَةِ، لِأُوهِنَ كَيْدَهُمْ وَأُضْعِفَ بَأْسَهُمْ وَأُعْلِيَ الْحَقَّ عَلَيْهِمْ.. وَالتَّنْكِيلُ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: نَكَّلْتُ بِفُلَانٍ، فَأَنَا أُنَكِّلُ بِهِ تَنْكِيلًا: إِذَا أَوْجَعْتُهُ عُقُوبَةً.

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ [النساء: ٨٥].

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾ مَنْ يَصِرْ يَا مُحَمَّدُ شَفْعًا لِوِتْرِ أَصْحَابِكَ، فَيَشْفَعُهُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ وَقِتَالِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ وَهُوَ الشَّفَاعَةُ الْحَسَنَةُ..

﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ يَكُنْ لَهُ مِنْ شَفَاعَتِهِ تِلْكَ نَصِيبٌ، وَهُوَ الْحَظُّ مِنْ ثَوَابِ اللهِ، وَجَزِيلِ كَرَامَتِهِ..

﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾ وَمَنْ يَشْفَعْ وِتْرَ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، فَيُقَاتِلَهُمْ مَعَهُمْ، وَذَلِكَ هُوَ الشَّفَاعَةُ السَّيِّئَةُ..

﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ﴾ نَصِيبٌ وَحَظٌّ.. وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ كِفْلِ الْبَعِيرِ وَالْمَرْكَبِ، وَهُوَ الْكِسَاءُ أَوِ

الشَّيْءُ يُهَيَّأُ عَلَيْهِ، شَبِيهٌ بِالسَّرْجِ عَلَى الدَّابَّةِ، يُقَالَ مِنْهُ: جَاءَ فُلَانٌ مُكْتَفِلًا: إِذَا جَاءَ عَلَىٰ مَرْكَبٍ قَدْ وُطِّئَ لَهُ لِرُكُوبِهِ..

﴿مِنْهَا﴾ مِنَ الْوِزْرِ وَالْإِثْمِ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ الْآيَةُ، شَفَاعَةُ النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَغَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ أَنْ تَكُونَ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِيمَا ذَكَرْنَا، ثُمَّ عَمَّ بِذَلِكَ كُلَّ شَافِعٍ بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا مَا قُلْنَا مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ فِي سِيَاقِ الْآيَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ فِيهَا بِحَضِّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ، فَكَانَ ذَلِكَ بِالْوَعْدِ لِمَنْ أَجَابَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَالْوَعِيدِ لِمَنْ أَبَىٰ إِجَابَتَهُ أَشْبَهَ مِنْهُ مِنَ الْحَثِّ عَلَىٰ شَفَاعَةِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ الَّتِي لَمْ يَجْرِ لَهَا ذِكْرٌ قَبْلُ، وَلَا لَهَا ذِكْرٌ بَعْدُ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴿٨٥﴾﴾ [النساء: ٨٥] مَعْنَىٰ الْمُقِيتِ: الْقَدِيرُ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مِنْهُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يُقِيتُ» يَعْنِي: مَنْ هُوَ تَحْتَ يَدَيْهِ فِي سُلْطَانِهِ مِنْ أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ، فَيُقَدِّرُ لَهُ قُوتَهُ.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴿٨٦﴾﴾
[النساء: ٨٦].

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ إِذَا دُعِيَ لَكُمْ بِطُولِ الْحَيَاةِ وَالْبَقَاءِ وَالسَّلَامَةِ..

﴿فَحَيُّوا۟﴾ فَادْعُوا لِمَنْ دَعَا لَكُمْ بِذَلِكَ..

﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ بِأَحْسَنَ مِمَّا دَعَا لَكُمْ.. فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ..

﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾ أَوْ رُدُّوا التَّحِيَّةَ.. أَوْ رُدُّوهَا عَلَىٰ أَهْلِ الْكُفْرِ.. فَالْخِيَارُ فِي ذَلِكَ إِلَى الْمُسَلَّمِ عَلَيْهِ بَيْنَ رَدِّ الْأَحْسَنِ أَوِ الْمِثْلِ، إِلَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي خَصَّ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ سُنَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيَكُونُ مُسَلَّمًا لَهَا، وَقَدْ خَصَّتِ السُّنَّةُ أَهْلَ الْكُفْرِ بِالنَّهْيِ عَنْ رَدِّ الْأَحْسَنِ مِنْ تَحِيَّتِهِمْ عَلَيْهِمْ أَوْ مِثْلِهَا، إِلَّا بِأَنْ يُقَالَ: وَعَلَيْكُمْ، فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَعَدَّىٰ مَا حَدَّ فِي ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَمَّا أَهْلُ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ لِمَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ فِي الرَّدِّ مِنَ الْخِيَارِ مَا جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَفَوَاجِبٌ رَدُّ التَّحِيَّةِ عَلَىٰ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؟ قِيلَ: نَعَمْ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِمَّا تَعْمَلُونَ أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ الْأَعْمَالِ مِنْ طَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ..

﴿حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء: ٨٦] حَفِيظًا عَلَيْكُمْ، حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ بِهَا جَزَاءَهُ.. وَأَصْلُ الْحَسِيبِ فِي

هَذَا الْمَوْضِعِ مِنَ الْحِسَابِ الَّذِي هُوَ فِي مَعْنَىٰ الْإِحْصَاءِ، يُقَالَ مِنْهُ: حَاسَبْتُ فُلَانًا عَلَىٰ كَذَا وَكَذَا، وَفُلَانٌ حَاسَبَهُ عَلَىٰ كَذَا، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ صَاحِبَ حِسَابِهِ.. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّ مَعْنَىٰ الْحَسِيبِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْكَافِي، وَهَذَا غَلَطٌ مِنَ الْقَوْلِ وَخَطَأٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يُقَالَ فِي أَحْسَبْتُ الشَّيْءَ: أَحْسَبْتُ عَلَىٰ الشَّيْءِ فَهُوَ حَسِيبٌ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا يُقَالَ: هُوَ حَسْبُهُ وَحَسِيبُهُ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝٨٦﴾.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾

[النساء: ٨٧].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الْمَعْبُودُ الَّذِي لَا تَنْبَغِي الْعُبُودِيَّةُ إِلَّا لَهُ هُوَ، الَّذِي لَهُ عُبَادَةُ كُلِّ شَيْءٍ وَطَاعَةُ كُلِّ طَائِعٍ..

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لَيَبْعَثَنَّكُمْ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ، وَلَيَحْشُرَنَّكُمْ جَمِيعًا إِلَىٰ مَوْقِفِ الْحِسَابِ الَّذِي يُجَازِي النَّاسَ فِيهِ بِأَعْمَالِهِمْ، وَيَقْضِي فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ طَاعَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ وَالْكُفْرِ..

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لَا شَكَّ فِي حَقِيقَةِ مَا أَقُولُ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ وَأُخْبِرُكُمْ مِنْ خَبَرِي: أَنِّي جَامِعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، فَاعْلَمُوا حَقِيقَةَ مَا أُخْبِرُكُمْ مِنَ الْخَبَرِ، فَإِنِّي جَامِعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِلْجَزَاءِ وَالْعَرْضِ، وَالْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ يَقِينًا، فَلَا تَشُكُّوا فِي صِحَّتِهِ، وَلَا تَمْتَرُوا فِي حَقِّيَّتِهِ، فَإِنَّ قَوْلِيَ الصِّدْقُ الَّذِي لَا كَذِبَ فِيهِ، وَوَعْدِيَ الصِّدْقُ الَّذِي لَا خُلْفَ لَهُ..

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾ [النساء: ٨٧] وَأَيُّ نَاطِقٍ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا؟ وَذَلِكَ أَنَّ الْكَاذِبَ إِنَّمَا يَكْذِبُ لِيَجْتَلِبَ بِكَذِبِهِ إِلَىٰ نَفْسِهِ نَفْعًا أَوْ يَدْفَعَ بِهِ عَنْهَا ضُرًّا، وَاللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ خَالِقُ الضُّرِّ وَالنَّفْعِ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ كَذِبٌ، لِأَنَّهُ لَا يَدْعُوهُ إِلَىٰ اجْتِلَابِ نَفْعٍ إِلَىٰ نَفْسِهِ، أَوْ دَفْعِ ضُرٍّ عَنْهَا سِوَاهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي اسْتِحَالَةِ الْكَذِبِ مِنْهُ نَظِيرًا، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا وَخَبَرًا.

﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ۝٨٨﴾ [النساء: ٨٨].

﴿۞ فَمَا لَكُمْ﴾ فَمَا شَأْنُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فِي أَهْلِ النِّفَاقِ..

﴿فِئَتَيْنِ﴾ مُخْتَلِفَتَيْنِ..

﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ وَاللهُ رَدَّهُمْ إِلَىٰ أَحْكَامِ أَهْلِ الشِّرْكِ فِي إِبَاحَةِ دِمَائِهِمْ وَسَبْيِ ذَرَارِيهِمْ.. وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي اخْتِلَافِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي قَوْمٍ كَانُوا ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَفِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ أَوْضَحُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ؛ لِأَنَّ الْهِجْرَةَ كَانَتْ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ دَارِهِ وَمَدِينَتِهِ مِنْ سَائِرِ أَرْضِ الْكُفْرِ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ فِي دَارِ الْهِجْرَةِ مُقِيمًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَأَهْلِ الشِّرْكِ، فَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ فَرْضُ هِجْرَةٍ؛ لِأَنَّهُ فِي دَارِ الْهِجْرَةِ كَانَ وَطَنُهُ وَمَقَامُهُ..

﴿أَتُرِيدُونَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أَن تَهْدُواْ﴾ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَتُوَفِّقُوا لِلْإِقْرَارِ بِهِ وَالدُّخُولِ فِيهِ..

﴿مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ مَنْ أَضَلَّهُ اللهُ عَنْهُ، يَعْنِي بِذَلِكَ: مَنْ خَذَلَهُ اللهُ عَنْهُ فَلَمْ يُوَفِّقْهُ لِلْإِقْرَارِ بِهِ.. وَإِنَّمَا هَذَا خِطَابٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْفِئَةِ الَّتِي دَافَعَتْ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، يَقُولُ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَتَبْغُونَ هِدَايَةَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَضَلَّهُمُ اللهُ فَخَذَلَهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِ الْإِسْلَامِ بِمُدَافَعَتِكِمْ عَنْ قِتَالِهِمْ مَنْ أَرَادَ قِتَالَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؟!

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ وَمَنْ خَذَلَهُ عَنْ دِينِهِ وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَهُ بِهِ مِنَ الْإِقْرَارِ بِهِ وَبِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ، فَأَضَلَّهُ عَنْهُ..

﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾ [النساء: ٨٨] طَرِيقًا تَهْدِيهِ فِيهَا إِلَىٰ إِدْرَاكِ مَا خَذَلَهُ اللهُ عَنْهُ، وَلَا مَنْهَجًا يَصِلُ مِنْهُ إِلَىٰ الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ حَرَمَهُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ.

﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾

[النساء: ٨٩].

﴿وَدُّواْ﴾ تَمَنَّىٰ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِيهِمْ فِئَتَانِ..

﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أَنْ تَكْفُرُوا فَتَجْحَدُوا وَحْدَانِيَّةَ رَبِّكُمْ وَتَصْدِيقَ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿كَمَا كَفَرُواْ﴾ كَمَا جَحَدُوا هُمْ ذَلِكَ..

﴿فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ فَتَكُونُونَ كُفَّارًا مِثْلَهُمْ، وَتَسْتَوُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ فِي الشِّرْكِ بِاللهِ..

﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْ دَارِ الشِّرْكِ وَيُفَارِقُوا أَهْلَهَا الَّذِينَ هُمْ بِاللهِ مُشْرِكُونَ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهَا..

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي ابْتِغَاءِ دِينِ اللهِ، وَهُوَ سَبِيلُهُ، فَيَصِيرُوا عِنْدَ ذَلِكَ مِثْلَكُمْ، وَيَكُونَ لَهُمْ حِينَئِذٍ حُكْمُكُمْ..

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ فَإِنْ أَدْبَرَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ عَنِ الْإِقْرَارِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَتَوَلَّوْا عَنِ الْهِجْرَةِ مِنْ دَارِ الشِّرْكِ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ، وَمِنَ الْكُفْرِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ..

﴿فَخُذُوهُمۡ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ﴾ مِنْ بِلَادِهِمْ وَغَيْرِ بِلَادِهِمْ، أَيْنَ أَصَبْتُمُوهُمْ مِنْ أَرْضِ اللهِ..

﴿وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ خَلِيلًا يُوَالِيكُمْ عَلَىٰ أُمُورِكُمْ..

﴿وَلَا نَصِيرًا ٨٩﴾ [النساء: ٨٩] يَنْصُرُكُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ، فَإِنَّهُمْ كُفَّارٌ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا، وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ.. وَهَذَا الْخَبَرُ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِبَانَةٌ عَنْ صِحَّةِ نِفَاقِ الَّذِينَ اخْتَلَفَ الْمُؤْمِنُونَ فِي أَمْرِهِمْ، وَتَحْذِيرٌ لِمَنْ دَافَعَ عَنْهُمْ عَنِ الْمُدَافَعَةِ عَنْهُمْ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠﴾ [النساء: ٩٠].

﴿إِلَّا﴾ فَإِنْ تَوَلَّىٰ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ اخْتَلَفْتُمْ فِيهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَبَوُا الْهِجْرَةَ، فَلَمْ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ، سِوَىٰ..

﴿ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ مَنْ وَصَلَ مِنْهُمْ..

﴿إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مُوَادَعَةٌ وَعَهْدٌ وَمِيثَاقٌ، فَدَخَلُوا فِيهِمْ وَصَارُوا مِنْهُمْ وَرَضُوا بِحُكْمِهِمْ، فَإِنَّ لِمَنْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ فَدَخَلَ فِيهِمْ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ رَاضِيًا بِحُكْمِهِمْ فِي حَقْنِ دِمَائِهِمْ بِدُخُولِهِ فِيهِمْ، أَنْ لَا تُسْبَىٰ نِسَاؤُهُمْ وَذَرَارِيُّهُمْ، وَلَا تُغْنَمَ أَمْوَالُهُمْ.. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ، أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَتَّصِلُونَ فِي أَنْسَابِهِمْ لِقَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ؛ مِنْ قَوْلِهِمُ: اتَّصَلَ الرَّجُلُ، بِمَعْنَىٰ: انْتَمَىٰ وَانْتَسَبَ، وَلَا وَجْهَ لِهَذَا التَّأْوِيلِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، لِأَنَّ الِانْتِسَابَ إِلَىٰ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْمُوَادَعَةِ أَوِ الْعَهْدِ لَوْ كَانَ يُوجِبُ

لِلْمُنْتَسِبِينَ إِلَيْهِمْ مَا لَهُمْ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنَ الْعَهْدِ وَالْأَمَانِ مَا لَهُمْ، لَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيُقَاتِلَ قُرَيْشًا، وَهُمْ أَنْسِبَاءُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، فَإِنْ ظَنَّ ذُو غَفْلَةٍ أَنَّ قِتَالَ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ قَاتَلَ مِنْ أَنْسِبَاءِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ إِنَّمَا كَانَ بَعْدَ مَا نُسِخَ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾، فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ أَجْمَعُوا عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ نُسِخَ «ببراءة»، و «براءة» نَزَلَتْ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ وَدُخُولِ قُرَيْشٍ فِي الْإِسْلَامِ.

﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ، إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ، أَوْ: إِلَّا الَّذِينَ جَاءُوكُمْ مِنْهُمْ قَدْ..

﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ.. وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ مَنْ ضَاقَتْ نَفْسُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ فِعْلٍ أَوْ كَلَامٍ: قَدْ حَصِرَ، وَمِنْهُ الْحَصْرُ فِي الْقِرَاءَةِ..

﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ عَنْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ فَدَخَلُوا فِيكُمْ..

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ﴾ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ، فَيَدْخُلُونَ فِي جِوَارِهِمْ وَذِمَّتِهِمْ، وَالَّذِينَ يَجِيئُونَكُمْ قَدْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ عَنْ قِتَالِكُمْ وَقِتَالِ قَوْمِهِمْ..

﴿عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ مَعَ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ كَفَّهُمْ عَنْكُمْ.. يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَأَطِيعُوا الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِكَفِّهِمْ عَنْكُمْ مَعَ سَائِرِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ الْكَفِّ عَنْهُمْ إِذَا وَصَلُوا إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ، أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ عَنْ قِتَالِكُمْ وَقِتَالِ قَوْمِهِمْ..

﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾ فَإِنِ اعْتَزَلَكُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَمَرْتُكُمْ بِالْكَفِّ عَنْ قِتَالِهِمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِدُخُولِهِمْ فِي أَهْلِ عَهْدِكُمْ أَوْ مَصِيرِهِمْ إِلَيْكُمْ، حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ عَنْ قِتَالِكُمْ وَقِتَالِ قَوْمِهِمْ..

﴿فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ وَصَالَحُوكُمْ.. وَالسَّلَمُ: هُوَ الِاسْتِسْلَامُ، وَإِنَّمَا هَذَا مَثَلٌ كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: أَعْطَيْتُكَ قِيَادِي وَأَلْقَيْتُ إِلَيْكَ خِطَامِي، إِذَا اسْتَسْلَمَ لَهُ وَانْقَادَ لِأَمْرِهِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ إِنَّمَا هُوَ: أَلْقَوْا إِلَيْكُمْ قِيَادَهُمْ وَاسْتَسْلَمُوا لَكُمْ صُلْحًا مِنْهُمْ لَكُمْ وَسَلَمًا..

﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۝﴾ [النساء: ٩٠] إِذَا اسْتَسْلَمَ لَكُمْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ صُلْحًا مِنْهُمْ لَكُمْ، فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا: أَيْ فَلَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَكُمْ عَلَىٰ

أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ وَنِسَائِهِمْ طَرِيقًا إِلَىٰ قَتْلٍ أَوْ سِبَاءٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، بِإِبَاحَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ لَكُمْ وَلَا إِذْنٍ، فَلَا تَعَرَّضُوا لَهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَّا سَبِيلَ خَيْرٍ.. ثُمَّ نَسَخَ اللهُ جَمِيعَ حُكْمِ هَذِهِ الْآيَةِ وَالَّتِي بَعْدَهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [التوبة: ٥].

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ۝٩١﴾ [النساء: ٩١].

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ وَهَؤُلَاءِ فَرِيقٌ آخَرُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ لِيَأْمَنُوا بِهِ عِنْدَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالسِّبَاءِ وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ، وَهُمْ كُفَّارٌ، يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُمْ قَوْمُهُمْ، إِذَا لَقُوهُمْ كَانُوا مَعَهُمْ وَعَبَدُوا مَا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ لِيَأْمَنُوهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، يَقُولُ اللهُ..

﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ كُلَّمَا دَعَاهُمْ قَوْمُهُم إِلَىٰ الشِّرْكِ بِاللهِ ارْتَدُّوا فَصَارُوا مُشْرِكِينَ مِثْلَهُمْ..

﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ، وَهُمْ كُلَّمَا دُعُوا إِلَىٰ الشِّرْكِ أَجَابُوا إِلَيْهِ..

﴿وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ وَلَمْ يَسْتَسْلِمُوا إِلَيْكُمْ فَيُعْطُوكُمُ الْمَقَادَ وَيُصَالِحُوكُمْ..

﴿وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوهُمْ أَيْنَ أَصَبْتُمُوهُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَقِيتُمُوهُمْ فِيهَا فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ دِمَاءَهُمْ لَكُمْ حِينَئِذٍ حَلَالٌ..

﴿وَأُولَٰئِكُمْ﴾ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ وَهُمْ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، إِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ..

﴿جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ جَعَلْنَا لَكُمْ حُجَّةً فِي قَتْلِهِمْ أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ، لِمُقَامِهِمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَتَرْكِهِمْ هِجْرَةَ دَارِ الشِّرْكِ..

﴿مُّبِينًا ۝٩١﴾ [النساء: ٩١] تُبِينُ عَنِ اسْتِحْقَاقِهِمْ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَإِصَابَتِكُمُ الْحَقَّ فِي قَتْلِهِمْ.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ [النساء: ٩٢].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ وَمَا أَذِنَ اللهُ لِمُؤْمِنٍ وَلَا أَبَاحَ لَهُ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا، مَا كَانَ ذَلِكَ لَهُ فِيمَا جَعَلَ لَهُ رَبُّهُ وَأَذِنَ لَهُ فِيهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْبَتَّةَ.. ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِبَادَهُ بِحُكْمِ مَنْ قَتَلَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مُؤْمِنًا خَطَأً، فَقَالَ..

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ بِأَنْ يَرْمِيَ الشَّيْءَ، فَيُصِيبَ إِنْسَانًا وَهُوَ لَا يُرِيدُهُ، فَهُوَ خَطَأٌ..

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ فَعَلَيْهِ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ مِنْ مَالِهِ.. وَلَا يُجْزِئُ فِي قَتْلِ الْخَطَأِ مِنَ الرِّقَابِ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ وَهُوَ يَعْقِلُ الْإِيمَانَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، إِذَا كَانَ مِمَّنْ كَانَ أَبَوَاهُ عَلَىٰ مِلَّةٍ مِنَ الْمِلَلِ سِوَىٰ الْإِسْلَامِ وَوُلِدَ بَيْنَهُمَا وَهُمَا كَذَلِكَ، ثُمَّ لَمْ يُسْلِمَا وَلَا وَاحِدٌ مِنْهُمَا حَتَّىٰ أُعْتِقَ فِي كَفَّارَةِ الْخَطَأِ، وَأَمَّا مَنْ وُلِدَ بَيْنَ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ فَقَدْ أَجْمَعَ الْجَمِيعُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ حَدَّ الِاخْتِيَارِ وَالتَّمْيِيزِ، وَلَمْ يُدْرِكِ الْحُلُمَ فَمَحْكُومٌ لَهُ بِحُكْمِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِي الْمُوَارَثَةِ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ إِنْ مَاتَ، وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ إِنْ جَنَىٰ، وَيَجِبُ لَهُ إِنْ جُنِيَ عَلَيْهِ، وَفِي الْمُنَاكَحَةِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِهِمْ إِجْمَاعًا، فَوَاجِبٌ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ الْحُكْمِ فِيمَا يُجْزِئُ فِيهِ مِنْ كَفَّارَةِ الْخَطَأِ إِنْ أُعْتِقَ فِيهَا، مِنْ حُكْمِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، مِثْلُ الَّذِي لَهُ مِنْ حُكْمِ الْإِيمَانِ فِي سَائِرِ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَغَيْرِهَا..

﴿وَدِيَةٌ﴾ أَمَّا فِي قَتْلِ الْمُؤْمِنِ فَمِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِبِلِ عَلَىٰ عَاقِلَةِ قَاتِلِهِ، لَا خِلَافَ بَيْنَ الْجَمِيعِ فِي ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ فِي مَبْلَغِ أَسْنَانِهَا اخْتِلَافٌ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَيُّ هَذِهِ الْأَسْنَانِ الَّتِي اخْتَلَفَ الْمُخْتَلِفُونَ فِيهَا أَدَّاهَا إِلَىٰ مَنْ وَجَبَتْ لَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يَحُدَّ ذَلِكَ بِحَدٍّ لَا يُجَاوَزُ بِهِ وَلَا يَقْصُرُ عَنْهُ وَلَا رَسُولُهُ إِلَّا مَا ذَكَرْتُ مِنْ إِجْمَاعِهِمْ فِيمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْإِمَامِ مُجَاوَزَةُ ذَلِكَ فِي الْحُكْمِ بِتَقْصِيرٍ وَلَا زِيَادَةٍ، وَلَهُ التَّخْيِيرُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ بِمَا رَأَىٰ الصَّلَاحَ فِيهِ لِلْفَرِيقَيْنِ.. وَإِنْ كَانَتْ عَاقِلَةُ الْقَاتِلِ مِنْ أَهْلِ الذَّهَبِ فَإِنَّ لِوَرَثَةِ الْقَتِيلِ

عَلَيْهِمْ عِنْدَنَا أَلْفَ دِينَارٍ، وَعَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْأَمْصَارِ.. وَأَمَّا مِنَ الْوَرِقِ عَلَىٰ أَهْلِ الْوَرِقِ عِنْدَنَا، فَاثْنَا عَشَرَ أَلْفِ دِرْهَمٍ.. وَأَمَّا دِيَةُ الْمُعَاهِدِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِهِ مِيثَاقٌ، فَإِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ اخْتَلَفُوا فِي مَبْلَغِهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: دِيَتُهُ وَدِيَةُ الْحُرِّ الْمُسْلِمِ سَوَاءٌ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ دِيَتُهُ عَلَىٰ النِّصْفِ مِنْ دِيَةِ الْمُسْلِمِ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ دِيَتُهُ عَلَىٰ الثُّلُثِ مِنْ دِيَةِ الْمُسْلِمِ..

﴿مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ يُؤَدِّيهَا عَاقِلَتُهُ إِلَىٰ أَهْلِهِ، فَهِيَ الْمَدْفُوعَةُ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ مَا وَجَبَ لَهُمْ، مُوَفَّرَةً غَيْرَ مُنْتَقَصَةٍ حُقُوقَ أَهْلِهِمْ مِنْهَا..

﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ۚ﴾ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقَ أَهْلُ الْقَتِيلِ خَطَأً عَلَىٰ مَنْ لَزِمَتْهُ دِيَةُ قَتِيلِهِمْ، فَيَعْفُوا عَنْهُ وَيَتَجَاوَزُوا عَنْ ذَنْبِهِ، فَيَسْقُطَ عَنْهُ.. فَإِنَّ اللهَ عَرَّفَ عِبَادَهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَا عَلَىٰ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً مِنْ كَفَّارَةٍ وَدِيَةٍ، فَالَّذِي عَنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْآيَةِ تَعْرِيفُ عِبَادِهِ مَا ذَكَرْنَا، وَقَدْ عَرَفَ ذَلِكَ مَنْ عَقَلَ عَنْهُ مِنْ عِبَادِهِ تَنْزِيلَهُ، وَغَيْرُ ضَائِرِهِمْ جَهْلُهُمْ بِمَنْ نَزَلَتْ فِيهِ..

﴿فَإِن كَانَ﴾ فَإِنْ كَانَ هَذَا الْقَتِيلُ الَّذِي قَتَلَهُ الْمُؤْمِنُ خَطَأً..

﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ مِنْ عِدَادِ قَوْمٍ أَعْدَاءٍ لَكُمْ فِي الدِّينِ مُشْرِكُونَ، قَدْ نَاصَبُوكُم الْحَرْبَ عَلَىٰ خِلَافِكُمْ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ..

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍۖ﴾ فَإِذَا قَتَلَ الْمُسْلِمُ خَطَأً رَجُلًا مِنْ عِدَادِ الْمُشْرِكِينَ، وَالْمَقْتُولُ مُؤْمِنٌ، وَالْقَاتِلُ يَحْسِبُ أَنَّهُ عَلَىٰ كُفْرِهِ، فَعَلَيْهِ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ مِنْ قَوْمٍ هُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ؛ أَيْ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ لَمْ يُهَاجِرْ، فَقَتَلَهُ مُؤْمِنٌ، فَلَا دِيَةَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَىٰ بِهِ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ يَقْدَمُ دَارَ الْإِسْلَامِ، فَيُسْلِمُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ دَارِ الْحَرْبِ، فَإِذَا مَرَّ بِهِمُ الْجَيْشُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ هَرَبَ قَوْمُهُ، وَأَقَامَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُ مِنْهُمْ فِيهَا، فَقَتَلَهُ الْمُسْلِمُونَ وَهُمْ يَحْسَبُونَهُ كَافِرًا..

﴿وَإِن كَانَ﴾ الْقَتِيلُ الَّذِي قَتَلَهُ الْمُؤْمِنُ خَطَأً..

﴿مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ عَهْدٌ وَذِمَّةٌ، وَلَيْسُوا أَهْلَ حَرْبٍ لَكُمْ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ..

﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ فَعَلَىٰ قَاتِلِهِ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَحَمَّلُهَا عَاقِلَتُهُ.. فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ دَلِيلًا عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، لِأَنَّ الدِّيَةَ عِنْدَهُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِمُؤْمِنٍ، فَقَدْ ظَنَّ خَطَأً؛ وَذَلِكَ أَنَّ دِيَةَ الذِّمِّيِّ وَأَهْلِ الْإِسْلَامِ سَوَاءٌ، لِإِجْمَاعِ جَمِيعِهِمْ

عَلَىٰ أَنَّ دِيَاتِ عَبِيدِهِمُ الْكُفَّارِ وَعَبِيدِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ سَوَاءٌ، فَكَذَلِكَ حُكْمُ دِيَاتِ أَحْرَارِهِمْ سَوَاءٌ، مَعَ أَنَّ دِيَاتِهِمْ لَوْ كَانَتْ عَلَىٰ مَا قَالَ مَنْ خَالَفَنَا فِي ذَلِكَ، فَجَعَلَهَا عَلَىٰ النِّصْفِ مِنْ دِيَاتِ أَهْلِ الْإِيمَانِ أَوْ عَلَىٰ الثُّلُثِ، لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْمَعْنِيَّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ دِيَةَ الْمُؤْمِنَةِ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْجَمِيعِ -إِلَّا مَنْ لَا يُعَدُّ خِلَافًا- أَنَّهَا عَلَىٰ النِّصْفِ مِنْ دِيَةِ الْمُؤْمِنِ، وَذَلِكَ غَيْرُ مُخْرِجِهَا مِنْ أَنْ تَكُونَ دِيَةً، فَكَذَلِكَ حُكْمُ دِيَاتِ أَهْلِ الذِّمَّةِ لَوْ كَانَتْ مُقَصِّرَةً عَنْ دِيَاتِ أَهْلِ الْإِيمَانِ لَمْ يُخْرِجْهَا ذَلِكَ مِنْ أَنْ تَكُونَ دِيَاتٍ، فَكَيْفَ وَالْأَمْرُ فِي ذَلِكَ بِخِلَافِهِ وَدِيَاتُهُمْ وَدِيَاتُ الْمُؤْمِنِينَ سَوَاءٌ؟!

﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ كَفَّارَةً لِقَتْلِهِ..

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً يُحَرِّرُهَا كَفَّارَةً لِخَطَئِهِ فِي قَتْلِهِ مَنْ قَتَلَ مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ مُعَاهَدٍ لِعُسْرَتِهِ بِثَمَنِهَا..

﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ فَعَلَيْهِ صِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ عَنِ الرَّقَبَةِ دُونَ الدِّيَةِ، لِأَنَّ دِيَةَ الْخَطَأِ عَلَىٰ عَاقِلَةِ الْقَاتِلِ، وَالْكَفَّارَةُ عَلَىٰ الْقَاتِلِ بِإِجْمَاعِ الْحِجَّةِ عَلَىٰ ذَلِكَ، نَقْلًا عَنْ نَبِيِّنَا ﷺ، فَلَا يَقْضِي صَوْمُ صَائِمٍ عَمَّا لَزِمَ غَيْرَهُ فِي مَالِهِ..

﴿مُتَتَابِعَيْنِ﴾ وَالْمُتَابَعَةُ صَوْمُ الشَّهْرَيْنِ، مِمَّا لَا يَقْطَعُهُ بِإِفْطَارِ بَعْضِ أَيَّامِهِ لِغَيْرِ عِلَّةٍ حَائِلَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَوْمِهِ..

﴿تَوْبَةً﴾ تَجَاوُزًا..

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لَكُمْ إِلَىٰ التَّيْسِيرِ عَلَيْهِ، بِتَخْفِيفِهِ عَنْكُمْ مَا خَفَّفَ عَنْكُمْ مِنْ فَرْضِ تَحْرِيرِ الرَّقَبَةِ الْمُؤْمِنَةِ إِذَا أُعْسِرْتُمْ بِهَا، بِإِيجَابِهِ عَلَيْكُمْ صَوْمَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ..

﴿عَلِيمًا﴾ بِمَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ فِيمَا يُكَلِّفُهُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ..

﴿حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ [النساء: ٩٢] بِمَا يَقْضِي فِيهِمْ وَيُرِيدُ.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا عَامِدًا قَتْلَهُ، مُرِيدًا إِتْلَافَ نَفْسِهِ.. وَكُلُّ مَنْ

ضَرَبَ إِنْسَانًا بِشَيْءٍ الْأَغْلَبُ مِنْهُ أَنَّهُ يُتْلِفُهُ، فَلَمْ يُقْلِعْ عَنْهُ حَتَّىٰ أَتْلَفَ نَفْسَهُ بِهِ أَنَّهُ قَاتِلُ عَمْدٍ..

﴿فَجَزَآؤُهُۥ﴾ فَثَوَابُهُ مِنْ قَتْلِهِ إِيَّاهُ..

﴿جَهَنَّمُ﴾ عَذَابُ جَهَنَّمَ..

﴿خَٰلِدًا﴾ بَاقِيًا..

﴿فِيهَا﴾ فِي جَهَنَّمَ.. وَلَكِنَّهُ يَعْفُو أَوْ يَتَفَضَّلُ عَلَىٰ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، فَلَا يُجَازِيهِمْ بِالْخُلُودِ فِيهَا، وَلَكِنَّهُ -عَزَّ ذِكْرُهُ- إِمَّا أَنْ يَعْفُوَ بِفَضْلِهِ فَلَا يُدْخِلُهُ النَّارَ، وَإِمَّا أَنْ يُدْخِلَهُ إِيَّاهَا ثُمَّ يُخْرِجَهُ مِنْهَا بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ لِمَا سَلَفَ مِنْ وَعْدِهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣].. فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ الْقَاتِلَ إِنْ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ دَاخِلًا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمُشْرِكُ دَاخِلًا فِيهِ، لِأَنَّ الشِّرْكَ مِنَ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ ذِكْرُهُ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ غَيْرُ غَافِرِ الشِّرْكِ لِأَحَدٍ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، وَالْقَتْلُ دُونَ الشِّرْكِ..

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بِقَتْلِهِ إِيَّاهُ مُتَعَمِّدًا..

﴿وَلَعَنَهُۥ﴾ وَأَبْعَدَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَأَخْزَاهُ..

﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣﴾ [النساء: ٩٣] وَذَلِكَ مَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ مَبْلَغِهِ سِوَاهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٩٤﴾ [النساء: ٩٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ، فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إِذَا سِرْتُمْ مَسِيرًا لِلَّهِ فِي جِهَادِ أَعْدَائِكُمْ..

﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ فَتَأَنَّوْا فِي قَتْلِ مَنْ أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ أَمْرُهُ، فَلَمْ تَعْلَمُوا حَقِيقَةَ إِسْلَامِهِ وَلَا كُفْرِهِ، وَلَا تَعْجَلُوا فَتَقْتُلُوا مَنِ الْتَبَسَ عَلَيْكُمْ أَمْرُهُ، وَلَا تَتَقَدَّمُوا عَلَىٰ قَتْلِ أَحَدٍ إِلَّا عَلَىٰ قَتْلِ مَنْ عَلِمْتُمُوهُ يَقِينًا حَرْبًا لَكُمْ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ..

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنِ اسْتَسْلَمَ لَكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلْكُمْ، مُظْهِرًا لَكُمْ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ وَدَعْوَتِكُمْ..

﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ فَتَقْتُلُوهُ..

﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ طَلَبَ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..

﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ مِنْ رِزْقِهِ وَفَوَاضِلِ نِعَمِهِ، فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ أَطَعْتُمُ اللهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَثَابَكُمْ بِهَا عَلَىٰ طَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ، فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِهِ..

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ كَمَا كَانَ هَذَا الَّذِي أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَقُلْتَ لَهُ لَسْتَ مُؤْمِنًا فَقَتَلْتُمُوهُ، كَذَلِكَ أَنْتُمْ مِنْ قَبْلُ، يَعْنِي: مِنْ قَبْلِ إِعْزَازِ اللهِ دِينَهُ بِتُبَّاعِهِ وَأَنْصَارِهِ، تَسْتَخْفُونَ بِدِينِكُمْ كَمَا اسْتَخْفَىٰ هَذَا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ، وَأَخَذْتُمْ مَالَهُ بِدِينِهِ مِنْ قَوْمِهِ أَنْ يُظْهِرَهُ لَهُمْ حَذَرًا عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْهُمْ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ [النساء: ٩٤] كُنْتُمْ كُفَّارًا مِثْلَهُمْ..

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ فَتَفَضَّلَ اللهُ عَلَيْكُمْ بِإِعْزَازِ دِينِهِ بِأَنْصَارِهِ وَكَثْرَةِ تُبَّاعِهِ، وَقَدْ قِيلَ: فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ بِالتَّوْبَةِ مِنْ قَتْلِكُمْ هَذَا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ، وَأَخَذْتُمْ مَالَهُ بَعْدَ مَا أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ..

﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ فَلَا تَعْجَلُوا بِقَتْلِ مَنْ أَرَدْتُمْ قَتْلَهُ مِمَّنِ الْتَبَسَ عَلَيْكُمْ أَمْرُ إِسْلَامِهِ، فَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَنَّ عَلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ بِمِثْلِ الَّذِي مَنَّ بِهِ عَلَيْكُمْ، وَهَدَاهُ لِمِثْلِ الَّذِي هَدَاكُمْ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ إِنَّ اللهَ كَانَ بِقَتْلِكُمْ مَنْ تَقْتُلُونَ وَكَفِّكُمْ عَمَّنْ تَكُفُّونَ عَنْ قَتْلِهِ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ وَأَعْدَائِكُمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِكُمْ وَأُمُورِ غَيْرِكُمْ..

﴿خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾ [النساء: ٩٤] ذَا خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ بِهِ، يَحْفَظُهُ عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمْ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ جَمِيعَكُمْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، جَزَاءَ الْمُحْسِنِ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءِ بِإِسَاءَتِهِ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي سَبَبِ قَتِيلٍ قَتَلَتْهُ سَرِيَّةٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْدَ مَا قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، أَوْ بَعْدَ مَا شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، أَوْ بَعْدَ مَا سَلَّمَ عَلَيْهِمْ، لِغَنِيمَةٍ كَانَتْ مَعَهُ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مِلْكِهِ، فَأَخَذُوهُ مِنْهُ.

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء: ٩٥].

﴿لَّا يَسْتَوِى﴾ لَا يَعْتَدِلُ..

﴿ٱلۡقَٰعِدُونَ﴾ الْمُتَخَلِّفُونَ..

﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، الْمُؤْثِرُونَ الدَّعَةَ وَالْخَفْضَ وَالْقُعُودَ فِي مَنَازِلِهِمْ عَلَىٰ مُقَاسَاةِ حُزُونَةِ الْأَسْفَارِ وَالسَّيْرِ فِي الْأَرْضِ وَمَشَقَّةِ مُلَاقَاةِ أَعْدَاءِ اللهِ بِجِهَادِهِمْ فِي ذَاتِ اللهِ وَقِتَالِهِمْ فِي طَاعَةِ اللهِ، إِلَّا أَهْلُ الْعُذْرِ مِنْهُمْ بِذَهَابِ أَبْصَارِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعِلَلِ الَّتِي لَا سَبِيلَ لِأَهْلِهَا لِلضَّرَرِ الَّذِي بِهِمْ إِلَىٰ قِتَالِهِمْ وَجِهَادِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَمِنْهَاجِ دِينِهِ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، الْمُسْتَفْرِغُونَ طَاقَتَهُمْ فِي قِتَالِ أَعْدَاءِ اللهِ وَأَعْدَاءِ دِينِهِمْ..

﴿بِأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ إِنْفَاقًا لَهَا فِيمَا أَوْهَنَ كَيْدَ أَعْدَاءِ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ..

﴿وَأَنفُسِهِمۡۚ﴾ وَبِأَنْفُسِهِمْ، مُبَاشَرَةً بِهَا قِتَالَهُمْ، بِمَا تَكُونُ بِهِ كَلِمَةُ اللهِ الْعَالِيَةَ، وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السَّافِلَةَ..

﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ مِنْ أُولِي الضَّرَرِ..

﴿دَرَجَةٗۚ﴾ وَاحِدَةً، يَعْنِي فَضِيلَةً وَاحِدَةً، وَذَلِكَ بِفَضْلِ جِهَادٍ بِنَفْسِهِ، فَأَمَّا فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ فَهُمَا مُسْتَوِيَانِ..

﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ﴾ وَعَدَ اللهُ الْكُلَّ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْقَاعِدِينَ مِنْ أَهْلِ الضَّرَرِ..

﴿ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ الْجَنَّةَ..

﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ﴾ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ..

﴿عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ مِنْ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ..

﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥﴾ [النساء: ٩٥] وَثَوَابًا جَزِيلًا، وَهُوَ.

﴿دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ٩٦﴾ [النساء: ٩٦].

﴿دَرَجَٰتٖ﴾ فَضَائِلَ أَعْطَاهُمُوهَا فِي الْآخِرَةِ مِنْ دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ، رَفَعَهُمْ بِهَا عَلَىٰ الْقَاعِدِينَ بِمَا أَبْلَوْا فِي ذَاتِ اللهِ..

﴿مِّنۡهُ﴾ وَمَنَازِلَ مِنْ مَنَازِلِ الْكَرَامَةِ..

﴿وَمَغۡفِرَةٗ﴾ وَصَفَحَ لَهُمْ عَنْ ذُنُوبِهِمْ، فَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِتَرْكِ عُقُوبَتِهِمْ عَلَيْهَا..

﴿وَرَحۡمَةٗۚ﴾ وَرَأْفَةً بِهِمْ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ..

﴿غَفُورًا﴾ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَصْفَحُ لَهُمْ عَنِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا..

﴿رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: ٩٦] بِهِمْ، يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ بِنِعَمِهِ، مَعَ خِلَافِهِمْ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَرُكُوبِهِمْ مَعَاصِيَهُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَقْبِضُ أَرْوَاحَهُمُ الْمَلَائِكَةُ..

﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ مُكْسِبِي أَنْفُسَهُمْ غَضَبَ اللهِ وَسَخَطَهُ..

﴿قَالُواْ﴾ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَهُمْ..

﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ فِي أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ مِنْ دِينِكُمْ..

﴿قَالُواْ﴾ قَالَ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ..

﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يَسْتَضْعِفُنَا أَهْلُ الشِّرْكِ بِاللهِ فِي أَرْضِنَا وَبِلَادِنَا بِكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ، فَيَمْنَعُونَا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَاتِّبَاعِ رَسُولِهِ ﷺ، مَعْذِرَةٌ ضَعِيفَةٌ وَحُجَّةٌ وَاهِيَةٌ..

﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ فَتَخْرُجُوا مِنْ أَرْضِكُمْ وَدُورِكُمْ، وَتُفَارِقُوا مَنْ يَمْنَعُكُمْ بِهَا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَاتِّبَاعِ رَسُولِهِ ﷺ، إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي يَمْنَعُكُمْ أَهْلُهَا مِنْ سُلْطَانِ أَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ، فَتُوَحِّدُوا اللهَ فِيهَا وَتَعْبُدُوهُ، وَتَتَّبِعُوا نَبِيَّهُ؟ يَقُولُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ وُصِفَتْ لَكُمْ صِفَتُهُمْ، الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ..

﴿مَأْوَىٰهُمْ﴾ مَصِيرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ..

﴿جَهَنَّمُ﴾ وَهِيَ مَسْكَنُهُمْ..

﴿وَسَآءَتْ﴾ جَهَنَّمُ لِأَهْلِهَا الَّذِينَ صَارُوا إِلَيْهَا..

﴿مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧] وَمَسْكَنًا وَمَأْوًى.

﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ [النساء: ٩٨].

﴿إِلَّا﴾ ثُمَّ اسْتَثْنَى جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ الَّذِينَ اسْتَضْعَفَهُمُ الْمُشْرِكُونَ..

﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ وَهُمُ الْعَجَزَةُ عَنِ الْهِجْرَةِ بِالْعُسْرَةِ وَقِلَّةِ الْحِيلَةِ..

﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ [النساء: ٩٨] وَسُوءِ الْبَصَرِ وَالْمَعْرِفَةِ بِالطَّرِيقِ مِنْ أَرْضِهِمْ، أَرْضِ الشِّرْكِ إِلَىٰ أَرْضِ الْإِسْلَامِ، مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ أَنْ تَكُونَ جَهَنَّمُ مَأْوَاهُمْ، لِلْعُذْرِ الَّذِي هُمْ فِيهِ، عَلَىٰ مَا بَيَّنَهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٩].

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ..

﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾ لَعَلَّ اللهُ..

﴿أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ﴾ لِلْعُذْرِ الَّذِي هُمْ فِيهِ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ، فَيَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ بِالصَّفْحِ عَنْهُمْ فِي تَرْكِهِمُ الْهِجْرَةِ، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهَا اخْتِيَارًا وَلَا إِيثَارًا مِنْهُمْ لِدَارِ الْكُفْرِ عَلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنْ لِلْعَجْزِ الَّذِي هُمْ فِيهِ عَنِ النُّقْلَةِ عَنْهَا..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ..

﴿عَفُوًّا﴾ ذَا صَفْحٍ بِفَضْلِهِ عَنْ ذُنُوبِ عِبَادِهِ بِتَرْكِهِ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهَا..

﴿غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٩] سَاتِرًا عَلَيْهِمْ ذُنُوبَهِمْ بِعَفْوِهِ لَهُمْ عَنْهَا.. وَذُكِرَ أَنَّ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ وَالَّتِي بَعْدَهُمَا نَزَلَتْ فِي أَقْوَامٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ كَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا وَآمَنُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْهِجْرَةِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ هَاجَرَ، وَعُرِضَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ الْفِتْنَةِ فَافْتُتِنَ، وَشَهِدَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ حَرْبَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَبَىٰ اللهُ قَبُولَ مَعْذِرَتَهُمُ الَّتِي اعْتَذَرُوا بِهَا، الَّتِي بَيَّنَهَا فِي قَوْلِهِ خَبَرًا عَنْهُمْ: ﴿قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾.

﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةًۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء: ١٠٠].

﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ﴾ وَمَنْ يُفَارِقْ أَرْضَ الشِّرْكِ وَأَهْلَهَا، هَرَبًا بِدِينِهِ مِنْهَا وَمِنْهُمْ إِلَىٰ أَرْضِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهَا الْمُؤْمِنِينَ..

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فِي مِنْهَاجِ دِينِ اللهِ وَطَرِيقِهِ الَّذِي شَرَعَهُ لِخَلْقِهِ، وَذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ..

﴿يَجِدْ﴾ هَذَا الْمُهَاجِرُ فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا﴾ وَهُوَ الْمُضْطَرِبُ فِي الْبِلَادِ وَالْمَذْهَبِ..

﴿وَسَعَةً﴾ يَحْتَمِلُ السَّعَةَ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ بِمَكَّةَ، وَذَلِكَ مَنْعُهُمْ إِيَّاهُمْ مِنْ إِظْهَارِ دِينِهِمْ وَعِبَادَةِ رَبِّهِمْ عَلَانِيَةً.. وَقَدْ يَدْخُلُ فِي السَّعَةِ، السَّعَةُ فِي الرِّزْقِ، وَالْغِنَىٰ مِنَ الْفَقْرِ؛ وَيَدْخُلُ فِيهِ السَّعَةُ مِنْ ضِيقِ الْهَمِّ، وَالْكَرْبِ الَّذِي كَانَ فِيهِ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِاللهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي السَّعَةِ الَّتِي هِيَ بِمَعْنَىٰ الرَّوْحِ وَالْفَرَجِ مِنْ مَكْرُوهِ مَا كَرِهَ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَقَامِهِمْ بَيْنَ ظَهْرَيِ الْمُشْرِكِينَ وَفِي سُلْطَانِهِمْ.

﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا﴾ مِنْ أَرْضِ الشِّرْكِ فَارًّا بِدِينِهِ..

﴿إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ إِنْ أَدْرَكَتْهُ مَنِيَّتُهُ قَبْلَ بُلُوغِهِ أَرْضَ الْإِسْلَامِ وَدَارَ الْهِجْرَةِ..

﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وَذَلِكَ ثَوَابُ عَمَلِهِ وَجَزَاءُ هِجْرَتِهِ وَفِرَاقِ وَطَنِهِ وَعَشِيرَتِهِ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِ دِينِهِ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَمَنْ يَخْرُجْ مُهَاجِرًا مِنْ دَارِهِ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ رَسُولِهِ، فَقَدِ اسْتَوْجَبَ ثَوَابَ هِجْرَتِهِ إِنْ لَمْ يَبْلُغْ دَارَ هِجْرَتِهِ بِاخْتِرَامِ الْمَنِيَّةِ إِيَّاهُ قَبْلَ بُلُوغِهِ إِيَّاهَا عَلَىٰ رَبِّهِ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿غَفُورًا﴾ سَاتِرًا ذُنُوبَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعَفْوِ لَهُمْ عَنِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا..

﴿رَّحِيمًا ١٠٠﴾ [النساء: ١٠٠] بِهِمْ رَفِيقًا، وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ بِسَبَبِ بَعْضِ مَنْ كَانَ مُقِيمًا بِمَكَّةَ وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَخَرَجَ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ الْآيَتَيْنِ قَبْلَهَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ٩٩﴾ [النساء: ٩٩] فَمَاتَ فِي طَرِيقِهِ قَبْلَ بُلُوغِهِ الْمَدِينَةَ.. وَقَدْ تَأَوَّلَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ هَذِهِ الْآيَةَ، أَنَّهَا فِي حُكْمِ الْغَازِي يَخْرُجُ لِلْغَزْوِ فَيُدْرِكُهُ الْمَوْتُ بَعْدَ مَا يَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِهِ فَاصِلًا فَيَمُوتُ، أَنَّ لَهُ سَهْمَهُ مِنَ الْمَغْنَمِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَهِدَ الْوَقْعَةَ.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ١٠١﴾ [النساء: ١٠١].

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وَإِذَا سِرْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي الْأَرْضِ..

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ حَرَجٌ وَلَا إِثْمٌ..

﴿أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أَنْ تَقْصُرُوا مِنْ حُدُودِهَا، وَذَلِكَ تَرْكُ إِتْمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا، وَإِبَاحَةُ أَدَائِهَا كَيْفَ أَمْكَنَ أَدَاؤُهَا، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ فِيهَا، وَمُسْتَدْبِرَهَا، وَرَاكِبًا وَمَاشِيًا، وَذَلِكَ فِي حَالِ الشَّبْكَةِ وَالْمُسَايَفَةِ وَالْتِحَامِ الْحَرْبِ وَتَزَاحُفِ الصُّفُوفِ، وَهِيَ الْحَالَةُ الَّتِي قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩]، وَأَذِنَ بِالصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ فِيهَا رَاكِبًا إِيمَاءً

بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ..

﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ إِنْ خَشِيتُمْ..

﴿أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ فِي صَلَاتِكُمْ وَفِتْنَتُهُمْ إِيَّاهُمْ فِيمَا حَمَلَهُمْ عَلَيْهِمْ وَهُمْ فِيهَا سَاجِدُونَ، حَتَّىٰ يَقْتُلُوهُمْ أَوْ يَأْسِرُوهُمْ، فَيَمْنَعُوهُمْ مِنْ إِقَامَتِهَا وَأَدَائِهَا، وَيَحُولُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عِبَادَةِ اللهِ وَإِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ لَهُ.. ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّا عَلَيْهِ أَهْلُ الْكُفْرِ لَهُمْ فَقَالَ..

﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الْجَاحِدِينَ وَحْدَانِيَّةَ اللهِ..

﴿كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝١٠١﴾ [النساء: ١٠١] قَدْ أَبَانُوا لَكُمْ عَدَاوَتَهُمْ، بِمُنَاصَبَتِهِمْ لَكُمُ الْحَرْبَ عَلَىٰ إِيمَانِكُمْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَتَرْكِكُمْ عِبَادَةَ مَا يَعْبُدُونَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَمُخَالَفَتِكُمْ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝١٠٢﴾ [النساء: ١٠٢].

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ وَإِذَا كُنْتَ فِي الضَّارِبِينَ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَصْحَابِكَ يَا مُحَمَّدُ، الْخَائِفِينَ عَدُوَّهُمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ..

﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بِحُدُودِهَا وَرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا، وَلَمْ تَقْصُرْهَا الْقَصْرَ الَّذِي أَبَحْتُ لَهُمْ أَنْ يَقْصُرُوهَا فِي حَالِ تَلَاقِيهِمْ وَعَدُوِّهِمْ وَتَزَاحُفِ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ..

﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ فَلْتَقُمْ فِرْقَةٌ مِنْ أَصْحَابِكَ الَّذِينَ تَكُونُ أَنْتَ فِيهِمْ مَعَكَ فِي صَلَاتِكَ، وَلْيَكُنْ سَائِرُهُمْ فِي وُجُوهِ الْعَدُوِّ..

﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الطَّائِفَةِ الْمَأْمُورَةِ بِأَخْذِ السِّلَاحِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ الطَّائِفَةُ الَّتِي كَانَتْ تُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: وَمَعْنَى الْكَلَامِ: ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ﴾ يَقُولُ: وَلْتَأْخُذِ الطَّائِفَةُ الْمُصَلِّيَةُ مَعَكَ مِنْ طَوَائِفِهِمْ ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾، وَالسِّلَاحُ الَّذِي أُمِرُوا بِأَخْذِهِ عِنْدَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ كَالسَّيْفِ يَتَقَلَّدُهُ أَحَدُهُمْ، وَالسِّكِّينِ، وَالْخِنْجَرِ يَشُدُّهُ إِلَىٰ دِرْعِهِ وَثِيَابِهِ الَّتِي

هِيَ عَلَيْهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ سِلَاحِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الطَّائِفَةُ الْمَأْمُورَةُ بِأَخْذِ السِّلَاحِ مِنْهُمُ، الطَّائِفَةُ الَّتِي كَانَتْ بِإِزَاءِ الْعَدُوِّ وَدُونَ الْمُصَلِّيَةِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ..

﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ فَإِذَا سَجَدَتِ الطَّائِفَةُ الَّتِي قَامَتْ مَعَكَ فِي صَلَاتِهَا..

﴿فَلْيَكُونُوا مِن وَرَآئِكُمْ﴾ يَعْنِي مِنْ خَلْفِكَ وَخَلْفِ مَنْ يَدْخُلُ فِي صَلَاتِكَ مِمَّنْ لَمْ يُصَلِّ مَعَكَ الرَّكْعَةَ الْأُولَىٰ بِإِزَاءِ الْعَدُوِّ بَعْدَ فَرَاغِهَا مِنْ بَقِيَّةِ صَلَاتِهَا..

﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ﴾ وَهِيَ الطَّائِفَةُ الَّتِي كَانَتْ بِإِزَاءِ الْعَدُوِّ..

﴿لَمْ يُصَلُّوا﴾ مَعَكَ الرَّكْعَةَ الْأُولَىٰ..

﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ الَّتِي بَقِيَتْ عَلَيْكَ..

﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ لِقِتَالِ عَدُوِّهِمْ بَعْدَ مَا يَفْرُغُونَ مِنْ صَلَاتِهِمْ..

﴿وَدَّ﴾ تَمَنَّىٰ..

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ لَوْ تَشْتَغِلُونَ بِصَلَاتِكُمْ..

﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾ الَّتِي تُقَاتِلُونَهُمْ بِهَا..

﴿وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾ الَّتِي بِهَا بَلَاغُكُمْ فِي أَسْفَارِكُمْ فَتَسْهَوْنَ عَنْهَا..

﴿فَيَمِيلُونَ﴾ فَيَحْمِلُونَ..

﴿عَلَيْكُم﴾ وَأَنْتُمْ مَشَاغِيلُ بِصَلَاتِكُمْ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ..

﴿مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَيُصِيبُونَ مِنْكُمْ غِرَّةً بِذَلِكَ فَيَقْتُلُونَكُمْ، وَيَسْتَبِيحُونَ عَسْكَرَكُمْ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَلَا تَفْعَلُوا ذَلِكَ بَعْدَ هَذَا، فَتَشْتَغِلُوا جَمِيعُكُمْ بِصَلَاتِكُمْ إِذَا حَضَرَتْكُمْ صَلَاتُكُمْ وَأَنْتُمْ مُوَاقِفُو الْعَدُوِّ، فَتُمَكِّنُوا عَدُوَّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَأَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ، وَلَكِنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ عَلَىٰ مَا بَيَّنْتُ لَكُمْ، وَخُذُوا مِنْ عَدُوِّكِمْ حِذْرَكُمْ وَأَسْلِحَتَكُمْ..

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ وَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ وَلَا إِثْمَ..

﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ إِنْ نَالَكُمْ مِنْ مَطَرٍ تُمْطَرُونَهُ وَأَنْتُمْ مُوَاقِفُو عَدُوِّكُمْ..

﴿أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾ جَرْحَىٰ أَوْ أَعِلَّاءَ..

﴿أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ إِنْ ضَعُفْتُمْ عَنْ حَمْلِهَا، وَلَكِنْ إِنْ وَضَعْتُمْ أَسْلِحَتَكُمْ مِنْ أَذىٰ مَطَرٍ أَوْ مَرَضٍ..

﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ فَخُذُوا مِنْ عَدُوِّكُمْ حِذْرَكُمْ، يَقُولُ: احْتَرِسُوا مِنْهُمْ أَنْ يَمِيلُوا عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ عَنْهُمْ غَافِلُونَ غَارُّونَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝﴾ [النساء: ١٠٢] أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُذِلًّا يَبْقَوْنَ فِيهِ أَبَدًا لَا يَخْرُجُونَ مِنْهُ، وَذَلِكَ هُوَ عَذَابُ جَهَنَّمَ.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ۝﴾ [النساء: ١٠٣].

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ﴾ فَإِذَا فَرَغْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الَّتِي بَيَّنَّاهَا لَكُمْ وَأَنْتُمْ مُوَاقِفُو عَدُوِّكُمْ..

﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ عَلَىٰ كُلِّ أَحْوَالِكُمْ..

﴿قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ﴾ وَمُضْطَجِعِينَ عَلَىٰ جُنُوبِكُمْ بِالتَّعْظِيمِ لَهُ، وَالدُّعَاءِ لِأَنْفُسِكُمْ بِالظَّفَرِ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُظْفِرَكُمْ وَيَنْصُرَكُمْ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝﴾ [الأنفال: ٤٥]..

﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ فَإِذَا زَالَ خَوْفُكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَأَمِنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَاطْمَأَنَّتْ أَنْفُسُكُمْ بِالْأَمْنِ..

﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ﴾ فَأَتِمُّوهَا بِحُدُودِهَا الْمَفْرُوضَةِ عَلَيْكُمْ، غَيْرَ قَاصِرِيهَا عَنْ شَيْءٍ مِنْ حُدُودِهَا...

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ۝﴾ [النساء: ١٠٣] اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فَرِيضَةً مَفْرُوضَةً.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فَرْضًا وَاجِبًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا مُنَجَّمًا يُؤَدُّونَهَا فِي أَنْجُمِهَا.. وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ قَرِيبٌ مَعْنَىٰ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ، لِأَنَّ مَا كَانَ مَفْرُوضًا فَوَاجِبٌ، وَمَا كَانَ وَاجِبًا أَدَاؤُهُ فِي وَقْتٍ بَعْدَ وَقْتٍ فَمُنَجَّمٌ، غَيْرَ أَنَّ أَوْلَىٰ الْمَعَانِي بِتَأْوِيلِ الْكَلِمَةِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فَرْضًا مُنَجَّمًا؛ لِأَنَّ الْمَوْقُوتَ إِنَّمَا هُوَ مَفْعُولٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: وَقَّتَ اللهُ عَلَيْكَ فَرْضَهُ فَهُوَ يَقِتُهُ، فَفَرْضُهُ عَلَيْكَ مَوْقُوتٌ، إِذَا أَخْبَرَ أَنَّهُ جَعَلَ لَهُ وَقْتًا يَجِبُ عَلَيْكَ أَدَاؤُهُ، فَكَذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ۝﴾ إِنَّمَا هُوَ كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فَرْضًا وُقِّتَ لَهُمْ وَقْتَ وُجُوبِ أَدَائِهِ، فَبَيَّنَ ذَلِكَ لَهُمْ.

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [النساء: ١٠٤].

﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾ وَلَا تَضْعُفُوا، مِنْ قَوْلِهِمْ: وَهَنَ فُلَانٌ فِي هَذَا الْأَمْرِ يَهِنُ وَهْنًا وَوُهُونًا..

﴿فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ﴾ فِي الْتِمَاسِ الْقَوْمِ وَطَلَبِهِمْ، وَالْقَوْمُ هُمْ أَعْدَاءُ اللهِ وَأَعْدَاءُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ..

﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ﴾ إِنْ تَكُونُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ تَيْجَعُونَ مِمَّا يَنَالُكُمْ مِنَ الْجِرَاحِ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا..

﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ﴾ فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ يَيْجَعُونَ مِمَّا يَنَالُهُمْ مِنْكُمْ مِنَ الْجِرَاحِ وَالْأَذَىٰ، مِثْلَ مَا تَيْجَعُونَ أَنْتُمْ مِنْ جِرَاحِهِمْ وَأَذَاهُمْ..

﴿وَتَرْجُونَ﴾ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الثَّوَابِ عَلَىٰ مَا يَنَالُكُمْ مِنْهُمْ..

﴿مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾ هُمْ عَلَىٰ مَا يَنَالُهُمْ مِنْكُمْ، يَقُولُ: فَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ مِنْ ثَوَابِ اللهِ لَكُمْ عَلَىٰ مَا يُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ بِمَا هُمْ بِهِ مُكَذِّبُونَ، أَوْلَىٰ وَأَحْرَىٰ أَنْ تَصْبِرُوا عَلَىٰ حَرْبِهِمْ وَقِتَالِهِمْ مِنْهُمْ عَلَىٰ قِتَالِكُمْ وَحَرْبِكُمْ وَأَنْ تَجِدُّوا مِنْ طَلَبِهِمْ وَابْتِغَائِهِمْ لِقِتَالِهِمْ عَلَىٰ مَا يَهِنُونَ هُمْ فِيهِ وَلَا يَجِدُّونَ، فَكَيْفَ عَلَىٰ مَا جَدُّوا فِيهِ وَلَمْ يَهِنُوا؟ وَقَدْ ذَكَرْنَا عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ كَانَ يَتَأَوَّلُ قَوْلَهُ: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾ وَتَخَافُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَخَافُونَ، مِنْ قَوْلِ اللهِ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤] بِمَعْنَىٰ: لَا يَخَافُونَ أَيَّامَ اللهِ، وَغَيْرُ مَعْرُوفٍ صَرْفُ الرَّجَاءِ إِلَىٰ مَعْنَىٰ الْخَوْفِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، إِلَّا مَعَ جَحْدٍ سَابِقٍ لَهُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٣] بِمَعْنَىٰ: لَا تَخَافُونَ لِلَّهِ عَظَمَةً..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ..

﴿عَلِيمًا﴾ بِمَصَالِحِ خَلْقِهِ، وَمِنْ عِلْمِهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِمَصَالِحِكُمْ عَرَّفَكُمْ عِنْدَ حُضُورِ صَلَاتِكُمْ، وَوَاجِبِ فَرْضِ اللهِ عَلَيْكُمْ، وَأَنْتُمْ مُوَاقِفُو عَدُوِّكُمْ مَا يَكُونُ بِهِ وُصُولُكُمْ إِلَىٰ أَدَاءِ فَرْضِ اللهِ عَلَيْكُمْ، وَالسَّلَامَةُ مِنْ عَدُوِّكُمْ..

﴿حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [النساء: ١٠٤] فِي تَدْبِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ، وَمِنْ حِكْمَتِهِ بَصَّرُكُمْ بِمَا فِيهِ تَأْيِيدُكُمْ، وَتَوْهِينُ كَيْدِ عَدُوِّكُمْ.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ [النساء: ١٠٥].

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الْقُرْآنَ..

﴿بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ لِتَقْضِيَ بَيْنَ النَّاسِ، فَتَفْصِلَ بَيْنَهُمْ..

﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِهِ..

﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ﴾ وَلَا تَكُنْ لِمَنْ خَانَ مُسْلِمًا أَوْ مُعَاهَدًا فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ..

﴿خَصِيمٗا ١٠٥﴾ [النساء: ١٠٥] تُخَاصِمُ عَنْهُ، وَتَدْفَعُ عَنْهُ مَنْ طَالَبَهُ بِحَقِّهِ الَّذِي خَانَهُ فِيهِ.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦﴾ [النساء: ١٠٦].

﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ﴾ يَا مُحَمَّدُ وَسَلْهُ أَنْ يَصْفَحَ لَكَ عَنْ عُقُوبَةِ ذَنْبِكَ فِي مُخَاصَمَتِكَ عَنِ الْخَائِنِ الَّذِي خَانَ مَالًا لِغَيْرِهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا﴾ إِنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ يَصْفَحُ عَنْ ذُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِتَرْكِهِ عُقُوبَتَهُمْ عَلَيْهَا، إِذَا اسْتَغْفَرُوهُ مِنْهَا..

﴿رَّحِيمٗا ١٠٦﴾ [النساء: ١٠٦] بِهِمْ، فَافْعَلْ ذَلِكَ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ، يَغْفِرِ اللهُ لَكَ مَا سَلَفَ مِنْ خُصُومَتِكَ عَنْ هَذَا الْخَائِنِ.. وَقَدْ قِيلَ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ خَاصَمَ عَنِ الْخَائِنِ، وَلَكِنَّهُ هَمَّ بِذَلِكَ، فَأَمَرَهُ اللهُ بِالِاسْتِغْفَارِ مِمَّا هَمَّ بِهِ مِنْ ذَلِكَ.

﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧﴾ [النساء: ١٠٧].

﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ فَتُخَاصِمُ..

﴿عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ يَخُونُونَ أَنْفُسَهُمْ، يَجْعَلُونَهَا خَوَنَةً بِخِيَانَتِهِمْ مَا خَانُوا مِنْ أَمْوَالِ مَنْ خَانُوهُ مَالَهُ، يَقُولُ: لَا تُخَاصِمْ عَنْهُمْ مَنْ يُطَالِبُهُمْ بِحُقُوقِهِمْ، وَمَا خَانُوهُ فِيهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧﴾ [النساء: ١٠٧] إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مِنْ صِفَتِهِ خِيَانَةُ النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَرُكُوبُ الْإِثْمِ فِي ذَلِكَ وَغَيْرِهِ مِمَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْهِ.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝١٠٨﴾ [النساء: ١٠٨].

﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ يَسْتَخْفِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ مَا أُوتُوا مِنَ الْخِيَانَةِ، وَرَكِبُوا مِنَ الْعَارِ وَالْمَعْصِيَةِ..

﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الَّذِين لَا يَقْدِرُونَ لَهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا ذِكْرَهُمْ بِقَبِيحِ مَا أُوتُوا مِنْ فِعْلِهِمْ وَشَنِيعِ مَا رَكِبُوا مِنْ جُرْمِهِمْ إِذَا اطَّلَعُوا عَلَيْهِ حَيَاءً مِنْهُمْ، وَحَذَرًا مِنْ قَبِيحِ الْأُحْدُوثَةِ..

﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ الَّذِي هُوَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَبِيَدِهِ الْعِقَابُ وَالنَّكَالُ وَتَعْجِيلُ الْعَذَابِ، وَهُوَ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَأَوْلَىٰ أَنْ يُعَظَّمَ بِأَنْ لَا يَرَاهُمْ حَيْثُ يَكْرَهُونَ أَنْ يَرَاهُمْ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ وَاللهُ شَاهِدُهُمْ..

﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ حِينَ يُسَوُّونَ لَيْلًا..

﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ فَيُغَيِّرُونَهُ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَكْذِبُونَ فِيهِ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ فِيمَا أُوتُوا مِنْ جُرْمِهِمْ حَيَاءً مِنْهُمْ مِنْ تَبْيِيتِهِمْ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَفْعَالِهِمْ..

﴿مُحِيطًا ۝١٠٨﴾ [النساء: ١٠٨] مُحْصِيًا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، حَافِظًا لِذَلِكَ عَلَيْهِمْ، حَتَّىٰ يُجَازِيَهُمْ عَلَيْهِ جَزَاءَهُمْ.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝١٠٩﴾ [النساء: ١٠٩].

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ﴾ هَا أَنْتُمُ الَّذِينَ جَادَلْتُمْ..

﴿عَنْهُمْ﴾ عَنِ الْخَائِنِينَ..

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ﴾ فَمَنْ ذَا يُخَاصِمُ اللهَ عَنْهُمْ..

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِمَحْشَرِهِمْ، فَيُدَافِعُ عَنْهُمْ مَا اللهُ فَاعِلٌ بِهِمْ، وَمُعَاقِبُهُمْ بِهِ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّكُمْ أَيُّهَا الْمُدَافِعُونَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْخَائِنِينَ أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ دَافَعْتُمْ عَنْهُمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُمْ سَيَصِيرُونَ فِي آجِلِ الْآخِرَةِ إِلَىٰ مَنْ لَا يُدَافِعُ عَنْهُمْ عِنْدَهُ أَحَدٌ فِيمَا

يَحِلُّ بِهِمْ مِنْ أَلِيمِ الْعَذَابِ وَنَكَالِ الْعِقَابِ..

﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝﴾ [النساء: ١٠٩] وَمَنْ ذَا الَّذِي يَكُونُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْخَائِنِينَ وَكِيلًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟! أَيْ وَمَنْ يَتَوَكَّلُ لَهُمْ فِي خُصُومَةِ رَبِّهِمْ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝﴾ [النساء: ١١٠].

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ ذَنْبًا، وَهُوَ السُّوءُ..

﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ بِإِكْسَابِهِ إِيَّاهَا مَا يَسْتَحِقُّ بِهِ عُقُوبَةَ اللهِ..

﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ ثُمَّ يَتُوبُ إِلَىٰ اللهِ، بِإِنَابَتِهِ مِمَّا عَمِلَ مِنَ السُّوءِ، وَظُلْمِ نَفْسِهِ، وَمُرَاجَعَتِهِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تَمْحُو ذَنْبَهُ وَتُذْهِبُ جُرْمَهُ..

﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا﴾ يَجِدْ رَبَّهُ سَاتِرًا عَلَيْهِ ذَنْبَهُ بِصَفْحِهِ لَهُ عَنْ عُقُوبَةِ جُرْمِهِ..

﴿رَّحِيمًا ۝﴾ [النساء: ١١٠] بِهِ.. وَعُنِيَ بِهَا كُلُّ مَنْ عَمِلَ سُوءًا أَوْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَإِنْ كَانَتْ نَزَلَتْ فِي أَمْرِ الْخَائِنِينَ وَالْمُجَادِلِينَ عَنْهُمْ، الَّذِينَ ذَكَرَ اللهُ أَمْرَهُمْ فِي الْآيَاتِ قَبْلَهَا.. قَالَ عَبْدُ اللهِ بن مسعود: (كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِذَا أَصَابَ أَحَدُهُمْ ذَنْبًا أَصْبَحَ قَدْ كُتِبَ كَفَّارَةُ ذَلِكَ الذَّنْبِ عَلَىٰ بَابِهِ، وَإِذَا أَصَابَ الْبَوْلُ شَيْئًا مِنْهُ قَرَضَهُ بِالْمِقْرَاضِ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَقَدْ آتَىٰ اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ خَيْرًا، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: مَا آتَاكُمُ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاهُمْ، جَعَلَ اللهُ الْمَاءَ لَكُمْ طَهُورًا، وَقَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥] وَقَالَ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝﴾ [النساء: ١١٠].. وجَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، فَسَأَلَتْهُ عَنِ امْرَأَةٍ فَجَرَتْ فَحَبَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَتَلَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ ابْنُ مُغَفَّلٍ: (مَا لَهَا؟! لَهَا النَّارُ)، فَانْصَرَفَتْ وَهِيَ تَبْكِي، فَدَعَاهَا، ثُمَّ قَالَ: (مَا أَرَىٰ أَمْرَكِ إِلَّا أَحَدَ أَمْرَيْنِ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝﴾ [النساء: ١١٠] قَالَ: (فَمَسَحَتْ عَيْنَهَا ثُمَّ مَضَتْ).

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝﴾ [النساء: ١١١].

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ وَمَنْ يَأْتِ ذَنْبًا عَلَىٰ عَمْدٍ مِنْهُ لَهُ وَمَعْرِفَةٍ بِهِ..

﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ﴾ فَإِنَّمَا يَجْتَرِحُ وَبَالَ ذَلِكَ الذَّنْبِ وَضُرَّهُ وَخِزْيَهُ وَعَارَهُ..

﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ خَلْقِ اللهِ، يَقُولُ: فَلَا تُجَادِلُوا أَيُّهَا الَّذِينَ تُجَادِلُونَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْخَوَنَةِ، فَإِنَّكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ لَهُمْ عَشِيرَةً وَقَرَابَةً وَجِيرَانًا بُرَآءُ مِمَّا أَتَوْهُ مِنَ الذَّنْبِ وَمِنَ التَّبِعَةِ الَّتِي يُتْبَعُونَ بِهَا،

فَإِنَّكُمْ مَتَىٰ دَافَعْتُمْ عَنْهُمْ أَوْ خَاصَمْتُمْ بِسَبَبِهِمْ كُنْتُمْ مِثْلَهُمْ، فَلَا تُدَافِعُوا عَنْهُمْ، وَلَا تُخَاصِمُوا..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ وَكَانَ اللهُ عَالِمًا بِمَا تَفْعَلُونَ أَيُّهَا الْمُجَادِلُونَ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي جِدَالِكُمْ عَنْهُمْ، وَغَيْرِ ذَٰلِكَ مِنْ أَفْعَالِكُمْ وَأَفْعَالِ غَيْرِكُمْ، وَهُوَ يُحْصِيهَا عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمْ، حَتَّىٰ يُجَازِيَ جَمِيعَكُم بِهَا..

﴿حَكِيمًا ۝١١١﴾ [النساء: ١١١] وَهُوَ حَكِيمٌ بِسِيَاسَتِكُمْ وَتَدْبِيرِكُمْ، وَتَدْبِيرِ جَمِيعِ خَلْقِهِ.

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝١١٢﴾ [النساء: ١١٢].

﴿وَمَن يَكْسِبْ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ..

﴿خَطِيٓـَٔةً﴾ وَهِيَ الذَّنْبُ عَلَىٰ غَيْرِ عَمْدٍ مِنْهُ لَهُ..

﴿أَوْ إِثْمًا﴾ وَهُوَ مَا لَا يَحِلُّ مِنَ الْمَعْصِيَةِ عَلَىٰ عَمْدٍ مِنْهُ..

﴿ثُمَّ يَرْمِ﴾ ثُمَّ يَصِفُ..

﴿بِهِۦ﴾ بِالَّذِي تَعَمَّدَهُ، وَمَا أَتَىٰ مِنْ خَطَئِهِ أَوْ إِثْمِهِ..

﴿بَرِيٓـًٔا﴾ مِمَّا أَضَافَهُ إِلَيْهِ وَنَحَلَهُ إِيَّاهُ..

﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ﴾ بِفِعْلِهِ ذَٰلِكَ..

﴿بُهْتَٰنًا﴾ فِرْيَةً وَكَذِبًا..

﴿وَإِثْمًا﴾ وَجُرْمًا..

﴿مُّبِينًا ۝١١٢﴾ [النساء: ١١٢] عَظِيمًا عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُ وَعَمْدٍ لِمَا أَتَىٰ مِنْ مَعْصِيَتِهِ وَذَنْبِهِ.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾ [النساء: ١١٣].

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ وَلَوْلَا أَنَّ اللهَ تَفَضَّلَ..

﴿عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ فَعَصَمَكَ بِتَوْفِيقِهِ وَتِبْيَانِهِ لَكَ أَمْرَ الْخَائِنِ، فَكَفَفْتَ لِذَٰلِكَ عَنِ الْجِدَالِ عَنْهُ، وَمُدَافَعَةِ أَهْلِ الْحَقِّ عَنْ حَقِّهِمْ قِبَلَهُ..

﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ﴾ فِرْقَةٌ..

﴿مِّنْهُمْ﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ..

﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ أَنْ يُزِلُّوكَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ..

﴿وَمَا يُضِلُّونَ﴾ وَمَا يُضِلُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَمُّوا بِأَنْ يُضِلُّوكَ عَنِ الْوَاجِبِ مِنَ الْحُكْمِ فِي أَمْرِ هَذَا الْخَائِنِ..

﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ بأَخذِهِم بِهَا فِي غَيْرِ مَا أَبَاحَ اللهُ لَهُمُ الْأَخْذَ بِهَا فِيهِ مِنْ سُبُلِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ كَانَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فِيمَا تَقَدَّمَ فِي كِتَابِهِ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ إِلَىٰ خَلْقِهِ بِالنَّهْيِ عَنْ أَنْ يَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَالْأَمْرِ بِالتَّعَاوُنِ عَلَىٰ الْحَقِّ، فَكَانَ مِنَ الْوَاجِبِ لِلَّهِ فِيمَنْ سَعَىٰ فِي أَمْرِ الْخَائِنِينَ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ أَمْرَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ١٠٥﴾ [النساء: ١٠٥] مُعَاوَنَةُ مَنْ ظَلَمُوهُ دُونَ مَنْ خَاصَمَهُمْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي طَلَبِ حَقِّهِ مِنْهُمْ، فَكَانَ سَعْيُهُمْ فِي مَعُونَتِهِمْ دُونَ مَعُونَةِ مَنْ ظَلَمُوهُ، أَخْذًا مِنْهُمْ فِي غَيْرِ سَبِيلِ اللهِ، وَذَلِكَ هُوَ إِضْلَالُهُمْ أَنْفُسَهُمْ، الَّذِي وَصَفَهُ اللهُ..

﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ﴾ وَمَا يَضُرُّكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَمُّوا لَكَ أَنْ يُزِلُّوكَ عَنِ الْحَقِّ فِي أَمْرِ الْخَائِنِ مِنْ قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ..

﴿مِن شَيْءٍ﴾ لِأَنَّ اللهَ مُثَبِّتُكَ وَمُسَدِّدُكَ فِي أُمُورِكَ وَمُبَيِّنٌ لَكَ أَمْرَ مَنْ سَعَوْا فِي ضَلَالِكَ عَنِ الْحَقِّ فِي أَمْرِهِ وَأَمْرِهِمْ، فَفَاضِحُهُ وَإِيَّاهُمْ..

﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَمِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مَعَ سَائِرِ مَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْكَ مِنْ نِعَمِهِ، أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ الَّذِي فِيهِ بَيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُدًىٰ وَمَوْعِظَةٌ..

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ مَعَ الْكِتَابِ الْحِكْمَةَ، وَهِيَ بَيَانُ مَا كَانَ فِي الْكِتَابِ مُجْمَلًا ذِكْرُهُ، مِنْ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ..

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ مِنْ خَبَرِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَمَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ قَبْلُ..

﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ١١٣﴾ [النساء: ١١٣] وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مُذْ خَلَقَكَ، فَاشْكُرْهُ عَلَىٰ مَا أَوْلَاكَ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ بِالتَّمَسُّكِ بِطَاعَتِهِ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ رِضَاهُ وَمَحَبَّتِهِ، وَلُزُومِ الْعَمَلِ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ فِي كِتَابِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَمُخَالَفَةِ مَنْ حَاوَلَ إِضْلَالَكَ عَنْ طَرِيقِهِ وَمِنْهَاجِ دِينِهِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّاكَ بِفَضْلِهِ، وَيَكْفِيكَ غَائِلَةَ مَنْ أَرَادَكَ بِسُوءٍ وَحَاوَلَ صَدَّكَ عَنْ سَبِيلِهِ، كَمَا كَفَاكَ أَمْرَ الطَّائِفَةِ الَّتِي هَمَّتْ أَنْ تُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِهِ فِي أَمْرِ هَذَا الْخَائِنِ، وَلَا أَحَدَ مِنْ دُونِهِ يُنْقِذُكَ مِنْ سُوءٍ إِنْ

أَرَادَ بِكَ إِنْ أَنْتَ خَالَفْتَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَاتَّبَعْتَ هَوَىٰ مَنْ حَاوَلَ صَدَّكَ عَنْ سَبِيلِهِ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ تَنْبِيهٌ مِنَ اللهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَىٰ مَوْضِعِ حَظِّهِ، وَتَذْكِيرٌ مِنْهُ لَهُ بِالْوَاجِبِ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّهِ.

﴿* لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

﴿* لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَىٰ النَّاسِ جَمِيعًا..

﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ وَهُوَ كُلُّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَوْ نَدَبَ إِلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ..

﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ وَهُوَ الْإِصْلَاحُ بَيْنَ الْمُتَبَايِنَيْنِ أَوِ الْمُخْتَصِمَيْنِ بِمَا أَبَاحَ اللهُ الْإِصْلَاحَ بَيْنَهُمَا لِيَتَرَاجَعَا إِلَىٰ مَا فِيهِ الْأُلْفَةُ وَاجْتِمَاعُ الْكَلِمَةِ عَلَىٰ مَا أَذِنَ اللهُ وَأَمَرَ بِهِ، ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِمَا وَعَدَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَالَ..

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ وَمَنْ يَأْمُرْ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ مِنَ الْأَمْرِ، أَوْ يُصْلِحْ بَيْنَ النَّاسِ..

﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ طَلَبَ رِضَا اللهِ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ..

﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ نُعْطِيهِ..

﴿أَجْرًا﴾ جَزَاءً لِمَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ..

﴿عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤] وَلَا حَدَّ لِمَبْلَغِ مَا سَمَّىٰ اللهُ عَظِيمًا يَعْلَمُهُ سِوَاهُ.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾ وَمَنْ يُبَايِنِ..

﴿الرَّسُولَ﴾ مُحَمَّدًا ﷺ مُعَادِيًا لَهُ، فَيُفَارِقَهُ عَلَىٰ الْعَدَاوَةِ لَهُ..

﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ، وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ..

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَيَتَّبِعْ طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِ أَهْلِ التَّصْدِيقِ، وَيَسْلُكْ مِنْهَاجًا غَيْرَ مِنْهَاجِهِمْ، وَذَلِكَ هُوَ الْكُفْرُ بِاللهِ، لِأَنَّ الْكُفْرَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ غَيْرُ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرُ مِنْهَاجِهِمْ..

﴿نُوَلِّهِ﴾ نَجْعَلْ نَاصِرَهُ..

﴿مَا تَوَلَّىٰ﴾ مَا اسْتَنْصَرَهُ وَاسْتَعَانَ بِهِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَهِيَ لَا تُغْنِيهِ وَلَا تَدْفَعُ عَنْهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ شَيْئًا وَلَا تَنْفَعُهُ..

﴿وَنُصْلِهِۦ﴾ وَنَجْعَلُهُ صِلَاءَ نَارٍ..

﴿جَهَنَّمَ﴾ نُحَرِّقُهُ بِهَا..

﴿وَسَآءَتْ﴾ جَهَنَّمُ..

﴿مَصِيرًا ۝﴾ [النساء: ١١٥] مَوْضِعًا يَصِيرُ إِلَيْهِ مَنْ صَارَ إِلَيْهِ.. وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْخَائِنِينَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ۝﴾ [النساء: ١٠٥] لَمَّا أَبَىٰ التَّوْبَةَ مِنْ أَبَىٰ مِنْهُمْ، وَلَحِقَ بِالْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ بِمَكَّةَ مُرْتَدًّا مُفَارِقًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَدِينِهِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝﴾ [النساء: ١١٦].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ لِمَنْ أَشْرَكَ وَمَاتَ عَلَىٰ شِرْكِهِ بِاللهِ..

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ الشِّرْكِ بِاللهِ مِنَ الذُّنُوبِ لِمَنْ يَشَاءُ.. فَلَوْلَا أَنَّهُ أَشْرَكَ بِاللهِ وَمَاتَ عَلَىٰ شِرْكِهِ لَكَانَ فِي مَشِيئَةِ اللهِ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْ خِيَانَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ، وَكَانَ إِلَىٰ اللهِ أَمْرُهُ فِي عَذَابِهِ وَالْعَفْوِ عَنْهُ، وكَذَلِكَ حُكْمُ كُلِّ مَنِ اجْتَرَمَ جُرْمًا، فَإِلَىٰ اللهِ أَمْرُهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ جُرْمُهُ شِرْكًا بِاللهِ وَكُفْرًا، فَإِنَّهُ مِمَّنْ حَتَّمَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ إِذَا مَاتَ عَلَىٰ شِرْكِهِ، فَإِذَا مَاتَ عَلَىٰ شِرْكِهِ، فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، وَمَأْوَاهُ النَّارُ..

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ وَمَنْ يَجْعَلْ لِلَّهِ فِي عِبَادَتِهِ شَرِيكًا..

﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ فَقَدْ ذَهَبَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَزَالَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ..

﴿ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝﴾ [النساء: ١١٦] ذَهَابًا بَعِيدًا وَزَوَالًا شَدِيدًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ بِإِشْرَاكِهِ بِاللهِ فِي عِبَادَتِهِ، فَقَدْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ وَسَلَكَ طَرِيقَهُ وَتَرَكَ طَاعَةَ اللهِ وَمِنْهَاجَ دِينِهِ، فَذَاكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ وَالْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ۝﴾ [النساء: ١١٧].

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ مَا يَدْعُو الَّذِينَ يُشَاقُّونَ الرَّسُولَ وَيَتَّبِعُونَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا مِنْ دُونِ اللهِ بَعْدَ اللهِ وَسِوَاهُ..

﴿إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ إِلَّا مَا سَمُّوهُ بِأَسْمَاءِ الْإِنَاثِ كَاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.. يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَحَسْبُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَشْرَكُوا بِاللهِ، وَعَبَدُوا مَا عَبَدُوا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ، حُجَّةً عَلَيْهِمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ وَكُفْرِهِمْ وَذَهَابِهِمْ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ إِنَاثًا وَيَدْعُونَهَا آلِهَةً وَأَرْبَابًا، وَالْإِنَاثُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَخَسُّهُ؛ فَهُمْ يُقِرُّونَ لِلْخَسِيسِ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْعُبُودِيَّةِ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِخَسَاسَتِهِ، وَيَمْتَنِعُونَ مِنْ إِخْلَاصِ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّذِي لَهُ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ وَبِيَدِهِ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ..

﴿وَإِن يَدْعُونَ﴾ وَمَا يَدْعُو هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ هَذِهِ الْأَوْثَانَ الْإِنَاثَ مِنْ دُونِ اللهِ بِدُعَائِهِمْ إِيَّاهَا..

﴿إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾ [النساء: ١١٧] مُتَمَرِّدًا عَلَىٰ اللهِ فِي خِلَافِهِ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ وَفِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ.

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ [النساء: ١١٨].

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ أَخْزَاهُ وَأَقْصَاهُ وَأَبْعَدَهُ.. وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا قَدْ لَعَنَهُ اللهُ وَأَبْعَدَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ..

﴿وَقَالَ﴾ الشَّيْطَانُ الْمَرِيدُ لِرَبِّهِ إِذْ لَعَنَهُ..

﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ [النساء: ١١٨] مَعْلُومًا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ يَتَّخِذُ الشَّيْطَانُ مِنْ عِبَادِ اللهِ نَصِيبًا مَفْرُوضًا؟ قِيلَ: يَتَّخِذُ مِنْهُمْ ذَلِكَ النَّصِيبَ بِإِغْوَائِهِ إِيَّاهُمْ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَدُعَائِهِ إِيَّاهُمْ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَتَزْيِينِهِ لَهُمُ الضَّلَالَ وَالْكُفْرَ، حَتَّىٰ يُزِيلَهُمْ عَنْ مَنْهَجِ الطَّرِيقِ؛ فَمَنْ أَجَابَ دُعَاءَهُ وَاتَّبَعَ مَا زَيَّنَهُ لَهُ، فَهُوَ مِنْ نَصِيبِهِ الْمَعْلُومِ وَحَظِّهِ الْمَقْسُومِ.. وَإِنَّمَا أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الشَّيْطَانِ مِنْ قِيلِهِ: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ شَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ أَنَّهُمْ مِنْ نَصِيبِ الشَّيْطَانِ -الَّذِي لَعَنَهُ اللهُ- الْمَفْرُوضِ، وَأَنَّهُ مِمَّنْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ ظَنَّهُ.

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾

[النساء: ١١٩].

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ يَعْنِي بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ الشَّيْطَانِ الْمَرِيدِ، الَّذِي وَصَفَ صِفَتَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: وَلَأُضِلَّهُمْ وَلَأَصُدَّنَّ النَّصِيبَ الْمَفْرُوضَ الَّذِي أَتَّخِذُهُ مِنْ عِبَادِكَ عَنْ مَحَجَّةِ

الْهُدَىٰ إِلَىٰ الضَّلَالِ، وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَىٰ الْكُفْرِ..

﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ وَلَأُزِيغَنَّهُمْ بِمَا أَجْعَلُ فِي نُفُوسِهِمْ مِنَ الْأَمَانِيِّ عَنْ طَاعَتِكَ وَتَوْحِيدِكَ إِلَىٰ طَاعَتِي، وَالشِّرْكِ بِكَ..

﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ وَلَآمُرَنَّ النَّصِيبَ الْمَفْرُوضَ لِي مِنْ عِبَادِكَ بِعِبَادَةِ غَيْرِكَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ، حَتَّىٰ يَنْسُكُوا لَهُ، وَيُحَرِّمُوا، وَيُحَلِّلُوا لَهُ، وَيُشَرِّعُوا غَيْرَ الَّذِي شَرَعْتَهُ لَهُمْ فَيَتَّبِعُونِي وَيُخَالِفُونَكَ.. وَالْبَتْكُ: الْقَطْعُ، وَهُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: قَطْعُ أُذُنِ الْبَحِيرَةِ لِيُعْلَمَ أَنَّهَا بَحِيرَةٌ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ الْخَبِيثُ أَنَّهُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْبَحِيرَةِ فَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهَا طَاعَةً لَهُ..

﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ دِينَ اللهِ، لِدَلَالَةِ الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ مَعْنَاهُ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ دَخَلَ فِي ذَلِكَ فِعْلُ كُلِّ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ مِنْ خِصَاءِ مَا لَا يَجُوزُ خِصَاؤُهُ، وَوَشْمِ مَا نَهَىٰ عَنْ وَشْمِهِ وَوَشْرِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَاصِي، وَدَخَلَ فِيهِ تَرْكُ كُلِّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ لَا شَكَّ أَنَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ جَمِيعِ مَعَاصِي اللهِ، وَيَنْهَىٰ عَنْ جَمِيعِ طَاعَتِهِ، فَذَلِكَ مَعْنَىٰ أَمْرِهِ نَصِيبَهُ الْمَفْرُوضَ مِنْ عِبَادِ اللهِ بِتَغْيِيرِ مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ دِينِهِ..

﴿وَمَن يَتَّخِذِ﴾ وَمَنْ يَتَّبِعِ..

﴿ٱلشَّيْطَـٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فَيُطِيعُهُ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَخِلَافِ أَمْرِهِ، وَيُوَالِيهِ فَيَتَّخِذُهُ وَلِيًّا لِنَفْسِهِ وَنَصِيرًا دُونَ اللهِ..

﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء: ١١٩] فَقَدْ هَلَكَ هَلَاكًا، وَبَخَسَ نَفْسَهُ حَظَّهَا فَأَوْبَقَهَا بَخْسًا مُبِينًا يُبِينُ عَنْ عَطَبِهِ وَهَلَاكِهِ، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَمْلِكُ لَهُ نَصْرًا مِنَ اللهِ إِذَا عَاقَبَهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ فِي خِلَافِهِ أَمْرَهُ، بَلْ يَخْذُلُهُ عِنْدَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا حَالُهُ مَعَهُ مَا دَامَ حَيًّا مُمْهَلًا بِالْعُقُوبَةِ، كَمَا وَصَفَهُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: ١٢٠].. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ حَالِ نَصِيبِ الشَّيْطَانِ الْمَفْرُوضِ مِنَ الَّذِينَ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ.

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: ١٢٠].

﴿يَعِدُهُمْ﴾ يَعِدُ الشَّيْطَانُ الْمَرِيدُ أَوْلِيَاءَهُ الَّذِينَ هُمْ نَصِيبُهُ الْمَفْرُوضُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ نَصِيرًا

مِمَّنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ، وَظَهِيرًا لَهُمْ عَلَيْهِ، يَمْنَعُهُمْ مِنْهُ وَيُدَافِعُ عَنْهُمْ..

﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ الظَّفَرَ عَلَىٰ مَنْ حَاوَلَ مَكْرُوهَهُمْ وَالْفَلَجَ عَلَيْهِمْ..

﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ وَمَا يُعِدُ الشَّيْطَانُ أَوْلِيَاءَهُ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿إِلَّا غُرُورًا ۝﴾ [النساء: ١٢٠] إِلَّا بَاطِلًا.. وَإِنَّمَا جَعَلَ عِدَتَهُ إِيَّاهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا وَعَدَهُمْ غُرُورًا، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ فِي اتِّخَاذِهِمْ إِيَّاهُ وَلِيًّا عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ مِنْ عِدَاتِهِ الْكَاذِبَةِ وَأَمَانِيهِ الْبَاطِلَةِ، حَتَّىٰ إِذَا حَصْحَصَ الْحَقُّ وَصَارُوا إِلَىٰ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ عَدُوُّ اللهِ: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝﴾ [إبراهيم: ٢٢] وَكَمَا قَالَ لِلْمُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ وَقَدْ زَيَّنَ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ﴾ [الأنفال: ٤٨] وَحَصْحَصَ الْحَقُّ، وَعَايَنَ جِدَّ الْأَمْرِ، وَنُزُولَ عَذَابِ اللهِ بِحِزْبِهِ ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾ [الأنفال: ٤٨]، فَصَارَتْ عِدَاتُهُ -عَدُوُّ اللهِ- إِيَّاهُمْ عِنْدَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ غُرُورًا ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ [النور: ٣٩].

﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ۝﴾ [النساء: ١٢١].

﴿أُولَٰئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مَصِيرُهُمُ الَّذِي يَصِيرُونَ إِلَيْهِ جَهَنَّمُ..

﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا﴾ ولَا يَجِدُونَ عَنْ جَهَنَّمَ إِذَا صَيَّرَهُمُ اللهُ إِلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿مَحِيصًا ۝﴾ [النساء: ١٢١] مَعْدِلًا يَعْدِلُونَ إِلَيْهِ، يُقَالُ مِنْهُ: حَاصَ فُلَانٌ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ يَحِيصُ حَيْصًا: إِذَا عَدَلَ عَنْهُ.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۝﴾ [النساء: ١٢٢].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَالَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَقَرُّوا لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ بِالنُّبُوَّةِ..

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وَأَدُّوا فَرَائِضَ اللهِ الَّتِي فَرَضَهَا عَلَيْهِمْ..

﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾ سَوْفَ نُدْخِلُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا صَارُوا إِلَىٰ اللهِ جَزَاءً بِمَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الصَّالِحَاتِ..

﴿جَنَّٰتٍ﴾ بَسَاتِينَ..

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ بَاقِينَ فِي هَذِهِ الْجَنَّاتِ الَّتِي وَصَفَهَا..

﴿أَبَدًاۖ﴾ دَائِمًا..

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ عِدَةٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا..

﴿حَقًّا﴾ يَقِينًا صَادِقًا، لَا كَعِدَةِ الشَّيْطَانِ الْكَاذِبَةِ الَّتِي هِيَ غُرُورٌ مَنْ وَعَدَهَا مِنْ أَوْلِيَائِهِ، وَلَكِنْ عِدَةٌ مِمَّنْ لَا يَكْذِبُ وَلَا يَكُونُ مِنْهُ الْكَذِبُ وَلَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ.. وَإِنَّمَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَعْدَهُ بِالصِّدْقِ وَالْحَقِّ فِي هَذِهِ لِمَا سَبَقَ مِنْ خَبَرِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، عَنْ قَوْلِ الشَّيْطَانِ الَّذِي قَصَّهُ فِي قَوْلِهِ، وَقَالَ: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [النساء: ١١٨- ١١٩]، ثُمَّ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢٠﴾ [النساء: ١٢٠]، وَلَكِنَّ اللهَ يَعِدُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّهُ سَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، وَعْدًا مِنْهُ حَقًّا، لَا كَوَعْدِ الشَّيْطَانِ الَّذِي وَصَفَ صِفَتَهُ، فَوَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْوَعْدَيْنِ وَالْوَاعِدَيْنِ، وَأَخْبَرَ بِحُكْمِ أَهْلِ كُلِّ وَعْدٍ مِنْهُمَا تَنْبِيهًا مِنْهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- خَلْقَهُ عَلَىٰ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُمْ وَخَلَاصُهُمْ مِنَ الْهَلَكَةِ وَالْعَطَبِ، لِيَنْزَجِرُوا عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَيَعْمَلُوا بِطَاعَتِهِ، فَيَفُوزُوا بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي جِنَانِهِ مِنْ ثَوَابِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾ [النساء: ١٢٢] وَمَنْ أَصْدَقُ أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ اللهِ قِيلًا؟! أَيْ لَا أَحَدَ أَصْدَقُ مِنْهُ قِيلًا، فَكَيْفَ تَتْرُكُونَ الْعَمَلَ بِمَا وَعَدَكُمْ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِهِ رَبُّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، وَتَكْفُرُونَ بِهِ، وَتُخَالِفُونَ أَمْرَهُ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنْ لَا أَحَدَ أَصْدَقُ مِنْهُ قِيلًا، وَتَعْمَلُونَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ الشَّيْطَانُ، رَجَاءً لِإِدْرَاكِ مَا يَعِدُكُمْ مِنْ عِدَاتِهِ الْكَاذِبَةِ، وَأَمَانِيِّهِ الْبَاطِلَةِ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ عِدَاتَهُ غُرُورٌ لَا صِحَّةَ لَهَا وَلَا حَقِيقَةَ، وَتَتَّخِذُونَهُ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ، وَتَتْرُكُونَ أَنْ تُطِيعُوا اللهَ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ وَيَنْهَاكُمْ عَنْهُ، فَتَكُونُوا لَهُ أَوْلِيَاءَ؟! وَمَعْنَىٰ الْقِيلِ وَالْقَوْلِ وَاحِدٌ.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٢٣﴾ [النساء: ١٢٣].

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ بِأَمَانِيِّكُمْ يَا مَعْشَرَ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ وَحِزْبِهِ الَّتِي يُمَنِّيكُمُوهَا

وَلِيُّكُمْ عَدُوُّ اللهِ مِنْ إِنْقَاذِكُمْ مِمَّنْ أَرَادَكُمْ بِسُوءٍ، وَنَصْرُكُمْ عَلَيْهِ، وَإِظْفَارِكُمْ بِهِ..

﴿وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾ الَّذِينَ قَالُوا اغْتِرَارًا بِاللهِ وَبِحِلْمِهِ عَنْهُمْ: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، وَلَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ، فَإِنَّ اللهَ مُجَازِي كُلِّ عَامِلٍ مِنْكُمْ جَزَاءَ عَمَلِهِ.. فَهُوَ خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَنْ أَمَانِيِّ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ وَمَا إِلَيْهِ صَائِرَةٌ أَمَانِيُّهُمْ مَعَ سَيِّئِ أَعْمَالِهِمْ مِنْ سُوءِ الْجَزَاءِ، وَمَا إِلَيْهِ صَائِرَةٌ أَعْمَالُ أَوْلِيَاءِ اللهِ مِنْ حُسْنِ الْجَزَاءِ... وَإِنَّمَا ضَمَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّ أَمَانِيَّ الْفَرِيقَيْنِ مِنْ تَمْنِيَةِ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُمُ الَّتِي وَعَدَهُمْ أَنْ يُمَنِّيَهُمُوهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ﴾ [النساء: ١١٩]..

﴿مَن﴾ كُلُّ مَنْ..

﴿يَعۡمَلۡ﴾ مِنكُمْ مِنْ مُؤْمِنٍ، أَوْ مِنْ غَيْرِكُمْ مِنْ كَافِرٍ..

﴿سُوٓءٗا﴾ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا..

﴿يُجۡزَ بِهِۦ﴾ جُوزِيَ بِهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَأَيْنَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ اللهِ: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء: ٣١]؟ وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُجَازِيَ عَلَىٰ مَا قَدْ وَعَدَ تَكْفِيرَهُ؟ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَعِدْ بِقَوْلِهِ: ﴿نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء: ٣١] تَرْكَ الْمُجَازَاةِ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا وَعَدَ التَّكْفِيرَ بِتَرْكِ الْفَضِيحَةِ مِنْهُ لِأَهْلِهَا فِي مَعَادِهِمْ، كَمَا فَضَحَ أَهْلَ الشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ، فَأَمَّا إِذَا جَازَاهُمْ فِي الدُّنْيَا عَلَيْهَا بِالْمَصَائِبِ لِيُكَفِّرَهَا عَنْهُمْ بِهَا لِيُوَافُوْهُ وَلَا ذَنْبَ لَهُمْ يَسْتَحِقُّونَ الْمُجَازَاةَ عَلَيْهِ، فَإِنَّمَا وَفَىٰ لَهُمْ بِمَا وَعَدَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء: ٣١]، وَأَنْجَزَ لَهُمْ مَا ضَمِنَ لَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [النساء: ٥٧]..

﴿وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ﴾ وَلَا يَجِدُ الَّذِي يَعْمَلُ سُوءًا مِنْ مَعَاصِي اللهِ وَخِلَافِ مَا أَمَرَهُ بِهِ..

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مِنْ بَعْدِ اللهِ وَسِوَاهُ..

﴿وَلِيّٗا﴾ يَلِي أَمْرَهُ، وَيَحْمِي عَنْهُ مَا يَنْزِلُ بِهِ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ..

﴿وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾ [النساء: ١٢٣] وَلَا نَاصِرًا يَنْصُرُهُ مِمَّا يَحِلُّ بِهِ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ وَأَلِيمِ نَكَالِهِ.

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ١٢٤﴾ [النساء: ١٢٤].

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ

وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾ [النساء: ١٢٣]، يَقُولُ اللهُ لَهُمْ: مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ.. فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ دُخُولِ «مِنْ» فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النساء: ١٢٤] وَلَمْ يَقُلْ: وَمَنْ يَعْمَلِ الصَّالِحَاتِ؟ قِيلَ: لِدُخُولِهَا وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ لَنْ يُطِيقُوا أَنْ يَعْمَلُوا جَمِيعَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، فَأَوْجَبَ وَعْدَهُ لِمَنْ عَمِلَ مَا أَطَاقَ مِنْهَا وَلَمْ يَحْرِمْهُ مِنْ فَضْلِهِ بِسَبَبِ مَا عَجَزَتْ عَنْ عَمَلِهِ مِنْهَا قُوَاهُ، وَالْآخَرُ مِنْهُمَا: أَنْ يَكُونَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَوْجَبَ وَعْدَهُ لِمَنِ اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ وَأَدَّىٰ الْفَرَائِضَ، وَإِنْ قَصَّرَ فِي بَعْضِ الْوَاجِبِ لَهُ عَلَيْهِ، تَفَضُّلًا مِنْهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، إِذْ كَانَ الْفَضْلُ بِهِ أَوْلَىٰ، وَالصَّفْحُ عَنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ أَحْرَىٰ..

﴿مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ﴾ مِنْ ذُكُورِكُمْ وَإِنَاثِكُمْ، وَذُكُورِ عِبَادِي وَإِنَاثِهِمْ..

﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ بِي وَبِرَسُولِي مُحَمَّدٍ، مُصَدِّقٌ بِوَحْدَانِيَّتِي، وَنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِي، لَا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِي الْمُكَذِّبُونَ رَسُولِي، فَلَا تَطْمَعُوا أَنْ تَحِلُّوا وَأَنْتُمْ كُفَّارٌ مَحِلَّ الْمُؤْمِنِينَ بِي وَتَدْخُلُوا مَدَاخِلَهُمْ فِي الْقِيَامَةِ وَأَنْتُمْ مُكَذِّبُونَ بِرَسُولِي..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ وَيَنْعَمُ فِيهَا فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ﴾ وَلَا يَظْلِمُ اللهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ثَوَابِ عَمَلِهِمْ..

﴿نَقِيرٗا ١٢٤﴾ [النساء: ١٢٤] مِقْدَارَ النُّقْرَةِ الَّتِي تَكُونُ فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ فِي الْقِلَّةِ، فَكَيْفَ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَكْثَرُ، وَإِنَّمَا يُخْبِرُ بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِبَادَهُ أَنَّهُ لَا يَبْخَسُهُمْ مِنْ جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا، وَلَكِنْ يُوَفِّيهِمْ ذَلِكَ كَمَا وَعَدَهُمْ.

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ [النساء: ١٢٥].

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا﴾ أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَصْوَبَ طَرِيقًا وَأَهْدَىٰ سَبِيلًا..

﴿مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ﴾ مِمَّنِ اسْتَسْلَمَ وَجْهُهُ لِلَّهِ، فَانْقَادَ لَهُ بِالطَّاعَةِ، مُصَدِّقًا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ..

﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ وَهُوَ عَامِلٌ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ، مُحَرِّمٌ حَرَامَهُ، وَمُحَلِّلٌ حَلَالَهُ..

﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ وَاتَّبَعَ الدِّينَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، وَأَمَرَ بِهِ بَنِيهِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْصَاهُمْ بِهِ..

﴿حَنِيفًا﴾ مُسْتَقِيمًا عَلَىٰ مِنْهَاجِهِ وَسَبِيلِهِ.. وَهَذَا قَضَاءٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ بِالْفَضْلِ عَلَىٰ سَائِرِ الْمِلَلِ غَيْرِهِ وَأَهْلِهَا..

﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ وَلِيًّا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا مَعْنَىٰ الْخُلَّةِ الَّتِي أُعْطِيَهَا إِبْرَاهِيمُ؟ قِيلَ: ذَلِكَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ الْعَدَاوَةُ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِيهِ، وَالْوَلَايَةُ فِي اللهِ وَالْحُبُّ فِيهِ، عَلَىٰ مَا يُعْرَفُ مِنْ مَعَانِي الْخُلَّةِ، وَأَمَّا مِنَ اللهِ لِإِبْرَاهِيمَ، فَنُصْرَتُهُ عَلَىٰ مَنْ حَاوَلَهُ بِسُوءٍ، كَالَّذِي فَعَلَ بِهِ إِذْ أَرَادَهُ نَمْرُودُ بِمَا أَرَادَهُ بِهِ مِنَ الْإِحْرَاقِ بِالنَّارِ، فَأَنْقَذَهُ مِنْهَا، وَأَعْلَىٰ حُجَّتَهُ عَلَيْهِ إِذْ حَاجَّهُ، وَكَمَا فَعَلَ بِمَلِكِ مِصْرَ إِذْ أَرَادَهُ عَنْ أَهْلِهِ، وَتَمْكِينُهُ مِمَّا أَحَبَّ، وَتَصْيِيرُهُ إِمَامًا لِمَنْ بَعْدَهُ مِنْ عِبَادِهِ، وَقُدْوَةً لِمَنْ خَلَفَهُ فِي طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، فَذَلِكَ مَعْنَىٰ مُخَالَّتِهِ إِيَّاهُ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦].

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا لِطَاعَتِهِ رَبَّهُ، وَإِخْلَاصِهِ الْعِبَادَةَ لَهُ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ رِضَاهُ وَمَحَبَّتِهِ، لَا مِنْ حَاجَةٍ بِهِ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ خُلَّتِهِ، وَكَيْفَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ خُلَّتِهِ، وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ مُلْكًا، وَالْمَالِكُ الَّذِي إِلَيْهِ حَاجَةُ مُلْكِهِ دُونَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ، فَكَذَلِكَ حَاجَةُ إِبْرَاهِيمَ إِلَيْهِ، لَا حَاجَتُهُ إِلَيْهِ، فَيَتَّخِذُهُ مِنْ أَجْلِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا لِمُسَارَعَتِهِ إِلَىٰ رِضَاهُ وَمَحَبَّتِهِ، يَقُولُ: فَكَذَلِكَ فَسَارِعُوا إِلَىٰ رِضَايَ وَمَحَبَّتِي لِأَتَّخِذَكُمْ لِي أَوْلِيَاءَ..

﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ..

﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦] مُحصِيًا لِكُلِّ مَا هُوَ فَاعِلُهُ عِبَادُهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، عَالِمًا بِذَلِكَ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٢٧].

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ وَيَسْأَلُكَ يَا مُحَمَّدُ أَصْحَابُكَ أَنْ تُفْتِيَهُمْ..

﴿فِي النِّسَاءِ﴾ فِي أَمْرِ النِّسَاءِ، وَالْوَاجِبِ لَهُنَّ وَعَلَيْهِنَّ، فَاكْتَفَىٰ بِذِكْرِ النِّسَاءِ مِنْ ذِكْرِ شَأْنِهِنَّ، لِدَلَالَةِ مَا ظَهَرَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَىٰ الْمُرَادِ مِنْهُ..

﴿قُلِ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ فِي النِّسَاءِ..

﴿وَمَا يُتْلَىٰ﴾ وَفِيمَا يُتْلَىٰ..

﴿عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ كِتَابِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ..

﴿فِي﴾ أَمْرِ..

﴿يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ﴾ لَا تُعْطُونَهُنَّ..

﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ مَا فَرَضَ اللهُ لَهُنَّ مِنَ الْمِيرَاثِ عَمَّنْ وَرِثْنَهُ..

﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ وَتَرْغَبُونَ عَنْ نِكَاحِهِنَّ، لِأَنَّ حَبْسَهُمْ أَمْوَالَهُنَّ عَنْهُنَّ، مَعَ عِضَلِهِمْ إِيَّاهُنَّ إِنَّمَا كَانَ لِيَرِثُوا أَمْوَالَهُنَّ دُونَ زَوْجٍ إِنْ تَزَوَّجْنَ، وَلَوْ كَانَ الَّذِينَ حَبَسُوا عَنْهُنَّ أَمْوَالَهُنَّ إِنَّمَا حَبَسُوهَا عَنْهُنَّ رَغْبَةً فِي نِكَاحِهِنَّ، لَمْ يَكُنْ لِلْحَبْسِ عَنْهُنَّ وَجْهٌ مَعْرُوفٌ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَوْلِيَاءَهُنَّ، وَلَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُمْ مِنْ نِكَاحِهِنَّ مَانِعٌ، فَيَكُونُ بِهِ حَاجَةٌ إِلَىٰ حَبْسِ مَالِهَا عَنْهَا لِيَتَّخِذَ حَبْسَهَا عَنْهَا سَبَبًا إِلَىٰ إِنْكَاحِهَا نَفْسَهَا مِنْهُ..

﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ، قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَفِيمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ، وَفِي الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ، فَهُوَ الَّذِي أَفْتَاهُمْ فِي أَمْرِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ أَنْ يُؤْتُوهُمْ حُقُوقَهُمْ مِنَ الْمِيرَاثِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُوَرِّثُونَ الصِّغَارَ مِنْ أَوْلَادِ الْمَيِّتِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُقْسِطُوا فِيهِمْ فَيَعْدِلُوا وَيُعْطُوهُمْ فَرَائِضَهُمْ عَلَىٰ مَا قَسَمَ اللهُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ..

﴿وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ فَقِيَامُهُمْ لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ كَانَ الْعَدْلَ فِيمَا أَمَرَ اللهُ فِيهِمْ..

﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ عَدْلٍ فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ الَّتِي أَمَرَكُمُ اللهُ أَنْ تَقُومُوا فِيهِمْ بِالْقِسْطِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ فِي ذَٰلِكَ، وَفِي غَيْرِهِ، وَإِلَىٰ طَاعَتِهِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾ [النساء: ١٢٧] فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ عَالِمًا بِمَا هُوَ كَائِنٌ مِنْكُمْ، وَهُوَ مُحْصٍ ذَٰلِكَ كُلَّهُ عَلَيْكُمْ، حَافِظٌ لَهُ، حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ بِهِ جَزَاءَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ [النساء: ١٢٨].

﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ﴾ عَلِمَتْ..

﴿مِنۢ بَعۡلِهَا﴾ مِنْ زَوْجِهَا..

﴿نُشُوزًا﴾ اسْتِعْلَاءً بِنَفْسِهِ عَنْهَا إِلَىٰ غَيْرِهَا، أَثَرَةً عَلَيْهَا، وَارْتِفَاعًا بِهَا عَنْهَا، إِمَّا لِبُغْضَةٍ، وَإِمَّا لِكَرَاهَةٍ مِنْهُ بَعْضَ أَشْيَاءَ بِهَا، إِمَّا دَمَامَتُهَا، وَإِمَّا سِنُّهَا وَكِبَرُهَا، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهَا..

﴿أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾ أَوْ انْصِرَافًا عَنْهَا بِوَجْهِهِ أَوْ بِبَعْضِ مَنَافِعِهِ، الَّتِي كَانَتْ لَهَا مِنْهُ..

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ فَلَا حَرَجَ..

﴿عَلَيۡهِمَآ﴾ عَلَىٰ الْمَرْأَةِ الْخَائِفَةِ نُشُوزَ بَعْلِهَا أَوْ إِعْرَاضَه عَنْهَا..

﴿أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ﴾ وَهُوَ أَنْ تَتْرُكَ لَهُ يَوْمَهَا، أَوْ تَضَعَ عَنْهُ بَعْضَ الْوَاجِبِ لَهَا مِنْ حَقٍّ عَلَيْهِ، تَسْتَعْطِفُهُ بِذَلِكَ، وَتَسْتَدِيمُ الْمَقَامَ فِي حِبَالِهِ، وَالتَّمَسُّكَ بِالْعَقْدِ الَّذِي بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ مِنَ النِّكَاحِ..

﴿وَٱلصُّلۡحُ﴾ بِتَرْكِ بَعْضِ الْحَقِّ اسْتِدَامَةً لِلْحُرْمَةِ، وَتَمَاسُكًا بِعَقْدِ النِّكَاحِ..

﴿خَيۡرٞۗ﴾ مِنْ طَلَبِ الْفُرْقَةِ وَالطَّلَاقِ.. فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ ذَلِكَ إِذْ كَانَ حَقًّا لِلْمَرْأَةِ، وَلَهَا الْمُطَالَبَةُ بِهِ، فَلِلرَّجُلِ افْتِدَاؤُهُ مِنْهَا بِجُعْلٍ، أُجِيبَ: بِأَنَّ إِجْمَاعَ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ الصُّلْحَ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ عِوَضٍ غَيْرُ جَائِزٍ، مَا يَدُلُّ عَلَىٰ بُطُولِ صُلْحِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ عَلَىٰ عِوَضٍ..

﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ﴾ وَأُحْضِرَتْ أَنْفُسُ النِّسَاءِ..

﴿ٱلشُّحَّۚ﴾ بِأَنْصِبَائِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ فِي الْأَيَّامِ وَالنَّفَقَةِ مِنْ فَرْطِ الْحِرْصِ عَلَىٰ حُقُوقِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ، وَالشُّحُّ بِذَلِكَ عَلَىٰ ضَرَائِرِهِنَّ.. وَالشُّحُّ: الْإِفْرَاطُ فِي الْحِرْصِ عَلَىٰ الشَّيْءِ، وَهُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: إِفْرَاطُ حِرْصِ الْمَرْأَةِ عَلَىٰ نَصِيبِهَا مِنْ أَيَّامِهَا مِنْ زَوْجِهَا وَنَفَقَتِهَا..

﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ﴾ أَيُّهَا الرِّجَالُ فِي أَفْعَالِكُمْ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ إِذَا كَرِهْتُمْ مِنْهُنَّ دَمَامَةً أَوْ خُلُقًا، أَوْ بَعْضَ مَا تَكْرَهُونَ مِنْهُنَّ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِنَّ، وَإِيفَائِهِنَّ حُقُوقَهُنَّ، وَعِشْرَتِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ..

﴿وَتَتَّقُواْ﴾ اللهَ فِيهِنَّ بِتَرْكِ الْجَوْرِ مِنْكُمْ عَلَيْهِنَّ فِيمَا يَجِبُ لِمَنْ كَرِهْتُمُوهُ مِنْهُنَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْقِسْمَةِ لَهُ وَالنَّفَقَةِ وَالْعِشْرَةِ بِالْمَعْرُوفِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ فِي أُمُورِ نِسَائِكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِنَّ، وَالْعِشْرَةِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالْجَوْرِ عَلَيْهِنَّ فِيمَا يُلْزِمُكُمْ لَهُنَّ وَيَجِبُ..

﴿خَبِيرٗا ١٢٨﴾ [النساء: ١٢٨] عَالِمًا خَابِرًا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، بَلْ هُوَ بِهِ عَالِمٌ، وَلَهُ مُحْصٍ عَلَيْكُمْ، حَتَّىٰ يُوفِيَكُمْ جَزَاءَ ذَلِكَ الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٢٩﴾ [النساء: ١٢٩].

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ﴾ لَنْ تُطِيقُوا أَيُّهَا الرِّجَالُ أَنْ تُسَوُّوا بَيْنَ نِسَائِكُمْ وَأَزْوَاجِكُمْ..

﴿أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ فِي حُبِّهِنَّ بِقُلُوبِكُمْ، حَتَّىٰ تَعْدِلُوا بَيْنَهُنَّ فِي ذَٰلِكَ، مِمَّا لَا تَمْلِكُونَهُ، وَلَيْسَ إِلَيْكُمْ..

﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ فِي تَسْوِيَتِكُمْ بَيْنَهُنَّ فِي ذَٰلِكَ..

﴿فَلَا تَمِيلُواْ﴾ بِأَهْوَائِكُمْ إِلَىٰ مَنْ لَمْ تَمْلِكُوا مَحَبَّتَهُ مِنْهُنَّ..

﴿كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ حَتَّىٰ يَحْمِلَكُمْ ذَٰلِكَ عَلَىٰ أَنْ تَجُورُوا عَلَىٰ صَوَاحِبِهَا فِي تَرْكِ أَدَاءِ الْوَاجِبِ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقٍّ فِي الْقَسْمِ لَهُنَّ، وَالنَّفَقَةِ عَلَيْهِنَّ، وَالْعِشْرَةِ بِالْمَعْرُوفِ..

﴿فَتَذَرُوهَا﴾ فَتَذَرُوا الَّتِي هِيَ سِوَىٰ الَّتِي مِلْتُمْ بِأَهْوَائِكُمْ إِلَيْهَا..

﴿كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ كَالَّتِي لَا هِيَ ذَاتُ زَوْجٍ، وَلَا هِيَ أَيِّمٌ.. وَإِنَّمَا أَمَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الرِّجَالَ بِالْعَدْلِ بَيْنَ أَزْوَاجِهِنَّ فِيمَا اسْتَطَاعُوا فِيهِ الْعَدْلَ بَيْنَهُنَّ، مِنَ الْقِسْمَةِ بَيْنَهُنَّ وَالنَّفَقَةِ، وَتَرْكِ الْجَوْرِ فِي ذَٰلِكَ بِإِيثَارِ إِحْدَاهُنَّ عَلَىٰ الْأُخْرَىٰ فِيمَا فُرِضَ عَلَيْهِمُ الْعَدْلُ بَيْنَهُنَّ فِيهِ، إِذْ كَانَ قَدْ صَفَحَ لَهُمْ عَمَّا لَا يُطِيقُونَ الْعَدْلَ فِيهِ بَيْنَهُنَّ، مِمَّا فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَىٰ..

﴿وَإِن تُصْلِحُواْ﴾ أَعْمَالَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، فَتَعْدِلُوا فِي قَسْمِكُمْ بَيْنَ أَزْوَاجِكُمْ وَمَا فَرَضَ اللهُ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ مِنَ النَّفَقَةِ وَالْعِشْرَةِ بِالْمَعْرُوفِ، فَلَا تَجُورُوا فِي ذَٰلِكَ..

﴿وَتَتَّقُواْ﴾ اللهَ فِي الْمَيْلِ الَّذِي نَهَاكُمْ عَنْهُ، بِأَنْ تَمِيلُوا لِإِحْدَاهُنَّ عَلَىٰ الْأُخْرَىٰ، فَتَظْلِمُوهَا حَقَّهَا مِمَّا أَوْجَبَهَا اللهُ لَهُ عَلَيْكُمْ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ فَإِنَّ اللهَ يَسْتُرُ عَلَيْكُمْ مَا سَلَفَ مِنْكُمْ مِنْ مَيْلِكُمْ وَجَوْرِكُمْ عَلَيْهِنَّ قَبْلَ ذَٰلِكَ بِتَرْكِهِ عُقُوبَتَكُمْ عَلَيْهِ، وَيُغَطِّي ذَٰلِكَ عَلَيْكُمْ بِعَفْوِهِ عَنْكُمْ مَا مَضَىٰ مِنْكُمْ فِي ذَٰلِكَ قَبْلُ..

﴿رَّحِيمًا ١٢٩﴾ [النساء: ١٢٩] وَكَانَ رَحِيمًا بِكُمْ إِذَا تَابَ عَلَيْكُمْ، فَقَبِلَ تَوْبَتَكُمُ الَّذِي سَلَفَ مِنْكُمْ مِنْ جَوْرِكُمْ فِي ذَٰلِكَ عَلَيْهِنَّ، وَفِي تَرْخِيصِهِ لَكُمُ الصُّلْحَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ، بِصَفْحِهِنَّ عَنْ حُقُوقِهِنَّ لَكُمْ مِنَ الْقَسْمِ عَلَىٰ أَنْ يُطَلَّقْنَ.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ [النساء: ١٣٠].

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ فَإِنْ أَبَتِ الْمَرْأَةُ -الَّتِي قَدْ نَشَزَ عَلَيْهَا زَوْجُهَا، أَوْ أَعْرَضَ عَنْهَا بِالْمَيْلِ مِنْهُ إِلَىٰ ضَرَّتِهَا لِجَمَالِهَا أَوْ شَبَابِهَا، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَمِيلُ النُّفُوسُ بِهِ إِلَيْهَا- الصُّلْحَ، لِصَفْحِهَا لِزَوْجِهَا عَنْ يَوْمِهَا وَلَيْلَتِهَا، وَطَلَبَتْ حَقَّهَا مِنْهُ مِنَ الْقَسْمِ وَالنَّفَقَةِ وَمَا أَوْجَبَ اللهُ لَهَا عَلَيْهِ، وَأَبَىٰ الزَّوْجُ الْأَخْذَ عَلَيْهَا بِالْإِحْسَانِ الَّذِي نَدَبَهُ اللهُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ [النساء: ١٢٨]، وَإِلْحَاقُهَا فِي الْقَسْمِ لَهَا وَالنَّفَقَةِ وَالْعِشْرَةِ بِالَّتِي هُوَ إِلَيْهَا مَائِلٌ، فَتَفَرَّقَا بِطَلَاقِ الزَّوْجِ إِيَّاهَا..

﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ يُغْنِ اللهُ الزَّوْجَ وَالْمَرْأَةَ الْمُطَلَّقَةَ مِنْ سَعَةِ فَضْلِهِ، أَمَّا هَذِهِ فَبِزَوْجٍ هُوَ أَصْلَحُ لَهَا مِنَ الْمُطَلِّقِ الْأَوَّلِ، أَوْ بِرِزْقٍ وَاسِعٍ وَعِصْمَةٍ؛ وَأَمَّا هَذَا فَبِرِزْقٍ وَاسِعٍ وَزَوْجَةٍ هِيَ أَصْلَحُ لَهُ مِنَ الْمُطَلَّقَةِ أَوْ عِفَّةٍ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾ لَهُمَا فِي رِزْقِهِ إِيَّاهُمَا وَغَيْرَهُمَا مِنْ خَلْقِهِ..

﴿حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ [النساء: ١٣٠] فِيمَا قَضَىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مِنَ الْفُرْقَةِ وَالطَّلَاقِ، وَسَائِرِ الْمَعَانِي الَّتِي عَرَفْنَاهَا مِنَ الْحُكْمِ بَيْنَهُمَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَغَيْرِهَا، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَقَضَايَاهُ فِي خَلْقِهِ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾ [النساء: ١٣١].

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ جَمِيعِ مَا حَوَتْهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا.. وَإِنَّمَا ذَكَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِعَقِبِ ذَلِكَ قَوْلَهُ: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠] تَنْبِيهًا مِنْهُ خَلْقَهُ عَلَىٰ مَوْضِعِ الرَّغْبَةِ عِنْدَ فِرَاقِ أَحَدِهِمْ زَوْجَتَهُ، لِيَفْزَعُوا إِلَيْهِ عِنْدَ الْجَزَعِ مِنَ الْحَاجَةِ وَالْفَاقَةِ وَالْوَحْشَةِ بِفِرَاقِ سَكَنِهِ وَزَوْجَتِهِ، وَتَذْكِيرًا مِنْهُ لَهُ أَنَّهُ الَّذِي لَهُ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا، وَأَنَّ مَنْ كَانَ لَهُ مُلْكُ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ فَغَيْرُ مُتَعَذِّرٍ عَلَيْهِ أَنْ يُغْنِيَهُ، وَكُلَّ ذِي فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ، وَيُؤْنِسَ كُلَّ ذِي وَحْشَةٍ، ثُمَّ رَجَعَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَىٰ عَذْلِ مَنْ سَعَىٰ فِي أَمْرِ الْخَائِنِينَ وَتَوْبِيخِهِمْ، وَوَعِيدِ مَنْ فَعَلَ مَا فَعَلَ الْمُرْتَدُّ مِنْهُمْ فَقَالَ..

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا﴾ وَلَقَدْ أَمَرْنَا..

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وَهُمْ أَهْلُ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ وَأَمَرْنَاكُمْ وَقُلْنَا لَكُمْ وَلَهُمْ..

﴿أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ احْذَرُوا أَنْ تَعْصَوْهُ وَتُخَالِفُوا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ..

﴿وَإِن تَكْفُرُواْ﴾ وَإِنْ تَجْحَدُوا وَصِيَّتَهُ إِيَّاكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فَتُخَالِفُوهَا..

﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فَإِنَّكُمْ لَا تَضُرُّونَ بِخِلَافِكُمْ وَصِيَّتَهُ غَيْرَ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَعْدُونَ فِي كُفْرِكُمْ ذَلِكَ أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ فِي نُزُولِ عُقُوبَتِهِ بِكُمْ وَحُلُولِ غَضَبِهِ عَلَيْكُمْ كَمَا حَلَّ بِهِمْ، إِذْ بَدَّلُوا عَهْدَهُ وَنَقَضُوا مِيثَاقَهُ، فَغَيَّرَ بِهِمْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ خَفْضِ الْعَيْشِ وَأَمْنِ السِّرْبِ، وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ لَهُ مُلْكَ جَمِيعِ مَا حَوَتْهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ بِجَمِيعِهِ وَبِشَيْءٍ مِنْهُ مِنْ إِعْزَازِ مَنْ أَرَادَ إِعْزَازَهُ، وَإِذْلَالِ مَنْ أَرَادَ إِذْلَالَهُ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ كُلِّهَا؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ خَلْقُهُ، بِهِمْ إِلَيْهِ الْفَاقَةُ وَالْحَاجَةُ، وَبِهِ قِوَامُهُمْ وَبَقَاؤُهُمْ وَهَلَاكُهُمْ وَفَنَاؤُهُمْ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾ الَّذِي لَا حَاجَةَ تَحِلُّ بِهِ إِلَىٰ شَيْءٍ وَلَا فَاقَةَ تَنْزِلِ بِهِ تَضْطَرُّهُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَلَا إِلَىٰ غَيْرِكُمْ..

﴿حَمِيدًا ١٣١﴾ [النساء: ١٣١] وَالْحَمِيدُ الَّذِي اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْخَلْقُ الْحَمْدَ بِصَنَائِعِهِ الْحَمِيدَةِ إِلَيْكُمْ وَآلَائِهِ الْجَمِيلَةِ لَدَيْكُمْ، فَاسْتَدِيمُوا ذَلِكَ أَيُّهَا النَّاسُ بِاتِّقَائِهِ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ وَيَنْهَاكُمْ عَنْهُ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ١٣٢﴾ [النساء: ١٣٢].

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ جَمِيعِ مَا حَوَتْهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ..

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ١٣٢﴾ [النساء: ١٣٢] وَهُوَ الْقَيِّمُ بِجَمِيعِهِ، وَالْحَافِظُ لِذَلِكَ كُلِّهِ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ مِنْهُ، وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُ وَتَدْبِيرُهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ تَكْرَارِ قَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فِي آيَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا فِي إِثْرِ الْأُخْرَىٰ؟ قِيلَ: كَرَّرَ ذَلِكَ لِاخْتِلَافِ مَعْنَىٰ الْخَبَرَيْنِ عَمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي الْآيَتَيْنِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْخَبَرَ عَنْهُ فِي إِحْدَىٰ الْآيَتَيْنِ ذِكْرَ حَاجَتَهُ إِلَىٰ بَارِئِهِ وَغِنَىٰ بَارِئِهِ عَنْهُ، وَفِي الْأُخْرَىٰ حِفْظَ بَارِئِهِ إِيَّاهُ بِهِ وَعِلْمَهُ بِهِ وَتَدْبِيرَهُ.. فَإِنْ قَالَ: أَفَلَا قِيلَ: وَكَانَ اللهُ غَنِيًّا حَمِيدًا وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا؟ قِيلَ: إِنَّ الَّذِي فِي الْآيَةِ الَّتِي قَالَ فِيهَا: ﴿وَكَانَ

﴿ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ۝١٣١﴾ [النساء: ١٣١] مِمَّا صَلَحَ أَنْ يَخْتِمَ مَا خُتِمَ بِهِ مِنْ وَصْفِ اللهِ بِالْغِنَىٰ وَأَنَّهُ مَحْمُودٌ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهَا مَا يَصْلُحُ أَنْ يُخْتَمَ بِوَصْفِهِ مَعَهُ بِالْحِفْظِ وَالتَّدْبِيرِ، فَلِذَلِكَ كَرَّرَ قَوْلَهُ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ۝١٣٣﴾ [النساء: ١٣٣].

﴿إِن يَشَأْ﴾ اللهُ..

﴿يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ بِإِهْلَاكِكُمْ وَإِفْنَائِكُمْ..

﴿وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ وَيَأْتِ بِنَاسٍ آخَرِينَ غَيْرِكُمْ، لِمُؤَازَرَةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنُصْرَتِهِ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ إِهْلَاكِكُمْ وَإِفْنَائِكُمْ، وَاسْتِبْدَالِ آخَرِينَ غَيْرِكُمْ بِكُمْ قَدِيرًا..

﴿قَدِيرًا ۝١٣٣﴾ [النساء: ١٣٣] ذَا قُدْرَةٍ عَلَىٰ ذَلِكَ.. وَإِنَّمَا وَبَّخَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ الْخَائِنِينَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي قَوْلِهِ ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ۝١٠٥﴾ [النساء: ١٠٥]، وَحَذَّرَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُمْ، وَأَنْ يَفْعَلُوا فِعْلَ الْمُرْتَدِّ مِنْهُمْ فِي ارْتِدَادِهِ وَلِحَاقِهِ بِالْمُشْرِكِينَ، وَعَرَّفَهُمْ أَنَّ مَنْ فَعَلَ فِعْلَهُ مِنْهُمْ فَلَنْ يَضُرَّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلَنْ يُوبِقَ بِرِدَّتِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ، لِأَنَّهُ الْمُحْتَاجُ مَعَ جَمِيعِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَىٰ اللهِ، وَاللهُ الْغَنِيُّ عَنْهُمْ، ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ بِالْهَلَاكِ وَالِاسْتِئْصَالِ إِنْ هُمْ فَعَلُوا فِعْلَ الخائنين، وَبِاسْتِبْدَالِ آخَرِينَ غَيْرِهِمْ بِهِمْ، لِنُصْرَةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصُحْبَتِهِ وَمُؤَازَرَتِهِ عَلَىٰ دِينِهِ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ۝٣٨﴾ [محمد: ٣٨].

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝١٣٤﴾ [النساء: ١٣٤].

﴿مَّن كَانَ﴾ مِنَ الْعَامِلِينَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمُنَافِقِينَ، مِمَّنْ أَظْهَرَ الْإِيمَانَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، الَّذِينَ يَسْتَبْطِنُونَ الْكُفْرَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ..

﴿يُرِيدُ﴾ بِعَمَلِهِ..

﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ عَرَضَ الدُّنْيَا وَجَزَاءَهَا مِنْ عَمَلِهِ، بِإِظْهَارِ مَا أَظْهَرَ مِنَ الْإِيمَانِ بِلِسَانِهِ..

﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا﴾ فَإِنَّ اللهَ مُجَازِيهِ جَزَاءَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا، وَثَوَابُهُ فِيهَا هُوَ مَا

يُصِيبُ مِنَ الْمَغْنَمِ إِذَا شَهِدَ مَعَ النَّبِيِّ مَشْهَدًا، وَأَمَّنَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَمَالِهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ..

﴿وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ وَجَزَاءَهُ وَثَوَابُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعِقَابِ وَالنَّكَالِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.. وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَىٰ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَهُوَ مَالِكٌ جَمِيعَهُ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ۝١٠٧ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ [النساء: ١٠٧-١٠٨]، وَمَنْ كَانَ مِنْ نُظَرَائِهِمْ فِي أَفْعَالِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٦﴾ [هود: ١٥-١٦]..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا﴾ لِمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ ثَوَابَ الدُّنْيَا بِأَعْمَالِهِمْ، وَإِظْهَارِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ مَا يُظْهِرُونَ لَهُمْ إِذَا لَقُوا الْمُؤْمِنِينَ وَقَوْلِهِمْ لَهُمْ آمَنَّا..

﴿بَصِيرٗا ۝١٣٤﴾ [النساء: ١٣٤] وَكَانَ ذَا بَصَرٍ بِهِمْ، وَبِمَا هُمْ عَلَيْهِ مُنْطَوُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ فِيمَا يَكْتُمُونَهُ وَلَا يُبْدُونَهُ لَهُمْ مِنَ الْغِشِّ وَالْغِلِّ الَّذِي فِي صُدُورِهِمْ.

﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ۝١٣٥﴾ [النساء: ١٣٥].

﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ لِيَكُنْ مِنْ أَخْلَاقِكُمْ وَصِفَاتِكُمُ الْقِيَامُ بِالْقِسْطِ، يَعْنِي بِالْعَدْلِ.. وَهَذَا تَقَدُّمٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِلَىٰ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، أَنْ يَفْعَلُوا فِعْلَ الَّذِينَ سَعَوْا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي أَمْرِ الخَائِنِينَ، أَنْ يَقُومَ بِالْعُذْرِ لَهُمْ فِي أَصْحَابِهِ، وَذَبِّهِمْ عَنْهُمْ، وَتَحْسِينَهُمْ أَمْرَهُمْ، بِأَنَّهُمْ أَهْلُ فَاقَةٍ وَفَقْرٍ.. وَالْإِقْسَاطُ وَالْعَدْلُ مِيزَانُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، بِهِ يَرُدُّ اللهُ مِنَ الشَّدِيدِ عَلَىٰ الضَّعِيفِ، وَمِنَ الْكَاذِبِ عَلَىٰ الصَّادِقِ، وَمِنَ الْمُبْطِلِ عَلَىٰ الْمُحِقِّ، وَبِالْعَدْلِ يُصَدَّقُ الصَّادِقُ، وَيُكَذَّبُ الْكَاذِبُ، وَيُرَدُّ الْمُعْتَدِي، وَيُوَبِّخُهُ تَعَالَىٰ رَبُّنَا وَتَبَارَكَ، وَبِالْعَدْلِ يَصْلُحُ النَّاسُ..

﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ قُومُوا بِالْقِسْطِ لِلَّهِ عِنْدَ شَهَادَتِكُمْ، أَوْ حِينَ شَهَادَتِكُمْ، فَإِنَّمَا الشَّهَادَةُ لِلَّهِ وَلَيْسَتْ لِلنَّاسِ، وَإِنَّ اللهَ رَضِيَ الْعَدْلَ لِنَفْسِهِ..

﴿وَلَوۡ﴾ كَانَتْ شَهَادَتُكُمْ..

﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ حَقٌّ لِغَيْرِهِ، فَيُقِرَّ لَهُ بِهِ، فَذَلِكَ قِيَامٌ مِنْهُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ نَفْسِهِ..

﴿أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾ أَوْ عَلَىٰ وَالِدَيْكُمْ..

﴿وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ أَوْ أَقْرِبِيكُمْ..

فَقُومُوا فِيهَا بِالْقِسْطِ وَالْعَدْلِ، وَأَقِيمُوهَا عَلَىٰ صِحَّتِهَا بِأَنْ تَقُولُوا فِيهَا الْحَقَّ..

﴿إِن يَكُنۡ غَنِيًّا﴾ وَلَا تَمِيلُوا فِيهَا لِغَنِيٍّ -لِغِنَاهُ- عَلَىٰ فَقِيرٍ..

﴿أَوۡ فَقِيرٗا﴾ وَلَا لِفَقِيرٍ -لِفَقْرِهِ- عَلَىٰ غَنِيٍّ، فَتَجُورُوا..

﴿فَٱللَّهُ﴾ فَإِنَّ اللهَ الَّذِي سَوَّىٰ بَيْنَ حُكْمِ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ فِيمَا أَلْزَمَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْعَدْلِ..

﴿أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ﴾ وَأَحَقُّ مِنْكُمْ؛ لِأَنَّهُ مَالِكُهُمَا وَأَوْلَىٰ بِهِمَا دُونَكُمْ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا فِيهِ مَصْلَحَةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي ذَلِكَ، وَفِي غَيْرِهِ مِنَ الْأُمُورِ كُلِّهَا مِنْكُمْ، فَلِذَلِكَ أَمَرَكُمْ بِالتَّسْوِيَةِ بَيْنَهُمَا فِي الشَّهَادَةِ لَهُمَا وَعَلَيْهِمَا..

﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ أَنْفُسِكُمْ فِي الْمَيْلِ فِي شَهَادَتِكُمْ -إِذَا قُمْتُمْ بِهَا لِغَنِيٍّ عَلَىٰ فَقِيرٍ أَوْ لِفَقِيرٍ عَلَىٰ غَنِيٍّ- إِلَىٰ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ..

﴿أَن تَعۡدِلُواْ﴾ عَنِ الْحَقِّ، فَتَجُورُوا بِتَرْكِ إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ بِالْحَقِّ، فَتَقُولُوا غَيْرَ الْحَقِّ، وَلَكِنْ قُومُوا فِيهِ بِالْقِسْطِ، وَأَدُّوا الشَّهَادَةَ عَلَىٰ مَا أَمَرَكُمُ اللهُ بِأَدَائِهَا بِالْعَدْلِ لِمَنْ شَهِدْتُمْ عَلَيْهِ وَلَهُ.. وَلَوْ وُجِّهَ إِلَىٰ أَنَّ مَعْنَاهُ: فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ أَنْفُسِكُمْ هَرَبًا مِنْ أَنْ تَعْدِلُوا عَنِ الْحَقِّ فِي إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ بِالْقِسْطِ كَانَ وَجْهًا.. وَقَدْ قِيلَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ لِتَعْدِلُوا، كَمَا يُقَالُ: لَا تَتَّبِعْ هَوَاكَ لِتُرْضِيَ رَبَّكَ.. وَهَذِهِ الْآيَةُ عِنْدِي تَأْدِيبٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ لَهُمْ: إِذَا قُمْتُمْ بِالشَّهَادَةِ لِإِنْسَانٍ أَوْ عَلَيْهِ، فَقُومُوا فِيهَا بِالْعَدْلِ وَلَوْ كَانَتْ شَهَادَتُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ وَآبَائِكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ وَأَقْرِبَائِكُمْ، فَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ غِنَىٰ مَنْ شَهِدْتُمْ لَهُ أَوْ فَقْرُهُ أَوْ قَرَابَتُهُ وَرَحِمُهُ عَلَىٰ الشَّهَادَةِ لَهُ بِالزُّورِ، وَلَا عَلَىٰ تَرْكِ الشَّهَادَةِ عَلَيْهِ بِالْحَقِّ وَكِتْمَانِهَا..

﴿وَإِن تَلۡوُۥٓاْ﴾ وَإِنْ تَدْفَعُوا الْقِيَامَ بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا لِمَنْ لَزِمَكُمُ الْقِيَامُ لَهُ بِهَا، فَتُغَيِّرُوهَا، وَتُبَدِّلُوا، وَذَلِكَ تَحْرِيفُهُ إِيَّاهَا لِسَانَهُ وَتَرْكُهُ إِقَامَتَهَا لِيُبْطِلَ بِذَلِكَ شَهَادَتَهُ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ وَعَمَّنْ شَهِدَ عَلَيْهِ..

﴿أَوۡ تُعۡرِضُواْ﴾ عَنْهَا، فَتَتْرُكُوا الْقِيَامَ لَهُ بِهَا، كَمَا يَلْوِي الرَّجُلُ دَيْنَ الرَّجُلِ، فَيُدَافِعُهُ بِأَدَائِهِ إِلَيْهِ

عَلَىٰ مَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ لَهُ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ مِنْ إِقَامَتِكُمُ الشَّهَادَةَ وَتَحْرِيفِكُمْ إِيَّاهَا وَإِعْرَاضِكُمْ عَنْهَا بِكِتْمَانِكُمُوهَا..

﴿خَبِيرٗا ١٣٥﴾ [النساء: ١٣٥] ذَا خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ بِهِ، يَحْفَظُ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ بِهِ جَزَاءَكُمْ فِي الْآخِرَةِ، الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، يَقُولُ: فَاتَّقُوا رَبَّكُمْ فِي ذَلِكَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بِمَنْ قَبْلَ مُحَمَّدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَصَدَّقُوا بِمَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ صَدِّقُوا بِاللهِ..

﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولِهِ، أَنَّهُ لِلَّهِ رَسُولٌ مُرْسَلٌ إِلَيْكُمْ وَإِلَىٰ سَائِرِ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ..

﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ وَصَدِّقُوا بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنَ الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَهُ اللهُ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ الْقُرْآنُ..

﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾ وَآمِنُوا بِالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ مِنْ قَبْلِ الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ دُعَاءِ هَؤُلَاءِ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَكُتُبِهِ وَقَدْ سَمَّاهُمْ مُؤْمِنِينَ؟ قِيلَ: إِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يُسَمِّهِمْ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا، وَذَلِكَ وَصْفٌ لَهُمْ بِخُصُوصٍ مِنَ التَّصْدِيقِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا صِنْفَيْنِ: صِنْفٌ أَهْلُ تَوْرَاةٍ مُصَدِّقِينَ بِهَا وَبِمَنْ جَاءَ بِهَا، وَهُمْ مُكَذِّبُونَ بِالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَعِيسَىٰ وَمُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا؛ وَصِنْفٌ أَهْلُ إِنْجِيلٍ وَهُمْ مُصَدِّقُونَ بِهِ وَبِالتَّوْرَاةِ وَسَائِرِ الْكُتُبِ، مُكَذِّبُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْفُرْقَانِ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بِمَا هُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ مِنَ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ فَإِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ تَجِدُونَ صِفَتَهُ فِي كُتُبِكُمْ ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾ الَّذِي تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَكُونُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ وَأَنْتُمْ بِمُحَمَّدٍ مُكَذِّبُونَ، لِأَنَّ كِتَابَكُمْ يَأْمُرُكُمْ بِالتَّصْدِيقِ بِهِ وَبِمَا جَاءَكُمْ بِهِ، فَآمِنُوا بِكِتَابِكُمْ فِي اتِّبَاعِكُمْ مُحَمَّدًا، وَإِلَّا فَأَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ، فَهَذَا وَجْهُ أَمْرِهِمْ

بِالْإِيمَانِ بِمَا أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِهِ، بَعْدَ أَنْ وَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾..

﴿وَمَن يَكۡفُرۡ﴾ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَيَجْحَدْ نُبُوَّتَهُ، فَهُوَ يَكْفُرُ..

﴿بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ لِأَنَّ جُحُودَ الشَّيْءِ مِنْ ذَلِكَ بِمَعْنَىٰ جُحُودِهِ جَمِيعَهُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ إِيمَانُ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَالْكُفْرُ بِشَيْءٍ مِنْهُ كُفْرٌ بِجَمِيعِهِ، فَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ بِعَقِبِ خِطَابِهِ أَهْلَ الْكِتَابِ، وَأَمْرِهِ إِيَّاهُمْ بِالْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ تَهْدِيدًا مِنْهُ لَهُمْ، وَهُمْ مُقِرُّونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سِوَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْفُرْقَانِ..

﴿فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦] فَقَدْ ذَهَبَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَجَارَ عَنْ مَحَجَّةِ الطَّرِيقِ إِلَىٰ الْمَهَالِكِ ذَهَابًا وَجَوْرًا بَعِيدًا؛ لِأَنَّ كُفْرَ مَنْ كَفَرَ بِذَلِكَ خُرُوجٌ مِنْهُ عَنْ دِينِ اللهِ الَّذِي شَرَعَهُ لِعِبَادِهِ، وَالْخُرُوجُ عَنْ دِينِ اللهِ الْهَلَاكُ الَّذِي فِيهِ الْبَوَارُ، وَالضَّلَالُ عَنِ الْهُدَىٰ هُوَ الضَّلَالُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ١٣٧﴾ [النساء: ١٣٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الَّذِينَ أَقَرُّوا بِحُكْمِ التَّوْرَاةِ..

﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ ثُمَّ كَذَّبُوا بِخِلَافِهِمْ إِيَّاهُ..

﴿ثُمَّ ءَامَنُواْ﴾ ثُمَّ أَقَرَّ مَنْ أَقَرَّ مِنْهُمْ بِعِيسَىٰ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ ثُمَّ كَذَّبَ بِهِ بِخِلَافِهِ إِيَّاهُ..

﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾ ثُمَّ كَذَّبَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْفُرْقَانِ، فَازْدَادَ بِتَكْذِيبِهِ بِهِ كُفْرًا عَلَىٰ كُفْرِهِ..

﴿لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾ لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَسْتُرَ عَلَيْهِمْ كُفْرَهُمْ وَذُنُوبَهُمْ بِعَفْوِهِ عَنِ الْعُقُوبَةِ لَهُمْ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ يَفْضَحُهُمْ عَلَىٰ رُءُوسِ الْأَشْهَادِ..

﴿وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ١٣٧﴾ [النساء: ١٣٧] وَلَمْ يَكُنْ لِيُسَدِّدَهُمْ لِإِصَابَةِ طَرِيقِ الْحَقِّ فَيُوَفِّقَهُمْ لَهَا، وَلَكِنَّهُ يَخْذُلُهُمْ عَنْهَا عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَىٰ عَظِيمِ جُرْمِهِمْ وَجَرَاءَتِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ.

﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨﴾ [النساء: ١٣٨].

﴿بَشِّرِ﴾ أَخْبِرْ..

﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ اللهِ عَلَىٰ نِفَاقِهِمْ..

﴿بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ [النساء: ١٣٨] وَهُوَ الْمُوجِعُ، وَذَلِكَ عَذَابُ جَهَنَّمَ.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٩].

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فَمِنْ صِفَةِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ أَهْلَ الْكُفْرِ بِي وَالْإِلْحَادِ فِي دِينِي..

﴿أَوْلِيَآءَ﴾ أَنْصَارًا وَأَخِلَّاءَ..

﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ أَيَطْلُبُونَ عِنْدَهُمُ الْمَنْعَةَ وَالْقُوَّةَ بِاتِّخَاذِهِمْ إِيَّاهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِي..

﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٩] فَإِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ابْتِغَاءَ الْعِزَّةِ عِنْدَهُمْ، هُمُ الْأَذِلَّاءُ الْأَقِلَّاءُ، فَهَلَّا اتَّخَذُوا الْأَوْلِيَاءَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَلْتَمِسُوا الْعِزَّةَ وَالْمَنْعَةَ وَالنُّصْرَةَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، الَّذِي لَهُ الْعِزَّةُ وَالْمَنْعَةُ، الَّذِي يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، فَيُعِزُّهُمْ وَيَمْنَعُهُمْ؟!.. وَأَصْلُ الْعِزَّةِ: الشِّدَّةُ؛ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْأَرْضِ الصَّلْبَةِ الشَّدِيدَةِ: عَزَازٌ، وَقِيلَ: (قَدِ اسْتُعِزَّ عَلَىٰ الْمَرِيضِ)، إِذَا اشْتَدَّ مَرَضُهُ وَكَادَ يُشْفَىٰ، وَيُقَالُ: (تَعَزَّزَ اللَّحْمُ)، إِذَا اشْتَدَّ؛ وَمِنْهُ قِيلَ: (عَزَّ عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا)، بِمَعْنَىٰ: اشْتَدَّ عَلَيَّ.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠].

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَخْبِرْ مَنِ اتَّخَذَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الْكُفَّارِ أَنْصَارًا وَأَوْلِيَاءَ بَعْدَمَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ..

﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾ بَعْدَمَا عَلِمُوا نَهْيَ اللهِ عَنْ مُجَالَسَةِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِحُجَجِ اللهِ وَآيِ كِتَابِهِ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهَا..

﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ﴾ يَتَحَدَّثُوا..

﴿فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ﴾ فَأَنْتُمْ إِنْ لَمْ تَقُومُوا عَنْهُمْ فِي تِلْكَ الْحَالِ مِثْلُهُمْ فِي فِعْلِهِمْ؛ لِأَنَّكُمْ قَدْ عَصَيْتُمُ اللهَ بِجُلُوسِكُمْ مَعَهُمْ، وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا، كَمَا عَصَوْهُ بِاسْتِهْزَائِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ، فَقَدْ أَتَيْتُمْ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ نَحْوَ الَّذِي أَتَوْهُ مِنْهَا، فَأَنْتُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ فِي رُكُوبِكُمْ مَعْصِيَةَ اللهِ، وَإِتْيَانِكُمْ مَا نَهَاكُمُ اللهُ عَنْهُ.. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ النَّهْيِ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْبَاطِلِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ وَالْفَسَقَةِ عِنْدَ خَوْضِهِمْ فِي بَاطِلِهِمْ.. وَبِنَحْوِ ذَلِكَ كَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَّةِ الْمَاضِيَةِ يَقُولُونَ تَأَوُّلًا مِنْهُمْ هَذِهِ الْآيَةِ، إِنَّهُ مُرَادٌ بِهَا النَّهْيُ عَنْ مُشَاهَدَةِ كُلِّ بَاطِلٍ عِنْدَ خَوْضِ أَهْلِهِ فِيهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْفَرِيقَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ..

﴿فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠﴾ [النساء: ١٤٠] فَمُوَفِّقٌ بَيْنَهُمْ فِي عِقَابِهِ فِي جَهَنَّمَ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ، كَمَا اتَّفَقُوا فِي الدُّنْيَا فَاجْتَمَعُوا عَلَىٰ عَدَاوَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَوَازَرُوا عَلَىٰ التَّخْذِيلِ عَنْ دِينِ اللهِ، وَعَنِ الَّذِي ارْتَضَاهُ وَأَمَرَ بِهِ أَهْلَهُ.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾ [النساء: ١٤١].

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ﴾ الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِكُمْ..

﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فَإِنْ فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتْحًا مِنْ عَدُوِّكُمْ، فَأَفَاءَ عَلَيْكُمْ فَيْئًا مِنَ الْمَغَانِمِ..

﴿قَالُوٓاْ﴾ لَكُمْ..

﴿أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾ نُجَاهِدُ عَدُوَّكُمْ، وَنَغْزُوهُمْ مَعَكُمْ، فَأَعْطُونَا نَصِيبًا مِنَ الْغَنِيمَةِ، فَإِنَّا قَدْ شَهِدْنَا الْقِتَالَ مَعَكُمْ..

﴿وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ﴾ وَإِنْ كَانَ لِأَعْدَائِكُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ حَظٌّ مِنْكُمْ بِإِصَابَتِهِمْ مِنْكُمْ..

﴿قَالُوٓاْ﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ لِلْكَافِرِينَ..

﴿أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ أَلَمْ نَغْلِبْ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ قَهَرْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ﴾ وَنَمْنَعْكُمْ مِنْهُمْ بِتَخْذِيلِنَا إِيَّاهُمْ، حَتَّىٰ امْتَنَعُوا مِنْكُمْ فَانْصَرَفُوا..

﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَفْصِلُ بَيْنَكُمْ بِالْقَضَاءِ الْفَاصِلِ بِإِدْخَالِ أَهْلِ الْإِيمَانِ جَنَّتَهُ، وَأَهْلِ النِّفَاقِ مَعَ أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ نَارَهُ..

﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾ [النساء: ١٤١] وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ حُجَّةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. وَذَلِكَ وَعْدٌ مِنَ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْمُنَافِقِينَ مُدْخَلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ مُدْخَلَ الْمُنَافِقِينَ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ لِلْكَافِرِينَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ حُجَّةٌ، بِأَنْ يَقُولُوا لَهُمْ: إِنْ أُدْخِلُوا مُدْخَلَهُمْ، هَا أَنْتُمْ كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا أَعْدَاءَنَا، وَكَانَ الْمُنَافِقُونَ أَوْلِيَاءَنَا، وَقَدِ اجْتَمَعْتُمْ فِي النَّارِ، فَيُجْمَعُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَوْلِيَائِنَا، فَأَيْنَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ تُقَاتِلُونَنَا مِنْ أَجْلِهِ فِي الدُّنْيَا؟! فَذَلِكَ هُوَ السَّبِيلُ الَّذِي وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يَجْعَلَهَا عَلَيْهِمْ لِلْكَافِرِينَ.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢].

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ بِإِحْرَازِهِمْ بِنِفَاقِهِمْ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ..

﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ وَاللهُ خَادِعُهُمْ بِمَا حَكَمَ فِيهِمْ مِنْ مَنْعِ دِمَائِهِمْ بِمَا أَظْهَرُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ، مَعَ عِلْمِهِ بِبَاطِنِ ضَمَائِرِهِمْ، وَاعْتِقَادِهِمُ الْكُفْرَ، اسْتِدْرَاجًا مِنْهُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَلْقَوْهُ فِي الْآخِرَةِ، فَيُورِدُهُمْ بِمَا اسْتَبْطَنُوا مِنَ الْكُفْرِ نَارَ جَهَنَّمَ..

﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ فَإِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْمَلُونَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ وَجْهِ التَّقَرُّبِ بِهَا إِلَىٰ اللهِ؛ لِأَنَّهُمْ غَيْرُ مُوقِنِينَ بِمَعَادٍ وَلَا ثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ، وَإِنَّمَا يَعْمَلُونَ مَا عَمِلُوا مِنَ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ بَقَاءً عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَحَذَرًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهَا أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُسْلَبُوا أَمْوَالَهُمْ، فَهُمْ إِذَا قَامُوا إِلَىٰ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ مِنَ الْفَرَائِضِ الظَّاهِرَةِ، قَامُوا كُسَالَىٰ إِلَيْهَا، رِيَاءً لِلْمُؤْمِنِينَ، لِيَحْسَبُوهُمْ مِنْهُمْ وَلَيْسُوا مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ غَيْرُ مُعْتَقِدِي فَرْضَهَا وَوُجُوبَهَا عَلَيْهِمْ، فَهُمْ فِي قِيَامِهِمْ إِلَيْهَا كُسَالَىٰ..

﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢] وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا ذِكْرًا رِيَاءً، لِيَدْفَعُوا بِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمُ الْقَتْلَ وَالسِّبَاءَ وَسَلْبَ الْأَمْوَالِ، لَا ذِكْرَ مُوقِنٍ مُصَدِّقٍ بِتَوْحِيدِ اللهِ مُخْلِصٍ لَهُ الرُّبُوبِيَّةَ، فَلِذَلِكَ سَمَّاهُ اللهُ قَلِيلًا، لِأَنَّهُ غَيْرُ مَقْصُودٍ بِهِ اللهُ وَلَا مُبْتَغًىٰ بِهِ التَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ، وَلَا مُرَادًا بِهِ ثَوَابَ اللهِ وَمَا عِنْدَهُ، فَهُوَ -وَإِنْ كَثُرَ مِنْ وَجْهِ نَصَبِ عَامِلِهِ وَذَاكِرِهِ- فِي مَعْنَىٰ السَّرَابِ الَّذِي لَهُ ظَاهِرٌ بِغَيْرِ حَقِيقَةِ مَاءٍ.

﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ١٤٣﴾ [النساء: ١٤٣].

﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ مُرَدَّدِينَ.. وَأَصْلُ التَّذَبْذُبِ: التَّحَرُّكُ وَالِاضْطِرَابُ..

﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ عَنَىٰ بِذَلِكَ: أَنَّ الْمُنَافِقِينَ مُتَحَيِّرُونَ فِي دِينِهِمْ، لَا يَرْجِعُونَ إِلَىٰ اعْتِقَادِ شَيْءٍ عَلَىٰ صِحَّةٍ، فَهُمْ لَا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ، وَلَا مَعَ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ جَهَالَةٍ، وَلَكِنَّهُمْ حَيَارَىٰ بَيْنَ ذَلِكَ، فَمَثَلُهُمُ الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ إِلَىٰ هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَىٰ هَذِهِ مَرَّةً، لَا تَدْرِي أَيَّتَهُمَا تَتْبَعُ**»..

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ مَنْ يَخْذُلْهُ اللهُ عَنْ طَرِيقِ الرَّشَادِ وَذَلِكَ هُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي دَعَا اللهُ إِلَيْهِ عِبَادَهُ، يَقُولُ: مَنْ يَخْذُلْهُ اللهُ عَنْهُ فَلَمْ يُوَفِّقْهُ لَهُ..

﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿سَبِيلًا ١٤٣﴾ [النساء: ١٤٣] طَرِيقًا يَسْلُكُهُ إِلَىٰ الْحَقِّ غَيْرَهُ، وَأَيُّ سَبِيلٍ يَكُونُ لَهُ إِلَىٰ الْحَقِّ غَيْرَ الْإِسْلَامِ؟! وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَهُ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ، وَمَنْ أَضَلَّهُ اللهُ عَنْهُ فَقَدْ غَوَىٰ، فَلَا هَادِيَ لَهُ غَيْرُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ١٤٤﴾ [النساء: ١٤٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ لَا تُوَالُوا الْكُفَّارَ فَتُؤَازِرُوهُمْ..

﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مِنْ دُونِ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ وَدِينِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَكُونُوا كَمَنْ أَوْجَبَ لَهُ النَّارَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ.. وَهَذَا نَهْيٌ مِنَ اللهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَكُونُوا مِثْلَهُمْ فِي رُكُوبِ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ مُوَالَاةِ أَعْدَائِهِ.. ثُمَّ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُتَوَعِّدًا مَنِ اتَّخَذَ مِنْهُمُ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ هُوَ لَمْ يَرْتَدِعْ عَنْ مُوَالَاتِهِ وَيَنْزَجِرْ عَنْ مُخَالَفَتِهِ أَنْ يَلْحَقَهُ بِأَهْلِ وَلَايَتِهِمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ بِتَبْشِيرِهِمْ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا..

﴿أَتُرِيدُونَ﴾ أَيُّهَا الْمُتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، مِمَّنْ قَدْ آمَنَ بِي وَبِرَسُولِي..

﴿أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ حُجَّةً بِاتِّخَاذِكُمُ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ،

فَتَسْتَوْجِبُوا مِنْهُ مَا اسْتَوْجَبَهُ أَهْلُ النِّفَاقِ الَّذِينَ وَصَفَ لَكُمْ صِفَتَهُمْ وَأَخْبَرَكُمْ بِمَحِلِّهِمْ عِنْدَهُ..

﴿مُّبِينًا ١٤٤﴾ [النساء: ١٤٤] عَنْ صِحَّتِهَا وَحَقِّيَّتِهَا، يَقُولُ: لَا تَعَرَّضُوا لِغَضَبِ اللهِ بِإِيجَابِكُمُ الْحُجَّةَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فِي تَقَدُّمِكُمْ عَلَىٰ مَا نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ مُوَالَاةِ أَعْدَائِهِ وَأَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ١٤٥﴾ [النساء: ١٤٥].

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الطَّبَقِ الْأَسْفَلِ مِنْ أَطْبَاقِ جَهَنَّمَ، وَكُلُّ طَبَقٍ مِنْ أَطْبَاقِ جَهَنَّمَ دَرْكٌ، وَفِيهِ لُغَتَانِ: دَرَكٌ بِفَتْحِ الرَّاءِ، وَدَرْكٌ بِتَسْكِينِهَا، فَمَنْ فَتَحَ الرَّاءَ جَمَعَهُ فِي الْقِلَّةِ: أَدْرَاكٌ، وَإِنْ شَاءَ جَمَعَهُ فِي الْكَثْرَةِ الدُّرُوكُ، وَمَنْ سَكَّنَ الرَّاءَ قَالَ: ثَلَاثَةُ أَدْرُكٍ، وَلِلْكَثِيرِ: الدُّرُوكُ..

﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ﴾ وَلَنْ تَجِدَ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ يَا مُحَمَّدُ مِنَ اللهِ إِذَا جَعَلَهُمْ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ..

﴿نَصِيرًا ١٤٥﴾ [النساء: ١٤٥] نَاصِرًا يَنْصُرُهُمْ مِنْهُ، فَيُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِهِ، وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ أَلِيمَ عِقَابِهِ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ١٤٦﴾ [النساء: ١٤٦].

﴿إِلَّا﴾ هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، اسْتَثْنَىٰ..

﴿ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ التَّائِبِينَ مِنْ نِفَاقِهِمْ، الَّذِينَ رَاجَعُوا الْحَقَّ، وَأَبَوْا إِلَىٰ الْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ..

﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ أَعْمَالَهُمْ، فَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ وَأَدَّوْا فَرَائِضَهُ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ وَانْزَجَرُوا عَنْ مَعَاصِيهِ..

﴿وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ اللهِ.. وَالِاعْتِصَامُ: التَّمَسُّكُ وَالتَّعَلُّقُ، فَالِاعْتِصَامُ بِاللهِ: التَّمَسُّكُ بِعَهْدِهِ وَمِيثَاقِهِ الَّذِي عَهِدَ فِي كِتَابِهِ إِلَىٰ خَلْقِهِ، مِنْ طَاعَتِهِ وَتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ..

﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ وَأَخْلَصُوا الدِّينَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَتَبَرَّءُوا مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ، فَلَمْ يَكُونُوا مَعَ الْمُصِرِّينَ عَلَىٰ نِفَاقِهِمْ، وَأَخْلَصُوا طَاعَتَهُمْ وَأَعْمَالَهُمُ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا لِلَّهِ، فَأَرَادُوهُ بِهَا، وَلَمْ يَعْمَلُوهَا رِئَاءَ النَّاسِ، وَلَا عَلَىٰ شَكٍّ مِنْهُمْ فِي دِينِهِمْ، وَامْتِرَاءٍ مِنْهُمْ، فِي أَنَّ اللهَ مُحْصٍ عَلَيْهِمْ مَا عَمِلُوا، فَيُجَازِي الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ؛ وَلَكِنَّهُمْ عَمِلُوهَا عَلَىٰ يَقِينٍ مِنْهُمْ فِي ثَوَابِ الْمُحْسِنِ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ، وَجَزَاءِ الْمُسِيءِ عَلَىٰ إِسَاءَتِهِ، أَوْ يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِ رَبُّهُ فَيَعْفُو، مُتَقَرِّبِينَ بِهَا إِلَىٰ اللهِ مُرِيدِينَ بِهَا وَجْهَ اللهِ، فَذَلِكَ مَعْنَىٰ إِخْلَاصِهِمْ لِلَّهِ دِينَهُمْ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ وَإِصْلَاحِهِمْ وَاعْتِصَامِهِمْ بِاللهِ وَإِخْلَاصِهِمْ لَهُ..

﴿مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فِي الْجَنَّةِ، لَا مَعَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِي مَاتُوا عَلَىٰ نِفَاقِهِمْ، الَّذِين أَوْعَدَهُمُ الدَّرَكَ الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ، فَوَعَدَهُم جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْ يُحِلَّهُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَحِلَّ الْكَرَامَةِ، وَيُسْكِنَهُمْ مَعَهُمْ مَسَاكِنَهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَوَعَدَهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَىٰ تَوْبَتِهِمُ الْجَزِيلَ مِنَ الْعَطَاءِ..

﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَسَوْفَ يُعْطِي اللهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ عَلَىٰ تَوْبَتِهِمْ وَإِصْلَاحِهِمْ وَاعْتِصَامِهِمْ بِاللهِ وَإِخْلَاصِهِمْ دِينَهُمْ لَهُ عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ..

﴿أَجْرًا عَظِيمًا ١٤٦﴾ [النساء: ١٤٦] ثَوَابًا عَظِيمًا، وَذَلِكَ دَرَجَاتٌ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا أَعْطَىٰ الَّذِينَ مَاتُوا عَلَىٰ النِّفَاقِ مَنَازِلَ فِي النَّارِ، وَهِيَ السُّفْلَىٰ مِنْهَا؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَعَدَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُؤْتِيَهُمْ عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ ذَلِكَ، كَمَا أَوْعَدَ الْمُنَافِقِينَ عَلَىٰ نِفَاقِهِمْ مَا ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ.

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ١٤٧﴾

[النساء: ١٤٧].

﴿مَّا يَفْعَلُ﴾ مَا يَصْنَعُ..

﴿ٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ..

﴿بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾ إِنْ أَنْتُمْ تُبْتُمْ إِلَىٰ اللهِ وَرَجَعْتُمْ إِلَىٰ الْحَقِّ الْوَاجِبِ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ، فَشَكَرْتُمُوهُ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ مِنْ نِعَمِهِ فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَهَالِيكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ، بِالْإِنَابَةِ إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ وَالِاعْتِصَامِ بِهِ، وَإِخْلَاصِكُمْ أَعْمَالَكُمْ لِوَجْهِهِ، وَتَرْكِ رِيَاءَ النَّاسِ بِهَا..

﴿وَءَامَنتُمْ﴾ بِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَصَدَّقْتُمُوهُ وَأَقْرَرْتُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِلْتُمْ بِهِ، يَقُولُ: لَا حَاجَةَ بِاللهِ أَنْ يَجْعَلَكُمْ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ إِنْ أَنْتُمْ أَنَبْتُمْ إِلَىٰ طَاعَتِهِ وَرَاجَعْتُمُ الْعَمَلَ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَتَرَكَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجْتَلِبُ بِعَذَابِكُمْ إِلَىٰ نَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا يَدْفَعُ عَنْهَا ضَرًّا، وَإِنَّمَا عُقُوبَتُهُ مَنْ عَاقَبَ مِنْ خَلْقِهِ جَزَاءٌ مِنْهُ لَهُ عَلَىٰ جَرَاءَتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ خِلَافِهِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَكُفْرَانِهِ شُكْرَ نِعَمِهِ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَنْتُمْ شَكَرْتُمْ لَهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ وَأَطَعْتُمُوهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَلَا حَاجَةَ بِهِ إِلَىٰ تَعْذِيبِكُمْ، بَلْ يَشْكُرُ لَكُمْ مَا يَكُونُ مِنْكُمْ مِنْ طَاعَةٍ لَهُ وَشُكْرٍ، بِمُجَازَاتِكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ بِمَا تَقْصُرُ عَنْهُ أَمَانِيُّكُمْ فَلَمْ تَبْلُغْهُ آمَالُكُمْ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾ لَكُمْ وَلِعِبَادِهِ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ بِإِجْزَالِهِ لَهُمُ الثَّوَابَ عَلَيْهَا، وَإِعْظَامِهِ لَهُمُ الْعِوَضَ مِنْهَا..

﴿عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: ١٤٧] بِمَا تَعْمَلُونَ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ وَغَيْرُكُمْ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَصَالِحٍ وَطَالِحٍ، مُحْصٍ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَيْكُمْ، مُحِيطٌ بِجَمِيعِهِ، حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ جَزَاءَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ [النساء: ١٤٨].

﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أَنْ يَجْهَرَ أَحَدٌ لِأَحَدٍ بِالسُّوءِ..

﴿إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ أَنْ يُخْبِرَ بِمَا أُسِيءَ إِلَيْهِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ، دَخَلَ فِيهِ إِخْبَارُ مَنْ نِيلَ بِظُلْمٍ فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ عُنْوَةً مِنْ سَائِرِ النَّاسِ، وَكَذَلِكَ دُعَاؤُهُ عَلَىٰ مَنْ نَالَهُ بِظُلْمٍ؛ أَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، لِأَنَّ فِي دُعَائِهِ عَلَيْهِ إِعْلَامًا مِنْهُ لِمَنْ سَمِعَ دُعَاءَهُ عَلَيْهِ بِالسُّوءِ لَهُ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ لِمَا يَجْهَرُونَ بِهِ مِنْ سُوءِ الْقَوْلِ لِمَنْ يَجْهَرُونَ لَهُ بِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَصْوَاتِكُمْ وَكَلَامِكُمْ..

﴿عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ [النساء: ١٤٨] بِمَا تُخْفُونَ مِنْ سُوءِ قَوْلِكُمْ وَكَلَامِكُمْ لِمَنْ تُخْفُونَ لَهُ بِهِ، فَلَا تَجْهَرُونَ لَهُ بِهِ، مُحْصٍ كُلَّ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ كُلِّهِ جَزَاءَكُمْ، الْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، وَالْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ.

﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء: ١٤٩].

﴿إِن تُبْدُوا۟﴾ إِنْ تَقُولُوا أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿خَيْرًا﴾ جَمِيلًا مِنَ الْقَوْلِ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ، فَتُظْهِرُوا ذَلِكَ شُكْرًا مِنْكُمْ لَهُ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ حُسْنٍ إِلَيْكُمْ..

﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أَوْ تَتْرُكُوا إِظْهَارَ ذَلِكَ فَلَا تُبْدُوهُ..

﴿أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ﴾ أَوْ تَصْفَحُوا لِمَنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ عَنْ إِسَاءَتِهِ، فَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ أَنْ تَجْهَرُوا لَهُ بِهِ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ لَمْ يَزَلْ ذَا عَفْوٍ عَنْ خَلْقِهِ، يَصْفَحُ لَهُمْ عَمَّنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ..

﴿قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء: ١٤٩] ذَا قُدْرَةٍ عَلَىٰ الِانْتِقَامِ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ: أَنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ ذَا عَفْوٍ مِنْ عِبَادِهِ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ عِقَابِهِمْ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، يَقُولُ: فَاعْفُوا أَنْتُمْ أَيْضًا أَيُّهَا النَّاسُ

عَمَّنْ أَتَىٰ إِلَيْكُمْ ظُلْمًا، وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ، وَإِنْ قَدَرْتُمْ عَلَىٰ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِ، كَمَا يَعْفُو عَنْكُمْ رَبُّكُمْ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ عِقَابِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ وَتُخَالِفُونَ أَمْرَهُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠﴾ [النساء: ١٥٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بِأَنْ يُكَذِّبُوا رُسُلَ اللهِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ إِلَىٰ خَلْقِهِ بِوَحْيِهِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمُ افْتَرَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَذَٰلِكَ هُوَ مَعْنَىٰ إِرَادَتِهِمُ التَّفْرِيقَ بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ، بِنِحْلَتِهِمْ إِيَّاهُمُ الْكَذِبَ وَالْفِرْيَةَ عَلَىٰ اللهِ، وَادِّعَائِهِمْ عَلَيْهِمُ الْأَبَاطِيلَ..

﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ نُصَدِّقُ بِهَذَا..

﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ وَنُكَذِّبُ بِهَذَا، كَمَا فَعَلَتِ الْيَهُودُ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ عِيسَىٰ وَمُحَمَّدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ، وَتَصْدِيقِهِمْ بِمُوسَىٰ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ بِزَعْمِهِمْ، وَكَمَا فَعَلَتِ النَّصَارَىٰ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ، وَتَصْدِيقِهِمْ بِعِيسَىٰ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ بِزَعْمِهِمْ..

﴿وَيُرِيدُونَ﴾ وَيُرِيدُ الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ، الزَّاعِمُونَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضٍ وَيَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ..

﴿أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ أَضْعَافِ قَوْلِهِمْ: نُؤْمِنُ بِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ..

﴿سَبِيلًا ١٥٠﴾ [النساء: ١٥٠] طَرِيقًا إِلَىٰ الضَّلَالَةِ الَّتِي أَحْدَثُوهَا وَالْبِدْعَةِ الَّتِي ابْتَدَعُوهَا، يَدْعُونَ أَهْلَ الْجَهْرِ مِنَ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِعِبَادِهِ، مُنَبِّهًا لَهُمْ عَلَىٰ ضَلَالَتِهِمْ وَكُفْرِهِمْ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ١٥١﴾ [النساء: ١٥١].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكُمْ صِفَتَهُمْ..

﴿هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ﴾ هُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ بِي، الْمُسْتَحِقُّونَ عَذَابِي وَالْخُلُودَ فِي نَارِي حَقًّا، فَاسْتَيْقِنُوا ذَٰلِكَ، وَلَا يُشَكِّكَنَّكُمْ فِي أَمْرِهِمُ انْتِحَالُهُمُ الْكَذِبَ وَدَعْوَاهُمْ أَنَّهُمْ يُقِرُّونَ بِمَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ بِهِ مُقِرُّونَ مِنَ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ، فَإِنَّهُمْ فِي دَعْوَاهُمْ مَا ادَّعَوْا مِنْ ذَٰلِكَ كَذَبَةٌ، وَذَٰلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ بِالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ، هُوَ الْمُصَدِّقُ بِجَمِيعِ مَا فِي الْكِتَابِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ بِهِ مُصَدِّقٌ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ بِهِ مُؤْمِنٌ، فَأَمَّا مَنْ صَدَّقَ بِبَعْضِ ذَٰلِكَ وَكَذَّبَ بِبَعْضٍ، فَهُوَ لِنُبُوَّةِ مَنْ كَذَّبَ بِبَعْضِ مَا جَاءَ بِهِ جَاحِدٌ، وَمَنْ جَحَدَ نُبُوَّةَ نَبِيٍّ فَهُوَ بِهِ مُكَذِّبٌ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَحَدُوا

نُبُوَّةَ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ مُصَدِّقُونَ بِبَعْضٍ، مُكَذِّبُونَ مَنْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ، لِتَكْذِيبِهِمْ بِبَعْضِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، فَهُمْ بِاللهِ وَبِرُسُلِهِ، الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ بِهِمْ مُصَدِّقُونَ، وَالَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ بِهِمْ مُكَذِّبُونَ، كَافِرُونَ، فَهُمُ الْجَاحِدُونَ وَحْدَانِيَّةَ اللهِ وَنُبُوَّةَ أَنْبِيَائِهِ حَقَّ الْجُحُودِ، الْمُكَذِّبُونَ بِذَلِكَ حَقَّ التَّكْذِيبِ، فَاحْذَرُوا أَنْ تَغْتَرُّوا بِهِمْ وَبِبِدْعَتِهِمْ، فَإِنَّا قَدْ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا..

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ جَحَدَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ جُحُودَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَمْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلِغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ أَجْنَاسِ الْكُفَّارِ..

﴿عَذَابًا﴾ فِي الْآخِرَةِ..

﴿مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥١] يُهِينُ مَنْ عُذِّبَ بِهِ بِخُلُودِهِ فِيهِ.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٢].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾ وَالَّذِينَ صَدَّقُوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ..

﴿وَرُسُلِهِ﴾ وَأَقَرُّوا بِنُبُوَّةِ رُسُلِهِ أَجْمَعِينَ، وَصَدَّقُوهُمْ فِيمَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنْ شَرَائِعَ دِينِهِ..

﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ وَلَمْ يُكَذِّبُوا بَعْضَهُمْ، وَيُصَدِّقُوا بَعْضَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ أَقَرُّوا أَنَّ كُلَّ مَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدَ رَبِّهِمْ حَقٌّ..

﴿أُولَٰئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ..

﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾ سَوْفَ يُعْطِيهِمْ..

﴿أُجُورَهُمْ ۗ﴾ جَزَاءَهُمْ، وَثَوَابَهُمْ عَلَى تَصْدِيقِهِمُ الرُّسُلَ فِي تَوْحِيدِ اللهِ وَشَرَائِعِ دِينِهِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ يَغْفِرُ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِهِ مَا سَلَفَ لَهُ مِنْ آثَامِهِ، فَيَسْتُرُ عَلَيْهِ بِعَفْوِهِ لَهُ عَنْهُ وَتَرْكِهِ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ لِذُنُوبِ الْمُنِيبِينَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ غَفُورًا..

﴿رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٢] وَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ رَحِيمًا بِتَفَضُّلِهِ عَلَيْهِمُ الْهِدَايَةَ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ، وَتَوْفِيقِهِ إِيَّاهُمْ لِمَا فِيهِ خَلَاصُ رِقَابِهِمْ مِنَ النَّارِ.

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ [النساء: ١٥٣].

﴿يَسْـَٔلُكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أَهْلَ التَّوْرَاةِ مِنَ الْيَهُودِ..

﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا﴾ آيَةً مُعْجِزَةً جَمِيعَ الْخَلْقِ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهَا..

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ شَاهِدَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِالصِّدْقِ، آمِرَةً لَهُمْ بِاتِّبَاعِهِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الَّذِي سَأَلُوهُ مِنْ ذَلِكَ كِتَابًا مَكْتُوبًا يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ جَمَاعَتِهِمْ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كُتُبًا إِلَىٰ أَشْخَاصٍ بِأَعْيُنِهِمْ.. وَالَّذِي هُوَ أَوْلَىٰ بِظَاهِرِ التِّلَاوَةِ أَنْ تَكُونَ مَسْأَلَتُهُمْ إِيَّاهُ ذَلِكَ كَانَتْ مَسْأَلَةً لِيُنَزِّلَ الْكِتَابَ الْوَاحِدَ إِلَىٰ جَمَاعَتِهِمْ؛ لِذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي خَبَرِهِ عَنْهُمُ الْكِتَابَ بِلَفْظِ الْوَاحِدِ، بِقَوْلِهِ: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: كُتُبًا..

﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ فَهَذَا تَوْبِيخٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ سَائِلِي الْكِتَابِ الَّذِي سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُنَزِّلَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ فِي مَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ ذَلِكَ، وَتَقْرِيعٌ مِنْهُ لَهُمْ، يَقُولُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ لَا يَعْظُمَنَّ عَلَيْكَ مَسْأَلَتُهُمْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ مِنْ جَهْلِهِمْ بِاللهِ وَجَرَاءَتِهِمْ عَلَيْهِ وَاغْتِرَارِهِمْ بِحِلْمِهِ، لَوْ أَنْزَلْتَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ الَّذِي سَأَلُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُ عَلَيْهِمْ، لَخَالَفُوا أَمْرَ اللهِ كَمَا خَالَفُوهُ بَعْدَ إِحْيَاءِ اللهِ أَوَائِلَهُمْ مِنْ صَعْقَتِهِمْ، فَعَبَدُوا الْعِجْلَ، وَاتَّخَذُوهُ إِلَاهًا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ خَالِقِهِمْ وَبَارِئِهِمُ الَّذِي أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ مَا أَرَاهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَنْ يَعْدُوا أَنْ يَكُونُوا كَأَوَائِلِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ، ثُمَّ قَصَّ اللهُ مِنْ قِصَّتِهِمْ وَقِصَّةِ مُوسَىٰ مَا قَصَّ، يَقُولُ اللهُ: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ يَعْنِي: فَقَدْ سَأَلَ أَسْلَافُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَأَوَائِلُهُمْ مُوسَىٰ ﷺ أَعْظَمَ مِمَّا سَأَلُوكَ مِنْ تَنْزِيلِ كِتَابٍ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ عِيَانًا نُعَايِنُهُ وَنَنْظُرُ إِلَيْهِ..

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ فَصُعِقُوا بِظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ، وَظُلْمُهُمْ أَنْفُسَهُمْ كَانَ مَسْأَلَتَهُمْ مُوسَىٰ أَنْ يُرِيَهُمْ رَبَّهُمْ جَهْرَةً، لِأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَسْأَلَتُهُ..

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟﴾ ثُمَّ اتَّخَذَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَأَلُوا مُوسَىٰ مَا سَأَلُوهُ مِنْ رُؤْيَةِ رَبِّهِمْ جَهْرَةً، بَعْدَ مَا

أَحْيَاهُمُ اللهُ، فَبَعَثَهُمْ مِنْ صَعْقَتِهِمْ..

﴿ٱلْعِجْلَ﴾ الَّذِي كَانَ السَّامِرِيُّ نَبَذَ فِيهِ مَا نَبَذَ مِنَ الْقَبْضَةِ الَّتِي قَبَضَهَا مِنْ أَثَرِ فَرَسِ جِبْرِيلَ ﷺ، إِلَاهًا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَأَلُوا مُوسَىٰ مَا سَأَلُوا..

﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ مِنَ اللهِ، وَالدَّلَالَاتُ الْوَاضِحَاتُ بِأَنَّهُمْ لَنْ يَرَوُا اللهَ عِيَانًا جِهَارًا، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ: أَنَّهَا آيَاتٌ تُبِينُ عَنْ أَنَّهُمْ لَنْ يَرَوُا اللهَ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا جَهْرَةً، وَكَانَتْ تِلْكَ الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ لَهُمْ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، إِصْعَاقَ اللهِ إِيَّاهُمْ عِنْدَ مَسْأَلَتِهِمْ مُوسَىٰ أَنْ يُرِيَهُمْ رَبَّهُ جَهْرَةً، ثُمَّ إِحْيَاءَهُ إِيَّاهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ مَعَ سَائِرِ الْآيَاتِ الَّتِي أَرَاهُمُ اللهُ دَلَالَةً عَلَىٰ ذَلِكَ، يَقُولُ اللهُ مُقَبِّحًا إِلَيْهِمْ فِعْلَهُمْ ذَلِكَ، وَمُوَضِّحًا لِعِبَادِهِ جَهْلَهُمْ، وَنَقْصَ عُقُولِهِمْ وَأَحْلَامِهِمْ: ثُمَّ أَقَرُّوا لِلْعِجْلِ بِأَنَّهُ لَهُمْ إِلَهٌ، وَهُمْ يَرَوْنَهُ عِيَانًا وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ جِهَارًا، بَعْدَ مَا أَرَاهُمْ رَبُّهُمْ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ مَا أَرَاهُمْ، أَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ جَهْرَةً وَعِيَانًا فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، فَعَكَفُوا عَلَىٰ عِبَادَتِهِ، مُصَدِّقِينَ بِأُلُوهَتِهِ..

﴿فَعَفَوْنَا﴾ لِعَبَدَةِ الْعِجْلِ..

﴿عَن ذَٰلِكَ﴾ عَنْ عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَلِلْمُصَدِّقِينَ مِنْهُمْ بِأَنَّهُ إِلَاهُهُمْ، بَعْدَ الَّذِي أَرَاهُمُ اللهُ أَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا أَرَاهُمْ عَنْ تَصْدِيقِهِمْ بِذَلِكَ بِالتَّوْبَةِ الَّتِي تَابُوهَا إِلَىٰ رَبِّهِمْ، بِقَتْلِهِمْ أَنْفُسَهُمْ، وَصَبْرِهِمْ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ أَمْرِ رَبِّهِمْ..

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ [النساء: ١٥٣] وَآتَيْنَا مُوسَىٰ حُجَّةً تُبِينُ عَنْ صِدْقِهِ، وَحَقِيَّةِ نُبُوَّتِهِ، وَتِلْكَ الْحُجَّةُ هِيَ الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ الَّتِي آتَاهُ اللهُ إِيَّاهَا.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ [النساء: ١٥٤].

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾ الْجَبَلَ، وَذَلِكَ لَمَّا امْتَنَعُوا مِنَ الْعَمَلِ بِمَا فِي التَّوْرَاةِ، وَقَبُولِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مُوسَىٰ فِيهَا..

﴿بِمِيثَٰقِهِمْ﴾ بِمَا أَعْطُوا اللهَ الْمِيثَاقَ وَالْعَهْدَ: (لَنَعْمَلَنَّ بِمَا فِي التَّوْرَاةِ)..

﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ حِينَ أُمِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا مِنْهُ سُجَّدًا، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَىٰ أَسْتَاهِهِمْ..

﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ لَا تَتَجَاوَزُوا فِي يَوْمِ السَّبْتِ مَا أُبِيحَ لَكُمْ إِلَىٰ مَا لَمْ يُبَحْ لَكُمْ..

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝١٥٤﴾ [النساء: ١٥٤] عَهْدًا مُؤَكَّدًا شَدِيدًا، بِأَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، وَيَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَاهُمُ اللهُ عَنْهُ، مِمَّا ذَكَرَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَمِمَّا فِي التَّوْرَاةِ، وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ كَانُوا أُمِرُوا بِدُخُولِ الْبَابِ سُجَّدًا، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ فِي ذَلِكَ، وَخَبَرِهِمْ وَقِصَّتِهِمْ، وَقِصَّةِ السَّبْتِ، وَمَا كَانَ اعْتِدَاؤُهُمْ فِيهِ، بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٥٥﴾ [النساء: ١٥٥].

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ فَبِنَقْضِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ صِفَتَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿مِّيثَٰقَهُمْ﴾ عُهُودَهُمُ الَّتِي عَاهَدُوا اللهَ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا فِي التَّوْرَاةِ..

﴿وَكُفْرِهِم﴾ وَجُحُودِهِمْ..

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بِأَعْلَامِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا عَلَيْهِمْ فِي صِدْقِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَحَقِّيَّةِ مَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ..

﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ وَبِقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِنُبُوَّتِهِمْ..

﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مِنْهُمْ ذَلِكَ لِكَبِيرَةٍ أَتَوْهَا، وَلَا خَطِيئَةٍ اسْتَوْجَبُوا الْقَتْلَ عَلَيْهَا..

﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ وَبِقَوْلِهِمْ..

﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ وَأَغْطِيَةٌ عَمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ، فَلَا نَفْقَهُ مَا تَقُولُ، وَلَا نَعْقِلُهُ..

﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ كَذَبُوا فِي قَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ، مَا هِيَ بِغُلْفٍ وَلَا عَلَيْهَا أَغْطِيَةٌ؛ وَلَكِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ جَعَلَ عَلَيْهَا طَابِعًا بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ..

﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ فَلَا يُؤْمِنُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ لِطَبْعِهِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، فَيُصَدِّقُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَمَا جَاءَتْهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿إِلَّا قَلِيلًا ۝١٥٥﴾ [النساء: ١٥٥] وَإِنَّمَا صَارَ قَلِيلًا لِأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا عَلَىٰ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، وَلَكِنْ صَدَّقُوا بِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ وَبِبَعْضِ الْكُتُبِ وَكَذَّبُوا بِبَعْضٍ، فَكَانَ تَصْدِيقُهُمْ بِمَا صَدَّقُوا بِهِ قَلِيلًا؛ لِأَنَّهُمْ وَإِنْ صَدَّقُوا بِهِ مِنْ وَجْهٍ، فَهُمْ بِهِ مُكَذِّبُونَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، وَذَلِكَ مِنْ وَجْهِ تَكْذِيبِهِمْ مَنْ كَذَّبُوا بِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ كُتُبِ اللهِ، وَرُسُلُ اللهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَبِذَلِكَ أَمَرَ كُلُّ نَبِيٍّ أُمَّتَهُ، وَكَذَلِكَ كُتُبُ اللهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيُحَقِّقُ بَعْضٌ بَعْضًا، فَالْمُكَذِّبُ بِبَعْضِهَا مُكَذِّبٌ بِجَمِيعِهَا مِنْ جِهَةِ جُحُودِهِ مَا

صَدَّقَهُ الْكِتَابُ الَّذِي يُقِرُّ بِصِحَّتِهِ، فَلِذَلِكَ صَارَ إِيمَانُهُمْ بِمَا آمَنُوا مِنْ ذَلِكَ قَلِيلًا.

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ١٥٦﴾ [النساء: ١٥٦].

﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ وَبِكُفْرِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ..

﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ١٥٦﴾ [النساء: ١٥٦] بِفِرْيَتِهِمْ عَلَيْهَا، وَرَمْيِهِمْ إِيَّاهَا بِالزِّنَا، وَهُوَ الْبُهْتَانُ الْعَظِيمُ؛ لِأَنَّهُمْ رَمَوْهَا بِذَلِكَ وَهِيَ مِمَّا رَمَوْهَا بِهِ -بِغَيْرِ ثَبَتٍ وَلَا بُرْهَانٍ- بَرِيئَةٌ، فَبَهَتُوهَا بِالْبَاطِلِ مِنَ الْقَوْلِ.

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ١٥٧﴾ [النساء: ١٥٧].

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ ثُمَّ كَذَّبَهُمُ اللهُ فِي قِيلِهِمْ..

﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ عِيسَىٰ..

﴿وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ فَأُلْقِيَ شَبَهُ عِيسَىٰ عَلَىٰ جَمِيعِ مَنْ كَانَ فِي الْبَيْتِ مَعَ عِيسَىٰ حِينَ أُحِيطَ بِهِ وَبِهِمْ، لِيُخْزِيَ اللهُ بِذَلِكَ الْيَهُودَ، وَيُنْقِذَ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ مَكْرُوهِ مَا أَرَادُوا بِهِ مِنَ الْقَتْلِ، وَيَبْتَلِيَ بِهِ مَنْ أَرَادَ ابْتِلَاءَهُ مِنْ عِبَادِهِ.. وَذَلِكَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عِيسَىٰ فِي الْبَيْتِ الَّذِي رُفِعَ مِنْهُ مِنْ حَوَارِيِّهِ، حَوَّلَهُمُ اللهُ جَمِيعًا فِي صُورَةِ عِيسَىٰ حِينَ أَرَادَ اللهُ رَفْعَهُ، فَقَتَلَتِ الْيَهُودُ مِنْهُمْ مَنْ قَتَلَتْ وَهُمْ يَرَوْنَهُ بِصُورَةِ عِيسَىٰ وَيَحْسَبُونَهُ إِيَّاهُ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا بِهِ عَارِفِينَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَظَنَّ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْبَيْتِ مَعَ عِيسَىٰ مِثْلَ الَّذِي ظَنَّتِ الْيَهُودُ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُمَيِّزُوا شَخْصَ عِيسَىٰ مِنْ شَخْصِ غَيْرِهِ لِتَشَابُهِ شَخْصِهِ وَشَخْصِ غَيْرِهِ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ، فَاتَّفَقُوا جَمِيعُهُمْ -أَعْنِي: الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ- مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ الْمَقْتُولَ كَانَ عِيسَىٰ، وَلَمْ يَكُنْ بِهِ، وَلَكِنَّهُ شُبِّهَ لَهُمْ.. أَوْ يَكُونَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ: أَنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عِيسَىٰ فِي الْبَيْتِ تَفَرَّقُوا عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ الْيَهُودُ، وَبَقِيَ عِيسَىٰ، وَأُلْقِيَ شَبَهُهُ عَلَىٰ بَعْضِ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ مَا تَفَرَّقَ الْقَوْمُ، غَيْرَ عِيسَىٰ وَغَيْرَ الَّذِي أُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُهُ، وَرُفِعَ عِيسَىٰ، فَقُتِلَ الَّذِي تَحَوَّلَ فِي صُورَةِ عِيسَىٰ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَظَنَّ أَصْحَابُهُ وَالْيَهُودُ أَنَّ الَّذِيَ قُتِلَ وَصُلِبَ هُوَ عِيسَىٰ؛ لَمَّا رَأَوْا مِنْ شَبَهِهِ بِهِ وَخَفَاءِ أَمْرِ عِيسَىٰ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ رَفْعَهُ وَتَحَوُّلَ الْمَقْتُولِ فِي صُورَتِهِ كَانَ بَعْدَ تَفَرُّقِ أَصْحَابِهِ عَنْهُ، وَقَدْ كَانُوا سَمِعُوا عِيسَىٰ مِنَ اللَّيْلِ يَنْعِي نَفْسَهُ

وَيَحْزَنُ لِمَا قَدْ ظَنَّ أَنَّهُ نَازِلٌ بِهِ مِنَ الْمَوْتِ، فَحَكَوْا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ حَقًّا، وَالْأَمْرُ عِنْدَ اللهِ فِي الْحَقِيقَةِ بِخِلَافِ مَا حَكَوْا، فَلَمْ يَسْتَحِقَّ الَّذِينَ حَكَوْا ذَلِكَ مِنْ حَوَارِيِّيهِ أَنْ يَكُونُوا كَذَبَةً، أَوْ حَكَوْا مَا كَانَ حَقًّا عِنْدَهُمْ فِي الظَّاهِرِ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ عِنْدَ اللهِ فِي الْحَقِيقَةِ بِخِلَافِ الَّذِي حَكَوْا..

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ أَحَاطُوا بِعِيسَىٰ وَأَصْحَابِهِ حِينَ أَرَادُوا قَتْلَهُ..

﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ يَعْنِي: مِنْ قَتْلِهِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَحْصَوْا مِنَ الْعِدَّةِ حِينَ دَخَلُوا الْبَيْتَ أَكْثَرَ مِمَّنْ خَرَجَ مِنْهُ وَمَنْ وُجِدَ فِيهِ، فَشَكُّوا فِي الَّذِي قَتَلُوهُ هَلْ هُوَ عِيسَىٰ أَمْ لَا، مِنْ أَجْلِ فَقْدِهِمْ مَنْ فَقَدُوا مِنَ الْعَدَدِ الَّذِي كَانُوا أَحْصَوْهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: قَتَلْنَا عِيسَىٰ؛ لِمُشَابَهَةِ الْمَقْتُولِ عِيسَىٰ فِي الصُّورَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ عَرَفُوا عِدَّةَ مَنْ فِي الْبَيْتِ قَبْلَ دُخُولِهِمْ فِيمَا ذُكِرَ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِمْ، فَقَدُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ، فَالْتَبَسَ أَمْرُ عِيسَىٰ عَلَيْهِمْ بِفَقْدِهِمْ وَاحِدًا مِنَ الْعِدَّةِ الَّتِي كَانُوا قَدْ أَحْصَوْهَا، وَقَتَلُوا مَنْ قَتَلُوا عَلَىٰ شَكٍّ مِنْهُمْ فِي أَمْرِ عِيسَىٰ، وَهَذَا التَّأْوِيلُ عَلَىٰ قَوْلِ مَنْ قَالَ: لَمْ يُفَارِقِ الْحَوَارِيُّونَ عِيسَىٰ حَتَّىٰ رُفِعَ وَدَخَلَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ، وَأَمَّا تَأْوِيلُهُ عَلَىٰ قَوْلِ مَنْ قَالَ: تَفَرَّقُوا عَنْهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ: وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي عِيسَىٰ، هَلْ هُوَ الَّذِي بَقِيَ فِي الْبَيْتِ مِنْهُمْ بَعْدَ خُرُوجِ مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ مِنَ الْعِدَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِ أَمْ لَا؟

﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ أَنَّهُمْ قَتَلُوا مَنْ قَتَلُوهُ، عَلَىٰ شَكٍّ مِنْهُمْ فِيهِ وَاخْتِلَافٍ، هَلْ هُوَ عِيسَىٰ أَمْ غَيْرُهُ؟ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ بِمَنْ قَتَلُوهُ عِلْمٌ مَنْ هُوَ، هُوَ عِيسَىٰ أَمْ هُوَ غَيْرُهُ؟

﴿إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ مَا كَانَ لَهُمْ بِمَنْ قَتَلُوهُ مِنْ عِلْمٍ، وَلَكِنَّهُمُ اتَّبَعُوا ظَنَّهُمْ، فَقَتَلُوهُ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُ عِيسَىٰ، وَأَنَّهُ الَّذِي يُرِيدُونَ قَتْلَهُ، وَلَمْ يَكُنْ بِهِ..

﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ وَمَا قَتَلُوا هَذَا الَّذِي اتَّبَعُوهُ فِي الْمَقْتُولِ الَّذِي قَتَلُوهُ وَهُمْ يَحْسَبُونَهُ عِيسَىٰ..

﴿يَقِينَۢا ١٥٧﴾ [النساء: ١٥٧] أَنَّهُ عِيسَىٰ، وَلَا أَنَّهُ غَيْرُهُ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا مِنْهُ عَلَىٰ ظَنٍّ وَشُبْهَةٍ، وَهَذَا كَقَوْلِ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ: (مَا قَتَلْتَ هَذَا الْأَمْرَ عِلْمًا) وَ(مَا قَتَلْتَهُ يَقِينًا)، إِذَا تَكَلَّمَ فِيهِ بِالظَّنِّ عَلَىٰ غَيْرِ يَقِينِ عِلْمٍ، فَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ الظَّنِّ.

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٥٨﴾ [النساء: ١٥٨].

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ بَلْ رَفَعَ اللهُ الْمَسِيحَ إِلَيْهِ، يَقُولُ: لَمْ يَقْتُلُوهُ وَلَمْ يَصْلُبُوهُ، وَلَكِنَّ اللهَ رَفَعَهُ إِلَيْهِ، فَطَهَّرَهُ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ مُنْتَقِمًا مِنْ أَعْدَائِهِ، كَانْتِقَامِهِ مِنَ الَّذِينَ أَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ،

وَكَلَعْنِهِ الَّذِينَ قَصَّ قِصَّتَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٥]..

﴿حَكِيمًا ١٥٨﴾ [النساء: ١٥٨] ذَا حِكْمَةٍ فِي تَدْبِيرِهِ وَتَصْرِيفِهِ خَلْقَهُ فِي قَضَائِهِ، يَقُولُ: فَاحْذَرُوا أَيُّهَا السَّائِلُونَ مُحَمَّدًا أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْكُمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ حُلُولِ عُقُوبَتِي بِكُمْ، كَمَا حَلَّ بِأَوَائِلِكُمُ الَّذِينَ فَعَلُوا فِعْلَكُمْ فِي تَكْذِيبِهِمْ رُسُلِي، وَافْتِرَائِهِمْ عَلَىٰ أَوْلِيَائِي.

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ١٥٩﴾ [النساء: ١٥٩].

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِعِيسَىٰ..

﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قَبْلَ مَوْتِ عِيسَىٰ، وَأَنَّ ذَلِكَ فِي خَاصٍّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَمَعْنِيٌّ بِهِ أَهْلُ زَمَانٍ مِنْهُمْ دُونَ أَهْلِ كُلِّ الْأَزْمِنَةِ الَّتِي كَانَتْ بَعْدَ عِيسَىٰ، وَأَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ عِنْدَ نُزُولِهِ، كَالَّذِي قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَإِنِّي أَوْلَىٰ النَّاسِ بِعِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعُ الْخَلْقِ، إِلَىٰ الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبْطُ الشَّعْرِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ، وَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، حَتَّىٰ يُهْلِكَ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا غَيْرَ الْإِسْلَامِ، وَيُهْلِكَ اللهُ فِي زَمَانِهِ مَسِيحَ الضَّلَالَةِ الْكَذَّابَ الدَّجَّالَ، وَتَقَعُ الْأَمَنَةُ فِي الْأَرْضِ فِي زَمَانِهِ، حَتَّىٰ تَرْتَعَ الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنُّمُورُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَتَلْعَبُ الْغِلْمَانُ وَالصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ، لَا يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ يَلْبَثُ فِي الْأَرْضِ مَا شَاءَ اللهُ -وَرُبَّمَا قَالَ: أَرْبَعِينَ سَنَةً- ثُمَّ يُتَوَفَّىٰ وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَدْفِنُونَهُ**»..

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ﴾ عِيسَىٰ..

﴿عَلَيْهِمْ﴾ عَلَىٰ أَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿شَهِيدًا ١٥٩﴾ [النساء: ١٥٩] شَاهِدًا عَلَيْهِمْ بِتَكْذِيبِ مَنْ كَذَّبَهُ مِنْهُمْ، وَتَصْدِيقِ مَنْ صَدَّقَهُ مِنْهُمْ فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَبِإِبْلَاغِهِ رِسَالَةَ رَبِّهِ.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ١٦٠﴾ [النساء: ١٦٠].

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ فَحَرَّمْنَا عَلَىٰ الْيَهُودِ -الَّذِينَ نَقَضُوا

مِيثَاقَهُمُ الَّذِي وَاثَقُوا رَبَّهُمْ، وَكَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَهُمْ، وَقَالُوا الْبُهْتَانَ عَلَىٰ مَرْيَمَ، وَفَعَلُوا مَا وَصَفَهُمُ اللهُ فِي كِتَابِهِ- طَيِّبَاتٍ مِنَ الْمَآكِلِ وَغَيْرِهَا كَانَتْ لَهُمْ حَلَالًا، عُقُوبَةً لَهُمْ بِظُلْمِهِمُ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ فِي كِتَابِهِ..

﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾ عِبَادَ اللهِ..

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عَنْ دِينِهِ وَسُبُلِهِ الَّتِي شَرَعَهَا لِعِبَادِهِ..

﴿كَثِيرًا ۝١٦٠﴾ [النساء: ١٦٠] صَدًّا كَثِيرًا، وَكَانَ صَدُّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِقَوْلِهِمْ عَلَىٰ اللهِ الْبَاطِلَ، وَادِّعَائِهِمْ أَنَّ ذَٰلِكَ عَنِ اللهِ، وَتَبْدِيلِهِمْ كِتَابَ اللهِ، وَتَحْرِيفِ مَعَانِيهِ عَنْ وُجُوهِهِ، وَكَانَ مِنْ عَظِيمِ ذَٰلِكَ جُحُودُهُمْ نُبُوَّةَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَرْكُهُمْ بَيَانَ مَا قَدْ عَلِمُوا مِنْ أَمْرِهِ.

﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٦١﴾ [النساء: ١٦١].

﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ وَهُوَ أَخْذُهُمْ مَا أَفْضَلُوا عَلَىٰ رُءُوسِ أَمْوَالِهِمْ لِفَضْلِ تَأْخِيرٍ فِي الْأَجَلِ بَعْدَ مَحِلِّهَا..

﴿وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ يَعْنِي عَنْ أَخْذِ الرِّبَا..

﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ مَا كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنَ الرِّشَا عَلَىٰ الْحُكْمِ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٦٢﴾ [المائدة: ٦٢]، وَكَانَ مِنْ أَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ: مَا كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنْ أَثْمَانِ الْكُتُبِ الَّتِي كَانُوا يَكْتُبُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ، ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَٰلِكَ مِنَ الْمَآكِلِ الْخَسِيسَةِ الْخَبِيثَةِ، فَعَاقَبَهُمُ اللهُ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَٰلِكَ، بِتَحْرِيمِهِ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ حَلَالًا قَبْلَ ذَٰلِكَ.. وَإِنَّمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِأَنَّهُمْ أَكَلُوا مَا أَكَلُوا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ كَذَٰلِكَ بِالْبَاطِلِ؛ بِأَنَّهُمْ أَكَلُوهُ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ، وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ مِنْهُمْ بِغَيْرِ اسْتِيجَابٍ..

﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ وَجَعَلْنَا..

﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ..

﴿مِنْهُمْ﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ..

﴿عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٦١﴾ [النساء: ١٦١] وَهُوَ الْمُوجِعُ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، عِدَّةً يَصْلَوْنَهَا فِي الْآخِرَةِ إِذَا

وَرَدُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، فَيُعَاقِبُهُمْ بِهَا.

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ١٦٢﴾ [النساء: ١٦٢].

﴿لَّٰكِنِ﴾ هَذَا مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ اسْتِثْنَاءٌ، اسْتَثْنَىٰ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي مَضَتْ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [النساء: ١٥٣] ثُمَّ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِعِبَادِهِ، مُبَيِّنًا لَهُمْ حُكْمَ مَنْ قَدْ هَدَاهُ لِدِينِهِ مِنْهُمْ وَوَفَّقَهُ لِرُشْدِهِ: مَا كُلُّ أَهْلِ الْكِتَابِ صِفَتُهُمُ الصِّفَةُ الَّتِي وَصَفْتُ لَكُمْ، لَكِنِ..

﴿ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ قَدْ رَسَخُوا فِي الْعِلْمِ بِأَحْكَامِ اللهِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا أَنْبِيَاؤُهُ، وَأَتْقَنُوا ذَلِكَ، وَعَرَفُوا حَقِيقَتَهُ..

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ بِاللهِ وَرُسُلِهِ مِنْهُمْ، يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، وَبِالْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَلَا يَسْأَلُونَكَ مَا سَأَلَكَ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةُ مِنْهُمْ، أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا بِمَا قَرَءُوا مِنْ كُتُبِ اللهِ، وَأَتَتْهُمْ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُمْ، أَنَّكَ لِلَّهِ رَسُولٌ، وَاجِبٌ عَلَيْهِمُ اتِّبَاعُكَ، لَا يَسَعُهُمْ غَيْرُ ذَلِكَ، فَلَا حَاجَةَ بِهِمْ إِلَىٰ أَنْ يَسْأَلُوكَ آيَةً مُعْجِزَةً، وَلَا دَلَالَةً، غَيْرَ الَّذِي قَدْ عَلِمُوا مِنْ أَمْرِكَ بِالْعِلْمِ الرَّاسِخِ فِي قُلُوبِهِمْ، مِنْ أَخْبَارِ أَنْبِيَائِهِمْ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ، وَبِمَا أَعْطَيْتُكَ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ نُبُوَّتِكَ، فَهُمْ لِذَلِكَ مِنْ عِلْمِهِمْ وَرُسُوخِهِمْ فِيهِ..

﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ مِنَ الْكِتَابِ..

﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ وَبِمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ كُتُبِي..

﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وَبِالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ؛ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ صِفَةِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ فَيَقُولُ: لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ، وَالْمُؤْمِنُونَ بِالْكُتُبِ..

﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وَالَّذِينَ يُعْطُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ مَنْ جَعَلَهَا اللهُ لَهُ وَصَرَفَهَا إِلَيْهِ..

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ وَالْمُصَدِّقُونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَأُلُوهِيَّتِهِ..

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ..

﴿سَنُؤْتِيهِمْ﴾ سَنُعْطِيهِمْ..

﴿أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ [النساء: ١٦٢] جَزَاءً عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ، وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ، وَثَوَابًا عَظِيمًا، وَذَلِكَ الْجَنَّةُ.

﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: ١٦٣].

﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ بِالنُّبُوَّةِ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ نُوحٍ..

﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ﴾ وَإِلَىٰ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ سَمَّيْتُهُمْ لَكَ -مِنْ بَعْدِهِ- وَالَّذِينَ لَمْ أُسَمِّهِمْ لَكَ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لِأَنَّ بَعْضَ الْيَهُودِ لَمَّا فَضَحَهُمُ اللهُ بِالْآيَاتِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ، وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [النساء: ١٥٣] فَتَلَا ذَلِكَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالُوا: مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ مُوسَىٰ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَاتِ تَكْذِيبًا لَهُمْ، وَأَخْبَرَ نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ أَنَّهُ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ بَعْدَ مُوسَىٰ وَعَلَىٰ مَنْ سَمَّاهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَعَلَىٰ آخَرِينَ لَمْ يُسَمِّهِمْ..

﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: ١٦٣] بِفَتْحِ الزَّايِ، عَلَىٰ أَنَّهُ اسْمُ الْكِتَابِ الَّذِي أُوتِيَهُ دَاوُدُ، كَمَا سَمَّىٰ الْكِتَابَ الَّذِي أُوتِيَهُ مُوسَىٰ (التَّوْرَاةَ)، وَالَّذِي أُوتِيَهُ عِيسَىٰ (الْإِنْجِيلَ)، وَالَّذِي أُوتِيَهُ مُحَمَّدٌ (الْفُرْقَانَ)، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الِاسْمُ الْمَعْرُوفُ بِهِ مَا أُوتِيَ دَاوُدُ، وَإِنَّمَا تَقُولُ الْعَرَبُ (زَبُورُ دَاوُدَ)، وَبِذَلِكَ يَعْرِفُ كِتَابَهُ سَائِرُ الْأُمَمِ.

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤].

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ﴾ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ، وَإِلَىٰ رُسُلٍ قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ، وَرُسُلٍ لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ..

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤] وَخَاطَبَ اللهُ بِكَلَامِهِ مُوسَىٰ خِطَابًا.

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا

حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥].

﴿رُّسُلًا﴾ يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ: ﴿* إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣] وَمَنْ ذَكَرَ مِنَ الرُّسُلِ..

﴿مُّبَشِّرِينَ﴾ أَرْسَلْتُهُمْ رُسُلًا إِلَىٰ خَلْقِي وَعِبَادِي، مُبَشِّرِينَ بِثَوَابِي مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ أَمْرِي وَصَدَّقَ رُسُلِي..

﴿وَمُنذِرِينَ﴾ عِقَابِي مَنْ عَصَانِي، وَخَالَفَ أَمْرِي، وَكَذَّبَ رُسُلِي..

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ أَرْسَلْتُ رُسُلِي إِلَىٰ عِبَادِي مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، لِئَلَّا يَحْتَجَّ مَنْ كَفَرَ بِي وَعَبَدَ الْأَنْدَادَ مِنْ دُونِي، أَوْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِي بِأَنْ يَقُولَ إِنْ أَرَدْتُ عِقَابَهُ: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [طه: ١٣٤] فَقَطَعَ حُجَّةَ كُلِّ مُبْطِلٍ أَلْحَدَ فِي تَوْحِيدِهِ وَخَالَفَ أَمْرَهُ، بِجَمِيعِ مَعَانِي الْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ عُذْرَهُ، إِعْذَارًا مِنْهُ بِذَلِكَ إِلَيْهِمْ، لِتَكُونَ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِهِ..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ..

﴿عَزِيزًا﴾ ذَا عِزَّةٍ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْ خَلْقِهِ، عَلَىٰ كُفْرِهِ بِهِ وَمَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ، بَعْدَ تَثْبِيتِهِ حُجَّتَهُ عَلَيْهِ بِرُسُلِهِ وَأَدِلَّتِهِ..

﴿حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥] فِي تَدْبِيرِهِ فِيهِمْ مَا دَبَّرَهُ.

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء: ١٦٦].

﴿لَّٰكِنِ﴾ إِنْ يَكْفُرْ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ الْيَهُودُ الَّذِينَ سَأَلُوكَ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ، وَقَالُوا لَكَ: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ﴾ [الأنعام: ٩١] فَكَذَّبُوكَ، فَقَدْ كَذَبُوا، مَا الْأَمْرُ كَمَا قَالُوا: لَكِنِ..

﴿ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ﴾ مِنْ كِتَابِهِ وَوَحْيِهِ..

﴿أَنزَلَهُۥ﴾ أَنْزَلَ ذَلِكَ إِلَيْكَ..

﴿بِعِلْمِهِۦۖ﴾ بِعِلْمٍ مِنْهُ بِأَنَّكَ خِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَصَفِيُّهُ مِنْ عِبَادِهِ..

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ﴾ وَيَشْهَدُ لَكَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتُهُ، فَلَا يَحْزُنْكَ تَكْذِيبُ مَنْ كَذَّبَكَ، وَخِلَافُ

مَنْ خَالَفَكَ..

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ وَحَسْبُكَ بِاللهِ..

﴿شَهِيدًا ١٦٦﴾ [النساء: ١٦٦] شَاهِدًا عَلَىٰ صِدْقِكَ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا شَهِدَ لَكَ بِالصِّدْقِ رَبُّكَ، لَمْ يَضُرَّكَ تَكْذِيبُ مَنْ كَذَّبَكَ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ، دَعَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ اتِّبَاعِهِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ نُبُوَّتِهِ، فَجَحَدُوا نُبُوَّتَهُ وَأَنْكَرُوا مَعْرِفَتَهُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧﴾ [النساء: ١٦٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّتَكَ يَا مُحَمَّدُ -بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِهَا- مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ اقْتَصَصْتُ عَلَيْكَ قِصَّتَهُمْ، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ كِتَابَهُ..

﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يَعْنِي عَنِ الدِّينِ الَّذِي بَعَثَكَ اللهُ بِهِ إِلَىٰ خَلْقِهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ.. وَكَانَ صَدُّهُمْ عَنْهُ قِيلَهُمْ لِلنَّاسِ الَّذِينَ يَسْأَلُونَهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ: مَا نَجِدُ صِفَةَ مُحَمَّدٍ فِي كِتَابِنَا، وَادِّعَاءَهُمْ أَنَّهُمْ عُهِدَ إِلَيْهِمْ أَنَّ النُّبُوَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي وَلَدِ هَارُونَ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ دَاوُدَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي كَانُوا يُثَبِّطُونَ النَّاسَ بِهَا عَنِ اتِّبَاعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالتَّصْدِيقِ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧﴾ [النساء: ١٦٧] قَدْ جَارُوا عَنْ قَصْدِ الطَّرِيقِ جَوْرًا شَدِيدًا، وَزَالُوا عَنِ الْمَحَجَّةِ، وَإِنَّمَا يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِجَوْرِهِمْ عَنِ الْمَحَجَّةِ، وَضَلَالِهِمْ عَنْهَا: إِخْطَاءَهُمْ دِينَ اللهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ، وَابْتَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ، يَقُولُ: مَنْ جَحَدَ رِسَالَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَصَدَّ عَمَّا بُعِثَ بِهِ مِنَ الْمِلَّةِ مِنْ قَبْلِ مِنْهُ، فَقَدْ ضَلَّ، فَذَهَبَ عَنِ الدِّينِ الَّذِي هُوَ دِينُ اللهِ، الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ، ضَلَالًا بَعِيدًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ١٦٨﴾ [النساء: ١٦٨].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا رِسَالَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَكَذَّبُوهُ وَكَفَرُوا بِاللهِ بِجُحُودِ ذَلِكَ..

﴿وَظَلَمُواْ﴾ بِمُقَامِهِمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ، عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِظُلْمِهِمْ عِبَادَ اللهِ، وَحَسَدًا لِلْعَرَبِ، وَبَغْيًا عَلَىٰ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَعْفُوَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ بِتَرْكِهِ عُقُوبَتَهُمْ عَلَيْهَا، وَلَكِنَّهُ يَفْضَحُهُمْ بِهَا بِعُقُوبَتِهِ إِيَّاهُمْ عَلَيْهَا..

﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ١٦٨﴾ [النساء: ١٦٨] وَلَمْ يَكُنِ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِيَهْدِيَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا، الَّذِينَ وَصَفْنَا صِفَتَهُمْ، فَيُوَفِّقَهُمْ لِطَرِيقٍ مِنَ الطُّرُقِ الَّتِي يَنَالُونَ بِهَا ثَوَابَ اللهِ، وَيَصِلُونَ

بِلُزُومِهِمْ إِيَّاهُ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَلَكِنَّهُ يَخْذُلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَالِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [النساء: ١٦٩].

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ حَتَّىٰ يَسْلُكُوا طَرِيقَ جَهَنَّمَ، وَإِنَّمَا كَنَّىٰ بِذِكْرِ الطَّرِيقِ عَنِ الدِّينِ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيُوَفِّقَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّهُ يَخْذُلُهُمْ عَنْهُ إِلَىٰ طَرِيقِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْكُفْرُ، يَعْنِي: حَتَّىٰ يَكْفُرُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ، فَيَدْخُلُوا جَهَنَّمَ..

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ مُقِيمِينَ فِيهَا أَبَدًا..

﴿وَكَانَ ذَالِكَ﴾ وَكَانَ تَخْلِيدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكُمْ صِفَتَهُمْ فِي جَهَنَّمَ..

﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [النساء: ١٦٩] لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ مَنْ أَرَادَ ذَلِكَ بِهِ عَلَىٰ الِامْتِنَاعِ مِنْهُ، وَلَا لَهُ أَحَدٌ يَمْنَعُهُ مِنْهُ، وَلَا يُسْتَصْعَبُ عَلَيْهِ مَا أَرَادَ فِعْلَهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ يَسِيرًا؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ خَلْقُهُ، وَالْأَمْرَ أَمْرُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ [النساء: ١٧٠].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، وَسَائِرِ أَصْنَافِ الْكُفْرِ..

﴿قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿بِالْحَقِّ﴾ بِالْإِسْلَامِ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ لِعِبَادِهِ دِينًا..

﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ..

﴿فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ فَصَدِّقُوهُ وَصَدِّقُوا بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ مِنَ الدِّينِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْكُفْرِ بِهِ..

﴿وَإِن تَكْفُرُوا﴾ وَإِنْ تَجْحَدُوا رِسَالَتَهُ، وَتُكَذِّبُوا بِهِ وَبِمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ، فَإِنَّ جُحُودَكُمْ ذَلِكَ وَتَكْذِيبَكُمْ بِهِ لَنْ يَضُرَّ غَيْرَكُمْ، وَإِنَّمَا مَكْرُوهُ ذَلِكَ عَائِدٌ عَلَيْكُمْ، دُونَ اللهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِالَّذِي بَعَثَ بِهِ إِلَيْكُمْ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ؛ وَذَلِكَ أَنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا، لَا يَنْقُصُ كُفْرُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَمْرِهِ، وَعِصْيَانِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا عَصَيْتُمُوهُ فِيهِ مِنْ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ شَيْئًا..

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِمَا أَنْتُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَمَعْصِيَتِهِ فِي ذَلِكَ، وَعَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُ بِذَلِكَ مِنْكُمْ أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ..

﴿حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ [النساء: ١٧٠] فِي أَمْرِهِ إِيَّاكُمْ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَفِي نَهْيِهِ إِيَّاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَدْبِيرِهِ فِيكُمْ، وَفِي غَيْرِكُمْ مِنْ خَلْقِهِ.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يَا أَهْلَ الْإِنْجِيلِ مِنَ النَّصَارَىٰ..

﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ لَا تُجَاوِزُوا الْحَقَّ فِي دِينِكُمْ فَتُفْرِطُوا فِيهِ.. وَأَصْلُ الْغُلُوِّ فِي كُلِّ شَيْءٍ: مُجَاوَزَةُ حَدِّهِ الَّذِي هُوَ حَدُّهُ..

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ وَلَا تَقُولُوا فِي عِيسَىٰ غَيْرَ الْحَقِّ، فَإِنَّ قِيلَكُمْ فِي عِيسَىٰ إِنَّهُ ابْنُ اللهِ قَوْلٌ مِنْكُمْ عَلَىٰ اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ؛ لِأَنَّ اللهَ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، فَيَكُونُ عِيسَىٰ أَوْ غَيْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ لَهُ ابْنًا..

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ مَا الْمَسِيحُ أَيُّهَا الْغَالُونَ فِي دِينِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِابْنِ اللهِ كَمَا تَزْعُمُونَ، وَلَكِنَّهُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْخَلْقِ، لَا نَسَبَ لَهُ غَيْرُ ذَلِكَ، ثُمَّ نَعَتَهُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِنَعْتِهِ وَوَصَفَهُ بِصِفَتِهِ، فَقَالَ: هُوَ..

﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ أَرْسَلَهُ اللهُ بِالْحَقِّ إِلَىٰ مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ.. وَأَصْلُ الْمَسِيحِ: الْمَمْسُوحُ، وَسَمَّاهُ اللهُ بِذَلِكَ لِتَطْهِيرِهِ إِيَّاهُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَقِيلَ: مُسِحَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْأَدْنَاسِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْآدَمِيِّينَ، كَمَا يُمْسَحُ الشَّيْءُ مِنَ الْأَذَىٰ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ فَيُطَهَّرُ مِنْهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ وَمَنْ قَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ: (**الْمَسِيحُ: الصِّدِّيقُ**).. وَأَمَّا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ، فَإِنَّهُ أَيْضًا بِمَعْنَىٰ الْمَمْسُوحِ الْعَيْنِ، فَمَعْنَىٰ الْمَسِيحِ فِي عِيسَىٰ ﷺ: الْمَمْسُوحُ الْبَدَنِ مِنَ الْأَدْنَاسِ وَالْآثَامِ، وَمَعْنَىٰ الْمَسِيحِ فِي الدَّجَّالِ: الْمَمْسُوحُ الْعَيْنِ الْيُمْنَىٰ أَوِ الْيُسْرَىٰ، كَالَّذِي رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي ذَلِكَ..

﴿وَكَلِمَتُهُۥ﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي بِالْكَلِمَةِ: الرِّسَالَةَ الَّتِي أَمَرَ اللهُ مَلَائِكَتَهُ أَنْ تَأْتِيَ مَرْيَمَ بِهَا، بِشَارَةً مِنَ اللهِ لَهَا، الَّتِي ذَكَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ﴾

[آل عمران: ٤٥] يَعْنِي: بِرِسَالَةٍ مِنْهُ، وَبِشَارَةٍ مِنْ عِنْدِهِ، وَقَدْ قَالَ قَتَادَةُ فِي ذَلِكَ: (هُوَ قَوْلُهُ: كُنْ فَكَانَ)..

﴿أَلْقَنهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ أَعْلَمَهَا بِهَا وَأَخْبَرَهَا، كَمَا يُقَالَ: أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ كَلِمَةً حَسَنَةً، بِمَعْنَىٰ أَخْبَرْتُكَ بِهَا، وَكَلَّمْتُكَ بِهَا..

﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ فَإِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَنَفْخَةٌ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ حَدَثَ عَنْ نَفْخَةِ جِبْرِيلَ عليه السلام فِي دِرْعِ مَرْيَمَ، بِأَمْرِ اللهِ إِيَّاهُ بِذَلِكَ، فَنُسِبَ إِلَىٰ أَنَّهُ رُوحٌ مِنَ اللهِ؛ لِأَنَّهُ بِأَمْرِهِ كَانَ، وَإِنَّمَا سَمَّىٰ النَّفْخَ رُوحًا؛ لِأَنَّهَا رِيحٌ تَخْرُجُ مِنَ الرُّوحِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَنَّهُ كَانَ إِنْسَانًا بِإِحْيَاءِ اللهِ لَهُ بِقَوْلِهِ: كُنْ، قَالُوا: وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ وَحَيَاةٌ مِنْهُ، بِمَعْنَىٰ: إِحْيَاءِ اللهِ إِيَّاهُ بِتَكْوِينِهِ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَرَحْمَةٌ مِنْهُ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وَمَعْنَاهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: وَرَحْمَةٌ مِنْهُ، فَجَعَلَ اللهُ عِيسَىٰ رَحْمَةً مِنْهُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَهُ وَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ؛ لِأَنَّهُ هَدَاهُمْ إِلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَرُوحٌ مِنَ اللهِ خَلَقَهَا فَصَوَّرَهَا، ثُمَّ أَرْسَلَهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ، فَدَخَلَتْ فِي فِيهَا، فَصَيَّرَهَا اللهُ تَعَالَىٰ رُوحَ عِيسَىٰ عليه السلام.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ الرُّوحِ هَهُنَا: جِبْرِيلُ عليه السلام، قَالُوا: وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ، وَأَلْقَاهَا أَيْضًا إِلَيْهَا رُوحٌ مِنَ اللهِ، ثُمَّ مِنْ جِبْرِيلَ عليه السلام.. وَلِكُلٍّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ وَجْهٌ وَمَذْهَبٌ غَيْرُ بَعِيدٍ مِنَ الصَّوَابِ..

﴿فَـَٔامِنُواْ﴾ فَصَدِّقُوا يَا أَهْلَ الْكِتَابِ..

﴿بِٱللَّهِ﴾ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ لَا وَلَدَ لَهُ..

﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ وَصَدِّقُوا رُسُلَهُ فِيمَا جَاءُوكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَفِيمَا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ، وَلَا وَلَدَ لَهُ..

﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾ وَلَا تَقُولُوا الْأَرْبَابُ ثَلَاثَةٌ.. وَرُفِعَتِ الثَّلَاثَةُ بِمَحْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ الظَّاهِرُ، وَهُوَ (هُمْ)، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: (وَلَا تَقُولُوا هُمْ ثَلَاثَةٌ)، وَإِنَّمَا جَازَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ حِكَايَةٌ، وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي الْحِكَايَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا وَرَدَ مِنْ مَرْفُوعٍ بَعْدَ الْقَوْلِ لَا رَافِعَ مَعَهُ، فَفِيهِ إِضْمَارُ اسْمٍ رَافِعٍ لِذَلِكَ الِاسْمِ.. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُتَوَعِّدًا لَهُمْ فِي قَوْلِهِمُ الْعَظِيمِ الَّذِي قَالُوهُ فِي اللهِ..

﴿ٱنتَهُواْ﴾ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ اللهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ عَمَّا تَقُولُونَ مِنَ الزُّورِ وَالشِّرْكِ بِاللهِ..

﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ فَإِنَّ الِانْتِهَاءَ عَنْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ قِيلِهِ، لِمَا لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعِقَابِ

الْعَاجِلِ لَكُمْ عَلَىٰ قِيلِكُمْ ذَلِكَ -إِنْ أَقَمْتُمْ عَلَيْهِ وَلَمْ تُنِيبُوا إِلَىٰ الْحَقِّ الَّذِي أَمَرْتُكُمْ بِالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ- وَالْأَجَلِ فِي مَعَادِكُمْ..

﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ مَا اللهُ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ: اللهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ كَمَا تَقُولُونَ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَلَيْسَ بِإِلَهٍ، وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ لَهُ صَاحِبَةٌ فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا مَعْبُودًا، وَلَكِنَّ اللهَ الَّذِي لَهُ الْأُلُوهَةُ وَالْعِبَادَةُ، إِلَهٌ وَاحِدٌ مَعْبُودٌ، لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ وَلَا صَاحِبَةَ وَلَا شَرِيكَ.. ثُمَّ نَزَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَفْسَهُ وَعَظَّمَهَا وَرَفَعَهَا عَمَّا قَالَ فِيهِ أَعْدَاؤُهُ الْكَفَرَةُ بِهِ، فَقَالَ:..

﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ﴾ عَلَا اللهُ وَجَلَّ وَعَزَّ وَتَعَظَّمَ وَتَنَزَّهَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ أَوْ صَاحِبَةٌ..

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِبَادَهُ أَنَّ عِيسَىٰ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ عَبِيدُهُ وَمُلْكُهُ وَخَلْقُهُ، وَأَنَّهُ رَازِقُهُمْ وَخَالِقُهُمْ، وَأَنَّهُمْ أَهْلُ حَاجَةٍ وَفَاقَةٍ إِلَيْهِ، احْتِجَاجًا مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَىٰ مَنِ ادَّعَىٰ أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنُهُ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ ابْنَهُ كَمَا قَالُوا لَمْ يَكُنْ ذَا حَاجَةٍ إِلَيْهِ، وَلَا كَانَ لَهُ عَبْدًا مَمْلُوكًا، فَقَالَ: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ يَعْنِي: لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، مُلْكًا وَخَلْقًا، وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ وَيَقُوتُهُمْ وَيُدَبِّرُهُمْ، فَكَيْفَ يَكُونُ الْمَسِيحُ ابْنًا لِلَّهِ وَهُوَ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ غَيْرُ خَارِجٍ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ؟!..

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [النساء: ١٧١] وَحَسْبُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ بِاللهِ قَيِّمًا وَمُدَبِّرًا وَرَازِقًا، مِنَ الْحَاجَةِ مَعَهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ.

> ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢﴾ [النساء: ١٧٢].

﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ﴾ لَنْ يَأْنَفَ وَلَنْ يَسْتَكْبِرَ الْمَسِيحُ..

﴿أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ﴾ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ..

﴿وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ﴾ وَلَنْ يَسْتَنْكِفَ أَيْضًا مِنَ الْإِقْرَارِ لِلَّهِ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَالْإِذْعَانِ لَهُ بِذَلِكَ رُسُلُهُ الْمُقَرَّبُونَ الَّذِينَ قَرَّبَهُمُ اللهُ وَرَفَعَ مَنَازِلَهُمْ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ﴾ وَمَنْ يَتَعَظَّمْ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَيَأْنَفْ مِنَ التَّذَلُّلِ وَالْخُضُوعِ لَهُ بِالطَّاعَةِ مِنَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ، وَيَسْتَكْبِرْ عَنْ ذَلِكَ..

﴿فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢﴾ [النساء: ١٧٢] فَسَيَبْعَثُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَمِيعًا، فَيَجْمَعُهُمْ

لِمَوْعِدِهِمْ عِنْدَهُ.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ [النساء: ١٧٣].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الْمُقِرُّونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ..

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الْخَاضِعُونَ لَهُ بِالطَّاعَةِ، الْمُتَذَلِّلُونَ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَالْعَامِلُونَ الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَذَلِكَ أَنْ يَرِدُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، قَدْ آمَنُوا بِهِ وَبِرُسُلِهِ، وَعَمِلُوا بِمَا أَتَاهُمْ بِهِ رُسُلُهُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، مِنْ فِعْلِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا أَمَرَهُمْ بِاجْتِنَابِهِ..

﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ فَيُؤْتِيهِمْ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ وَافِيًا تَامًّا..

﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ وَيَزِيدُهُمْ عَلَىٰ مَا وَعَدَهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ وَالثَّوَابِ عَلَيْهَا مِنَ الْفَضْلِ وَالزِّيَادَةِ مَا لَمْ يُعَرِّفْهُمْ مَبْلَغَهُ وَلَمْ يَحُدَّ لَهُمْ مُنْتَهَاهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ وَعَدَ مَنْ جَاءَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَسَنَةِ الْوَاحِدَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا مِنَ الثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ، فَذَلِكَ هُوَ أَجْرُ كُلِّ عَامِلٍ عَلَىٰ عَمَلِهِ الصَّالِحِ -مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ- الْمَحْدُودِ مَبْلَغُهُ، وَالزِّيَادَةُ عَلَىٰ ذَلِكَ تَفَضُّلٌ مِنَ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، غَيْرَ أَنَّ الَّذِي وَعَدَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُوَفِّيَهُمْ فَلَا يُنْقِصَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ هُوَ مَا حَدَّ مَبْلَغَهُ مِنَ الْعَشْرِ، وَالزِّيَادَةُ عَلَىٰ ذَلِكَ غَيْرُ مَحْدُودٍ مَبْلَغُهَا، فَيَزِيدُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدْرَ مَا يَشَاءُ، لَا حَدَّ لِقَدْرِهِ يُوقَفُ عَلَيْهِ..

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ تَعَظَّمُوا عَنِ الْإِقْرَارِ لِلَّهِ بِالْعُبُودَةِ وَالْإِذْعَانِ لَهُ بِالطَّاعَةِ..

﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عَنِ التَّذَلُّلِ لِأُلُوهَتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَتَسْلِيمِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ لَهُ..

﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مُوجِعًا..

﴿وَلَا يَجِدُونَ﴾ وَلَا يَجِدُ الْمُسْتَنْكِفُونَ مِنْ عِبَادَتِهِ وَالْمُسْتَكْبِرُونَ عَنْهَا إِذَا عَذَّبَهُمُ اللهُ الْأَلِيمَ مِنْ عَذَابِهِ سِوَىٰ اللهِ..

﴿لَهُم﴾ لِأَنْفُسِهِمْ..

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ يُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِهِ وَيُنْقِذُهُمْ مِنْهُ..

﴿وَلَا نَصِيرًا ۝﴾ [النساء: ١٧٣] وَلَا نَاصِرًا يَنْصُرُهُمْ، فَيَسْتَنْقِذُهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ، وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ بِقُوَّتِهِ مَا أَحَلَّ بِهِمْ مِنْ نِقْمَتِهِ، كَالَّذِي كَانُوا يَفْعَلُونَ بِهِمْ إِذَا أَرَادَهُمْ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا فِي الدُّنْيَا بِسُوءٍ مِنْ نُصْرَتِهِمْ وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهُمْ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۝﴾ [النساء: ١٧٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ الْمِلَلِ، يَهُودِهَا وَنَصَارَاهَا وَمُشْرِكِيهَا، الَّذِينَ قَصَّ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَصَصَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ..

﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قَدْ جَاءَتْكُمْ حُجَّةٌ مِنَ اللهِ تُبَرْهِنُ لَكُمْ بُطُولَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ أَدْيَانِكُمْ وَمِلَلِكُمْ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ عَلَيْكُمْ حُجَّةً قَطَعَ بِهَا عُذْرَكُمْ، وَأَبْلَغَ إِلَيْكُمْ فِي الْمَعْذِرَةِ بِإِرْسَالِهِ إِلَيْكُمْ، مَعَ تَعْرِيفِهِ إِيَّاكُمْ صِحَّةَ نُبُوَّتِهِ وَتَحْقِيقَ رِسَالَتِهِ..

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۝﴾ [النساء: ١٧٤] وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مَعَهُ نُورًا مُبِينًا، يَعْنِي: يُبَيِّنُ لَكُمُ الْمَحَجَّةَ الْوَاضِحَةَ، وَالسُّبُلَ الْهَادِيَةَ إِلَىٰ مَا فِيهِ لَكُمُ النَّجَاةُ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ، إِنْ سَلَكْتُمُوهَا، وَاسْتَنَرْتُمْ بِضَوْئِهِ، وَذَلِكَ النُّورُ الْمُبِينُ هُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝﴾ [النساء: ١٧٥].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللهِ، وَأَقَرُّوا بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَمَا بَعَثَ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ..

﴿وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ﴾ وَتَمَسَّكُوا بِالنُّورِ الْمُبِينِ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَىٰ نَبِيِّهِ..

﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ فَسَوْفَ تَنَالُهُمْ رَحْمَتُهُ الَّتِي تُنْجِيهِمْ مِنْ عِقَابِهِ وَتُوجِبُ لَهُمْ ثَوَابَهُ وَرَحْمَتَهُ وَجَنَّتَهُ، وَيُلْحِقُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ مَا أَلْحَقَ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ، وَالتَّصْدِيقِ بِرُسُلِهِ..

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝﴾ [النساء: ١٧٥] وَيُوَفِّقُهُمْ لِإِصَابَةِ فَضْلِهِ الَّذِي تَفَضَّلَ بِهِ عَلَىٰ أَوْلِيَائِهِ، وَيُسَدِّدُهُمْ لِسُلُوكِ مَنْهَجِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، وَلِاقْتِفَاءِ آثَارِهِمْ، وَاتِّبَاعِ دِينِهِمْ، وَذَلِكَ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا

تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾»

[النساء: ١٧٦].

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ يَسْأَلُونَكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تُفْتِيَهُمْ فِي الْكَلَالَةِ، والْكَلَالَةُ عِنْدَنَا مَا عَدَا الْوَلَدَ وَالْوَالِدَ..

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ﴾ إِنْ إِنْسَانٌ مِنَ النَّاسِ مَاتَ..

﴿لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَۚ﴾ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَيِّتِ وَلَدٌ ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَى، وَكَانَ مَوْرُوثًا كَلَالَةً، النِّصْفُ مِنْ تَرِكَتِهِ فَرِيضَةً لَهَا مُسَمَّاةً؛ فَأَمَّا إِذَا كَانَ لِلْمَيِّتِ وَلَدٌ أُنْثَى فَهِيَ مَعَ عَصَبَةٍ يَصِيرُ لَهَا مَا كَانَ يَصِيرُ لِلْعَصَبَةِ غَيْرِهَا لَوْ لَمْ تَكُنْ، وَذَلِكَ غَيْرُ مَحْدُودٍ بِحَدٍّ، وَلَا مَفْرُوضٍ لَهَا فَرْضَ سِهَامِ أَهْلِ الْمِيرَاثِ بِمِيرَاثِهِمْ عَنْ مَيِّتِهِمْ..

﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۚ﴾ وَأَخُو الْمَرْأَةِ يَرِثُهَا إِنْ مَاتَتْ قَبْلَهُ، إِذَا وُرِثَتْ كَلَالَةً، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ..

﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ﴾ فَإِنْ كَانَتِ الْمَتْرُوكَةُ مِنَ الْأَخَوَاتِ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ أَوْ لِأَبِيهِ اثْنَتَيْنِ، فَلَهُمَا ثُلُثَا مَا تَرَكَ أَخُوهُمَا الْمَيِّتُ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ، وَلَدٌ وَوُرِثَ كَلَالَةً..

﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً﴾ وَإِنْ كَانَ الْمَتْرُوكُونَ مِنْ إِخْوَتِهِ..

﴿رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ﴾ مِنْهُمْ بِمِيرَاثِهِمْ عَنْهُ مِنْ تَرِكَتِهِ..

﴿مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۗ﴾ مِثْلُ نَصِيبِ اثْنَتَيْنِ مِنْ أَخَوَاتِهِ، وَذَلِكَ إِذَا وُرِثَ الْمَيِّتُ كَلَالَةً، وَالْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ إِخْوَتُهُ وَأَخَوَاتُهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، أَوْ لِأَبِيهِ..

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ قِسْمَةَ مَوَارِيثِكُمْ، وَحُكْمَ الْكَلَالَةِ، وَكَيْفَ فَرَائِضُهُمْ..

﴿أَن تَضِلُّواْۗ﴾ لِئَلَّا تَضِلُّوا فِي أَمْرِ الْمَوَارِيثِ وَقِسْمَتِهَا، أَيْ لِئَلَّا تَجُورُوا عَنِ الْحَقِّ فِي ذَلِكَ، وَتُخْطِئُوا الْحُكْمَ فِيهِ، فَتَضِلُّوا عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ..

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ مِنْ مَصَالِحِ عِبَادِهِ فِي قِسْمَةِ مَوَارِيثِهِمْ وَغَيْرِهَا وَجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ..

﴿عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ [النساء: ١٧٦] هُوَ بِذَلِكَ كُلِّهِ ذُو عِلْمٍ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ النِّسَاءِ

سُورَةُ المَائِدَةِ (٥) مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا عِشْرُونَ وَمِائَةٌ

تَفْسِيرُ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا المَائِدَةُ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ①﴾ [المائدة: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَأَقَرُّوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَأَذْعَنُوا لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَسَلَّمُوا لَهُ الأُلُوهَةَ، وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ فِي نُبُوَّتِهِ، وَفِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ مِنْ شَرَائِعِ دِينِهِ..

﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ أَوْفُوا بِالْعُهُودِ الَّتِي عَاهَدْتُمُوهَا رَبَّكُمْ، وَالَّتِي أَوْجَبَهَا عَلَيْكُمْ وَعَقَدَهَا، فِيمَا أَحَلَّ لَكُمْ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ، وَأَلْزَمَكُمْ فَرْضَهُ، وَبَيَّنَ لَكُمْ حُدُودَهُ، وَأَوْجَبْتُمْ بِهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ حُقُوقًا، وَأَلْزَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِهَا لِلَّهِ فُرُوضًا، فَأَتِمُّوهَا بِالْوَفَاءِ وَالْكَمَالِ وَالتَّمَامِ مِنْكُمْ لِلَّهِ بِمَا أَلْزَمَكُمْ بِهَا، وَلِمَنْ عَاقَدْتُمُوهُ مِنْكُمْ بِمَا أَوْجَبْتُمُوهُ لَهُ بِهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَنْكُثُوهَا فَتَنْقُضُوهَا بَعْدَ تَوْكِيدِهَا.. وَالْعُقُودُ: جَمْعُ عَقْدٍ، وَأَصْلُ الْعَقْدِ: عَقْدُ الشَّيْءِ بِغَيْرِهِ، وَهُوَ وَصْلُهُ بِهِ، كَمَا تَعْقِدُ الْحَبْلَ بِالْحَبْلِ إِذَا وُصِلَ بِهِ شَدًّا، يُقَالُ مِنْهُ: عَقَدَ فُلَانٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فُلَانٍ عَقْدًا فَهُوَ يَعْقِدُهُ، وَعَاهَدَهُ عَلَيْهِ عَهْدًا بِالْوَفَاءِ لَهُ بِمَا عَاقَدَهُ عَلَيْهِ، مِنْ أَمَانٍ وَذِمَّةٍ، أَوْ نُصْرَةٍ، أَوْ نِكَاحٍ، أَوْ بَيْعٍ، أَوْ شَرِكَةٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُقُودِ.. وَالإِيفَاءُ بِالْعَهْدِ: إِتْمَامُهُ عَلَىٰ مَا عُقِدَ عَلَيْهِ مِنْ شُرُوطِهِ الْجَائِزَةِ..

﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ كُلُّهَا، أَجِنَّتِهَا وَسِخَالِهَا وَكِبَارِهَا؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ لَا تَمْتَنِعُ مِنْ تَسْمِيَةِ جَمِيعِ ذَلِكَ بَهِيمَةً وَبَهَائِمَ، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ مِنْهَا شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ، فَذَلِكَ عَلَىٰ عُمُومِهِ وَظَاهِرِهِ حَتَّىٰ تَأْتِيَ حُجَّةٌ بِخُصُوصِهِ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا.. وَأَمَّا النَّعَمُ فَإِنَّهَا عِنْدَ الْعَرَبِ: اسْمٌ لِلْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ خَاصَّةً، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ⑤﴾ [النحل: ٥] ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ﴾ [النحل: ٨] فَفَصَلَ جِنْسَ النَّعَمِ مِنْ غَيْرِهَا مِنْ أَجْنَاسِ الْحَيَوَانِ.. وَأَمَّا بَهَائِمُهَا فَإِنَّهَا أَوْلَادُهَا، وَإِنَّمَا قُلْنَا: يَلْزَمُ الْكِبَارَ مِنْهَا اسْمُ بَهِيمَةٍ كَمَا يَلْزَمُ الصِّغَارَ، لِأَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِ الْقَائِلِ: بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ، نَظِيرُ قَوْلِهِ: وَلَدُ الأَنْعَامِ؛

فَلَمَّا كَانَ لَا يَسْقُطُ مَعْنَى الْوِلَادَةِ عَنْهُ بَعْدَ الْكِبَرِ، فَكَذَلِكَ لَا يَسْقُطُ عَنْهُ اسْمُ الْبَهِيمَةِ بَعْدَ الْكِبَرِ، وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ: بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ: وَحْشِيُّهَا كَالظِّبَاءِ وَبَقَرِ الْوَحْشِ وَالْحُمُرِ..

﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ مِنْ تَحْرِيمِ اللهِ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] الْآيَةُ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ اسْتَثْنَىٰ مِمَّا أَبَاحَ لِعِبَادِهِ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا، وَالَّذِي حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا مَا بَيَّنَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ [المائدة: ٣]..

﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ لَا مُحِلِّينَ الصَّيْدَ فِي حَرَمِكُمْ، فَفِيمَا أَحَلَّ لَكُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ الْمُذَكَّاةِ دُونَ مِيتَتِهَا مُتَّسَعٌ لَكُمْ وَمُسْتَغْنَىٰ عَنِ الصَّيْدِ فِي حَالِ إِحْرَامِكُمْ..

﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ①﴾ [المائدة: ١] إِنَّ اللهَ يَقْضِي فِي خَلْقِهِ مَا يَشَاءُ مِنْ تَحْلِيلِ مَا أَرَادَ تَحْلِيلَهُ، وَتَحْرِيمِ مَا أَرَادَ تَحْرِيمَهُ، وَإِيجَابِ مَا شَاءَ إِيجَابَهُ عَلَيْهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِهِ وَقَضَايَاهُ، فَأَوْفُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَهُ بِمَا عَقَدَ عَلَيْكُمْ مِنْ تَحْلِيلِ مَا أَحَلَّ لَكُمْ وَتَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عُقُودِهِ، فَلَا تَنْكُثُوهَا وَلَا تَنْقُضُوهَا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ②﴾ [المائدة: ٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا﴾ لَا تَسْتَحِلُّوا..

﴿شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ مَعَالِمَ حُدُودِ اللهِ، وَأَمْرِهِ، وَنَهْيِهِ، وَفَرَائِضِهِ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مَعَالِمُ اللهِ كُلُّهَا فِي مَنَاسِكِ الْحَجِّ، مِنْ تَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ اللهُ إِصَابَتَهُ فِيهَا عَلَىٰ الْمُحْرِمِ، وَتَضْيِيعُ مَا نَهَىٰ عَنْ تَضْيِيعِهِ فِيهَا، وَفِيمَا حَرَّمَ مِنَ اسْتِحْلَالِ حُرُمَاتِ حَرَمِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ مَعَالِمِهِ وَشَعَائِرِهِ الَّتِي جَعَلَهَا أَمَارَاتٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، يُعْلَمُ بِهَا حَلَالُهُ وَحَرَامُهُ وَأَمْرُهُ وَنَهْيُهُ، فَلَا تُحِلُّوا حُرُمَاتِ اللهِ، وَلَا تُضِيعُوا فَرَائِضَهُ.. فَنَهَىٰ عَنِ اسْتِحْلَالِ شَعَائِرِهِ وَمَعَالِمِ حُدُودِهِ وَإِحْلَالِهَا، نَهْيًا عَامًّا مِنْ غَيْرِ اخْتِصَاصِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ دُونَ شَيْءٍ، فَلَمْ يَجُزْ لِأَحَدٍ أَنْ يُوَجِّهَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ الْخُصُوصِ إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا.. وَالشَّعَائِرُ جَمْعُ شَعِيرَةٍ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: قَدْ شَعَرَ فُلَانٌ بِهَذَا الْأَمْرِ: إِذَا عَلِمَ بِهِ، فَالشَّعَائِرُ: الْمَعَالِمُ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَلَا﴾ تَسْتَحِلُّوا..

﴿ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ بِقِتَالِكُمْ بِهِ أَعْدَاءَكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ﴾ [البقرة: ٢١٧].. وَأَمَّا الشَّهْرُ الْحَرَامُ الَّذِي عَنَاهُ اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ فَرَجَبُ، وَهُوَ شَهْرٌ كَانَتْ مُضَرُ تُحَرِّمُ فِيهِ الْقِتَالَ..

﴿وَلَا﴾ تَسْتَحِلُّوا..

﴿ٱلۡهَدۡيَ﴾ وَهُوَ مَا أَهْدَاهُ الْمَرْءُ مِنْ بَعِيرٍ أَوْ بَقَرَةٍ أَوْ شَاةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ، تَقَرُّبًا بِهِ إِلَىٰ اللهِ، وَطَلَبَ ثَوَابِهِ، فَتَغْصِبُوا أَهْلَهُ عَلَيْهِ، وَلَا تَحُولُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا أَهْدَوْا مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَبْلُغُوا بِهِ الْمَحِلَّ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ مَحِلَّهُ مِنْ كَعْبَتِهِ..

﴿وَلَا﴾ تُحِلُّوا أَيْضًا..

﴿ٱلۡقَلَـٰٓئِدَ﴾ الْمُقَلَّدَ، هَدْيًا كَانَ ذَلِكَ أَوْ إِنْسَانًا، دُونَ حُرْمَةِ الْقِلَادَةِ؛ وَأَنَّ اللهَ عَزَّ ذِكْرُهُ إِنَّمَا دَلَّ بِتَحْرِيمِهِ حُرْمَةَ الْقِلَادَةِ عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَا مِنْ حُرْمَةِ الْمُقَلَّدِ، فَاجْتَزَأَ بِذِكْرِهِ الْقَلَائِدَ مِنْ ذِكْرِ الْمُقَلَّدِ؛ إِذْ كَانَ مَفْهُومًا عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ مَعْنَىٰ مَا أُرِيدَ بِهِ..

﴿وَلَا﴾ تُحِلُّوا..

﴿ءَآمِّينَ﴾ قَاصِدِينَ، تَقُولُ مِنْهُ: أَمَمْتُ كَذَا: إِذَا قَصَدْتُهُ وَعَمَدْتُهُ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: يَمَمْتُهُ..

﴿ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾ بَيْتُ اللهِ الَّذِي بِمَكَّةَ؛ وَقَدْ بَيَّنْتُ فِيمَا مَضَىٰ لِمَ قِيلَ لَهُ الْحَرَامُ..

﴿يَبۡتَغُونَ﴾ يَطْلُبُونَ وَيَلْتَمِسُونَ..

﴿فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ يَلْتَمِسُونَ أَرْبَاحًا فِي تِجَارَتِهِمْ مِنَ اللهِ..

﴿وَرِضۡوَٰنٗاۚ﴾ وَأَنْ يَرْضَىٰ اللهُ عَنْهُمْ بِنُسُكِهِمْ، فَلَا يُحِلُّ بِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا مَا أَحَلَّ بِغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُمْ بِحَجِّهِمْ بَيْتَهُ.. وَنَسَخَ اللهُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلَهُ: ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾؛ لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ قَدْ أَحَلَّ قِتَالَ أَهْلِ الشِّرْكِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ وَغَيْرِهَا مِنْ شُهُورِ السَّنَةِ كُلِّهَا، وَكَذَلِكَ أَجْمَعُوا عَلَىٰ أَنَّ الْمُشْرِكَ لَوْ قَلَّدَ عُنُقَهُ أَوْ ذِرَاعَيْهِ لِحَاءَ جَمِيعِ أَشْجَارِ الْحَرَمِ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَهُ أَمَانًا مِنَ الْقَتْلِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ تَقَدَّمَ لَهُ عَقْدُ ذِمَّةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ أَمَانٌ.. فَلَا شَكَّ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥] نَاسِخٌ لَهُ، لِأَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ اجْتِمَاعُ الْأَمْرِ بِقَتْلِهِمْ وَتَرْكِ قَتْلِهِمْ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ وَوَقْتٍ وَاحِدٍ، وَفِي إِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ حُكْمَ اللهِ فِي أَهْلِ الْحَرْبِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُهُمْ، أَمُّوا الْبَيْتَ الْحَرَامَ أَوِ الْبَيْتَ الْمُقَدَّسَ فِي أَشْهُرِ الْحُرُمِ وَغَيْرِهَا، مَا يُعْلَمُ أَنَّ الْمَنْعَ مِنْ قَتْلِهِمْ إِذَا أَمُّوا الْبَيْتَ الْحَرَامَ مَنْسُوخٌ..

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ الصَّيْدَ الَّذِي نَهَيْتُكُمْ أَنْ تُحِلُّوهُ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي اصْطِيَادِهِ، وَاصْطَادُوا إِنْ شِئْتُمْ حِينَئِذٍ، لِأَنَّ الْمَعْنَىٰ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ كُنْتُ حَرَّمْتُهُ عَلَيْكُمْ فِي حَالِ إِحْرَامِكُمْ قَدْ زَالَ..

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ..

﴿شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ بُغْضُ قَوْمٍ..

﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ مِنْ أَجْلِ أَنْ صَدُّوكُمْ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ..

﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ إِذَا أَرَدْتُمْ دُخُولَهُ، لِأَنَّ الَّذِينَ حَارَبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مِنْ قُرَيْشٍ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، قَدْ حَاوَلُوا صَدَّهُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، قَبْلَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنَ الصَّادِّينَ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَالصَّدُّ قَدْ كَانَ تَقَدَّمَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

﴿أَن تَعْتَدُوا﴾ عَلَيْهِم، وأَنْ تُجَاوِزُوا حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ إِلَىٰ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَلَكِنِ الْزَمُوا طَاعَةَ اللهِ فِيمَا أَحْبَبْتُمْ وَكَرِهْتُمْ.. فَنَهَىٰ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الِاعْتِدَاءِ عَلَىٰ الصَّادِّينَ مِنْ أَجْلِ صَدِّهِمْ إِيَّاهُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..

﴿وَتَعَاوَنُوا﴾ وَلْيُعِنْ بَعْضُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بَعْضًا..

﴿عَلَى الْبِرِّ﴾ وَهُوَ الْعَمَلُ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِالْعَمَلِ بِهِ، ولِيُعِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْأَمْرِ بِالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ مَا حَدَّهُ اللهُ لَكُمْ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفِي غَيْرِهِمْ..

﴿وَالتَّقْوَىٰ﴾ هُوَ اتِّقَاءُ مَا أَمَرَ اللهُ بِاتِّقَائِهِ وَاجْتِنَابِهِ مِنْ مَعَاصِيهِ، وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَاكُمُ اللهُ أَنْ تَأْتُوا فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفِي غَيْرِهِمْ وَفِي سَائِرِ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ..

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا﴾ وَلَا يُعِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا..

﴿عَلَى الْإِثْمِ﴾ عَلَىٰ تَرْكِ مَا أَمَرَكُمُ اللهُ بِفِعْلِهِ..

﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ وَلَا عَلَىٰ أَنْ تَتَجَاوَزُوا مَا حَدَّ اللهُ لَكُمْ فِي دِينِكُمْ، وَفَرَضَ لَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ وَفِي غَيْرِكُمْ..

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وَاحْذَرُوا اللهَ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- أَنْ تَلْقَوْهُ فِي مَعَادِكُمْ وَقَدِ اعْتَدَيْتُمْ حَدَّهُ فِيمَا حَدَّ لَكُمْ، وَخَالَفْتُمْ أَمْرَهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، أَوْ نَهْيَهُ فِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، فَتَسْتَوْجِبُوا عِقَابَهُ وَتَسْتَحِقُّوا أَلِيمَ عَذَابِهِ، ثُمَّ وَصَفَ عِقَابَهُ بِالشِّدَّةِ، فَقَالَ عَزَّ ذِكْرُهُ..

﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾ [المائدة: ٢] إِنَّ اللهَ شَدِيدٌ عِقَابُهُ لِمَنْ عَاقَبَهُ مِنْ خَلْقِهِ، لِأَنَّهَا نَارٌ لَا يُطْفَأُ حَرُّهَا، وَلَا يُخْمَدُ جَمْرُهَا، وَلَا يَسْكُنُ لَهَبُهَا، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْهَا، وَمِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُنَا مِنْهَا.. وَهَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَتَهْدِيدٌ لِمَنِ اعْتَدَىٰ حَدَّهُ، وَتَجَاوَزَ أَمْرَهُ.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ [المائدة: ٣].

﴿حُرِّمَتْ﴾ حَرَّمَ اللهُ..

﴿عَلَيْكُمُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿الْمَيْتَةُ﴾ كُلُّ مَا لَهُ نَفْسٌ سَائِلَةٌ مِنْ دَوَابِّ الْبَرِّ وَطَيْرِهِ، مِمَّا أَبَاحَ اللهُ أَكْلَهَا، وَأَهْلِيِّهَا وَوَحْشِيِّهَا، فَارَقَتْهَا رُوحُهَا بِغَيْرِ تَذْكِيَةٍ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: الْمَيْتَةُ: هُوَ كُلُّ مَا فَارَقَتْهُ الْحَيَاةُ مِنْ دَوَابِّ الْبَرِّ وَطَيْرِهِ بِغَيْرِ تَذْكِيَةٍ، مِمَّا أَحَلَّ اللهُ أَكْلَهُ..

﴿وَالدَّمُ﴾ الْمَسْفُوحُ، دُونَ مَا كَانَ مِنْهُ غَيْرَ مَسْفُوحٍ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٥] فَأَمَّا مَا كَانَ قَدْ صَارَ فِي مَعْنَى اللَّحْمِ، كَالْكَبِدِ وَالطِّحَالِ، وَمَا كَانَ فِي اللَّحْمِ غَيْرَ مُنْسَفِحٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ حَرَامٍ؛ لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ، أَهْلِيَّهُ وَبَرِّيَّهُ.. فَالْمَيْتَةُ وَالدَّمُ مَخْرَجُهُمَا فِي الظَّاهِرِ مَخْرَجَ عُمُومٍ، وَالْمُرَادُ مِنْهُمَا الْخُصُوصُ، وَأَمَّا لَحْمُ الْخِنْزِيرِ، فَإِنَّ ظَاهِرَهُ كَبَاطِنِهِ وَبَاطِنَهُ كَظَاهِرِهِ، حَرَامٌ جَمِيعُهُ لَمْ يُخَصَّصْ مِنْهُ شَيْءٌ..

﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ وَمَا ذُكِرَ عَلَيْهِ غَيْرُ اسْمِ اللهِ.. وَأَصْلُهُ مِنِ اسْتِهْلَالِ الصَّبِيِّ وَذَلِكَ إِذَا صَاحَ حِينَ يَسْقُطُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، وَمِنْهُ إِهْلَالُ الْمُحْرِمِ بِالْحَجِّ إِذَا لَبَّىٰ بِهِ..

﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ هِيَ الَّتِي تَخْتَنِقُ، إِمَّا فِي وَثَاقِهَا، وَإِمَّا بِإِدْخَالِ رَأْسِهَا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ التَّخَلُّصِ مِنْهُ، فَتَخْتَنِقَ حَتَّىٰ تَمُوتَ..

﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ وَالْمَيْتَةُ وَقِيذًا، وهي الَّتِي تُضْرَبُ حَتَّىٰ يَقِذَهَا فَتَمُوتَ..

﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ وَحَرَّمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ تَرَدِّيًا مِنْ جَبَلٍ، أَوْ فِي بِئْرٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وتَرَدِّيهَا: رَمْيُهَا مِنْ مَكَانٍ عَالٍ مُشْرِفٍ إِلَىٰ سُفْلِهِ..

﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ الشَّاةُ الَّتِي تَنْطَحُهَا أُخْرَىٰ فَتَمُوتُ مِنَ النِّطَاحِ بِغَيْرِ تَذْكِيَةٍ، فَحَرَّمَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَلِكَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ لَمْ يُدْرِكُوا ذَكَاتَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ.. وَأَصْلُ النَّطِيحَةِ: الْمَنْطُوحَةُ، صُرِفَتْ مِنْ مَفْعُولَةٍ إِلَىٰ فَعِيلَةٍ..

﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ مَا أَكَلَ السَّبُعُ غَيْرُ الْمُعَلَّمِ مِنَ الصَّوَائِدِ..

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إِلَّا مَا طَهَّرْتُمُوهُ بِالذَّبْحِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ طَهُورًا.. فَكُلُّ مَا أُدْرِكَتْ ذَكَاتُهُ مِنْ طَائِرٍ أَوْ بَهِيمَةٍ قَبْلَ خُرُوجِ نَفْسِهِ وَمُفَارَقَةِ رُوحِهِ جَسَدَهُ، فَحَلَالٌ أَكْلُهُ، إِذَا كَانَ مِمَّا أَحَلَّهُ اللهُ لِعِبَادِهِ..

﴿وَمَا﴾ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَيْضًا الَّذِي..

﴿ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ وَالنُّصُبُ: الْأَوْثَانُ مِنَ الْحِجَارَةِ، جَمَاعَةُ أَنْصَابٍ، كَانَتْ تُجْمَعُ فِي الْمَوْضِعِ مِنَ الْأَرْضِ، فَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يُقَرِّبُونَ لَهَا، وَلَيْسَتْ بِأَصْنَامٍ..

﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ وَأَنْ تَطْلُبُوا عِلْمَ مَا قُسِمَ لَكُمْ أَوْ لَمْ يُقْسَمْ بِالْأَزْلَامِ، وَهُوَ اسْتَفْعَلْتُ مِنَ الْقَسْمِ، قَسْمِ الرِّزْقِ وَالْحَاجَاتِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَوْ غَزْوًا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، أَجَالَ الْقِدَاحَ، وَهِيَ الْأَزْلَامُ، وَكَانَتْ قِدَاحًا مَكْتُوبًا عَلَىٰ بَعْضِهَا: نَهَانِي رَبِّي، وَعَلَىٰ بَعْضِهَا: أَمَرَنِي رَبِّي، فَإِنْ خَرَجَ الْقَدَحُ الَّذِي هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ: أَمَرَنِي رَبِّي، مَضَىٰ لِمَا أَرَادَ مِنْ سَفَرٍ أَوْ غَزْوٍ أَوْ تَزْوِيجٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَإِنْ خَرَجَ الَّذِي عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ: نَهَانِي رَبِّي، كَفَّ عَنِ الْمُضِيِّ لِذَلِكَ وَأَمْسَكَ، فَقِيلَ: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ لِأَنَّهُمْ بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ كَانُوا كَأَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ أَزْلَامَهُمْ أَنْ يَقْسِمْنَ لَهُمْ.. وَأَمَّا الْأَزْلَامُ، فَإِنَّ وَاحِدَهَا زَلَمٌ، وَيُقَالُ زُلَمٌ، وَهِيَ الْقِدَاحُ الَّتِي وَصَفْنَا أَمْرَهَا..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي ذَكَرَهَا، وَذَلِكَ أَكْلُ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَسَائِرِ مَا ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِمَّا حَرَّمَ أَكْلَهُ، وَالِاسْتِقْسَامُ بِالْأَزْلَامِ..

﴿فِسْقٌ﴾ خُرُوجٌ عَنْ أَمْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ إِلَىٰ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَزَجَرَ، وَإِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ..

﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾ الْآنَ انْقَطَعَ طَمَعُ الْأَحْزَابِ وَأَهْلِ الْكُفْرِ وَالْجُحُودِ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- مِنْ دِينِكُمْ، يَقُولُ: مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَتْرُكُوهُ، فَتَرْتَدُّوا عَنْهُ رَاجِعِينَ إِلَىٰ الشِّرْكِ..

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ -هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَدْ يَئِسُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا عَنْهُ- مِنَ الْكُفَّارِ، وَلَا تَخَافُوهُمْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ فَيَقْهَرُوكُمْ وَيَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ..

﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ وَلَكِنْ خَافُونِ إِنْ أَنْتُمْ خَالَفْتُمْ أَمْرِي وَاجْتَرَأْتُمْ عَلَىٰ مَعْصِيَتِي وَتَعَدَّيْتُمْ حُدُودِي، أَنْ أُحِلَّ بِكُمْ عِقَابِي، وَأُنْزِلَ بِكُمْ عَذَابِي..

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَخْبرَ نَبِيَّهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ، أَنَّهُ أَكْمَلَ لَهُمْ -يَوْمَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ- دِينَهُمْ، بِإِفْرَادِهِمْ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ، وَإِجْلَائِهِ عَنْهُ الْمُشْرِكِينَ، حَتَّىٰ حَجَّهُ الْمُسْلِمُونَ دُونَهُمْ، لَا يُخَالِطُونَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَأَمَّا الْفَرَائِضُ وَالْأَحْكَامُ، فَإِنَّهُ قَدِ اخْتُلِفَ فِيهَا، هَلْ كَانَتْ أُكْمِلَتْ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَمْ لَا؟..

﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ وَأَتْمَمْتُ نِعْمَتِي أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، بِإِظْهَارِكُمْ عَلَىٰ عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَنَفْيِي إِيَّاهُمْ عَنْ بِلَادِكُمْ، وَقَطْعِي طَمَعَهُمْ مِنْ رُجُوعِكُمْ، وَعَوْدِكُمْ إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ..

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ﴾ وَرَضِيتُ لَكُمُ الِاسْتِسْلَامَ لِأَمْرِي وَالِانْقِيَادَ لِطَاعَتِي، عَلَىٰ مَا شَرَعْتُ لَكُمْ مِنْ حُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ وَمَعَالِمِهِ..

﴿دِينٗا﴾ طَاعَةً مِنْكُمْ لِي.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَ مَا كَانَ اللهُ رَاضِيًا الْإِسْلَامَ لِعِبَادِهِ، إِلَّا يَوْمَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ؟ قِيلَ: لَمْ يَزَلِ اللهُ رَاضِيًا لِخَلْقِهِ الْإِسْلَامَ دِينًا، وَلَكِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يَزَلْ يَصْرِفُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَصْحَابَهُ فِي دَرَجَاتِهِ وَمَرَاتِبِهِ دَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَةٍ وَمَرْتَبَةً بَعْدَ مَرْتَبَةٍ وَحَالًا بَعْدَ حَالٍ، حَتَّىٰ أَكْمَلَ لَهُمْ شَرَائِعَهُ وَمَعَالِمَهُ، وَبَلَغَ بِهِمْ أَقْصَىٰ دَرَجَاتِهِ وَمَرَاتِبِهِ، ثُمَّ قَالَ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ بِالصِّفَةِ الَّتِي هُوَ بِهَا الْيَوْمَ، وَالْحَالُ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا الْيَوْمَ مِنْهُ ﴿دِينٗا﴾ فَالْزَمُوهُ وَلَا تُفَارِقُوهُ.. قَالَتِ الْيَهُودُ لِعُمَرَ: إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ آيَةً لَوْ أُنْزِلَتْ فِينَا لَاتَّخَذْنَاهَا عِيدًا، فَقَالَ عُمَرُ: (إِنِّي لَأَعْلَمُ حِينَ أُنْزِلَتْ، وَأَيْنَ نَزَلَتْ، وَأَيْنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَتْ؛ أُنْزِلَتْ يَوْمَ عَرَفَةَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾)..

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾ إِلَىٰ أَكْلِ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْهِ -مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- مِنَ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ، وَسَائِرِ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْآيَةِ..

﴿فِي مَخۡمَصَةٍ﴾ فِي مَجَاعَةٍ..

﴿غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ﴾ ومُتَمَايِلٍ، ومُنْحَرِفٍ، ومُتَعَمِّدٍ، وقَاصِدٍ..

﴿لِّإِثۡمٖ﴾ وَهُوَ تَعَمُّدُهُ الْأَكْلَ لِغَيْرِ دَفْعِ الضَّرُورَةِ النَّازِلَةِ بِهِ، وَلَكِنْ لِمَعْصِيَةِ اللهِ وَخِلَافِ أَمْرِهِ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ مِنْ تَرْكِ أَكْلِ ذَلِكَ..

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ لِمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ إِلَىٰ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْهِ مِمَّا ذَكَرْتُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ﴾ فَأَكَلَهُ فَإِنَّ اللهَ..

﴿غَفُورٌ﴾ لِمَنْ أَكَلَ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْهِ -بِهَذِهِ الْآيَةِ- أَكْلَهُ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ، يَسْتُرُ لَهُ عَنْ أَكْلِهِ مَا أَكَلَ مِنْ ذَلِكَ، بِعَفْوِهِ عَنْ مُؤَاخَذَتِهِ إِيَّاهُ، وَصَفْحِهِ عَنْهُ، وَعَنْ عُقُوبَتِهِ عَلَيْهِ..

﴿رَّحِيمٌ ③﴾ [المائدة: ٣] وَهُوَ بِهِ رَفِيقٌ، مِنْ رَحْمَتِهِ وَرِفْقِهِ بِهِ أَبَاحَ لَهُ أَكْلَ مَا أَبَاحَ لَهُ أَكْلَهُ مِنَ الْمَيْتَةِ وَسَائِرِ مَا ذُكِرَ مَعَهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فِي حَالِ خَوْفِهِ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ كَلَبِ الْجُوعِ، وَضَرِّ الْحَاجَةِ الْعَارِضَةِ بِبَدَنِهِ.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ④﴾
[المائدة: ٤].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يَسْأَلُكَ يَا مُحَمَّدُ أَصْحَابُكَ..

﴿مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ﴾ أَكْلُهُ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَآكِلِ فَـ..

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ..

﴿أُحِلَّ لَكُمُ﴾ مِنْهَا..

﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ وَهِيَ الْحَلَالُ الَّذِي أَذِنَ لَكُمْ رَبُّكُمْ فِي أَكْلِهِ مِنَ الذَّبَائِحِ..

﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ وَأُحِلَّ لَكُمْ أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ صَيْدُ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ، وَهُنَّ الْكَوَاسِبُ مِنْ سِبَاعِ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ، سُمِّيَتْ جَوَارِحُ لِجَرْحِهَا لِأَرْبَابِهَا، وَكَسْبِهَا إِيَّاهُمْ أَقْوَاتَهُمْ مِنَ الصَّيْدِ.. فَكُلُّ مَا صَادَ مِنَ الطَّيْرِ وَالسِّبَاعِ فَمِنَ الْجَوَارِحِ، وَإِنَّ صَيْدَ جَمِيعِ ذَلِكَ حَلَالٌ، إِذَا صَادَ بَعْدَ التَّعْلِيمِ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ كُلَّ جَارِحَةٍ، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْهَا شَيْئًا، فَكُلُّ جَارِحَةٍ كَانَتْ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَ اللهُ مِنْ كُلِّ طَائِرٍ وَسَبُعٍ فَحَلَالٌ أَكْلُ صَيْدِهَا، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِنَحْوِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ خَبَرٌ، مَعَ مَا فِي الْآيَةِ مِنَ الدَّلَالَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا، عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ، وَهُوَ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ عَنْ صَيْدِ الْبَازِي، فَقَالَ: «**مَا أَمْسَكَ عَلَيْكَ فَكُلْ**»، فَأَبَاحَ ﷺ صَيْدَ الْبَازِي وَجَعَلَهُ مِنَ الْجَوَارِحِ، وَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ بَيِّنَةٌ عَلَى فَسَادِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: عَنَى اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ مَا عَلَّمْنَا مِنَ الْكِلَابِ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ الْجَوَارِحِ..

﴿مُكَلِّبِينَ﴾ صِفَةٌ لِلْقَانِصِ، وَإِنْ صَادَ بِغَيْرِ الْكِلَابِ فِي بَعْضِ أَحْيَانِهِ، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِ الْقَائِلِ يُخَاطِبُ قَوْمًا: أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ، وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ مُؤَمِّنِينَ، فَمَعْلُومٌ أَنَّهُ إِنَّمَا عَنَى

قَائِلُ ذَلِكَ إِخْبَارَ الْقَوْمِ أَنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَحَلَّ لَهُمْ فِي حَالِ كَوْنِهِمْ أَهْلَ إِيمَانٍ الطَّيِّبَاتِ، وَصَيْدَ الْجَوَارِحِ الَّتِي أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُمْ مِنْهُ إِلَّا مَا صَادُوهُ بِهَا، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ لِذَلِكَ نَظِيرُهُ فِي أَنَّ التَّكْلِيبَ لِلْقَانِصِ بِالْكِلَابِ كَانَ صَيْدُهُ أَوْ بِغَيْرِهَا، لَا أَنَّهُ إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ مِنَ الصَّيْدِ إِلَّا مَا صَادَتْهُ الْكِلَابُ.. فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ فِي قَوْلِهِ ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ دَلَالَةً عَلَىٰ أَنَّ الْجَوَارِحَ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ هِيَ الْكِلَابُ خَاصَّةً، فَقَدْ ظَنَّ غَيْرَ الصَّوَابِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَىٰ الْآيَةِ: قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِي حَالِ مَصِيرِكُمْ أَصْحَابَ كِلَابٍ الطَّيِّبَاتِ، وَصَيْدِ مَا عَلَّمْتُمُوهُ الصَّيْدَ مِنْ كَوَاسِبِ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ..

﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ تُؤَدِّبُونَ الْجَوَارِحَ، فَتُعَلِّمُونَهُنَّ طَلَبَ الصَّيْدِ لَكُمْ..

﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ مِنَ التَّأْدِيبِ الَّذِي أَدَّبَكُمُ اللهُ، وَالْعِلْمِ الَّذِي عَلَّمَكُمْ.. وَالتَّعْلِيمُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِلْجَوَارِحِ، إِنَّمَا هُوَ أَنْ يُعَلِّمَ الرَّجُلُ جَارِحَهُ الِاسْتِشْلَاءَ إِذَا أُشْلِيَ عَلَىٰ الصَّيْدِ، وَطَلَبَهُ إِيَّاهُ إِذَا أُغْرِيَ، أَوْ إِمْسَاكَهُ عَلَيْهِ إِذَا أَخَذَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا، وَأَلَّا يَفِرَّ مِنْهُ إِذَا أَرَادَهُ، وَأَنْ يُجِيبَهُ إِذَا دَعَاهُ، فَذَلِكَ هُوَ تَعْلِيمُ جَمِيعِ الْجَوَارِحِ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا، وَإِنْ أَكَلَ مِنَ الصَّيْدِ جَارِحَةُ صَائِدٍ، فَجَارِحُهُ حِينَئِذٍ غَيْرُ مُعَلَّمٍ، فَإِنْ أَدْرَكَ صيدَه صَاحِبُهُ حَيًّا فَذَكَّاهُ حَلَّ لَهُ أَكْلُهُ، وَإِنْ أَدْرَكَهُ مَيِّتًا لَمْ يَحِلَّ لَهُ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا أَكَلَهُ السَّبُعُ الَّذِي حَرَّمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ وَلَمْ يُدْرِكْ ذَكَاتَهُ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ؛ لِتَظَاهُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِهِ، فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الصَّيْدِ، فَقَالَ: «**إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ فَاذْكُرِ اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَدْرَكْتَهُ وَقَدْ قَتَلَ وَأَكَلَ مِنْهُ، فَلَا تَأْكُلْ مِنْهُ شَيْئًا، فَإِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَىٰ نَفْسِهِ**».. وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي الْكَلْبِ عَلَىٰ مَا ذَكَرْتُ، مِنْ أَنَّهُ إِذَا أَكَلَ مِنَ الصَّيْدِ فَغَيْرُ مُعَلَّمٍ، فَكَذَلِكَ حُكْمُ كُلِّ جَارِحَةٍ فِي أَنَّ مَا أَكَلَ مِنْهَا مِنَ الصَّيْدِ فَغَيْرُ مُعَلَّمٍ، لَا يَحِلُّ لَهُ أَكْلُ صَيْدِهِ إِلَّا أَنْ يُدْرِكَ ذَكَاتَهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا أَنْتَ قَائِلٌ فِيمَا أُسْنِدَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِذَا أَرْسَلَ الرَّجُلُ كَلْبَهُ عَلَىٰ الصَّيْدِ فَأَدْرَكَهُ وَقَدْ أَكَلَ مِنْهُ، فَلْيَأْكُلْ مَا بَقِيَ**»، قِيلَ: هَذَا خَبَرٌ فِي إِسْنَادِهِ نَظَرٌ، فَإِنَّ سَعِيدًا غَيْرُ مَعْلُومٍ لَهُ سَمَاعٌ مِنْ سَلْمَانَ، وَالثِّقَاتُ مِنْ أَهْلِ الْآثَارِ يَقِفُونَ هَذَا الْكَلَامَ عَلَىٰ سَلْمَانَ وَيَرْوُونَهُ عَنْهُ مِنْ قِبَلِهِ غَيْرَ مَرْفُوعٍ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْحُفَّاظُ الثِّقَاتُ إِذَا تَتَابَعُوا عَلَىٰ نَقْلِ شَيْءٍ بِصِفَةٍ فَخَالَفَهُمْ وَاحِدٌ مُنْفَرِدٌ لَيْسَ لَهُ حِفْظُهُمْ، كَانَتِ الْجَمَاعَةُ الْأَثْبَاتُ أَحَقَّ بِصِحَّةِ مَا نَقَلُوا مِنَ الْفَرْدِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ حِفْظُهُمْ..

﴿فَكُلُوا۟﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِمَّآ أَمْسَكْنَ﴾ مِمَّا أَمْسَكَتْ..

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جَوَارِحُكُمْ.. فَإِنْ أَكَلَتِ الْجَوَارِحُ مِنْهُ بَعْضًا وَأَمْسَكَتْ بَعْضًا، فَالَّذِي أَمْسَكَتْ مِنْهُ غَيْرُ جَائِزٍ أَكْلُهُ وَقَدْ أَكَلَتْ بَعْضَهُ؛ لِأَنَّهَا إِنَّمَا أَمْسَكَتْ مَا أَمْسَكَتْ مِنْ ذَلِكَ الصَّيْدِ بَعْدَ الَّذِي أَكَلَتْ مِنْهُ عَلَىٰ أَنْفُسِهَا لَا عَلَيْنَا، وَاللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِنَّمَا أَبَاحَ لَنَا كُلَّ مَا أَمْسَكَتْهُ جَوَارِحُنَا الْمُعَلَّمَةُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ دُونَ مَا أَمْسَكَتْهُ عَلَىٰ أَنْفُسِهَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ دُخُولِ (مِنْ) فِي قَوْلِهِ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وَقَدْ أَحَلَّ اللهُ لَنَا صَيْدَ جَوَارِحِنَا الْحَلَالِ، وَ(مَنْ) إِنَّمَا تَدْخُلُ فِي الْكَلَامِ مُبَعِّضَةً لِمَا دَخَلَتْ فِيهِ؟ قيل: مَعْنَىٰ دُخُولِهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ لِلتَّبْعِيضِ، إِذْ كَانَتِ الْجَوَارِحُ تُمْسِكُ عَلَىٰ أَصْحَابِهَا مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ لُحُومَهُ وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ فَرْثَهُ وَدَمَهُ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ جَوَارِحُكُمُ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي أَحْلَلْتُ لَكُمْ (مِنْ) لُحُومِهَا، دُونَ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ (مِنْ) خَبَائِثِهِ، (مِنَ) الْفَرْثِ وَالدَّمِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ أُطَيِّبْهُ لَكُمْ، فَذَلِكَ مَعْنَىٰ دُخُولِ (مِنْ) فِي ذَلِكَ..

﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عَلَىٰ مَا أَمْسَكَتْ عَلَيْكُمْ جَوَارِحُكُمْ مِنَ الصَّيْدِ..

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، فَاحْذَرُوهُ فِي ذَلِكَ أَنْ تُقْدِمُوا عَلَىٰ خِلَافِهِ، وَأَنْ تَأْكُلُوا مِنْ صَيْدِ الْجَوَارِحِ غَيْرِ الْمُعَلَّمَةِ، أَوْ مِمَّا لَمْ تُمْسِكْ عَلَيْكُمْ مِنْ صَيْدِهَا وَأَمْسَكَتْهُ عَلَىٰ أَنْفُسِهَا، أَوْ تَطْعَمُوا مَا لَمْ يُسَمِّ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ مِمَّا صَادَهُ أَهْلُ الْأَوْثَانِ وَعَبَدَةُ الْأَصْنَامِ وَمَنْ لَمْ يُوَحِّدِ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ أَوْ ذَبَحُوهُ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوهُ.. ثُمَّ خَوَّفَهُمْ إِنْ هُمْ فَعَلُوا مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ وَمِنْ غَيْرِهِ فَقَالَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٤﴾ [المائدة: ٤] لِمَنْ حَاسَبَهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ عَلَيْهِ مِنْكُمْ، وَشُكْرُ الشَّاكِرِ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ بِطَاعَتِهِ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ؛ لِأَنَّهُ حَافِظٌ لِجَمِيعِ ذَلِكَ مِنْكُمْ مُحِيطٌ بِهِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، فَيُجَازِي الْمُطِيعَ مِنْكُمْ بِطَاعَتِهِ وَالْعَاصِي بِمَعْصِيَتِهِ، وَقَدْ بَيَّنَ لَكُمْ جَزَاءَ الْفَرِيقَيْنِ.

> ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة: ٥].

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ الْحَلَالُ مِنَ الذَّبَائِحِ وَالْمَطَاعِمِ، دُونَ الْخَبَائِثِ مِنْهَا..

﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَذَبَائِحُ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، وَهُمُ الَّذِينَ أُوتُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَأُنْزِلَ عَلَيْهِمْ، أَوْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي مِلَّتِهِمْ، فَدَانُوا بِهِمَا أَوْ بِأَحَدِهِمَا، وَحَرَّمَ مَا حَرَّمُوا، وَحَلَّلَ مَا حَلَّلُوا، مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ أَجْنَاسِ الْأُمَمِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا عَنَىٰ بِالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، الَّذِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِمُ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ، مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَبْنَائِهِمْ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ دَخِيلًا فِيهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ مِمَّنْ دَانَ بِدِينِهِمْ وَهُمْ مِنْ غَيْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يُعْنَ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَلَيْسَ هُوَ مِمَّنْ يَحِلُّ أَكْلُ ذَبَائِحِهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِمَّنْ أُوتِيَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا قَوْلٌ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ يَقُولُهُ، وَيَتَأَوَّلُ فِي ذَلِكَ قَوْلَ مَنْ كَرِهَ ذَبَائِحَ نَصَارَىٰ الْعَرَبِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، كَقَوْلِ عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ، رِضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِ: (**لَا تَأْكُلُوا ذَبَائِحَ نَصَارَىٰ بَنِي تَغْلِبَ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَتَمَسَّكُونَ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ بِشُرْبِ الْخَمْرِ**)، وفي لفظ (**فَإِنَّهُمْ لَمْ يَتَمَسَّكُوا بِشَيْءٍ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ إِلَّا بِشُرْبِ الْخَمْرِ**)، وفي لفظ (**فَإِنَّهُمْ لَمْ يَتَعَلَّقُوا مِنْ دِينِهِمْ إِلَّا بِشُرْبِ الْخَمْرِ**)، وَهَذِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ عَلِيٍّ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ، إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ كَانَ يَنْهَىٰ عَنْ ذَبَائِحِ نَصَارَىٰ بَنِي تَغْلِبَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَىٰ النَّصْرَانِيَّةِ، لِتَرْكِهِمْ تَحْلِيلَ مَا تُحَلِّلُ النَّصَارَىٰ وَتَحْرِيمَ مَا تُحَرِّمُ غَيْرَ الْخَمْرِ، وَمَنْ كَانَ **مُنْتَحِلًا مِلَّةً هُوَ غَيْرُ مُتَمَسِّكٍ مِنْهَا بِشَيْءٍ، فَهُوَ إِلَىٰ الْبَرَاءَةِ مِنْهَا أَقْرَبُ إِلَىٰ اللَّحَاقِ بِهَا وَبِأَهْلِهَا**، فَلِذَلِكَ نَهَىٰ عَلِيٌّ عَنْ أَكْلِ ذَبَائِحِ نَصَارَىٰ بَنِي تَغْلِبَ، لَا مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ إِجْمَاعًا مِنَ الْحُجَّةِ أَلَّا بأسَ بِذَبِيحَةِ كُلِّ نَصْرَانِيٍّ وَيَهُودِيٍّ، دَانَ دِينَ النَّصَارَىٰ أَوِ الْيَهُودِ، فَأَحَلَّ مَا أَحَلُّوا، وَحَرَّمَ مَا حَرَّمُوا، مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَبَيِّنٌ خَطَأُ مَا قَالَ الشَّافِعِيُّ فِي ذَلِكَ وَتَأْوِيلِهِ الَّذِي تَأَوَّلَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ أَنَّهُ ذَبَائِحُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَصَوَابُ مَا خَالَفَ تَأْوِيلَهُ ذَلِكَ، وَقَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ كُلَّ يَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ فَحَلَالٌ ذَبِيحَتُهُ مِنْ أَيِّ أَجْنَاسِ بَنِي آدَمَ كَانَ..

﴿حِلٌّ لَّكُمْ﴾ حَلَالٌ لَكُمْ أَكْلُهُ دُونَ ذَبَائِحِ سَائِرِ أَهْلِ الشِّرْكِ الَّذِينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَعَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ مِمَّنْ أَقَرَّ بِتَوْحِيدِ اللهِ -عَزَّ ذِكْرُهُ- وَدَانَ دِينَ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَحَرَامٌ عَلَيْكُمْ ذَبَائِحُهُمْ..

﴿وَطَعَامُكُمْ﴾ وذَبَائِحُكُم أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿حِلٌّ لَّهُمْ﴾ حِلٌّ لِأَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ وَأُحِلَّ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ تَنْكِحُوا الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ، وَهُنَّ الْحَرَائِرُ مِنْهُنَّ..

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ وَالْحَرَائِرُ.. فَيَحْرُمُ إِمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ نَتَزَوَّجَهُنَّ بِكُلِّ حَالٍ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يَأْذَنْ بِنِكَاحِ الْإِمَاءِ الْأَحْرَارِ فِي الْحَالِ الَّتِي أَبَاحَهُنَّ لَهُمْ، إِلَّا أَنْ يَكُنَّ مُؤْمِنَاتٍ، فَقَالَ عَزَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥] فَلَمْ يُبِحْ مِنْهُنَّ إِلَّا الْمُؤْمِنَاتِ..

﴿مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ مِنَ الَّذِينَ أُعْطُوا الْكِتَابَ، وَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ دَانُوا بِمَا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، بَعْدَ أَنْ تَكُونَ بِمَوْضِعٍ لَا يَخَافُ النَّاكِحُ فِيهِ عَلَىٰ وَلَدِهِ أَنْ يُجْبَرَ عَلَىٰ الْكُفْرِ..

﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ -بِمُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْعَرَبِ وَسَائِرِ النَّاسِ، أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ أَيْضًا..

﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ إِذَا أَعْطَيْتُمْ مَنْ نَكَحْتُمْ مِنْ مُحْصَنَاتِكُمْ وَمُحْصَنَاتِهِمْ..

﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مُهُورَهُنَّ.. فَإِنَّ الْأَجْرَ: الْعِوَضُ الَّذِي يَبْذُلُهُ الزَّوْجُ لِلْمَرْأَةِ لِلِاسْتِمْتَاعِ بِهَا، وَهُوَ الْمَهْرُ..

﴿مُحْصِنِينَ﴾ أُحِلَّ لَكُمُ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَأَنْتُمْ مُحْصِنُونَ أَعِفَّاءَ..

﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ لَا مُعَالِنِينَ بِالسِّفَاحِ بِكُلِّ فَاجِرَةٍ..

﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ وَلَا مُنْفَرِدِينَ بِبَغِيَّةٍ وَاحِدَةٍ قَدْ خَادَنَهَا وَخَادَنَتْهُ، وَاتَّخَذَهَا لِنَفْسِهِ صَدِيقَةً يَفْجُرُ بِهَا، وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الْإِحْصَانِ وَوُجُوهَهُ وَمَعْنَىٰ السِّفَاحِ وَالْخِدْنِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ وَمَنْ يَجْحَدْ مَا أَمَرَ اللهُ بِالتَّصْدِيقِ بِهِ، مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَ الْإِيمَانَ بِاللهِ وَيَمْتَنِعْ مِنْ تَوْحِيدِهِ وَالطَّاعَةِ لَهُ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ وَنَهَاهُ عَنْهُ..

﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ فَقَدْ بَطَلَ ثَوَابُ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ فِي الدُّنْيَا، يَرْجُو أَنْ يُدْرِكَ بِهِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ..

﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝﴾ [المائدة: ٥] الْهَالِكِينَ، الَّذِينَ غَبَنُوا أَنْفُسَهُمْ حُظُوظَهَا مِنْ

ثَوَابِ اللهِ؛ بِكُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ، وَعَمَلِهِمْ بِغَيْرِ طَاعَةِ اللهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٦﴾

[المائدة: ٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ وَأَنْتُمْ عَلَىٰ غَيْرِ طُهْرِ الصَّلَاةِ..

﴿فَٱغْسِلُواْ﴾ أَمْرُ فَرْضٍ بِغَسْلِ مَا أَمَرَ اللهُ -بِغَسْلِهِ- القَائِمَ إِلىٰ صلاتِهِ، بَعْدَ حَدَثٍ كَان مِنْهُ نَاقِضٍ طَهَارَتَهُ، وَقَبْلَ إِحْدَاثِ الوُضُوْءِ مِنْهُ، وأَمْرُ نَدْبٍ لِمَنْ كَانَ علىٰ طُهْرٍ قد تقدَّم منهُ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ بَعْدَهُ حَدَثٌ يَنْقُضُ طَهَارَتَهُ، وَلِذَلِكَ كَانَ عليهِ الصلاة والسلام يَتَوَضَأُ لِكُلِّ صَلَاةٍ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ، ثُمَّ صَلَّىٰ يَوْمَئِذٍ الصَّلَوَاتِ كُلَّهَا بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ؛ لِيُعَلِّمَ أُمَّتَهُ أَنَّ مَا كَانَ يَفْعَلُ عليه الصلاة والسلام مِنْ تَجْدِيدِ الطُهْرِ لكلِّ صلاةٍ، إِنَّمَا كانَ أَخْذًا بِالفَضْلِ، وَإِيثَارًا مِنْهُ لِأَحَبِّ الأَمْرَينِ إِلىٰ اللهِ، وَمُسَارَعَةً مِنهُ إِلىٰ مَا نَدَبَهُ إِليهِ رَبُّهُ، لَا عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ عَلَيهِ فَرْضًا وَاجِبًا.. وَقَدْ أَجْمَعَتِ الْحُجَّةُ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يُوجِبْ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ وَلَا عَلَىٰ عِبَادِهِ فَرْضَ الْوُضُوءِ لِكُلِّ صَلَاةٍ، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ، فَفِي إِجْمَاعِهَا عَلَىٰ ذَلِكَ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ فِعْلَ النَّبِيِّ ﷺ مَا كَانَ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ كَانَ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا مِنْ إِيثَارِهِ فِعْلَ مَا نَدَبَهُ اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ إِلَىٰ فِعْلِهِ، وَنَدَبَ إِلَيْهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ تَرْكَهُ فِي ذَلِكَ الْحَالِ الَّتِي تَرَكَهُ كَانَ تَرْخِيصًا لِأُمَّتِهِ وَإِعْلَامًا مِنْهُ لَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ وَاجِبٍ وَلَا لَازِمٍ لَهُ وَلَا لَهُمْ، إِلَّا مَنْ حَدَثٍ يُوجِبُ نَقْضَ الطُّهْرِ.. وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ، عَنْ أَنَسٍ: (**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِقَعْبٍ صَغِيرٍ، فَتَوَضَّأَ، قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: أَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَأَنْتُمْ؟ قَالَ: كُنَّا نُصَلِّي الصَّلَوَاتِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ**)..

﴿وُجُوهَكُمْ﴾ الْوَجْهُ الَّذِي أَمَرَ اللهُ -جَلَّ ذِكْرُهُ- بِغَسْلِهِ الْقَائِمَ إِلَىٰ صَلَاتِهِ: كُلُّ مَا انْحَدَرَ عَنْ مَنَابِتِ شَعْرِ الرَّأْسِ إِلَىٰ مُنْقَطِعِ الذَّقَنِ طُولًا، وَمَا بَيْنَ الْأُذُنَيْنِ عَرْضًا مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ لِعَيْنِ النَّاظِرِ، دُونَ

مَا بَطَنَ مِنَ الْفَمِ وَالْأَنْفِ وَالْعَيْنِ، وَدُونَ مَا غَطَّاهُ شَعْرُ اللِّحْيَةِ وَالْعَارِضَيْنِ وَالشَّارِبَيْنِ فَسَتَرَهُ عَنْ أَبْصَارِ النَّاظِرِينَ، وَدُونَ الْأُذُنَيْنِ.. وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ وَإِنْ كَانَ مَا تَحْتَ شَعْرِ اللِّحْيَةِ وَالشَّارِبَيْنِ قَدْ كَانَ وَجْهًا يَجِبُ غَسْلُهُ قَبْلَ نَبَاتِ الشَّعْرِ السَّاتِرِ عَنْ أَعْيُنِ النَّاظِرِينَ عَلَىٰ الْقَائِمِ إِلَىٰ صَلَاتِهِ، لِإِجْمَاعِ جَمِيعِهِمْ عَلَىٰ أَنَّ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الْوَجْهِ، ثُمَّ هُمْ مَعَ إِجْمَاعِهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ مُجْمِعُونَ عَلَىٰ أَنَّ غُسْلَ مَا عَلَاهُمَا مِنْ أَجْفَانِهِمَا دُونَ إِيصَالِ الْمَاءِ إِلَىٰ مَا تَحْتَ الْأَجْفَانِ مِنْهُمَا مُجْزِئٌ؛ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُمْ إِجْمَاعًا بِتَوْقِيفِ الرَّسُولِ ﷺ أُمَّتَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَنَظِيرُ ذَلِكَ كُلُّ مَا عَلَاهُ شَيْءٌ مِنْ مَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْ جَسَدِ ابْنِ آدَمَ مِنْ نَفْسِ خَلْقِهِ سَاتِرُهُ لَا يَصِلُ الْمَاءُ إِلَيْهِ إِلَّا بِكُلْفَةٍ وَمُؤْنَةٍ وَعِلَاجٍ، قِيَاسًا لِمَا ذَكَرْنَا مِنْ حُكْمِ الْعَيْنَيْنِ فِي ذَلِكَ.. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلَا شَكَّ أَنَّ مِثْلَ الْعَيْنَيْنِ فِي مُؤْنَةِ إِيصَالِ الْمَاءِ إِلَيْهِمَا عِنْدَ الْوُضُوءِ مَا بَطَنَ مِنَ الْأَنْفِ وَالْفَمِ وَشَعْرِ اللِّحْيَةِ وَالصُّدْغَيْنِ وَالشَّارِبَيْنِ، لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَا يَصِلُ الْمَاءُ إِلَيْهِ إِلَّا بِعِلَاجٍ لِإِيصَالِ الْمَاءِ إِلَيْهِ نَحْوَ كُلْفَةِ عِلَاجِ الْحَدَقَتَيْنِ لِإِيصَالِ الْمَاءِ إِلَيْهِمَا أَوْ أَشَدَّ.. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، كَانَ بَيِّنًا أَنَّ غَسْلَ مَنْ غَسَلَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مَا تَحْتَ مَنَابِتِ شَعْرِ اللِّحْيَةِ وَالْعَارِضَيْنِ وَالشَّارِبَيْنِ وَمَا بَطَنَ مِنَ الْأَنْفِ وَالْفَمِ، إِنَّمَا كَانَ إِيثَارًا مِنْهُ لِأَشَقِّ الْأَمْرَيْنِ عَلَيْهِ مِنْ غَسْلِ ذَلِكَ، وَتَرْكِ غَسْلِهِ، كَمَا آثَرَ ابْنُ عُمَرَ غُسْلَ مَا تَحْتَ أَجْفَانِ الْعَيْنَيْنِ بِالْمَاءِ بِصَبِّهِ الْمَاءَ فِي ذَلِكَ، لَا عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ عَلَيْهِ عِنْدَهُ فَرْضًا وَاجِبًا.. فَأَمَّا مَنْ ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ كَانَ عَلَىٰ وَجْهِ الْإِيجَابِ وَالْفَرْضِ، فَإِنَّهُ خَالَفَ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ مِنْهَاجَهُمْ، وَأَغْفَلَ سَبِيلَ الْقِيَاسِ؛ لِأَنَّ الْقِيَاسَ هُوَ مَا وَصَفْنَا مِنْ تَمْثِيلِ الْمُخْتَلَفِ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ بِالْأَصْلِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ مِنْ حُكْمِ الْعَيْنَيْنِ، وَأَنْ لَا خَبَرَ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوْجَبَ عَلَىٰ تَارِكِ إِيصَالِ الْمَاءِ فِي وُضُوئِهِ إِلَىٰ أُصُولِ شَعْرِ لِحْيَتِهِ وَعَارِضَيْهِ، وَتَارِكِ الْمَضْمَضَةِ وَالِاسْتِنْشَاقِ إِعَادَةَ صَلَاتِهِ إِذَا صَلَّىٰ بِطُهْرِهِ ذَلِكَ، فَفِي ذَلِكَ أَوْضَحُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ فِعْلَهُمْ مَا فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ كَانَ إِيثَارًا مِنْهُمْ لِأَفْضَلِ الْفِعْلَيْنِ مِنَ التَّرْكِ وَالْغَسْلِ.. فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ فِي الْأَخْبَارِ الَّتِي رُوِيَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَنْثِرْ**» دَلِيلًا عَلَىٰ وُجُوبِ الِاسْتِنْثَارِ، فَإِنَّ فِي إِجْمَاعِ الْحُجَّةِ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ فَرْضٍ يَجِبُ عَلَىٰ مَنْ تَرَكَهُ إِعَادَةُ الصَّلَاةِ الَّتِي صَلَّاهَا قَبْلَ غَسْلِهِ، مَا يُغْنِي عَنْ إِكْثَارِ الْقَوْلِ فِيهِ.. وَأَمَّا الْأُذُنَانِ فَإِنَّ فِي إِجْمَاعِ جَمِيعِهِمْ عَلَىٰ أَنَّ تَرْكَ غَسْلِهِمَا أَوْ غَسْلِ مَا أَقْبَلَ مِنْهُمَا عَلَىٰ الْوَجْهِ غَيْرُ مُفْسِدٍ صَلَاةَ مَنْ صَلَّىٰ بِطُهْرِهِ الَّذِي تَرَكَ فِيهِ غَسْلَهُمَا، مَعَ إِجْمَاعِهِمْ جَمِيعًا عَلَىٰ أَنَّهُ لَوْ تَرَكَ غَسْلَ شَيْءٍ مِمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ غَسْلُهُ مِنْ وَجْهِهِ فِي وُضُوئِهِ أَنَّ صَلَاتَهُ لَا تُجْزِئُهُ بِطَهُورِهِ ذَلِكَ، مَا يُنْبِئُ عَنِ أَنَّ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ مَا قَالَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي ذَكَرْنَا قَوْلَهُمْ إِنَّهُمَا لَيْسَا مِنَ الْوَجْهِ..

﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ فَإِنَّ غَسْلَ الْيَدَيْنِ إِلَىٰ الْمِرْفَقَيْنِ مِنَ الْفَرْضِ الَّذِي إِنْ تَرَكَهُ أَوْ شَيْئًا مِنْهُ تَارِكٌ، لَمْ تُجْزِهِ الصَّلَاةُ مَعَ تَرْكِهِ غَسْلَهُ.. فَأَمَّا الْمِرْفَقَانِ وَمَا وَرَاءَهُمَا، فَإِنَّ غَسْلَ ذَلِكَ مِنَ النَّدْبِ الَّذِي نَدَبَ إِلَيْهِ ﷺ أُمَّتَهُ بِقَوْلِهِ: «**أُمَّتِي الْغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ**» فَلَا تَفْسُدُ صَلَاةُ تَارِكِ غَسْلِهِمَا وَغَسْلِ مَا وَرَاءَهُمَا؛ لِأَنَّ لَكَ غَايَةً حُدَّتْ بِإِلَىٰ، فَقَدْ تَحْتَمِلُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ دُخُولَ الْغَايَةِ فِي الْحَدِّ وَخُرُوجَهَا مِنْهُ، وَإِذَا احْتَمَلَ الْكَلَامُ ذَلِكَ لَمْ يَجُزْ لِأَحَدٍ الْقَضَاءُ بِأَنَّهَا دَاخِلَةٌ فِيهِ، إِلَّا لِمَنْ لَا يَجُوزُ خِلَافُهُ فِيمَا بَيَّنَ وَحَكَمَ، وَلَا حُكْمَ بِأَنَّ الْمَرَافِقَ دَاخِلَةٌ فِيمَا يَجِبُ غُسْلُهُ عِنْدَنَا مِمَّنْ يَجِبُ التَّسْلِيمُ بِحُكْمِهِ..

﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ أَمَرَ بِالْمَسْحِ بِرَأْسِهِ الْقَائِمَ إِلَىٰ صَلَاتِهِ مَعَ سَائِرِ مَا أَمَرَهُ بِغَسْلِهِ مَعَهُ أَوْ مَسْحِهِ، وَلَمْ يَحُدَّ ذَلِكَ بِحَدٍّ لَا يَجُوزُ التَّقْصِيرُ عَنْهُ وَلَا يُجَاوِزُهُ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَا مَسَحَ بِهِ الْمُتَوَضِّئُ مِنْ رَأْسِهِ فَاسْتَحَقَّ بِمَسْحِهِ ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: مَسَحَ بِرَأْسِهِ، فَقَدْ أَدَّىٰ مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ مَسْحِ ذَلِكَ لِدُخُولِهِ فِيمَا لَزِمَهُ اسْمُ مَا مَسَحَ بِرَأْسِهِ إِذَا قَامَ إِلَىٰ صَلَاتِهِ.. وَالرَّأْسُ الَّذِي أَمَرَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ بِالْمَسْحِ، هُوَ مَنَابِتُ شَعْرِ الرَّأْسِ دُونَ مَا جَاوَزَ ذَلِكَ إِلَىٰ الْقَفَا مِمَّا اسْتُدْبِرَ، وَدُونَ مَا انْحَدَرَ عَنْ ذَلِكَ مِمَّا اسْتَقْبَلَ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ إِلَىٰ الْجَبْهَةِ..

﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ وغَسْلُهُمَا: إِمْرَارُ الْمَاءِ عَلَيْهِمَا أَوْ إِصَابَتُهُمَا بِالْمَاءِ، ومَسْحُهُمَا: إِمْرَارُ الْيَدِ أَوْ مَا قَامَ مَقَامَ الْيَدِ عَلَيْهِمَا، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمَا فَاعِلٌ فَهُوَ غَاسِلٌ مَاسِحٌ..

﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ وهُمَا الْعَظْمَانِ اللَّذَانِ فِي مَفْصِلِ السَّاقِ وَالْقَدَمِ..

﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ أَصَابَتْكُمْ جَنَابَةٌ قَبْلَ أَنْ تَقُومُوا إِلَىٰ صَلَاتِكُمْ فَقُمْتُمْ إِلَيْهَا.. ووَحَّدَ الْجُنُبَ وَهُوَ خَبَرٌ عَنِ الْجَمِيعِ؛ لِأَنَّهُ اسْمٌ خَرَجَ مَخْرَجَ الْفِعْلِ، كَمَا قِيلَ: رَجُلٌ عَدْلٌ وَقَوْمٌ عَدْلٌ، وَرَجُلٌ زُورٌ، وَقَوْمٌ زُورٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، لَفْظُ الْوَاحِدِ وَالْجَمِيعِ وَالِاثْنَيْنِ وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَىٰ فِيهِ وَاحِدٌ..

﴿فَٱطَّهَّرُواْ﴾ فتطَهَّرُوا بِالِاغْتِسَالِ مِنْهَا قَبْلَ دُخُولِكُمْ فِي صَلَاتِكُمُ الَّتِي قُمْتُمْ إِلَيْهَا..

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ جَرْحَىٰ أَوْ مُجَدَّرِينَ وَأَنْتُمْ جُنُبٌ..

﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ مُسَافِرِينَ وَأَنْتُمْ جُنُبٌ..

﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ بَعْدَ قَضَاءِ حَاجَتِهِ فِيهِ وَهُوَ مُسَافِرٌ؛ وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذِكْرِ مَجِيئِهِ مِنْهُ قَضَاءَ حَاجَتِهِ فِيهِ..

﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ أَوْ جَامَعْتُمُ النِّسَاءَ وَأَنْتُمْ مُسَافِرُونَ..

﴿فَلَمْ﴾ فَإِنْ لَمْ..

﴿تَجِدُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِذَا قُمْتُمْ إِلَىٰ الصَّلَاةِ وَأَنْتُمْ مَرْضَىٰ مُقِيمُونَ، أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَصِحَّاءَ، أَوْ قَدْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ قَضَاءِ حَاجَتِهِ، أَوْ جَامَعَ أَهْلَهُ..

﴿مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا﴾ فَتَعَمَّدُوا وَاقْصُدُوا وَجْهَ الْأَرْضِ..

﴿طَيِّبًا﴾ طَاهِرًا نَظِيفًا غَيْرَ قَذِرٍ وَلَا نَجِسٍ، جَائِزًا لَكُمْ حَلَالًا..

﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ فَاضْرِبُوا بِأَيْدِيكُمُ الصَّعِيدَ الَّذِي تَيَمَّمْتُمُوهُ وَتَعَمَّدْتُمُوهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِمَّا عَلَقَ بِأَيْدِيكُمْ مِنْهُ، يَعْنِي: مِنَ الصَّعِيدِ الَّذِي ضَرَبْتُمُوهُ بِأَيْدِيكُمْ مِنْ تُرَابِهِ وَغُبَارِهِ..

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ بِمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْوُضُوءِ إِذَا قُمْتُمْ إِلَىٰ صَلَاتِكُمْ، وَالْغُسْلِ مِنْ جَنَابَتِكُمْ وَالتَّيَمُّمِ صَعِيدًا طَيِّبًا عِنْدَ عَدَمِكُمُ الْمَاءَ..

﴿لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ لِيُلْزِمَكُمْ فِي دِينِكُمْ مِنْ ضِيقٍ، وَلَا لِيُعْنِتَكُمْ فِيهِ..

﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ وَلَكِنَّ اللهَ يُرِيدُ أَنْ يُطَهِّرَكُمْ بِمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْوُضُوءِ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَالتَّيَمُّمِ عِنْدَ عَدَمِ الْمَاءِ، فَتَنَظَّفُوا وَتُطَهَّرُوا بِذَلِكَ أَجْسَامَكُمْ مِنَ الذُّنُوبِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوِ الْمُؤْمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَتْ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِهِ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرَةٍ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتْ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ بَطَشَتْ بِهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرَةٍ مِنَ الْمَاءِ، حَتَّىٰ يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ**»..

﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ وَيُرِيدُ رَبُّكُمْ مَعَ تَطْهِيرِكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ إِذَا قُمْتُمْ إِلَىٰ الصَّلَاةِ بِالْمَاءِ إِنْ وَجَدْتُمُوهُ، وَتَيَمُّمِكُمْ إِذَا لَمْ تَجِدُوهُ، أَنْ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ بِإِبَاحَتِهِ لَكُمُ التَّيَمُّمَ، وَتَصْيِيرِهِ لَكُمُ الصَّعِيدَ الطَّيِّبَ طَهُورًا، رُخْصَةً مِنْهُ لَكُمْ فِي ذَلِكَ مَعَ سَائِرِ نِعَمِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ [المائدة: ٦] اللهَ عَلَىٰ نِعَمِهِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ، بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ.

﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧﴾ [المائدة: ٧].

﴿وَٱذْكُرُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِالْعُقُودِ الَّتِي عَقَدْتُمُوهَا لِلَّهِ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَاذْكُرُوا..

﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ فِي ذَلِكُمْ، بِأَنْ هَدَاكُمْ مِنَ الْعُقُودِ لِمَا فِيهِ الرِّضَا، وَوَفَّقَكُمْ لِمَا فِيهِ

نَجَاتُكُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالرَّدَىٰ فِي نِعَمٍ غَيْرِهَا جَمَّةٍ..

﴿وَمِيثَٰقَهُ﴾ وَعَهْدَهُ..

﴿ٱلَّذِي وَاثَقَكُم﴾ الَّذِي عَاهَدَكُمْ..

﴿بِهِۦٓ﴾ حِينَ بَايَعْتُمْ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَهُ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَالْعُسْرِ وَالْيُسْرِ..

﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا﴾ مَا قُلْتَ لَنَا، وَأَخَذْتَ عَلَيْنَا مِنَ الْمَوَاثِيقِ..

﴿وَأَطَعْنَاۖ﴾ وَأَطَعْنَاكَ فِيمَا أَمَرْتَنَا بِهِ وَنَهَيْتَنَا عَنْهُ، وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ أَيْضًا بِتَوْفِيقِكُمْ لِقَبُولِ ذَلِكَ مِنْهُ بِقَوْلِكُمْ لَهُ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، يَقُولُ: فَفُوا لِلَّهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ، وَنِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ بِإِقْرَارِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ بِالسَّمْعِ لَهُ وَالطَّاعَةِ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ يَفِ لَكُمْ بِمَا ضَمِنَ لَكُمُ الْوَفَاءَ بِهِ إِذَا أَنْتُمْ وَفَّيْتُمْ لَهُ بِمِيثَاقِهِ مِنْ إِتْمَامِ نِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ، وَبِإِدْخَالِكُمْ جَنَّتَهُ وَبِإِنْعَامِكُمْ بِالْخُلُودِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ، وَإِنْقَاذِكُمْ مِنْ عِقَابِهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَخَافُوهُ أَنْ تُبَدِّلُوا عَهْدَهُ وَتَنْقُضُوا مِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ، أَوْ تُخَالِفُوا مَا ضَمِنْتُمْ لَهُ بِقَوْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، بِأَنْ تُضْمِرُوا لَهُ غَيْرَ الْوَفَاءِ بِذَلِكَ فِي أَنْفُسِكُمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾ [المائدة: ٧] فَإِنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عَلَىٰ ضَمَائِرِ صُدُورِكُمْ، وَعَالِمٌ بِمَا تُخْفِيهِ نُفُوسُكُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَيُحِلُّ بِكُمْ مِنْ عُقُوبَتِهِ مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، كَالَّذِي حَلَّ بِمَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْيَهُودِ مِنَ الْمَسْخِ وَصُنُوفِ النِّقَمِ، وَتَصِيرُوا فِي مَعَادِكُمْ إِلَىٰ سَخَطِ اللهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ.. فَإِنَّ هَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ جَلَّ اسْمُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَطَافُوا بِرَسُولِهِ ﷺ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَتَهْدِيدًا لَهُمْ أَنْ يَنْقُضُوا مِيثَاقَ اللهِ الَّذِي وَاثَقَهُمْ بِهِ فِي رُسُلِهِ وَعَهْدِهِمُ الَّذِي عَاهَدُوهُ فِيهِ، بِأَنْ يُضْمِرُوا لَهُ خِلَافَ مَا أَبْدَوْا لَهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨﴾

[المائدة: ٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ..

﴿كُونُواْ﴾ لِيَكُنْ مِنْ أَخْلَاقِكُمْ وَصِفَاتِكُمْ..

﴿قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾ الْقِيَامُ لِلَّهِ..

﴿شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ شُهَدَاءَ بِالْعَدْلِ فِي أَوْلِيَائِكُمْ وَأَعْدَائِكُمْ، وَلَا تَجُورُوا فِي أَحْكَامِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ، فَتُجَاوِزُوا مَا حَدَّدْتُ لَكُمْ فِي أَعْدَائِكُمْ لِعَدَاوَتِهِمْ لَكُمْ، وَلَا تَقْصُرُوا فِيمَا حَدَّدْتُ لَكُمْ مِنْ أَحْكَامِي وَحُدُودِي فِي أَوْلِيَائِكُمْ لِوَلَايَتِهِمْ، وَلَكِنِ انْتَهُوا فِي جَمِيعِهِمْ إِلَىٰ حَدِّي، وَاعْمَلُوا فِيهِ بِأَمْرِي..

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ..

﴿شَنَـَٔانُ﴾ عَدَاوَةُ..

﴿قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ فِي حُكْمِكُمْ فِيهِمْ، وَسِيرَتِكُمْ بَيْنَهُمْ، فَتَجُورُوا عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ..

﴿ٱعْدِلُوا۟﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ وَلِيًّا لَكُمْ كَانَ أَوْ عَدُوًّا، فَاحْمِلُوهُمْ عَلَىٰ مَا أُمِرْتُمْ أَنْ تَحْمِلُوهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَحْكَامِي، وَلَا تَجُورُوا بِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَنْهُ..

﴿هُوَ﴾ الْعَدْلُ عَلَيْهِمْ..

﴿أَقْرَبُ﴾ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ إِلَىٰ التَّقْوَىٰ، يَعْنِي: إِلَىٰ أَنْ تَكُونُوا عِنْدَ اللهِ بِاسْتِعْمَالِكُمْ إِيَّاهُ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَىٰ، وَهُمْ أَهْلُ الْخَوْفِ وَالْحَذَرِ مِنَ اللهِ أَنْ يُخَالِفُوهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ، أَوْ يَأْتُوا شَيْئًا مِنْ مَعَاصِيهِ.. وَإِنَّمَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْعَدْلَ بِمَا وَصَفَ بِهِ مِنْ أَنَّهُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ مِنَ الْجَوْرِ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ عَادِلًا كَانَ لِلَّهِ بِعَدْلِهِ مُطِيعًا، وَمَنْ كَانَ لِلَّهِ مُطِيعًا كَانَ لَا شَكَّ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَىٰ، وَمَنْ كَانَ جَائِرًا كَانَ لِلَّهِ عَاصِيًا، وَمَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيًا كَانَ بَعِيدًا مِنْ تَقْوَاهُ..

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وَاحْذَرُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ تَجُورُوا فِي عِبَادِهِ، فَتُجَاوِزُوا فِيهِمْ حُكْمَهُ وَقَضَاءَهُ الَّذِينَ بَيَّنَ لَكُمْ، فَيُحِلَّ بِكُمْ عُقُوبَتَهُ، وَتَسْتَوْجِبُوا مِنْهُ أَلِيمَ نَكَالِهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ﴾ ذُو خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ..

﴿بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨﴾ [المائدة: ٨] أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنْ عَمَلٍ بِهِ أَوْ خِلَافٍ لَهُ، مُحْصٍ ذَلِكُمْ عَلَيْكُمْ كُلَّهُ، حَتَّىٰ يُجَازِيَكُمْ بِهِ جَزَاءَكُمُ الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، فَاتَّقُوا أَنْ تُسِيئُوا.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٩﴾ [المائدة: ٩].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَقَرُّوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعَمِلُوا بِمَا وَاثَقَهُمُ اللهُ بِهِ، وَأَوْفُوا بِالْعُقُودِ الَّتِي عَاقَدَهُمْ عَلَيْهَا بِقَوْلِهِمْ: لَنَسْمَعَنَّ وَلَنُطِيعَنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَسَمِعُوا أَمْرَ اللهِ وَنَهْيَهُ، وَأَطَاعُوهُ فَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ..

﴿لَهُم﴾ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَفَوْا بِالْعُقُودِ، وَالْمِيثَاقِ الَّذِي وَاثَقَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ..

﴿مَّغْفِرَةٌ﴾ وَهِيَ سَتْرُ ذُنُوبِهِمُ السَّالِفَةِ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ، وَتَغْطِيَتُهَا بِعَفْوِهِ لَهُمْ عَنْهَا، وَتَرْكُهُ عُقُوبَتَهُمْ عَلَيْهَا، وَفَضِيحَتُهُمْ بِهَا..

﴿وَأَجْرٌ﴾ وَلَهُمْ مَعَ عَفْوِهِ لَهُمْ عَنْ ذُنُوبِهِمُ السَّالِفَةِ مِنْهُمْ جَزَاءٌ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا وَوَفَائِهِمْ بِالْعُقُودِ الَّتِي عَاقَدُوا رَبَّهُمْ عَلَيْهَا، أَجْرٌ..

﴿عَظِيمٌ ۝٩﴾ [المائدة: ٩] مِنْ خَيْرٍ، غَيْرِ مَحْدُودٍ مَبْلَغُهُ، وَلَا يَعْرِفُ مُنْتَهَاهُ غَيْرُهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١٠﴾ [المائدة: ١٠].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وَالَّذِينَ جَحَدُوا وَحْدَانِيَّةَ اللهِ، وَنَقَضُوا مِيثَاقَهُ وَعُقُودَهُ الَّتِي عَاقَدُوهَا إِيَّاهُ..

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ وَكَذَّبُوا بِأَدِلَّةِ اللهِ وَحُجَجِهِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الرُّسُلُ وَغَيْرِهَا..

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ..

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١٠﴾ [المائدة: ١٠] أَهْلُ الْجَحِيمِ، يَعْنِي: أَهْلَ النَّارِ الَّذِينَ يُخَلَّدُونَ فِيهَا وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا أَبَدًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١﴾ [المائدة: ١١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وَأَقَرُّوا بِتَوْحِيدِ اللهِ وَرِسَالَةِ رَسُولِهِ ﷺ وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ اذْكُرُوا النِّعْمَةَ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ، فَاشْكُرُوهُ عَلَيْهَا بِالْوَفَاءِ لَهُ بِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ، وَالْعُقُودِ الَّتِي عَاقَدْتُمْ نَبِيَّكُمْ ﷺ عَلَيْهَا.. وَعَنَىٰ اللهُ بِالنِّعْمَةِ الَّتِي ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ نِعْمَتَهُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ فِي اسْتِنْقَاذِهِ نَبِيَّهُمْ مُحَمَّدًا ﷺ، مِمَّا كَانَتْ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ هَمَّتْ بِهِ مِنْ قَتْلِهِ وَقَتْلِ مَنْ مَعَهُ يَوْمَ سَارَ إِلَيْهِمْ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فِي الدِّيَةِ الَّتِي كَانَ تَحَمَّلَهَا عَنْ قَتِيلَيْ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ؛ لِأَنَّ اللهَ عَقِبَ ذِكْرِ ذَلِكَ بِرَمْيِ الْيَهُودِ

بِصَنَائِعِهَا وَقَبِيحِ أَفْعَالِهَا وَخِيَانَتِهَا رَبَّهَا وَأَنْبِيَاءَهَا، ثُمَّ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَالصَّفْحِ عَنْ عَظِيمِ جَهْلِهِمْ، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يُؤْمَرْ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَالصَّفْحِ عُقَيْبَ قَوْلِهِ: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ [المائدة: ١١] وَمَنْ غَيْرُهُمْ كَانَ يَبْسُطُ الْأَيْدِي إِلَيْهِمْ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الَّذِينَ هَمُّوا بِبَسْطِ الْأَيْدِي إِلَيْهِمْ غَيْرَهُمْ، لَكَانَ حَرِيًّا أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنْهُمْ، لَا عَمَّنْ لَمْ يَجْرِ لَهُمْ بِذَلِكَ ذِكْرٌ، وَلَكَانَ الْوَصْفُ بِالْخِيَانَةِ فِي وَصْفِهِمْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، لَا فِي وَصْفِ مَنْ لَمْ يَجْرِ لِخِيَانَتِهِ ذِكْرٌ، فَفِي ذَلِكَ مَا يُنْبِئُ عَنْ صِحَّةِ مَا قَضَيْنَا لَهُ بِالصِّحَّةِ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ فِي ذَلِكَ دُونَ مَا خَالَفَهُ.. ثُمَّ وَصَفَ نِعْمَتَهُ الَّتِي أَمَرَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالشُّكْرِ عَلَيْهَا مَعَ سَائِرِ نِعَمِهِ، فَقَالَ..

﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ هَمُّوا بِالْبَطْشِ بِكُمْ، فَصَرَفَهُمْ عَنْكُمْ..

﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا أَرَادُوهُ بِكُمْ..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وَاحْذَرُوا اللهَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ تُخَالِفُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ، أَنْ تَنْقُضُوا الْمِيثَاقَ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ، فَتَسْتَوْجِبُوا مِنْهُ الْعِقَابَ الَّذِي لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ..

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ وَإِلَى اللهِ..

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ فَلْيُلْقِ أَزِمَّةَ أُمُورِهِمْ، وَيَسْتَسْلِمْ لِقَضَائِهِ، وَيَثِقْ بِنُصْرَتِهِ وَعَوْنِهِ..

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ ١١﴾ [المائدة: ١١] الْمُقِرُّونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَرِسَالَةِ رَسُولِهِ، الْعَامِلُونَ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ كَمَالِ دِينِهِمْ وَتَمَامِ إِيمَانِهِمْ، وَأَنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ كَلَأَهُمْ وَرَعَاهُمْ وَحَفِظَهُمْ مِمَّنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ، كَمَا حَفِظَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَدَافَعَ عَنْكُمُ الْيَهُودَ الَّذِينَ هَمُّوا بِمَا هَمُّوا بِهِ، مِنْ بَسْطِ أَيْدِيهِمْ إِلَيْكُمْ، كَلَاءَةً مِنْهُ لَكُمْ؛ إِذْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ دُونَ غَيْرِهِ، فَإِنَّ غَيْرَهُ لَا يُطِيقُ دَفْعَ سُوءٍ أَرَادَ بِكُمْ رَبُّكُمْ، وَلَا اجْتِلَابَ نَفْعٍ لَكُمْ لَمْ يَقْضِهِ لَكُمْ.

﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٢﴾ [المائدة: ١٢].

﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هَذِهِ الْآيَةُ أُنْزِلَتْ إِعْلَامًا مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهُ ﷺ

وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ، أَخْلَاقَ الَّذِينَ هَمُّوا بِبَسْطِ أَيْدِيهِمْ إِلَيْهِمْ مِنَ الْيَهُودِ، وَأَنَّ الَّذِي هَمُّوا بِهِ مِنَ الْغَدْرِ وَنَقْضِ الْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ مِنْ صِفَاتِهِمْ وَصِفَاتِ أَوَائِلِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَأَخْلَاقِ أَسْلَافِهِمْ قَدِيمًا، وَاحْتِجَاجًا لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلَىٰ الْيَهُودِ بِإِطْلَاعِهِ إِيَّاهُ عَلَىٰ مَا كَانَ عَلِمَهُ عِنْدَهُمْ دُونَ الْعَرَبِ مِنْ خَفِيِّ أُمُورِهِمْ وَمَكْنُونِ عُلُومِهِمْ، وَتَوْبِيخًا لِلْيَهُودِ فِي تَمَادِيهِمْ فِي الْغَيِّ، وَإِصْرَارِهِمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِخَطَإِ مَا هُمْ عَلَيْهِمْ مُقِيمُونَ.. يَقُولُ اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: لَا تَسْتَعْظِمُوا أَمْرَ الَّذِينَ هَمُّوا بِبَسْطِ أَيْدِيهِمْ إِلَيْكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ بِمَا هَمُّوا بِهِ لَكُمْ، وَلَا أَمْرَ الْغَدْرِ الَّذِي حَاوَلُوهُ وَأَرَادُوهُ بِكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَخْلَاقِ أَوَائِلِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ، لَا يَعْدُونَ أَنْ يَكُونُوا عَلَىٰ مِنْهَاجِ أَوَّلِهِمْ وَطَرِيقِ سَلَفِهِمْ.. ثُمَّ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ عَزَّ ذِكْرُهُ عَنْ بَعْضِ غَدَرَاتِهِمْ وَخِيَانَاتِهِمْ وَجَرَاءَتِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَنَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمُ الَّذِي وَاثَقَهُمْ عَلَيْهِ بَارِئُهُمْ، مَعَ نِعَمِهِ الَّتِي خَصَّهُمْ بِهَا، وَكَرَامَاتِهِ الَّتِي طَوَّقَهُمْ شُكْرَهَا، فَقَالَ: لَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ مَنْ سَلَفَ مِمَّنْ هَمَّ بِبَسْطِ يَدِهِ إِلَيْكُمْ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ -يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ- بِالْوَفَاءِ لَهُ بِعُهُودِهِ وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ..

﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ كَفِيلًا، كَفَلُوا عَلَيْهِمْ بِالْوَفَاءِ لِلَّهِ بِمَا وَاثَقُوهُ عَلَيْهِ مِنَ الْعُهُودِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَفِيمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ.. وَالنَّقِيبُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، كَالْعَرِيفِ عَلَىٰ الْقَوْمِ، غَيْرَ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرِيفِ.. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ: هُوَ الأَمِينُ الضَّامِنُ عَلَىٰ الْقَوْمِ.. فَأَمَّا أَهْلُ التَّأْوِيلِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الشَّاهِدُ عَلَىٰ قَوْمِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: النَّقِيبُ: الأَمِينُ.. وَإِنَّمَا كَانَ اللهُ أَمَرَ مُوسَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ بِبَعْثِهِ النُّقَبَاءَ الاثْنَيْ عَشَرَ مِنْ قَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَىٰ أَرْضِ الْجَبَابِرَةِ بِالشَّامِ، لِيَتَجَسَّسُوا لِمُوسَىٰ أَخْبَارَهُمْ؛ إِذْ أَرَادَ هَلَاكَهُمْ، وَأَنْ يُورِثَ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ، وَأَنْ يَجْعَلَهَا مَسَاكِنَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مَا أَنْجَاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فَبَعَثَ مُوسَىٰ الَّذِينَ أَمَرَهُ اللهُ بِبَعْثِهِمْ إِلَيْهَا مِنَ النُّقَبَاءِ..

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ﴾ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ إِنِّي نَاصِرُكُمْ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ وَعَدُوِّي الَّذِينَ أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالِهِمْ إِنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ وَوَفَيْتُمْ بِعَهْدِي وَمِيثَاقِي الَّذِي أَخَذْتُهُ عَلَيْكُمْ.. ثُمَّ ابْتَدَأَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْقَسَمَ، فَقَالَ: قَسَمٌ..

﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ﴾ يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أَيْ: أَعْطَيْتُمُوهَا مَنْ أَمَرْتُكُمْ بِإِعْطَائِهَا..

﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي﴾ وَصَدَّقْتُمْ بِمَا آتَاكُمْ بِهِ رُسُلِي مِنْ شَرَائِعِ دِينِي.. وَكَانَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ يَقُولُ: (هَذَا خِطَابٌ مِنَ اللهِ لِلنُّقَبَاءِ الاثْنَيْ عَشَرَ)، وَلَيْسَ الَّذِي قَالَهُ الرَّبِيعُ فِي ذَلِكَ بِبَعِيدٍ مِنَ

الصَّوَابِ، غَيْرَ أَنَّ مِنَ قَضَاءِ اللهِ فِي جَمِيعِ خَلْقِهِ أَنَّهُ نَاصِرٌ مَنْ أَطَاعَهُ، وَوَلِيُّ مَنِ اتَّبَعَ أَمْرَهُ وَتَجَنَّبَ مَعْصِيَتَهُ وَجَافَى ذُنُوبَهُ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ مِنْ طَاعَتِهِ إِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَالْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ، وَسَائِرِ مَا نَدَبَ الْقَوْمَ إِلَيْهِ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ تَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ بِذَلِكَ وَإِدْخَالَ الْجَنَّاتِ بِهِ لَمْ يُخَصَّصْ بِهِ النُّقَبَاءُ دُونَ سَائِرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ غَيْرِهِمْ، فَكَانَ ذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ نَدْبًا لِلْقَوْمِ جَمِيعًا وَحَضًّا لَهُمْ عَلَى مَا حَضَّهُمْ عَلَيْهِ، أَحَقُّ وَأَوْلَى مِنْ أَنْ يَكُونَ نَدْبًا لِبَعْضٍ وَحَضًّا لِخَاصٍّ دُونَ عَامٍّ..

﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ وَنَصَرْتُمُوهُمْ، وَالنَّصْرُ قَدْ يَكُونُ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ، فَأَمَّا بِالْيَدِ فَالذَّبُّ بِهَا عَنْهُ بِالسَّيْفِ وَغَيْرِهِ، وَأَمَّا بِاللِّسَانِ فَحُسْنُ الثَّنَاءِ، وَالذَّبُّ عَنِ الْعِرْضِ..

﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ﴾ وَأَنْفَقْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَذَلِكَ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِ وَعَدُوِّكُمْ..

﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ وَأَنْفَقْتُمْ مَا أَنْفَقْتُمْ فِي سَبِيلِهِ، فَأَصَبْتُمُ الْحَقَّ فِي إِنْفَاقِكُمْ مَا أَنْفَقْتُمْ فِي ذَلِكَ، وَلَمْ تَتَعَدَّوْا فِيهِ حُدُودَ اللهِ وَمَا نَدَبَكُمْ إِلَيْهِ وَحَثَّكُمْ عَلَيْهِ إِلَى غَيْرِهِ..

﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ أَعطُونِي مِيثَاقَهُمْ بِالْوَفَاءِ بِطَاعَتِي، وَاتِّبَاعِ أَمْرِي، وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ، وَفَعَلْتُمْ سَائِرَ مَا وَعَدْتُكُمْ عَلَيْهِ جَنَّتِي ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ يَقُولُ: لَأُغَطِّيَنَّ بِعَفْوِي عَنْكُمْ وَصَفْحِي عَنْ عُقُوبَتِكُمْ، عَلَى سَالِفِ إِجْرَامِكُمُ الَّتِي أَجْرَمْتُمُوهَا فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ عَلَى ذُنُوبِكُمُ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْكُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ وَغَيْرِهَا مِنْ مُوبِقَاتِ ذُنُوبِكُمْ..

﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ﴾ مَعَ تَغْطِيَتِي عَلَى ذَلِكَ مِنْكُمْ بِفَضْلِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِ هَذِهِ الْبَسَاتِينَ الَّتِي أَدْخَلَكُمُوهَا..

﴿الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ﴾ فَمَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِمَّا أَمَرْتُهُ بِهِ، فَتَرَكَهُ، أَوْ رَكِبَ مَا نَهَيْتُهُ عَنْهُ فَعَمِلَهُ..

﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بَعْدَ أَخْذِي الْمِيثَاقَ عَلَيْهِ بِالْوَفَاءِ لِي بِطَاعَتِي وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِي..

﴿مِنكُمْ﴾ يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝١٢﴾ [المائدة: ١٢] فَقَدْ أَخْطَأَ قَصْدَ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، وَزَلَّ عَنْ مَنْهَجِ السَّبِيلِ.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة: ١٣].

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ، فَنَقَضُوا الْمِيثَاقَ فَلَعَنْتُهُمْ، فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ.. يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ، لَا تَعْجَبَنَّ مِنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ هَمُّوا أَنْ يَبْسُطُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ أَصْحَابِكَ، وَنَكَثُوا الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، غَدْرًا مِنْهُمْ بِكَ وَأَصْحَابِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَادَاتِهِمْ وَعَادَاتِ سَلَفِهِمْ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَخَذْتُ مِيثَاقَ سَلَفِهِمْ عَلَىٰ عَهْدِ مُوسَىٰ ﷺ عَلَىٰ طَاعَتِي، وَبَعَثْتُ مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَدْ تُخَيِّرُوا مِنْ جَمِيعِهِمْ لِيَتَجَسَّسُوا أَخْبَارَ الْجَبَابِرَةِ، وَوَعَدْتُهُمُ النَّصْرَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ أُورِثَهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، بَعْدَ مَا أَرَيْتُهُمْ مِنَ الْعِبَرِ وَالْآيَاتِ بِإِهْلَاكِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فِي الْبَحْرِ، وَفَلْقِ الْبَحْرِ لَهُمْ، وَسَائِرِ الْعِبَرِ مَا أَرَيْتُهُمْ، فَنَقَضُوا مِيثَاقَهُمُ الَّذِي وَاثَقُونِي وَنَكَثُوا عَهْدِي، فَلَعَنْتُهُمْ بِنَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ خِيَارِهِمْ مَعَ أَيَادِيَّ عِنْدَهُمْ، فَلَا تَسْتَنْكِرُوا مِثْلَهُ مِنْ فِعْلِ أَرَاذِلِهِمْ..

﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ فَلَعَنَّا الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدِي وَلَمْ يَفُوا بِمِيثَاقِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِنَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمُ الَّذِي وَاثَقُونِي، وَجَعَلْنَا قُلُوبَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَقَضُوا عُهُودَنَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَسِيَّةً، مَنْزُوعًا مِنْهَا الْخَيْرُ، مَرْفُوعًا مِنْهَا التَّوْفِيقُ، فَلَا يُؤْمِنُونَ، وَلَا يَهْتَدُونَ، فَهُمْ لِنَزْعِ اللهِ ﷻ التَّوْفِيقَ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَالْإِيمَانَ..

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ يُحَرِّفُونَ كَلَامَ رَبِّهِمُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِمْ مُوسَىٰ ﷺ، وَهُوَ التَّوْرَاةُ..

﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ فَيُبَدِّلُونَهُ وَيَكْتُبُونَ بِأَيْدِيهِمْ غَيْرَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ عَلَىٰ نَبِيِّهِمْ، وَيَقُولُونَ لِجُهَّالِ النَّاسِ: هَذَا هُوَ كَلَامُ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُوسَىٰ ﷺ، وَالتَّوْرَاةُ الَّتِي أَوْحَاهَا إِلَيْهِ، وَهَذَا مِنْ صِفَةِ الْقُرُونِ الَّتِي كَانَتْ بَعْدَ مُوسَىٰ مِنَ الْيَهُودِ مِمَّنْ أَدْرَكَ بَعْضُهُمْ عَصْرَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَكِنَّ اللهَ عَزَّ ذِكْرُهُ أَدْخَلَهُمْ فِي عِدَادِ الَّذِينَ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ عَنْهُمْ مِمَّنْ أَدْرَكَ مُوسَىٰ مِنْهُمْ؛ إِذْ كَانُوا مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَعَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ فِي الْكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ، وَالْفِرْيَةِ عَلَيْهِ، وَنَقْضِ الْمَوَاثِيقِ الَّتِي أَخَذَهَا عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ..

﴿وَنَسُوا۟﴾ وَتَرَكُوا..

﴿حَظًّا﴾ نَصِيبًا..

﴿مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ تَرَكُوا أَمْرَ اللهِ فَتَرَكَهُمُ اللهُ، ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ﴾ [التوبة: ٦٧].. ثُمَّ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَعْدَ تَعْرِيفِهِ أَخْبَارَ أَوَائِلِهِمْ، وَإِعْلَامِهِ مَنْهَجَ أَسْلَافِهِمْ، وَأَنَّ آخِرَهُمْ عَلَىٰ مِنْهَاجِ أَوَّلِهِمْ فِي الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ، لِئَلَّا يَكْبُرَ فِعْلُهُمْ ذَلِكَ عَلَىٰ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿وَلَا تَزَالُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿تَطَّلِعُ﴾ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ أَنْبَأْتُكَ نَبَأَهُمْ مِنْ نَقْضِهِمْ مِيثَاقِي، وَنَكْثِهِمْ عَهْدِي، مَعَ أَيَادِيَّ عِنْدَهُمْ، وَنِعْمَتِي عَلَيْهِمْ..

﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ عَلَىٰ مِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ، لِأَنَّ اللهَ عَنَىٰ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْقَوْمَ مِنْ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ الَّذِينَ هَمُّوا بِقَتْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، إِذْ أَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ الْعَامِرِيَّيْنِ، فَأَطْلَعَهُ اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ عَلَىٰ مَا قَدْ هَمُّوا بِهِ..

﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ﴾ اسْتِثْنَاءٌ مِنَ الْهَاءِ وَالْمِيمِ اللَّتَيْنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ مِنَ الْيَهُودِ..

﴿فَٱعۡفُ﴾ هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْعَفْوِ..

﴿عَنۡهُمۡ﴾ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ هَمُّوا أَنْ يَبْسُطُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ لَهُ: اعْفُ يَا مُحَمَّدُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ هَمُّوا بِمَا هَمُّوا بِهِ مِنْ بَسْطِ أَيْدِيهِمْ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ أَصْحَابِكَ بِالْقَتْلِ..

﴿وَٱصۡفَحۡۚ﴾ لَهُمْ عَنْ جُرْمِهِمْ بِتَرْكِ التَّعَرُّضِ لِمَكْرُوهِهِمْ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣﴾ [المائدة: ١٣] فَإِنِّي أُحِبُّ مِنْ أَحْسَنَ الْعَفْوَ وَالصَّفْحَ إِلَىٰ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ.. وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: (هَذِهِ مَنْسُوخَةٌ)، وَيَقُولُ: (نَسَخَتْهَا آيَةُ بَرَاءَةَ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩] الْآيَةُ)، وَالَّذِي قَالَهُ قَتَادَةُ غَيْرُ مَدْفُوعٍ إِمْكَانُهُ، غَيْرَ أَنَّ النَّاسِخَ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ مِنَ الْأَمْرِ، هُوَ مَا كَانَ نَافِيًا كُلَّ مَعَانِي خِلَافِهِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، فَأَمَّا مَا كَانَ غَيْرَ نَافٍ جَمِيعَهُ، فَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ الْعِلْمِ بِأَنَّهُ نَاسِخٌ إِلَّا بِخَبَرٍ مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ، أَوْ مِنْ رَسُولِهِ ﷺ، وَلَيْسَ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩] دَلَالَةٌ عَلَىٰ الْأَمْرِ بِنَفْيِ مَعَانِي الصَّفْحِ وَالْعَفْوِ عَنِ الْيَهُودِ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ جَائِزًا مَعَ إِقْرَارِهِمْ بِالصَّغَارِ وَأَدَائِهِمُ الْجِزْيَةَ بَعْدَ الْقِتَالِ، الْأَمْرُ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ فِي غَدْرَةٍ هَمُّوا بِهَا أَوْ نَكْثَةٍ عَزَمُوا عَلَيْهَا، مَا لَمْ يَنْصِبُوا حَرْبًا، دُونَ أَدَاءِ الْجِزْيَةِ، وَيَمْتَنِعُوا مِنَ الْأَحْكَامِ اللَّازِمَةِ مِنْهُمْ، لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا أَنْ يَحْكُمَ لِقَوْلِهِ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩] الْآيَةُ، بِأَنَّهُ نَاسِخٌ قَوْلَهُ: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣﴾.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾ [المائدة: ١٤].

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ﴾ وَأَخَذْنَا مِنَ النَّصَارَىٰ الْمِيثَاقَ عَلَىٰ طَاعَتِي وَأَدَاءِ فَرَائِضِي وَاتِّبَاعِ رُسُلِي وَالتَّصْدِيقِ بِهِمْ..

﴿فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ فَسَلَكُوا فِي مِيثَاقِي الَّذِي أَخَذْتُهُ عَلَيْهِمْ مِنْهَاجَ الْأُمَّةِ الضَّالَّةِ مِنَ الْيَهُودِ، فَبَدَّلُوا كَذَلِكَ دِينَهُمْ وَنَقَضُوا نَقْضَهُمْ وَتَرَكُوا حَظَّهُمْ مِنْ مِيثَاقِي الَّذِي أَخَذْتُهُ عَلَيْهِمْ بِالْوَفَاءِ بِعَهْدِي وَضَيَّعُوا أَمْرِي..

﴿فَأَغۡرَيۡنَا﴾ حَرَّشْنَا وَأَلْقَيْنَا، كَمَا تُغْرِي الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: لَمَّا تَرَكَ هَؤُلَاءِ النَّصَارَىٰ الَّذِينَ أَخَذْتُ مِيثَاقَهُمْ بِالْوَفَاءِ بِعَهْدِي حَظَّهُمْ، مِمَّا عَهِدْتُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِي وَنَهْيِي، أَغْرَيْتُ..

﴿بَيۡنَهُمُ﴾ بَيْنَ النَّصَارَىٰ، عُقُوبَةً لَهَا بِنِسْيَانِهَا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرَتْ بِهِ.. وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ عَائِدَتَانِ عَلَىٰ النَّصَارَىٰ دُونَ الْيَهُودِ؛ لِأَنَّ ذِكْرَ الْإِغْرَاءِ فِي خَبَرِ اللهِ عَنِ النَّصَارَىٰ بَعْدَ تَقَضِّي خَبَرِهِ عَنِ الْيَهُودِ، وَبَعْدَ ابْتِدَائِهِ خَبَرَهُ عَنِ النَّصَارَىٰ، فَأَنْ لَا يَكُونَ ذَلِكَ مَعْنِيًّا بِهِ إِلَّا النَّصَارَىٰ خَاصَّةً أَوْلَىٰ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِهِ الْحِزْبَانِ جَمِيعًا لِمَا ذَكَرْنَا، فَأَغْرَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْأَهْوَاءِ الَّتِي حَدَثَتْ بَيْنَهُمْ.. وَلَيْسَ الَّذِي قَالَهُ مَنْ قَالَ: (مَعْنِيٌّ بِذَلِكَ إِغْرَاءُ اللهِ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ) بِبَعِيدٍ، غَيْرَ أَنَّ هَذَا أَقْرَبُ عِنْدِي وَأَشْبَهُ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ لِمَا ذَكَرْنَا..

﴿ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي قَوْلِهِمْ فِي الْمَسِيحِ، وَذَلِكَ أَهْوَاءٌ لَا وَحْيٌ مِنَ اللهِ..

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ﴾ وَسَيُنَبِّئُهُمُ اللهُ عِنْدَ وُرُودِهِمُ اللهَ عَلَيْهِ فِي مَعَادِهِمْ..

﴿بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾ [المائدة: ١٤] مِنْ نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُ، وَنَكْثِهِمْ عَهْدَهُ، وَتَبْدِيلِهِمْ كِتَابَهُ، وَتَحْرِيفِهِمْ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، فَيُعَاقِبُهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ حَسَبَ اسْتِحْقَاقِهِمْ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: اعْفُ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَمُّوا بِبَسْطِ أَيْدِيهِمْ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ أَصْحَابِكَ، وَاصْفَحْ فَإِنَّ اللهَ مِنْ وَرَاءِ الِانْتِقَامِ مِنْهُمْ.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ [المائدة: ١٥].

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ كَانُوا فِي عَصْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ﴾ تكتُمُونَهُ النَّاسَ وَلَا تُبَيِّنُونَهُ لَهُمْ..

﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ مِمَّا فِي كِتَابِكُمْ، وَكَانَ مِمَّا يُخْفُونَهُ مِنْ كِتَابِهِمْ، فَبَيَّنَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلنَّاسِ: رَجْمُ الزَّانِينَ الْمُحْصَنِينَ..

﴿وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ وَيَتْرُكُ أَخْذَكُمْ بِكَثِيرٍ مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنْ كِتَابِكُمُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ إِلَيْكُمْ، وَهُوَ التَّوْرَاةُ، فَلَا تَعْمَلُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَأْمُرَهُ اللهُ بِأَخْذِكُمْ بِهِ..

﴿قَدْ جَاءَكُم﴾ يَا أَهْلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ يَعْنِي بِالنُّورِ مُحَمَّدًا ﷺ، الَّذِي أَنَارَ اللهُ بِهِ الْحَقَّ، وَأَظْهَرَ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَمَحَقَ بِهِ الشِّرْكَ فَهُوَ نُورٌ لِمَنِ اسْتَنَارَ بِهِ يُبَيِّنُ الْحَقَّ، وَمِنْ إِنَارَتِهِ الْحَقَّ تَبْيِينُهُ لِلْيَهُودِ كَثِيرًا مِمَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ..

﴿وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ [المائدة: ١٥] قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ النُّورُ الَّذِي أَنَارَ لَكُمْ بِهِ مَعَالِمَ الْحَقِّ، وكِتَابٌ مُبِينٌ، فِيهِ بَيَانُ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ بَيْنَهُمْ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَشَرَائِعِ دِينِهِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ جَمِيعَ مَا بِهِمُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ، وَيُوَضِّحُهُ لَهُمْ، حَتَّىٰ يَعْرِفُوا حَقَّهُ مِنْ بَاطِلِهِ.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾ [المائدة: ١٦].

﴿يَهْدِي﴾ يُرْشِدُ وَيُسَدِّدُ..

﴿بِهِ﴾ بِهَذَا الْكِتَابِ الْمُبِينِ الَّذِي جَاءَ مِنَ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ..

﴿اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ مَنِ اتَّبَعَ رِضَا اللهِ..

﴿سُبُلَ﴾ طُرُقَ..

﴿السَّلَامِ﴾ وَالسَّلَامُ هُوَ اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ..

﴿وَيُخْرِجُهُم﴾ يَهْدِي اللهُ بِهَذَا الْكِتَابِ الْمُبِينِ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ إِلَىٰ سُبُلِ السَّلَامِ، وَشَرَائِعِ دِينِهِ، وَيُخْرِجُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ..

﴿مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ..

﴿إِلَى النُّورِ﴾ إِلَىٰ نُورِ الْإِسْلَامِ وَضِيَائِهِ..

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بِإِذْنِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَإِذْنُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَحْبِيبُهُ إِيَّاهُ الْإِيمَانَ بِرَفْعِ طَابَعِ الْكُفْرِ عَنْ قَلْبِهِ، وَخَاتَمِ الشِّرْكِ عَنْهُ، وَتَوْفِيقُهُ لِإِبْصَارِ سُبُلِ السَّلَامِ..

﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾ وَيُرْشِدُهُمْ وَيُسَدِّدُهُمْ..

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٦] إِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ، وَهُوَ دِينُ اللهِ الْقَوِيمُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة: ١٧].

﴿لَّقَدْ﴾ أُقْسِمُ: لَقَدْ..

﴿كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ﴾ وَكُفْرُهُمْ فِي ذَلِكَ تَغْطِيَتُهُمُ الْحَقَّ فِي تَرْكِهِمْ نَفْيَ الْوَلَدِ عَنِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَادِّعَائِهِمْ أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ اللهُ فِرْيَةً وَكَذِبًا عَلَيْهِ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّصَارَىٰ الَّذِينَ افْتَرَوْا عَلَيَّ، وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، بِقِيلِهِمْ: إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ..

﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ مَنِ الَّذِي يُطِيقُ أَنْ يَدْفَعَ مِنْ أَمْرِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ شَيْئًا، فَيَرُدُّهُ إِذَا قَضَاهُ..

﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يَرُدَّ مِنْ أَمْرِ اللهِ شَيْئًا إِنْ شَاءَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ بِإِعْدَامِهِ مِنَ الْأَرْضِ وَإِعْدَامِ أُمِّهِ مَرْيَمَ، وَإِعْدَامِ جَمِيعِ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْخَلْقِ جَمِيعًا.. يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْجَهَلَةِ مِنَ النَّصَارَىٰ: لَوْ كَانَ الْمَسِيحُ كَمَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ هُوَ اللهُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، لَقَدَرَ أَنْ يَرُدَّ أَمْرَ اللهِ إِذَا جَاءَهُ بِإِهْلَاكِهِ وَإِهْلَاكِ أُمِّهِ، وَقَدْ أَهْلَكَ أُمَّهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَىٰ دَفْعِ أَمْرِهِ فِيهَا إِذْ نَزَلَ ذَلِكَ، فَفِي ذَلِكَ لَكُمْ مُعْتَبَرٌ إِنِ اعْتَبَرْتُمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْكُمْ إِنْ عَقَلْتُمْ، فِي أَنَّ الْمَسِيحَ بَشَرٌ كَسَائِرِ بَنِي آدَمَ، وَأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ هُوَ الَّذِي لَا يُغْلَبُ وَلَا يُقْهَرُ وَلَا يُرَدُّ لَهُ أَمْرٌ، بَلْ هُوَ الْحَيُّ الدَّائِمُ الْقَيُّومُ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُنْشِئُ وَيُفْنِي، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ..

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ﴾ وَاللهُ لَهُ تَصْرِيفُ مَا فِي..

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ﴾ وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، يُهْلِكُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ ذَلِكَ، وَيُبْقِي مَا يَشَاءُ مِنْهُ، وَيُوجِدُ مَا أَرَادَ، وَيُعْدِمُ مَا أَحَبَّ، لَا يَمْنَعُهُ مِنْ شَيْءٍ أَرَادَ مِنْ ذَلِكَ مَانِعٌ، وَلَا يَدْفَعُهُ عَنْهُ دَافِعٌ، يُنْفِذُ فِيهِمْ حُكْمَهُ، وَيُمْضِي فِيهِمْ قَضَاءَهُ، لَا الْمَسِيحُ الَّذِي إِنْ أَرَادَ إِهْلَاكَهُ رَبُّهُ وَإِهْلَاكَ أُمِّهِ لَمْ يَمْلِكْ دَفْعَ مَا أَرَادَ بِهِ رَبُّهُ مِنْ ذَلِكَ.. يَقُولُ جَلَّ وَعَزَّ: كَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا يُعْبَدُ مَنْ كَانَ عَاجِزًا عَنْ دَفْعِ مَا أَرَادَ بِهِ غَيْرُهُ مِنَ السُّوءِ، وَغَيْرَ قَادِرٍ عَلَىٰ صَرْفِ مَا نَزَلَ بِهِ مِنَ الْهَلَاكِ؟! بَلِ الْإِلَهُ الْمَعْبُودُ الَّذِي لَهُ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِيَدِهِ تَصْرِيفُ كُلِّ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا..

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ وَيُنْشِئُ مَا يَشَاءُ وَيُوجِدُهُ، وَيُخْرِجُهُ مِنْ حَالِ الْعَدَمِ إِلَىٰ حَالِ الْوُجُودِ، وَلَنْ يَقْدِرَ عَلَىٰ ذَلِكَ غَيْرُ اللهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّ لَهُ تَدْبِيرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَتَصْرِيفَهُ وَإِفْنَاءَهُ وَإِعْدَامَهُ، وَإِيجَادَ مَا يَشَاءُ مِمَّا هُوَ غَيْرُ مَوْجُودٍ وَلَا مُنْشَأٍ، يَقُولُ: فَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ سِوَايَ، فَكَيْفَ زَعَمْتُمْ أَيُّهَا الْكَذَبَةُ أَنَّ الْمَسِيحَ إِلَهٌ؟!، وَهُوَ لَا يُطِيقُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، بَلْ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ دَفْعِ الضَّرَرِ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَا عَنْ أُمِّهِ، وَلَا اجْتِلَابِ نَفْعٍ إِلَيْهَا، إِلَّا بِإِذْنِي..

﴿وَٱللَّهُ﴾ الْمَعْبُودُ..

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٧﴾ [المائدة: ١٧] هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْمَالِكُ كُلَّ شَيْءٍ، الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَلَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ طَلَبَهُ، الْمُقْتَدِرُ عَلَىٰ هَلَاكِ الْمَسِيحِ وَأُمِّهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا، لَا الْعَاجِزُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ مَنْعِ نَفْسِهِ مِنْ ضُرٍّ نَزَلَ بِهِ مِنَ اللهِ، وَلَا مَنْعِ أُمِّهِ مِنَ الْهَلَاكِ.. وَهَذَا ذَمٌّ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ لِلنَّصَارَىٰ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، الَّذِينَ ضَلُّوا عَنْ سُبُلِ السَّلَامِ، وَاحْتِجَاجٌ مِنْهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي فِرْيَتِهِمْ عَلَيْهِ بِادِّعَائِهِمْ لَهُ وَلَدًا.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ١٨﴾

[المائدة: ١٨].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ عَنْ قَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ أَنَّهُمْ قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ.. وَالْعَرَبُ قَدْ تُخْرِجُ الْخَبَرَ إِذَا افْتَخَرَتْ مُخْرَجَ الْخَبَرِ عَنِ الْجَمَاعَةِ، وَإِنْ كَانَ مَا افْتَخَرَتْ بِهِ مِنْ فِعْلِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَتَقُولُ: نَحْنُ الْأَجْوَادُ الْكِرَامُ وَإِنَّمَا الْجَوَادُ فِيهِمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَغَيْرُ الْمُتَكَلِّمِ الْفَاعِلُ ذَلِكَ، فَكَذَا أَخْبَرَ اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ عَنِ النَّصَارَىٰ أَنَّهَا قَالَتْ..

﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾ جَمْعُ حَبِيبٍ..

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْكَذَبَةِ الْمُفْتَرِينَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم﴾ فَلِأَيِّ شَيْءٍ يُعَذِّبُكُمْ رَبُّكُمْ..

﴿بِذُنُوبِكُمۖ﴾ إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاؤُهُ وَأَحِبَّاؤُهُ، فَإِنَّ الْحَبِيبَ لَا يُعَذِّبُ حَبِيبَهُ، وَأَنْتُمْ مُقِرُّونَ أَنَّهُ مُعَذِّبُكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ قَالَتْ: إِنَّ اللهَ مُعَذِّبُنَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا، عَدَدَ الْأَيَّامِ الَّتِي عَبَدْنَا فِيهَا الْعِجْلَ، ثُمَّ يُخْرِجُنَا جَمِيعًا مِنْهَا، فَقَالَ اللهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ لَهُمْ: إِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَقُولُونَ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ؟! يُعَلِّمُهُمْ عَزَّ ذِكْرُهُ أَنَّهُمْ أَهْلُ فِرْيَةٍ وَكَذِبٍ عَلَىٰ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ..

﴿بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ﴾ قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ، يَقُولُ: خَلْقٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، خَلَقَكُمُ اللهُ مِثْلَ سَائِرِ بَنِي آدَمَ، إِنْ أَحْسَنْتُمْ جُوزِيتُمْ بِإِحْسَانِكُمْ، كَمَا سَائِرُ بَنِي آدَمَ مَجْزِيُّونَ بِإِحْسَانِهِمْ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ جُوزِيتُمْ بِإِسَاءَتِكُمْ، كَمَا غَيْرُكُمْ مَجْزِيٌّ بِهَا، لَيْسَ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ إِلَّا مَا لِغَيْرِكُمْ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ ذُنُوبَهُ، فَيَصْفَحُ عَنْهُ بِفَضْلِهِ، وَيَسْتُرُهَا عَلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ، فَلَا يُعَاقِبُهُ بِهَا..

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾ وَيَعْدِلُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، فَيُعَاقِبُهُ عَلَىٰ ذُنُوبِهِ، وَيَفْضَحُهُ بِهَا عَلَىٰ رُءُوسِ الْأَشْهَادِ، فَلَا يَسْتُرُهَا عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا هَذَا مِنَ اللهِ عز وجل وَعِيدٌ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، الْمُتَّكِلِينَ عَلَىٰ مَنَازِلِ سَلَفِهِمُ الْخِيَارِ عِنْدَ اللهِ، الَّذِينَ فَضَّلَهُمُ اللهُ بِطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَاجْتِنَابِهِمْ مَعْصِيَتَهُ، لِمُسَارَعَتِهِمْ إِلَىٰ رِضَاهُ، وَاصْطِبَارِهِمْ عَلَىٰ مَا نَابَهُمْ فِيهِ، يَقُولُ لَهُمْ: لَا تَغْتَرُّوا بِمَكَانِ أُولَئِكَ مِنِّي، وَمَنَازِلِهِمْ عِنْدِي، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا نَالُوا مِنِّي بِالطَّاعَةِ لِي، وَإِيثَارِ رِضَايَ عَلَىٰ مَحَابِّهِمْ، لَا بِالْأَمَانِيِّ، فَجِدُّوا فِي طَاعَتِي، وَانْتَهُوا إِلَىٰ أَمْرِي، وَانْزَجِرُوا عَمَّا نَهَيْتُهُمْ عَنْهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا أَغْفِرُ ذُنُوبَ مَنْ أَشَاءُ أَنْ أَغْفِرَ ذُنُوبَهُ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِي، وَأُعَذِّبُ مَنْ أَشَاءُ تَعْذِيبَهُ مِنْ أَهْلِ مَعْصِيَتِي، لَا لِمَنْ قَرُبَتْ زُلْفَةُ آبَائِهِ مِنِّي، وَهُوَ لِي عَدُوٌّ، وَلِأَمْرِي وَنَهْيِي مُخَالِفٌ..

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ﴾ وَلِلَّهِ تَدْبِيرُ مَا فِي..

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وَمَا فِي..

﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ﴾ يَصْرِفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَيُدَبِّرُهُ كَيْفَ أَحَبَّهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْهُ، وَلَا لِأَحَدٍ مَعَهُ فِيهِ مُلْكٌ، فَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْقَائِلُونَ: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، أَنَّهُ إِنْ عَذَّبَكُمْ بِذُنُوبِكُمْ،

لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مِنْهُ مَانِعٌ، وَلَا لَكُمْ عَنْهُ دَافِعٌ؛ لِأَنَّهُ لَا نَسَبَ بَيْنَ أَحَدٍ وَبَيْنَهُ فَيُحَابِيهِ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَلَا لِأَحَدٍ فِي شَيْءٍ دُونَهُ مُلْكٌ فَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ إِنْ أَرَادَ تَعْذِيبَهُ بِذَنْبِهِ..

﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة: ١٨] وَإِلَيهِ مَصِيرُ كُلِّ شَيءٍ وَمَرْجِعِهِ، فَاتَّقُوا أَيُّهَا الْمُفْتَرُونَ عِقَابَهُ إِيَّاكُمْ عَلَىٰ ذُنُوبِكُمْ بَعْدَ مَرْجِعِكُمْ إِلَيْهِ، وَلَا تَغْتَرُّوا بِالْإِمَانِيِّ وَفَضَائِلِ الْآبَاءِ وَالْأَسْلَافِ.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [المائدة: ١٩].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الْيَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَوْ بَعْضَهُمْ -فِيمَا ذُكِرَ- لَمَّا دَعَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، قَالُوا: مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ بَعْدَ مُوسَىٰ، وَلَا أَنْزَلَ بَعْدَ التَّوْرَاةِ كِتَابًا..

﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ يُعَرِّفُكُمُ الْحَقَّ، وَيُوَضِّحُ لَكُمْ أَعْلَامَ الْهُدَىٰ، وَيُرْشِدُكُمْ إِلَىٰ دِينِ اللهِ الْمُرْتَضَىٰ..

﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾ عَلَىٰ انْقِطَاعٍ..

﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟﴾ كَيْ لَا تَقُولُوا..

﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ يعَلِّمُهُمْ عَزَّ ذِكْرُهُ أَنَّهُ قَدْ قَطَعَ عُذْرَهُمْ بِرَسُولِهِ ﷺ، وَأَبْلَغَ إِلَيْهِمْ فِي الْحُجَّةِ.. وَيَعْنِي بِالْبَشِيرِ: الْمُبَشِّرَ مَنْ أَطَاعَ اللهَ وَآمَنَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَعَمِلَ بِمَا آتَاهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ بِعَظِيمِ ثَوَابِهِ فِي آخِرَتِهِ، وَبِالنَّذِيرِ: الْمُنْذِرَ مَنْ عَصَاهُ وَكَذَّبَ رَسُولَهُ ﷺ وَعَمِلَ بِغَيْرِ مَا أَتَاهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ بِمَا لَا قِبَلَ لَهُ بِهِ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ فِي مَعَادِهِ، وَشَدِيدِ عَذَابِهِ فِي قِيَامَتِهِ..

﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَصَفْنَا صِفَتَهُمْ: قَدْ أَعْذَرْنَا إِلَيْكُمْ، وَاحْتَجَجْنَا عَلَيْكُمْ بِرَسُولِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَيكُمْ، وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ، لِيُبَيِّنَ لَكُمْ مَا أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ، كَيْلَا تَقُولُوا لَمْ يَأْتِنَا مِنْ عِنْدِكَ رَسُولٌ يُبَيِّنُ لَنَا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، فَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْ عِنْدِي رَسُولٌ، يُبَشِّرُ مَنْ آمَنَ بِي وَعَمِلَ بِمَا أَمَرْتُهُ، وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَيْتُهُ عَنْهُ، وَيُنْذِرُ مَنْ عَصَانِي وَخَالَفَ أَمْرِي..

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [المائدة: ١٩] وَأَنَا الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، أَقْدِرُ عَلَىٰ عِقَابِ مَنْ عَصَانِي وَثَوَابِ مَنْ أَطَاعَنِي، فَاتَّقُوا عِقَابِي عَلَىٰ مَعْصِيَتِكُمْ إِيَّايَ وَتَكْذِيبِكُمْ رَسُولِي، وَاطْلُبُوا

ثَوَابِي عَلَىٰ طَاعَتِكُمْ إِيَّايَ، وَتَصْدِيقِكُمْ بَشِيرِي وَنَذِيرِي، فَإِنِّي أَنَا الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَلَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ طَلَبَهُ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٠﴾ [المائدة: ٢٠].

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ إِذْ..

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ اذْكُرُوا أَيَادِيَ اللهِ عِنْدَكُمْ، وَآلَاءَهُ قِبَلَكُمْ..

﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَنَّ مُوسَىٰ ذَكَّرَ قَوْمَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَيَّامِ اللهِ عِنْدَهُمْ وَبِآلَائِهِ قِبَلَهُمْ، فَحَرَّضَهُمْ بِذَلِكَ عَلَىٰ اتِّبَاعِ أَمْرِ اللهِ فِي قِتَالِ الْجَبَّارِينَ، فَقَالَ لَهُمْ: اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ، إِذْ فَضَّلَكُمْ بِأَنْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ يَأْتُونَكُمْ بِوَحْيِهِ، وَيُخْبِرُونَكُمْ بِآيَاتِهِ بِالْغَيْبِ، وَلَمْ يُعْطِ ذَلِكَ غَيْرَكُمْ فِي زَمَانِكُمْ هَذَا، فَقِيلَ: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ مُوسَىٰ أَنَّهُمْ جُعِلُوا فِيهِمْ هُمُ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ مُوسَىٰ، إِذْ صَارَ إِلَىٰ الْجَبَلِ وَهُمُ السَّبْعُونَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ، فَقَالَ: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥]..

﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ سَخَّرَ لَكُمْ مِنْ غَيْرِكُمْ خَدَمًا يَخْدُمُونَكُمْ.. وَقِيلَ: إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لَهُمْ مُوسَىٰ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَحَدٌ سِوَاهُمْ يَخْدُمُهُ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ.. وَقَالَ آخَرُونَ: كُلُّ مَنْ مَلَكَ بَيْتًا وَخَادِمًا وَامْرَأَةً، فَهُوَ مَلِكٌ، كَائِنًا مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ قَائِلُو هَذِهِ الْمَقَالَةِ: إِنَّمَا قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَمْلِكُونَ الدُّورَ وَالْخَدَمَ، وَلَهُمْ نِسَاءٌ وَأَزْوَاجٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهُمْ يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ..

﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٠﴾ [المائدة: ٢٠] خِطَابٌ مِنْ مُوسَىٰ ﷺ لِقَوْمِهِ يَوْمَئِذٍ، وَعَنَىٰ بِذَلِكَ عَالَمِي زَمَانِهِ لَا عَالَمِي كُلِّ زَمَانٍ، وَلَمْ يَكُنْ أُوتِيَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ مِنْ نِعَمِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ مَا أُوتِيَ قَوْمُهُ ﷺ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، فَخَرَجَ الْكَلَامُ مِنْهُ ﷺ عَلَىٰ ذَلِكَ، لَا عَلَىٰ جَمِيعِ كُلِّ زَمَانٍ.. وَهَذَا أَيْضًا مِنَ اللهِ تَعْرِيفٌ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ قَدِيمٌ بِتَمَادِي هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ فِي الْغَيِّ، وَبُعْدِهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وَسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ، وَشِدَّةِ خِلَافِهِمْ لِأَنْبِيَائِهِمْ، وَبُطْءِ إِنَابَتِهِمْ إِلَىٰ الرَّشَادِ، مَعَ كَثْرَةِ نِعَمِ اللهِ عِنْدَهُمْ، وَتَتَابُعِ أَيَادِيهِ وَآلَائِهِ عَلَيْهِ، مُسَلِّيًا بِذَلِكَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَمَّا

يَحِلُّ بِهِ مِنْ عِلَاجِهِمْ، وَيَنْزِلُ بِهِ مِنْ مُقَاسَاتِهِمْ فِي ذَاتِ اللهِ.. يَقُولُ اللهُ لَهُ ﷺ: لَا تَأْسَ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ مِنْهُمْ، فَإِنَّ الذَّهَابَ عَنِ اللهِ وَالْبُعْدَ مِنَ الْحَقِّ وَمَا فِيهِ لَهُمُ الْحَظُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مِنْ عَادَاتِهِمْ وَعَادَاتِ أَسْلَافِهِمْ وَأَوَائِلِهِمْ، وَتَعَزَّ بِمَا لَاقَىٰ مِنْهُمْ أَخُوكَ مُوسَىٰ ﷺ.

﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١﴾ [المائدة: ٢١].

﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ عَنْ قَوْلِ مُوسَىٰ ﷺ لِقَوْمِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَمْرِهِ إِيَّاهُمْ عَنْ أَمْرِ اللهِ إِيَّاهُ، يَأْمُرُهُمْ بِدُخُولِ..

﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَىٰ بِذَلِكَ: الطُّورَ وَمَا حَوْلَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الشَّامُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ أَرْضُ أَرِيحَاءَ.. وَقِيلَ: إِنَّ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ: دِمَشْقُ وَفِلَسْطِينُ وَبَعْضُ الْأُرْدُنِّ.. وَعَنَىٰ بِقَوْلِهِ ﴿ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ الْمُطَهَّرَةَ الْمُبَارَكَةَ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، أَنْ يُقَالَ: هِيَ الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ، كَمَا قَالَ نَبِيُّ اللهِ مُوسَىٰ ﷺ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ بِأَنَّهَا أَرْضٌ دُونَ أَرْضٍ، لَا تُدْرَكُ حَقِيقَةُ صِحَّتِهِ إِلَّا بِالْخَبَرِ، وَلَا خَبَرَ بِذَلِكَ يَجُوزُ قَطْعُ الشَّهَادَةِ بِهِ، غَيْرَ أَنَّهَا لَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي بَيْنَ الْفُرَاتِ وَعَرِيشِ مِصْرَ لِإِجْمَاعِ جَمِيعِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ وَالسِّيَرِ وَالْعُلَمَاءِ بِالْأَخْبَارِ عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ الَّتِي أَثْبَتَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَنَّهَا لَكُمْ مَسَاكِنُ، وَمَنَازِلُ دُونَ الْجَبَابِرَةِ الَّتِي فِيهَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَكَيْفَ قَالَ: ﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٢٦]، فَكَيْفَ يَكُونُ مُثْبَتًا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَنَّهَا مَسَاكِنُ لَهُمْ، وَمُحَرَّمًا عَلَيْهِمْ سُكْنَاهَا؟! قِيلَ: إِنَّهَا كُتِبَتْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ دَارًا وَمَسَاكِنَ، وَقَدْ سَكَنُوهَا وَنَزَلُوهَا، وَصَارَتْ لَهُمْ كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ، وَلَمْ يَعْنِ ﷺ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ كَتَبَهَا لِلَّذِينَ أَمَرَهُمْ بِدُخُولِهَا بِأَعْيَانِهِمْ.. وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: قَدْ كَانَتْ مَكْتُوبَةً لِبَعْضِهِمْ، وَلِخَاصٍّ مِنْهُمْ، فَأَخْرَجَ الْكَلَامَ عَلَىٰ الْعُمُومِ وَالْمُرَادُ مِنْهُ الْخَاصُّ؛ إِذْ كَانَ يُوشَعُ قَدْ دَخَلَ، وَكَانَا مِمَّنْ خُوطِبَ بِهَذَا الْقَوْلِ، كَانَ أَيْضًا وَجْهًا صَحِيحًا..

﴿وَلَا تَرْتَدُّواْ﴾ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ عَنْ قِيلِ مُوسَىٰ عليه السلام لِقَوْمِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ

أَمَرَهُمْ عَنْ أَمْرِ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ إِيَّاهُ بِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: امْضُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ لِأَمْرِ اللهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ دُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَلَا تَرْجِعُوا الْقَهْقَرَىٰ مُرْتَدِّينَ..

﴿عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ﴾ إِلَىٰ وَرَائِكُمْ، وَلَكِنِ امْضُوا قُدُمًا لِأَمْرِ اللهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ الدُّخُولِ عَلَىٰ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَمَرَكُمُ اللهُ بِقِتَالِهِمْ، وَالْهُجُومِ عَلَيْهِمْ فِي أَرْضِهِمْ، وَأَنَّ اللهَ عَزَّ ذِكْرُهُ قَدْ كَتَبَهَا لَكُمْ مَسْكَنًا وَقَرَارًا..

﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١﴾ [المائدة: ٢١] تَنْصَرِفُوا خَائِبِينَ هَكَذَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا كَانَ وَجْهُ قِيلِ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِذْ أَمَرَهُمْ بِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ لَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ؟ أَوْ يَسْتَوْجِبُ الْخَسَارَةَ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ أَرْضًا جُعِلَتْ لَهُ؟ قِيلَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ ذِكْرُهُ كَانَ أَمَرَهُ بِقِتَالِ مَنْ فِيهَا مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ دُخُولَهَا، فَاسْتَوْجَبَ الْقَوْمُ الْخَسَارَةَ بِتَرْكِهِمْ إِذَنْ فَرْضَ اللهِ عَلَيْهِمْ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: تَضْيِيعُ فَرْضِ الْجِهَادِ الَّذِي كَانَ اللهُ فَرَضَهُ عَلَيْهِمْ، وَالثَّانِي: خِلَافُهُمْ أَمْرَ اللهِ فِي تَرْكِهِمْ دُخُولَ الْأَرْضِ، وَقَوْلِهِمْ لِنَبِيِّهِمْ مُوسَىٰ ﷺ، إِذْ قَالَ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ: ﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢﴾ [المائدة: ٢٢]، كَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ فِي ذَلِكَ: أُمِرُوا بِهَا كَمَا أُمِرُوا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢﴾ [المائدة: ٢٢].

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ جَوَابِ قَوْمِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذْ أَمَرَهُمْ بِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، أَنَّهُمْ أَبَوْا عَلَيْهِ إِجَابَةً إِلَىٰ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَاعْتَلُّوا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ بِأَنْ قَالُوا..

﴿إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ﴾ إِنَّ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي تَأْمُرُنَا بِدُخُولِهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ، لَا طَاقَةَ لَنَا بِحَرْبِهِمْ، وَلَا قُوَّةَ لَنَا بِهِمْ.. وَسَمُّوهُمْ جَبَّارِينَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا بِشِدَّةِ بَطْشِهِمْ وَعَظِيمِ خَلْقِهِمْ -فِيمَا ذُكِرَ لَنَا- قَدْ قَهَرُوا سَائِرَ الْأُمَمِ غَيْرَهُمْ.. وَأَصْلُ الْجَبَّارِ: الْمُصْلِحُ أَمْرَ نَفْسِهِ وَأَمْرَ غَيْرِهِ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي كُلِّ مَنِ اجْتَرَّ نَفْعًا إِلَىٰ نَفْسِهِ بِحَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ، حَتَّىٰ قِيلَ لِلْمُتَعَدِّي إِلَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ بَغْيًا عَلَىٰ النَّاسِ وَقَهْرًا لَهُمْ وَعُتُوًّا عَلَىٰ رَبِّهِ: جَبَّارٌ، وَإِنَّمَا هُوَ فَعَّالٌ، مِنْ قَوْلِهِمْ: جَبَرَ فُلَانٌ هَذَا الْكَسْرَ، إِذَا أَصْلَحَهُ وَلَأَمَهُ.. وَمِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ الْجَبَّارُ، لِأَنَّهُ الْمُصْلِحُ أَمْرَ عِبَادِهِ الْقَاهِرُ لَهُمْ بِقُدْرَتِهِ..

﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ -عَزَّ ذِكْرُهُ- عَنْ قَوْلِ قَوْمِ مُوسَىٰ لِمُوسَىٰ جَوَابًا لِقَوْلِهِ لَهُمْ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المائدة: ٢١] فَقَالُوا:

﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا﴾ يَعْنُونَ: مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ الْجَبَّارُونَ الَّذِينَ فِيهَا، جُبْنًا مِنْهُمْ وَجَزَعًا مِنْ قِتَالِهِمْ، وَقَالُوا لَهُ..

﴿فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا﴾ إِنْ يَخْرُجْ مِنْهَا هَؤُلَاءِ الْجَبَّارُونَ..

﴿فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المائدة: ٢٢] دَخَلْنَاهَا، وَإِلَّا فَإِنَّا لَا نُطِيقُ دُخُولَهَا وَهُمْ فِيهَا؛ لِأَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِمْ، وَلَا يَدَ.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣].

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ عَنِ الرَّجُلَيْنِ الصَّالِحَيْنِ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ: يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، وَكَالِبِ بْنِ يُوفَنَا، أَنَّهُمَا وَفَيَا لِمُوسَىٰ بِمَا عَهِدَ إِلَيْهِمَا مِنْ تَرْكِ إِعْلَامِ قَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَمَرَهُمْ بِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ عَلَىٰ الْجَبَابِرَةِ مِنَ الْكَنْعَانِيِّينَ، بِمَا رَأَيَا وَعَايَنَا مِنْ شِدَّةِ بَطْشِ الْجَبَابِرَةِ وَعِظَمِ خَلْقِهِمْ، وَوَصَفَهُمَا اللهُ بِأَنَّهُمَا مِمَّنْ يَخَافُ اللهَ وَيُرَاقِبُهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بِطَاعَةِ اللهِ فِي طَاعَةِ نَبِيِّهِ مُوسَىٰ ﷺ، وَانْتِهَائِهِمْ إِلَىٰ أَمْرِهِ، وَالِانْزِجَارِ عَمَّا زَجَرَهُمَا عَنْهُ ﷺ، مِنْ إِفْشَاءِ مَا عَايَنَا مِنْ عَجِيبِ أَمْرِ الْجَبَّارِينَ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي حَذَّرَ عَنْهُ أَصْحَابَهُمَا الْآخَرِينَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُمَا مِنَ النُّقَبَاءِ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا بِالْخَوْفِ..

﴿ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ﴾ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ عَنْ قَوْلِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ يَخَافَانِ اللهَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَبُنُوا وَخَافُوا مِنَ الدُّخُولِ عَلَىٰ الْجَبَّارِينَ لَمَّا سَمِعُوا خَبَرَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمُ النُّقَبَاءُ الَّذِينَ أَفْشَوْا مَا عَايَنُوا مِنْ أَمْرِهِمْ فِيهِمْ، وَقَالُوا: إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا، فَقَالَا لَهُمْ: ادْخُلُوا عَلَيْهِمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ بَابَ مَدِينَتِهِمْ، فَإِنَّ اللهَ مَعَكُمْ وَهُوَ نَاصِرُكُمْ، وَإِنَّكُمْ إِذَا دَخَلْتُمُ الْبَابَ غَلَبْتُمُوهُمْ..

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟﴾ وَهَذَا أَيْضًا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ، عَنْ قَوْلِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ يَخَافَانِ اللهَ أَنَّهُمَا قَالَا لِقَوْمِ مُوسَىٰ يُشَجِّعَانِهِمْ بِذَلِكَ، وَيُرَغِّبَانِهِمْ فِي الْمُضِيِّ لِأَمْرِ اللهِ بِالدُّخُولِ عَلَىٰ الْجَبَّارِينَ فِي مَدِينَتِهِمْ: تَوَكَّلُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَىٰ اللهِ فِي دُخُولِكُمْ عَلَيْهِمْ، وَيَقُولَانِ لَهُمْ: ثِقُوا بِاللهِ؛ فَإِنَّهُ مَعَكُمْ إِنْ أَطَعْتُمُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ مِنْ جِهَادِ عَدُوِّكُمْ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣] إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِي نَبِيِّكُمْ ﷺ، فِيمَا أَنْبَأَكُمْ عَنْ رَبِّكُمْ

مِنَ النُّصْرَةِ وَالظَّفَرِ عَلَيْهِمْ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ إِخْبَارِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ رَبَّكُمْ قَادِرٌ عَلَىٰ الْوَفَاءِ لَكُمْ بِمَا وَعَدَكُمْ مِنْ تَمْكِينِكُمْ فِي بِلَادِ عَدُوِّهِ وَعَدُوِّكُمْ.

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٤].

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ عَنْ قَوْلِ الْمَلَإِ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ لِمُوسَىٰ، إِذْ رَغِبُوا فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَوُعِدُوا نَصْرَ اللهِ إِيَّاهُمْ إِنْ هُمْ نَاهَضُوهُمْ، وَدَخَلُوا عَلَيْهِمْ بَابَ مَدِينَتِهِمْ، أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ..

﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا﴾ أَيَّامَ حَيَاتِنَا..

﴿مَّا دَامُوا۟ فِيهَا﴾ مَا كَانَ الْجَبَّارُونَ مُقِيمِينَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ الَّتِي كَتَبَهَا اللهُ لَهُمْ، وَأُمِرُوا بِدُخُولِهَا..

﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٤] لَا نَجِيءُ مَعَكَ يَا مُوسَىٰ إِنْ ذَهَبْتَ إِلَيْهِمْ لِقِتَالِهِمْ، وَلَكِنْ نَتْرُكُكَ تَذْهَبُ أَنْتَ وَحْدَكَ وَرَبُّكَ فَتُقَاتِلَانِهِمْ.. وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ فِي ذَلِكَ: لَيْسَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: اذْهَبْ أَنْتَ وَلْيَذْهَبْ مَعَكَ رَبُّكَ فَقَاتِلَا، وَلَكِنْ مَعْنَاهُ: اذْهَبْ أَنْتَ يَا مُوسَىٰ، وَلْيُعِنْكَ رَبُّكَ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الذَّهَابُ، وَهَذَا إِنَّمَا كَانَ يَحْتَاجُ إِلَىٰ طَلَبِ الْمَخْرَجِ لَهُ لَوْ كَانَ الْخَبَرُ عَنْ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، فَأَمَّا قَوْمٌ أَهْلُ خِلَافٍ عَلَىٰ اللهِ -عَزَّ ذِكْرُهُ- وَرَسُولِهِ، فَلَا وَجْهَ لِطَلَبِ الْمَخْرَجِ لِكَلَامِهِمْ فِيمَا قَالُوا فِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَافْتَرَوْا عَلَيْهِ، إِلَّا بِمَا يُشْبِهُ كُفْرَهُمْ وَضَلَالَتَهُمْ.. وَقَدْ ذُكِرَ عَنِ الْمِقْدَادِ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خِلَافَ مَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ لِمُوسَىٰ: (..إِنَّا لَا نَقُولُ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، وَلَكِنْ نَقُولُ: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [المائدة: ٢٥].

﴿قَالَ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ عَنْ قِيلِ قَوْمِ مُوسَىٰ، حِينَ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ مَا قَالُوا مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٤] أَنَّهُ قَالَ عِنْدَ ذَلِكَ، وَغَضِبَ مِنْ قِيلِهِمْ لَهُمْ دَاعِيًا: يَا..

﴿رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾ لَا أَقْدِرُ عَلَىٰ أَحَدٍ أَنْ أَحْمِلَهُ عَلَىٰ مَا أُحِبُّ وَأُرِيدُ مِنْ طَاعَتِكَ وَاتِّبَاعِ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ، إِلَّا عَلَىٰ نَفْسِي وَعَلَىٰ أَخِي، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: مَا أَمْلِكُ مِنَ الْأَمْرِ

شَيْئًا إِلَّا كَذَا وَكَذَا، بِمَعْنَىٰ: لَا أَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ غَيْرِهِ..

﴿فَٱفۡرُقۡ﴾ افْصِلْ..

﴿بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥﴾ [المائدة: ٢٥] بِقَضَاءٍ مِنْكَ تَقْضِيهِ فِينَا وَفِيهِمْ فَتُبْعِدُهُمْ مِنَّا، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: فَرَقْتُ بَيْنَ هَذَيْنِ الشَّيْئَيْنِ، بِمَعْنَىٰ: فَصَلْتُ بَيْنَهُمَا.. وَعَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥﴾ الْخَارِجِينَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِهِ، إِلَىٰ الْكُفْرِ بِاللهِ وَبِهِ، وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ الْفِسْقِ: الْخُرُوجُ مِنْ شَيْءٍ إِلَىٰ شَيْءٍ، فِيمَا مَضَىٰ، بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ [المائدة: ٢٦].

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ﴾ حَرَّمَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ عَلَىٰ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَصَوْهُ وَخَالَفُوا أَمْرَهُ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ وَأَبَوْا حَرْبَ الْجَبَّارِينَ، دُخُولَ مَدِينَتِهِمْ..

﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ﴾ ثُمَّ فَتَحَهَا عَلَيْهِمْ، وَأَسْكَنُوهَا، وَأَهْلَكَ الْجَبَّارِينَ بَعْدَ حَرْبٍ مِنْهُمْ لَهُمْ، بَعْدَ أَنْ قُضِيَتِ الْأَرْبَعُونَ سَنَةً، وَخَرَجُوا مِنَ التِّيهِ.. وَقَدْ وَفَىٰ اللهُ بِمَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، فَتَيَّهَهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَحَرَّمَ عَلَىٰ جَمِيعِهِمْ فِي الْأَرْبَعِينَ سَنَةً الَّتِي مَكَثُوا فِيهَا تَائِهِينَ دُخُولَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَلَمْ يَدْخُلْهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ، لَا صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ وَلَا صَالِحٌ وَلَا طَالِحٌ، حَتَّىٰ انْقَضَتِ السُّنُونَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ فِيهَا دُخُولَهَا، ثُمَّ أَذِنَ لِمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ وَذَرَارِيهِمْ بِدُخُولِهَا مَعَ نَبِيِّ اللهِ مُوسَىٰ، وَالرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا، وَافْتَتَحَ قَرْيَةَ الْجَبَّارِينَ نَبِيُّ اللهِ مُوسَىٰ ﷺ وَعَلَىٰ مُقَدِّمَتِهِ يُوشَعُ..

﴿يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يَحَارُونَ فِيهَا وَيَضِلُّونَ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلرَّجُلِ الضَّالِّ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ: تَائِهٌ.. وَكَانَ تِيهُهُمْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُصْبِحُونَ أَرْبَعِينَ سَنَةً كُلَّ يَوْمٍ جَادِّينَ لِلْخُرُوجِ مِنْهُ، فَيُمْسُونَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي ابْتَدَءُوا السَّيْرَ مِنْهُ..

﴿فَلَا تَأۡسَ﴾ فَلَا تَحْزَنْ..

﴿عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ [المائدة: ٢٦].

﴿۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة: ٢٧].

﴿۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَاتْلُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ هَمُّوا أَنْ

يَبْسُطُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَيْكُمْ، وَعَرِّفْهُمْ مَكْرُوهَ عَاقِبَةِ الظُّلْمِ وَالْمَكْرِ، وَسُوءَ مَغَبَّةِ الْجَوْرِ وَنَقْضِ الْعَهْدِ، وَمَا جَزَاءُ النَّاكِثِ، وَثَوَابُ الْوَافِي..

﴿نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ﴾ خَبَرَ ابْنَيْ آدَمَ هَابِيلَ وَقَابِيلَ، وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ الْمُطِيعِ مِنْهُمَا رَبَّهُ الْوَافِي بِعَهْدِهِ، وَمَا إِلَيْهِ صَارَ أَمْرُ الْعَاصِي مِنْهُمَا رَبَّهُ، الْجَائِرِ النَّاقِضِ عَهْدَهُ، فَلْتَعْرِفْ بِذَلِكَ الْيَهُودُ وَخَامَةَ غِبِّ غَدْرِهِمْ، وَنَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَهَمِّهِمْ بِمَا هَمُّوا بِهِ مِنْ بَسْطِ أَيْدِيهِمْ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّ لَكَ وَلَهُمْ فِي حُسْنِ ثَوَابِي وَعِظَمِ جَزَائِي عَلَىٰ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ الَّذِي جَازَيْتُ الْمَقْتُولَ الْوَافِيَ بِعَهْدِهِ مِنِ ابْنَيْ آدَمَ، وَعَاقَبْتُ بِهِ الْقَاتِلَ النَّاكِثَ عَهْدَهُ، عَزَاءً جَمِيلًا..

﴿بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا﴾ وَلَمْ يُخْبِرْ أَنَّ تَقْرِيبَهُمَا مَا قَرَّبَا كَانَ عَنْ أَمْرِ اللهِ إِيَّاهُمَا بِهِ وَلَا عَنْ غَيْرِ أَمْرِهِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ عَنْ أَمْرِ اللهِ إِيَّاهُمَا بِذَلِكَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ عَنْ غَيْرِ أَمْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ فَلَمْ يُقَرِّبَا ذَلِكَ إِلَّا طَلَبَ قُرْبَةٍ إِلَىٰ اللهِ..

﴿قُرْبَانًا﴾ وَكَانَتْ قَرَابِينُ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ قَبْلَ أُمَّتِنَا كَالصَّدَقَاتِ وَالزَّكَوَاتِ فِينَا، غَيْرَ أَنَّ قَرَابِينَهُمْ كَانَ يُعْلَمُ الْمُتَقَبَّلُ مِنْهَا وَغَيْرُ الْمُتَقَبَّلِ -فِيمَا ذُكِرَ- بِأَكْلِ النَّارِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهَا، وَتَرْكِ النَّارِ مَا لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْهَا.. وَالْقُرْبَانُ فِي أُمَّتِنَا الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ، مِنَ الصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالصَّدَقَةِ عَلَىٰ أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ، وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ، وَلَا سَبِيلَ لَهَا إِلَىٰ الْعِلْمِ فِي عَاجِلٍ بِالْمُتَقَبَّلِ مِنْهَا وَالْمَرْدُودِ..

﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ﴾ الَّذِي لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْهُ قُرْبَانُهُ لِلَّذِي تُقُبِّلَ مِنْهُ قُرْبَانُهُ..

﴿لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ﴾ الْمُتَقَبَّلُ قُرْبَانُهُ..

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧] مِنَ الَّذِينَ اتَّقَوُا اللهَ وَخَافُوهُ، بِأَدَاءِ مَا كَلَّفَهُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَقَدْ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: الْمُتَّقُونَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِينَ اتَّقَوُا الشِّرْكَ.. وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْعَنْبَرِيِّ، أَنَّهُ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ بَكَىٰ، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟! فَقَدْ كُنْتَ وَكُنْتَ، فَقَالَ: (يُبْكِينِي أَنِّي أَسْمَعُ اللهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾).

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المائدة: ٢٨].

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنِ الْمَقْتُولِ مِنِ ابْنَيْ آدَمَ أَنَّهُ قَالَ لِأَخِيهِ

لَمَّا قَالَ لَهُ أَخُوهُ الْقَاتِلُ لأَقْتُلَنَّكَ: وَاللهِ ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ﴾ مَدَدْتَ إِلَيَّ يَدَكَ..

﴿لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ﴾ مَا أَنَا بِمَادٍّ..

﴿يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ لِإِنَّ اللهَ عَزَّ ذِكْرُهُ قَدْ كَانَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ قَتْلَ نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ ظُلْمًا، وَأَنَّ الْمَقْتُولَ قَالَ لِأَخِيهِ: مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ إِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ حَرَامًا عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ أَخِيهِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ حَرَامًا عَلَىٰ أَخِيهِ الْقَاتِلِ مِنْ قَتْلِهِ، فَأَمَّا الامْتِنَاعُ مِنْ قَتْلِهِ حِينَ أَرَادَ قَتْلَهُ، فَلَا دَلَالَةَ عَلَىٰ أَنَّ الْقَاتِلَ حِينَ أَرَادَ قَتْلَهُ وَعَزَمَ عَلَيْهِ كَانَ الْمَقْتُولُ عَالِمًا بِمَا هُوَ عَلَيْهِ، عَازِمٌ مِنْهُ وَمُحَاوِلٌ مِنْ قَتْلِهِ، فَتَرَكَ دَفْعَهُ عَنْ نَفْسِهِ، بَلْ قَدْ ذَكَرَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ قَتَلَهُ غِيلَةً، اغْتَالَهُ وَهُوَ نَائِمٌ، فَشَدَخَ رَأْسَهُ بِصَخْرَةٍ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مُمْكِنًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّهُ كَانَ مَأْمُورًا بِتَرْكِ مَنْعِ أَخِيهِ مِنْ قَتْلِهِ، لَمْ يَكُنْ جَائِزًا ادِّعَاءُ مَا لَيْسَ فِي الْآيَةِ إِلَّا بِبُرْهَانٍ يَجِبُ تَسْلِيمُهُ..

﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ فَإِنِّي أَخَافُ اللهَ فِي بَسْطِ يَدِيَ إِلَيْكَ إِنْ بَسَطْتُهَا لِقَتْلِكَ..

﴿رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٨﴾ [المائدة: ٢٨] مَالِكَ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا، أَنْ يُعَاقِبَنِي عَلَىٰ بَسْطِ يَدِيَ إِلَيْكَ.

﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾

[المائدة: ٢٩].

﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى﴾ مِنْ قَتْلِكَ إِيَّايَ.. أَيْ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِ قَتْلِي، فَحَذَفَ الْقَتْلَ وَاكْتَفَىٰ بِذِكْرِ الْإِثْمِ، إِذْ كَانَ مَفْهُومًا مَعْنَاهُ عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ بِهِ..

﴿وَإِثْمِكَ﴾ فِي مَعْصِيَتِكَ اللهَ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَاصِيكَ، وَذَلِكَ مَعْصِيَةُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي أَعْمَالٍ سِوَاهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَ لَيْسَ قَتْلُ الْمَقْتُولِ مِنْ بَنِي آدَمَ كَانَ مَعْصِيَةً لِلَّهِ مِنَ الْقَاتِلِ؟ قِيلَ: بَلَىٰ، وَأَعْظِمْ بِهَا مَعْصِيَةً، فَإِنْ قَالَ: فَإِذَا كَانَ لِلَّهِ جَلَّ وَعَزَّ مَعْصِيَةٌ، فَكَيْفَ جَازَ أَنْ يُرِيدَ ذَلِكَ مِنْهُ الْمَقْتُولُ وَيَقُولُ: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى﴾ وَقَدْ ذَكَرْتَ أَنَّ تَأْوِيلَ ذَلِكَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِ قَتْلِي؟ فَمَعْنَاهُ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِ قَتْلِي إِنْ قَتَلْتَنِي لِأَنِّي لَا أَقْتُلُكَ، فَإِنْ أَنْتَ قَتَلْتَنِي فَإِنِّي مَرِيدٌ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِ مَعْصِيَتِكَ اللهَ فِي قَتْلِكَ إِيَّايَ، وَهُوَ إِذَا قَتَلَهُ، فَهُوَ لَا مَحَالَةَ بَاءَ بِهِ فِي حُكْمِ اللهِ، فَإِرَادَتُهُ ذَلِكَ غَيْرُ مُوجِبَةٍ لَهُ الدُّخُولَ فِي الْخَطَأِ..

﴿فَتَكُونَ﴾ بِقَتْلِكَ إِيَّايَ..

﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ مِنْ سُكَّانِ الْجَحِيمِ، وَوَقُودِ النَّارِ الْمُخَلَّدِينَ فِيهَا..

﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [المائدة: ٢٩] وَالنَّارُ ثَوَابُ التَّارِكِينَ طَرِيقَ الْحَقِّ، الزَّائِلِينَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، الْمُتَعَدِّينِ مَا جُعِلَ لَهُمْ إِلَىٰ مَا لَمْ يُجْعَلْ لَهُمْ.. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ -عَزَّ ذِكْرُهُ- قَدْ كَانَ أَمَرَ وَنَهَىٰ آدَمَ بَعْدَ أَنْ أَهْبَطَهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، وَوَعَدَ وَأَوْعَدَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قَالَ الْمَقْتُولُ لِلْقَاتِلِ: فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ بِقَتْلِكَ إِيَّايَ، وَلَا أَخْبَرَهُ أَنَّ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ.. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا، ذَلِكَ بِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ».. وَبِهَذَا الْخَبَرِ الَّذِي ذَكَرْنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَبَيَّنَ أَنَّ الْقَوْلَ الَّذِي قَالَهُ الْحَسَنُ فِي ابْنَيْ آدَمَ اللَّذَيْنِ ذَكَرَهُمَا اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنَّهُمَا لَيْسَا بِابْنَيْ آدَمَ لِصُلْبِهِ، وَلَكِنَّهُمَا رَجُلَانِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنَّ الْقَوْلَ الَّذِي حُكِيَ عَنْهُ، أَنَّ أَوَّلَ مَنْ مَاتَ آدَمُ، وَأَنَّ الْقُرْبَانَ الَّذِي كَانَتِ النَّارُ تَأْكُلُهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ خَطَأٌ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَخْبَرَ عَنْ هَذَا الْقَاتِلِ الَّذِي قَتَلَ أَخَاهُ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ، وَقَدْ كَانَ لَا شَكَّ الْقَتْلُ قَبْلَ إِسْرَائِيلَ، فَكَيْفَ قَبْلُ ذُرِّيَّتِهِ، وَخَطَأٌ مِنَ الْقَوْلِ أَنْ يُقَالَ: أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ الصَّحِيحَ مِنَ الْقَوْلِ هُوَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ ابْنُ آدَمَ لِصُلْبِهِ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ، فَأَوْجَبَ اللهُ لَهُ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا رُوِّينَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٣٠﴾ [المائدة: ٣٠].

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ﴾ فَأَقَامَتْهُ وَسَاعَدَتْهُ عَلَيْهِ..

﴿قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ﴾ الْقَاتِلُ أَخَاهُ مِنِ ابْنَيْ آدَمَ..

﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٣٠﴾ [المائدة: ٣٠] مِنْ حِزْبِ الْخَاسِرِينَ، وَهُمُ الَّذِينَ بَاعُوا آخِرَتَهُمْ بِدُنْيَاهُمْ بِإِيثَارِهِمْ إِيَّاهَا عَلَيْهَا، فَوُكِسُوا فِي بَيْعِهِمْ وَغُبِنُوا فِيهِ، وَخَابُوا فِي صَفْقَتِهِمْ.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾ [المائدة: ٣١].

﴿فَبَعَثَ﴾ فَأَثَارَ..

﴿ٱللَّهُ﴾ لِلْقَاتِلِ إِذْ لَمْ يَدْرِ مَا يَصْنَعُ بِأَخِيهِ الْمَقْتُولِ..

﴿غُرَابًا يَبْحَثُ﴾ يَحْفِرُ..

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فَيُثِيرُ تُرَابَهَا..

﴿لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ جِيفَةَ أَخِيهِ.. فَأَرَاهُ بِأَنْ بَحَثَ فِي الْأَرْضِ لِغُرَابٍ آخَرَ مَيِّتٍ، فَوَارَاهُ فِيهَا، فَـ...

﴿قَالَ﴾ الْقَاتِلُ أَخَاهُ حِينَئِذٍ..

﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾ الَّذِي وَارَىٰ الْغُرَابَ الْآخَرَ الْمَيِّتَ..

﴿فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى﴾ فَوَارَاهُ حِينَئِذٍ..

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة: ٣١] عَلَىٰ مَا فَرَطَ مِنْهُ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ -عَزَّ ذِكْرُهُ- فِي قَتْلِهِ أَخَاهُ.. وَكُلُّ مَا ذَكَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِبَنِي آدَمَ، وَحَرَّضَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ اسْتِعْمَالِ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنِ الْيَهُودِ، الَّذِينَ كَانُوا هَمُّوا بِقَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَتْلِهِمْ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، إِذْ أَتَوْهُمْ يَسْتَعِينُونَهُمْ فِي دِيَةِ قَتِيلَيْ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ، وَعَرَّفَهُمْ -جَلَّ وَعَزَّ- رَدَاءَةَ سَجِيَّةِ أَوَائِلِهِمْ، وَسُوءَ اسْتِقَامَتِهِمْ عَلَىٰ مَنْهَجِ الْحَقِّ مَعَ كَثْرَةِ أَيَادِيهِ وَآلَائِهِ عِنْدَهُمْ، وَضَرَبَ مَثَلَهُمْ فِي عَدُوِّهِمْ وَمَثَلَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْوَفَاءِ لَهُمْ وَالْعَفْوِ عَنْهُمْ بِابْنَيْ آدَمَ الْمُقَرِّبِينَ قَرَابِينَهُمَا اللَّذَيْنِ ذَكَرَهُمَا اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ.. ثُمَّ ذَلِكَ مَثَلٌ لَهُمْ عَلَىٰ التَّأَسِّي بِالْفَاضِلِ مِنْهُمَا دُونَ الطَّالِحِ.. وَهَذَا أَيْضًا أَحَدُ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الْقَوْلَ فِي أَمْرِ ابْنَيْ آدَمَ بِخِلَافِ مَا رَوَاهُ عَمْرٌو عَنِ الْحَسَنِ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ لَوْ كَانَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَجْهَلِ الْقَاتِلُ دَفْنَ أَخِيهِ وَمُوَارَاةَ سَوْأَةِ أَخِيهِ، وَلَكِنَّهُمَا كَانَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ لِصُلْبِهِ، وَلَمْ يَكُنِ الْقَاتِلُ مِنْهُمَا أَخَاهُ عَلِمَ سُنَّةَ اللهِ فِي عَادَةِ الْمَوْتَىٰ، وَلَمْ يَدْرِ مَا يَصْنَعُ بِأَخِيهِ الْمَقْتُولِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُهُ عَلَىٰ عَاتِقِهِ حِينًا حَتَّىٰ أَرَاحَتْ جِيفَتُهُ، فَأَحَبَّ اللهُ تَعْرِيفَهُ السُّنَّةَ فِي مَوْتَىٰ خَلْقِهِ، فَقَيَّضَ لَهُ الْغُرَابَيْنِ اللَّذَيْنِ وَصَفَ صِفَتَهُمَا فِي كِتَابِهِ.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾

[المائدة: ٣٢].

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ مِنْ جِنَايَةِ ابْنِ آدَمَ الْقَاتِلِ أَخَاهُ ظُلْمًا..

﴿كَتَبْنَا﴾ حَكَمْنَا..

﴿عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ﴾ مِنْهُمْ..

﴿نَفۡسَۢا﴾ مُؤْمِنَةً..

﴿بِغَيۡرِ نَفۡسٍ﴾ قَتَلَتْهَا فَاسْتَحَقَّتِ الْقَوَدَ بِهَا وَالْقَتْلَ قِصَاصًا..

﴿أَوۡ﴾ بِغَيْرِ..

﴿فَسَادٖ﴾ كَانَ مِنْهَا.. وفَسَادُهَا فِي الْأَرْضِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْحَرْبِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَحَرْبِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا، وَإِخَافَةِ السَّبِيلِ..

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فَاسْتَحَقَّتْ بِذَلِكَ قَتْلَهَا..

﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ فِيمَا اسْتَوْجَبَ مِنْ عَظِيمِ الْعُقُوبَةِ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، كَمَا أَوْعَدَهُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ رَبُّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ۝٩٣﴾ [النساء: ٩٣]..

﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا﴾ فَحَرَّمَ قَتْلَ مَنْ حَرَّمَ اللهُ -عَزَّ ذِكْرُهُ- قَتْلَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَلَمْ يَتَقَدَّمْ عَلَىٰ قَتْلِهِ..

﴿فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾ فَقَدْ حَيِيَ النَّاسُ مِنْهُ بِسَلَامَتِهِمْ مِنْهُ، وَذَلِكَ إِحْيَاؤُهُ إِيَّاهَا، وَذَلِكَ نَظِيرُ خَبَرِ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ عَمَّنْ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ، إِذْ قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾ [البقرة: ٢٥٨] فَكَانَ مَعْنَىٰ الْكَافِرِ فِي قِيلِهِ ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾: أَنَا أَتْرُكُ مَنْ قَدَرْتُ عَلَىٰ قَتْلِهِ؛ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَأُمِيتُۖ﴾: قَتْلُهُ مَنْ قَتَلَهُ، فَكَذَلِكَ مَعْنَىٰ الْإِحْيَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا﴾ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ قَتْلِهِ إِيَّاهُمْ، إِلَّا فِيمَا أَذِنَ اللهُ فِي قَتْلِهِ مِنْهُمْ ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ هَذَا قَسَمٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَقْسَمَ بِهِ، أَنَّ رُسُلَهُ -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ- قَدْ أَتَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ قَصَّ اللهُ قَصَصَهُمْ، وَذَكَرَ نَبَأَهُمْ فِي الْآيَاتِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ إِلَىٰ هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بِالْآيَاتِ الْوَاضِحَةِ، وَالْحُجَجِ الْبَيِّنَةِ عَلَىٰ حَقِّيَّةِ مَا أُرْسِلُوا بِهِ إِلَيْهِمْ، وَصِحَّةِ مَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِمْ وَأَدَاءِ فَرَائِضِ اللهِ عَلَيْهِمْ..

﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ۝٣٢﴾ [المائدة: ٣٢] لَعَامِلُونَ بِمَعَاصِي اللهِ، وَمُخَالِفُونَ أَمْرَ اللهِ وَنَهْيَهُ، وَمُحَادُّو اللهَ وَرُسُلَهُ، بِاتِّبَاعِهِمْ أَهْوَاءَهُمْ، وَخِلَافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ؛ وَذَلِكَ كَانَ إِسْرَافُهُمْ فِي الْأَرْضِ.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة: ٣٣].

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الْمُحَارِبُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ: مَنْ حَارَبَ فِي سَابِلَةِ الْمُسْلِمِينَ وَذِمَّتِهِمْ، وَالْمُغِيرُ عَلَيْهِمْ فِي أَمْصَارِهِمْ وَقُرَاهُمْ حِرَابَةً، فَسَوَاءٌ كَانَ نَصْبُهُ الْحَرْبَ لَهُمْ فِي مِصْرِهِمْ وَقُرَاهُمْ، أَوْ فِي سُبُلِهِمْ وَطُرُقِهِمْ، فِي أَنَّهُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ مُحَارِبٌ، بِحَرْبِهِ مَنْ نَهَاهُ اللهُ وَرَسُولُهُ عَنْ حَرْبِهِ..

﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾ ويَعْمَلُونَ فِي أَرْضِ اللهِ بِالْمَعَاصِي، مِنْ إِخَافَةِ سُبُلِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، أَوْ سُبُلِ ذِمَّتِهِمْ، وَقَطْعِ طُرُقِهِمْ، وَأَخْذِ أَمْوَالِهِمْ، ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، وَالتَّوَثُّبِ عَلَىٰ حُرُمِهِمْ، فُجُورًا وَفُسُوقًا..

﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِم، مُخْتَلِفًا بِاخْتِلَافِ أَفْعَالِهِمْ، فَعَلَىٰ مُخِيفِ السَّبِيلِ مِنْهُمْ إِذَا قُدِرَ عَلَيْهِ قَبْلَ التَّوْبَةِ وَقَبْلَ أَخْذِ مَالٍ أَوْ قَتْلٍ النَّفْيُ مِنَ الْأَرْضِ، وَإِذَا قُدِرَ عَلَيْهِ بَعْدَ أَخْذِ الْمَالِ وَقَتْلِ النَّفْسِ الْمُحَرَّمِ قَتْلُهَا الصَّلْبُ؛ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قال: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثِ خِلَالٍ: رَجُلٌ قَتَلَ فَقُتِلَ، وَرَجُلٌ زَنَىٰ بَعْدَ إِحْصَانٍ فَرُجِمَ، وَرَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ**»، فَحَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَتْلَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَىٰ هَذِهِ الْخِلَالِ الثَّلَاثِ، فَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ مِنْ أَجْلِ إِخَافَتِهِ السَّبِيلَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْتُلَ أَوْ يَأْخُذَ مَالًا، فَذَلِكَ تَقَدُّمٌ عَلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ بِالْخِلَافِ عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ.. وَمَعْنَىٰ قَوْلِ مَنْ قَالَ: الْإِمَامُ فِيهِ بِالْخِيَارِ إِذَا قَتَلَ وَأَخَافَ السَّبِيلَ وَأَخَذَ الْمَالَ، فَهُنَالِكَ خِيَارُ الْإِمَامِ فِي قَوْلِهِمْ بَيْنَ الْقَتْلِ أَوِ الْقَتْلِ وَالصَّلْبِ، أَوْ قَطْعِ الْيَدِ وَالرِّجْلِ مِنْ خِلَافٍ، وَأَمَّا صَلْبُهُ بِاسْمِ الْمُحَارَبَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا مِنْ قَتْلٍ أَوْ أَخْذِ مَالٍ، فَذَلِكَ مَا لَمْ يَقُلْهُ عَالِمٌ.. فَأَمَّا مَا اعْتَلَّ بِهِ الْقَائِلُونَ: إِنَّ الْإِمَامَ فِيهِ بِالْخِيَارِ مِنْ أَنَّ (أَوْ) فِي الْعَطْفِ تَأْتِي بِمَعْنَىٰ التَّخْيِيرِ فِي الْفَرْضِ، فَنَقُولُ: لَا مَعْنَىٰ لَهُ؛ لِأَنَّ (أَوْ) فِي كَلَامِ الْعَرَبِ قَدْ تَأْتِي بِضُرُوبٍ مِنَ الْمَعَانِي، لَوْلَا كَرَاهَةُ إِطَالَةِ الْكِتَابِ بِذِكْرِهَا لَذَكَرْتُهَا، فَأَمَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَإِنَّ مَعْنَاهَا: التَّعْقِيبُ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ الْقَائِلِ: (**إِنَّ جَزَاءَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْفَعَ مَنَازِلَهُمْ فِي عِلِّيِّينَ، أَوْ يُسْكِنَهُمْ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ**)، فَمَعْلُومٌ أَنَّ قَائِلَ ذَلِكَ غَيْرُ قَاصِدٍ بِقِيلِهِ إِلَىٰ أَنَّ

جَزَاءَ كُلِّ مُؤْمِنٍ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، فَهُوَ فِي مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ، وَمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَنَازِلِ بِإِيمَانِهِ، بَلِ الْمَعْقُولُ عَنْهُ أَنَّ مَعْنَاهُ: أَنَّ جَزَاءَ الْمُؤْمِنِ لَمْ يَخْلُو عِنْدَ اللهِ مِنْ بَعْضِ هَذِهِ الْمَنَازِلِ، فَالْمُقْتَصِدُ مَنْزِلَتُهُ دُونَ مَنْزِلَةِ السَّابِقِ بِالْخَيْرَاتِ، وَالسَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ أَعْلَىٰ مِنْهُ مَنْزِلَةً، وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ دُونَهُمَا، وَكُلٌّ فِي الْجَنَّةِ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد: ٢٣]، فَكَذَلِكَ مَعْنَىٰ الْمَعْطُوفِ بِـ(أَوْ) فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة: ٣٣] الْآيَةُ، إِنَّمَا هُوَ التَّعْقِيبُ، فَتَأْوِيلُهُ: إِنَّ الَّذِي يُحَارِبُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيَسْعَىٰ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، لَنْ يَخْلُوَ مِنْ أَنْ يَسْتَحِقَّ الْجَزَاءَ بِإِحْدَىٰ هَذِهِ الْخِلَالِ الْأَرْبَعِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ، لَا أَنَّ الْإِمَامَ مُحَكَّمٌ فِيهِ، وَمُخَيَّرٌ فِي أَمْرِهِ، كَائِنَةً مَا كَانَتْ حَالَتُهُ، عَظُمَتْ جَرِيرَتُهُ أَوْ خَفَّتْ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ لِلْإِمَامِ قَتْلُ مَنْ شَهَرَ السِّلَاحَ مُخِيفًا السَّبِيلَ وَصَلْبُهُ، وَإِنْ لَمْ يَأْخُذْ مَالًا وَلَا قَتَلَ أَحَدًا، وَكَانَ لَهُ نَفْيُ مَنْ قَتَلَ وَأَخَذَ الْمَالَ وَأَخَافَ السَّبِيلَ، وَذَلِكَ قَوْلٌ -إِنْ قَالَهُ قَائِلٌ- خِلَافُ مَا صَحَّتْ بِهِ الْآثَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: رَجُلٌ قَتَلَ رَجُلًا فَقُتِلَ، أَوْ زَنَىٰ بَعْدَ إِحْصَانٍ فَرُجِمَ، أَوِ ارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ**»، وَخِلَافُ قَوْلِهِ: «**الْقَطْعُ فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا**» وَغَيْرُ الْمَعْرُوفِ مِنْ أَحْكَامِهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ هَذِهِ الْأَحْكَامَ الَّتِي ذَكَرْتَ كَانَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَيْرِ الْمُحَارِبِ، وَلِلْمُحَارِبِ حُكْمٌ غَيْرُ ذَلِكَ مُنْفَرِدٌ بِهِ؟ قِيلَ لَهُ: فَمَا الْحُكْمُ الَّذِي انْفَرَدَ بِهِ الْمُحَارِبُ فِي سُنَنِهِ؟ فَإِنِ ادَّعَىٰ عَنْهُ ﷺ حُكْمًا خِلَافَ الَّذِي ذَكَرْنَا، أَكْذَبَهُ جَمِيعُ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مَوْجُودٍ بِنَقْلٍ وَاحِدٍ وَلَا جَمَاعَةٍ، وَإِنْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ الْحُكْمَ هُوَ مَا فِي ظَاهِرِ الْكِتَابِ، قِيلَ لَهُ: فَإِنَّ أَحْسَنَ حَالَاتِكَ أَنْ يُسَلَّمَ لَكَ أَنَّ ظَاهِرَ الْآيَةِ قَدْ يَحْتَمِلُ مَا قُلْتَ، وَمَا قَالَهُ مَنْ خَالَفَكَ، فَمَا بُرْهَانُكَ عَلَىٰ أَنَّ تَأْوِيلَكَ أَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ مِنْ تَأْوِيلِهِ، فَإِذَا كَانَ الْإِمَامُ مُخَيَّرًا فِي الْحُكْمِ عَلَىٰ الْمُحَارِبِ مِنْ أَجْلِ أَنَّ (أَوْ) بِمَعْنَىٰ التَّخْيِيرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عِنْدَكَ، أَفَلَهُ أَنْ يَصْلُبَهُ حَيًّا وَيَتْرُكَهُ عَلَىٰ الْخَشَبَةِ مَصْلُوبًا حَتَّىٰ يَمُوتَ مِنْ غَيْرِ قَتْلِهِ؟ فَإِنْ قَالَ: ذَلِكَ لَهُ، خَالَفَ فِي ذَلِكَ الْأُمَّةَ، وَإِنْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ لَهُ، وَإِنَّمَا لَهُ قَتْلُهُ ثُمَّ صَلْبُهُ أَوْ صَلْبُهُ ثُمَّ قَتْلُهُ، تَرَكَ عِلَّتَهُ مِنْ أَنَّ الْإِمَامَ إِنَّمَا كَانَ لَهُ الْخِيَارُ فِي الْحُكْمِ عَلَىٰ الْمُحَارِبِ مِنْ أَجْلِ أَنَّ (أَوْ) تَأْتِي بِمَعْنَىٰ التَّخْيِيرِ، وَقِيلَ لَهُ: فَكَيْفَ كَانَ لَهُ الْخِيَارُ فِي الْقَتْلِ أَوِ النَّفْيِ أَوِ الْقَطْعِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْخِيَارُ فِي الصَّلْبِ وَحْدَهُ، حَتَّىٰ تُجْمَعَ إِلَيْهِ عُقُوبَةٌ أُخْرَىٰ؟! وَقِيلَ لَهُ: هَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَنْ جَعَلَ الْخِيَارَ -حَيْثُ أَبَيْتَ وَأَبَىٰ ذَلِكَ حَيْثُ جَعَلْتَهُ لَهُ- فَرْقٌ مِنْ

أَصْلٍ أَوْ قِيَاسٍ؟ فَلَنْ يَقُولَ فِي أَحَدِهِمَا قَوْلًا إِلَّا أُلْزِمَ فِي الْآخَرِ مِثْلَهُ..

﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ تُقَطَّعُ أَيْدِيهِمْ مُخَالِفًا فِي قَطْعِهَا قَطْعَ أَرْجُلِهِمْ، وَذَلِكَ أَنْ تُقْطَعَ أَيْمَنُ أَيْدِيهِمْ وَأَشْمَلُ أَرْجُلِهِمْ، فَذَلِكَ الْخِلَافُ بَيْنَهُمَا فِي الْقَطْعِ..

﴿أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ نَفْيُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَىٰ بَلَدٍ غَيْرِهِ، وَحَبْسِهِ فِي السِّجْنِ فِي الْبَلَدِ الَّذِي نُفِيَ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ تَظْهَرَ تَوْبَتُهُ مِنْ فُسُوقِهِ وَنُزُوعُهُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ رَبَّهُ..

﴿ذَلِكَ﴾ هَذَا الْجَزَاءُ الَّذِي جَازَيْتُ بِهِ الَّذِينَ حَارَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَسَعَوْا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ قَتْلٍ، أَوْ صَلْبٍ، أَوْ قَطْعِ يَدٍ وَرِجْلٍ مِنْ خِلَافٍ..

﴿لَهُمْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُحَارِبِينَ..

﴿خِزْيٌ﴾ هُوَ لَهُمْ شَرٌّ وَعَارٌ وَذِلَّةٌ، وَنَكَالٌ وَعُقُوبَةٌ..

﴿فِي الدُّنْيَا﴾ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ..

﴿وَلَهُمْ﴾ ولِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَارَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَسَعَوْا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا فَلَمْ يَتُوبُوا مِنْ فِعْلِهِمْ ذَلِكَ، حَتَّىٰ هَلَكُوا..

﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ مَعَ الْخِزْيِ الَّذِي جَازَيْتُهُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَالْعُقُوبَةُ الَّتِي عَاقَبْتُهُمْ بِهَا فِيهَا..

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٣٣﴾ [المائدة: ٣٣] فِي جَهَنَّمَ.. وحُكْمُ مَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَسَعَىٰ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا مِنْ أَهْلِ ذِمَّتِنَا وَمِلَّتِنَا وَاحِدٌ، وَالَّذِينَ عُنُوا بِالْآيَةِ كَانُوا أَهْلَ عَهْدٍ وَذِمَّةٍ، وَإِنْ كَانَ دَاخِلًا فِي حُكْمِهَا كُلُّ ذِمِّيٍّ وَمِلِّيٍّ، وَلَيْسَ يُبْطِلُ بِدُخُولِ مَنْ دَخَلَ فِي حُكْمِ الْآيَةِ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا نُزُولُهَا فِيمَنْ نَزَلَتْ فِيهِ.. وهَذِه الآيَةُ بَيَانٌ مِنَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ عَنْ حُكْمِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٢] أَعْلَمَ عِبَادَهُ مَا الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْمُفْسِدُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالنَّكَالِ.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٤﴾

[المائدة: ٣٤].

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ فَتَوْبَةُ الْمُحَارِبِ الْمُمْتَنِعِ بِنَفْسِهِ أَوْ بِجَمَاعَةٍ مَعَهُ قَبْلَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، تَضَعُ عَنْهُ تَبِعَاتِ الدُّنْيَا الَّتِي كَانَتْ لَزِمَتْهُ فِي أَيَّامِ حَرْبِهِ وَحِرَابَتِهِ؛ مِنْ حُدُودِ اللهِ، وَغُرْمٍ لَازِمٍ، وقَوَدٍ، وَقِصَاصٍ، إِلَّا مَا كَانَ قَائِمًا فِي يَدِهِ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَاهِدِينَ بِعَيْنِهِ، فَيُرَدُّ عَلَىٰ أَهْلِهِ؛ لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ حُكْمُ الْجَمَاعَةِ الْمُمْتَنِعَةِ الْمُحَارِبَةِ لِلَّهِ

وَلِرَسُولِهِ، السَّاعِيَةِ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا عَلَىٰ وَجْهِ الرِّدَّةِ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَكَذَلِكَ حُكْمُ كُلِّ مُمْتَنِعٍ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، جَمَاعَةً كَانُوا أَوْ وَاحِدًا، فَأَمَّا الْمُسْتَخْفِي بِسَرِقَتِهِ وَالْمُتَلَصِّصُ عَلَىٰ وَجْهِ إِغْفَالِ مَنْ سَرَقَهُ، وَالشَّاهِرُ السِّلَاحَ فِي خَلَاءٍ عَلَىٰ بَعْضِ السَّابِلَةِ، وَهُوَ عِنْدَ الطَّلَبِ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَىٰ الامْتِنَاعِ، فَإِنَّ حُكْمَ اللهِ عَلَيْهِ -تَابَ أَوْ لَمْ يَتُبْ- مَاضٍ، وَبِحُقُوقِ مَنْ أَخَذَ مَالَهُ أَوْ أَصَابَ وَلِيَّهُ بِدَمٍ أَوْ خَتْلٍ مَأْخُوذٌ، وَتَوْبَتُهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ؛ قِيَاسًا عَلَىٰ إِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَىٰ أَنَّهُ لَوْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ لِلْمُسْلِمِينَ سِلْمٌ ثُمَّ صَارَ لَهُمْ حَرْبًا، أَنَّ حَرْبَهُ إِيَّاهُمْ لَنْ يَضَعَ عَنْهُ حَقًّا لِلَّهِ عَزَّ ذِكْرُهُ وَلَا لِآدَمِيٍّ، فَكَذَلِكَ حُكْمُهُ إِذَا أَصَابَ ذَلِكَ فِي خَلَاءٍ أَوْ بِاسْتِخْفَاءٍ وَهُوَ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ مِنَ السُّلْطَانِ بِنَفْسِهِ إِنْ أَرَادَهُ، وَلَا لَهُ فِئَةٌ يَلْجَأُ إِلَيْهَا مَانِعَةٌ مِنْهُ..

﴿فَاعْلَمُوا﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ غَيْرُ مُؤَاخِذٍ مَنْ تَابَ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ السَّاعِينَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَغَيْرِهِمْ بِذُنُوبِهِ، وَلَكِنَّهُ يَعْفُو عَنْهُ فَيَسْتُرُهَا عَلَيْهِ وَلَا يَفْضَحُهُ بِهَا بِالْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ..

﴿رَحِيمٌ ۝٣٤﴾ [المائدة: ٣٤] بِهِ فِي عَفْوِهِ عَنْهُ وَتَرْكِهِ عُقُوبَتَهُ عَلَيْهَا.. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ دَلِيلٌ وَاضِحٌ لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِهِ، أَنَّ الْحُكْمَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي الْمُحَارِبِينَ يَجْرِي فِي الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَاهِدِينَ دُونَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَدْ نَصَبُوا لِلْمُسْلِمِينَ حَرْبًا؛ وَذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ حُكْمًا فِي أَهْلِ الْحَرْبِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ دُونَ الْمُسْلِمِينَ وَدُونَ ذِمَّتِهِمْ لَوَجَبَ أَلَا يُسْقِطَ إِسْلَامُهُمْ عَنْهُمْ -إِذَا أَسْلَمُوا أَوْ تَابُوا بَعْدَ قُدْرَتِنَا عَلَيْهِمْ- مَا كَانَ لَهُمْ قَبْلَ إِسْلَامِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ مِنَ الْقَتْلِ، وَمَا لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَهْلِ الْحَرْبِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَفِي إِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ إِسْلَامَ الْمُشْرِكِ الْحَرْبِيِّ يَضَعُ عَنْهُ بَعْدَ قُدْرَةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ، مَا كَانَ وَاضِعَهُ عَنْهُ إِسْلَامُهُ قَبْلَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الصَّحِيحَ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ مَنْ قَالَ: عَنَىٰ بِآيَةِ الْمُحَارِبِينَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: حُرَّابَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَوِ الذِّمَّةِ دُونَ مَنْ سِوَاهُمْ مِنْ مُشْرِكِي أَهْلِ الْحَرْبِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣٥﴾ [المائدة: ٣٥].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَخْبَرَهُمْ وَوَعَدَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ، وَأَوْعَدَ مِنَ الْعِقَابِ..

﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أَجِيبُوا اللهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ بِالطَّاعَةِ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَحَقِّقُوا إِيمَانَكُمْ

وَتَصْدِيقِكُمْ رَبَّكُمْ وَنَبِيَّكُمْ بِالصَّالِحِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ..

﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ وَاطْلُبُوا الْقُرْبَةَ إِلَيْهِ بِالْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيهِ..

﴿وَجَٰهِدُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَعْدَائِي وَأَعْدَاءَكُمْ..

﴿فِي سَبِيلِهِۦ﴾ فِي دِينِهِ وَشَرِيعَتِهِ الَّتِي شَرَعَهَا لِعِبَادِهِ، وَهِيَ الْإِسْلَامُ، يَقُولُ: أَتْعِبُوا أَنْفُسَكُمْ فِي قِتَالِهِمْ وَحَمْلِهِمْ عَلَىٰ الدُّخُولِ فِي الْحَنِيفِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣٥﴾ [المائدة: ٣٥] كَيْ مَا تَنْجَحُوا فَتُدْرِكُوا الْبَقَاءَ الدَّائِمَ، وَالْخُلُودَ فِي جَنَّاتِهِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٣٦﴾ [المائدة: ٣٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا رُبُوبِيَّةَ رَبِّهِمْ وَعَبَدُوا غَيْرَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ وَمِنْ غَيْرِهِمُ الَّذِينَ عَبَدُوا الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، وَهَلَكُوا عَلَىٰ ذَلِكَ قَبْلَ التَّوْبَةِ..

﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مُلْكَ مَا فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا وَضِعْفَهُ مَعَهُ..

﴿لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عِقَابِ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ تَرْكِهِمْ أَمْرِهِ وَعِبَادَتِهِمْ غَيْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَافْتَدُوا بِذَلِكَ كُلِّهِ..

﴿مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ مَا تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُمْ ذَلِكَ فِدَاءً، وَعِوَضًا مِنْ عَذَابِهِمْ وَعِقَابِهِمْ..

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٣٦﴾ [المائدة: ٣٦] بَلْ هُوَ مُعَذِّبُهُمْ فِي حَمِيمِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَذَابًا مُوجِعًا لَهُمْ.. وَإِنَّمَا هَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، لِلْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُمْ وَغَيْرُهُمْ مِنْ سَائِرِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ سَوَاءٌ عِنْدَهُ فِيمَا لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَالْعِقَابِ الْعَظِيمِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، وَاغْتِرَارًا بِاللهِ وَكَذِبًا عَلَيْهِ، فَكَذَّبَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَبِالَّتِي بَعْدَهَا، وَحَسَمَ طَمَعَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ وَلِجَمِيعِ الْكَفَرَةِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ: فَلَا تَطْمَعُوا أَيُّهَا الْكَفَرَةُ فِي قَبُولِ الْفِدْيَةِ مِنْكُمْ وَلَا فِي خُرُوجِكُمْ مِنَ النَّارِ بِوَسَائِلِ آبَائِكُمْ عِنْدِي بَعْدَ دُخُولِكُمُوهَا، إِنْ أَنْتُمْ مُتُّمْ عَلَىٰ كُفْرِكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٣٧﴾ [المائدة: ٣٧].

﴿يُرِيدُونَ﴾ يُرِيدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ بَعْدَ دُخُولِهَا..

﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٣٧﴾ [المائدة: ٣٧] دَائِمٌ ثَابِتٌ لَا يَزُولُ عَنْهُمْ وَلَا يَنْتَقِلُ أَبَدًا.

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٣٨﴾ [المائدة: ٣٨].

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ وَمَنْ سَرَقَ مِنْ رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ.. والْآيَةُ مَعْنِيٌّ بِهَا خَاصٌّ مِنَ السُّرَّاقِ، وَهُمْ سُرَّاقُ رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا أَوْ قِيمَتِهِ، لِصِحَّةِ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الْقَطْعُ فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا**»..

﴿فَٱقْطَعُوٓاْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ، ولِذَلِكَ رَفَعَ السَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ، لِأَنَّهُمَا غَيْرُ مُعَيَّنَيْنِ، وَلَوْ أُرِيدَ بِذَلِكَ سَارِقٌ وَسَارِقَةٌ بِأَعْيَانِهِمَا لَكَانَ وَجْهُ الْكَلَامِ النَّصْبَ..

﴿أَيْدِيَهُمَا﴾ الْيُمْنَىٰ..

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾ مُكَافَأَةً لَهُمَا عَلَىٰ سَرِقَتِهِمَا وَعَمَلِهِمَا فِي التَّلَصُّصِ بِمَعْصِيَةِ اللهِ..

﴿نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ عُقُوبَةً مِنَ اللهِ عَلَىٰ لُصُوصِيَّتِهِمَا..

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ هَذَا السَّارِقِ وَالسَّارِقَةِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَهْلِ مَعَاصِيهِ..

﴿حَكِيمٌ ٣٨﴾ [المائدة: ٣٨] فِي حُكْمِهِ فِيهِمْ وَقَضَائِهِ عَلَيْهِمْ، فَلَا تُفَرِّطُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي إِقَامَةِ حُكْمِي عَلَىٰ السُّرَّاقِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْجَرَائِمِ الَّذِينَ أَوْجَبْتُ عَلَيْهِمْ حُدُودًا فِي الدُّنْيَا عُقُوبَةً لَهُمْ، فَإِنِّي بِحُكْمِي قَضَيْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَعِلْمِي بِصَلَاحِ ذَلِكَ لَهُمْ وَلَكُمْ.

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٩﴾

[المائدة: ٣٩].

﴿فَمَن تَابَ﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ هَؤُلَاءِ السُّرَّاقِ، يَقُولُ: مَنْ رَجَعَ مِنْهُمْ عَمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ إِلَىٰ مَا يَرْضَاهُ مِنْ طَاعَتِهِ..

﴿مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ﴾ وَظُلْمُهُ: هُوَ اعْتِدَاؤُهُ وَعَمَلُهُ مَا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ مِنْ سَرِقَةِ أَمْوَالِ النَّاسِ..

﴿وَأَصْلَحَ﴾ نَفْسَهُ بِحَمْلِهَا عَلَىٰ مَكْرُوهِهَا فِي طَاعَةِ اللهِ وَالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ...

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ سَاتِرٌ عَلَىٰ مَنْ تَابَ وَأَنَابَ عَنْ مَعَاصِيهِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ ذُنُوبَهُ بِالْعَفْوِ عَنْ عُقُوبَتِهِ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَرْكِهِ فَضِيحَتَهُ بِهَا عَلَىٰ رُءُوسِ الْأَشْهَادِ..

﴿رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة: ٣٩] بِهِ وَبِعِبَادِهِ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٤٠﴾ [المائدة: ٤٠].

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: أَلَمْ يَعْلَمْ هَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، الزَّاعِمُونَ أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أَنَّ اللهَ مُدَبِّرُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَمُصَرِّفُهُ وَخَالِقُهُ، لَا يَمْتَنِعُ شَيْءٌ مِمَّا فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِمَّا أَرَادَهُ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مُلْكُهُ وَإِلَيْهِ أَمْرُهُ، وَلَا نَسَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَيْءٍ مِمَّا فِيهَا، وَلَا مِمَّا فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا، فَيُحَابِيهِ بِسَبَبِ قَرَابَتِهِ مِنْهُ، فَيُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِهِ وَهُوَ بِهِ كَافِرٌ وَلِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ مُخَالِفٌ، أَوْ يُدْخِلُهُ النَّارَ وَهُوَ لَهُ مُطِيعٌ لِبُعْدِ قَرَابَتِهِ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ..

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ مِنْ خَلْقِهِ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ بِالْقَتْلِ وَالْخَسْفِ وَالْمَسْخِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ عَذَابِهِ..

﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ﴾ فِي الدُّنْيَا بِالتَّوْبَةِ عَلَيْهِ مِنْ كُفْرِهِ وَمَعْصِيَتِهِ، فَيُنْقِذُهُ مِنَ الْهَلَكَةِ وَيُنْجِيهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ..

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ وَاللهُ عَلَىٰ تَعْذِيبِ مَنْ أَرَادَ تَعْذِيبَهُ مَنْ خَلْقَهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ، وَغُفْرَانِ مَنْ أَرَادَ غُفْرَانَهُ مِنْهُمْ بِاسْتِنْقَاذِهِ مِنَ الْهَلَكَةِ بِالتَّوْبَةِ عَلَيْهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ كُلِّهَا..

﴿قَدِيرٌ ۝٤٠﴾ [المائدة: ٤٠] لِأَنَّ الْخَلْقَ خَلْقُهُ، وَالْمُلْكَ مُلْكُهُ، وَالْعِبَادَ عِبَادُهُ.. وَخَرَجَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خِطَابًا لَهُ ﷺ، وَالْمَعْنِيُّ بِهِ مَنْ ذَكَرْتُ مِنْ فِرَقِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا بِمَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا حَوَالَيْهَا.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٤١﴾ [المائدة: ٤١].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ﴾ لَا يَحْزُنْكَ تَسَرُّعُ مَنْ تَسَرَّعَ..

﴿فِي ٱلۡكُفۡرِۚ﴾ إِلَىٰ الْكُفْرِ بِكَ، مِن جُحُودِ نُبُوَّتِكَ وَالتَّكْذِيبِ بِأَنَّكَ لِي نَبِيٌّ..

﴿مِنَ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ..

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ تَصْدِيقَكَ، مِنَ الَّذِينَ قَالُوا: صَدَّقْنَا بِكَ يَا مُحَمَّدُ أَنَّكَ لِلَّهِ رَسُولٌ مَبْعُوثٌ، وَعَلِمْنَا بِذَلِكَ يَقِينًا بِوُجُودِ صِفَتِكَ فِي كِتَابِنَا..

﴿وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾ وَهُمْ مُعْتَقِدُونَ تَكْذِيبَكَ..

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ﴾ وَلَا تَسَرُّعُ الْيَهُودِ إِلَىٰ جُحُودِ نُبُوَّتِكَ.. ثُمَّ وَصَفَ جَلَّ ذِكْرُهُ صِفَتَهُمْ وَنَعَتَهُمْ لَهُ بِنُعُوتِهِمُ الذَّمِيمَةِ وَأَفْعَالِهِمُ الرَّدِيئَةِ، وَأَخْبَرَهُ مُعَزِّيًا لَهُ عَلَىٰ مَا يَنَالُهُ مِنَ الْحُزْنِ بِتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِصِدْقِهِ، أَنَّهُمْ أَهْلُ اسْتِحْلَالِ الْحَرَامِ وَالْمَآكِلِ الرَّدِيئَةِ وَالْمَطَاعِمِ الدَّنِيئَةِ مِنَ الرِّشَا وَالسُّحْتِ، وَأَنَّهُمْ أَهْلُ إِفْكٍ وَكَذِبٍ عَلَىٰ اللهِ وَتَحْرِيفِ كِتَابِهِ، ثُمَّ أَعْلَمَهُ أَنَّهُ مُحِلٌّ بِهِمْ خِزْيَهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، وَعِقَابَهُ فِي آجِلِ الْآخِرَةِ، فَقَالَ: هُمْ..

﴿سَمَّٰعُونَ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْيَهُودِ..

﴿لِلۡكَذِبِ﴾ عَلَىٰ اللهِ فِي حُكْمِ الْمَرْأَةِ الَّتِي كَانَتْ بَغَتْ فِيهِمْ وَهِيَ مُحْصَنَةٌ، وَأَنَّ حُكْمَهَا فِي التَّوْرَاةِ التَّحْمِيمُ وَالْجَلْدُ، وَسَمْعُهُمُ الْكَذِبَ: سَمْعُهُمْ قَوْلَ أَحْبَارِهِمْ أَنَّ حُكْمَ الزَّانِي الْمُحْصَنِ فِي التَّوْرَاةِ: التَّحْمِيمُ وَالْجَلْدُ، وهُمُ الـ

﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ﴾ يَسْمَعُونَ لِأَهْلِ الزَّانِي الَّذِينَ أَرَادُوا الِاحْتِكَامَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمُ الْقَوْمُ الْآخَرُونَ الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ.. وَإِنَّمَا سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ لَهُمْ لِيُعْلِمُوا أَهْلَ الْمَرْأَةِ الْفَاجِرَةِ مَا يَكُونُ مِنْ جَوَابِهِ لَهُمْ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ حُكْمِهِ الرَّجْمُ رَضُوا بِهِ حَكَمًا فِيهِمْ، وَإِنْ كَانَ مِنْ حُكْمِهِ الرَّجْمُ حَذِرُوهُ وَتَرَكُوا الرِّضَا بِهِ وَبِحُكْمِهِ..

﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يُحَرِّفُ هَؤُلَاءِ السَّمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ، السَّمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ مِنْهُمْ لَمْ يَأْتُوكَ بَعْدُ مِنَ الْيَهُودِ..

﴿ٱلۡكَلِمَ﴾ حُكْمَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- الَّذِي أَنْزَلَهُ فِي التَّوْرَاةِ فِي الْمُحْصَنَاتِ وَالْمُحْصَنِينَ مِنَ الزُّنَاةِ بِالرَّجْمِ إِلَىٰ الْجَلْدِ وَالتَّحْمِيمِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾ يَعْنِي: هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ، وَالْمَعْنَىٰ: حُكْمَ الْكَلِمِ، فَاكْتَفَىٰ بِذِكْرِ الْخَبَرِ مِنْ تَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ ذِكْرِ الْحُكْمِ لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ لِمَعْنَاهُ..

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ مِنْ بَعْدِ وَضْعِ اللهِ ذَلِكَ مَوَاضِعَهُ، فَاكْتَفَىٰ بِالْخَبَرِ مِنْ ذِكْرِ مَوَاضِعِهِ عَنْ

ذِكْرِ وَضْعِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وَالْمَعْنَىٰ: (وَلَكِنَّ الْبِرَّ بِرُّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)..

﴿يَقُولُونَ﴾ هَؤُلَاءِ الْبَاغُونَ السَّمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ..

﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾ إِنْ أَفْتَاكُمْ مُحَمَّدٌ بِالْجَلْدِ وَالتَّحْمِيمِ فِي صَاحِبِنَا..

﴿فَخُذُوهُ﴾ فَاقْبَلُوهُ مِنْهُ..

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ وَإِنْ لَمْ يُفْتِكُمْ بِذَلِكَ وَأَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ..

﴿فَٱحْذَرُوا۟﴾ الرَّجْمَ..

﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿فِتْنَتَهُۥ﴾ مَرْجِعَهُ بِضَلَالَتِهِ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَىٰ..

﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ اسْتِنْقَاذًا مِمَّا أَرَادَ اللهُ بِهِ مِنَ الْحَيْرَةِ وَالضَّلَالَةِ، فَلَا تُشْعِرْ نَفْسَكَ بِالْحُزْنِ عَلَىٰ مَا فَاتَكَ مِنِ اهْتِدَائِهِ لِلْحَقِّ، وتَسَرُّعِهِمْ إِلَىٰ جُحُودِ نُبُوَّتِكَ، فَإِنِّي قَدْ حَتَّمْتُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَتُوبُونَ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، وَلَا يَرْجِعُونَ عَنْ كُفْرِهِمْ، لِلسَّابِقِ مِنْ غَضَبِي عَلَيْهِمْ، وَغَيْرُ نَافِعِهِمْ حُزْنُكَ عَلَىٰ مَا تَرَىٰ مِنْ تَسَرُّعِهِمْ إِلَىٰ مَا جَعَلْتُهُ سَبِيلًا لِهَلَاكِهِمْ وَاسْتِحْقَاقِهِمْ وَعِيدِي.. وَهَذَا تَسْلِيَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ حُزْنِهِ عَلَىٰ مُسَارَعَةِ الَّذِينَ قَصَّ قِصَّتَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ﴾ بِطَهَارَةِ الْإِسْلَامِ وَنَظَافَةِ الْإِيمَانِ فَتَتُوب..

﴿قُلُوبَهُمْ﴾ مِنْ دَنَسِ الْكُفْرِ وَوَسَخِ الشِّرْكِ..

﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ بَلْ أَرَادَ بِهِمُ الْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا وَذَلِكَ الذُّلَّ وَالْهَوَانَ..

﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة: ٤١] فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة: ٤٢].

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ صِفَتَهُمْ، سَمَّاعُونَ لَقِيلِ الْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ، وَمِنْ قِيلِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ: مُحَمَّدٌ كَاذِبٌ، لَيْسَ بِنَبِيٍّ، وَقِيلِ بَعْضِهِمْ: إِنَّ حُكْمَ

الزَّانِي الْمُحْصَنِ فِي التَّوْرَاةِ الْجَلْدُ وَالتَّحْمِيمُ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَبَاطِيلِ وَالْإِفْكِ..

﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ وَيَقْبَلُونَ الرِّشَا، فَيَأْكُلُونَهَا عَلَىٰ كَذِبِهِمْ عَلَى اللهِ وَفِرْيَتِهِمْ عَلَيْهِ.. وَأَصْلُ السُّحْتِ: كَلَبُ الْجُوعِ، يُقَالُ مِنْهُ: فُلَانٌ مَسْحُوتُ الْمَعِدَةِ، إِذَا كَانَ أَكُولًا لَا يُلْفَىٰ أَبَدًا إِلَّا جَائِعًا.. وَإِنَّمَا قِيلَ لِلرِّشْوَةِ السُّحْتُ، تَشْبِيهًا بِذَلِكَ؛ كَأَنَّ بِالْمُسْتَرْشِي مِنَ الشَّرَهِ إِلَىٰ أَخْذِ مَا يُعْطَاهُ مِنْ ذَلِكَ، مِثْلَ الَّذِي بِالْمَسْحُوتِ الْمَعِدَةِ مِنَ الشَّرَهِ إِلَىٰ الطَّعَامِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ [طه: ٦١]..

﴿فَإِن جَآءُوكَ﴾ إِنْ جَاءَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الْآخَرُونَ الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بَعْدُ، وَهُمْ قَوْمُ الْمَرْأَةِ الْبَغِيَّةِ، مُحْتَكِمِينَ إِلَيْكَ..

﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ﴾ إِنْ شِئْتَ بِالْحَقِّ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ حَكَمًا لَهُ، فِيمَنْ فَعَلَ فِعْلَ الْمَرْأَةِ الْبَغِيَّةِ مِنْهُمْ..

﴿أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فَدَعِ الْحُكْمَ بَيْنَهُمْ إِنْ شِئْتَ وَالْخِيَارُ إِلَيْكَ فِي ذَلِكَ.. وَحُكْمُ هَذِهِ الْآيَةِ ثَابِتٌ لَمْ يُنْسَخْ، وَإِنَّ لِلْحُكَّامِ -مِنَ الْخِيَارِ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ أَهْلِ الْعَهْدِ إِذَا ارْتَفَعُوا إِلَيْهِمْ فَاحْتَكَمُوا، وَتَرْكِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ وَالنَّظَرِ- مِثْلَ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿وَإِن تُعْرِضْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَنْهُمْ﴾ عَنِ الْمُحْتَكِمِينَ إِلَيْكَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَتَدَعَ النَّظَرَ بَيْنَهُمْ فِيمَا احْتَكَمُوا فِيهِ إِلَيْكَ، فَلَا تَحْكُمْ فِيهِ بَيْنَهُمْ..

﴿فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾ فَلَنْ يَقْدِرُوا لَكَ عَلَىٰ ضُرٍّ فِي دِينٍ وَلَا دُنْيَا، فَدَعِ النَّظَرَ بَيْنَهُمْ إِذَا اخْتَرْتَ تَرْكَ النَّظَرِ بَيْنَهُمْ..

﴿وَإِنْ حَكَمْتَ﴾ وَإِنِ اخْتَرْتَ الْحُكْمَ وَالنَّظَرَ يَا مُحَمَّدُ بَيْنَ أَهْلِ الْعَهْدِ إِذَا أَتَوْكَ..

﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ وَهُوَ الْعَدْلُ، وَذَلِكَ هُوَ الْحُكْمُ بِمَا جَعَلَهُ اللهُ حُكْمًا فِي مِثْلِهِ عَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِهِ مِنْ أُمَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ..

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝﴾ [المائدة: ٤٢] إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَامِلِينَ فِي حُكْمِهِ بَيْنَ النَّاسِ، الْقَاضِينَ بَيْنَهُمْ بِحُكْمِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ وَأَمَرَ أَنْبِيَاءَهُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ، يُقَالُ مِنْهُ: أَقْسَطَ الْحَاكِمُ فِي حُكْمِهِ إِذَا عَدَلَ وَقَضَىٰ بِالْحَقِّ يُقْسِطُ إِقْسَاطًا بِهِ، وَأَمَّا قَسَطَ فَمَعْنَاهُ: الْجَوْرُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝﴾ [الجن: ١٥] يَعْنِي بِذَلِكَ: الْجَائِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ٤٣﴾ [المائدة: ٤٣].

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ -يَا مُحَمَّدُ- بَيْنَهُمْ، فَيَرْضَوْنَ بِكَ حَكَمًا بَيْنَهُمْ..

﴿وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ الَّتِي أَنْزَلْتُهَا عَلَىٰ مُوسَىٰ، الَّتِي يُقِرُّونَ بِهَا أَنَّهَا حَقٌّ، وَأَنَّهَا كِتَابِي الَّذِي أَنْزَلْتُهُ عَلَىٰ نَبِيِّي، وَأَنَّ..

﴿فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا فِيهِ مِنْ حُكْمِ فَمِنْ حُكْمِي، لَا يَتَنَاكَرُونَ ذَلِكَ، وَلَا يَتَدَافَعُونَهُ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ حُكْمِي فِيهَا عَلَىٰ الزَّانِي الْمُحْصَنِ الرَّجْمُ..

﴿ثُمَّ﴾ وَهُمْ مَعَ عِلْمِهِمْ بِذَلِكَ..

﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾ يَتْرُكُونَ الْحُكْمَ بِهِ.. وَأَصْلُ التَّوَلِّي عَنِ الشَّيْءِ: الِانْصِرَافُ عَنْهُ..

﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الْعِلْمِ بِحُكْمِي، وَهَذَا فِيهِ جَرَاءَةٌ عَلَيَّ وَعِصْيَانًا لِي..

﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ٤٣﴾ [المائدة: ٤٣] لَيْسَ مَنْ فَعَلَ هَذَا الْفِعْلَ، أَيْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ حُكْمِ اللهِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ، بِالَّذِي صَدَّقَ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَأَقَرَّ بِتَوْحِيدِهِ، وَنُبُوَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ فِعْلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ.. وَهَذَا وَإِنْ كَانَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ خِطَابًا لِنَبِيِّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ تَقْرِيعٌ مِنْهُ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ نَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ، يَقُولُ لَهُمْ تَعَالَىٰ: كَيْفَ تُقِرُّونَ أَيُّهَا الْيَهُودُ بِحُكْمِ نَبِيِّي مُحَمَّدٍ ﷺ مَعَ جُحُودِ نُبُوَّتِهِ وَتَكْذِيبِكُمْ إِيَّاهُ، وَأَنْتُمْ تَتْرُكُونَ حُكْمِي الَّذِي تُقِرُّونَ بِهِ أَنَّهُ حَقٌّ عَلَيْكُمْ وَاجِبٌ، جَاءَكُمْ بِهِ مُوسَىٰ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟! يَقُولُ: فَإِذَا كُنْتُمْ تَتْرُكُونَ حُكْمِي الَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ مُوسَىٰ، الَّذِي تُقِرُّونَ بِنُبُوَّتِهِ فِي كِتَابِي، فَأَنْتُمْ بِتَرْكِ حُكْمِي الَّذِي يُخْبِرُكُمْ بِهِ نَبِيِّي مُحَمَّدٌ أَنَّهُ حُكْمِي أَحْرَىٰ، مَعَ جُحُودِكُمْ نُبُوَّتَهُ.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة: ٤٤].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى﴾ فِيهَا بَيَانُ مَا سَأَلَكَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ عَنْهُ مِنْ حُكْمِ الزَّانِيَيْنِ الْمُحْصَنَيْنِ..

﴿وَنُورٌ﴾ وَفِيهَا جَلَاءُ مَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ، وَضِيَاءُ مَا الْتَبَسَ مِنَ الْحُكْمِ..

﴿يَحْكُمُ بِهَا﴾ يَحْكُمُ بِحُكْمِ التَّوْرَاةِ فِي ذَلِكَ، أَيْ فِيمَا احْتَكَمُوا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِ مِنْ أَمْرِ الزَّانِيَيْنِ..

﴿ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ وَهُمُ الَّذِينَ أَذْعَنُوا لِحُكْمِ اللهِ وَأَقَرُّوا بِهِ.. وَمِنْ قَبْلِ مُحَمَّدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَحْكُمُ بِمَا فِيهَا مِنْ حُكْمِ اللهِ..

﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ عَنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ فِي حُكْمِهِ عَلَىٰ الزَّانِيَيْنِ الْمُحْصَنَيْنِ مِنَ الْيَهُودِ بِالرَّجْمِ، وَفِي تَسْوِيَتِهِ بَيْنَ دَمِ قَتْلَىٰ النَّضِيرِ وَقُرَيْظَةَ فِي الْقِصَاصِ وَالدِّيَةِ..

﴿وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ﴾ جَمْعُ رَبَّانِيٍّ، وَهُمُ الْعُلَمَاءُ الْحُكَمَاءُ، الْبُصَرَاءُ بِسِيَاسَةِ النَّاسِ وَتَدْبِيرِ أُمُورِهِمْ وَالْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِمْ..فَيَحْكُمُ بِالتَّوْرَاةِ وَأَحْكَامِهَا الَّتِي أَنْزَلَ اللهُ فِيهَا فِي كُلِّ زَمَانٍ عَلَىٰ مَا أَمَرَ بِالْحُكْمِ بِهِ فِيهَا مَعَ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا الرَّبَّانِيُّونَ..

﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾ وَهُمُ الْعُلَمَاءُ، جَمْعُ حَبْرٍ، وَهُوَ الْعَالِمُ الْمُحْكِمُ لِلشَّيْءِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِكَعْبٍ: كَعْبُ الْأَحْبَارِ.. وَكُلُّ رَبَّانِيٍّ وَحَبْرٍ دَاخِلٌ فِي الْآيَةِ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ.. فَيَحْكُمُ بِالتَّوْرَاةِ وَأَحْكَامِهَا الَّتِي أَنْزَلَ اللهُ فِيهَا فِي كُلِّ زَمَانٍ عَلَىٰ مَا أَمَرَ بِالْحُكْمِ بِهِ فِيهَا مَعَ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا الْأَحْبَارُ..

﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟﴾ بِمَا اسْتُودِعُوا عِلْمَهُ.. وَالْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟﴾ مِنْ صِلَةِ الْأَحْبَارِ..

﴿مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ الَّذِي هُوَ التَّوْرَاةُ..

﴿وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ﴾ عَلَىٰ حُكْمِ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا..

﴿شُهَدَآءَ﴾ أَنَّهُمْ قَضَوْا عَلَيْهِمْ بِكِتَابِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُوسَىٰ وَقَضَائِهِ عَلَيْهِمْ..

﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ﴾ يَا عُلَمَاءُ وَأَحْبَارُ الْيَهُودِ فِي تَنْفِيذِ حُكْمِي، الَّذِي حَكَمْتُ بِهِ عَلَىٰ عِبَادِي، وَإِمْضَائِهِ عَلَيْهِمْ عَلَىٰ مَا أَمَرْتُ، فَإِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ لَكُمْ عَلَىٰ ضُرٍّ وَلَا نَفْعٍ إِلَّا بِإِذْنِي، وَلَا تَكْتُمُوا الرَّجْمَ الَّذِي جَعَلْتُهُ حَكَمًا فِي التَّوْرَاةِ عَلَىٰ الزَّانِيَيْنِ الْمُحْصَنَيْنِ..

﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ وَلَكِنِ اخْشَوْنِي دُونَ كُلِّ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِي، فَإِنَّ النَّفْعَ وَالضُّرَّ بِيَدِي، وَخَافُوا عِقَابِي فِي كِتْمَانِكُمْ مَا اسْتُحْفِظْتُمْ مِنْ كِتَابِي..

﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟﴾ وَلَا تَأْخُذُوا بِتَرْكِ الْحُكْمِ..

﴿بِـَٔايَـٰتِى﴾ بِآيَاتِ كِتَابِي الَّذِي أَنْزَلْتُهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ أَيُّهَا الْأَحْبَارُ..

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عِوَضًا خَسِيسًا، وَذَلِكَ هُوَ الثَّمَنُ الْقَلِيلُ.. وَإِنَّمَا أَرَادَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَهْيَهُمْ عَنْ

أَكْلِ السُّحْتِ عَلَىٰ تَحْرِيفِهِمْ كِتَابَ اللهِ وَتَغْيِيرِهِمْ حُكْمَهُ عَمَّا حَكَمَ بِهِ فِي الزَّانِيَيْنِ الْمُحْصَنَيْنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي بَدَّلُوهَا، طَلَبًا مِنْهُمْ لِلرُّشَا..

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ وَمَنْ كَتَمَ حُكْمَ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ، وَجَعَلَهُ حَكَمًا بَيْنَ عِبَادِهِ فَأَخْفَاهُ، وَحَكَمَ بِغَيْرِهِ، كَحُكْمِ الْيَهُودِ فِي الزَّانِيَيْنِ الْمُحْصَنَيْنِ بِالتَّجْبِيهِ وَالتَّحْمِيمِ، وَكِتْمَانِهِمُ الرَّجْمَ، وَكَقَضَائِهِمْ فِي بَعْضٍ قَتْلَاهُمْ بِدِيَةٍ كَامِلَةٍ وَفِي بَعْضٍ بِنِصْفِ الدِّيَةِ، وَفِي الْأَشْرَافِ بِالْقِصَاصِ وَفِي الْأَدْنِيَاءِ بِالدِّيَةِ، وَقَدْ سَوَّىٰ اللهُ بَيْنَ جَمِيعِهِمْ فِي الْحُكْمِ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ..

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذِينَ لَمْ يَحْكُمُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَلَكِنْ بَدَّلُوا وَغَيَّرُوا حُكْمَهُ وَكَتَمُوا الْحَقَّ الَّذِي أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ..

﴿هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤] هُمُ الَّذِينَ سَتَرُوا الْحَقَّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ كَشْفُهُ وَتَبْيِينُهُ، وَغَطَّوهُ عَنِ النَّاسِ، وَأَظْهَرُوا لَهُمْ غَيْرَهُ، وَقَضَوْا بِهِ لِسُحْتٍ أَخَذُوهُ مِنْهُمْ عَلَيْهِ.. وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي كُلِّ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ جَاحِدًا بِهِ، هُوَ بِاللهِ كَافِرٌ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ؛ لِأَنَّهُ بِجُحُودِهِ حُكْمَ اللهِ بَعْدَ عِلْمِهِ أَنَّهُ أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ نَظِيرَ جُحُودِهِ نُبُوَّةَ نَبِيِّهِ بَعْدَ عِلْمِهِ أَنَّهُ نَبِيٌّ.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٥].

﴿وَكَتَبْنَا﴾ وَفَرَضْنَا عَلَيْهِمْ..

﴿عَلَيْهِمْ﴾ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ يُحَكِّمُونَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ..

﴿فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ أَنْ يَحْكُمُوا فِي النَّفْسِ إِذَا قَتَلَتْ نَفْسًا بِغَيْرِ حَقٍّ بِالنَّفْسِ، يَعْنِي: أَنْ تُقْتَلَ النَّفْسُ الْقَاتِلَةُ بِالنَّفْسِ الْمَقْتُولَةِ..

﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ وَفَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ يَفْقَئُوا الْعَيْنَ الَّتِي فَقَأَ صَاحِبُهَا مِثْلَهَا مِنْ نَفْسٍ أُخْرَىٰ بِالْعَيْنِ الْمَفْقُوءَةِ..

﴿وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ﴾ وَيُجْدَعُ الْأَنْفُ بِالْأَنْفِ.

﴿وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ﴾ وَتُقْطَعُ الْأُذُنُ بِالْأُذُنِ..

﴿وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾ وَتُقْلَعُ السِّنُّ بِالسِّنِّ..

﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ﴾ وَيُقْتَصُّ مِنَ الْجَارِحِ غَيْرَهُ ظُلْمًا لِلْمَجْرُوحِ.. وَهَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنِ الْيَهُودِ، وَتَعْزِيَةٌ مِنْهُ لَهُ عَنْ كُفْرِ مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ بِهِ بَعْدَ إِقْرَارِهِ بِنُبُوَّتِهِ، وَإِدْبَارِهِ عَنْهُ بَعْدَ إِقْبَالِهِ، وَتَعْرِيفٌ مِنْهُ لَهُ جَرَاءَتَهُمْ قَدِيمًا وَحَدِيثًا عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَعَلَىٰ رُسُلِ رَبِّهِمْ، وَتَقَدُّمَهُمْ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ بِالتَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَهُ: وَكَيْفَ يَرْضَىٰ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ يَا مُحَمَّدُ بِحُكْمِكَ إِذَا جَاءُوا يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ الَّتِي يُقِرُّونَ بِهَا أَنَّهَا كِتَابِي وَوَحْيِي إِلَىٰ رَسُولِي مُوسَىٰ ﷺ فِيهَا حُكْمِي بِالرَّجْمِ عَلَىٰ الزُّنَاةِ الْمُحْصَنِينَ، وَقَضَائِي بَيْنَهُمْ أَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا ظُلْمًا فَهُوَ بِهَا قَوَدٌ، وَمَنْ فَقَأَ عَيْنًا بِغَيْرِ حَقٍّ فَعَيْنُهُ بِهَا مَفْقُوءَةٌ قِصَاصًا، وَمَنْ جَدَعَ أَنْفًا فَأَنْفُهُ بِهِ مَجْدُوعٌ، وَمَنْ قَلَعَ سِنًّا فَسِنُّهُ بِهَا مَقْلُوعَةٌ، وَمَنْ جَرَحَ غَيْرَهُ جُرْحًا فَهُوَ مُقْتَصٌّ مِنْهُ مِثْلَ الْجُرْحِ الَّذِي جَرَحَهُ، ثُمَّ هُمْ مَعَ الْحُكْمِ الَّذِي عِنْدَهُ فِي التَّوْرَاةِ مِنْ أَحْكَامِي يَتَوَلَّوْنَ عَنْهُ وَيَتْرُكُونَ الْعَمَلَ بِهِ، يَقُولُ: فَهُمْ بِتَرْكِ حُكْمِكَ وَبِسَخَطِ قَضَائِكَ بَيْنَهُمْ أَحْرَىٰ وَأَوْلَىٰ..

﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ﴾ لِلْمَجْرُوحِ؛ إِذِ الصَّدَقَةُ هِيَ الْمُكَفِّرَةُ ذَنْبَ صَاحِبِهَا دُونَ الْمُتَصَدَّقِ عَلَيْهِ فِي سَائِرِ الصَّدَقَاتِ غَيْرَ هَذِهِ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ سَبِيلُ هَذِهِ سَبِيلَ غَيْرِهَا مِنَ الصَّدَقَاتِ.. فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ الْقِصَاصَ إِذْ كَانَ يُكَفِّرُ ذَنْبَ صَاحِبِهِ الْمُقْتَصِّ مِنْهُ الَّذِي أَتَاهُ فِي قَتْلِ مَنْ قَتَلَهُ ظُلْمًا، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا أَخَذَ الْبَيْعَةَ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ: «**أَنْ لَا تَقْتُلُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَسْرِقُوا**» ثُمَّ قَالَ: «**فَمَنْ فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأُقِيمَ عَلَيْهِ حَدُّهُ، فَهُوَ كَفَّارَتُهُ**» فَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ عَفْوُ الْعَافِي الْمَجْنِيِّ عَلَيْهِ أَوْ وَلِيِّ الْمَقْتُولِ عَنْهُ، نَظِيرُهُ فِي أَنَّ ذَلِكَ لَهُ كَفَّارَةٌ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَوْ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ، لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ عَفْوُ الْمَقْذُوفِ عَنْ قَاذِفِهِ بِالزِّنَا وَتَرْكُهُ أَخْذَهُ بِالْوَاجِبِ لَهُ مِنَ الْحَدِّ، وَقَدْ قَذَفَهُ قَاذِفُهُ وَهُوَ عَفِيفٌ مُسْلِمٌ مُحْصَنٌ، كَفَّارَةً لِلْقَاذِفِ مِنْ ذَنْبِهِ الَّذِي رَكِبَهُ وَمَعْصِيَتِهِ الَّتِي أَتَاهَا، وَذَلِكَ مَا لَا نَعْلَمُ قَائِلًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُهُ، فَإِذْ كَانَ غَيْرَ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ تَرْكُ الْمَقْذُوفِ الَّذِي وَصَفْنَا أَمْرَهُ أَخْذَ قَاذِفِهِ بِالْوَاجِبِ لَهُ مِنَ الْحَدِّ كَفَّارَةً لِلْقَاذِفِ مِنْ ذَنْبِهِ الَّذِي رَكِبَهُ، كَانَ كَذَلِكَ غَيْرَ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ تَرْكُ الْمَجْرُوحِ أَخْذَ الْجَارِحِ بِحَقِّهِ مِنَ الْقِصَاصِ كَفَّارَةً لِلْجَارِحِ مِنْ ذَنْبِهِ الَّذِي رَكِبَهُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَ لَيْسَ لِلْمَجْرُوحِ عِنْدَكَ أَخْذُ جَارِحِهِ بِدِيَةِ جُرْحِهِ مَكَانَ الْقِصَاصِ؟ قِيلَ لَهُ: بَلَىٰ، فَإِنْ قَالَ: أَفَرَأَيْتَ لَوِ اخْتَارَ الدِّيَةَ ثُمَّ عَفَا عَنْهَا، لَكَانَتْ لَهُ قِبَلَهُ فِي الْآخِرَةِ تَبِعَةٌ؟ قِيلَ لَهُ: هَذَا كَلَامٌ عِنْدَنَا مُحَالٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ عِنْدَنَا مُخْتَارًا الدِّيَةَ إِلَّا وَهُوَ لَهَا آخِذٌ، فَأَمَّا الْعَفْوُ فَإِنَّمَا هُوَ عَفْوٌ عَنِ الدَّمِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِذَلِكَ هِبَتُهَا لِمَنْ أُخِذَتْ مِنْهُ بَعْدَ الْأَخْذِ، مَعَ

أَنَّ عَفْوَهُ عَنِ الدِّيَةِ بَعْدَ اخْتِيَارِهِ إِيَّاهَا لَوْ صَحَّ لَمْ يَكُنْ فِي صِحَّةِ ذَلِكَ مَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْفُوُّ لَهُ عَنْهَا بَرِيئًا مِنْ عُقُوبَةِ ذَنْبِهِ عِنْدَ اللهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَوْعَدَ قَاتِلَ الْمُؤْمِنِ بِمَا أَوْعَدَهُ بِهِ، إِنْ لَمْ يَتُبْ مِنْ ذَنْبِهِ، وَالدِّيَةُ مَأْخُوذَةٌ مِنْهُ، أَحَبَّ أَمْ سَخِطَ، وَالتَّوْبَةُ مِنَ التَّائِبِ إِنَّمَا تَكُونُ تَوْبَةً إِذَا اخْتَارَهَا وَأَرَادَهَا وَآثَرَهَا عَلَىٰ الْإِصْرَارِ.. فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَهُ كَفَّارَةً كَمَا كَانَ الْقِصَاصُ لَهُ كَفَّارَةً؛ فَإِنَّا إِنَّمَا جَعَلْنَا الْقِصَاصَ لَهُ كَفَّارَةً مَعَ نَدَمِهِ وَبَذْلِهِ نَفْسَهُ لِأَخْذِ الْحَقِّ مِنْهَا تَنَصُّلًا مِنْ ذَنْبِهِ، بِخَبَرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَمَّا الدِّيَةُ إِذَا اخْتَارَهَا الْمَجْرُوحُ ثُمَّ عَفَا عَنْهَا فَلَمْ يُقْضَ عَلَيْهِ بِحَدِّ ذَنْبِهِ، فَيَكُونُ مِمَّنْ دَخَلَ فِي حُكْمِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَوْلِهِ: «**فَمَنْ أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ فَهُوَ كَفَّارَتُهُ**»، ثُمَّ مِمَّا يُؤَكِّدُ صِحَّةَ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ، الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ: «**فَمَنْ تَصَدَّقَ بِدَمٍ**» وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ..

﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ**﴾ فِي التَّوْرَاةِ مِنْ قَوَدِ النَّفْسِ الْقَاتِلَةِ قِصَاصًا بِالنَّفْسِ الْمَقْتُولَةِ ظُلْمًا، وَلَمْ يَفْقَأْ عَيْنَ الْفَاقِئِ بِعَيْنِ الْمَفْقُوءَةِ ظُلْمًا قِصَاصًا مِمَّنْ أَمَرَهُ اللهُ بِهِ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ، وَلَكِنْ أَقَادَ مِنْ بَعْضٍ وَلَمْ يُقِدْ مِنْ بَعْضٍ، أَوْ قَتَلَ فِي بَعْضٍ اثْنَيْنِ بِوَاحِدٍ..

﴿**فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٤٥**﴾ [المائدة: ٤٥] مِمَّنْ جَارَ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ وَوَضَعَ فِعْلَهُ مَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ لَهُ مَوْضِعًا.

> ﴿**وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٦**﴾ [المائدة: ٤٦].

﴿**وَقَفَّيْنَا**﴾ وأَتْبَعْنَا..

﴿**عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم**﴾ عَلَىٰ آثَارِ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنْ قَبْلِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿**بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ**﴾ فَبَعَثْنَاهُ نَبِيًّا..

﴿**مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ**﴾ مُصَدِّقًا لِكِتَابِنَا الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِهِ أَنَّهُ حَقٌّ، وَأَنَّ الْعَمَلَ بِمَا لَمْ يَنْسَخْهُ الْإِنْجِيلُ مِنْهُ فَرْضٌ وَاجِبٌ..

﴿**وَءَاتَيْنَٰهُ**﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْهِ كِتَابَنَا الَّذِي اسْمُهُ..

﴿**ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ**﴾ فِي الْإِنْجِيلِ..

﴿**هُدًى**﴾ وَهُوَ بَيَانُ مَا جَهِلَهُ النَّاسُ مِنْ حُكْمِ اللهِ فِي زَمَانِهِ..

﴿**وَنُورٌ**﴾ وَضِيَاءٌ مِنْ عَمَىٰ الْجَهَالَةِ..

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ، وَأَنْزَلْنَاهُ إِلَيْهِ بِتَصْدِيقِ مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنْ كُتُبِ اللهِ الَّتِي كَانَ أَنْزَلَهَا عَلَىٰ كُلِّ أُمَّةٍ أُنْزِلَ إِلَىٰ نَبِيِّهَا كِتَابٌ لِلْعَمَلِ بِمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ نَبِيِّهِمْ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ مِنْ تَحْلِيلِ مَا حُلِّلَ وَتَحْرِيمِ مَا حُرِّمَ..

﴿وَهُدًى﴾ أَنْزَلْنَا الْإِنْجِيلَ إِلَىٰ عِيسَىٰ مُصَدِّقًا لِلْكُتُبِ الَّتِي قَبْلَهُ، وَبَيَانًا لِحُكْمِ اللهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ فِي زَمَانِ عِيسَىٰ..

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: ٤٦] وَزَجْرًا لَهُمْ عَمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ إِلَىٰ مَا يُحِبُّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَتَنْبِيهًا لَهُمْ عَلَيْهِ.. وَالْمُتَّقُونَ: هُمُ الَّذِينَ خَافُوا اللهَ وَحَذِرُوا عِقَابَهُ، فَاتَّقُوهُ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ وَحَذِرُوهُ بِتَرْكِ مَا نَهَاهُمْ عَنْ فِعْلِهِ.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧].

﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ آتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ الْإِنْجِيلَ، فِيهِ هُدًىٰ وَنُورٌ، وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ، وَهُدًىٰ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ، وَكَيْ يَحْكُمَ.. فَأَمَّا إِذَا قُرِئَ بِتَسْكِينِ اللَّامِ، فَتَأْوِيلُهُ: وَأَمَرْنَا..

﴿أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ فَبَدَّلُوا حُكْمَهُ وَخَالَفُوهُ، فَضَلُّوا بِخِلَافِهِمْ إِيَّاهُ، إِذْ لَمْ يَحْكُمُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَخَالَفُوهُ..

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧] الْخَارِجُونَ عَنْ أَمْرِ اللهِ فِيهِ، الْمُخَالِفُونَ لَهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ فِي كِتَابِهِ، وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ: (الْفَاسِقُونَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَفِي غَيْرِهِ: هُمُ الْكَاذِبُونَ).

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٤٨].

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ وَهَذَا خِطَابٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَهُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ..

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ بِالصِّدْقِ، وَلَا كَذِبَ فِيهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أَنْزَلْنَاهُ بِتَصْدِيقِ مَا قَبْلَهُ مِنْ كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ..

﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مُصَدِّقًا لِلْكُتُبِ قَبْلَهُ، وشَهِيدًا عَلَيْهَا أَنَّهَا حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وأَمِينًا عَلَيْهَا، حَافِظًا لَهَا.. وَأَصْلُ الْهَيْمَنَةِ: الْحِفْظُ وَالارْتِقَابُ، يُقَالُ إِذَا رَقَبَ الرَّجُلُ الشَّيْءَ وَحَفِظَهُ وَشَهِدَهُ: قَدْ هَيْمَنَ فُلَانٌ عَلَيْهِ، فَهُوَ يُهَيْمِنُ هَيْمَنَةً، وَهُوَ عَلَيْهِ مُهَيْمِنٌ..

﴿فَٱحۡكُم﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بَيۡنَهُم﴾ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ..

﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِي وَأَحْكَامِي، فِي كُلِّ مَا احْتَكَمُوا فِيهِ إِلَيْكَ مِنَ الْحُدُودِ وَالْجُرُوحِ وَالْقَوَدِ وَالنُّفُوسِ، فَارْجُمِ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ، وَاقْتُلِ النَّفْسَ الْقَاتِلَةَ بِالنَّفْسِ الْمَقْتُولَةِ ظُلْمًا، وَافْقَأِ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ، وَاجْدَعِ الْأَنْفَ بِالْأَنْفِ، فَإِنِّي أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ الْقُرْآنَ مُصَدِّقًا فِي ذَلِكَ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ، وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ، رَقِيبًا يَقْضِي عَلَىٰ مَا قَبْلَهُ مِنْ سَائِرِ الْكُتُبِ قَبْلَهُ.. وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ الْمُحْتَكِمِينَ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَسَائِرِ أَهْلِ الْمِلَلِ، بِكِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي خَصَّهُ بِشَرِيعَتِهِ..

﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ، الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنْ أُوتِيتُمُ الْجَلْدَ فِي الزَّانِي الْمُحْصَنِ دُونَ الرَّجْمِ، وَقَتْلَ الْوَضِيعِ بِالشَّرِيفِ إِذَا قَتَلَهُ، وَتَرْكَ قَتْلِ الشَّرِيفِ بِالْوَضِيعِ إِذَا قَتَلَهُ، فَخُذُوهُ، وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا..

﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ عَنِ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْحَقِّ، وَهُوَ كِتَابُ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ، يَقُولُ لَهُ: اعْمَلْ بِكِتَابِي الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ إِذَا احْتَكَمُوا إِلَيْكَ، فَاخْتَرْتَ الْحُكْمَ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَتْرُكَنَّ الْعَمَلَ بِذَلِكَ اتِّبَاعًا مِنْكَ أَهْوَاءَهُمْ وَإِيثَارًا لَهَا عَلَىٰ الْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ فِي كِتَابِي..

﴿لِكُلّٖ﴾ لِكُلِّ قَوْمٍ مِنْكُمْ..

﴿جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ﴾ سَبِيلًا.. وَالشِّرْعَةُ: هِيَ الشَّرِيعَةُ بِعَيْنِهَا، وَلَوْ جُمِعَتِ الشِّرْعَةُ شَرَائِعَ كَانَ صَوَابًا؛ لِأَنَّ مَعْنَاهَا وَمَعْنَىٰ الشَّرِيعَةِ وَاحِدٌ، فَيَرُدُّهَا عِنْدَ الْجَمْعِ إِلَىٰ لَفْظِ نَظِيرِهَا، وَكُلُّ مَا شَرَعْتَ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ شَرِيعَةٌ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِشَرِيعَةِ الْمَاءِ: شَرِيعَةٌ؛ لِأَنَّهُ يُشْرَعُ مِنْهَا إِلَىٰ الْمَاءِ، وَمِنْهُ سُمِّيَتْ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ شَرَائِعَ، لِشُرُوعِ أَهْلِهِ فِيهِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْقَوْمِ إِذَا تَسَاوَوْا فِي

الشَّيْءِ: هُمْ شُرُعٌ سَوَاءٌ..

﴿وَمِنْهَاجًا﴾ وَسُنَّةً.. أَصْلُهُ: الطَّرِيقُ الْبَيِّنُ الْوَاضِحُ، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ كَانَ بَيِّنًا وَاضِحًا يُعْمَلُ بِهِ.. وَالسُّنَنُ مُخْتَلِفَةٌ: لِلتَّوْرَاةِ شَرِيعَةٌ، وَلِلْإِنْجِيلِ شَرِيعَةٌ، وَلِلْقُرْآنِ شَرِيعَةٌ، يُحِلُّ اللهُ فِيهَا مَا يَشَاءُ وَيُحَرِّمُ مَا يَشَاءُ بَلَاءً، لِيَعْلَمَ مَنْ يُطِيعُهُ مِمَّنْ يَعْصِيهِ، وَلَكِنَّ الدِّينَ الْوَاحِدَ الَّذِي لَا يَقْبَلُ غَيْرَهُ التَّوْحِيدُ وَالْإِخْلَاصُ لِلَّهِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ..

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكُمْ لَجَعَلَ شَرَائِعَكُمْ وَاحِدَةً، وَلَمْ يَجْعَلْ لِكُلِّ أُمَّةٍ شَرِيعَةً وَمِنْهَاجًا غَيْرَ شَرَائِعِ الْأُمَمِ الْأُخَرِ وَمِنْهَاجِهِمْ، فَكُنْتُمْ تَكُونُونَ أُمَّةً وَاحِدَةً، لَا تَخْتَلِفُ شَرَائِعُكُمْ وَمِنْهَاجُكُمْ...

﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ ولكِنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ، فَخَالَفَ بَيْنَ شَرَائِعِكُمْ لِيَخْتَبِرَكُمْ، فَيَعْرِفَ الْمُطِيعَ مِنْكُمْ مِنَ الْعَاصِي، وَالْعَامِلَ بِمَا أَمَرَهُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ مِنَ الْمُخَالِفِ..

﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ فِيمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكُتُبِ..

﴿فَٱسْتَبِقُوا۟﴾ فَبَادِرُوا أَيُّهَا النَّاسُ إِلَىٰ..

﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْقُرَبِ، إِلَىٰ رَبِّكُمْ بِإِدْمَانِ الْعَمَلِ بِمَا فِي كِتَابِكُمُ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَىٰ نَبِيِّكُمْ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَنْزَلَهُ امْتِحَانًا لَكُمْ وَابْتِلَاءً، لِيَتَبَيَّنَ الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ مِنَ الْمُسِيءِ..

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ فَيُجَازِي جَمِيعَكُمْ عَلَىٰ عَمَلِهِ جَزَاءَهُ عِنْدَ مَصِيرِكُمْ إِلَيْهِ، فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا..

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٤٨] فَيُخْبِرُ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ بِمَا كَانَ يُخَالِفُ فِيهِ الْفِرَقَ الْأُخْرَىٰ، فَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَيُبَيِّنُ الْمُحِقَّ بِمُجَازَاتِهِ إِيَّاهُ بِجَنَاتِهِ مِنَ الْمُسِيءِ بِعِقَابِهِ إِيَّاهُ بِالنَّارِ، فَيَتَبَيَّنُ حِينَئِذٍ كُلُّ حِزْبٍ عِيَانًا، الْمُحِقُّ مِنْهُمْ مِنَ الْمُبْطِلِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَ لَمْ يُنَبِّئْنَا رَبُّنَا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ مَرْجِعِنَا إِلَيْهِ مَا نَحْنُ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ؟ قِيلَ: إِنَّهُ بَيَّنَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا بِالرُّسُلِ وَالْأَدِلَّةِ وَالْحُجَجِ، دُونَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عِيَانًا، فَمُصَدِّقٌ بِذَلِكَ وَمُكَذِّبٌ، وَأَمَّا عِنْدَ الْمَرْجِعِ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُنَبِّئُهُمْ بِذَلِكَ بِالْمُجَازَاةِ الَّتِي لَا يَشُكُّونَ مَعَهَا فِي مَعْرِفَةِ الْمُحِقِّ وَالْمُبْطِلِ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ إِدْخَالِ اللَّبْسِ مَعَهَا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، فَكَذَلِكَ خَبَرُهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُ يُنَبِّئُنَا عِنْدَ الْمَرْجِعِ إِلَيْهِ بِمَا كُنَّا فِيهِ نَخْتَلِفُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِلَىٰ اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا، فَتَعْرِفُونَ الْمُحِقَّ حِينَئِذٍ مِنَ الْمُبْطِلِ مِنْكُمْ.

﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩﴾

[المائدة: ٤٩].

﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ الْكِتَابَ، مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ، وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِحُكْمِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ فِي كِتَابِهِ..

﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ نَهْيٌ مِنَ اللهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَتَّبِعَ أَهْوَاءَ الْيَهُودِ الَّذِينَ احْتَكَمُوا إِلَيْهِ فِي قَتِيلِهِمْ وَفَاجِرِيهِمْ، وَأَمْرٌ مِنْهُ لَهُ بِلُزُومِ الْعَمَلِ بِكِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْهِ..

﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ﴾ وَاحْذَرْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ الَّذِينَ جَاءُوكَ مُحْتَكِمِينَ إِلَيْكَ..

﴿أَن يَفۡتِنُوكَ﴾ فَيَصُدُّوكَ..

﴿عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ مِنْ حُكْمِ كِتَابِهِ، فَيَحْمِلُوكَ عَلَىٰ تَرْكِ الْعَمَلِ بِهِ وَاتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمْ..

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ فَإِنْ تَوَلَّىٰ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ الَّذِينَ اخْتَصَمُوا إِلَيْكَ عَنْكَ، فَتَرَكُوا الْعَمَلَ بِمَا حَكَمْتَ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَقَضَيْتَ فِيهِمْ..

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَوَلَّوْا عَنِ الرِّضَا بِحُكْمِكَ وَقَدْ قَضَيْتَ بِالْحَقِّ إِلَّا مِنْ أَجْلِ أَنَّ اللهَ يُرِيدُ أَنْ يَتَعَجَّلَ عُقُوبَتَهُمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا بِبَعْضِ مَا قَدْ سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ..

﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْيَهُودِ..

﴿لَفَٰسِقُونَ ٤٩﴾ [المائدة: ٤٩] لَتَارِكُو الْعَمَلِ بِكِتَابِ اللهِ، وَلَخَارِجُونَ عَنْ طَاعَتِهِ إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ.

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [المائدة: ٥٠].

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾ أَيَبْغِي هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ الَّذِينَ احْتَكَمُوا إِلَيْكَ فَلَمْ يَرْضَوْا بِحُكْمِكَ وَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِالْقِسْطِ حُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ، يَعْنِي أَحْكَامَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَعِنْدَهُمْ كِتَابُ اللهِ، فِيهِ بَيَانُ حَقِيقَةِ الْحُكْمِ الَّذِي حَكَمْتَ بِهِ فِيهِمْ، وَإِنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَجُوزُ خِلَافُهُ.. ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُوَبِّخًا لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَبَوْا قَبُولَ حُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ، وَمُسْتَجْهِلًا فِعْلَهُمْ ذَلِكَ مِنْهُمْ..

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا﴾ وَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ حُكْمًا أَيُّهَا الْيَهُودُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، عِنْدَ مَنْ كَانَ يُوقِنُ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَيُقِرُّ بِرُبُوبِيَّتِهِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: أَيُّ حُكْمٍ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِ اللهِ..

﴿لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة: ٥٠] إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ أَنَّ لَكُمْ رَبًّا وَكُنْتُمْ أَهْلَ تَوْحِيدٍ وَإِقْرَارٍ بِهِ.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١﴾ [المائدة: ٥١].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَهَىٰ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا أَنْ يَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَنْصَارًا وَحُلَفَاءَ عَلَىٰ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ مَنِ اتَّخَذَهُمْ نَصِيرًا وَحَلِيفًا وَوَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُ مِنْهُمْ فِي التَّحَزُّبِ عَلَىٰ اللهِ وَعَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْهُ بَرِيئَانِ.. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي مُنَافِقٍ كَانَ يُوَالِي يَهُودَ أَوْ نَصَارَىٰ، خَوْفًا عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ دَوَائِرِ الدَّهْرِ، لِأَنَّ الْآيَةَ الَّتِي بَعْدَ هَذِهِ تَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ بَعْضُ الْيَهُودِ أَنْصَارُ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَىٰ جَمِيعِهِمْ، وَأَنَّ النَّصَارَىٰ كَذَلِكَ بَعْضُهُمْ أَنْصَارُ بَعْضٍ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ دِينَهُمْ وَمِلَّتَهُمْ، مُعَرِّفًا بِذَلِكَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ مَنْ كَانَ لَهُمْ أَوْ لِبَعْضِهِمْ وَلِيًّا، فَإِنَّمَا هُوَ وَلِيُّهُمْ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ مِلَّتَهُمْ وَدِينَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ لَهُمْ حَرْبٌ، فَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ: فَكُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَلِلْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ حَرْبًا كَمَا هُمْ لَكُمْ حَرْبٌ، وَبَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَوْلِيَاءُ؛ لِأَنَّ مَنْ وَالَاهُمْ فَقَدْ أَظْهَرَ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ الْحَرْبَ وَمِنْهُمُ الْبَرَاءَةَ، وَأَبَانُ قَطَعَ وَلَايَتَهُمْ..

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ، يَقُولُ: فَإِنَّ مَنْ تَوَلَّاهُمْ وَنَصَرَهُمْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ دِينِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ، فَإِنَّهُ لَا يَتَوَلَّىٰ مُتَوَلٍّ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ بِهِ وَبِدِينِهِ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ رَاضٍ، وَإِذَا رَضِيَهُ وَرَضِيَ دِينَهُ فَقَدْ عَادَىٰ مَا خَالَفَهُ وَسَخِطَهُ، وَصَارَ حُكْمُهُ حُكْمَهُ، وَلِذَلِكَ حَكَمَ مَنْ حَكَمَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ لِنَصَارَىٰ بَنِي تَغْلِبَ فِي ذَبَائِحِهِمْ وَنِكَاحِ نِسَائِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ بِأَحْكَامِ نَصَارَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِمُوَالَاتِهِمْ إِيَّاهُمْ وَرِضَاهُمْ بِمِلَّتِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ لَهُمْ عَلَيْهَا، وَإِنْ كَانَتْ أَنْسَابُهُمْ لِأَنْسَابِهِمْ مُخَالِفَةً وَأَصْلُ دِينِهِمْ لِأَصْلِ دِينِهِمْ مُفَارِقًا.. وَفِي ذَلِكَ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا نَقُولُ، مِنْ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ يَدِينُ بِدِينٍ فَلَهُ حُكْمُ أَهْلِ ذَلِكَ الدِّينِ كَانَتْ دَيْنُونَتُهُ بِهِ قَبْلَ مَجِيءِ الْإِسْلَامِ أَوْ بَعْدَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا مِنْ أَهْلِ دِينِنَا انْتَقَلَ إِلَىٰ مِلَّةٍ غَيْرِهَا، فَإِنَّهُ لَا يُقَرُّ عَلَىٰ مَا دَانَ بِهِ فَانْتَقَلَ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ يُقْتَلُ لِرِدَّتِهِ عَنِ الْإِسْلَامِ وَمُفَارَقَتِهِ دِينَ الْحَقِّ، إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ قَبْلَ الْقَتْلِ إِلَىٰ الدِّينِ الْحَقِّ، وَفَسَادُ مَا خَالَفَهُ مِنْ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا يَحْكُمُ بِحُكْمِ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ لِمَنْ دَانَ بِدِينِهِمْ، إِلَّا أَنْ

يَكُونَ إِسْرَائِيلِيًّا أَوْ مُنْتَقِلًا إِلَىٰ دِينِهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ قَبْلَ نُزُولِ الْفُرْقَانِ، فَأَمَّا مَنْ دَانَ بِدِينِهِمْ بَعْدَ نُزُولِ الْفُرْقَانِ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ مِمَّنْ خَالَفَ نَسَبُهُ نَسَبَهُمْ وَجِنْسُهُ جِنْسَهُمْ، فَإِنَّهُ حُكْمُهُ لِحُكْمِهِمْ مُخَالِفٌ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١] إِنَّ اللهَ لَا يُوَفِّقُ مَنْ وَضَعَ الْوَلَايَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، فَوَالَىٰ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ مَعَ عَدَاوَتِهِمُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَانَ لَهُمْ ظَهِيرًا وَنَصِيرًا؛ لِأَنَّ مَنْ تَوَلَّاهُمْ فَهُوَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ حَرْبٌ.. وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الظُّلْمِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ وَأَنَّهُ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ.

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

﴿فَتَرَى﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ وَشَكٌّ إِيمَانٍ بِنُبُوَّتِكَ، وَتَصْدِيقِ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ.. وَذَلِكَ مِنَ اللهِ خَبَرٌ عَنْ نَاسٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يُوَالُونَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ، وَيَغُشُّونَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَقُولُونَ: نَخْشَىٰ أَنْ تَدُورَ دَوَائِرُ إِمَّا لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَإِمَّا لِأَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ أَوْ غَيْرِهِمْ عَلَىٰ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، أَوْ تَنْزِلَ بِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ نَازِلَةٌ، فَيَكُونَ بِنَا إِلَيْهِمْ حَاجَةٌ..

﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ.. وَيَعْنِي بِمُسَارَعَتِهِمْ فِيهِمْ: مُسَارَعَتَهُمْ فِي مُوَالَاتِهِمْ وَمُصَانَعَتِهِمْ..

﴿يَقُولُونَ﴾ يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ..

﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ إِنَّمَا نُسَارِعُ فِي مُوَالَاةِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ خَوْفًا مِنْ دَائِرَةٍ تَدُورُ عَلَيْنَا مِنْ عَدُوِّنَا.. وَيَعْنِي بِالدَّائِرَةِ: الدَّوْلَةَ..

﴿فَعَسَى﴾ فَلَعَلَّ..

﴿ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ وَالْفَتْحُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ الْقَضَاءُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْقَضَاءُ الَّذِي وَعَدَ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ فَتْحُ مَكَّةَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ عَظِيمِ قَضَاءِ اللهِ، وَفَصْلِ حُكْمِهِ بَيْنَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ، وَيُقَرِّرُ عِنْدَ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ أَنَّ اللهَ مُعْلِي كَلِمَتِهِ وَمُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ..

﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ قَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ الَّذِي وَعَدَ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ هُوَ

الْجِزْيَةَ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَهَا، غَيْرَ أَنَّهُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ فَهُوَ مِمَّا فِيهِ إِدَالَةُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَمِمَّا يَسُوءُ الْمُنَافِقِينَ وَلَا يَسُرُّهُمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ إِذَا جَاءَ أَصْبَحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ..

﴿فَيُصۡبِحُواْ﴾ فَيُصْبِحُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ..

﴿عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ۝٥٢﴾ مِنْ مُخَالَّةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَمَوَدَّتِهِمْ، وَبِغْضَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَمُحَادَّتِهِمْ.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ۝٥٣﴾ [المائدة: ٥٣].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ﴾ حَلَفُوا لَنَا..

﴿بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ كَذِبًا..

﴿إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ﴾ إِنَّهُمْ لَمَعَنَا..

﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ ذَهَبَتْ أَعْمَالُهُمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا بَاطِلًا، لَا ثَوَابَ لَهَا وَلَا أَجْرَ؛ لِأَنَّهُمْ عَمِلُوهَا عَلَىٰ غَيْرِ يَقِينٍ مِنْهُمْ بِأَنَّهَا عَلَيْهِمْ لِلَّهِ فَرْضٌ وَاجِبٌ، وَلَا عَلَىٰ صِحَّةِ إِيمَانٍ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَهَا لِيَدْفَعُوا الْمُؤْمِنِينَ بِهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَذَرَارِيهِمْ، فَأَحْبَطَ اللهُ أَجْرَهَا إِذْ لَمْ تَكُنْ لَهُ..

﴿فَأَصۡبَحُواْ﴾ فَأَصْبَحَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ عِنْدَ مَجِيءِ أَمْرِ اللهِ بِإِدَالَةِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ أَهْلِ الْكُفْرِ..

﴿خَٰسِرِينَ ۝٥٣﴾ [المائدة: ٥٣] قَدْ وُكِسُوا فِي شِرَائِهِمُ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ، وَخَابَتْ صَفْقَتُهُمْ وَهَلَكُوا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَقَرُّوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ..

﴿مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾ مَنْ يَرْجِعْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ، فَيُبَدِّلُهُ وَيُغَيِّرُهُ بِدُخُولِهِ فِي الْكُفْرِ، إِمَّا فِي الْيَهُودِيَّةِ أَوِ النَّصْرَانِيَّةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْكُفْرِ..

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا، وَسَيَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ؛ يَقُولُ: فَسَوْفَ يَجِيءُ اللهُ بَدَلًا مِنْهُمُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يُبَدِّلُوا وَلَمْ يُغَيِّرُوا وَلَمْ يَرْتَدُّوا، بِقَوْمٍ خَيْرٍ مِنَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا وَبَدَّلُوا دِينَهُمْ، يُحِبُّهُمُ اللهُ وَيُحِبُّونَ اللهَ.. وَكَانَ هَذَا الْوَعِيدُ مِنَ اللهِ لِمَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ سَيَرْتَدُّ بَعْدَ وَفَاةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَذَلِكَ وَعْدُهُ مَنْ وَعَدَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَعَدَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، لِمَنْ سَبَقَ لَهُ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ لَا يُبَدِّلُ وَلَا يُغَيِّرُ دِينَهُ وَلَا يَرْتَدُّ، فَلَمَّا قَبَضَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ ارْتَدَّ أَقْوَامٌ مِنْ أَهْلِ الْوَبَرِ وَبَعْضُ أَهْلِ الْمَدَرِ، فَأَبْدَلَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِخَيْرٍ مِنْهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَوَفَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ بِوَعْدِهِ، وَأَنْفَذَ فِيمَنِ ارْتَدَّ مِنْهُمْ وَعِيدَهُ..

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أَرِقَّاء عَلَيْهِمْ رُحَمَاء بِهِمْ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: ذَلَّ فُلَانٌ لِفُلَانٍ: إِذَا خَضَعَ لَهُ وَاسْتَكَانَ..

﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أَشِدَّاء عَلَيْهِمْ، غُلَظَاء بِهِمْ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: قَدْ عَزَّنِي فُلَانٌ: إِذَا أَظْهَرَ الْعِزَّةَ مِنْ نَفْسِهِ لَهُ، وَأَبْدَىٰ لَهُ الْجفْوَةَ وَالْغِلْظَةَ..

﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِهِمْ إِنِ ارْتَدَّ مِنْهُمْ مُرْتَدٌّ بَدَلًا مِنْهُمْ، يُجَاهِدُونَ فِي قِتَالِ أَعْدَاءِ اللهِ، عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِقِتَالِهِمْ، وَالْوَجْهِ الَّذِي أَذِنَ لَهُمْ بِهِ، وَيُجَاهِدُونَ عَدُوَّهُمْ، فَذَلِكَ مُجَاهَدَتُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ..

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ﴾ وَلَا يَخَافُونَ فِي ذَاتِ اللهِ أَحَدًا، وَلَا يَصُدُّهُمْ عَنِ الْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ مِنْ قِتَالِ عَدُوِّهِمْ لَوْمَةُ لَائِمٍ لَهُمْ فِي ذَلِكَ..

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ هَذَا النَّعْتُ الَّذِي نَعَتَهُمْ بِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مِنْ أَنَّهُمْ أَذِلَّةٌ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، أَعِزَّةٌ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا يَخَافُونَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، فَضْلُ اللهِ الَّذِي تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ..

﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ وَاللهُ يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، مِنَّةً عَلَيْهِ وَتَطَوُّلًا..

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ وَاللهُ جَوَادٌ بِفَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ جَادَ بِهِ عَلَيْهِ، لَا يَخَافُ نَفَادَ خَزَائِنِهِ فَيَكُفَّ مِنْ عَطَائِهِ..

﴿عَلِيمٌ ۝٥٤﴾ [المائدة: ٥٤] بِمَوْضِعِ جُودِهِ وَعَطَائِهِ، فَلَا يَبْذُلُهُ إِلَّا لِمَنِ اسْتَحَقَّهُ وَلَا يَبْذُلُ لِمَنِ اسْتَحَقَّهُ إِلَّا عَلَىٰ قَدْرِ الْمَصْلَحَةِ، لِعِلْمِهِ بِمَوْضِعِ صَلَاحِهِ لَهُ مِنْ مَوْضِعِ ضُرِّهِ.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾

[المائدة: ٥٥].

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لَيْسَ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ نَاصِرٌ إِلَّا اللهُ وَرَسُولُهُ

وَالْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ صِفَتُهُمْ مَا ذَكَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥] فَأَمَّا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ أَمَرَكُمُ اللهُ أَنْ تَبَرَّءُوا مِنْ وَلَايَتِهِمْ وَنَهَاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ، فَلَيْسُوا لَكُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَا نُصَرَاءَ، بَلْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦].

﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عِبَادَهُ جَمِيعًا: الَّذِينَ تَبَرَّءُوا مِنَ الْيَهُودِ وَحِلْفِهِمْ رِضًا بِوَلَايَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَالَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِحِلْفِهِمْ، وَخَافُوا دَوَائِرَ السُّوءِ تَدُورُ عَلَيْهِمْ، فَسَارَعُوا إِلَىٰ مُوَالَاتِهِمْ..

﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ فَإِنَّ أَنْصَارَ اللهِ، ومَنْ وَثِقَ بِاللهِ وَتَوَلَّىٰ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ حَالِهِ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ..

﴿هُمُ الْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦] لَهُمُ الْغَلَبَةُ وَالدَّوَائِرُ وَالدَّوْلَةُ عَلَىٰ مَنْ عَادَاهُمْ وَحَادَّهُمْ، لِأَنَّهُمْ حِزْبُ اللهِ، وَحِزْبُ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ دُونَ حِزْبِ الشَّيْطَانِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٥٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ كَانَ أَحَدُهُمْ يُظْهِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْإِيمَانَ وَهُوَ عَلَىٰ كُفْرِهِ مُقِيمٌ، ثُمَّ يُرَاجِعُ الْكُفْرَ بَعْدَ يَسِيرٍ مِنَ الْمُدَّةِ بِإِظْهَارِ ذَلِكَ بِلِسَانِهِ قَوْلًا، بَعْدَ أَنْ كَانَ يُبْدِي بِلِسَانِهِ الْإِيمَانَ قَوْلًا وَهُوَ لِلْكُفْرِ مُسْتَبْطِنٌ، تَلَعُّبًا بِالدِّينِ وَاسْتِهْزَاءً بِهِ، كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة: ١٤-١٥]، فَقَدْ أَبَانَ هَذَا الْخَبَرُ عَنْ صِحَّةِ مَا قُلْنَا، مِنْ أَنَّ اتِّخَاذَ مَنِ اتَّخَذَ دِينَ اللهِ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، إِنَّمَا كَانَ بِالنِّفَاقِ مِنْهُمْ، وَإِظْهَارِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ الْإِيمَانَ وَاسْتِبْطَانِهِمُ الْكُفْرَ، وَقِيلِهِمْ لِشَيَاطِينِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ إِذَا خَلَوْا بِهِمْ: إِنَّا مَعَكُمْ.. فَنَهَىٰ اللهُ عَنْ مُوَادَّتِهِمْ وَمُحَالَفَتِهِمْ، وَالتَّمَسُّكِ بِحِلْفِهِمْ وَالِاعْتِدَادِ بِهِمْ أَوْلِيَاءَ،

وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَأْلُونَهُمْ خَبَالًا، وَفِي دِينِهِمْ طَعْنًا وَعَلَيْهِ إِزْرَاءً..

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ، وَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِمُ الْكُتُبُ مِنْ قَبْلِ بَعْثِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَمِنْ قَبْلِ نُزُولِ كِتَابِنَا..

﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿أَوْلِيَآءَ﴾ نَهَىٰ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَسَائِرِ أَهْلِ الْكُفْرِ أَوْلِيَاءَ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ.. لَا تَتَّخِذُوهُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْصَارًا وَإِخْوَانًا وَحُلَفَاءَ، فَإِنَّهُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَإِنْ أَظْهَرُوا لَكُمْ مَوَدَّةً وَصَدَاقَةً..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وَخَافُوا اللهَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَمِنَ الْكُفَّارِ أَنْ تَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَنُصَرَاءَ، وَارْهَبُوا عُقُوبَتَهُ فِي فِعْلِ ذَلِكَ إِنْ فَعَلْتُمُوهُ بَعْدَ تَقَدُّمِهِ إِلَيْكُمْ بِالنَّهْيِ عَنْهُ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ [المائدة: ٥٧] إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَتُصَدِّقُونَهُ عَلَىٰ وَعِيدِهِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝٥٨﴾ [المائدة: ٥٨].

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ وَإِذَا أَذَّنَ مُؤَذِّنُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِالصَّلَاةِ..

﴿ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا﴾ سَخِرَ مِنْ دَعْوَتِكُمْ إِلَيْهَا هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمُشْرِكِينَ..

﴿وَلَعِبًا﴾ وَلَعِبُوا..

﴿ذَٰلِكَ﴾ فِعْلُهُمُ الَّذِي يَفْعَلُونَهُ، وَهُوَ هُزْؤُهُمْ وَلَعِبُهُمْ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَىٰ الصَّلَاةِ، إِنَّمَا يَفْعَلُونَهُ بِجَهْلِهِمْ بِرَبِّهِمْ..

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝٥٨﴾ [المائدة: ٥٨] مَا لَهُمْ فِي إِجَابَتِهِمْ إِنْ أَجَابُوا إِلَىٰ الصَّلَاةِ، وَمَا عَلَيْهِمْ فِي اسْتِهْزَائِهِمْ وَلَعِبِهِمْ بِالدَّعْوَةِ إِلَيْهَا، وَلَوْ عَقَلُوا مَا لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعِقَابِ مَا فَعَلُوهُ.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ۝٥٩﴾ [المائدة: ٥٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ﴾ تَكْرَهُونَ..

﴿مِنَّآ﴾ أَوْ تَجِدُونَ عَلَيْنَا حَتَّىٰ تَسْتَهْزِئُوا بِدِينِنَا إِذَا أَنْتُمْ إِذَا نَادَيْنَا إِلَىٰ الصَّلَاةِ اتَّخَذْتُمْ نِدَاءَنَا ذَلِكَ هُزُوًا وَلَعِبًا..

﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ إِلَّا أَنْ صَدَّقْنَا وَأَقْرَرْنَا بِاللهِ فَوَحَّدْنَاهُ..

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْكِتَابِ..

﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ إِلَىٰ أَنْبِيَاءِ اللهِ مِنَ الْكُتُبِ مِنْ قَبْلِ كِتَابِنَا..

﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ۝٥٩﴾ [المائدة: ٥٩] إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَكُمْ مُخَالِفُونَ أَمْرَ اللهِ، خَارِجُونَ عَنْ طَاعَتِهِ، تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٦٠﴾ [المائدة: ٦٠].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ..

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْكِتَابِ..

﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ بِشَرٍّ مِنْ ثَوَابِ مَا تَنْقِمُونَ مِنَّا مِنْ إِيمَانِنَا بِاللهِ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِنَا مِنْ كُتُبِهِ؟..

﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ مَنْ أَبْعَدَهُ اللهُ وَأَسْحَقَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ..

﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْمُسُوخَ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ، غَضَبًا مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَسَخَطًا، فَعَجَّلَ لَهُمُ الْخِزْيَ وَالنَّكَالَ فِي الدُّنْيَا..

﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ وَمَنْ عَبَدَ الطَّاغُوتَ..

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَهُمُ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ، فَقَالَ: مَنْ لَعَنَهُ اللهُ، وَغَضِبَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ، وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ..

﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عِنْدَ اللهِ، مِمَّنْ نَقَمْتُمْ عَلَيْهِمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ إِيمَانَهُمْ بِاللهِ وَبِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْكِتَابِ، وَبِمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ..

﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٦٠﴾ [المائدة: ٦٠] وَأَنْتُمْ مَعَ ذَلِكَ أَيُّهَا الْيَهُودُ، أَشَدُّ أَخْذًا عَلَىٰ غَيْرِ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ، وَأَجْوَرُ عَنْ سَبِيلِ الرُّشْدِ وَالْقَصْدِ مِنْهُمْ.. وَهَذَا مِنْ لَحْنِ الْكَلَامِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِنَّمَا قَصَدَ بِهَذَا الْخَبَرِ إِخْبَارَ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي الْآيَاتِ قَبْلَ هَذِهِ بِقَبِيحِ فِعَالِهِمْ وَذَمِيمِ

أَخْلَاقِهِمْ، وَاسْتِيجَابِهِمْ سَخَطَهُ بِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ، حَتَّىٰ مَسَخَ بَعْضَهُمْ قِرَدَةً وَبَعْضَهُمْ خَنَازِيرَ، خِطَابًا مِنْهُ لَهُمْ بِذَلِكَ، تَعْرِيضًا بِالْجَمِيلِ مِنَ الْخِطَابِ، وَلَحْنٌ لَهُمْ بِمَا عَرَفُوا مَعْنَاهُ مِنَ الْكَلَامِ بِأَحْسَنِ اللَّحْنِ، وَعَلَّمَ نَبِيَّهُ ﷺ مِنَ الْأَدَبِ أَحْسَنَهُ، فَقَالَ لَهُ: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: أَهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَبِكُتُبِهِ الَّذِينَ تَسْتَهْزِءُونَ مِنْهُمْ شَرٌّ أَمْ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ؟ وَهُوَ يَعْنِي الْمَقُولَ ذَلِكَ لَهُمْ.

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ۝﴾ [المائدة: ٦١].

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ﴾ وَإِذَا جَاءَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ مِنَ الْيَهُودِ..

﴿قَالُوٓاْ﴾ لَكُمْ..

﴿ءَامَنَّا﴾ صَدَّقْنَا بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَىٰ دِينِهِ، وَهُمْ مُقِيمُونَ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ..

﴿وَقَد دَّخَلُواْ﴾ وَهُمْ قَدْ دَخَلُوا عَلَيْكُمْ..

﴿بِٱلْكُفْرِ﴾ بِكُفْرِهِمُ الَّذِي يَعْتَقِدُونَهُ بِقُلُوبِهِمْ وَيُضْمِرُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، وَهُمْ يُبْدُونَ كَذِبًا التَّصْدِيقَ لَكُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ..

﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾ خَرَجُوا بِالْكُفْرِ مِنْ عِنْدِكُمْ كَمَا دَخَلُوا بِهِ عَلَيْكُمْ، لَمْ يَرْجِعُوا بِمَجِيئِهِمْ إِلَيْكُمْ عَنْ كُفْرِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ، يَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ يَخْفَىٰ عَلَىٰ اللهِ جَهْلًا مِنْهُمْ بِاللهِ..

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ﴾ عِنْدَ قَوْلِهِمْ لَكُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ: آمَنَّا بِاللهِ وَبِمُحَمَّدٍ وَصَدَّقْنَا بِمَا جَاءَ بِهِ..

﴿يَكْتُمُونَ ۝﴾ [المائدة: ٦١] يُضْمِرُونَه الْكُفْرَ بِأَنْفُسِهِمْ.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝﴾ [المائدة: ٦٢].

﴿وَتَرَىٰ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ كَثِيرًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ قَصَصْتُ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ﴾ يُعَجِّلُونَ بِمُوَاقَعَةِ الْإِثْمِ.. وَقِيلَ: إِنَّ الْإِثْمَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْنِيٌّ بِهِ الْكُفْرُ.. وَهَذَا قَوْلٌ وَإِنْ كَانَ قَوْلًا غَيْرُ مَدْفُوعٍ جَوَازُ صِحَّتِهِ، فَإِنَّ الَّذِي هُوَ أَوْلَىٰ بِتَأْوِيلِ الْكَلَامِ أَنْ يَكُونَ الْقَوْمُ مَوْصُوفِينَ بِأَنَّهُمْ يُسَارِعُونَ فِي جَمِيعِ مَعَاصِي اللهِ لَا يَتَحَاشَوْنَ مِنْ شَيْءٍ مِنْهَا، لَا مِنْ

كُفْرٍ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَمَّ فِي وَصْفِهِمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ مِنْ أَنَّهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخُصَّ بِذَلِكَ إِثْمًا دُونَ إِثْمٍ..

﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ فَإِنَّهُ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ الَّذِي حَدَّهُ اللهُ لَهُمْ فِي كُلِّ مَا حَدَّهُ لَهُمْ، وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، يُسَارِعُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي مَعَاصِي اللهِ وَخِلَافِ أَمْرِهِ، وَيَتَعَدَّوْنَ حُدُودَهُ الَّتِي حَدَّ لَهُمْ فِيمَا أَحَلَّ لَهُمْ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ..

﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ وَذَلِكَ الرِّشْوَةُ الَّتِي يَأْخُذُونَهَا مِنَ النَّاسِ عَلَىٰ الْحُكْمِ بِخِلَافِ حُكْمِ اللهِ فِيهِمْ..

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٦٢﴾ [المائدة: ٦٢] أَقْسَمَ: لَبِئْسَ الْعَمَلُ مَا كَانَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ يَعْمَلُونَ فِي مُسَارَعَتِهِمْ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ.

﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ۝٦٣﴾
[المائدة: ٦٣].

﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ﴾ هَلَا يَنْهَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِ الرِّشَا فِي الْحُكْمِ مِنَ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ رَبَّانِيُّوهُمْ، وَهُمْ أَئِمَّتُهُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَسَاسَتُهُمُ الْعُلَمَاءُ بِسِيَاسَتِهِمْ..

﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾ وَأَحْبَارُهُمْ، وَهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ وَقُوَّادُهُمْ..

﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾ عَنْ قَوْلِ الْكَذِبِ وَالزُّورِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَحْكُمُونَ فِيهِمْ بِغَيْرِ حُكْمِ اللهِ، وَيَكْتُبُونَ كُتُبًا بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ: هَذَا مِنْ حُكْمِ اللهِ، وَهَذَا مِنْ كُتُبِهِ، يَقُولُ اللهُ: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]..

﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ يَعْنِي بِهِ الرِّشْوَةَ الَّتِي كَانُوا يَأْخُذُونَهَا عَلَىٰ حُكْمِهِمْ بِغَيْرِ كِتَابِ اللهِ لِمَنْ حَكَمُوا لَهُ بِهِ..

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ۝٦٣﴾ [المائدة: ٦٣] هَذَا قَسَمٌ مِنَ اللهِ أَقْسَمَ بِهِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: أُقْسِمُ: لَبِئْسَ الصَّنِيعُ كَانَ يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ فِي تَرْكِهِمْ نَهْيَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ مِنْهُمْ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِ السُّحْتِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ مِنْ ذَلِكَ.. وَكَانَ الْعُلَمَاءُ يَقُولُونَ: مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَشَدُّ تَوْبِيخًا لِلْعُلَمَاءِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ وَلَا أَخْوَفَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

[المائدة: ٦٤].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ﴾ يَعْنُونَ: أَنَّ خَيْرَ اللهِ مُمْسَكٌ، وَعَطَاءَهُ مَحْبُوسٌ عَنِ الِاتِّسَاعِ عَلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي تَأْدِيبِ نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].. وَإِنَّمَا وَصَفَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ الْيَدَ بِذَلِكَ، وَالْمَعْنَىٰ: الْعَطَاءُ، لِأَنَّ عَطَاءَ النَّاسِ وَبَذْلَ مَعْرُوفِهِمُ الْغَالِبَ بِأَيْدِيهِمْ، فَجَرَىٰ اسْتِعْمَالُ النَّاسِ فِي وَصْفِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا إِذَا وَصَفُوهُ بِجُودٍ وَكَرَمٍ أَوْ بِبُخْلٍ وَشُحٍّ وَضِيقٍ، بِإِضَافَةِ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ الْمَوْصُوفِ إِلَىٰ يَدَيْهِ، وَمِثْلُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي أَشْعَارِهَا وَأَمْثَالِهَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَىٰ، فَخَاطَبَهُمُ اللهُ بِمَا يَتَعَارَفُونَهُ، وَيَتَحَاوَرُونَهُ بَيْنَهُمْ فِي كَلَامِهِمْ، فَقَالَ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ اللهَ يَبْخَلُ عَلَيْنَا وَيَمْنَعُنَا فَضْلَهُ فَلَا يُفْضِلُ، كَالْمَغْلُولَةِ يَدُهُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ أَنْ يَبْسُطَهَا بِعَطَاءٍ وَلَا بَذْلِ مَعْرُوفٍ.. تَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا قَالَ أَعْدَاءُ اللهِ.. فَقَالَ اللهُ مُكَذِّبُهُمْ وَمُخْبِرُهُمْ بِسَخَطِهِ عَلَيْهِمْ..

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أُمْسِكَتْ أَيْدِيهِمْ عَنِ الْخَيْرَاتِ، وَقُبِضَتْ عَنِ الِانْبِسَاطِ بِالْعَطِيَّاتِ..

﴿وَلُعِنُوا۟﴾ وَأُبْعِدُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَفَضْلِهِ..

﴿بِمَا﴾ بِالَّذِي..

﴿قَالُوا۟﴾ مِنَ الْكُفْرِ وَافْتَرَوْا عَلَىٰ اللهِ وَوَصَفُوهُ بِهِ مِنَ الْكَذِبِ، وَالْإِفْكِ..

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ بِالْبَذْلِ وَالإِعْطَاءِ وَأَرْزَاقِ عِبَادِهِ وَأَقْوَاتِ خَلْقِهِ، غَيْرُ مَغْلُولَتَيْنِ وَلَا مَقْبُوضَتَيْنِ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْجَدَلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِذَلِكَ نِعْمَتَاهُ، بِمَعْنَىٰ: يَدُ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَذَلِكَ نِعَمُهُ عَلَيْهِمْ؛ وَقَالَ: إِنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: لَكَ عِنْدِي يَدٌ، يَعْنُونَ بِذَلِكَ: نِعْمَةٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: عَنَىٰ بِذَلِكَ الْقُوَّةَ، وَقَالُوا: ذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ [ص: ٤٥].. وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: بَلْ يَدُهُ مُلْكُهُ؛ وَقَالَ: مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ﴾ مُلْكُهُ وَخَزَائِنُهُ؛ قَالُوا: وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْعَرَبِ لِلْمَمْلُوكِ: هُوَ

مِلْكُ يَمِينِهِ، وَفُلَانٌ بِيَدِهِ عُقْدَةُ نِكَاحِ فُلَانَةَ، أَيْ يَمْلِكُ ذَلِكَ، وَكَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢].. وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: بَلْ يَدُ اللهِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ هِيَ يَدٌ، غَيْرَ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِجَارِحَةٍ كَجَوَارِحِ بَنِي آدَمَ؛ قَالُوا: وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ عَنْ خُصُوصِيَّةِ آدَمَ بِمَا خَصَّهُ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ إِيَّاهُ بِيَدِهِ، قَالُوا: وَلَوْ كَانَ معنىٰ اليدِ في ذلكَ النِّعمةَ ما كان لِخُصُوصِه آدَمَ بِذَلِكَ وَجْهٌ مَفْهُومٌ؛ إِذْ كَانَ جَمِيعُ خَلْقِهِ مَخْلُوقِينَ بِقُدْرَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ فِي خَلْقِهِ تَعُمُّهُ، وَهُوَ لِجَمِيعِهِمْ مَالِكٌ، قَالُوا: وَإِذَا كَانَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ خَصَّ آدَمَ بِذِكْرِهِ خَلْقَهُ إِيَّاهُ بِيَدِهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ عِبَادِهِ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ إِنَّمَا خَصَّهُ بِذَلِكَ لِمَعْنَىٰ بِهِ فَارَقَ غَيْرَهُ مِنْ سَائِرِ الْخَلْقِ، قَالُوا: وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، بَطَلَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَىٰ الْيَدِ مِنَ اللهِ الْقُوَّةُ وَالنِّعْمَةُ أَوِ الْمُلْكُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، قَالُوا: وَأَحْرَىٰ أَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَمَا قَالَ الزَّاعِمُونَ إِنَّ يَدَ اللهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ هِيَ نِعْمَتُهُ، لَقِيلَ: بَلْ يَدُهُ مَبْسُوطَةٌ، وَلَمْ يَقُلْ: بَلْ يَدَاهُ، لِأَنَّ نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصَىٰ بِكَثْرَةٍ؛ وَبِذَلِكَ جَاءَ التَّنْزِيلُ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]، قَالُوا: وَلَوْ كَانَتْ نِعْمَتَيْنِ كَانَتَا مُحْصَاتَيْنِ، قَالُوا: فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ النِّعْمَتَيْنِ بِمَعْنَىٰ النِّعَمِ الْكَثِيرَةِ، فَذَلِكَ مِنْهُ خَطَأٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ تُخْرِجُ الْجَمِيعَ بِلَفْظِ الْوَاحِدِ لِأَدَاءِ الْوَاحِدِ عَنْ جَمِيعِ جِنْسِهِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ②﴾ [العصر: ١-٢]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [البلد: ٤] وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [الفرقان: ٥٥] قَالَ: فَلَمْ يُرِدْ بِالْإِنْسَانِ وَالْكَافِرِ فِي هَذِهِ الْأَمَاكِنِ إِنْسَانٌ بِعَيْنِهِ، وَلَا كَافِرٌ مُشَارٌ إِلَيْهِ حَاضِرٌ، بَلْ عُنِيَ بِهِ جَمِيعُ الْإِنْسِ وَجَمِيعُ الْكُفَّارِ، وَلَكِنَّ الْوَاحِدَ أَدَّىٰ عَنْ جِنْسِهِ، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: مَا أَكْثَرَ الدِّرْهَمَ فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ﴾ [الفرقان: ٥٥] مَعْنَاهُ: وَكَانَ الَّذِينَ كَفَرُوا، قَالُوا: فَأَمَّا إِذَا ثُنِّيَ الِاسْمُ، فَلَا يُؤَدِّي عَنِ الْجِنْسِ، وَلَا يُؤَدِّي إِلَّا عَنِ اثْنَيْنِ بِأَعْيَانِهِمَا دُونَ الْجَمِيعِ وَدُونَ غَيْرِهِمَا، قَالُوا: وَخَطَأٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَنْ يُقَالَ: مَا أَكْثَرَ الدِّرْهَمَيْنِ فِي أَيْدِي النَّاسِ، بِمَعْنَىٰ: مَا أَكْثَرَ الدَّرَاهِمَ فِي أَيْدِيهِمْ، قَالُوا: وَذَلِكَ أَنَّ الدِّرْهَمَ إِذَا ثُنِّيَ لَا يُؤَدِّي فِي كَلَامِهَا إِلَّا عَنِ اثْنَيْنِ بِأَعْيَانِهِمَا، قَالُوا: وَغَيْرُ مُحَالٍ: مَا أَكْثَرَ الدِّرْهَمَ فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَمَا أَكْثَرَ الدَّرَاهِمَ فِي أَيْدِيهِمْ، لِأَنَّ الْوَاحِدَ يُؤَدِّي عَنِ الْجَمِيعِ، قَالُوا: فَفِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ مَعَ إِعْلَامِهِ عِبَادَهُ أَنَّ نِعَمَهُ لَا تُحْصَىٰ، وَمَعَ مَا وَصَفْنَا مِنْ أَنَّهُ غَيْرُ مَعْقُولٍ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَنَّ اثْنَيْنِ يُؤَدِّيَانِ عَنِ الْجَمِيعِ، مَا يُنْبِئُ عَنْ خَطَأِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: مَعْنَىٰ الْيَدِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: النِّعْمَةُ، وَصِحَّةُ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ يَدَ اللهِ هِيَ لَهُ صِفَةٌ، قَالُوا: وَبِذَلِكَ تَظَاهَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بِهِ الْعُلَمَاءُ وَأَهْلُ التَّأْوِيلِ..

﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ﴾ يَرْزُقُ كَيْفَ يَشَاءُ، يُعْطِي هَذَا وَيَمْنَعُ هَذَا فَيُقَتِّرُ عَلَيْهِ..

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أَطْلَعْنَاكَ عَلَيْهِ مِنْ خَفِيِّ أُمُورِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا عُلَمَاؤُهُمْ وَأَحْبَارُهُمْ، احْتِجَاجًا عَلَيْهِمْ لِصِحَّةِ نُبُوَّتِكَ، وَقَطْعًا لِعُذْرِ قَائِلٍ مِنْهُمْ أَنْ يَقُولَ: مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ، وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ غُلُوًّا فِي إِنْكَارِ مَا قَدْ عَلِمُوا صِحَّتَهُ، مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالتَّمَادِي فِي ذَلِكَ..

﴿وَكُفْرًاۚ﴾ وَيَزِيدُهُمْ مَعَ غُلُوِّهِمْ فِي إِنْكَارِ ذَلِكَ جُحُودَهُمْ عَظَمَةَ اللهِ، وَوَصْفَهُمْ إِيَّاهُ بِغَيْرِ صِفَتِهِ، بِأَنْ يَنْسُبُوهُ إِلَىٰ الْبُخْلِ، وَيَقُولُوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ﴾.. وَإِنَّمَا أَعْلَمَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّهُمْ أَهْلُ عُتُوٍّ وَتَمَرُّدٍ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَا يُذْعِنُونَ لَحَقٍّ وَإِنْ عَلِمُوا صِحَّتَهُ، وَلَكِنَّهُمْ يُعَانِدُونَهُ؛ يُسَلِّي بِذَلِكَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَنِ الْمَوْجِدَةِ بِهِمْ فِي ذَهَابِهِمْ عَنِ اللهِ وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ..

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ وَجُعِلَتِ الْهَاءُ وَالْمِيمُ فِي قَوْلِهِ ﴿بَيْنَهُمُ﴾ كِنَايَةً عَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، وَلَمْ يَجْرِ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ ذِكْرٌ؟ قِيلَ: قَدْ جَرَىٰ لَهُمْ ذِكْرٌ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [المائدة: ٥١]، جَرَىٰ الْخَبَرُ فِي بَعْضِ الْآيِ عَنِ الْفَرِيقَيْنِ، وَفِي بَعْضٍ عَنْ أَحَدِهِمَا، إِلَىٰ أَنِ انْتَهَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾، ثُمَّ قَصَدَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ الْخَبَرَ عَنِ الْفَرِيقَيْنِ..

﴿ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ﴾ جُمِعَ أَمْرُهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ فَاسْتَقَامَ وَاسْتَوَىٰ..

﴿أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ فَأَرَادُوا مُنَاهَضَةَ مَنْ نَاوَأَهُمْ..

﴿أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ شَتَّتَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَأَفْسَدَهُ، لِسُوءِ فِعَالِهِمْ وَخُبْثِ نِيَّاتِهِمْ..

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ وَيَعْمَلُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَيَكْفُرُونَ بِآيَاتِهِ، وَيُكَذِّبُونَ رُسُلَهُ، وَيُخَالِفُونَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَذَلِكَ سَعْيُهُمْ فِيهَا بِالْفَسَادِ..

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ٦٤﴾ [المائدة: ٦٤] وَاللهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ عَامِلًا بِمَعَاصِيهِ فِي أَرْضِهِ..

وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ جَرَاءَةِ الْيَهُودِ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَوَصْفِهِمْ إِيَّاهُ بِمَا لَيْسَ مِنْ صِفَتِهِ، تَوْبِيخًا لَهُمْ بِذَلِكَ، وَتَعْرِيفًا مِنْهُ نَبِيَّهُ ﷺ قَدِيمَ جَهْلِهِمْ وَاغْتِرَارَهُمْ بِهِ وَإِنْكَارَهُمْ جَمِيعَ جَمِيلِ أَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ وَكَثْرَةَ صَفْحِهِ عَنْهُمْ وَعَفْوِهِ عَنْ عَظِيمِ إِجْرَامِهِمْ، وَاحْتِجَاجًا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بِأَنَّهُ لَهُ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ وَرَسُولٌ مُرْسَلٌ، أَنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَنْبَاءُ الَّتِي أَنْبَأَهُمْ بِهَا كَانَتْ مِنْ خَفِيِّ عُلُومِهِمْ وَمَكْنُونِهَا، الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا أَحْبَارُهُمْ وَعُلَمَاؤُهُمْ، دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ، فَأَطْلَعَ اللهُ عَلَىٰ ذَلِكَ

نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، لِيُقَرِّرَ عِنْدَهُمْ صِدْقَهُ، وَيَقْطَعَ بِذَلِكَ حُجَّتَهُمْ.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾ [المائدة: ٦٥].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ وَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿آمَنُوا﴾ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَصَدَّقُوهُ وَاتَّبَعُوهُ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ..

﴿وَاتَّقَوْا﴾ مَا نَهَاهُمُ اللهُ عَنْهُ فَاجْتَنَبُوهُ..

﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ مَحَوْنَا عَنْهُمْ ذُنُوبَهُمْ، فَغَطَّيْنَا عَلَيْهَا وَلَمْ نَفْضَحْهُمْ بِهَا..

﴿وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾ [المائدة: ٦٥] وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ بَسَاتِينَ يَنْعَمُونَ فِيهَا فِي الْآخِرَةِ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة: ٦٦].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ عَمِلُوا بِمَا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ وَعَمِلُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ، مِنَ الْفُرْقَانِ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ يُقِيمُونَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، مَعَ اخْتِلَافِ هَذِهِ الْكُتُبِ وَنَسْخِ بَعْضِهَا بَعْضًا؟ قِيلَ: وَإِنْ كَانَتْ كَذَلِكَ فِي بَعْضِ أَحْكَامِهَا وَشَرَائِعِهَا، فَهِيَ مُتَّفِقَةٌ فِي الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِرُسُلِ اللهِ وَالتَّصْدِيقِ بِمَا جَاءَتْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ فَمَعْنَىٰ إِقَامَتِهِمُ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ تَصْدِيقُهُمْ بِمَا فِيهَا وَالْعَمَلُ بِمَا هِيَ مُتَّفِقَةٌ فِيهِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي الْخَبَرِ الَّذِي فَرَضَ الْعَمَلَ بِهِ..

﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ لَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ قَطْرَهَا، فَأَنْبَتَتْ لَهُمْ بِهِ الْأَرْضُ حَبَّهَا وَنَبَاتَهَا فَأَخْرَجَ ثِمَارَهَا..

﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ لَأَكَلُوا مِنْ بَرَكَةِ مَا تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ مِنَ الْأَرْضِ، وَذَلِكَ مَا تُخْرِجُهُ الْأَرْضِ مِنْ حَبِّهَا وَنَبَاتِهَا وَثِمَارِهَا، وَسَائِرِ مَا يُؤْكَلُ مِمَّا تُخْرِجُهُ الْأَرْضُ..

﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ﴾ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ..

﴿مُقْتَصِدَةٌ﴾ فِي الْقَوْلِ فِي عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ، قَائِلَةٌ فِيهِ الْحَقَّ، أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا

إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، لَا غَالِيَةً قَائِلَةً إِنَّهُ ابْنُ اللهِ، تَعَالَىٰ عَمَّا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ، وَلَا مُقَصِّرَةً قَائِلَةً هُوَ لِغَيْرِ رِشْدَةٍ..

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ۝٦٦﴾ [المائدة: ٦٦] سَيِّئٌ عَمَلُهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِاللهِ، فَتُكَذِّبُ النَّصَارَىٰ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَزْعُمُ أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ اللهِ، وَتُكَذِّبُ الْيَهُودُ بِعِيسَىٰ وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِمْ ذَامًّا لَهُمْ: ﴿سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ۝٦٦﴾ فِي ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٦٧﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بِإِبْلَاغِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ -الَّذِينَ قَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ قَصَصَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَذَكَرَ فِيهَا مَعَايِبَهُمْ، وَخُبْثَ أَدْيَانِهِمْ، وَاجْتِرَاءَهُمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَتَوَثُّبَهُمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، وَتَبْدِيلَهُمْ كِتَابَهُ وَتَحْرِيفَهُمْ إِيَّاهُ، وَرَدَاءَةَ مَطَاعِمِهِمْ وَمَآكِلِهِمْ- وَسَائِرِ الْمُشْرِكِينَ غَيْرِهِمْ..

﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ مِنْ مَعَايِبِهِمْ، وَالْإِزْرَاءِ عَلَيْهِمْ، وَالتَّقْصِيرِ بِهِمْ، وَالتَّهْجِينِ لَهُمْ، وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ، وَأَنْ لَا يُشْعِرَ نَفْسَهُ حَذَرًا مِنْهُمْ أَنْ يُصِيبَهُ فِي نَفْسِهِ بِمَكْرُوهٍ، مَا قَامَ فِيهِمْ بِأَمْرِ اللهِ، وَلَا جَزَعًا مِنْ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِ مَنْ مَعَهُ، وَأَنْ لَا يَتَّقِيَ أَحَدًا فِي ذَاتِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ كَافِيهِ كُلَّ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَدَافِعٌ عَنْهُ مَكْرُوهَ كُلِّ مَنْ يَبْغِي مَكْرُوهَهُ..

﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ فَأَعْلَمَهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُ إِنْ قَصَّرَ عَنْ إِبْلَاغِ شَيْءٍ مِمَّا أَنْزَلَ إِلَيْهِ إِلَيْهِمْ، فَهُوَ فِي تَرْكِهِ تَبْلِيغَ ذَلِكَ وَإِنْ قَلَّ مَا لَمْ يُبَلِّغْ مِنْهُ، فَهُوَ فِي عَظِيمِ مَا رَكِبَ بِذَلِكَ مِنَ الذَّنْبِ بِمَنْزِلَتِهِ لَوْ لَمْ يُبَلِّغْ مِنْ تَنْزِيلِهِ شَيْئًا..

﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يَمْنَعُكَ مِنْ أَنْ يَنَالُوكَ بِسُوءٍ.. وَأَصْلُهُ مِنْ عِصَامِ الْقِرْبَةِ، وَهُوَ مَا تُوكَأُ بِهِ مِنْ سَيْرٍ وَخَيْطٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٦٧﴾ [المائدة: ٦٧] إِنَّ اللهَ لَا يُوَفِّقُ لِلرُّشْدِ مَنْ حَادَ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ، وَجَارَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَجَحَدَ مَا جِئْتَهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَلَمْ يَنْتَهِ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْهِ وَأَوْجَبَهُ.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المائدة: ٦٨].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مُهَاجَرِهِ..

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ..

﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ مِمَّا تَدَّعُونَ أَنَّكُمْ عَلَيْهِ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ مُوسَىٰ ﷺ مَعْشَرَ الْيَهُودِ، وَلَا مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ عِيسَىٰ مَعْشَرَ النَّصَارَىٰ..

﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ الْفُرْقَانِ، فَتَعْمَلُوا بِذَلِكَ كُلِّهِ وَتُؤْمِنُوا بِمَا فِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَتَصْدِيقِهِ، وَتُقِرُّوا بِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَلَا تُكَذِّبُوا بِشَيْءٍ مِنْهُ وَلَا تُفَرِّقُوا بَيْنَ رُسُلِ اللهِ فَتُؤْمِنُوا بِبَعْضٍ وَتَكْفُرُوا بِبَعْضٍ، فَإِنَّ الْكُفْرَ بِوَاحِدٍ مِنْ ذَلِكَ كُفْرٌ بِجَمِيعِهِ، لِأَنَّ كُتُبَ اللهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَمَنْ كَذَّبَ بِبَعْضِهَا فَقَدْ كَذَّبَ بِجَمِيعِهَا..

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ وَأُقْسِمُ: لَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، الَّذِينَ قُصَّ قَصَصُهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿طُغْيَٰنًا﴾ تَجَاوُزًا وَغُلُوًّا فِي التَّكْذِيبِ لَكَ، عَلَىٰ مَا كَانُوا عَلَيْهِ لَكَ مِنْ ذَلِكَ، قَبْلَ نُزُولِ الْفُرْقَانِ..

﴿وَكُفْرًا﴾ وَجُحُودًا لِنُبُوَّتِكَ..

﴿فَلَا تَأْسَ﴾ فَلَا تَحْزَنْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المائدة: ٦٨] عَلَىٰ تَكْذِيبِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ -مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ- لَكَ، فَإِنَّ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَادَةٌ وَخُلُقٌ فِي أَنْبِيَائِهِمْ، فَكَيْفَ فِيكَ؟!

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المائدة: ٦٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إِنَّ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ..

﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ وَهُمُ الْيَهُودُ..

﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ وَقَدْ بَيَّنَّا أَمْرَهُمْ..

﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ فَصَدَّقَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَعَمِلَ مِنَ الْعَمَلِ صَالِحًا لِمَعَادِهِ..

﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ فِيمَا قَدِمُوا عَلَيْهِ مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ..

﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٩﴾ [المائدة: ٦٩] عَلَىٰ مَا خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَعَيْشِهَا، بَعْدَ مُعَايَنَتِهِمْ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِهِ.

﴿لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ٧٠﴾ [المائدة: ٧٠].

﴿لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أُقْسِمُ: لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ الْإِخْلَاصِ وَتَوْحِيدِنَا، وَالْعَمَلِ بِمَا أَمَرْنَاهُمْ بِهِ، وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَيْنَاهُمْ عَنْهُ..

﴿وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ﴾ بِذَلِكَ..

﴿رُسُلٗاۖ﴾ وَوَعَدْنَاهُمْ عَلَىٰ أَلْسُنِ رُسُلِنَا إِلَيْهِمْ -عَلَىٰ الْعَمَلِ بِطَاعَتِنَا- الْجَزِيلَ مِنَ الثَّوَابِ، وَأَوْعَدْنَاهُمْ -عَلَىٰ الْعَمَلِ بِمَعْصِيَتِنَا- الشَّدِيدَ مِنَ الْعِقَابِ..

﴿كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ﴾ لَنَا..

﴿بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ﴾ بِمَا لَا تَشْتَهِيهِ نُفُوسُهُمْ وَلَا يُوَافِقُ مَحَبَّتَهُمْ..

﴿فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ٧٠﴾ [المائدة: ٧٠] نَقْضًا لِمِيثَاقِنَا الَّذِي أَخَذْنَاهُ عَلَيْهِمْ، وَجَرَاءَةً عَلَيْنَا، وَعَلَىٰ خِلَافِ أَمْرِنَا.

﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾ [المائدة: ٧١].

﴿وَحَسِبُوٓاْ﴾ وَظَنَّ هَؤُلَاءِ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ، الَّذِينَ وَصَفَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ صِفَتَهُمْ أَنَّهُ أَخَذَ مِيثَاقَهُمْ وَأَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلًا..

﴿أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ وَأَنَّهُمْ كَانُوا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ كَذَّبُوا فَرِيقًا وَقَتَلُوا فَرِيقًا، أَنْ لَا يَكُونَ مِنَ اللهِ لَهُمُ ابْتِلَاءٌ وَاخْتِبَارٌ بِالشَّدَائِدِ مِنَ الْعُقُوبَاتِ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ..

﴿فَعَمُواْ﴾ عَنِ الْحَقِّ وَالْوَفَاءِ بِالْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذْتُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ إِخْلَاصِ عِبَادَتِي، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِي وَنَهْيِي، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِي بِحُسْبَانِهِمْ ذَلِكَ وَظَنِّهِمْ..

﴿وَصَمُّواْ﴾ عَنْهُ..

﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ ثُمَّ تُبْتُ عَلَيْهِمْ، وَهَدَيْتُهُمْ بِلُطْفٍ مِنِّي لَهُمْ، حَتَّىٰ أَنَابُوا وَرَجَعُوا عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ مَعَاصِيَّ وَخِلَافِ أَمْرِي، وَالْعَمَلِ بِمَا أَكْرَهُهُ مِنْهُمْ إِلَىٰ الْعَمَلِ بِمَا أُحِبُّهُ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ طَاعَتِي وَأَمْرِي وَنَهْيِي..

﴿ثُمَّ عَمُواْ﴾ أَيْضًا عَنِ الْحَقِّ، وَالْوَفَاءِ بِمِيثَاقِي الَّذِي أَخَذْتُهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِي، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِي وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيَّ..

﴿وَصَمُّواْ﴾ بَعْدَ تَوْبَتِي عَلَيْهِمْ، وَاسْتِنْقَاذِي إِيَّاهُمْ مِنَ الْهَلَكَةِ..

﴿كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كُنْتُ أَخَذْتُ مِيثَاقَهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِاتِّبَاعِ رُسُلِي، وَالْعَمَلِ بِمَا أَنْزَلْتُ إِلَيْهِمْ مِنْ كُتُبِي عَنِ الْحَقِّ..

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾ [المائدة: ٧١] بَصِيرٌ فَيَرَىٰ أَعْمَالَهُمْ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا، فَيُجَازِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِجَمِيعِهَا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة: ٧٢].

﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ بَعْضِ مَا فَتَنَ بِهِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ حَسِبُوا أَنْ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ.. يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَكَانَ مِمَّا ابْتَلَيْتُهُمْ وَاخْتَبَرْتُهُمْ بِهِ -فَنَقَضُوا فِيهِ مِيثَاقِي، وَغَيَّرُوا عَهْدِي الَّذِي كُنْتُ أَخَذْتُهُ عَلَيْهِمْ، بِأَنْ لَا يَعْبُدُوا سِوَايَ وَلَا يَتَّخِذُوا رَبًّا غَيْرِي، وَأَنْ يُوَحِّدُونِي، وَيَنْتَهُوا إِلَىٰ طَاعَتِي- عَبْدِي عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ، فَإِنِّي خَلَقْتُهُ وَأَجْرَيْتُ عَلَىٰ يَدِهِ نَحْوَ الَّذِي أَجْرَيْتُ علىٰ يد كثيرٍ من رُسلي، فقالوا كفرًا منهم: هو الله، وهذا قولُ اليَعْقُوبِيَّةِ مِنَ النَّصَارَىٰ، عَلَيْهِمْ غَضَبُ اللهِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَلَمَّا اخْتَبَرْتُهُمْ وَابْتَلَيْتُهُمْ بِمَا ابْتَلَيْتُهُمْ بِهِ أَشْرَكُوا بِي، وقَالُوا لِخَلْقٍ مِنْ خَلْقِي وَعَبْدٍ مِثْلِهِمْ مِنْ عَبِيدِي، وَبَشَرٍ نَحْوِهِمْ مَعْرُوفٌ نَسَبُهُ وَأَصْلُهُ، مَوْلُودٍ مِنَ الْبَشَرِ، يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِي، وَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَتِي وَطَاعَتِي، وَيُقِرُّ لَهُمْ بِأَنِّي رَبُّهُ وَرَبُّهُمْ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي شَيْئًا، هُوَ إِلَهُهُمْ؛ جَهْلًا مِنْهُمْ بِاللهِ وَكُفْرًا بِهِ، وَلَا يَنْبَغِي لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ وَالِدًا وَلَا مَوْلُودًا..

﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ اجْعَلُوا الْعِبَادَةَ وَالتَّذَلُّلَ لِلَّذِي لَهُ يَذِلُّ كُلُّ شَيْءٍ وَلَهُ يَخْضَعُ كُلُّ مَوْجُودٍ..

﴿رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ مَالِكِي وَمَالِكُكُمْ، وَسَيِّدِي وَسَيِّدُكُمْ، الَّذِي خَلَقَنِي وَإِيَّاكُمْ..

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ أَنْ يَسْكُنَهَا فِي الْآخِرَةِ..

﴿وَمَأْوَىٰهُ﴾ وَمَرْجِعُهُ وَمَكَانُهُ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ وَيَصِيرُ فِي مَعَادِهِ، مَنْ جَعَلَ لِلَّهِ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِ..

﴿ٱلنَّارُ﴾ نَارُ جَهَنَّمَ..

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ وَلَيْسَ لِمَنْ فَعَلَ غَيْرَ مَا أَبَاحَ اللهُ لَهُ، وَعَبَدَ غَيْرَ الَّذِي لَهُ عِبَادَةُ الْخَلْقِ..

﴿مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢] يَنْصُرُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ اللهِ، فَيُنْقِذُونَهُ مِنْهُ إِذَا أَوْرَدَهُ جَهَنَّمَ.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: ٧٣].

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ﴾ هَذَا أَيْضًا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ فَرِيقٍ آخَرَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي الْآيَاتِ قَبْلُ، أَنَّهُ لَمَّا ابْتَلَاهُمْ بَعْدَ حُسْبَانِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُبْتَلُونَ وَلَا يُفْتَنُونَ..

﴿قَالُوٓاْ﴾ كُفْرًا بِرَبِّهِمْ وَشِرْكًا..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ وَهَذَا قَوْلٌ كَانَ عَلَيْهِ جَمَاهِيرُ النَّصَارَىٰ قَبْلَ افْتِرَاقِ الْيَعْقُوبِيَّةِ وَالْمِلْكَانِيَّةِ وَالنَّسْطُورِيَّةِ، كَانُوا فِيمَا بَلَغَنَا يَقُولُونَ: الْإِلَهُ الْقَدِيمُ جَوْهَرٌ وَاحِدٌ يَعُمُّ ثَلَاثَةَ أَقَانِيمَ: أَبًا وَالِدًا غَيْرَ مَوْلُودٍ، وَابْنًا مَوْلُودًا غَيْرَ وَالِدٍ، وَزَوْجًا مُتَتَبَّعَةً بَيْنَهُمَا.. يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُكَذِّبًا لَهُمْ فِيمَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ مَا لَكُمْ مَعْبُودٌ أَيُّهَا النَّاسُ إِلَّا مَعْبُودٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ بِوَالِدٍ لِشَيْءٍ وَلَا مَوْلُودٍ، بَلْ هُوَ خَالِقُ كُلِّ وَالِدٍ وَمَوْلُودٍ..

﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ﴾ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ هَؤُلَاءِ الْأَسْرَائِيلِيُّونَ..

﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ فِي اللهِ مِنْ عَظِيمِ الْقَوْلِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: اللهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ الْمَقَالَةَ الْأُخْرَىٰ: هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ؛ لِأَنَّ الْفَرِيقَيْنِ كِلَاهُمَا كَفَرَةٌ مُشْرِكُونَ، فَلِذَلِكَ رَجَعَ فِي الْوَعِيدِ بِالْعَذَابِ إِلَىٰ الْعُمُومِ..

﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ مِنْهُمْ إِنَّ الْمَسِيحَ هُوَ اللهُ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَكُلُّ كَافِرٍ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ..

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝﴾ [المائدة: ٧٣] بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ.. وَلَمْ يَقُلْ: لَيَمَسَّنَّهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ قِيلَ كَذَلِكَ صَارَ الْوَعِيدُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ خَاصًّا لِقَائِلِ الْقَوْلِ الثَّانِي، وَهُمُ الْقَائِلُونَ: اللهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِيهِمُ الْقَائِلُونَ: الْمَسِيحُ هُوَ اللهُ، فَعَمَّ بِالْوَعِيدِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ كُلَّ كَافِرٍ، لِيَعْلَمَ الْمُخَاطَبُونَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ وَعِيدَ اللهِ قَدْ شَمِلَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَنْ كَانَ مِنَ الْكُفَّارِ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا وَصَفْتَ فَعَلَىٰ مَنْ عَادَتِ الْهَاءُ وَالْمِيمُ اللَّتَانِ فِي قَوْلِهِ: مِنْهُمْ؟ قِيلَ: عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ [المائدة: ٧٤].

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ أَفَلَا يَرْجِعُ هَذَانِ الْفَرِيقَانِ الْكَافِرَانِ، الْقَائِلُ أَحَدُهُمَا: إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ؛ وَالْآخَرُ الْقَائِلُ: إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، عَمَّا قَالَا مِنْ ذَلِكَ، وَيَتُوبَانِ بِمَا قَالَا وَقَطَعَا بِهِ مِنْ كُفْرِهِمَا..

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ وَيَسْأَلَانِ رَبَّهُمَا الْمَغْفِرَةَ مِمَّا قَالَا..

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِذُنُوبِ التَّائِبِينَ مِنْ خَلْقِهِ، الْمُنِيبِينَ إِلَىٰ طَاعَتِهِ بَعْدَ مَعْصِيَتِهِمْ..

﴿رَّحِيمٌ ۝﴾ [المائدة: ٧٤] بِهِمْ فِي قَبُولِهِ تَوْبَتَهُمْ وَمُرَاجَعَتِهِمْ إِلَىٰ مَا يُحِبُّ مِمَّا يَكْرَهُ، فَيَصْفَحُ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ عَمَّا سَلَفَ مِنْ إِجْرَامِهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ.

﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝﴾ [المائدة: ٧٥].

﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ احْتِجَاجًا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ فِرَقِ النَّصَارَىٰ فِي قَوْلِهِمْ فِي الْمَسِيحِ.. يَقُولُ مُكَذِّبًا لِلْيَعْقُوبِيَّةِ فِي قِيلِهِمْ: هُوَ اللهُ، وَالْآخَرِينَ فِي قِيلِهِمْ: هُوَ ابْنُ اللهِ: لَيْسَ الْقَوْلُ كَمَا قَالَ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةُ فِي الْمَسِيحِ، وَلَكِنَّهُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَلَدَتْهُ وِلَادَةَ الْأُمَّهَاتِ أَبْنَاءَهُنَّ، وَذَلِكَ مِنْ صِفَةِ الْبَشَرِ لَا مِنْ صِفَةِ خَالِقِ الْبَشَرِ..

﴿إِلَّا رَسُولٌ﴾ وَإِنَّمَا هُوَ لِلَّهِ رَسُولٌ..

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ كَسَائِرِ رُسُلِهِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ، فَمَضَوْا وَخَلَوْا، أَجْرَىٰ عَلَىٰ يَدِهِ مَا شَاءَ أَنْ يُجْرِيَهُ عَلَيْهَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ، حُجَّةً لَهُ عَلَىٰ صِدْقِهِ، وَعَلَىٰ أَنَّهُ لِلَّهِ رَسُولٌ إِلَىٰ مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا أَجْرَىٰ عَلَىٰ أَيْدِي مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ، حُجَّةً لَهُمْ عَلَىٰ

حَقِيقَةِ صِدْقِهِمْ فِي أَنَّهُمْ لِلَّهِ رُسُلٌ..

﴿وَأُمُّهُۥ﴾ وَأُمُّ الْمَسِيحِ..

﴿صِدِّيقَةٌۖ﴾ وَالصِّدِّيقَةُ: مِنَ الصِّدْقِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [النساء: ٦٩]، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّمَا قِيلَ لَهُ الصِّدِّيقُ لِصِدْقِهِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَ صِدِّيقًا لِتَصْدِيقِهِ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَسِيرِهِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مِنْ مَكَّةَ وَعَوْدِهِ إِلَيْهَا..

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنِ الْمَسِيحِ وَأُمِّهِ، أَنَّهُمَا كَانَا أَهْلَ حَاجَةٍ إِلَىٰ مَا يَغْذُوهُمَا، وَتَقُومُ بِهِ أَبْدَانُهُمَا مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ، كَسَائِرِ الْبَشَرِ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَغَيْرُ كَائِنٍ إِلَهًا؛ لِأَنَّ الْمُحْتَاجَ إِلَىٰ الْغِذَاءِ قِوَامُهُ بِغَيْرِهِ، وَفِي قِوَامِهِ بِغَيْرِهِ وَحَاجَتِهِ إِلَىٰ مَا يُقِيمُهُ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ عَجْزِهِ، وَالْعَاجِزُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَرْبُوبًا لَا رَبًّا..

﴿ٱنظُرۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ﴾ كَيْفَ نُبَيِّنُ لِهَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الْأَدِلَّةَ وَالْأَعْلَامَ وَالْحُجَجَ عَلَىٰ بُطُولِ مَا يَقُولُونَ فِي أَنْبِيَاءِ اللهِ، وَفِي فِرْيَتِهِمْ عَلَىٰ اللهِ، وَادِّعَائِهِمْ لَهُ وَلَدًا، وَشَهَادَتِهِمْ لِبَعْضِ خَلْقِهِ بِأَنَّهُ لَهُمْ رَبٌّ وَإِلَهٌ، ثُمَّ لَا يَرْتَدِعُونَ عَنْ كَذِبِهِمْ وَبَاطِلِ قِيلِهِمْ، وَلَا يَنْزَجِرُونَ عَنْ فِرْيَتِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَعَظِيمِ جَهْلِهِمْ، مَعَ وُرُودِ الْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ عُذْرَهُمْ عَلَيْهِمْ..

﴿ثُمَّ ٱنظُرۡ﴾ يا محمد مَعَ تَبْيِينِنَا لَهُمْ آيَاتِنَا عَلَىٰ بُطُولِ قَوْلِهِمْ..

﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾ [المائدة: ٧٥] أَيُّ وَجْهٍ يُصْرَفُونَ عَنْ بَيَانِنَا الَّذِي بَيَّنْتُهُ لَهُمْ، وَكَيْفَ عَنِ الْهُدَىٰ الَّذِي نَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ يَضِلُّونَ؟!

﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦﴾

[المائدة: ٧٦].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ مِنَ النَّصَارَىٰ، الزَّاعِمِينَ أَنَّ الْمَسِيحَ رَبُّهُمْ، وَالْقَائِلِينَ إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ..

﴿أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أَتَعْبُدُونَ سِوَىٰ اللهِ الَّذِي يَمْلِكُ ضُرَّكُمْ وَنَفْعَكُمْ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، وَهُوَ يُحْيِيكُمْ وَيُمِيتُكُمْ..

﴿مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ﴾ يُخْبِرُهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّ الْمَسِيحَ الَّذِي زَعَمَ مَنْ زَعَمَ مِنَ

النَّصَارَىٰ أَنَّهُ إِلَهٌ، وَالَّذِي زَعَمَ مَنْ زَعَمَ مِنْهُمْ أَنَّهُ لِلَّهِ ابْنٌ، لَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا يَدْفَعُهُ عَنْهُمْ إِنْ أَحَلَّهُ اللهُ بِهِمْ، وَلَا نَفْعًا يَجْلِبُهُ إِلَيْهِمْ إِنْ لَمْ يَقْضِهِ اللهُ لَهُمْ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَكَيْفَ يَكُونُ رَبًّا وَإِلَهًا مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ؟! بَلِ الرَّبُّ الْمَعْبُودُ الَّذِي بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ وَالْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِيَّاهُ فَاعْبُدُوا، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْعَجَزَةِ الَّذِينَ لَا يَنْفَعُونَكُمْ وَلَا يَضُرُّونَ.. وَهَذَا أَيْضًا احْتِجَاجٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلَىٰ النَّصَارَىٰ الْقَائِلِينَ فِي الْمَسِيحِ مَا وَصَفَ مِنْ قِيلِهِمْ فِيهِ قَبْلُ..

﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِاسْتِغْفَارِهِمْ، لَوِ اسْتَغْفَرُوهُ مِنْ قِيلِهِمْ مَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَهُ فِي الْمَسِيحِ، وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَنْطِقِهِمْ وَمَنْطِقِ خَلْقِهِ..

﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٧٦﴾ [المائدة: ٧٦] بِتَوْبَتِهِمْ لَوْ تَابُوا مِنْهُ، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧﴾ [المائدة: ٧٧].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْغَالِيَةِ مِنَ النَّصَارَىٰ فِي الْمَسِيحِ..

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الْإِنْجِيلَ..

﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ لَا تَفْرُطُوا فِي الْقَوْلِ فِيمَا تَدِينُونَ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْمَسِيحِ، فَتُجَاوِزُوا فِيهِ الْحَقَّ إِلَىٰ الْبَاطِلِ، فَتَقُولُوا فِيهِ: هُوَ اللهُ، أَوْ هُوَ ابْنُهُ..

﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ وَلَكِنْ قُولُوا: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ..

﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟﴾ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ..

﴿أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أَهْوَاءَ الْيَهُودِ الَّذِينَ قَدْ ضَلُّوا قَبْلَكُمْ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَىٰ فِي الْقَوْلِ فِيهِ، فَتَقُولُونَ فِيهِ كَمَا قَالُوا: هُوَ لِغَيْرِ رَشْدَةٍ، وَتَبْهَتُوا أُمَّهُ كَمَا يَبْهَتُونَهَا بِالْفِرْيَةِ، وَهِيَ صِدِّيقَةٌ..

﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ وَأَضَلَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، فَحَادُوا بِهِمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَحَمَلُوهُمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِاللهِ، وَالتَّكْذِيبِ بِالْمَسِيحِ..

﴿وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧﴾ [المائدة: ٧٧] وَضَلَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ عَنْ قَصْدِ الطَّرِيقِ، وَرَكِبُوا غَيْرَ مَحَجَّةِ الْحَقِّ، وَإِنَّمَا يَعْنِي تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ كُفْرَهُمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبَهُمْ رُسُلَهُ عِيسَىٰ وَمُحَمَّدًا ﷺ، وَذَهَابَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ وَبُعْدَهُمْ مِنْهُ، وَذَلِكَ كَانَ ضَلَالَهُمُ الَّذِي وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾ [المائدة: ٧٨].

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ لِهَؤُلَاءِ النَّصَارَىٰ الَّذِينَ وَصَفَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ صِفَتَهُمْ: لَا تَغْلُوا فَتَقُولُوا فِي الْمَسِيحِ غَيْرَ الْحَقِّ، وَلَا تَقُولُوا فِيهِ مَا قَالَتِ الْيَهُودُ الَّذِينَ قَدْ لَعَنَهُمُ اللهُ عَلَىٰ لِسَانِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، دَاوُدَ وَعِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ، وَكَانَ لَعْنُ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِمْ..

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾ اللهَ فَخَالَفُوا أَمْرَهُ..

﴿وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾ [المائدة: ٧٨] وَكَانُوا يَتَجَاوَزُونَ حُدُودَهُ.

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [المائدة: ٧٩].

﴿كَانُواْ﴾ كَانَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ..

﴿لَا يَتَنَاهَوۡنَ﴾ لَا يَنْتَهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ، وَلَا يَنْهَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا..

﴿عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾ الْمَعَاصِي الَّتِي كَانُوا يَعْصَوْنَ اللهَ بِهَا، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: كَانُوا لَا يَنْتَهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ أَتَوْهُ..

﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [المائدة: ٧٩] وَهَذَا قَسَمٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، يَقُولُ: أُقْسِمُ: لَبِئْسَ الْفِعْلُ كَانُوا يَفْعَلُونَ، فِي تَرْكِهِمُ الِانْتِهَاءَ عَنْ مَعَاصِي اللهِ تَعَالَىٰ، وَرُكُوبِ مَحَارِمِهِ، وَقَتْلِ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ.

﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠﴾ [المائدة: ٨٠].

﴿تَرَىٰ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ يَتَوَلَّوْنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، وَيُعَادُونَ أَوْلِيَاءَ اللهِ، وَرُسُلَهُ..

﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أُقْسِمُ: لَبِئْسَ الشَّيْءُ الَّذِي قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَمَامَهُمْ إِلَىٰ مَعَادِهِمْ فِي الْآخِرَةِ..

﴿أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، تَرْجَمَةٌ عَنْ (مَا) الَّذِي فِي قَوْلِهِ: ﴿لَبِئْسَ مَا﴾..

﴿وَفِي الْعَذَابِ﴾ وَفِي عَذَابِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿هُمْ خَالِدُونَ ۝٨٠﴾ [المائدة: ٨٠] دَائِمٌ مَقَامُهُمْ وَمُكْثُهُمْ فِيهِ.

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝٨١﴾ [المائدة: ٨١].

﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ وَلَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يُصَدِّقُونَ..

﴿بِاللَّهِ﴾ وَيُقِرُّونَ بِهِ وَيُوَحِّدُونَهُ..

﴿وَالنَّبِيِّ﴾ وَيُصَدِّقُونَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، بِأَنَّهُ لِلَّهِ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ وَرَسُولٌ مُرْسَلٌ..

﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ يُقِرُّونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنْ آيِ الْفُرْقَانِ..

﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَصْحَابًا وَأَنْصَارًا مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝٨١﴾ [المائدة: ٨١] وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ أَهْلُ خُرُوجٍ عَنْ طَاعَةِ اللهِ إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ وَأَهْلُ اسْتِحْلَالٍ لِمَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ.

﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢﴾ [المائدة: ٨٢].

﴿۞ لَتَجِدَنَّ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَصَدَّقُوكَ وَاتَّبَعُوكَ وَصَدَّقُوا بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ..

﴿الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْأَوْثَانَ آلِهَةً يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ..

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم﴾ ولَتجِدَنَّ أَقْرَبَ النَّاسِ..

﴿مَّوَدَّةً﴾ ومَحَبَّةً..

﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وَصَدَقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ..

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ﴾ قُرْبَتْ مَوَدَّةُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ اللهُ صِفَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَجْلِ أَنَّ مِنْهُمْ..

﴿قِسِّيسِينَ﴾ أَهْلَ اجْتِهَادٍ فِي الْعِبَادَةِ، وَتَرْهِيبٍ فِي الدِّيَارَاتِ وَالصَّوَامِعِ..

﴿وَرُهْبَانًا﴾ وَأَنَّ مِنْهُمْ عُلَمَاءَ بِكُتُبِهِمْ، وَأَهْلَ تِلَاوَةٍ لَهَا..

﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢﴾ [المائدة: ٨٢] عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَالْإِذْعَانِ بِهِ، فَهُمْ لَا يَبْعُدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِتَوَاضُعِهِمْ لِلْحَقِّ إِذَا عَرَفُوهُ، وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ قَبُولِهِ إِذَا تَبَيَّنُوهُ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ دِينٍ وَاجْتِهَادٍ فِيهِ، وَنَصِيحَةٍ لِأَنْفُسِهِمْ فِي ذَاتِ اللهِ، وَلَيْسُوا كَالْيَهُودِ الَّذِينَ قَدْ دَرِبُوا بِقَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَمُعَانَدَةِ اللهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَتَحْرِيفِ تَنْزِيلِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ فِي كُتُبِهِ.. وَقِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ وَالَّتِي بَعْدَهَا نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ نَصَارَىٰ الْحَبَشَةِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ أَسْلَمُوا وَاتَّبَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ.. وَقِيلَ: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ وَأَصْحَابٍ لَهُ أَسْلَمُوا مَعَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هَذِهِ صِفَةُ قَوْمٍ كَانُوا عَلَىٰ شَرِيعَةِ عِيسَىٰ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ آمَنُوا بِهِ.. وَالصَّوَابُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدِي أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَصَفَ صِفَةَ قَوْمٍ قَالُوا: إِنَّا نَصَارَىٰ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ يَجِدُهُمْ أَقْرَبَ النَّاسِ وِدَادًا لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَمْ يُسَمِّ لَنَا أَسْمَاءَهُمْ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أُرِيدَ بِذَلِكَ أَصْحَابُ النَّجَاشِيِّ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أُرِيدَ بِهِ قَوْمٌ كَانُوا عَلَىٰ شَرِيعَةِ عِيسَىٰ فَأَدْرَكَهُمُ الْإِسْلَامُ فَأَسْلَمُوا لَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ وَعَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ، وَلَمْ يَسْتَكْبِرُوا عَنْهُ.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨٣﴾ [المائدة: ٨٣].

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟﴾ وَإِذَا سَمِعَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ صِفَتَهُمْ أَنَّكَ تَجِدُهُمْ أَقْرَبَ النَّاسِ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا..

﴿مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ يُتْلَىٰ..

﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ وَفَيْضُ الْعَيْنِ مِنَ الدَّمْعِ: امْتِلَاؤُهَا مِنْهُ ثُمَّ سَيَلَانُهُ مِنْهَا

كَفَيْضِ النَّهَرِ مِنَ الْمَاءِ، وَفَيْضِ الْإِنَاءِ، وَذَلِكَ سَيَلَانُهُ عَنْ شِدَّةِ امْتِلَائِهِ..

﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ فَيْضُ دُمُوعِهِمْ لِمَعْرِفَتِهِمْ بِأَنَّ الَّذِي يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ حَقٌّ..

﴿يَقُولُونَ﴾ قَائِلِينَ يَا..

﴿رَبَّنَا آمَنَّا﴾ صَدَّقْنَا لَمَّا سَمِعْنَا مَا أَنْزَلْتَهُ إِلَىٰ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ كِتَابِكَ، وَأَقْرَرْنَا بِهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِكَ، وَأَنَّهُ الْحَقُّ لَا شَكَّ فِيهِ..

﴿فَاكْتُبْنَا﴾ فَاجْعَلْنَا..

﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝٨٣﴾ [المائدة: ٨٣] وَأَثْبِتْنَا مَعَهُمْ فِي عِدَادِ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ لِأَنْبِيَائِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا أُمَمَهُمْ رِسَالَاتِكَ.. وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ مَا أَنْزَلْتَهُ إِلَىٰ رَسُولِكَ مِنَ الْكُتُبِ حَقٌّ، كَانَ صَوَابًا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ خَاتِمَةُ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝٨٣﴾، وَذَلِكَ صِفَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَهُمْ بِإِيمَانِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَتَكُونُ مَسْأَلَتُهُمْ أَيْضًا اللهَ أَنْ يَجْعَلَهُمْ مِمَّنْ صَحَّتْ عِنْدَهُ شَهَادَتُهُمْ بِذَلِكَ، وَيُلْحِقَهُمْ فِي الثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ مَنَازِلَهُمْ.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ۝٨٤﴾
[المائدة: ٨٤].

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، أَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَىٰ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ كِتَابِهِ، آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوا كِتَابَ اللهِ، وَقَالُوا: مَا لَنَا لَا نُقِرُّ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ..

﴿وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ وَمَا جَاءَنَا مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنْ كِتَابِهِ وَآيِ تَنْزِيلِهِ..

﴿وَنَطْمَعُ﴾ نَحْنُ بِإِيمَانِنَا بِذَلِكَ..

﴿أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ۝٨٤﴾ [المائدة: ٨٤] الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ الْمُطِيعِينَ لَهُ، الَّذِينَ اسْتَحَقُّوا مِنَ اللهِ الْجَنَّةَ بِطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ، فَنَحْنُ نَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ أَهْلِ طَاعَتِهِ، مَدَاخِلَهُمْ مِنْ جَنَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُلْحِقُ مَنَازِلَنَا بِمَنَازِلِهِمْ، وَدَرَجَاتِنَا بِدَرَجَاتِهِمْ فِي جَنَّاتِهِ.

﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٥﴾ [المائدة: ٨٥].

﴿فَأَثَٰبَهُمُ﴾ فَجَزَاهُمُ..

﴿ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ﴾ بِقَوْلِهِمْ: رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ، وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ، وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ..

﴿جَنَّٰتٖ﴾ بَسَاتِينَ..

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ دَائِمًا فِيهَا مُكْثُهُمْ، لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا يُحَوَّلُونَ عَنْهَا..

﴿وَذَٰلِكَ﴾ وَهَذَا الَّذِي جَزَيْتُ هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ بِمَا وَصَفْتُ عَنْهُمْ مِنْ قِيلِهِمْ عَلَىٰ مَا قَالُوا مِنَ الْجَنَّاتِ الَّتِي هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ..

﴿جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٥﴾ [المائدة: ٨٥] جَزَاءُ كُلِّ مُحْسِنٍ فِي قِيلِهِ وَفِعْلِهِ.. وَإِحْسَانُ الْمُحْسِنِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُوَحِّدَ اللهَ تَوْحِيدًا خَالِصًا مَحْضًا لَا شِرْكَ فِيهِ، وَيُقِرُّ بِأَنْبِيَاءِ اللهِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْكُتُبِ، وَيُؤَدِّي فَرَائِضَهُ، وَيَجْتَنِبُ مَعَاصِيهِ، فَذَلِكَ كَمَالُ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٨٦﴾ [المائدة: ٨٦].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ، وَأَنْكَرُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِ كِتَابِهِ فَإِنَّ..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٨٦﴾ [المائدة: ٨٦] هُمْ سُكَّانُهَا وَاللَّابِثُونَ فِيهَا.. وَالْجَحِيمُ: مَا اشْتَدَّ مِنَ النَّارِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٨٧﴾ [المائدة: ٨٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَقَرُّوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ ﷺ أَنَّهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ يَعْنِي بِالطَّيِّبَاتِ: اللَّذِيذَاتِ الَّتِي تَشْتَهِيهَا النُّفُوسُ وَتَمِيلُ إِلَيْهَا الْقُلُوبُ، فَتَمْنَعُوهَا إِيَّاهَا، كَالَّذِي فَعَلَهُ الْقِسِّيسُونَ وَالرُّهْبَانُ، فَحَرَّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمُ النِّسَاءَ وَالْمَطَاعِمَ الطَّيِّبَةَ وَالْمَشَارِبَ اللَّذِيذَةَ، وَحَبَسَ فِي الصَّوَامِعِ بَعْضُهُمْ أَنْفُسَهُمْ، وَسَاحَ فِي الْأَرْضِ بَعْضُهُمْ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَلَا تَفْعَلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ كَمَا فَعَلَ أُولَئِكَ..

﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ حَدَّ اللهِ الَّذِي حَدَّ لَكُمْ فِيمَا أَحَلَّ لَكُمْ وَفِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، فَتُجَاوِزُوا حَدَّهُ الَّذِي حَدَّهُ، فَتُخَالِفُوا بِذَلِكَ طَاعَتَهُ فَـ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٨٧﴾ [المائدة: ٨٧] إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنِ اعْتَدَىٰ حَدَّهُ الَّذِي حَدَّهُ لِخَلْقِهِ فِيمَا أَحَلَّ لَهُمْ وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ.

﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۝٨٨﴾

[المائدة: ٨٨].

﴿وَكُلُواْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ نَهَاهُمْ أَنْ يُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ: كُلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ﴾ مِنْ رِزْقِ اللهِ الَّذِي رَزَقَكُمْ وَأَحَلَّهُ لَكُمْ حَلَالًا طَيِّبًا..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وَخَافُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ تَعْتَدُوا فِي حُدُودِهِ، فَتُحِلُّوا مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، وَتُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ لَكُمْ، وَاحْذَرُوهُ فِي ذَلِكَ أَنْ تُخَالِفُوهُ فَيَنْزِلُ بِكُمْ سَخَطُهُ، أَوْ تَسْتَوْجِبُوا بِهِ عُقُوبَتَهُ..

﴿ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۝٨٨﴾ [المائدة: ٨٨] الَّذِي أَنْتُمْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ مُقِرُّونَ، وَبِرُبُوبِيَّتِهِ مُصَدِّقُونَ.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٨٩﴾ [المائدة: ٨٩].

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ كَانُوا حَرَّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمُ الطَّيِّبَاتِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانُوا حَرَّمُوا ذَلِكَ بِأَيْمَانٍ حَلَفُوا بِهَا، فَنَهَاهُمْ عَنْ تَحْرِيمِهَا، وَقَالَ لَهُمْ: لَا يُؤَاخِذُكُمْ رَبُّكُمْ..

﴿بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ بِلَغْوٍ مِنَ الْقَوْلِ وَالْأَيْمَانِ، إِذَا لَمْ تَتَعَمَّدُوا بِهَا مَعْصِيَةَ اللهِ تَعَالَىٰ وَلَا خِلَافَ أَمْرِهِ، وَلَمْ تَقْصِدُوا بِهَا إِثْمًا..

﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ﴾ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا تَعَمَّدْتُمْ بِهِ الْإِثْمَ وَأَوْجَبْتُمُوهُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ وَعَزَمَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ..

﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾ فَكَفَّارَةُ مَا عَقَّدْتُمْ مِنْهَا، فَيُغَطِّي عَلَىٰ سَيِّئِ مَا كَانَ مِنْكُمْ مِنْ كَذِبٍ وَزُورِ قَوْلٍ، وَيَمْحُوهُ عَنْكُمْ فَلَا يَتْبَعُكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ..

﴿إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ﴾ مِنْ أَعْدَلِ إِطْعَامِكُمْ أَهْلِيكُمْ، فِي الْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ..

﴿أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ﴾ فَكَفَّارَةُ مَا عَقَّدْتُمْ مِنَ الْأَيْمَانِ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ، أَوْ كِسْوَتُهُمْ، يَقُولُ: إِمَّا أَنْ تُطْعِمُوهُمْ أَوْ تَكْسُوهُمْ، وَالْخِيَارُ فِي ذَلِكَ إِلَىٰ الْمُكَفِّرِ.. وَمَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ كِسْوَةٍ مِمَّا يَكُونُ ثَوْبًا فَصَاعِدًا؛ لِأَنَّ مَا دُونَ الثَّوْبِ لَا خِلَافَ بَيْنَ جَمِيعِ الْحُجَّةِ أَنَّهُ لَيْسَ مِمَّا دَخَلَ فِي حُكْمِ الْآيَةِ، فَكَانَ مَا دُونَ قَدْرِ ذَلِكَ خَارِجًا مِنْ أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنَاهُ بِالنَّقْلِ الْمُسْتَفِيضِ، وَالثَّوْبُ وَمَا فَوْقَهُ دَاخِلٌ فِي حُكْمِ الْآيَةِ، إِذْ لَمْ يَأْتِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَحْيٌ، وَلَا مِنْ رَسُولِهِ ﷺ خَبَرٌ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأُمَّةِ إِجْمَاعٌ بِأَنَّهُ غَيْرُ دَاخِلٍ فِي حُكْمِهَا، وَغَيْرُ جَائِزٍ إِخْرَاجُ مَا كَانَ ظَاهِرُ الْآيَةِ مُحْتَمِلَهُ مِنْ حُكْمِ الْآيَةِ إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا، وَلَا حُجَّةَ بِذَلِكَ..

﴿أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ أَوْ فَكُّ عَبْدٍ مِنْ أَسْرِ الْعُبُودَةِ وَذُلِّهَا.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَفَكُلُّ الرِّقَابِ مَعْنِيٌّ بِذَلِكَ أَوْ بَعْضُهَا؟ قِيلَ: بَلْ مَعْنِيٌّ بِذَلِكَ كُلُّ رَقَبَةٍ كَانَتْ سَلِيمَةً مِنَ الْإِقْعَادِ وَالْعَمَىٰ وَالْخَرَسِ وَقَطْعِ الْيَدَيْنِ أَوْ شَلَلِهِمَا وَالْجُنُونِ الْمُطْبِقِ وَنَظَائِرِ ذَلِكَ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ بِهِ ذَلِكَ أَوْ شَيْءٌ مِنْهُ مِنَ الرِّقَابِ، فَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْجَمِيعِ مِنَ الْحُجَّةِ أَنَّهُ لَا يَجْزِي فِي كَفَّارَةِ الْيَمِينِ، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَمْ يَعْنِهِ بِالتَّحْرِيرِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَأَمَّا الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَالْمُسْلِمُ وَالْكَافِرُ، فَإِنَّهُمْ مَعْنِيُّونَ بِهِ.. وَالْمُكَفِّرُ مُخَيَّرٌ فِي تَكْفِيرِ يَمِينِهِ الَّتِي حَنِثَ فِيهَا بِإِحْدَىٰ هَذِهِ الْحَالَاتِ الثَّلَاثِ الَّتِي سَمَّاهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَذَلِكَ: إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا يُطْعِمُ أَهْلَهُ، أَوْ كِسْوَتُهُمْ، أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ، بِإِجْمَاعٍ مِنَ الْجَمِيعِ لَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ..

﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾ لِكَفَّارَةِ يَمِينِهِ الَّتِي لَزِمَهُ تَكْفِيرُهَا مِنَ الطَّعَامِ وَالْكِسْوَةِ وَالرِّقَابِ مَا يُكَفِّرُهَا بِهِ

عَلَىٰ مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِ وَأَوْجَبْنَاهُ فِي كِتَابِنَا وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.. فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فِي حَالِ حِنْثِهِ فِي يَمِينِهِ إِلَّا قَدْرُ قُوتِهِ وَقُوتِ عِيَالِهِ يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ لَا فَضْلَ لَهُ عَنْ ذَلِكَ، وَهُوَ مِمَّنْ دَخَلَ فِي جُمْلَةِ مَنْ لَا يَجِدُ مَا يُطْعِمُ أَوْ يَكْسُو أَوْ يُعْتِقُ..

﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ فَعَلَيْهِ صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.. وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنَ الْفَضْلِ عَنْ قُوتِهِ وَقُوتِ عِيَالِهِ يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ مَا يُطْعِمُ أَوْ يَكْسُو عَشَرَةَ مَسَاكِينَ أَوْ يُعْتِقُ رَقَبَةً، فَلَا يُجْزِيهِ حِينَئِذٍ الصَّوْمُ، لِأَنَّ إِحْدَىٰ الْحَالَاتِ الثَّلَاثِ حِينَئِذٍ مِنْ إِطْعَامٍ أَوْ كِسْوَةٍ أَوْ عِتْقٍ، حَقٌّ قَدْ أَوْجَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي مَالِهِ وجُوبَ الدَّيْنِ.. وَقَدْ قَامَتِ الْحُجَّةُ بِأَنَّ الْمُفْلِسَ إِذَا فَرَّقَ مَالَهُ بَيْنَ غُرَمَائِهِ أَنَّهُ لَا يَتْرُكُ ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلَّا مَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ قُوتِهِ وَقُوتِ عِيَالِهِ يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ، فَكَذَلِكَ حُكْمُ الْمُعْدِمِ بِالدَّيْنِ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي مَالِهِ بِسَبَبِ الْكَفَّارَةِ الَّتِي لَزِمَتْ مَالَهُ.. فَأَوْجَبَ الله تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَنْ لَزِمَتْهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ إِذَا لَمْ يَجِدْ إِلَىٰ تَكْفِيرِهَا بِالْإِطْعَامِ أَوِ الْكِسْوَةِ أَوِ الْعِتْقِ سَبِيلًا، أَنْ يُكَفِّرَهَا بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَلَمْ يَشْرِطْ فِي ذَلِكَ مُتَتَابِعَةً، فَكَيْفَمَا صَامَهُنَّ الْمُكَفِّرُ مُفَرَّقَةً وَمُتَتَابِعَةً أَجْزَأَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِنَّمَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ صِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَكَيْفَمَا أَتَىٰ بِصَوْمِهِنَّ أَجْزَأَ.. فَأَمَّا مَا رُوِيَ عَنْ أُبَيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ مِنْ قِرَاءَتِهِمَا (**فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ**) فَذَلِكَ خِلَافُ مَا فِي مَصَاحِفِنَا، وَغَيْرُ جَائِزٍ لَنَا أَنْ نَشْهَدَ بِشَيْءٍ لَيْسَ فِي مَصَاحِفِنَا مِنَ الْكَلَامِ أَنَّهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ.. غَيْرَ أَنِّي أَخْتَارُ لِلصَّائِمِ فِي كَفَّارَةِ الْيَمِينِ أَنْ يُتَابِعَ بَيْنَ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ وَلَا يُفَرِّقُ، لِأَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْجَمِيعِ أَنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَجْزَأَ ذَلِكَ عَنْهُ مِنْ كَفَّارَتِهِ، وَهُمْ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مُخْتَلِفُونَ، فَفِعْلُ مَا لَا يُخْتَلَفُ فِي جَوَازِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ وَإِنْ كَانَ الْآخَرُ جَائِزًا..

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ لَكُمْ أَنَّهُ..

﴿كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ مِنْ إِطْعَامِ الْعَشَرَةِ الْمَسَاكِينِ أَوْ كِسْوَتِهِمْ أَوْ تَحْرِيرِ الرَّقَبَةِ، وَصِيَامِ الثَّلَاثَةِ الْأَيَّامِ إِذَا لَمْ تَجِدُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، هُوَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمُ الَّتِي عَقَّدْتُمُوهَا..

﴿إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا۟﴾ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا..

﴿أَيْمَٰنَكُمْ﴾ أَنْ تَحْنَثُوا فِيهَا ثُمَّ تُضَيِّعُوا الْكَفَّارَةَ فِيهَا بِمَا وَصَفْتُهُ لَكُمْ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا بَيَّنَ لَكُمْ كَفَّارَةَ أَيْمَانِكُمْ، كَذَلِكَ..

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ جَمِيعَ آيَاتِهِ، يَعْنِي: أَعْلَامَ دِينِهِ، فَيُوَضِّحُهَا لَكُمْ، لِئَلَّا يَقُولَ الْمُضَيِّعُ الْمُفَرِّطُ فِيمَا أَلْزَمَهُ اللهُ: لَمْ أَعْلَمْ حُكْمَ اللهِ فِي ذَلِكَ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المائدة: ٨٩] لِتَشْكُرُوا اللهَ عَلَىٰ هِدَايَتِهِ إِيَّاكُمْ وَتَوْفِيقِهِ لَكُمْ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة: ٩٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ﴾ إِنَّ الْخَمْرَ الَّتِي تَشْرَبُونَهَا..

﴿وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾ الَّذِي تَتَيَاسَرُونَهُ..

﴿وَٱلۡأَنصَابُ﴾ الَّتِي تَذْبَحُونَ عِنْدَهَا..

﴿وَٱلۡأَزۡلَٰمُ﴾ الَّتِي تَسْتَقْسِمُونَ بِهَا..

﴿رِجۡسٞ﴾ إِثْمٌ وَنَتْنٌ، سَخِطَهُ اللهُ وَكَرِهَهُ لَكُمْ..

﴿مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ شُرْبُكُمُ الْخَمْرَ، وَقِمَارُكُمْ عَلَىٰ الْجُزُرِ، وَذَبْحُكُمْ لِلْأَنْصَابِ، وَاسْتِقْسَامُكُمْ بِالْأَزْلَامِ مِنْ تَزْيِينِ الشَّيْطَانِ لَكُمْ، وَدُعَائِهِ إِيَّاكُمْ إِلَيْهِ، وَتَحْسِينِهِ لَكُمْ، لَا مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي نَدَبَكُمْ إِلَيْهَا رَبُّكُمْ، وَلَا مِمَّا يَرْضَاهُ لَكُمْ، بَلْ هُوَ مِمَّا يَسْخَطُهُ لَكُمْ..

﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ فَاتْرُكُوهُ وَارْفُضُوهُ، وَلَا تَعْمَلُوهُ..

﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة: ٩٠] لِكَيْ تَنْجَحُوا فَتُدْرِكُوا الْفَلَاحَ عِنْدَ رَبِّكُمْ، بِتَرْكِكُمْ ذَلِكَ.. وَهَذَا بَيَانٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلَّذِينَ حَرَّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمُ النِّسَاءَ وَالنَّوْمَ وَاللَّحْمَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ تَشَبُّهًا مِنْهُمْ بِالْقِسِّيسِينَ وَالرُّهْبَانِ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ كِتَابَهُ يَنْهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٧] فَنَهَاهُمْ بِذَلِكَ عَنْ تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، ثُمَّ قَالَ: وَلَا تَعْتَدُوا أَيْضًا فِي حُدُودِي، فَتُحِلُّوا مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَكُمْ غَيْرُ جَائِزٍ كَمَا غَيْرُ جَائِزٍ لَكُمْ تَحْرِيمُ مَا حَلَّلْتُ، وَإِنِّي لَا أُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ عَنِ الَّذِي حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِمَّا إِذَا اسْتَحَلُّوهُ وَتَقَدَّمُوا عَلَيْهِ كَانُوا مِنَ الْمُعْتَدِينَ فِي حُدُودِهِ.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾ [المائدة: ٩١].

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ﴾ لَكُمُ..

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ شُرْبَ الْخَمْرِ وَالْمُيَاسَرَةَ بِالْقِدَاحِ، وَيُحَسِّنُ ذَلِكَ لَكُمْ إِرَادَةً مِنْهُ..

﴿أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ﴾ فِي شُرْبِكُمُ الخَمْرِ..

﴿وَٱلْمَيْسِرِ﴾ وَمُيَاسَرَتِكُمْ بِالْقِدَاحِ، لِيُعَادِيَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَيُبَغِّضَ بَعْضَكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ، فَيُشَتِّتُ أَمْرَكُمْ بَعْدَ تَأْلِيفِ اللهِ بَيْنَكُمْ بِالْإِيمَانِ، وَجَمْعِهِ بَيْنَكُمْ بِأُخُوَّةِ الْإِسْلَامِ..

﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾ وَيَصْرِفُكُمْ بِغَلَبَةِ هَذِهِ الْخَمْرِ بِسُكْرِهَا إِيَّاكُمْ عَلَيْكُمْ وَبِاشْتِغَالِكُمْ بِهَذَا الْمَيْسِرِ..

﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الَّذِي بِهِ صَلَاحُ دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ..

﴿وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الَّتِي فَرَضَهَا عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ..

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [المائدة: ٩١] عَنْ شُرْبِ هَذِهِ، وَالْمُيَاسَرَةِ بِهَذَا، وَعَامِلُونَ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ، مِنْ أَدَاءِ مَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنَ الصَّلَاةِ لِأَوْقَاتِهَا، وَلُزُومِ ذِكْرِهِ الَّذِي بِهِ نَجَحُ طَلِبَاتِكُمْ فِي عَاجِلِ دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ.

> ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٩٢﴾ [المائدة: ٩٢].

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ فِي اجْتِنَابِكُمْ ذَلِكَ وَاتِّبَاعِكُمْ أَمْرَهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ الِانْزِجَارِ عَمَّا زَجَرَكُمْ عَنْهُ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي بَيَّنَهَا لَكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَغَيْرِهَا، وَخَالِفُوا الشَّيْطَانَ فِي أَمْرِهِ إِيَّاكُمْ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فِي ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَبْغِي لَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَيْنَكُمْ بِالْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ..

﴿وَٱحْذَرُوا۟﴾ وَاتَّقُوا اللهَ، وَرَاقِبُوهُ أَنْ يَرَاكُمْ عِنْدَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي حَرَّمَهَا عَلَيْكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَغَيْرِهَا، أَوْ يَفْقِدَكُمْ عِنْدَ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ فَتُوبِقُوا أَنْفُسَكُمْ وَتُهْلِكُوهَا..

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَعْمَلُوا بِمَا أَمَرْنَاكُمْ بِهِ وَتَنْتَهُوا عَمَّا نَهَيْنَاكُمْ عَنْهُ وَرَجَعْتُمْ مُدْبِرِينَ عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَاتِّبَاعِ مَا جَاءَكُمْ بِهِ نَبِيُّكُمْ..

﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٩٢﴾ [المائدة: ٩٢] فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ مَنْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ بِالنِّذَارَةِ غَيْرُ إِبْلَاغِكُمُ الرِّسَالَةَ الَّتِي أُرْسِلَ بِهَا إِلَيْكُمْ، مُبَيِّنَةً لَكُمْ بَيَانًا يُوَضِّحُ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَالطَّرِيقَ الَّذِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَسْلُكُوهُ، وَأَمَّا الْعِقَابُ عَلَىٰ التَّوْلِيَةِ وَالِانْتِقَامِ بِالْمَعْصِيَةِ، فَعَلَىٰ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ دُونَ الرُّسُلِ، وَهَذَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَعِيدٌ لِمَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، يَقُولُ لَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ عَنْ أَمْرِي وَنَهْيِي، فَتَوَقَّعُوا عِقَابِي وَاحْذَرُوا سَخَطِي.

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

[المائدة: ٩٣].

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ قَالُوا إِذْ أَنْزَلَ اللهُ تَحْرِيمَ الْخَمْرِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]: كَيْفَ بِمَنْ هَلَكَ مِنْ إِخْوَانِنَا وَهُمْ يَشْرَبُونَهَا، وَبِنَا وَقَدْ كُنَّا نَشْرَبُهَا: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مِنْكُمْ..

﴿جُنَاحٌ﴾ حَرَجٌ..

﴿فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ فِيمَا شَرِبُوا مِنْ ذَلِكَ فِي الْحَالِ الَّتِي لَمْ يَكُنِ اللهُ تَعَالَىٰ حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ..

﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟﴾ إِذَا مَا اتَّقَىٰ اللهَ الْأَحْيَاءُ مِنْهُمْ، فَخَافُوهُ وَرَاقَبُوهُ فِي اجْتِنَابِهِمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ مِنْهُ..

﴿وَءَامَنُوا۟﴾ وَصَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَاهُمْ وَنَهَاهُمْ، فَأَطَاعُوهُمَا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ..

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَاكْتَسَبُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا يَرْضَاهُ اللهُ فِي ذَلِكَ مِمَّا كَلَّفَهُمْ بِذَلِكَ رَبُّهُمْ..

﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟﴾ ثُمَّ خَافُوا اللهَ وَرَاقَبُوهُ بِاجْتِنَابِهِمْ مَحَارِمَهُ بَعْدَ ذَلِكَ التَّكْلِيفِ أَيْضًا، فَثَبَتُوا عَلَىٰ اتِّقَاءِ اللهِ فِي ذَلِكَ وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَلَمْ يُغَيِّرُوا وَلَمْ يُبَدِّلُوا..

﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟﴾ ثُمَّ خَافُوا اللهَ، فَدَعَاهُمْ خَوْفُهُمُ اللهَ إِلَىٰ الْإِحْسَانِ، وَذَلِكَ الْإِحْسَانُ هُوَ الْعَمَلُ بِمَا لَمْ يَفْرِضْهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَلَكِنَّهُ نَوَافِلُ تَقَرَّبُوا بِهَا إِلَىٰ رَبِّهِمْ طَلَبَ رِضَاهُ وَهَرَبًا مِنْ عِقَابِهِ..

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة: ٩٣] الْمُتَقَرِّبِينَ إِلَيْهِ بِنَوَافِلِ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَرْضَاهَا.. فَالِاتِّقَاءُ الْأَوَّلُ: هُوَ الِاتِّقَاءُ بِتَلَقِّي أَمْرِ اللهِ بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ وَالدَّيْنُونَةِ بِهِ وَالْعَمَلِ، وَالِاتِّقَاءُ الثَّانِي: الِاتِّقَاءُ بِالثَّبَاتِ عَلَىٰ التَّصْدِيقِ وَتَرْكِ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ، وَالِاتِّقَاءُ الثَّالِثُ: هُوَ الِاتِّقَاءُ بِالْإِحْسَانِ وَالتَّقَرُّبِ بِنَوَافِلِ الْأَعْمَالِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا الدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ الِاتِّقَاءَ الثَّالِثَ هُوَ الِاتِّقَاءُ بِالنَّوَافِلِ دُونَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِالْفَرَائِضِ؟ قِيلَ: إِنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ أَخْبَرَ عَنْ وَضْعِهِ الْجُنَاحَ عَنْ شَارِبِي الْخَمْرَ الَّتِي شَرِبُوهَا قَبْلَ تَحْرِيمِهِ إِيَّاهَا، إِذَا هُمُ اتَّقَوُا اللهَ فِي شُرْبِهَا بَعْدَ تَحْرِيمِهَا، وَصَدَّقُوا

اللهَ وَرَسُولَهُ فِي تَحْرِيمِهَا، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الْفَرَائِضِ، وَلَا وَجْهَ لِتَكْرِيرِ ذَلِكَ، وَقَدْ مَضَىٰ ذِكْرُهُ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ.. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيمَا ذَكَرْنَا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ، جَاءَتِ الْأَخْبَارُ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾ [المائدة: ٩٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾ لَيَخْتَبِرَنَّكُمُ..

﴿ٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ بِبَعْضِ الصَّيْدِ فِي حَالِ إِحْرَامِكُمْ.. وَإِنَّمَا أَخْبَرَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُ يَبْلُوهُمْ بِشَيْءٍ، لِأَنَّهُ لَمْ يَبْلُهُمْ بِصَيْدِ الْبَحْرِ وَإِنَّمَا ابْتَلَاهُمْ بِصَيْدِ الْبَرِّ، فَالِابْتِلَاءُ بِبَعْضٍ لَمْ يَمْتَنِعْ..

﴿تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ﴾ إِمَّا بِالْيَدِ، كَالْبَيْضِ وَالْفِرَاخِ..

﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾ وَإِمَّا بِإِصَابَةِ النَّبْلِ وَالرِّمَاحِ، وَذَلِكَ كَالْحُمُرِ وَالْبَقَرِ وَالظِّبَاءِ، فَيَمْتَحِنُكُمْ بِهِ فِي حَالِ إِحْرَامِكُمْ بِعُمْرَتِكُمْ أَوْ بِحَجِّكُمْ..

﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ لِيَعْلَمَ أَوْلِيَاءُ اللهِ، وَأَهْلُ طَاعَةِ اللهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ وَالْمُنْتَهُونَ إِلَىٰ حُدُودِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ..

﴿مَن يَخَافُهُۥ﴾ مَن الَّذِي يَخَافُ اللهَ، فَيَتَّقِي مَا نَهَاهُ عَنْهُ مِنْ مَحَارِمِهِ، الَّتِي حَرَّمَهَا عَلَيْهِ مِنَ الصَّيْدِ وَغَيْرِهِ، وَيَجْتَنِبُهُ خَوْفَ عِقَابِهِ بِالْغَيْبِ فِي الدُّنْيَا بِحَيْثُ لَا يَرَاهُ.

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ بِحَيْثُ لَا يَرَاهُ وَلَا يُعَايِنُهُ..

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ فَمَنْ تَجَاوَزَ حَدَّ اللهِ الَّذِي حَدَّهُ لَهُ..

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بَعْدَ ابْتِلَائِهِ بِتَحْرِيمِ الصَّيْدِ عَلَيْهِ وَهُوَ حَرَامٌ، فَاسْتَحَلَّ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْهُ بِأَخْذِهِ وَقَتْلِهِ..

﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ﴾ مِنَ اللهِ..

﴿أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾ [المائدة: ٩٤] مُؤْلِمٌ مُوجِعٌ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ [المائدة: ٩٥].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..

﴿لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ﴾ الَّذِي بَيَّنْتُ لَكُمْ، وَهُوَ صَيْدُ الْبَرِّ دُونَ صَيْدِ الْبَحْرِ..

﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ وَأَنْتُمْ مُحْرِمُونَ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، وَالْحُرُمُ: جَمْعُ حَرَامٍ، وَالذَّكَرُ وَالْأُنْثَىٰ فِيهِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ، تَقُولُ: هَذَا رَجُلٌ حَرَامٌ، وَهَذِهِ امْرَأَةٌ حَرَامٌ، فَإِذَا قِيلَ مُحْرِمٌ، قِيلَ لِلْمَرْأَةِ مُحْرِمَةٌ.. وَالْإِحْرَامُ: هُوَ الدُّخُولُ فِيهِ، يُقَالُ: أَحْرَمَ الْقَوْمُ: إِذَا دَخَلُوا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، أَوْ فِي الْحَرَمِ.. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ مُحْرِمُونَ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ..

﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم﴾ هَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عِبَادَهُ حُكْمَ الْقَاتِلِ مِنَ الْمُحْرِمِينَ الصَّيْدَ الَّذِي نَهَاهُ عَنْ قَتْلِهِ..

﴿مُّتَعَمِّدًا﴾ لِقَتْلِهِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ بِهِ الْمُتَعَمِّدَ قَتْلَهُ فِي حَالِ نِسْيَانِهِ إِحْرَامَهُ، وَلَا الْمُخْطِئَ فِي قَتْلِهِ فِي حَالِ ذِكْرِهِ إِحْرَامَهُ، بَلْ عَمَّ فِي التَّنْزِيلِ بِإِيجَابِ الْجَزَاءِ كُلَّ قَاتِلِ صَيْدٍ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ مُتَعَمِّدًا، وَغَيْرُ جَائِزٍ إِحَالَةُ ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ إِلَىٰ بَاطِنٍ مِنَ التَّأْوِيلِ لَا دَلَالَةَ عَلَيْهِ مِنْ نَصِّ كِتَابٍ، وَلَا خَبَرٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا إِجْمَاعٍ مِنَ الْأُمَّةِ، وَلَا دَلَالَةَ مِنْ بَعْضِ هَذِهِ الْوُجُوهِ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَسَوَاءٌ كَانَ قَاتِلَ الصَّيْدِ مِنَ الْمُحْرِمِينَ عَامِدًا قَتْلَهُ ذَاكِرًا لِإِحْرَامِهِ، أَوْ عَامِدًا قَتْلَهُ نَاسِيًا لِإِحْرَامِهِ، أَوْ قَاصِدًا غَيْرَهُ فَقَتَلَهُ ذَاكِرًا لِإِحْرَامِهِ، فِي أَنَّ عَلَىٰ جَمِيعِهِمْ مِنَ الْجَزَاءِ مَا قَالَ رَبُّنَا تَعَالَىٰ وَهُوَ..

﴿فَجَزَآءٌ﴾ فَعَلَىٰ قَاتِلِ الصَّيْدِ جَزَاءُ الصَّيْدِ الْمَقْتُولِ كَفَّارَةٌ وَبَدَلٌ..

﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ وَجَبَ عَلَيْهِ جَزَاؤُهُ مِنَ النَّعَمِ، إِنِ اخْتَارَ أَنْ يَجْزِيَهُ بِالْمِثْلِ مِنَ النَّعَمِ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ مِثْلُ الَّذِي قَتَلَ مِنَ الصَّيْدِ دَرَاهِمُ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [المائدة: ٩٥]، وَالْقِيمَةُ إِنَّمَا هِيَ مِنَ الدَّنَانِيرِ أَوِ الدَّرَاهِمِ، وَالدَّنَانِيرُ، لَيْسَتْ لِلصَّيْدِ بِمِثْلٍ، وَاللهُ تَعَالَىٰ إِنَّمَا أَوْجَبَ الْجَزَاءَ مِثْلًا مِنَ النَّعَمِ، فَإِنْ وَجَدَ جَزَاءَهُ ذَبَحَهُ فَتَصَدَّقَ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ جَزَاءَهُ قَوَّمَ الْجَزَاءَ دَرَاهِمَ ثُمَّ قَوَّمَ الدَّرَاهِمَ حِنْطَةً ثُمَّ صَامَ مَكَانَ كُلِّ نِصْفِ صَاعٍ يَوْمًا، وَإِنَّمَا أُرِيدَ بِالطَّعَامِ

الصَّوْمَ، فَإِذَا وَجَدَ طَعَامًا وَجَدَ جَزَاءً..

﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ﴾ يَحْكُمُ بِذَلِكَ الْجَزَاءِ الَّذِي هُوَ مِثْلُ الْمَقْتُولِ مِنَ الصَّيْدِ مِنَ النَّعَمِ..

﴿ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ عَدْلَانِ مِنْكُمْ، يَعْنِي: فَقِيهَانِ عَالِمَانِ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالْفَضْلِ..

﴿هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾ يَقْضِي بِالْجَزَاءِ ذَوَا عَدْلٍ أَنْ يَهْدِيَ فَيَبْلُغُ الْكَعْبَةَ.. وَوَجْهُ حُكْمِ الْعَدْلَيْنِ إِذَا أَرَادَا أَنْ يَحْكُمَا بِمِثْلِ الْمَقْتُولِ مِنَ الصَّيْدِ مِنَ النَّعَمِ عَلَى الْقَاتِلِ أَنْ يَنْظُرَا إِلَى الْمَقْتُولِ وَيَسْتَوْصِفَاهُ، فَإِنْ ذَكَرَ أَنَّهُ أَصَابَ ظَبْيًا صَغِيرًا حَكَمَا عَلَيْهِ مِنْ وَلَدِ الضَّأْنِ بِنَظِيرِ ذَلِكَ الَّذِي قَتَلَهُ فِي السِّنِّ وَالْجِسْمِ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ كَبِيرًا، حَكَمَا عَلَيْهِ مِنَ الضَّأْنِ بِكَبِيرٍ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي أَصَابَ حِمَارَ وَحْشٍ، حَكَمَا عَلَيْهِ بِبَقَرَةٍ، إِنْ كَانَ الَّذِي أَصَابَ كَبِيرًا فَكَبِيرًا مِنَ الْبَقَرِ، وَإِنْ كَانَ صَغِيرًا فَصَغِيرًا، وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ ذَكَرًا فَمِثْلُهُ مِنْ ذُكُورِ الْبَقَرِ، وَإِنْ كَانَ أُنْثَى فَمِثْلُهُ مِنَ الْبَقَرِ أُنْثَى، ثُمَّ كَذَلِكَ يَنْظُرَانِ إِلَى أَشْبَهِ الْأَشْيَاءِ بِالْمَقْتُولِ مِنَ الصَّيْدِ شَبَهًا مِنَ النَّعَمِ فَيَحْكُمَانِ عَلَيْهِ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ذِكْرُه.. وَيَعْنِي بِالْكَعْبَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْحَرَمَ كُلَّهُ، وَلِمَنْ قَدِمَ بِهَدْيِهِ الْوَاجِبِ مِنْ جَزَاءِ الصَّيْدِ أَنْ يَنْحَرَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ شَاءَ قَبْلَ يَوْمِ النَّحْرِ وَبَعْدَهُ، وَيُطْعِمُهُ وَكَذَلِكَ إِنْ كَفَّرَ بِالطَّعَامِ فَلَهُ أَنْ يُكَفِّرَ بِهِ مَتَى أَحَبَّ وَحَيْثُ أَحَبَّ، وَإِنْ كَفَّرَ بِالصَّوْمِ فَكَذَلِكَ..

﴿أَوۡ﴾ عَلَيْهِ..

﴿كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ وَالْكَفَّارَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى الْجَزَاءِ فِي قَوْلِهِ: فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ..

﴿أَوۡ﴾ عَلَى قَاتِلِ الصَّيْدِ مُحْرِمًا..

﴿عَدۡلُ﴾ الْعَدْلَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ بِالْفَتْحِ، وَهُوَ قَدْرُ الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ، وَأَنَّ الْعِدْلَ هُوَ قَدْرُهُ مِنْ جِنْسِهِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ الصَّيْدِ الْمَقْتُولِ..

﴿صِيَامٗا﴾ مِنَ الصِّيَامِ، وَذَلِكَ أَنْ يُقَوِّمَ الصَّيْدَ حَيًّا غَيْرَ مَقْتُولٍ قِيمَتَهُ مِنَ الطَّعَامِ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي قَتَلَهُ فِيهِ الْمُحْرِمُ، ثُمَّ يَصُومُ مَكَانَ كُلِّ مُدٍّ يَوْمًا، وَذُكِرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَدَلَ الْمُدَّ مِنَ الطَّعَامِ بِصَوْمِ يَوْمٍ فِي كَفَّارَةِ الْمُوَاقِعِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.. فَيَكُونُ لِلْقَاتِلِ الْخِيَارُ فِي تَكْفِيرِهِ بِقَتْلِهِ الصَّيْدَ وَهُوَ مُحْرِمٌ بِأَيِّ هَذِهِ الْكَفَّارَاتِ الثَّلَاثِ شَاءَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ مَا أَوْجَبَ فِي قَتْلِ الصَّيْدِ مِنَ الْجَزَاءِ وَالْكَفَّارَةِ عُقُوبَةً

لِفِعْلِهِ، وَتَكْفِيرًا لِذَنْبِهِ فِي إِتْلَافِهِ مَا أَتْلَفَ مِنَ الصَّيْدِ الَّذِي كَانَ حَرَامًا عَلَيْهِ إِتْلَافُهُ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ، وَقَدْ كَانَ حَلَالًا لَهُ قَبْلَ حَالِ إِحْرَامِهِ، كَمَا جَعَلَ الْفِدْيَةَ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فِي حَلْقِ الشَّعْرِ الَّذِي حَلَقَهُ الْمُحْرِمُ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ، وَقَدْ كَانَ لَهُ حَلْقُهُ قَبْلَ حَالِ إِحْرَامِهِ، ثُمَّ مُنِعَ مِنْ حَلْقِهِ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ نَظِيرَ الصَّيْدِ، ثُمَّ جُعِلَ عَلَيْهِ إِنْ حَلَقَهُ جَزَاءٌ مِنْ حَلْقِهِ إِيَّاهُ، فَأَجْمَعَ الْجَمِيعُ عَلَىٰ أَنَّهُ فِي حَلْقِهِ إِيَّاهُ إِذَا حَلَقَهُ مِنْ إِيذَائِهِ مُخَيَّرٌ فِي تَكْفِيرِهِ، فَعَلَيْهِ ذَلِكَ بِأَيِّ الْكَفَّارَاتِ الثَّلَاثِ شَاءَ، فَمِثْلُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ قَاتِلُ الصَّيْدِ مِنَ الْمُحْرِمِينَ، وَأَنَّهُ مُخَيَّرٌ فِي تَكْفِيرِهِ قَتْلَهُ الصَّيْدَ بِأَيِّ الْكَفَّارَاتِ الثَّلَاثِ شَاءَ، لَا فَرْقَ بَيْنَ ذَلِكَ.. ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَطْعَمَ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي أَصَابَهُ فِيهِ، وَإِنْ شَاءَ بِمَكَّةَ، وَإِنْ شَاءَ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَوَاضِعِ حَيْثُ شَاءَ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِنَّمَا شَرَطَ بُلُوغَ الْكَعْبَةِ بِالْهَدْيِ فِي قَتْلِ الصَّيْدِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ جَزَائِهِ، فَلِلْجَازِي بِغَيْرِ الْهَدْيِ أَنْ يَجْزِيَهُ بِالْإِطْعَامِ وَالصَّوْمِ حَيْثُ شَاءَ مِنَ الْأَرْضِ.. وَقَدْ خَالَفَ ذَلِكَ مُخَالِفُونَ فَقَالُوا: لَا يُجْزِئُ الْهَدْيُ وَالْإِطْعَامُ إِلَّا بِمَكَّةَ، فَأَمَّا الصَّوْمُ فَإِنْ كَفَّرَ بِهِ يَصُومُ حَيْثُ شَاءَ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَمَّا الْهَدْيُ، فَإِنَّهُ جَزَاءُ مَا قَتَلَ مِنَ الصَّيْدِ، فَلَنْ يُجْزِئَهُ مِنْ كَفَّارَةِ مَا قَتَلَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَبْلُغَهُ الْكَعْبَةَ طَيِّبًا، وَيَنْحَرَهُ أَوْ يَذْبَحَهُ، وَيَتَصَدَّقَ بِهِ عَلَىٰ مَسَاكِينِ الْحَرَمِ..

﴿لِّيَذُوقَ﴾ أَوْجَبْتُ عَلَىٰ قَاتِلِ الصَّيْدِ مُحْرِمًا مَا أَوْجَبْتُ مِنَ الْحَقِّ أَوِ الْكَفَّارَةِ الَّذِي ذَكَرْتُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، كَيْ يَذُوقَ..

﴿وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ وَعَذَابَهُ، يَعْنِي بِـ (أَمْرِهِ): ذَنْبَهُ وَفِعْلَهُ الَّذِي فَعَلَهُ مِنْ قَتْلِهِ مَا نَهَاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْ قَتْلِهِ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ، يَقُولُ: فَأَلْزَمْتُهُ الْكَفَّارَةَ الَّتِي أَلْزَمْتُهُ إِيَّاهَا، لِأُذِيقَهُ عُقُوبَةَ ذَنْبِهِ بِإِلْزَامِهِ الْغَرَامَةَ وَالْعَمَلَ بِبَدَنِهِ مِمَّا يُتْعِبُهُ وَيَشُقُّ عَلَيْهِ.. وَأَصْلُ الْوَبَالِ: الشِّدَّةُ فِي الْمَكْرُوهِ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ⑯﴾ [المزمل: ١٦].. وَقَدْ بَيَّنَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ أَنَّ الْكَفَّارَاتِ اللَّازِمَةَ الْأَمْوَالِ وَالْأَبْدَانِ عُقُوبَاتٌ مِنْهُ لِخَلْقِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْحِيصًا لَهُمْ، وَكَفَّارَةً لِذُنُوبِهِمُ الَّتِي كَفَّرُوهَا بِهَا..

﴿عَفَا ٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿عَمَّا سَلَفَ﴾ مِنْكُمْ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ مِنْ إِصَابَتِكُمُ الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَقَتْلِكُمُوهُ، فَلَا يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَانَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِهِ إِيَّاهُ عَلَيْكُمْ، وَلَا يُلْزِمُكُمْ لَهُ كَفَّارَةً فِي مَالٍ وَلَا نَفْسٍ..

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ وَلَكِنْ مَنْ عَادَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْكُمْ لِقَتْلِهِ وَهُوَ مُحْرِمٌ بَعْدَ تَحْرِيمِهِ..

﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ﴾ وَعَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ الْكَفَّارَةُ..

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٞ﴾ مَنِيعٌ فِي سُلْطَانِهِ، لَا يَقْهَرُهُ قَاهِرٌ، وَلَا يَمْنَعُهُ مِنَ الِانْتِقَامِ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْهُ، وَلَا مِنْ عُقُوبَةِ مَنْ أَرَادَ عُقُوبَتَهُ مَانِعٌ؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ خَلْقُهُ، وَالْأَمْرَ أَمْرُهُ، لَهُ الْعِزَّةُ وَالْمَنَعَةُ..

﴿ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٩٥﴾ [المائدة: ٩٥] يَعْنِي بِهِ: مُعَاقَبَتَهُ لِمَنْ عَصَاهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ.

﴿أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٩٦﴾ [المائدة: ٩٦].

﴿أُحِلَّ لَكُمۡ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ﴾ طَرِيُّ سَمَكِ الْأَنْهَارِ الَّذِي صِدْتُمُوهُ فِي حَالِ حِلِّكُمْ وَحُرُمِكُمْ، وَمَا لَمْ تَصِيدُوهُ مِنْ طَعَامِهِ الَّذِي قَتَلَهُ ثُمَّ رَمَىٰ بِهِ إِلَىٰ سَاحِلِهِ.. وَعَنَىٰ بِالْبَحْرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْأَنْهَارَ كُلَّهَا، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْأَنْهَارَ بِحَارًا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [الروم: ٤١].

﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ مَا قَذَفَهُ الْبَحْرُ أَوْ حَسَرَ عَنْهُ فَوُجِدَ مَيِّتًا عَلَىٰ سَاحِلِهِ..

﴿مَتَٰعٗا لَّكُمۡ﴾ مَنْفَعَةً لِمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُقِيمًا أَوْ حَاضِرًا فِي بَلَدِهِ يَسْتَمْتِعُ بِأَكْلِهِ وَيَنْتَفِعُ بِهِ..

﴿وَلِلسَّيَّارَةِۖ﴾ وَمَنْفَعَةً أَيْضًا وَمُتْعَةً لِلسَّائِرِينَ مِنْ أَرْضٍ إِلَىٰ أَرْضٍ، وَمُسَافِرِينَ يَتَزَوَّدُونَهُ فِي سَفَرِهِمْ مَلِيحًا.. وَالسَّيَّارَةُ: جَمْعُ سَيَّارٍ..

﴿وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ﴾ مَا كُنْتُمْ مُحْرِمِينَ لَمْ تَحِلُّوا مِنْ إِحْرَامِكُمْ.. فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَمَّ تَحْرِيمَ كُلِّ مَعَانِي صَيْدِ الْبَرِّ عَلَىٰ الْمُحْرِمِ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخُصَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ، فَكُلُّ مَعَانِي الصَّيْدِ حَرَامٌ عَلَىٰ الْمُحْرِمِ مَا دَامَ حَرَامًا، بَيْعُهُ وَشِرَاؤُهُ وَاصْطِيَادُهُ وَقَتْلُهُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِيهِ، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَذْبُوحًا قَدْ ذَبَحَهُ حَلَالٌ لِحَلَالٍ، فَيَحِلُّ لَهُ حِينَئِذٍ أَكْلُهُ..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وَهَذَا تَقَدُّمٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ بِالْحَذَرِ مِنْ عِقَابِهِ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ: وَاخْشَوُا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَاحْذَرُوهُ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ نَبِيِّكُمْ ﷺ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَالْأَنْصَابِ وَالْأَزْلَامِ، وَعَنْ إِصَابَةِ صَيْدِ الْبَرِّ وَقَتْلِهِ فِي حَالِ إِحْرَامِكُمْ، وَفِي غَيْرِهَا..

﴿ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٩٦﴾ [المائدة: ٩٦] فَإِنَّ لِلَّهِ مَصِيرَكُمْ وَمَرْجِعَكُمْ فَيُعَاقِبُكُمْ بِمَعْصِيَتِكُمْ إِيَّاهُ،

وَمُجَازِيكُمْ فَمُثِيبُكُمْ عَلَىٰ طَاعَتِكُمْ لَهُ.

﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٩٧﴾ [المائدة: ٩٧].

﴿جَعَلَ﴾ صَيَّرَ..

﴿ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ﴾ سُمِّيَتْ -فِيمَا قِيلَ- كَعْبَةً لِتَرْبِيعِهَا.. وَأَمَّا الْكَعْبَةُ فَالْحَرَمُ كُلُّهُ..

﴿ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾ سَمَّاهَا اللهُ تَعَالَىٰ حَرَامًا لِتَحْرِيمِهِ إِيَّاهَا أَنْ يُصَادَ صَيْدُهَا، أَوْ يُخْتَلَىٰ خَلَاهَا، أَوْ يُعْضَدَ شَجَرُهَا..

﴿قِيَٰمٗا﴾ قِوَامًا.. وَجَعَلَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ الْكَعْبَةَ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ قِوَامًا لِمَنْ كَانَ يَحْتَرِمُ ذَلِكَ مِنَ الْعَرَبِ وَيُعَظِّمُهُ، بِمَنْزِلَةِ الرَّئِيسِ الَّذِي يَقُومُ بِهِ أَمْرُ تُبَّاعِهِ..

﴿لِّلنَّاسِ﴾ الَّذِينَ لَا قِوَامَ لَهُمْ، مِنْ رَئِيسٍ يَحْجُزُ قَوِيَّهُمْ عَنْ ضَعِيفِهِمْ، وَمُسِيئَهُمْ عَنْ مُحْسِنِهِمْ، وَظَالِمَهُمْ عَنْ مَظْلُومِهِمْ..

﴿وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ﴾ وَجَعَلَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ أَيْضًا قِيَامًا لِلنَّاسِ، كَمَا جَعَلَ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ لَهُمْ قِيَامًا، فَحَجَزَ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ ذَلِكَ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ قِيَامٌ غَيْرُهُ، وَجَعَلَهَا مَعَالِمَ لِدِينِهِمْ وَمَصَالِحَ أُمُورِهِمْ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ تَصْيِيرُهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: صَيَّرْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ذَلِكَ قِيَامًا..

﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ﴾ كَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ مَنْ أَحْدَثَ لَكُمْ لِمَصَالِحِ دُنْيَاكُمْ مَا أَحْدَثَ مِمَّا بِهِ قِوَامُكُمْ، عِلْمًا مِنْهُ بِمَنَافِعِكُمْ وَمَضَارِكُمْ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ كَذَلِكَ..

﴿يَعۡلَمُ﴾ جَمِيعَ..

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ مِمَّا فِيهِ صَلَاحُ عَاجِلِكُمْ وَآجِلِكُمْ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٩٧﴾ [المائدة: ٩٧] وَلِتَعْلَمُوا أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ، وَهُوَ مُحْصِيهَا عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يُجَازِيَ الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءَ مِنْكُمْ بِإِسَاءَتِهِ.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٩٨﴾ [المائدة: ٩٨].

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ أَنَّ رَبَّكُمُ الَّذِي يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَلَا يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ سَرَائِرِ أَعْمَالِكُمْ وَعَلَانِيَتِهَا، وَهُوَ يُحْصِيهَا عَلَيْكُمْ لِيُجَازِيَكُمْ بِهَا..

﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾، شَدِيدٌ عِقَابُهُ مَنْ عَصَاهُ وَتَمَرَّدَ عَلَيْهِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لِذُنُوب مَنْ أَطَاعَهُ وَأَنَابَ إِلَيْهِ، فَسَاتِرٌ عَلَيْهِ وَتَارِكٌ فَضِيحَتَهُ بِهَا..

﴿رَّحِيمٞ ۝٩٨﴾ [المائدة: ٩٨] بِهِ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِ بَعْدَ إِنَابَتِهِ وَتَوْبَتِهِ مِنْهَا.

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ۝٩٩﴾ [المائدة: ٩٩].

﴿مَّا﴾ لَيْسَ..

﴿عَلَى ٱلرَّسُولِ﴾ الَّذِي أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِإِنْذَارِكُمْ عِقَابَنَا بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ وَإِعْذَارِنا إِلَيْكُمْ بِمَا فِيهِ قَطْعُ حُجَجِكُمْ..

﴿إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ إِلَّا أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَيْكُمْ رِسَالَتَنَا، ثُمَّ إِلَيْنَا الثَّوَابُ عَلَىٰ الطَّاعَةِ، وَعَلَيْنَا الْعِقَابُ عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ..

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾ وَغَيْرُ خَفِيٍّ عَلَيْنَا الْمُطِيعُ مِنْكُمُ الْقَابِلُ رِسَالَتَنَا الْعَامِلُ بِمَا أَمَرْتُهُ بِالْعَمَلِ بِهِ، مِنَ الْعَاصِي التَّارِكِ الْعَمَلَ بِمَا أَمَرْتُهُ بِالْعَمَلِ بِهِ، لِأَنَّا نَعْلَمُ مَا عَمِلَهُ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فَأَظْهَرَهُ بِجَوَارِحِهِ وَنَطَقَ بِهِ لِسَانُهُ..

﴿وَمَا تَكۡتُمُونَ ۝٩٩﴾ [المائدة: ٩٩] وَمَا تُخْفُونَهُ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ إِيمَانٍ وَكُفْرٍ أَوْ يَقِينٍ وَشَكٍّ وَنِفَاقٍ، فَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ضَمَائِرِ الصُّدُورِ وَظَوَاهِرِ أَعْمَالِ النُّفُوسِ، مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَبِيَدِهِ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، فَحَقِيقٌ أَنْ يُتَّقَىٰ وَأَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَىٰ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ تَهْدِيدٌ لِعِبَادِهِ وَوَعِيدٌ.

﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠٠﴾ [المائدة: ١٠٠].

﴿قُل﴾ يا مُحَمَّدُ ﷺ..

﴿لَّا يَسْتَوِي﴾ لَا يَعْتَدِلُ..

﴿ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ الرَّدِيءُ وَالْجَيِّدُ، وَالصَّالِحُ وَالطَّالِحُ، وَالْمُطِيعُ وَالْعَاصِي..

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ لَا يَعْتَدِلُ الْعَاصِي وَالْمُطِيعُ لِلَّهِ عِنْدَ اللهِ، وَلَوْ كَثُرَ أَهْلُ الْمَعَاصِي فَعَجِبْتَ مِنْ كَثْرَتِهِمْ، لِأَنَّ أَهْلَ طَاعَةِ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الْفَائِزُونَ بِثَوَابِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ قَلُّوا دُونَ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ، وَإِنَّ أَهْلَ مَعَاصِيهِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ الْخَائِبُونَ وَإِنْ كَثُرُوا، فَلَا تَعْجَبَنَّ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يَعْصِي اللهَ فَيُمْهِلُهُ وَلَا يُعَاجِلُهُ بِالْعُقُوبَةِ فَإِنَّ الْعُقْبَىٰ الصَّالِحَةَ لِأَهْلِ طَاعَةِ اللهِ عِنْدَهُ دُونَهُمْ.. وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُهُ مَخْرَجَ الْخِطَابِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَالْمُرَادُ بِهِ بَعْضَ أَتْبَاعِهِ، يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾..

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ، وَاحْذَرُوا أَنْ يَسْتَحْوِذَ عَلَيْكُمُ الشَّيْطَانُ بِإِعْجَابِكُمْ كَثْرَةَ الْخَبِيثِ، فَتَصِيرُوا مِنْهُمْ..

﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ: أَهْلَ الْعُقُولِ وَالْحِجَا، الَّذِينَ عَقَلُوا عَنِ اللهِ آيَاتِهِ، وَعَرَفُوا مَوَاقِعَ حُجَجِهِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المائدة: ١٠٠] اتَّقُوا اللهَ لِتُفْلِحُوا: أَيْ كَيْ تَنْجَحُوا فِي طَلَبَتِكُمْ مَا عِنْدَهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [المائدة: ١٠١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أُنْزِلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسَبَبِ مَسَائِلَ كَانَ يَسْأَلُهَا إِيَّاهُ أَقْوَامٌ، امْتِحَانًا لَهُ أَحْيَانًا، وَاسْتِهْزَاءً أَحْيَانًا، فَيَقُولُ لَهُ بَعْضُهُمْ: مَنْ أَبِي؟ وَيَقُولُ لَهُ بَعْضُهُمْ إِذَا ضَلَّتْ نَاقَتُهُ: أَيْنَ نَاقَتِي؟ وَمَسْأَلَةِ سَائِلِهِ إِذْ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ**»: أَفِي كُلِّ عَامٍ؟ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْمَسَائِلِ، لِتَظَاهُرِ الْأَخْبَارِ بِذَلِكَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَعَامَّةِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ، فَقَالَ لَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ مِنْ ذَلِكَ، كَمَسْأَلَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُذَافَةَ إِيَّاهُ مَنْ أَبُوهُ..

﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ إِنْ أَبْدَيْنَا لَكُمْ حَقِيقَةَ مَا تَسْأَلُونَ عَنْهُ، سَاءَكُمْ إِبْدَاؤُهَا وَإِظْهَارُهَا..

﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلَّذِينَ نَهَاهُمْ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ مَسْأَلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ عَنْهُ مِنْ فَرَائِضَ لَمْ يَفْرِضْهَا

اللهُ عَلَيْهِمْ، وَتَحْلِيلِ أُمُورٍ لَمْ يُحْلِلْهَا لَهُمْ، وَتَحْرِيمِ أَشْيَاءَ لَمْ يُحَرِّمْهَا عَلَيْهِمْ قَبْلَ نُزُولِ الْقُرْآنِ بِذَلِكَ: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ السَّائِلُونَ عَمَّا سَأَلُوا عَنْهُ رَسُولِي مِمَّا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ كِتَابًا وَلَا وَحْيًا، لَا تَسْأَلُوا عَنْهُ، فَإِنَّكُمْ إِنْ أَظْهَرَ ذَلِكَ لَكُمْ تِبْيَانٌ بِوَحْيٍ وَتَنْزِيلٍ سَاءَكُمْ؛ لِأَنَّ التَّنْزِيلَ بِذَلِكَ إِذَا جَاءَكُمْ إِنَّمَا يَجِيئُكُمْ بِمَا فِيهِ امْتِحَانُكُمْ وَاخْتِبَارُكُمْ، إِمَّا بِإِيجَابِ عَمَلٍ عَلَيْكُمْ، وَلُزُومِ فَرْضٍ لَكُمْ، وَفِي ذَلِكَ عَلَيْكُمْ مَشَقَّةٌ وَلُزُومُ مُؤْنَةٍ وَكُلْفَةٌ، وَإِمَّا بِتَحْرِيمِ مَا لَوْ لَمْ يَأْتِكُمْ بِتَحْرِيمِهِ وَحْيٌ كُنْتُمْ مِنَ التَّقَدُّمِ عَلَيْهِ فِي فُسْحَةٍ وَسَعَةٍ، وَإِمَّا بِتَحْلِيلِ مَا تَعْتَقِدُونَ تَحْرِيمَهُ، وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ مُسَاءَةٌ لِنَقْلِكُمْ عَمَّا كُنْتُمْ تَرَوْنَهُ حَقًّا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ تَرَوْنَهُ بَاطِلًا، وَلَكِنَّكُمْ إِنْ سَأَلْتُمْ عَنْهَا بَعْدَ نُزُولِ الْقُرْآنِ بِهَا وَبَعْدَ ابْتِدَائِكُمْ شَأْنَ أَمْرِهَا فِي كِتَابِي إِلَىٰ رَسُولِي إِلَيْكُمْ، بَيَّنَ لَكُمْ مَا أَنْزَلْتُهُ إِلَيْهِ مِنْ إِتْيَانِ كِتَابِي وَتَأْوِيلِ تَنْزِيلِي وَوَحْيِي..

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ﴾ عَفَا اللهُ لَكُمْ عَنْ مَسْأَلَتِكُمْ عَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي سَأَلْتُمْ عَنْهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ الَّذِي كَرِهَ اللهُ لَكُمْ مَسْأَلَتَكُمْ إِيَّاهُ عَنْهَا، أَنْ يُؤَاخِذَكُمْ بِهَا، أَوْ يُعَاقِبَكُمْ عَلَيْهَا، إِنْ عَرَفَ مِنْهَا تَوْبَتَكُمْ وَإِنَابَتَكُمْ..

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ وَاللهُ سَاتِرٌ ذُنُوبَ مَنْ تَابَ مِنْهَا، فَتَارِكٌ أَنْ يَفْضَحَهُ فِي الْآخِرَةِ..

﴿حَلِيمٌ ١٠١﴾ [المائدة: ١٠١] أَنْ يُعَاقِبَهُ بِهَا لِتَغَمُّدِهِ التَّائِبَ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَعَفْوِهِ، عَنْ عُقُوبَتِهِ عَلَيْهَا.

﴿قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ١٠٢﴾ [المائدة: ١٠٢].

﴿قَدۡ سَأَلَهَا﴾ قَدْ سَأَلَ الْآيَاتِ..

﴿قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ﴾ فَلَمَّا آتَاهُمُوهَا اللهُ أَصْبَحُوا..

﴿بِهَا كَٰفِرِينَ ١٠٢﴾ [المائدة: ١٠٢] جَاحِدِينَ مُنْكِرِينَ أَنْ تَكُونَ دَلَالَةً عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا احْتَجَّ بِهَا عَلَيْهِمْ، وَبُرْهَانًا عَلَىٰ صِحَّةِ مَا جُعِلَتْ بُرْهَانًا عَلَىٰ تَصْحِيحِهِ، كَقَوْمِ صَالِحٍ الَّذِينَ سَأَلُوا الْآيَةَ فَلَمَّا جَاءَتْهُمُ النَّاقَةُ آيَةً عَقَرُوهَا، وَكَالَّذِينَ سَأَلُوا عِيسَىٰ مَائِدَةً تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ، فَلَمَّا أُعْطُوهَا كَفَرُوا بِهَا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَحَذَّرَ اللهُ تَعَالَىٰ الْمُؤْمِنِينَ بِنَبِيِّهِ ﷺ أَنْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي هَلَكَتْ بِكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ لَمَّا جَاءَتْهُمْ عِنْدَ مَسْأَلَتِهِمُوهَا، فَقَالَ لَهُمْ: لَا تَسْأَلُوا الْآيَاتِ، وَلَا تَبْحَثُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ، فَقَدْ سَأَلَ الْآيَاتِ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ فَلَمَّا أُوتُوهَا أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ.

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾ [المائدة: ١٠٣].

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ﴾ مَا بَحَرَ اللهُ بَحِيرَةً، وَلَا سَيَّبَ سَائِبَةً،

وَلَا وَصَلَ وَصِيلَةً، وَلَا حَمَىٰ حَامِيًا، وَلَكِنَّكُمُ الَّذِينَ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ أَيُّهَا الْكَفَرَةُ، فَحَرَّمْتُمُوهُ افْتِرَاءً عَلَىٰ رَبِّكُمْ.. وَالْبَحِيرَةُ: الْفَعِيلَةُ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: بَحَرْتُ أُذُنَ هَذِهِ النَّاقَةِ: إِذَا شَقَّهَا.. وَأَمَّا السَّائِبَةُ: فَإِنَّهَا الْمُسَيَّبَةُ الْمُخَلَّاةُ، وَكَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ يَفْعَلُ ذَلِكَ أَحَدُهُمْ بِبَعْضِ مَوَاشِيهِ، فَيُحَرِّمُ الِانْتِفَاعَ بِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ، كَمَا كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ يُعْتِقُ عَبْدَهُ سَائِبَةً فَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ وَلَا بِوَلَائِهِ.. وَأَمَّا الْوَصِيلَةُ، فَإِنَّ الْأُنْثَىٰ مِنْ نَعَمِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَتْ إِذَا أَتْأَمَتْ بَطْنًا بِذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ، قِيلَ: قَدْ وَصَلَتِ الْأُنْثَىٰ أَخَاهَا، بِدَفْعِهَا عَنْهُ الذَّبْحَ، فَسَمَّوْهَا وَصِيلَةً.. وَأَمَّا الْحَامِي: فَإِنَّهُ الْفَحْلُ مِنَ النَّعَمِ يُحْمَىٰ ظَهْرُهُ مِنَ الرُّكُوبِ وَالِانْتِفَاعِ بِسَبَبِ تَتَابُعِ أَوْلَادٍ تَحْدُثُ مِنْ فِحْلَتِهِ.. وَهَذِهِ أُمُورٌ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَبْطَلَهَا الْإِسْلَامُ، فَلَا نَعْرِفُ قَوْمًا يَعْمَلُونَ بِهَا الْيَوْمَ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ مَا كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ تَعْمَلُ بِهِ لَا يُوصَلُ إِلَىٰ عِلْمِهِ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ أَثَرٌ، وَلَا فِي الشِّرْكِ نَعْرِفُهُ إِلَّا بِخَبَرٍ، وَكَانَتِ الْأَخْبَارُ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ مِنْ ذَلِكَ مُخْتَلِفَةً الِاخْتِلَافَ الَّذِي ذَكَرْنَا.. فَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: أَمَّا مَعَانِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، فَمَا بَيَّنَّا فِي ابْتِدَاءِ الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ.. وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ عَمَلِ الْقَوْمِ فِي ذَلِكَ، فَمَا لَا عِلْمَ لَنَا بِهِ.. وَقَدْ وَرَدَتِ الْأَخْبَارُ بِوَصْفِ عَمَلِهِمْ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا قَدْ حَكَيْنَا، وَغَيْرُ ضَائِرٍ الْجَهْلُ بِذَلِكَ إِذَا كَانَ الْمُرَادُ مِنْ عِلْمِهِ الْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ، مُوَصَّلًا إِلَىٰ حَقِيقَتِهِ، وَهُوَ أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا مُحَرِّمِينَ مِنْ أَنْعَامِهِمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللهُ اتِّبَاعًا مِنْهُمْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ، فَوَبَّخَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِذَلِكَ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ حَلَالٌ، فَالْحَرَامُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عِنْدَنَا مَا حَرَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ وَرَسُولُهُ ﷺ، بِنَصٍّ أَوْ دَلِيلٍ وَالْحَلَالُ مِنْهُ: مَا أَحَلَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ كَذَلِكَ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الَّذِينَ بَحَرُوا الْبَحَائِرَ، وَسَيَّبُوا السَّوَائِبَ، وَوَصَلُوا الْوَصَائِلَ، وَحَمَوُا الْحَوَامِيَ، مِثْلُ عَمْرِو بْنِ لُحَيٍّ وَأَشْكَالِهِ، مِمَّنْ سَنُّوا لِأَهْلِ الشِّرْكِ السُّنَنَ الرَّدِيئَةَ وَغَيَّرُوا دِينَ اللهِ دِينَ الْحَقِّ، وَأَضَافُوا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي حَرَّمَ مَا حَرَّمُوا وَأَحَلَّ مَا أَحَلُّوا..

﴿يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ افْتِرَاءً عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، وَاخْتِلَاقًا عَلَيْهِ الْإِفْكَ وَهُمْ يَعْمَهُونَ فَكَذَّبَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ، وَإِضَافَتِهِمْ إِلَيْهِ مَا أَضَافُوا مِنْ تَحْلِيلِ مَا أَحَلُّوا وَتَحْرِيمِ مَا حَرَّمُوا..

﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝١٠٣﴾ [المائدة: ١٠٣] هُمْ أَتْبَاعُ مَنْ سَنَّ لَهُمْ هَذِهِ السُّنَنَ مِنْ جَهَلَةِ الْمُشْرِكِينَ، فَهُمْ لَا شَكَّ أَنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ لَهُمْ سَنُّوا ذَلِكَ، فَوَصَفَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِأَنَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْقِلُونَ أَنَّ الَّذِينَ سَنُّوا لَهُمْ تِلْكَ السُّنَنَ، وَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ كَذَبَةٌ فِي أَخْبَارِهِمْ أَفَكَةٌ،

بَلْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ فِيمَا يَقُولُونَ مُحِقُّونَ فِي أَخْبَارِهِمْ صَادِقُونَ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ أَنَّ ذَلِكَ التَّحْرِيمَ الَّذِي حَرَّمَهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ وَأَضَافُوهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ كَذِبٌ وَبَاطِلٌ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة: ١٠٤].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ وَإِذَا قِيلَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَبْحَرُونَ الْبَحَائِرَ وَيُسَيِّبُونَ السَّوَائِبَ، الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ أَنَّهُمْ بِإِضَافَتِهِمْ تَحْرِيمَ ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ يَفْتَرُونَ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ..

﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ تَعَالَوْا إِلَىٰ تَنْزِيلِ اللهِ وَآيِ كِتَابِهِ وَإِلَىٰ رَسُولِهِ، لِيَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَذِبُ قِيلِكُمْ فِيمَ تُضِيفُونَهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ تَحْرِيمِكُمْ مَا تُحَرِّمُونَ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ..

﴿قَالُوا﴾ أَجَابُوا مَنْ دَعَاهُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ، بِأَنْ يَقُولُوا..

﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ﴾ مِنْ قَبْلِنَا..

﴿آبَاءَنَا﴾ يَعْمَلُونَ بِهِ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ لَهُمْ تَبَعٌ، وَهُمْ لَنَا أَئِمَّةٌ وَقَادَةٌ، وَقَدِ اكْتَفَيْنَا بِمَا أَخَذْنَا عَنْهُمْ، وَرَضِينَا بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ تَحْرِيمٍ وَتَحْلِيلٍ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ﴾ آبَاءُ هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ..

﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا يُضِيفُونَهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ تَحْرِيمِ الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْوَصِيلَةِ وَالْحَامِ كَذِبٌ وَفِرْيَةٌ عَلَىٰ اللهِ، لَا حَقِيقَةَ لِذَلِكَ وَلَا صِحَّةَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَتْبَاعَ الْمُفْتَرِينَ، الَّذِينَ ابْتَدَءُوا تَحْرِيمَ ذَلِكَ افْتِرَاءً عَلَىٰ اللهِ بِقِيلِهِمْ مَا كَانُوا يَقُولُونَ مِنْ إِضَافَتِهِمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مَا يُضِيفُونَ..

﴿وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة: ١٠٤] مَا كَانُوا فِيمَا هُمْ بِهِ عَامِلُونَ مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ اسْتِقَامَةٍ وَصَوَابٍ، بَلْ كَانُوا عَلَىٰ ضَلَالَةٍ وَخَطَأٍ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المائدة: ١٠٥].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ فَأَصْلِحُوهَا، وَاعْمَلُوا فِي خَلَاصِهَا مِنْ عِقَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَانْظُرُوا لَهَا فِيمَا يُقَرِّبُهَا مِنْ رَبِّهَا..

﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ كَفَرَ وَسَلَكَ غَيْرَ سَبِيلِ الْحَقِّ..

﴿إِذَا﴾ أَنْتُمْ..

﴿ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ وَآمَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ وَأَطَعْتُمُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَفِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، فَحَرَّمْتُمْ حَرَامَهُ وَحَلَّلْتُمْ حَلَالَهُ، وَأَدَّيْتُمْ فِيمَنْ ضَلَّ مِنَ النَّاسِ مَا أَلْزَمَكُمُ اللهُ بِهِ فِيهِ مِنْ فَرْضِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ الَّذِي يَرْكَبُهُ أَوْ يُحَاوِلُ رُكُوبَهُ، وَالْأَخْذِ عَلَىٰ يَدَيْهِ إِذَا رَامَ ظُلْمًا لِمُسْلِمٍ أَوْ مُعَاهِدٍ، وَمَنْعِهِ مِنْهُ فَأَبَىٰ النُّزُوعَ عَنْ ذَلِكَ، وَلَا ضَيْرَ عَلَيْكُمْ فِي تَمَادِيهِ فِي غَيِّهِ وَضَلَالِهِ إِذَا أَنْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ وَأَدَّيْتُمْ حَقَّ اللهِ تَعَالَىٰ فِيهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقُومُوا بِالْقِسْطِ وَيَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ، وَمِنَ الْقِيَامِ بِالْقِسْطِ: الْأَخْذُ عَلَىٰ يَدِ الظَّالِمِ، وَمِنَ التَّعَاوُنِ عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَهَذَا مَعَ مَا تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَمْرِهِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَوْ كَانَ لِلنَّاسِ تَرْكُ ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ لِلْأَمْرِ بِهِ مَعْنًىٰ إِلَّا فِي الْحَالِ الَّتِي رَخَّصَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَرْكَ ذَلِكَ، وَهِيَ حَالُ الْعَجْزِ عَنِ الْقِيَامِ بِهِ بِالْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ فَيَكُونُ مُرَخَّصًا لَهُ تَرْكُهُ إِذَا قَامَ حِينَئِذٍ بِأَدَاءِ فَرْضِ اللهِ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ بِقَلْبِهِ، وَإِذَا كَانَ مَا وَصَفْنَا مِنَ التَّأْوِيلِ بِالْآيَةِ أَوْلَىٰ، فَبَيِّنٌ أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ فِي مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ مَا قَالَهُ حُذَيْفَةُ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، مِنْ أَنَّ ذَلِكَ: (إِذَا أَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ)..

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ فَاعْمَلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَانْتَهُوا عَمَّا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَمُرُوا أَهْلَ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ وَمَا حَادَ عَنْ سَبِيلِي بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ قَبِلُوا فَلَهُمْ وَلَكُمْ، وَإِنْ تَمَادَوْا فِي غَيِّهِمْ وَضَلَالِهِمْ فَإِنَّ إِلَيَّ مَرْجِعَ جَمِيعِكُمْ وَمَصِيرَكُمْ فِي الْآخِرَةِ وَمَصِيرَهُمْ، وَأَنَا الْعَالِمُ بِمَا يَعْمَلُ جَمِيعُكُمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ..

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٠٥﴾ [المائدة: ١٠٥] فَأُخْبِرُ هُنَاكَ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ بِمَا كَانَ يَعْمَلُهُ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أُجَازِيهِ عَلَىٰ عَمَلِهِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلَيَّ جَزَاءَهُ حَسَبَ اسْتِحْقَاقِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ عَمَلُ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ۝١٠٦﴾ [المائدة: ١٠٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ لِيَشْهَدَ بَيْنَكُمْ بِالْيَمِينِ، لَا الشَّهَادَةُ الَّتِي يَقُومُ بِهَا عِنْدَ

الْحُكَّامِ، لَأَنَّا لَا نَعْلَمُ لِلَّهِ تَعَالَىٰ حُكْمًا يَجِبُ فِيهِ عَلَىٰ الشَّاهِدِ الْيَمِينُ، لِقَوْلِهِ: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾..

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ عِنْدَ حُضُورِ أَحَدِكُمُ الْمَوْتُ..

﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾ وَقْتَ الْوَصِيَّةِ..

﴿ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ ذَوَا رَشَدٍ وَعَقْلٍ وَحِجًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ..

﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ لِيَشْهَدَ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ عَدْلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، سَوَاءٌ كَانَ الْآخَرَانِ اللَّذَانِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ دِينِنَا يَهُودِيَّيْنِ كَانَا أَوْ نَصْرَانِيَّيْنِ أَوْ مَجُوسِيَّيْنِ أَوْ عَابِدَيْ وَثَنٍ، أَوْ عَلَىٰ أَيِّ دِينٍ كَانَا، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يُخَصِّصْ آخَرَيْنِ مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ بِعَيْنِهَا دُونَ مِلَّةٍ بَعْدَ أَلَّا يَكُونَا مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ..

﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إِنْ أَنْتُمْ سَافَرْتُمْ ذَاهِبِينَ وَرَاجِعِينَ فِي الْأَرْضِ..

﴿فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ فَنَزَلَ بِكُمُ الْمَوْتُ، فَأَوْصَيْتُمْ إِلَيْهِمَا وَدَفَعْتُمْ إِلَيْهِمَا مَا كَانَ مَعَكُمْ مِنْ مَالٍ وَتَرِكَةٌ لِوَرَثَتِكُمْ، فَإِذَا أَنْتُمْ أَوْصَيْتُمْ إِلَيْهِمَا وَدَفَعْتُمْ إِلَيْهِمَا مَا كَانَ مَعَكُمْ مِنْ مَالٍ، فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ، فَأَدَّيَا إِلَىٰ وَرَثَتِكُمْ مَا ائْتَمَنْتُمُوهُمَا، وَادَّعَوْا عَلَيْهِمَا خِيَانَةً خَانَاهَا مِمَّا ائْتُمِنَا عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْحُكْمَ فِيهِمَا حِينَئِذٍ أَنْ..

﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ تَسْتَوْقِفُونَهُمَا..

﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعَصْرِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَرَّفَ الصَّلَاةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِإِدْخَالِ الْأَلِفِ وَاللَّامِ فِيهَا، وَلَا تُدْخِلُهُمَا الْعَرَبُ إِلَّا فِي مَعْرُوفٍ، إِمَّا فِي جِنْسٍ، أَوْ فِي وَاحِدٍ مَعْهُودٍ مَعْرُوفٍ عِنْدَ الْمُتَخَاطِبِينَ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، وَكَانَتِ الصَّلَاةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مُجْمَعًا عَلَىٰ أَنَّهُ لَمْ يَعْنِ بِهَا جَمِيعَ الصَّلَوَاتِ، لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهَا صَلَاةُ الْمُسْتَحْلَفِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، لِأَنَّ لَهُمْ صَلَوَاتٌ لَيْسَتْ وَاحِدَةً، فَيَكُونُ مَعْلُومًا أَنَّهَا الْمَعْنِيَّةُ بِذَلِكَ، فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، صَحَّ أَنَّهَا صَلَاةٌ بِعَيْنِهَا مِنْ صَلَوَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ صَحِيحًا عَنْهُ أَنَّهُ إِذْ لَاعَنَ بَيْنَ الْعَجْلَانِيَّيْنِ لَاعَنَ بَيْنَهُمَا بَعْدَ الْعَصْرِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الصَّلَوَاتِ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الَّتِي عُنِيَتْ بِقَوْلِهِ: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ هِيَ الصَّلَاةُ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَخَيَّرُهَا لِاسْتِحْلَافِ مَنْ أَرَادَ تَغْلِيظَ الْيَمِينِ عَلَيْهِ، هَذَا مَعَ مَا عِنْدَ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللهِ مِنْ تَعْظِيمِ ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَذَلِكَ لِقُرْبِهِ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ..

﴿فَيُقْسِمَانِ﴾ يَحْلِفَانِ..

﴿بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ إِنِ اتَّهَمْتُمُوهُمَا بِخِيَانَةٍ فِيمَا ائْتُمِنَا عَلَيْهِ مِنْ تَغْيِيرِ وَصِيَّةٍ أُوصَىٰ إِلَيْهِمَا بِهَا، أَوْ تَبْدِيلِهَا..

﴿لَا نَشْتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا﴾ يَحْلِفَانِ بِاللهِ لَا نَشْتَرِي بِأَيْمَانِنَا بِاللهِ ثَمَنًا، يَقُولُ: لَا نَحْلِفُ كَاذِبَيْنِ عَلَىٰ عِوَضٍ نَأْخُذُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ مَالٍ نَذْهَبُ بِهِ، أَوْ لِحَقٍّ نَجْحَدُهُ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَوْصَىٰ إِلَيْنَا وَإِلَيْهِمْ وَصِيَّتَهُمْ..

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ يُقْسِمَانِ بِاللهِ لَا نَطْلُبُ بِإِقْسَامِنَا بِاللهِ عِوَضًا فَنَكْذِبُ فِيهَا لِأَحَدٍ، وَلَوْ كَانَ الَّذِي نُقْسِمُ بِهِ لَهُ ذَا قَرَابَةٍ مِنَّا..

﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ١٠٦﴾ إِنْ كَتَمْنَا شَهَادَةَ اللهِ عِنْدَنَا.

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٧﴾ [المائدة: ١٠٧].

﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ فَإِنِ اطُّلِعَ مِنْهُمَا، أَوْ ظَهَرَ.. وَأَصْلُ الْعَثْرِ: الْوُقُوعُ عَلَىٰ الشَّيْءِ وَالسُّقُوطُ عَلَيْهِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: عَثَرَتْ إِصْبَعُ فُلَانٍ بِكَذَا، إِذَا صَدَمَتْهُ وَأَصَابَتْهُ وَوَقَعَتْ عَلَيْهِ..

﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ فَإِنِ اطُّلِعَ مِنَ الْوَصِيَّيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرَ اللهُ أَمْرَهُمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَعْدَ حَلِفِهِمَا بِاللهِ: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١٠٦]، عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَوْجَبَا بِأَيْمَانِهِمَا الَّتِي حَلَفَا بِهَا إِثْمًا، وَذَلِكَ أَنْ يُطَّلَعَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا كَانَا كَاذِبَيْنِ فِي أَيْمَانِهِمَا بِاللهِ مَا خُنَّا، وَلَا بَدَّلْنَا، وَلَا غَيَّرْنَا، فَإِنْ وُجِدَا قَدْ خَانَا مِنْ مَالِ الْمَيِّتِ شَيْئًا، أَوْ غَيَّرَا وَصِيَّتَهُ، أَوْ بَدَّلَا، فَأَثِمَا بِذَلِكَ مِنْ حَلِفِهِمَا بِرَبِّهِمَا..

﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ مِنْ أَهْلِ الْمَيِّتِ..

﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ يَقُومَانِ مَقَامَ الْمُسْتَحِقِّ الْإِثْمَ فِيهِمَا بِخِيَانَتِهِمَا مَا خَانَا مِنْ مَالِ الْمَيِّتِ..

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتُحِقَّ فِيهِمُ الْإِثْمُ بِالْخِيَانَةِ، ثُمَّ حُذِفَ (الْإِثْمُ) وَأُقِيمَ مَقَامَهُ (الأوليان)، فَوُضِعَ (الْأَوْلَيَانِ) مَوْضِعَ (الْإِثْمِ) كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة: ١٩]، وَمَعْنَاهُ: أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَإِيمَانِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؟ وَكَمَا

قَالَ: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣].. وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿عَلَيْهِمُ﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَإِنَّ مَعْنَاهَا: فِيهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، يَعْنِي: فِي مُلْكِ سُلَيْمَانَ، وَكَمَا قَالَ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، فَـ (فِي) تُوضَعُ مَوْضِعَ (عَلَىٰ)، وَ (عَلَىٰ) فِي مَوْضِعِ (فِي)، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تُعَاقِبُ صَاحِبَتَهَا فِي الْكَلَامِ..

﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾ الْمُوصَىٰ إِلَيْهِمَا، الْأَوْلَىٰ بِالْمَيِّتِ مِنَ الْمُقْسِمَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ فَالْأَوْلَىٰ.. وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: الْأَوْلَىٰ بِالْيَمِينِ مِنْهُمَا فَالْأَوْلَىٰ، ثُمَّ حُذِفَ (مِنْهُمَا)، وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ فَتَقُولُ: فُلَانٌ أَفْضَلُ، وَهِيَ تُرِيدُ أَفْضَلُ مِنْكَ، وَذَلِكَ إِذَا وُضِعَ أَفْعَلُ مَوْضِعَ الْخَبَرِ، وَإِنْ وَقَعَ مَوْقِعَ الِاسْمِ وَأُدْخِلَتْ فِيهِ الْأَلِفُ وَاللَّامُ، فَعَلُوا ذَلِكَ أَيْضًا إِذَا كَانَ جَوَابًا لِكَلَامٍ قَدْ مَضَىٰ، فَقَالُوا: هَذَا الْأَفْضَلُ، وَهَذَا الْأَشْرَفُ يُرِيدُونَ هُوَ الْأَشْرَفُ مِنْكَ..

﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ فَيُقْسِمُ الْآخَرَانِ اللَّذَانِ يَقُومَانِ مَقَامَ اللَّذَيْنِ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا بِخِيَانَتِهِمَا مَالَ الْمَيِّتِ الْأَوْلَيَانِ بِالْيَمِينِ وَالْمَيِّتِ مِنَ الْخَائِنَيْنِ..

﴿لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ لَأَيْمَانُنَا أَحَقُّ مِنْ أَيْمَانِ الْمُقْسِمَيْنِ الْمُسْتَحِقَّيْنِ الْإِثْمَ وَأَيْمَانُهُمَا الْكَاذِبَةَ فِي أَنَّهُمَا قَدْ خَانَا فِي كَذَا وَكَذَا مِنْ مَالِ مَيِّتِنَا، وَكَذَا فِي أَيْمَانِهِمَا الَّتِي حَلَفَا بِهَا..

﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾ وَمَا تَجَاوَزْنَا الْحَقَّ فِي أَيْمَانِنَا.. وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ مَعْنَىٰ الِاعْتِدَاءِ: الْمُجَاوَزَةُ فِي الشَّيْءِ حَدَّهُ..

﴿إِنَّآ إِذًا﴾ إِنَّا إِنْ كُنَّا اعْتَدَيْنَا فِي أَيْمَانِنَا، فَحَلَفْنَا مُبْطِلَيْنِ فِيهَا كَاذِبَيْنِ..

﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المائدة: ١٠٧] لَمِنْ عِدَادِ مَنْ يَأْخُذُ مَا لَيْسَ لَهُ أَخْذُهُ، وَيَقْتَطِعُ بِأَيْمَانِهِ الْفَاجِرَةِ أَمْوَالَ النَّاسِ.

> ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [المائدة: ١٠٨].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الَّذِي قُلْتُ لَكُمْ فِي أَمْرِ الْأَوْصِيَاءِ، إِذَا ارْتَبْتُمْ فِي أَمْرِهِمْ وَاتَّهَمْتُمُوهُمْ بِخِيَانَةِ الْمَالِ مَنْ أَوْصَىٰ إِلَيْهِمْ، مِنْ حَبْسِهِمْ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَاسْتِحْلَافِكُمْ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ مَا ادَّعَىٰ قِبَلَهُمْ أَوْلِيَاءُ الْمَيِّتِ..

﴿أَدْنَىٰٓ﴾ أَقْرَبُ لَهُمْ..

﴿أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ أَنْ يَصْدُقُوا فِي أَيْمَانِهِمْ، وَلَا يَكْتُمُوا، وَيُقِرُّوا بِالْحَقِّ، وَلَا يَخُونُوا..

﴿أَوْ يَخَافُوٓاْ﴾ هَؤُلَاءِ الأَوْصِيَاءُ إِنْ عُثِرَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمُ اسْتَحَقُّوا إِثْمًا فِي أَيْمَانِهِمْ بِاللهِ..

﴿أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنُۢ﴾ أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ عَلَىٰ أَوْلِيَاءِ الْمَيِّتِ..

﴿بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْۗ﴾ الَّتِي عُثِرَ عَلَيْهَا أَنَّهَا كَذِبٌ، فَيَسْتَحِقُّوا بِهَا مَا ادَّعَوْا قِبَلَهُمْ مِنْ حُقُوقِهِمْ، فَيَصْدُقُوا حِينَئِذٍ فِي أَيْمَانِهِمْ وَشَهَادَتِهِمْ مَخَافَةَ الْفَضِيحَةِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَحَذَرًا أَنْ يُسْتَحَقَّ عَلَيْهِمْ مَا خَانُوا فِيهِ أَوْلِيَاءَ الْمَيِّتِ وَوَرَثَتَهُ..

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وَخَافُوا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَرَاقِبُوهُ فِي أَيْمَانِكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِهَا كَاذِبَةً، وَأَنْ تُذْهِبُوا بِهَا مَالَ مَنْ يَحْرُمُ عَلَيْكُمْ مَالُهُ، وَأَنْ تَخُونُوا مَنِ ائْتَمَنَكُمْ..

﴿وَٱسْمَعُواْۗ﴾ مَا يُقَالُ لَكُمْ وَمَا تُوعَظُونَ بِهِ، فَاعْمَلُوا بِهِ وَانْتَهُوا إِلَيْهِ..

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ١٠٨﴾ [المائدة: ١٠٨] وَاللهُ لَا يُوَفِّقُ مَنْ فَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، فَخَالَفَهُ وَأَطَاعَ الشَّيْطَانَ وَعَصَىٰ رَبَّهُ.. وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ: الْفَاسِقُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هُوَ الْكَاذِبُ، وَلَيْسَ الَّذِي قَالَ ابْنُ زَيْدٍ مِنْ ذَلِكَ عِنْدِي بِمَدْفُوعٍ، إِلَّا أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَمَّ الْخَبَرَ بِأَنَّهُ لَا يَهْدِي جَمِيعَ الْفُسَّاقِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْهُمْ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ بِخَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ، فَذَلِكَ عَلَىٰ مَعَانِي الْفِسْقِ كُلِّهَا حَتَّىٰ يُخَصِّصَ شَيْئًا مِنْهَا مَا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ، فَيُسَلَّمُ لَهُ.. وَلَا وَجْهَ لِدَعْوَىٰ مُدَّعٍ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ، لِأَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُقْضَىٰ عَلَىٰ حُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ إِلَّا بِخَبَرٍ يَقْطَعُ الْعُذْرَ، إِمَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ، أَوْ مِنْ عِنْدِ رَسُولِهِ ﷺ، أَوْ بِوُرُودِ النَّقْلِ الْمُسْتَفِيضِ بِذَلِكَ، فَأَمَّا وَلَا خَبَرَ بِذَلِكَ، وَلَا يَدْفَعُ صِحَّتَهُ عَقْلٌ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُقْضَىٰ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ مَنْسُوخٌ.

﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ١٠٩﴾

[المائدة: ١٠٩].

﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ وَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَاسْمَعُوا وَعْظَهُ إِيَّاكُمْ، وَتَذْكِيرَهُ لَكُمْ، وَاحْذَرُوا ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾، ثُمَّ حَذَفَ (وَاحْذَرُوا) وَاكْتَفَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْۗ﴾ [المائدة: ١٠٨] عَنْ إِظْهَارِهِ، فَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ حَذَفَ (وَاحْذَرُوا) لِعِلْمِ السَّامِعِ مَعْنَاهُ، اكْتِفَاءً بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْۗ﴾ [المائدة: ١٠٨]، إِذْ كَانَ ذَلِكَ تَحْذِيرًا مِنْ أَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ خَلْقَهُ عِقَابَهُ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ..

﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ﴾ مَا الَّذِي أَجَابَتْكُمْ بِهِ أُمَمُكُمْ حِينَ دَعَوْتُمُوهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِي وَالْإِقْرَارِ

بِي وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِي وَالِانْتِهَاءِ عَنْ مَعْصِيَتِي؟..

﴿قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ إِلَّا عِلْمٌ أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا، لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا..

﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝١٠٩﴾ [المائدة: ١٠٩] أَيْ أَنَّكَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ مَا عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ ذَلِكَ وَلَا غَيْرُهُ مِنْ خَفِيِّ الْعُلُومِ وَجَلِيِّهَا.. فَإِنَّمَا نَفَىٰ الْقَوْمُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ بِمَا سُئِلُوا عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ عِلْمٌ لَا يَعْلَمُهُ هُوَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، لَا أَنَّهُمْ نَفَوْا أَنْ يَكُونُوا عَلِمُوا مَا شَاهَدُوا، كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَهُوَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ يُخْبِرُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يُخْبِرُونَ بِمَا أَجَابَتْهُمْ بِهِ الْأُمَمُ، وَأَنَّهُمْ سَيَشْهَدُونَ عَلَىٰ تَبْلِيغِهِمُ الرِّسَالَةَ شُهَدَاءَ، فَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١١٠﴾ [المائدة: ١١٠].

﴿إِذْ﴾ مِنْ صِلَةِ ﴿أُجِبْتُمْ﴾، كَأَنَّ مَعْنَاهَا: مَاذَا أَجَابَتْ عِيسَىٰ الْأُمَمُ الَّتِي أُرْسِلَ إِلَيْهَا عِيسَىٰ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ سُئِلَتِ الرُّسُلُ عَنْ إِجَابَةِ الْأُمَمِ إِيَّاهَا فِي عَهْدِ عِيسَىٰ، وَلَمْ يَكُنْ فِي عَهْدِ عِيسَىٰ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا أَقَلَّ ذَلِكَ؟ قِيلَ: جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ الرُّسُلَ الَّذِينَ كَانُوا أُرْسِلُوا فِي عَهْدِ عِيسَ، فَخَرَجَ الْخَبَرُ مَخْرَجَ الْجَمِيعِ، وَالْمُرَادُ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ فِي عَهْدِ عِيسَىٰ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾، وَالْمُرَادُ: وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُ الْكَلَامِ عَلَىٰ جَمِيعِ النَّاسِ..

﴿قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ يَا عِيسَىٰ، اذْكُرْ أَيَادِيَّ عِنْدَكَ وَعِنْدَ وَالِدَتِكَ..

﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾ إِذْ قَوَّيْتُكَ، وَأَعَنْتُكَ..

﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ بِجِبْرِيلَ..

﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾ فِي حَالِ تَكْلِيمِكَ النَّاسَ..

﴿فِي ٱلْمَهْدِ﴾ صَغِيرًا..

﴿وَكَهْلًا﴾ كَبِيرًا..

﴿وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ أَيْضًا نِعْمَتِي عَلَيْكَ إِذْ..

﴿عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَهُوَ الْخَطُّ..

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ وَهِيَ الْفَهْمُ بِمَعَانِي..

﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ..

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ﴾ تَعْمَلُ وَتُصْلِحُ مِنَ الطِّينِ..

﴿كَهَيْـَٔةِ﴾ كَصُورَةِ..

﴿ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ بِعَوْنِي عَلَىٰ ذَلِكَ وَعِلْمٍ مِنِّي.

﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ فِي الْهَيْئَةِ..

﴿فَتَكُونُ﴾ الْهَيْئَةُ وَالصُّورَةُ..

﴿طَيْرًۢا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ﴾ وَتَشْفِي..

﴿ٱلْأَكْمَهَ﴾ الْأَعْمَىٰ الَّذِي لَا يُبْصِرُ شَيْئًا، الْمَطْمُوسَ الْبَصَرِ..

﴿وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾ وَقَدْ بَيَّنْتُ مَعَانِيَ هَذِهِ الْحُرُوفِ فِيمَا مَضَىٰ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا مُفَسَّرًا بِشَوَاهِدِهِ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ أَيْضًا نِعْمَتِي عَلَيْكَ إِذْ..

﴿كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ وَقَدْ هَمُّوا بِقَتْلِكَ..

﴿إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْأَدِلَّةِ وَالْأَعْلَامِ الْمُعْجِزَةِ عَلَىٰ نُبُوَّتِكَ وَحَقِّيَّةِ مَا أَرْسَلْتُكَ بِهِ إِلَيْهِمْ..

﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وَجَحَدُوا نُبُوَّتَكَ وَكَذَّبُوكَ..

﴿مِنْهُمْ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝﴾ [المائدة: ١١٠] وكُلُّ مَنْ كَانَ مَوْصُوفًا بِفِعْلِ السِّحْرِ فَهُوَ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ سَاحِرٌ، وَمَنْ كَانَ مَوْصُوفًا بِأَنَّهُ سَاحِرٌ فَإِنَّهُ مَوْصُوفٌ بِفِعْلِ السِّحْرِ، فَالْفِعْلُ دَالٌّ عَلَىٰ فَاعِلِهِ وَالصِّفَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ مَوْصُوفِهَا، وَالْمَوْصُوفُ يَدُلُّ عَلَىٰ صِفَتِهِ وَالْفَاعِلُ يَدُلُّ عَلَىٰ فِعْلِهِ، فَبِأَيِّ ذَلِكَ

قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِي قِرَاءَتِهِ.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة: ١١١].

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾ وَاذْكُرْ أَيْضًا يَا عِيسَىٰ إِذْ قَذَفْتُ، وَأَلْقَيْتُ، وَأَلْهَمْتُ..

﴿إِلَى﴾ فِي قُلُوبِ..

﴿الْحَوَارِيِّينَ﴾ وَهُمْ وزَرَاءُ عِيسَىٰ عَلَىٰ دِينِهِ، وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ ذَلِكَ، وَلِمَ قِيلَ لَهُمُ الْحَوَارِيُّونَ فِيمَا مَضَىٰ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ..

﴿أَنْ آمِنُوا﴾ أَنْ صَدِّقُوا..

﴿بِي وَبِرَسُولِي﴾ عِيسَىٰ، فَـ..

﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ صَدَّقْنَا بِمَا أَمَرْتَنَا أَنْ نُؤْمِنَ يَا رَبَّنَا..

﴿وَاشْهَدْ﴾ عَلَيْنَا..

﴿بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة: ١١١] خَاضِعُونَ لَكَ بِالذِّلَّةِ سَامِعُونَ، مُطِيعُونَ لِأَمْرِكَ.

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المائدة: ١١٢].

﴿إِذْ﴾ وَاذْكُرْ يَا عِيسَىٰ أَيْضًا نِعْمَتِي عَلَيْكَ، إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي، إِذْ.. فَـ ﴿إِذْ﴾ الثَّانِيَةُ مِنْ صِلَةِ ﴿أَوْحَيْتُ﴾..

﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ هَلْ يَسْتَجِيبُ لَكَ إِنْ سَأَلْتَهُ ذَلِكَ وَيُطِيعُكَ فِيهِ؟ وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُ قَارِئِهِ كَذَلِكَ كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ: أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْهَضَ مَعَنَا فِي كَذَا؟ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ، وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا يُرِيدُ: أَتَنْهَضُ مَعَنَا فِيهِ؟..

﴿أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾ المائدة: الْمُطْعِمَةُ، وسُمِّيَتِ (الْخِوَانِ) بِذَلِكَ، لِأَنَّهَا تُطْعِمُ الْآكِلَ مِمَّا عَلَيْهَا..

﴿مِنَ السَّمَاءِ قَالَ﴾ عِيسَىٰ لَهُمْ عِنْدَ قِيلِهِمْ ذَلِكَ لَهُ اسْتِعْظَامًا مِنْهُ لِمَا قَالُوا..

﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ رَاقِبُوا اللهَ أَيُّهَا الْقَوْمُ، وَخَافُوا أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ مِنَ اللهِ عُقُوبَةٌ عَلَىٰ قَوْلِكُمْ هَذَا، فَإِنَّ

اللهَ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَفِي شَكِّكُمْ فِي قُدْرَةِ اللهِ عَلَىٰ إِنْزَالِ مَائِدَةٍ مِنَ السَّمَاءِ كُفْرٌ بِهِ، فَاتَّقُوا اللهَ أَنْ يُنَزِّلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ..

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المائدة: ١١٢] إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ عَلَىٰ مَا أَتَوَعَّدُكُمْ بِهِ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ إِيَّاكُمْ عَلَىٰ قَوْلِكُمْ: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾.. فَبَيِّنٌ إِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ كَرِهَ مِنْهُمْ مَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَعْظَمَهُ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّوْبَةِ وَمُرَاجَعَةِ الْإِيمَانِ مِنْ قِيلِهِمْ ذَلِكَ، وَالْإِقْرَارِ لِلَّهِ بِالْقُدْرَةِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ فِيمَا أَخْبَرَهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ مِنَ الْأَخْبَارِ.

﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المائدة: ١١٣].

﴿قَالُوا﴾ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ مُجِيبِي عِيسَىٰ عَلَىٰ قَوْلِهِ لَهُمْ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ فِي قَوْلِكُمْ ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾: إِنَّا إِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ وَسَأَلْنَاكَ أَنْ تَسْأَلَ لَنَا رَبَّنَا..

﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ مِنَ الْمَائِدَةِ، فَنَعْلَمَ يَقِينًا قُدْرَتَهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ..

﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ وَتَسْكُنَ قُلُوبُنَا وَتَسْتَقِرَّ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَىٰ كُلِّ مَا شَاءَ وَأَرَادَ..

﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ وَنَعْلَمَ أَنَّكَ لَمْ تَكْذِبْنَا فِي خَبَرِكَ أَنَّكَ لِلَّهِ رَسُولٌ مُرْسَلٌ، وَنَبِيٌّ مَبْعُوثٌ..

﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا﴾ وَنَكُونَ عَلَىٰ الْمَائِدَةِ..

﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المائدة: ١١٣] مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَهَا حُجَّةً لِنَفْسِهِ عَلَيْنَا فِي تَوْحِيدِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَىٰ مَا شَاءَ، وَلَكَ عَلَىٰ صِدْقِكَ فِي نُبُوَّتِكَ.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة: ١١٤].

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ نَبِيِّهِ عِيسَىٰ ﷺ أَنَّهُ أَجَابَ الْقَوْمَ إِلَىٰ مَا سَأَلُوهُ مِنْ مَسْأَلَةِ رَبِّهِ مَائِدَةً تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ.. فَيُقَالُ: كَانَ عَلَيْهَا مَأْكُولٌ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ سَمَكًا وَخُبْزًا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ ثَمَرًا مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ، وَغَيْرُ نَافِعِ الْعِلْمُ بِهِ وَلَا ضَارٌّ الْجَهْلُ بِهِ، إِذَا أَقَرَّ تَالِي الْآيَةِ بِظَاهِرِ مَا احْتَمَلَهُ التَّنْزِيلُ.. وَاللهُ تَعَالَىٰ

أَنْزَلَ الْمَائِدَةَ عَلَىٰ الَّذِينَ سَأَلُوا عِيسَىٰ مَسْأَلَتَهُ ذَلِكَ رَبَّهُ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يَخْلُفُ وَعْدَهُ وَلَا يَقَعُ فِي خَبَرِهِ الْخُلْفُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا فِي كِتَابِهِ عَنْ إِجَابَةِ نَبِيِّهِ عِيسَىٰ ﷺ حِينَ سَأَلَهُ مَا سَأَلَهُ مِنْ ذَلِكَ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١١٥]، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَقُولَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١١٥]، ثُمَّ لَا يُنَزِّلُهَا، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْهُ تَعَالَىٰ خَبَرٌ، وَلَا يَكُونُ مِنْهُ خِلَافُ مَا يُخْبِرُ، وَلَوْ جَازَ أَنْ يَقُولَ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١١٥]، ثُمَّ لَا يُنَزِّلُهَا عَلَيْهِمْ، جَازَ أَنْ يَقُولَ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ١١٥﴾ [المائدة: ١١٥]، ثُمَّ يَكْفُرُ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَا يُعَذِّبُهُ، فَلَا يَكُونُ لِوَعْدِهِ وَلَا لِوَعِيدِهِ حَقِيقَةٌ وَلَا صِحَّةٌ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُوصَفَ رَبُّنَا تَعَالَىٰ بِذَلِكَ..

﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ نَعْبُدُ رَبَّنَا فِي الْيَوْمِ الَّذِي تَنْزِلُ فِيهِ، وَنُصَلِّي لَهُ فِيهِ، كَمَا يُعَيِّدُ النَّاسُ فِي أَعْيَادِهِمْ؛ لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ الْمُسْتَعْمَلِ بَيْنَهُمْ فِي الْعِيدِ مَا ذَكَرْنَا دُونَ الْقَوْلِ الَّذِي قَالَهُ مَنْ قَالَ مَعْنَاهُ: عَائِدَةٌ مِنَ اللهِ عَلَيْنَا، وَتَوْجِيهُ مَعَانِي كَلَامِ اللهِ إِلَىٰ الْمَعْرُوفِ مِنْ كَلَامِ مَنْ خُوطِبَ بِهِ أَوْلَىٰ مِنْ تَوْجِيهِهِ إِلَىٰ الْمَجْهُولِ مِنْهُ مَا وُجِدَ إِلَيْهِ السَّبِيلُ..

﴿لِّأَوَّلِنَا﴾ لِلْأَحْيَاءِ مِنَّا الْيَوْمَ..

﴿وَءَاخِرِنَا﴾ وَمَنْ يَجِيءُ بَعْدَنَا مِنَّا لِلْعِلَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْأَغْلَبُ مِنْ مَعْنَاهُ..

﴿وَءَايَةً﴾ وَعَلَامَةً وَحُجَّةً..

﴿مِّنكَ﴾ يَا رَبِّ عَلَىٰ عِبَادِكَ فِي وَحْدَانِيَّتِكَ، وَفِي صِدْقِي عَلَىٰ أَنِّي رَسُولٌ إِلَيْهِمْ بِمَا أَرْسَلْتَنِي بِهِ..

﴿وَٱرْزُقْنَا﴾ وَأَعْطِنَا مِنْ عَطَائِكَ..

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤﴾ [المائدة: ١١٤] فَإِنَّكَ يَا رَبِّ خَيْرُ مَنْ يُعْطِي، وَأَجْوَدُ مَنْ تَفَضَّلَ، لِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ عَطَاءَهُ مَنٌّ وَلَا نَكَدٌ.

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ١١٥﴾ [المائدة: ١١٥].

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ وَهَذَا جَوَابٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ الْقَوْمَ فِيمَا سَأَلُوا نَبِيَّهُمْ عِيسَىٰ مَسْأَلَةَ رَبِّهِمْ مِنْ إِنْزَالِهِ مَائِدَةً عَلَيْهِمْ، فَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْحَوَارِيُّونَ فَمُطْعِمُكُوهَا..

﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ فَمَنْ يَجْحَدْ بَعْدَ إِنْزَالِهَا عَلَيْكُمْ وَإِطْعَامُكُمُوهَا مِنْكُمْ رِسَالَتِي إِلَيْهِ، وَيُنْكِرُ نُبُوَّةَ نَبِيِّي عِيسَىٰ ﷺ، وَيُخَالِفُ طَاعَتِي فِيمَا أَمَرْتُهُ وَنَهَيْتُهُ..

﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٥] مِنْ عَالَمِي زَمَانِهِ، فَفَعَلَ الْقَوْمُ، فَجَحَدُوا وَكَفَرُوا بَعْدَمَا أُنْزِلَتْ عَلَيْهِمْ فِيمَا ذُكِرَ لَنَا، فَعُذِّبُوا فِيمَا بَلَغَنَا بِأَنْ مُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: ١١٦].

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ قَالَ ذَلِكَ لِعِيسَىٰ حِينَ رَفَعَهُ إِلَيْهِ، وَأَنَّ الْخَبَرَ خَبَرٌ عَمَّا مَضَىٰ لِعِلَّتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا: أَنَّ (إِذْ) إِنَّمَا تُصَاحِبُ فِي الْأَغْلَبِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ الْمُسْتَعْمَلِ بَيْنَهَا الْمَاضِيَ مِنَ الْفِعْلِ، وَإِنْ كَانَتْ قَدْ تَدْخُلُهَا أَحْيَانًا فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ عَمَّا يَحْدُثُ إِذَا عَرَفَ السَّامِعُونَ مَعْنَاهَا، وَذَلِكَ غَيْرُ فَاشٍ وَلَا فَصِيحٍ فِي كَلَامِهِمْ، فَتَوْجِيهُ مَعَانِي كَلَامِ اللهِ تَعَالَىٰ إِلَىٰ الْأَشْهَرِ الْأَعْرَفِ مَا وُجِدَ إِلَيْهِ السَّبِيلُ أَوْلَىٰ مِنْ تَوْجِيهِهَا إِلَىٰ الْأَجْهَلِ الْأَنْكَرِ، وَالْأُخْرَىٰ: أَنَّ عِيسَىٰ لَمْ يَشُكَّ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ لِمُشْرِكٍ مَاتَ عَلَىٰ شِرْكِهِ، فَيَجُوزُ أَنْ يُتَوَهَّمَ عَلَىٰ عِيسَىٰ أَنْ يَقُولَ فِي الْآخِرَةِ مُجِيبًا لِرَبِّهِ تَعَالَىٰ: إِنْ تُعَذِّبْ مَنِ اتَّخَذَنِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِكَ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا كَانَ وَجْهُ سُؤَالِ اللهِ عِيسَىٰ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وَهُوَ الْعَالِمُ بِأَنَّ عِيسَىٰ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ؟ قِيلَ: يَحْتَمِلُ ذَلِكَ وَجْهَيْنِ مِنَ التَّأْوِيلِ: أَحَدُهُمَا: تَحْذِيرُ عِيسَىٰ عَنْ قِيلِ ذَلِكَ وَنَهْيُهُ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ لِآخَرَ: أَفَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ مِمَّا يَعْلَمُ الْمَقُولُ لَهُ ذَلِكَ أَنَّ الْقَائِلَ يَسْتَعْظِمُ فِعْلَ مَا قَالَ لَهُ: (أَفَعَلْتَهُ) عَلَىٰ وَجْهِ النَّهْيِ عَنْ فِعْلِهِ وَالتَّهْدِيدِ لَهُ فِيهِ، وَالْآخَرُ: إِعْلَامُهُ أَنَّ قَوْمَهُ الَّذِينَ فَارَقَهُمْ قَدْ خَالَفُوا عَهْدَهُ وَبَدَّلُوا دِينَهُمْ بَعْدَهُ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ جَامِعًا إِعْلَامَهُ حَالَهُمْ بَعْدَهُ وَتَحْذِيرَهُ لَهُ قِيلَهُ..

﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾ مَعْبُودَيْنِ..

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ تَعْبُدُونَهُمَا مِنْ دُونِ اللهِ؟..

﴿قَالَ﴾ عِيسَىٰ ﷺ متبرئًا إِلَيْهِ مِمَّا قَالَتْ فِيهِ وَفِي أُمِّهِ الْكَفَرَةُ مِنَ النَّصَارَىٰ أَنْ يَكُونَ دَعَاهُمْ إِلَيْهِ أَوْ أَمَرَهُمْ بِهِ، فَقَالَ..

﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ تَنْزِيهًا لَكَ يَا رَبِّ وَتَعْظِيمًا أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ أَوْ أَتَكَلَّمَ بِهِ..

﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾ لَيْسَ لِي أَنْ أَقُولَ ذَلِكَ لِأَنِّي عَبْدٌ مَخْلُوقٌ، وَأُمِّي أَمَةٌ لَكَ، فَهَلْ يَكُونُ لِلْعَبْدِ وَالْأَمَةِ ادِّعَاءُ رُبُوبِيَّةٍ؟..

﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ﴾ إِنَّكَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ عَالِمٌ أَنِّي لَمْ أَقُلْ ذَلِكَ وَلَمْ آمُرْهُمْ بِهِ..

﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾ إِنَّكَ يَا رَبِّ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ مَا أَضْمَرَتْهُ نَفْسِي مِمَّا لَمْ أَنْطِقْ بِهِ وَلَمْ أُظْهِرْهُ بِجَوَارِحِي، فَكَيْفَ بِمَا قَدْ نَطَقْتُ بِهِ وَأَظْهَرْتُهُ بِجَوَارِحِي؟ يَقُولُ: لَوْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ كُنْتَ قَدْ عَلِمْتَهُ، لِأَنَّكَ تَعْلَمُ ضَمَائِرَ النُّفُوسِ مِمَّا لَمْ تَنْطِقْ بِهِ، فَكَيْفَ بِمَا قَدْ نَطَقَتْ بِهِ؟..

﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ وَلَا أَعْلَمُ أَنَا مَا أَخْفَيْتَهُ عَنِّي فَلَمْ تُطْلِعْنِي عَلَيْهِ، لِأَنِّي إِنَّمَا أَعْلَمُ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا أَعْلَمْتَنِيهِ..

﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾ [المائدة: ١١٦] إِنَّكَ أَنْتَ الْعَالِمُ بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا سِوَاكَ وَلَا يَعْلَمُهَا غَيْرُكَ.

﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧﴾ [المائدة: ١١٧].

﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ قَوْلِ عِيسَىٰ يَقُولُ: مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا الَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ مِنَ الْقَوْلِ أَنْ أَقُولَهُ لَهُمْ، وَهُوَ..

﴿أَنِ﴾ قُلْتُ لَهُمْ..

﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ﴾ وَكُنْتُ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَهُ..

﴿شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ شَاهِدًا عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ أَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ..

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي﴾ فَلَمَّا قَبَضْتَنِي إِلَيْكَ..

﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ كُنْتَ أَنْتَ الْحَفِيظَ عَلَيْهِمْ دُونِي، لِأَنِّي إِنَّمَا شَهِدْتُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ مَا عَمِلُوهُ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ.. وَفِي هَذَا تِبْيَانٌ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِنَّمَا عَرَّفَهُ أَفْعَالَ الْقَوْمِ وَمَقَالَتَهُمْ بَعْدَمَا قَبَضَهُ إِلَيْهِ وَتَوَفَّاهُ بِقَوْلِهِ: «أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ»..

﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝١١٧﴾ [المائدة: ١١٧] وَأَنْتَ تَشْهَدُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ شَيْءٌ، وَأَمَّا أَنَا فَإِنَّمَا شَهِدْتُ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ، وَذَلِكَ مَا عَايَنْتُ وَأَنَا مُقِيمٌ بَيْنَ أَظْهُرِ الْقَوْمِ، فَإِنَّمَا أَنَا أَشْهَدُ عَلَىٰ ذَلِكَ الَّذِي عَايَنْتُ وَرَأَيْتُ وَشَهِدْتُ.

﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١١٨﴾ [المائدة: ١١٨].

﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ﴾ إِنْ تُعَذِّبْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا هَذِهِ الْمَقَالَةَ بِإِمَاتَتِكَ إِيَّاهُمْ عَلَيْهَا..

﴿فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾ مُسْتَسْلِمُونَ لَكَ، لَا يَمْتَنِعُونَ مِمَّا أَرَدْتَ بِهِمْ، وَلَا يَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا أَمْرًا تَنَالُهُمْ بِهِ..

﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ بِهِدَايَتِكَ إِيَّاهُمْ إِلَىٰ التَّوْبَةِ مِنْهَا فَتَسْتُرَ عَلَيْهِمْ..

﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ أَرَادَ الِانْتِقَامَ مِنْهُ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ يَدْفَعُهُ عَنْهُ..

﴿ٱلۡحَكِيمُ ۝١١٨﴾ [المائدة: ١١٨] فِي هِدَايَتِهِ مَنْ هَدَىٰ مِنْ خَلْقِهِ إِلَىٰ التَّوْبَةِ، وَتَوْفِيقِهِ مَنْ وَفَّقَ مِنْهُمْ لِسَبِيلِ النَّجَاةِ مِنَ الْعِقَابِ.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١١٩﴾ [المائدة: ١١٩].

﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾ لِعِيسَىٰ..

﴿هَٰذَا﴾ الْقَوْلُ النَّافِعُ فِي..

﴿يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿صِدۡقُهُمۡۚ﴾ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ اللهِ..

﴿لَهُمۡ﴾ لِلصَّادِقِينَ فِي الدُّنْيَا..

﴿جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ فِي الْآخِرَةِ، ثَوَابًا لَهُمْ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْ صِدْقِهِمُ الَّذِي صَدَقُوا اللهَ فِيمَا وَعَدُوهُ، فَوَفَّوْا بِهِ لِلَّهِ، فَوَفَّىٰ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ مَا وَعَدَهُمْ مِنْ ثَوَابِهِ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ بَاقِينَ فِي الْجَنَّاتِ الَّتِي أَعْطَاهُمُوهَا أَبَدًا دَائِمًا، لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ لَا يَنْتَقِلُ عَنْهُمْ وَلَا يَزُولُ.. وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ الْخُلُودِ: الدَّوَامُ وَالْبَقَاءُ

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ رَضِيَ اللهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي الْوَفَاءِ لَهُ بِمَا وَعَدُوهُ مِنَ

الْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ..

﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ وَرَضُوا هُمْ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي وَفَائِهِ لَهُمْ بِمَا وَعَدَهُمْ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ، فِيمَا أَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِهِ..

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١١٩﴾ [المائدة: ١١٩] هَذَا الَّذِي أَعْطَاهُمُ اللهُ مِنَ الْجَنَّاتِ الَّتِي تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، خَالِدِينَ فِيهَا، مَرْضِيًّا عَنْهُمْ، وَرَاضِينَ عَنْ رَبِّهِمْ، هُوَ الظَّفَرُ الْعَظِيمُ بِالطَّلِبَةِ وَإِدْرَاكِ الْحَاجَةِ الَّتِي كَانُوا يَطْلُبُونَهَا فِي الدُّنْيَا، وَلَهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِيهَا، فَنَالُوا مَا طَلَبُوا وَأَدْرَكُوا مَا أَمَّلُوا.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ١٢٠﴾ [المائدة: ١٢٠].

﴿لِلَّهِ﴾ أَيُّهَا النَّصَارَىٰ..

﴿مُلْكُ﴾ سُلْطَانُ..

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ دُونَ عِيسَىٰ الَّذِينَ تَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِلَهُكُمْ، وَدُونَ أُمِّهِ، وَدُونَ جَمِيعِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَمَا فِيهِنَّ وَعِيسَىٰ وَأُمُّهُ مِنْ بَعْضِ ذَلِكَ بِالْحُلُولِ وَالِانْتِقَالِ، يَدُلَّانِ بِكَوْنِهِمَا فِي الْمَكَانِ الَّذِي هُمَا فِيهِ بِالْحُلُولِ فِيهِ وَالِانْتِقَالِ أَنَّهُمَا عَبْدَانِ مَمْلُوكَانِ لِمَنْ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ، يُنَبِّهُهُمْ وَجَمِيعَ خَلْقِهِ عَلَىٰ مَوْضِعِ حُجَّتِهِ عَلَيْهِمْ لِيَدَّبَرُوهُ وَيَعْتَبِرُوهُ، فَيَعْقِلُوا عَنْهُ..

﴿وَهُوَ﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ..

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ١٢٠﴾ [المائدة: ١٢٠] قَادِرٌ عَلَىٰ إِفْنَائِهِنَّ وَعَلَىٰ إِهْلَاكِهِنَّ وَإِهْلَاكِ عِيسَىٰ وَأُمِّهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا، كَمَا ابْتَدَأَ خَلْقَهُمْ، لَا يُعْجِزُهُ ذَلِكَ وَلَا شَيْءٌ أَرَادَهُ؛ لِأَنَّ قُدْرَتَهُ الْقُدْرَةُ الَّتِي لَا يُشْبِهُهَا قُدْرَةٌ، وَسُلْطَانُهُ السُّلْطَانُ الَّذِي لَا يُشْبِهُهُ سُلْطَانٌ وَلَا مَمْلَكَةٌ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ المَائِدَةِ

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَنْعَامِ (٦) مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَسِتُّونَ وَمِائَةٌ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ①﴾ [الأنعام: ١].

﴿ٱلْحَمْدُ﴾ الْكَامِلُ..

﴿لِلَّهِ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، دُونَ جَمِيعِ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ، وَدُونَ مَا سِوَاهُ مِمَّا تَعْبُدُهُ كَفَرَةُ خَلْقِهِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ.. وَهَذَا كَلَامٌ مَخْرَجُهُ مَخْرَجُ الْخَبَرِ يُنْحَىٰ بِهِ نَحْوَ الْأَمْرِ، يَقُولُ: أَخْلِصُوا الْحَمْدَ وَالشُّكْرَ لِـ..

﴿ٱلَّذِى﴾ خَلَقَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَ..

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وَلَا تُشْرِكُوا مَعَهُ فِي ذَٰلِكَ أَحَدًا شَيْئًا، فَإِنَّهُ الْمُسْتَوْجِبُ عَلَيْكُمُ الْحَمْدَ بِأَيَادِيهِ عِنْدَكُمْ وَنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ، لَا مَنْ تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِهِ وَتَجْعَلُونَهُ لَهُ شَرِيكًا مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ وَ أَظْلَمَ اللَّيْلَ..

﴿وَٱلنُّورَ﴾ وَأَنَارَ النَّهَارَ..

﴿ثُمَّ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُعَجِّبًا خَلْقَهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كَفَرَةِ عِبَادِهِ، وَمُحْتَجًّا عَلَىٰ الْكَافِرِينَ: إِنَّ الْإِلَهَ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ حَمْدُهُ، هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، الَّذِي جَعَلَ مِنْهُمَا مَعَايِشَكُمْ وَأَقْوَاتَكُمْ وَأَقْوَاتَ أَنْعَامِكُمُ الَّتِي بِهَا حَيَاتُكُمْ، فَمِنَ السَّمَوَاتِ يَنْزِلُ عَلَيْكُمُ الْغَيْثُ، وَفِيهَا تَجْرِي الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِاعْتِقَابٍ وَاخْتِلَافٍ لِمَصَالِحِكُمْ، وَمِنَ الْأَرْضِ يَنْبُتُ الْحَبُّ الَّذِي بِهِ غِذَاؤُكُمْ، وَالثِّمَارُ الَّتِي فِيهَا مَلَاذُّكُمْ، مَعَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي فِيهَا مَصَالِحُكُمْ وَمَنَافِعُكُمْ بِهَا..

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِمْ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ خَلْقِ ذَلِكَ لَهُمْ وَلَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ.. فَعَمَّ بِذَلِكَ جَمِيعَ الْكُفَّارِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْهُمْ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ، فَجَمِيعُهُمْ دَاخِلُونَ فِي ذَلِكَ: يَهُودُهُمْ، وَنَصَارَاهُمْ، وَمَجُوسُهُمْ، وَعَبَدَةُ الْأَوْثَانِ مِنْهُمْ، وَمِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ أَصْنَافِ الْكُفْرِ..

﴿بِرَبِّهِمْ﴾ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ وَأَحْدَثَهُ..

﴿يَعْدِلُونَ ①﴾ [الأنعام: ١] يَجْعَلُونَ لَهُ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ، فَيَعْبُدُونَ مَعَهُ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ وَالْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ، وَلَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ شَرِكَهُ فِي خَلْقِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا فِي إِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ، بَلْ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَهُمْ يُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ غَيْرَهُ.. فَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَبْلَغَهَا مِنْ حُجَّةٍ وَأَوْجَزَهَا مِنْ عِظَةٍ، لِمَنْ فَكَّرَ فِيهَا بِعَقْلٍ وَتَدَبَّرَهَا بِفَهْمٍ، وَلَقَدْ قِيلَ إِنَّهَا فَاتِحَةُ التَّوْرَاةِ، فَعَنْ كَعْبٍ، قَالَ: فَاتِحَةُ التَّوْرَاةِ فَاتِحَةُ الْأَنْعَامِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ①﴾.

> ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ②﴾ [الأنعام: ٢].

﴿هُوَ ٱلَّذِى﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَظْلَمَ لَيْلَهُمَا وَأَنَارَ نَهَارَهُمَا، فَكَفَرَ بِهِ مَعَ إِنْعَامِهِ عَلَيْهِمُ الْكَافِرُونَ، وَعَدَلُوا بِهِ مَنْ لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ، هُوَ الَّذِي..

﴿خَلَقَكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مِّن طِينٍ﴾ فالنَّاسَ وَلَدُ مَنْ خَلَقَهُ مِنْ طِينٍ، فَأَخْرَجَ ذَلِكَ مَخْرَجَ الْخِطَابِ لَهُمْ، إِذْ كَانُوا وَلَدَهُ..

﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ ثُمَّ قَضَى أَجَلَ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ وَهُوَ أَجَلُ الْبَعْثِ عِنْدَهُ، لِإِعَادَتِكُمْ أَحْيَاءً وَأَجْسَامًا كَالَّذِي كُنْتُمْ قَبْلَ مَمَاتِكُمْ.. وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ㉘﴾ [البقرة: ٢٨].. فَإِنَّهُ تَعَالَى نَبَّهَ خَلْقَهُ عَلَى مَوْضِعِ حُجَّتِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الَّذِي يَعْدِلُ بِهِ كُفَّارُكُمُ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَابْتَدَأَكُمْ وَأَنْشَأَكُمْ مِنْ طِينٍ، فَجَعَلَكُمْ صُوَرًا أَجْسَامًا أَحْيَاءً بَعْدَ إِذْ كُنْتُمْ طِينًا جَمَادًا، ثُمَّ قَضَى آجَالَ حَيَاتِكُمْ لِفَنَائِكُمْ وَمَمَاتِكُمْ، لِيُعِيدَكُمْ تُرَابًا وَطِينًا كَالَّذِي كُنْتُمْ قَبْلَ أَنْ يُنْشِئَكُمْ وَيَخْلُقَكُمْ..

﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ②﴾ [الأنعام: ٢] ثُمَّ أَنْتُمْ تَشُكُّونَ فِي قُدْرَةِ مَنْ قَدَرَ عَلَى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَإِظْلَامِ اللَّيْلِ وَإِنَارَةِ النَّهَارِ، وَخَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ حَتَّى صَيَّرَكُمْ بِالْهَيْئَةِ الَّتِي أَنْتُمْ بِهَا عَلَى إِنْشَائِهِ إِيَّاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ وَفَنَائِكُمْ، وَإِيجَادِهِ إِيَّاكُمْ بَعْدَ عَدَمِكُمْ.

> ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ③﴾ [الأنعام: ٣].

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ فَإِنَّ الَّذِي لَهُ الْأُلُوهَةُ الَّتِي لَا تَنْبَغِي لِغَيْرِهِ، الْمُسْتَحِقُّ عَلَيْكُمْ إِخْلَاصَ الْحَمْدِ لَهُ

بِآلَائِهِ عِنْدَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، الَّذِي يَعْدِلُ بِهِ كُفَّارُكُمْ مَنْ سِوَاهُ، هُوَ اللهُ، الَّذِي هُوَ..

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، يَقُولُ: فَرَبُّكُمُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ عَلَيْكُمُ الْحَمْدَ، وَيَجِبُ عَلَيْكُمْ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لَهُ، هُوَ هَذَا الَّذِي صِفَتُهُ، لَا مَنْ لَا يَقْدِرُ لَكُمْ عَلَىٰ ضَرٍّ، وَلَا نَفْعٍ، وَلَا يَعْمَلُ شَيْئًا، وَلَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ سُوءًا أُرِيدَ بِهَا..

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾ [الأنعام: ٣] وَيَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ وَتَجْرَحُونَ، فَيُحْصِي ذَلِكَ عَلَيْكُمْ لِيُجَازِيَكُمْ بِهِ عِنْدَ مَعَادِكُمْ إِلَيْهِ.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤﴾ [الأنعام: ٤].

﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾ وَمَا تَأْتِي هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ أَوْثَانَهُمْ وَآلِهَتَهُمْ..

﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ وحُجَّةٍ وَعَلَامَةٍ وَدِلَالَةٍ..

﴿مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ مِنْ حُجَجِ رَبِّهِمْ، وَدِلَالَاتِهِ، وَأَعْلَامِهِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَحَقِيقَةِ نُبُوَّتِكَ يَا مُحَمَّدُ، وَصِدْقِ مَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي..

﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤﴾ [الأنعام: ٤] إِلَّا أَعْرَضُوا عَنْهَا -يَعْنِي: عَنِ الْآيَةِ- فَصَدُّوا عَنْ قَبُولِهَا وَالْإِقْرَارِ بِمَا شَهِدَتْ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ وَدَلَّتْ عَلَىٰ صِحَّتِهِ، جَهْلًا مِنْهُمْ بِاللهِ وَاغْتِرَارًا بِحِلْمِهِ عَنْهُمْ.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٥﴾ [الأنعام: ٥].

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ فَقَدْ كَذَّبَ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِاللهِ..

﴿بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ وَذَلِكَ الْحَقُّ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، كَذَّبُوا بِهِ، وَجَحَدُوا نُبُوَّتَهُ لَمَّا جَاءَهُمْ، قَالَ اللهُ لَهُمْ مُتَوَعِّدًا عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ وَجُحُودِهِمْ نُبُوَّتَهُ..

﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ سَوْفَ يَأْتِي الْمُكَذِّبِينَ بِكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قَوْمِكَ وَغَيْرِهِمْ..

﴿أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٥﴾ [الأنعام: ٥] سَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَخْبَارُ اسْتِهْزَائِهِمْ بِمَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ مِنْ آيَاتِي وَأَدِلَّتِي الَّتِي آتَيْتُهُمْ، ثُمَّ وَفَىٰ لَهُمْ بِوَعِيدِهِ لَمَّا تَمَادَوْا فِي غَيِّهِمْ وَعَتَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، فَقَتَلَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ بِالسَّيْفِ.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ۝٦﴾

[الأنعام: ٦].

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أَلَمْ يَرَ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِآيَاتِي الْجَاحِدُونَ نُبُوَّتَكَ يَا مُحَمَّد..

﴿كَمْ﴾ كَثْرَة مَنْ..

﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ وَهُمُ الْأُمَمُ الَّذِينَ..

﴿مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ وَطَّأْتُ لَهُمُ الْبِلَادَ وَالْأَرْضَ وَطَاءَةً لَمْ أُوطِّئْهَا لَكُمْ، وَأَعْطَيْتُهُمْ فِيهَا مَا لَمْ أُعْطِكُمْ..

﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾ الْمَطَرَ..

﴿عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ غَزِيرَةً دَائِمَةً..

﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ﴾ فَأَخْرَجَتْ لَهُمُ الْأَشْجَارُ ثِمَارَهَا، وَأَعْطَتْهُمُ الْأَرْضُ رِيعَ نَبَاتِهَا، وَجَابُوا صُخُورَ جِبَالِهَا، وَدَرَّتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ بِأَمْطَارِهَا، وَتَفَجَّرَتْ مِنْ تَحْتِهِمْ عُيُونُ الْمِيَاهِ بِيَنَابِيعِهَا بِإِذْنِي..

﴿فَأَهْلَكْنَاهُم﴾ فَغَمَطُوا نِعْمَةَ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رَسُولَ خَالِقِهِمْ وَخَالَفُوا أَمْرَ بَارِئِهِمْ، وَبَغَوْا حَتَّىٰ حَقَّ عَلَيْهِمْ قَوْلِي، فَأَخَذْتُهُمْ..

﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ بِمَا اجْتَرَحُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَعَاقَبْتُهُمْ بِمَا اكْتَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ، وَأَهْلَكْتُ بَعْضَهُمْ بِالرَّجْفَةِ، وَبَعْضَهُمْ بِالصَّيْحَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ..

﴿وَأَنشَأْنَا﴾ وَأَحْدَثْنَا..

﴿مِن بَعْدِهِمْ﴾ الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ..

﴿قَرْنًا آخَرِينَ ۝٦﴾ [الأنعام: ٦] فَابْتَدَأْنَا سِوَاهُمْ.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾

[الأنعام: ٧].

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا﴾ هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْآلِهَةَ وَالْأَصْنَامَ، كَيْفَ يَتَفَقَّهُونَ الْآيَاتِ، أَمْ كَيْفَ يَسْتَدِلُّونَ عَلَىٰ بُطْلَانِ مَا هُمْ

عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَجُحُودِ نُبُوَّتِكَ بِحُجَجِ اللهِ وَآيَاتِهِ وَأَدِلَّتِهِ، وَهُمْ لِعِنَادِهِمُ الْحَقَّ وَبُعْدِهِمْ مِنَ الرُّشْدِ، وَلَوْ أَنْزَلْتُ..

﴿عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ الْوَحْيَ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ مَعَ رَسُولِي..

﴿كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ يُعَايِنُونَهُ..

﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ وَيَمَسُّونَهُ بِأَيْدِيهِمْ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَيَقْرَءُونَهُ مِنْهُ، مُعَلَّقًا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، بِحَقِيقَةِ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، وَصِحَّةِ مَا تَأْتِيهِمْ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِي وَتَنْزِيلِي..

﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ لَقَالَ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ بِي غَيْرِي، فَيُشْرِكُونَ فِي تَوْحِيدِي سِوَايَ..

﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ مَا هَذَا الَّذِي جِئْتَنَا بِهِ..

﴿إِلَّا سِحْرٌ﴾ سَحَرْتَ بِهِ أَعْيُنَنَا، لَيْسَتْ لَهُ حَقِيقَةٌ وَلَا صِحَّةٌ..

﴿مُّبِينٌ ۝٧﴾ [الأنعام: ٧] لِمَنْ تَدَبَّرَهُ وَتَأَمَّلَهُ أَنَّهُ سِحْرٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨﴾ [الأنعام: ٨].

﴿وَقَالُواْ﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِآيَاتِي الْعَادِلُونَ بِيَ الْأَنْدَادَ وَالْآلِهَةَ لَكَ، لَوْ دَعَوْتَهُمْ يَا مُحَمَّدُ إِلَىٰ تَوْحِيدِي وَالْإِقْرَارِ بِرُبُوبِيَّتِي، وَإِذَا أَتَيْتَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ بِمَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ، وَاحْتَجَجْتَ عَلَيْهِمْ بِمَا احْتَجَجْتَ عَلَيْهِمْ مِمَّا قَطَعْتَ بِهِ عُذْرَهُمْ..

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ هَلَّا نَزَلَ عَلَيْكَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ فِي صُورَتِهِ، يُصَدِّقُكَ عَلَىٰ مَا جِئْتَنَا بِهِ، وَيَشْهَدُ لَكَ بِحَقِيقَةِ مَا تَدَّعِي مِنْ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَكَ إِلَيْنَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ فِي قِيلِهِمْ لِنَبِيِّ اللهِ ﷺ: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧﴾ [الفرقان: ٧]..

﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ عَلَىٰ مَا سَأَلُوا ثُمَّ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي..

﴿لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ..

﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨﴾ [الأنعام: ٨] وَلَمْ يُنْظَرُوا فَيُؤَخَّرُوا بِالْعُقُوبَةِ مُرَاجَعَةَ التَّوْبَةِ، كَمَا فَعَلْتُ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي سَأَلَتِ الْآيَاتِ ثُمَّ كَفَرَتْ بَعْدَ مَجِيئِهَا مِنْ تَعْجِيلِ النِّقْمَةِ وَتَرْكِ الْإِنْظَارِ.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعام: ٩].

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ وَلَوْ جَعَلْنَا رَسُولَنَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِي، الْقَائِلِينَ: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ

مَلَكٌ بِتَصْدِيقِهِ..

﴿مَلَكًا﴾ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ، وَيَشْهَدُ بِتَصْدِيقِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَيَأْمُرُهُمْ بِاتِّبَاعِهِ..

﴿لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ فِي صُورَةِ رَجُلٍ مِنَ الْبَشَرِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَرَوْا الْمَلَكَ فِي صُورَتِهِ، يَقُولُ: وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَسَوَاءٌ أَنْزَلْتُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ مَلَكًا أَوْ بَشَرًا، إِذْ كُنْتُ إِذَا أَنْزَلْتُ عَلَيْهِمْ مَلَكًا إِنَّمَا أُنْزِلُهُ بِصُورَةِ إِنْسِيٍّ، وَحُجَجِي فِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ عَلَيْهِمْ ثَابِتَةٌ بِأَنَّكَ صَادِقٌ وَأَنَّ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ حَقٌّ..

﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا مِنَ السَّمَاءِ مُصَدِّقًا لَكَ يَا مُحَمَّدُ، شَاهِدًا لَكَ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِي الْجَاحِدِينَ آيَاتِكَ عَلَىٰ حَقِيقَةِ نُبُوَّتِكَ، فَجَعَلْنَاهُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي آدَمَ إِذْ كَانُوا لَا يُطِيقُونَ رُؤْيَةَ الْمَلَكِ بِصُورَتِهِ الَّتِي خَلَقْتُهُ بِهَا، لَالْتَبَسَ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُ، فَلَمْ يَدْرُوا مَلَكٌ هُوَ أَمْ إِنْسِيٌّ، فَلَمْ يُوقِنُوا بِهِ أَنَّهُ مَلَكٌ وَلَمْ يُصَدِّقُوا بِهِ، وَقَالُوا: لَيْسَ هَذَا مَلَكًا، وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ..

﴿مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعام: ٩] مَا يَلْبِسُونَهُ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مِنْ حَقِيقَةِ أَمْرِكَ وَصِحَّةِ بُرْهَانِكَ وَشَاهِدِكَ عَلَىٰ نُبُوَّتِكَ.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠﴾
[الأنعام: ١٠].

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مُسَلِّيًا عَنْهُ بِوَعِيدِهِ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِهِ عُقُوبَةَ مَا يَلْقَىٰ مِنْهُمْ مِنْ أَذَىٰ الِاسْتِهْزَاءِ بِهِ وَالِاسْتِخْفَافِ فِي ذَاتِ اللهِ: هَوِّنْ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مَا أَنْتَ لَاقٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِكَ الْمُسْتَخِفِّينَ بِحَقِّكَ فِي وَفِي طَاعَتِي، وَامْضِ لِمَا أَمَرْتُكَ بِهِ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَىٰ تَوْحِيدِي وَالْإِقْرَارِ بِي وَالْإِذْعَانِ لِطَاعَتِي فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَادَوْا فِي غَيِّهِمْ وَأَصَرُّوا عَلَىٰ الْمُقَامِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، نَسْلُكُ بِهِمْ سَبِيلَ أَسْلَافِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ غَيْرِهِمْ مِنْ تَعْجِيلِ النِّقْمَةِ لَهُمْ وَحُلُولِ الْمَثُلَاتِ بِهِمْ، فَقَدِ اسْتَهْزَأَتْ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكَ بِرُسُلٍ أَرْسَلْتُهُمْ إِلَيْهِمْ بِمِثْلِ الَّذِي أَرْسَلْتُكَ بِهِ إِلَىٰ قَوْمِكَ، وَفَعَلُوا مِثْلَ فِعْلِ قَوْمِكَ بِكَ..

﴿فَحَاقَ﴾ فَنَزَلَ وَأَحَاطَ..

﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟﴾ بِالَّذِينَ هَزِئُوا..

﴿مِنْهُم﴾ بِرُسُلِهِمْ وَ..

﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠﴾ [الأنعام: ١٠] مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي كَانُوا يَهْزَأُونَ بِهِ وَيُنْكِرُونَ أَنْ

يَكُونَ وَاقِعًا بِهِمْ عَلَىٰ مَا أَنْذَرَتْهُمْ رُسُلُهُمْ.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِي الْأَوْثَانَ وَالْأَنْدَادَ الْمُكَذِّبِينَ بِكَ الْجَاحِدِينَ حَقِيقَةَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي..

﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ جُولُوا فِي بِلَادِ الْمُكَذِّبِينَ رُسُلَهُمُ الْجَاحِدِينَ آيَاتِي مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ ضُرَبَائِهِمْ وَأَشْكَالِهِمْ مِنَ النَّاسِ..

﴿ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١] ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ أَعْقَبَهُمْ تَكْذِيبُهُمْ ذَلِكَ الْهَلَاكَ وَالْعَطَبَ وَخِزْيَ الدُّنْيَا وَعَارَهَا، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ سَخَطِ اللهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَوَارِ وَخَرَابِ الدِّيَارِ وَعَفْوِ الْآثَارِ، فَاعْتَبِرُوا بِهِ، إِنْ لَمْ تَنْهَكُمْ حُلُومُكُمْ، وَلَمْ تَزْجُرْكُمْ حُجَجُ اللهِ عَلَيْكُمْ، عَمَّا أَنْتُمْ مُقِيمُونَ عَلَيْهِ مِنَ التَّكْذِيبِ، فَاحْذَرُوا مِثْلَ مَصَارِعِهِمْ، وَاتَّقُوا أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ مِثْلُ الَّذِي حَلَّ بِهِمْ.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمْ..

﴿لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لِمَنْ مُلْكُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ..

﴿قُل لِّلَّهِ﴾ ثُمَّ أَخْبِرْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَعْبَدَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ بِمِلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، لَا لِلْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ، وَلَا لِمَا يَعْبُدُونَهُ وَيَتَّخِذُونَهُ إِلَاهًا مِنَ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَمْلِكُ لِأَنْفُسِهَا نَفْعًا، وَلَا تَدْفَعُ عَنْهَا ضَرًّا..

﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ قَضَىٰ أَنَّهُ بِعِبَادِهِ رَحِيمٌ، لَا يَعْجَلُ عَلَيْهِمْ بِالْعُقُوبَةِ وَيَقْبَلُ مِنْهُمُ الْإِنَابَةَ وَالتَّوْبَةَ، وَهَذَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ اسْتِعْطَافٌ لِلْمُعْرِضِينَ عَنْهُ إِلَىٰ الْإِقْبَالِ إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِي الْجَاحِدِينَ نُبُوَّتَكَ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَابُوا وَأَنَابُوا قُبِلَتْ تَوْبَتُهُمْ، وَإِنِّي قَدْ قَضَيْتُ فِي خَلْقِي أَنَّ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، كَالَّذِي قَالَ ﷺ: «**لَمَّا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْخَلْقِ كَتَبَ كِتَابًا: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**»..

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ اللهُ أَيُّهَا الْعَادِلُونَ بِاللهِ..

﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي..

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فَإِنَّهُ لَا شَكَّ فِي أَنَّ اللهَ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيَحْشُرُكُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا، ثُمَّ يُؤْتَىٰ كُلُّ عَامِلٍ مِنْكُمْ أَجْرَ مَا عَمِلَ مِنْ حَسَنٍ أَوْ سَيِّئٍ.

﴿الَّذِينَ﴾ الْعَادِلِينَ بِهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ.. يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: لَيَجْمَعَنَّ اللهُ الَّذِينَ..

﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ الَّذِينَ أَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ وَغَبَنُوهَا بِادِّعَائِهِمْ لِلَّهِ النِّدَّ وَالْعَدِيلَ، فَأَبْقَوْهَا بِإِيجَابِهِمْ سَخَطَ اللهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ فِي الْمَعَادِ..

﴿فَهُمْ﴾ لِإِهْلَاكِهِمْ أَنْفُسِهِمْ وَغَبْنِهِمْ إِيَّاهُ حَظَّهَا..

﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢] لَا يُوَحِّدُونَ اللهَ، وَلَا يُصَدِّقُونَ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَلَا يُقِرُّونَ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [الأنعام: ١٣].

﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ لَا يُؤْمِنُ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ، فَيُخْلِصُوا لَهُ التَّوْحِيدَ وَيُفْرِدُوا لَهُ الطَّاعَةَ وَيُقِرُّوا بِالْأُلُوهِيَّةِ جَهْلًا، وَلَهُ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ، لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ مِنْ خَلْقِ اللهِ إِلَّا وَهُوَ سَاكِنٌ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَمَعْلُومٌ بِذَلِكَ أَنَّ مَعْنَاهُ مَا وَصَفْنَا..

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِيهِ مِنِ ادِّعَائِهِمْ لَهُ شَرِيكًا، وَمَا يَقُولُ غَيْرُهُمْ مِنْ خِلَافِ ذَلِكَ..

﴿ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [الأنعام: ١٣] بِمَا يُضْمِرُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَمَا يُظْهِرُونَهُ بِجَوَارِحِهِمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَهُوَ يُحْصِيهِ عَلَيْهِمْ، لِيُوَفِّيَ كُلَّ إِنْسَانٍ ثَوَابَ مَا اكْتَسَبَ وَجَزَاءَ مَا عَمِلَ.

﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المائدة: ١٤].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، وَالْمُنْكِرِينَ عَلَيْكَ إِخْلَاصَ التَّوْحِيدِ لِرَبِّكَ، الدَّاعِينَ إِلَىٰ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ﴾ أَشْيْئًا غَيْرَ اللهِ تَعَالَىٰ..

﴿أَتَّخِذُ وَلِيّٗا﴾ وَأَسْتَنْصِرُهُ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ النَّوَائِبِ وَالْحَوَادِثِ؟!

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ مُبْتَدِعِهِمَا وَمُبْتَدِئِهِمَا وَخَالِقِهِمَا..

﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ وَهُوَ يَرْزُقُ خَلْقَهُ وَلَا يُرْزَقُ، فَهُوَ يَرْزُقُنِي وَغَيْرِي، وَلَا يَرْزُقُهُ أَحَدٌ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ - أَيْضًا- لِلَّذِينَ يَدْعُونَكَ إِلَىٰ اتِّخَاذِ الْآلِهَةِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحُثُّونَكَ عَلَىٰ عِبَادَتِهَا..

﴿إِنِّيٓ أُمِرْتُ﴾ إِنِّي أَمَرَنِي رَبِّي..

﴿أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ وخَضَعَ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَتَذَلَّلَ لأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَانْقَادَ لَهُ مِنْ أَهْلِ دَهْرِي وَزَمَانِي..

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٤﴾ قُلْ: وَقِيلَ لِي: لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ شُرَكَاءَ.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾ [الأنعام: ١٥].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّد لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْعَادِلِينَ بِاللهِ الَّذِينَ يَدْعُونَكَ إِلَىٰ عِبَادَةِ أَوْثَانِهِمْ: إِنَّ رَبِّي نَهَانِي عَنْ عِبَادَةِ شَيْءٍ سِوَاهُ، وَ..

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ فَعَبَدْتُهَا..

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾ [الأنعام: ١٥] يَعْنِي: عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَوَصَفَهُ تَعَالَىٰ بِالْعِظَمِ لِعِظَمِ هَوْلِهِ وَفَظَاعَةِ شَأْنِهِ.

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦﴾ [الأنعام: ١٦].

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ عَذَابُهُ..

﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ﴾ وصَرْفُ اللهِ عَنْهُ الْعَذَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَرَحْمَتُهُ إِيَّاهُ..

﴿ٱلْفَوْزُ﴾ النَّجَاةُ مِنَ الْهَلَكَةِ وَالظَّفَرِ بِالطَّلِبَةِ..

﴿ٱلْمُبِينُ ۝١٦﴾ [الأنعام: ١٦] لِمَنْ رَآهُ أَنَّهُ الظَّفَرُ بِالْحَاجَةِ وَإِدْرَاكُ الطَّلِبَةِ.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧﴾ [الأنعام: ١٧].

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾ وإِنْ يُصِبْكَ..

﴿اللَّهُ﴾ يَا مُحَمَّد..

﴿بِضُرٍّ﴾ بِشِدَّةٍ وَشَظَفٍ فِي عَيْشِكَ وَضِيقٍ فِيهِ..

﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ فَلَنْ يَكْشِفَ ذَٰلِكَ عَنْكَ..

﴿إِلَّا هُوَ﴾ إِلَّا اللهُ الَّذِي أَمَرَكَ أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَأَذْعَنَ لَهُ مِنْ أَهْلِ زَمَانِكَ، دُونَ مَا يَدْعُوكَ الْعَادِلُونَ بِهِ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَدُونَ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهَا مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾ وَإِنْ يُصِبْكَ..

﴿بِخَيْرٍ﴾ وَبِرَخَاءٍ فِي عَيْشٍ وَسَعَةٍ فِي الرِّزْقِ وَكَثْرَةٍ فِي الْمَالِ، فَتُقِرُّ أَنَّهُ أَصَابَكَ بِذَلِكَ اللهُ الَّذِي أَصَابَكَ بِذَلِكَ..

﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٧﴾ [الأنعام: ١٧] فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ نَفْعِكَ وَضَرِّكَ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ يُرِيدُهُ قَادِرٌ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ يُرِيدُهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْهُ شَيْءٌ طَلَبَهُ، لَيْسَ كَالْآلِهَةِ الذَّلِيلَةِ الْمَهِينَةِ الَّتِي لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ اجْتِلَابِ نَفْعٍ عَلَىٰ أَنْفُسِهَا وَلَا غَيْرِهَا، وَلَا دَفْعِ ضُرٍّ عَنْهَا وَلَا غَيْرِهَا، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَكَيْفَ تَعْبُدُ مَنْ كَانَ هَكَذَا؟! أَمْ كَيْفَ لَا تُخْلِصُ الْعِبَادَةَ، وَتُقِرُّ لِمَنْ كَانَ بِيَدِهِ الضُّرُّ وَالنَّفْعُ وَالثَّوَابُ وَالْعِقَابُ وَلَهُ الْقُدْرَةُ الْكَامِلَةُ وَالْعِزَّةُ الظَّاهِرَةُ؟!

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام: ١٨].

﴿وَهُوَ﴾ اللهُ..

﴿الْقَاهِرُ﴾ الْمُذَلِّلُ الْمُسْتَعْبِدُ خَلْقَهُ الْعَالِي عَلَيْهِمْ..

﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ لِأَنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ تَعَالَىٰ بِقَهْرِهِ إِيَّاهُمْ، وَمِنْ صِفَةِ كُلِّ قَاهِرٍ شَيْئًا أَنْ يَكُونَ مُسْتَعْلِيًا عَلَيْهِ.. فَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِذَنْ: وَاللهُ الْغَالِبُ عِبَادَهُ، الْمُذِلُّ لَهُمْ، الْعَالِي عَلَيْهِمْ بِتَذْلِيلِهِ لَهُمْ وَخَلْقِهِ إِيَّاهُمْ، فَهُوَ فَوْقَهُمْ بِقَهْرِهِ إِيَّاهُمْ، وَهُمْ دُونَهُ..

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ وَاللهُ الْحَكِيمُ فِي عُلُوِّهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَقَهْرِهِ إِيَّاهُمْ بِقُدْرَتِهِ وَفِي سَائِرِ تَدْبِيرِهِ..

﴿الْخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام: ١٨] بِمَصَالِحِ الْأَشْيَاءِ وَمَضَارِّهَا، الَّذِي لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ عَوَاقِبُ الْأُمُورِ وَبَوَادِيهَا، وَلَا يَقَعُ فِي تَدْبِيرِهِ خَلَلٌ، وَلَا يَدْخُلُ حُكْمَهُ دَخَلٌ.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ١٩﴾

[الأنعام: ١٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ وَيَجْحَدُونَ نُبُوَّتَكَ مِنْ قَوْمِكَ..

﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ﴾ أَيُّ شَيْءٍ أَعْظَمُ شَهَادَةً وَأَكْبَرُ؟..

﴿قُلِ﴾ ثُمَّ أَخْبِرْهُمْ بِأَنَّ أَكْبَرَ الْأَشْيَاءِ شَهَادَةً هُوَ..

﴿ٱللَّهُ ۖ﴾ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ فِي شَهَادَتِهِ مَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ فِي شَهَادَةِ غَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ مِنَ السَّهْوِ وَالْخَطَأِ وَالْغَلَطِ وَالْكَذِبِ، ثُمَّ قُلْ لَهُمْ: إِنَّ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ الْأَشْيَاءِ شَهَادَةً..

﴿شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ﴾ بِالْمُحِقِّ مِنَّا مِنَ الْمُبْطِلِ، وَالرَّشِيدِ مِنَّا فِي فِعْلِهِ وَقَوْلِهِ مِنَ السَّفِيهِ، وَقَدْ رَضِينَا بِهِ حَكَمًا بَيْنَنَا..

﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ وَقُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَكَ: اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ عِقَابَهُ..

﴿وَمَنۢ بَلَغَ ۚ﴾ وَأُنْذِرُ بِهِ مَنْ بَلَغَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ غَيْرِكُمْ، إِنْ لَمْ يَنْتَهِ إِلَىٰ الْعَمَلِ بِمَا فِيهِ، وَتَحْلِيلِ حَلَالِهِ وَتَحْرِيمِ حَرَامِهِ، وَالْإِيمَانِ بِجَمِيعِهِ، نُزُولَ نِقْمَةِ اللهِ بِهِ..

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ﴾ قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْجَاحِدِينَ نُبُوَّتَكَ يَا مُحَمَّد، الْعَادِلِينَ بِاللهِ رَبًّا غَيْرَهُ: أَئِنَّكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ، وَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَهُ مَعْبُودَاتٍ غَيْرِهِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، ثُمَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَّآ أَشْهَدُ ۚ﴾ بِمَا تَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ، بَلْ أَجْحَدُ ذَلِكَ وَأُنْكِرُهُ..

﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ إِنَّمَا هُوَ مَعْبُودٌ وَاحِدٌ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِيمَا يَسْتَوْجِبُ عَلَىٰ خَلْقِهِ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَقُلْ..

﴿وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ١٩﴾ [الأنعام: ١٩] إِنَّنِي بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ شَرِيكٍ تَدْعُونَهُ لِلَّهِ، وَتُضِيفُونَهُ إِلَىٰ شِرْكَتِهِ، وَتَعْبُدُونَهُ مَعَهُ، لَا أَعْبُدُ سِوَىٰ اللهِ شَيْئًا، وَلَا أَدْعُو غَيْرَهُ إِلَاهًا.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠﴾ [الأنعام: ٢٠].

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ..

﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ يَعْرِفُونَ أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا جَمَاعَةَ الآلِهَةِ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ..

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ أَهْلَكُوهَا وَأَلْقَوْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ بِإِنْكَارِهِمْ مُحَمَّدًا أَنَّهُ لِلَّهِ رَسُولٌ مُرْسَلٌ، وَهُمْ بِحَقِيقَةِ ذَلِكَ عَارِفُونَ.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ خَسَارَتِهِمْ أَنْفُسَهُمْ: أَنَّ كُلَّ عَبْدٍ لَهُ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَعَلَ اللهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مَنَازِلَ أَهْلِ النَّارِ فِي الْجَنَّةِ، وَجَعَلَ لِأَهْلِ النَّارِ مَنَازِلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي النَّارِ، فَذَلِكَ خُسْرَانُ الْخَاسِرِينَ مِنْهُمْ لِبَيْعِهِمْ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بِمَنَازِلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ النَّارِ، بِمَا فَرَطَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ مَعْصِيَتِهِمُ اللهَ وَظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ، وَذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١١]..

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠﴾ [الأنعام: ٢٠] فَهُمْ بِخَسَارَتِهِمْ بِذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢١﴾ [الأنعام: ٢١].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ وَمَنْ أَشَدُّ اعْتِدَاءً، وَأَخْطَأُ فِعْلًا، وَأَخْطَلُ قَوْلًا..

﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ مِمَّنِ اخْتَلَقَ عَلَىٰ اللهِ قِيلَ بَاطِلٍ، وَاخْتَرَقَ مِنْ نَفْسِهِ عَلَيْهِ كَذِبًا، فَزَعَمَ أَنَّ لَهُ شَرِيكًا مِنْ خَلْقِهِ، وَإِلَاهًا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، كَمَا قَالَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، أَوِ ادَّعَىٰ لَهُ وَلَدًا أَوْ صَاحِبَةً، كَمَا قَالَتْهُ النَّصَارَىٰ..

﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ أَوْ كَذَّبَ بِحُجَجِهِ وَأَعْلَامِهِ وَأَدِلَّتِهِ الَّتِي أَعْطَاهَا رُسُلَهُ عَلَىٰ حَقِيقَةِ نُبُوَّتِهِمْ، كَمَا كَذَّبَتْ بِهَا الْيَهُودُ..

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢١﴾ [الأنعام: ٢١] الْقَائِلُونَ عَلَىٰ اللهِ الْبَاطِلَ، وَلَا يُدْرِكُونَ الْبَقَاءَ فِي الْجِنَانِ، وَالْمُفْتَرُونَ عَلَيْهِ الْكَذِبَ وَالْجَاحِدُونَ بِنُبُوَّةِ أَنْبِيَائِهِ.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٢٢﴾ [الأنعام: ٢٢].

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا، وَالْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِهِ، لَا يُفْلِحُونَ الْيَوْمَ فِي الدُّنْيَا، وَلَا فِي الْآخِرَةِ..

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ إِذَا حَشَرْنَا هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ بِادِّعَائِهِمْ لَهُ فِي سُلْطَانِهِ شَرِيكًا، وَالْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ، فَجَمَعْنَا جَمِيعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنعام: ٢٢] أَيْنَهُمْ لَكُمْ آلِهَةٌ مِنْ دُونِ اللهِ، افْتِرَاءً وَكَذِبًا، وَتَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِهِ أَرْبَابًا، فَأْتُوا بِهِمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣].

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ قِيلُهُمْ عِنْدَ فِتْنَتِنَا إِيَّاهُمُ اعْتِذَارًا مِمَّا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ، إِذْ قُلْنَا لَهُمْ: «أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ».. فَوُضِعَتِ الْفِتْنَةُ مَوْضِعَ الْقَوْلِ لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ مَعْنَى الْكَلَامِ، وَإِنَّمَا الْفِتْنَةُ: الِاخْتِبَارُ وَالِابْتِلَاءُ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ الْجَوَابُ مِنَ الْقَوْمِ غَيْرَ وَاقِعٍ هُنَالِكَ إِلَّا عِنْدَ الِاخْتِبَارِ، وُضِعَتِ الْفِتْنَةُ الَّتِي هِيَ الِاخْتِبَارُ مَوْضِعَ الْخَبَرِ عَنْ جَوَابِهِمْ وَمَعْذِرَتِهِمْ..

﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ كَذِبًا مِنْهُمْ فِي أَيْمَانِهِمْ عَلَى قِيلِهِمْ ذَلِكَ..

﴿وَٱللَّهِ﴾ يَا..

﴿رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣] مَا كُنَّا نَدْعُو لَكَ شَرِيكًا وَلَا نَدْعُو سِوَاكَ، فَنَفَوْا أَنْ يَكُونُوا قَالُوا ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا.. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ عِنْدَ مُعَايَنَتِهِمْ سَعَةَ رَحْمَةِ اللهِ يَوْمَئِذٍ، حِينَ رَأَوُا الذُّنُوبَ تُغْفَرُ، وَلَا يَغْفِرُ اللهُ لِمُشْرِكٍ، وحَينَ يُؤْمَرُ بِإِخْرَاجِ رِجَالٍ مِنَ النَّارِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، فَيَقُولُ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ: تَعَالَوْا نَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لَعَلَّنَا نَخْرُجُ مَعَ هَؤُلَاءِ، فَلَمْ يُصَدَّقُوا، فَحَلَفُوا: ﴿رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾، فَقَالَ اللهُ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنعام: ٢٤].

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنعام: ٢٤].

﴿ٱنظُرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ فَاعْلَمْ.. وَمَعْنَى النَّظَرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: النَّظَرُ بِالْقَلْبِ لَا النَّظَرُ بِالْبَصَرِ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: تَبَيَّنْ، فَاعْلَمْ..

﴿كَيْفَ كَذَبُواْ﴾ كَيْفَ كَذَبَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ فِي الْآخِرَةِ، عِنْدَ لِقَاءِ اللهِ.. وَقَالَ: ﴿كَذَبُواْ﴾، وَمَعْنَاهُ: يَكْذِبُونَ، لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْخَبَرُ قَدْ مَضَى فِي الْآيَةِ قَبْلَهَا صَارَ كَالشَّيْءِ الَّذِي قَدْ كَانَ وَوُجِدَ..

﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ﴾ بِقِيلِهِمْ: (وَاللهِ يَا رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)، وَاسْتَعْمَلُوا هُنَالِكَ الْأَخْلَاقَ الَّتِي كَانُوا بِهَا مُتَخَلِّقِينَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكَذِبِ وَالْفِرْيَةِ..

﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤﴾ [الأنعام: ٢٤] وَفَارَقَهُمُ الْأَنْدَادُ وَالْأَصْنَامُ، وَتَبَرَّأُوا مِنْهَا، فَسَلَكُوا غَيْرَ سَبِيلِهَا؛ لِأَنَّهَا هَلَكَتْ، وَأُعِيدَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا اجْتِرَاءً، ثُمَّ أُخِذُوا بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَهُ مِنْ قِيلِهِمْ فِيهَا عَلَىٰ اللهِ، وَعِبَادَتِهِمْ إِيَّاهَا، وَإِشْرَاكِهِمْ إِيَّاهَا فِي سُلْطَانِ اللهِ، فَضَلَّتْ عَنْهُمْ، وَعُوقِبَ عَابِدُوهَا بِفِرْيَتِهِمْ.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٥﴾ [الأنعام: ٢٥].

﴿وَمِنۡهُم﴾ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ﴾ مَنْ يَسْتَمِعُ الْقُرْآنَ مِنْكَ، وَيَسْتَمِعُ مَا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ رَبِّكَ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَلَا يَفْقَهُ مَا تَقُولُ وَلَا يَوْعِيهِ قَلْبُهُ، وَلَا يَتَدَبَّرُهُ، وَلَا يُصْغِي لَهُ سَمْعَهُ لِيَتَفَقَّهَهُ، فَيَفْهَمَ حُجَجَ اللهِ عَلَيْهِ فِي تَنْزِيلِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْكَ، إِنَّمَا يَسْمَعُ صَوْتَكَ وَقِرَاءَتَكَ وَكَلَامَكَ، وَلَا يَعْقِلُ عَنْكَ مَا تَقُولُ..

﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ﴾ لِأَنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَ عَلَىٰ قَلْبِهِ أَغْطِيَةً..

﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾ وَجَعَلَ فِي آذَانِهِمْ ثِقَلًا، وَصَمَمًا عَنْ فَهْمِ مَا تَتْلُو عَلَيْهِمْ، وَالْإِصْغَاءِ لِمَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَيَسْمَعُونَهُ بِآذَانِهِمْ وَلَا يَعُونَ مِنْهُ شَيْئًا، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي تَسْمَعُ النِّدَاءَ وَلَا تَدْرِي مَا يُقَالُ لَهَا..

﴿وَإِن﴾ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، الَّذِينَ جُعِلَتْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةٌ أَنْ يَفْقَهُوا عَنْكَ مَا يَسْمَعُونَ مِنْكَ..

﴿يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ﴾ وَحُجَّةٍ وَعَلَامَةٍ، تَدُلُّ أَهْلَ الْحِجَا وَالْفَهْمِ عَلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَصِدْقِ قَوْلِكَ وَحَقِيقَةِ نُبُوَّتِكَ..

﴿لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ﴾ لَا يُصَدِّقُونَ بِهَا، وَلَا يُقِرُّونَ بِأَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَىٰ مَا هِيَ عَلَيْهِ دَالَّةٌ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ﴾ حَتَّىٰ إِذَا صَارُوا إِلَيْكَ بَعْدَ مُعَايَنَتِهِمُ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ..

﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ يُخَاصِمُونَكَ.. وَكَانَتْ مُجَادَلَتِهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ

-فِيمَا ذُكِر- فِي الذَّبِيحَةِ، يَقُولُونَ: أَمَّا مَا ذَبَحْتُمْ وَقَتَلْتُمْ فَتَأْكُلُونَ، وَأَمَّا مَا قَتَلَ اللهُ فَلَا تَأْكُلُونَ، وَأَنْتُمْ تَتَّبِعُونَ أَمْرَ اللهِ تَعَالَىٰ..

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يَقُولُ الَّذِينَ جَحَدُوا آيَاتِ اللهِ وَأَنْكَرُوا حَقِيقَتَهَا، لِنَبِيِّ اللهِ ﷺ، إِذَا سَمِعُوا حُجَجَ اللهِ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا عَلَيْهِمْ، وَبَيَانَهُ الَّذِي بَيَّنَهُ لَهُمْ..

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنعام: ٢٥] مَا هَذَا إِلَّا مَا كَتَبَهُ الْأَوَّلُونَ.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنعام: ٢٦].

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ وَإِنْ يَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ -يَا مُحَمَّدُ- كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا، حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ، يَقُولُونَ: إِنَّ هَذَا الَّذِي جِئْتَنَا بِهِ إِلَّا أَحَادِيثُ الْأَوَّلِينَ وَأَخْبَارُهُمْ، وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنِ اسْتِمَاعِ التَّنْزِيلِ، وعَنِ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْقَبُولِ مِنْهُ..

﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ﴾ فَيَبْعُدُونَ مِنْكَ، وَمِنْ اتِّبَاعِكَ..

﴿وَإِن يُهْلِكُونَ﴾ وَمَا يُهْلِكُونَ بِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْ تَنْزِيلِهِ وَكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ..

﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لَا غَيْرَهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُكْسِبُونَهَا بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ سَخَطَ اللهِ وَأَلِيمَ عِقَابِهِ وَمَا لَا قِبَلَ لَهَا بِهِ..

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنعام: ٢٦] وَمَا يَدْرُونَ مَا هُمْ مُكْسِبُوهَا مِنَ الْهَلَاكِ وَالْعَطَبِ بِفِعْلِهِمْ.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾
[الأنعام: ٢٧].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ الْجَاحِدِينَ نُبُوَّتَكَ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ صِفَتَهُمْ..

﴿إِذْ وُقِفُواْ﴾ إِذْ حُبِسُوا..

﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾ فِي النَّارِ، فَوُضِعَتْ (عَلَىٰ) مَوْضِعَ (فِي) كَمَا قَالَ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ﴾ [البقرة: ١٠٢] بِمَعْنَىٰ فِي مُلْكِ سُلَيْمَانَ..

﴿فَقَالُواْ﴾ فَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِرَبِّهِمْ إِذْ حُبِسُوا فِي النَّارِ..

﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إِلَىٰ الدُّنْيَا حَتَّىٰ نَتُوبَ وَنُرَاجِعَ طَاعَةَ اللهِ..

﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ وَلَا نُكَذِّبُ بِحُجَجِ رَبِّنَا وَلَا نَجْحَدُهَا..

﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٧﴾ [الأنعام: ٢٧] وَنَكُونُ مِنَ الْمُصَدِّقِينَ بِاللهِ وَحُجَجِهِ وَرُسُلِهِ، مُتَّبِعِي أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ.. وَهَذَا عَلَىٰ وَجْهِ الْخَبَرِ مِنْهُمْ عَمَّا يَفْعَلُونَ إِنْ هُمْ رُدُّوا إِلَىٰ الدُّنْيَا، لَا عَلَىٰ التَّمَنِّي مِنْهُمْ أَنْ لَا يُكَذِّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَيَكُونُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ، وَأَنَّهُمْ كَذَبَةٌ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ قِيلُهُمْ ذَلِكَ عَلَىٰ وَجْهِ التَّمَنِّي، لَاسْتَحَالَ تَكْذِيبُهُمْ فِيهِ؛ لِأَنَّ التَّمَنِّي لَا يُكَذَّبُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ التَّصْدِيقُ وَالتَّكْذِيبُ فِي الْأَخْبَارِ.

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ۝٢٨﴾ [الأنعام: ٢٨].

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ﴾ مَا قَصْدُ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْجَاحِدِينَ نُبُوَّتَكَ -يَا مُحَمَّدُ- فِي قِيلِهِمْ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ النَّارِ ﴿يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٧﴾ [الأنعام: ٢٧]، الْأَسَىٰ وَالنَّدَمُ عَلَىٰ تَرْكِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالتَّصْدِيقِ بِكَ، لَكِنْ بِهِمُ الْإِشْفَاقُ مِمَّا هُوَ نَازِلٌ بِهِمْ مِنْ عِقَابِ اللهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ عَلَىٰ مَعَاصِيهِمُ الَّتِي كَانُوا يُخْفُونَهَا عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، وَيَسْتُرُونَهَا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، فَأَبْدَاهَا اللهُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَظْهَرَهَا عَلَىٰ رُءُوسِ الْأَشْهَادِ، فَفَضَحَهُمْ بِهَا، ثُمَّ جَازَاهُمْ بِهَا جَزَاءَهُمْ.

﴿وَلَوْ رُدُّوا۟﴾ إِلَىٰ الدُّنْيَا فَأُمْهِلُوا..

﴿لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ لَرَجَعُوا إِلَىٰ مِثْلِ الْعَمَلِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ ذَلِكَ، مِنْ جُحُودِ آيَاتِ اللهِ، وَالْكُفْرِ بِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا يُسْخِطُ عَلَيْهِمْ رَبَّهُمْ..

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ۝٢٨﴾ [الأنعام: ٢٨] فِي قِيلِهِمْ: (لَوْ رُدِدْنَا لَمْ نُكَذِّبْ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَكُنَّا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)؛ لِأَنَّهُمْ قَالُوهُ حِينَ قَالُوهُ خَشْيَةَ الْعَذَابِ لَا إِيمَانًا بِاللهِ.

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٢٩﴾ [الأنعام: ٢٩].

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْعَادِلِينَ بِهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، الَّذِينَ ابْتَدَأَ هَذِهِ السُّورَةَ بِالْخَبَرِ عَنْهُمْ.. وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ: (هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ عَنْ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ الَّذِينَ وُقِفُوا عَلَىٰ النَّارِ، أَنَّهُمْ لَوْ رُدُّوا إِلَىٰ الدُّنْيَا لَقَالُوا: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٢٩﴾، يُنْكِرُونَ أَنَّ اللهَ يُحْيِي خَلْقَهُ بَعْدَ أَنْ يُمِيتَهُمْ)..

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٢٩﴾ [الأنعام: ٢٩] يَقُولُونَ: لَا حَيَاةَ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَلَا بَعْثَ وَلَا نُشُورَ بَعْدَ

الْفَنَاءِ، فَهُمْ بِجُحُودِهِمْ ذَلِكَ وَإِنْكَارِهِمْ ثَوَابَ اللهِ وَعِقَابَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، لَا يُبَالُونَ مَا أَتَوْا، وَمَا رَكِبُوا مِنْ إِثْمٍ وَمَعْصِيَةٍ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ ثَوَابًا عَلَىٰ إِيمَانٍ بِاللهِ وَتَصْدِيقٍ بِرَسُولِهِ وَعَمَلٍ صَالِحٍ بَعْدَ مَوْتٍ، وَلَا يَخَافُونَ عِقَابًا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَسَيِّءٍ مِنْ عَمَلٍ يَعْمَلُونَهُ.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٠﴾ [الأنعام: ٣٠].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ: «مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ»..

﴿إِذْ وُقِفُواْ﴾ حُبِسُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ﴾ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ وَقَضَائِهِ فِيهِمْ..

﴿قَالَ﴾ فَقِيلَ لَهُمْ..

﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ﴾ أَلَيْسَ هَذَا الْبَعْثُ وَالنَّشْرُ بَعْدَ الْمَمَاتِ الَّذِي كُنْتُمْ تُنْكِرُونَهُ فِي الدُّنْيَا حَقًّا؟ فَأَجَابُوا فَـ..

﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾ إِنَّهُ لَحَقٌّ، فـ..

﴿قَالَ﴾ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَهُمْ..

﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا تُكَذِّبُونَ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٠﴾ [الأنعام: ٣٠] بِتَكْذِيبِكُمْ بِهِ، وَجُحُودِكُمُوهُ الَّذِي كَانَ مِنْكُمْ فِي الدُّنْيَا.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝٣١﴾ [الأنعام: ٣١].

﴿قَدْ خَسِرَ﴾ قَدْ هَلَكَ وَوُكِسَ فِي بَيْعِهِمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ، بِبَيْعِهِمُ الْإِيمَانَ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَ بِهِ مِنَ اللهِ رِضْوَانَهُ وَجَنَّتَهُ، بِالْكُفْرِ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَ بِهِ مِنْهُ سَخَطَهُ وَعُقُوبَتَهُ..

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ﴾ الَّذِينَ أَنْكَرُوا الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ، وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ فِي ذَلِكَ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ الَّتِي يَبْعَثُ اللهُ فِيهَا الْمَوْتَىٰ مِنْ قُبُورِهِمْ، فَلَا يَشْعُرُونَ مَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْخُسْرَانِ فِي ذَلِكَ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ، فَإِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ..

﴿بَغْتَةً﴾ فَجْأَةً مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ مَنْ تَفْجَؤُهُ بِوَقْتِ مُفَاجَأَتِهَا إِيَّاهُ، وُكِسَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ بِبَيْعِهِمْ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بِمَنَازِلِ مَنِ اشْتَرَوْا مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ النَّارِ، فَإِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً فَرَأَوْا مَا لَحِقَهُمْ مِنَ الْخُسْرَانِ فِي بَيْعِهِمْ..

﴿قَالُواْ﴾ إِذَا عَايَنُوا مَا بَاعُوا وَمَا اشْتَرَوْا، وَتَبَيَّنُوا خُسَارَةَ صَفْقَةِ بَيْعِهِمُ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا، تَنَدُّمًا وَتَلَهُّفًا عَلَىٰ عَظِيمِ الْغَبْنِ الَّذِي غَبَنُوهُ أَنْفُسَهُمْ، وَجَلِيلِ الْخُسْرَانِ الَّذِي لَا خُسْرَانَ أَجَلَّ مِنْهُ..

﴿يَٰحَسۡرَتَنَا﴾ يَا نَدَامَتَنَا..

﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا﴾ عَلَىٰ مَا ضَيَّعْنَا..

﴿فِيهَا﴾ فِي صَفْقَتِهِمْ تِلْكَ..

﴿وَهُمۡ﴾ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ..

﴿يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ﴾ آثَامَهُمْ وَذُنُوبَهُمْ، وَاحِدُهَا وِزْرٌ.. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْوِزْرَ: الثِّقَلُ وَالْحِمْلُ، وَلَسْتُ أَعْرِفُ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي شَاهِدٍ وَلَا مِنْ رِوَايَةِ ثِقَةٍ عَنِ الْعَرَبِ..

﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ﴾ لِأَنَّ الْحِمْلَ قَدْ يَكُونُ عَلَىٰ الرَّأْسِ وَالْمَنْكِبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَبَيَّنَ مَوْضِعَ حَمْلِهِمْ مَا يَحْمِلُونَ مِنْ ذَلِكَ، وَذَكَرَ أَنَّ حَمْلَهُمْ أَوْزَارَهُمْ يَوْمَئِذٍ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ..

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١﴾ [الأنعام: ٣١] أَلَا سَاءَ الْإِثْمُ الَّذِي يَأْثَمُونَهُ بِكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ.

﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٣٢﴾

[الأنعام: ٣٢].

﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ﴾ هَذَا تَكْذِيبٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الْمُنْكِرِينَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَمَاتِ فِي قَوْلِهِمْ ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩﴾ [الأنعام: ٢٩]، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُكَذِّبًا لَهُمْ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ﴾ مَا بَاغِي لَذَّاتِ الْحَيَاةِ الَّتِي أُدْنِيَتْ لَكُمْ، وَقُرِّبَتْ مِنْكُمْ فِي دَارِكُمْ هَذِهِ، وَنَعِيمِهَا وَسُرُورِهَا فِيهَا، وَالْمُتَلَذِّذُ بِهَا وَالْمُنَافِسُ عَلَيْهَا، إِلَّا فِي لَعِبٍ وَلَهْوٍ؛ لِأَنَّهَا عَمَّا قَلِيلٍ تَزُولُ عَنِ الْمُسْتَمْتِعِ بِهَا وَالْمُتَلَذِّذِ فِيهَا بِمَلَاذِّهَا، أَوْ تَأْتِيهِ الْأَيَّامُ بِفَجَائِعِهَا وَصُرُوفِهَا، فَتَمَرُّ عَلَيْهِ وَتَكْدُرُ، كَاللَّاعِبِ اللَّاهِي الَّذِي يُسْرِعُ اضْمِحْلَالُ لَهْوِهِ وَلَعِبِهِ عَنْهُ، ثُمَّ يُعْقِبُهُ مِنْهُ نَدَمًا وَيُورِثُهُ مِنْهُ تَرَحًا، يَقُولُ: لَا تَغْتَرُّوا أَيُّهَا النَّاسُ بِهَا، فَإِنَّ الْمُغْتَرَّ بِهَا عَمَّا قَلِيلٍ يَنْدَمُ..

﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ﴾ وَلَلْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ بِالصَّالِحِ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَبْقَىٰ مَنَافِعُهَا لِأَهْلِهَا، وَيَدُومُ سُرُورُ أَهْلِهَا فِيهَا، خَيْرٌ مِنَ الدَّارِ الَّتِي تَفْنَىٰ، فَلَا يَبْقَىٰ لِعُمَّالِهَا فِيهَا سُرُورٌ، وَلَا يَدُومُ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ..

﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ﴾ لِلَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللهَ، فَيَتَّقُونَهُ بِطَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ رِضَاهُ..

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٣٢﴾ [الأنعام: ٣٢] أَفَلَا يَعْقِلُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ حَقِيقَةَ مَا نُخْبِرُهُمْ بِهِ، مِنْ أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ، وَهُمْ يَرَوْنَ مِنْ يُخْتَرَمُ مِنْهُمْ، وَمَنْ يَهْلِكُ فَيَمُوتُ، وَمَنْ تَنُوبُهُ فِيهَا النَّوَائِبُ وَتُصِيبُهُ الْمَصَائِبُ وَتَفْجَعُهُ الْفَجَائِعُ، فَفِي ذَٰلِكَ لِمَنْ عَقَلَ مُدَّكَرٌ، وَمُزْدَجَرٌ عَنِ الرُّكُونِ إِلَيْهَا، وَاسْتِعْبَادِ النَّفْسِ لَهَا، وَدَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ أَنَّ لَهَا مُدَبِّرًا وَمُصَرِّفًا يَلْزَمُ الْخَلْقَ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لَهُ بِغَيْرِ إِشْرَاكِ شَيْءٍ سِوَاهُ مَعَهُ.

﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٣٣﴾ [الأنعام: ٣٣].

﴿قَدۡ نَعۡلَمُ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ﴾ الَّذِي يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُمْ لَهُ: «إِنَّهُ كَذَّابٌ»..

﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ وَلَكِنَّهُمْ يَجْحَدُونَ الْحَقَّ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِأَنَّكَ نَبِيٌّ لِلَّهِ صَادِقٌ، بَلْ يَعْلَمُونَ أَنَّكَ صَادِقٌ، وَلَكِنَّهُمْ يُكَذِّبُونَكَ قَوْلًا، عِنَادًا وَحَسَدًا.. وقرأ قومٌ بِالتَّخْفِيفِ (يُكْذِبُونَكَ)، بِمَعْنَىٰ: فَإِنَّهُمْ لَا يُبْطِلُونُ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ، وَلَا يَدْفَعُونَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ صَحِيحًا، بَلْ يَعْلَمُونَ صِحَّتَهُ، وَلَكِنَّهُمْ يَجْحَدُونَ حَقِيقَتَهُ قَوْلًا فَلَا يُؤْمِنُونَ بِهِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا فِي الصِّحَّةِ مَخْرَجٌ مَفْهُومٌ.. وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَا شَكَّ أَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ قَوْمٌ لَا يُكَذِّبُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَّا عِنَادًا، لَا جَهْلًا بِنُبُوَّتِهِ وَصِدْقِ لَهْجَتِهِ، لِمَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ.. وَكَذَلِكَ الْقَارِئُ (فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ) مُصِيبٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَا شَكَّ أَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ قَوْمٌ يُكَذِّبُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَيَدْفَعُونَهُ عَمَّا كَانَ اللهُ تَعَالَىٰ خَصَّهُ بِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ، فَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: هُوَ شَاعِرٌ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: هُوَ كَاهِنٌ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: هُوَ مَجْنُونٌ، وَيَنْفِي جَمِيعُهُمْ أَنْ يَكُونَ الَّذِي أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِ السَّمَاءِ، وَمِنْ تَنْزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَوْلًا، وَكَانَ بَعْضُهُمْ قَدْ تَبَيَّنَ أَمْرَهُ وَعَلِمَ

صِحَّةَ نُبُوَّتِهِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يُعَانِدُ وَيَجْحَدُ نُبُوَّتَهُ حَسَدًا لَهُ وَبَغْيًا، فَالْقَارِئُ (فَإِنَّهُمْ لا يُكْذِبُونَكَ) يَعْنِي بِهِ: أَنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ نُبُوَّتِكَ وَصِدْقَ قَوْلِكَ فِيمَا تَقُولُ، يَجْحَدُونَ أَنْ يَكُونَ مَا تَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ مِنْ تَنْزِيلِ اللهِ وَمِنْ عِنْدِ اللهِ قَوْلًا، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ عِلْمًا صَحِيحًا مصيبٌ، لِمَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ، وَفِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي هَذِهِ السُّورَةِ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ﴾ [الأنعام: ٢٠] أَوْضَحُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِيهِمُ الْعِنَادُ فِي جُحُودِ نُبُوَّتِهِ ﷺ، مَعَ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِهِ وَصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ..

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وَلَكِنَّ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ، بِحُجَجِ اللهِ، وَآيِ كِتَابِهِ وَرَسُولِهِ..

﴿يَجۡحَدُونَ ٣٣﴾ [الأنعام: ٣٣] فَيُنْكِرُونَ صِحَّةَ ذَلِكَ كُلِّهِ.

﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٤﴾ [الأنعام: ٣٤].

﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ﴾ هَذَا تَسْلِيَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَعْزِيَةٌ لَهُ عَمَّا نَالَهُ مِنَ الْمَسَاءَةِ بِتَكْذِيبِ قَوْمِهِ إِيَّاهُ عَلَىٰ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: إِنْ يُكَذِّبْكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ، فَيَجْحَدُوا نُبُوَّتَكَ، وَيُنْكِرُوا آيَاتِ اللهِ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِهِ، فَلَا يَحْزُنْكَ ذَلِكَ، وَاصْبِرْ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ وَمَا تَلْقَىٰ مِنْهُمْ مِنَ الْمَكْرُوهِ فِي ذَاتِ اللهِ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ نَصْرُ اللهِ، فَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ، أَرْسَلْتُهُمْ إِلَىٰ أُمَمِهِمْ فَنَالُوهُمْ بِمَكْرُوهٍ..

﴿فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ﴾ فَصَبَرُوا عَلَىٰ تَكْذِيبِ قَوْمِهِمْ إِيَّاهُمْ وَلَمْ يُثْنِهِمْ ذَلِكَ مِنَ الْمُضِيِّ لِأَمْرِ اللهِ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ دُعَاءِ قَوْمِهِمْ إِلَيْهِ..

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ﴾ حَتَّىٰ حَكَمَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ..

﴿وَلَا مُبَدِّلَ﴾ وَلَا مُغَيِّرَ..

﴿لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ وَكَلِمَاتُهُ تَعَالَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ وَعْدِهِ إِيَّاهُ النَّصْرَ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَهُ وَضَادَّهُ، وَالظَّفْرُ عَلَىٰ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْهُ وَأَدْبَرَ..

﴿وَلَقَدۡ جَآءَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٤﴾ [الأنعام: ٣٤] مِنْ خَبَرِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ وَخَبَرِ أُمَمِهِمْ، وَمَا صَنَعْتُ بِهِمْ حِينَ جَحَدُوا آيَاتِي وَتَمَادَوْا فِي غَيِّهِمْ وَضَلَالِهِمْ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَانْتَظِرْ أَنْتَ

أَيْضًا مِنَ النُّصْرَةِ وَالظَّفْرِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ مِنِّي فِي مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ، إِذْ كَذَّبَهُمْ قَوْمُهُم، وَاقْتَدِ بِهِمْ فِي صَبْرِهِمْ عَلَىٰ مَا لَقُوا مِنْ قَوْمِهِمْ.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٣٥﴾ [الأنعام: ٣٥].

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾ وَإِنْ كَانَ عَظُمَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ إِعْرَاضُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَنْكَ وَانْصِرَافُهُمْ عَنْ تَصْدِيقِكَ فِيمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي بَعَثْتُكَ بِهِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْكَ، وَلَمْ تَصْبِرْ لِمَكْرُوهِ مَا يَنَالُكَ مِنْهُمْ..

﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَتَّخِذَ سَرَبًا فِي الْأَرْضِ فَتَذْهَبُ فِيهِ..

﴿أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أَوْ مَصْعَدًا تَصْعَدُ فِيهِ، كَالدَّرَجِ وَمَا أَشْبَهَهَا..

﴿فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ بِعَلَامَةٍ وَبُرْهَانٍ عَلَىٰ صِحَّةِ قَوْلِكَ غَيْرَ الَّذِي أَتَيْتُكَ، فَافْعَلْ.. وَتُرِكَ جَوَابُ الْجَزَاءِ فَلَمْ يُذْكَرْ؛ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، وَمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ بِمَعْنَاهُ، وَقَدْ تَفْعَلُ الْعَرَبُ ذَلِكَ فِيمَا كَانَ يُفْهَمُ مَعْنَاهُ عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ بِهِ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لِلرَّجُلِ: إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَنْهَضَ مَعَنَا فِي حَاجَتِنَا إِنْ قَدَرْتَ عَلَىٰ مَعُونَتِنَا، وَيَحْذِفُ الْجَوَابَ، وَهُوَ يُرِيدُ: إِنْ قَدَرْتَ عَلَىٰ مَعُونَتِنَا فَافْعَلْ، فَأَمَّا إِذَا لَمْ يَعْرِفِ الْمُخَاطَبُ وَالسَّامِعُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ إِلَّا بِإِظْهَارِ الْجَوَابِ لَمْ يَحْذِفُوهُ، لَا يُقَالُ: إِنْ تَقُمْ، فَتَسْكُتَ وَتَحْذِفَ الْجَوَابَ؛ لِأَنَّ الْمَقُولَ ذَلِكَ لَهُ لَا يَعْرِفُ جَوَابَهُ إِلَّا بِإِظْهَارِهِ، حَتَّىٰ يُقَالَ: إِنْ تَقُمْ تُصِبْ خَيْرًا، أَوْ: إِنْ تَقُمْ فَحَسَنٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ..

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ يَا مُحَمَّدُ فَيَحْزُنُكَ تَكْذِيبُهُمْ إِيَّاكَ، لَوْ أَشَاءُ أَنْ أَجْمَعَهُمْ عَلَىٰ اسْتِقَامَةٍ مِنَ الدِّينِ، وَصَوَابٍ مِنْ مَحَجَّةِ الْإِسْلَامِ، حَتَّىٰ تَكُونَ كَلِمَةُ جَمِيعِكُمْ وَاحِدَةً، وَمِلَّتُكُمْ وَمِلَّتُهُمْ وَاحِدَةً، لَجَمَعْتُهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ بَعِيدًا عَلَيَّ؛ لِأَنِّي الْقَادِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِلُطْفِي، وَلَكِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ لِسَابِقِ عِلْمِي فِي خَلْقِي وَنَافِذِ قَضَائِي فِيهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ أَخْلُقَهُمْ وَأُصَوِّرَ أَجْسَامَهُمْ.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٣٥﴾ [الأنعام: ٣٥] فَلَا تَكُونَنَّ يَا مُحَمَّدُ مِمَّنْ لَا يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ لَوْ شَاءَ لَجَمَعَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ جَمِيعَ خَلْقِهِ بِلُطْفِهِ، وَأَنَّ مَنْ يَكْفُرُ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ إِنَّمَا يَكْفُرُ بِهِ لِسَابِقِ عِلْمِ اللهِ فِيهِ، وَنَافِذِ قَضَائِهِ بِأَنَّهُ كَائِنٌ مِنَ الْكَافِرِينَ بِهِ اخْتِيَارًا لَا اضْطِرَارًا، فَإِنَّكَ إِذَا عَلِمْتَ صِحَّةَ ذَلِكَ لَمْ

يَكْبُرُ عَلَيْكَ إِعْرَاضُ مَنْ أَعْرَضَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَمَّا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، وَتَكْذِيبُ مَنْ كَذَّبَكَ مِنْهُمْ.. وَفِي هَذَا الْخَبَرِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَىٰ خَطَإِ مَا قَالَ أَهْلُ التَّفْوِيضِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ، الْمُنْكِرُونَ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ اللهِ لَطَائِفُ لِمَنْ شَاءَ تَوْفِيقَهُ مِنْ خَلْقِهِ، يُلْطُفُ بِهَا لَهُ حَتَّىٰ يَهْتَدِيَ لِلْحَقِّ، فَيَنْقَادَ لَهُ وَيُنِيبَ إِلَىٰ الرَّشَادِ، فَيُذْعِنَ بِهِ وَيُؤْثِرَهُ عَلَىٰ الضَّلَالِ وَالْكُفْرِ بِاللهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَوْ شَاءَ الْهِدَايَةَ لِجَمِيعِ مَنْ كَفَرَ بِهِ حَتَّىٰ يَجْتَمِعُوا عَلَىٰ الْهُدَىٰ فَعَلَ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَوْ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ كَانُوا مُهْتَدِينَ لَا ضُلَّالًا، وَهُمْ لَوْ كَانُوا مُهْتَدِينَ كَانَ لَا شَكَّ أَنَّ كَوْنَهُمْ مُهْتَدِينَ كَانَ خَيْرًا لَهُمْ، وَفِي تَرْكِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنْ يَجْمَعَهُمْ عَلَىٰ الْهُدَىٰ تَرْكٌ مِنْهُ أَنْ يَفْعَلَ بِهِمْ فِي دِينِهِمْ بَعْضَ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ فِيهِ مِمَّا هُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ فِعْلِهِ بِهِمْ، وَقَدْ تَرَكَ فِعْلَهُ بِهِمْ، وَفِي تَرْكِهِ فِعْلَ ذَلِكَ بِهِمْ أَوْضَحُ الدَّلِيلِ أَنَّهُ لَمْ يُعْطِهِمْ كُلَّ الْأَسْبَابِ الَّتِي بِهَا يَصِلُونَ إِلَىٰ الْهِدَايَةِ، وَيَتَسَبَّبُونَ بِهَا إِلَىٰ الْإِيمَانِ.

﴿* إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝٣٦﴾ [الأنعام: ٣٦].

﴿* إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ لَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ -يَا مُحَمَّدُ- إِعْرَاضُ هَؤُلَاءِ الْمُعْرِضِينَ عَنْكَ وَعَنِ الِاسْتِجَابَةِ لِدُعَائِكَ إِذَا دَعَوْتَهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِ رَبِّهِمْ وَالْإِقْرَارِ بِنُبُوَّتِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ لِدُعَائِكَ إِلَىٰ مَا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الَّذِينَ فَتَحَ اللهُ أَسْمَاعَهُمْ لِلْإِصْغَاءِ إِلَىٰ الْحَقِّ، وَسَهَّلَ لَهُمُ اتِّبَاعَ الرُّشْدِ، دُونَ مَنْ خَتَمَ اللهُ عَلَىٰ سَمْعِهِ فَلَا يَفْقَهُ مِنْ دُعَائِكَ إِيَّاهُ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ اتِّبَاعِ الْحَقِّ إِلَّا مَا تَفْقَهُ الْأَنْعَامُ مِنْ أَصْوَاتِ رُعَاتِهَا، فَهُمْ كَمَا وَصَفَهُمْ بِهِ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾ [البقرة: ١٨]..

﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ وَالْكُفَّارُ يَبْعَثُهُمُ اللهُ مَعَ الْمَوْتَىٰ، فَجَعَلَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي عِدَادِ الْمَوْتَىٰ الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ صَوْتًا، وَلَا يَعْقِلُونَ دُعَاءً، وَلَا يَفْقَهُونَ قَوْلًا؛ إِذْ كَانُوا لَا يَتَدَبَّرُونَ حُجَجَ اللهِ، وَلَا يَعْتَبِرُونَ آيَاتِهِ، وَلَا يَتَذَكَّرُونَ فَيَنْزَجِرُونَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَكْذِيبِ رُسُلِ اللهِ وَخِلَافِهِمْ..

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝٣٦﴾ [الأنعام: ٣٦] ثُمَّ إِلَىٰ اللهِ يَرْجِعُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ، وَالْكُفَّارُ الَّذِينَ يَحُولُ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَفْقَهُوا عَنْكَ شَيْئًا، فَيُثِيبُ هَذَا الْمُؤْمِنَ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا بِمَا وَعَدَ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ مِنَ الثَّوَابِ، وَيُعَاقِبُ هَذَا الْكَافِرَ بِمَا أَوْعَدَ أَهْلَ الْكُفْرِ بِهِ مِنَ الْعِقَابِ، لَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْهُمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنعام: ٣٧].

﴿وَقَالُوا۟﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمُ الْمُعْرِضُونَ عَنْ آيَاتِهِ..

﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ هَلَّا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ﴾ [الفرقان: ٧- ٨]..

﴿قُلْ﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِقَائِلِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ لَكَ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ وَحُجَّةً عَلَىٰ مَا يُرِيدُونَ وَيَسْأَلُونَ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الَّذِينَ يَقُولُونَ ذَلِكَ فَيَسْأَلُونَكَ آيَةً..

﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنعام: ٣٧] مَا عَلَيْهِمْ فِي الْآيَةِ إِنْ نَزَّلَهَا مِنَ الْبَلَاءِ، وَلَا يَدْرُونَ مَا وَجْهُ تَرْكِ إِنْزَالِ ذَلِكَ عَلَيْكَ، وَلَوْ عَلِمُوا السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ لَمْ أُنْزِلْهَا عَلَيْكَ، لَمْ يَقُولُوا ذَلِكَ وَلَمْ يَسْأَلُوكَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨].

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لِهَؤُلَاءِ الْمُعْرِضِينَ عَنْكَ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللهِ: أَيُّهَا الْقَوْمُ، لَا تَحْسَبُنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا تَعْمَلُونَ، أَوْ أَنَّهُ غَيْرُ مُجَازِيكُمْ عَلَىٰ مَا تَكْسِبُونَ، وَكَيْفَ يَغْفُلُ عَنْ أَعْمَالِكُمْ أَوْ يَتْرُكُ مُجَازَاتَكُمْ عَلَيْهَا، وَهُوَ غَيْرُ غَافِلٍ عَنْ عَمَلِ شَيْءٍ دَبَّ عَلَىٰ الْأَرْضِ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، وَلَا عَمَلِ طَائِرٍ طَارَ بِجَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ؟ بَلْ جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَجْنَاسًا مُجَنَّسَةً وَأَصْنَافًا مُصَنَّفَةً، تَعْرِفُ كَمَا تَعْرِفُونَ، وَتَتَصَرَّفُ فِيمَا سُخِّرَتْ لَهُ كَمَا تَتَصَرَّفُونَ، وَمَحْفُوظٌ عَلَيْهَا مَا عَمِلَتْ مِنْ عَمَلٍ لَهَا وَعَلَيْهَا، وَمُثْبَتٌ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهَا فِي أُمِّ الْكِتَابِ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُمِيتُهَا ثُمَّ مُنْشِرُهَا وَمُجَازِيهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَزَاءَ أَعْمَالِهَا، يَقُولُ: فَالرَّبُّ الَّذِي لَمْ يُضَيِّعْ حِفْظَ أَعْمَالِ الْبَهَائِمِ وَالدَّوَابِّ فِي الْأَرْضِ وَالطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ حَتَّىٰ حَفِظَ عَلَيْهَا حَرَكَاتِهَا وَأَفْعَالَهَا، وَأَثْبَتَ ذَلِكَ مِنْهَا فِي أُمِّ الْكِتَابِ، وَحَشَرَهَا ثُمَّ جَازَاهَا عَلَىٰ مَا سَلَفَ

مِنْهَا فِي دَارِ الْبَلَاءِ، أَحْرَىٰ أَنْ لَا يُضَيِّعَ أَعْمَالَكُمْ، وَلَا يُفَرِّطُ فِي حِفْظِ أَفْعَالِكُمُ الَّتِي تَجْتَرِحُونَهَا أَيُّهَا النَّاسُ، حَتَّىٰ يَحْشُرَكُمْ فَيُجَازِيكُمْ عَلَىٰ جَمِيعِهَا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا؛ إِذْ كَانَ قَدْ خَصَّكُمْ مِنْ نِعَمِهِ وَبَسَطَ عَلَيْكُمْ مِنْ فَضْلِهِ مَا لَمْ يَعُمَّ بِهِ غَيْرَكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَكُنْتُمْ بِشُكْرِهِ أَحَقَّ وَبِمَعْرِفَةِ وَاجِبِهِ عَلَيْكُمْ أَوْلَىٰ لِمَا أَعْطَاكُمْ مِنَ الْعَقْلِ الَّذِي بِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ تُمَيِّزُونَ، وَالْفَهْمِ الَّذِي لَمْ يُعْطِهِ الْبَهَائِمَ وَالطَّيْرَ الَّذِي بِهِ بَيْنَ مَصَالِحِكُمْ وَمَضَارِّكُمْ تُفَرِّقُونَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾، وَهَلْ يَطِيرُ الطَّائِرُ إِلَّا بِجَنَاحَيْهِ؟! فَمَا فِي الْخَبَرِ عَنْ طَيَرَانِهِ بِالْجَنَاحَيْنِ مِنَ الْفَائِدَةِ.. قِيلَ: قَدْ قَدَّمْنَا الْقَوْلَ فِيمَا مَضَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْزَلَ هَذَا الْكِتَابَ بِلِسَانِ قَوْمٍ وَبِلُغَاتِهِمْ وَمَا يَتَعَارَفُونَهُ بَيْنَهُمْ وَيَسْتَعْمِلُونَهُ فِي مَنْطِقِهِمْ خَاطِبَهُمْ، فَإِذْ كَانَ مِنْ كَلَامِهِمْ إِذَا أَرَادُوا الْمُبَالَغَةَ فِي الْكَلَامِ أَنْ يَقُولُوا: كَلَّمْتُ فُلَانًا بِفَمِي، وَمَشَيْتُ إِلَيْهِ بِرِجْلِي، وَضَرَبْتُهُ بِيَدِي، خَاطَبَهُمْ تَعَالَىٰ بِنَظِيرِ مَا يَتَعَارَفُونَهُ فِي كَلَامِهِمْ وَيَسْتَعْمِلُونَهُ فِي خِطَابِهِمْ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ [ص: ٢٣]..

﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ مَا تَرَكْنَا شَيْئًا إِلَّا قَدْ كَتَبْنَاهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ..

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾ [الأنعام: ٣٨] جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِذَلِكَ حَشْرُ الْقِيَامَةِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِهِ حَشْرُ الْمَوْتِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِهِ الْحَشْرَانِ جَمِيعًا، وَلَا دَلَالَةَ فِي ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ وَلَا فِي خَبَرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَيُّ ذَلِكَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾، إِذْ كَانَ الْحَشْرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْجَمْعُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩﴾ [ص: ١٩] يَعْنِي: مَجْمُوعَةٌ، فَإِذْ كَانَ الْجَمْعُ هُوَ الْحَشْرُ، وَكَانَ اللهُ تَعَالَىٰ جَامِعًا خَلْقَهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَامِعَهُمْ بِالْمَوْتِ، كَانَ أَصْوَبُ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُعَمَّ بِمَعْنَىٰ الْآيَةِ مَا عَمَّهُ اللهُ بِظَاهِرِهَا، وَأَنْ يُقَالَ: كُلُّ دَابَّةٍ وَكُلُّ طَائِرٍ مَحْشُورٌ إِلَىٰ اللهِ بَعْدَ الْفَنَاءِ وَبَعْدَ بَعْثِ الْقِيَامَةِ؛ إِذْ كَانَ اللهُ تَعَالَىٰ قَدْ عَمَّ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾، وَلَمْ يُخَصِّصْ بِهِ حَشْرًا دُونَ حَشْرٍ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٩﴾ [الأنعام: ٣٩].

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِحُجَجِ اللهِ وَأَعْلَامِهِ وَأَدِلَّتِهِ..

﴿صُمّٞ﴾ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ..

﴿وَبُكۡمٌ﴾ عَنِ الْقِيلِ بِهِ..

﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ فِي ظُلْمَةِ الْكُفرِ حَائِرٌ فِيهَا، يَقُولُ: هُوَ مُرْتَطِمٌ فِي ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ، لَا يُبْصِرُ آيَاتِ اللهِ فَيَعْتَبِرُ بِهَا، وَيَعْلَمُ أَنَّ الَّذِيَ خَلَقَهُ وَأَنْشَأَهُ فَدَبَّرَهُ وَأَحْكَمَ تَدْبِيرَهُ، وَقَدَّرَهُ أَحْسَنَ تَقْدِيرٍ، وَأَعْطَاهُ الْقُوَّةَ، وَصَحَّحَ لَهُ آلَةَ جِسْمِهِ، لَمْ يَخْلُقْهُ عَبَثًا وَلَمْ يَتْرُكْهُ سُدًىٰ، وَلَمْ يُعْطِهِ مَا أَعْطَاهُ مِنَ الْآلَاتِ إِلَّا لِاسْتِعْمَالِهَا فِي طَاعَتِهِ وَمَا يُرْضِيهِ دُونَ مَعْصِيَتِهِ وَمَا يُسْخِطُهُ، فَهُوَ لِحَيْرَتِهِ فِي ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَتَرَدُّدِهِ فِي غَمَرَاتِهَا، غَافِلٌ عَمَّا اللهُ قَدْ أَثْبَتَ لَهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ بِهِ فَاعِلٌ يَوْمَ يُحْشَرُ إِلَيْهِ مَعَ سَائِرِ الْأُمَمِ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَىٰ أَنَّهُ..

﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ﴾ الْمُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ إِضْلَالَهُ مِنْ خَلْقِهِ عَنِ الْإِيمَانِ إِلَىٰ الْكُفْرِ..

﴿وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٩﴾ [الأنعام: ٣٩] وَالْهَادِي إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مِنْهُمْ مَنْ أَحَبَّ هِدَايَتَهُ، فَمُوَفِّقُهُ بِفَضْلِهِ وَطَوْلِهِ لِلْإِيمَانِ بِهِ، وَتَرْكِ الْكُفْرِ بِهِ وَبِرُسُلِهِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُ، وَأَنَّهُ لَا يَهْتَدِي مِنْ خَلْقِهِ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ سَبَقَ لَهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ السَّعَادَةُ، وَلَا يَضِلُّ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ سَبَقَ لَهُ فِيهَا الشَّقَاءُ، وَأَنَّ بِيَدِهِ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَإِلَيْهِ الْفَضْلَ كُلَّهُ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٠﴾
[الأنعام: ٤٠].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿أَرَءَيۡتَكُمۡ﴾ أَخْبِرُونِي..

﴿إِنۡ أَتَىٰكُمۡ﴾ إِنْ جَاءَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ كَالَّذِي جَاءَ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ هَلَكَ بَعْضُهُمْ بِالرَّجْفَةِ، وَبَعْضُهُمْ بِالصَّاعِقَةِ..

﴿أَوۡ أَتَتۡكُمُ﴾ أَوْ جَاءَتْكُمُ..

﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ الَّتِي تُنْشَرُونَ فِيهَا مِنْ قُبُورِكُمْ وَتُبْعَثُونَ لِمَوْقِفِ الْقِيَامَةِ..

﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ﴾ هُنَاكَ..

﴿تَدۡعُونَ﴾ لِكَشْفِ مَا نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الْبَلَاءِ، أَوْ إِلَىٰ غَيْرِهِ مِنْ آلِهَتِكُمْ تَفْزَعُونَ لِيُنْجِيَكُمْ مِمَّا نَزَلَ بِكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْبَلَاءِ..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٠﴾ [الأنعام: ٤٠] إِنْ كُنْتُمْ مُحِقِّينَ فِي دَعْوَاكُمْ وَزَعْمِكُمْ أَنَّ آلِهَتَكُمُ الَّتِي تَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ تَنْفَعُ أَوْ تَضُرُّ.

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۝٤١﴾ [الأنعام: ٤١].

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُكَذِّبًا لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِهِ الْأَوْثَانَ: مَا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ، إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ، بِمُسْتَجِيرِينَ بِشَيْءٍ غَيْرِ اللهِ فِي حَالِ شِدَّةِ الْهَوْلِ النَّازِلِ بِكُمْ مِنْ آلِهَةٍ وَوَثَنٍ وَصَنَمٍ، بَلْ تَدْعُونَ هُنَاكَ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ، وَبِهِ تَسْتَغِيثُونَ، وَإِلَيْهِ تَفْزَعُونَ دُونَ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِهِ..

﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ فَيُفَرِّجُ عَنْكُمْ عِنْدَ اسْتِغَاثَتِكُمْ بِهِ وَتَضَرُّعِكُمْ إِلَيْهِ عَظِيمَ الْبَلَاءِ النَّازِلِ بِكُمْ..

﴿إِن شَآءَ﴾ أَنْ يُفَرِّجَ ذَلِكَ عَنْكُمْ؛ لِأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ دُونَ مَا تَدْعُونَهُ إِلَاهًا مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ..

﴿وَتَنسَوْنَ﴾ حِينَ يَأْتِيكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ تَأْتِيكُمُ السَّاعَةُ بِأَهْوَالِهَا..

﴿مَا تُشْرِكُونَ ۝٤١﴾ [الأنعام: ٤١] ـهُ مَعَ اللهِ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ -مِنْ وَثَنٍ وَصَنَمٍ- فَتَجْعَلُونَهُ لَهُ نِدًّا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِهِ وَتَدْعُونَهُ إِلَاهًا.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۝٤٢﴾
[الأنعام: ٤٢].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُتَوَعِّدًا لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِهِ الْأَصْنَامَ، وَمُحَذِّرَهُمْ أَنْ يَسْلُكَ بِهِمْ -إِنْ هُمْ تَمَادَوْا فِي ضَلَالِهِمْ- سَبِيلَ مَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ فِي تَعْجِيلِ اللهِ عُقُوبَتَهُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَمُخْبِرًا نَبِيَّهُ عَنْ سُنَّتِهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ فِي تَكْذِيبِ الرُّسُلِ: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا» يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِلَىٰٓ أُمَمٍ﴾ إِلَىٰ جَمَاعَاتٍ وَقُرُونٍ..

﴿مِّن قَبْلِكَ﴾ رُسُلًا فَأَمَرْنَاهُمْ وَنَهَيْنَاهُمْ، فَكَذَّبُوا رُسُلَنَا وَخَالَفُوا أَمْرَنَا وَنَهْيَنَا..

﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ فَامْتَحَنَّاهُمْ بِالِابْتِلَاءِ بِالْبَأْسَاءِ، وَهِيَ شِدَّةُ الْفَقْرِ وَالضِّيقِ فِي الْمَعِيشَةِ.. وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ قَدِ اسْتُغْنِيَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الظَّاهِرُ عَنْ إِظْهَارِهِ مِنْ قَوْلِهِ: «وَلَقَدْ

أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ»، وَإِنَّمَا كَانَ سَبَبُ أَخْذِهِ إِيَّاهُمْ تَكْذِيبَهُمُ الرُّسُلَ وَخِلَافَهُمْ أَمْرَهُ، لَا إِرْسَالَ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ..

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ وَهِيَ الْأَسْقَامُ وَالْعِلَلُ الْعَارِضَةُ فِي الْأَجْسَامِ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٤٢] فَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ لِيَتَضَرَّعُوا إِلَيَّ، وَيُخْلِصُوا لِيَ الْعِبَادَةَ، وَيُفْرِدُوا رَغْبَتَهُمْ إِلَيَّ دُونَ غَيْرِي بِالتَّذَلُّلِ مِنْهُمْ لِي بِالطَّاعَةِ وَالِاسْتِكَانَةِ مِنْهُمْ إِلَيَّ بِالْإِنَابَةِ.. وَالتَّضَرُّعُ: هُوَ التَّفَعُّلُ مِنَ الضَّرَاعَةِ، وَهِيَ الذِّلَّةُ وَالِاسْتِكَانَةُ.

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٤٣].

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا﴾ فَهَلَّا إِذْ جَاءَ بَأْسُنَا هَؤُلَاءِ الْأُمَمَ الْمُكَذِّبَةَ رُسُلَهَا الَّذِينَ لَمْ يَتَضَرَّعُوا عِنْدَمَا أَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ.. وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي فِيهِ مَتْرُوكٌ اسْتُغْنِيَ بِدَلَالَةِ الظَّاهِرِ عَنْ ذِكْرِ مَا تُرِكَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ عَنِ الْأُمَمِ الَّتِي كَذَّبَتْ رُسُلَهَا أَنَّهُ أَخَذَهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لِيَتَضَرَّعُوا، ثُمَّ قَالَ: فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا، وَلَمْ يُخْبِرْ عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْفِعْلِ عِنْدَ أَخْذِهِ إِيَّاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَمْ يَتَضَرَّعُوا، فَلَوْلَا إِذَا جَاءَهُمْ بَأْسُنَا..

﴿تَضَرَّعُواْ﴾ فَاسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَخَضَعُوا لِطَاعَتِهِ، فَيَصْرِفُ رَبُّهُمْ عَنْهُمْ بَأْسَهُ وَهُوَ عَذَابُهُ، وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الْبَأْسِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ..

﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وَلَكِنْ أَقَامُوا عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ، وَأَصَرُّوا عَلَىٰ ذَلِكَ وَاسْتَكْبَرُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، اسْتِهَانَةً بِعِقَابِ اللهِ وَاسْتِخْفَافًا بِعَذَابِهِ، وَقَسَاوَةَ قَلْبٍ مِنْهُمْ..

﴿وَزَيَّنَ﴾ وَحَسَّنَ..

﴿لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٤٣] مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَكْرَهُهَا اللهُ وَيَسْخَطُهَا مِنْهُمْ.

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٤٤].

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ فَلَمَّا تَرَكُوا الْعَمَلَ بِمَا أَمَرْنَاهُمْ بِهِ عَلَىٰ أَلْسُنِ رُسُلِنَا..

﴿فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ بَدَّلْنَا مَكَانَ الْبَأْسَاءِ الرَّخَاءَ وَالسَّعَةَ فِي الْعَيْشِ، وَمَكَانَ الضَّرَّاءِ الصِّحَّةَ وَالسَّلَامَةَ فِي الْأَبْدَانِ وَالْأَجْسَامِ، اسْتِدْرَاجًا مِنَّا لَهُمْ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحَ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ رُسُلَهُمْ بِفَتْحِنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ السَّعَةِ فِي الْمَعِيشَةِ، وَالصِّحَّةِ فِي الْأَجْسَامِ..

﴿أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾ أَتَيْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَجْأَةً، وَهُمْ غَارُّونَ لَا يَشْعُرُونَ أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ، وَلَا هُوَ بِهِمْ حَالٌّ..

﴿فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤] فَإِنَّهُمْ هَالِكُونَ، مُنْقَطِعَةٌ حُجَجُهُمْ، نَادِمُونَ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ.. وَأَصْلُ الْإِبْلَاسِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ: الْحُزْنُ عَلَىٰ الشَّيْءِ وَالنَّدَمُ عَلَيْهِ، وَعِنْدَ بَعْضِهِمْ: انْقِطَاعُ الْحُجَّةِ، وَالسُّكُوتُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْحُجَّةِ، وَعِنْدَ بَعْضِهِمْ: الْخُشُوعُ، وَقَالُوا: هُوَ الْمَخْذُولُ الْمَتْرُوكُ.. فَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ: (وَأَبْلَسَا) عِنْدَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ الْإِبْلَاسَ بِمَعْنَىٰ الْخُشُوعِ: تَرْكُ أَهْلِهِ إِيَّاهُ مُقِيمًا بِمَكَانِهِ.. وَالْآخَرُونَ: انْقِطَاعُ الْحُجَّةِ وَالسُّكُوتُ عِنْدَهُ، بِمَعْنَىٰ: أَنَّهُ لَمْ يَحِرْ جَوَابًا.. وَالْآخَرُونَ: بِمَعْنَىٰ الْحُزْنِ وَالنَّدَمِ، يُقَالُ مِنْهُ: أَبْلَسَ الرَّجُلُ إِبْلَاسًا، وَمِنْهُ قِيلَ لِإِبْلِيسَ: إِبْلِيسُ.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥].

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ﴾ فَاسْتُؤْصِلَ الْقَوْمُ الَّذِينَ عَتَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ وَخَالَفُوا أَمْرَهُ عَنْ آخِرِهِمْ، فَلَمْ يُتْرَكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أُهْلِكَ بَغْتَةً، إِذْ جَاءَهُمْ عَذَابُ اللهِ..

﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥] وَالثَّنَاءُ الْكَامِلُ، وَالشُّكْرُ التَّامُّ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ إِنْعَامِهِ عَلَىٰ رُسُلِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ، بِإِظْهَارِ حُجَجِهِمْ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ، وَتَحْقِيقِ عِدَاتِهِمْ مَا وَعَدُوهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ، مِنْ نِقَمِ اللهِ، وَعَاجِلِ عَذَابِهِ.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنعام: ٤٦].

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِيَ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ الْمُكَذِّبِينَ بِكَ..

﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ غَيْرَهُ..

﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ إِنْ أَصَمَّكُمُ اللهُ فَذَهَبَ بِأَسْمَاعِكُمْ..

﴿وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ وَأَعْمَاكُمْ فَذَهَبَ بِأَبْصَارِكُمْ..

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فَطُبِعَ عَلَيْهَا حَتَّىٰ لَا تَفْقَهُوا قَوْلًا وَلَا تُبْصِرُوا حُجَّةً وَلَا تَفْهَمُوا مَفْهُومًا..

﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ أَيُّ إِلَهٍ غَيْرِ اللهِ الَّذِي لَهُ عِبَادَةُ كُلِّ عَابِدٍ..

﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾ يَرُدُّ عَلَيْكُمْ مَا ذَهَبَ اللهُ بِهِ مِنْكُمْ مِنَ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْهَامِ، فَتَعْبُدُوهُ أَوْ تُشْرِكُوهُ فِي عِبَادَةِ رَبِّكُمُ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَىٰ ذَهَابِهِ بِذَلِكَ مِنْكُمْ، وَعَلَىٰ رَدِّهِ عَلَيْكُمْ إِذَا شَاءَ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ تَعْلِيمٌ نَبِيَّهُ الْحُجَّةَ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ بِهِ، يَقُولُ لَهُ: قُلْ لَهُمْ: إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَإِنَّمَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ عَلَيْكُمْ مَنْ كَانَ بِيَدِهِ الضُّرُّ وَالنَّفْعُ وَالْقَبْضُ وَالْبَسْطُ، الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ مَا أَرَادَ، لَا الْعَاجِزُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ.. ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ انْظُرْ كَيْفَ نُتَابِعُ عَلَيْهِمُ الْحُجَجَ، وَنَضْرِبُ لَهُمُ الْأَمْثَالَ وَالْعِبَرَ، لِيَعْتَبِرُوا وَيَذَّكَّرُوا فَيُنِيبُوا..

﴿ثُمَّ هُمْ﴾ مَعَ مُتَابَعَتِنَا عَلَيْهِمُ الْحُجَجَ وَتَنْبِيهِنَا إِيَّاهُمْ بِالْعِبَرِ عَنِ الادِّكَارِ وَالاعْتِبَارِ..

﴿يَصْدِفُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٤٦] يُعْرِضُونَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ [الأنعام: ٤٦] فَوَحَّدَ الْهَاءَ، وَقَدْ مَضَىٰ الذِّكْرُ قَبْلُ بِالْجَمْعِ فَقَالَ: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾؟ قِيلَ: جَائِزٌ أَنْ تَكُونَ الْهَاءُ عَائِدَةً عَلَىٰ السَّمْعِ، فَتَكُونُ مُوَحَّدَةً لِتَوْحِيدِ السَّمْعِ.. وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ مَعْنِيًّا بِهَا: مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِمَا أَخَذَ مِنْكُمْ مِنَ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ، فَتَكُونُ مُوَحَّدَةً لِتَوْحِيدِ (مَا)، وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ إِذَا كَنَّتْ عَنِ الْأَفْعَالِ وَحَّدَتِ الْكِنَايَةَ وَإِنْ كَثُرَ مَا يُكَنَّىٰ بِهَا عَنْهُ مِنَ الْأَفَاعِيلِ، كَقَوْلِهِمْ: إِقْبَالُكَ وَإِدْبَارُكَ يُعْجِبُنِي.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْهَاءَ الَّتِي فِي (بِهِ) كِنَايَةٌ عَنِ الْهُدَىٰ.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝﴾

[الأنعام: ٤٧].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ، الْمُكَذِّبِينَ بِأَنَّكَ لِي رَسُولِي إِلَيْهِمْ..

﴿أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ أَخْبِرُونِي إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ وَعِقَابُهُ عَلَىٰ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ مِنَ

الْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ، وَتَكْذِيبِكُمْ إِيَّايَ بَعْدَ الَّذِي قَدْ عَايَنْتُمْ مِنَ الْبُرْهَانِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ قَوْلِي..

﴿بَغْتَةً﴾ فَجْأَةً عَلَىٰ غِرَّةٍ لَا تَشْعُرُونَ..

﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ أَوْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ وَأَنْتُمْ تُعَايِنُونَهُ وَتَنْظُرُونَ إِلَيْهِ.. مِنَ الْإِجْهَارِ، وَهُوَ إِظْهَارُ الشَّيْءِ لِلْعَيْنِ..

﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾ هَلْ يُهْلِكُ اللهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ..

﴿إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنعام: ٤٧] إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ مَنْ يَسْتَحِقُّ عَلَيْنَا الْعِبَادَةَ، وَتَرَكَ عِبَادَةَ مَنْ يَسْتَحِقُّ عَلَيْنَا الْعِبَادَةَ.

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنعام: ٤٨].

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ وَمَا نُرْسِلُ رُسُلَنَا إِلَّا بِبِشَارَةِ أَهْلِ الطَّاعَةِ لَنَا بِالْجَنَّةِ وَالْفَوْزِ الْمُبِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، جَزَاءً مِنَّا لَهُمْ عَلَىٰ طَاعَتِنَا..

﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ وَبِإِنْذَارِ مَنْ عَصَانَا وَخَالَفَ أَمْرَنَا، عُقُوبَتَنَا إِيَّاهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، جَزَاءً مِنَّا عَلَىٰ مَعْصِيَتِنَا، لِنَعْذُرَ إِلَيْهِ، فَيَهْلِكُ إِنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ..

﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ﴾ فَمَنْ صَدَّقَ مَنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِ مِنْ رُسُلِنَا إِنْذَارَهُمْ إِيَّاهُ، وَقَبِلَ مِنْهُمْ مَا جَاءُوهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا فِي الدُّنْيَا..

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ عِنْدَ قُدُومِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ مِنْ عِقَابِهِ وَعَذَابِهِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللهُ لِأَعْدَائِهِ وَأَهْلِ مَعَاصِيهِ..

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنعام: ٤٨] عِنْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنعام: ٤٩].

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، وَبِمَنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِ مِنْ رُسُلِنَا، وَخَالَفُوا أَمْرَنَا وَنَهْيَنَا، وَدَافَعُوا حُجَّتَنَا..

﴿يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾ فَإِنَّهُمْ يُبَاشِرُهُمْ عَذَابُنَا وَعِقَابُنَا عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ مَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ حُجَجِنَا..

﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنعام: ٤٩] بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠﴾ [الأنعام: ٥٠].

﴿قُلْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُنْكِرِينَ نُبُوَّتَكَ..

﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ لَسْتُ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي الرَّبُّ الَّذِي لَهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَعْلَمُ غُيُوبَ الْأَشْيَاءِ الْخَفِيَّةِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الرَّبُّ الَّذِي لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَتُكَذِّبُونِي فِيمَ أَقُولُ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَبًّا إِلَّا مَنْ لَهُ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ وَمَنْ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَذَلِكَ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ..

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾ لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَلَكٍ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرًا بِصُورَتِهِ لِأَبْصَارِ الْبَشَرِ فِي الدُّنْيَا، فَتَجْحَدُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ..

﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ قُلْ لَهُمْ: مَا أَتَّبِعُ فِيمَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ إِلَّا وَحْيَ اللهِ الَّذِي يُوحِيهِ إِلَيَّ، وَتَنْزِيلَهُ الَّذِي يُنَزِّلُهُ عَلَيَّ، فَأَمْضِي لِوَحْيِهِ، وَأَأْتَمِرُ لِأَمْرِهِ، وَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ مِنَ اللهِ عُذْرَكُمْ عَلَىٰ صِحَّةِ قَوْلِي فِي ذَلِكَ، وَلَيْسَ الَّذِي أَقُولُ مِنْ ذَلِكَ بِمُنْكَرٍ فِي عُقُولِكُمْ، وَلَا مُسْتَحِيلٌ كَوْنُهُ، بَلْ ذَلِكَ مَعَ وُجُودِ الْبُرْهَانِ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ هُوَ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، فَمَا وَجْهُ إِنْكَارِكُمْ لِذَلِكَ؟! وَذَلِكَ تَنْبِيهٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ عَلَىٰ مَوْضِعِ حُجَّتِهِ عَلَىٰ مُنْكِرِي نُبُوَّتِهِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ.

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ..

﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ﴾ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ عَنِ الْحَقِّ وَالْبَصِيرُ بِهِ؟ وَالْأَعْمَىٰ هُوَ الْكَافِرُ الَّذِي قَدْ عَمِيَ عَنْ حُجَجِ اللهِ فَلَا يَتَبَيَّنُهَا فَيَتَّبِعُهَا، وَالْبَصِيرُ: الْمُؤْمِنُ الَّذِي قَدْ أَبْصَرَ آيَاتِ اللهِ وَحُجَجَهُ فَاقْتَدَىٰ بِهَا وَاسْتَضَاءَ بِضِيَائِهَا.

﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠﴾ [الأنعام: ٥٠] يَقُولُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ: أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ فِيمَا أَحْتَجُّ عَلَيْكُمْ بِهِ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ هَذِهِ الْحُجَجِ، فَتَعْلَمُوا صِحَّةَ مَا أَقُولُ وَأَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ فَسَادِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ إِشْرَاكِ الْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ بِاللهِ رَبِّكُمْ وَتَكْذِيبِكُمْ إِيَّايَ، مَعَ ظُهُورِ حُجَجِ صِدْقِي لِأَعْيُنِكُمْ، فَتَدَعُوا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ مُقِيمُونَ، إِلَىٰ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ الَّذِي بِهِ تَفُوزُونَ؟

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنعام: ٥١].

﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ وَأَنْذِرْ يَا مُحَمَّدُ بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْقَوْمَ..

﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ عِلْمًا مِنْهُمْ بِأَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ، فَهُمْ مُصَدِّقُونَ بِوَعْدِ اللهِ وَوَعِيدِهِ، عَامِلُونَ بِمَا يُرْضِي اللهَ، دَائِمُونَ فِي السَّعْيِ فِيمَا يُنْقِذُهُمْ فِي مَعَادِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ.. وَقِيلَ مَعْنَاهُ: يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يُحْشَرُونَ، فَوُضِعَتِ (الْمَخَافَةُ) مَوْضِعَ (الْعِلْمِ)؛ لِأَنَّ خَوْفَهُمْ كَانَ مِنْ أَجْلِ عِلْمِهِمْ بِوُقُوعِ ذَلِكَ وَوُجُودِهِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ.. وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِتَعْلِيمِ أَصْحَابِهِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَتَذْكِيرِهِمْ، وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِمْ بِالْإِنْذَارِ، وَصَدِّهِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ بَعْدَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ، وَبَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، حَتَّىٰ يَكُونَ اللهُ هُوَ الْحَاكِمَ فِي أَمْرِهِمْ بِمَا يَشَاءُ مِنَ الْحُكْمِ فِيهِمْ..

﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ﴾ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ إِنْ عَذَّبَهُمْ وَلِيٌّ يَنْصُرُهُمْ فَيَسْتَنْقِذَهُمْ مِنْهُ..

﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ فَيُخَلِّصَهُمْ مِنْ عِقَابِهِ..

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنعام: ٥١] أَنْذِرْهُمْ كَيْ يَتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَيُطِيعُوا رَبَّهُمْ وَيَعْمَلُوا لِمَعَادِهِمْ، وَيَحْذَرُوا سَخَطَهُ بِاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ.

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: ٥٢].

﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾ يَا مُحَمَّدُ أَنْذِرِ بِالْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ، الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَحْشُورُونَ، فَهُمْ مِنْ خَوْفِ وُرُودِهِمْ عَلَىٰ اللهِ الَّذِي لَا شَفِيعَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلَا نَصِيرَ، فِي الْعَمَلِ لَهُ دَائِبُونَ إِذْ أَعْرَضَ عَنْ إِنْذَارِكَ وَاسْتِمَاعِ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْمُكَذِّبُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنْ قَوْمِكَ اسْتِكْبَارًا عَلَىٰ اللهِ، وَلَا تَطْرُدْهُمْ وَلَا تُقْصِهِمْ، فَتَكُونَ مِمَّنْ وَضَعَ الْإِقْصَاءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَأَقْصَىٰ وَطَرَدَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ طَرْدُهُ وَإِقْصَاؤُهُ، وَقَرَّبَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ تَقْدِيمُهُ بِقُرْبِهِ وَإِدْنَاؤُهُ، فَإِنَّ الَّذِينَ نَهَيْتُكَ عَنْ طَرْدِهِمْ هُمْ..

﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ فَيَسْأَلُونَ عَفْوَهُ وَمَغْفِرَتَهُ لِصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ، وَأَدَاءِ مَا أَلْزَمَهُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَنَوَافِلِ تَطَوُّعِهِمْ، وَذِكْرِهِمْ إِيَّاهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ..

﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ يَلْتَمِسُونَ بِذَلِكَ الْقُرْبَةَ إِلَىٰ اللهِ وَالدُّنُوَّ مِنْ رِضَاهُ.. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَبَبِ جَمَاعَةٍ مِنْ ضُعَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ لَهُ: لَوْ طَرَدْتَ هَؤُلَاءِ عَنْكَ لَغَشِيْنَاكَ وَحَضَرْنَا مَجْلِسَكَ..

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِ مَا رَزَقْتُهُمْ مِنَ الرِّزْقِ مِنْ شَيْءٍ..

﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ وَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ حِسَابِ مَا رَزَقْتُكَ مِنَ الرِّزْقِ مِنْ شَيْءٍ..

﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ حِذَارَ مُحَاسَبَتِي إِيَّاكَ بِمَا خَوَّلْتُهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الرِّزْقِ..

﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾ [الأنعام: ٥٢] جَوَابٌ لِقَوْلِهِ: «وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ».

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝﴾ [الأنعام: ٥٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ وَكَذَلِكَ اخْتَبَرْنَا وَابْتَلَيْنَا.. وَإِنَّمَا فِتْنَةُ اللهِ تَعَالَىٰ بَعْضَ خَلْقِهِ بِبَعْضٍ، مُخَالَفَتُهُ بَيْنَهُمْ فِيمَا قَسَمَ لَهُمْ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْأَخْلَاقِ، فَجَعَلَ بَعْضًا غَنِيًّا، وَبَعْضًا فَقِيرًا، وَبَعْضًا قَوِيًّا، وَبَعْضًا ضَعِيفًا، فَأَحْوَجَ بَعْضَهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ، اخْتِبَارًا مِنْهُ لَهُمْ بِذَلِكَ..

﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾ اخْتَبَرْنَا النَّاسَ بِالْغِنَىٰ وَالْفَقْرِ، وَالْعِزِّ وَالذُّلِّ، وَالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ، وَالْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ، كَيْ يَقُولَ مَنْ أَضَلَّهُ اللهُ وَأَعْمَاهُ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ لِلَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَوَفَّقَهُمْ..

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِالْهُدَىٰ وَالرُّشْدِ، وَهُمْ فُقَرَاءُ ضُعَفَاءُ أَذِلَّاءُ..

﴿مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ﴾ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ أَقْوِيَاءُ، اسْتِهْزَاءً بِهِمْ، وَمَعَادَاةً لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ..

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝﴾ [الأنعام: ٥٣] وَهَذَا مِنْهُ تَعَالَىٰ إِجَابَةٌ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ اللهُ هَدَىٰ أَهْلَ الْمَسْكَنَةِ وَالضَّعْفِ لِلْحَقِّ، وَخَذَلَهُمْ عَنْهُ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ، وَتَقْرِيرٌ لَهُمْ: أَنَا أَعْلَمُ بِمَنْ كَانَ مِنْ خَلْقِي شَاكِرًا نِعْمَتِي مِمَّنْ هُوَ لَهَا كَافِرٌ، فَمَنِّي عَلَىٰ مَنْ مَنَنْتُ عَلَيْهِ مِنْهُمْ بِالْهِدَايَةِ جَزَاءُ شُكْرِهِ إِيَّايَ عَلَىٰ نِعْمَتِي، وَتَخَذُّلِي مَنْ خَذَلْتُ مِنْهُمْ عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ عُقُوبَةُ كُفْرَانِهِ إِيَّايَ نِعْمَتِي، لَا لِغِنَىٰ الْغَنِيِّ مِنْهُمْ، وَلَا لِفَقْرِ الْفَقِيرِ؛ لِأَنَّ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ لَا يَسْتَحِقُّهُ أَحَدٌ إِلَّا جَزَاءً عَلَىٰ عَمَلِهِ الَّذِي اكْتَسَبَهُ، لَا عَلَىٰ غِنَاهُ وَفَقْرِهِ؛ لِأَنَّ الْغِنَىٰ وَالْفَقْرَ وَالْعَجْزَ وَالْقُوَّةَ لَيْسَ مِنْ أَفْعَالِ خَلْقِي.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٤].

﴿وَإِذَا جَاءَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ الْقَوْمُ..

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِتَنْزِيلِنَا وَأَدِلَّتِنَا وَحُجَجِنَا، فَيُقِرُّونَ بِذَلِكَ قَوْلًا وَعَمَلًا، مُسْتَرْشِدِيكَ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْهُمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، هَلْ لَهُمْ مِنْهَا تَوْبَةٌ؟ فَلَا تُؤَيِّسْهُمْ مِنْهَا..

﴿فَقُلْ﴾ لَهُمْ..

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أَمَنَةُ اللهِ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ أَنَّ يُعَاقِبَكُمْ عَلَيْهَا بَعْدَ تَوْبَتِكُمْ مِنْهَا..

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ قَضَىٰ رَبُّكُمُ الرَّحْمَةَ بِخَلْقِهِ..

﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾ أَنَّهُ مَنِ اقْتَرَفَ مِنْكُمْ ذَنْبًا، فَجَهِلَ بِاقْتِرَافِهِ إِيَّاهُ..

﴿ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ﴾ لِذَنْبِهِ إِذَا تَابَ وَأَنَابَ، وَرَاجَعَ الْعَمَلَ بِطَاعَةِ اللهِ، وَتَرَكَ الْعَوْدَ إِلَىٰ مِثْلِهِ، مَعَ النَّدَمِ عَلَىٰ مَا فَرَّطَ مِنْهُ..

﴿رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٤] بِالتَّائِبِ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَىٰ ذَنْبِهِ بَعْدَ تَوْبَتِهِ مِنْهُ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: ٥٥].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا فَصَّلْنَا لَكَ فِي هَٰذِهِ السُّورَةِ، مِنَ ابْتِدَائِهَا وَفَاتِحَتِهَا يَا مُحَمَّدُ، إِلَىٰ هَٰذَا الْمَوْضِعِ حُجَّتَنَا عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَأَدِلَّتَنَا، وَمَيَّزْنَاهَا لَكَ وَبَيَّنَّاهَا، كَذَلِكَ..

﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ نُفَصِّلُ لَكَ أَعْلَامَنَا وَأَدِلَّتَنَا فِي كُلِّ حَقٍّ يُنْكِرُهُ أَهْلُ الْبَاطِلِ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ الْمِلَلِ غَيْرِهِمْ، فَنُبَيِّنُهَا لَكَ حَتَّىٰ تُبَيِّنَ حَقَّهُ مِنْ بَاطِلِهِ، وَصَحِيحَهُ مِنْ سَقِيمِهِ..

﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ وَلِتَتَّضِحَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ..

﴿سَبِيلُ﴾ طَرِيقُ..

﴿الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: ٥٥] الَّذِينَ سَأَلُوكَ طَرْدَ النَّفَرِ الَّذِينَ سَأَلُوهُ طَرْدَهُمْ عَنْهُ مِنْ أَصْحَابِهِ.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا

مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنعام: ٥٦].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِرَبِّهِمْ مِنْ قَوْمِكَ، الْعَادِلِينَ بِهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَنْدَادَ، الَّذِينَ يَدْعُونَكَ إِلَىٰ مُوَافَقَتِهِمْ عَلَىٰ دِينِهِمْ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿إِنِّي نُهِيتُ﴾ إِنَّ اللهَ نَهَانِي..

﴿أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ فَلَنْ أَتَّبِعَكُمْ عَلَىٰ مَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا أُوَافِقُكُمْ عَلَيْهِ، وَلَا أُعْطِيكُمْ مَحَبَّتَكُمْ وَهَوَاكُمْ فِيهِ..

﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنعام: ٥٦] وَإِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ فَقَدْ تَرَكْتُ مَحَجَّةَ الْحَقِّ وَسَلَكْتُ عَلَىٰ غَيْرِ الْهُدَىٰ، فَصِرْتُ ضَالًّا مِثْلَكُمْ عَلَىٰ غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام: ٥٧].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمْ، الدَّاعِينَ لَكَ إِلَىٰ الْإِشْرَاكِ بِرَبِّكَ..

﴿إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ إِنِّي عَلَىٰ بَيَانٍ قَدْ تَبَيَّنْتُهُ، وَبُرْهَانٍ قَدْ وَضَحَ لِي.. وَكَذَلِكَ تَقُولُ الْعَرَبُ: فُلَانٌ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، إِذَا كَانَ عَلَىٰ بَيَانٍ مِنْهُ..

﴿مِّن رَّبِّي﴾ مِنْ تَوْحِيدِهِ، وَمَا أَنَا عَلَيْهِ مِنْ إِخْلَاصِ عُبُودِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكِ شَيْءٍ بِهِ..

﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ وَكَذَبْتُمْ أَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ، فَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ (بِهِ) مِنْ ذِكْرِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَزَّ..

﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ مَا الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ مِنْ نِقَمِ اللهِ وَعَذَابِهِ بِيَدِي، وَلَا أَنَا عَلَىٰ ذَلِكَ بِقَادِرٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا حِينَ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِتَوْحِيدِهِ، فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ اللهِ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ رَسُولُهُ إِلَيْهِمْ: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣]، وَقَالُوا لِلْقُرْآنِ: هُوَ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ.. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ هُوَ اخْتِلَاقٌ اخْتَلَقَهُ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مُحَمَّدٌ شَاعِرٌ، فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ.. فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: أَجِبْهُمْ بِـ..

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ﴾ مَا الْحَكَمُ فِيمَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَفِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ..

﴿إِلَّا لِلَّهِ ۖ﴾ الَّذِي لَا يَجُورُ فِي حُكْمِهِ، وَبِيَدِهِ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ.. فَالْآيَاتُ بِيَدِ اللهِ لَا بِيَدِكَ، وَإِنَّمَا

أَنْتَ رَسُولٌ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ لِمَا أُرْسِلْتَ بِهِ..

﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ فَاللهُ يَقْضِي الْحَقَّ فِيهِمْ وَفِيكَ..

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ۝٥٧﴾ [الأنعام: ٥٧] بَيْنَنَا بِقَضَائِهِ وَحُكْمِهِ، فَيَفْصِلُ بِهِ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، فَيَتَبَيَّنُ الْمُحِقُّ مِنْكُمْ وَالْمُبْطِلُ، فَهُوَ خَيْرُ مَنْ بَيَّنَ وَمَيَّزَ بَيْنَ الْمُحِقِّ وَالْمُبْطِلِ وَأَعْدَلُهُمْ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقَعُ فِي حُكْمِهِ وَقَضَائِهِ حَيْفٌ إِلَىٰ أَحَدٍ لِوَسِيلَةٍ لَهُ إِلَيْهِ، وَلَا لِقَرَابَةٍ، وَلَا مُنَاسَبَةٍ، وَلَا فِي قَضَائِهِ جَوْرٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فِي الْأَحْكَامِ فَيَجُورُ، فَهُوَ أَعْدَلُ الْحُكَّامِ وَخَيْرُ الْفَاصِلِينَ.

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٨﴾

[الأنعام: ٥٨].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ، الْمُكَذِّبِيكَ فِيمَا جِئْتَهُمْ بِهِ، السَّائِلِيكَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ اسْتِعْجَالًا مِنْهُمْ بِالْعَذَابِ..

﴿لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ لَوْ أَنَّ بِيَدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ..

﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ﴾ فَفُصِلَ ذَلِكَ أَسْرَعَ الْفَصْلِ، بِتَعْجِيلِي لَكُمْ مَا تَسْأَلُونِي مِنْ ذَلِكَ وَتَسْتَعْجِلُونَهُ..

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٨﴾ [الأنعام: ٥٨] وَلَكِنَّ ذَلِكَ بِيَدِ اللهِ، الَّذِي هُوَ أَعْلَمُ بِوَقْتِ إِرْسَالِهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ، الَّذِينَ يَضَعُونَ عِبَادَتَهُمْ -الَّتِي لَا تَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ إِلَّا لِلَّهِ- فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، فَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ الْآلِهَةَ وَالْأَصْنَامَ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِوَقْتِ الِانْتِقَامِ مِنْهُمْ وَحَالِ الْقَضَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ.

﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾

[الأنعام: ٥٩].

﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ مِنْ خَلْقِهِ، وَمَا هُمْ مُسْتَحِقُّوهُ وَمَا هُوَ بِهِمْ صَانِعٌ، فَإِنَّ عِنْدَ اللهِ عِلْمُ مَا غَابَ عَنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، مِمَّا لَا تَعْلَمُونَهُ وَلَنْ تَعْلَمُوهُ..

﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ مِمَّا اسْتَأْثَرَ بِعِلْمِهِ نَفْسَهُ، فَلَمْ يَطَّلِعُوا عَلَيْهِ، وَلَمْ يُدْرِكُوهُ، وَلَمْ يَعْلَمُوهُ، وَلَنْ يُدْرِكُوهُ..

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ وَيَعْلَمُ أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ جَمِيعَ مَا يَعْلَمُهُ جَمِيعُكُمْ مِمَّا لَمْ يَغِبْ أَيْضًا عَنْكُمْ؛ لِأَنَّ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ لِلْعَيْنِ يَعْلَمُهُ الْعِبَادُ.. لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ إِلَّا مَا يَخْفَىٰ عَنِ النَّاسِ أَوْ مَا لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِمْ، فَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنَّ عِنْدَهُ عِلْمُ كُلِّ شَيْءٍ كَانَ وَيَكُونُ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ مِمَّا لَمْ يَكُنْ بَعْدُ، وَذَلِكَ هُوَ الْغَيْبُ..

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ وَلَا تَسْقُطُ وَرَقَةٌ فِي الصَّحَارِي وَالْبَرَارِي وَلَا فِي الْأَمْصَارِ وَالْقُرَىٰ إِلَّا اللهُ يَعْلَمُهَا..

﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ وَلَا شَيْءَ أَيْضًا مِمَّا هُوَ مَوْجُودٌ أَوْ مِمَّا سَيُوجَدُ وَلَمْ يُوجَدْ بَعْدُ..

﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ إِلَّا وَهُوَ مُثْبَتٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، مَكْتُوبٌ ذَلِكَ فِيهِ، وَمَرْسُومٌ عَدَدُهُ، وَمَبْلَغُهُ، وَالْوَقْتُ الَّذِي يُوجَدُ فِيهِ، وَالْحَالُ الَّتِي يَفْنَىٰ فِيهَا..

﴿مُّبِينٍ ۝﴾ [الأنعام: ٥٩] يُبِينُ عَنْ صِحَّةِ مَا هُوَ فِيهِ بِوُجُودِ مَا رُسِمَ فِيهِ عَلَىٰ مَا رُسِمَ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا وَجْهُ إِثْبَاتِهِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ مَا لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ، وَهُوَ بِجَمِيعِهِ عَالِمٌ لَا يُخَافُ نِسْيَانُهُ؟ قِيلَ لَهُ: لِلَّهِ تَعَالَىٰ فِعْلُ مَا شَاءَ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ امْتِحَانًا مِنْهُ لِحَفَظَتِهِ، وَاخْتِبَارًا لِلْمُتَوَكِّلِينَ بِكِتَابَةِ أَعْمَالِهِمْ، فَإِنَّهُمْ فِيمَا ذُكِرَ مَأْمُورُونَ بِكِتَابَةِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، ثُمَّ بِعَرْضِهَا عَلَىٰ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، حَتَّىٰ أَثْبَتَ فِيهِ مَا أَثْبَتَ كُلَّ يَوْمٍ.. وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾ [الجاثية: ٢٩].. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ، إِمَّا بِحُجَّةٍ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَىٰ بَعْضِ مَلَائِكَتِهِ، وَإِمَّا عَلَىٰ بَنِي آدَمَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٦٠].

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم﴾ وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ، وَاللهُ يَتَوَفَّىٰ أَرْوَاحَكُمْ.. وَمَعْنَىٰ التَّوَفِّي فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: اسْتِيفَاءُ الْعَدَدِ..

﴿بِاللَّيْلِ﴾ فَيَقْبِضُهَا مِنْ أَجْسَادِكُمْ..

﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ وَيَعْلَمُ مَا كَسَبْتُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِالنَّهَارِ.. وَالِاجْتِرَاحُ عِنْدَ الْعَرَبِ: عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ أَوْ رِجْلِهِ أَوْ فَمِهِ، وَهِيَ الْجَوَارِحُ عِنْدَهُمْ، جَوَارِحُ الْبَدَنِ فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُمْ، ثُمَّ

يُقَالُ لِكُلِّ مُكْتَسِبٍ عَمَلًا: جَارِحٌ، لِاسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْجَوَارِحِ، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ فِي الْكَلَامِ حَتَّىٰ قِيلَ لِكُلِّ مُكْتَسِبٍ كَسْبًا بِأَيِّ أَعْضَاءِ جِسْمِهِ اكْتَسَبَ: مُجْتَرِحٌ..

﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾ يُثِيرُكُمْ وَيُوقِظُكُمْ مِنْ مَنَامِكُمْ..

﴿فِيهِ﴾ فِي النَّهَارِ..

﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لِيَقْضِيَ اللهُ الْأَجَلَ الَّذِي سَمَّاهُ لِحَيَاتِكُمْ، وَذَلِكَ الْمَوْتُ، فَيَبْلُغُ مُدَّتَهُ وَنِهَايَتَهُ..

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ ثُمَّ إِلَىٰ اللهِ مَعَادُكُمْ وَمَصِيرُكُمْ..

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنعام: ٦٠] ثُمَّ يُخْبِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا، ثُمَّ يُجَازِيكُمْ بِذَلِكَ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.. وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ خَبَرًا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ عَنْ قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ، فَإِنَّ فِيهِ احْتِجَاجًا عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ بِهِ الَّذِينَ كَانُوا يُنْكِرُونَ قُدْرَتَهُ عَلَىٰ إِحْيَائِهِمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَبَعْثِهِمْ بَعْدَ فَنَائِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَىٰ مُحْتَجًّا عَلَيْهِمْ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: ٦٠] يَقُولُ: فَالَّذِي يَقْبِضُ أَرْوَاحَكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَبْعَثُكُمْ فِي النَّهَارِ، لِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى، وَأَنْتُمْ تَرَوْنَ ذَلِكَ، وَتَعْلَمُونَ صِحَّتَهُ، غَيْرُ مُنْكَرٍ لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَىٰ قَبْضِ أَرْوَاحِكُمْ وَإِفْنَائِكُمْ، ثُمَّ رَدِّهَا إِلَىٰ أَجْسَادِكُمْ وَإِنْشَائِكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَظِيرُ مَا تُعَايِنُونَ وَتُشَاهِدُونَ، وَغَيْرُ مُنْكَرٍ لِمَنْ قَدَرَ عَلَىٰ مَا تُعَايِنُونَ مِنْ ذَلِكَ الْقُدْرَةُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُعَايِنُوهُ، وَإِنَّ الَّذِي لَمْ تَرَوْهُ وَلَمْ تُعَايِنُوهُ مِنْ ذَلِكَ شَبِيهُ مَا رَأَيْتُمْ وَعَايَنْتُمْ.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: ٦١].

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ وَاللهُ الْغَالِبُ خَلْقَهُ..

﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ الْعَالِي عَلَيْهِمْ بِقُدْرَتِهِ، لَا الْمَقْهُورُ مِنْ أَوْثَانِهِمْ وَأَصْنَامِهِمُ الْمُذَلَّلُ الْمَغْلُوبُ عَلَيْهِ لِذِلَّتِهِ..

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ وَهِيَ مَلَائِكَتُهُ الَّذِينَ يَتَعَاقَبُونَكُمْ لَيْلًا وَنَهَارًا، يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ وَيُحْصُونَهَا، وَلَا يُفَرِّطُونَ فِي حِفْظِ ذَلِكَ وَإِحْصَائِهِ وَلَا يُضَيِّعُونَ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ إِلَىٰ أَنْ يَحْضُرَكُمُ الْمَوْتُ وَيَنْزِلُ بِكُمْ أَمْرُ اللهِ، فَإِذَا جَاءَ ذَلِكَ

أَحَدَكُمْ..

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ تَوَفَّاهُ أَمْلاكُنَا الْمُوَكَّلُونَ بِقَبْضِ الأَرْوَاحِ، وَرُسُلُنَا الْمُرْسَلُونَ بِهِ.. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَلَيْسَ الَّذِي يَقْبِضُ الأَرْوَاحَ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَكَيْفَ قِيلَ: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾، وَالرُّسُلُ جُمْلَةٌ وَهُوَ وَاحِدٌ؟ أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١] ؟ قِيلَ: جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَىٰ أَعَانَ مَلَكَ الْمَوْتِ بِأَعْوَانٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَيَتَوَلَّوْنَ ذَلِكَ بِأَمْرِ مَلَكِ الْمَوْتِ، فَيَكُونُ (التَّوَفِّي) مُضَافًا، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ أَعْوَانِ مَلَكِ الْمَوْتِ إِلَىٰ مَلَكِ الْمَوْتِ، إِذْ كَانَ فِعْلُهُمْ مَا فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ بِأَمْرِهِ، كَمَا يُضَافُ قَتْلُ مَنْ قَتَلَ أَعْوَانُ السُّلْطَانِ، وَجَلْدُ مَنْ جَلَدُوهُ بِأَمْرِ السُّلْطَانِ إِلَىٰ السُّلْطَانِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ السُّلْطَانُ بَاشَرَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ وَلَا وَلِيَهُ بِيَدِهِ..

﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٦١] فِي ذَلِكَ فَيُضَيِّعُونَهُ.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ۝﴾ [الأنعام: ٦٢].

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ﴾ ثُمَّ رَدَّتِ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تَوَفَّوْهُمْ فَقَبَضُوا نُفُوسَهُمْ وَأَرْوَاحَهُمْ..

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ سَيِّدُهُمُ الْحَق..

﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ..

﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ۝﴾ [الأنعام: ٦٢] وَهُوَ أَسْرَعُ مَنْ حَسَبَ عَدَدَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ وَآجَالَكُمْ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَحْصَاهَا وَعَرَفَ مَقَادِيرَهَا وَمَبَالِغَهَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْسِبُ بِعَقْدِ يَدٍ، وَلَكِنَّهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ خَافِيَةٌ، وَ ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝﴾ [سبأ: ٣].

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝﴾ [الأنعام: ٦٣].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الدَّاعِينَ لَكَ إِلَىٰ عِبَادَةِ أَوْثَانِهِمْ..

﴿مَن﴾ الَّذِي..

﴿يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ﴾ إِذَا ضَلَلْتُمْ فِيهِ فَتَحَيَّرْتُمْ، فَأَظْلَمَ عَلَيْكُمُ الْهُدَىٰ وَالْمَحَجَّةُ..

﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ وَمِنْ ظُلُمَاتِ الْبَحْرِ إِذَا رَكِبْتُمُوهُ، فَأَخْطَأْتُمْ فِيهِ الْمَحَجَّةَ، فَأَظْلَمَ عَلَيْكُمْ فِيهِ

السَّبِيلُ، فَلَا تَهْتَدُونَ لَهُ، غَيْرُ اللهِ الَّذِي..

﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا﴾ مِنْكُمْ إِلَيْهِ، وَاسْتِكَانَةً جَهْرًا..

﴿وَخُفْيَةً﴾ وَإِخْفَاءً لِلدُّعَاءِ أَحْيَانًا، وَإِعْلَانًا وَإِظْهَارًا تَقُولُونَ..

﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ يَا رَبُّ، أَيْ مِنْ هَذِهِ الظُّلُمَاتِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا..

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٣﴾ [الأنعام: ٦٣] لَنَكُونَنَّ مِمَّنْ يُوَحِّدُكَ بِالشُّكْرِ، وَيُخْلِصُ لَكَ الْعِبَادَةَ دُونَ مَنْ كُنَّا نُشْرِكُهُ مَعَكَ فِي عِبَادَتِكَ.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝٦٤﴾ [الأنعام: ٦٤].

﴿قُلِ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمْ سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ، إِذَا أَنْتَ اسْتَفْهَمْتَهُمْ عَمَّنْ بِهِ يَسْتَعِينُونَ عِنْدَ نُزُولِ الْكَرْبِ بِهِمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ..

﴿ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾ اللهُ الْقَادِرُ عَلَىٰ فَرَجِكُمْ عِنْدَ حُلُولِ الْكَرْبِ بِكُمْ، يُنْجِيكُمْ مِنْ عَظِيمِ النَّازِلِ بِكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِنْ هَمِّ الضَّلَالِ وَخَوْفِ الْهَلَاكِ..

﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ سِوَىٰ ذَلِكَ وَهَمٍّ، لَا آلِهَتُكُمُ الَّتِي تُشْرِكُونَ بِهَا فِي عِبَادَتِهِ، وَلَا أَوْثَانُكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِهِ، الَّتِي لَا تَقْدِرُ لَكُمْ عَلَىٰ نَفْعٍ وَلَا ضَرٍّ..

﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ بَعْدَ تَفَضُّلِهِ عَلَيْكُمْ بِكَشْفِ النَّازِلِ بِكُمْ مِنَ الْكَرْبِ، وَدَفْعِ الْحَالِّ بِكُمْ مِنْ جَسِيمِ الْهَمِّ..

﴿تُشْرِكُونَ ۝٦٤﴾ [الأنعام: ٦٤] تَعْدِلُونَ بِهِ آلِهَتَكُمْ وَأَصْنَامَكُمْ، فَتُشْرِكُونَهَا فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ مِنْكُمْ جَهْلٌ بِوَاجِبِ حَقِّهِ عَلَيْكُمْ، وَكُفْرٌ لِأَيَادِيهِ عِنْدَكُمْ، وَتَعَرُّضٌ مِنْكُمْ لِإِنْزَالِ عُقُوبَتِهِ عَاجِلًا بِكُمْ.

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۝٦٥﴾ [الأنعام: ٦٥].

﴿قُلْ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمْ غَيْرَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ الَّذِي يُنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ تَعُودُونَ لِلْإِشْرَاكِ بِهِ..

﴿هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ﴾ أَنْ يُرْسِلَ..

﴿عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾ لِشِرْكِكُمْ بِهِ، وَادِّعَائِكُمْ مَعَهُ إِلَاهًا آخَرَ غَيْرَهُ، وَكُفْرَانِكُمْ نِعَمَهُ مَعَ إِسْبَاغِهِ عَلَيْكُمْ آلَاءَهُ وَمِنَنَهُ..

﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ بِالرَّجْمِ أَوِ بِالطُّوفَانِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمْ..

﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ بِالْخَسْفِ وَمَا أَشْبَهَهُ..

﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾ أَوْ يَخْلِطَكُمْ.. مِنْ قَوْلِكَ: لَبَسْتُ عَلَيْهِ الْأَمْرَ، إِذَا خَلَطْتُ، فَأَنَا أَلْبِسُهُ..

﴿شِيَعًا﴾ فِرَقًا، وَاحِدَتُهَا شِيعَةٌ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ: أَوْ يَخْلِطَكُمْ أَهْوَاءً مُخْتَلِفَةً وَأَحْزَابًا مُفْتَرِقَةً..

﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بِقَتْلِ بَعْضِكُمْ بِيَدِ بَعْضٍ.. وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِيمَنْ عُنِيَ بِهَذِهِ الْآيَةِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَفِيهِمْ نَزَلَتْ، قَالَ جَابِرُ بنُ عبدِ الله رضي الله عنه: لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] قَالَ: «هَاتَانِ أَيْسَرُ» أَوْ «أَهْوَنُ»، وعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، يَرْفَعُهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ زَوَىٰ لِيَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَإِنِّي أُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لا يُهْلِكَ قَوْمِي بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لا يَلْبِسَهُمْ شِيَعًا وَلا يُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَلا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِمَّنْ سِوَاهُمْ فَيُهْلِكَهُمْ بِعَامَّةٍ حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَبَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا، وَبَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنِّي أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، فَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**».. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِبَعْضِهَا أَهْلُ الشِّرْكِ، وَبِبَعْضِهَا أَهْلُ الْإِسْلَامِ، فعَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ: «**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ**»، قَالَ: هَذَا لِلْمُشْرِكِينَ، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] قَالَ: هَذَا لِلْمُسْلِمِينَ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ تَوَعَّدَ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَهْلَ الشِّرْكِ بِهِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَإِيَّاهُمْ خَاطَبَ بِهَا، لِأَنَّهَا بَيْنَ إِخْبَارٍ عَنْهُمْ وَخِطَابٍ لَهُمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا تَتْلُو قَوْلَهُ: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنعام: ٦٣ - ٦٤]، وَيَتْلُوهَا قَوْلُهُ: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٦٦]، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُونَ كَانُوا بِهِ مُكَذِّبِينَ، فَإِذَا كَانَ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ

كَذَلِكَ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، كَانَ بَيِّنًا أَنَّ ذَلِكَ وَعِيدٌ لِمَنْ تَقَدَّمَ وَصْفُ اللهِ إِيَّاهُ بِالشِّرْكِ، وَتَأَخَّرَ الْخَبَرُ عَنْهُ بِالتَّكْذِيبِ، لَا لِمَنْ لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ.. غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ قَدْ عَمَّ وَعِيدُهُ بِذَلِكَ كُلَّ مَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْخِلَافِ عَلَىٰ اللهِ وَعَلَىٰ رَسُولِهِ، وَالتَّكْذِيبِ بِآيَاتِ اللهِ مِنْ هَذِهِ وَغَيْرِهَا.. وَأَمَّا الْأَخْبَارُ الَّتِي رُوِيَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً**»، فَجَائِزٌ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَعِيدًا لِمَنْ ذَكَرْتُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَمَنْ كَانَ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ مِنَ الْمُخَالِفِينَ رَبَّهُمْ، فَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَبَّهُ أَنْ يُعِيذَ أُمَّتَهُ مِمَّا ابْتَلَىٰ بِهِ الْأُمَمَ الَّذِينَ اسْتَوْجَبُوا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ هَذِهِ الْعُقُوبَاتِ، فَأَعَاذَهُمْ بِدُعَائِهِ إِيَّاهُ وَرَغْبَتِهِ إِيَّاهُ مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي يَسْتَحِقُّونَ بِهَا مِنْ هَذِهِ الْخِلَالِ الْأَرْبَعِ مِنَ الْعُقُوبَاتِ أَغْلَظَهَا، وَلَمْ يُعِذْهُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا يَسْتَحِقُّونَ بِهِ اثْنَتَيْنِ مِنْهَا.. وَأَمَّا الَّذِينَ تَأَوَّلُوا أَنَّهُ عُنِيَ بِجَمِيعِ مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ هَذِهِ الْأُمَّةُ، فَإِنِّي أَرَاهُمْ تَأَوَّلُوا أَنَّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ سَيَأْتِي مِنْ مَعَاصِي اللهِ وَرُكُوبِ مَا يُسْخِطُ اللهَ نَحْوَ الَّذِي رَكِبَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ مِنْ خِلَافِهِ وَالْكُفْرِ بِهِ، فَيَحِلُّ بِهِمْ مِثْلُ الَّذِي حَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ وَالنَّقِمَاتِ، وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ: جَاءَ مِنْهُنَّ اثْنَتَانِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ، وَأَنَّ قَوْمًا مِنْ أُمَّتِهِ سَيَبِيتُونَ عَلَىٰ لَهْوٍ وَلَعِبٍ ثُمَّ يُصْبِحُونَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ**»، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ نَظِيرُ الَّذِي فِي الْأُمَمِ الَّذِينَ عَتَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ فِي التَّكْذِيبِ وَجَحَدُوا آيَاتِهِ.

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ انْظُرْ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ إِلَىٰ تَرْدِيدِنَا حُجَجَنَا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِرَبِّهِمُ الْجَاحِدِينَ نِعَمَهُ، وَتَصْرِيفِنَاهَا فِيهِمْ..

﴿لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾ [الأنعام: ٦٥] لِيَفْقَهُوا ذَلِكَ وَيَعْتَبِرُوهُ، فَيَذَّكَّرُوا وَيَزْدَجِرُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِمَّا يَسْخَطُهُ اللهُ مِنْهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَالتَّكْذِيبِ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ وَرَسُولِهِ ﷺ.

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ٦٦﴾ [الأنعام: ٦٦].

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿قَوۡمُكَ﴾ بِمَا تَقُولُ وَتُخْبِرُ وَتَوَعَّدُ مِنَ الْوَعِيدِ..

﴿وَهُوَ﴾ وَالْوَعِيدُ الَّذِي أَوْعَدْنَاهُمْ عَلَىٰ مَقَامِهِمْ عَلَىٰ شِرْكِهِمْ مِنْ بَعْثِ الْعَذَابِ مِنْ فَوْقِهِمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ، أَوْ لَبْسِهِمْ شِيَعًا، وَإِذَاقَةِ بَعْضِهِمْ بَأْسَ بَعْضٍ..

﴿ٱلْحَقُّ﴾ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُ وَاقِعٌ، إِنْ هُمْ لَمْ يَتُوبُوا وَيُنِيبُوا مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ وَالشِّرْكِ بِهِ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ..

﴿قُل﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ٦٦] لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ وَلَا رَقِيبٍ، وَإِنَّمَا رَسُولٌ أُبَلِّغُكُمْ مِمَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧].

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ لِكُلِّ خَبَرٍ قَرَارٌ يَسْتَقِرُّ عِنْدَهُ، وَنِهَايَةٌ يَنْتَهِي إِلَيْهَا، فَيَتَبَيَّنُ حَقُّهُ وَصِدْقُهُ مِنْ كَذِبِهِ وَبَاطِلِهِ..

﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧] أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ، بِصِحَّةِ مَا أُخْبِرُكُمْ بِهِ مِنْ وَعِيدِ اللهِ إِيَّاكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، وَحَقِّيَّتِهِ عِنْدَ حُلُولِ عَذَابِهِ بِكُمْ، فَرَأَوْا ذَلِكَ وَعَايَنُوهُ، فَقَتَلَهُمْ يَوْمَئِذٍ بِأَوْلِيَائِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.. وَكَانَ الْحَسَنُ يَتَأَوَّلُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ الْفِتْنَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَنِ الْحَسَنِ، أَنَّهُ قَرَأَ: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: ٦٧] قَالَ: (**حُبِسَتْ عُقُوبَتُهَا حَتَّىٰ إِذَا عُمِلَ ذَنْبُهَا أُرْسِلَتْ عُقُوبَتُهَا**).

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ الْمُشْرِكِينَ..

﴿ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا إِلَيْكَ، وَوَحْيِنَا الَّذِي أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ، وَ (**خَوْضُهُمْ فِيهَا**) كَانَ اسْتِهْزَاءَهُمْ بِهَا، وَسَبَّهُمْ مَنْ أَنْزَلَهَا وَتَكَلَّمَ بِهَا، وَتَكْذِيبَهُمْ بِهَا..

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فَصُدَّ عَنْهُمْ بِوَجْهِكَ، وَقُمْ عَنْهُمْ، وَلَا تَجْلِسْ مَعَهُمْ..

﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ حَتَّىٰ يَأْخُذُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِ الِاسْتِهْزَاءِ بِآيَاتِ اللهِ مِنْ حَدِيثِهِمْ بَيْنَهُمْ..

﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ وَإِنْ أَنْسَاكَ الشَّيْطَانُ نَهْيَنَا إِيَّاكَ عَنِ الْجُلُوسِ مَعَهُمْ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ فِي حَالِ خَوْضِهِمْ فِي آيَاتِنَا، ثُمَّ ذَكَرْتَ ذَلِكَ..

﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ فَقُمْ عَنْهُمْ، وَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ذِكْرِكَ ذَلِكَ..

﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٦٨﴾ [الأنعام: ٦٨] الَّذِينَ خَاضُوا فِي غَيْرِ الَّذِي لَهُمُ الْخَوْضُ فِيهِ بِمَا خَاضُوا بِهِ فِيهِ، وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَىٰ ظُلْمِهِمْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٦٩﴾ [الأنعام: ٦٩].

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ وَمَنِ اتَّقَىٰ اللهَ فَخَافَهُ فَأَطَاعَهُ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَاجْتَنَبَ مَا نَهَاهُ عَنْهُ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ بِتَرْكِ الْإِعْرَاضِ عَنْ هَؤُلَاءِ الْخَائِضِينَ فِي آيَاتِ اللهِ فِي حَالِ خَوْضِهِمْ فِي آيَاتِ اللهِ شَيْءٌ مِنْ تَبِعَةٍ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ تَرْكُهُ الْإِعْرَاضَ عَنْهُمْ رِضًا بِمَا هُمْ فِيهِ، وَكَانَ لِلَّهِ بِحُقُوقِهِ مُتَّقِيًا، وَلَا عَلَيْهِ مِنْ إِثْمِهِمْ بِذَلِكَ حَرَجٌ، وَلَكِنْ لِيُعْرِضُوا عَنْهُمْ حِينَئِذٍ..

﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ لِأَمْرِ اللهِ..

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٦٩﴾ [الأنعام: ٦٩] لِيَتَّقُوا الْخَوْضَ فِيهَا وَيَتْرُكُوا ذَلِكَ.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ۝٧٠﴾ [الأنعام: ٧٠].

﴿وَذَرِ﴾ يا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ..

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَ اللهِ وَطَاعَتَهُمْ إِيَّاهُ..

﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ فَجَعَلُوا حُظُوظَهُمْ مِنْ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ اللَّعِبَ بِآيَاتِهِ، وَاللَّهْوَ وَالِاسْتِهْزَاءَ بِهَا إِذَا سَمِعُوهَا وَتُلِيَتْ عَلَيْهِمْ، فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ، فَإِنِّي لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ، وَإِنِّي لَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الِانْتِقَامِ مِنْهُمْ، وَالْعُقُوبَةِ لَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ..

﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ وَعَلَىٰ اغْتِرَارِهِمْ بِزِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَنِسْيَانِهِمُ الْمَعَادَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَالْمَصِيرَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَمَاتِ.. وَقَدْ نَسَخَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذِهِ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وَكَذَلِكَ قَالَ عَدَدٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ..

﴿وَذَكِّرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِهِۦٓ﴾ بِهَذَا الْقُرْآنِ، هَؤُلَاءِ الْمُوَلِّينَ عَنْكَ وَعَنْهُ، الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، لِيُؤْمِنُوا وَيَتَّبِعُوا مَا جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْحَقِّ..

﴿أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ﴾ كَيْلَا تُبْسَلُ نَفْسٌ بِذُنُوبِهَا وَكُفْرِهَا بِرَبِّهَا، وَتُرْتَهَنُ فَتُغْلَقُ، فِي عَذَابِ اللهِ.. وَلَكِنْ حُذِفَتْ (لَا) لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا، كَمَا قَالَ: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ﴾ [النساء: ١٧٦] بِمَعْنَىٰ: أَنْ لَا تَضِلُّوا..

﴿بِمَا كَسَبَتۡ﴾ مِنْ إِجْرَامِهَا بِالْأَوْزَارِ..

﴿لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لَيْسَ لَهَا حِينَ تُسْلَمُ بِذُنُوبِهَا فَتُرْتَهَنُ بِمَا كَسَبَتْ مِنْ آثَامِهَا..

﴿وَلِيّٞ﴾ أَحَدٌ يَنْصُرُهَا فَيُنْقِذُهَا مِنَ اللهِ الَّذِي جَازَاهَا بِذُنُوبِهَا جَزَاءَهَا..

﴿وَلَا شَفِيعٞ﴾ يَشْفَعُ لَهَا لِوَسِيلَةٍ لَهُ عِنْدَهُ.

﴿وَإِن تَعۡدِلۡ﴾ النَّفْسُ الَّتِي أُبْسِلَتْ بِمَا كَسَبَتْ..

﴿كُلَّ عَدۡلٖ﴾ كُلَّ فِدَاءٍ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: «أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا» [المائدة: ٩٥]، وَهُوَ مَا عَادَلَهُ مِنْ غَيْرِ نَوْعِهِ..

﴿لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ﴾ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهَا..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ إِنْ فَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلَّ فِدَاءٍ لَمْ يُؤْخَذْ مِنْهُمْ، هُمْ..

﴿ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ﴾ أُسْلِمُوا لِعَذَابِ اللهِ، فَرُهِنُوا بِهِ جَزَاءً..

﴿بِمَا كَسَبُواْۖ﴾ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْآثَامِ وَالْأَوْزَارِ..

﴿لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ﴾ وَالْحَمِيمُ: هُوَ الْحَارُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَإِنَّمَا هُوَ مَحْمُومٌ صُرِفَ إِلَىٰ فَعِيلٍ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْحَمَّامِ: حَمَامٌ، لِإِسْخَانِهِ الْجِسْمَ، وَإِنَّمَا جَعَلَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ شَرَابًا مِنْ حَمِيمٍ، لِأَنَّ الْحَارَّ مِنَ الْمَاءِ لَا يَرْوِي مِنْ عَطَشٍ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ إِذَا عَطِشُوا فِي جَهَنَّمَ لَمْ يُغَاثُوا بِمَاءٍ يَرْوِيهِمْ، وَلَكِنْ بِمَا يَزِيدُونَ بِهِ عَطَشًا عَلَىٰ مَا بِهِمْ مِنَ الْعَطَشِ..

﴿وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ﴾ وَلَهُمْ أَيْضًا مَعَ الشَّرَابِ الْحَمِيمِ مِنَ اللهِ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ، وَالْهَوَانُ الْمُقِيمُ..

﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ۝٧٠﴾ [الأنعام: ٧٠] بِمَا كَانَ مِنْ كُفْرِهِمْ فِي الدُّنْيَا بِاللهِ، وَإِنْكَارِهِمْ تَوْحِيدَهُ، وَعِبَادَتِهِمْ مَعَهُ آلِهَةً دُونَهُ.

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام: ٧١].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَنْدَادَ، وَالْآمِرِينَ لَكَ بِاتِّبَاعِ دِينِهِمْ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ مَعَهُمْ..

﴿أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حَجَرًا، أَوْ خَشَبًا..

﴿مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ نَفْعِنَا أَوْ ضَرِّنَا، فَنَخُصَّهُ بِالْعِبَادَةِ دُونَ اللهِ، وَنَدَعُ عِبَادَةَ الَّذِي بِيَدِهِ الضَّرُّ، وَالنَّفْعُ، وَالْحَيَاةُ وَالْمَوْتُ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ فَتُمَيِّزُونَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَلَا شَكَّ أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ خِدْمَةَ مَا يُرْتَجَىٰ نَفْعُهُ وَيُرْهَبُ ضَرُّهُ أَحَقُّ وَأَوْلَىٰ مِنْ خِدْمَةِ مَنْ لَا يُرْجَىٰ نَفْعُهُ وَلَا يُخْشَىٰ ضَرُّهُ.. وَهَذَا تَنْبِيهٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- نَبِيَّهُ ﷺ عَلَىٰ حُجَّتِهِ عَلَىٰ مُشْرِكِي قَوْمِهِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ..

﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ وَنُرَدُّ إِلَىٰ أَدْبَارِنَا فَنَرْجِعُ الْقَهْقَرَىٰ خَلْفَنَا لَمْ نَظْفَرْ بِحَاجَتِنَا.. وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ طَالِبِ حَاجَةٍ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا: رُدَّ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ، وَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: وَنُرَدُّ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَىٰ الْكُفْرِ..

﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ فَوَفَّقَنَا لَهُ..

﴿كَٱلَّذِى﴾ فَيَكُونُ مَثَلُنَا فِي ذَلِكَ -إِنْ كَفَرْنَا بَعْدَ الْإِيمَانِ- كَمَثَلِ الرَّجُلِ الَّذِي..

﴿ٱسْتَهْوَتْهُ﴾ كَانَ مَعَ قَوْمٍ عَلَىٰ الطَّرِيقِ، فَضَلَّ الطَّرِيقَ، فَاسْتَتْبَعَتْهُ.. وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، بِمَعْنَىٰ: تَنْزِعُ إِلَيْهِمْ وَتُرِيدُهُمْ..

﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ وَهُمُ الْغِيلَانُ، يَدْعُونَهُ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَاسْمِ جَدِّهِ، فَيَتْبَعُهَا..

﴿فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ ضَلَّ فَلَمْ يَهْتَدِ، فَيَرَىٰ أَنَّهُ فِي شَيْءٍ، فَيُصْبِحُ وَقَدْ أَلْقَتْهُ الْغِيلَانُ فِي الْهَلَكَةِ، وَرُبَّمَا أَكَلَتْهُ، أَوْ تُلْقِيهِ فِي مُضِلَّةٍ مِنَ الْأَرْضِ يَهْلِكُ فِيهَا عَطَشًا، فَهَذَا مَثَلُ مَنْ أَجَابَ الْآلِهَةَ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ..

﴿لَهُۥٓ﴾ لِهَذَا الْحَيْرَانِ الَّذِي قَدِ اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ..

﴿أَصْحَٰبٌ﴾ عَلَىٰ الطَّرِيقِ، وعَلَىٰ الْمَحَجَّةِ وَاسْتِقَامَةِ السَّبِيلِ، فَجَعَلُوا..

﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْمَحَجَّةِ لِطَرِيقِ الْهُدَىٰ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ.. فَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِمَنْ كَفَرَ بِاللهِ بَعْدَ إِيمَانِهِ فَاتَّبَعَ الشَّيَاطِينَ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ كَانُوا أَصْحَابَهُ فِي حَالِ إِسْلَامِهِ، الْمُقِيمُونَ عَلَىٰ الدِّينِ الْحَقِّ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ، وَالصَّوَابِ الَّذِي هُمْ بِهِ مُتَمَسِّكُونَ، وَهُوَ لَهُ مُفَارِقٌ، وَعَنْهُ زَائِلٌ، يَقُولُونَ لَهُ..

﴿ٱئْتِنَا﴾ هَلُمَّ إِلَيْنَا، فَكُنْ مَعَنَا عَلَىٰ اسْتِقَامَةٍ وَهُدًىٰ، وَهُوَ يَأْبَىٰ ذَلِكَ، وَيَتَّبِعُ دَوَاعِيَ الشَّيْطَانِ، وَيَعْبُدُ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ الْقَائِلِينَ لِأَصْحَابِكَ: اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ، فَإِنَّا عَلَىٰ هُدًىٰ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ..

﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ إِنَّ طَرِيقَ اللهِ الَّذِي بَيَّنَهُ لَنَا وَأَوْضَحَهُ، وَسَبِيلَنَا الَّذِي أُمِرْنَا بِلِزُومِهِ، وَدِينَهُ الَّذِي شَرَعَهُ لَنَا فَبَيَّنَهُ..

﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وَالِاسْتِقَامَةُ الَّتِي لَا شَكَّ فِيهَا، لَا عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، فَلَا نَتْرُكُ الْحَقَّ وَنَتَّبِعُ الْبَاطِلَ..

﴿وَأُمِرْنَا﴾ وَأَمَرَنَا رَبُّنَا وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، تَعَالَىٰ وَجْهُهُ..

﴿لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام: ٧١] لِنُسْلِمَ لَهُ، ولِنَخْضَعَ لَهُ بِالذِّلَّةِ وَالطَّاعَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ، فَنُخْلِصَ ذَلِكَ لَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنعام: ٧٢].

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وَأُمِرْنَا بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَذَلِكَ أَدَاؤُهَا بِحُدُودِهَا الَّتِي فُرِضَتْ عَلَيْنَا..

﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ وَاتَّقُوا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي أُمِرْنَا أَنْ نُسْلِمَ لَهُ، فَخَافُوهُ وَاحْذَرُوا سَخَطَهُ بِأَدَاءِ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَيْكُمْ، وَالْإِذْعَانِ لَهُ بِالطَّاعَةِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ..

﴿وَهُوَ﴾ رَبُّكُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ..

﴿ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنعام: ٧٢] فَتُجْمَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجَازِي كُلَّ عَامِلٍ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ، وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنعام: ٧٣].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَنْدَادَ، الدَّاعِيكَ إِلَىٰ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ: أُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، الْمُنْفَرِدِ بِخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ دُونَ كُلِّ مَا سِوَاهُ، مُعَرِّفًا مَنْ أَشْرَكَ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ جَهْلَهُ فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَخَطأً مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ عِبَادَةِ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ اجْتِلَابِ نَفْعٍ إِلَىٰ نَفْسِهِ وَلَا دَفْعَ ضُرٍّ عَنْهَا، وَمُحْتَجًّا عَلَيْهِمْ فِي إِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَمَاتِ وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ بِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ ابْتِدَاعِ ذَلِكَ ابْتِدَاءً، وَأَنَّ الَّذِي ابْتَدَعَ ذَلِكَ غَيْرُ مُتَعَذِّرٍ عَلَيْهِ إِفْنَاؤُهُ ثُمَّ إِعَادَتُهُ بَعْدَ إِفْنَائِهِ، فَقَالَ: وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ أَيُّهَا الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمْ مَنْ لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ، السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ..

﴿بِٱلۡحَقِّۖ﴾ وَالصَّوَابِ، لَا بَاطِلًا وَخَطأً، حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ، لِيَعْرِفُوا بِهَا صَانِعَهَا وَلِيَسْتَدِلُّوا بِهَا عَلَىٰ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، فَيُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ﴾ [ص: ٢٧].. وَأُدْخِلَتْ فِيهِ الْبَاءُ وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ، كَمَا تَفْعَلُ الْعَرَبُ فِي نَظَائِرِ ذَلِكَ، فَتَقُولُ: فُلَانٌ يَقُولُ بِالْحَقِّ، بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ، وَلَا شَيْءَ فِي قَوْلِهِ بِالْحَقِّ غَيْرُ إِصَابَتِهِ الصَّوَابَ فِيهِ، فَكَذَلِكَ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حِكْمَةٌ مِنْ حِكَمِ اللهِ، فَاللهُ مَوْصُوفٌ بِالْحِكْمَةِ، خَلَقَهُمَا وَخَلَقَ مَا سِوَاهُمَا مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِكَلَامِهِ وَقَوْلِهِ لَهُمَا: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾ [فصلت: ١١]، قَالُوا: فَالْحَقُّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْنِيٌّ بِهِ كَلَامُهُ، وَاسْتَشْهَدُوا لِقِيلِهِمْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ [الأنعام: ٧٣]، الْحَقُّ هُوَ قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ، قَالُوا: وَاللهُ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِكَلَامِهِ وَقِيلِهِ كَمَا خَلَقَ بِهِ الْأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَخْلُوقَةِ، قَالُوا: فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللهِ الَّذِي خَلَقَ بِهِ الْخَلْقَ غَيْرَ مَخْلُوقٍ..

﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ﴾ حِينَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ..

﴿كُن فَيَكُونُۚ﴾ كُلُّ مَا كَانَ اللهُ مُعِيدَهُ فِي الْآخِرَةِ بَعْدَ إِفْنَائِهِ، وَمُنْشِئَهُ بَعْدَ إِعْدَامِهِ..

﴿قَوۡلُهُ﴾ وَعْدُهُ هَذَا الَّذِي وَعَدَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مِنْ تَبْدِيلِهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ..

﴿ٱلۡحَقُّۚ﴾ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ..

﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ وَلِلَّهِ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ؛ لِأَنَّ النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ فِي الصُّورِ حَالُ تَبْدِيلِ اللهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ غَيْرَهُمَا.. وَخَصَّ بِالْخَبَرِ عَنْ مُلْكِهِ يَوْمَئِذٍ، وَإِنْ كَانَ الْمُلْكُ لَهُ خَالِصًا فِي كُلِّ وَقْتٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُ عَنَىٰ تَعَالَىٰ ذِكْرَ أَنَّهُ لَا مُنَازِعَ لَهُ فِيهِ يَوْمَئِذٍ وَلَا مُدَّعِيَ لَهُ، وَأَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِهِ دُونَ كُلِّ مَنْ كَانَ يُنَازِعُهُ فِيهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْجَبَابِرَةِ فَأَذْعَنَ جَمِيعُهُمْ يَوْمَئِذٍ لَهُ بِهِ، وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ دَعْوَاهُمْ فِي الدُّنْيَا فِي بَاطِلٍ.. وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ إِسْرَافِيلَ قَدِ الْتَقَمَ الصُّورَ وَحَنَىٰ جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَىٰ يُؤمَرُ فَيَنْفُخُ**»، وَأَنَّهُ قَالَ: «**الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ**»..

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾ عَالِمُ مَا تُعَايِنُونَ أَيُّهَا النَّاسُ فَتُشَاهِدُونَهُ، وَمَا يَغِيبُ عَنْ حَوَاسِكُمْ وَأَبْصَارِكُمْ فَلَا تُحِسُّونَهُ وَلَا تُبْصِرُونَهُ..

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ فِي تَدْبِيرِهِ وَتَصْرِيفِهِ خَلْقَهُ مِنْ حَالِ الْوُجُودِ إِلَىٰ الْعَدَمِ، ثُمَّ مِنْ حَالِ الْعَدَمِ وَالْفَنَاءِ إِلَىٰ الْوُجُودِ، ثُمَّ فِي مُجَازَاتِهِمْ بِمَا يُجَازِيهِمْ بِهِ مِنْ ثَوَابٍ أَوْ عِقَابٍ..

﴿ٱلْخَبِيرُ ۝٧٣﴾ [الأعراف: ٧٣] بِكُلِّ مَا يَعْمَلُونَهُ وَيَكْسِبُونَهُ مِنْ حَسَنٍ وَسَيِّئٍ، حَافِظٌ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لِيُجَازِيَهُمْ عَلَىٰ كُلِّ ذَلِكَ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَاحْذَرُوا أَيُّهَا الْعَادِلُونَ بِرَبِّكُمْ عِقَابَهُ، فَإِنَّهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ مَا تَأْتُونَ وَتَذَرُونَ، وَهُوَ لَكُمْ مِنْ وَرَاءِ الْجَزَاءِ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ.

﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٧٤﴾ [الأنعام: ٧٤].

﴿۞ وَإِذْ﴾ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِحِجَاجِكَ الَّذِي تُحَاجُّ بِهِ قَوْمَكَ، وَخُصُومَتِكَ إِيَّاهُمْ فِي آلِهَتِهِمْ وَمَا تُرَاجِعُهُمْ فِيهَا، مِمَّا نُلْقِيهِ إِلَيْكَ وَنُعَلِّمُكَهُ، مِنَ الْبُرْهَانِ وَالدَّلَالَةِ عَلَىٰ بُطْلَانِ مَا عَلَيْهِ قَوْمُكَ مُقِيمُونَ، وَصِحَّةِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مُقِيمٌ مِنَ الدِّينِ، وَحَقِّيَّةِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ مُحْتَجٌّ، حِجَاجَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِي قَوْمَهُ، وَمُرَاجَعَتَهُ إِيَّاهُمْ فِي بَاطِلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مُقِيمِينَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَانْقِطَاعَهُ إِلَىٰ اللهِ، وَالرِّضَا بِهِ وَالِيًا وَنَاصِرًا دُونَ الْأَصْنَامِ، فَاتَّخِذْهُ إِمَامًا وَاقْتَدِ بِهِ، وَاجْعَلْ سِيرَتَهُ فِي قَوْمِكَ لِنَفْسِكَ مِثَالًا، إِذْ..

﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ﴾ مُفَارِقًا لِدِينِهِ، وَعَائِبًا عِبَادَتَهُ الْأَصْنَامَ دُونَ بَارِئِهِ وَخَالِقِهِ: يَا..

﴿ءَازَرَ﴾ هُوَ اسْمُ أَبِيهِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَبُوهُ، وَهُوَ الْقَوْلُ الْمَحْفُوظُ مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ دُونَ الْقَوْلِ الْآخَرِ الَّذِي زَعَمَ قَائِلُهُ أَنَّهُ نَعْتٌ..

﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ تَعْبُدُهَا، وَتَتَّخِذُهَا رَبًّا دُونَ اللهِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ وَرَزَقَكَ..

وَالْأَصْنَامُ: جَمْعُ صَنَمٍ، التِّمْثَالُ مِنْ حَجَرٍ أَوْ خَشَبٍ أَوْ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ، وَهُوَ الْوَثَنُ، وَقَدْ يُقَالُ لِلصُّورَةِ الْمُصَوَّرَةِ عَلَىٰ صُورَةِ الْإِنْسَانِ فِي الْحَائِطِ غَيْرَهُ: صَنَمٌ وَوَثَنٌ..

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ﴾ يَا آزَرُ..

﴿وَقَوْمَكَ﴾ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مَعَكَ الْأَصْنَامَ وَيَتَّخِذُونَهَا آلِهَةً..

﴿فِى ضَلَـٰلٍ﴾ فِي زَوَالٍ عَنْ مَحَجَّةِ الْحَقِّ، وَعُدُولٍ عَنْ سَبِيلِ الصَّوَابِ..

﴿مُّبِينٍ ۝٧٤﴾ [الأنعام: ٧٤] يَتَبَيَّنُ لِمَنْ أَبْصَرَهُ أَنَّهُ جَوْرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَزَوَالٌ عَنْ مَحَجَّةِ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ، يَعْنِي بِذَلِكَ: أَنَّهُ قَدْ ضَلَّ هُوَ وَهُمْ عَنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ الَّذِي اسْتَوْجَبَ عَلَيْهِمْ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لَهُ بِآلَائِهِ عِنْدَهُمْ، دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾

[الأنعام: ٧٥].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا أَرَيْنَاهُ الْبَصِيرَةَ فِي دِينِهِ، وَالْحَقَّ فِي خِلَافِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ..

﴿نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أَرَاهُ مُلْكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَذَلِكَ مَا خَلَقَ فِيهِمَا مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَالشَّجَرِ وَالدَّوَابِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِهِ فِيهِمَا، وَجَلَّىٰ لَهُ بَوَاطِنَ الْأُمُورِ وَظَوَاهِرَهَا.. وَزِيدَتْ فِي (مَلَكُوت) التَّاءُ كَمَا زِيدَتْ فِي (الْجَبَرُوتِ) مِنَ الْجَبْرِ، غَيْرَ أَنَّهُ بِكَلَامِ النَّبَطِ (مَلَكُوتًا)..

﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ [الأنعام: ٧٥] أَرَيْنَاهُ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لِيَكُونَ مِمَّنْ يُوقِنُ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ حِسًّا لَا خَبَرًا، فَيَكُون مِمَّنْ يَتَوَحَّدُ بِتَوْحِيدِ اللهِ، وَيَعْلَمُ حَقِّيَّةَ مَا هَدَاهُ لَهُ وَبَصَّرَهُ إِيَّاهُ مِنْ مَعْرِفَةِ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَمَا عَلَيْهِ قَوْمُهُ مِنَ الضَّلَالَةِ مِنْ عِبَادَتِهِمْ وَاتِّخَاذِهِمْ آلِهَةً دُونَ اللهِ تَعَالَىٰ.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ۝٧٦﴾

[الأنعام: ٧٦].

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ فَلَمَّا وَارَاهُ اللَّيْلُ وَجَنَّهُ..

﴿رَءَا﴾ أَبْصَرَ..

﴿كَوْكَبًا﴾ حِينَ طَلَعَ..

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ فعَبَدَهُ حَتَّىٰ غَابَ..

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ فَلَمَّا غَابَ..

﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ۝٧٦﴾ [الأنعام: ٧٦] عَلِمَ أَنَّ رَبَّهُ دَائِمٌ لَا يَزُولُ.. وَأَنْكَرَ قَوْمٌ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الرِّوَايَةِ هَذَا الْقَوْلَ، مِنْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ قَالَ لِلْكَوْكَبِ أَوْ لِلْقَمَرِ: هَذَا رَبِّي، وَقَالُوا: غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ نَبِيٌّ ابْتَعَثَهُ بِالرِّسَالَةِ أَتَىٰ عَلَيْهِ وَقْتٌ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَهُوَ بَالِغٌ إِلَّا وَهُوَ لِلَّهِ مُوَحِّدٌ وَبِهِ عَارِفٌ، وَمِنْ كُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ بَرِيءٌ، قَالُوا: وَلَوْ جَازَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَتَىٰ عَلَيْهِ بَعْضُ الْأَوْقَاتِ وَهُوَ بِهِ كَافِرٌ لَمْ يَجُزْ أَنْ يَخْتَصَّهُ بِالرِّسَالَةِ، لِأَنَّهُ لَا مَعْنَىٰ فِيهِ إِلَّا وَفِي غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ مِثْلُهُ، وَلَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ مُنَاسَبَةٌ فَيُحَابِيهِ بِاخْتِصَاصِهِ بِالْكَرَامَةِ، قَالُوا: وَإِنَّمَا أَكْرَمَ مَنْ أَكْرَمَ مِنْهُمْ لِفَضْلِهِ فِي نَفْسِهِ، فَأَثَابَهُ لِاسْتِحْقَاقِهِ الثَّوَابَ بِمَا أَثَابَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَزَعَمُوا أَنَّ خَبَرَ اللهِ عَنْ قِيلِ إِبْرَاهِيمَ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ الْكَوْكَبَ أَوِ الْقَمَرَ أَوِ الشَّمْسَ: (هَذَا رَبِّي)، لَمْ يَكُنْ لِجَهْلِهِ بِأَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ رَبَّهُ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ عَلَىٰ وَجْهِ الْإِنْكَارِ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ رَبَّهُ، وَعَلَىٰ الْعَيْبِ لِقَوْمِهِ فِي عِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ؛ إِذْ كَانَ الْكَوْكَبُ وَالْقَمَرُ وَالشَّمْسُ أَضْوَأَ وَأَحْسَنَ وَأَبْهَجَ مِنَ الْأَصْنَامِ، وَلَمْ تَكُنْ مَعَ ذَلِكَ مَعْبُودَةً، وَكَانَتْ آفِلَةً زَائِلَةً غَيْرَ دَائِمَةٍ، وَالْأَصْنَامُ الَّتِي دُونَهَا فِي الْحُسْنِ، وَأَصْغَرُ مِنْهَا فِي الْجِسْمِ، أَحَقُّ أَنْ لَا تَكُونَ مَعْبُودَةً، وَلَا آلِهَةً، قَالُوا: وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لَهُمْ مُعَارَضَةً، كَمَا يَقُولُ أَحَدُ الْمُتَنَاظِرِينَ لِصَاحِبِهِ مُعَارِضًا لَهُ فِي قَوْلٍ بَاطِلٍ قَالَ بِهِ بِبَاطِلٍ مِنَ الْقَوْلِ عَلَىٰ وَجْهِ مُطَالَبَتِهِ إِيَّاهُ بِالْفُرْقَانِ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ الْفَاسِدَيْنِ عِنْدَهُ اللَّذَيْنِ يُصَحِّحُ خَصْمُهُ أَحَدَهُمَا وَيَدَّعِي فَسَادَ الْآخَرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: بَلْ ذَلِكَ كَانَ مِنْهُ فِي حَالِ طُفُولِيَّتِهِ وَقَبْلَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، وَتِلْكَ حَالٌ لَا يَكُونُ فِيهَا كُفْرٌ وَلَا إِيمَانٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: أَهَذَا رَبِّي عَلَىٰ وَجْهِ الْإِنْكَارِ وَالتَّوْبِيخِ، أَيْ لَيْسَ هَذَا رَبِّي، وَقَالُوا: قَدْ تَفْعَلُ الْعَرَبُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَتَحْذِفُ الْأَلِفَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ مَعْنَىٰ الِاسْتِفْهَامِ.. وَفِي خَبَرِ اللهِ تَعَالَىٰ عَنْ قِيلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أَفَلَ الْقَمَرُ: ﴿لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧﴾ [الأنعام: ٧٧] الدَّلِيلُ عَلَىٰ خَطَأِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الَّتِي قَالَهَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ، وَأَنَّ الصَّوَابَ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: الْإِقْرَارُ بِخَبَرِ اللهِ تَعَالَىٰ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ، وَالْإِعْرَاضُ عَمَّا عَدَاهُ.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧﴾ [الأنعام: ٧٧].

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾ فَلَمَّا طَلَعَ الْقَمَرُ فَرَآهُ إِبْرَاهِيمُ طَالِعًا، وَهُوَ بُزُوغُهُ..

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ وَغَابَ..

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ..

﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ وَيُوَفِّقْنِي لِإِصَابَةِ الْحَقِّ فِي تَوْحِيدِهِ..

﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧﴾ [الأنعام: ٧٧] الَّذِينَ أَخْطَئُوا الْحَقَّ فِي ذَلِكَ، فَلَمْ يُصِيبُوا الْهُدَىٰ، وَعَبَدُوا غَيْرَ اللهِ.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨﴾ [الأنعام: ٧٨].

﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ إِبْرَاهِيمُ..

﴿ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ طَالِعَةً..

﴿قَالَ هَٰذَا﴾ الطَّالِعُ..

﴿رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ مِنَ الْكَوْكَبِ وَالْقَمَرِ، فَحَذَفَ (ذَلِكَ) لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ..

﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ﴾ وَغَابَتْ..

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ..

﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨﴾ [الأنعام: ٧٨] مِنْ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ وَدُعَائِهِ إِلَاهًا مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٧٩﴾ [الأنعام: ٧٩].

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ فِي عِبَادَتِي..

﴿لِلَّذِي﴾ إِلَىٰ الَّذِي..

﴿فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، الدَّائِمُ الَّذِي يَبْقَىٰ وَلَا يَفْنَىٰ، وَيُحْيِي

وَيُمِيتُ، لَا إِلَىٰ الَّذِي يَفْنَىٰ وَلَا يَبْقَىٰ، وَيَزُولُ وَلَا يَدُومُ، وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ..

﴿حَنِيفًا﴾ لِرَبِّهِ عَلَىٰ مَا يَجِبُ مِنَ التَّوْحِيدِ، بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَالِاسْتِقَامَةِ فِي ذَلِكَ، لَا عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي يُوَجِّهُ لَهُ وَجْهَهُ مَنْ لَيْسَ بِحَنِيفٍ، وَلَكِنَّهُ بِهِ مُشْرِكٌ، إِذْ كَانَ تَوْجِيهُ الْوَجْهِ لَا عَلَىٰ التَّحْنِيفِ غَيْرُ نَافِعٍ مُوَجِّهَهُ بَلْ ضَارُّهُ وَمُهْلِكُهُ..

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٧٩﴾ [الأنعام: ٧٩] وَلَسْتُ مِنْكُمْ، أَيْ لَسْتُ مِمَّنْ يَدِينُ دِينَكُمْ، وَيَتَّبِعُ مِلَّتَكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، أَنَّهُ لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ وَعَرَفَهُ، شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، وَأَظْهَرَ خِلَافَ قَوْمِهِ أَهْلِ الْبَاطِلِ وَأَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَلَمْ يَأْخُذْهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَلَمْ يَسْتَوْحِشْ مِنْ قِيلِ الْحَقِّ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ، مَعَ خِلَافِ جَمِيعِ قَوْمِهِ لِقَوْلِهِ وَإِنْكَارِهِمْ إِيَّاهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ، إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مَعَ اللهِ الَّذِي خَلَقَنِي وَخَلَقَكُمْ فِي عِبَادَتِهِ مِنْ آلِهَتِكُمْ وَأَصْنَامِكُمْ.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠﴾ [الأنعام: ٨٠].

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ وَجَادَلَ إِبْرَاهِيمَ قَوْمُهُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ وَبَرَاءَتِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ، وَكَانَ جِدَالُهُمْ إِيَّاهُ قَوْلَهُمْ: إِنَّ آلِهَتَهُمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا خَيْرٌ مِنْ إِلَاهِهِ..

﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ..

﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ أَتُجَادِلُونَنِي فِي تَوْحِيدِي اللهَ وَإِخْلَاصِي الْعَمَلَ لَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنْ آلِهَةٍ؟!

﴿وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ وَقَدْ وَفَّقَنِي رَبِّي لِمَعْرِفَةِ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَبَصَّرَنِي طَرِيقَ الْحَقِّ حَتَّىٰ أَيْقَنْتُ أَنْ لَا شَيْءَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ سِوَاهُ..

﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ وَلَا أَرْهَبُ مِنْ آلِهَتِكُمُ الَّتِي تَدْعُونَهَا مِنْ دُونِهِ شَيْئًا يَنَالُنِي فِي نَفْسِي مِنْ سُوءٍ وَمَكْرُوهٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: إِنَّا نَخَافُ أَنْ تَمَسَّكَ آلِهَتُنَا بِسُوءٍ مِنْ بَرَصٍ أَوْ خَبْلٍ، لِذِكْرِكَ إِيَّاهَا بِسُوءٍ، فَقَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: لَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِاللهِ مِنْ هَذِهِ الْآلِهَةِ أَنْ تَنَالَنِي بِضُرٍّ وَلَا مَكْرُوهٍ، لِأَنَّهَا لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ..

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا﴾ وَلَكِنْ خَوْفِي مِنَ اللهِ الَّذِي خَلَقَنِي وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ إِنْ شَاءَ أَنْ يَنَالَنِي فِي نَفْسِي أَوْ مَالِي بِمَا شَاءَ مِنْ فَنَاءٍ أَوْ بَقَاءٍ أَوْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ

نَالَنِي بِهِ؛ لِأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ..

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ وَعَلِمَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَيْسَ كالْآلِهَةِ الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَفْهَمُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا هِيَ خَشَبَةٌ مَنْحُوتَةٌ وَصُورَةٌ مُمَثَّلَةٌ..

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٨٠] أَفَلَا تَعْتَبِرُونَ أَيُّهَا الْجَهَلَةُ، فَتَعْقِلُوا خَطَأَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ عِبَادَتِكُمْ صُورَةً مُصَوَّرَةً وَخَشَبَةً مَنْحُوتَةً، لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ ضَرٍّ وَلَا عَلَىٰ نَفْعٍ، وَلَا تَفْقَهُ شَيْئًا وَلَا تَعْقِلُهُ، وَتَرْكِكُمْ عِبَادَةَ مَنْ خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ وَلَهُ الْقُدْرَةُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْعَالِمُ لِكُلِّ شَيْءٍ.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٨١].

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ﴾ هَذَا جَوَابُ إِبْرَاهِيمَ لِقَوْمِهِ، حِينَ خَوَّفُوهُ مِنْ آلِهَتِهِمْ أَنْ تَمَسَّهُ، لِذِكْرِهِ إِيَّاهَا بِسُوءٍ فِي نَفْسِهِ بِمَكْرُوهٍ، فَقَالَ لَهُمْ: وَكَيْفَ أَخَافُ وَأَرْهَبُ..

﴿مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ فِي عِبَادَتِكُمْ رَبَّكُمْ، فَعَبَدْتُمُوهُ مِنْ دُونِهِ، وَهُوَ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَلَوْ كَانَتْ تَنْفَعُ أَوْ تَضُرُّ لَدَفَعَتْ عَنْ أَنْفُسِهَا كَسْرِي إِيَّاهَا وَضَرْبِي لَهَا بِالْفَأْسِ..

﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ﴾ وَأَنْتُمْ لَا تَخَافُونَ اللهَ، الَّذِي خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ نَفْعِكُمْ وَضَرِّكُمْ، فِي إِشْرَاكِكُمْ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ..

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ مَا لَمْ يُعْطِكُمْ عَلَىٰ إِشْرَاكِكُمْ إِيَّاهُ فِي عِبَادَتِهِ حُجَّةً، وَلَمْ يَضَعْ لَكُمْ عَلَيْهِ بُرْهَانًا، وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ بِهِ عُذْرًا..

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ أَنَا أَحَقُّ بِالْأَمْنِ مِنْ عَاقِبَةِ عِبَادَتِي رَبِّي، مُخْلِصًا لَهُ الْعِبَادَةَ، حَنِيفًا لَهُ دِينِي، بَرِيئًا مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، أَمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَصْنَامًا، لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَكُمْ بِعِبَادَتِكُمْ إِيَّاهَا بُرْهَانًا وَلَا حُجَّةً؟

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٨١] صِدْقَ مَا أَقُولُ، وَحَقِيقَةَ مَا أَحْتَجُّ بِهِ عَلَيْكُمْ، فَقُولُوا وَأَخْبِرُونِي أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ؟

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٨٢].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ، وَأَخْلَصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ.. وَهَذَا فَصْلُ الْقَضَاءِ مِنَ اللهِ، بَيْنَ

إبْرَاهِيمَ خَلِيلِهِ ﷺ، وَبَيْنَ مَنْ حَاجَّهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِاللهِ، إِذْ قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنعام: ٨١]، فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فَاصِلًا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ: الَّذِينَ آمَنُوا..

﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم﴾ وَلَمْ يَخْلِطُوا عِبَادَتَهُمْ إِيَّاهُ، وَتَصْدِيقَهُمْ لَهُ..

﴿بِظُلْمٍ﴾ بِشِرْكٍ، وَلَمْ يُشْرِكُوا فِي عِبَادَتِهِ شَيْئًا، ثُمَّ جَعَلُوا عِبَادَتَهُمْ لِلَّهِ خَالِصًا، لِمَا صَحَّ بِهِ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ الْخَبَرُ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (**الظُّلْمُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هُوَ الشِّرْكُ**)..

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَخْلِطُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكٍ..

﴿لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ -يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَذَابِ اللهِ- مِنْ عِقَابِهِ مَكْرُوهَ عِبَادَتِهِ رَبَّه، مِنَ الَّذِينَ يُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، فَإِنَّهُمُ الْخَائِفُونَ مِنْ عِقَابِهِ مَكْرُوهَ عِبَادَتِهِمْ، أَمَّا فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا فَإِنَّهُمْ وَجِلُونَ مِنْ حُلُولِ سَخَطِ اللهِ بِهِمْ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّهُمُ الْمُوقِنُونَ بِأَلِيمِ عَذَابِ اللهِ..

﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢] وَهُمُ الْمُصِيبُونَ سَبِيلَ الرَّشَادِ، وَالسَّالِكُونَ طَرِيقَ النَّجَاةِ.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: ٨٣].

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِمُخَاصِمِيهِ مِنْ قَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ: «**أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ**»، أَمَنْ يَعْبُدُ رَبًّا وَاحِدًا مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَالْعِبَادَةَ، أَمْ مَنْ يَعْبُدُ أَرْبَابًا كَثِيرَةً؟ وَإِجَابَتُهُمْ إِيَّاهُ بِقَوْلِهِمْ: بَلْ مَنْ يَعْبُدُ رَبًّا وَاحِدًا أَحَقُّ بِالْأَمْنِ، وَقَضَاءُهُمْ لَهُ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ قَطْعُ عُذْرِهِمْ، وَانْقِطَاعُ حُجَّتِهِمْ، وَاسْتِعْلَاءُ حُجَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمْ، فَهِيَ الْحُجَّةُ الَّتِي آتَاهَا اللهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ..

﴿ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ لَقَّنَّاهَا إِبْرَاهِيمَ وَبَصَّرْنَاهُ إِيَّاهَا، وَعَرَّفْنَاهُ عَلَىٰ قَوْمِهِ..

﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ قَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ: (**نَرْفَعُ دَرَجَاتِ مَنْ نَشَاءُ**) بِإِضَافَةِ الدَّرَجَاتِ إِلَىٰ مَنْ، بِمَعْنَىٰ: نَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ لِمَنْ نَشَاءُ، وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ بِتَنْوِينِ (**الدَّرَجَاتِ**)، بِمَعْنَىٰ نَرْفَعُ مَنْ نَشَاءُ دَرَجَاتٍ.. وَالدَّرَجَاتُ: جَمْعُ دَرَجَةٍ، وَهِيَ الْمَرْتَبَةُ، وَأَصْلُ ذَلِكَ مَرَاقِي السُّلَّمِ وَدَرَجُهُ، ثُمَّ تُسْتَعْمَلُ فِي ارْتِفَاعِ الْمَنَازِلِ

وَالْمَرَاتِبِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: هُمَا قِرَاءَتَانِ قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَئِمَّةٌ مِنَ الْقُرَّاءِ، مُتَقَارِبٌ مَعْنَاهُمَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ رُفِعَتْ دَرَجَتُهُ فَقَدْ رُفِعَ فِي الدَّرَجِ، وَمَنْ رُفِعَ فِي الدَّرَجِ، فَقَدْ رُفِعَتْ دَرَجَتُهُ، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِي ذَلِكَ.. فَمَعْنَى الْكَلَامِ إِذَنْ: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فَرَفَعْنَا بِهَا دَرَجَتَهُ عَلَيْهِمْ، وَشَرَّفْنَاهُ بِهَا عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَآتَيْنَاهُ فِيهَا أَجْرَهُ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَهُوَ مِنَ الصَّالِحِينَ، ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [الأنعام: ٨٣] أَيْ بِمَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿حَكِيمٌ﴾ فِي سِيَاسَتِهِ خَلْقَهُ، وَتَلْقِينَهُ أَنْبِيَاءَهُ الْحُجَجَ عَلَىٰ أُمَمِهِمُ الْمُكَذِّبَةِ لَهُمْ، الْجَاحِدَةِ تَوْحِيدَ رَبِّهِمْ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَدْبِيرِهِ..

﴿عَلِيمٌ ۝٨٣﴾ [الأنعام: ٨٣] بِمَا يَئُولُ إِلَيْهِ أَمْرُ رُسُلِهِ وَالْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ مِنْ ثَبَاتِ الْأُمَمِ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُمْ، وَهَلَاكِهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَإِنَابَتِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ مِنْهُ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَىٰ وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ وَالرُّجُوعِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: تَأَسَّ يَا مُحَمَّدُ فِي نَفْسِكَ وَقَوْمِكَ الْمُكَذِّبِيكَ وَالْمُشْرِكِينَ بِأَبِيكَ خَلِيلِي إِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَنُوبُكَ مِنْهُمْ صَبْرَهُ، فَإِنِّي بِالَّذِي يَئُولُ إِلَيْهِ أَمْرُكَ وَأَمْرُهُمْ عَالِمُ التَّدْبِيرِ، فِيكَ وَفِيهِمْ حَكِيمٌ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٤﴾ [الأنعام: ٨٤].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ﴾ فَجَزَيْنَا إِبْرَاهِيمَ ﷺ عَلَىٰ طَاعَتِهِ إِيَّانَا، وَإِخْلَاصِهِ تَوْحِيدَ رَبِّهِ، وَمُفَارَقَتِهِ دِينَ قَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِ بِأَنْ رَفَعْنَا دَرَجَتَهُ فِي عِلِّيِّينَ، وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا، وَوَهَبْنَا لَهُ أَوْلَادًا خَصَصْنَاهُمْ بِالنُّبُوَّةِ، وَذُرِّيَّةً شَرَّفْنَاهُمْ مِنَّا بِالْكَرَامَةِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ، مِنْهُمُ ابْنُهُ إِسْحَاقُ، وَابْنُ ابْنِهِ يَعْقُوبُ..

﴿كُلًّا هَدَيْنَا ۚ﴾ هَدَيْنَا جَمِيعَهُمْ لِسَبِيلِ الرَّشَادِ، فَوَفَّقْنَاهُمْ لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ مِنَ الْأَدْيَانِ..

﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾ وَهَدَيْنَا لِمِثْلِ الَّذِي هَدَيْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مِنَ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ فَوَفَّقْنَاهُ لَهُ، نُوحًا مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ..

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذَكَرَ فِي سِيَاقِ الْآيَاتِ الَّتِي تَتْلُو هَذِهِ

الْآيَةَ لُوطًا فَقَالَ: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٦]، وَمَعْلُومٌ أَنَّ لُوطًا لَمْ يَكُنْ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ أَجْمَعِينَ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ مَعْطُوفًا عَلَىٰ أَسْمَاءِ مَنْ سَمَّيْنَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، كَانَ لَا شَكَّ أَنَّهُ لَوْ أُرِيدَ بِالذُّرِّيَّةِ ذُرِّيَّةَ إِبْرَاهِيمَ لَمَا دَخَلَ يُونُسُ وَلُوطٌ فِيهِمْ، وَلَا شَكَّ أَنَّ لُوطًا لَيْسَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَلَكِنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ، فَلِذَلِكَ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ الْهَاءُ فِي (الذُّرِّيَّةِ) مِنْ ذِكْرِ نُوحٍ.. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَنُوحًا وَفَّقْنَا لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَهَدَيْنَا أَيْضًا مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ، دَاوُدَ..

﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ بْنَ دَاوُدَ..

﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ..

﴿وَمُوسَىٰ﴾ بْنُ عِمْرَانَ..

﴿وَهَٰرُونَ﴾ أَخُو مُوسَىٰ..

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَجَزَيْنَا نُوحًا بِصَبْرِهِ عَلَىٰ مَا امْتُحِنَ بِهِ فِينَا، بِأَنْ هَدَيْنَاهُ فَوَفَّقْنَاهُ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ الَّذِي خَذَلْنَا عَنْهُ مَنْ عَصَانَا فَخَالَفَ أَمْرَنَا وَنَهْيَنَا مِنْ قَوْمِهِ، وَهَدَيْنَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ مَنْ ذَكَرَ - تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مِنْ أَنْبِيَائِهِ لِمِثْلِ الَّذِي هَدَيْنَاهُ لَهُ، وَكَمَا جَزَيْنَا هَؤُلَاءِ بِحُسْنِ طَاعَتِهِمْ إِيَّانَا وَصَبْرِهِمْ عَلَىٰ الْمِحَنِ فِينَا، كَذَلِكَ..

﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام: ٨٤] نَجْزِي بِالْإِحْسَانِ كُلَّ مُحْسِنٍ.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنعام: ٨٥].

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ﴾ هَدَيْنَا أَيْضًا لِمِثْلِ الَّذِي هَدَيْنَا لَهُ نُوحًا مِنَ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ زَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّا..

﴿وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ﴾ كُلُّ مَنْ ذَكَرْنَاهُ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّيْنَا..

﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنعام: ٨٥] يَعْنِي: زَكَرِيَّا، وَيَحْيَىٰ، وَعِيسَىٰ، وَإِلْيَاسَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمْ.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٦].

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ وَهَدَيْنَا أَيْضًا مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ..

﴿وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ﴾ بْنِ مَتَّىٰ..

﴿وَلُوطًاۚ وَكُلًّا﴾ بَيَّنَّا لَهُمُ الْحَقَّ وَوَفَّقْنَاهُمْ لَهُ وَ..

﴿فَضَّلْنَا﴾ جَمِيعَهُمْ..

﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ [الأنعام: ٨٦] عَلَىٰ عَالَمِ أَزْمَانِهِمْ.

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝﴾ [الأنعام: ٨٧].

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ وَهَدَيْنَا أَيْضًا مِنْ آبَاءِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ وَمِنْ ذُرِّيَّاتِهِمْ..

﴿وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ﴾ آخَرِينَ سِوَاهُمْ لَمْ يُسَمِّهِمْ لِلْحَقِّ، وَالدِّينِ الْخَالِصِ الَّذِي لَا شِرْكَ فِيهِ، فَوَفَّقْنَاهُمْ لَهُ..

﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾ وَاخْتَرْنَاهُمْ لِدِينِنَا وَبَلَاغِ رِسَالَتِنَا إِلَىٰ مَنْ أَرْسَلْنَاهُمْ إِلَيْهِ، كَالَّذِي اخْتَرْنَا مِمَّنْ سَمَّيْنَا..

﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ وَسَدَّدْنَاهُمْ فَأَرْشَدْنَاهُمْ..

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝﴾ [الأنعام: ٨٧] إِلَىٰ طَرِيقٍ غَيْرِ مِعْوَجٍّ، وَذَلِكَ دِينُ اللهِ الَّذِي لَا عِوَجَ فِيهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ رَبُّنَا لِأَنْبِيَائِهِ، وَأَمَرَ بِهِ عِبَادَهُ.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٨٨].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هَذَا الْهُدَىٰ الَّذِي هَدَيْتُ بِهِ مَنْ سَمَّيْتُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ فَوَفَّقْتُهُمْ بِهِ لِإِصَابَةِ الدِّينِ الْحَقِّ، الَّذِي نَالُوا بِإِصَابَتِهِمْ إِيَّاهُ رِضَا رَبِّهِمْ وَشَرَفَ الدُّنْيَا وَكَرَامَةَ الْآخِرَةِ، هُوَ..

﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ هُوَ تَوْفِيقُ اللهِ وَلُطْفِهِ، الَّذِي..

﴿يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ﴾ يُوَفِّقُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيُلَطِّفُ بِهِ لِمَنْ أَحَبَّ مِنْ خَلْقِهِ، حَتَّىٰ يُنِيبَ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لَهُ، وَإِقْرَارِهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَرَفْضِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ..

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾ وَلَوْ أَشْرَكَ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ سَمَّيْنَاهُمْ، بِرَبِّهِمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، فَعَبَدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ..

﴿لَحَبِطَ عَنْهُم﴾ لَبَطَلَ فَذَهَبَ عَنْهُمْ..

﴿مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٨٨] أَجْرُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَ، لِأَنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مَعَ الشِّرْكِ بِهِ عَمَلًا.

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ [الأنعام: ٨٩].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّيْنَاهُمْ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، نُوحًا وَذُرِّيَّتَهُ الَّذِينَ هَدَاهُمْ لِدِينِ الْإِسْلَامِ وَاخْتَارَهُمْ لِرِسَالَتِهِ إِلَىٰ خَلْقِهِ، هُمُ..

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ، وَزَبُورَ دَاوُدَ، وَإِنْجِيلَ عِيسَىٰ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ..

﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾ الْفَهْمَ بِالْكِتَابِ، وَمَعْرِفَةَ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ..

﴿وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿بِهَا﴾ بِآيَاتِ كِتَابِي الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ، فَيَجْحَدُ..

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمْ..

﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ [الأنعام: ٨٩] فَقَدِ اسْتَحْفَظْنَاهَا وَاسْتَرْعَيْنَا الْقِيَامَ بِهَا رُسُلَنَا وَأَنْبِيَاءَنَا مِنْ قَبْلِكَ -الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ، الَّذِينَ سَمَّاهُمُ اللهُ فِي الْآيَاتِ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ- الَّذِينَ لَا يَجْحَدُونَ حَقِيقَتَهَا، وَلَا يُكَذِّبُونَ بِهَا، وَلَكِنَّهُمْ يُصَدِّقُونَ بِهَا وَيُؤْمِنُونَ بِصِحَّتِهَا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ وَكَّلْنَا بِآيَاتِنَا وَلَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ، هُمُ..

﴿ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ لِدِينِهِ الْحَقِّ، وَحِفْظَ مَا وَكِّلُوا بِحِفْظِهِ مِنْ آيَاتِ كِتَابِهِ، وَالْقِيَامِ بِحُدُودِهِ، وَاتِّبَاعِ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ، وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا فِيهِ مِنْ نَهْيِهِ، فَوَفَّقَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِذَلِكَ..

﴿فَبِهُدَىٰهُمُ﴾ فَبِالْعَمَلِ الَّذِي عَمِلُوا، وَالْمِنْهَاجِ الَّذِي سَلَكُوا، وَبِالْهُدَىٰ الَّذِي هَدَيْنَاهُمْ، وَالتَّوْفِيقِ الَّذِي وَفَّقْنَاهُمْ..

﴿ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ يَا مُحَمَّدُ، فَاعْمَلْ وَخُذْ بِهِ، وَاسْلُكْهُ؛ فَإِنَّهُ عَمَلٌ لِلَّهِ فِيهِ رِضًا، وَمِنْهَاجُ مَنْ سَلَكَهُ اهْتَدَىٰ.. وَمَعْنَىٰ الِاقْتِدَاءِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ بِالرَّجُلِ: اتِّبَاعُ أَثَرِهِ وَالْأَخْذِ بِهَدْيِهِ..

﴿قُل﴾ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَمَرْتُكَ أَنْ تُذَكِّرَهُمْ بِآيَاتِي، أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ، مِنْ مُشْرِكِي

قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ..

﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ عَلَىٰ تَذْكِيرِي إِيَّاكُمْ، وَالْهُدَىٰ الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، وَالْقُرْآنِ الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ..

﴿أَجْرًا﴾ عِوَضًا أَعْتَاضُهُ مِنْكُمْ عَلَيْهِ، وَأَجْرًا آخُذُهُ مِنْكُمْ..

﴿إِنْ هُوَ﴾ وَمَا ذَلِكَ مِنِّي..

﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ۝٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠] إِلَّا تَذْكِيرٌ لَكُمْ، وَلِكُلِّ مَنْ كَانَ مِثْلَكُمْ، مِمَّنْ هُوَ مُقِيمٌ عَلَىٰ بَاطِلٍ، بَأْسَ اللهِ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ، وَسَخَطَهُ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ عَلَىٰ شِرْكِكُمْ بِهِ وَكُفْرِكُمْ، وَإِنْذَارٌ لِجَمِيعِكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، لِتَذَّكَّرُوا وَتَنْزَجِرُوا.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝٩١﴾ [الأنعام: ٩١].

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ وَمَا أَجَلُّوا اللهَ حَقَّ إِجْلَالِهِ، وَلَا عَظَّمُوهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ..

﴿إِذْ﴾ حِينَ..

﴿قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ لَمْ يُنْزِلِ اللهُ عَلَىٰ آدَمِيٍّ كِتَابًا وَلَا وَحْيًا..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ الْقَائِلِينَ لَكَ: مَا أُنْزِلَ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ..

﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا﴾ جَلَاءً وَضِيَاءً مِنْ ظُلْمَةِ الضَّلَالَةِ..

﴿وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ بَيَانًا لِلنَّاسِ، يُبَيِّنُ لَهُمْ بِهِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ فِيمَا أُشْكِلَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ..

﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا﴾ يُبْدُونَ كَثِيرًا مِمَّا يَكْتُبُونَ فِي الْقَرَاطِيسِ، فَيُظْهِرُونَهُ لِلنَّاسِ..

﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ مِمَّا يُثْبِتُونَهُ فِي الْقَرَاطِيسِ، فَيُسِرُّونَهُ، وَيَكْتُمُونَهُ النَّاسَ، وَمِمَّا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ إِيَّاهُمْ، مَا فِيهَا مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَنُبُوَّتِهِ..

﴿وَعُلِّمْتُم﴾ وَعَلَّمَكُمُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ..

﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ﴾ مِنْ أَخْبَارِ مَنْ قَبْلَكُمْ، وَمِنْ أَنْبَاءِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ فِي مَعَادِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ وَلَمْ يَعْلَمْهُ آبَاؤُكُمْ مِنَ الْعَرَبِ، أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ ﷺ..

﴿قُلِ﴾ أَمْرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، أَنْ يُجِيبَ اسْتِفْهَامَهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَمَّا

أَمَرَهُ بِاسْتِفْهَامِهِمْ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ بِقِيلِهِ..

﴿اللَّهُ﴾ أَنْزَلَهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ..

﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ ثُمَّ ذَرْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، بَعْدَ احْتِجَاجِكَ عَلَيْهِمْ فِي قِيلِهِمْ: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، بِقَوْلِكَ ﴿مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١]، وَإِجَابَتِكَ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِي أَنْزَلَهُ، اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ كِتَابَهُ..

﴿فِي خَوْضِهِمْ﴾ فِيمَا يَخُوضُونَ فِيهِ مِنْ بَاطِلِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ بِاللهِ وَآيَاتِهِ..

﴿يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام: ٩١] يَسْتَهْزِئُونَ وَيَسْخَرُونَ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ وَعِيدٌ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَتَهْدِيدٌ لَهُمْ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ثُمَّ دَعْهُمْ لَاعِبِينَ يَا مُحَمَّدُ، فَإِنِّي مِنْ وَرَاءِ مَا هُمْ فِيهِ مِنِ اسْتِهْزَائِهِمْ بِآيَاتِي بِالْمِرْصَادِ، وَأُذِيقُهُمْ بَأْسِي، وَأُحِلُّ بِهِمْ إِنْ تَمَادَوْا فِي غَيِّهِمْ سَخَطِي.

﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنعام: ٩٢].

﴿وَهَٰذَا﴾ الْقُرْآنُ يَا مُحَمَّدُ..

﴿كِتَابٌ﴾ وَهُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْقُرْآنِ، قَدْ بَيَّنْتُهُ وَبَيَّنْتُ مَعْنَاهُ فِيمَا مَضَىٰ قَبْلُ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ، وَمَعْنَاهُ: مَكْتُوبٌ، فَوَضَعَ الْكِتَابَ مَكَانَ الْمَكْتُوبِ..

﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ..

﴿مُبَارَكٌ﴾ مُفَاعَلٌ مِنَ الْبَرَكَةِ..

﴿مُّصَدِّقُ﴾ صَدَّقَ هَذَا الْكِتَابُ..

﴿الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مَا قَبْلَهُ مِنْ كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ قَبْلَكَ، لَمْ يُخَالِفْهَا دَلَالَةً وَمَعْنًى، نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ، يقول: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْكِتَابَ مُبَارَكًا مُصَدِّقًا كِتَابَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِ اللهِ، وَلَكِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ عَنْهُ؛ إِذْ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ الْخَبَرُ عَنْ ذَلِكَ، مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ بِهِ مُتَّصِلٌ، فَقَالَ: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾، وَمَعْنَاهُ: وَكَذَلِكَ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا مُبَارَكًا، كَالَّذِي أَنْزَلْتُ مِنَ التَّوْرَاةِ إِلَىٰ مُوسَىٰ هُدًى وَنُورًا..

﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْكِتَابَ مُصَدِّقًا مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ، وَلِتُنْذِرَ بِهِ

عَذَابَ اللهِ وَبَأْسَهُ مَنْ فِي أُمِّ الْقُرَىٰ وَهِيَ مَكَّةُ..

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ شَرْقًا وَغَرْبًا، مِنَ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمْ غَيْرَهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَالْجَاحِدِينَ بِرُسُلِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْنَافِ الْكُفَّارِ..

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِقِيَامِ السَّاعَةِ وَالْمَعَادِ فِي الْآخِرَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَيُصَدِّقُ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ..

﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ فَإِنَّهُ يُؤْمِنُ بِهَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، وَيُصَدِّقُ بِهِ وَيُقِرُّ بِأَنَّ اللهَ أَنْزَلَهُ..

﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٩٢] وَيُحَافِظُ عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ الَّتِي أَمَرَهُ اللهُ بِإِقَامَتِهَا؛ لِأَنَّهُ مُنْذِرٌ مَنْ بَلَغَهُ وَعِيدَ اللهِ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِهِ وَعَلَىٰ مَعَاصِيهِ، وَإِنَّمَا يَجْحَدُ بِهِ وَبِمَا فِيهِ وَيُكَذِّبُ أَهْلُ التَّكْذِيبِ بِالْمَعَادِ وَالْجُحُودِ لِقِيَامِ السَّاعَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَرْجُو مِنَ اللهِ إِنْ عَمِلَ بِمَا فِيهِ ثَوَابًا، وَلَا يَخَافُ إِنْ لَمْ يَجْتَنِبْ مَا يَأْمُرُهُ بِاجْتِنَابِهِ عِقَابًا.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٩٣].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ وَمَنْ أَخْطَأُ قَوْلًا، وَأَجْهَلُ فِعْلًا..

﴿مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ مِمَّنِ اخْتَلَقَ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا، فَادَّعَىٰ عَلَيْهِ أَنَّهُ بَعَثَهُ نَبِيًّا وَأَرْسَلَهُ نَذِيرًا، وَهُوَ فِي دَعْوَاهُ مُبْطِلٌ وَفِي قِيلِهِ كَاذِبٌ..

﴿أَوْ﴾ وَ..

﴿قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ..

﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ فَيَنْقُضُ قَوْلَهُ بِقَوْلِهِ، وَيُكَذِّبُ بِالَّذِي تَحَقَّقَهُ، وَيَنْفِي مَا يُثْبِتُهُ، وَذَلِكَ إِذَا تَدَبَّرَهُ الْعَاقِلُ الْأَرِيبُ عَلِمَ أَنَّ فَاعِلَهُ مِنْ عَقْلِهِ عَدِيمٌ.. وَهَذَا تَسْفِيهٌ مِنَ اللهِ لِمُشْرِكِي الْعَرَبِ، وَتَجْهِيلٌ مِنْهُ لَهُمْ فِي مُعَارَضَةِ (عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ) وَ(الْحَنَفِيِّ مُسَيْلِمَةَ) لِنَبِيِّ اللهِ ﷺ، بِدَعْوَىٰ أَحَدِهِمَا النُّبُوَّةَ، وَدَعْوَىٰ الْآخَرِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ

رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَنَفْيٌ مِنْهُ عَنْ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ اخْتِلَاقَ الْكَذِبِ عَلَيْهِ وَدَعْوَىٰ الْبَاطِلِ.. فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الآيَةِ كُلُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلِقًا عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا، وَقَائِلًا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَفِي غَيْرِهِ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ فِي قِيلِهِ كَاذِبٌ لَمْ يُوحِ اللهُ إِلَيْهِ شَيْئًا..

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ حِينَ يَغْمُرُ الْمَوْتُ بِسَكَرَاتِهِ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ، الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الآلِهَةَ وَالأَنْدَادَ، وَالْقَائِلِينَ: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، وَالْمُفْتَرِينَ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا، الزَّاعِمِينَ أَنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ، وَالْقَائِلِينَ: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، فَتُعَايِنُهُمْ وَقَدْ غَشِيَتْهُمْ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ، وَنَزَلَ بِهِمْ أَمْرُ اللهِ، وَحَانَ فَنَاءُ آجَالِهِمْ.. وَالْغَمَرَاتُ: جَمْعُ غَمْرَةٍ، وَغَمْرَةُ كُلِّ شَيْءٍ: كَثْرَتُهُ وَمُعْظَمُهُ، وَأَصْلُهُ: الشَّيْءُ الَّذِي يَغْمُرُ الأَشْيَاءَ فَيُغَطِّيهَا..

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: «**فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ**» [محمد: ٢٧- ٢٨]، يَقُولُونَ لَهُمْ..

﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا وَجْهُ قَوْلِهِ: «**أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ**»، وَنُفُوسُ بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يُخْرِجُهَا مِنْ أَبْدَانِ أَهْلِهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَكَيْفَ خُوطِبَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ، وَأُمِرُوا فِي حَالِ الْمَوْتِ بِإِخْرَاجِ أَنْفُسِهِمْ؟ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَقَدْ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ بَنُو آدَمَ هُمْ يَقْبِضُونَ أَنْفُسَ أَجْسَامِهِمْ؟ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ بِخِلَافِ الَّذِي إِلَيْهِ ذَهَبْتَ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ أَمْرٌ مِنَ اللهِ عَلَىٰ أَلْسُنِ رُسُلِهِ الَّذِينَ يَقْبِضُونَ أَرْوَاحَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مِنْ أَجْسَامِهِمْ، بِأَدَاءِ مَا أَسْكَنَهَا رَبُّهَا مِنَ الأَرْوَاحِ إِلَيْهِ، وَتَسْلِيمِهَا إِلَىٰ رُسُلِهِ الَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَهَا، فَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّا تَقُولُ رُسُلُ اللهِ الَّتِي تَقْبِضُ أَرْوَاحَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ لَهَا، يُخْبِرُ عَنْهَا أَنَّهَا تَقُولُ لِأَجْسَامِهَا وَلِأَصْحَابِهَا: أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ إِلَىٰ سَخَطِ اللهِ وَلَعْنَتِهِ فَإِنَّكُمْ..

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ تُثَابُونَ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ بِاللهِ..

﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ وَهُوَ عَذَابُ جَهَنَّمَ الَّذِي يُهِينُهُمْ فَيُذِلُّهُمْ، حَتَّىٰ يَعْرِفُوا صَغَارَ أَنْفُسِهِمْ وَذِلَّتَهَا.. وَالْعَرَبُ إِذَا أَرَادَتْ بِالْهُونِ مَعْنَىٰ الْهَوَانِ ضَمَّتِ الْهَاءَ، وَإِذَا أَرَادَتْ بِهِ الرِّفْقَ وَالدَّعَةَ وَخِفَّةَ الْمَؤُونَةِ فَتَحَتِ الْهَاءَ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، يَعْنِي: بِالرِّفْقِ وَالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ..

﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ بِسَبَبِ قِيلِكُمْ عَلَيْهِ الْبَاطِلَ، وَزَعْمِكُمْ أَنَّ اللهَ أَوْحَىٰ

إِلَيْكُمْ وَلَمْ يُوحِ إِلَيْكُمْ شَيْئًا، وَإِنْكَارِكُمْ أَنْ يَكُونَ اللهُ أَنْزَلَ عَلَىٰ بَشَرٍ شَيْئًا..

﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٩٣] وَبِسَبَبِ اسْتِكْبَارِكُمْ عَنِ الْخُضُوعِ لِأَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ، وَالِانْقِيَادِ لِطَاعَتِهِ.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝﴾

[الأنعام: ٩٤].

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، عَمَّا هُوَ قَائِلٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِهِ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ، يُخْبِرُ عِبَادَهُ أَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَيْهِ: وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا وُحْدَانًا، لَا مَالَ مَعَهُمْ، وَلَا أَثَاثَ، وَلَا رَفِيقَ، وَلَا شَيْءَ مِمَّا كَانَ اللهُ خَوَّلَهُمْ فِي الدُّنْيَا.. وَفُرَادَىٰ جَمْعٌ، يُقَالُ لِوَاحِدِهَا: فَرْدٌ..

﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ عُرَاةً، غُلْفًا، غُرْلًا، حُفَاةً، كَمَا وَلَدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ، وَكَمَا خَلَقَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، لَا شَيْءَ عَلَيْهِمْ وَلَا مَعَهُمْ مِمَّا كَانُوا يَتَبَاهَوْنَ بِهِ فِي الدُّنْيَا.

﴿وَتَرَكْتُم﴾ وَخَلَّفْتُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾ مَا مَكَّنَّاكُمْ فِي الدُّنْيَا مِمَّا كُنْتُمْ تتباهَوْنَ بِهِ فِيهَا..

﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ خَلْفَكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَلَمْ تَحْمِلُوهُ مَعَكُمْ.. وَهَذَا تَعْيِيرُ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِمُبَاهَاتِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَتَبَاهَوْنَ بِهَا فِي الدُّنْيَا بِأَمْوَالِهِمْ، وَكُلُّ مَا مَلَّكْتَهُ غَيْرَكَ وَأَعْطَيْتَهُ فَقَدْ خَوَّلْتَهُ، يُقَالُ مِنْهُ: خَالَ الرَّجُلُ يَخَالُ أَشَدَّ الْخِيَالِ بِكَسْرِ الْخَاءِ، وَهُوَ خَائِلٌ..

﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَنْدَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَزْعُمُونَ..

﴿أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾ أَنَّهُمْ يَشْفَعُونَ لَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ تَوَاصُلُكُم الَّذِي كَانَ بَيْنَكُم فِي الدُّنْيَا، ذَهَبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا تَوَاصُلَ بَيْنَكُم وَلَا تَوَادَّ وَلَا تَنَاصُرَ، وَقَدْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَتَوَاصَلُونَ وَيَتَنَاصَرُونَ فَاضْمَحَلَّ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي الْآخِرَةِ، فَلَا أَحَدَ مِنْهُمْ يَنْصُرُ صَاحِبَهُ وَلَا يُوَاصِلُهُ..

﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾ وَحَادَ عَنْ طَرِيقِكُمْ وَمِنْهَاجِكُمْ..

﴿مَّا كُنتُمْ﴾ مِنْ آلِهَتِكُمْ..

﴿تَزْعُمُونَ ۝٩٤﴾ [الأنعام: ٩٤] أَنَّهُ شَرِيكُ رَبِّكُمْ، وَأَنَّهُ لَكُمْ شَفِيعٌ عِنْدَ رَبِّكُمْ، فَلَا يَشْفَعُ لَكُمُ الْيَوْمَ.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٩٥﴾ [الأنعام: ٩٥].

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ أَيُّهَا النَّاسُ دُونَ كُلِّ مَا تَعْبُدُونَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ، هُوَ اللهُ..

﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ﴾ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّ، جَمْعُ حَبَّةٍ،، يَعْنِي: شَقَّ الْحَبَّ مِنْ كُلِّ مَا يُنْبِتُ مِنَ النَّبَاتِ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ الزَّرْعَ..

﴿وَٱلنَّوَىٰۖ﴾ مِنْ كُلِّ مَا يُغْرَسُ مِمَّا لَهُ نَوَاةٌ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ الشَّجَرَ.. وَالنَّوَىٰ: جَمْعُ النَّوَاةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ (فَالِقٌ): خَالِقٌ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ فَلَقَ الشَّقَّ الَّذِي فِي الْحَبَّةِ وَالنَّوَاةِ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدِي مَا قَدَّمْنَا الْقَوْلَ بِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِإِخْبَارِهِ عَنْ إِخْرَاجِهِ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَالْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّهُ إِنَّمَا عَنَىٰ بِإِخْبَارِهِ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ فَالِقُ الْحَبِّ عَنِ النَّبَاتِ، وَالنَّوَىٰ عَنِ الْغُرُوسِ وَالْأَشْجَارِ، كَمَا هُوَ مُخْرِجُ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَالْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ.. وَأَمَّا الْقَوْلُ الَّذِي حُكِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ فِي مَعْنَىٰ فَالِقٍ أَنَّهُ خَالِقٌ، فَقَوْلٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَرَادَ بِهِ أَنَّهُ خَالِقٌ مِنْهُ النَّبَاتَ وَالْغُرُوسَ بِفَلْقِهِ إِيَّاهُ، لَا أَعْرِفُ لَهُ وَجْهًا، لِأَنَّهُ لَا يُعْرَفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فَلَقَ اللهُ الشَّيْءَ بِمَعْنَىٰ: خَلَقَ..

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ يُخْرِجُ السُّنْبُلَ الْحَيَّ مِنَ الْحَبِّ الْمَيِّتِ..

﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّۚ﴾ وَمُخْرِجُ الْحَبِّ الْمَيِّتِ مِنَ السُّنْبُلِ الْحَيِّ، وَالشَّجَرِ الْحَيِّ مِنَ النَّوَىٰ الْمَيِّتِ، وَالنَّوَىٰ الْمَيِّتِ مِنَ الشَّجَرِ الْحَيِّ.. وَالشَّجَرُ مَا دَامَ قَائِمًا عَلَىٰ أُصُولِهِ لَمْ يَجِفَّ، وَالنَّبَاتُ عَلَىٰ سَاقِهِ لَمْ يَيْبَسْ، فَإِنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّيهِ حَيًّا، فَإِذَا يَبِسَ وَجَفَّ أَوْ قُطِعَ مِنْ أَصْلِهِ سَمَّوْهُ مَيِّتًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّۚ﴾، يُخْرِجُ النُّطْفَةَ الْمَيِّتَةَ مِنَ الْحَيِّ، ثُمَّ يُخْرِجُ مِنَ النُّطْفَةِ بَشَرًا حَيًّا.. وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا التَّأْوِيلَ الَّذِي اخْتَرْنَا فِي ذَلِكَ، لِأَنَّهُ عُقَيْبُ قَوْلِهِ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ﴾، عَلَىٰ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّۚ﴾، وَإِنْ كَانَ خَبَرًا مِنَ اللهِ عَنْ إِخْرَاجِهِ مِنَ الْحَبِّ السُّنْبُلَ، وَمِنَ السُّنْبُلِ الْحَبَّ، فَإِنَّهُ دَاخِلٌ فِي عُمُومِهِ إِخْرَاجُ النُّطْفَةِ الْمَيِّتَةِ مِنَ الْحَيِّ، ثُمَّ يُخْرِجُ مِنَ النُّطْفَةِ بَشَرًا حَيًّا، وَكُلُّ مَيِّتٍ أَخْرَجَهُ اللهُ مِنْ جِسْمٍ حَيٍّ، وَكُلُّ حَيٍّ أَخْرَجَهُ اللهُ مِنْ جِسْمٍ مَيِّتٍ..

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ فَاعِلُ ذَلِكَ كُلِّهُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ..

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٩٥] فَأَيُّ وُجُوهِ الصَّدِّ عَنِ الْحَقِّ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ تَصُدُّونَ عَنِ الصَّوَابِ وَتُصْرَفُونَ، أَفَلَا تَتَدَبَّرُونَ فَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُجْعَلَ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِفَلْقِ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، فَأَخْرَجَ لَكُمْ مِنْ يَابِسِ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ زُرُوعًا وَحُرُوثًا وَثِمَارًا تَتَغَذَّوْنَ بِبَعْضِهِ وَتَفَكَّهُونَ بِبَعْضِهِ، شَرِيكٌ فِي عِبَادَتِهِ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ؟.. وَهَذَا تَنْبِيهٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِهِ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ عَلَىٰ مَوْضِعِ حُجَّتِهِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْرِيفٌ مِنْهُ لَهُمْ خَطَأَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ مِنْ إِشْرَاكِ الْأَصْنَامِ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ.

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝﴾
[الأنعام: ٩٦].

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ شَاقُّ عَمُودِ الصُّبْحِ عَنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَسَوَادِهِ..

﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ لِأَنَّهُ يَسْكُنُ فِيهِ كُلُّ مُتَحَرِّكٍ بِالنَّهَارِ، وَيَهْدَأُ فِيهِ فَيَسْتَقِرُّ فِي مَسْكَنِهِ وَمَأْوَاهُ..

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ وَجَعَلَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا يَجْرِيَانِ بِحِسَابٍ وَعَدَدٍ لِبُلُوغِ أَمْرِهِمَا وَنِهَايَةِ آجَالِهِمَا، وَيَدُورَانِ لِمَصَالِحِ الْخَلْقِ الَّتِي جُعِلَا لَهَا؛ وَوَصْفُهُ إِجْرَاءَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لِمَنَافِعِهِمْ أَشْبَهَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ ذِكْرِ إِضَاءَتِهِمَا؛ لِأَنَّهُ قَدْ وَصَفَ ذَلِكَ قَبْلُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾، فَلَا مَعْنَىٰ لِتَكْرِيرِهِ مَرَّةً أُخْرَىٰ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ لِغَيْرِ مَعْنًى، وَلِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ ذَكَرَ قَبْلَهُ أَيَادِيهِ عِنْدَ خَلْقِهِ وَعِظَمَ سُلْطَانِهِ، بِفَلْقِهِ الْإِصْبَاحَ لَهُمْ وَإِخْرَاجَ النَّبَاتِ وَالْغِرَاسِ مِنَ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، وَعَقَّبَ ذَلِكَ بِذِكْرِهِ خَلْقَ النُّجُومِ لِهِدَايَتِهِمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ الْفِعْلُ الَّذِي وَصَفَهُ أَنَّهُ فَعَلَهُ، وَهُوَ فَلْقُهُ الْإِصْبَاحَ، وَجَعْلُهُ اللَّيْلَ سَكَنًا، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا..

﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ الَّذِي عَزَّ سُلْطَانُهُ، فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَرَادَهُ بِسُوءٍ وَعِقَابٍ أَوِ انْتِقَامٍ مِنَ الِامْتِنَاعِ مِنْهُ..

﴿ٱلْعَلِيمِ ۝﴾ [الأنعام: ٩٦] بِمَصَالِحِ خَلْقِهِ وَتَدْبِيرِهِمْ، لَا تَقْدِيرَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ، وَلَا تَفْقَهُ شَيْئًا وَلَا تَعْقِلُهُ، وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَإِنْ أُرِيدَتْ بِسُوءٍ لَمْ تَقْدِرْ عَلَىٰ الِامْتِنَاعِ مِنْهُ مِمَّنْ أَرَادَهَا بِهِ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَأَخْلِصُوا أَيُّهَا الْجَهَلَةُ عِبَادَتَكُمْ لِفَاعِلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَلَا تُشْرِكُوا فِي عِبَادَتِهِ شَيْئًا غَيْرَهُ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٩٧﴾ [الأنعام: ٩٧].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ﴾ وَاللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ النُّجُومَ أَدِلَّةً فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ إِذَا ضَلَلْتُمُ الطَّرِيقَ، أَوْ تَحَيَّرْتُمْ فَلَمْ تَهْتَدُوا فِيهَا لَيْلًا تَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَىٰ الْمَحَجَّةِ، فَتَهْتَدُونَ بِهَا إِلَىٰ الطَّرِيقِ وَالْمَحَجَّةِ فَتَسْلُكُونَهُ، وَتَنْجَوْنَ بِهَا مِنْ ظُلُمَاتِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۝١٦﴾ [النحل: ١٦]، أَيْ مِنْ ضَلَالِ الطَّرِيقِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَعَنَىٰ بِالظُّلُمَاتِ: ظُلْمَةَ اللَّيْلِ، وَظُلْمَةَ الْخَطَأِ وَالضَّلَالِ، وَظُلْمَةَ الْأَرْضِ أَوِ الْمَاءِ..

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾ قَدْ مَيَّزْنَا الْأَدِلَّةَ وَفَرَّقْنَا الْحُجَجَ فِيكُمْ وَبَيَّنَّاهَا أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٩٧﴾ [الأنعام: ٩٧] لِيَتَدَبَّرَهَا أُولُو الْعِلْمِ بِاللهِ مِنْكُمْ، وَيَفْهَمَهَا أُولُو الْحِجَا مِنْكُمْ، فَيُنِيبُوا مِنْ جَهْلِهِمُ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ، وَيَنْزَجِرُوا عَنْ خَطَأِ فِعْلِهِمُ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ ثَابِتُونَ، وَلَا يَتَمَادُوا عِنَادًا لِلَّهِ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ خَطَأٌ فِي غَيِّهِمْ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۝٩٨﴾ [الأنعام: ٩٨].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم﴾ وَإِلَهُكُمْ أَيُّهَا الْعَادِلُونَ بِاللهِ غَيْرَهُ هُوَ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، فَأَوْجَدَكُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئًا..

﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ..

﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَمِنْكُمْ مُسْتَقَرٌّ فِي الرَّحِمِ، وَمِنْكُمْ مُسْتَوْدَعٌ فِي الْقَبْرِ حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ لِنَشْرِ الْقِيَامَةِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْمُسْتَوْدَعُ: مَا كَانَ فِي أَصْلَابِ الْآبَاءِ، وَالْمُسْتَقَرُّ: مَا كَانَ فِي بُطُونِ النِّسَاءِ وَبُطُونِ الْأَرْضِ أَوْ عَلَىٰ ظُهُورِهَا.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَمُسْتَقَرٌّ فِي الْأَرْضِ عَلَىٰ ظُهُورِهَا، وَمُسْتَوْدَعٌ عِنْدَ اللهِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَمُسْتَقَرٌّ فِي الرَّحِمِ، وَمُسْتَوْدَعٌ فِي الصُّلْبِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: الْمُسْتَقَرُّ: فِي الْقَبْرِ، وَالْمُسْتَوْدَعُ: فِي الدُّنْيَا.. وَأَوْلَىٰ التَّأْوِيلَاتِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ﴾ كُلَّ خَلْقِهِ الَّذِي أَنْشَأَ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ مُسْتَقَرًّا

وَمُسْتَوْدَعًا، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْ ذَلِكَ مَعْنًىٰ دُونَ مَعْنًىٰ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مِنْ بَنِي آدَمَ مُسْتَقَرًّا فِي الرَّحِمِ، وَمُسْتَوْدَعًا فِي الصُّلْبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مُسْتَقَرٌّ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ أَوْ بَطْنِهَا، وَمُسْتَوْدَعٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَمِنْهُمْ مُسْتَقَرٌّ فِي الْقَبْرِ مُسْتَوْدَعٌ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ، فَكُلُّ مُسْتَقَرٍّ أَوْ مُسْتَوْدَعٍ بِمَعْنًىٰ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي فَدَاخِلٌ فِي عُمُومِ قَوْلِهِ: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ وَمُرَادٌ بِهِ، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ خَبَرٌ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ بِأَنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهِ مَعْنًىٰ دُونَ مَعْنًىٰ، وَخَاصٌّ دُونَ عَامٍّ..

﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ قَدْ بَيَّنَّا الْحُجَجَ، وَمَيَّزْنَا الْأَدِلَّةَ وَالْأَعْلَامَ وَأَحْكَمْنَاهَا..

﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنعام: ٩٨] مَوَاقِعَ الْحُجَجِ، وَمَوَاضِعَ الْعِبَرِ، وَيَفْهَمُونَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرَ، فَإِنَّهُمْ إِذَا اعْتَبَرُوا بِمَا نَبَّهْتُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ إِنْشَائِي مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ مَا عَايَنُوا مِنَ الْبَشَرِ، وَخَلْقِي مَا خَلَقْتُ مِنْهَا مِنْ عَجَائِبِ الْأَلْوَانِ وَالصُّوَرِ، عَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ مَنْ لَيْسَ لَهُ مِثْلٌ، وَلَا شَرِيكٌ فَيُشْرِكُوهُ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام: ٩٩].

﴿وَهُوَ﴾ وَاللهُ الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ خَالِصَةً لَا شِرْكَةَ فِيهِ لِشَيْءٍ سِوَاهُ، هُوَ الْإِلَهُ..

﴿الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ فَأَخْرَجْنَا بِالْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ غِذَاءِ الْأَنْعَامِ وَالْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ، وَأَرْزَاقِ بَنِي آدَمَ، وَأَقْوَاتِهِمْ مَا يَتَغَذَّوْنَ بِهِ وَيَأْكُلُونَهُ، فَيَنْبُتُونَ عَلَيْهِ وَيَنْمُونَ..

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مَا يَنْبُتُ بِهِ كُلُّ شَيْءٍ وَيَنْمُو عَلَيْهِ وَيَصْلُحُ.. وَلَوْ قِيلَ مَعْنَاهُ: فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ جَمِيعِ أَنْوَاعِ النَّبَاتِ، فَيَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ هُوَ أَصْنَافَ النَّبَاتِ، كَانَ مَذْهَبًا، وَإِنْ كَانَ الْوَجْهُ الصَّحِيحُ هُوَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ..

﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ فَأَخْرَجْنَا مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ..

﴿خَضِرًا﴾ رَطِبًا مِنَ الزَّرْعِ، وَالْخَضِرُ: هُوَ الْأَخْضَرُ..

﴿نُخْرِجُ مِنْهُ﴾ نُخْرِجُ مِنَ الْخَضِرِ..

﴿حَبًّا﴾ فِي السُّنْبُلِ..

﴿مُتَرَاكِبًا﴾ سُنْبُلِ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالْأُرْزِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ السَّنَابِلِ الَّتِي حَبُّهَا يَرْكَبُ

بَعْضُهُ بَعْضًا..

﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾ قِصَارَ النَّخْلِ.. جَمْعُ قِنْوٍ، كَمَا الصِّنْوَانُ: جَمْعُ صِنْوٍ، وَهُوَ الْعِذْقُ، يُقَالُ لِلْوَاحِدِ: هُوَ قِنْوٌ، وَقَنَا، ويُثَنَّىٰ قِنْوَانِ، وَيُجْمَعُ قِنْوَانٌ وَقُنْوَانٌ..

﴿دَانِيَةٌ﴾ قَرِيبَةٌ، لَاصِقَةٌ عُذُوقُهَا بِالْأَرْضِ..

﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ وَأَخْرَجْنَا أَيْضًا بَسَاتِينَ مِنْ أَعْنَابٍ..

﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ وَأَخْرَجْنَا الزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَرَقُهُ، مُخْتَلِفًا ثَمَرُهُ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ: مُشْتَبِهًا فِي الْخَلْقِ، مُخْتَلِفًا فِي الطَّعْمِ، وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَشَجَرُ الزَّيْتُونِ وَالرُّمَّانِ، فَاكْتَفَىٰ مِنْ ذِكْرِ الشَّجَرِ بِذِكْرِ ثَمَرِهِ، كَمَا قِيلَ: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، فَاكْتَفَىٰ بِذِكْرِ الْقَرْيَةِ مِنْ ذِكْرِ أَهْلِهَا، لِمَعْرِفَةِ الْمُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ بِمَعْنَاهُ..

﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ ونُضْجِهُ وَبُلُوغِهُ حِينَ يَبْلُغُ..

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ﴾ إِنَّ فِي إِنْزَالِ اللهِ تَعَالَىٰ مِنَ السَّمَاءِ الْمَاءَ الَّذِي أَخْرَجَ بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْخَضِرَ الَّذِي أَخْرَجَ مِنْهُ الْحَبَّ الْمُتَرَاكِبَ، وَسَائِرَ مَا عَدَّدَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ صُنُوفِ خَلْقِهِ..

﴿لَأَيَٰتٍ﴾ فِي ذَلِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا أَنْتُمْ نَظَرْتُمْ إِلَىٰ ثَمَرِهِ عِنْدَ عَقْدَ ثَمَرِهِ، وَعِنْدَ يَنْعِهِ وَانْتِهَائِهِ، فَرَأَيْتُمُ اخْتِلَافَ أَحْوَالِهِ وَتَصَرُّفَهُ فِي زِيَادَتِهِ وَنُمُوِّهِ، عَلِمْتُمْ أَنَّ لَهُ مُدَبِّرًا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَلَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَكَانَ فِيهِ حُجَجٌ وَبُرْهَانٌ وَبَيَانٌ..

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٩٩] لِقَوْمٍ يُصَدِّقُونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ. وَخَصَّ بِذَلِكَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ الْقَوْمَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ، لِأَنَّهُمْ هُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِحُجَجِ اللهِ وَالْمُعْتَبِرُونَ بِهَا، دُونَ مَنْ قَدْ طُبِعَ عَلَىٰ قَلْبِهِ فَلَا يَعْرِفُ حَقًّا مِنْ بَاطِلٍ، وَلَا يَتَبَيَّنُ هُدًىٰ مِنْ ضَلَالَةٍ.

> ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝﴾ [الأنعام: ١٠٠].

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ﴾ وَجَعَلَ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمُ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ لِلَّهِ..

﴿شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ﴾ [الصافات: ١٥٨]، وَفِي الْجِنِّ وَجْهَانِ مِنَ النَّصْبِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ تَفْسِيرًا لِلشُّرَكَاءِ، وَالْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ الْجِنَّ شُرَكَاءَ وَهُوَ خَالِقُهُمْ)..

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ وَهُوَ الْمُنْفَرِدُ بِخَلْقِهِمْ بِغَيْرِ شَرِيكٍ وَلَا مُعِينٍ وَلَا ظَهِيرٍ.

﴿وَخَرَقُواْ﴾ اخْتَلَقُوا، وَافْتَرُوا، وَتَخَرَّصُوا لِلَّهِ كَذِبًا، فَافْتَعَلُوا..

﴿لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ﴾ مِنْهُمْ بِحَقِيقَةِ مَا يَقُولُونَ، وَلَكِنْ جَهْلًا بِاللهِ وَبِعَظَمَتِهِ وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ إِلَهًا أَنْ يَكُونَ لَهُ بَنُونَ وَبَنَاتٌ وَلَا صَاحِبَةٌ، وَلَا أَنْ يَشْرِكَهُ فِي خَلْقِهِ شَرِيكٌ، فَقَالَتِ الْعَرَبُ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ: الْمَسِيحُ وَعُزَيْرٌ ابْنَا اللهِ..

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠﴾ [الأنعام: ١٠٠] تَنَزَّهَ اللهُ وَعَلَا، فَارْتَفَعَ عَنِ الَّذِي يَصِفُهُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةُ، مِنْ خَلْقِهِ فِي ادِّعَائِهِمْ لَهُ شُرَكَاءَ مِنَ الْجِنِّ، وَاخْتِرَاقِهِمْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ، وَذَلِكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ صِفَتِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ خَلْقِهِ الَّذِينَ يَكُونُ مِنْهُمُ الْجِمَاعُ الَّذِي يَحْدُثُ عَنْهُ الْأَوْلَادُ، وَالَّذِينَ تَضْطَرُّهُمْ لِضَعْفِهِمُ الشَّهَوَاتُ إِلَىٰ اتِّخَاذِ الصَّاحِبَةِ لِقَضَاءِ اللَّذَّاتِ، وَلَيْسَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِالْعَاجِزِ فَيَضْطَرُّهُ شَيْءٌ إِلَىٰ شَيْءٍ، وَلَا بِالضَّعِيفِ الْمُحْتَاجِ فَتَدْعُوهُ حَاجَتُهُ إِلَىٰ النِّسَاءِ إِلَىٰ اتِّخَاذِ صَاحِبَةٍ لِقَضَاءِ لَذَّةٍ.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١﴾ [الأنعام: ١٠١].

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ اللهُ الَّذِي جَعَلَ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةُ بِهِ لَهُ الْجِنَّ شُرَكَاءَ، وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ، ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾: يَعْنِي: مُبْتَدِعُهَا وَمُحْدِثُهَا وَمُوجِدُهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ..

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ﴾ وَالْوَلَدُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَىٰ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ صَاحِبَةٌ، فَيَكُونُ لَهُ وَلَدٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، يَقُولُ: فَإِذَا كَانَ لَا شَيْءَ إِلَّا اللهُ خَلَقَهُ، فَأَنَّىٰ يَكُونُ لِلَّهِ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ، فَيَكُونُ لَهُ مِنْهَا وَلَدٌ؟!

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ﴾ وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا خَالِقَ سِوَاهُ، وَكُلُّ مَا تَدْعُونَ -أَيُّهَا الْعَادِلُونَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ- مِنْ دُونِهِ خَلْقُهُ وَعَبِيدُهُ، مَلَكًا كَانَ الَّذِي تَدْعُونَهُ -رَبًّا وَتَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَهُ وَلَدٌ- أَوْ جِنِّيًّا أَوْ إِنْسِيًّا..

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١﴾ [الأنعام: ١٠١] وَاللهُ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا خَلَقَ، وَلَا شَيْءٌ مِنْهُ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، عَالِمٌ بِعَدَدِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ وَأَعْمَالِ مَنْ دَعَوْتُمُوهُ رَبًّا، أَوْ لِلَّهِ وَلَدًا، وَهُوَ مُحْصِيهَا عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمْ حَتَّىٰ يُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ﴾ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، هُوَ اللهُ رَبُّكُمْ أَيُّهَا الْعَادِلُونَ بِاللهِ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ، وَالْجَاعِلُونَ لَهُ الْجِنَّ شُرَكَاءَ، وَآلِهَتَكُمُ الَّتِي لَا تَمْلِكُ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَلَا تَفْعَلُ خَيْرًا وَلَا شَرًّا..

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ وَهَذَا تَكْذِيبٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ الْجِنَّ شُرَكَاءُ اللهِ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ: أَيُّهَا الْجَاهِلُونُ، إِنَّهُ لَا شَيْءَ لَهُ الْأُلُوهِيَّةُ وَالْعِبَادَةُ إِلَّا الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عِبَادَتُكُمْ وَعِبَادَةُ جَمِيعِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا لَهُ خَالِصَةً بِغَيْرِ شَرِيكٍ تُشْرِكُونَهُ فِيهَا، فَإِنَّهُ..

﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ وَبَارِئُهُ وَصَانِعُهُ، وَحَقٌّ عَلَىٰ الْمَصْنُوعِ أَنْ يُفْرِدَ صَانِعَهُ بِالْعِبَادَةِ..

﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ فَذِلُّوا لَهُ بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالْخِدْمَةِ، وَاخْضَعُوا لَهُ بِذَلِكَ..

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢] وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ مَا خَلَقَ مِنْ شَيْءٍ رَقِيبٌ وَحَفِيظٌ، يَقُومُ بِأَرْزَاقِ جَمِيعِهِ وَأَقْوَاتِهِ وَسِيَاسَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَتَصْرِيفِهِ بِقُدْرَتِهِ.

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣].

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ لَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ، وَهُوَ يُحِيطُ بِهَا، وَاعْتَلَّ قَائِلُو هَذِهِ الْمَقَالَةِ لِقَوْلِهِمْ هَذَا بِأَنْ قَالُوا: إِنَّ اللهَ قَالَ: ﴿إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾ [يونس: ٩٠]، قَالُوا: فَوَصَفَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ الْغَرَقَ بِأَنَّهُ أَدْرَكَ فِرْعَوْنَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْغَرَقَ غَيْرُ مَوْصُوفٍ بِأَنَّهُ رَآهُ، وَلَا هُوَ مِمَّا يَجُوزُ وَصْفُهُ بِأَنَّهُ يَرَىٰ شَيْئًا، قَالُوا: فَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ بِمَعْنَىٰ: لَا تَرَاهُ بَعِيدًا، لِأَنَّ الشَّيْءَ قَدْ يُدْرِكُ الشَّيْءَ وَلَا يَرَاهُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ أَصْحَابِ مُوسَىٰ ﷺ حِينَ قَرُبَ مِنْهُمْ أَصْحَابُ فِرْعَوْنَ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١﴾ [الشعراء: ٦١]؛ لِأَنَّ اللهَ قَدْ كَانَ وَعَدَ نَبِيَّهُ مُوسَىٰ ﷺ أَنَّهُمْ لَا يُدْرَكُونَ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧﴾ [طه: ٧٧]، قَالُوا: فَإِنْ كَانَ الشَّيْءُ قَدْ يَرَىٰ الشَّيْءَ وَلَا يُدْرِكُهُ، وَيُدْرِكُهُ وَلَا يَرَاهُ، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾

مِنْ مَعْنَىٰ لَا تَرَاهُ الْأَبْصَارُ بِمَعْزِلٍ، وَأَنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ؛ لِأَنَّ الْإِحَاطَةَ بِهِ غَيْرُ جَائِزَةٍ، قَالُوا: فَالْمُؤْمِنُونَ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ بِأَبْصَارِهِمْ، وَلَا تُدْرِكُهُ أَبْصَارُهُمْ، بِمَعْنَىٰ: أَنَّهَا لَا تُحِيطُ بِهِ، إِذْ كَانَ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُوصَفَ اللهُ بِأَنَّ شَيْئًا يُحِيطُ بِهِ، قَالُوا: وَنَظِيرُ جَوَازِ وَصْفِهِ بِأَنَّهُ يُرَىٰ وَلَا يُدْرَكُ جَوَازُ وَصْفِهِ بِأَنَّهُ يُعْلَمُ وَلَا يُحَاطُ بِهِ، وَكَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قَالُوا: فَنَفَىٰ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ خَلْقِهِ أَنْ يَكُونُوا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ، قَالُوا: وَمَعْنَىٰ الْعِلْمِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْمَعْلُومُ، قَالُوا: فَلَمْ يَكُنْ فِي نَفْيِهِ عَنْ خَلْقِهِ أَنْ يُحِيطُوا بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ نَفْيٌ عَنْ أَنْ يَعْلَمُوهُ، قَالُوا: فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي نَفْيِ الْإِحَاطَةِ بِالشَّيْءِ عِلْمًا نَفْيٌ لِلْعِلْمِ بِهِ، كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِي نَفْيِ إِدْرَاكِ اللهِ عَنِ الْبَصَرِ نَفْيُ رُؤْيَتِهِ لَهُ، قَالُوا: وَكَمَا جَازَ أَنْ يَعْلَمَ الْخَلْقُ أَشْيَاءَ وَلَا يُحِيطُونَ بِهَا عِلْمًا، كَذَلِكَ جَائِزٌ أَنْ يَرَوْا رَبَّهُمْ بِأَبْصَارِهِمْ وَلَا يُدْرِكُوهُ بِأَبْصَارِهِمْ، إِذْ كَانَ مَعْنَىٰ الرُّؤْيَةِ غَيْرَ مَعْنَىٰ الْإِدْرَاكِ، وَمَعْنَىٰ الْإِدْرَاكِ غَيْرَ مَعْنَىٰ الرُّؤْيَةِ، وَأَنَّ مَعْنَىٰ الْإِدْرَاكِ: إِنَّمَا هُوَ الْإِحَاطَةُ، قَالُوا: فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لَا تَرَاهُ الْأَبْصَارُ؟ قُلْنَا لَهُ: أَنْكَرْنَا ذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ وُجُوهًا فِي الْقِيَامَةِ إِلَيْهِ نَاظِرَةٌ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخْبَرَ أُمَّتَهُ أَنَّهُمْ سَيَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا يُرَىٰ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَكَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، قَالُوا: فَإِذْ كَانَ اللهُ قَدْ أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ بِمَا أَخْبَرَ، وَحَقَّقَتْ أَخْبَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا ذَكَرْنَا عَنْهُ مِنْ قِيلِهِ ﷺ أَنَّ تَأْوِيلَ قَوْلِهِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، أَنَّهُ نَظَرُ أَبْصَارِ الْعُيُونِ لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَكَانَ كِتَابُ اللهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ هَاذَيْنِ الْخَبَرَيْنِ نَاسِخًا لِلْآخَرِ؛ إِذْ كَانَ غَيْرُ جَائِزٍ فِي الْأَخْبَارِ، عُلِمَ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» غَيْرُ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، فَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَنْظُرُونَ بِأَبْصَارِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ اللهِ وَلَا يُدْرِكُونَهُ بِهَا، تَصْدِيقًا لِلَّهِ فِي كِلَا الْخَبَرَيْنِ، وَتَسْلِيمًا لِمَا جَاءَ بِهِ تَنْزِيلُهُ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ فِي السُّورَتَيْنِ..

﴿وَهُوَ﴾ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ الْمُتَيَسِّرُ لَهُ مِنْ إِدْرَاكِ الْأَبْصَارِ، وَالْمُتَأَتِّي لَهُ مِنَ الْإِحَاطَةِ بِهَا رُؤْيَةُ مَا يَعْسُرُ عَلَىٰ الْأَبْصَارِ؛ مِنْ إِدْرَاكِهَا إِيَّاهُ، وَإِحَاطَتِهَا بِهِ، وَيَتَعَذَّرُ عَلَيْهَا..

﴿ٱللَّطِيفُ﴾ فَلَطَفَ بِقُدْرَتِهِ، فَهَيَّأَ أَبْصَارَ خَلْقِهِ هَيْئَةً لَا تُدْرِكُهُ..

﴿ٱلْخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣] الْعَلِيمُ بِخَلْقِهِ وَأَبْصَارِهِمْ، وَالسَّبَبُ الَّذِي لَهُ تَعَذَّرَ عَلَيْهَا إِدْرَاكُهُ،

وَخَبَرَ بِعِلْمِهِ كَيْفَ تَدْبِيرُهَا وَشُئُونُهَا، وَمَا هُوَ أَصْلَحُ بِخَلْقِهِ.

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام: ١٠٤].

﴿قَدْ﴾ هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَقُولَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَبَّهَهُمْ بِهَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ﴾ [الأنعام: ٩٥] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣] عَلَىٰ حُجَجِهِ عَلَيْهِمْ، وَعَلَىٰ تَبْيِينِ خَلْقِهِ مَعَهُمْ، الْعَادِلِينَ بِهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَنْدَادَ، وَالْمُكَذِّبِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ، قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: قَدْ..

﴿جَآءَكُم﴾ أَيُّهَا الْعَادِلُونَ بِاللهِ وَالْمُكَذِّبُونَ رَسُولَهُ..

﴿بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ﴾ أَيْ مَا تُبْصِرُونَ بِهِ الْهُدَىٰ مِنَ الضَّلَالِ، وَالْإِيمَانَ مِنَ الْكُفْرِ، وَهِيَ جَمْعُ بَصِيرَةٍ..

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ فَمَنْ تَبَيَّنَ حُجَجَ اللهِ، وَعَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا، وَآمَنَ بِمَا دَلَّتْهُ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ..

﴿فَلِنَفْسِهِۦۖ﴾ فَإِنَّمَا أَصَابَ حَظَّ نَفْسِهِ، وَلِنَفْسِهِ عَمِلَ، وَإِيَّاهَا بَغَىٰ الْخَيْرَ..

﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَدِلَّ بِهَا، وَلَمْ يُصَدِّقْ بِمَا دَلَّتْهُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتَنْزِيلِهِ، وَلَكِنَّهُ عَمِيَ عَنْ دَلَالَتِهَا الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا..

﴿فَعَلَيْهَاۚ﴾ فَعَلَىٰ نَفْسِهِ ضَرَّ، وَإِلَيْهَا أَسَاءَ لَا إِلَىٰ غَيْرِهَا..

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام: ١٠٤] وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِرَقِيبٍ، أُحْصِي عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَأَفْعَالَكُمْ، وَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ أُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، وَاللهُ الْحَفِيظُ عَلَيْكُمُ الَّذِي لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنعام: ١٠٥].

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ كَمَا صَرَّفْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الْآيَاتِ وَالْحُجَجَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَبَيَّنْتُهَا، فَعَرَّفْتُكُمُوهَا فِي تَوْحِيدِي وَتَصْدِيقِ رَسُولِي وَكِتَابِي، وَوَصَّيْتُكُمْ عَلَيْهَا، فَكَذَلِكَ أُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِي وَحُجَجِي فِي كُلِّ مَا جَهِلْتُمُوهُ فَلَمْ تَعْرِفُوهُ مِنْ أَمْرِي وَنَهْيِي..

﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ قَرَأْتَ وَتَعَلَّمْتَ، لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَذَلِكَ كَانُوا يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَنْ قِيلِهِمْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ١٠٣﴾ [النحل: ١٠٣]، فَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ يُنْبِئُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّمَا يَتَعَلَّمُ مُحَمَّدٌ مَا يَأْتِيكُمْ بِهِ مِنْ غَيْرِهِ..

﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ كَمَا صَرَّفْنَا الْآيَاتِ وَالْعِبَرَ وَالْحُجَجَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ، كَذَلِكَ نُصَرِّفُ لَهُمُ الْآيَاتِ فِي غَيْرِهَا، كَيْلَا يَقُولُوا لِرَسُولِنَا الَّذِي أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْهِمْ: إِنَّمَا تَعَلَّمْتَ مَا تَأْتِينَا بِهِ تَتْلُوهُ عَلَيْنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيَنْزَجِرُوا عَنْ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ وَتَقَوُّلِهِمْ عَلَيْهِ الْإِفْكَ وَالزُّورَ، وَلِنُبَيِّنَ تَصْرِيفَنَا الْآيَاتِ الْحَقَّ..

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ١٠٥﴾ [الأنعام: ١٠٥] الْحَقَّ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُمْ، فَيَتَّبِعُوهُ وَيَقْبَلُوهُ، وَلَيْسُوا كَمَنْ إِذَا بُيِّنَ لَهُمْ عَمُوا عَنْهُ فَلَمْ يَعْقِلُوهُ وَازْدَادُوا مِنَ الْفَهْمِ بِهِ بُعْدًا.

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٦﴾ [الأنعام: ١٠٦].

﴿ٱتَّبِعْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ﴾ مَا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ فِي وَحْيِهِ الَّذِي أَوْحَاهُ إِلَيْكَ، فَاعْمَلْ بِهِ، وَانْزَجِرْ عَمَّا زَجَرَكَ عَنْهُ فِيهِ، وَدَعْ مَا يَدْعُوكَ إِلَيْهِ مُشْرِكُو قَوْمِكَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، فَإِنَّهُ..

﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ لَا مَعْبُودَ يَسْتَحِقُّ عَلَيْكَ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لَهُ..

﴿إِلَّا هُوَ﴾ إِلَّا اللهُ الَّذِي هُوَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَفَالِقُ الْإِصْبَاحِ، وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا..

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٦﴾ [الأنعام: ١٠٦] وَدَعْ عَنْكَ جِدَالَهُمْ وَخُصُومَتَهُمْ وَمُسَابَّتَهُمْ، ثُمَّ نَسَخَ ذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ فِي بَرَاءَةَ: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ١٠٧﴾ [الأنعام: ١٠٧].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ ۗ﴾ لَوْ أَرَادَ رَبُّكَ هِدَايَتَهُمْ وَاسْتِنْقَاذَهُمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، لَلَطَفَ لَهُمْ بِتَوْفِيقِهِ إِيَّاهُمْ، فَلَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَلَآمَنُوا بِكَ، فَاتَّبَعُوكَ وَصَدَّقُوا مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ..

﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ﴾ وَإِنَّمَا بَعَثْتُكَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مُبَلِّغًا، وَلَمْ نَبْعَثْكَ حَافِظًا عَلَيْهِمْ مَا

هُمْ عَامِلُوهُ وَتُحْصِي ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَيْنَا دُونَكَ..

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ١٠٧﴾ [الأنعام: ١٠٧] وَلَسْتَ عَلَيْهِمْ بِقَيِّمٍ، تَقُومُ بِأَرْزَاقِهِمْ وَأَقْوَاتِهِمْ، وَلَا بِحِفْظِهِمْ فِيمَا لَمْ يُجْعَلْ إِلَيْكَ حِفْظُهُ مِنْ أَمْرِهِمْ.

﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨﴾ [الأنعام: ١٠٨].

﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُو الْمُشْرِكُونَ..

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ..

﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ﴾ فَيَسُبُّ الْمُشْرِكُونَ اللهَ..

﴿عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ جَهْلًا مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ وَاعْتِدَاءً بِغَيْرِ عِلْمٍ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا زَيَّنَّا لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ، وَطَاعَةَ الشَّيْطَانِ، بِخُذْلَانِنَا إِيَّاهُمْ عَنْ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ، كَذَلِكَ..

﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ زَيَّنَّا لِكُلِّ جَمَاعَةٍ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَمَعْصِيَتِهِ..

﴿عَمَلَهُمۡ﴾ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مُجْتَمِعُونَ..

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ﴾ ثُمَّ مَرْجِعُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَمَصِيرُهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨﴾ [الأنعام: ١٠٨] فَيُوقِفُهُمْ وَيُخْبِرُهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يُجَازِيهِمْ بِهَا إِنْ كَانَ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَشَرٌّ، أَوْ يَعْفُو بِفَضْلِهِ مَا لَمْ يَكُنْ شِرْكًا أَوْ كُفْرًا.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٩﴾ [الأنعام: ١٠٩].

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ حَلَفَ بِاللهِ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِاللهِ جَهْدَ حَلِفِهِمْ، وَذَلِكَ أَوْكَدُ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَيْمَانِ وَأَصْعَبُهَا وَأَشَدُّهَا..

﴿لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ﴾ قَالُوا: نُقْسِمُ بِاللهِ لَئِنْ جَاءَتْنَا آيَةٌ تُصَدِّقُ مَا تَقُولُ يَا مُحَمَّدُ، مِثْلُ الَّذِي جَاءَ مَنْ قَبْلَنَا مِنَ الْأُمَمِ..

﴿لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ﴾ قَالُوا: لَنُصَدِّقُنَّ بِمَجِيئِهَا بِكَ، وَأَنَّكَ لِلَّهِ رَسُولٌ مُرْسَلٌ، وَأَنَّ مَا جِئْتَنَا بِهِ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿قُلۡ﴾ يَا مُحَمَّد..

﴿إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ إِتْيَانِكُمْ بِهَا دُونَ كُلِّ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ﴾ وَمَا يُدْرِيكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿أَنَّهَآ﴾ لَعَلَّ الْآيَاتِ..

﴿إِذَا جَآءَتۡ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٩﴾ [الأنعام: ١٠٩] فَيُعَاجَلُوا بِالنِّقْمَةِ وَالْعَذَابِ عِنْدَ ذَلِكَ وَلَا يُؤَخَّرُوا بِهِ.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠﴾ [الأنعام: ١١٠].

﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ﴾ فَنُزِيغُهَا عَنِ الْإِيمَانِ..

﴿وَأَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ عَنْ رُؤْيَةِ الْحَقِّ وَمَعْرِفَةِ مَوْضِعِ الْحُجَّةِ، وَإِنْ جَاءَتْهُمُ الْآيَةُ الَّتِي سَأَلُوهَا فَلَا يُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ﴾ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِتَقْلِيبِنَا إِيَّاهَا..

﴿أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ قَبْلَ مَجِيئِهَا مَرَّةً قَبْلَ ذَلِكَ.. فَإِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا، أَنَّهُ يُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ وَيُصَرِّفُهَا كَيْفَ شَاءَ، وَأَنَّ ذَلِكَ بِيَدِهِ يُقِيمُهُ إِذَا شَاءَ وَيُزِيغُهُ إِذَا أَرَادَ..

﴿وَنَذَرُهُمۡ﴾ وَنَذَرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ، لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا عِنْدَ مَجِيئِهَا..

﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ فِي تَمَرُّدِهِمْ عَلَىٰ اللهِ وَاعْتِدَائِهِمْ فِي حُدُودِهِ..

﴿يَعۡمَهُونَ ١١٠﴾ [الأنعام: ١١٠] يَتَرَدَّدُونَ لَا يَهْتَدُونَ لِحَقٍ، وَلَا يُبْصِرُونَ صَوَابًا، قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ الْخِذْلَانُ وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ.

﴿۞ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ

﴿لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١١١].

﴿* وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ يَا مُحَمَّدُ، ايْئَسْ مِنْ فَلَاحِ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، الْقَائِلِينَ لَكَ: لَئِنْ جِئْتَنَا بِآيَةٍ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ، فَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ حَتَّىٰ يَرَوْهَا عِيَانًا..

﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ بِإِحْيَائِنَا إِيَّاهُمْ، حُجَّةً لَكَ وَدِلَالَةً عَلَىٰ نُبُوَّتِكَ، وَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّكَ مُحِقٌّ فِيمَا تَقُولُ، وَأَنَّ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ..

﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ وَجَمَعْنَا عَلَيْهِمْ، وَسُقْنَا إِلَيْهِمْ..

﴿كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ لَكَ ضُمَنَاءُ، وَكُفَلَاءُ يَكْفُلُونَ لَهُمْ بِأَنَّ الَّذِي نَعِدُهُمْ عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ بِاللهِ إِنْ آمَنُوا، أَوْ نُوعِدُهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِاللهِ إِنْ هَلَكُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ.. وَالْوَجْهُ الْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ (الْقُبُلُ) بِمَعْنَىٰ الْمُقَابَلَةِ وَالْمُوَاجَهَةِ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: أَتَيْتُكَ قُبُلًا لَا دُبُرًا، إِذَا أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ.. وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبِيلَةً قَبِيلَةً، صِنْفًا صِنْفًا، وَجَمَاعَةً جَمَاعَةً، فَيَكُونُ الْقُبُلُ حِينَئِذٍ جَمْعُ قَبِيلِ الَّذِي هُوَ جَمْعُ قَبِيلَةٍ، فَيَكُونُ الْقُبُلُ جَمْعَ الْجَمْعِ..

﴿مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ﴾ مَا آمَنُوا وَلَا صَدَّقُوكَ، وَلَا اتَّبَعُوكَ.. يُرَادُ بِهِم أَهْلُ الشَّقَاءِ..

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ذَلِكَ، لِمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ.. يُرَادُ بِهِم أَهْلُ الْإِيمَانِ وَالسَّعَادَةِ..

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..

﴿يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١١١] أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، يَحْسَبُونَ أَنَّ الْإِيمَانَ إِلَيْهِمْ وَالْكُفْرَ بِأَيْدِيهِمْ، مَتَىٰ شَاءُوا آمَنُوا، وَمَتَىٰ شَاءُوا كَفَرُوا، وَلَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، ذَلِكَ بِيَدِي، لَا يُؤْمِنُ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ لَهُ فَوَفَّقْتُهُ، وَلَا يَكْفُرُ إِلَّا مَنْ خَذَلْتُهُ عَنِ الرُّشْدِ فَأَضْلَلْتُهُ.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُسَلِّيَهُ بِذَلِكَ عَمَّا لَقِيَ مِنْ كَفَرَةِ قَوْمِهِ فِي ذَاتِ اللهِ، وَحَاثًّا لَهُ عَلَىٰ الصَّبْرِ عَلَىٰ مَا نَالَ فِيهِ، وَكَمَا ابْتَلَيْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ بِأَنْ جَعَلْنَا لَكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ أَعْدَاءَ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، لِيَصُدُّوهُمْ بِمُجَادَلَتِهِمْ إِيَّاكَ بِذَلِكَ عَنِ اتِّبَاعِكَ وَالْإِيمَانِ

بِكَ وَبِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، كَذَلِكَ..

﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ ابْتَلَيْنَا مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، بِأَنْ جَعَلْنَا لَهُمْ أَعْدَاءً مِنْ قَوْمِهِمْ يُؤْذُونَهُمْ بِالْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ، يَقُولُ: فَهَذَا الَّذِي امْتَحَنْتُكَ بِهِ لَمْ تُخَصَّصْ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدَكَ، بَلْ قَدْ عَمَّمْتُهُمْ بِذَلِكَ مَعَكَ لِأَبْتَلِيَهُمْ وَأَخْتَبِرَهُمْ مَعَ قُدْرَتِي عَلَىٰ مَنْعِ مَنْ آذَاهُمْ مِنْ إِيذَائِهِمْ، فَلَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ إِلَّا لِأَعْرِفَ أُولِي الْعَزْمِ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ، يَقُولُ: فَاصْبِرْ أَنْتَ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ...

﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ جَعَلَ مَرَدَةَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا..

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ﴾ يُلْقِي الْمُلْقِي مِنْهُمُ الْقَوْلَ الَّذِي زَيَّنَهُ وَحَسَّنَهُ بِالْبَاطِلِ..

﴿إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ إِلَىٰ صَاحِبِهِ، لِيَغْتَرَّ بِهِ مَنْ سَمِعَهُ فَيَضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ..

﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ حَسَّنَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ قولَ الْبَاطِلِ بِالْأَلْسِنَةِ، لِيَتَّبِعُوهُمْ فِي فِتْنَتِهِمْ، كَمَا زَيَّنَ إِبْلِيسُ لِآدَمَ مَا جَاءَهُ بِهِ وَقَاسَمَهُ إِنَّهُ لَمِنَ النَّاصِحِينَ..

﴿غُرُورًا﴾ مَا غَرَّ الْإِنْسَانَ، فَخَدَعَهُ فَصَدَّهُ عَنِ الصَّوَابِ إِلَىٰ الْخَطَأِ، وَمِنَ الْحَقِّ إِلَىٰ الْبَاطِلِ..

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ وَلَوْ شِئْتُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ يُؤْمِنَ الَّذِينَ كَانُوا لِأَنْبِيَائِي أَعْدَاءً مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، فَلَا يَنَالُهُمْ مَكْرُهُمْ وَيَأْمَنُوا غَوَائِلَهُمْ وَأَذَاهُمْ، فَعَلْتُ ذَلِكَ، وَلَكِنِّي لَمْ أَشَأْ ذَلِكَ لِأَبْتَلِيَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ فَيَسْتَحِقَّ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ مَا سَبَقَ لَهُ فِي الْكِتَابِ السَّابِقِ..

﴿فَذَرْهُمْ﴾ فَدَعْ الشَّيَاطِينَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَكَ بِالْبَاطِلِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ، وَيُخَاصِمُونَكَ بِمَا يُوحِي إِلَيْهِمْ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ..

﴿وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢] وَمَا يَخْتَلِقُونَ مِنْ إِفْكٍ وَزُورٍ، يَقُولُ لَهُ ﷺ: اصْبِرْ عَلَيْهِمْ، فَإِنِّي مِنْ وَرَاءِ عِقَابِهِمْ عَلَىٰ افْتِرَائِهِمْ عَلَىٰ اللهِ وَاخْتِلَاقِهِمْ عَلَيْهِ الْكَذِبَ وَالزُّورَ.

﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

[الأنعام: ١١٣].

﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ﴾ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا، وَيُوحِي بَعْضُ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينِ إِلَىٰ بَعْضٍ الْمُزَيَّنَ مِنَ الْقَوْلِ بِالْبَاطِلِ، لِيَغُرُّوا بِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ، فَيَفْتِنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَلِتَمِيلَ إِلَيْهِ..

﴿أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ..

﴿وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ۝﴾ [الأنعام: ١١٣] وَلِيَكْتَسِبُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا هُمْ مُكْتَسِبُونَ.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝﴾ [الأنعام: ١١٤].

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، الْقَائِلِينَ لَكَ: كُفَّ عَنْ آلِهَتِنَا وَنَكُفَّ عَنْ إِلَهِكَ: إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ عَلَيَّ بِذِكْرِ آلِهَتِكُمْ بِمَا يَكُونُ صَدًّا عَنْ عِبَادَتِهَا، فَلَيْسَ لِي أَنْ أَتَعَدَّىٰ حُكْمَهُ وَأَتَجَاوَزَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا حُكْمَ أَعْدَلَ مِنْهُ، وَلَا قَائِلَ أَصْدَقَ مِنْهُ..

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الْقُرْآنَ..

﴿مُفَصَّلًا﴾ مُبَيَّنًا فِيهِ الْحُكْمَ فِيمَا تَخْتَصِمُونَ فِيهِ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِكُمْ..

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إِنْ أَنْكَرَ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ مِنْ قَوْمِكَ تَوْحِيدَ اللهِ، وَأَشْرَكُوا مَعَهُ الْأَنْدَادَ، وَجَحَدُوا مَا أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ حَقًّا، وَكَذَّبُوا بِهِ، فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ، وَهُوَ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..

﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ﴾ الْقُرْآنَ وَمَا فِيهِ..

﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ فَصْلًا بَيْنَ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، يَدُلُّ عَلَىٰ صِدْقِ الصَّادِقِ فِي عِلْمِ اللهِ، وَكَذِبِ الْكَاذِبِ الْمُفْتَرِي عَلَيْهِ..

﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝﴾ [الأنعام: ١١٤] مِنَ الشَّاكِّينَ فِي حَقِّيَّةِ الْأَنْبَاءِ الَّتِي جَاءَتْكَ مِنَ اللهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَضَمَّنَهُ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝﴾ [الأنعام: ١١٥].

﴿وَتَمَّتْ﴾ وَكَمُلَتْ..

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ، سَمَّاهُ كَلِمَةً كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ لِلْقَصِيدَةِ مِنَ الشِّعْرِ يَقُولُهَا الشَّاعِرُ: هَذِهِ كَلِمَةُ فُلَانٍ..

﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ كَمُلَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ مِنَ الصِّدْقِ وَالْعَدْلِ..

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ لا مُغَيِّرَ لِمَا أَخْبَرَ فِي كُتُبِهِ أَنَّهُ كَائِنٌ مِنْ وُقُوعِهِ فِي حِينِهِ، وَأَجَلِهِ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ أَنَّهُ وَاقِعٌ فِيهِ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُ﴾ [الفتح: ١٥] فَكَانَتْ إِرَادَتُهُمْ تَبْدِيلَ كَلَامِ اللهِ مَسْأَلَتَهُمْ نَبِيَّ اللهِ أَنْ يَتْرُكَهُمْ يَحْضُرُونَ الْحَرْبَ مَعَهُ، وَقَوْلَهُمْ لَهُ وَلِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ﴾ [الفتح: ١٥]، بَعْدَ الْخَبَرِ الَّذِي كَانَ اللهُ أَخْبَرَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي كِتَابِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ﴾ [التوبة: ٨٣] الْآيَةَ، فَحَاوَلُوا تَبْدِيلَ كَلَامِ اللهِ وَخَبَرَهُ بِأَنَّهُمْ لَنْ يَخْرُجُوا مَعَ نَبِيِّ اللهِ فِي غَزَاةٍ، وَلَنْ يُقَاتِلُوا مَعَهُ عَدُوًّا بِقَوْلِهِمْ لَهُمْ: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ﴾ [الفتح: ١٥]، فَقَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: «يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا» بِمَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُمْ ذَلِكَ ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح: ١٥] وَخَبَرَهُ، ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ﴾ [الفتح: ١٥]، فَكَذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾، إِنَّمَا هُوَ: لَا مُغَيِّرَ لِمَا أَخْبَرَ عَنْهُ مِنْ خَبَرٍ أَنَّهُ كَائِنٌ، فَيُبْطِلُ مَجِيئَهُ وَكَوْنَهُ وَوُقُوعَهُ، عَلَىٰ مَا أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُفْتَرُونَ فِي كُتُبِ اللهِ وَلَا يُنْقِصُونَ مِنْهَا، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ لَا شَكَّ أَنَّهُمْ أَهْلُ كُتُبِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُمْ يُحَرِّفُونَ غَيْرَ الَّذِي أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا مُبَدِّلَ لَهُ..

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ وَاللهُ السَّمِيعُ لِمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِاللهِ، الْمُقْسِمُونَ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ: ﴿لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ﴾، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ خَلْقِهِ..

﴿ٱلۡعَلِيمُ ١١٥﴾ [الأنعام: ١١٥] بِمَا تَئُولُ إِلَيْهِ أَيْمَانُهُمْ مِنْ بِرٍّ وَصِدْقٍ، وَكَذِبٍ وَحِنْثٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ عِبَادِهِ.

﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦﴾ [الأنعام: ١١٦].

﴿وَإِن تُطِعۡ﴾ لَا تُطِعْ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِاللهِ الْأَنْدَادَ -يَا مُحَمَّدُ- فِيمَا دَعَوْكَ إِلَيْهِ مِنْ أَكْلِ مَا ذَبَحُوا لِآلِهَتِهِمْ، وَأَهَلُّوا بِهِ لِغَيْرِ رَبِّهِمْ، وَأَشْكَالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ، فَإِنَّكَ إِنْ تُطِعْ..

﴿أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ يُضِلُّوكَ عَنْ دِينِ اللهِ، وَمَحَجَّةِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، فَيَصُدُّوكَ عَنْ ذَلِكَ.. وَإِنَّمَا قَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ مِنْ بَنِي آدَمَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا حِينَئِذٍ كُفَّارًا ضُلَّالًا، فَقَالَ لَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: لَا تُطِعْهُمْ فِيمَا دَعَوْكَ إِلَيْهِ، فَإِنَّكَ إِنْ تُطِعْهُمْ ضَلَلْتَ

ضَلَالَهُمْ، وَكُنْتَ مِثْلَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَدْعُونَكَ إِلَىٰ الْهُدَىٰ وَقَدْ أَخْطَئُوهُ.. ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ حَالِ الَّذِينَ نَهَىٰ نَبِيَّهُ عَنْ طَاعَتِهِمْ فِيمَا دَعَوْهُ إِلَيْهِ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ..

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ عَلَىٰ ظَنٍّ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ، وَحُسْبَانٍ عَلَىٰ صِحَّةِ عَزْمٍ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ خَطَأً فِي الْحَقِيقَةِ..

﴿وَإِنْ هُمْ﴾ مَا هُمْ..

﴿إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام: ١١٦] يَظُنُّونَ، وَيُوقِعُونَ حَزَرًا، لَا يَقِينَ عِلْمٍ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٧].

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ، الَّذِي نَهَاكَ أَنْ تُطِيعَ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ، لِئَلَّا يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِهِ..

﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ وَمِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ..

﴿مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أَيُّ خَلْقِهِ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ بِزُخْرُفِ الْقَوْلِ الَّذِي يُوحِي الشَّيَاطِينُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ، فَيَصُدُّوا عَنْ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ..

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٧] وَهُوَ أَعْلَمُ أَيْضًا مِنْكَ وَمِنْهُمْ بِمَنْ كَانَ عَلَىٰ اسْتِقَامَةٍ وَسَدَادٍ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ، يَقُولُ: وَاتَّبِعْ يَا مُحَمَّدُ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ، وَانْتَهِ عَمَّا نَهَيْتُكَ عَنْهُ مِنْ طَاعَةِ مَنْ نَهَيْتُكَ عَنْ طَاعَتِهِ، فَإِنِّي أَعْلَمُ بِالْهَادِي وَالْمُضِلِّ مِنْ خَلْقِي مِنْكَ.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الأنعام: ١١٨].

﴿فَكُلُوا۟﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ مِمَّا ذَكَّيْتُمْ مِنْ ذَبَائِحِكُمْ، وَذَبَحْتُمُوهُ الذَّبْحَ الَّذِي بَيَّنْتُ لَكُمْ أَنَّهُ تَحِلُّ بِهِ الذَّبِيحَةُ لَكُمْ، وَذَلِكَ مَا ذَبَحَهُ الْمُؤْمِنُونَ بِي مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ دِينِ الْحَقِّ، أَوْ ذَبَحَهُ مَنْ دَانَ بِتَوْحِيدِي مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، دُونَ مَا ذَبَحَهُ أَهْلُ الْأَوْثَانِ، وَمَنْ لَا كِتَابَ لَهُ مِنَ الْمَجُوسِ..

﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الأنعام: ١١٨] إِنْ كُنْتُمْ بِحُجَجِ اللهِ الَّتِي أَتَتْكُمْ، وَإِعْلَامِهِ بِإِحْلَالِ مَا أَحْلَلْتُ لَكُمْ، وَتَحْرِيمِ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَآكِلِ مُصَدِّقِينَ، وَدَعُوا عَنْكُمْ زُخْرُفَ مَا تُوحِيهِ الشَّيَاطِينُ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ مِنْ زُخْرُفِ الْقَوْلِ لَكُمْ، وَتَلْبِيسِ دِينِكُمْ عَلَيْكُمْ غُرُورًا.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا

اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾

[الأنعام: ١١٩].

﴿وَمَا لَكُمْ﴾ وَأَيُّ شَيْءٍ يَمْنَعُكُمْ..

﴿أَلَّا تَأْكُلُوا﴾ أَنْ تَأْكُلُوا..

﴿مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ مَا ذُبِحَ بِدِينِي الَّذِي ارْتَضَيْتُهُ..

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ وَقَدْ فَصَّلْتُ لَكُمُ الْحَلَالَ مِنَ الْحَرَامِ فِيمَا تَطْعَمُونَ، وَبَيَّنْتُهُ لَكُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ [المائدة: ٣]، فَلَا لَبْسَ عَلَيْكُمْ فِي حَرَامِ ذَلِكَ مِنْ حَلَالِهِ، فَتَمْتَنِعُوا مِنْ أَكْلِ حَلَالِهِ حَذَرًا مِنْ مُوَاقَعَةِ حَرَامِهِ.. فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ فَلَا وَجْهَ لِقَوْلِ مُتَأَوِّلِي ذَلِكَ: وَأَيُّ شَيْءٍ لَكُمْ فِي أَنْ لَا تَأْكُلُوا، لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُقَالُ كَذَلِكَ لِمَنْ كَانَ كَفَّ عَنْ أَكْلِهِ رَجَاءَ ثَوَابٍ بِالْكَفِّ عَنْ أَكْلِهِ، وَذَلِكَ يَكُونُ مِمَّنْ آمَنَ بِالْكَفِّ، فَكَفَّ اتِّبَاعًا لِأَمْرِ اللهِ وَتَسْلِيمًا لِحُكْمِهِ، وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَفَّ عَنْ أَكْلِ مَا أَحَلَّ اللهُ مِنَ الذَّبَائِحِ رَجَاءَ ثَوَابِ اللهِ عَلَى تَرْكِهِ ذَلِكَ، وَاعْتِقَادًا مِنْهُ أَنَّ اللهَ حَرَّمَهُ عَلَيْهِ..

﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ إِنَّ مَا اضْطُرِرْنَا إِلَيْهِ مِنَ الْمَطَاعِمِ الْمُحَرَّمَةِ، الَّتِي بُيِّنَ تَحْرِيمُهَا لَنَا، فِي غَيْرِ حَالِ الضَّرُورَةِ، لَنَا حَلَالٌ مَا كُنَّا إِلَيْهِ مُضْطَرِّينَ، حَتَّى تَزُولَ الضَّرُورَةُ..

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا﴾ مِنَ النَّاسِ، الَّذِينَ يُجَادِلُونَكُمْ فِي أَكْلِ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ، مِنَ الْمَيْتَةِ..

﴿لَيُضِلُّونَ﴾ أَتْبَاعَهُمْ..

﴿بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مِنْهُمْ بِصِحَّةِ مَا يَقُولُونَ، وَلَا بُرْهَانَ عِنْدَهُمْ بِمَا فِيهِ يُجَادِلُونَ، إِلَّا رُكُوبًا مِنْهُمْ لِأَهْوَائِهِمْ، وَاتِّبَاعًا مِنْهُمْ لِدَوَاعِي نُفُوسِهِمْ، اعْتِدَاءً وَخِلَافًا لِأَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَطَاعَةً لِلشَّيَاطِينِ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ الَّذِي أَحَلَّ لَكَ مَا أَحَلَّ، وَحَرَّمَ عَلَيْكَ مَا حَرَّمَ..

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأنعام: ١١٩] هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اعْتَدَى حُدُودَهُ، فَتَجَاوَزَهَا إِلَى خِلَافِهَا،

وَهُوَ لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ.

﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ۝١٢٠﴾ [الأنعام: ١٢٠].

﴿وَذَرُواْ﴾ وَدَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ﴾ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ تَقَدَّمَ إِلَىٰ خَلْقِهِ بِتَرْكِ ظَاهِرِ الْإِثْمِ وَبَاطِنِهِ، وَذَلِكَ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ، وَالْإِثْمُ: كُلُّ مَا عُصِيَ اللهُ بِهِ مِنْ مَحَارِمِهِ، وَقَدْ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ سِرُّ الزِّنَا وَعَلَانِيَتُهُ، وَمُعَاهَرَةُ أَهْلِ الرَّايَاتِ، وَأُولَاتِ الْأَخْدَانِ مِنْهُنَّ، وَنِكَاحُ حَلَائِلِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَالْبَنَاتِ، وَالطَّوَافُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا، وَكُلُّ مَعْصِيَةٍ لِلَّهِ ظَهَرَتْ أَوْ بَطَنَتْ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ جَمِيعُ ذَلِكَ إِثْمًا، وَكَانَ اللهُ عَمَّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ﴾ جَمِيعَ مَا ظَهَرَ مِنَ الْإِثْمِ وَجَمِيعَ مَا بَطَنَ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يَخُصَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ إِلَّا بِحُجَّةٍ لِلْعُذْرِ قَاطِعَةٍ، غَيْرَ أَنَّهُ لَوْ جَازَ أَنْ يُوَجَّهَ ذَلِكَ إِلَىٰ الْخُصُوصِ بِغَيْرِ بُرْهَانٍ، كَانَ تَوْجِيهُهُ إِلَىٰ أَنَّهُ عُنِيَ بِظَاهِرِ الْإِثْمِ وَبَاطِنِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَا حَرَّمَ اللهُ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَآكِلِ مِنَ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ، وَمَا بَيَّنَ اللهُ تَحْرِيمَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ [المائدة: ٣] إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ، أَوْلَىٰ؛ إِذْ كَانَ ابْتِدَاءُ الْآيَاتِ قَبْلَهَا بِذِكْرِ تَحْرِيمِ ذَلِكَ جَرَىٰ وَهَذِهِ فِي سِيَاقِهَا، وَلَكِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَكُونَ عَنَىٰ بِهَا ذَلِكَ، وَأَدْخَلَ فِيهَا الْأَمْرَ بِاجْتِنَابِ كُلِّ مَا جَانَسَهُ مِنْ مَعَاصِي اللهِ، فَخَرَجَ الْأَمْرُ عَامًّا بِالنَّهْيِ عَنْ كُلِّ مَا ظَهَرَ أَوْ بَطَنَ مِنَ الْإِثْمِ..

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِمَا نَهَاهُمُ اللهُ عَنْهُ، وَيَرْكَبُونَ مَعَاصِيَ اللهِ، وَيَأْتُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ..

﴿سَيُجۡزَوۡنَ﴾ سَيُثِيبُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ۝١٢٠﴾ [الأنعام: ١٢٠] بِمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَعْمَلُونَ مِنْ مَعَاصِيهِ.

﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ۝١٢١﴾ [الأنعام: ١٢١].

﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

﴿مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ مِمَّا مَاتَ، فَلَمْ تَذْبَحُوهُ أَنْتُمْ، أَوْ يَذْبَحُهُ مُوَحِّدٌ يَدِينُ لِلَّهِ بِشَرَائِعَ

شَرَعَهَا لَهُ فِي كِتَابٍ مُنَزَّلٍ، فَإِنَّهُ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، وَلَا مَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ مِمَّا ذَبَحَهُ الْمُشْرِكُونَ لِأَوْثَانِهِمْ.. وَأَمَّا مَنْ قَالَ: عَنَىٰ بِذَلِكَ مَا ذَبَحَهُ الْمُسْلِمُ فَنَسِيَ ذِكْرَ اسْمِ اللهِ، فَقَوْلٌ بَعِيدٌ مِنَ الصَّوَابِ لِشُذُوذِهِ وَخُرُوجِهِ عَمَّا عَلَيْهِ الْحُجَّةُ مُجْمِعَةٌ مِنْ تَحْلِيلِهِ، وَكَفَىٰ بِذَلِكَ شَاهِدًا عَلَىٰ فَسَادِهِ..

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وَإِنَّ أَكْلَ ذَلِكَ.. فَكَنَّىٰ بِقَوْلِهِ: (وَإِنَّهُ) عَنِ (الْأَكْلِ)، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْفِعْلَ، كَمَا قَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣]، يُرَادُ بِهِ: فَزَادَ قَوْلُهُمْ ذَلِكَ إِيمَانًا، فَكَنَّىٰ عَنِ الْقَوْلِ، وَإِنَّمَا جَرَىٰ ذِكْرُهُ بِفِعْلٍ..

﴿لَفِسْقٌ﴾ مَعْصِيَةُ كُفْرٍ..

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ وَهُم نُصَرَاءُهم، وَظُهَرَاءُهُم..

﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ لِيُجَادِلُوا الْمُؤْمِنِينَ فِي تَحْرِيمِهِمْ أَكْلَ الْمَيْتَةِ بِمَا ذَكَرْنَا مِنْ جِدَالِهِمْ إِيَّاهُمْ، إِمَّا بِقَوْلٍ، وَإِمَّا بِرِسَالَةٍ، وَإِمَّا بِكِتَابٍ.. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْمُوحُونَ كَانُوا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ يُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ مِنْهُمْ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونُوا شَيَاطِينَ الْجِنِّ أَوْحَوْا إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْجِنْسَانِ كِلَاهُمَا تَعَاوَنَا عَلَىٰ ذَلِكَ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمَا فِي الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، بَلْ ذَلِكَ الْأَغْلَبُ مِنْ تَأْوِيلِهِ عِنْدِي؛ لِأَنَّ اللهَ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ أَنَّهُ جَعَلَ لَهُ أَعْدَاءً مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، كَمَا جَعَلَ لِأَنْبِيَائِهِ مِنْ قَبْلِهِ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْمُزَيَّنَ مِنَ الْأَقْوَالِ الْبَاطِلَةِ، ثُمَّ أَعْلَمَهُ أَنَّ أُولَائِكَ الشَّيَاطِينَ يُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ لِيُجَادِلُوهُ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا حَرَّمَ اللهُ مِنَ الْمَيْتَةِ عَلَيْهِمْ..

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فِي أَكْلِ الْمَيْتَةِ وَمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ..

﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ١٢١﴾ [الأنعام: ١٢١] مِثْلُهُمْ؛ إِذْ كَانَ هَؤُلَاءِ يَأْكُلُونَ الْمَيْتَةَ اسْتِحْلَالًا، فَإِذَا أَنْتُمْ أَكَلْتُمُوهَا كَذَلِكَ فَقَدْ صِرْتُمْ مِثْلَهُمْ مُشْرِكِينَ.. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: هَلْ نُسِخَ مِنْ حُكْمِهَا شَيْءٌ أَمْ لَا؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ يُنْسَخْ مِنْهَا شَيْءٌ، وَهِيَ مُحْكَمَةٌ فِيمَا عُنِيَتْ بِهِ، وَعَلَىٰ هَذَا قَوْلُ عَامَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَعِكْرِمَةَ، قَالَا: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ١١٨﴾ [الأنعام: ١١٨]، ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾، فَنَسَخَ وَاسْتَثْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾

[المائدة: ٥]، وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا، أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مُحْكَمَةٌ فِيمَا أُنْزِلَتْ لَمْ يُنْسَخْ مِنْهَا شَيْءٌ، وَأَنَّ طَعَامَ أَهْلِ الْكِتَابِ حَلَالٌ، وَذَبَائِحَهُمْ ذَكِيَّةٌ، وَذَلِكَ مِمَّا حَكَمَ اللهُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَكْلَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١] بِمَعْزِلٍ؛ لِأَنَّ اللهَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْنَا بِهَذِهِ الْآيَةَ الْمَيْتَةَ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِلطَّوَاغِيتِ، وَذَبَائِحُ أَهْلِ الْكِتَابِ ذَكِيَّةٌ سَمَّوْا عَلَيْهَا أَوْ لَمْ يُسَمُّوا، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ تَوْحِيدٍ وَأَصْحَابُ كُتُبٍ لِلَّهِ يَدِينُونَ بِأَحْكَامِهَا، يَذْبَحُونَ الذَّبَائِحَ بِأَدْيَانِهِمْ كَمَا ذَبَحَ الْمُسْلِمُ بِدِينِهِ، سَمَّىٰ اللهَ عَلَىٰ ذَبِيحَتِهِ أَوْ لَمْ يُسَمِّهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ تَرَكَ مِنْ ذِكْرِ تَسْمِيَةِ اللهِ عَلَىٰ ذَبِيحَتِهِ عَلَىٰ الدَّيْنُونَةِ بِالتَّعْطِيلِ، أَوْ بِعِبَادَةِ شَيْءٍ سِوَىٰ اللهِ، فَيَحْرُمُ حِينَئِذٍ أَكْلُ ذَبِيحَتِهِ سَمَّىٰ اللهَ عَلَيْهَا أَوْ لَمْ يُسَمِّ.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ أَوَمَنْ كَانَ كَافِرًا، فَجَعَلَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِانْصِرَافِهِ عَنْ طَاعَتِهِ، وَجَهْلِهِ بِتَوْحِيدِهِ وَشَرَائِعِ دِينِهِ، وَتَرْكِهِ الْأَخْذَ بِنَصِيبِهِ مِنَ الْعَمَلِ لِلَّهِ بِمَا يُؤَدِّيهِ إِلَىٰ نَجَاتِهِ، بِمَنْزِلَةِ الْمَيِّتِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ نَفْسَهُ بِنَافِعَةٍ وَلَا يَدْفَعُ عَنْهَا مِنْ مَكْرُوهٍ نَازِلَةٍ.. وَهَذَا الْكَلَامُ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَدُلُّ عَلَىٰ نَهْيِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِرَسُولِهِ يَوْمَئِذٍ عَنْ طَاعَةِ بَعْضِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ جَادَلُوهُمْ فِي أَكْلِ الْمَيْتَةِ، بِمَا ذَكَرْنَا عَنْهُمْ مِنْ جِدَالِهِمْ إِيَّاهُمْ بِهِ، وَأَمْرِهِ إِيَّاهُمْ بِطَاعَةِ مُؤْمِنٍ مِنْهُمْ كَانَ أَوْ كَافِرًا، فَهَدَاهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِرُشْدِهِ وَوَفَّقَهُ لِلْإِيمَانِ..

﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ فَهَدَيْنَاهُ لِلْإِسْلَامِ، فَأَنْعَشْنَاهُ، فَصَارَ يَعْرِفُ مَضَارَّ نَفْسِهِ وَمَنَافِعَهَا، وَيَعْمَلُ فِي خَلَاصِهَا مِنْ سَخَطِ اللهِ وَعِقَابِهِ فِي مَعَادِهِ..

﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ﴾ فَجَعَلَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ..

﴿نُورًا﴾ إِبْصَارَهُ الْحَقَّ بَعْدَ عَمَاهُ عَنْهُ، وَمَعْرِفَتَهُ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَشَرَائِعِ دِينِهِ بَعْدَ جَهْلِهِ بِذَلِكَ، حَيَاةً وَضِيَاءً يَسْتَضِيءُ بِهِ، فَـ

﴿يَمْشِى بِهِۦ﴾ عَلَىٰ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَمَنْهَجِ الطَّرِيقِ..

﴿فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ لَا يَدْرِي كَيْفَ يَتَوَجَّهُ، وَأَيَّ طَرِيقٍ يَأْخُذُ لِشِدَّةِ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَإِضْلَالِهِ الطَّرِيقَ، فَكَذَلِكَ هَذَا الْكَافِرُ الضَّالُّ فِي ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ لَا يُبْصِرُ رُشْدًا وَلَا يَعْرِفُ حَقًّا، يَعْنِي فِي ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ، يَقُولُ: أَفَطَاعَةُ هَذَا الَّذِي هَدَيْنَاهُ لِلْحَقِّ، وَبَصَّرْنَاهُ الرَّشَادَ كَطَاعَةِ مَنْ مَثَلُهُ مَثَلُ مَنْ هُوَ فِي الظُّلُمَاتِ مُتَرَدِّدٌ..

﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ لا يَعْرِفُ الْمَخْرَجَ مِنْهَا، فِي دُعَاءِ هَذَا إِلَىٰ تَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ اللهُ وَتَحْلِيلِ مَا أَحَلَّ، وَتَحْلِيلِ هَذَا مَا حَرَّمَ اللهُ وَتَحْرِيمِهِ مَا أَحَلَّ؟ وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ بِأَعْيَانِهِمَا مَعْرُوفَيْنِ، أَحَدُهُمَا مُؤْمِنٌ، وَالْآخَرُ كَافِرٌ، ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِيهِمَا: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَّا الَّذِي كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَاهُ اللهُ فَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَمَّا الَّذِي مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا: فَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ.. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْمَيْتُ الَّذِي أَحْيَاهُ اللهُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَمَّا الَّذِي مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا: فَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا خَذَلْتُ هَذَا الْكَافِرَ الَّذِي يُجَادِلُكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ- فِي أَكْلِ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَطَاعِمِ عَنِ الْحَقِّ، فَزَيَّنْتُ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ، فَرَآهُ حَسَنًا، لِيَسْتَحِقَّ بِهِ مَا أَعْدَدْتُ لَهُ مِنْ أَلِيمِ الْعِقَابِ، كَذَلِكَ..

﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ﴾ زَيَّنْتُ لِغَيْرِهِ مِمَّنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَآيَاتِهِ..

﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝﴾ [الأنعام: ١٢٢] مِنْ مَعَاصِي اللهِ، لِيَسْتَوْجِبُوا بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ مَا لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ مِنَ النَّكَالِ.. وَفِي هَذَا أَوْضَحُ الْبَيَانِ عَلَىٰ تَكْذِيبِ اللهِ الزَّاعِمِينَ أَنَّ اللهَ فَوَّضَ الْأُمُورَ إِلَىٰ خَلْقِهِ فِي أَعْمَالِهِمْ، فَلَا صُنْعَ لَهُ فِي أَفْعَالِهِمْ، وَأَنَّهُ قَدْ سَوَّىٰ بَيْنَ جَمِيعِهِمْ فِي الْأَسْبَابِ الَّتِي بِهَا يَصِلُونَ إِلَىٰ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَمَا قَالُوا، لَكَانَ قَدْ زَيَّنَ لِأَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْكُفْرِ نَظِيرَ مَا زَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ لِأَعْدَائِهِ وَأَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، وَزَيَّنَ لِأَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ، نَظِيرَ الَّذِي زَيَّنَ مِنْهُ لِأَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ.. وَفِي إِخْبَارِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ زَيَّنَ لِكُلِّ عَامِلٍ مِنْهُمْ عَمَلَهُ مَا يُنْبِئُ عَنْ تَزْيِينِ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، وَخَصَّ أَعْدَاءَهُ وَأَهْلَ الْكُفْرِ بِتَزْيِينِ الْكُفْرِ لَهُمْ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، وَكَرَّهَ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ بِهِ وَالطَّاعَةَ.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝﴾ [الأنعام: ١٢٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وَكَمَا زَيَّنَّا لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، كَذَلِكَ..

﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ جَعَلْنَا بِكُلِّ قَرْيَةٍ عُظَمَاءَهَا مُجْرِمِيهَا، يَعْنِي: أَهْلَ الشِّرْكِ بِاللهِ وَالْمَعْصِيَةِ لَهُ..

﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ بِغُرُورٍ مِنَ الْقَوْلِ أَوْ بِبَاطِلٍ مِنَ الْفِعْلِ بِدِينِ اللهِ وَأَنْبِيَائِهِ.. وَالْمَكْرُ:

الْخَدِيعَةُ وَالِاحْتِيَالُ لِلْمَمْكُورِ بِهِ لِيُوَرِّطَهُ الْمَاكِرُ بِهِ مَكْرُوهًا مِنَ الْأَمْرِ..

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ﴾ وَمَا يَحِيقُ مَكْرُهُمْ ذَلِكَ..

﴿إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مِنْ وَرَاءِ عُقُوبَتِهِمْ عَلَىٰ صَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِهِ..

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الأنعام: ١٢٣] وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، يَقُولُ: لَا يَدْرُونَ مَا قَدْ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مِنْ أَلِيمِ عَذَابِهِ، فَهُمْ فِي غَيِّهِمْ وَعُتُوِّهِمْ عَلَىٰ اللهِ يَتَمَادَوْنَ.

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

[الأنعام: ١٢٤].

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ وَإِذَا جَاءَتْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِزُخْرُفِ الْقَوْلِ فِيمَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ..

﴿آيَةٌ﴾ حُجَّةٌ مِنَ اللهِ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَحَقِيقَتِهِ..

﴿قَالُوا﴾ لِنَبِيِّ اللهِ وَأَصْحَابِهِ..

﴿لَنْ نُؤْمِنَ﴾ لَنْ نُصَدِّقَ بِمَا دَعَانَا إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ تَحْرِيمِ مَا ذَكَرَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَهُ عَلَيْنَا..

﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ﴾ حَتَّىٰ يُعْطِيَهُمُ اللهُ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ..

﴿مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ مِثْلَ الَّذِي أَعْطَىٰ مُوسَىٰ مِنْ فَلْقِ الْبَحْرِ، وَعِيسَىٰ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ..

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ إِنَّ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ لَمْ يُعْطَهَا مِنَ الْبَشَرِ إِلَّا رَسُولٌ مُرْسَلٌ، وَلَيْسَ مِنْهُمُ الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ فَيُعْطَوْهُ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَأَنَا أَعْلَمُ بِمَوَاضِعِ رِسَالَاتِي وَمَنْ هُوَ لَهَا أَهْلٌ، فَلَيْسَ لَكُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ أَنْ تَتَخَيَّرُوا ذَلِكَ عَلَيَّ؛ لِأَنَّ تَخَيُّرَ الرَّسُولِ إِلَىٰ الْمُرْسِلِ دُونَ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ إِذَا أَرْسَلَ رِسَالَةً بِمَوْضِعِ رِسَالَاتِهِ..

﴿سَيُصِيبُ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُعَلِّمَهُ مَا هُوَ صَانِعٌ بِهَؤُلَاءِ الْمُتَمَرِّدِينَ عَلَيْهِ: سَيُصِيبُ يَا مُحَمَّدُ..

﴿الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ الَّذِي اكْتَسَبُوا الْإِثْمَ بِشِرْكِهِمْ بِاللهِ وَعِبَادَتِهِمْ غَيْرَهُ..

﴿صَغَارٌ﴾ ذِلَّةٌ وَهَوَانٌ..

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ مِنْ عِنْدِ اللهِ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: سَيَأْتِينِي رِزْقِي عِنْدَ اللهِ، بِمَعْنَىٰ: مِنْ عِنْدِ اللهِ، يُرَادُ بِذَلِكَ: سَيَأْتِينِي الَّذِي لِي عِنْدَ اللهِ..

﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ١٢٤﴾ [الأنعام: ١٢٤] وَيُصِيبُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ الْمُسْتَحِلِّينَ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَيْتَةِ مَعَ الصَّغَارِ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَكِيدُونَ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ بِالْجِدَالِ بِالْبَاطِلِ، وَالزُّخْرُفِ مِنَ الْقَوْلِ غُرُورًا لِأَهْلِ دِينِ اللهِ وَطَاعَتِهِ.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ١٢٥﴾

[الأنعام: ١٢٥].

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ فَيُوَفِّقُهُ لَهُ..

﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ﴾ فَسَّحَ صَدْرَهُ لِذَلِكَ، وَهَوَّنَهُ عَلَيْهِ، وَسَهَّلَهُ لَهُ بِلُطْفِهِ وَمَعُونَتِهِ، حَتَّىٰ يَسْتَنِيرَ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِهِ، فَيُضِيءُ لَهُ وَيَتَّسِعُ لَهُ صَدْرُهُ بِالْقَبُولِ..

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ وَمَنْ أَرَادَ اللهُ إِضْلَالَهُ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَىٰ، يَشْغَلْهُ بِكُفْرِهِ، وَصَدِّهِ عَنْ سَبِيلِهِ..

﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ﴾ وَيَجْعَلْ صَدْرَهُ بِخِذْلَانِهِ وَغَلَبَةِ الْكُفْرِ عَلَيْهِ..

﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ وَالْحَرَجُ: أَشَدُّ الضِّيقِ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَنْفُذُ مِنْ شِدَّةِ ضِيقِهِ، وَهُوَ هَهُنَا الصَّدْرُ الَّذِي لَا تَصِلُ إِلَيْهِ الْمَوْعِظَةُ، وَلَا يَدْخُلُهُ نُورُ الْإِيمَانِ لِرَيْنِ الشِّرْكِ عَلَيْهِ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْحَرَجِ، وَالْحَرَجُ جَمْعُ حَرَجَةٍ: وَهِيَ الشَّجَرَةُ الْمُلْتَفُّ بِهَا الْأَشْجَارُ، لَا يَدْخُلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا شَيْءٌ لِشِدَّةِ الْتِفَافِهَا بِهَا.. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ أَبْيَنُ الْبَيَانِ لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِهَا عَنْ أَنَّ السَّبَبَ الَّذِي بِهِ تُوصِّلَ إِلَىٰ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، غَيْرُ السَّبَبِ الَّذِي بِهِ تُوصِّلَ إِلَىٰ الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَأَنَّ كِلَا السَّبَبَيْنِ مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ يَشْرُحُ صَدْرَ مَنْ أَرَادَ هِدَايَتَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَيَجْعَلُ صَدْرَ مَنْ أَرَادَ إِضْلَالَهُ ضَيِّقًا عَنِ الْإِسْلَامِ حَرَجًا، كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ، فَالسَّبَبُ الَّذِي بِهِ آمَنَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَأَطَاعَهُ الْمُطِيعُونَ، غَيْرُ السَّبَبِ الَّذِي كَفَرَ بِهِ الْكَافِرُونَ بِاللهِ وَعَصَاهُ الْعَاصُونَ، وَأَنَّ كِلَا السَّبَبَيْنِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَبِيَدِهِ؛ لِأَنَّهُ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَشْرَحُ صَدْرَ هَذَا الْمُؤْمِنِ بِهِ لِلْإِيمَانِ إِذَا أَرَادَ هِدَايَتَهُ، وَيُضَيِّقُ صَدْرَ هَذَا الْكَافِرِ عَنْهُ إِذَا أَرَادَ إِضْلَالَهُ..

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ هَذَا مَثَلٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- ضَرَبَهُ لِقَلْبِ هَذَا الْكَافِرِ فِي شِدَّةِ تَضْيِيقِهِ إِيَّاهُ عَنْ وُصُولِهِ إِلَيْهِ، مِثْلُ امْتِنَاعِهِ مِنَ الصُّعُودِ إِلَىٰ السَّمَاءِ وَعَجْزِهِ عَنْهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ فِي وِسْعِهِ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا يَجْعَلُ اللهُ صَدْرَ مَنْ أَرَادَ إِضْلَالَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ مِنْ ضِيقِهِ عَنِ الْإِيمَانِ، فَيَجْزِيهِ بِذَلِكَ، كَذَلِكَ..

﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [الأنعام: ١٢٥] يُسَلِّطُ اللهُ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أَمْثَالِهِ مِمَّنْ أَبَىٰ الْإِيمَانَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، فَيُغْوِيهِ وَيَصُدُّهُ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ.. وَالرِّجْسُ وَالنَّجِسُ وَاحِدٌ، وَهُوَ النَّجِسُ الْقَذِرُ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ، وَأَنَّهُ مِنْ صِفَةِ الشَّيْطَانِ.

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝﴾ [الأنعام: ١٢٦].

﴿وَهَٰذَا﴾ الَّذِي بَيَّنَّا لَكَ يَا مُحَمَّدُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ سُوَرِ الْقُرْآنِ، هُوَ..

﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾ طَرِيقُ رَبِّكَ وَدِينُهُ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِنَفْسِهِ دِينًا وَجَعَلَهُ..

﴿مُسْتَقِيمًا﴾ لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، فَاثْبُتْ عَلَيْهِ، وَحَرِّمْ مَا حَرَّمْتُهُ عَلَيْكَ، وَأَحْلِلْ مَا أَحْلَلْتُهُ لَكَ، فَـ..

﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بَيَّنَّا..

﴿ٱلْآيَٰتِ﴾ الْآيَاتِ وَالْحُجَجَ عَلَىٰ حَقِيقَةِ ذَلِكَ وَصِحَّتِهِ..

﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝﴾ [الأنعام: ١٢٦] مَا احْتَجَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ، فَيَعْتَبِرُ بِهَا، وَخَصَّ بِهَا الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ، لِأَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ التَّمْيِيزِ وَالْفَهْمِ وَأُولُو الْحِجَا وَالْفَضْلِ.

﴿۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝﴾ [الأنعام: ١٢٧].

﴿۞ لَهُمْ﴾ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ يَذَّكَّرُونَ آيَاتِ اللهِ فَيَعْتَبِرُونَ بِهَا وَيُوقِنُونَ بِدَلَالَتِهَا عَلَىٰ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَمِنْ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَيُصَدِّقُونَ بِمَا وَصَلُوا بِهَا إِلَىٰ عِلْمِهِ مِنْ ذَلِكَ..

﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ دَارُ اللهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِأَوْلِيَائِهِ.. وَهِيَ جَنَّتُهُ، وَالسَّلَامُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ..

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ، جَزَاءً لَهُمْ عَلَىٰ مَا أَبْلَوْا فِي الدُّنْيَا فِي ذَاتِ اللهِ..

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ وَاللهُ نَاصِرُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَذَّكَّرُونَ آيَاتِ اللهِ..

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝﴾ [الأنعام: ١٢٧] جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ طَاعَةِ اللهِ، وَيَتَّبِعُونَ رِضْوَانَهُ.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَعَ أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ كَانُوا يُوحُونَ إِلَيْهِمْ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا لِيُجَادِلُوا بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَجْمَعُهُمْ جَمِيعًا فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ لِلْجِنِّ..

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنْ إِضْلَالِهِمْ وَإِغْوَائِهِمْ، فَأَضْلَلْتُمْ مِنْهُمْ كَثِيرًا..

﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ فَيُجِيبُ أَوْلِيَاءُ الْجِنِّ مِنَ الْإِنْسِ فَيَقُولُونَ..

﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ فِي الدُّنْيَا، فَأَمَّا اسْتِمْتَاعُ الْإِنْسِ بِالْجِنِّ فَكَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَنْزِلُ الْأَرْضَ فَيَقُولُ: أَعُوذُ بِكَبِيرِ هَذَا الْوَادِي، فَذَلِكَ اسْتِمْتَاعُهُمْ، فَاعْتَذَرُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَمَّا اسْتِمْتَاعُ الْجِنِّ بِالْإِنْسِ، فَإِنَّهُ كَانَ فِيمَا ذُكِرَ، مَا يَنَالُ الْجِنُّ مِنَ الْإِنْسِ مِنْ تَعْظِيمِهِمْ إِيَّاهُمْ فِي اسْتِعَاذَتِهِمْ بِهِمْ، فَيَقُولُونَ: قَدْ سُدْنَا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ..

﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ وَقَالُوا بَلَغْنَا الْوَقْتَ الَّذِي وَقَّتَ لِمَوْتِنَا، وَإِنَّمَا يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ أَيَّامَ حَيَاتِنَا إِلَىٰ حَالِ مَوْتِنَا..

﴿قَالَ﴾ اللهُ لِأَوْلِيَاءِ الْجِنِّ مِنَ الْإِنْسِ الَّذِينَ قَدْ تَقَدَّمَ خَبَرُهُ عَنْهُمْ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَمَّا هُوَ قَائِلٌ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنَ الْعَادِلِينَ بِهِ فِي الدُّنْيَا الْأَوْثَانَ، وَلِقُرَنَائِهِمْ مِنَ الْجِنِّ، فَأَخْرَجَ الْخَبَرَ عَمَّا هُوَ كَائِنٌ مَخْرَجَ الْخَبَرِ عَمَّا كَانَ لِتَقَدُّمِ الْكَلَامِ قَبْلَهُ بِمَعْنَاهُ وَالْمُرَادِ مِنْهُ، فَقَالَ..

﴿ٱلنَّارُ﴾ نَارُ جَهَنَّمَ..

﴿مَثْوَىٰكُمْ﴾ الَّذِي تَثْوُونَ فِيهِ، أَيْ: تُقِيمُونَ فِيهِ..

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لَابِثِينَ فِيهَا..

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مِنْ قَدْرِ مُدَّةٍ مَا بَيْنَ مَبْعَثِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَىٰ مَصِيرِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ، فَتِلْكَ الْمُدَّةُ الَّتِي اسْتَثْنَاهَا اللهُ مِنْ خُلُودِهِمْ فِي النَّارِ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ فِي تَدْبِيرِهِ فِي خَلْقِهِ، وَفِي تَصْرِيفِهِ إِيَّاهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِهِ..

﴿عَلِيمٌ ۝١٢٨﴾ [الأنعام: ١٢٨] بِعَوَاقِبِ تَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ، وَمَا إِلَيْهِ صَائِرٌ أَمْرُهُمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٢٩﴾ [الأنعام: ١٢٩].

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ وَكَمَا جَعَلْنَا بَعْضَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ يَسْتَمْتِعُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، كَذَلِكَ نَجْعَلُ بَعْضَهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ فِي كُلِّ الْأُمُورِ..

﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٢٩﴾ [الأنعام: ١٢٩] مِنْ مَعَاصِي اللهِ وَيَعْمَلُونَهُ.

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ۝١٣٠﴾ [الأنعام: ١٣٠].

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ يُخْبِرُونَكُمْ بِمَا أُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ تَنْبِيهِي إِيَّاكُمْ عَلَىٰ مَوَاضِعِ حُجَجِي، وَتَعْرِيفِي لَكُمْ أَدِلَّتِي عَلَىٰ تَوْحِيدِي وَتَصْدِيقِ أَنْبِيَائِي، وَالْعَمَلِ بِأَمْرِي وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ حُدُودِي.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّا هُوَ قَائِلٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِهِ مِنْ مُشْرِكِي الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، يُخْبِرُ أَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ يَوْمَئِذٍ: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي..

﴿وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ وَيُحَذِّرُونَكُمْ لِقَاءَ عَذَابِي فِي يَوْمِكُمْ هَذَا، وَعِقَابِي عَلَىٰ مَعْصِيَتِكُمْ إِيَّايَ، فَتَنْتَهُوا عَنْ مَعَاصِيَّ.. وَهَذَا مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ تَقْرِيعٌ وَتَوْبِيخٌ لِهَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْفُسُوقِ وَالْمَعَاصِي، وَمَعْنَاهُ: قَدْ أَتَاكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يُنَبِّهُونَكُمْ عَلَىٰ خَطَأِ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمِينَ بِالْحُجَجِ الْبَالِغَةِ، وَيُنْذِرُونَكُمْ وَعِيدَ اللهِ عَلَىٰ مُقَامِكُمْ عَلَىٰ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمِينَ، فَلَمْ تَقْبَلُوا ذَلِكَ وَلَمْ تَتَذَكَّرُوا وَلَمْ تَعْتَبِرُوا..

﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾ بِأَنَّ رُسُلَكَ قَدْ أَتَتْنَا بِآيَاتِكَ، وَأَنْذَرَتْنَا لِقَاءَ يَوْمِنَا هَذَا، فَكَذَّبْنَاهَا وَجَحَدْنَا رِسَالَتَهَا، وَلَمْ نَتَّبِعْ آيَاتِكَ وَلَمْ نُؤْمِنْ بِهَا.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ قَوْلِ مُشْرِكِي الْجِنِّ وَالْإِنْسِ عِنْدَ تَقْرِيعِهِ إِيَّاهُمْ بِقَوْلِهِ لَهُمْ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ

ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ﴾..

﴿وَغَرَّتْهُمُ﴾ وَغَرَّتْ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ وَأَوْلِيَاءَهُمْ مِنَ الْجِنِّ..

﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَطَلَبُ الرِّيَاسَةِ فِيهَا، وَالْمُنَافَسَةُ عَلَيْهَا، أَنْ يُسْلِمُوا لِأَمْرِ اللهِ فَيُطِيعُوا فِيهَا رُسُلَهُ، فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ، فَاكْتَفَىٰ بِذِكْرِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ ذِكْرِ الْمَعَانِي الَّتِي غَرَّتْهُمْ وَخَدَعَتْهُمْ فِيهَا، إِذْ كَانَ فِي ذِكْرِهَا مُكْتَفًى عَنْ ذِكْرِ غَيْرِهَا لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَىٰ مَا تَرَكَ ذِكْرَهُ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ..

﴿وَشَهِدُوا۟﴾ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام: ١٣٠] كَافِرِينَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ، لِتَتِمَّ حُجَّةُ اللهِ عَلَيْهِمْ بِإِقْرَارِهِمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِمَا يُوجِبُ عَلَيْهِمْ عُقُوبَتَهُ وَأَلِيمَ عَذَابِهِ.

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأنعام: ١٣١].

﴿ذَٰلِكَ﴾ إِرْسَالُنَا الرُّسُلَ يَا مُحَمَّدُ إِلَىٰ مَنْ وَصَفْتُ أَمْرَهُ، وَأَعْلَمْتُكَ خَبَرَهُ مِنْ مُشْرِكِي الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يَقُصُّونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَهُمْ لِقَاءَ مَعَادِهِمْ إِلَيَّ، مِنْ أَجْلِ..

﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأنعام: ١٣١] أَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَكُنْ لِيُهْلِكَهُمْ بِشِرْكِهِمْ، دُونَ إِرْسَالِ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ وَالْإِعْذَارِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ عُقَيْبُ قَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي﴾ [الأنعام: ١٣٠]، فَكَانَ فِي ذَلِكَ الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ عَلَىٰ أَنَّ نَصَّ قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾، إِنَّمَا هُوَ إِنَّمَا فَعَلْنَا ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنَّا لَا نُهْلِكُ الْقُرَىٰ بِغَيْرِ تَذْكِيرٍ وَتَنْبِيهٍ.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الأنعام: ١٣٢].

﴿وَلِكُلٍّ﴾ وَلِكُلِّ عَامِلٍ فِي طَاعَةِ اللهِ أَوْ مَعْصِيَتِهِ..

﴿دَرَجَٰتٌ﴾ مَنَازِلُ وَمَرَاتِبُ..

﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟ۚ﴾ مِنْ عَمَلِهِ، يُبَلِّغُهُ اللهُ إِيَّاهَا، وَيُثِيبُهُ بِهَا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا..

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الأنعام: ١٣٢] وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ عَمَلِهِمْ يَا مُحَمَّدُ بِعِلْمٍ مِنْ

رَبِّكَ يُحْصِيهَا وَيُثْبِتُهَا لَهُمْ عِنْدَهُ لِيُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا عِنْدَ لِقَائِهِمْ إِيَّاهُ وَمَعَادِهِمْ إِلَيْهِ.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣﴾ [الأنعام: ١٣٣].

﴿وَرَبُّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ الَّذِي أَمَرَ عِبَادَهُ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَنَهَاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ، وَأَثَابَهُمْ عَلَىٰ الطَّاعَةِ، وَعَاقَبَهُمْ عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ..

﴿ٱلْغَنِيُّ﴾ عَنْ عِبَادِهِ، الَّذِينَ أَمَرَهُمْ بِمَا أَمَرَ وَنَهَاهُمْ عَمَّا نَهَىٰ، وَعَنْ أَعْمَالِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَهُمُ الْمُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، لِأَنَّهُ بِيَدِهِ حَيَاتُهُمْ وَمَمَاتُهُمْ وَأَرْزَاقُهُمْ وَأَقْوَاتُهُمْ وَنَفْعُهُمْ وَضَرُّهُمْ، يَقُولُ عَزَّ ذِكْرُهُ: فَلَمْ أَخْلُقْهُمْ يَا مُحَمَّدُ، وَلَمْ آمُرْهُمْ بِمَا أَمَرْتُهُمْ بِهِ وَأَنْهَهُمْ عَمَّا نَهَيْتُهُمْ عَنْهُ، لِحَاجَةٍ لِي إِلَيْهِمْ وَلَا إِلَىٰ أَعْمَالِهِمْ..

﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ﴾ لِأَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِي، وَأُثِيبَهُمْ عَلَىٰ إِحْسَانِهِمْ إِنْ أَحْسَنُوا، فَإِنِّي ذُو الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ..

﴿إِن يَشَأْ﴾ إِنْ يَشَأْ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ، الَّذِي خَلَقَ خَلْقَهُ لِغَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهِمْ، وَإِلَىٰ طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ..

﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ يُهْلِكْ خَلْقَهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ خَلَقَهُمْ مِنْ وَلَدِ آدَمَ..

﴿وَيَسْتَخْلِفْ﴾ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ غَيْرِكُمْ..

﴿مِنۢ بَعْدِكُم﴾ يَخْلُفُونَكُمْ فِي الْأَرْضِ، مِنْ بَعْدِ فَنَائِكُمْ وَهَلَاكِكُمْ..

﴿مَّا يَشَآءُ﴾ مِنْ أُمَمٍ سِوَاكُمْ..

﴿كَمَآ أَنشَأَكُم﴾ كَمَا أَحْدَثَكُمْ وَابْتَدَعَكُمْ..

﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣﴾ [الأنعام: ١٣٣] مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ آخَرِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ١٣٤﴾ [الأنعام: ١٣٤].

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ إِنَّ الَّذِي يُوعِدُكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ مِنْ عِقَابِهِ، أَيُّهَا الْعَادِلُونَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، عَلَىٰ إِصْرَارِكُمْ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ..

﴿لَأٓتٍۖ﴾ وَاقِعٌ بِكُمْ..

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ١٣٤﴾ [الأنعام: ١٣٤] لَنْ تَعْجِزُوا رَبَّكُمْ هَرَبًا مِنْهُ فِي الْأَرْضِ فَتَفُوتُوهُ،

لِأَنَّكُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ فِي قَبْضَتِهِ، وَهُوَ عَلَيْكُمْ وَعَلَىٰ عُقُوبَتِكُمْ بِمَعْصِيَتِكُمْ إِيَّاهُ قَادِرٌ، فَاحْذَرُوهُ، وَأَنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ قَبْلَ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِكُمْ.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥﴾ [الأنعام: ١٣٥].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ، الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ..

﴿يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ اعْمَلُوا عَلَىٰ حِيَالِكُمْ وَنَاحِيَتِكُمْ.. وَهُوَ أَمْرٌ مِنْهُ لَهُ بِوَعِيدِهِمْ وَتَهْدِيدِهِمْ، لَا إِطْلَاقَ لَهُمْ فِي عَمَلِ مَا أَرَادُوا مِنْ مَعَاصِي اللهِ..

﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ مَا أَنَا عَامِلُهُ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ رَبِّي..

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أَيُّهَا الْكَفَرَةُ بِاللهِ عِنْدَ نُزُولِ نِقْمَةِ اللهِ بِكُمْ، ومُعَايَنَتِكُمُ الْعَذَابَ..

﴿مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ مَنِ الَّذِي تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ مِنَّا وَمِنْكُمْ، وأَيُّنَا كَانَ الْمُحِقَّ فِي عَمَلِهِ، وَالْمُصِيبَ سَبِيلَ الرَّشَادِ، أَنَا أَمْ أَنْتُمْ؟ يَقُولُ: مَنِ الَّذِي يُعَقِّبُ دُنْيَاهُ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْهَا أَوْ شَرٌّ مِنْهَا، بِمَا قَدَّمَ فِيهَا مِنْ صَالِحِ أَعْمَالِهِ أَوْ سَيِّئِهَا، ثُمَّ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فَقَالَ..

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥﴾ [الأنعام: ١٣٥] إِنَّهُ لَا يَنْجَحُ وَلَا يَفُوزُ بِحَاجَتِهِ عِنْدَ اللهِ مَنْ عَمِلَ بِخِلَافِ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ مِنَ الْعَمَلِ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ مَعْنَىٰ ظُلْمِ الظَّالِمِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ١٣٦﴾ [الأنعام: ١٣٦].

﴿وَجَعَلُواْ﴾ وَجَعَلَ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿لِلَّهِ﴾ رَبِّهِمْ..

﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ مِمَّا خَلَقَ..

﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ قِسْمًا وَجُزْءًا..

﴿فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ وَجَعَلُوا مِثْلَهُ لِشُرَكَائِهِمْ، وَهُمْ أَوْثَانُهُمْ..

﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ﴾ وَإِنَّ نَصِيبَ شُرَكَائِهِمْ..

﴿فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لَا يَصِلُ إِلَىٰ نَصِيبِ اللهِ..

﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾ إِلَىٰ نَصِيبِ شُرَكَائِهِمْ..

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ١٣٦﴾ [الأنعام: ١٣٦] قَدْ أَسَاءُوا فِي حُكْمِهِمْ؛ إِذْ أَخَذُوا مِنْ نَصِيبِي لِشُرَكَائِهِمْ، وَلَمْ يُعْطُونِي مِنْ نَصِيبِ شُرَكَائِهِمْ.. وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِذَلِكَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- الْخَبَرَ عَنْ جَهْلِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ وَذَهَابِهِمْ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ، بِأَنَّهُمْ لَمْ يَرْضَوْا أَنْ عَدَلُوا بِمَنْ خَلَقَهُمْ وَغَذَّاهُمْ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالنِّعَمِ الَّتِي لَا تُحْصَىٰ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ، حَتَّىٰ فَضَّلُوهُ فِي إِقْسَامِهِمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ بِالْقِسْمِ عَلَيْهِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ١٣٧﴾

[الأنعام: ١٣٧].

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ كَمَا زَيَّنَ شُرَكَاءُ هَؤُلَاءِ -الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ- لَهُمْ مَا زَيَّنُوا لَهُمْ، مِنْ تَصْيِيرِهِمْ لِرَبِّهِمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ قِسْمًا بِزَعْمِهِمْ، وَتَرْكِهِمْ مَا وَصَلَ مِنَ الْقِسْمِ الَّذِي جَعَلُوهُ لِلَّهِ إِلَىٰ قِسْمِ شُرَكَائِهِمْ فِي قِسْمِهِمْ، وَرَدِّهِمْ مَا وَصَلَ مِنَ الْقِسْمِ الَّذِي جَعَلُوهُ لِشُرَكَائِهِمْ إِلَىٰ قِسْمِ نَصِيبِ اللهِ، إِلَىٰ قِسْمِ شُرَكَائِهِمْ، كَذَلِكَ زَيَّنَ لَكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمُ الشَّيَاطِينِ، فَحَسَّنُوا لَهُمْ وَأْدَ الْبَنَاتِ..

﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ لِيُهْلِكُوهُمْ..

﴿وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ فَعَلُوا ذَلِكَ بِهِمْ لِيَخْلِطُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ فَيَلْتَبِسَ، فَيَضِلُّوا وَيَهْلِكُوا بِفِعْلِهِمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمُ اللهُ..

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ وَلَوْ شَاءَ اللهُ أَنْ لَا يَفْعَلُوا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ مِنْ قَتْلِهِمْ لَمْ يَفْعَلُوهُ، بِأَنْ كَانَ يَهْدِيهِمْ لِلْحَقِّ وَيُوَفِّقُهُمْ لِلسَّدَادِ، فَكَانُوا لَا يَقْتُلُونَهُمْ، وَلَكِنَّ اللهَ خَذَلَهُمْ عَنِ الرَّشَادِ فَقَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ وَأَطَاعُوا الشَّيَاطِينَ الَّتِي أَغْوَتْهُمْ، يَقُولُ اللهُ لِنَبِيِّهِ مُتَوَعِّدًا لَهُمْ عَلَىٰ عَظِيمِ فِرْيَتِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ فِيمَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي الْأَنْصِبَاءِ الَّتِي يَقْسِمُونَهَا: هَذَا لِلَّهِ، وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا، وَفِي قَتْلِهِمْ أَوْلَادَهُمْ..

﴿فَذَرْهُمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ..

﴿وَمَا يَفْتَرُونَ ١٣٧﴾ [الأنعام: ١٣٧] وَمَا يَتَقَوَّلُونَ عَلَيَّ مِنَ الْكَذِبِ وَالزُّورِ، فَإِنِّي لَهُمْ

بِالْمِرْصَادِ، وَمِنْ وَرَاءِ الْعَذَابِ وَالْعِقَابِ.

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣٨﴾ [الأنعام: ١٣٨].

﴿وَقَالُواْ﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ جَهْلًا مِنْهُمْ، لِأَنْعَامٍ لَهُمْ وَحَرْثٍ..

﴿هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ﴾ يَعْنِي بِالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ مَا كَانُوا جَعَلُوهُ لِلَّهِ وَلِآلِهَتِهِمُ الَّتِي قَدْ مَضَىٰ ذِكْرُهَا فِي الْآيَةِ قَبْلَ هَٰذِهِ..

﴿حِجۡرٞ﴾ حَرَامٌ.. وَالْحِجْرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْحَرَامُ، يُقَالُ: حَجَرْتُ عَلَىٰ فُلَانٍ كَذَا: أَيْ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ «وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا» [الفرقان: ٢٢]..

﴿لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ﴾ نَحْتَجِرُهَا عَلَىٰ مَنْ نُرِيدُ، لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ.. وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، عَنْ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، أَنَّهُمْ كَانُوا يُحَرِّمُونَ وَيُحَلِّلُونَ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ اللهُ أَذِنَ لَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ..

﴿وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا﴾ وَحَرَّمَ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ظُهُورَ بَعْضِ أَنْعَامِهِمْ، فَلَا يَرْكَبُونَ ظُهُورَهَا، وَهُمْ يَنْتَفِعُونَ بِرِسْلِهَا وَنِتَاجِهَا، وَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ مِنْهَا غَيْرِ ظُهُورِهَا لِلرُّكُوبِ..

﴿وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾ وَحَرَّمُوا مِنْ أَنْعَامِهِمْ أَنْعَامًا أُخَرَ، فَلَا يَحُجُّونَ عَلَيْهَا، وَلَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ رَكِبُوهَا بِحَالٍ، وَلَا إِنْ حَلَبُوهَا وَلَا إِنْ حَمَلُوا عَلَيْهَا..

﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ﴾ فَعَلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مَا فَعَلُوا مِنْ تَحْرِيمِهِمْ مَا حَرَّمُوا، وَقَالُوا مَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ، كَذِبًا عَلَىٰ اللهِ، وَتَخَرُّصًا الْبَاطِلَ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُمْ أَضَافُوا مَا كَانُوا يُحَرِّمُونَ مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا وَصَفَهُ عَنْهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي كِتَابِهِ إِلَىٰ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي حَرَّمَهُ، فَنَفَىٰ اللهُ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَكْذَبَهُمْ، وَأَخْبَرَ نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ كَذَبَةٌ فِيمَا يَدَّعُونَ..

﴿سَيَجۡزِيهِم﴾ سَيُثِيبُهُمْ رَبُّهُمْ..

﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣٨﴾ [الأنعام: ١٣٨] عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ ثَوَابَهُمْ، وَيَجْزِيهِمْ بِذَلِكَ جَزَاءَهُمْ.

﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن

مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأنعام: ١٣٩].

﴿وَقَالُواْ﴾ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ..

﴿مَا فِي بُطُونِ﴾ وَاللَّبَنُ مِمَّا فِي بُطُونِهَا، وَكَذَلِكَ أَجِنَّتُهَا..

﴿هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ أَنْعَام بِأَعْيَانِهَا..

﴿خَالِصَةٞ﴾ أُرِيدَ بِذَلِكَ الْمُبَالَغَةُ فِي خُلُوصِ مَا فِي بُطُونِ الْأَنْعَامِ الَّتِي كَانُوا حَرَّمُوا مَا فِي بُطُونِهَا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ، لِذُكُورِهِمْ دُونَ إِنَاثِهِمْ، كَمَا فُعِلَ ذَلِكَ بِالرَّاوِيَةِ وَالنَّسَّابَةِ وَالْعَلَّامَةِ، إِذَا أُرِيدَ بِهَا الْمُبَالَغَةَ فِي وَصْفِ مَنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ صِفَتِهِ..

﴿لِّذُكُورِنَا﴾ دُونَ إِنَاثِنَا، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُؤْثِرُونَ بِذَلِكَ رِجَالَهُمْ..

﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ﴾ وَالْأَزْوَاجُ إِنَّمَا هِيَ نِسَاؤُهُمْ فِي كَلَامِهِمْ، وَهُنَّ لَا شَكَّ بَنَاتُ مَنْ هُنَّ أَوْلَادُهُ، وَحَلَائِلُ مَنْ هُنَّ أَزْوَاجُهُ..

﴿وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ﴾ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الَّذِي فِي بُطُونِهَا مِنَ الْأَجِنَّةِ مَيِّتًا..

﴿فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ﴾ فَيَشْتَرِكُ حِينَئِذٍ فِي أَكْلِهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، لَا يُحَرِّمُونَهُ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ..

﴿سَيَجۡزِيهِمۡ﴾ سَيُثِيبُ وَيُكَافِئُ هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَيْهِ الْكَذِبَ فِي تَحْرِيمِهِمْ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللهُ، وَتَحْلِيلِهِمْ مَا لَمْ يُحَلِّلْهُ اللهُ، وَإِضَافَتِهِمْ كَذِبَهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ..

﴿وَصۡفَهُمۡۚ﴾ بِوَصْفِهِمُ الْكَذِبَ عَلَىٰ اللهِ، وَذَلِكَ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ كِتَابِهِ: «وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ» [النحل: ٦٢]، وَالْوَصْفُ وَالصِّفَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَاحِدٌ، وَهُمَا مَصْدَرَانِ مِثْلُ الْوَزْنِ وَالزِّنَةِ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ إِنَّ اللهَ فِي مُجَازَاتِهِمْ عَلَىٰ وَصْفِهِمُ الْكَذِبَ وَقِيلِهِمُ الْبَاطِلَ عَلَيْهِ..

﴿حَكِيمٌ﴾ فِي سَائِرِ تَدْبِيرِهِ فِي خَلْقِهِ..

﴿عَلِيمٞ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأنعام: ١٣٩] بِمَا يُصْلِحُهُمْ وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ.

﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأنعام: ١٤٠].

﴿قَدۡ خَسِرَ﴾ قَدْ هَلَكَ هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمُ الْكَذِبَ، الْعَادِلُونَ بِهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿ٱلَّذِينَ﴾ زَيَّنَ لَهُمْ شُرَكَاؤُهُمْ فـ..

﴿قَتَلُوٓاْ﴾ طَاعَةً لَهَا..

﴿أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا﴾ وَنَقْصَ عُقُولٍ، وَضَعْفَ أَحْلَامٍ مِنْهُمْ..

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ جَهَالَةً مِنْهُمْ بِمَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ، وَقِلَّةَ فَهْمٍ بِعَاجِلِ ضَرِّهِ وَآجِلِ مَكْرُوهِهِ مِنْ عَظِيمِ عِقَابِ اللهِ عَلَيْهِ لَهُمْ..

﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وَحَرَّمُوا مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ وَجَعَلَهُ لَهُمْ رِزْقًا مِنْ أَنْعَامِهِمْ..

﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾ تَكْذِيبًا عَلَىٰ اللهِ وَتَخَرُّصًا عَلَيْهِ الْبَاطِلَ..

﴿قَدْ ضَلُّواْ﴾ قَدْ تَرَكُوا مَحَجَّةَ الْحَقِّ فِي فِعْلِهِمْ ذَلِكَ، وَزَالُوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَلَمْ يَكُنْ فَاعِلُو ذَلِكَ عَلَىٰ هُدًىٰ وَاسْتِقَامَةٍ فِي أَفْعَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَفْعَلُونَ قَبْلَ ذَلِكَ..

﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ١٤٠﴾ [الأنعام: ١٤٠] لِلصَّوَابِ فِيهَا وَلَا مُوَفَّقِينَ لَهُ.. وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الَّذِينَ ذَكَرَ اللهُ خَبَرَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، الَّذِينَ كَانُوا يَبْحَرُونَ الْبَحَائِرَ، وَيُسَيِّبُونَ السَّوَائِبَ، وَيَئِدُونَ الْبَنَاتِ.

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ١٤١﴾ [الأنعام: ١٤١].

﴿۞ وَهُوَ﴾ رَبُّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ﴾ أَحْدَثَ وَابْتَدَعَ خَلْقًا، لَا الْآلِهَةُ وَالْأَصْنَامُ..

﴿جَنَّٰتٍ﴾ بَسَاتِينَ..

﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ وَهِيَ مَا عَرَشَ النَّاسُ، مِنَ الْكُرُومِ وَغَيْرِهِ..

﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ غَيْرَ مَرْفُوعَاتٍ مَبْنِيَّاتٍ، لَا يُنْبِتُهُ النَّاسُ وَلَا يَرْفَعُونَهُ، وَلَكِنَّ اللهَ يَرْفَعُهُ وَيُنْبِتُهُ وَيُنَمِّيهِ..

﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ وَأَنْشَأَ، وَخَلَقَ النَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا مَا يَخْرُجُ مِنْهُ مِمَّا يُؤْكَلُ مِنَ الثَّمَرِ وَالْحَبِّ..

﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ فِي الطَّعْمِ، مِنْهُ الْحُلْوُ وَالْحَامِضُ وَالْمُزُّ..

﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ كُلُوا مِنْ رُطَبِهِ وَعِنَبِهِ..

﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ كَانَ هَذَا شَيْئًا أَمَرَ اللهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ الْمُؤَقَّتَةُ، ثُمَّ نَسَخَتْهُ الصَّدَقَةُ الْمَعْلُومَةُ مِنَ الْعُشْرِ وَنِصْفِ الْعُشْرِ، فَلَا فَرْضَ فِي مَالٍ كَائِنًا مَا كَانَ، زَرْعًا كَانَ أَوْ غَرْسًا، إِلَّا الصَّدَقَةَ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ فِيهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَمِيعَ مُجْمِعُونَ لَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ أَنَّ صَدَقَةَ الْحَرْثِ لَا تُؤْخَذُ إِلَّا بَعْدَ الدِّيَاسِ وَالتَّنْقِيَةِ وَالتَّذْرِيَةِ، وَأَنَّ صَدَقَةَ التَّمْرِ لَا تُؤْخَذُ إِلَّا بَعْدَ الْجَفَافِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾، يُنْبِئُ عَنْ أَنَّهُ أَمْرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِإِيتَاءِ حَقِّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ، وَكَانَ يَوْمُ حَصَادِهِ هُوَ يَوْمَ جَدِّهِ وَقَطْعِهِ، وَالْحَبُّ لَا شَكَّ أَنَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي سُنْبُلِهِ، وَالتَّمْرُ وَإِنْ كَانَ ثَمَرَ نَخْلٍ أَوْ كَرْمٍ غَيْرُ مُسْتَحْكِمٍ جُفُوفَهُ وَيُبْسُهُ، وَكَانَتِ الصَّدَقَةُ مِنَ الْحَبِّ إِنَّمَا تُؤْخَذُ بَعْدَ دِيَاسِهِ وَتَذْرِيَتِهِ وَتَنْقِيَتِهِ كَيْلًا، وَالتَّمْرُ إِنَّمَا تُؤْخَذُ صَدَقَتُهُ بَعْدَ اسْتِحْكَامِ يُبْسِهِ وَجُفُوفِهِ كَيْلًا، عُلِمَ أَنَّ مَا يُؤْخَذُ صَدَقَةً بَعْدَ حِينِ حَصْدِهِ غَيْرُ الَّذِي يَجِبُ إِيتَاؤُهُ الْمَسَاكِينَ يَوْمَ حَصَادِهِ، وَمِمَّا يُؤَيِّدُ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ دَلِيلٌ عَلَىٰ صِحَّتِهِ، أَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَتْبَعَ قَوْلَهُ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾، ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مِنْ حُكْمِ اللهِ فِي عِبَادِهِ مُذْ فَرَضَ فِي أَمْوَالِهِمُ الصَّدَقَةَ الْمَفْرُوضَةَ الْمُؤَقَّتَةَ الْقَدْرُ، أَنَّ الْقَائِمَ بِأَخْذِ ذَلِكَ سَاسَتُهُمْ وَرُعَاتُهُمْ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَا وَجْهُ نَهْيِ رَبِّ الْمَالِ عَنِ الْإِسْرَافِ فِي إِيتَاءِ ذَلِكَ، وَالْآخِذُ مُجْبِرٌ، وَإِنَّمَا يَأْخُذُ الْحَقَّ الَّذِي فَرَضَ اللهُ فِيهِ؟ فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ نَهْيٌ مِنَ اللهِ الْقَيِّمِ بِأَخْذِ ذَلِكَ مِنَ الرُّعَاةِ عَنِ التَّعَدِّي فِي مَالِ رَبِّ الْمَالِ وَالتَّجَاوُزِ إِلَىٰ أَخْذِ مَا لَمْ يُبَحْ لَهُ أَخْذُهُ، فَإِنَّ آخِرَ الْآيَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَىٰ أَوَّلِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾، فَإِنْ كَانَ الْمَنْهِيُّ عَنِ الْإِسْرَافِ الْقَيِّمُ بِقَبْضِ ذَلِكَ، فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمَأْمُورُ بِإِتْيَانِهِ الْمَنْهِيَّ عَنِ الْإِسْرَافِ فِيهِ، وَهُوَ السُّلْطَانُ، وَذَلِكَ قَوْلٌ إِنْ قَالَهُ قَائِلٌ، كَانَ خَارِجًا مِنْ قَوْلِ جَمِيعِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ وَمُخَالِفًا الْمَعْهُودَ مِنَ الْخِطَابِ، وَكَفَىٰ بِذَلِكَ شَاهِدًا عَلَىٰ خَطَئِهِ..

﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾ [الأنعام: ١٤١] الْإِسْرَافُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْإِخْطَاءُ بِإِصَابَةِ الْحَقِّ فِي الْعَطِيَّةِ، إِمَّا بِتَجَاوُزِ حَدِّهِ فِي الزِّيَادَةِ وَإِمَّا بِتَقْصِيرٍ عَنْ حَدِّهِ الْوَاجِبِ، فَكَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الْمُفَرِّقَ مَالَهُ مُبَارَاةً، وَالْبَاذِلَهُ لِلنَّاسِ حَتَّىٰ أَجْحَفَتْ بِهِ عَطِيَّتُهُ، مُسْرِفٌ بِتَجَاوُزِهِ حَدَّ اللهِ إِلَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ، وَكَذَلِكَ الْمُقَصِّرُ فِي بَذْلِهِ فِيمَا أَلْزَمَهُ اللهُ بَذْلَهُ فِيهِ، وَذَلِكَ كَمَنْعِهِ مَا أَلْزَمَهُ إِيتَاءَهُ مِنْهُ أَهْلَ سِهْمَانِ الصَّدَقَةِ إِذَا وَجَبَتْ فِيهِ، أَوْ مَنْعِهِ مَنْ أَلْزَمَهُ اللهُ نَفَقَتَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ مَا أَلْزَمَهُ مِنْهَا، وَكَذَلِكَ السُّلْطَانُ فِي أَخْذِهِ مِنْ رَعِيَّتِهِ مَا لَمْ يَأْذَنِ اللهُ بِأَخْذِهِ. كُلُّ هَؤُلَاءِ فِيمَا فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ

مُسْرِفُونَ، دَاخِلُونَ فِي مَعْنَىٰ مَنْ أَتَىٰ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ مِنَ الْإِسْرَافِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ فِي عَطِيَّتِكُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ مَا يُجْحِفُ بِكُمْ، إِذْ كَانَ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكَلَامِ أَمْرًا مِنَ اللهِ بِإِيتَاءِ الْوَاجِبِ فِيهِ أَهْلَهُ يَوْمَ حَصَادِهِ، فَإِنَّ الْآيَةَ قَدْ كَانَتْ تَنْزِلُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسَبَبٍ خَاصٍّ مِنَ الْأُمُورِ وَالْحُكْمُ بِهَا عَلَىٰ الْعَامِّ، بَلْ عَامَّةُ آيِ الْقُرْآنِ كَذَلِكَ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ١٤١﴾.. وَهَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَتَنْبِيهٌ مِنْهُ لَهُمْ عَلَىٰ مَوْضِعِ إِحْسَانِهِ، وَتَعْرِيفٌ مِنْهُ لَهُمْ مَا أَحَلَّ وَحَرَّمَ وَقَسَمَ فِي أَمْوَالِهِمْ مِنَ الْحُقُوقِ لِمَنْ قَسَمَ لَهُ فِيهَا حَقًّا.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ١٤٢﴾ [الأنعام: ١٤٢].

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًاۚ﴾ أَنْشَأَ مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا مَعَ مَا أَنْشَأَ مِنَ الْجَنَّاتِ الْمَعْرُوشَاتِ وَغَيْرِ الْمَعْرُوشَاتِ.. وَالْحَمُولَةُ: مَا حُمِلَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِبِلِ وَغَيْرِهَا، وَالْفَرْشُ: صِغَارُ الْإِبِلِ الَّتِي لَمْ تُدْرِكْ أَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهَا..

﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَأَحَلَّ لَكُمْ ثَمَرَاتِ حُرُوثِكُمْ وَغُرُوسِكُمْ، وَلُحُومَ أَنْعَامِكُمْ، إِذْ حَرَّمَ بَعْضَ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمُ الْمُشْرِكُونَ بِاللهِ، فَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا، وَلِلشَّيْطَانِ مِثْلَهُ، فَقَالُوا: هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ، وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا..

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ كَمَا اتَّبَعَهَا بَاحِرُو الْبَحِيرَةِ وَمُسَيِّبُو السَّوَائِبِ، فَتُحَرِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مِنْ طَيِّبِ رِزْقِ اللهِ الَّذِي رَزَقَكُمْ مَا حَرَّمُوهُ، فَتُطِيعُوا بِذَلِكَ الشَّيْطَانَ وَتَعْصَوْا بِهِ الرَّحْمَنَ..

﴿إِنَّهُۥ﴾ الشَّيْطَانَ..

﴿لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ يَبْغِي هَلَاكَكُمْ وَصَدَّكُمْ عَنْ سَبِيلِ رَبِّكُمْ..

﴿مُّبِينٌ ١٤٢﴾ [الأنعام: ١٤٢] قَدْ أَبَانَ لَكُمْ عُدْوَانَهُ بِمُنَاصَبَتِهِ أَبَاكُمْ بِالْعَدَاوَةِ، حَتَّىٰ أَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ بِكَيْدِهِ وَخِدَعِهِ، حَسَدًا مِنْهُ لَهُ وَبَغْيًا عَلَيْهِ.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٤٣﴾ [الأنعام: ١٤٣].

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَنْشَأَ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ.. فَقَالَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١] ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًاۚ﴾

[الأنعام: ١٤٢]، ثُمَّ بَيَّنَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْحَمُولَةَ وَالْفَرْشَ، فَقَالَ: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾..

﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ فَذَلِكَ أَرْبَعَةٌ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْأُنْثَيَيْنِ مِنَ الضَّأْنِ زَوْجٌ، فَالْأُنْثَىٰ مِنْهُ زَوْجُ الذَّكَرِ، وَالذَّكَرُ مِنْهُ زَوْجُ الْأُنْثَىٰ، وَكَذَلِكَ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْزِ وَمِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ، فَلِذَلِكَ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾، كَمَا قَالَ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]؛ لِأَنَّ الذَّكَرَ زَوْجُ الْأُنْثَىٰ، وَالْأُنْثَىٰ زَوْجُ الذَّكَرِ، فَهُمَا وَإِنْ كَانَا اثْنَيْنِ فَهُمَا زَوْجَانِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وَكَمَا قَالَ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَرَّمُوا مَا حَرَّمُوا مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ، اتِّبَاعًا لِلشَّيْطَانِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مُحَرِّمُونَ مِنْ ذَلِكَ..

﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾ رَبُّكُم أَيُّهَا الْكَذَبَةُ عَلَىٰ اللهِ مِنَ الضَّأْنِ وَالْمَعْزِ؟ فَإِنَّهُمْ إِنِ ادَّعَوْا ذَلِكَ وَأَقَرُّوا بِهِ، كَذَّبُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَبَانُوا جَهْلَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا: يُحَرِّمُ الذَّكَرَيْنِ مِنْ ذَلِكَ، أَوْجَبُوا تَحْرِيمَ كُلِّ ذَكَرَيْنِ مِنْ وَلَدِ الضَّأْنِ وَالْمَعْزِ، وَهُمْ يَسْتَمْتِعُونَ بِلُحُومِ الذُّكْرَانِ مِنْهَا وَظُهُورِهَا، وَفِي ذَلِكَ فَسَادُ دَعْوَاهُمْ وَتَكْذِيبُ قَوْلِهِمْ..

﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ فَإِنَّهُمْ إِنْ قَالُوا: حَرَّمَ رَبُّنَا الْأُنْثَيَيْنِ، أَوْجَبُوا تَحْرِيمَ لُحُومِ كُلِّ أُنْثَىٰ مِنْ وَلَدِ الضَّأْنِ وَالْمَعْزِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَظُهُورِهَا، وَفِي ذَلِكَ أَيْضًا تَكْذِيبٌ لَهُمْ، وَدَحْضُ دَعْوَاهُمْ أَنَّ رَبَّهُمْ حَرَّمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ؛ إِذْ كَانُوا يَسْتَمْتِعُونَ بِلُحُومِ بَعْضِ ذَلِكَ وَظُهُورِهِ..

﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ﴾ أَمْ حَرَّمَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ..

﴿أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ أَرْحَامُ أُنْثَىٰ الضَّأْنِ وَأُنْثَىٰ الْمَعْزِ.. فَلَوْ أَقَرُّوا بِهِ فَقَالُوا: حَرَّمَ عَلَيْنَا مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ، بَطَلَ قَوْلُهُمْ وَبَانَ كَذِبُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُقِرُّونَ بِإِقْرَارِهِمْ بِذَلِكَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ذُكُورَ الضَّأْنِ وَالْمَعْزِ وَإِنَاثَهَا أَنْ يَأْكُلُوا لُحُومَهَا أَوْ يَرْكَبُوا ظُهُورَهَا، وَقَدْ كَانُوا يَسْتَمْتِعُونَ بِبَعْضِ ذُكُورِهَا وَإِنَاثِهَا..

﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ قُلْ لَهُمْ: خَبِّرُونِي بِعِلْمِ ذَلِكَ عَلَىٰ صِحَّتِهِ، أَيَّ ذَلِكَ حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ؟ وَكَيْفَ حَرَّمَ؟..

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٤٣﴾ [الأنعام: ١٤٣] فِيمَا تَنْحِلُونَهُ رَبَّكُمْ مِنْ دَعْوَاكُمْ، وَتُضِيفُونَهُ إِلَيْهِ مِنْ تَحْرِيمِكُمْ، وَإِنَّمَا هَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهُ أَنَّ كُلَّ مَا قَالَهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي ذَلِكَ وَأَضَافُوهُ إِلَىٰ اللهِ، فَهُوَ كَذِبٌ عَلَىٰ اللهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا اتَّبَعُوا فِي ذَلِكَ

خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ، وَخَالَفُوا أَمْرَهُ..وَهَذَا تَقْرِيعٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، الْعَادِلِينَ بِهِ الْأَوْثَانَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَصْنَامِ، الَّذِينَ بَحَرُوا الْبَحَائِرَ، وَسَيَّبُوا السَّوَائِبَ، وَوَصَلُوا الْوَصَائِلَ، وَتَعْلِيمٌ مِنْهُ نَبِيَّهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ فِي تَحْرِيمِهِمْ مَا حَرَّمُوا مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ مِنْ هَذِهِ الثِّمَارِ وَاللُّحُومِ، وَارْكَبُوا هَذِهِ الْحَمُولَةَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فِي تَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةُ بِغَيْرِ أَمْرِي إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ.

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام: ١٤٤].

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَزْوَاجٍ، عَلَىٰ نَحْوِ مَا بَيَّنَّا مِنَ الْأَزْوَاجِ الْأَرْبَعَةِ قَبْلُ مِنَ الضَّأْنِ وَالْمَعْزِ، فَذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَزْوَاجٍ كَمَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ..

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ لِهَؤُلَاءِ الْجَهَلَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَصَّ قَصَصَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي مَضَتْ، يَقُولُ لَهُ عَزَّ ذِكْرُهُ: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ، أَيَّ هَذِهِ سَأَلْتُكُمْ عَنْ تَحْرِيمِهِ حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَزْوَاجِ الثَّمَانِيَةِ؟ فَإِنْ أَجَابُوكَ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا سَأَلْتَهُمْ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ، فَقُلْ لَهُمْ: أَخَبَرًا قُلْتُمْ إِنَّ اللهَ حَرَّمَ هَذَا عَلَيْكُمْ. أَخْبَرَكُمْ بِهِ رَسُولٌ عَنْ رَبِّكُمْ، أَمْ شَهِدْتُمْ رَبَّكُمْ فَرَأَيْتُمُوهُ فَوَصَّاكُمْ بِهَذَا الَّذِي تَقُولُونَ وَتَرَوَّرُونَ عَلَىٰ اللهِ؟ فَإِنَّ هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ مِنْ إِخْبَارِكُمْ عَنِ اللهِ أَنَّهُ حَرَامٌ بِمَا تَزْعُمُونَ عَلَىٰ مَا تَزْعُمُونَ، لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِوَحْيٍ مِنْ عِنْدِهِ مَعَ رَسُولٍ يُرْسِلُهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ، أَوْ بِسَمَاعٍ مِنْهُ، فَبِأَيِّ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ ذَلِكَ كَذَلِكَ بِرَسُولٍ أَرْسَلَهُ إِلَيْكُمْ؟ فَأَنْبِئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، أَمْ شَهِدْتُمْ رَبَّكُمْ، فَأَوْصَاكُمْ بِذَلِكَ وَقَالَ لَكُمْ: حَرَّمْتُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ، فَسَمِعْتُمْ تَحْرِيمَهُ مِنْهُ وَعَهْدَهُ إِلَيْكُمْ بِذَلِكَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ..

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ فَمَنْ أَشَدُّ ظُلْمًا لِنَفْسِهِ، وَأَبْعَدُ عَنِ الْحَقِّ..

﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ مِمَّنْ تَخَرَّصَ عَلَىٰ اللهِ قِيلَ الْكَذِبِ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ تَحْرِيمَ مَا لَمْ يُحَرِّمْ، وَتَحْلِيلَ مَا لَمْ يُحَلِّلْ..

﴿لِيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾ لِيَصُدَّهُمْ عَنْ سَبِيلِهِ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾ [الأنعام: ١٤٤] لَا يُوَفِّقُ اللهُ لِلرُّشْدِ مَنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ، وَقَالَ عَلَيْهِ الزُّورَ وَالْكَذِبَ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ تَحْرِيمَ مَا لَمْ يُحَرِّمْ، كُفْرًا بِاللهِ وَجُحُودًا لِنُبُوَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥﴾ [الأنعام: ١٤٥].

﴿قُل﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا، ولِشُرَكَائِهِمْ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ مِثْلَهُ، وَالْقَائِلِينَ ﴿هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٣٨]، وَالْمُحَرِّمِينَ مِنْ أَنْعَامٍ أُخَرَ ظُهُورَهَا، وَالتَّارِكِينَ ذِكْرَ اسْمِ اللهِ عَلَىٰ أُخَرَ مِنْهَا، وَالْمُحَرِّمِينَ بَعْضَ مَا فِي بُطُونِ بَعْضِ أَنْعَامِهِمْ عَلَىٰ إِنَاثِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَمُحِلِّيهِ لِذُكُورِهِمْ، والْمُحَرِّمِينَ مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاءً عَلَىٰ اللهِ، وَإِضَافَةً مِنْهُمْ مَا يُحَرِّمُونَ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ: أَجَاءَكُمْ مِنَ اللهِ رَسُولٌ بِتَحْرِيمِهِ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ، فَأَنْبِئُونَا بِهِ، أَمْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِتَحْرِيمِهِ مُشَاهَدَةً مِنْكُمْ لَهُ، فَسَمِعْتُمْ مِنْهُ تَحْرِيمَهُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ فَحَرَّمْتُمُوهُ؟ فَإِنَّكُمْ كَذَبَةٌ إِنِ ادَّعَيْتُمْ ذَلِكَ وَلَا يُمْكِنُكُمْ دَعْوَاهُ، لِأَنَّكُمْ إِذَا ادَّعَيْتُمُوهُ عَلِمَ النَّاسُ كَذِبَكُمْ، فَإِنِّي..

﴿لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ مِنْ كِتَابِهِ وآيِ تَنْزِيلِهِ شَيْئًا..

﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ﴾ مُحَرَّمًا عَلَىٰ آكِلٍ يَأْكُلُهُ مِمَّا تَذْكُرُونَ أَنَّهُ حَرَّمَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَنْعَامِ الَّتِي تَصِفُونَ، تَحْرِيمَ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ مِنْهَا بِزَعْمِكُمْ..

﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً﴾ قَدْ مَاتَتْ بِغَيْرِ تَذْكِيَةٍ..

﴿أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾ وَهُوَ الْمُنْصَبُّ، أَوْ دَمًا مُسَالًا مُهْرَاقًا، يُقَالُ مِنْهُ: سَفَحْتُ دَمَهُ: إِذَا أَرَقْتُهُ.. وَفِي اشْتِرَاطِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي الدَّمِ عِنْدَ إِعْلَامِهِ عِبَادَهُ تَحْرِيمَهُ إِيَّاهُ الْمَسْفُوحَ مِنْهُ دُونَ غَيْرِهِ، الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ أَنَّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ مَسْفُوحًا فَحَلَالٌ غَيْرُ نَجِسٍ، قال قَتَادَةَ: (**حَرَّمَ الدَّمَ مَا كَانَ مَسْفُوحًا، وَأَمَّا لَحْمٌ خَالَطَهُ دَمٌ فَلَا بَأْسَ بِهِ**)..

﴿أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ﴾ أَوْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَحْمَ خِنْزِيرٍ..

﴿فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَىٰ الرِّجْسِ فِيمَا مَضَىٰ، وَأَنَّهُ النَّجْسُ وَالنَّتْنُ، وَمَا يُعْصَىٰ اللهُ بِهِ..

﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أَوْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِسْقًا، يَعْنِي بِذَلِكَ: أَوْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَذْبُوحًا، ذَبَحَهُ ذَابِحٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ لِصَنَمِهِ وَآلِهَتِهِ فَذَكَرَ عَلَيْهِ اسْمَ وَثَنِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ الذَّبْحَ فِسْقٌ نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ وَحَرَّمَهُ، وَنَهَىٰ مَنْ آمَنَ بِهِ عَنْ أَكْلِ مَا ذُبِحَ كَذَلِكَ، لِأَنَّهُ مَيْتَةٌ.. وَهَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ جَادَلُوا نَبِيَّ اللهِ وَأَصْحَابَهُ فِي تَحْرِيمِ الْمَيْتَةِ بِمَا جَادَلُوهُمْ بِهِ، أَنَّ الَّذِي جَادَلُوهُمْ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ هُوَ الْحَرَامُ الَّذِي حَرَّمَهُ اللهُ، وَأَنَّ الَّذِي زَعَمُوا أَنَّ اللهَ حَرَّمَهُ حَلَالٌ قَدْ أَحَلَّهُ اللهُ، وَأَنَّهُمْ كَذَبَةٌ فِي إِضَافَتِهِمْ تَحْرِيمَهُ إِلَىٰ اللهِ..

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إِلَىٰ أَكْلِ مَا حَرَّمَ اللهُ مِنْ أَكْلِ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ الْمَسْفُوحِ أَوْ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ، أَوْ مَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ..

﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ فِي أَكْلِهِ إِيَّاهُ تَلَذُّذًا، لَا لِضَرُورَةٍ حَالَةٍ مِنَ الْجُوعِ..

﴿وَلَا عَادٍ﴾ فِي أَكْلِهِ بِتَجَاوُزِهِ مَا حَدَّهُ اللهُ وَأَبَاحَهُ لَهُ مِنْ أَكْلِهِ، وَذَلِكَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ مَا يَدْفَعُ عَنْهُ الْخَوْفَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِتَرْكِ أَكْلِهِ مِنَ الْهَلَاكِ لَمْ يَتَجَاوَزْ ذَلِكَ إِلَىٰ أَكْثَرَ مِنْهُ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي أَكْلِهِ مَا أَكَلَ مِنْ ذَلِكَ..

﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ فِيمَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَسَاتِرٌ عَلَيْهِ بِتَرْكِهِ عُقُوبَتَهُ عَلَيْهِ، وَلَوْ شَاءَ عَاقَبَهُ عَلَيْهِ..

﴿رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥] بِإِبَاحَتِهِ إِيَّاهُ أَكْلَ ذَلِكَ عِنْدَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ، وَلَوْ شَاءَ حَرَّمَهُ عَلَيْهِ وَمَنَعَهُ مِنْهُ.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام: ١٤٦].

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَىٰ الْيَهُودِ..

﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ﴾ وَهُوَ مِنَ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ مَا لَمْ يَكُنْ مَشْقُوقَ الْأَصَابِعِ، كَالْإِبِلِ، وَالنَّعَامِ، وَالْإِوَزِّ وَالْبَطِّ، وَكُلِّ شَيْءٍ لَيْسَ بِمَشْقُوقِ الْأَصَابِعِ، مِثْلِ: الدِّيكِ، وَالدَّجَاجِ، وَالْعَصَافِيرِ..

﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا ثُمَّ بَاعُوهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا**»، فَكَانَ حَرَّمَ عَلَىٰ الْيَهُودِ مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ شُحُومَهُمَا، إِلَّا مَا اسْتَثْنَاهُ مِنْهَا..

﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ إِلَّا شُحُومَ الْجَنْبِ، وَمَا عَلِقَ بِالظَّهْرِ كَالْأَلْيَاتِ، فَإِنَّهَا لَمْ تُحَرَّمْ عَلَيْهِمْ..

﴿أَوِ﴾ مَا حَمَلَتِ..

﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ وَهِيَ مَا تَحَوَّىٰ مِنَ الْبَطْنِ، فَاجْتَمَعَ وَاسْتَدَارَ، وَهِيَ بَنَاتُ اللَّبَنِ -أي: ما صغر من الأمعاء- وَهِيَ الْمَبَاعِرُ -يعني: مكان البعر من كل ذي أربع- وَتُسَمَّىٰ الْمَرَابِضُ، وَفِيهَا الْأَمْعَاءُ، فَإِنَّا أَحْلَلْنَا ذَلِكَ لَهُمْ..

﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ﴾ شَحْمُ الْأَلْيَةِ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْقَوَائِمِ وَالْجَنْبِ وَالرَّأْسِ وَالْعَيْنِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، قَدِ اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ، فَهُوَ لَهُمْ أَيْضًا حَلَالٌ..

﴿ذَٰلِكَ﴾ الَّذِي حَرَّمْنَا عَلَىٰ الَّذِينَ هَادُوا، مِنَ الْأَنْعَامِ وَالطَّيْرِ ذَوَاتِ الْأَظَافِيرِ غَيْرِ الْمُنْفَرِجَةِ، وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ مَا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ شُحُومِهِمَا الَّذِي ذَكَرْنَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿جَزَيْنَٰهُم﴾ حَرَّمْنَاهُ عَلَيْهِمْ..

﴿بِبَغْيِهِمْۖ﴾ عُقُوبَةً مِنَّا لَهُمْ، وَثَوَابًا عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ وَبَغْيِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ..

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝١٤٦﴾ [الأنعام: ١٤٦] فِي خَبَرِنَا هَذَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ عَمَّا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الشُّحُومِ وَلُحُومِ الْأَنْعَامِ وَالطَّيْرِ الَّتِي ذَكَرْنَا أَنَّا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَخْبَارِنَا، وَهُمُ الْكَاذِبُونَ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا حَرَّمَهُ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا حَرَّمُوهُ لِتَحْرِيمِ إِسْرَائِيلَ إِيَّاهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٤٧﴾
[الأنعام: ١٤٧].

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ فِيمَا أَخْبَرْنَاكَ أَنَّا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ وَحَلَّلْنَا لَهُمْ، كَمَا بَيَّنَّا فِي هَذِهِ الْآيَةِ..

﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ﴾ بِنَا وَبِمَنْ كَانَ بِهِ مُؤْمِنًا مِنْ عِبَادِهِ وَبِغَيْرِهِمْ مِنْ خَلْقِهِ..

﴿وَٰسِعَةٍ﴾ تَسَعُ جَمِيعَ خَلْقِهِ الْمُحْسِنَ وَالْمُسِيءَ، لَا يُعَاجِلُ مَنْ كَفَرَ بِهِ بِالْعُقُوبَةِ وَلَا مَنْ عَصَاهُ بِالنِّقْمَةِ، وَلَا يَدَعُ كَرَامَةَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَطَاعَهُ وَلَا يَحْرِمُهُ ثَوَابَ عَمَلِهِ، رَحْمَةً مِنْهُ بِكِلَا الْفَرِيقَيْنِ..

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ وَسَطْوَتُهُ وَعَذَابُهُ، لَا يَرُدُّهُ إِذَا أَحَلَّهُ عِنْدَ غَضَبِهِ..

﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٤٧﴾ [الأنعام: ١٤٧] الْمُحَرِّمُونَ، وَهُمُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا فَاكْتَسَبُوا الذُّنُوبَ، وَاجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ۝١٤٨﴾ [الأنعام: ١٤٨].

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ وَهُمُ الْعَادِلُونَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ.. قَالُوا احْتِجَاجًا مِنَ الْإِذْعَانِ لِلْحَقِّ بِالْبَاطِلِ مِنَ الْحُجَّةِ، لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ، وَعَلِمُوا بَاطِلَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مُقِيمِينَ، مِنْ شِرْكِهِمْ وَتَحْرِيمِهِمْ مَا كَانُوا يُحَرِّمُونَ مِنَ الْحُرُوثِ وَالْأَنْعَامِ، عَلَىٰ مَا قَدْ بَيَّنَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي الْآيَاتِ الْمَاضِيَةِ قَبْلَ ذَلِكَ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا﴾ [الأنعام: ١٣٦] وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ..

﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لَوْ أَرَادَ اللهُ مِنَّا الْإِيمَانَ بِهِ، وَإِفْرَادَهُ بِالْعِبَادَةِ، دُونَ الْأَوْثَانِ وَالْآلِهَةِ، وَتَحْلِيلَ مَا حَرَّمَ مِنَ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَائِبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْوَالِنَا..

﴿مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾ مَا جَعَلْنَا لِلَّهِ شَرِيكًا..

﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ وَلَا جَعَلَ ذَلِكَ لَهُ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلِنَا..

﴿وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ﴾ وَلَا حَرَّمْنَا مَا نُحَرِّمُهُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي نَحْنُ عَلَىٰ تَحْرِيمِهَا مُقِيمُونَ؛ لِأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَحُولَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ذَلِكَ، حَتَّىٰ لَا يَكُونَ لَنَا إِلَىٰ فِعْلِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ سَبِيلٌ، إِمَّا بِأَنْ يَضْطَرَّنَا إِلَىٰ الْإِيمَانِ وَتَرْكِ الشِّرْكِ بِهِ وَإِلَىٰ الْقَوْلِ بِتَحْلِيلِ مَا حَرَّمْنَا، وَإِمَّا بِأَنْ يَلْطُفَ بِنَا بِتَوْفِيقِهِ فَنَصِيرَ إِلَىٰ الْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَتَرْكِ عِبَادَةِ مَا دُونَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَصْنَامِ، وَإِلَىٰ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمْنَا، وَلَكِنَّهُ رَضِيَ مِنَّا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَاتِّخَاذِ الشَّرِيكِ لَهُ فِي الْعِبَادَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَأَرَادَ مَا نُحَرِّمُ مِنَ الْحُرُوثِ وَالْأَنْعَامِ، فَلَمْ يَحُلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ اللهُ مُكَذِّبًا لَهُمْ فِي قِيلِهِمْ: إِنَّ اللهَ رَضِيَ مِنَّا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ وَتَحْرِيمِ مَا نُحَرِّمُ، وَرَادًّا عَلَيْهِمْ بَاطِلَ مَا احْتَجُّوا بِهِ مِنْ حُجَّتِهِمْ فِي ذَلِكَ..

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَمَا كَذَّبَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَالْبَيَانِ..

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ مِنْ فَسَقَةِ الْأُمَمِ الَّذِينَ طَغَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ مَا جَاءَتْهُمْ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُمْ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَوَاضِحِ حُجَجِهِ، وَرَدُّوا عَلَيْهِمْ نَصَائِحَهُمْ..

﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾ حَتَّىٰ أَسْخَطُونَا فَغَضِبْنَا عَلَيْهِمْ، فَأَحْلَلْنَا بِهِمْ بَأْسَنَا فَذَاقُوهُ، فَعَطَبُوا

بِذَوْقِهِمْ إِيَّاهُ، فَخَابُوا وَخَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، يَقُولُ: وَهَؤُلَاءِ الْآخَرُونَ مَسْلُوكٌ بِهِمْ سَبِيلَهُمْ إِنْ هُمْ لَمْ يُنِيبُوا فَيُؤْمِنُوا وَيُصَدِّقُوا بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، الْمُحَرِّمِينَ مَا هُمْ لَهُ مُحَرِّمُونَ مِنَ الْحُرُوثِ وَالْأَنْعَامِ، الْقَائِلِينَ: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وَلَكِنْ رَضِيَ مِنَّا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ وَتَحْرِيمِ مَا نُحَرِّمُ..

﴿هَلْ عِندَكُم﴾ بِدَعْوَاكُمْ مَا تَدَّعُونَ عَلَى اللهِ مِنْ رِضَاهُ بِإِشْرَاكِكُمْ فِي عِبَادَتِهِ مَا تُشْرِكُونَ، وَتَحْرِيمِكُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ مَا تُحَرِّمُونَ..

﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾ يَقِينٍ، مِنْ خَبَرِ مَنْ يَقْطَعُ خَبَرُهُ الْعُذْرَ، أَوْ حُجَّةٍ تُوجِبُ لَنَا الْيَقِينَ مِنَ الْعِلْمِ..

﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ فَتُظْهِرُوا ذَلِكَ لَنَا وَتُبَيِّنُوهُ، كَمَا بَيَّنَّا لَكُمْ مَوَاضِعَ خَطَأِ قَوْلِكُمْ وَفِعْلِكُمْ، وَتَنَاقُضِ ذَلِكَ وَاسْتِحَالَتِهِ فِي الْمَعْقُولِ وَالْمَسْمُوعِ.. يَقُولُ لَهُ: قُلْ لَهُمْ..

﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ إِنْ تَقُولُونَ مَا تَقُولُونَ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، وَتَعْبُدُونَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ مَا تَعْبُدُونَ، وَتُحَرِّمُونَ مِنَ الْحُرُوثِ وَالْأَنْعَامِ مَا تُحَرِّمُونَ..

﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ إِلَّا ظَنًّا وَحُسْبَانًا أَنَّهُ حَقٌّ، وَأَنَّكُمْ عَلَى حَقٍّ وَهُوَ بَاطِلٌ، وَأَنْتُمْ عَلَى بَاطِلٍ..

﴿وَإِنْ أَنتُمْ﴾ وَمَا أَنْتُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ..

﴿إِلَّا تَخْرُصُونَ ١٤٨﴾ [الأنعام: ١٤٨] إِلَّا تَتَقَوَّلُونَ الْبَاطِلَ عَلَى اللهِ ظَنًّا بِغَيْرِ يَقِينِ عِلْمٍ وَلَا بُرْهَانٍ وَاضِحٍ.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام: ١٤٩].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، الْقَائِلِينَ عَلَى رَبِّهِمُ الْكَذِبَ فِي تَحْرِيمِهِمْ مَا حَرَّمُوا مِنَ الْحُرُوثِ وَالْأَنْعَامِ، إِنْ عَجَزُوا عَنْ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عِنْدَ قِيلِكَ لَهُمْ: هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ بِمَا تَدَّعُونَ عَلَى رَبِّكُمْ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا، وَعَنْ إِخْرَاجِ عِلْمِ ذَلِكَ لَكَ وَإِظْهَارِهِ، وَهُمْ لَا شَكَّ عَنْ ذَلِكَ عَجَزَةٌ، وَعَنْ إِظْهَارِهِ مُقَصِّرُونَ؛ لِأَنَّهُ بَاطِلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ..

﴿فَلِلَّهِ﴾ الَّذِي حَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنَ الْحُرُوثِ وَالْأَنْعَامِ..

﴿ٱلْحُجَّةُ﴾ دُونَكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ..

﴿ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ تَبْلُغُ مُرَادَهُ فِي ثُبُوتِهَا عَلَى مَنِ احْتَجَّ بِهَا عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَقَطَعَ عُذْرَهُ إِذَا انْتَهَتْ

إِلَيْهِ فِيمَا جُعِلَتْ حُجَّةً فِيهِ..

﴿فَلَوْ شَآءَ﴾ رَبُّكُمْ..

﴿لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: ١٤٩] لَوَفَّقَكُمْ أَجْمَعِينَ، لِلْإِجْمَاعِ عَلَىٰ إِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ وَالدَّيْنُونَةِ، بِتَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ اللهُ وَتَحْلِيلِ مَا حَلَّلَهُ اللهُ، وَتَرْكِ اتِّبَاعِ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ طَاعَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَشَأْ ذَلِكَ، فَخَالَفَ بَيْنَ خَلْقِهِ فِيمَا شَاءَ مِنْهُمْ، فَمِنْهُمْ كَافِرٌ وَمِنْهُمْ مُؤْمِنٌ.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأنعام: ١٥٠].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، الزَّاعِمِينَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مُحَرِّمُوهُ مِنْ حُرُوثِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ..

﴿هَلُمَّ﴾ هَاتُوا..

﴿شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾ عَلَىٰ اللهِ..

﴿أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ﴾ عَلَيْكُمْ..

﴿هَٰذَا﴾ مَا تَزْعُمُونَ أَنَّهُ حَرَّمَهُ عَلَيْكُمْ..

﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ فَإِنْ جَاءُوكَ يَا مُحَمَّدُ بِشُهَدَاءَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ مَا يَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ..

﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ﴾ فَإِنَّهُمْ كَذَبَةٌ، وَشُهُودُ زُورٍ فِي شَهَادَتِهِمْ بِمَا شَهِدُوا بِهِ مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ، وَخَاطَبَ بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهُ ﷺ، وَالْمُرَادُ بِهِ أَصْحَابُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ بِهِ..

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وَلَا تُتَابِعْهُمْ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّكْذِيبِ بِوَحْيِ اللهِ وَتَنْزِيلِهِ فِي تَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ وَتَحْلِيلِ مَا أَحَلَّ لَهُمْ، وَلَكِنِ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ..

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ﴾ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ، فَتُكَذِّبَ بِمَا هُمْ بِهِ مُكَذِّبُونَ مِنْ إِحْيَاءِ اللهِ خَلْقَهُ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَنَشْرِهِ إِيَّاهُمْ بَعْدَ فَنَائِهِمْ..

﴿وَهُم﴾ مَعَ تَكْذِيبِهِمْ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَجُحُودِهِمْ قِيَامَ السَّاعَةِ..

﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأنعام: ١٥٠] الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، فَيَجْعَلُونَهَا لَهُ عَدْلًا، وَيَتَّخِذُونَهَا لَهُ نِدًّا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِهِ.

﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

[الأنعام: ١٥١].

﴿۞ قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، الزَّاعِمِينَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مُحَرِّمُوهُ مِنْ حُرُوثِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ، عَلَىٰ مَا ذَكَرْتُ لَكَ فِي تَنْزِيلِي عَلَيْكَ..

﴿تَعَالَوْا﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ..

﴿أَتْلُ﴾ أَقْرَأْ عَلَيْكُمْ..

﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ حَقًّا يَقِينًا، لَا الْبَاطِلَ، تَخَرُّصًا كَخَرَصِكُمْ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ وَالْفِرْيَةَ ظَنًّا، وَلَكِنْ وَحْيًا مِنَ اللهِ أَوْحَاهُ إِلَيَّ، وَتَنْزِيلًا أَنْزَلَهُ عَلَيَّ..

﴿عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا تَعْدِلُوا بِهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، وَلَا تَعْبُدُوا شَيْئًا سِوَاهُ..

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وَأَوْصَىٰ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا..

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ وَلَا تَئِدُوا أَوْلَادَكُمْ فَتَقْتُلُوهُمْ مِنْ خَشْيَةِ الْفَقْرِ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ بِنَفَقَاتِهِمْ.. وَالْإِمْلَاقُ: مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: أَمْلَقْتُ مِنَ الزَّادِ، فَأَنَا أُمْلِقُ إِمْلَاقًا، وَذَلِكَ إِذَا فَنِيَ زَادُهُ وَذَهَبَ مَالُهُ وَأَفْلَسَ..

﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ فَإِنَّ اللهَ هُوَ رَازِقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُمْ، فَتَخَافُوا بِحَيَاتِهِمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمُ الْعَجْزَ عَنْ أَرْزَاقِهِمْ وَأَقْوَاتِهِمْ..

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الظَّاهِرَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُحَرَّمَةِ عَلَيْكُمُ الَّتِي هِيَ عَلَانِيَةٌ بَيْنَكُمْ لَا تَنَاكَرُونَ رُكُوبَهَا..

﴿وَمَا بَطَنَ﴾ مِنْهَا الَّذِي تَأْتُونَهُ سِرًّا فِي خَفَاءٍ لَا تَجَاهَرُونَ بِهِ، فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ حَرَامٌ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا

قِيلَ: لَا تَقْرَبُوا مَا ظَهَرَ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَمَا بَطَنَ، لِأَنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَرَوْنَ بِالزِّنَا بَأْسًا فِي السِّرِّ، وَيَسْتَقْبِحُونَهُ فِي الْعَلَانِيَةِ، فَحَرَّمَ اللهُ الزِّنَا فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَلَيْسَ مَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ بِمَدْفُوعٍ، غَيْرَ أَنَّ دَلِيلَ الظَّاهِرِ مِنَ التَّنْزِيلِ عَلَىٰ النَّهْيِ عَنْ ظَاهِرِ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَبَاطِنِهَا، وَلَا خَبَرَ يَقْطَعُ الْعُذْرَ بِأَنَّهُ عُنِيَ بِهِ بَعْضٌ دُونَ جَمِيعٍ، وَغَيْرُ جَائِزٍ إِحَالَةُ ظَاهِرِ كِتَابِ اللهِ إِلَىٰ بَاطِنٍ إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا..

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قَتْلَهَا، كَنَفْسِ مُؤْمِنٍ أَوْ مُعَاهَدٍ..

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ﴾ بِمَا أَبَاحَ قَتْلَهَا بِهِ مِنْ أَنْ تَقْتُلَ نَفْسًا فَتُقْتَلَ قَوَدًا بِهَا، أَوْ تَزْنِيَ وَهِيَ مُحْصَنَةٌ فَتُرْجَمَ، أَوْ تَرْتَدَّ عَنْ دِينِهَا الْحَقِّ فَتُقْتَلَ، فَذَلِكَ الْحَقُّ الَّذِي أَبَاحَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَتْلَ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ قَتْلَهَا بِهِ..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الْأُمُورُ الَّتِي عَهِدَ إِلَيْنَا فِيهَا رَبُّنَا أَنْ لَا نَأْتِيَهُ وَأَنْ لَا نَدَعَهُ..

﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ هِيَ الْأُمُورُ الَّتِي أَوْصَانَا وَالْكَافِرِينَ بِهَا أَنْ نَعْمَلَ جَمِيعًا بِهِ، وَصَّاكُمْ بِذَلِكَ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٥١﴾ [الأنعام: ١٥١] مَا وَصَّاكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ.. وَكَانَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ﴾، فَقَالَ: (وَالَّذِي نَفْسُ كَعْبٍ بِيَدِهِ، إِنَّ هَذَا لَأَوَّلُ شَيْءٍ فِي التَّوْرَاةِ).

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١٥٢﴾ [الأنعام: ١٥٢].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَهُ إِلَّا بِمَا فِيهِ صَلَاحُهُ وَتَثْمِيرُهُ، كَالتِّجَارَةِ فِيهِ..

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ جَمْعُ شَدٍّ، كَمَا الْأَضُرُّ جَمْعُ ضَرٍّ، وَكَمَا الْأَشُرُّ جَمْعُ شَرٍّ.. وَالشَّدُّ: الْقُوَّةُ، وَهُوَ اسْتِحْكَامُ قُوَّةِ شَبَابِهِ وَسِنِّهِ، كَمَا شَدُّ النَّهَارِ ارْتِفَاعُهُ وَامْتِدَادُهُ، يُقَالُ: أَتَيْتُهُ شَدَّ النَّهَارِ وَمَدَّ النَّهَارِ، وَذَلِكَ حِينَ امْتِدَادِهِ وَارْتِفَاعِهِ.. فَأَمَّا أَهْلُ التَّأْوِيلِ فَإِنَّهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الْحِينِ الَّذِي إِذَا بَلَغَهُ الْإِنْسَانُ قِيلَ بَلَغَ أَشُدَّهُ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يُقَالُ ذَلِكَ لَهُ إِذَا بَلَغَ الْحُلُمَ، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا يُقَالُ ذَلِكَ لَهُ إِذَا بَلَغَ ثَلَاثِينَ سَنَةً.. وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ تُرِكَ ذِكْرُهُ اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ مَا ظَهَرَ عَمَّا حُذِفَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، فَإِذَا بَلَغَ

أَشُدَّهُ فَآنَسْتُمْ مِنْهُ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِ مَالَهُ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يَنْهَ أَنْ يُقْرَبَ مَالُ الْيَتِيمِ فِي حَالِ يُتْمِهِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، لِيَحِلَّ لِوَلِيِّهِ بَعْدَ بُلُوغِهِ أَشُدَّهُ أَنْ يَقْرَبَهُ بِالَّتِي هِيَ أَسْوَأُ، وَلَكِنَّهُ نَهَاهُمْ أَنْ يَقْرَبُوه حِيَاطَةً مِنْهُ لَهُ، وَحِفْظًا عَلَيْهِ، لِيُسَلِّمُوهُ إِلَيْهِ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ..

﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُوهُمْ..

﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ وَالْوَزْنَ إِذَا وَزَنْتُمُوهُمْ، وَلَكِنْ أَوْفُوهُمْ حُقُوقَهُمْ، وَإِيفَاؤُهُمْ ذَلِكَ: إِعْطَاؤُهُمْ حُقُوقَهُمْ تَامَّةً..

﴿بِٱلْقِسْطِۖ﴾ بِالْعَدْلِ..

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا﴾ مِنْ إِيفَاءِ الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ..

﴿إِلَّا وُسْعَهَاۖ﴾ إِلَّا مَا يَسَعُهَا، فَيَحِلُّ لَهَا، وَلَا تَحْرَجَ فِيهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلِمَ مِنْ عِبَادِهِ أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ تَضِيقُ نَفْسُهُ عَنْ أَنْ تَطِيبَ لِغَيْرِهِ بِمَا لَا يَجِبُ عَلَيْهَا لَهُ، فَأَمَرَ الْمُعْطِي بِإِيفَاءِ رَبِّ الْحَقِّ حَقَّهُ الَّذِي هُوَ لَهُ وَلَمْ يُكَلِّفْهُ الزِّيَادَةَ لِمَا فِي الزِّيَادَةِ عَلَيْهِ مِنْ ضِيقِ نَفْسِهِ بِهَا، وَأَمَرَ الَّذِي لَهُ الْحَقُّ بِأَخْذِ حَقِّهِ وَلَمْ يُكَلِّفْهُ الرِّضَا بِأَقَلَّ مِنْهُ، لِمَا فِي النُّقْصَانِ عَنْهُ مِنْ ضِيقِ نَفْسِهِ، فَلَمْ يُكَلِّفْ نَفْسًا مِنْهُمَا إِلَّا مَا لَا حَرَجَ فِيهِ وَلَا ضِيقَ..

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ﴾ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ فَتَكَلَّمْتُمْ، فَقُولُوا الْحَقَّ بَيْنَهُمْ، وَاعْدِلُوا وَأَنْصِفُوا وَلَا تَجُورُوا..

﴿وَلَوْ كَانَ﴾ الَّذِي يَتَوَجَّهُ الْحَقُّ عَلَيْهِ وَالْحُكْمُ..

﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ ذَا قَرَابَةٍ لَكُمْ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ قَرَابَةُ قَرِيبٍ أَوْ صَدَاقَةُ صَدِيقٍ حَكَمْتُمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، أَنْ تَقُولُوا غَيْرَ الْحَقِّ فِيمَا احْتُكِمَ إِلَيْكُمْ فِيهِ..

﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ وَبِوَصِيَّةِ اللهِ الَّتِي أَوْصَاكُمْ بِهَا، فَـ..

﴿أَوْفُواْ﴾ وَإِيفَاءُ ذَلِكَ أَنْ يُطِيعُوهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَنَهَاهُمْ، وَأَنْ يَعْمَلُوا بِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَذَلِكَ هُوَ الْوَفَاءُ بِعَهْدِ اللهِ..

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْعَادِلِينَ بِاللهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ مِنْ قَوْمِكَ: هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي ذَكَرْتُ لَكُمْ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، هِيَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي عَهِدَ إِلَيْنَا رَبُّنَا، وَوَصَّاكُمْ بِهَا رَبُّكُمْ، وَأَمَرَكُمْ بِالْعَمَلِ بِهَا، لَا بِالْبَحَائِرِ وَالسَّوَائِبِ وَالْوَصَائِلِ وَالْحَامِ وَقَتْلِ الْأَوْلَادِ وَوَأْدِ الْبَنَاتِ وَاتِّبَاعِ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ١٥٢﴾ [الأنعام: ١٥٢] أَمَرَكُمْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي أَمَرَكُمْ بِهَا فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ

وَوَصَّاكُمْ بِهَا وَعَهِدَ إِلَيْكُمْ فِيهَا، لِتَتَذَكَّرُوا عَوَاقِبَ أَمْرِكُمْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي أَمَرَكُمْ بِهَا فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، وَوَصَّاكُمْ بِهَا وَعَهِدَ إِلَيْكُمْ فِيهَا، لِتَتَذَكَّرُوا عَوَاقِبَ أَمْرِكُمْ وَخَطَأَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ، فَتَنْزَجِرُوا عَنْهَا وَتَرْتَدِعُوا وَتُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَةِ رَبِّكُمْ.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾ الَّذِي وَصَّاكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] وَأَمَرَكُمْ بِالْوَفَاءِ بِهِ، هُوَ..

﴿صِرَاطِي﴾ طَرِيقِي، وَدِينِي الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ..

﴿مُسْتَقِيمًا﴾ قَوِيمًا لَا اعْوِجَاجَ بِهِ عَنِ الْحَقِّ..

﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ فَاعْمَلُوا بِهِ، وَاجْعَلُوهُ لِأَنْفُسِكُمْ مِنْهَاجًا تَسْلُكُونَهُ فَاتَّبِعُوهُ..

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ وَلَا تَسْلُكُوا طَرِيقًا سِوَاهُ، وَلَا تَرْكَبُوا مَنْهَجًا غَيْرَهُ، وَلَا تَبْغُوا دِينًا خِلَافَهُ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَالْمَجُوسِيَّةِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمِلَلِ، فَإِنَّهَا بِدَعٌ وَضَلَالَاتٌ، قَالَ مُجَاهِدٌ: (الْبِدَعُ وَالشُّبُهَاتُ)..

﴿فَتَفَرَّقَ﴾ فَيُشَتِّتُ..

﴿بِكُمْ﴾ إِنِ اتَّبَعْتُمُ السُّبُلَ الْمُحْدَثَةَ الَّتِي لَيْسَتْ لِلَّهِ بِسُبُلٍ وَلَا طُرُقٍ وَلَا أَدْيَانٍ، اتِّبَاعَكُمْ..

﴿عَن سَبِيلِهِ﴾ عَنْ طَرِيقِهِ وَدِينِهِ الَّذِي شَرَعَهُ لَكُمْ وَارْتَضَاهُ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي وَصَّىٰ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَأَمَرَ بِهِ الْأُمَمَ قَبْلَكُمْ..

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ هَذَا الَّذِي وَصَّاكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ مِنْ قَوْلِهِ لَكُمْ: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ»، وَصَّاكُمْ بِهِ..

﴿وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣] لِتَتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ فَلَا تُهْلِكُوهَا، وَتَحْذَرُوا رَبَّكُمْ فِيهَا، فَلَا تُسْخِطُوهُ عَلَيْهَا، فَيَحِلَّ بِكُمْ نَقْمَتُهُ وَعَذَابُهُ.. وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا خَطًّا فَقَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ»، ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِ ذَلِكَ الْخَطِّ وَعَنْ شِمَالِهِ خُطُوطًا فَقَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهَا»، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾.. وَقَالَ ابْنُ

زَيْدٍ: (سَبِيلُهُ الإِسْلَامُ، وَصِرَاطُهُ: الإِسْلَامُ، نَهَاهُمْ أَنْ يَتَّبِعُوا السُّبُلَ سِوَاهُ، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ عَنِ الإِسْلَامِ).

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ١٥٤﴾ [الأنعام: ١٥٤].

﴿ثُمَّ﴾ قُلْ بَعْدَ ذَلِكَ يَا مُحَمَّدُ، فَتَرَكَ ذِكْرَ (قُلْ)، إِذْ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ الْقِصَّةِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ مُرَادٌ فِيهَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، فَقَصَّ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ وَأَحَلَّ، ثُمَّ قَالَ: ثُمَّ قُلْ..

﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ آتَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ التَّوْرَاةَ..

﴿تَمَامًا﴾ لِنِعَمِنَا عِنْدَهُ وَأَيَادِينَا قِبَلَهُ، فَأُتَمِّمَ لَهُ كَرَامَتِي وَنِعْمَتِي فِي الْآخِرَةِ عَلَيْهِ..

﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ عَلَىٰ مَا أَحْسَنَ مُوسَىٰ فِي قِيَامِهِ فِي الدُّنْيَا فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَالْقِيَامِ بِمَا كَلَّفَهُ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ بِأَمْرِنَا وَنَهْيِنَا.. فَإِنَّ إِيتَاءَ مُوسَىٰ كِتَابَهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ عَلَيْهِ وَمِنَّةٌ عَظِيمَةٌ، فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ أَنْعَمَ بِذَلِكَ عَلَيْهِ لِمَا سَلَفَ لَهُ مِنْ صَالِحِ عَمَلٍ وَحُسْنِ طَاعَةٍ.. وَ ﴿أَحْسَنَ﴾ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَىٰ أَنَّهُ فِعْلٌ مَاضٍ..

﴿وَتَفْصِيلًا﴾ وَتَبْيِينًا..

﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ لِكُلِّ مَا لِقَوْمِهِ وَأَتْبَاعِهِ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ الَّذِي أُمِرُوا بِهِ، فِيهِ حَلَالُهُ وَحَرَامُهُ..

﴿وَهُدًى﴾ تَقْوِيمًا لَهُمْ عَلَىٰ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَبَيَانًا لَهُمْ سُبُلَ الرَّشَادِ لِئَلَّا يَضِلُّوا..

﴿وَرَحْمَةً﴾ مِنَّا بِهِمْ وَرَأْفَةً، لِنُنْجِيَهِمْ مِنَ الضَّلَالَةِ وَعَمَىٰ الْحِيرَةِ..

﴿لَّعَلَّهُم﴾ بِإِيتَائِي مُوسَىٰ الْكِتَابَ تَمَامًا لِكَرَامَةِ اللهِ مُوسَىٰ عَلَىٰ إِحْسَانِ مُوسَىٰ، وَتَفْصِيلًا لِشَرَائِعِ دِينِهِ، وَهُدًى لِمَنِ اتَّبَعَهُ، وَرَحْمَةً لِمَنْ كَانَ مِنْهُمْ ضَالًّا، لِيُنَجِّيَهُ اللهُ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ..

﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ١٥٤﴾ [الأنعام: ١٥٤] إِذَا سَمِعَ مَوَاعِظَ اللهِ الَّتِي وَعَظَ بِهَا خَلْقَهُ فِيهِ، فَيَرْتَدِعَ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ مُقِيمٌ مِنَ الْكُفْرِ بِهِ، وَبِلِقَائِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ، فَيُطِيعَ رَبَّهُ، وَيُصَدِّقَ بِمَا جَاءَهُ بِهِ نَبِيُّهُ مُوسَىٰ ﷺ.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٥٥﴾ [الأنعام: ١٥٥].

﴿وَهَٰذَا﴾ الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ..

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ فَاجْعَلُوهُ إِمَامًا فَاتَّبِعُوا حَلَالَهُ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَتَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿وَاتَّقُوا﴾ وَاحْذَرُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَنْ تُضَيِّعُوا الْعَمَلَ بِمَا فِيهِ، وَتَتَعَدَّوْا حُدُودَهُ، وَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَهُ.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٥٥﴾ [الأنعام: ١٥٥] لِتُرْحَمُوا فَتَنْجُوْا مِنْ عَذَابِ اللهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ.

﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ١٥٦﴾ [الأنعام: ١٥٦].

﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ -عَلَىٰ مُحَمَّدٍ- مُبَارَكٌ لِئَلَّا يَقُولَ الْمُشْرِكُونَ..

﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْنَا كِتَابٌ فَنَتَّبِعَهُ، وَلَمْ نُؤْمَرْ وَلَمْ نُنْهَ، فَلَيْسَ عَلَيْنَا حُجَّةٌ فِيمَا نَأْتِي وَنَذَرُ، إِذْ لَمْ يَأْتِ مِنَ اللهِ كِتَابٌ وَلَا رَسُولٌ، وَإِنَّمَا الْحُجَّةُ..

﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ﴾ عَلَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أُنْزِلَ عَلَيْهِمَا الْكِتَابُ..

﴿مِن قَبْلِنَا﴾ فَإِنَّهُمَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ..

﴿وَإِن كُنَّا﴾ أَنْ تَقُولُوا: وَقَدْ كُنَّا..

﴿عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾ عَنْ تِلَاوَةِ الطَّائِفَتَيْنِ الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلْتَ عَلَيْهِمْ.. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «**الدِّرَاسَةُ: الْقِرَاءَةُ وَالْعِلْمُ، عَلِمُوا مَا فِيهِ، لَمْ يَأْتُوهُ بِجَهَالَةٍ**»..

﴿لَغَٰفِلِينَ ١٥٦﴾ [الأنعام: ١٥٦] لَا نَدْرِي مَا هِيَ، وَلَا نَعْلَمُ مَا يَقْرَءُونَ، وَمَا يَقُولُونَ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَهُ دُونَنَا، وَلَمْ نُعْنَ بِهِ، وَلَمْ نُؤْمَرْ بِمَا فِيهِ، وَلَا هُوَ بِلِسَانِنَا، فَيَتَّخِذُوا ذَلِكَ حُجَّةً، فَقَطَعَ اللهُ بِإِنْزَالِهِ الْقُرْآنَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ حُجَّتَهُمْ تِلْكَ.

﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ١٥٧﴾ [الأنعام: ١٥٧].

﴿أَوْ تَقُولُواْ﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ، لِئَلَّا يَقُولَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ قُرَيْشٍ: إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا، أَوْ لِئَلَّا يَقُولُوا..

﴿لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ كَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا، فَأُمِرْنَا فِيهِ وَنُهِينَا، وَبَيَّنَ لَنَا فِيهِ خَطَأً مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ صَوَابِهِ..

﴿لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ لَكُنَّا أَشَدَّ اسْتِقَامَةً عَلَىٰ طَرِيقِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعًا لِلْكِتَابِ، وَأَحْسَنَ عَمَلًا بِمَا فِيهِ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَنْزَلَ عَلَيْهِمَا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا..

﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فَقَدْ جَاءَكُمْ كِتَابٌ بِلِسَانِكُمْ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ، حُجَّةٌ عَلَيْكُمْ وَاضِحَةٌ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ..

﴿وَهُدًى﴾ وَبَيَانٌ لِلْحَقِّ، وَفُرْقَانٌ بَيْنَ الصَّوَابِ وَالْخَطَأِ..

﴿وَرَحْمَةٌ﴾ لِمَنْ عَمِلَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ..

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ فَمَنْ أَخْطَأُ فِعْلًا وَأَشَدُّ عُدْوَانًا مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، الْمُكَذِّبُونَ بِحُجَجِ اللهِ وَأَدِلَّتِهِ وَهِيَ آيَاتُهُ..

﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ وَأَعْرَضَ عَنْهَا بَعْدَ مَا أَتَتْهُ، فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهَا وَلَمْ يُصَدِّقْ بِحَقِيقَتِهَا..

﴿سَنَجْزِي﴾ سَيُثِيبُ اللهُ..

﴿ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ﴾ الَّذِينَ يُعْرِضُونَ..

﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ عَنْ آيَاتِهِ وَحُجَجِهِ، وَلَا يَتَدَبَّرُونَهَا وَلَا يَتَعَرَّفُونَ حَقِيقَتَهَا، فَيُؤْمِنُوا بِمَا دَلَّتْهُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَحَقِّيَّةِ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِ، وَصِدْقِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ..

﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ شَدِيدَ الْعِقَابِ، وَذَلِكَ عَذَابُ النَّارِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِكَفَرَةِ خَلْقِهِ بِهِ..

﴿بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ١٥٧﴾ [الأنعام: ١٥٧] يَفْعَلُ اللهُ ذَلِكَ بِهِمْ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يُعْرِضُونَ عَنْ آيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، فَلَا يَقْبَلُونَ مَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾

[الأنعام: ١٥٨].

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ هَلْ يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بِالْمَوْتِ فَتَقْبِضَ أَرْوَاحَهُمْ..

﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أَوْ أَنْ يَأْتِيَهُمْ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ بَيْنَ خَلْقِهِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ..

﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أَوْ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ، وَذَلِكَ فِيمَا قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا..

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ مَنْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مُشْرِكًا بِاللهِ أَنْ يُؤْمِنَ بَعْدَ مَجِيءِ تِلْكَ الْآيَةِ، وَهِيَ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا.. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا» طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا.. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَتِلْكَ حِينَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا».. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِنَّهَا تَذْهَبُ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي مِنْ حَيْثُ شِئْتِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي إِلَىٰ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرٍّ لَهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي مِنْ حَيْثِ شِئْتِ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لا يُنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا، حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ فَتَخِرَّ سَاجِدَةً فِي مُسْتَقَرٍّ لَهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ لا يُنْكِرُونَ مِنْهَا شَيْئًا، فَيُقَالُ لَهَا: اطْلُعِي مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا، قَالَ ﷺ: أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذَاكَ يَوْمُ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا».. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ قِبَلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابًا مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ لَمْ يَنْفَعْ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا».. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَيَوْمَئِذٍ يُؤْمِنُ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا».. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ طُبِعَ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ، وَكُفِيَ النَّاسُ الْعَمَلَ».. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا قُبِلَ مِنْهُ»..

﴿أَوْ كَسَبَتْ﴾ أَوْ عَمِلَتْ..

﴿فِيٓ إِيمَٰنِهَا﴾ فِي تَصْدِيقِهَا بِاللهِ..

﴿خَيْرًا﴾ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يُصَدِّقُ قِيلَهُ، وَيُحَقِّقُهُ مِنْ قَبْلِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، لا يَنْفَعُ

كَافِرًا لَمْ يَكُنْ آمَنَ بِاللهِ قَبْلَ طُلُوعِهَا، كَذَلِكَ إِيمَانُهُ بِاللهِ إِنْ آمَنَ وَصَدَّقَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ، لِأَنَّهَا حَالَةٌ لَا تَمْتَنِعُ نَفْسٌ مِنَ الْإِقْرَارِ بِاللهِ الْعَظِيمِ لِهَوْلِ الْوَارِدِ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِ اللهِ، فَحُكْمُ إِيمَانِهِمْ كَحُكْمِ إِيمَانِهِمْ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَتِلْكَ حَالٌ لَا يَمْتَنِعُ الْخَلْقُ مِنَ الْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ لِمُعَايَنَتِهِمْ مِنْ أَهْوَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مَا تَرْتَفِعُ مَعَهُ حَاجَتُهُمْ إِلَى الْفِكْرِ وَالِاسْتِدْلَالِ وَالْبَحْثِ وَالِاعْتِبَارِ، **وَلَا يَنْفَعُ مَنْ كَانَ بِاللهِ وَبِرُسُلِهِ مُصَدِّقًا وَلِفَرَائِضِ اللهِ مُضَيِّعًا، غَيْرَ مُكْتَسِبٍ بِجَوَارِحِهِ لِلَّهِ طَاعَةً**، إِذَا هِيَ طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَعْمَالُهُ إِنْ عَمِلَ، وَكَسْبُهُ إِنِ اكْتَسَبَ، لِتَفْرِيطِهِ الَّذِي سَلَفَ قَبْلَ طُلُوعِهَا فِي ذَلِكَ..

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿انتَظِرُوٓاْ﴾ أَنْ تَأْتِيَكُمُ الْمَلَائِكَةُ بِالْمَوْتِ، فَتَقْبِضَ أَرْوَاحَكُمْ، أَوْ أَنْ يَأْتِيَ رَبُّكَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، أَوْ أَنْ يَأْتِيَكُمْ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَتُطْوَى صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ، وَلَا يَنْفَعُكُمْ إِيمَانُكُمْ حِينَئِذٍ إِنْ آمَنْتُمْ، حَتَّى تَعْلَمُوا حِينَئِذٍ الْمُحِقَّ مِنَّا مِنَ الْمُبْطِلِ، وَالْمُسِيءَ مِنَ الْمُحْسِنِ، وَالصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ، وَتَتَبَيَّنُوا عِنْدَ ذَلِكَ بِمَنْ يَحِيقُ عَذَابُ اللهِ وَأَلِيمُ نَكَالِهِ، وَمَنِ النَّاجِي مِنَّا وَمِنْكُمْ وَمَنِ الْهَالِكُ..

﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾ [الأنعام: ١٥٨] إِنَّا مُنْتَظِرُو ذَلِكَ، لِيُجْزِلَ اللهُ لَنَا ثَوَابَهُ عَلَى طَاعَتِنَا إِيَّاهُ، وَإِخْلَاصِنَا الْعِبَادَةَ لَهُ، وَإِفْرَادِنَاهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ دُونَ مَا سِوَاهُ، وَيَفْصِلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ بِالْحَقِّ، وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ.

> ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ١٥٩﴾ [الأنعام: ١٥٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَرَأَ: (**إِنَّ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ**).. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﴿فَرَّقُوا﴾، وَعَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ، أَعْنِي: قِرَاءَةَ عَبْدِ اللهِ، قُرَّاءُ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَعَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفِيِّينَ، وَكَأَنَّ عَبْدَ اللهِ تَأَوَّلَ بِقِرَاءَتِهِ ذَلِكَ كَذَلِكَ أَنَّ دِينَ اللهِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِينُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ، فَفَرَّقَ ذَلِكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَتَهَوَّدَ قَوْمٌ، وَتَنَصَّرَ آخَرُونَ، فَجَعَلُوهُ شِيَعًا مُتَفَرِّقَةً.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ، قَدْ قَرَأَتْ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَئِمَّةٌ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَهُمَا مُتَّفِقَتَا الْمَعْنَى غَيْرُ مُخْتَلِفَتَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ ضَالٍّ فَلِدِينِهِ مُفَارِقٌ، وَقَدْ فَرَّقَ الْأَحْزَابُ دِينَ اللهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ، فَتَهَوَّدَ بَعْضٌ، وَتَنَصَّرَ آخَرُونَ، وَتَمَجَّسَ بَعْضٌ، وَذَلِكَ هُوَ التَّفْرِيقُ بِعَيْنِهِ وَمَصِيرُ أَهْلِهِ شِيَعًا مُتَفَرِّقِينَ غَيْرَ مُجْتَمِعِينَ، فَهُمْ

لِدِينِ اللهِ الْحَقِّ مُفَارِقُونَ وَلَهُ مُفَرِّقُونَ، فَبِأَيِّ ذَلِكَ قَرَأَ الْقَارِئُ فَهُوَ لِلْحَقِّ مُصِيبٌ، غَيْرَ أَنِّي أَخْتَارُ الْقِرَاءَةَ بِالَّذِي عَلَيْهِ عِظَمُ الْقُرَّاءِ، وَذَلِكَ تَشْدِيدُ الرَّاءِ مِنْ (فَرَّقُوا).. ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنِيِّينَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِذَلِكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ.. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِذَلِكَ: أَهْلُ الْبِدَعِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مُتَشَابِهَ الْقُرْآنِ دُونَ مُحْكَمِهِ.. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِمَّنْ فَارَقَ دِينَهُ الْحَقَّ، وَفَرَّقَهُ، وَكَانُوا فِرَقًا فِيهِ وَأَحْزَابًا شِيَعًا، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُمْ وَلَا هُمْ مِنْهُ، لِأَنَّ دِينَهُ الَّذِي بَعَثَهُ اللهُ بِهِ هُوَ الْإِسْلَامُ دِينُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفِيَّةُ، كَمَا قَالَ لَهُ رَبُّهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ: «قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» [الأنعام: ١٦١]، فَكَانَ مَنْ فَارَقَ دِينَهُ الَّذِي بُعِثَ بِهِ ﷺ مِنْ مُشْرِكٍ وَوَثَنِيٍّ وَيَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ وَمُتَحَنِّفٍ مُبْتَدِعٍ قَدِ ابْتَدَعَ فِي الدِّينِ مَا ضَلَّ بِهِ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالدِّينِ الْقَيِّمِ، مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْمُسْلِمِ، فَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمُحَمَّدٌ مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي عُمُومِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾..

﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُ مِنْ مُبْتَدِعَةِ أُمَّتِهِ الْمُلْحِدَةِ فِي دِينِهِ بَرِيءٌ، وَمِنَ الْأَحْزَابِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ وَمِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، وَلَيْسَ فِي إِعْلَامِهِ ذَلِكَ مَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ نَهَاهُ عَنْ قِتَالِهِمْ، لِأَنَّهُ غَيْرُ مُحَالٍ أَنَّ فِي الْكَلَامِ: لَسْتَ مِنْ دِينِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ فِي شَيْءٍ فَقَاتِلْهُمْ، فَإِنَّ أَمْرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ فِي أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَىٰ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ، فَيَتُوبَ عَلَيْهِ، وَيُهْلِكَ مَنْ أَرَادَ إِهْلَاكَهُ مِنْهُمْ كَافِرًا، فَيَقْبِضَ رُوحَهُ، أَوْ يَقْتُلَهُ بِيَدِكَ عَلَىٰ كُفْرِهِ، ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ عِنْدَ مَقْدَمِهِمْ عَلَيْهِ، وَإِذْ كَانَ غَيْرُ مُسْتَحِيلٍ اجْتِمَاعُ الْأَمْرِ بِقِتَالِهِمْ وَقَوْلُهُ: «لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَىٰ اللهِ»، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ، وَلَا وَرَدَ بِأَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ عَنِ الرَّسُولِ خَبَرٌ، كَانَ غَيْرَ جَائِزٍ أَنْ يُقْضَىٰ عَلَيْهَا بِأَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ حَتَّىٰ تَقُومَ حُجَّةٌ مُوجِبَةٌ عَلَىٰ صِحَّةِ الْقَوْلِ بِذَلِكَ؛ لِمَا قَدْ بَيَّنَّا مِنْ أَنَّ الْمَنْسُوخَ هُوَ مَا لَمْ يَجُزِ اجْتِمَاعُهُ وَنَاسِخُهُ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ فِي كِتَابِنَا..

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أَنَا الَّذِي إِلَيَّ أَمْرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا، وَالْمُبْتَدِعَةِ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ ضَلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ، دُونَكَ وَدُونَ كُلِّ أَحَدٍ، إِمَّا بِالْعُقُوبَةِ إِنْ أَقَامُوا عَلَىٰ ضَلَالَتِهِمْ وَفُرْقَتِهِمْ دِينَهُمْ فَأُهْلِكُهُمْ بِهَا، وَإِمَّا بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ بِالتَّوْبَةِ عَلَيْهِمْ وَالتَّفَضُّلِ مِنِّي عَلَيْهِمْ..

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ ثُمَّ أُخْبِرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩] فَأُجَازِي كُلًّا مِنْهُمْ بِمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَفْعَلُونَ، الْمُحْسِنُ

مِنْهُمْ بِالْإِحْسَانِ وَالْمُسِيءُ بِالْإِسَاءَةِ.. ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا مَبْلَغُ جَزَائِهِ مَنْ جَازَىٰ مِنْهُمْ بِالْإِحْسَانِ أَوْ بِالْإِسَاءَةِ، فَقَالَ.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

﴿مَن جَآءَ﴾ مَنْ وَافَىٰ رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا..

﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِقْلَاعِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ مُقِيمٌ مِنْ ضَلَالَتِهِ..

﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ فَلَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ أَمْثَالَ حَسَنَتِهِ الَّتِي جَاءَ بِهَا..

﴿وَمَن جَآءَ﴾ وَمَنْ وَافَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْهُمْ..

﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ بِفِرَاقِ الدِّينِ الْحَقِّ وَالْكُفْرِ بِاللهِ..

﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مَا سَاءَهُ مِنَ الْجَزَاءِ، كَمَا وَافَىٰ اللهُ بِهِ مِنْ عَمَلِهِ السَّيِّءِ..

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠] وَلَا يَظْلِمُ اللهُ الْفَرِيقَيْنِ: لَا فَرِيقَ الْإِحْسَانِ، وَلَا فَرِيقَ الْإِسَاءَةِ، بِأَنْ يُجَازِي الْمُحْسِنَ بِالْإِسَاءَةِ وَالْمُسِيءَ بِالْإِحْسَانِ، وَلَكِنَّهُ يُجَازِي كِلَا الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْجَزَاءِ مَا هُوَ لَهُ، لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ حَكِيمٌ لَا يَضَعُ شَيْئًا إِلَّا فِي مَوْضِعِهِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يَضَعَهُ فِيهِ، وَلَا يُجَازِي أَحَدًا إِلَّا بِمَا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْجَزَاءِ.

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام: ١٦١].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ..

﴿إِنَّنِي هَدَىٰنِي﴾ إِنَّنِي أَرْشَدَنِي..

﴿رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إِلَىٰ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ..

﴿دِينًا قِيَمًا﴾ دِينًا قَوِيمًا، وهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي ابْتَعَثَهُ بِهِ، وَذَلِكَ الْحَنِيفِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ، فَوَفَّقَنِي لَهُ..

﴿مِّلَّةَ﴾ دِينَ..

﴿إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ مُسْتَقِيمًا..

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝﴾ [الأنعام: ١٦١] بِاللهِ، يَعْنِي: إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ [الأنعام: ١٦٢].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، الَّذِينَ يَسْأَلُونَكَ أَنْ تَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ مِنْ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ..

﴿إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾ وَذَبْحِي..

﴿وَمَحْيَاىَ﴾ وَحَيَاتِي..

﴿وَمَمَاتِى﴾ وَوَفَاتِي..

﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ [الأنعام: ١٦٢] ذَلِكَ كُلُّهُ لَهُ خَالِصًا، دُونَ مَا أَشْرَكْتُمْ بِهِ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْأَوْثَانِ.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝﴾ [الأنعام: ١٦٣].

﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا لِشَيْءٍ مِنْهُمْ فِيهِ نَصِيبٌ، لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِلَّا لَهُ خَالِصًا..

﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ وَبِذَلِكَ أَمَرَنِي رَبِّي.

﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝﴾ [الأنعام: ١٦٣] وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ وَأَذْعَنَ وَخَضَعَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لِرَبِّهِ، بِأَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝﴾ [الأنعام: ١٦٤].

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ، الدَّاعِيكَ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَاتِّبَاعِ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ..

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ أَسِوَى اللهِ أَطْلُبُ سَيِّدًا يَسُودُنِي..

﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ وَهُوَ سَيِّدُ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُ، وَمُدَبِّرُهُ وَمُصْلِحُهُ..

﴿وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ﴾ وَلَا تَجْتَرِحُ نَفْسٌ إِثْمًا إِلَّا عَلَيْهَا، أَيْ لَا يُؤْخَذُ بِمَا أَتَتْ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَرَكِبَتْ مِنَ الْخَطِيئَةِ سِوَاهَا، بَلْ كُلُّ ذِي إِثْمٍ فَهُوَ الْمُعَاقَبُ بِإِثْمِهِ وَالْمَأْخُوذُ بِذَنْبِهِ..

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ وَلَا تَأْثَمُ نَفْسٌ آثِمَةٌ بِإِثْمِ نَفْسٍ أُخْرَىٰ غَيْرِهَا، وَلَكِنَّهَا تَأْثَمُ بِإِثْمِهَا وَعَلَيْهِ تُعَاقَبُ دُونَ إِثْمِ أُخْرَىٰ غَيْرِهَا، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ هَذَا الْقَوْلَ لَهُمْ، يَقُولُ: قُلْ لَهُمْ: إِنَّا لَسْنَا مَأْخُوذِينَ بِآثَامِكُمْ، وَعَلَيْكُمْ عُقُوبَةُ إِجْرَامِكُمْ، وَلَنَا جَزَاءُ أَعْمَالِنَا، وَهَذَا كَمَا أَمَرَهُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ٦]..

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم﴾ قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ: كُلُّ عَامِلٍ مِنَّا وَمِنْكُمْ فَلَهُ ثَوَابُ عَمَلِهِ وَعَلَيْهِ وِزْرُهُ، فَاعْمَلُوا مَا أَنْتُمْ عَامِلُوهُ، ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿مَّرۡجِعُكُمۡ﴾ ثُمَّ إِلَيْهِ مَصِيرُكُمْ وَمُنْقَلَبُكُمْ..

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ﴾ فِي الدُّنْيَا..

﴿تَخۡتَلِفُونَ ۝١٦٤﴾ [الأنعام: ١٦٤] مِنَ الْأَدْيَانِ وَالْمِلَلِ، إِذْ كَانَ بَعْضُكُمْ يَدِينُ بِالْيَهُودِيَّةِ، وَبَعْضٌ بِالنَّصْرَانِيَّةِ، وَبَعْضٌ بِالْمَجُوسِيَّةِ، وَبَعْضٌ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَادِّعَائِهِ الشُّرَكَاءَ مَعَ اللهِ وَالْأَنْدَادِ، ثُمَّ يُجَازَىٰ جَمِيعُكُمْ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَتَعْلَمُوا حِينَئِذٍ مَنِ الْمُحْسِنُ مِنَّا وَالْمُسِيءُ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ۝١٦٥﴾ [الأنعام: ١٦٥].

﴿وَهُوَ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأُمَّتِهِ: وَاللهُ..

﴿ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ..

﴿خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ بِأَنْ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْقُرُونِ وَالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، وَاسْتَخْلَفَكُمْ فَجَعَلَكُمْ خَلَائِفَ مِنْهُمْ فِي الْأَرْضِ، تَخْلُفُونَهُمْ فِيهَا، وَتَعْمُرُونَهَا بَعْدَهُمْ.. وَالْخَلَائِفُ: جَمْعُ خَلِيفَةٍ، كَمَا الْوَصَائِفُ جَمْعُ وَصِيفَةٍ، وَهِيَ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: خَلَفَ فُلَانٌ فُلَانًا فِي دَارِهِ يَخْلُفُهُ فَهُوَ خَلِيفَةٌ فِيهَا..

﴿وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾ وَخَالَفَ بَيْنَ أَحْوَالِكُمْ، فَجَعَلَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ، بِأَنْ رَفَعَ هَذَا عَلَىٰ هَذَا بِمَا بَسَطَ لِهَذَا مِنَ الرِّزْقِ فَفَضَّلَهُ بِمَا أَعْطَاهُ مِنَ الْمَالِ وَالْغِنَىٰ عَلَىٰ هَذَا الْفَقِيرِ فِيمَا خَوَّلَهُ مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا، وَهَذَا عَلَىٰ هَذَا بِمَا أَعْطَاهُ مِنَ الْأَيْدِ وَالْقُوَّةِ عَلَىٰ هَذَا الضَّعِيفِ الْوَاهِنِ الْقُوَىٰ،

فَخَالَفَ بَيْنَهُمْ بِأَنْ رَفَعَ مِنْ دَرَجَةِ هَذَا عَلَىٰ دَرَجَةِ هَذَا، وَخَفَضَ مِنْ دَرَجَةِ هَذَا عَنْ دَرَجَةِ هَذَا..

﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْۗ﴾ لِيَخْتَبِرَكُمْ فِيمَا خَوَّلَكُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَمَنَحَكُمْ مِنْ رِزْقِهِ، فَيَعْلَمَ الْمُطِيعَ لَهُ مِنْكُمْ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ وَنَهَاهُ عَنْهُ وَالْعَاصِي، وَمَنِ الْمُؤَدِّي مِمَّا آتَاهُ الْحَقَّ الَّذِي أَمَرَهُ بِأَدَائِهِ مِنْهُ، وَالْمُفَرِّطُ فِي أَدَائِهِ..

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَـ..

﴿سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لِمَنْ أَسْخَطَهُ بِارْتِكَابِهِ مَعَاصِيَهُ، وَخِلَافِهِ أَمْرَهُ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ وَنَهَاهُ، وَلِمَنِ ابْتَلَىٰ مِنْهُ فِيمَا مَنَحَهُ مِنْ فَضْلِهِ وَطَوْلِهِ، تَوَلِّيًا وَإِدْبَارًا عَنْهُ، مَعَ إِنْعَامِهِ عَلَيْهِ وَتَمْكِينِهِ إِيَّاهُ فِي الْأَرْضِ، كَمَا فَعَلَ بِالْقُرُونِ السَّالِفَةِ..

﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ﴾ وَإِنَّهُ لَسَاتِرٌ ذُنُوبَ مَنِ ابْتُلِيَ مِنْهُ، إِقْبَالًا إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ عِنْدَ ابْتِلَائِهِ إِيَّاهُ بِنِعْمَةٍ، وَاخْتِبَارِهِ إِيَّاهُ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَمُغَطٍّ عَلَيْهِ فِيهَا، وَتَارِكٌ فَضِيحَتَهُ بِهَا فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ..

﴿رَّحِيمُۢ ١٦٥﴾ [الأنعام: ١٦٥] بِتَرْكِهِ عُقُوبَتَهُ عَلَىٰ سَالِفِ ذُنُوبِهِ الَّتِي سَلَفَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، إِذْ تَابَ وَأَنَابَ إِلَيْهِ قَبْلَ لِقَائِهِ وَمَصِيرِهِ إِلَيْهِ.

آخِرُ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ سُورَةِ الأَنْعَامِ

فِهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ

فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ